شيوخ
عبير محمد قائد
لا تعترف بالغزل

رواية

شيوخ لاتعترف بالغزل

الجزء الثالث من سلسلة { أسياد الغرام}

صدر منها..

بقايا همس 1

أسياد الغرام 2

شيوخ لاتعترف بالغزل 3

ترنيمة عذاب 4

تأليف

عبيرمحمد قائد

جميع شخصيات الرواية والأحداث من خيال المؤلفة ولا تمت للواقع بصلة

تحذير..

لمن لا يحب ويعشق الرومانسية.. لا تقترب!..

#عبير_قائد

***

تسيطر العادات علينا وتتلبسنا ونتشرب منها كل أفعالنا فنصبح في أحيان كثير أسرى لتلك التي تربينا عليها ونسجت مع ضمائرنا..

مهما عشنا ومهما تغيرت ظروفنا تبقى جزء من دمنا ولايمكن ان نحيا بدونها..

هي جذورنا العميقة التي كلما بحثت فينا وجدتها هي فقط .. تستوطنا ..حتى العظم!!..

***

المكـان .. بلدة صغيرة بدوية وسط صحراء ..

الزمـان .. قبل عام واحد من الزمن الفعلي ..

الحدث .. زفاف الشيخ محمد العزب ..

***

بيت ضخم .. وديوانية هائلة الحجم عُجت بالضيوف ..

أصوات طبول وضحكات فتيات صاخبة .. هرج ومرج .. أطفال يركضون هنا وهناك ..

وعلى كرسي مزين بالأقمشة الحريرية والشرائط الملونة البسيطة .. جلست بالكاد لاتخفي وجهها عن الجميع ..

احمرار ينافس احمرار الورود في الربيع افترش مستمتعاً صفحة وجهها الرقيقة .. عينيها محتقنتين بالدموع تحاول رفع نظرها فقط لتلتقي بعيني والدتها .. ولم تقدر .. خجل .. لاتمارسه .. بل ينبع من كل مساماتها بفطرة ولدت وعاشت بها عمرها كله..

-غزل ؟؟!!

سمعت النداء اللاهف فالتفتت بكليتها للفتاة القمحية ذات الشعر الثائر والتي تطل من عينيها نظرات مجنونة وهي تهتف بمرح:

-لقد وصل العريس.. أتريدين مني ادخاله؟؟

لمعت عينيها الدامعتين بحرقة وهمست مخنوقة:

-سلمى لو فعلت سوف يكون اليوم أخر يوم لك على وجه الأرض..

شهقت سلمى بحنق وتراقص حاجبيها الكثين وهي تحرك رأسها بأسى:

-لو فعلت ذلك فسيفسد كل البرنامج المثير الذي يعده لك عريسك يافتاة .. وستطرين للبس الأسود طيلة حياتك الباقية حزناً وكمداً علي.

-سلمى (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

همست غزل بتوسل فضحكت الاخرى بمرح واقتربت هامسة:

-أقسم بأن أخي المتلهف في الخارج.. ويطالب بحقه بالدخول كأي عريس.. ماذا تريدين مني أن أقول له؟!

تلفتت غزل حولها بذعر وهتفت:

-أريد أمي ..

ضحكت سلمى بصخب أثار أنظار بضع من المدعوات مماجعلها تحمر بقوة هي الأخرى قبل أن تقفز قائلة:

-سأنادي الجوهرة ..

-سلمى(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نادتها غزل بيأس .. ولكن سلمى كانت تطير حرفياً وهي تتنقل بين المدعوات المتناثرات حولها بكل مكان لتصل الى باب ضخم يؤدي الى الغرف الداخليه للدار الكبيرة التي يسكنها أفراد اسرتها منذ قديم الزمان ..

وجدت الجوهرة تقف الى جوار مجموعة من العاملات في المنزل لتشرف على تحضير الوليمة فتقدمت نحوها هاتفة:

-جوهرة حبيبتي .. غزل مرعوبة وتريد خالتي بسرعة.

نظرت جوهرة حولها بحيرة وهمست:

-وكيف لي أن أجدها وسط هذا الزحام ؟؟ ابحثي عنها أنت؟؟

تأففت سلمى وتخصرت مواجهة شقيقتها الكبرى:

-لا لــن أفعل سأذهب الأن لأرقص قبل دخول محمد .. لادخل لي..

وقبل أن تعترض جوهرة كانت تركض بعيداً تلاحقها صرخات شقيقتها المتوعدة بحنق ..

أما تلك المرعوبة على الكرسي فقد عادت تتقوقع داخل خجلها وخوفها الفطري ..

"أليس هذا هو حلم حياتك ياغزل؟؟"

تردد صوت بداخلها فأغمضت عينيها وهمست لنفسها برعب "

ولكني خائفة..أريد أمي"

"لن تخافي بعد اليوم .. فحبيب العمر سيكون الى جانبك"

أغمضت عينيها بطفولية وهي تحاول الخروج من أسر تلك الفكرة التي هيمنت عليها بقوة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هي ومحمد معاً والى الأبد .. كانت قبل أيام فقط لاتكاد تسعها أرض من فرط سعادتها .. ولكن الأن؟؟!!

انها مرعوبة .. وقلبها .. قلبها تشعر به كحفرة لاتقوى حتى على التفكير بالنظر الى مابداخلها!!

سمعت حينها علو الزغاريد ..وشعرت بقلبها تبتلعه تلك الحفرة .. لقد وصل!!

تلفتت حولها برعب بحثاً عن احد .. أين تلك المجنونة سلمى!!

رأت أمها من بعيد فهتفت تناديها بقوة متجاهلة نظرات النساء المندهشة لتهرع اليها أمها:

-أماه ابقي معي.

ترجتها بدموع انسابت من عينيها ببطء فضحكت امها وهمست:

-لاتقلقي حبيبتي أنا الى جوارك ..

تشبثت بيد والدتها بقوة وهي تزرع نظراتها في حذائها الساتاني الرقيق لم تقوى على النظر وهي التي لم تكن تُشيح بعينيها عنه كلما دخل اليها!! لم تجرؤ على فعل ذلك وعشرات النساء ينظرن اليهما ..

شعرت بجلوسه الى جوارها .. ابتعدت مذعورة تلتجئ الى حضن أمها .. سمعت ضحكته الخافتة وشعرت بيده تحيط بكفها بقوة .. أرادت أن تنتزعها ولكنه تشبث بها بطريقة متسلطة وسمعته يهمس:

-لاتتصرفي وكأنني سألتهمك..

رفعت عينيها بخفة لتقع في عينيه العسليتان ..ليضيف بمكر:

-سألتهمك فقط حين نصبح وحدنا..

هربت بعينيها مذعورة بسرعة ليعاود الضحك بمرح وهو يتقبل التهاني من جميع اولئك النساء ..

وهي تحاول بلافائدة التخلص من قبضته المتحكمة..

لم تعرف كم مضى عليها في ذاك العذاب ..تمارس طقوس المشهد كافة .. ولم تقدر على التنفس بحرية حتى غادر هو .. لتبقى متقوقعة بجوار أمها نائية عن الصخب والمرح والفـرحة العارمة حولها .. رغم كونها فرحتها هي وليس سواها ..

حين أخذوها لغرفتها .. كانت أمها معها .. متبلدة المشاعر وافقت على كل مافعلوه بها .. غيروا لها ثوبها الطويل الخانق بأخر طويل ومحتشم ..وسرحو شعرها وبالكاد وضعوا لها القليل من الحمرة .. كانت أمها والجوهرة التي تبتسم لها بحنان ولاتكف عن ذكر اللّه والصلاة على النبي "اللهم صل وسلم وبارك عليه"

همست لأمها:

-لاتتركيني ..

رأت دموع أمها تنساب وعانقتها هامسة:

-لايصح لي البقاء معك هنا حبيبتي.. توكلي على اللّه ولن يصيبك مكروه..

رفعت لها عينين باكيتين ونشجت بعنف لتضحك الجوهرة وهي تغالب دموعها:

-يالهي غزل.. من يراك الأن لايكاد يعرفك .. انه محمد حبيب القلب ياصغيرتي فلم الخوف الأن؟؟

-أرجوك جوهرة .. ارجوك قولي له أنني سأبقى مع أمي .. أرجوك قولي له بأن يتركني وشأني ..

أتبعتها بوصلة قوية من البكاء وأمها تشاركها بتعاطف مثير للشفقة حتى ان جوهرة شاركتهما وهي تهمس:

-يالهي خالتي .. مابالك لقد زوجتي ثلاث من بناتك ولم تفعلي هذه المناحة قبلاً..

نشجت خالتها قائلة:

-ولكنها غزل .. غزل ياجوهرة .. لم افرقها قط من قبل.

فُتح الباب حينها لتدخل امرأة ضخمة الجسد همست بفرح:

-مابالكم هنا كل هذا الوقت العريس متوتر للغاية ومستعجل .. هيا الى الخارج..

-لاااا اميييي..

صرخت غزل باكية ثم التفتت الى المرأة الضخمة مترجية:

-فتحية أرجووك .. دعي أمي معي ..

اتسعت عينا فتحية ابنة عمهما وأكبر الفتيات في المنزل وقالت باستنكار:

-مالذي تقولينه ياغزل هل جننت ..؟؟!! أتريدين مني اخبار محمد أنك ترفضينه الان؟؟

اتسعت عينا غزل وصرخت:

-أنا اريد امي ..

اتسعت عينا فتحية والجوهرة لتحسم الام قرارها فجأة وتبتعد عن يدي ابنتها وتهمس:

-لا يابنيتي لقد طال عليه الوقت ولااريد أن تأتي أمه لتجده يقف في الخارج كالمعاقب .. هيا بنا يافتيات..

-أمييي..

همست غزل بصدمة .. ولكنها لم تتحرك وهي ترى امها تغادر مسرعة وكأنما لاتريد تغيير رأيها ولحقتها الجوهرة وفتحية .. لتبقى

وحدها لبضعة دقائق مسمرة عينيها على الباب الذي سرعان ماانفتح ليظهر من خلاله .. محمد .. زوجها!!

بقيت جامدة ترقب تقدمه واغلاقه الباب خلفه .. وقف ينظر اليها .. واتسعت عيناه ..

منذ متى يعرفها .. منذ ولادتها؟؟ !!

لم يرى يوماً غير الفرح في عيينيها .. لم يرى غير الابتسامة تزين شفتيها .. حتى اليوم .. اليوم الذي ظنه يوم فرحته الكبرى .. هاهو يراها مغطاة بالدموع!!

اقترب مسرعاً وهتف:

-غزل .. أتبكيـن؟؟!!

رفعت له عينيها مذعورة وهمست متراجعة:

-أرجوك لاتقترب مني.. لاتؤذني.

اتسعت عيناه لوهلة .. قبل أن ترتخي أعصابه ويتنهد زافراً بضيق وهو يجلس الى جوارها بعفوية اعتادها منذ صباه:

-يالهي لقد ظننتك مريضة ..

تراجعت أكثر فنظر لها باستنكار وهتف:

-منذ متى تخافين مني؟؟ لست رعَّاد ياحمقاء ..

اتسعت عيناها بذعر اكبر وهي تقارن في عقلها بين محمد .. حبيبها ورعااد شقيقه الذي يكبره بسنوات قليلة لاتكاد تُذكر .. وهالتها المقارنة ..

-هيا الان توقفي عن البكاء ..

همس لها بمرح .. فنظرت له متخوفة قبل أن تكسو عينيه المرحتين لمحة حنان وهو يضيف:

-تعرفين بأن جدي لايسمح لأحد أن يُبكيك.. اذا ماعرف بأنك تبكين قد يعلقني من قدمي.

ضحكت فجأة .. لتتسع ابتسامته وكأنه فعل المعجزات .. وهتف بشقاوة اعتادها:

-أتذكرين يوم علق رعَّاد .. ؟

اومأت باسمة بخجل .. وذكرى ذاك اليوم تعاودها .. ليقطع محمد ذكرياتها وهو يمس ذقنها بيده بخفة أجفلتها:

-تبدين جميلة للغاية حين تبتسمين .. فلاتفسدي الأمر بهذه الدموع ..

خفضت عينيها ليواصل هو بدفئ:

-أُدرك بأنك خائفة مني ياغزل .. لااعرف لماذا.. ولكنني لاأفهم عقول النساء..

رفعت عينيها اليه ليواصل بمرح:

-كان الأمر أسهل بكثير قبل الزواج أليس كذلك؟! حين كنا فقط حبيبين؟!

ابتسمت .. فرفع يديه بعلامة الانتصار هاتفاً:

-ابتسامتين في آن واحد .. واااااااو أنا أعود لمجدي القديم..

ضحكت متخلية عن حذرها وهي تشاكسه:

-نعم بالتأكيد كمهرج البلدة ..

قهقه بسرور:

-وتكلمت أيضاً .. انه فعلاً انجاااز ..

أطبقت شفتيها ليعاود الضحك .. لتشيح عنه مبتسمة .. شعرت به حين نهض وهمس لها:

-تعالي لنتكلم .. لايزال الليل في أوله ياحلوتي ..

اتسعت ابتسامتها تلقائياً للفظ التحبب الذي اعتاد ان يطلقه عليها ..

رفعت له بصرها لتراه يمد لها يده .. وابتسامته تزين وجهه .. تقبلتها وهي تنهر نفسها عن كل الدراما التي عاشتها .. كان ذاك محمد!!

الفتى الوسيم ذو الروح المرحة التي أحبته منذ الطفولة .. لم يتغير ولن يتغير ابداً..

أخذها للشرفة المستطيلة .. حيث ارتصت أطباق من الطعام على طاولة مستديرة هجم عليها محمد بصخب:

-أنا أمووت من الجوع .. لم أكل منذ الصباح .. تعالي لنأكل..

ترددت في الجلوس .. فهي لم تأكل مع رجل من قبل قط في حياتها .. ولكنه لم يترك لها اي مجال .. جذبها بقوة لتجلس الى جواره .. وبكل مرح وجدت نفسها تشاركه الطعام على استحياء ..

بقيا على الطاولة طيلة الليل ..

كان يتحدث باستمرار .. يقص لها اشياء كثيرة .. أشياء حدثت معه ولم يعرفها احد حتى هي .. مغامرات لم تعرف عنها شيء.. وكان يضحك باستمرار .. وهي .. نسيت خوفها .. نسيت قلقها ووجدت أنها تشاركه الضحك لا بل تشارك في سرد قصص كان يظهر عليه الغضب كلما حكت عنها بالذات حين تتعلق بشقيقته المجنونة سلمى ..

-اه سلمى ستقتلني لو عرفت انني أخبرتك.

تجهم وجهه وهتف بزعيق:

-سأعلقها من ظفائرها تلك المجنونة.. كيف تتسلل الى حظيرة الجمال هكذا؟؟ماذا لو تأذت؟؟ ماذا لو رآها أحدهم؟؟

-لاتخبرها محمد ارجوك..

ترجته بدلال فزم شفتيه بضيق ليصدح حولهما صوت لأذان قريب

فنهض بسرعة يناظر ساعة يده:

-يالهي .. لقد أذن الفجر ..

-هل بقينا طيلة هذا الوقت؟؟

تسائلت بذهول فأسرع هو الى الداخل قائلاً:

-سوف أذهب للمسجد .. وأنت غزل جهزي أغراضك السيارة

ستتحرك بعد الصلاة مباشرة ..

ابتهجت بقوة واومأت وهي تتخيل رحلتها القادمة معه:

-الى اين سنذهب؟؟

-عـدن .. وبعدها الى الحرم .. سنعتمر ونسلم على الاهل هناك

وبعدها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) .

ونظر لها باستمتاع:

-سآخذك الى تركيـا..

صفقت بيديها بجذل وسارعت لفعل ماطلبه منها بلاتأخير..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

ودعا الأهل وقت شروق الشمس.. بكت مطولاً بين ذراعي أمها .. وفي حضن جدتها وجدها قبل أن يقبل جدها قمة رأسها ويدعوا لها ويتركها تلحق بزوجها المتأفف من التأخير.. سارعت اليه تركب في الخلف حيث ركب هو الى جوار السائق ملوحاً لأشقاءه المودعين ..

نظر لها هامساً:

-سنصل بسرعة لاتقلقي ..

اومأت تحت نقابها مبتسمة .. لتنطلق السيارة .. بسرعة ..

راقبته بصمت وهو يتناقش مع السائق في أمور سياسية لم تفقه منها شيئاً .. مبتسمة بحب .. لن تنكر فهو حبيبها منذ الصغر .. منذ فتحت عينيها وهي تعرف بأنها لمحمد .. قانــون وجب على الجميع الالتزام به والعمل من خلاله .. كان يعاملها كشيء خاص به فقط لايحق لأحد الاقتراب منه او ايذاءه .. كانت وهي طفلة كظله لاتفارقه .. وحين كبرت واضطرت لالتزام المنزل .. كانت عروس محمد المقبلة .. لم يضطر ابداً للتقدم لخطبتها .. كانت خطيبته منذ الولادة .. فقط قبل شهور حددوا موعد العرس .. لتجد اليوم نفسها زوجته!!

ابتسمت وهي تتخيل حياتها برفقته .. محمد سيبدأ دراسته الجامعية بعد شهر واحد وستنتقل واياه لعدن ولذا عجلوا بالزواج

حتى لايبقى وحده .. تنهدت بهناء وسعادة وقد بدأ خوفها منه يتلاشى ..

رأته يلتفت اليها بابتسامة فرمشت بعينيها ليضحك ويعود لاهتمامه بحديثه مع السائق ..

شعرت بالنعاس .. لم تنم منذ يومين .. اراحت رأسها على مسند المقعد ..وكادت تغمض عينيها حين سمعت ذلك الصوت القوي ..

صرخت برعب والسيارة تهتز بقوة .. انتفضت صارخة بإسمه ..

ليلتفت لها صائحاً:

-لاتخافي لقد ثقب الاطار فقط ..

اتسعت عينيها بذعر وهي تنظر للزجاج الأمامي .. وصرخت برعب:

-محمممممممد ..

التفت بسرعة لينظر حيث تفعل واتسعت عيناااه بصدمة ..

ويدوي حولهم كل شيء .. ويعود الصمت من جديد ..

مهيباً وسط صحراء قاحلة .. تحت شمس حارقة .. صمت لم تكسره سوى نظرات صارمة .. تابعت مشهد السيارة التي تمرغت في لارمال لعدة دقائق قبل أن تستقر على ظهرها بشكل مفزع .. وتظل عجلاتها تدور بلاتوقف في الهواء .. قبل أن تسكن نهائياً..

والى الأبــد ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

حاليـاً ..

إنّي حَزينْ

ولَربّما لَم يَبدُ شيءٌ فَوقَ وجهي

لا .. ولا دَمعي انهَمَرْ

ولَربّما أبدو لَكم مُتماسكًا

وبأنّني صُلبٌ ، وقلبي مِن حَجَرْ

أنا ليسَ مَن يَبدو عليهِ تّأثُّرٌ

لكِنْ بِعُمْقي دائمًا يَبدو الأثَرْ

عبد العزيز جويدة

***

ترفلت الشمس بعباءة غروبها كالمعتاد .. كنهاية كل يوم .. لايميزه سوى احتواءه على رقم في روزنامة الحائط .. واسم ما !! راقبها تغطس بعينين تلمعان بألوانها المشعة .. ونفسٌ تتخبط في مشاعر

لاتمت لسكونها الظاهر بصلة .. نفسٌ اعتادت القتال والصراع حتى باتت لاتركن للسكون مطلقاً الا مرغمة ؟؟

تنهد وشرد بعينيه بعيداً كثقبين أسودين عميقين .. تبتلعان سواد الكون فيهما!!

لم يعتَد الشعور بالألم .. اعتاد دوماً شموخ القوة .. اعتاد الأمر والنهي.. اعتاد السلطة .. اعتاد أن يكون هو.. ولكن هذا الحريق لايكاد يستسيغه .. يرغب بأن يمحوه ببرود ولن يفعل هذا سوى الثأر ..

تنهد كتنين ينفث النار .. يزفر بعض من النار التي استعرت بداخله ولم تمهله ..

ليس الوقت مايشفي الجروح .. مايشفي الجروح هو استئصالها من الجذور.. وهو مصر على استئصال سبب جروحه مهما كان الثمن .. سينتقم ممن دفنوا فرحته .. سينتقم ممن محوا البسمة من شفتي أمه الحنون ولو كان أخر شيء يفعله في حياته!!

عاد لسيارته الجيب بخطوات سريعة .. لايريد التأخر عن موعده .. حتى لايتأخر في طريق العودة ..سيصلي المغرب في الجماعة ثم يذهب الى صديقه..

قاد بنفسه كعادته حين يكون وحيداً .. لاشيء يخشى عليه .. ونفسه وكلها لربها الحي الذي لايموت .. هو حاميها .. ولايقدر مخلوق على ايذاءه بدون أمره!! ..

وصل أخيراً الى مبتغاه .. كان المساء يُسدل ألوانه الأرجوانية .. وتنتشر الظلمة بخفة عليها كلص يتسلل بلاصوت ..رفع ظلمتيه الى البوابة الضخمة وابتسم .. هنا .. رغم كل شيء يجد راحة لم يعرفها قط من قبل!! فُتح له الباب كالعادة مرحباً .. وتوجه بسيارته الى المدخل بسرعة .. وجده هناك يقف بانتظاره كالعادة أيضاً .. سارع بالنزول اليه وهو يفتح ذراعيه لاستقبال ذلك العناق الأخوي المحبب والذي اشتاق اليه منذ مدة وعينيه تعكسان فرحته وورضاه:

-كيف الحال ياشيخ .. منذ متى لم تزرنا؟؟!!

صاح رفيقه بابتسامة عريضه شقت صلابة ملامحه الوسيمة وصادقت عليها عيناه بفرحة لم يقدر على كبتها وهو يربت على كتف صديقه ويشير له بالدخول:

-تعرف كيف هي مشاغل العمل ياصديقي.. لم ولن تنتهي ابداً..

نظر له رفيقه بحنق:

-منذ متى تشغلك أعمالك لهذه الدرجة .. مابالك قحطان أنت لم تزرنا منذ شهرين يارجل .

رمقه بطرف عينه وقال بهدوء:

-والقول نفسه ينطبق عليك عمرو ..

نظر له عمرو الشهري باستنكار:

-أنا رب عائلة .. لاتحاسبني حتى تذوق معاناتي ..

ابتسم قحطان تلقائياً ونظر لرفيقه:

-أين سميي .. أنا لم اره منذ ولادته يارجل ..

ضحك عمرو وقاده الى ديوانية ضخمة افترشت بالسجاد الفاخر وعبقت برائحة البخور:

-سأحضره لك في الحال .. اجلس وخذ راحتك قليلاً..

جلس بأريحية وهمس لرفيقه:

-بالتأكيد سآخذ راحتي ..

ضحك عمرو وغاب عنه لتختفي الابتسامة عن وجهه ويعاود التجهم من جديد وهو يفكر بماجاء به .. وكيف له أن يمارس حياته بعد ماعرفه من حقائق ..

لم تمضي بضع لحظات حتى عاد عمرو .. يحمل بين يديه طفل مكتنز الوجنتين بشعر اسود فاحم وعينان سوداوتين واسعتين .. يضحك بلاتوقف وهو يداعب وجنة ابيه الذي يدفن شفتيه في عنقه مداعباً ..

قفز قحطان يتلقف الصغير ضاحكاً:

-ماشاء اللّه بارك اللّه .. انظر اليه لايشبه كومة اللحم التي كان عليها ابداً ..

سلمه عمرو الصغير بابتسامة واسعة:

-بالطبع لا .. انه يدخل شهره الخامس وأمه تعتني به جيداً ..

قبل قحطان الصغير بعمق على جبينه ونظر اليه بحنان لينظر له الصغير بفضول:

-لاتقل لي أنها تهملك في المقابل؟؟

علت نظرة حنان كامن في عيني الجاكوار وتنهد بعمق وهو يستحضر سحر امرأته ورائحتها الشهية وهي تسلمه الطفل موصية عليه بحزم ورقة كمااعتادت:

-لاتقل هذا عنها .. فهي كل حياتي ياقحطان ..وتهتم بكل شيء في حياتي وكأنها أنا..

نظر له قحطان بسخرية وهمس:

-لاتزال عاشقاً !!

تنهد عمرو وجلس الى جوار رفيقه الذي يداعب الصغير بمحبة:

-بالطبع ياشيخ.. لاأزال عاشقـاً .. حتى أموت سأظل عاشقاً..

مط قحطان شفتيه بضيق:

-أنت ميئوس منك .. ومثلك من يمرغ سمعة الرجال في الأرض.

قهقه عمرو بشدة حتى أن طفله الصغير كان ينظر له بعينين متسعتين..

-يالله قحطان .. لازلت بأفكارك المعقدة القديمة ..

رمقه صديقه ببرود:

-ولن تُخلق من تغيرها..

ابتسم عمرو بسخرية وغمز بعينه:

-سنرى .. أشعر بأن هذا العام هو عامك ياصديقي..

جاء دور قحطان ليضحك باستمتاع:

-حقـاً.. أتوق لرؤية تلك التي ستحاول ..

شاركه عمرو الضحك قبل أن يعتدل الأخير ويسأله باهتمام:

-أخبرني عن أحوال الشيخ؟؟ كيف حاله بعد الوعكة الأخيرة؟؟

تنهد قحطان وعدل وضع الصغير على ركبتيه:

-انه بخير والحمدلله .. ولكنها كانت ضربة قوية .. الأزمة الأخيرة كانت جرس انذار وطبيبه نصحنا بالسفر للخارج لاجراء عملية عاجلة ..

-ولما التأخير قحطان مابالكم؟؟ أخبرتكم مراراً أخي يوسف مستعد لاستقبالك أنت والشيخ بأي وقت هناك.

علق عمرو بتوتر فرد بنفاذ صبر:

-تعرف شيخك يارجل .. يُفضل الموت هنا على السفر خارج حدوده وبلدته .. هو لم يغادر البلدة قط الا للحرم ياصديقي .. فكيف أقنعه بالسفر لأوروبا ..؟؟!!

مط عمرو شفتيه ومد يده يداعب وجنة صغيره بحنان هامساً:

-حاولوا اقناعه ياقحطان ..

-نحن نحاول .. لاتقلق ..

وبعد تردد قصير التفت له وقال:

-ولكن هذا ليس ماجئتك بشأنه..

انتبهت كل حواس عمرو والتفت اليه بكليته وهتف:

-تكلم ياقحطان ..

شرد ببصره ولاحظ عمرو كيف تقلص فكه بقوة وكأنما يخفي أمراً مهولاً وأصبحت شفتاه كخط رفيع وهو يدمدم:

-محمد .. شقيقي محمد رحمه اللّه ..

عقد عمرو حاجبيه وهمس بتخوف:

-رحمه اللّه.. مابال محمد ياقحطان؟!!

نظر له قحطان حينها .. كانت عيناه كبركتا قطران .. سوداء حد الاشتعال وهو يهمس بصوت التهبت حروفه:

-لقد كان موته مُدبــراً ..

اتسعت عينا عمرو بذهول وهتف:

-مالذي تقوله؟؟!! كيف تفكر بشيء كهذا؟؟

أغمض قحطان عينيه وهتف بحقد:

-كما سمعت عمرو.. موت محمد كان مدبراً .. اغتالوه .. اغتالوا فرحة آل العزب كلها ..

هب عمرو وقد ثارت نفسه بحميــة لم يقدر على السيطرة عليها وصرخ بانفعال:

-ومن يجرؤ عليها ياقحطان؟؟ من يجرؤ على الحاق الأذى بآل العزب ؟؟ أخبرني من؟؟؟

-هذا مايجب أن أعرفه .. هذا مايثير جنوني .. ويكاد يُطير النوم من عيني كل ليلة..

عاود عمرو الجلوس هاتفاً بحدة:

-ألا تشك بأحد؟! أخبرني عن شكوكك أخي؟

تنهد قحطان وغرقت عيناه في الغموض:

-لازلت لا أعرف.. لقد أخذنا السيارة الى معمل للتحليل وكل هذا طبعاً بسرية كبيرة بعد أن شككنا بالأمر .. وقد وجدنا رصاصة ثقبت الاطار الامامي ..

-ألم تكن زوجته معه بالسيارة ؟! أليست هي من نجا من الحادث؟! لما لاتسألونها ياقحطان؟

هز قحطان رأسه وهمس بأسى:

-مستحيل .. الفتاة فقدت ذاكرتها جزئياً .. لاتتذكر سوى أنها غفت واستيقظت ليخبروها بأن زوجها قد مات ولم يمضي على زواجها سوى يوم واحد فقط.

-لاحول ولاقوة الا باللّه ..

غمغم عمرو بحسرة لم يقوى على السيطرة عليها فهتف قحطان بوجع:

-لم يجدوا سواه ياعمرو؟؟ لم يجدوا سوى صغيرنـا!!

-استغفر اللّه يارجل ..

عنّفَـهُ عمرو بشده وهو يضغط على كتفه فاستغفر بصوت مسموع ليقطع حديثهما طرقات خافتة للباب وبعدها دخل شاب صغير يحمل القهوة والضيافة .. ليخرج بعدها مباشرة ونهض عمرو يمد كوب القهوة لقحطان الذي أسـند رأسه الى المقعد خلفه:

-يجب علي أن أعرف من فعلها ياعمرو.. كي أمزقه بيدي.. وأخذ بثأري ياأخي.

-هل أخبرت الشيخ؟؟

-ولما تظن أصابته الأزمة الأخيرة؟؟ كانت غلطة فقد جاء الرجل المكلف بالبحث للشيخ مباشرة وكنت أنا في رحلة الى دبي في عمل يتعلق بالمزرعة ..

زفر عمرو بتوتر وسأله:

-ألا يعرف؟؟ أقصد ربما لديه فكرة عمن يكون السبب؟؟

هز رأسه بحيرة:

-لانعرف .. المشكلة أننا لانعرف هل الأمر له علاقة بالقبيلـة كلها أم انه أمر شخصي بين محمد وأحد ما؟؟ هو لم يُخبر أحدنا قط عن اية

خلافات.. والعائلة تعرفها .. خيرها على الجميع .. من الذي قد يُفكر بإيذاء أحد منا وخيرنا عليه ..

هز عمرو رأسه بحيرة هو الأخر .. هو ايضاً لايقدر على التصديق .. ولايفهم ..

-ماذا تنوي؟؟

-جئت اليوم للبحث عن أصدقاء لمحمد قد يعرفون بأمر أي شيء.. ولكن سُدى كلهم ليس لديهم أدنى فكرة عمن يريد أذيته.. سأعود الى البلدة اليوم الأن .. وسأحاول من جديد ..

قرن قوله بالنهوض ليعترض عمرو بشدة:

-مستحيل أن تخرج دون أن تتعشى معنا .. بعدها انطلق الى مكانك..

لم يعترض قحطان .. فهو يعرف عدم جدوى الاعتراض في رفقة صديقه الغليظ ..

وبعد أن أعاد عمرو طفله لزوجته تعشيا معاً .. ومع حلول العاشرة والنصف .. كان عمرو يراقب سيارة رفيقه وهي تغادر منزله بهدوء .. قبل أن يتنهد بضيق وهو يدخل شاعراً بالأزمة المرة التي تقض مضجع رفيق عمره .. وقف أمام النافذة الضخمة .. يفكر بمن عساه يضمر الشر لعائلة العزب.. كبيرة القبائل ..لتقطع تأملاته تلك الرائحة

العذبة التي لم يقدر يوماً على فهمها أو على التخلص من تأثيرها المدمر عليه شعر بذراعيها تحيطان وسطه وبوجنتها الناعمة تلتصق بعضلات ظهره العريض وهي تهمس:

-هل رحل؟؟

أغمض عينيه باستمتاع وهو يحيط بذراعيها ويرفع كفيها الى شفتيه يقبلهما بعمق:

-نعم .. رحل منذ قليل ..

واستدار يأخذها بين ذراعيه ينظر لعينيها بهيام:

-هل نام الطفلين؟؟

رفعت ذراعيها لتحيط بعنقه تداعب شعرضاحكة:

-منذ زمن .. أنت من نسيني كلياً وغرقت مع رفيقك دون سؤال ..

وزمت شفتيها بدلال فضحك مقهقهاً وهو يقربها منه:

-يالحماقتي .. أهملت أجمل نساء الكون بسبب ذلك الجلف .. لابد أنني جننت ..

همهمت بسعادة مطلقة وهو يغرق وجهه في طيات عنقها ويهمس بكلمات غرامه بحنان .. لتبادله الهمسات بمثلها .. قبل أن تغرق معه في دوامة عشق كلما ظنت أنها ستفتر عادت تشتعل من جديد ..

كانت تعيش معه أجمل أيام عمرها .. حياة دافئة مليئة بالحب .. لم تتخيلها قط في اكثر احلامها رومانسية .. ولم تتمنها قط من قبل لتأكدها من استحالتها .. ولكن معه فقط .. ممكنة ..

***

تساقطت نجوم الليل .. لتبدو السماء في اشد لحظاتها ظلمة .. ولم تخفف تلك المصابيح القليلة المتناثرة من ظلمة المكان بل زادته رهبة .. كانت الساعة الأخيرة من الليل .. قبل دخول الفجر ..

استيقظت فجأة .. كعادتها كل يوم.. قبل حتى ان يصدح المؤذن بالأذان ..

تمطت بقوة ونظرت عبر النافذة الى الظلام .. تثائبت وقفزت مباشرة من فراشها القاسي الى الأرض .. ارتدت خفيها بسرعة وأسرعت الى حمامها الملحق .. غسلت وجهها كيفما اتفق .. وسارعت الى الخارج .. قطعت الممر الحجري بخطوات متوثبة حتى وصلت الى الدرج المحفور من حجارة ضخمة نزلت مسرعة الى صحن الدار الضخمة حيث وجدت والدتها هناك ترتب بعض المخدات على كنبة كبيرة مغطاة بمفرش ضخم ملون ..

-السلام عليكم..

هتفت بمرح واقبلت تقبل رأس والدتها وكفها:

-صباح الخير امي .. أين جدتي؟؟

قبلتها امها بحنان:

-انها في المطبخ ياسلمى ..

-سأذهب اليها ..

وبسرعة اندفعت الى المطبخ الواسع حيث وجدت جدتها تجلس الى كرسي منجد تشرف على صبيتين صغيرتين تقومان بالعجن اندفعت تقبل الوجه المتغضن والكف العتيقة هامسة:

-صباح الخير ياأحلى جدة في الكون..

تغضن وجه العجوز عن ابتسامة وقبلت حفيدتها بالمقابل هامسة:

-وعليكم السلام ياصبية .. تعالي وساعدي الفتيات ..

تراجعت سلمى بشقاوة:

-اه جدتي تعرفين أن العجن والخبز ليس من هواياتي..

عقدت جدتها حاجبيها بعتب وقالت بنفاذ صبر:

-اذاً أيقظي شقيقيك.. لاوقت لديهما سيؤذن للفجر بعد قليل.

اومأت بطاعة وسارعت لتعتلي الدرجات بحماس.. ثم توقفت متسائلة:

-وقحطان؟؟ هل استيقظ؟؟

قلبت جدتها كفيها وهمست بحنان:

-هو لم ينم اصلاً .. انه في المجلس يساعد جدك .. هيا اذهبي كي يلحق به اخويه..

تابعت اعتلاء الدرجات بسرعة ووقفت أمام الحجرة الثانية وطرقتها بخفوت .. ولم تسمع رداً لتعتلي ملامحها الملائكية ابتسامة شيطانية وهي تدلف للغرفة المظلمة بحذر ..

وقفت أمام سريرين منفصلين حيث تكوم على كل واحد منهما جثة ضخمة .. اقتربت من الأولى ومالت تنظر للرجل النائم بسلام كامل ..

وابتسمت بحنان .. هزته برفق من كتفه:

-علي.. استيقظ أخي ..

تململ النائم قليلاً قبل أن يفتح عينيه كلياً .. ويشرد بصره بالسقف قبل ان ينظر لها ..

ابتسم مباشرة وهو ينظر لعينيها الصافية:

-صباح الخير ياجميلة..

اتسعت ابتسامتها وهمست:

-صباح الخير بأفضل دكتور في اليمن كلها .. استيقظ سيؤذن بعد قليل ..

اومأ وبدأ ينهض بالفعل حين اتسعت عيناه بدهشة وهو يراها تشمر عن ذراعيها وتعقص شعرها خلف رأسها بقوة وربطة متزمتة .. ورأها تجمع كفيها وتنفث فيهما وهي تقول:

-استعنا على الشقاء باللّه..

-سلمى يامجنونة ألم تعقلي بعد ؟؟!!

غمزته بشيطنة وهي ترفع ثوبها الطويل قليل وتركض بقوة نحو السرير الأخر صارخة بعلو صوتها:

-رعاااااااااااااااد ..

وتحت أنظار علي الضاحكة قفز شقيقه الاصغر منه من السرير مذعوراً بقوة ليقع على الأرض الصلبة بقوة متعثراً بأغطيته .. ورأى شقيقته المجنونة تتكوم على الفراش ضاحكة بهستيرية ورعاد يقاتل الأغطية ..

لم يقدر على التماسك .. غرق في موجة من الضحك وهو يهتف:

-ياالهي ياسلمى يوماً ما ستصيبينه بسكتة قلبية ..

لم تقدر على الرد .. كانت غارقة بالضحك ولم تنتبه الا بعد فوات لاأوان على ضحيتها الذي قفز من الشرك وهجم ليقبض على شعرها بقبضته بقسوة آلمتها وهو يصرخ بجنون:

-ليس ان قتلتها أولاً ..

-اترك شعرييييي..

صرخت متألمة فصرخ:

-ليفتك هذه سأقصها لك ان لم تكفي عما تفعلينه بي كل يوم ..

حاولت التخلص من قبضته وتلوت بين يديه وهي تهتف متالمة:

-سأقووول لقحطاان دعنيي وشأني ..

قربها منه وصرخ بعنف:

-أقسم باللّه ياسلمى بأنه طفح الكيل .. لو لم تكفِ عن هذه لاتصرفات سأقص ليفتك هذه وأعلقك من قدميك في حظيرة الغنم وسنرة من سينقذك مني ..

تخلصت من قبضته وهربت الى الطرف الأخر تحتمي بعلي الذي لم يكف عن الضحك ومدت لرعاد لسانها وهتفت:

-سنرى أي ليفة ستحضرها لنا هنا بعد زواجك .. عندها سنرى ..

-اغربي عن وجهي والا مزقت حزامي في ظهرك..

صرخ بعصبية فعادت تُخرج له لسانها وهي تركض هاربة الى الخارج .. ترافقها ضحكات علي الذي همس بعدها:

-كل يوم .. كل يوم تفعل بك هذا .. وكل يوم تقسم عليها .. أخبرني بالضبط متى ستنفذ تهديداتك؟؟

لانت ملامح رعاد فوراً .. واعتلت عينيه نظرة حنان وهو يقول:

-مستحيل .. لن يحدث أبداً .. تعرف تلك الفتاة بأني أحبها لدرجة لن افعل بها شيئاً .. ولذا هي تعاود الكرة في كل مرة ..

-ولكنك تتوعد يومياً أن تستيقظ قبلها وتفاجأها .. فلم لاتفعل؟؟

سأله شقيقه بمرح ليغرق رعاد أصابعه في شعره الكثيف ويهتف باستنكار:

-أستيقظ قبل سلمى؟؟ مستحيل .. انها عصفور مبكر ياعلي.. لقد غبت أنت لفترة طويلة ونسيت كيف هي .. لاأحد يستيقظ قبل سلمى سوى جدتي .. وأحياناً أمي ..

ثم تمطى بقوة وهمس:

-هيا لنذهب قبل أن يعاقبنا الشيخ على تاخرنا..

-هيا بنا ..

وبعد طقوس الاستيقاظ كانا ينزلا معاً عبر الدرجات الخلفية المؤدية مباشرة الى المجلس حيث كان شيخهما يستند على حفيده الأكبر ويهتف:

-تأخرتما .. هيا قبل أن تنقضي الصلاة ..

ابتسم علي وهمس رعاد:

-ولكنه لم يؤذن بعد!!

رمقه قحطان شقيقه بنظرة حازمة جعلته يبتلع لسانه ويمشي معهم دون صوت ..

وبعد انقضاء الصلاة .. وشروق الشمس كانت سلمى تقف على الباب ومعها سلة ضخمة امتلأت بالخبز تصرخ بمرح:

-أمي .. لقد جائت عمتي وغزل..

اقتربت أمها بلهفة تراقب المرأة الضخمة والظل الرقيق الذي يرافقها وامتلأت عيونها بالدموع بالارداة منها وهي تغرق الفتاة الصغيرة بين ذراعيها هامسة:

-مرحباً بك ياحبيبتي ..

عانقتها لافتاة وهي تنزل غطائها بسرعة لتغرق في رائحة المرأة الحنون هامسة:

-صباح الخير ياعمتي.. كيف حالك؟؟

قبلتها عمتها بحنان وهمست:

-بخير يانور العين.. تأخرت ياغزل لم نرك منذ شهر كامل بنيتي ..

خفضت غزل عينيها الحزينتين بصمت لتتدخل أمها وتهمس:

-لقد اصرت اختها على بقائنا عندها بعد انتهاء العمرة .. ولم نقدر على لارفض ياام قحطان ..

سارعت سلمى تحتضن ابنة عمها وصديقتها المقربة هاتفة:

-اشتقت لك أيتها لاغائبة تعالي وقصي لي بالتفصيل ماذا فعلت بعد العمرة.. وبالذات ماذا أحضرت لي معك؟

لم تتمالك غزل نفسها وضحكت بمرح وهتفت:

-أحضرت لك الكثير من الاشياء .. لم نقدر على حملها وسيحضرها أحد العمال بعد قليل.

فركت سلمى يديها بحماس وهتفت:

-ياسلاااااام .. سأنتظره هنا .. اووووه

تأوهت بألم وهي تفرك ظهرها حيث ضربتها امها بخفة صائحة:

-تحشمي يافتاة وافسحي الطريق لعمتك.. واذهبي بلاتلكك في الحال لفرش مائدة الفطور لجدك ووأشقائك ..

مطت شفتيها بضيق ودمدمت بالاعتراض وهي تحمل السلة من جديد بعد أن كانت وضعتها على الأرض ثم نظرت لغزل الباسمة:

-لاتفتحي شيئاً أمام امي وجدتي حتى آآتي .. أتفهمين؟؟

اومأت لها غزل صامتة لتسرع هي الى المجلس.. كان جدها يجلس الى جواره قحطان ورعاد فيما علي يتحدث عبر الهاتف في الزاوية .. وبكل همة ونشاط فرشت الحصيرة البسيطة ورصت عليها الأطباق ووضعت الخبز وأكواب الشاي .. وقحطان ينظر لها بابتسامة:

-مابالك صامتة اليوم؟؟

نظرت له بطرف عينها وهمست بشوق:

-غزل عندنا وقد احضرت لي الكثير من الاشياء واريد انهاء فطوركم بسرعة كي اراها..

-اااهاااا

صرح رعااد بشيطنة وهو يتربع الى جوارها وهمس في أذنها:

-سنرى ..

تجاهلته وهي تصب الشاي بحذر كي لاتوقعه ونظرت لعلي الذي بالتأكيد سيؤخرها:

-علي .. تعال فطورك جاهز..

عقد علي حاجبيه وأشار لها بحزم أن تصمت وسمعت رعاد يقول بصرامة:

-ألا ترينه على الهاتف.. انه يحادث زميله ياحمقاء .. اصمتي والا حطمت رأسك.

-رعـاد..

زجره قحطان برفق فمط شفتيه وبدأ يتناول طعامه بصمت في حين كان قحطان يساعد جده برفق والذي همس لسلمى التي كانت مُجبرة على البقاء قربهم حتى انتهاء الفطور:

-اذهبي ياصغيرتي لابنة عمك .. سأدع احد من الصبية يبقى معنا ..

طار قلبها من الفرح ولكن تربيتها الصارمة حجمتها قليلاً وهي تهمس:

-ولكن ياجدي .. من سيخدمكم؟؟!! امي ستقتلني..

عقد جدها حاجبيه وظهر الاستياء على وجهه فتدخل قحطان بسرعة/:

-الشيخ قال بأن تذهبي ولاتقلقي .. امي لن تعارض.

انفرجت أساريرها بصورة كبيرة ونهضت مسرعة تقبل رأس جدها وكفيه وتفعل المثل مع قحطان الذي قرص اذنها بمحبة قبل أن تمد

لسانها خفية لرعاد الذي توعدها بحركة صامتة .. فضحكت مرحة وأسرعت نحو المنزل الكبير(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

حينها جاء علي ليجلس معهم وهو يقول:

-سيبدأ التدريب النهائي بعد شهر واحد فقط .. علي حينها العودة لعدن.

رفع جده يديه يدعو له ورعاد يقول بتجهم:

-وأنا ايضاً سأذهب .. دراستي ستبدأ بعد شهر تقريباً ..

-سيكون هذا في وقت عودتنا أنا والشيخ.

قالها قحطان بهدوء لينظر له الجميع بتساؤل فقال وهو ينظر لجده المتجهم بدوره:

-سنسافر أنا والشيخ ليقابل الطبيب المختص في ألمانيا .. انه شقيق عمرو الشهري .. وسيكون بانتظارنا في المركزالطبي هناك خلال اسبوع..

-أتريدني أن أرافقكم ستكون فرصة جيدة لي ياقحطان.

قالها علي بلهفة فهز قحطان رأسه بحزم:

-كلا .. سنذهب أنا وجدي فقط .. لاأريد أن نترك العائلة كلها تحت رعاية رعاد فقط.. وانت سيكون لك الكثير من الفرص للسفر بعدها.

اعتلت وجه علي نظرة ساخطة ولكنه لم يعترض .. في حين قال الجد بتوتر:

-لاأعـرف لما تثير زوبعة من الأمر ياقحطان.. ليس هناك داعٍ للسفر بأي حال..

-لقد تحدثنا بالأمر جدي.. وليس هناك من شيء ستقوله سيغير ماقرره الأطباء.

زفر الجد بضيق فابتسم قحطان وهو يرى الجبل الشامخ .. يستسلم له .. ليتدخل رعـاد:

-متى تسافـران؟!

نقل الجد بصره بينهم ليستقر على رعاد ويهمس:

-بعد سنوية أخيك.. رحمه اللّه..

تمتم الجميع بالرحمة للشاب المغدور ويعم الصمت عليهم جميعاً لذكرى لاتزال حية تمعن الطعن في دواخلهم بلاتوقف ..ولاتزرع سوى الألم .. وبلحظة فسد كل شيء .. حتى الهواء بات طعمه كالعلقم!!..

***

-توقفي ياسلمى لو رآنا أحد ..

همست غزل بضراعة وهي تحاول اللحاق بابنة عمتها التي تركض بسرعة نحو حظيرة مسقوفة لتلتفت لها وتهتف بحماس:

-لاتقلقي الشباب في المجلس وسيذهبون بعدها للمزرعة تعالي وانظري ..

تلفتت غزل حولها باضطراب قبل أن تسرع مهرولة خلف قريبتها وهي تسبها بداخلها بلاتوقف .. وبداخل الحظيرة انكبت سلمى بعينين ممتلئتين بالحنان على ماعز صغير بالكاد يقدر على الوقوف على قدميه وحملته بين ذراعيها هامسة:

-انظري ماأحلاه ..

رفعت غزل حاجبيها وهمست برعب:

-أبعديه عنييي..

زمت سلمى شفتيها وهتفت:

-لاتصرخي.. ستفزعين الصغير..

تراجعت غزل وهمست:

-لم يكن يجدر بي المجيئ .. لنعد قبل أن يأتي اخوتك أو أسوأ .. قد يأتي أحد العمال ويرانا هنا؟

-لاتقلقي .. لاأحد يدخل هنا دون اذن ..

قالتها سلمى بنفاذ صبر ثم مضت تقبل الماعز الصغير بحنان جعل غزل تقلب شفتيها بامتعاض وتشيح عنها وليتها لم تفعل .. وقعت عينيها فجأة على شجرة تنتصب بالقرب من الحظيرة .. غامت عيناها فجأة وتحركت ساقيها بلااستئذان منها .. اقتربت من الشجرة ولامست جذعها بألفة .. ورفعت الى غصونها نظرة هائمة .. رأت بين الأوراق المتناثرة عينين بلون الصيف .. منعشة .. شقية ودافئـة.. سمعت الصوت الحنون يهتف بها " لاتخافي .. لن اقع من هنا"

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجهها .. وانسابت دمعتها وهي تتذكر..

"لن تتركيني اسقط ليس كذلك"

"سأتلقفك حالما تقع ولكني لن أضمد جرحك ياأحمق"

قهقهة عميقة وطفلة باكية تغادر غاضبة ..

شعرت بيد على كتفها التفتت بسرعة ورأت سلمى تنظر لها بخوف:

-مابالك ؟؟!! هل أنت بخير؟؟

-فقط .. تذكرت..

همستها بارتجافة .. تجاوزتها لتشمل سلمى التي أفلتت صغير المعز الذي تحمله لتقترب من غزل وتضمها اليها هامسة بعبرة خنقتها هي الأخرى:

-كلما تذكرته .. ادعِ له بالرحمه..

شهقت غزل بألم .. وتمتمت له بالدعاء.. فراغ ذلك الذي يجتاحها كلما فكرت بأنه .. رحل!! ..

بعد كل هذا الوقت .. لاتزال تشعر بنظرته اليها .. تلك الشقاوة وذلك الحنان لايزال يحوطها بطريقة تخنقها .. وتجعلها ترغب بالركض بعيداً والانفجار بالبكاء.. بلاتوقف..

ضمتها سلمى بقوة وهي تشعر بجسدها يهتز وأدركت أنها تشكو للبكاء همها .. اغمضت عينيها وسالت دموعها هي الأخرى .. تترك لذكرياتها العنان .. لاتزال ليلة العرس في مخيلتها .. فرحته .. وشبابه الذي التف بالأبيض من رأسه لأخمص قدميه فجأة .. و..

-ماذا تفعلان هنا؟؟

انتفضتا معاً والتفتتا لمصدر الصوت الهادر .. كان رعاد!!

شهقت غزل وأسدلت غطائها عليها برعب وقد تجمدت دموعها وسلمى تبرطم بكلمات متلعثمة لاتفهم منها شيئاً ليهدر صوت رعّاد مجدداً:

-عودا للدارفي الحال .. هيا من أمامي..

لملمت كلتيهما عبائتها وأسرعتا بالركض نحو البوابة الضخمة ورعاد يراقبهما بصمت .. وحين غابتا عن عينيه عادت تغشاه تلك الدموع التي تسللت من وجنتها .. تحرق فؤاده قبل أن تحرق فؤادها هي!! ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

حين وصلتا للمجلس كانت سلمى قد نسيت الدموع واستلقت بشكل مسرحي على الديوان العربي وهي تلهث بقوة فاردة ذراعيها وساقيها صارخة:

-ذلك الفتى سوف أريه .. لقد أرعبني .. لم أعد أشعر بساقي ..

تقدمت منها غزل التي مسحت بقايا الدموع بسرعة وبدأت تكيل لسلمى الضربات بظهر يدها:

-قلت لك .. قلت لك ياحمقاء ولم تسمعي.. سيخبر جدي وسنعاقب ..

تفادت سلمى الضربات بحنق واستوت جالسة وهي تُزيح عنها غطائها لينسدل شعرها الى منتصف ظهرها:

-مالمشكلة في ذهابنا للحظيرة .. اووووف أتوق لعودة ذلك الغليظ للدراسة حينها سأتصرف كما يحلو لي ..

عدلت غزل غطاء شعرها الأسود وجلست الى جوار سلمى تسألها:

-هل سيذهب مع علي؟؟

-لاأعرف .. علي أعتقد سيذهب قبلاً .. تعرفين انها سنته الأخيرة وهو مصمم على نيل الامتياز .. أما رعاد فيكتفي بالنجاح..

مالت عليها غزل:

-لو سمعك سيقتلك .. تعرفين رعاد انه متفوق منذ طفولته ..

شوحت سلمى بيديها قبل أن يُفتح الباب وتدخل امرأة طويلة القامة بعينين واسعتين كبركتي عسل صافٍ سرعان ماتألقتا بالمرح وهي تجلس الى جوار الاثنتين:

-ماذا فعلتما الأن؟؟

تبادلت الفتاتان النظرات قبل أن تهمس غزل بخشية:

-رعاد رآنا في الحظيرة .. وحدنا.

شهقت المرأة والتفتت لسلمى تضربها بقوة على كتفها وهي تصرخ:

-يامجنونة لن تتوقفي عن جنونك هذا حتى يقتلك أو (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) يقتلك .. في كل الاحوال ستموتين يامجنونة.

تأوهت سلمى بحنق وأزاحت نفسها من بين يدي أختها الكبرى وهي تصرخ:

-جوهرة .. أوجعتني .. مابالكم كلكم تلومونني .. ربما غزل من أراد الذهاب.. ألم تفكري بهذا؟؟

اتسعت عينا غزل ببراءه لتضحك الجوهرة:

-لاتكذبي .. غزل لاتحب الحيوانات .. بل تخاف منهم حد الموت .. انها انت لايجلب أحد المصائب لهذا البيت سواك ..

زفرت سلمى وغادرت المجلس متحلطمة وتابعتها أنظار الجوهرة الباسمة قبل أن تلتفت لغزل التي عادت لقناع البؤس وهمست لها بحنان وهي تداعب وجنتها الناعمة:

-كيف حالك صغيرتي.؟؟

-الحمدللّه..

تمتمت غزل وسارعت بسؤالها:

-وأنت؟؟ كيف حالك والطفلين؟؟

ابتهجت عينا الجوهرة لذكر طفليها وابتسمت بحنان:

-انهما بخير..

-وحسن .. متى ينوي العودة من سفره؟؟

اختفى الابتهاج للحظة من عيني الجوهرة .. وغامت عينيها بنظرة غامضة لم تفهمها غزل وهي ترد بصوت ميت:

-لاأعرف.. انه بخير هناك ..

عقدت غزل حاجبيها تريد الاستفسار اكثر ولكن الجوهرة قطعت عليها تساؤلاتها ونهضت مسرعة لاتريد أن تقع تحت استجوابها:

-سأذهب لأرى أمي وعمتي .. تعالي معي غزل.

نهضت ترافقها وهي تشعر بشيء غريب لم تفكر فيه قط .. شيء يقتل البهجة في تلك العينين .. كلما ذُكر حسـن .. زوجها!! ..

***

باريـس..

الخامسة عصراً!!..

تسللت الأضواء عبر النافذة المغلقة حين فُتحت الستائر بغتة لتنهمر كشلال ضوئي عبر الغرفة الفاخرة وتسقط مباشرة على سرير ضخم مغطى بالحرير.. وتتصاعد من تحت الأغطية همهمة معترضة

قوبلت بضحكة ناعمة وخطوات أنيقة اقتربت من السرير تُزيح عنه الأغطية لتظهر تموجات ناعمة حمراء اللون..

-هيا بنيتي أستيقظي ..

-لاا .. أريد النوم بعد ..

-لاحبيبتي .. استيقظي .. لديك ليلة حافلة ..

تأففت النائمة واستوت مغاضبة وهي تعقد حاجبين منمقين تعتلي عينين بلون الزمرد لمعتا بقوة بالغضب وأثر النعاس ..

-بونجور سيادة ..

همست أمها بحنان وهي تلامس وجنتها لتدمدم هي برد التحية بصوت ناعس ضائق:

-حبيبتي عليك بالنهوض .. انها الخامسة ولديك احتفال في العاشرة أم نسيت؟؟

هزت رأسها الجميل وهمست:

-لا لم أنس.. ولكنني أرغب بالنوم أماه .. لم أنم الا بعد الفجر ..

-وهذا خطأك وحدك ..

همست امها بصرامة ولامست تحت عينيها:

-هذه التجاعيد يسببها السهر المبالغ فيه ..

اتسعت عينا سيادتها بذعر وصرخت برعب:

-تجاعيييد..

وبسرعة البرق كانت تقفز من سريرها الى منضدة زينتها والتقطت مرآة مكبرة وقربتها من وجهها وهمست:

-لدي تجاعيد؟؟!! أين هي أمي .. لاراها أين هي؟؟

تسللت لها ضحكة أمها الناعمة وهي تقترب مزيحة المرآة من يد ابنتها الشغوفة حتى الموت بمظهرها وجمالها:

-كان علي أن أخرجك من ذلك السرير بطريقة ما ..

زمت شفتيها بحنق فعادت امها تهمس بعتب:

-التجهم يزيد التجاعيد ياصغيرتي .. ثم أنه لايليق بذوات الشعر الأحمر ..

واقتربت تعانقها:

-نحن خُلقنا للفرح حبيبتي.. فقط للفرح ..

ابتسمت سيادة وعانقت أمها وهي تهمس:

-لاشيئ سوى الفرح .. والغزل والرقص .. والحب ..

ثم أفلتت أمها وبدأت تدور حول نفسها بفرح:

-الكثير والكثير من الحب ..

ضحكت أمها بمرح وسيادة تلتقط دمية دب ضخمة معانقة اياها

وبدأت تراقصها الفالس بمرح:

-بالتأكيد .. أنت بالذات سيادة .. لم تُخلقي لغير الحب ..

ضحكت سيادة .. ضحكة تردد صداها في انحاء غرفتها كرنين ألاف

القيثارات .. موسيقى ناعمة توقظ القلوب الحجرية من سباتها

بلارحمة ..

ضمت الدب اليها وهي تتذكر صاحبه الذي أهداه اياها .. يرافقه طقم

من الماس الحر .. تألق على جيدها وبات ينافس بهاءها باطلالته .. كم

تعشقه!! ..

أخذتها الحماسة وصرخت بأعلى صوتها:

-أحبه اميي .. أحبه بجنووون..

ضحكت امها وسارعت تمسكها من كتفها هامسة:

-أخبريني متى سيتقدم لخطبتك ؟؟

أغلقت سيادة عينيها بنشوة وهمست:

-قال بأنه سيكلم ابي الليلة ..

-راائع..

صاحت أمها بفرحة طاغية وهي تعانقها بمرح لتهمس سيادة:

-أخبرني بأنه سيوافق على كل شروط والدي التعجيزية اماه .. وبهذا لن أضطر للقلق..

-جيد فوالدك يصاب بالجنون حين يتعلق الأمر بأي أحد يتقدم لخطبتك ..

ضحكت سيادة ومضت الى المرآة الضخمة التي تزين حائط غرفتها وهمست بدلال وهي تنظر لنفسها:

-انه يعرف مقدار ابنته جيداً أمي .. ولايريد أن يسلمني لأي أحد .. يجب أن يكون زوجي رجل فوق العادة .. رجل لايتكرر في هذا الزمن ..

والتفتت لأمها رافعة رأسها بغرور:

-أنا سيادة العزب .. أتعين مايعنيه هذا أماه .. أنا سيادة ..

هزت أمها رأسها بضجر فهي اكثرمن يعرف غرور ابنتها وتعرف بأنها تستحقه .. ولكن ليس الأن فهي منذ وقعت عينيها على ذاك الرجل .. وهي ترغب بشدة ان يصبح صهرها..

-حبيبتي عليك أن تتواضعي قليلاً .. بالذات أمام خطيبك تعرفين مكانته ..

-لاتقلقي .. عبدالعزيز يعرف بالضبط من تكون سيادة العزب .. ومهما علت قيمته هو .. فانا أكافئه بكل مميزاته.

وعادت تلتفت الى المرآة وتتتأمل جسدها الطويل المنحوت بقدرة الهيـة جعلتها قمة في الجمال .. والاثارة بدئاً ببشرتها ناصعة البياض المشربة بالحمرة .. مروراً لعنقها المرمري الطويل حتى خصلاتها من الشعر الغجري الاحمر الذي يصل لمنتصف ظهرها .. عينيها الزمرديتين .. الواسعتين .. أنفها العقيقي .. الى شفتين واسعتين .. ممتلئتين .. ابتسمت برضا وبدأت تمرر فرشاة ضخمة بخصلاتها .. وأمها تقترب منها .. ورثت عنها كل ملامحها ولكن زادتها تألقاً وبهائاً بنضارة شبابها .. وأخذت من عائلة والدها ذلك الغرور والأنفة .. أخذت منهم تلك العِزة التي تنطق منها .. وتلك القوة التي لم يجرؤ أحد على كسرها ..

كانت مزيجاً فريداً من الأنوثة المطلقة .. والقوة الساحقة ..

التفتت لأمها وهمست:

-انه مجنون بي أمي .. ولن يتحمل ألاّ أصبح من نصيبه ..

اتسعت ابتسامة أمها واقتربت تقبل وجنتها وهمست:

-ممتاز والأن تعالي لتناول الفطور ثم نبدأ التجهيزات لحفل عيد ميلادك.. لابد أن فراس قد وصل الأن..

اومأت بحماس وأسرعت لحمامها في حين غادرت امها لغرفة المدلل الأخر..

دخلت دون استئذان كعادتها ورأته ينزع حذائه بتثاقل.. فعقدت حاجبيها:

-أين كنت حتى هذه الساعة؟؟ أنت لم تنم هنا ليلة أمس؟؟

نظر لها بعينين مثقلتين بالنعاس:

-أنا لم أنم من الأساس أمي.. وأتوق لنوم هادئ.. بعيد عن الضوضاء..

-هل نسيت أن الليلة هي عيد ميلاد شقيقتك؟؟

زفر بضيق وارتمى على الأغطية بثيابه:

-لا لم أنسى.. ولكنها الخامسة عصراً .. والاحتفال في الليل .. دعيني انام الأن.. أرجوك امي..

زفرت أمه بضيق وحركت رأسها بانعدام صبر قبل أن تغادر الغرفة تاركة اياه يغرق في الظلام .. الذي يعيش فيه معظم حياته ..

تلك الليـلة تألق القصر كله بالأضواء الساحرة .. فلم يكن الاحتفال بعيد ميلاد سيادتها حدثاً عادياً..

كان كما في كل عام مقصد الكثير من ابناء الطبقة الراقية ومشاهير المجتمع الباريسي لما تحظى به عائلة والدتها الراقية من اهمية

وسيط عالٍ وماتفرضه مكانة والدها العالية كأحد أكبر رجال الاعمال والسياسة في باريس ..

كانت متألقة كعادتها تلك الليـلة .. ترفل بثوب من الحرير الزمردي وترتدي طقم الألماس الذي وصلها كهدية منه .. تبتسم بفخامة تليق بها .. وقد انساب ثوبها يداعب كاحليها ويكشف عن عنقها المرمري وكتفيها في حين تألقت حُمرة شعرها كتاج من نار على رأسها ..تنسل منه بضع شعيرات ناعمة على جانبي عنقها وخلف أذنها .. تتألق زمردتيها بقوة وهي تسلم على مدعوينها بأطراف أصابعها المغطاة بقماش القفازات الحريرية التي ترتديه .. كانت أمها الى جوارها بينما وقف والدها بعيداً يتحدث مع بعض أصدقاءه من السفارة .. حين أشارت لها والدتها خفية لتنظر باتجاه البوابة وتجده واقفاُ هناك .. خفق قلبها بعنف واحتلت الراحة صدرها وهي تلاحظ اقترابه .. ببدلة فخمة مفصلة له فقط وقد استطال شعره ليلامس قبة قميصه الأزرق وتتألق الابتسامة في عينيه وهو يلتقط كفها بين يديه هامساً بصوته المغوي:

-مدموزيل ..

ابتسمت له بشغف واقتربت هامسة:

-اشتقت اليك..

قرب كفها من شفتيه وضغط على القماش الناعم بخفة وعينيه لاتفارقان عينيها ليهمس:

-اشتقتك أكثر وأكثر ..أغمضت عينيها باستمتاع ليعاود الهمس:

-أتسمحين لي بهذه الرقصة مدموزيل!!

-بالتأكيـد..

قالتها وهي ترافقه الى حلبة الرقص التي تفرق روادها ليفسحوا المجال لذلك الجمال المتفجر وهو يغرق في رقصة ناعمة مع أحد أكثر العزاب شعبية في ذلك الوسط .. ترافقهما نظرات الحسد من الجنسين بلا استثناء ..

اقتربت تضع يدها برقة الفراشة على كتفه العريض ورفعت عينيها لتغرق في عينيه وهي تهمس:

-لماتأخرت؟؟

-تعرفين الأعمال حبيبتي ..

هزت رأسها بدلال وعاتبته:

-كل الأعمال في كفـة .. وعيد ميلادي في كفة أخرى عبدالعزيز!!

غرق في زمردتيها لوهلة .. شعر بقلبه يتخبط كجناحي طائر يقع في الأسر .. استسلم لرائحتها المزلزلة ونعومتها الخطيرة .. كان بلاحول له ولاقوة في حضورها .. اكتشف بصدمة .. كان يغرق في عشقها ولايقوى على النجاة ..

-كله فداء لعيونك حبيبتي ..

-كـلام .. كله مجرد كلام عبدالعزيز ..

قالت ساخرة .. فزفر بضيق:

-ماذاتريدين كترضية ..؟؟

زمت شفتيها لتثير جنونه أكثر وأكثر .. قربها منه فشددت من قوة يدها التي تضعها بينهما ..وظهرت تلك الصرامة التي لم تسمح له من قبل ابداً بتعد حدود رسمتها هي بنفسها .. فتراجع عنها .. يبقى تلك المسافة القصيرة بينهما والتي ارتاحت لها ومضت تراقصه هامسة:

-لاأبحث عن ترضية عبدالعزيز .. ولكنني لاأحب الانتظار ابداً ..

-سينتهي انتظارنا الليـلة حبيبتي.. حين اخطبك من والدك وتصبحين لي كلياً..

رفعت حاجبيها بغطرسة وهمست:

-يالهـي عبدالعزيز .. متى ستفهم بأن لاأحد يملكني ..

وتحت عينيه الساخطتين رفعت رأسها بغرور:

-أنا سيادة العزب.. ولست أياً كان ..

تنهد بنفاذ صبر ودار بها وسط الحلبة التي عادت تكتظ بالراقصين وهمس:

-نعم معم.. أعرف بالضبط من تكونين ولاتنسي بأني عبدالعزيز ال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لاتنسي هذا..

ابتسمت له باثارة:

-وهل نسيت ابداً .. ولكن زمن السلاطين انتهى عبدالعزيز .. عليك أن تعرف هذا.. ولقبك الذي تحمله ليس سوى ماضٍ ..

ضاقت عيناه واحمر وجهه لتعرف بأنها قد تمادت قليلاً .. فارتخى وجهها وهمست:

-لاتغضب .. أنا أريد منك أن تنسى عبدالعزيز .. انسى ولنعش واقعنا.. عائلتك لم تعد تحكم بلادنا .. زمن السلاطين ولى منذ قرون ياعزيزي ..

نظر لها باستخفاف قائلاً:

-ربما للعامة فقط انتهت أيام السلاطين حبيبتي.. ولكن من يحكم الأمور فعلاً .. هم نحن.

عقدت حاجبيها باستغراب فضحك هامساً:

-أقصد اقتصادياً يانور العين .. والأن لنكمل الرقصة بهدوء فأنا أريد الانفراد بوالدك هذه الليـلة ..

ابتسمت بقلق وعاودت الرقص معه .. وعلى بعد منهما اقترب والدها من أمها هامساً بتوتر:

-من ذاك الذي يراقص سيادة؟؟

ابتسمت زوجته وهتفت بغبطة:

-انه عبدالعزيزال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد). ألا تعرفه؟؟!!

اتسعت عينا والدها لوهلة وشحب وجهه وهو يعود للنظر للشاب الذي يراقص ابنته.. كان يشك .. تعرفه منذ رآه ولكن .. لم يصدق أراد فقط أن يسمع اسمه ليصدق..

-منذ متى تعرفه.. ؟؟!!

هزت أمها كتفيها وهمست:

-منذ عام تقريباً .. ولكن علاقتهما توطدت في الشهور الأخيرة ..

مالأمر لما تهتم بها على غير العادة؟

أضافت بسخرية .. فعاد زوجها ببصره لابنته وقلبه يخفق برعب..

لايصدق بأن ابنته على صداقة بذلك الشاب .. مستحيل .. عاد بنظره لزوجته وهمس بشحوب:

-ايفا .. مامدى علاقتها به؟؟

نظرت له ايفا بقلق وهمست:

-سالم مابك عزيزي؟؟

-أجيبي فقط..

صرخ بصوت خافت وقد ظهرت العروق على جانبي وجهه فاتسعت عينيها بدهشة قبل أن تهمس:

-سيطلب يدها للزواج انهما حبيبين(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

"حبيبيـــن؟؟"!!

تفجرت الكلمة في رأسه بعنف ..

"حبيبيـــن ؟؟"!!!

تراجع عن زوجته بخطوات متثاقلة .. انزوى بعيداً عن الجميع رغم مناداتها المستمرة له .. ولكنه لم يُجبها .. توجه لمكتبه .. أغلق الباب خلفه واستند عليه بضعف ..

يالهي ماذا فعلت يااابنتي؟؟؟

توجه للكرسي .. جلس يفك ربطة عنقه بيد مرتجفة .. يشعر بالاختناق .. ينظر للصورة التي على مكتبه .. تمثل عائلته الصغيرة .. وقلبه يدوي بلاتوقف ..

مسح وجهه بكفيه وهو يهمس لنفسه:

-مالذي فعلت .. ؟؟!! مالذي فعلته يااابنتي؟؟

وهناك في الصالة كانت سيادة تمسك بيد عبدالعزيز وتقوده لوالدتها التي ابتسمت له ببشاشة:

-ماما .. أين هو بابا؟؟

-في مكتبه عزيزتي.. ولكن..

ظهرت الحيرة على وجه سيادة وامها تتلعثم:

-ولكن ماذا؟؟

-يبدو متعباً .. لما لاتؤجلين تعرف عبدالعزيز به لوقت أخر ..

تبادلت النظرات هي وحبيبها ليتدخل هو:

-مدام ايفا أحتاج لمقابلة السيد سالم في الحال.. لاوقت لدي وخصوصاً أن جدي في فرنسا الأن ولاأضمن بقاءه هنا لفترة اطول .. فهو يحضر لعودته الى البلاد قريباً ..

نظرت سيادة لأمها بانزعاج وهمست:

-أمااااه لاتخربي الأمر علينا..

تنهدت والدتها وفكرت قليلاً وهي تلمح الاصرار في ملامح الاثنين قبل أن تشير بيدها باستسلام لتبتسم سيادة بانتصار وتقود عبدالعزيز باتجاه مكتب والدها ..

نظرت اليه وهمست:

-سأدخل معك ولكنني لن أبقى مطولاً .. حسناً..

اومأ لها بابتسامة لتطرق الباب وبعد مدة سمعت أمر الدخول الخافت من والدها لتنساب للداخل بخفة يتبعها عبدالعزيز ..

كان والدها يجلس خلف مكتبه .. وحالما رآها وضع سماعة الهاتف التي كان يحملها فتقدمت هي منه وقبلته على وجنته هامسة:

-مرحباً بابا ..

شعرت بتصلبه ولكن من فرط فرحتها لم تنتبه.. نظرت لعبدالعزيز وعرفتهما بابتسامة ثم همست لوالدها:

-سأترككما لبعض الوقت أبي.. لاتلتهمه.. حسناً.

نظر لها والدها ببرود فتجاهلته واتجهت نحو الباب وتركتهما معاً

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وقف عبدالعزيز ينظر للرجل الأشيب الجالس قبالته بفخامة .. أشار له سالم العزب بالجلوس وهو يهمس:

-تفضل بني ..

توتره كان يبلغ أقصاه .. جلس على طرف الكرسي.. تحت نظرات ثاقبة وقوية لم يعهدها من أحد فالكل لم يكن يجرؤ أن ينظر لحفيد السلاطين في العينين بتلك الطريقة ..

-هل لي ان أعرف سبب تشريفنا بالزيارة..؟؟

نظر له بدهشة فهو لم يتوقع الاسلوب المباشر ولكن يبدو ان ليس للرجل العجوز وقتاً يضيعه:

-ألم تخبرك سيادة؟؟

قبض سالم يده بقوة .. وتحركت امعاءه بقسوة ..

-لا .. كماترى لم اعرف عن أي شيء قبل اليوم.. تعرف بأمر سفري المستمر وبالكاد أقضي الوقت مع عائلتي لأعرف كل شيء كمايبدو.

كانت لهجته ساخرة ونبرته مريرة مماجعل عبدالعزيز يدخل في الموضوع مباشرة:

-جئت لأخذ ابنتك .. أخذها للزواج..

عقد سالم حاجبيه بقوة .. نظر للشاب بحقد وتصاعدت النار بداخله وهو يقول:

-تطلبـها .. جئت تطلبها ..

صحح له بعجرفة .. جعلت عبدالعزيز يرفع رأسه ويقول بصرامة:

-أنا لاأطلب ..

-وأنا ليس لدي ابنة للزواج ..

اتسعت عينا عبدالعزيز بقوة وصرخ:

-مالذي تعنيه بهذا الهراء؟؟

-أخفض صوتك في حضوري ..

هدر والدها وهو يهب واقفاً:

-قلت لك لابنات لدي للزواج .. اخرج من بيتي في الحال؟؟

نهض عبدالعزيز مصعوقاً ..

-تطـردني!! ..

لم يجبه والدها بل تماسك بقوة لم يعهدها في نفسه ابداً .. ليستطرد عبدالعزيز بثورة:

-أنا عبدالعزيز ال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كيف تجرؤ ..

-وانا سالم قحطان العزب.. أم أنك لاتعرفني يافتى..؟!!

تراجع الفتى وهتف:

-ستندم على هذا.. ستندم وبقوة ..

رفع سالم رأسه وهمس:

-قلت لك .. أخرج من بيتي ..

رمق عبدالعزيز من رأسه لأخمص قدميه .. قبل ان يهتف بسخط:

-أقسم لك بأنك ستندم ياشيخ العزب ..

ةقبل أن يرد كان يتحرك بسرعة للخارج .. رأى سيادة ووالدتها بانتظاره على مقربة ولكن يبدو أن الجدران السميكة قد حجبت عنهما الحوار المثير للسخرية .. لم يتوقف قط للتحدث معهما .. كان لايرى الدنيا أمامه الا باللون الأحمر.. تجاهل مناداة سيادة باسمه وأسرع للخارج يبحث عن سائقه ليقوده بعيداً عن تلك الحثالة كما فكر بأبيها لوهلة ..

نظرت سيادة بإثره مفغورة الفاه وجسدها كله ينتفض ..

تجاهلها .. عبدالعزيز تجاهلها بكل وقاحة ومضى.. التفتت لأمها وهمست:

-أمي.. مذا حدث.. ؟!!

رفعت أمها كتفيها وسارعت للمكتب حيث والدها الذي كان يضع رأسه بين كفيه..

-ماذا قلت له؟؟

صرخت به تلحقها سيادة التي نظرت لأبيها بلوم وألم ..

-أخبرته بأن طلبه مرفوض ..

شهقت سيادة بلوعة بينما جنت أمها:

-هل أنت مجنون؟؟!! كيف تقول له شيئاً كهذا؟؟

نهض والدها ببطئ وتوجه اليهما قائلاً بصلابة:

-انه قراري.. ابنتي لن تتزوج ابن السلاطين ذاك .. وهو نهائي.

-انه ليس قرارك ..

صرخت سيادة بألم .. كانت دموعها تغرقها واستمرت:

-انه قراري أنا .. أنا من سيتزوج وأنا أريد عبدالعزيز ..

اتسعت عينا ابيها وصرخ:

-تحشمي يافتاة ..

-لا لن أفعل .. انها حياتي أبي.. حياتي وحدي ..

-قلت تحشمي..

هدر بها بقوة جعلتها تتراجع مذعورة وهي التي تواجه غضبه العارم لأول مرة في حياتها ..

-قلت بأن هذا الزواج لن يتم.. فهو لن يتم ابداً .. اتفهمين.. والأن اذهبي لغرفتك لاأريد رؤيتك اليوم ..

والتفت لأمها قائلاً بشراسة لم تعهدها احداهما قط من قبل:

-وأنت اذهبي وابقي مع الضيوف .. لااريد المزيد من الفضائح ..

وأشاح بعينيه عنهم وهو يتمتم بمرارة:

-تكفيني فضيحة واحدة في اليوم(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تراجعت ايفا واحاطت بكتفي ابنتها المرتجفة بالبكاء وهمست باذنها:

-لاتقلقي .. لاتبكي لم ينتهي الامر بعد ..

-ماااا..

همست سيادة بوجع .. فشجعتها امها على المغادرة .. وفي عقلها مليون سؤال عن سبب انقلاب زوجها 180 درجة بهذه الطريقة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟ ولم تعرف السبب .. قط..

***

انتهى يوم السنوية ..

وقف رعـاد مشرفاً على تنظيف ساحة الدار الضخمة حيث أقيمت المأدبة وذُبحت فيها الذبائح .. كعادة العائلة منذ سنوات كصدقة جارية** تنزل بالسكينة على روح الميت ..كانت روح الحزن مخيمة وان كانت الغبطة تملأ روح الفقراء اللذين انتفعوا بها ..

سمع حينها من يناديه فالتفت ليجد صبي صغير من العاملين في المنزل يشير له فتقدم اليه:

-مابك؟؟

-الشيخ الكبير يريدك في الدار حالاً..

اومأ رعاد ومضى الى الدوار حيث وجد جده وجدته بالاضافة لوالدته وعمته "والدة غزل" تجلسان الى جوارهما وكان هناك أيضاً قحطان .. يقف صامتاً وعلى وجهه تقطيبة لم تزده سوى هيبة ووقار.. حول دلة من القهوة والتمر اجتمعوا ..

-رعاااد بن ناصر .. تعال ياولدي..

قالتها جدته فاقترب بسرعة مقبلاً يدها ورأسها وفعل بالمثل لجده وأمه وعمته ..

-اجلس ياولد ..

قالها جده ففعل وداخله يشتعل بألف سؤال وأخيه .. وهمس:

-ماذا هناك ياشيخ؟؟ هل حدث مكروه؟؟

ابتسمت جدته وتولت الحديث:

-وهل يجب أن يحدث مكروه لتجتمع بنا؟؟

نقل رعاد بصره بين الوجوه التي تفاوتت نظراتها فجده متجهم صامت .. وأمه تحاول دفع الدموع للعودة لمآقيها .. وعمته ساهمة في عالم آخر .. في حين النظر لقحطان كما النظر لبئر سوداء بلاقرار!!

عاد لجدته هامساً:

-حاش للّه ياجدتي ..ولكن فقط ..

وعاد يدير رأسه بين الوجوه لتميل جدته اليه وتلتقط كفه بين يديها هامسة:

-لم نجتمع اليوم الا لكل خير بني.. لاتقلق ..

لم يهدأ قط .. بل زاد توتره واضطربت دقات قلبه وان لم تعكس ملامحه شيء وهو ينتظر المزيد ..لتعود جدته تستوي وهي تبدأ:

-لقد انتظرنا طويلاً حتى انتهاء سنوية المرحوم.. كانت سنة قاسية علينا جميعاً بني ..

ولكن .. على الحياة أن تستمر ..

عقد رعاد حاجبيه وانتظر بصبر نافذ لتواصل جدته بصوتها ذو البحة الخفيفة:

-شقيقك توفي وترك أمانة في أعناقنا يارعاد يابني ..

توترت نظرات رعاد وهو يسأل بصوت مهتز:

-ماذا تعنين جدتي؟؟

-تعني غزل يابني ..

هذه المرة كان جده .. التفت اليه بتوتر اشد وهمس بخشونة:

-مابالها غزل بالضبط؟؟ وماشأني أنا؟؟

تدخلت جدته:

-غزل هي أرملة أخيك .. كيف ماهو شأنك؟؟

أغمض رعاد عينيه وهو يحاول تجاهل الى مايقوده هذا الكلام بصعوبة .. شعر بضيق في أنفاسه شعر بذاته كلها ترتجف.. لا .. هم لايعنون!! ..

-أنت تدرك بأن غزل صغيرة في السن.. ولايمكن أن تظل أرملة لوقت طويل..

فتح عينيه بشراسة .. " ماذا يقولون؟؟ غزل ستتزوج؟؟!!

لم يقدر على الجلوس.. نهض ببطئ وهتف:

-ماذا تقولون؟؟ مالذي تفكرون به؟؟

أيريدونه أن يبحث لها عن زوج ولم يتنتهي سنوية اخيه بعد؟؟!!!

أدار عينيه فيمن حوله وصرخ:

-مالذي تريدون مني فعله بالضبط؟؟

تبادل جديه النظرات قبل أن تأمره جدته بصوت حازم:

-ستتزوجهـا ..

حرفياً .. تدلى فكه السفلي ببلاهة ..

نظر لجدته وكأنما ينظر لامرأة مجنونة .. تجاهل نظراتها الحازمة

ولمعان الاصرار فيهما .. تجاهل كل هذا وهتف بذهول:

-ماذا؟؟!!

-كما سمعت بنـي.. أنت ستتزوج غزل .. لن نترك أرملة محمد تذهب

لغير شقيقه ..

دوت الكلمات في رأسه بجنون .. ترسم متاهات من الشوك والألم ..

لايُعقل مايطلبونه منه؟؟ مستحيل ..

-أنا لن أتزوج غزل..

هتف بمرارة .. ليواجهه الصمت ممن حوله .. فكرر ماقاله بصوت

أعلى ..

-أنا لن أتزوج غزل .. ابداً .. أتفهمووون ..

وعم الصمت المكان حوله .. صمت لم يعد يُسمع فيه سوى اللهاث الحارق من أعماق صدره .. يحمل حرارة الألم الذي اجتاحه ..

هو لن يتزوج غزل .. مستحيـل أن يتزوجها .. مستحيل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

نهايـة الفصل الأول

الى اللقاء في الفصل القادم..

بيرو

**إن عمل السنوية للميت والاجتماع والاحتفال وعمل الولائم، بمناسبة الذكرى السنوية أو غيرها من الأزمنة من البدع التي لم تكن معروفة عند السلف الصالح والقرون المشهود لهم بالخير والاتباع.وعليه، فيجب اجتنابها. ولا مانع من الصدقة عن الميت والدعاء له في أي وقت.

فقد اتفق العلماء على أن الدعاء والصدقة يصل ثوابها إلى الميت، بل ذهب بعضهم إلى أن كل طاعة يعملها الحي ويهدي ثوابها للميت أنها تصل إليه. فتوى للجنة الدائمة..وفي ذلك يقول بعض العلماء:

أجرْ الطَّعامِ والدَّعا إنْ بذلا للميت لا خلاف في أن يصلا
والنووي عزى انتفاع الميّتين بكُلّ طاعة إلى مُحَقّقين

***

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الثاني

توسدت سيادة ذراعيها وقضت في نحيب مكتوم ..
لم تتخيل في أسوأ كوابيسها أن ينتهي احتفالها بعيد ميلادها بهذا السوء.. لم تتخيل أن تغرق في حزن وبؤس بعد أن كانت تطير فرحاً بالمستقبل الذي يلوح لها من الأفق.. والدها حطم كل شيء.. حطم آمالها وأحلامها بكل قسوة وكأنما هو رجل غريب عنها كلياً ولايأبه لمشاعرها البتة!!
شعرت بأمها الى جوارها وقد تسللت لها رائحة عطرها المنعش..
همست مخنوقة:
-اتركيني وحدي.. لاأريد ان أرى أحد ..
-لاتقلقي صغيرتي.. سوف أتصرف ولن يحدث الا ماتريدين..

اعتدلت في رقودها وواجهت أمها التي صُعقت لمنظر وجهها المنتفخ بأثر الدموع:

-هل تعدينني بتغيير رأيه أمي؟؟

تأتأت أمها بتوتر فصاحت سيادة بعصبية:

-أتريــن.. أنت لاتقدرين أبداً .. أخبريني ماعلي فعله ماما أرجوك اخبريني..

أحاطت أمها بوجهها وهمست:

-لاتقلقي.. سنفكر بشيء .. والدك لابد غاضب لأنه لم يكن يعلم بشيء عنكما وحين يهدأ قليلاً سوف يعرف مصلحتك بنيتي.

تأففت سيادة ونهضت بحنق:

-لا أمي.. بابا يُخفي شيء في داخله .. وأنا اريد ان أعرف مالذي يُخفيه .. ولماذا يكره عبدالعزيز بهذه الطريقة؟؟

-هو لايكرهه..

اعترضت امها باستنكار فسارعت سيادة:

-لماذا طرده من المنزل اذاً؟؟!! عبدالعزيز اتصل بي وقال لي بالضبط أن والدي رماه خارجاً كالشحاذين؟؟ كيف يفعل هذا مع زوج ابنته المستقبلي امي؟؟

تنهدت أمها وقد أُسقط بيدها فهي أيضاً لاتدرك سر تحول زوجها الغريب .. لاتعرف سبب غضبه وسر عصبيته ورفضه لرجل بحجم عبدالعزيز ومكانته من أن يكون زوجاً لابنته الوحيدة؟؟!!

لم تشأ أن تدخل في ترهات الشجار مع زوجها .. وتركته يهدأ..

ولكنها تواجه واقعاً مؤلماً الأن .. كان عليها أن تتصرف بسرعة قبل أن تخسر ابنتها عبدالعزيز والى الأبد..

-اتصلي به مجدداً .. وقولي له بأن يصبر وسوف نحل الموضوع.

قالت لها بتوتر فهتفت سيادة بعصبية:

-سأذهب اليه اليوم.. لاأقدر على عدم رؤيته أمي .. سنلتقي اليوم.

تنهدت أمها واقتربت محيطة بكتفيها هامسة:

-لابأس حبيبتي.. اذهبي وطمئنيه .. سيكون كل شيء على مايرام لاتقلقي.

تنهدت سيادة وابتعدت عنها وعادت تغرق بين وسائدها هامسة:

-من الأفضل أن تخبري ابي بأني سأتزوج عبدالعزيز مهما كان رأيه.. أخبريه بأنني لم اعد طفلة ولم يعد يتحكم بي.

مطت أمها شفتيها بقلق.. وغادرت على أطراف أصابعها .. كانت غرفة المكتب حيث انزى زوجها منذ انتهت الحفلة باردة كالثلج .. وجدت يجلس امام خشب المدفأة المحترق ويدخن بشراهة..

اقتربت هامسة:

-الى متى تنوي الصمت وعدم الشرح؟؟!!

لم يجبها بل ظل غارقاً بصمته وشروده اقتربت وجلست الى جواره وهي ترفع رأسها باستعلاء:

-عليك ان تتكلم معي ياسالم.. منذ متى تفرض ارادتك على ابنتنا بهذه القسوة دون اي شرح؟؟

-فعلت ماعلي فعله منذ سنوات.. ماأتمناه فقط الا أكون قدتأخرت؟؟

رد بشرود جعل قلبها ينتفض للكنته اليائسة..فهمست:

-أنت فعلاً تأخرت..

رفع لها عينين زائغتين متسائلتين فأكملت:

-سيـادة تعشق الفتى ولن تتخلى عنه.. أبداً..

تجمدت نظرته ورأت السيجارة بين اصابعه تتفتت الى أشلاء وهو يهمس من بين اسنانه:

-لايوجد عشق كهذا .. مستحيل.. سيادة لايمكن أن تكون لذلك الرجل ابداً.

-انها لـه بالفعل..

صرخت امها بدفاع .. ولكن الكلمة سقطت على رأس زوجها كالصاعقة .. اتسعت عيناه وانتفض جسده وهو يهب واقفاً يهدر بجنون:

-مالذي تعنيه؟؟ أجيبيني مالذي تعنيه؟؟

نظرت لـه بذهول من غضبه .. تعثرت كلماتها وهي لاتدرك مالذي أغضبه بهذه الطريقة:

-ماذا دهاك سالم؟؟!!

تأفف وهو يقبض على ذراعها رافعاً اياها لمستواه وهو يضغط على أسنانه بقوة مزمجراً:

-مالذي تعنيه بأنها لـه بالفعل؟؟ مالذي حدث بينها وبين ذاك القذر؟؟ أجيبي.

تخلصت زوجته من قبضته وصرخت بانفعال:

-ماذا تتصور .. انهما يحبان بعضهما منذ عام كامل.. هما عاشقان ياسالم لمالاتفهم؟؟

تراجع زوجها بذهول .. ينظر لها بعينين غشيهما ادراك أسود لماكان يحدث تحت أنفه .. ابنته وذاك الرجل؟؟ عاشقان؟؟ عشيقـان؟؟؟؟؟

رفع عينيه لزوجته هامساً بألم:

-أنت لاتقولين الصدق؟؟ سيادة لن .. لن تفعل هذا؟؟

ابتسمت أمها بخبث واقتربت منه وقد شعرت بأنها بدأت تلفت انتباهه:

-أنت تعرف ابنتك ياسالم.. ولكنها هذه المرة عاشقة للنخاع .. والرجل تقدم ليتزوجها بالفعل.. ماذا تريد أن تعرف أكثر؟؟

تاهت عيناه .. شعر بضعف يجتاحه .. ضعف قتله وبقوة .. يتخيل كل شموخه وعزه .. يتمرغ بالتراب.,. يتوسل ابن السلاطين ذاك .. يتوسله أن يستر على ابنته التي مرغت شرفه بالتراب؟؟!!

ضاقت أنفاسه للحظة .. فك زر قميصه الاول وأرخى ربطة عنقه وهو يتهالك على مقعده وكفيه تغرقان بين طيات شعره وهو يدمدم:

-الحقير.. ذلك الحقير؟؟!!

اقتربت منه زوجته تهمس:

-اسمعني ياسالم.. ماعلينا فعله وبسرعة هو أن توافق على زواجهما .. لانريد لهذا الأمر ان ينتشر؟؟ لانريد للفضيحة أن تعم؟؟

أغلق عينيه بوجع..

سيادة !!

سيـادة العزة والشموخ .. تمرغ رأس ابيها في التـراب؟؟!!

سيادة التي عشقها منذ ولدت بذلك الشعر الأحمر والزمردتين..

سيادة التي شعت ببهجة حين قبلها للمرة الاولى!!

سيادة العـزب ..

ابنة الشيوخ ..

آآآه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

توجع بصمت .. كيف فعلتي بي هذا يابنتي؟! كيف اتتك الجرأة ان تمرغي رأسي ورأس شيوخك بهذه الطريقة!! ولكن .. ليس كل الذنب هو ذنبها .. فكر بذعر.. هو ابعدهم عن عائلته.. هو نأى بنفسه عن تقاليده وأحكام قبيلته .. هو أراد لهم الحرية وعاد سيفها يطعنه بكل قسوة .. هو السبب .. ليست ابنته التي تربت بيد أمها الفرنسية بعيدة كل البعد عن تعاليم دينها وموطنها.. ليست الطفلة التي كبرت على أن تتقبل غزل الرجال حولها كوسيلة لحياة مترفة .. ليست الفتاة التي خسر هو .. كانت غلطته .. وهو عليه أن يُصلحـها!!

رفع عينيه لزوجته:

-ايفا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ماذا تنوي أن تفعلي؟؟

ابتسمت ايفا بمكر وقد أدركت بأن خطتها نجحت:

-اولاً نحن لن نخبر سيادة بأمر معرفتنا بماحدث معها ومع عبدالعزيز..

قد نخسرها ان واجهناها ياعزيزي..

نظر لها ببرود :

-وماذا سنفعل؟؟

ابتسمت بثقة وهمست:

-سوف تتصل به ونخبره بأنك غيرت رأيك عزيزي..

-هكذا بكل بساطة؟؟!!

همس مخنوقاً.. فأجابت بحزم:

-انه السبيل الوحيد.. أم نسيت بأنك من طرده في الأساس.

أشاح زوجها بوجهه عنها .. لايستسيغ الفكرة ابداً .. تثير غثيانه ..

تعتصر شموخه وعزته .. يرغب بالصعود لابنته الخاطئة وتمريغ

رأسها تحت قدميه كي يشفي بعض من غليله.. يريد أن يذهب لذاك

الوغد ويخترق صدره بمسدسه حتى لاتبقى فيه أنفاسٌ تتردد .. كي

يستطيع هو التنفس بحرية..

دار حول نفسه بيأس.. أسقط بيده ولم يعد يعرف كيف يتصرف وماذا يفعل؟؟

نهضت زوجته بهدوء وهي تهمهم:

-سأدع سيادة تتصل به.. سأخبرها بانك موافق على الزواج ياسالم ..

نظر لها شارداً .. عيناه في مكانه وعقله يسبح بعيداً ..

تركته قلقه .. للمرة الأولى في حياتها لاتعرف كيف يفكر زوجها أو بما يخطط..!!

***

تردد صوت خطواته الغاضبة قاطعاً ممر المنزل الخلفي بقوة .. كخفقات قلبه الهادرة والتي مزقت صدره بلارحمة كصدى يتردد ممزقاً لغاف الصمت الهش من حوله .. وكأنما تزرع خطواته الأرض غضباً وحنقاً كالذي يغشاه الأن .. لايرى أمامه سوى سواد .. أنفاسه ثائرة تحرق ماتجاوزه وتنفث عن صدره بعض النار التي تحرقه..

-رعاااد!!!

تعالى الصوت المشاغب ليتوقف فجأة مغمضاً عينيه محاولاً السيطرة على مشاعره..

-رعاد أخبرني لم كان اجتماع القمة هذه المرة؟؟

تسائل الصوت فضولاً .. ولم يجد بداً من الالتفات لسلمى التى تراجعت مذعوره وهي ترى النظرة النارية التي رشقها بها وصوته يدوي راعداً يسمرها بمكانها:

-ابتعدي عن طريقي الأن ياسلمى..

وبطون أي كلمة اضافية تركها وعاد يواصل افراغ غضبه في الأرض الشاكية بصمت .. لتتراجع سلمى مذعورة الى المجلس الأخر حيث كانت غزل تتوسد فخذ الجوهرة والتي كانت تجدل لها شعرها بانسجام:

-ووو لم اره في حياتي بهذا الشكل..

-من؟؟!!

تسائلت الجوهرة بابتسامة فتربعت سلمى الى جوارهما وهي تتناول بعض اللِب من صحن مجاور:

-رعـاد .. غادر مجلس القمة وهو يرغي ويزبد كاد يكسر لي عنقي..

نهضت غزل وفي عينيها تساؤل بريئ:

-لماذا مالذي حصل بالداخل؟؟

هزت سلمى كتفيها صارخة بحنق:

-لم يخبرني بشيء.. الأن تأتي أمي وأستخرج منها كل المعلومات..

ضحكت الجوهرة وهمست:

-توقفي عن دس أنفك في كل شيء.. أمي لن تخبرك شيئاً..

مطت سلمى شفتيها وهي تفكر بطريقة لإجبار أمها على البوح في حين كان الصمت يعم المجلس الأخر.. كانت والدة غزل تبكي بصمت وجدته تزم شفتيها بغضب من طريقه خروجه .. في حين كانت أمه تنظر لبكرها برجاء والأخير يستمع لجده الذي كان يحدثه بهدوء:

-اذهب اليه قحطان .. اذهب واقنعه ..

تنهد قحطان وغادر بصمت كعادته .. كان يعرف الى أين سيمضي رعاد .. ويعرف بصعوبة الأمر الموكل اليه.. لايُنكر بأنه قلق من كل شيء ومحتار هو الأخر.. ولكنه يوقن بأن جديه يفعلان الصواب الذي جافاهم في المرة الاولى لعدة أسباب ..

وقف يراقبه من بعيد .. على تلة تطل على الواد العميق الجاف الأن في موسم الجفاف والبرد..

تقدم اليه بخطوات صامتة لم تشي بها الصخر الصغيرة المتناثرة على الأرض حتى بات خلفه مباشرة..

-كنت قاسياً بعض الشيء على جدتك يارعاد..

رأى ظهره يتقوص .. وعرف بأنه متأثر هو الأخر .. تنهد واقترب يجلس على صخرة مجاورة وهو يواصل:

-عليك ان تكون اكثر حرصاً على مشاعرهما .. جديك .. والدتك .. لايحق لك الانفجار عليهم بتلك الطريقة.

-أنا لـن أتزوج غزل ياقحطان..

زمجر رعاد بألم وهو يشيح بوجهه عن أخيه.. فتأمله قحطان ملياً قبل أن ينظر للوادي الجاف:

-انه قرار صعب .. ولكن لاترفض قبل ان تفكر ملياً..

استدار لينظر اليه وصرخ:

-أفكر بماذا؟؟ انها زوجة محمد ياقحطان؟؟

سيطر قحطان على مشاعره بقوة .. هو بالذات يعرف ماكانت تعنيه غزل لشقيقه الصغير.. ولكن!!

-محمد توفي.. وهي الأن أرملته يارعاد..

مسد رعاد رأسه بضيق وهمس بخشونة:

-لايهمني ماتكون عليه الأن.. غزل منذ صغرها كانت لمحمد وأنت تعرف هذا جيداً .. انتهينا من كل التأويلات والتفسيرات ياقحطان .. أنا لن أتزوج المرأة التي كانت لأخي.

كان يرتجف.. صوته مخنوقاً وعضلاته كلها مشدودة كالوتر.. تأمله قحطان بصمت .. يحاول أن يقرأ مابين عينيه ولكن.. رعاد لطالما كان يجيد اخفاء مافي قلبه .. عصبيته وغضبه المستمر ابدا لم تكونا دليلاً على مابداخله بالعكس.. كانت لغزاً على الدوام..

ولكن ليس عليه هو.. ليس على أخيه الأكبر..

نهض قحطان من على الصخرة وهمس:

-اذا رفضت يارعاد فسيكون غيرك..

قالها بهدوء واستدار ينوي الانصراف لتدركه الهمسة الشاحبة من خلفه:

-ماذا تعني؟؟

توقف للحظات ناظراً للدوار الذي يظهر في الأفق:

-تعرف ماقالته جدتي.. غزل لاتزال شابة ومن العار أن تظل أرملة لوقت طويل .. وسرعان ماستلاقي توافد الخطاب اليها .. واذا لم تكن أنت من ستأخذ أمانة أخيك .. فسيكون احد أخر..

والتفت له يقول بذات لانبرة الهادئة التي تُخفي بين حروفها تهديداً محذراً:

-لقد كلمني شهاب ابن خالك ابراهيم في أمرها فعلاً قبل ايام .. وطلب مني التوسط لدى الشيخ.. وكذلك صهيب العمري..ولكنني لم افتح الموضوع لأنني أعرف بأن الشيخ لن يرضى لها بالخروج عن اولاد عمومتها يارعاد ..

صمت رعاد وهو ينظر لأخيه.. وجهه أحمر بل يكاد ينفجر سواداً .. يخطبونها ؟؟!! كيف ذلك وهي حتى لم تكمل العام حزناُ على زوجها..

-وماذا ان رفضت انا؟؟ الى من ستزوجونها؟؟

-ربما علي..

قال قحطان بلامبالاة .. واضاف بمكر وهو يرى تحول رعاد لعاصفة على وشك الانفجار :

-تعرف حنان علي وطيبته لايمكن أن يرفض ماتأمره به الجدة..

-علي لايناسبها..

انفجر بحنق .. فرفع قحطان حاجبيه ليواصل رعاد بشراسة:

-وذلك المجنون شهاب متزوج اصلاً .. ولديه ولدين.. وصهيب؟؟!!

لاتدعني ابدأ بما يشكو منه ذلك المخبول..

كتف قحطان ذراعيه وانتظر بصبر انتهاء العاصفة:

-كيف لهم أن يزوجونها هكذا؟؟ انا لن اوافق على ايهما .. ثم .. ثم علي؟؟؟

صاح باستنكار:

-علي مهتم بدراسته لدرجة انه لايرى ابعد منه.. هو لن يهتم بغزل ..

لن يهتم بها قط..

-ماذا تريدنا ان نفعل وقد رفضتها أنت..

سأله قحطان ببساطة جعلته يسارع:

-انا لم أرفضها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

رفع قحطان حاجبيه باستمتاع وهو يرى احتقان الدم في وجه أخيه

..الذي تلعثمت حروفه وهو يواصل:

-أنا .. انا فقط لا .. لااريد.. أن .. قحطان اسمعني..

-انا مصغٍ..

ابتسم قحطان ليواجه ذهول أخيه .. كان مستفزاً وهو يعلم هذا ..

ولكن رعاد كان في عالم أخر.. لايمت للحظتهما بصلة..

هل هو مستعد حقاً ليتركها لأحد أخر؟؟!!

فكر رعاد بذعر.. مالذي يحدث له؟؟ كيف يفكر بها هكذا؟؟

أغمض عينيه بقوة .. لا لا .. هو عليه أن يحميها؟؟ من سواه سيقدر على

حمايتها ؟؟والحفاظ عليها بعد محمد؟؟

لاأحد سيفهم مشاعرها سواه.. لاأحد سيقدر اخلاصها لمحمد سواه.. سيراها الكل خائنة ان تزوجت احدهم وظل قلبها لأخيه.. ماعداه هو .. هو يفهمها ويقدر.. هو الوحيد.,..

فتح عينيه لأخيه وهم بقول لشيء لتقاطعه يد قحطان المدودة:

-لاترد الأن .. فكر يارعاد.. سأعطيك مهلة لتفكر بروية.. واعطني جوابك حين نعود انا والشيخ من رحلتنا.

قالها واستدار عنه عائداً لمجلس الشيخ تاركاً الرجل خلفه يكرر قراره بينه وبين نفسه بلاتوقف.. وكأنما مصر حتى لاينسى.. أو يتراجع.. !!

***

توقفت السيارة بصرير مزعج أمام المبنى الأنيق المكون من عشرة أدوار والمحاط بحديقة وارفة .. فتح لها أحد أفراد الأمن باب سيارتها لتنزل بعظمة .. تضع نظارة ضخمة على عينيها وتُحكم قبعة واسعة الحواف بشريط حريرية على رأسها..

ألقت المفاتيح للشاب وخطت الى المبنى بهدوء ورأس مرفوع واثق لايمت بصلة لتلك العصبية التي ظهرت في ضربات كعبها الحاد العالي على الرخام الأسود لأرضية المبنى..

أخذها المصعد للدور الثامن وهناك توجهت نحو شقة معينة سرعان مافُتح بابها قبل حتى أن تطرقه ليظهر عبدالعزيز خلفه ينتظرها بابتسامة ونظرة متوترة ..

زفرت بضيق وتجاوزته الى الداخل هامسة بعصبية:

-لماذا اصريت على اللقاء هنا؟؟

اقترب منها بخفة وهو يتأمل قوامها الرشيق في بدلة حريرية باللون الأصفر جعلتها تبدو كشمس صغيرة مشرقة..ضغط على كتفيها بيديه وهو يهمس:

-اشتقت اليكي حبيبتي..

داعبتها الحروف وتسللت لتثير الاضطراب في دقات قلبها وشعرت بذلك الضعف الذي يثيرها لتهمس:

-وانا أيضاً.. وكأنني لم ارك منذ شهور..

أدارها اليها نزع عنها قبعتها ونظارتها بخفة ليتوله في عينيها الزمرديتين هامساً:

-لم اكن لأقد أن أراك في مكان عام.. سيادة أنا أحبك بجنون..

قالها مقترباً منها برعونة لتشهق مبتعدة وهي تتخلص من قبضته بنعومة:

-عبدالعزيز ؟؟!! ماذا دهاك..؟؟!!

نظر لها بعينين متسعتين.. وجهها محمر وعينيها تلمعان .. لطالما حافظت على تلك المسافة المثيرة للجنون بينهما .. اقترب مندفعاً:

-أكاد أُجن.. أنت تنعمين في منزل والدك وأنا احترق هنا وحدي بعيداً عنكِ؟؟

-أنا لست في نعيم!!

استنكرت بحنق وأضافت :

-أنا أيضاً أشعر بالضيق والألم لماحدث بينك وبين والدي.. لاأعرف ماذا دهاه ولكنني سأغير رأيه لاتقلق.

تأفف بضجر:

-متى؟؟ أخبريني متى سيحن علينا والدك العظيم كي نعيش حياتنا سوياً؟؟

اقتربت منه هامسة:

-والدتي تكلمت معه البارحة .. وتقول بأنه قد لان قليلاً.. لنيأخذ الكثير من الوقت..

التفت يقبض على كتفيها مجدداً هامساً بشغف:

-اذاً لما التأخير حبيبتي.. أنا وأنت باستطاعتنا أن نكون معاً دون تاخير..

لن يهتم أحد صدقيني..

داهمتها كلماته بقوة .. تسللت اليها تضعفها من جديد وهوي قربها منه لتشعر بجسده قريباً منها كما لم يكن قط من قبل.. اشتعلت أعماقها .. لم تفعل ذلك برغبة.. أو بإثارة كما كانت تقرأ وتسمع منذ زمن .. بل رغماً عنها شعرت .. بالنفـور..

كان اقترابه محفزاُ لها لتقفز بعيداً وهي تصيح:

-لا عبدالعزيز..

تسمر ينظر لها بغضب عاصف لاح في عينيه.. فهمست بحدة:

-أخبرتك بانني لست من هذا النوع.. أنا لست برخيصة .. انا سيـادة العزب..

قالت اسمها بغرور جعله ينفجر ضاحكاً وهو يشيح عنها ويتوجه الى بار منتصب في الزاوية ويصب له في كأس زجاجية مشروب كحولي غامق اللون ويتناوله جرعة واحدة .. قبل أن يستدير اليها وينحني بشكل ساخر:

-مرحباً بالسيدة .. هل تودين تناول المشروب معي سيدتي؟؟ مادمت ترفضين كل شيء أخر..

استشاطت غضباً للحظة ..واقتربت منه تصرخ:

-كم مرة قلت لك بأن لاتشرب وأنت معي..

-بصراحة سيادة لم يعد يهمني..

صرخ بالمقابل.. لتبهت لوهلة .. رأت عيناه تلمعان بسخط .. وضع الكأس من يده على الطاولة بحدة وابتعد الى النافذة الضخمة ووقف مديراً ظهره لها هاتفاً:

-أنت ترفضين كل شيء بحياتي.. أصدقائي.. مشروبي.. حتى حبي ترفضينه ؟؟!! كل شيء.. مالذي تريدينه مني اذاً؟؟

-أريدك أنت ..

صرخت بمرارة.. ليلتفت لها مشوحاً بيديه:

-كل هذا هو أنا.. أنا.. أصدقائي.. مشروبي..

واقترب منها بقوة يحيطها بذراعيه هامساً بشغف:

-أنا هو حبي لك سيادة .. لن تتصوري قط مدى جنوني بك ..

رفعت ذراعيها تصد اقترابه منها بقوة صارخة:

-اتركني عبدالعزيز..

لم يأبه لصراخها .. بل سيطر على ذراعيها بقوة ونظر في عينيها هامساً:

-أريدك سيادة .. أريدك الأن .. حتى والدك سيوافق عندها على زواجنا دون اي اعتراض.

اتسعت عينيها بقوة وسكتت مبهوتة في حين أضاف هو بحرارة:

-سنجبره على زواجنا بتلك الطريقة ياحبيبتي..

-أنت مجنون..

همست بضعف ليقترب محاولاً تقبيلها بعنف .. الا أنها تراجعت صارخة وداست بكعبها المسنن على طرف حذائه ليصرخ متأوهاً وهو يفلتها .. لتصرخ مصعوقة:

-أنت مختل عبدالعزيز .. وأنا لن أفعل هذا ابداً .. أتفهم لن أنجر لقذارتك هذه ابداااا..

وقبل أن يستقيم ويستعيد توازنه كانت تسرع جرياً للخارج .. ضغطت أزرار المصعد بقوة بعينين غشيتهما الدموع .. وتركته يهبط بها الى الأسف لتتذكر قبعتها ونظارتها اللتان نسيتهما عند ذاك المعتوه .. ولكنها تجاهلت كل ذلك وأسرعت لسيارتها التي سرعان ماجاء بها الموظف ..وخلال لحظات كانت تقودها بسرعة مذهلة على الطريق..

كانت تبكي بجنون .. عقلها يكاد يتحطم من فرط الضغط الذي تشعر به قد أصبح للسقف..

توقفت بالسيارة أمام كورنيش حجري يطل على نهر السين .. وكتفت ذراعيها على مقود السيارة وأسندت رأسها عليها تبكي بعنف.. لم تتصور بحياتها أن تصدر هذه الأفعال منه؟؟

شهقت بألم .. لطالما كانت كرامتها وشرفها هي الشيء الوحيد الذي لم تتنازل عنه في مجتمع يُجبرك على تقديم الكثير والكثير من التنازلات.. ولكن ليس هي.. ليس سيادة العزب .. ليست سليلة الشيوخ من تفرط بعفتها لأي أحد .. ليست هي من تُزف الى زوجها دون عفتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

شهقت بالبكاء .. لقد كانت هذه هي القيمة الوحيدة التي زرعها والدها فيها منذ ان كانت طفلة تلهو بدميتها.. كان يقول لها بأن عفتها كرائحة الورد .. ان ذهبت .. أصبح الورد عديم الفائدة ..مجرد شكل جميل في طريقه للذبول.. ومنذ ذاك الوقت لم تفكر قط بالتنازلات التي طالبها بها العديد من اصدقائها .. وتخلت عن الكثير والكثير.. ولكن تبقت تلك الحدود التي أبت أن تتنازل عنها..إلا للرجل المناسب..

حتى جاء عبدالعزيز وعرفت منذ رأته أنه قد يكون هو الرجل الوحيد المناسب لها.. شخص بقوته .. وسيطرته.. بعائلته العريقة وثرائه..

كان هو الرجل الذي انتظرته طيلة عمرها..

واليوم.. كل هذا تحطم ..

فكرت بمرارة ..

سمعت هاتفها يرن .. رفعته لتجد اسمه ينير الشاشة .. أقفت الخط ورمت بالهاتف بعيداً وهي تشتمه بحقد .. قبل أن تعيد تشغيل سيارتها وتنطلق لمنزلها بسرعة..

مسحت عينيها من الدموع بحرص.. لايجب أن يعلم احد أبداً.. رأت كيف انتفخت جفونها فشتمت في سرها قبل أن تنزل من السيارة الى داخل المنزل ..

-سيـادة..

توقفت بحدة والتفتت لتجد أمها بانتظارها ..

-ليس الأن امي.. أرجوك.

همست مخنوقة ولكن امها لم تمهلها واقتربت متسائلة بقلق:

-اتصل بي عبدالعزيز(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) مالذي حدث بينكما؟؟

انسابت دموعها وهمست:

-لاأريـد سماع اسمه أمي.. لاأريد..

اتسعت عينا امها وعرفت أن مشكلة عويصة قد حدثت.. فابنتها ليست معتادة قط على التصرف بهستيريا..

أحاطتها بذراعها وقادتها لغرفة الصالون الصغيرة المفضلة لها .. وبعد ان أجلستها على مقعد وثير همست بحنان:

-سأحضر لك شاياً بالليمون ليهدأ من أعصابك .. ابقي هنا.

نزعت سيادة سترتها وبقيت ببلوزتها الحريرية وحررت شعرها الأحمر الثائر ليحوط بوجهها .. تخلصت من حذائها ورفعت ساقيها تحتها لتتكور على المقعد كالأطفال..

عادت أمها برفقة الخادمة لتضع المشروب الساخن على الطاولة امامها وجلست أمامها هامسة:

-اشربي ياصغيرتي..

تذوقت سيادة الشاي اللاذع بحذر لسخونته .. التي انسابت اليها تهدئ من غضبها بطريقة سحرية ..

راقبتها امها .. تعرفها جيداً وتدرك أن الشاي بالليمون هو على الدوام علاج لغضبها وحزنها..

-والأن أخبريني ماذا فعل بك ذلك الشقي..

رفعت لها عينين تخلصتا من بؤسهما لتلمعا بغضب وحنق:

-لقد حاول الاعتداء علي أماه..

اتسعت عينا امها بقوة .. لم يكن هذا ماقاله .. فكرت بحنق من غباء ذلك الفتى الذي اتصل بها مذعوراً قبل لحظات من دخول ابنتها يصف لها كيف انه تجاوز حدوده قليلاً مع ابنتها ولكنها غضبت وغادرت .. تنهدت تحاول السيطرة على غضبها منه ومن غباءه وهي تحاول رسم ابتسامة على وجهها تخفف من الأمر:

-لاتضخمي الأمر بنيتي.. انه مجرد حماس شباب..

عقدت سيادة حاجبيها ووضعت فنجان الشاي بقوة وصرخت:

-ماذا تقولين امي؟؟

اقتربت منها امها وجلست الى جوارها تمسد كتفيها المتصلبين:

-اهدئي حبيبتي.. أنا اعرف معنى ماحدث وكيف تشعرين .. ولكن عبدالعزيز كلمني منذ دقائق.. وقال بأنه يشعر بالسوء .. انه حزين جداً سيادة .. وهو يعرف بأنك مستاءة وحزينة مثله.

-لا امي .. أنا غاضبة .. وغاضبة للغاية..

صرخت بألم .. فضمتها اليها امها وهمست:

-اسمعيني قد لاتفهمين مايعاني الرجل .. ولكنه يعشقك سيادة وصعب عليه أن يراك بكل هذا الجمال والفتنة ويصبر..

-أتقولين أنني المخطئة؟؟

تسائلت سيادة بشحوب فضحكت أمها بخفة:

-لاتكوني سخيفة بالطبع ليس خطأك انت.. انه خطأه هو ولكنه متأسفٌ حقاً .. وهو يعدك بأن يصبر ويصبر حتى يوافق والدك على الزواج..

نظرتها حملت تشتتها وهي تتلعثم:

-ولكنه .. عبدالعزيز امي .. لقد حاول ان ..

ضغطت أمها على شفتيها برقة وهمست:

-ولكنه لم يفعل شيئاً .. وهو لم يكن ينتوي ايذائك حبيبتي.. انه يحبك وحبك أفقده عقله..

تسلل الضعف اليها مجدداً.. أشاحت عينيها عن امها وقد هدأت انتفاضة جسدها القوية وهي تفكر بكلمات امها.. لم يكن ليؤذيني .. عبدالعزيز يحبني(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

شعرت بهاتفها بين يديها وأمها تهمس:

-انه يتصل بك دون توقف.. ارحميه وكلميه بنيتي..

تأملت الهاتف الذي يتألق باسمه وصورته.. وبعد تردد .. فتحت الخط لتسمع صوته الملهوف:

-حبيبـتي..

اغمضت عينيها لصوته الحبيب وهو يواصل بسرعة وبتأثر:

-سامحيني حبيبتي.. أرجوك تقبلي اعتذاري أنا لاأعرف مافعلت؟؟

-لماذا عبدالعزيز؟؟

همست مخنوقة فرد بسرعة:

-كنت مجنوناً من فكرة ان أفقدك سيادة .. كدت اموت ولم اقدر على التفكير بسوية.

أغمضت عينيها وهي تستمع لكلمات الأسف والاعتذار تنساب اليها بلاتوقف.. وشعرت بطوفان غضبها ينحسر.. ونبضاتها الثائرة تهدئ..

ولاحت ابتسامة على شفتيها وهي تهمس:

-لـن تكررها بعد اليوم..

ضحك بعمق وهمس بشقاوة:

-لاتطلبي المستحيل ياعزيزتي.. ماأعدك به هو الصبر ليصبح كل شيء قانونياً وبعدها لاوعود ..

تضرجت وجنتيها بحمرة خجل قانية وهتفت بحنق:

-أنت لاتطاق..

تعمقت ضحكته حتى وصلت لأمها لاتي ابتسمت بارتياح وغادرت الغرفة تتركها وحدها مع حبيبها وهي تحمدالله بلاتوقف أن العاصفة مرت بخير.. ولم يتبقى سوى انهاء الأمر مع والدها .. مع سالم العزب..

***

-قحطاان .. صفيية .. لاتبتعدا..

صرخت جوهرة بحدة في طفليها التوأم اللذان لوحا لها ومضيا يلعبان مع أقرانهما من الأطفال في حين صرخت بها سلمى بسخرية:

-دعيهما يتنفسان .. ياإلهي تذكرينني بدجاجتي فرحة .. فهي لاتبتعد عن فراخها قط..

نظرت لها جوهرة بحدة فابتلعت لسانها ترافقها ضحكة ناعمة من غزل التي كانت تقلب صفحات مجلة نسائية في حين كانت سلمى تتسلى بهاتف جوهرة وتلعب به كالأطفال .. وفتحية ابنة العم تجلس الى جوار الجوهرة وتسألها:

-ألم يتصل حسن؟؟ والدتي قلقة عليه فهو لم يتصل بها منذ يوم الجمعة؟؟

عقدة تلك التي تجمعت أعلى معدتها وهي تغتصب ابتسامة وتهمس وقد فارقها صوته:

-انه بخير.. اتصل بي ليلة أمس..

-قولي له أن يتصل بأمه .. تعرفينها تقلق عليه باستمرار..

اومأت الجوهرة بشحوب وأشاحت عن فتحية قريبتها وشقيقة زوجها الغائب.. ونظرت لسلمى تحاول تغيير الموضوع:

-متى سيسافر الشيخان؟؟!!

-غداً عند الفجر..

أجابت سلمى بلامبالاة فتنهدت الجوهرة وهي تفكر.. ربما .. سيعودان .. قبله؟؟؟

فراغ ذاك الذي اجتاحها .. قبل أن ترسم الابتسامة على وجهها وهي والفتيات يستقبلن والدتها وعمتها"والدة غزل" اللتان دخلتا بهدوء وهما تلقيان السلام..

جلست والدة سلمى الى جوار غزل تضمها اليها وتهمس:

-كيف حالك صغيرتي؟؟

-بخير..

همست غزل بشحوب وهي تغرق بين ذراعي المرأة الأكبر سناً وذكرى كلمات ناعمة تداعبها..

"حضن أمي.. هو المكان الأكثر أمناً في العالم"

اغمضت عينيها وهي تتذكر ابتسامته وشقاوتها وهي يرتمي بين ذراعي امه كالأطفال..

شعرت بيدها تلامس شعرها الناعم بحنان وهي تدمدم:

-ستكونين بخير ياطفلتي.. لاتقلقي..

رفعت لها عينين قلقتين ..لتقول لها برفق:

-جدك يرغب بالكلام معك قليلاً ياغزل..

ابتعدت عن حضنها هامسة:

-الأن..!!

اومأت وأشارت لها:

-هو ينتظرك في المجلس .. مع جدتك..

نهضت تضح طرحتها عليها وتسائلت بقلق:

-أذهب وحدي؟؟

تبادلت المرأتان النظرات قبل أن تنهض أمها وتهمس:

-سآتي معك..

اومأت لها غزل ومضيتا الى المجلس تحت أنظار سلمى الفضولية التي مالت لأمها متسائلة:

-أمي ماذاهناك؟؟

شردت أمها ببصرها وهمست:

-ستعرفون قريباً..

تراجعت سلمى بتوتر وهي ترى حالة أمها التي لم تكن لتسر عدوٍ أو حبيب بتاتاً .. حتى الجوهرة عقدت حاجبيها وهي تتبادل النظرات المتسائلة مع فتحية التي هزت كتفيها بمعنى أنها لاتعرف ..

ومضى عليهن بعض الوقت المترقب قبل أن ينتفضن بقوة واقفين بذعر وصرخة معذبة تشق السكون حولهم ..

-غزل!!

همست سلمى بشحوب .. لتسرع قبل الجميع نحو المجلس..

وعلى الباب وقفت بذهول ترى غزل المرمية على الأرض وأمها تبكي عليها بانهيار .. بينما تصلب الجد في مجلسه والجدة تصرخ بهن بحدة:

-أحضرن قحطان ورعاد ..

شعرت بالجوهرة تعدو خارجاً وهي تنادي لشقيقيها بعلو صوتها في حين اقتربت امها من الفتاة الفاقدة لوعيها وهي تهزها بقوة:

-غزل .. بنيتي استيقظي.. سلمى أحضري الماء..

انتفضت على صوت أمها الصارخ وسارعت لإحضار الماء وقامت أمها برش البعض منه على وجه الفتاة الذي غادرته الدماء وبات شاحباً كالموتى .. وهي تقرأ المعوذات وترقيها بلاتوقف..

-غززل.. غـ..ززل..

تمتمت سلمى بتوتر وهي تمسك كف الفتاة الثلجي بين كفيها وتعاود الهمس باسمها برجاء .. لتفاجأ بصوت قحطان خلفها :

-مالذي حدث..

رفعت عينين واسعتين بالدموع اليه وهمست:

-انها غزل ياقحطان..

أبعدها قحطان بسرعة ومضى يجس نبض الفتاة النحيلة بخفة قبل أن يهمس بصرامة:

-سنأخذها لغرفة سلمى.. أمي افتحي لنا طريقاً..

نهضت أمه بسرعة بينما صاح قحطان برعاد المتسمر خارجاً بالاحراك:

-رعـاد..

لم يجرؤ على الدخول..

تسمرت قدماه خارجاً حالما وقع بصره على الجسد المسجى أمامه.. لم يستطع الدخول ..

سمع حينها قحطان يدعوه .. ترددت قدماه قبل أن يحسم أمره ويدخل وعينيه على الأرض ليفاجأ بصوت جده الهادر بصرامة وحزم:

-احمل عروسك لغرفة سلمى كي ترتاح..

حينها توقف الهواء فعلاً ..

على الأقل بالنسبة لسلمى والجوهرة .. في حين توترت نظرات فتحية التي كانت قد علمت بالأمر مسبقاً ..

وبالنسبة له هو كذلك.. يحملها؟؟!!

تيبس وهو ينظر لجده مصعوقاً ..

-ماذا تنتظر رعاااد .. تحرك.

صرخ به قحطان بغضب .. فانتفض يخرج من ذهوله واقترب نحوها وقع بصره عليها بلمحة جعلت قلبه ينتفض بألم لحالها ..وجه شاحب .. بشرة رقيقة شفافة درجة الألم المحفور على مساماتها!!

زفر هواءاً حاراً وهو يخفض عينيه وترتفع يده لتسدل طرحتها الخفيفة لتغطي ماظهر من خصلات شعرها الناعمة ووجهها البريئ .. قبل أن يحملها بخفة بين ذراعيه .. كريشة لاتكاد تساوي شيئاً .. جسد بارد خالٍ من الحياة .. لوهلة شعر وكأنه يحمل جثة.. ومن المفروض عليه أن يُعيـدها للحيـاة!!!

وضعها على سرير سلمى برفق .. وكذئب مطارد عصف الى الخارج .. رأى والدته وعمته يهرعن للداخل مع بقية الفتيات وبعد لحظات سمع شهيقها المغسول بالدموع ..

تصلبت كتفاه وهو يسمع نشيجها الموجوع ..

انتفضت عضلة في جانب فكه وهو يسمع نحيبها المتألم ..

رفع عينيه لقحطان المتصلب الى جواره .. وجهه كظلمة كهف عميق لاتعرف مايخبيه وراء تلك البرودة والسواد .. همس له بصوت مهتز:

-أتمنى أن تشعر أنت وجدي بالارتياح ..

-ستتأقلم .. كمافعلت أنت.

قالها ببرود جعل رعـاد ينظر له بألم لم يقدر على التحكم به.. منذ أعلن لهم موافقته وكل شيء يسوء..

أغلق عينيه بتوتر ثم اندفع خارجاً يهرب من صوت بكاءها .. نشيجها وصراخها الهستيري .. أنها لاتريده .. لاتريد رعـاد ابداً ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

رفعت عينين مغروقتين بالدموع محتقنتين بالدماء..

-لاأريــده .. أرجوك أمي.. لااريد الزواج ..

بكت أمها بحزن .. لم تقدر ان تواسيها سوى بالدموع .. لاشيء ستقوله سيغير من المستقبل شيء.. والمحتوم قد تقرر.. وانتهى الأمر..

تلوت غزل مخلصة نفسها من بين ذراعي والدتها صارخة بألم:

-أنا زوجة محمد كيف سأتزوج أخيه؟؟؟

اقتربت عمتها تحوط وجهها بكفيها هامسة:

-تعوذي بالله بنيتي.. الشيخ لايريد سوى مصلحتك ..

انتفضت غزل بعيداً صارخة:

-وأنا ؟؟!! ماذا عني وماأريد؟؟ كيف اتزوج شقيقه؟؟ كيف اتزوج شقيق محمد؟؟

واتسعت عيناها بذعر وهي تلطم وجهها بحسرة:

-رعاااااد.. كيف اتزووووج رعاااااد.. أنا لااريد .. لن أتزووووجه ..

تمسكت جوهرة بذراعي غزل تبعدهما عن وجهها وهي تهتف بصرامة لاتعرف من اين أتتها:

-توقفي عن البكاء .. مالذي تفعلينه بنفسك ياغزل؟! منذ متى نعارض قرار الشيخ؟! أخبريني منذ متى؟!

انتحبت متألمة وصاحت بوجع:

-ولكن هذا حرااام .. حرام ياجوهرة حرااام ماتفعلونه بي..

ضمتها الجوهرة اليها وهمست مخنوقة وهي تمسد رأسها:

-استغفري اللّه ياغزل؟! منذ متى كان الزواج حراماً.. أنت أرملة وقد انهيت عدتك منذ شهور.. ومن الطبيعي أن تعيشي حياتك..

-لاأريد .. لاأريد سوى محمد لم لاتفهموني..

انتحبت بلاتوقف فعادت الجوهرة تهمس لها:

-وماهو رعاد من محمد!! كلاهما ولدي عمك.. وسيعتني بك رعاد هو لن يسيئ اليك قط..

زاد انتحابها وتمرغت اكثر في حضن قريبتها فعادت تهمس:

-انها سنة الحياة غزل.. لازلت صغيرة ..ولن تعيشي عمرك كله تبكين المرحوم.. من حقك ان تعيشي حبيبتي..

-أنا لاأريد .. أرجوك اذهبي لجدي وقولي له بأنني لاأريد.. لن احتمل .. سأموت ان تزوجته سوف امووووت..

تبادل الجميع النظرات قبل أن تقترب أمها وتأخذها بين ذراعيها هامسة :

-لن يصيبك الا كل خير بنيتي.. جدك أعلم بحالك منا جميعاً .. تعرفين كم يحبك.. ولن يسمح لأن يصيبك مكروه.

زاد نحيبها وكأنما مايقولونه لها يؤكد بأن لايد لها باتخاذ القرار الذي صدر بلانقاش.. ليس لها سوى أن توافق مرغمة .. ليس لها ان تناقش او تعترض..

ليس لرأيها قيمة او وزن .. هكذا تربت منذ صغرها .. في مجتمع يفرض قراراته ولاسبيل للتشكيك أو الاعتراض.. أبداً..

***

لمعت شمس الغروب.. بنور برتقالي يذوي مع مياه البحر البنفسجية تحت ظلال السماء الكثيف.. هبت ريح بعثرت خصلات شعرها المتموجة والتي تساقطت كشلال عطر على كتفيها وهي تراقب الغروب بهيام .. ابتسمت وسرعان ماغابت ابتسامتها وهي تسمع الصوت الذي اقترب منها..

تنهدت بضيق وأغلقت النافذة وهي تلتفت اليه..

ابتسامته اللزجة تثير بها الغثيان كالعادة ..

-جميلتي..

اغتصبت ابتسامة وهي تستقبل قبلته المثيرة للاشمئزاز على وجنتها..

قبل ان يعاود مسيره لتلك المرأة التي جلست باسترخاء على أريكة

منجدة تطالع احدى مجلات الازياء الجديدة ..

-كيف الحال يازوجتي العزيزة..

رفعت المرأة بصرها اليه.. ثم نظرت لها وهتفت:

-اذهبي لغرفتك ناديــن ..

نقلت نادين بصرها بين أمها وزوجها المقزز قبل أن تقلب شفتيها وتغيب

خلف باب غرفتها كالعادة ..

اغلقته باحكام ثم اقتربت من المرأة تطالع وجهها .. شعرت بالغثيان

يعاودها وامتدت يدها تسحب الكثير من المناديل الورقية تمسح بها

اثر قبلته..!!

جلست متألمة من قوة الدعك الذي مارسته على خدها المسكين .. قبل

أن تبدأ بوضع زينتها كالعادة ..

كثفت من الماسكارا التي أظهرت رموشها الطويلة الكثيفة ..

ووضعت كحلاً أزرق .. عكس لون عينيها اللازورديتان وبياض بشرتها الناصعة ..

مررت الفرشاة في خصلات شعرها .. ثم أغلقت عينيها حين بدأت الأصوات تنهال..

وضعت لافرشاة بتمهل ونهضت مقتربة من الباب المغلق .. وكعادتها ألصقت أذنها بالباب كي تحصل على ماتحصل عليه في العادة ..

السباب .. الشتائم.. ثم الصراخ المتواصل والذي لم تفهم منه شيئاً .. كالعادة ..

حملت عينيها نظرة جليدية وهي تجلس على الأرض ..ملاصقة للباب تنتظر الصوت لاقادم لصفعة الباب الخارجي .. والذي أتى بعد برهة قصيرة ..

حينها فقط .. نهضت ..

فتحت بابها بحذر .. ووجدتها مكومة هناك .. تنتحب..

اقتربت منها..

رفعت امها عينيها اليها وتأملتها للحظات قبل أن تهمس:

-لقد أخذ المال.. كله..

كالعادة .. ابتسمت نادين بسخرية .. واقتربت من أمها تحيطها بذرعيها هامسة:

-لاتقلقي.. سأعيدها لك الليلة ..

مسحت أمها عينيها ونظرت لابنتها .. كانت فاتنة .. وتعرف كيف تستخدم فتنتها جيداً..

-أحضري لي سجائري..

نهضت نادين وأحضرت لها السجائر.. فتحت واحدة ومضت تدخن بشراهة قبل أن تسألها بهدوء وكأن عاصفة البكاء لم تكن قط:

-أين ستذهبين؟؟

-لاأعرف.. قال بأن نلتقي أمام المجمع التجاري..

-ستشترين شيئاً..

ابتسمت :

-وعدني بهدية .. وبصراحة أنا أشتهي خاتم الذهب ذاك ..أتذكرينه؟؟

-نعم .. لاتلعبي بالنقود..

قالتها محذرة فضحكت نادين ومضت الى غرفتها هاتفة:

-انها هدية أمي.. النقود أمرها مختلف..

دخلت غرفتها .. وأخرجت ثيابها .. ومضت تتحضر.. بكل برود وآليـة ظاهرة ..

وباطن مذعووور.. حتى الووت ..

***

كانت ألمانيا تُثلج..

وقف ينظر لندفات الثلج المتساقط بضيق.. اشتاق لشمس وطنه ..

حرارتها ودفئها.. اشتاق لرائحة البخار وقيظ الظهيرة!! تنهد وهو ينظر لساعة يده .. لقد مرت ساعة منذ أدخلوا الشيخ لاجراء القسطرة التشخيصية .. وهو لايعشق الانتظار رغم الصبـر الذي يتشربه منذ نعومة اظافره ..

التفت حال سماعه صوت باب يُفتح ليجد يوسف الشهري أخُ عمرو يقترب وعلى شفتيه ابتسامة هادئة:

-سيخرجون الشيخ في الحال كل شيء تم بخير..

حمد قحطان اللّه بصوت منخفض قبل أن يسأل:

-ماذا وجدتم؟؟

ابتسم يوسف:

-الشيخ بأحسن حال ..لم نجد مايقلق.. وسيصفون له علاج طبي فقط لاحاجة لاجراء قسطرة علاجية او استبدال شرايين ..

-الحمدللّه ..

تنهد قحطان وابتسم مربتاً على كتف يوسف:

-شكراً لك يابوسالم.. لقد أتعبتكا وأشغلناك عن عملك.

ابتسم يوسف للكنيــة التي لايناديه بها سوى أخوه عمرو وهتف بتواضع:

-لاتقل هذا ياقحطان.. لن انسى ابداً مافعلته لعمرو ووقوفك الى جوارنا في محنتنا .. ولم أفعل شيئاً يذكر..

-كفو ..

قالها قحطان بابتسامة ليضحك يوسف ويرد:

-سوف تتغدى معي اليوم.. وغداً بإمكانك الانتقال مع الشيخ الى الفندق.. سنبقيه الليلة تحت الملاحظة..

وافق قحطان وسأله:

-متى يمكننا العودة؟؟

-بعد يومين .. بإذن اللّه..

-بإذن اللّه ..سأذهب للاطمئنان على الشيخ..

-لاتنسى الغداء .. سأنتظرك في مكتبي بالاسفل لنذهب معاً ..

ابتسم قحطان ولوح له قبل ان يتقدم للغرفة التي كان جده ينام فيها على الأغطية بسكون .. اقترب منه وقبل كفه المغضنة .. ليفتح جده عينيه ويبتسم:

-بارك اللّه فيك يابني..

-حمدالله على سلامتك..

-متى نعود للبلدة..

ضحك قحطان وجلس أمام سرير جده:

-لاتسأل.. عليك ان ترتاح وتنام..

-لاأستطيع.. النوم يجافيني الا على فراشي..

ابتسم قحطان ونهض يناول الشيخ القرآن الكريم من حقيبته وقال:

-تونس بالقراءة ريثما اعود .. سأذهب مع ابن الشهري للغداء..

اومأ له الشيخ فتراجع قحطان للباب حيث استوقفه صوته شيخه متسائلاً:

-ألاتنوي الاتصال به؟؟

التفت اليه قحطان ببطء ونظر للشيخ الذي اعتاد أن يقف كجبل لاتهزه الأشياء والأحداث.. دفن ابنه وحفيده .. وغيرهم ولايزال شامخاً لاتهزه المصائب .. عدا واحدة فقط..

-أترغب أن أتصل به؟؟

خفض الشيخ عينيه الغارقتين بالحزن .. فتنهد قحطان واقترب منه .. قبل قمة رأسه وهمس:

-سأخبره ياجدي.. من اجلك انت ..

لم يرى يوماً جده بهذا الضعف.. حتى حين مات والده هو كان جده صلباً .. قوياً .. وحين توفي محمد .. جده كان صامتاً مصابراً .. كان لايعترض على قضاء اللّه .. ولكن.. في مايخص ذاك البعيد؟؟!!

-اتصل به بني..

كان يعرف بأن جده يخشى الموت.. يخشى الرحيل دون رؤية ابنه.. بعد سنوات .. وسنوات من الانقطاع والفرقة.

وافق بهزة من رأسه وغادر..

وقف مطولاً خلف الباب .. يفكر بطريقة للتواصل مع ذاك المسافر البعيد .. سنوات مضت .. سنوات لم تنكسر هامة الشيخ العتيق ولم يحن الى من هجره وعصاه .. ولكن ؟؟

لايقدر على الصبر.. الان يشعر بأن وقته صار معدوماً .. ولم يعد لديه ماكان..

الأن بدأت خياراته بالنفاذ..

لم يكن من السهل على قحطان التنازل .. ولكن من أجل جده كان مستعداً .. لأن يذهب لأبعد الحدود..!!

تنهد وأمسك بهاتفه ..

***

اتسعت عينا سالم العزب بذهول..

اكتسحه عرق بارد تصببه وسبب بدوران كل ماحوله .. وقف كالبلهاء امام ذاك الشاب المغرور الذي واجهه بكل وقاحة .. تيبست أصابعه وهي تنغرس في بطانة كرسيه الجلدي الفاخر .. وعيناه لاتفارقان ملامح الشاب العابثة وهو يلقي قنبلته عليه بلارحمة..

ماألمحت اليه زوجته قبل ايام هاهو يتفجر امامه بكل وقاحة ..

-مالذي تقوله؟؟!!

ابتسم عبدالعزيز بخبث .. اقترب من مكتبه ووضع قبعة سيادة ونظارتها وهو يهمس:

-ماسمعتني سيد سالم .. أخبرتك بأن زواجي من سيادة سوف يتم في القريب العاجل والا أنت من سيركض خلفي اذا تأخرت؟؟

نظر سالم للحاجيات بذهول وتعرف بسهولة على حرف ال S المطرز على طرف القبعة والمحفور على النظارة والتي تشيران لابنته بلاريب حيث اعتادت على فعلها لكل ملابسها ومقتنياتها ..

-كما أخبرتك .. سيادة تركت هذا خلفها حين كانت معي .. وجئت أعيدها ..

نظر له بحقد .. ابتسامته الماكرة تحرقه .. تجعله يكتوي بنار لايمكن لأحد أن يطفئها..

-أيها الحقير..

-عمااااه

صاح عبدالعزيز بوقاحة وهويرفع أصبعه محذراً ..

-لاتتجاوز حدودك مع صهرك المقبل..

-انت لن تكون ابداً..

همس بشحوب فضحك عبدالعزيز وأشار بيديه:

-لابأس.. استمر برفضك .. حتى تواجه الأمر الواقع بأن سيادة لايمكن أن تتزوج سواي..

واقترب من المكتب يستند عليه بكفيه قائلاً بخبث:

-والا فإنك ستواجه الفضيحة والخزي طول عمرك يابـن الشيوخ..

تحجرت غصة في حلقه وكادت تخنقه وعبدالعزيز يواصل بتشفي:

-متى ستفهم بأنني وابنتك عشيقان يارجل.. وانني أسديك خدمة يجب أن تقبل قدماي عليها لأسترعارك..

-أخررج ..

زمجر سالم بغضب .. بجنون وقد كاد يقفز عليه وينهيه من الوجود ..

تراجع عبدالعزيز ونظر لسالم بتوتر.. يكاد يقتله لصلابة رأسه وعدم انصياعه.. ولكنه قال بهدوء:

-سأمهلك بضعة ايام فقط.. وبعدها.. سأسحب عرضي وللأبد..يوم سعيد عماه..

تهالك سالم على الكرسي بعد خروج الرجل .. كفيه على رأسه يكاد يغرق بالبكاء من فرط بؤسه .. كيف سمح بهذا؟! كيف لم يرى مايحدث امامه ؟! كيف أفلت زمام الامور حتى باتت شعواء.. مدمرة .. كيف ترك ابنته تضيع وتنهشها الذئاب.. كيـف؟!!!

آآآه .. صرخ بألم ..وأغرق وجهه بين كفيه وجسده كله ينتفض ..

لايصدق الرعب الذي يعيش فيه حالياً .. يكاد يبكي .. ابنتـــه .. ابنته سيادة ؟؟!!

نهض بجنون .. يدور حول المكتب بلاتوقف ..

كل باطنه .. قلبه وعروقه تنتفض ليذهب اليها ويقتل عاره بيديه..

ويعود عقله الذي جره الى كل ماهو فيه الأن .. يلجمه ويقيده..

لم يعد يرى سوى السواد .. كل شيء أمامه أسود .. غارق في الرذيلة

.. عاااار.. كيف يتخلص منه كيـــف؟؟؟

سمع هاتفه يرن وقتها..

اندفع يريد رميه بعيداً .. ليتسمر عند رؤيته الرقم .. واسم أحد اقرب أصدقاءه ..

فتح الخط بارتباك وصوت مرتجف:

-السلام عليكم ..

أغمض عينيه وهو يسمع الصوت الحار والترحيب الذي افتقده لعدة اشهر بعد أن عاد رفيقه الى اليمن وتركه وحده هنا في باريس..وتبادل معه بعض الأخبار .. قبل أن يتنحنح صديقه ويقول بخفوت:

-لدي رسالة لك..

عقد سالم حاجبيه بتوتر قبل ان تتسعا عيناه بذهول والرجل يقول:

-الشيخ يريد أن يراك..

***

نزع قحطان المعطف الثقيل الذي ارتداه للخروج من المشفى واقترب يحيي الشيخ الذي استقبله بابتسامة وهو يقول:

-أين ذهبت الأن؟! لم يبزغ الفجر بعد.

-أتممت حجز الطائرة لمغادرتنا بعد غد ..وصليت الفجر في مسجد ..

-الحمدلله (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لم اعد أطيق البرد..

-جدي بالله عليك .. غرفتك مكيفة ودافئة ..

ضحك قحطان معلقاً فهز الشيخ رأسه بأسى وهمس:

-ليست حارة .. أريد منزلي ..

-لابأس عليك.. سنغادر قريباً..

-جيد .. أريد اتمام زواج رعاد بغزل..

ثم التفت لحفيده وسأله:

-وأنت.. ألاتنتوي الزواج؟!

رفع قحطان حاجبه وتسللت ابتسامة الى شفتيه:

-ألديك عروس لي؟؟

ضحك جده وهمس:

-جدتك تخبئ لك عروساً لن تقدر على رفضها.

قهقه قحطان واتسعت ابتسامته:

-ومن أنا لأعارض جدتي الحكيمة .. المهم أن ترضى امي بها..

-امك راضية .. بل هي من ساعدت جدتك بالاختيار.. هما فقط بانتظار الوقت المناسب لابلاغك..

رفع قحطان ذراعيه وقال مبتسماً بهدوء وكأنه يناقش قضية تافهة لاتعنيه بشيء وليس المرأة التي سيتزوج:

-سأحدث جدتي حال وصولنا .. مارأيك..

نظر له جده بعاطفة:

-أنت تريد ارضاء شيخك العجوز بكل الطرق الممكنة .. حتى انك وافقت على زواجك الذي ظللت تؤجله لسنوات.. هل أخبروك بموتي الوشيك أم ماذا ياولد؟؟

اقترب منه قحطان وقبل جبينه:

-الموت والحياة بيد اللّه وحدة ياشيخ .. أم تنسى كلماتك.. أنا فقط أريد رضاك ورضى جدتي.. ولاتنسى أمي.

ابتسم له الشيخ ودعا له برضا اللّه والجنة فابتسم قحطان وهمس:

-هل لي أن أعرف من تكون تعيسة الحظ؟؟

ضحك جده مجيباً:

-أصغر بنات آل المدكر..

ضاقت حدقتا قحطان وهمس:

-أليست صغيرة علي جدي؟؟

-انها بعمر سلمى.. ليست صغيرة ابداً..

شعر ببعض الضيق.. لن ينكر.. ولكنه تجاوز عن الأمر وهو يفكر..

هي أو سواها .. سيكون الأمر سيَّان..

وافق جده بايماءة من رأسه ثم نهض و توجه لباب الغرفة:

-سأحضر لي بعض القهوة .. أترغب بشيء؟؟

هز الشيخ رأسه نافياً فتوجه قحطان للخارج ليتوقف فجأة وهو ينظر للرجل الغريب..

طويل القامة نحيلها .. بدلته الأنيقة تجعدت وكأنما يرتديها لفترة طويلة .. ملامح وجهه السمراء كانت غريبة .. مليئة بالحزن والبؤس تعكس لمعان عينيه القوي حال رؤيته له..

شعره الفاحم السواد والذي غطى الشيب فوديه جعلاه يدرك بأنه امام رجل ذو مكانة لابأس بها..

-هل أخدمك بشيء؟؟

قالها بالانجليزية لجهله الألمانية ولكنه ادرك بأن الرجل لن يرد عليه الا بالعربية ..

-أنت.. قحطان؟؟!!

قالها الرجل بصوت مهزوز وبلغة عربية سليمة جعلت قحطان يقترب منه ويسأله بخشونة:

-ومن تكون انت؟؟

نظر الرجل الاكبر سناً له بفخر.. رفع يديه ليربت على كتفيه .. كان قحطان يفوقه طولاً ببضعة سنتيمترات جعلته يرفع رأسه لينظر في عينيه ويهمس:

-انت كلك .. لأبيك رحمه اللّه.. تشبهه وتشبه الشيخ .. كأنك هو..

لمح الادراك فجأة في عينيه..

طافت عيناه بملامح الرجل للحظة قبل أن يتسائل بخشونة:

-أنت سالم العزب؟؟!!

اغروقت عينا سالم بالدموع رغماً عنه .. كروح تائهة لسنوات وجدت ضالتها.. اقترب من قحطان يغمره بين ذراعيه بقوة وهو يهتف:

-انا هو عمك يارجل.. انا هو..

تصلب قحطان للحظة وهو متفاجئ من ردة فعل الرجل الذي فعلياً أجهش بالبكاء.. اتسعت عيناه وأمسك كتفي عمه بقوة وهو يهتف بحزم:

-تمالك نفسك يارجل.. توقف عن البكاء كالنساء.

تراجع سالم ونظر من خلف ستار دموعه للرجل الشاب الذي يقف كجبل شامخ أمام ضعفه وتردده:

-أنت.. مثله تماماً ..أنت كجدك في كل شيء..

-متى علمت؟؟

تسائل قحطان فرد عمه :

-اتصل بي قاسم الشاطر ليلة امس.. لم أقدر على الصبر أخذت الطائرة وجئت مباشرة..

تنهد قحطان وتراجع ليفسح له المجال ليتمالك نفسه .. نظر له ملياً وسالم يسأله:

-كيف حال ابي؟؟

-ألا تعتقد أن السؤال جاء متاخراً سنوات عديدة..

-لن تحاسبني انت الأخر بني..

غمغم سالم بقهر.. فتنهد قحطان وقال بصرامة:

-اسمعني جيداً ياعم.. لولا أن جدي طلب رؤيتك بنفسه لما تكلفت عناء البحث عن عنوانك ولاكلفت أحد بالاتصال بك..

-أهو بخير؟؟

تسائل عمه بشحوب فغمغم قحطان بأسى:

-لقد شاخ.. وهو متعب ولايعرف متى سيموت..

واقترب منه يقول بحدة:

-انها فرصتك الأخيرة لتنال رضاه بعد غضبه عليك طيلة تلك السنوات..

نظر سالم للباب بحسرة ..

-أهو مستيقظ؟؟

-نعم .. هو لاينام بعد الفجر ابداً..

-صحيح..

ردد بشرود .. ثم همس:

-أريـد أن أراه..

أشار له قحطان بالدخول .. وتمتم:

-سأبقى خارجاً ..

تردد سالم للحظات .. ابتلع ريقـه ثم بسمل بصوت مرتفع وفتح الباب..

رفع الشيخ عينيه عن المصحف بين يديه وهو يستغرب من عودة قحطان السريعة ..

ولكن عينيه رمشتا باستغراب وهو يرى الظل الغريب الذي توقف متسمراً على الباب..لم يكن لطبيب او ممرض.. فلم يكن يرتدي الابيض او السماوي المميز .. كان يرتدي بدلة سوداء..

بيدين مرتجفتين أنزل نظارات القراءة التي يستخدمها لتتوضح الصورة قليلاً امامه وتنكشف الملامح الحبيبة التي اشتاااق لها لسنوات ..

اهتزت يداه حتى انه اوقع نظارته وهو يحاول الاعتدال بسرعة :

-سااالم؟؟!!!

اندفع سالم العزب بقوة للداخل .. دموعه تغرقه بلامداراة .. انكب على كفي أبيه .. يقبلهما بلاتوقف.. قمة رأسه.. كتفيه .. حتى قدميه ..

-ابي.. اشتقت اليك ابي.. اشتقت اليك..

كان والده يحارب يديه ويجاهد ليضمه اليه وهو يقول بصوت اختنق بالمشاعر:

-تعال الى ابيك بني.. تعال الي ياولدي..

التجئ سالم لحضن ابيه .. عانقه بقوة وهو يهمس:

-اشتقت لك ياشيخ.. اشتقت لرائحتك..

تماسك الجد وهو يضم جسد ولده النحيل بعد انقطاع دام سنوات طويلة .. قطيعة لم يظن احد قط أنها ستنتهي وتعود المياه لمجاريها.

أبعده عنه ينظر لوجهه الذي كبر لسنوات منذ رأه لأخر مرة.. النظرة الشقية الناعمة في عينيه تحولت لنظرة سوداء بائسة تعرف عليها بسهولة .. شعره الفاحم اصبح أشيباً ..

عاد يضمه وهو ينهل منه لشوق استمر لوقت طويل .. والأخر بالمثل ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

عاد بعد مرور أكثر من ساعة ..

كان يعرف احتياجهما لوقت طويل حتى يستعيدا ماافسدته السنوات ..

عمه الذي بعد دراسته للعلوم السياسية والتحاقه بسفارة في الخارج .. رفض أمر الجد بالزواج من ابنة عمه .. وتزوج من امرأة فرنسية .. لاأحد يعرف اصلها .. لاتمت لدينه بصلة .. حينها أعلن الجد أن سالم العزب انتهى.. وأنه حتى يترك تلك المرأة ويعود لأرضه وابنة عمه .. فهو ميت بالنسبة للجميع ولاأحد يذكره..

ولم يعد سالم.. رضي البقاء منفياً من عائلتــه.. وان كانت تصلهم بعض الاخبار عنه من بعض المسافرين.. حاول الكثيرون اعادة الامور لمجاريها بين الأب وابنه..

ولكن الشيخ كان عنيداً .. صلباً .. قاسياً..

رفض كل محاولات ابنه للتقرب منه .. رفضها كلها حتى اعتاد البعد ..

ولكن .. لابد ان خوفه من الموت وهو لايزال غاضباً على ابنه الوحيد .. كانت تؤلمه وتؤذيه..

طرق الباب .. وسمع جده يسمح له بالدخول..

كان الشيخ يجلس على طرف الفراش وسالم ابنه الى جواره ..

يتمسك بيده ..

رفع اليه الشيخ عينيه وقال بابتسامة مرتجفة:

-تعال .. اقترب وانظر من عاد ..

ابتسم قحطان للنبرة المشروخة من فرط السعادة والتي غلفت صوت

جده وهو يحيط بكتفي ولده ..

-حياه اللّه ياشيخ.. عاد لجذوره أخيراً ..

حملت عينا سالم بؤس العالم وهو يتخيل لوهلة ماستكون ردة فعل

أبيه وعائلته وهذا الأسد الواقف كمارد اذا ماعرفوا عاره القادم ..

عرف بأن كل هذا سينتهي.. هذا الحنان .. هذا الاحتواء من عائلته ..

كله سيختفي..

ابتلع مرارته مع غصة خنقته وهو يهمس:

-اريد العودة .. ولكن .. مستحيل ..

رفت عينا الشيخ بحزن .. في حين تدخل قحطان:

-لانعني عودتك للبلدة عماه .. يكفي أن تعود كفرد من العائلة .. حتى

وان بقيت بعيداً ..

خفض العم عينيه بانكسار.. رآه قحطان بوضوح .. ولم يفهمه قط ..

هناك شيء يثقل كاهليه.. شيء يجر شموخه وعزته ويمرغها في الارض؟؟!!

اقترب من عمه وهمس له:

-لم لاانترك الشيخ يرتاح قليلاً .. تعال معي عماه سأدعوك للافطار..

نظر له عمه لوهلة وعرف بأن هناك كلام في عينيه لايقدر على البوح به امام ابيه لذا نهض وقبل رأسه هامساً:

-حان الوقت لاتعرف على ابن اخي يابي سأعود لرؤيتك بع ان تأخذ قسطاً من الراحة.

اومأ له الشيخ ليغادر مع قحطان بصمت والذي قاده الى المقهى المرفق بالمستشفى حيث طلب لهما القهوة وبعض الفطائر المحلاة راقب قحطان عمه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كاد يتركه برفقة جده ولكن شيء ماظهر في عينيه نظرة مليئة بالذنب والحزن شعر بها قحطان لذا كان عليه ان يجره بعيدا قال له بصرامة:

-لن اسمح لك بايذاء الشيخ مجددا..

رفع سالم عينيه لابن اخيه وهالته تلك القوة الشرسة التي تنبعث من عينيه:

-ماذا تعني بني.

-ماسمعتني اقوله.

زمجر قحطان واضاف بحدة:

-رأيته في عينيك انت تهدف الى احباطه انت تعرف بانك ستؤذيه مجددا وانا لن اسمح لك.

اتسعت عينا عمه وهو يراقب القوة التي تنضخ من عينيه وتضربه بكل قوة:

-انت مثله تماماً

همس بتخاذل ليضيف:

-انت مثل ابيك ومثل ماكان ابي قبلاً..

شعت نظرات القوة من عيني قحطان وعمه يخفض بصره ويهمس بتخاذل:

-لن يكون الامر بيدي لو بقيت فساؤذيه اكثر..

-لا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هدر قحطان بقوة ليسرع عمه بيأس:

-بقائي لن يكون جيداً سيتأذى والدي اكثر..

-هويحتاج اليك لم يبقى الكثير في عمره .. انه يعرف بانه لن يعيش لسنوات قادمة ويريدك ان تكون هنا معه يريدك كي يستند عليك.

-انت تكفي.. وتزيد.

قالها بضعف ليخبط قحطان الطاولة بحدة لفتت انظار الجميع وهو يصرخ:

-انت مختلف انت ولده الذي حُرم منه لسنوات لايعوضك شيء عمي.

خفض عمه رأسه بألم وهمس:

-انا وعائلتي سنجلب العار لابي..

-كل شيئ قابل للإصلاح ..

أصـر قحطان وعيناه تشعان بغضب من تخاذل هذا الرجل الذي يقترن اسمه بآل العزب ..

-لايوجد أشد قسوة من أن تتركه الأن.. انه يريدك ويريد عائلتك .. حتى وان كانت غريبة عنا .. اتصاله بك يعني بأنه قد غفر لك ماحدث .. انها فرصتك الأن عمي.. لاتتركها تنفذ من بين يديك..

رفع له عينين متخاذلتين .. مكسورتين وهمس:

-العار .. لايمكن اصلاحه.

عقد قحطان حاجبيه.. وانتظر أن يكمل ليهمس عمه:

-ابنتي.. ستتزوج..

أخذ قحطان نفساً .. ثم قال حين طال صمت الأخر:

-زواج ابنتك سيفرح به جدي.. لما القلق..

أغمض عينيه ومرغ وجهه بين كفيه هامساً:

-انتي .. ستتزوج رجل من آل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

عم الصمت على الطاولة للحظات .. قبل أن تتعالى ضحكات ساخرة جعلت سالم يجفل وينظر لإبن أخيه بتوتر .. ضحك قحطان طويلاً وكأنما هم وانزاح من أعماقه ..

-من المستحيل أن تتزوج ابنة آل العزب برجل من اولئك ..

ثم مال نحوه وقال بهدوء:

-لاتقلق عماه .. ارفض لازواج وسأزوجها لأخي علي.. انه طبيب..

ولايمكن أن ترفضه أي فتاة.

عض عمه شفتيه بندم .. أغمض عينيه متأوهاً وهمس:

-ليت كان الأمر بهذه السهولة ..

عقد قحطان حاجبيه وسأل بخشونة:

-ماذا تعني؟! أترفض زواج ابنتك بأخـــي.. !!

رفع له عمه عينين محتقنتين بالدموع وهمس:

-ابنتي..

اختنقت الكلمات بالعبرات .. كان صعباً عليه أن يقولها ..

بالذات لهذا الفتى .. كان يموت ولايجسر على اخراج مابداخله ..

ولكن (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

شيئ ما .. شيئ ما في عينيه .. يجعلك تخرج بكل شيء بداخلك

وكأنك ترميه في قعر بئر مظلم ..

-ابنتي.. أخطأت..

وتصلبت شفتاه .. احشرت الكلمات في حلقه وهو يرى تلك الغيوم

السوداء التي عصفت من عيني قحطان.. ذلك الطيف الشرير الذي

سكن ملامح وجهه .. تلك الشيطانية التي تسربت الى أوردته

وشعت بين مسامات جلده .. وجعلته هو .. عمه.. يصمت ويبتلع باقي

عبارته في حلقه .. ويتسمر ناظراً للفتى برعب..

لايصدق مايسمع..

ابنة عمه؟؟!! ابنــة عمه مرغت اسم عائلتها في التــراب؟؟!!

نااار..

وليست اي نار تلك التي استعرت بين جنباته وأحرقت كل مابداخله ..

أراد فقط أن ينفث النار التي تصارعت بداخله .. يحرق الجميع ..

استعرت الرؤيا أمامه .. حتى عمه تضائل امام جبل غضبه وأصبح هدفاً لقهره الذي تسرب اليه..

كيف لفتاة من عائلته أن تخطئ.. كيف لها ان تعيش لحظة واحدة بعد أن مرغت اسم عائلتها في الوحل..

من بين شفتين مطبقتين سأل بصوت أشبه بصليل السيوف:

-مع ذلك الرجل؟؟

اومأ عمه برعب .. لاتزال النظرة الشيطانية تتسلل عبر جفنيه ونبرته الهادرة تزمجر بلاتوقف:

-وهو يريد أن يتزوجها أم أن عليك أن تتوسله؟؟

سقطت الكلمات عليه كرجم الحجارة .. خفض بصره وهمس بمرارة:

-هو يريد الزواج بها وأنا.. لا أقدر على الرفض..

-سترفض ابن(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

شتمه بقذارة جعلت عمه ينتفض ..ويحدق به بذهول وهو يواصل بشراسه:

-سترفضه وترميه خارج منزلك كالكلاب .. أتفهم؟؟!!

-و.. و..ابنتي؟؟!!

قست عينا قحطان .. كرخام بارد انسلت كلماته تصيب عمه في مقتل:

-اذا لم تقدر انت على ذبحها بيديك ودفنها مع عارها في التراب..

واقترب يهمس بصوت كحد السيف:

-فأنا سأفعل .. ولاتظن لوهلة واحدة بأني سأتردد.. سأقتلها وأقتل ابن السلاطين الملعون ذاك بيدي عماه .. وأغسل عار عائلتي الذي جلبته لنا ..

تهالك عمه على مقعده .. عيناه تدوران في محجريهما .. ينظر لقحطان .. يعرف تلك النظرة.. ويدرك بانه ولتوه وقع شهادة رسمية .. لمقتل ابنته الوحيـدة .. سيادة العزب.. وبلارحمة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

نهاية الفصل

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الثالث

حين نرتفع نحو القمة بسرعة ..

نعتلي بلالمحة الى الوراء..

حينها سيكون السقوط .. مدوياً..

***

لم يتصور سالم العزب ولا في أكثر أحلامه قتامة أن يحدث له ماحدث.. أن يسمع بنفسه تصريحاً بقتل ابنته كخاطئة مجرمة وتستحق الموت على ماأجرمته بحق عائلتها وقبيلتها كلها..

شعر حينها بضيق يكتم أنفاسه .. اسودت الدنيا أمامه وبات لايقدر حتى على التنفس..

تسارعت أنفاسه وتعرق جبينه .. ارتجفت يداه وهو يهمس بضراعة:

-ليست هي المخطأة..

لم تتحرك النظرة السوداء في عيني ابن أخيه .. لم تتغير ولم تهتز ..

فاستمر يستجدي بصوت خافت:

-أنا كنت السبب.. أنا ابتعدت عنهما هي وشقيقها.. تركتها لأمها الفرنسية بالكامل .. ليس ذنبها أنني أهملتها..

-هذا لايعني أي شيء بالنسبة لي..

قالها ببرود جمد الرجل أمامه وواصل :

-ابنتك انتهت من عائلة العزب .. وعارها لن يمحيه سوى الدم..

بكى..

تسللت الدموع لعينيه وانسابت على خده وهو يرى صورة ابنته الجميلة الناعمة غارقة في الدماء ومدفونة وسط التراب كجيفة لاتسوى..

-أرجوك .. أرجوك بنـي..

-لاتتوسـل..

زجره قحطان بشده لينتفض العم بضعف .. نهض من مكانه وهتف بقوة:

-سأعود بالشيخ للبلدة .. وأتي اليك بنفسي لانهي الأمر ..

-قحطاااان ..

ناشده مترجياً .. ولكن قحطان كان قد ترك مكانه تركه وتوجه بخطوات حازمة يغذيها الغضب عائداً لغرفة جده .. امرأة خاطئة ..

وزواج من أحد اولئك الملاعيـن ؟؟!!

كيف لهذا أن يحدث مع شيخ العزب؟؟

كيف؟؟

تجاهل مناداة عمه الضعيفة اليه .. يكره الضعف.. يكره الاستجداء..

لم يُخلق من يستحق الترجي .. لم يُخلق من يستحق الرجاء .. لاأحد سوى رب العالمين ..

لايوجد بشر يستحق أن يعيش بعد أن يمرغ سمعة عائلته في التراب.. يجب ان يدفن مع عاره وابنة عمه تلك ليست استثناء ابداً ..

كان يغلي من الغضب .. وضعف عمه يزيد من غضبه اضعافاً .. وأضعاف..

فتح باب غرفة الشيخ ليجد تلك الابتسامة التي أربكته ..

لم يره يبتسم هكذا منذ وفاة شقيقه الصغير..

تصلب على الباب وهو يسمع صوت الشيخ المنشرح:

-أين هو عمك بني.. لم اشبع بعد من رؤيته..

أغلق الباب خلفه بحزم واقترب من جده .. يريد ان يخبره .. ليس هو من تخفى عنه هكذا أمور.. ولكن ..

رفع الشيخ عينين براقتين .. عينين اختفى منهما حزن وضيم أيام سابقة لم تزل أثارها واضحة على وجهه .. همس له:

-سيأتي..

اتسعت ابتسامة الشيخ وقال بصوت تجلت فيه الراحة والأمل:

-سيعود الى البلدة معي.. ثم سيأتي بولديه.. أتصدق .. لديه ابن..

وطفلة عنيدة كما قال عنها..

عقد قحطان حاجبيه بقوة ولم يعلق..والشيخ يواصل بحماس:

-سأذبح الذبائح لهم .. ساوزع الطعام على كل البلدة من أفقرها

لأغناها طيلة اسبوع كامل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد

قائد). سأقيم احتفالاً بعودته الينا .. سنقيم احتفالات متواصلة لمدة

شهر .. وصوله .. زواجك أنت ورعاد.. كل هذا ..

-ياشييخ..

تدخل قحطان بقلق وهو يرى حماس الشيخ المتقد ..وضغط على

كتفه هامساً:

-تعرف بأن الانفعال ضار بالنسبة اليك..

-كلـه بأمر اللّه بني..

قالها الرجل بابتسامة بدت وكأنها لايمكن أن تفارق شفتيه..

فأشاح قحطان بوجهه عنه وهو يفكر كيف له أن يقول له مايريد..

كيف له أن يأخذ اذنه بالتخلص من عاره .. سيموت وقتها بين يديه

!!مضى يدور حول الغرفة .. كأسد محبوس لايقدر على الزأر

بمايجيش في صدره .. لايريد أن يكسر فرحة شيخه .. ولايجرؤ على ترك ثأره وعاره يفلت من بين يديه ..

كتف ذراعيه واستند على حافة النافذة ينظر لبرلين المغطاة بضباب صباحي منعش.. لم يزده الا قتامة من الداخل .. عليه أن يفكر ملياً بالأمر .. عليه أن يخرج من هذا المأزق .. عاود النظر لجده الذي أسند رأسه للوسائد ويبدو انه غرق في النوم .. فتنهد ماسحاً وجهه بكفيه بحيرة ..

هناك الكثير من الأمور عليه معرفتها من عمه .. عليه معرفة ماحدث وكيف ومتى؟!

شعر بالقرف يملؤه .. من الوريد للوريد .. أراد أن يضع يديه عليها .. تلك التي لوثت سمعتهم كلهم .. أراد سحق وجهها والضغط على عنقها حتى يخنق روحها بيديه..

أغلق عينيه بصبر .. تلك العاهرة الصغيرة ستموت على يديه..

صمم بضمير أُغلقت أبوابه .. لايهمه ماسيحدث .. فليقولوا للشيخ أي شيء.. فليقولوا له بأنها قضت في حادث أو غيره .. مايهمه هو أن يتخلص من عارها وللأبد..

والأدهى من ذلك كله.. زواجها المنتظر من ذاك الوغد .. ابن المجرمين ذاك ..كيف يفكر عمه بقبول أحدهم زوجاً لابنتـه .. بعد مافعل !! بعد أن أذلها ومرغ كرامتها واستولى على أغلى ماتملكه.. داس شرفها أرضاً وأعلن بكل وقاحة بأنه يريد اصلاح مافعل؟؟!!

تنهد بغضب هادر.. لم يقدر على الوقوف .. عاجزاً بلاحول ولاقوة.. سارع للخارج .. يريد فقط أن يتحرك .. أن يمضي بعيداً عن شعوره بالاختناق,,

وجد عمه يجلس في مقعد بالقرب من الغرفة .. اقترب منه ووقف أمامه ..

-يجب أن تخبرني بكل شيء..

رفع عمه نظراته المكسورة لقحطان .. وصفعته تلك النظرات بعنف .. كرهها وكره الضعف والهوان فيها .. انحنى يقبض على كتفي عمه ويوقفه بقوة وهو يزمجر:

-هل نظرت لابن السلاطين هكذا؟؟ هل جعلته يرى ضعفك عماه ..؟؟

هل كسرت قوة آل العزب بكل سهولة؟؟

هز عمه رأسه نافيـاً وهمس :

-أنا لم اوافق.. صدقني أنا لم أوافق على زواجها به..

شعت عينا قحطان بالكره وهو يتمتم:

-ولن توافق أتفهم ..

تركه ليعاود عمه السقوط على مقعده بانهاك هامساً:

-أنا لم أفعلها بني.. ولن أفعل مايمرغ سمعة عائلتي أكثر.. لن اتوسل عبدالعزيز ليستر على ابنتي .. لن أسبب الذُل لوالدي ابداً ..

تنهد قحطان بارتياح .. يبدو أن عمه قد بدأ يعود لعقله .. وهذا يسهل الأمور..

ولكن (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كان مخطئاً .. فسالم لم يقوى .. لم يقوى أن يترك ابنته فريسة للظلم ..

رفع عينين مكسوتين بالدموع ..جعلتا قحطان يرتد بعنف وعمه يلتقط كفه بين يديه ويهمس بضراعة :

-ولكنني سأتوسلك انت بني.. أتوسل اليك .. أرحم ابنتي.. لاتؤذها..

ارجووووك قحطان لاتؤذي ابنتي.

نظر قحطان لعمه بذهول.. لم يرى قط في حياته رجل من آل العزب يتوسل .. يترجى ..

لم يقدر على السيطرة على نفسه .. سحب يده بعنف وصرخ به:

-لاتفعل هذا ..

ولكن عمه كان مصراً .. عاود القبض على كفه .. بل وركع امامه

يقبل كفه بذُل:

-لا لا ..ارجوك بني.. اتوسل اليك أن تستر ابنتي.. أرجوك ألا تجعلني

سبب قهر شيخنا مجدداً .. أرجوك لاتفعل..أرجوك..

-انهضضضض..

صرخ قحطان بغضب حقيقي وهو يمسك عمه بقوة وينهضه بالرغم

عنه .. نظر لعينيه الباكيتين وصرخ بوجهه بصدمة:

-لماذا أنت ضعيف هكذا.. ؟! لماذا تتصرف بكل هذا العجز؟!

خفض عمه راسه وغمغم بانكسار:

-ابنتي.. ابنتي كسرت هامتي..

-وسأكسر عنقها لفعلتها..

رد قحطان بغضب فشهق الرجل الأكبر سناً بالبكاء.. كالأطفال ..

ليناظره قحطان بصدمة أكبر..

لم يعهد رجلاً يبكي هكذا ابداً ..

ليس من اجل أحد .. ليس من اجل رجل أخر.. ليس من أجل ابنه ..

وليس من اجل امرأة .. أي امرأة حتى لوكانت ابنته الوحيـدة ..

-لاتوجد من تستحق دموع شيخ من آآل العزب ياعمي..

رفع الرجل رأسه وهمس مخنوقاً:

-ليست أي أحد .. انها ابنتي .. انها سيادة العزب..

عقد قحطان حاجبيه وهو يسمع الاسم .. الاسم الذي حُرم على بنات قبيلته كلهن بأمر من الشيخ العزب الأكبر.. جد والده .. لأنه كان اسم زوجته التي توفيت صغيرة السن بعد انجابها للشيخ قحطان .. لم يجرؤ احد أن ينجب سيادة اخرى .. ولكن عمه فعل .. وليته لم يفعل.. ليته لم يفعل!!

أشاح بوجهه وهمس بمرارة:

-سيادتك مرغت اسم عائلتها في التراب..وهي حتى لاتستحق اسمها ..

-سيادة تستحق اسمها .. كانت منذ صغرها سيدة لايمكن أن تضاهيها امرأة .. ولكن ذلك الوغد .. هو من أفسدها ..

سخر قحطان بحركة من يده فهمس له عمه:

-لم أتوسل أحد من قبل ياقحطان .. ولن افعل لأي كان سواك أنت بني.. ابنتي هي لك منذ الأن .. أنا أعطيك اياها .. افعل ماتشاء بها .. ولكن أتوسلك .. أتوسلك ألا تؤذها ..

-أنا لاأريــد ابنتك ..

قالها وكأنما يبصقها بقرف .. احمر وجهه وهو يهتف:

-ليس قحطان العزب من يأخذ فضلات رجل سواه.. أتفهم.. تلك المرأة خرجت من ذمتي ومن ذمة كل رجل في عائلتنا .. ليس لها مكان سوى النبذ .. أو الموت ..

وقبل أن يعارضه عمه كان يمضي بعيداً ..

دبيب خطواته الغاضبة تحاول أن تتغلب على هيجان مشاعره التي غلت بين خلايا عقله بلهيب .. عله ينسى ولو لحظة تلك التي سيطرت على فكره بسهولة لم يرى في أسوأ كوابيسه امرأة قد تفعلها .. كما فعلتها سيــادتها .. بكل بساطة .. وقوة .. ومن قبل حتى أن يلتقيــها ..!!

***

رمت سيــادة تلك المجلة النسائية التي تتصفحها ونهضت الى النافذة التي تعكس ضياء الشمس ولاتسمح لها بالنفاذ الى غرفتها .. لم تنم طيــلة الليل.. وقد رأت شروق الشمس وقد أضحت الساعة تقارب لاظهيرة ولاتزل مستيقظة ..

دعكت جبينها بقوة .. تريد التخلص من الصداع الذي استحكم رأسها .. قلبها مقبوض منذ البارحة .. ولاتعرف السبب .. تشعر بالاختناق واحساس لايوصف وكأنما .. وكأنما ..

آآآه ..

تأوهت وابتعدت عن النافذة تغرق نفسها في حرير فراشها ..

وكأنما تنتظر حدوث شيء.. !!

تعلقت عينيها بسقف حجرتها .. وتأففت .. تكره هذا الاحساس بالخطر الذي لطالما شعرت به كلما اقتربت منها احدى المصائب.. لن تنسى ابداً نوبة البكاء التي انتابتها قبل أن تتعرض لذلك الحادث قبل خمس سنوات والذي بسببه اضطرت لارتداء الجبيرة لمدة شهرين كاملين .. ولاتلك المرة حين انقبض قلبها لأيام واختفت بعده قطتها ولم ترها بعدها ابداً .. ومنذ ذلك اليوم وهي لاترغب بمطلق حيوان أليف بالقرب منها لخشيتها الابتعاد عنه .. كل هذا .. وأكثر ..

تنهدت ووضعت يديها على قلبها تهدئ من خفقاته المروعة وأغمضت عينيها هامسة:

-لاتقلقـي سيادة .. لاشيء يمكن أن يسوءك .. لاشيء .

غرقت بعدها في الهـدوء.. تحاول أن تجد للنوم سبيلاً ولكن بلافائدة..

تنهدت بضيق بعد دقائق وجلست على حافة الفراش.. ربما نزهة على الأقدام تساعد..

غيرت ثيابها وارتدت ملابس عادية .. بنطلون من الجينز وقميص قطنية بلون الورد وعقصت شعرها خلف عنقها قبل ان تنسل الى حذاء المشي خاصتها .. وضعت قبعة واقية من الشمس ونظارة سوداء كبيرة ومضت للخارج ..

كانت حديقة المنزل واسعة ولكنها فضلت أن تتمشى في المتنزه .. لذا أخرجت سيارتها ومضت بها..

في تلك الساعة من الصباح وفي يوم مدرسي كان المتنزه شبه خال الا من بعض العدائين والمتسكعين والتي شعرت بفخر أنها أحدهم ..بدأت تتمشى بين الاشجار الشاهقة ومشاتل الورود التي لم تتفتح بعد وتعد بربيع منعش .. ابتسمت للسماء المشرقة وشعرت بانها في قمة نشاطها .. وان كانت لم تنم منذ يوم كامل فإنها الأن مرتاحة للغاية وكأنما قضت ساعات طويلة نائمة !!

وصلت الى بائع متجول يبيع الحلوى .. وبطمع فتاة في العاشرة من عمرها اشترت غز بنات بحجم بالون ضخم وكادت تغرق بوجهها فيه

كلياً وهي تعاود مشيها بلاتوقف .. تعشق حريتها وصفاء النفـس الذي تعيشه ..

مشت ومشت حتى شعرت بتيبس في ساقيها ..

هذا هو التعب الذي كانت تنشده ..

وصلت لسيارتها وقادتها للعـودة الى منزلها .. وهناك رأتهما ..

توقفت مترددة وابتسامة ناعمة منه تحييها..

-صباح الخيـر أيتها الهاربة..

تقدمت بابتسامة متوجسة نحو عبدالعزيز وأمها وهمست:

-صباح الخير.. مالذي تفعله هنا في هذا الوقت المبكر؟!

نظر لإيفا التي ابتسمت ونهضت تحيطها بذراعيها:

-اننا هنا لنناقش حفل الخطبة والتحضيرات بنيتي..

اتسعت عينا سيادة وصاحت:

-الأن؟! وفي هذه الساعة .. يالهي امي أنا لم انم دقيقة واحدة منذ الأمس..

-لاتقلقي عزيزتي.. سأتركك لتنامي بالقدر اللذي تشائين فقد اتفقت مع حماتي العزيزة على كل شيء..

كتفت سيادة ذراعيها وقالت بسخط:

-هل تقومون بتهميشي؟؟

-لاحبيبتي..

تدخلت أمها ضاحكة:

-سوف تكونين مشغولة بتحضيراتك وأنا وعبدالعزيز سنخطط للاحتفال بكل صخب وفخامة ..

-والدي لم يعد بعد ..وهو لم يعطي موافقته؟؟

اعترضت سيادة فتبادل الاثنان النظرات بخبث قبل أن تهمس أمها معانقة اياها:

-لاتقلقي.. والدك لن يعترض بتاتاً .. وبعد عودته من تلك الزيارة .. سوف يأتي ليخبرك بمباركته للزواج..

-صحيح أمي..

همست بأمل ..فتدخل هو:

-لاتقلقي يافراشتي .. أنا وإيفا تدبرنا كل شيء.

التفتت له مبتسمة باتساع ..

-حقاً حبيبي..

أغمض عينيه متولهاً وهو يهتف:

-أخيراً قلتها.. أخيراً..

-عبدالعزيز..

همست بدلال فضحك بعمق وهو يقترب منها:

-سنكون أخيراً معاً ياسيادة.. لن يفرقنـا شيء أبداً ..

-أخيراً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

همست بفرحة طاغية وهي تغرق في عينيه .. في النظرة الواثقة والحزم في صوته .. لاتدرك بأن القدر يُخفي لها الكثيـر والكثير.. وأنها ابتدأت فقط ..

***

تعالت الطرقات على الباب بقوة ترددت معها في حنايا مخها بكل قسوة.. صرخت تدفن رأسها في الوسادة :

-اتركوني لاناااام ..

تعالت الطرقات مجدداً فصرخت بهستيرية:

-قلت اتركووووني لأناااااااااام..

-افتحي الباب نادين .. افتحيه الأن ..

مرغت رأسها في وسادتها ولم ترد .. أرادت ان تخلع عنها ثوب الشقاء قبل أن تنهض لتواجه أحدهم .. أرادت أن تستسيقظ من من كابوس الليالي .. وتصحو لمساء بلا زلات..!!

-ناديييين ..

تعالى الصوت مجدداً .. هذه المرة يحمل نبرة باكية ومستعطفة ..

نهضت بثاقل تجر قدمين بثقل الاسمنت ..

فتحت الباب بنظرات ميتة لترى أمها .. اقتربت منها وهمست لها:

-مابالك بنيتي .. منذ البارحة وأنت تحبسين نفسك في غرفتك ..

نظرتها حملت اشمئزازها وشيء أخر .. عفـن ..

-متعبة .. أريد أن أرتاااح أمي..

صرخت فتراجعت أمها مندهشة وهي التي لم تعتد منها تلك الردود الجافة ..

اقتربت منها ومست وجنتها المغطاة بخصلات شعرها الناعمة لتجفل نادين وتتراجع صارخة بألم ..

اتسعت عينا أمها وأسرعت تدلف للداخل وتغلق الباب خلفها:

-من فعل هذا؟؟

همست بحذر وهي ترى الكدمة الزرقاء التي تغطي خدها .. ولكن نادين لم تتركها تكمل تساؤلاتها بل أشاحت عنها وهمست:

-لاأحد .. لقـد وقعت.

-لاتكذبي علي..

صرخت أمها فنظرت لها نادين بقهر وهمست:

-لما هذا الاهتمام المفاجئ؟؟

اقتربت منها امها تقول بحنان :

-تعرفين بانني أهتم.. أنت ابنتي يانادين..

نظرت لها الفتاة بعينين متحجرتين .. فمدت يدها تلامس خصلات شعرها بعيداُ عن وجهها لترى الكدمة البشعة تشمل خدها البض وجزء من عنقها .. فابتلعت ريقها وسألتها:

-متى عدت البارحة؟؟

تنهدت نادين ولم تجب..فجلست امها الى جوارها تحيطها بذراعيها هامسة:

-هل هو من فعل هذا؟؟

-لم يرضه المال..قال بأنه قليل..

همست بشرود وسمعت شتيمة قذرة من والدتها .. ثم همست لها امها:

-لاتنزعجي.. سوف أرد له الصاع صاعين..

-لن تفعلي..

تمتمت بيقين جعل أمها تتأوه قبل أن تواسيها:

-عليكي أن تكوني قوية ..

-لطالما أنا القويــة هنا..

همست بصلابة جعل امها تبتلع ريقها بصعوبة فنهضت نادين

وابتعدت الى النافذة وهمست:

-يجب أن نتخلص منه ..

-نادیــن ..

اعترضت امها بشحوب فصرخت بوجع:

-لقد تعبت.. تعبت امي ولم أعد احتمل ..

واجهتها أمها:

-سنتوصل لحل .. لاتقلقي بنيتي .. سيكون كل شيء على مايرام..

-لن يكون أي شيء على مايرام.. انظري الي ..

صرخت مشيرة لكدماتها باكية وعاودت الصراخ:

-انظري لمافعله بوجهي.. ليس لدينا المال وقد اخذه كله .. ولن

استطيع الذهاب للجامعة الا بعد زوال هذه الكدمة نهائياً .. أخبريني

مالذي سنفعله في هذه الاثناء..

-لدي بعض المال..

همست امها شاحبة وهي تحاول ايقاف صراخ ابنتها التي شهقت بألم:

-وماذا سيكفي؟؟ هل سيكفي مصاريف المنزل او مصاريف الجامعة؟؟

أنت تعرفين أهميتها بالنسبة لي امي .. لو لم أذهب الى الجامعة سوف أموت أتفهمين.. انها خلاصي الوحيد..

قالتها وانفجرت بالبكاء لتضمها أمها بحنان هامسة :

-لاتقلقي .. اقسم بأني سأساعدك بقدر مااستطيع بنيتي..

-أنت لاتستطيعين ..

غمغمت بصوت باكٍ وأها تمسد رأسها وخصلات شعرها الناعمة بحنان:

-بلى أستطيع فعل الكثير.. تعالي معي لنضع بعض الثلج على وجهك..

تبعتها بانكسار.. تعلم بأن زوجها لن يعود الأن مادام قد حصل على المال الذي سيكفيه لعدة ايام في السُكر والعربدة التي كان يعيشها.. على الأقل الأن تستطيع ان تهنئ بنوم هادئ لعدة ساعات .. دون توتر وترقب .. ودون خوف عارم واحساس بالذُل والدونيـــة !!

***

استيقظت بقلب متوجس..

نهضت من السرير قلقة .. نظرت لطفلتها الصغيرة التي تنام الى جوارها وتفقدتها بقلب أم حنون .. ثم توجهت الى الغرفة الأخرى ..

حيث كان ابنها الأخر ينام قرير العين .. قبلت رأسه وعادت تتجول في الممر بلاهدف.. لاتعرف مالذي جعلها تستيقظ في منتصف الليل .. مالهاجس الذي هاجمها في نومها وسبب لها كل هذا القلق.

تعوذت من الشيطان وتوجهت للحمام تتوضأ .. صلت ركعتين في جوف الليل ودعت بلاتوقف .. دعت أن يحفظ لها طفليها ..من كل شيطان.. ودعت أن يحفظ لها عائلتها من كل شر..

كادت تنهض لتنزع جلال صلاتها حين تسمرت بذهول تنظر لقدمين واقفتين أمامها بلاحراك..

توقف الزمن حينها .. توقف ولم تعد تسمع الا صرير في أذنيها ..

وتشعر بحرارة حارقة تجتاح صدرها ..

رفعت عينيها الى الواقف أمامها .. وبكل صعوبة ابتلعت غصة

استحكمت حلقها حال رؤيته ..

ارتجفت يديها ولم تعد تشعر بساقيها ابداً ..

رأته ينحني على كعبيه أمامها .. حتى قابل وجهها وجهه ..

اتسعت عيناها وهي تستقبل النظرة الخاوية في عينيه الواسعتين..

-كيف حالك جوهرة؟؟

اجتاحها صوته الخشن .. دمر الصمت الذي غلفت به نفسها وجعلها تشخص اليه دون أن ترد ..

مد يده يلامس خدها بخشونة كف يده .. أجفلت وابتعدت بحركة حادة مماجعله يطلق ضحكة ساخرة وهو يعاود الوقوف على قدميه هاتفاً بعجرفة:

-هيا انهضي وحضري لي الحمام لقد كان سفراً طويلاً..

تسرب منها ضعفها بسرعة .. وجدت نفسها تنهض بلانقاش لتلملم سجادتها وتسرع الى نزع جلالها ومنه الى الحمام لتفعل ماطلب.. في حين هو جلس على مقعد ورفع ساقيه على مسند صغير..

لم تمضى لحظات حتى عادت اليه هامسة:

-الحمام(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تأملها للحظات .. من رأسها حتى اخمص قدميها قبل أن يمط شفتيه بازدراء:

-أهكذا تستقبلين زوجك بعد غياب شهور ..

شعرت بالألم يخترقها لنظرته وازدراءه الكامن في صوته .. شعرت بالحمرة تغزوها وهي تتذكر الرداء لابسيط الذي ترتديه بلون بيج مصفر.. كان رداءاً منزلياً قديماً .. ولم تكن ترتديه الا لأنه يشعرها

بأنها عادت طفلة في منزل أبيها.. خفضت عينيها بخجل لينهمر تأنيبه :

-انظري لشعرك .. انظري لوجهك .. ألا تعرفين معنى أن تتزيني لزوجك ؟؟

تملكتها الغصة من جديد .. ملست شعرها المجدول خلف عنقها بعفوية وهمست مخنوقة:

-لم .. لم اعرف..

-صصصه ..

صرخ بحدة جعلتها تنتفض ..وتنظر باتجاه السرير الذي يضم ابنتها خشية أن تستيقظ ..

-لاأحتاج لاذنك لأعود منزلي وقتما يحلو لي يامرأة.. أتفهميـن؟؟؟

-نعم .. أفهم..

همست بانكسار.. فتنهد بنفاذ صبر وصاح بها:

-الى متى ستقفين هكذا ؟(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) تعالي وانزعي حذائي..

انتفضت راكعة أمامه تنزع حذائه وتتبعه بجواربه وهو يدمدم بارهاق:

-أنا متعب.. وأريد أن أنام ..

وضعت حذائه جانباً وتراجعت وهي تراه يقف بصعوبة ممسداً عنقه وكتفيه .. قبل أأن يهمس:

-جهزي سريري وابعدي الطفلة لغرفتها..

-حااضر ياحسن..

تمتمت بخضوع فمط شفتيه بحنق ودمدم غاضباً:

-وغيري هذه الخرق الذي ترتدينها فلن أقضي ليلتي الى جوار الخادمة..

لسعت الدموع عينيها واومأت بصمت ..

وحال دخوله للحمام أسرعت لطفلتها .. حملتها بين ذراعيها ومضت بها الى غرفتها المجاورة لغرفة اخيها وأحكمت حولها الغطاء .. وهي تحاول السيطرة على ارتجافة يديها ..

عادت لغرفتها نزعت ثيابها لترتدي ثوب نوم بلون ازرق يصل لكاحليها ويكشف عن كتفيها .. بشرائط رفيعة وأمام المرآة توقفت لتضع احمر شفاة خفيف لماع وهي تحاول ايقاف سيل الدموع التي انسابت بلاتوقف ..وضعت قطرات من عطره المفضل عليها ..وأسدلت شعرها الغجري ومررت خلاله الفرشاة عدة مرات ليصبح لامعاً وحراً ..

وحين مسحت وجهها أخيراً.. كان يقف الى جوارها !!

أخذت نفساً عميقاً والتفتت اليه ..

ابتسم وهو يرى التغييرات عليها .. اقترب منها وتنشق عطرها

باستمتاع:

-هكذا تكون المـرأة ..

ابتلعت ريقها وهو يقبض على كتفيها مقرباً اياها منه ..

كان جسده حاراً بفعل الحمام .. لاتزال قطرات الماء تلمع على صدره

وكتفيه .. وتقطر من خصلات شعره القصيرة المبللة ..

-ناعمة .. مثيرة .. ورائحتها عطرة ..

همس بصوت امتلئ بالشوق ..

قربها منه اكثر وهو يسأل:

-ألم تشتاقي لي جوهرتي .. ؟؟!!

حاولت الاجابة .. إيجاد صوتها .. حاولت رص كلمات ترد بها سؤاله

الذي سمعته ألاف.. لا بل ملايين المرات .. حاولت ايجاد مخرج بالصمت

.. علَّ النتيجة اليوم .. تكون مختلفة .. تكون عادلة .. أي شيئ سوى

الاذلال الذي ينتظرها !!

حاولت بصدق .. ولكن دموعها خانتها..

كانت آمنة .. وفاجأها على حين غفلة .. لم تكن مستعدة .. وهو جاء بكامل قوته .. وعنفه..

-سألتك سؤالاً..

بفحيح غاضب تسلل اليها سؤاله .. فأغمضت عينيها وتركت نفسها للدموع ..

-غبيــة ..

صرخ بعنف.. فشهقت تحاول الابتعاد ليمسكها من كتفيها بقوة مجدداً :

-ألاتجيدين الحديث ابداً.. ؟؟!!

نظرت له مذعورة فصرخ:

-آآه .. انظري لنفسك .. تبدين مثيرة للشفقة .. كحيوان مذعور ..

شهقت بالبكاء بقوة أكبر فضحك ساخراً:

-ابكي .. ابكي أكثر ..

وبكل وحشية أمسك وجهها بين يديه وهمس :

-تثيــرني دموعك جوهرتي.. تثرني الى حد الألم ..

اتسعت عينيها بذعر وخوف حقيقي وهي تستقبل وحشيته .. كمااعتااد ..

ذراعاه تحطمان يديها وفمه يقبل بوحشية فمها .. وكأنما هي فريسة بالكاد اطبق عليها ..

لم تقاوم .. لم تتحرك ..

تركته يعتصرها بي ذراعيه .. يلقي بها على سريره بكل قوة .. يمارس معها مايسميه حباً .. وماتعرفه بأنه علاقة وحشية ليس لها علاقة بالحب.. ولاتنتمي اليه بأي حال ..

أغمضت عينيها واستسلمت .. كالعادة ..

لدقائق .. لاتعرف عددها ظلت مغمضة العينين .. يأخذ منها مايريد .. يُشبع غريزته الحيوانية ويتركها كشيئ قذر.. !!

تكورت بعيداً عنه تلهث وجسدها كله يؤلمها .. تشعر بالغثيان يجتاحها .. تشعر بالقرف منه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) من كل مايمثله .. من كل مايفعله بها ..

وصلت اليها أنفاسه اللاهثة .. سمعته يهمس بينها:

-انت مثيرة للشفقة ..

انتحبت بصمت .. تضم كفيها اليها .. تصلها شتائمه الواحدة تلو الأخرى .. كلماته البذيئة .. قسوته المفرطة ..

هاقد عادت تلك الايام ..

هاقد عاد حسـن ..

ابن عمتها .. زوجها .. والد طفليها ,..

عاد حسن وعادت أيام الذُل .. أيام القهر .. عادت كلها من جديـد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

استلقـى رعاد على فراشه بصمت .. ينظر لسقف الحجرة على ضوء خفيف قادم من مصباح الى جوار سرير علي الذي استغرق بقراءة كتاب باهتمام .. تنهد للصمت وتقلب على فراشه من جهة للأخرى .. لايقدر على النوم.. منذ أخبره علي أن قحطان والشيخ سيعودان بعد يومين وهو لايقدر على النوم قط .. لاينفك يفكر بزواجه القادم من غـزل..!!

تقلب للجهة الأخرى من جديد لذكر اسمها ليسمع صوت أخيه الهادئ ينساب له بنفاذ صبر:

-ان كنت عاجزاً عن النوم فاقرأ قليلاً أو اخرج من الغرفة لقد أتعبتني.

تنهد بصوت عالٍ وجلس منتصباً على السرير وهو يقول بانزعاج:

-أشعر بالحر..قم بزيادة التكييف ياعلي.

قلب علي صفحة من الكتاب وهمس بلامبالاة:

-الحر الذي تشعر به ليس له علاقة بالجو.. انا اكاد أتجمد أصلاً ..

وأنت تتعرق كقطار بخاري.. انظر لنفسك.

قلب رعاد شفتيه ونهض يدمدم بغضب من أخيه المتذاكي.. كان فعلاً يتصبب عرقاً .. رغم عدم ارتداءه الا سروال قصير للنوم لاغير.. ولكنه هكذا .. منذ صغره دائماً ماكان يشعر بالحر خصوصاً ان كان يفكر بشيء مهم او كان متوتراً .. نظر لعلي الذي ارتدى بيجاما قطنية وجوارب حتى تقيه البرد وشعر برغبة بالضحك ..

-بصفتك طبيباً .. أخبرني ماعلي فعله..

-تخلص من عصبيتك .. تخلص من قلقك الدائم واخلد للنوم..

زم رعاد شفتيه وقرر أن يرمي بنصيحة اخيه لعرض الحائط ..

-سأخذ حماماً ..

قرر واندفع لحمامه تحت نظرات أخيه الباسمة ..

لطالماكان رعاد عصبياً .. متوتراً فعلاً لكل من اسمه نصيب.. ولكنه كان طيب القلب بدرجة كبيرة لايصدقها عقل.. وطيبته هذه من جعلته يعيش سنوات في العذاب..!!

تنهد وهو يفكر بأن سنوات لاعذاب تلك أخيراً ستنتهي.. حتى لو لم يظن هو ذلك الأن .. إلا أن الوقت كفيلاً بجعله ينسى ويعيش حياته للمـرة الأولى .. من أجل نفسه..

تنهد وعاد لكتابه وهو يشعر بعودة أخيه .. ومن تحت نظاراته همس بعتب:

-ارتدى شيئاً والا فأنك ستصاب بداء الرئة يارعـاد..

استلقى رعاد متجاهلاً كلام اخيه يستمتع بذربات الهواء على جلده المبلل وابتسم ..

يحتاج لان ينسى ماينتظره عن عودة جده وأخيه .. يحتاج أن يرتب أموره ويتركها للعليّ القدير ..وكل شيء سيكون على مايرام بدون شك..

أغمض عينيه .. لتهاجمه صورتها من جديد .. لم يرها منذ شهور .. منذ يوم الحادث وهو لم يرى وجهها .. يومها كانت فاقدة الوعي.. كما كانت قبل ايام .. شاحبة كالموتى .. ولكنها كانت تزن بضع كيلوجرامات أكثر..

غزل التي حملها بين ذراعيه مؤخراً كانت نحيلة كالقلم الرصاص.. ريشة لاتكاد تبين .. كانت مجرد خرقة بالية آلمه قلبه لمرآها هكذا ..

كان يقارنها بتلك الغزل التي كانت تُشع فرحاً .. وتقفز بلاتوقف ان فاجأها يوماً بهدية .. كان يقارنها بتلك الغزل التي اعتادت ان تضحك ليشرق كل ماحولهـا..

فتح عينيه ليظهر بهما بؤس العالم ..

كان يقارن غزله هو .. ب غزل محمد أخيه.. كان يقارن البؤس والألم .. بأنشودة للفرح .. والأمل..

كان يقارن بماحصل عليه اخيه عمره كله وبماحصل عليه هو الأن .. أو بالأحرى ماوقع على ظهره وعليه ان يتحمله ..وكان خاسراً .. وبشدة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

ظلمونا وحكموا علينا بالشقاء

وهل من هذا الحكم مفر

ان عذابنا ليس له دواء

وان وجد جئت به بيدى

لما تبعدين وجهكى عنى

اترجاكى ان تنظرى نحوى

لا لا تبكى فانتى امنه معى

اتعلمين

ان نيران دموعك تنهش جسدى

وشهقات دموعكِ تقتلنى

فلا تعذبينى انتِ ايضا

يكفينى ما حمل كاهلى

لا تكرهينى فما بيدى حيله

فانا مثلك محكوم على ولست بحاكم

انا لست ضعيفاً ولكننى

اخشى ان رفضت تملكِ غيرى

فأنت امنه بين يدى

وانا لك حافظ صائنُ

والان هلا كففتى عن البكاء واعلمى

انى رعاااااااااااااد ياغزل

أماني خليـل..

***

اسند قحطان جده برفق على سرير الفندق الذي يقطنانه بانتظار الرحلة عائدة الى الوطن وسأله باهتمام:

-هل تشعر باي ضيق او الم ياشيخ.

ابتسم الشيخ بارتياح:

-بارك اللّه فيك يابني انا ان بأحسن حال مادمتُ قد غادرت تلك المستشفى وجوها الخانق والحمدللّه.

تبسم قحطان وتراجع يحضر لجده كوب من الماء وهو يقول:

-سنغادر عند الفجر الطائرة ستقلع الساعة السادسة والنصف بإذن اللّه.

-بإذن اللّه.

تمتم الجد وهو يريح رأسه وعلى شفتيه ابتسامة صغيرة فاتسعت ابتسامة قحطان وهو يفكر كم يعشق جده البلدة القديمة وكل اهلها ام تراها فكرة ان ابنه الصغير سيرافقه هي من تملك حق وضع تلك الابتسامة على وجهه!!

سمع حينها طرق خفيف على الباب ورأى الشيخ يعتدل بلهفة:

-لابد انه سالم.. افتح الباب لعمك بسرعة.

تجهم وجه قحطان رغماً عنه وهو يعود بذاكرته لما حدث بينه وبين عمه والحديث الذي دار بينهما.. وتقلصت عضلات وجهه وهو يغادر غرفة نوم الشيخ ويقطع غرفة الجلوس الصغيرة في الجناح الذي يسكنانه الى الباب الخارجي حيث وجد عمه يقف بهدوء يغمر ملامح وجهه حين فتح الباب:

-كيف الحال بني؟

بادره عمه بهدوء فلم تشي ملامح وجهه عن اي مشاعر غضب او انفعال بل تألقت بالبرود الذي يثير غضب وحنق اي رجل امامه وتمتم:

-بكل خير عمي تفضل بالدخول.

تقدم الرجل بخطوات متثاقلة للداخل ونظر لقحطان هامساً:

-هل فكرت بني؟؟

نظر له قحطان بعقدة حاجبين معبرة عن كل مابداخله من رفض وتمتم:

-لم افكر ولن افعل ابداً فلاتضيع وقتك معي عماه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لقد انتهينا مما ستقوله وتعيده منذ زمن فلاتبدأ الان.

ابتلع عمه الريق بصعوبة واشاح بوجهه وهو يهمس:

-انت لم تترك لي حل اخر اذن.

زادت عقدة حاجبيه وبات وجهه لايفسر وهو يتسائل بحيرة امتزجت بنفاذ الصبر:

-مالذي تعنيه؟؟

لم يجبه عمه بل تجاوزه ليدلف الى غرفة النوم حيث اعتدل الشيخ مرحباً بالولد الضال والذي انكب على كفيه يقبلهما بحرارة:

-كيف حالك الان يابي؟!

-اصبحت بحال افضل لرؤيتك بارك اللّه فيك.

جلس سالم لجوار ابيه مبتسماً بحنان وهمس:

-اللّه يبارك في عمرك يابي ان شاء اللّه لن تنقطع عن رؤيتي ابداً.

اتسعت ابتسامة الشيخ في حين التفت عمه اليه بنظرة معبرة وهو يواصل بنبرة ذات مغزى:

-انا انوي تقديم طلب عودتي للبلاد لم اعد اريد الغربة بعد الان.

اتسعت عينا الشيخ بفرح وهلل وهو يضم ولده اليه في حين ضاقت عينا قحطان بشك مما ينويه عمه بهكذا قرار وهو الذي عاش خارجاً طيلة عمره تقريباً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وفكر

هل ياترى قراره يتعلق بشيء في موضوع ابنته !! هل يظن انه بقراره هذا قد يكبل يديه ويمنعه من قتلها ودفن عارها للأبد!!

ارتسمت على شفتيه السخرية وهو يفكر ان عمه لايعرفه قط لايعرف ان باستطاعته ان يقتلها في عقر دارها بلاذرة تردد سواء في باريس او في البلدة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-وهناك شيء قررته كذلك ابي..

قطع صوت عمه افكاره فعاد يوليه الاهتمام وسالم يجلي حنجرته من اثر غصة استحكمت كبرياءه العتيد ليغمغم بهامة مكسورة:

-قررت ان آتي بعائلتي معي.

تهللت اسارير الشيخ وكبر بحماس وهو يضغط على كتفي ولده:

-اللّه اكبر هذا ماارادت سماعه منذ عدت الى رشدك بني وعائلتك مرحب بها بأي وقت ولديك وحتى زوجتك الاجنبية ان ارادت بامكانها البقاء(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

بابتسامة شاحبة رد:

-لااظنها توافق ولكن هذا لم يعد يهم مايهمني الان هما ولداي فراس و(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وسيادة..

اتسعت عينا الشيخ وغمغم بانبهار:

-اسميتها سيادة!!!!

وترقرقت عيناه بالدموع وهو يخفض عينيه بذكرى والدته التي توفيت شابة ولم تهنى بحياتها:

-رحمك اللّه يابي لم يكن ليسمح لأحد ان يسمي باسمها فكيف فعلت انت؟؟

-لأن سيادة تستحقه..

همس سالم بمرارة ونظر الى قحطان وليته لم يفعل كان وجه الاخير كتلة مظلمة حفرة وهاوية لاتفسر وهو يترقب كلمات عمه التي نزلت عليه كالسوط بمرارتها وحنينها:

-سيادة هي فرحة قلبي كلها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)هي الفتاة التي يحلم كل ابٍ بإنجابها سيادة ليست فقط خارقة الجمال والرقة .. هي ليست مجرد وجه جميل وروح بريئة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

سيادة فرس يابي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فرس كنت اظن بأنها لن تجد مروضها قط ..

فرس جامحة ارهقتني وجعلتني اشيب قبل اواني(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

سيادة هي روحي التي لن اسمح لمكروه ان يصيبها وسأبذل حياتي لمنعه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

سيادة هي كرامة العزب هي روح متمردة واريد لها الاستقرار والثبات(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اشاح حينها عن ابن اخيه ونظر لوالده الذي همس بصوت متحشرج:

-وكأنك تصف جدتك بكلمات والدي رحمه اللّه امي كانت مثلها روح قوية ومتمردة ولربما لهذا ماتت مبكراً شعر سالم بالاختناق " ترى هل كل سيادة مصيرها الموت مبكراً"

لا لا مستحيل ان يسمح لأحد ان يؤذي صغيرته مستحيل

-انا متشوق ان التقيها..

همهم والده فنظر له سالم بغموض قبل ان يتنحنح:

-سوف احضرها واخيها للبلدة ابي.

عقد قحطان حاجبيه بشراسة وقبض كفه بقوة وهو يفكر بما يعتقد عمه انه فاعله هل يلوي ذراعه ولكن عمه لم يتوقف بل نظر له بطرف عينه واكمل بصوت مهزوز:

-سأحضرها لتعيش بينكم الى الابد.

-ونعم القرار بني..

هتف الشيخ بفرح جعل قحطان يخرج عن طوره ويهتف بحدة ساخرة:

-وهل ستوافق الفتاة الباريسية ان تعيش في بلدة صغيرة ريفية الى الابد عماه؟؟!!

تصلب وجه سالم وهمس:

-ابنتي ستعيش في اي مكان فيه زوجها بني(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

توقف قحطان ونظر لعمه بتوتر في حين تفجرت اللهفة في عيني الشيخ وهو يسأل:

-هل سيادة متزوجة؟؟

هز سالم رأسه نافياً قبل ان يهمس:

-سيادة العزب لايأخذها سوى شيخهم ابي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اتسعت عينا قحطان بذهول في حين احتلت الحيرة ملامح الشيخ قبل ان يستوعب كلام ولده بحذافيره وتتهلل اساريره وهو يهتف:

-والشيخ قحطان لن يجد من هي افضل من ابنة عمه لتحمل اسمه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-جدييي ..

تدخل قحطان بحنق وغضب للأول مرة منذ ابتدأ الحوار ليلتفتا اليه معاً والشيخ ينظر اليه بحيرة ليواصل قحطان بغضب حقيقي:

-الم نفرغ من امر زواجي ياشيخ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هز الشيخ رأسه بفرح طاغٍ وحكمته تتخلى عنه للمرة الاولى وتكاد تعميه عن الشرر المتطاير من عيني حفيده وهو يهتف:

-لاتوجد من تستحق الزواج بشيخ العزب سواها سيادة لن يأخذها سواك بني(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نظر قحطان لعمه الذي كاد يموت في مجلسه وهو يقول من بين اسنانه:

ولكنها مختلفة عنا ياجدي هي لاتعرف عاداتنا وتقاليدنا هي لاتعرف شيئاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كان دفاعه ضعيفاً ويعرف هذا وهذا ماجعله يغضب اكثر ويكاد يصرخ من الحنق وجده يهتف بفرح:

-ستعلمها كل شيئ ياولدي .. كما لن تقصر الفتيات معها لاتنسى سلمى والجوهرة..

صمم قحطان بيأس:

-لن اتزوج منها جدي.. لن أتزوج فتاة عاشت طيلة حياتها في حرية فاسدة لابد أثرت عليها ..

-قحطاااااان ..

نهره جده بقسوة جعلت قحطان يصمت بحنق وهو يرى انفلات غضب الجد الذي يراه للمرة الاولى وهو يواصل:

-لاتتحدث عن ابنة عمك بهذه الطريقة .. انها ابنة العزب .. وليست أية ابنة .. انها سيادة .. بجلالة قدرها هي سيادة..

تحرك قحطان بعصبية نادرة جعلت جده ينظر له بذهول:

-انها غريبة عنا .. بعيدة كل البعد عن المرأة التي اريد الزواج بها جدي.. أنت بالذات لايجب عليك(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

-توقف في الحال ..

صرخ الجد بصوت سمّر قحطان في مكانه .. توقف متوتراً كطفل مشاغب .. يتلقى التقريع من مدرسه كان الجد يلهث بقوة .. كفيه تقبضان على طرف السرير بقوة حتى ابيضت مفاصله وعيناه تقدحان شرراً ..

-كيف تجرؤ على اعتراض اوامري أيها الصبي؟؟ أم هل نسيت من أكون؟؟

-حاشَ للّه ياشيخ..

-اذاً توقف في التو ..

صاح بها بحدة .. ليلجم فم قحطان بلجام من نار أحرقه وهو ينظر لعمه الذي أحنى رأسه وشيخه يواصل بحدة:

-عطيــة عمك لك لاترد .. وزواجك على ابنته سيادة سيكون مع زواج رعاد أخيك .. أتفهم ..

نظر سالم لقحطان بلهفة وراءه ذلك الظلام الاسود في عينيه وهو يدمدم باختصار:

-أفهــم ياشيخ ..

-اسمعني ياسالم .. سوف نعود أنا وابن أخيك للبلدة .. وتذهب أنت لتجلب عائلتك .. زواجهما سيتم بعد اسبوع .. وهذا قرار الشيخ قحطان العزب .. ولاكلمة بعد كلمتي..

نهض سالم بسرعة يقبل كف ابيه ظاهره وباطنه وهو يهذر:

-شكراً لك ابي.. شكراً لك ..

أما ذاك الواقف في الخلف وقد قُيدت يداه بقوة .. فلايقدر على الافلات من فخ نصبه له عمه بكل دهاء.. عقله يغرق في دوامة كيف له أن يعترض على أمر الشيخ .. كيف له ان يخبره أن المرأة التي أمر بزواجه

منها مجرد عاهرة صغيرة مرغت اسم العائلة كلها في التراب .. كيف يخبره أن ولده سالم تقاعص عن الأخذ بثأره وحين اراد هو أن يفعل دبر له هذه المكيدة .. ماذا يفعل هو يعرف أنه سيرتبط بامرأة سلمت نفسها لرجل دون أن يكون له الحق في أن يرى مجرد طرف منها ؟؟!

وليس اي رجل..

رجل هو لكل العزب مجرد عدوو .. مجرم كسالفه وسالف من قبله ..

كيف يخبره أنه الأن حكم على قحطان أن يكون الرجل الذي يستقبل فضلات غيره ..

تأمل عمه السعيد غير المصدق بعينين لاتريان سوى بلون اسود حارق .. وبادله ذلك النظرات للتجمد ابتسامة السعادة على وجهه وتذوي مع النيران المصوبة نحوها من الشيخ المحترق بالغضب ..

لايعرف وقتها ماشعر به سالم .. ولكن احساس مخيف بالندم تسرب اليه ..

احساس بأن ماأقدم عليه بزج ابنته في حياة رجل مثل هذا الذي يقف امامه .. كانت ضرباً من الجنون ..

جنون يفوق انه قد يقوم بقتلها فعلاً ..

***

ستتركين الماضي .. ستلهثين خلف رغبة بالنسيان

ستعيشين حلماً جديداً .. وكل الأحلام .. الجميلة..

يجب ان تغرقي في النوم قبـلاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

-هل خرجت من غرفتها؟؟

-لا .. كما ترين تحبس نفسها رافضة مجرد فتح الباب .. بالكاد تأكل أي شيء.. انها حتى ترفض الحديث معي.

تنهدت والدة قحطان بأسى على الشابة الصغيرة التي منذ عرفت بخبر زواجها المحتوم وهي تعيش في عالم أخر .. بالكاد تأكر او تشرب.. بالكاد حتى تتواصل معهم ..

مطت شفتيها بيأس واقتربت من البـاب وقالت بصوت حرصت أن يكون خافتاً بعض الشيء:

-غزل .. بنيتي افتحي الباب لي..

جاوبها الصمت المطبق .. فأغمضت عينيها وهتفت بيأس وصوت أعلى:

-هيا حبيبتي .. افتحي لي الباب لدي ماأقوله لك..

لم تجد جواباً وكأن من بالداخل أقسمت على الانغلاق تماماً عن كل من حولها ..

وهناك .. عند الشاردة العائمة في بحر من ذكرياتها ترفض الانسحاب عنه .. كانت غزل تنظر للسماء الصافية كذلك اليوم حين اقترنت به..

حين ارتدت خاتمه وأصبحت ملكه للأبد ..

تأملت أصبعها الذي لايزال يحمل الخاتم الذهبي والذي يحمل اسمه بعينين شاردتين ..وابتسمت وهي تتذكر يوم جاءها به .. لم تره يومها وقد رفضت أمها أن يدخل ليُلبسها الخاتم .. بل جعلت الجوهرة تفعل ..

مالت عليها الجوهرة يومها وهمست لها:

-يقول بأنه سينتقم من عمتي لأنها لم تسمح له بالدخول..

تخضبت وجنتاها بالخجل وهي ترد:

-لن أسمح له أن يمس امي بسوء..

ضحكت الجوهرة وردت لها:

-شقيقي يفعل مايريد هل نسيت انه محمد العزب.. وليس هناك سواه على حجر جده وقحطان بامكانه ايقاف الجميع وتحريكهم باشارة من يده يافتاة..

ابتسمت وقتها بمرح وهي تدرك صواب ماقالته شقيقته .. تحسست خاتمها .. وفي غفلة من الجميع رفعته الى شفتيها وقبلته..

اغمضت عينيها لتنزل دمعة صامتة تبلل وجنتيها ..

كيف لهم ان يفعلوا بها هذا؟؟ كيف لهم أن يؤذوها هكذا؟؟ لماذا يخذلونها ويصرون على قتلها ؟؟!! تتزوج رعاد !! انتابها الذعر للحظة .. كيف تفعل هذا كيف؟؟ هي زوجة محمد.. زوجــة محمد ..

صرخت أعماقها بوجع .. وتقلبت في فراشها تشتاق لدفئه وحنانه ..

تشتاق لحضنه الذي لم تذقه؟؟!!

تريده هو فقط .. لاتريد اي احد أخر فكيف ييجبرونها على سواه !!

كيــف؟؟

ضمت تلك الصورة الوحيدة التي تملكها له .. ضمتها الى صدرها بقوة ومضت تشهق بالدموع وهي تخفي وجهها بين ذراعيها ..

وفي الخارج كانت أمها وأمه تتوسدان الأرض والأولى تهمس:

-متى يعود الشيخ ياهدية؟؟

-غداً صباحاً بإذن اللّه .. وسيحدد العرس .. اتصل بنا قحطان وقال بأن الشيخ عنده مفاجأة للجميع ..

-ماهي؟

تسائلت العمة بفضول فهزت هدية كتفيها :

-لاأعرف ياشمعة .. لم يخبرنا .. أمي تكاد تموت من الفضول والقلق تخشى ان يكون اصاب والدي مكروه وقحطان يخفي عنا الأمر.

-معاذ اللّه .. سيكون خبراً مفرحاً بالتأكيد.. أنا اثق بقحطان..

قالتها مؤمنة فابتسمت هدية أمه بحنان وهمست:

-أتوق لأن أزف عروسه اليه .. تلك الفتاة دخلت الى قلبي منذ رأيناها ياشمعة .. ستكون نعم الزوجة لولدي البكر.. انها صبية صغيرة .. جميلة ومهذبة لاترفع عينيها اليك حين تكلمينها حتى .. طبخها رائع وبنيتها قوية وستنجب الكثير من الابناء لشيخ العزب..

تنهدت عمته وهمست:

-لم يرزقني اللّه سوى بالبنات ولكن يشهد رب العالمين انني احب قحطان كولدي تماماً وهو يستحق كل خير باذن اللّه .. وأنا أيضاً اعجبتني الفتاة .. وهي من بيت كرم وطينة طيبة .. ستكون نعم الزوجة له بالفعل..

-الحمدللّه اننا وجدناها وأنه أخيراً وافق .. لقد أتعبني منذ فسخ خطبته الأولى وهو يرفض حتى ذكر الزواج..

اومأت عمته برأسها وهي تهمس:

-سيتمم لهما اللّه بخير.. هو ورعاد ..

وترقرقت عينيها بالدموع وهي تتذكر بؤس ابنته لتواسيها هدية:

-لاتقلقي .. رعاد سيكون سنداً وقوة لاتقهر تعتمد عليه غزل ..

لاتخافي ستكون كل الأمور بألف خير..

-ان شاء اللّه ..

تمتمت برجاء .. وعقلها يدعوا اللّه بلاتوقف .. ان يتمم الأمر على خير

وأن يبعد عنهم كل مكروه ..

بإذن اللّه..

***

كانت الأمسية باردة .. لذا اصطلت بضع قطع الخشب في المدفأة

العتيقة لتبث بعض الدفئ للمتحلقين حولها .. كانوا ثلاثة ..

سالم الذي كان قد وصل لتوه من رحلته لألمانيا دون أن ينتظر حتى

لبزوغ الفجر الذي سيصحب والده وابن أخيه عائداً بهم للبلاد ..

وغادر كي يستطيع اللحاق بهم بأسرع وقت..

الى جواره تجلس زوجته بثوب من الصوف الأزرق يلمع على تفاصيل

جسدها النحيلة ..

وعلى الطرف الأخر جلس متكاسلاً على أريكة من القطيفة الحمراء بملابس دافئة مريحة محتضناً حاسبه الشخصي وغارق في حوار ضاحك مع احدى صديقاته .. وهي لم تكن متواجدة !!

كان يتحين اللحظة المناسبة .. بعد العشاء ولذا رافقهم للجلوس في الصالون الصغير حيث اعتادت الام الجلوس وسماع الموسيقى لساعات بعد العشاء وحين تخلو الامسيات من احدى الحفلات واللقاءات المملة مع قريناتها..

-أيــن سيــادة؟؟

تسائل بتوتر فهمست زوجته وهي تغرق في الانصات لموسيقى أغنية قديمة تنساب عبر جهاز الترفيه المنزلي:

-انها مع خطيبها ماذا ألم تكن تعرف؟

شخر بسخرية وصرح وهو يكاد يصرخ غيظاً:

-ومنذ متى اعرف أي شيء عنها؟؟

قلبت ايفا شفتيها ليزفر هو بضيق ويفكر بحسرة ..

كيف فعلت هذا به ..

كيف هانت عليها نفسها لهذه الدرجة ..

-مسااااء الخير..

انتفض ناظراً نحوها ..

دلفت للتو وعلى شفتيها ابتسامة حالمة تحمل حبها ورغبتها بالحياة ..

ركضت لتعانق امها هاتفة:

-اااه امااااه لقد كان الفيلم راائعاً ..وعبدالعزيز كان أكثر رووووعة

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-سيااااااااااادة ..

هدر صوته لتنتفض تنظر اليه باندهاش .. لم تعرف بأنه هنا .. هي لم

تواجهه منذ تلك المرة حين أعلن وبقوة رفضه لحبيبها .. نظرت له

بتوجس وهي تستغرب تواجده مع امها وشقيقها ..

-أين كنتِ؟؟

تسائل بألم لم يقدر على كبته .. كيف تفعل به سيادته هذا .. كيف

تحطم قلبه وتدميه بالعار كما فعلت .. أراد أن يواجهها .. أن يحطم

هذا الرداء الفاخر من لافرح الذي يحوطها لتدرك عظم مافعلته به ..

وبعائلتها وبنفسها؟؟!!

أخذ نفساً عميقاً .. حاول ان يهدئ من غضبه .. لأنه لو أطلق له العنان

لحطم كل شيء..

لطالما كان هو البارد .. الحذق .. اللامبالي..

لطالما كان سياسياً بارعاً حتى فيأحلك الظروف وأكثرها اثارة للأعصاب ولن يفشل الأن..

هو يعرف أنه لن يستطيع مواجهة ابنته ليس دون أن يخسرها للأبد وهو لايريـد ..

هو اضعف من هذا.. أضعف بكثير.

-كنت مع عبدالعزيز .. أراد ان نبدأ للتخطيط بشأن زفافنا..

تمالك غضبه وحنقه بطريقة يُحسد عليها .. وقف أمامها ببرود اكتسبه من جو باريس في ليلـة الميلاد .. وقف يواجه ابنته الخاطئة وهمس:

-على ذلك أن ينتظر لبعض الوقت.

-ماذا تعني؟؟

تسائلت بخشية .. وأمها تنصت للحديث الذي اتخذ منحنى لم يعجبها ..في حين كان فراس لايزال في عالمه الأخر..

-سمعتي ماقلته .. سنؤجل ارتباطك بذلك الرجل حتى نعود..

-نعوود من اين؟؟

عادت تتسائل بتوتر ليجيبها بحذر:

-سنذهب لزيارة عائلتي..

خيم صمت على الجميع .. الكل حتى فراس ترك مابيده وانضم لقافلة التوتر واللا تصديق:

-عائلتك؟؟؟

كسرت ايفا الصمت بتساؤل مستنكر ليجيبها ببرودة شديدة:

-لقد حان للقطيعة ان تنتهي.. لقد مضت سنوات عديدة ..

عقدت سيادة حاجبيها وهمست:

-ولكن .. لماذا الأن؟؟!!

ابتلع ريقه بشدة .. لايستطيع اشاحة عينيه عنها .. لايقدر بتاتاً .. يريد ان يهرب عن تلك النظرة المتوترة والتي تجبره ان يصرخ معاتباً ومحطماً لتماسكها الظاهري امامه .. ولكنه يجب أن يصمت .. يجب ان يقنعها والا خسرها للأبد..

-والدي كاد يموت ..

أجاب بصدق لترتفع حاجباها بتأثر هامسة:

-جـــدي!!!

قالتها بلهفة سنوات من الشوق لذلك العملاق الذي لم تعرفه سوى من قصص والدها عنه طيلة سنوات طفولتها ..جبل شامخ من العزة والكبرياء كان يرتسم أمامها وفي مخيلتها كلما ناداها احدهم

بسيـادة العزب.. ووكله منشأه تلك الحكايا عن شيخ العزب الذي يكون جدها هي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-كيف هو ؟؟ مالذي أصابه؟؟

تسائلت مذعورة ليخفق قلبه بحنان لها ويهمس:

-سيكون بخير.. ولكنه يريد رؤيتك وأخيك .. لذا سنذهب معاً ..

-رااائع ..

صرخت بحماس ومضت ترتمي بين ذراعي والدها هامسة بشغف:

-سيبارك زواجي وبذلك انال سعادة أكبر.. انه شيخ قبيلتنا وله أكيد بركاته..

تسمر والدها بقوة قبل أن يبتعد عنها بحدة هاتفاً بعصبية:

-سنناقش الأمر بزواجك من ذلك الرجل بعد عودتنا..

-ابي؟؟

صرخت مصعوقة ليهتف بحدة:

-لانقاش الان ياسيادة .. لانقاش حتى عودتنا وهذا قراري الأخير..

زفرت بألم ومرارة وهي تضرب رجلها على الارض قبل ان تُسرع بعيداً عنهم الى غرفتها .. ليعود الصمت مسيطراً عليهم الثلاثة .. سالم

يغرق عينيه في النار المستعرة ووالدتها تنظر له باندهاش وتعجب وهي تتسائل متى حدث ان عادت المياه لمجاريها؟؟!

اما فراس فقد عقد حاجبيه ثم هز كتفيه بمعنى انه لايبالي ..

كالعـادة .. وعاد بعدها لحاسبه ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وهناك .. فوق كانت تدور في غرفتها كلبوة غاضبة .. تزم شفتيها بتوتر .. وتقطع المسافة بين سريرها والشرفة مئات المرات علها تهدأ قليلاً .. ولاتستطيع ..

رغم فرحها بلقاء تأجل لسنوات مع باقي عائلتها الا انها قلقة متوجسة خيفة ..

وتشعربأن هناك كارثة قادمة في الطريق..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

تأملت ملامحه الغاضبة بابتسامة شقية وهمست:

-لاتغضب عبدالعزيز لايليق بك الغضب.

تنهد باستياء وصاح بعصبية:

-لماذا تذهبين الى هناك لما لاتبقين هنا معي وتجهزين منزلنا الذي سنعيش فيه.

-لان والدي طلب مني الذهاب كآخر رحلة اقوم بها وحدي معه قبل زواجي كيف ارفض هذا.

-ولكن سيادة انت لاتعرفين كيف هي الحياة هناك انت لم تذهبي قط من قبل.

-وهل ذهبت انت؟؟

-بضع مرات لزيارة العائلة فقط.

اقتربت منه وهمست بحنان:

-لاتقلق عبدالعزيز انا لن اغيب سوى لبضعة ايام سنحضر العرس ونتعرف بالعائلة وأعود مباشرة اليك.

تنهد غير راضٍ نهائياً عما تقوله يكاد ان يتوسلها للبقاء يكاد ان يمنعها من الرحيل لو يقدر..!! هو لايشعر بالإطمئنان لهذا السفر بتاتاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ولكنه لايجرؤ على الاعتراض.. وخصوصاً ان والدها رفض مقابلته مرة اخرى الا بعد عودتهما؟؟!!

-والان هلا كففت عن هذا المزاج العكر ولنستمتع بوقتنا.

طلبت منه مبتسمة ليحاول فعل مثلها وينسى لبعض الوقت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كانا يتعشيان معاً .. في الليلة التالية لحديث والدها معها .. حيث تقرر سفرهما بعد غد .. حيث يمكثان هي وأبيها وفراس اسبوعان مع عائلة ابيها وحضور عرس قريبهما..

العشاء كان ممتعاً خفيفاً وهي كانت رائعة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فكر بهيام عينيها تتلألآن برقة وتعكسان ضوء المصابيح الصفراء المعلقة على السقف لتصبح لامعة كسبائك ذهبية (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وشعرها الذي لامس كتفيها بحرية كغيمة نارية مشعة..

ابتسم اكثر وكفيه تقبضان على كفها الناعم بشدة وقوة لتسحبه هي بخجل وعينيها تهربان من عينيه الشغوفة:

-لم اعد احتمل الانتظار اكثر ياسيادة انا امووت هنا حبيبتي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ضحكت برقة وهمست:

-وانا كذلك ولكن للصبر فوائده ايضاً وانا سعيدة لان هذه الرحلة ستجعلك تشتاق لي وتعرف قيمتي الحقيقية.

اكملت بغرور فضحك بخشونة:

-انا اعرف قيمتك جيداً حبيبتي لو لم اكن اعرفها لما تقدمت لخطبتك ابداً.

حركت رأسها بغرور فضحك هامساً:

-اعشق غرورك سيدتي.

-جيد جدا فأدنا لاانوي التفريط به مطلقاً.

ابتسم ومضى ينظر لها وهو لايصدق انها مسألة اسابيع فقط وتكون هذه الفاتنة ملكاً له وللأبد..!!

قادها لمنزلها بنفسه كي يستمتع بلحظات اضافية برفقتها بعد أن ترك سائقه يعود وحده ..

كانت الطرقات مشتعلة في تلك الساعة من الليل وفي اليوم الذي يسبق نهايـة الأسبوع .. تأمل ملامحها المسترخي والنسيم الليلي البارد يداعب وجهها وشعرها عبر السقف المفتوح:

-هل ارفع السقف كي لاتصابي بالبرد..

هزت رأسها نافيه وصاحت بمرح:

-دعه هكذا .. أشعر بأني طائر حُر ..

ضحك بمرح وعينيه تلتهمان تفاصيلها الفاتنة .. ولكن كان عليه أن يصل بها لبيتها على اي حال .. ولأنه لن يراها قبل سفرها لانشغالها بالترتيبات فقد قبض على كفها بين يديه حالما أوقف السيارة أمام المدخل وهمس بشغف وهو ينظر لزمردتيها :

-سأشتاق اليك بجنون ياجميلتي..

تخضبت وجنتيها بالخجل وهمست:

-وأنا كذلك حبيبي..

آآه تأوه من تأثير الكلمة عليه فضحكت بارتباك وسارعت للافلات منه والركض الى بيتها .. وقلبها يعلن صخبه بدقات غير منتظمة ..

تنهد هو بفروغ صبر وتمتم:

-القليل فقط ياعبدالعزيز .. تحلى بالقليل القليل من الصبر..

عاد بأدراجه الى منزل عائلته في ضواحي المدينة وتجاهل شقته التي سئمها من برودها .. أغلق سيارته ودخل عبر البوابة الضخمة الى بهو مغطى بالرخام من طرفه الى طرفه .. ترف عارم يشعره بالزهو .. ثريات تتدلى عبر السقف الشاهق .. والأعمدة الملتوية كالأفاعي والتي تزينه ..

تسارعت خطواته الى بيت الدرج حيث اراد الوصول الى غرفته في المنزل العريق بأسرع وقت والخروج دون ان يصطدم بأحدافراد عائلته ولكن..

-عبدالعزيز(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هدر الصوت بقوة أربكته وجعلته يتوقف بلاحراك .. يكاد يشهق بالاندهاش .. تسمرت قدماه على الدرجة الاولى وعيناه تضيقان بذهول(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

"مستحيل"

فكر بغضب (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

"مستحيل انه هنا لن يأتي الان ليس الان ياربي"

توسل لربه بيأس ليعاود الصوت هدره:

-الن تنظر لي يافتى؟؟!!

اغمض عينيه بيأس لااحد يجرؤ على ان يناديه بفتى سوااااه.. لم يكن مخطئاً أبــداً ..

التفت بجسده كله وعيناه تحجرتا لمنظر الرجل الواقف قريباً منه بصلابة وقوة جعلته يشعر بالضآلة والحقد ..!! في حين التمعت العينين العسليتين بالسخرية .. وقف كمارد طويل امامه بجسده

الطويل وكتفيه العريضتين وبنيته القوية .. وذلك الوجه الصارم والحاجبين المعقودين بشراسة .. وهو يواصل بلاتوقف:

-الن تسلم علي ام انك تدرك سبب مجيئي العاجل ولذا تفضل تلقي التقريع كالعادة اولاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟!!

زفر عبدالعزيز بضيق وتوتر لايصدق بانه هنا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

قطع المحيط كله ليأتي فقط لرؤيته كما يبدو؟؟!!

"ترى مالمشكلة الان"

فكر بحنق" لماذا جاء لمااذاااا؟؟!! "

نهاية الفصل

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الرابع

كان الاستقبال الذي حظي به الشيخ حال وصوله للبلدة غير عادي بالمرة .. استقبله الكثير من ابناء المنطقة والشيوخ وبالطبع كل أفراد عائلته من الذكور..

تجاوزت السيارة الجيب الجموع بصعوبة والشيخ يرفع يده بالتحية لكل من يقف أمامه صغير كان أو كبير.. وابتسامته التي لم تفارق شفتيه تُخفي فرحة أكبر من كل مايمكن أن يتخيله اولئك الناس كلهم ..

وعائلته كانت أكثر سعادة ففي حين كان رعاد يقود الجيب المتهادية في الطريق المتعرج كان علي الى جوار الشيخ يسأله عن أحواله باهتمام ولايتوقف عن جس نبضه او سؤاله ان كان يشعر بأي ألم أوضيق في التنفس مما سبب للشيخ نوبة ضحك عميقة وهو ينهره:

-توقف عن هذا ياعلي.. يكفيني قحطان هناك .. لن تزيدها علي هنا أنت الأخر.

تضرجت وجنتا علي بالحمرة وهمس:

-اننا نطمئن عليك فقط ياشيخ..

-اطمئن .. أنا بخير وعدت عشرين عاماً للوراء..

ابتسم علي بابتهاج وهو يرى ملامح الشيخ المرتاحة فعلاً .. ومال ليكلم قحطان المجاور للسائق:

-ماذا فعلتم هناك بالضبط ..؟؟!!

رمقه قحطان عبر المرآة الداخلية بنظرة سـوداء لاتفسر جعلته يبتلع لسانه ويعود ليجلس بصمت والأخر يشرد ببصره خارج النافذة لبلدته التي تغطي طرقها الأتربة والحفر الطينية .. أشجار النخيل الموزعة حول الطريق بوفرة لاتصدق .. المنازل الطينية الصغيرة .. والدوار الضخم الذي يلوح في الأفق..

تنهد للأيـام القادمة التي تحوي بين جنباتها الكثير والكثير من التساؤلات ..كيف يمكن له أن يصمت وهو يُساق كالنعاج .. كحمل وديع لايقوى على المقاومة .. !!

هو قحطـان العزب .. الذي كانت كلمته سيف على رقبة الكبير قبل الصغير في قبيلته وخارجها.. هو يُفرض عليه الزواج .. ومن من؟؟!! من امرأة سلمت شرفها لذئب لايعرف كلمة الشرف ولايقدرها؟؟!!

شعر بضغط دمه يرتفع فجأة .. صداع ذلك الذي حطم أعصابه وعصف به .. رؤيته أصبحت ضبابية وظل أسود يخيم عليها .. كيف

سيمنع نفسه من قتلها حال رؤيتها ؟! كيف سيوقف غضبه وعنفه من أن يطالها؟! كيف ستصبح زوجته ؟! كيـف؟!

أخذ نفساً عميقاً والسيارة تصف أمام بوابة الدوار .. ورأى بعينين ضيقتين كيف اصطف باقي افراد الأسرة أمام الباب وعرف بأن النساء لابد يقفن خلف الابواب..

ساعد شيخه بالنزول .. ثم قاده بنفسه الى الداخل وهو يستقبل التهاني بالسلامة بوجه متجهم .. لم يملك أن يغيره..

المجلس الذي ضم الكثير من اولاد عمومته وأبناءهم بالاضافة لأفراد أخرين من القبيلة كاد يخنقه .. يريد التخلص من الجميع ولكنه لم يتحرك .. كجبل لايهتز جلس الى جوار جده كعادته واستقبل المرحبين بوجه قاتم .. كان يسمع التهليلات والزغاريد من الخارج .. وكل هذا كان يرفع غضبه .. وتناقضه فرحته بعودة الشيخ سليماً معافى لبيته وكل من يحبه ..

-مرحباً ياشيخ ..

التفت قحطان بصمت يطالع ابن عمته وزوج شقيقته حسن .. كان يبتسم بهدوء فرد قحطان السلام بهدوء:

-مرحباً ياحسن.. كيف حالك ؟! متى وصلت؟!

-الحمدللّه.. وصلت البارحة .. كيف كانت رحلتك؟؟

اومأ قحطان بصمت وأشاح ببصره لتتألق عينا حسن بحقد وكره وهو يقبض كفه بقوة يحاول السيطرة على غضبه العنيف من هذا المغرور الذي لايُطااق.. أشاح بوجهه عنه .. ومضى ينظر للكل حوله ..

كم يكره تزلفهم واهتمامهم المبالغ فيه لهذا الفتى الذي لايمكن أن يصل لماوصل اليه هو .. هو التاجر الثري الذي يسافر في كل مكان .. هو الرجل الذي بامكانه السيطرة على سوق التجارة في البلدة لولا أن وقف هو بطريقه .. تنهد بحقد ورجع ببصره لجده الذي كان يتوكأ على قحطان بضعف مرده التعب والارهاق وشعر بحقده يتضاعف.. هو من كان يجب أن يكون مكان هذا الرجل..

هو الأكبر سناً .. صحيح أنه يكبر قحطان فقط ببضعة أشهر ولكنها كافية تماماً لأن يتسلم مقاليد المشيخة بعد جده.. هو من يجب أن يحمل العبئ عن الشيخ الكبير.. هو من يستحق مكان القحطان .. هو وليس سواه.

تنهد بضيق وأشاح بوجهه في حين التفت قحطان لجده الذي بدأ الارهاق يشق ملامحه وهمس له برفق:

-لما لا أخذك لغرفتك ياجدي..

-وأترك ضيوفي!!

قالها باستنكار فضحك قحطان رغماً عنه:

-ضيوفك سيُعتنى بهم جيداً .. لاتقلق .. دعني أرافقك ولاتنسى أن النساء يرغبن بالاطمئنان عليك..

اومأ الشيخ بضعف .. وترك ذراعه لحفيده الذي أمسكها باحكام وهو يقوده بين الجموع تاركاً لعلي شرح الوضع وأن الشيخ بحاجة ماسة للراحة بعد رحلة كهذه..

كانت المسافة لغرفة الشيخ قصيرة .. وبعد أن ساعده على الاستلقاء قال له الشيخ:

-ادعو جدتك والفتيات .. اشتقت اليهن جميعاً ..

-حاضر جدي ..

تمتم قحطان وهو يتوجه للخارج .. ولم تمضِ ثوانٍ حتى هبت عاصفة عاتية من البكاء والقبلات انهمرت على رأس الشيخ ويديه .. تغالبها ضحكات مكتومة منه وزجرات لاتتوقف من قحطان الذي كان لايعرف يصرخ بوجه من أو يواسي من .. جدته .. أمه .. عماته .. حتى شقيقاته وبنات عمومته .. وبعد لحظات يائسة تراجع وهو يستند على الحائط .. كان يراقب بصمت والجد يُحاط بكم وفير من الحب ..

كانت سلمى تجلس بين يديه وتمسد رأسه الذي بالكاد احتوى بعض شعيرات بيضاء:

-أخبرني جدي .. هل تألمت ..؟؟ اااه ليتني كنت هناك .. ليتني تحملت بدلاً عنك ياجدي..

ابتسم الشيخ لشقاوة عينيها وهي تقبل كفه بلاتوقف:

-لاتبدأي ياصغيرتي .. حماك اللّه ..ولا أراني بك شراً ابداً ..

تقدمت حينها غزل وقبلت رأسه هامسة بصوت مخنوق:

-يحفظك اللّه لنا ياجدي .. لقد اشتقنا اليك كثيراً..

ابتسم جدها بحنان وضم كفها اليه هامساً :

-وانا اشتقت اليكن صغيراتي .. ولكن أين نصفي الأخر لاأراه.. ؟؟

ضحكت سلمى وهي تمسح دموعها قافزة من على السرير لتحيط كتفي جدتها بذراعها:

-هاهي هنا جدي لاتقلق لم تنقص منها ساق او عين حين كنت غائباً.. لاتزال قطعة واحدة مسررة للعين ..

ضحك الجد بمرح وراقه احمرار وجنتي زوجته العجوز التي غطت وجهها بكفيها رغم السنوات .. لاتزال تخجل!! وضحكت الفتيات معه في حين اقتربت ابنته لتقرص ابنتها بقوة في ذراعها صائحة بحنق:

-سلمى ياقليلة الحياء..

تأوهت سلمى وركضت بعيدة تحتمي بجدها الذي ضمها اليه وقال محذراً:

-لا أحد يغضب حفيدتي.. لها الحرية لتفعل ماتشاء..

قبلته سلمى بفرح على رأسه:

-اه احببك جدي .. ولهذا فقط سوف أُخرج كل هؤلاء النسوة لتنعم ببعض لحظات مع زوجتك الصبية ..

-سلمى..

صاحت أمها محذرة والجدة ترفع صوتها وتدعي لها بكمال العقل وجدها يغرق في الضحك مجدداً ..قبل أن يهمس:

-بل ستأخذين الكل ماعدا امك وقحطان .. هيا الأن .. فلدي ماقوله لهم..

-انها عنصريــة ..

اعترضت باستنكار فضحك الجميع قبل أن يسارعوا بالخروج من الغرفة التي لوهلة بدت وكأنها ستنفجر .. ولم يتبقى سوى قحطان المستند على الجدار وحده في عزلة وامه وجدته اللتان اقتربتا من سرير الجد وهو يعتدل ليقول لهما بحماس لم يفتره ضعفه الواضح:

-لدي مفاجأة .. لاأعرف حتى كيف أقولها لكما..

تبادلت المرأتان النظرات باستغراب ليواصل هو بسرعة وكأنما لم يعد يقوى على الكتمان:

-سالم سيعود لدياره..

اتسعت عينا الجدة بذهول في حين شهقت هدية "والدة قحطان" باستغراب اشد وهي تحاول استيعاب الموضوع والجد يواصل بعينين مبللتين بالدموع:

-ابني سالم سيعود الى البلدة خلال ايام قليلة .. سيعود ولدنا ياعزيزتي..

-ابنــي..

همست الجدة بصوت شاحب .. لتحيطها زوجة ابنها البكر بذراعها بحنان وهي تتسائل:

-كيف ذلك ياشيخ؟؟ كيف التقيتماه؟؟

أخذ الشيخ نفساً عميقاً ومضى يحكي لهما كيف جاء اليه سالم الى المشفى وكيف آلت اليه الأمور يدفع عنه دموعه ويمسح بيد مرتعشة تلك الدموع التي انسابت من زوجته وهي تشهق بالشكر للّه الذي سيسمح لها برؤية ابنها الغائب قبل أن تموت .. وشاركتها

هدية الدموع وهي بالكاد تتذكر ذلك الغائب الذي لم تره منذ عاد لحضور جنازة زوجها قبل سنوات طويلة وغادر نهائياً .. بعد أن رفض الشيخ بقاءه رغم توسل الرجل .. ولكن .. لابد أن المرض قد أضعف الشيخ العجوز ..حتى يوافق على عودة ولده اليه بعد كل هذه السنوات ..

-وليس هذا فحسب..

قالها الشيخ مرتجفاً .. ليسحب اهتمام المرأتين اليه .. وأسرع مضيفاً:

-سيأتي بولديه معه ..

-حمداً لله .. حمداً لله ..

همست الجدة بصوت شاحب في حين سارع الجد مضيفاً:

-اسمعا هذا ايضاً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ابنته .. عروس صغيرة .. وبالتأكيد ستكون فائقة الجمال ..

وبكل فرحة الدنيا في عينيه همس متشوقاً:

-وقد خطبتها لقحطـان وستُزفُ اليه مع غزل لرعاد..

اتسعت عينا هدية بذهول .. وأدارت وجهها تنظر لولدها الذي استند على الجدار صامتاً كقبر يعقد ذراعيه على صدره وفي عينيه نظرة

سوداء لم تتزحزح عن جده .. حتى وهو يمعن في ارساء الألم وممارسة الضغط بلاتوقف..

-وماذا عن الفتاة التي اخترناها له؟؟؟

تسائلت جدته بقلق فسأل الجد:

-هل كلمتم أهلها بعد؟؟

-لا لم نفعل رسمياً ولكننا ألقينا الكثير من التلميحات ياشيخ..

اعترضت أمه بضعف فهز الشيخ رأسه وقال بتصميم:

-سيـادة العزب ستكون زوجة قحطان .. وليس سواها .. انها كلمتي ..

-اسمها سيادة؟؟

تسائلت أمه بتوتر ليومئ الشيخ بفرح وهو يهمس:

-سالم اسماها سيادة .. ولن يكون هناك سيادة غيرها ..

مطت أمه شفتيها بحنق والتفتت اليه :

-وأنت ماهو رأيك؟؟

عقد قحطان حاجبيه وهو يرى عدم رضا والدته الكامل وهمس ببرود:

-ان كلمة الشيخ سيف على رقبتي أماه.. سأتزوجها.

قالها بصوت كالحديد .. لايليـن .. لتزفر امه بحنق وتنهض هامسة:

-سأذهب لأشرف على ترتيبات الغداء..

انصرفت مسرعة ليتنهد الشيخ ويقول لقحطان:

-بارك اللّه فيك ياولدي.. اذهب لترتاح انت الأخر .. فأنت لم تنم منذ يومين..

اومأ قحطان بصمت وغادر .. ليلتفت الشيخ لزوجته التي آثرت الصمت وهي تزم حاجبيها بعقدة عميقه جعلته يهمس:

-مالذي تخشينه يارفيقة عمري؟؟

هزت رأسها بقلق وهمست:

-أخشى انك ترتكب خطئاً ياشيخ..

عقد الشيخ حاجبيه وانتظرها لتكمل فأضافت:

-قحطان لديه الكثير من الطباع الصعبة .. وأنت تاتي له بزوجة من الخارج .. لاأحد منا يعرف كيف تكون .. لاشكلها ولاطباعها ولاحتى أخلاقها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-انها ابنة سالم ياامرأة مابالك؟؟

نهرها بحنق فأسرعت:

-أعرف انها ابنة سالم .. حفيدتي .. ولكن .. هي ابنة تلك المرأة الأجنبية كذلك.. هي ابنة المرأة التي خطفت ابننا منا وحرمتنا منه لسنوات .. ماذا ان احكمت سيادة على قحطان وأخذته كمافعلت امها بأبيها..

أضافت عبارتها الأخيرة بجزع .. لم يرد عليها الشيخ سوى بضحكة مجلجلة اتبعها بسعال قوي وهو يقول:

-مالذي تفكرين به يامجنونة.. هل تظنين قحطان سيسلم لسيادة؟؟ هل تظنينها ستسيطر عليه؟؟

نظرت له زوجته بشك ليقترب منها قائلاً:

-قحطان العزب لن يسمح لمطلق امرأة بالسيطرة عليه .. وليكن في علمك بأنه قد رفض الزواج وأنا من اصريّت عليه ..

-لمـاذا؟؟

-لأنها سيادة العزب.. ولأن لاأحد سيقدر عليها وعلى جموحها سوى ابني الذي قمت بتربيته بيدي.. أتفهمين؟؟

اومأت له قبل أن تهمس:

-أتمنى فقط أن تفهم أنت مافعلت ياشيخ .. فمع ماتقوله عنها .. وماعرفه عن قحطان .. فلاأظن ان زواجهما سيستمر.. ابداً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ابتسم الشيخ وعاد يسند ظهره للوسائد خلفه وهو يتمتم:

-سنرى ياعزيزتي.. سنرى..

***

كان محقاً في شكوكه .. فمجيئه الأن .. كان أسوأ مايمكن أن يحدث له..

وقف عبدالعزيز مسمراً أمام الرجل الذي اقترب منه بخطوات حثيثة وابتسامة السخرية تلمع على وجهه ليقف مواجهاُ له وان فاقه ببضعة سنتيمترات أجبرت الاول أن يرفع عينيه ليواجه نظراته الغارقة بالقوة ..

-مابالك يابــن العم .. هل أخافتك رؤيتي الى هذه الدرجة؟؟!!

-لست خائفاً منك ياسَيــف..

صاح عبدالعزيز بحدة فقهقه سيف وهو يدور حول ابن عمه بتسلية:

-انظر اليك عبدالعزيز .. كماكنت على الدوام .. مرتبك .. خائف ومذعوور..

-سيييف..

هدر عبدالعزيز بغضب .. يكره ابن عمه .. يكرهه لأنه يعشق استفزازه .. ويجيده .. يكرهه لكل ماهو عليه من خبث ولؤم يطل بوضوح من عينيه .. يكرهه لكل هذا وأكثر بكثير..

-لماذا أتيت الى هنا؟؟

همس ساخطاً .. ليرفع سيف حاجبيه بخبث:

-هل ستمنعني من منزل عائلتي؟؟ أم تظن نفسك الوحيد من له الحق في التمتع بترف العيش في القصور ؟؟

عض عبدالعزيز شفتيه بغيظ .. يعرف سيف .. ويعرف متى يستخدم هذه النغمة الناعمة .. هناك شيء يخفيه هذا الثعبان .. شيء سيقطع ذراعيه ليعرفه..

-لا أحد يمنعك من الزيارة ياسيف .. أنت فقط من تختار اسوأ الاوقات لفعلها ..

رد بحنق ليبتسم الأخر ويقف أمامه حتى لايكاد يفصلهما شيء .. وهي الحركة التي يكرهها عبدالعزيز حد الموت .. فهي تظهر لسيف كم انه مضطرب.. ويرغب بالفرار ولاشيء سواه ..

-أخبرني عماتفعله هذه الأيام ياعبدالعزيز؟؟

ابتلع عبدالعزيز ريقه وهمس :

-ماذا تعني؟؟

-تعرف جيداً ماأعنيه..

غمغم سيف بابتسامة ثابتة وواصل وهو يرى الارتباك في عيني قريبه يزداد:

-أخبرني عما تفعله مع تلك الفتاة؟؟ تلك الفتاة من آل العزب؟؟

تصلب جسد عبدالعزيز ونظر لابن عمه بدهشة :

-وماشأنك أنت ؟؟

رفع سيف حاجبيه وقال بحدة:

-أنت تعاشر فتاة منهم .. أمام الجميع .. حتى تصل الأخبار لوالدي ويكاد يحطم رأسك وتسأل ماشأني؟؟ هل جننت؟؟

-علاقتي بسيادة لاشأن لأحدٍ بها..

صرخ عبدالعزيز حانقاً ليجيبه سيف بقوة:

-لنا كل الشـأن فنحن عائلتك أيها الأحمق..

-لاتنادني بالأحمق..

صرخ عبدالعزيز بشراسة دفعت سيف للضحك ساخراً:

-اه نعم لما لاتركض هارباً كالأطفال وتغرق في حضن أمك..

-سييف توقف عن استفزازي فلم أعد طفلاً ..

-تصرف كرجل اذن..

هدر صوته بغضب ليتسمر عبدالعزيز وأنفاسه تتلاحق .. يريد أن يهدأ .. يريد أن يخرج من هذا النقاش رابحاً .. هو لم يربح يوماً في مواجهة سيف .. عليه أن يفعل الأن..

-أنا لن أترك سيادة..

-انها من آل العزب.. اذا لم تتركها بارادتك فهم سيأخذونها رغماً عن أنفك ..

قالها سيف محذراً .. وعيناه تغرقان بالغضب..

-والدها وافق على زواجنا..

-هراء.. شيوخ العزب لن يسمحوا لأحد منا بأخذ واحدة من بناتهم .. مستحيل..

-سيادة مختلفة .. انها نصف فرنسية..

-مهما كان الأمر..

صرخ سيف .. وعاد يكمل وهو يرى شحوب وجه ابن عمه:

-انا جئت هنا لأنبهك عبدالعزيز .. لن نسمح لك بجلب العار لنا .. لن نسمح لك بتمريغ سمعتنا وكرامتنا ارضاً.. ليست عائلتنا من تُرفض

وتلقى كالمهملات .. وهذا ماسيفعلونه بك شيوخ العزب لو وطأت أرضهم أتفهم.

-سيادة لي..

همهم عبدالعزيز بألم ..

-أنا احبها وهي تحبني.. لايمكن أن تحرمونني منها ..

-هي لم تكن لك من الأساس يابن العم ..

قالها سيف بهدوء استعاده بصعوبة ..

-ولكنها ستعود الـي.. ستسافر للقاء جدها وتأخذ مباركته وتعود الي.

قالها عبدالعزيز بتصميم ليقف سيف صامتاً .. ينظر لابن عمه وهو يغرق في بؤسه .. يجلس على الدرجات منكس الرأس هامساً باسمها في لوثة عاشق:

-سيـادة .. انا احبها .. احبها اتفهم..

-انها معركة خاسرة منذ البداية ياعبدالعزيز.. لن تنتصر فيها قط.. فاتركها.. قبل أن تتركك هي.

-هي لن تتركني.. انها تحبني لما لاتفهم؟!

هتف باعتراض ليجابهه برود اعتاده لدرجة الكره:

-ليس بارادتها .. ولكنها ستتركك..

نهض عبدالعزيز متثاقلاً:

-سأذهب لأخذها ..

ضاقت عينا سيف الواسعتين وهتف بحدة:

-هل جننت؟؟

-انهـا لــي..

صرخ عبدالعزيز وكاد يسرع للخارج لولا ان سيف قبض على ذراعه بقوة وهتف به:

-لن أسمح لك بالذهاب لأي مكان..

-أنت لست بوصيٍ علي..

تخلص من قبضته ليعاود سيف القبض على ذراعيه بقوة وهو يصرخ فيه:

-بلى أنا كذلك .. أتفهم.. لن تتحرك من هنا قط..

-دعني وشأنييي ..

حاول عبدالعزيز التخلص من قبضة سيف ولكن الأخير كان أكثر قوة .. وبأساً .. وسرعان ماكان يقيده بين ذراعيه باحكام وهو يهمس في اذنه:

-لاتكن مجنوناً وتصرف بحكمة لمرة واحدة فقط في حياتك..

-دعني اذهب هل جننت.. ؟؟!!

رماه سيف بقوة على الارض ليتلوى عبدالعزيز بألم ويصرخ فيه:

-أنت هو المجنون..

-عبدالعزيز؟؟!!!

صدح الصوت الرقيق بحدة .. جعل الاثنان يلتفتان لأعلى الدرج حيث وقفت تلك المرأة المتشحة بالسواد من قمة رأسها لأخمص قدميها .. وجهها شاحب وعيناها ترتجفان ..

-أمي !!

همس عبدالعزيز وهو يهب على ساقيه مسرعاً اليها في حين زفر سيف بضيق وهو يشيح عن زوجة عمه التي نظرت لهما الاثنان بصدمة:

-مالذي يحدث هنا؟؟ لماذا عدتما للقتال؟؟

-لم يحدث شيء ..

سارع عبدالعزيز وهو يحتويها بين يديه ليقاطعه سيف بصرامة:

-بل هناك الكثير عمتي..

نظر له عبدالعزيز بحقد صارخاً:

-أصمت ياسيف.

-لن اصمت وأنت على وشك جلب العار لنا..

شهقت أمه برعب وهي تنظر لولدها الوحيد والذي هتف بها برفق:

-لاتقلقي أماه انه مجرد هراء.. مايقوله هو..

-هو ماذا؟؟ أخبرها الحقيقة الأن (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

سخر سيف ليقابل عيني ابن عمه الساخطة .. ضحك وهمس له بتشفي:

-اذهب بأمك الى فراشها وابقى بجوارها.

عقد عبدالعزيز حاجبيه وكاد يرد بطريقة فجة ليفاجأ بلمسة باردة من امه وهي تهمس:

-ماالذي حدث بني ؟؟ ماالذي يقوله سيف؟؟

نظر لعينيها الذابلتين وبشرتها الشاحبة قبل أن يبتلع ريقه بصعوبة ويهمس لها:

-لاشيء مهم أماه .. تعالي اصحبك الى فراشك..

-ولكن بني..

اعترضت بضعف فهمس باصرار:

-لاأمي .. سأخذك لفراشك اولاً.. هيابنا..

قادها لغرفتها وهو يخفي غليان غضبه بصعوبة .. لايقدر على ترك أمه وهي في هذه الحالة .. ليس وهي تكاد تقع بين يديه .. والدته كانت مريضة وكان الكل يعرف ان الحزن والقلق ليسا بخيارات توضع لها .. لاشيء يجب أن يعكر صفو حياتها الهانئة .. وخبر كالذي كان سيف ينوي قوله لها كفيل بقتلها ..

وضعها برفق على الفراش ..غطاها بحنان وبقي الى جوارها حتى تنام ..

نهض ينظر للظلام الذي بدأ يتلون بألوان الفجر لم يعرف بأن الوقت مضى بهذه السرعة .. ستغادر اليوم .. وقد لايراها ابداً ..

أغمض عينيه وهتف لنفسه بحسم..

سيفعل المستحيل لتعود اليه .. سيادة لايمكن أن تتخلى عنه ..

مستحيل ان تفعل هي تعشقه بقدر مايحبها.. راقب امه التي كان تنفسها هادئاً ومنتظماً .. ثم اخذ نفساً هو الأخر وغادر على أطراف اصابعه .. يجب ان يحادثها.. عليه ذلك .. عليه أن يسمع انها لن تتركه حتى يطمئن..

أخرج هاتفه واتصل بها.. ظل الهاتف يرن لفترة لابأس بها قبل ان يتهادى له صوتها الناعس:

-حبيبي ماذا تريد في هذه الساعة؟؟

أغمض عينيه بارتياح ..هي لاتزال هنا .. معه ولاشيء سيغير هذا الأمر..

-لاتذهبـــي..

همس متوسلاً .. لم يسمع اجابة لبعض الوقت فعاد يهمس برجاء:

-سيادة أتوسل اليك لاترحلي اليوم..

-عبدالعزيز مالذي تقوله؟؟

جاء صوتها مشوشاً .. فعاد يصر:

-لاتسافري وتتركيني.. دعينا نتزوج اولاً ..

ابتسمت ملئ شدقيها وغرقت في الوسائد الحريرية تحتها وهمست بثقل:

-ستشتاق الي أيها المجنون..

أغمض عينيه لنبرتها المغرية وهمس:

-أشتاق اليك منذ الأن حبيبتي.. وأنا لست مطمئناً ابداً..

-لاااا عبدالعزيز لن نعود لذات الموال منذ البداية..

اعترضت ساخطة فهمس:

-أحبك ولاأقوى على التفكير بأنني قد أخسرك في يوم ..

-أنت لن تخسرني ابداً ..

همست بثقة فسألها:

-عديــني..

ابتسمت :

-أعدك أيها الحبيب.. لن تخسرني مهما حدث ..

-عديني بأنك لن تكوني لسواي .. عديني بأنني سأكون الوحيد في حياتك سيادة..

قال بصوت حازم .. وانتابها القلق اعتدلت على الوسائد هامسة:

-عبدالعزيز.. مالذي تقوله الأن.. بالطبع لن اكون لأحد سواك..

-عديــني ..

أصر مجدداً .. فأغمضت عينيها بنفاذ صبر وقالت حانقة :

-لن أفعل حتى اعرف مالذي تقصده من كل هذا الهراء..

صاح بيأس:

-احتاج لأن تعدينني سيادة احتاج لأن أثق بك..

اتسعت عينيها بحنق وصاحت:

-أنا سيـادة العزب عبدالعزيز .. لست اياً كان .. لاتشكك بكلمتي..

-ولكنني لست متأكداً سيادة .. أنا قلق بشأن والدك..

زفرت بضيق:

-والدي وافق على الزواج فلاتجعله حجتك.. حالما نعود من البلدة سنتزوج ..

-لاتذهبي..

كرر برجاء .. ولكنه بالفعل بدأ يثير غضبها .. لذا زمت شفتيها بعناد وصاحت به:

-بل سأذهب.. والأن دعني اعود للنوم فلدي العديد من الاشياء لفعلها قبل سفري.. الى اللقاء عبدالعزيز ..

وبدون تردد أغلقت الخط ..

نظر للهاتف الصامت بين يديه بصدمة .. لايعرف ايها اصعب عليه .. اصرارها على الرحيل ام عدم وعدها الذي ترجاه من كل قلبه ..

خشى هذا العناد والكبرياء .. يخشى ان يكون هو سبب ابتعادها عنه الى الأبد .. يخشى ان تتركه بلارحمة .. يخشى من عنفوانها وقوتها تلك .. على مشاعرهما الضعيفة ..

***

كان كل شيئ جاهز الحقائب جوازات السفر المعدة على الدوام كل شيئ وقفت امام نافذتها تستغرب عدم اتصاله وكأنما كان يعاقبها على نعت ماقاله لها ليلة امس بالهراء وطلبها منه ان يكف عن الشك الذي يكاد يقتله انها ذاهبة لزيارة جديها وليس هذا فقط بل هي تنوي الحصول على مباركتهما لزواجها القريب ابتسمت بثقة ووضعت نظارتها الموقعة بحروف اسمها ومضت الى الاسفل حيث كانت امها تجلس تنقر على مسند مقعدها بعصبية فابتسمت تفكر ان امها هي الشكاكة رقم اثنان ضحكت لنفسها ومضت الى امها تقبل وجنتها هامسة بمرح:

-لما الجميل قلق الا تعرفين مدام ايفا ان القلق يزيد من فرصة ظهور التجاعيد؟؟

تنهدت امها وضمتها اليها هامسة:

-انا لست مطمئنة لسفرك لما لاتعتذرين لأبيك وتبقين دعي فراس يذهب.

-لا اامااه انا اريد الذهاب.

اعترضت سيادة بحزم ثم واصلت وهي ترى الامتعاض على وجه امها:

-ان زيارة جدي هو حلمي منذ سنوات ..انا حقاً اريد التعرف على عائلتي انت لن تمنعيني اماه انه قرار ابي وانا حقاً اسانده هذه المرة.

-ولكن لماذا الان انا لست مطمئنة ابداً!!

ضحكت سيادة واقتربت تحوط وجهها بكفيها:

-امي لاتقلقي انا سأكون بخير مالذي يمكن ان يحدث؟! اذا لم يعجبني المكان والناس هناك حزمت حقائبي وعدت ليسوا وكأنهم قد يمنعونني من السفر لاتنسي اني مواطنة فرنسية ولي حقوق.

تنهدت امها وهمست لها بحرارة:

-لاتنسي اذاً ان تتصلي بالقنصلية هناك حال وصولك لإعلامهم بمكانك تعلمين كي يكونوا على علم بتحركاتك.

-حاضر امي لاتقلقي.

همست تطمئنها وهي تعانقها بحب قبل ان تسمع صوت اخيها المتوتر:

-هيا بنا سيادة سنتأخر عن موعد الطائرة.

قبلت امها سريعا واسرعت الى الخارج ملوحة لها ..

تنهدت امها بضيق وهي تشعر بأنها المرة الاخيرة التي تراها فيها على الاطلاق؟!!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

في الطريق الى المطار حاولت الاتصال به مراراً وتكراراً حاولت ولم تفلح.. أتراه غاضباً مما حدث في لافجر؟؟ لابد انها ستقضي وقتاً طويلاً لتصالحه .. تنهدت بضيق ومضت تنظر لوالدها الغارق بافكاره الخاصة واخيها الغارق في هاتفه الشخصي وتنهدت وهي تمسك يد والدها هامسة:

-ستكون رحلة جيدة اليس كذلك ابي؟؟!!

نظر لها ابوها متفاجئاً شعر في لحظة بتأنيب ضمير لم يقدر على ان يسيطر عليه !!

ابتلع ريقه وهو يقاوم رغبةً باعادتها الى قصرها واتمام زواجها من ذلك الرجل فقط كي لايرى الالم على محياها الاسر الجميل ولكنه لم يقدر.

عقله نهره وبشدة وهو يقبض على كفها بين يديه ويشرد في الطرقات الغارقة في صمت الفجر هامساً:

-ستكون رحلة العمر يابنتي.

ابتسمت باضطراب وعادت تنظر هي الاخرى للطريق تشعر باضطراب ابيها وتوزعهُ للقاءه المرتقب بعائلة افتقد قربها لسنوات..

لن تكذب هي فعلاً تشعر بالترقب والحذر ويغلب عليها الحماسة لرؤية عائلتها اخيراً ولكن..؟؟؟

كان هناك شيء يغطي ملامح المستقبل القريب يغطيه ويجعله مبهماً لدرجة كبيرة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تنهدت ونظرت الى الخارج غارقة في الصمت وتحاول الهاء نفسها عن التفكير بذاك الاخر الذي لم يزل مصراً على عدم الرد؟!!

***

"ستذهب انت ورعاد لاستقبال عمك"

ترددت عبارة جده الحازمة في ارجاء عقله وهو يوقف سيارة البرادو امام موقف السيارات المخصص لمطار عدن الدولي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) بزفرة توتر وحنق جعلت رعاد الجالس الى جواره ينظر له بخبث:

-ماذا ؟؟ لاتطيق صبراً لرؤية العروس؟؟

حدجه قحطان بنظرة قاسية جعلته يبتلع لسانه ومايريد ان يقول بعدها وزفر هو بضيق(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

منذ عرف افراد عائلته بالموضوع وهم لايكفون عن اغاظته من وقت لآخر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وكل ذلك بسبب ثرثرة امه !! كان يود لو بقي الامر سراً لبعض الوقت.. حتى يقدر التعود على الامر هو الاخر ولكن هيهات ..!!

لازال الامر طي الكتمان خارج العائلة ولكن لايزال مزعجاً.. فأفراد عائلته بالذات أخويه لايكفان عن اطلاق لاتعليقات المرحة والمزعجة عن زوجة الشيخ الباريسية .. المرأة التي تحمل اسم سيـادة .. وكيف يمكن ان تكون ومايمكن أن تشبه؟؟؟

نزل ورعاد الى صالة الاستقبال حيث وقفا بانتظار عائلة عمه المبجلة كان متوتراً لأقصى حد ولايمكن لأحد أن يلومه .. وكيف يفعلون .. !!

زفر بضيق والركاب يأخذون وقتاً أطول للنزول من الطائرة .. نظر لأخيه وقال بتجهم:

-سأذهب لأستعلم عن سبب التاخير.. لاتتحرك من هنا..

اومأ له رعاد وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة تجاهلها قحطان ومضى في طريقه ..

وفي الطائرة كانت سيادة تضع حقيبتها على كتفها هاتفة بحماس :

-لاأطيق صبراً للنزول ..

نظر لها والدها بحنو ثم همس لها:

-لاتنسي وضع الايشارب على رأسك حبيبتي.. نحن هنا لسنا في باريس..

اومأت بتفهم وأخرجت ايشارباً ذهبي اللون من حقيبتها هامسة:

-لاتقلق .. كل شيء معد ..

ابتسم وضغط على كتفها .. نزلا معاً يتبعهما فراس الذي تأفف من الحرارة الرطبة التي صفعتهم على ارض المطار:

-الجو مقرف..

نظر له أبيه بتجهم في حين ضحكت سيادة :

-بل هو رائع .. اليس أفضل من سماء باريس المكفهرة هذه الأيام ابي..

-بالتأكيد حبيبتي..

قالها مغيظاً فراس الذي زم شفتيه بضيق وهو يتبعهما الى صالة الجمرك ..

بعد اجراءات روتينية تلفت سالم بحثاً عن ابن أخيه .. كان يعرف بأنه سيأتي لاستقبالهم .. لن يأتي سواه وهذا جعله في قمة القلق والترقب.. ابتلع ريقه في حين اقتربت منه سيادة هامسة:

-سأذهب لحمام السيدات ابي.. أريد تعديل ملابسي..

اومأ لها بشرود وعقله في البحث عن ابن اخيه .. في حين وقف فراس ينظر حوله بضجر..

سارعت سيادة الى حيث اشارت اللافتة لحمام السيدات ..وغابت خلف الابواب الخشبية.. وقفت امام المرآة تنظر لوجهها المشرق وكأنما لم تقضي مايفوق الثماني ساعات في طائرة من فرنسا الى اليمن !!

اخرجت حقيبة صغيرة تحتوي مواد عناية بالبشرة وسرعان ماكانت تزرع بعض اللون المورد الى وجنتيها وشفتيها.. وتعدل الايشارب على رأسها لتفلت خصلات ناعمة لتحيط بوجهها وتضفي عليه النعومة والنضارة.

عدلت سترتها التي عكست لون عينيها الزمرديتين وبلوزتها الحريرية باللون الاصفر الشاحب ..وبنطلون باللون نفسه يحيط بكاحليها..

اخذت نفساً عميقاً متوتراً قبل ان تسمح لنفسها بالخروج..!!

كانت تموت من القلق ولن تنكر ابداً .. ظلت تأخذ الانفاس العميقة وهي تقطع ممر الخدمات الى بهو المطار.. وطوحت حقيبتها على كتفها وهي تتلفت بحثاً عن والدها ولكن دون فائدة..!!

بحثت يمنى ويساراً ولكنها لم تجد احد!!

انتابها الذعر للحظة وقبضت بقوة على رباط حقيبتها وهي تتراجع للخلف بحدة كي تنظر في اتجاه اخر حين شعرت بكتلة الصلب التي اعترضتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

صرخت بذعر وهي تستدير على عقبيها لتنظر بأي حائط اصطدمت وهي تضم ذراعيها اليها وعيناها تتسعان برعب..!!

لكل ذلك الاحساس الذي اجتاحها وهي تغرق في الثقبين الأسودين اللذين انبثقا امامها فجأة.. لم يكن يمت للرعب بصلة .. كان شيئاً لم تحلم به أو بشبيه له من قبل.. !!

كل التوتر الذي كانت تشعر به تجمع بقوة غريبة وتكتل ليحتل تلك البقعة اسفل قفصها الصدري ..وكأنما بطل ملاكمة قد سدد اليها قبضته بلارحمة وتسبب بتوقف الهواء عن ملئ كل حويصلاتها التنفسية.. تكتل هناك وتسبب بتوقف أنفاسها بشهقة قصيرة لم تغادر شفتيها وملأتها من الطرف للطـرف.. !!

تراجعت وهي تحاول الفكاك من اسر عينيه الثاقبتين ولم تقدر وكأنها كانت تغرق وتغرق في ظلمة لاتقدر على الفكاك منها ..

هو ذلك الاحساس العارم بالخدر الذي انتشر عبر جسدها ..كموجة صيف حارة .. هي تلك الحرارة التي اذابت ساقيها ومنعتها من الحراك .. هو ذلك السبب الذي منعها من الركض والهرب..

هو ذلك التيار البارد الذي جمدها من رأسها لأخمص قدميها في مكانها .. هنا .. وسط مطار مزدحم .. حيث انتشرت روائح ربيع لم يأتي بعد .. وشعرت بوحشة خريف تتعثر بها ..

هنا وأمام هذا الرجل .. هاجمتها الفصول الأربعة .. كتائهة وسط زمن لم يتحدد لها معالمه بعد ..

كزوبعة اقتلعتها من جذورها ورمتها هناك .. في ظلمة عينيه وعقـدة حاجبيه ..

انهمرت عليها وثبتتها مكانها كالبلهاء .. تنظر اليه كمراهقة تعيش قصتها الأولى ..

-هل أنت بخير..

بصوت كله خشونة بنبرة لم تسمعها قط من قبل .. كأنها نُحتت من بين الصخور قادمة من أعماق جبل !! صدمتها بقوة وتركتها مخنوقة ..

رفعت كفها بصعوبة تدلك حنجرتها المتخشبة .. تحتاج أن تفك عينيها من احكام عينيــه .. ليس عدلاً أن يملك رجلاً ما كل هذه السيطرة .. ليس من حقه أن يتصرف كرجل من العصور الوسطى !! همجي .. فكرت بثورة .. أنفاسها تتسارع والغضب يغلي في شرايينها .. بللت شفتيها بطرف لسانها ووجدت صوتها المخنوق هامسة:

-Fous- moi la paix!

كانت تريدها هادرة وثائرة ولكنها جائت خائفة ومذعورة .. رأت عقدته تزداد .. وأدركت انها كلمته بالفرنسية التي لابد يجهلها ..لذا عادت بذاكرتها لماتعلمته من العربية .. وكم كان هذا صعباً .. ليس لأنها لم تتكلم العربية .. بل على العكس كان والدها يصر عليها وعلى فراس ان يتحدثا معه بالعربية كي تظل اللغة بينهم ثابتة .. ولكنها فقط شعرت أنها قد نسيت كل شيء.. وكأنه قد مسح من ذاكرتها كل ماتعرفه ..

كانت تفتح فمها لتتكلم وتعود مغلقة اياه بغباء بحثاً عن الكلمات المناسبة ..

تلك النظرات لازالت وبقوة تعيث الفساد في حنايا عقلــها ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

-سيـادة ؟؟!!

انتفضت بذعر وهي تلتفت الى والدها .. كهزة اقتلعتها من بحر من الرمال الناعمة كانت تغرق فيها على مهل .. شعرت بساقيها واندفعت اليه كهرة مذعورة:

-بـابا..

صرخت وهي ترتمي بين ذراعيه ..تخفي عينيها عن تلك الدوامة التي كادت تبتلعها وهي تشكر ربها أنها ستتخلص من ذاك الوحش الهمجي بأسرع مما ظنت ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

-قـحطـان ..!!

تسلل صوت رعاد اليه ينتشله مما كان فيه بقسوة ..

عيناه متسعتان بذهول لم يقدر أن يخبئه .. هـي؟؟!!

هذه هي؟؟!!

ابتلع ريقه بصعوبة ونظر لأخيه بعينين متسعتين ليهمس له رعاد بحيرة:

-أأنت بخير..

حرك رأسه بلاهدف وهو يهمس بشرود:

-لنذهـب..

قالها بصوت لم يتعرف هو نفسه عليه .. كعملاق يهز ارجاء الكون حوله ..

-قحطاان ..

ناداه عمه بتوتر.. أغمض عينيه .. لايريد ان يراها .. توقف واشتدت قبضتاه حول مفاتيح السيارة وهو يسمع عمه:

-انها سيـادة ابنتي..

لا.. لا .. لا..

غمغم في نفسه عدة مرات .. لايعقل أن تكون هي .. لايعقل أن تكون هذه هي ؟؟!!

-سيـادة .. انه قحطان العزب .. ابن عمك.

هكذا بكل بساطـة ؟؟!!

نظرت لأبيها بجزع .. هكذا بكل بساطة يخبرها ان الرجل الذي هز ثقتها بنفسها بنظرة واحدة هو ابن عمها؟؟

بلحظة واحدة يخبرها أن الرجل الذي أرادت ان تركض منه وتختبئ .. سيكون هو من ستلجئ اليه الان!!

ليس عدلاً..

حملت عيناها السخط .. والخوف ..

نظرت في إثره .. هو حتى لم ينظر اليها مجدداً .. وهي لم تعد ترى سوى تلك القامة الطويلة والكتفين العريضين بعرض السماوات!! ريح عاصفة تلك التي استقبلها صدرها الناكئ من ألم تلك المشاعر غير المعتادة..ريح عاصفة اضطرتها أن تتشبث بوالدها ولاتفلته وهي تسمع ذلك الصوت المبهم يأمرهم بالتوجه الى السيارة ..

تحركت ولاتعرف كيف .. كعمياء يقودونها الى خارج المساحة الأمنة في المطار .. سمعت ترحيباً خجولاً من شخص أخر ولكنها لم تره ..

لاتزال عينيها على تلك الكتلة من الغضب التي تسير امامها بكل عنجهية وغرور بدون أن ينظر اليها حتى ..!!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تشبثت اصابعه بقوة بمقود السيـارة ..بانتظار ان يصعد الجميع ..

ظل أسود مخيف ظلل على عينيه ومنعه حتى أن يرى أمامه ..

لايستطيع القيادة هكذا .. يقسم أن يقودهم الى الهاوية ان فعل؟!

لايزال يشعر بجفاف في حلقه منذ التقاها ..

أغمض عينيه بسرعة .. لايريد أن يتذكر الألم الذي اجتاحه لذكرى هبوبها عليه .. كعاصفة رملية .. بعثرته ونثرت الرمال عليه بلارحمة .. عيناه تحترقان .. وكأنما يواجه شمساً حاشا وجهاً لبشـــر!!

تلك النار التي تحوطها تؤذيه .. كمسكيـن .. غارق في جفاف صحراء.. شمسها حارقة حد الجنون ..

ثم كانت عينيها ..

استغفر اللّه العظيم ..

تمتم بخفوت .. يتذكر النعيم الذي شعر به حال استحكمت عيناها عينيه.. بكل تسلط .. بسطت سيادتها بنظرة واحدة لم يقوى على الفكاك منها ..؟؟؟

لم يحدث من قبل أن سمرته امرأة .. او حتى رجل في مكانه بلاحراك .. حتى أتت هي ..!!

اعترف بسخط .. تسمر كطفل لم يرى من قبل لجتين بلون الزمرد .. واسعتان كبركتين شفافتين .. تعكسان روح نقيـة .. لم يرها في احد من قبل؟؟!!

ولكنها هي؟؟!!

المرأة التي يكره .. المرأة التي كان يجب ان يذبح بلارحمة ؟!

المرأة التي عليه أن يتزوجها كي يحفظ اسم عائلته من العار..

المرأة التي فُرضت عليه .. عاره المرغ بالتراب.. والذي عليه أن يرفعه على كتفيه .. حتى يعيد له بهاءه.

ضغط نواجذه بقوة كادت تطحن أسنانه طحناً ..

هدرت السيارة في طريقها .. سمع رعاد يقول لهم:

-لن نتأخر في الطريق .. ولكن الطريق متعبة قليلاً فلو أردتم أي شيء لاتتردوا باخبارنا..

ابتسم عمه وربت على ذراعه:

-شكراً جزيلاً لك يابنـي..

ابتسم رعاد بارتباك واعتدل في مقعده وهو ينظر لأخيه الغارق في صمته .. كان يريد أن يسأل عمه وولديه الكثير من الأسئلة ولكن كلها تحجرت حين رأى ابنة عمه؟!!!

كيف تخرج هكذا.. سافرة دون عباءة ؟!

عقد ذراعيـه وفكر.. من حق قحطان أن يغضب.. فهي تبدو وكأنها لاتلقي بالاً بشيء حتى والدها .. وتعيش على هواها.. ليست فتيات آل العزب من يفعلن هذا!!

زم شفتيه بحنق رغماً عنه .. ومضى يراقب الطريق في حين كانت هي تجلس على جمر مشتعل..

يااله من وغد عديم الحياء.. منذ دخولهم للسيارة لم يقل شيئاً .. يلتزم الصمت بطريقة لم تعهدها قط من قبل وكأنه مجرد حجر صوان ..

أشاحت ببصرها خارج السيارة لتغرق في معالم المدينة الجميلة التي تحتضن شاطئ البحر برحابة .. لم تكن كمدن أوروبا أو أمريكا .. لم تكن باهرة الحسن كشواطئ الخليج .. ولكنها كانت تمتلك دفئاً وسحراً لم يختلف عليه اثنـان .. شيء مايجعلك تبتسم في وسط يوم حرارته مشتعلة ..

انها تلك الوجوه المبتسمة البسيطة والتي لم تعرفها في مجتمع اعتاد الترف .. والحياة السهلة!!

بدأت السيارة بالدخول الى طريق صحراوي .. طويل انتشرت على جنبيه رمال قحطة .. سراب ابتدعته الحرارة المرتفعة ..

تنهدت وأسندت ظهرها الى الكرسي تنعم بمكيف هواء يرطب الجو بالداخل .. راقبت فراس الذي أغلق عينيه وأذنيه غارقتان في أنغام عبر الأيبود خاصته .. ووالدها الغارق في أفكاره الخاصة والتي تعرف بأنها متعلقة بلقاء عائلته ..

عاودتها الحرارة من جديد فمدت يدها تزيح الايشارب من على رأسها لتشعر بالهواء البارد يلامس جبينها ..لتنتعش قليلاً .. ولكن التوقف المفاجئ للسيارة بصرير نبّه الجميع وجعلهم يلتفتون لقحطان الذي كان وجهه أسود من الغضب وهو يهدر:

-عمااااه قل لابنتك أن تغطي رأسها..

اتسعت عيناها بصدمة وهي تنظر اليه عبر المرآة الداخلية ولكنه لم يسمح لهذا التواصل القصير أن يتم فسرعان ماكان يشيح بنظره عنها ويزفر بنفاذ صبر ووالدها يعيد الايشارب على رأسها بحركة حادة وهو يتمتم:

-سيادة ..

كانت لهجته قاسية ..زاجرة نظرت له مندهشة لترى تلك القسوة في عينيه ..

ابتلعت ريقها وهمست بهدوء كابدت لتظهره:

-كنت أشعر بالحر..

تسللت همستها اليــه ..

تلك المرأة كانت تجلس خلفه .. تماماً .. يستطيع رؤيتها بسهولة كلمـا تحركت .. كلما زفرت .. يستطيع ان يراقب كل

سكناتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) تتسرب اليه رائحتها التي لم يشم في حياته مثلها ..

مزيج من رائحة ربيع .. وشاطئ بكر .. !!

مايثير غيظه أكثر وأكثر أن عينيه لم تكفا عن مطاردة لمحاتها !!

في كل مرة يريد أن يركز بصره على الطريق .. تسرق منه عينيه لمحة اليها ..

فتارة هي تنظر عبر النافذة .. وأخرى هي تنظر الى ساعة يدها.. وفي الأخرى هي تغمض عينيها .. حتى كشفت غطاءها .. وهنا لم يحتمل؟؟

ألا تدرك بأن رعاد معهم .. ناهيك عنه هو شخصياً!!!

زفر بحنق وأوقف السيارة لينهرها.. وفعل..

رأى الصدمة في عينيها قبل أن يشيح ببصره عنها .. ويعاود تشغيل السيارة ..

حمقاء صغيرة .. فكر بعنف.. كيف له أن يحتملها ؟؟ كيف؟؟!!

اعتصر المقود الصلب بين يديه بقوة وضغط على بدالة الوقود لتنطلق السيارة بعنف يوازي مايشعر هو به.. في حين كانت سيادة تغلي من الاحراج .. ليس لمافعله وقاله والدها .. بل من الطريقة المهينة التي تصرف بها هذا الهمجي .. شعرت بحرقة تغزوها .. توعدته في سرها

لاتعرف كيف يمكن ان تنفذ وعيدها ولكنها توعدته .. سوف يدفع ثمن هذا الاحراج الذي سببه لها أمام أخيه .. ستريه من تكون سيـادة العزب .. ستريه !!

***

-اووه لدينا الكثير لفعله ..

تأففت سلمى وهي تفرش غطاء سرير نظيف على الفراش المجاور لها بحركة سريعة جعلت غزل تهمس لها:

-لم يتبقى الكثير.. الغرفة جاهزة لاستقبال ابنة عمنا .. كما أن غرفة اخيها مع الشباب ايضاً جاهزة .. مالذي تبقى لنفعله؟!

-تبقى أن نتعرف عليها..

هتفت سلمى بحماس ثم شردت ببصرها:

-ربما ستصل الينا بملابس قصيرة وعارية ..

ضحكت غزل رغماً عنها لتردف سلمى بشيطنة:

-في هذه الحالة ستصل الينا جثة فلاأظن أن قحطان ورعاد سيدعانها تصل الى المنزل قطعة واحدة ..

ارتبكت نظرات غزل لذكر اسمه وأشاحت تخفي ارتباكها ذاك في الوسائد الجديدة في حين استمرت سلمى:

-ربما ستكون مغرورة .. تعرفين فهي تعيش كل حياتها في الخارج؟؟

ربما لاتكلمنا حتى؟؟ أتعتقدين انها تتكلم العربية؟؟

تنهدت غزل وصرخت متأففة:

-كفي عن الثرثرة .. لن نعرف شيئاً حتى تصل .. ماذا ستجنين من التفكير العقيم الان؟؟

احمر وجه سلمى وهمست ببرائة تشع من عينيها :

-أنا فقط أشاركك أفكاري.. لما أنت غاضبة؟؟

-أنا لست غاضبة ..

استنكرت غزل فزمت سلمى شفتيها وعقدت حاجبيها ومضت ترتب الباقي من السرير بصمت ..

حينها شعرت غزل بتأنيب الضمير .. ليس ذنب سلمى ماتشعره هي من ألم .. وليس من العدل أن تصرخ عليها في حين أنها لاتريد الا أن تصرخ في وجه الكون!!

لذا اقتربت منها من الخلف واحاطتها بيديها صارخة:

-أنا أسفـة اعذري سخافتي سلمى..

مطت سلمى شفتيها .. ارادت ان تُشعرها بتأنيب الضمير اكثر ولكن .. لم تكن سلمى ..

لذا انفجرت ضاحكة ببساطة واستدارت تغرقها في حضنها:

-وسخافتي ايضاً .. لا استطيع الصبر على شيء ابداً .. الفتاة ستصل بين لحظة وأخرى وأنا اسألك عنها وكأنك تعرفينها منذ نعومة أظفارك..

شاركتها الغزل الضحك وهمست:

-لنكمل الان .. والا فستعاقبنا عمتي ..

أنهتا ترتيب السرير وافراغ جزء من الخزانة لتستوعب ملابس الفتاة الجديـدة وحال انتهاءهما سمعتا تلك الأصوات القادمة من الفناء..

-لقد وصلوا ..

صاحت سلمى بحماس وركضت للنافذة وهي تغطي شعرها الثائر بسرعة تلحقها غزل التي وقفت الى جوارها خلف النافذة المسورة .. تنظران بفضول الى البرادو التي ترجل منها رعاد وقحطان .. وشاب أخر في الخلف ثم ذاك الرجل بالشعر الرمادي ..

-أين هي؟؟!!

همست سلمى بتساؤل فهزت غزل رأسها بعدم المعرفة ..

وفي الأسفل .. كانت ترتدي نظارتها السوداء ببطئ.. أدارت عينيها بمايظهر من نافذة السيارة .. البلدة التي غطتها مساحات واسعة من

أشجار النخيل متناثرة في كل مكان .. البيوت الطينية والتي تفاوتت في أحجامها .. الطرقات الضيقة المتعرجة .. تنهدت وفكرت بأنها ستلتقط الكثير من الصور ..

عادت تعدل نظراتها وهي تخفي نظرة عينيها الساخطة من ذلك المغرور ووجهها المحترق وهي تتذكر ما فعله بها .. لم تتحرك من مكانها ليس قبل أن يقوم المغفل بفتح البـاب..

كان يقف أمامها مديراً لها ظهره ..زمت شفتيها وانتظرت بصمت أن يفتح لها الباب ولكنه لم يفعل .. شعرت بدمها يغلي .. ووجدت نفسها تطرق النافذة بقلة صبر تستدعي انتباهه .. ليلتفت لها .. رأت نظرته السوداء وأدركت انه لايقدر على رؤيتها بوضوح بسبب النوافذ المظللة فأنزلت النافذة تقاوم احساس عارم بالتوتر وهي تهمس:

-افتح لي الباب..

عاد صوتها يهب عليه .. خفض عينيه حال انزالها للنافذة ولكنه لم يقدر الا أن يسرق منها نظرة رأى فيها مالايريد (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد). تنهد بحنق وسمع صوتها الهامس بأن يفتح لها الباب..!!

ماذا تظنه؟؟ سائـقها الخاص..

شعر بالحنق ولكنه تماسك وهو يقترب ليهمس لها بحدة:

-أخرجي من الجهة الأخرى مباشرة نحو باب الدوار ولاتتلككي..

تراجعت مصعوقة :

-ماذا تقول؟؟

تباً تبـاً..

لاتزال نبرتها الغريبة تربكه .. بحة صوتها ذو النغمة العجيبة تثير شيئاً ما لم يختبره قط من قبل.. وهذا أزعجه وبشدة .. اقترب أكثر وزجرها:

-انزلي في الحال قبل قدوم الرجال..

تمالكت أعصابها بطريقة تحسد عليها .. ضغطت فكها ولم تصرخ بجنون كما كانت تريد .. سارعت الى الجهة الأخرى .. ونزلت كما قال وهي تزفر ناراً وتوجهت الى البوابة المنتصبة أمامها لاتبالي بالأصوات المشتعلة خلفها وقد وصل المرحبون كما فهمت ..

خلف البوابة كانت تقف أمامها امرأة ضخمة تغطي وجهها بطرحة خفيفة شفافة .. مدت لها يدها هامسة:

-تعالي..

ترددت للحظة ونظرت فوق كتفها ولكن .. والدها وأخيها كانا منسجمين كلياً بالاستقبال الحافل الذي حظيا به .. وهي .. تُقاد كمجرمة هاربة عبر ممر ضيق .. !!!

غصة استحكمتها وهي تتبع المرأة التي أخذتها عبر الممر الى مجلس واسع اجتمعن فيه العديد من النساء .. كلهن نظرن لها بفضول وصمت .. .. تراجعت خائفة ..

كلهن يرتدين زياً واحداً تقريباً .. ثياب واسعة غير محددة المعالم.. زاهية الألوان .. وعلى أكتافهن طُرح شفافة وعلى رؤوسهن اشياء غريبة لم ترها قط من قبل.. الكل كان ينظر اليها .. كلها عيون مُلئت بالفضول والاستغراب لمنظر هذه المرأة العجيب .. بملابس أقل مايُقال عنها في نظرهن .. أنها فاضحة .. غطاء رأس بالكاد ستر شيئاً ..

سمعت همهمات .. كلمات ضجت في اذنيها على الرغم من خفوتها .. شعرت بها تحاصرها .. تقيدها وتضغط عليها حتى كادت تختنق .. سيـادة الواثقة بنفسها .. القوية المؤثرة .. كانت تتضائل أمام حشد من النساء !!

شعرت باحمرار يغزوها من أطراف أصابعها لقمة رأسها .. خفضت عينيها وأرادت الهرب ..

-بنيــتي..!!

رفعت عينين متسعتين للمرأة الواقفة قبالتها .. رات برود‌اً في عينيها ..

وفي نفس الوقت رأت اهتمام وشفقـة .. ابتلعت ريقها وانتظرت

لتهمس لها المرأة:

-تعالي معي وقابلي جدتك ..

بعينين متلهفتيـن تابعت اشارتها.. الى عجوز تستند على عكاز تجلس

في الزاوية وتجلس الى جوارها نساء أخريات بعمرها وأصغر.. أخذتها

المرأة الى الجدة .. التي نظرت لها بفضول .. وتقييم ..

كانت غريبة .. ببشرتها البيضاء المحمرة .. عينيها الخضراوتين

وشعرها الأحمر الغريب ..كانت غريبة .. لاأكثر ولاأقل.. لم تكن

تنتمي لعائلة العزب.. أبداً ..!!

تنهدت وهمست لها:

-مرحباً بك يابنة سالم..

ضاقت عينا سيادة الواسعتين ولم ترقها نظرة الجدة لها .. ولاحتى

نبرتها وهي تحادثها .. شعرت بحرقة تجتاحها وهي التي تخيلت..

وحلمت ..!!

لتلاقي كل هذا البرود .. هذا .. مالذي تسميه .. رفـض؟؟!!

-مرحباً .. أنت جدتي..؟؟

همست تتسائل .. ربما كانت مخطئة .. ولكن المرأة الأولى اقتربت تقول بعصبية:

-بالتأكيد انها جدتك .. هيا قبلي كفها ألم تتعلمي شيئاً من أبيك؟؟

نظرت سيادة للمرأة بذهول ووجهها يصبح بلون الطماطم .. لم تشعر يوماً بهكذا احراج .. ابداً ..

تصلب جسدها ولم تقدر على التحرك ونظرة الذهول تجتاحها ..

-امي.. هوني عليك الفتاة غريبة ولاتعرف عاداتنا ..

صدح الصوت بنبرة مؤنبة ولكنها رقيقة لتقترب امرأة بشعر غجري جميل وعينين عسليتان واسعتان هاتفة بفرحة صادقة وان كانت مشككة:

-مرحباً بك في ديارك عزيزتي .. أنا الجوهرة .. وهذه أمي ..

قالتها بابتسامة جعلت سيادة تكاد تركض اليها وتغرق في حضنها من فرط احساسها بالامتنان .. ليتصاعد الشعور اكثر وهي ترى تلك الغجرية بالنظرات الشيطانية تقترب منها هامسة بخجل وحمرة تجتاح خديها:

-وأنا أختها سلمى .. كيف حالك؟؟

حاولت اغتصاب ابتسامة ولكنها لم تجرؤ .. لتتقدم واحدة أخرى بملامح ملائكية تهمس لها بخجل:

-وأنا غزل .. مرحباً بك..

لتقع ذراع ضخمة على كتفيها كادت توقعها وصوت المرأة التي استقبلتها عند البوابة يصدح:

-وأنا فتحية .. كيف حالك أيتها الفرنسية؟؟!!

حينها ابتسمت .. لم تقوى على احتواء ابتسامتها المرتبكة وهي ترد عليهن بصوت خافت مهزوز:

-بخير.. أنا بخير..

تعالت الاصوات حال سماع صوتها ..يبدوا أنهم لم يصدقوا انها تتحدث العربية .. فقد اقتربت منها تلك السلمى ونظرت لها بانبهار هامسة:

-أنت جمييييييلة ..

احمرت وجنتا سيادة .. وخفضت عينيها لتسمع غزل تؤنب سلمى على وقاحتها كما قالت في حين مالت عليها الجوهرة مبتسمة:

-أنت فعلاً جميلة .. والأن قبلي يد جدتك كما قالت لك أمي..

اومأت سيـادة واندفعت ليد جدتها تقبلها واقتربت تقبل رأسها لتسمعها تتمتم:

-بارك اللّه فيك ياابنتي.. تعالي واجلسي الى جواري..

تقدمت سيادة وجلست حيث أمرتها جدتها لتتوافد عليها النسوة بالتحية ..

الكثير والكثير من الأسماء .. القرابات والعلاقات الأسرية المتشعبة ..

شعرت بالصدااااع .. ظهر الارهاق على وجهها .. ولم تعد تقدر على الحفاظ على ابتسامتها على وجهها ..

باتت منزعجة من الفوضى حولها .. من الغمزات واللمزات .. من النظرات الفضولية وبعض النظرات الحقودة التي لم تقدر أن تتجاهلها .. شعرت بألم ..

في العادة هي تقدر على الصد .. تقدر على التعامل مع كل الاوجه .. تستطيع أن توقف أياً كان في مكانه .. ولكن .. ليس هنا..

لم تتخيل أن عليها أن تقاتل هنا.. وسط العائلة التي ارادت أن تراها مهما حدث؟؟

تخيلت أذرع مفتوحة .. وحضن دافئ ولم تتخيل في أسوأ كوابيسها برود اً .. أشد قسوة من هذا؟؟

سمعت جلبة حينها رفعت رأسها لتسمع تلك المدعوة فتحية تصرخ بالنساء أن يغادرن المجلس لأن سالم العزب والشيخ سيدخلان لتحية الجدة..

تنهدت بارتياح ..ونهضت بانفعال تستقبل والدها الذي دخل بسرعة وبدون أن يلقي عليها أية نظرة كان يسقط أمام والدته ..!!

وقفت مشدوهة تنظر لوالدها الجامد .. ذو المشاعر الباردة التي لم يظهرها يوماً علناً حتى لها ولأمها وشقيقها ينهار أمام المرأة العجوز ..

يتمرغ بين قدميها ويغرق كفيها بالقبلات والدموع ..

وقفت متسمرة بعينين متسعتين تراقب المرأة العجوز تحضن رأسه الى صدرها وتغرقه بدموعها .. وتهمس له بأشواقها .. وهو لايكف عن طلب السماح .. والغفران .. !!

تراجعت بصمت لتجد فراس الى جوارها ينظر لأبيه صامتاً وقد أخذه الموقف هو كذلك .. تشبثت بيده وهمست:

-فراس أنا خائفة..

نظر لها بتعجب ففسرت:

-لاأحد يبدو انه يحبني هنا..

هز شقيقها كتفيه بلامبالاة وهمس:

-عادي جداً فنحن غرباء.. لاتقلقي ستنتهي الزيارة بأسرع وقت ..

ونعود الى بلدنا وننتهي من كل هذا..

تنهدت بضيق.. لن يفهمها فراس مهما قالت وشرحت .. عادت لوالدها الذي كان يضم أمه اليه وقد جلس الى جوارها يحاول أن يهدئ بكاءها .. راقبت الوجوه حولهم ..كانت تلك المرأة .. والدة الجوهرة تنظر للمشهد باكية .. وكذلك سلمى وغزل والجوهرة واللاتي تكورن في ركن معزول ..

والى جوار جدتها جلس رجل عجوز طاعن في السن كان يربت على كتفها بحنان .. قبل أن يرفع رأسه ويهتف:

-أين سيادة العزب..

انتفضت تنظر اليه .. لابد أنه جدي (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

فكرت بتوتر .. رأت والدها يبتعد عن أمه وينهض اليها ولاتزال بقايا الدموع في عينيه ليهتف بها:

-سلمي على جدك ياصغيرتي..

نظرت للرجل العجوز الذي كانت ابتسامته تغشا ملامحه اقتربت منه وكما فعلت مع جدتها أمسكت كفيه وقبلتها.. قبض الجد على كفها بين يديه وهتف:

-ماشاء اللّه بارك اللّه ..

وقربها منه ليقبل جبينها هامساً:

-مرحباً بالعروس .. مرحباً بالسيادة والكمـال..

ابتسمت سيادة تلقائياً وهي تغرق في حب الرجل العجوز مباشرة .. الوحيد الذي أظهر لها ترحيباً فورياً .. دون أي مداراة ..وهي لم تقدر سوى أن تتقبله .. بكل رحابة صدر .. سعيدة بلقب العروس الذي جعلها تتأكد انه يبارك زواجها ..

-مرحباً جدي..

همست بخجل وهي تقبل كفه مجدداً .. ليمسد رأسها وخصلات شعرها الناعمة وهو يرحب بها بكلمات متسارعة ..

وفي الوقت نفسه كانت جوهرة تتمتم بانتصار:

-هل سمعتي؟؟

-ماذا؟؟

تسائلت سلمى بلهفة وعينيها تلتهمان المشهد الذي امامها بفرحة لم تقدر على التحكم بها ..

-لقد ناداها جدي بالعروس.. لقد فهمت الأن ..

-مالذي فهمتيه ياجوهرة؟؟

تسائلت غزل هذه المرة بفضول سيطر عليها وكذلك سلمى التي همست بسخط:

-تكلمي جوجو والا فأني سأموت.. مالذي فهمتيه؟؟

رفع الجوهرة حاجبيها بذكاء وهمست:

-عرفت لماذا لاتطيق أمي قريبتنا الجديدة ولم ترحب بها هي وجدتي بشكل لائق.

-لماذاااا؟؟؟

تسائلت سلمى بيأس وهي على وشك تحطيم رأس شقيقتها التي ضحكت بخفوت وهي تشير للجد:

-ألم تسمعي ماقاله جدي .. ألم ينادها لتوه بالعروس؟؟

-وماذا يعني؟؟

هزت غزل كتفيها لترد الجوهرة بمكر:

-أعتقد ان جدي ينوي تزويجها لأحد الشباب.. وأمي وجدتي تعرفان ولهذا لم تطيقا الفتاة..

شهقت سلمى وهمست:

-من ؟؟ أخبريني من؟؟

زمت الجوهرة شفتيها وهمست:

-هناك الكثير من الشباب .. ولكن مادام أمي هي الغاضبة فلابد انه أحد أخوتي.. لابد أنه علي؟؟

قالت بابتسامة مدركة لتعترض سلمى:

-ولما لايكون قحطان؟؟

-وكيف هذا وأمي قد قررت خطبة تلك الفتاة له .. تعرفينها ابنة أل المدكر..

-بالطبع اعرفها.. لما لم تخبروني.. انها صديقتي..

زمت شفتيها بغضب لتشير لهما غزل بالصمت والجد يرفع صوته ليرحب بولده وعائلته .. ويطلب من الجميع تركهم ليرتاحوا لبعض الوقت قبل وليمة العشاء..

ثم التفت لابنه بابتسامة :

-سنبدأ الأفراح والاحتفالات منذ الغد .. وعلى العرسان أن يأخذوا وقتهم في الراحة بني..

ابتسم سالم بفرح حقيقي ونظر لابنته الغافلة عن الهمزات بينهم وهمهم:

-نعم ياشيـخ .. يجب أن نتم الأمور بسرعة..

بعدها كان على الجوهرة والفتيات أخذ سيـادة للغرفة التي ستتشارك بها مع سلمى .. في حين اخذ الشباب فراس وبقي سالم مع أبيه وقحطان ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

الغرفة كانت ضيقة ..وبسيطة للغاية !!

فكرت سيادة للحظة .. ولكنها جميلة عادت تحدث نفسها .. نظرت للجوهرة التي وضعت حقيبة يدوية تحمل بها سيادة متعلقاتها الشخصية على منضدة الزينة وهمست:

-شكراً لك ..

نظرت لها الجوهرة بابتسامة متسعة وهي تلاحظ الراء المهمل في كلمتها وقالت:

-لاشكـر على واجب حبيبتي..

-هنا ستضعين ثيابك..

قالتها سلمى بحماس وهي تفتح ضلفة الدولاب لتتسع عينا سيـادة بذعر:

-فقـط؟؟!! لن تكفي ابداً ..

تبادلت الفتيات النظرات المصدومة وسيادة تقترب بعصبية وهي تسأل:

-وأين سأعلق ملابس السهرة .. وأين سأضع أحذيتي .. وقبعاتي .. هذا مستحيل..

زمت الجوهرة شفتيها بتعجب في حين انفجرت سلمى بالضحك وهي تغمغم مشاكسة:

-لاداعي لكل هذا الغضب سرعان ماستنتقلين لغرفتك الجديدة وأعتقد أن أمي حضرت للعروس دولاب بست ضلفات .. لاتقلقي..

نظرت لها سيادة باستغراب ففسرت بخبث:

-تعرفين .. غرفة الزوجية .. أخبريني الأن من هو العريس المنتظر ..!!

لابد أنك تعرفين.

عقدت سيادة حاجبيها وهمست:

-وماشـأن زواجي بالبقاء هنا؟؟

لكزت الجوهرة أختها التي تأوهت والاولى تقول بارتباك:

-لاتأخذي بالاً لها انها مجنونة ..

رفعت سلمى حاجبيها وقالت بعناد:

-لست مجنونة .. لقد قال جدي بأن الاحتفالات بزواج رعاد وغزل .. وزواجك انت كما هو واضح ستبدأ منذ الغد ..أليس هذا ماقلته جوجو؟؟

اتسعت عينا سيادة .. لوهلة فقط قبل أن تنفجر بضحكة ناعمة رنانة جعلت الفتيات يناظرنها وكأنها قادمة من كوكب أخر قبل ان تتمالك نفسها وتفسر بصبر:

-اااه جدي الحبيب .. بالطبع زواجي قريب ولكنه سيكون بعد شهرين .. ولن أتزوج هنا بل في باريس.. أنا مخطوبة ..

قالتها بابتسامة جعلت سلمى تصرخ ببهجة:

-حقاً؟؟!! ولكن؟؟ كيف..

-لابد أننا فهمنا الأمر خطئاً..

-بالتأكيـد..

همست سيادة بتعاطف للجوهرة التي نظرت لها بحيرة .. فأضافت سيادة:

-أنا وعبـدالعزيز متفقان على كل شيئ.. تركته وأمي يحضران للزفاف وجئت أخذ بركة جدي وجدتي..

اقتربت منها سلمى وهمست:

-اسمه عبدالعزيز؟؟!!

اومأت سيـادة بفرح فتنهدت سلمى وعادت تهمس:

-تحبيــنه؟؟!!

ضحكت سيـادة وهمست بشغف:

-أعششقه ..

تضرجت وجنتا سلمى بالحمرة وهي تنظر للفتاة التي لم تتردد في الاعتراف .. في حين تجهمت الجوهرة وصرخت بهن بحدة:

-ماهذا يابنات .. استحِنْ..

ابتسمت سيادة في حين قهقهت سلمى وهي تضمها اليها بعفوية:

-اووه سنقضي الكثير من الوقت المرح ونحن نضحك على العرائس الجدد..

-مــن؟؟!!

-غزل .. وصديقتي منى ..

أجابت سلمى ثم اضافت بمكر:

-ستزفان الى شقيقي .. رعاد وقحطان ..

توترت نظرة سيـادة وحملت عينيها حقداً وكرهاً للاسم الذي لم يفي الرجل حقه فعلاً وشعرت لوهلة بالشفقة على المرأة التي ستتزوجه ولم تقدر أن تكبت تعليقها:

-أشفق عليها فعلاً..

-من؟؟

-تلك التي ستتزوج بأخيك.. من بين كل رجال العالم لم يجد لها والدها خيراً منه..

انفجرت بحنق جعل الجوهرة تصرخ بدفاع:

-لتحمدالله في كل وقت لأنها ستتزوج أخي .. انه قحطان العزب..

شيخ العزب وزينـة شبابها.. كيف تقولين هذا عنه؟؟

نظرت لها سيادة بحدة وهمست:

-انه فظ .. وقح .. وسيصيبها بأزمة قلبية بسبب بروده وتجهمه المستمر..

شهقت الجوهرة بانفعال في حين صاحت سلمى وقد أساءها من تتكلم عن اخيها بهذه الطريقة:

-لاتقولي هذا انت لاتعرفين قحطان .. لايحق لك أن تتكلمي عنه هكذا؟؟

-صدقيني سلمى قابلته لمرة واحـدة فقط ..وعرفت عنه كل ماأريد معرفته لعشر سنوات قادمة..

تبادلت سلمى والجوهرة النظرات بارتباك في حين ابتعدت سيـادة وقد بلغ الغضب منها مبلغه وتسبب بارتعاشة احتكمت اطرافها ولاتدري سببها وهي تغمغم:

-والأن أين هو الحمام أرغب بازالة ارهاق السفر وتغيير ملابسي..

***

كان الدخان يملأ الأجواء الصاخبة .. مع الموسيقى المتصاعدة ..والأضواء المتقطعة والتي رقصت بجنون على السقف والأرضية لذلك المرقص الفرنسي الشهير..

وهناك على البار كان يجلس وحده .. يُغرق بؤسه ووحدته في كأس من الشراب الكحولي .. ويعبث بهاتفه يحاول الاتصال بها دون فائدة .. تنهد بحنق ورمى بهاتفه لطرف البار .. وتجرع بعصبية ماتبقى في الكأس ورفع يده يطلب المزيد ..حين فاجأته يد ربتت على كتفه وصديق له يهتف:

-مابالك عزيز .. هياللرقص..

نفض ذراعه وهتف بخشونة:

-لامزاج لي فابتعدوا عني..

تراجع صديقه ليعاود الرقص مع الباقيين في حين أسند عبدالعزيز رأسه على كفه ومضى يفكر بها..

كيف سمح لنفسه بالغرق في النوم بتلك الطريقة .. .. وبعد اتصاله بها عند الفجر .. ليطلب منها البقاء .. أغرق نفسه بالشراب لدرجة انه فقد وعيه ..وعند استيقاظه رأى هاتفه وكمية اتصالاتها .. شعر بالرعب..

اتصل بها منذ ذلك الوقت مئات المرات.. وكما في كل مرة .. الهاتف كان مغلقاً ..

حتى أنه ذهب لوالدتها .. ولكنها مثله لم تكن تستطيع الاتصال بهم حتى يتصلوا هم ..

تنهد بمرارة .. اشتاق اليها وليس في مقدوره فعل شيء.. حتى ذلك السيف .. لايزال في منزل العائلة يمارس سلطاته كأنما هو السلطان نفسه .. وكل هذا بسبب والده .. كبير العائلة .. حتى أمه ابتعد عنها

كي لايسبب لها المزيد من الألم .. فهي مريضة ومتعبة وبحالته هذه .. كان من الأفضل له الابتعاد..

-أخيراً وجدتك ..

التفت بسرعة ليقع في النظرة الحازمة .. فشخر بسخرية وعلق :

-اذكر الذئب..

قهقه سيف ورفع يده للنادل ليأتي له بكأس من الشراب وهو يغمغم:

-كنت تذكرني..يالحسن حظي..

-مالذي أتى بك الى هنا؟؟

تجرع سيف الشراب ثم قال ببرود:

-والدتك..

عقد عبدالعزيز حاجبيه ليضيف سيف بهدوء:

-انها في المشفى..

-ماذاااا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟

صرخ عبدالعزيز قائماً بحدة ليجذبه سيف من ذراعه ويعاود جلوسه:

-اجلس..

أمره بصوت حاد فصرخ عبدالعزيز:

-أهي بخير؟؟؟

-ستكون بخير ان نفذت ماقوله وتوقفت عن اللعب بعيداً عماتريده منك العائلة..

شحب وجه عبدالعزيز وسيف ينظر له بنظرات كالثلج:

-اسمعني جيداً عبدالعزيز .. اذا ماستمريت بعلاقتك بابنة الشيوخ فهذا يعني شيئاً واحداً فقط .. أن تتخلى عنك العائلة وتسقط اسمك من قائمتها للأبد..

تجهم وجهه وآثر الصمت نهائياً .. في حين اقترب منه سيف وهمس بتهديد لم يغفل عنه عبدالعزيز:

-هل تعي ماقوله لك يابن العم.. هل تعي مايمكن أن يحدث لأمك ان قرر والدي أنك لم تعد من افراد العائلة.. هل ستقوى على النظر في وجهها هذا ان هي استحملت الأمر وعاشت خلاله..

وتراجع هامساً بمكر:

-وأنت تعرف انها ضعيفة .. وشيئ كهذا قد يقتلها..

خفض عبدالعزيز بصره وهمس بتثاقل:

-ولكن .. انا .. انا..

-لايوجد أنا ياعزيز(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

صاح به سيف.. وقبض على ذراعه بقوة وهتف:

-أنت أضعف من ان تقف بوجه والدي.. أنت اضعف من أن تقف بوجه افراد العائلة لو اجتمعت عليك صدقني..

رفع له عبدالعزيز نظرات مشتتة .. فهتف به:

-أنت تحتاج العائلة .. فلاتهدم بيدك مايمكن أن تحصل عليه من أجل امرأة مهما كانت..

تسارعت أنفاس عبدالعزيز .. في حين نهض سيف وهو يرمي ببضعة نقود على البار:

-والأن تخلص من سكرك وضعفك وتعال معي .. سنذهب لرؤية أمك .. وننسى كل ماتعرفه عن ابنة الشيوخ.

نظر له عبدالعزيز بذهول ..

ينسى؟؟!!

ينسى سيادة؟؟ كيف له أن يفعل هذا؟؟ كيـف؟؟؟!!

***

حل الظلام أخيراً ..

وحل الهدوء وقد خلد كل واحد الى منزله بعد وليمة وأمسية ساهرة ..

كان يجب عليها أن تبقى في منزل عائلتها حتى تساعد في الاعداد لوليمة الغد مع بدء احتفالات العائلة بزواج ولديها .. ولكن؟!!!

-أخبريني عن ابنــة الخال الفرنسية..

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تنظر باتجاهه.. كان يقف على الباب ينزع قميصه ببطئ .. خفضت عينيها وهمست:

-ما.. ماذا أقول..؟!!!

همس بسخرية:

-تعرفين .. أهي جميلة كما لمحت ..؟!!!

لم تجب .. بل شعرت بالقرف وهو يقترب منها متسائلاً بخبث اكبر:

-شقيقك المبجل لم يسمح لنا بالقاء ولو نظرة .. سرعان مااختفت الفتاة في مجلس النساء..

-أخي يعرف الأخلاق ولايسمح بأن يقلل من احترام النساء..

همست بصوت مخنوق لتصدح ضحكته المجلجلة في أرجاء الغرفة .. عرفت مابعدها .. ولذا تراجعت بذعر ولكنه لم يسمح لها .. وسرعان ماكان يقبض على ذراعها بقوة هاتفاً بغضب:

-أتعنين أني لاأعرف؟!؟

صمتت ولم تجب فهزها بقوة وصرخ:

-هذا مانجنيه من الزواج بمتخلفات العقل.. تسألهن سؤالاً بسيطاً

فيصمتن بغباااء..

شهقت بألم لقوته في امساك ذراعها وهو يعاود الصراخ فيها

باستحقار:

-ربما كان يجب على الخال العزيز العودة بوقت ابكر.. ربما كان يجب

ان اتزوجها هي بدلاً عنك انت ..

"وكأنها كانت سترضى بك أنت"؟؟

فكرت بمرارة وهي تستقبل صرخاته المعنفة:

-أكيد ستكون أكثر جمالاً منك .. أكثر انوثة .. اليس كذلك

جوهرتي.. أخبريني.. هل هي جميلة؟؟ هل هي مثيرة؟؟

-توقف عن هذا..

صرخت بقرف وهي تحاول التخلص منه .. ليجذبها من شعرها بقسوة

جعلتها تصرخ بألم وهو يهتف:

-لاتأمريني بشيء ياامرأة .. ربما يجب علي ان أخطبها .. وأحضرها هنا

كي تكون سيدة المنزل .. سيدتك أنت..

نظرت له بحقد وهتفت بألم:

-انها مخطوبة وستتزوج حال عودتها لباريس ..

رفع حاجبيه بغل .. وهزها بقوة .. قبل ان يهتف:

-ليس من اللائق أن ترفض قريبها.. وصدقيني .. سيكون حفل الزواج هذه المرة ثلاثياً ان لم تكفي عن عنجهيتك المقرفة هذه..

قالها ورماها على الأرض لتتوسد ذراعيها وتجهش بالبكاء ..محاولة اغلاق أذنيها عن سبابه المتواصل لها .. بلافائدة .. كانت وصلة العذاب اليومية ..وكان عليها أن تتحمل ..

***

كان في طريقه الى غرفته يشعر بارهاق حتى العظم بعد نهار طويل وأمسية أطول .. ولاتزال الأيام الطويلة قادمة .. ومنذ الغد سيكون وكأن أبواب الجحيم قد فتحت ..

دخل غرفته وبعد حمام مختصر استلقى على فراشه .. منذ الغد .. تباً ..

نهض بتوتر .. كيف له أن يوافق على مثل هذا الأمر.. كيف لهم ان يجروه الى هكذا مصيبة !!

سيتزوج بامرأة يكرهها .. منذ اللحظة الأولى التي سمع بها كرهها .. كره اسمها وكره ذكرها ..

وحين رآها..!!

أغمض عينيه بقوة وهو يتذكر العينين الخضراوتين .. زفر بضيق وفتح عينيه مستغفراً..

تلك القوة في عينيها ..تلك القوة في كل شيء تملكه.. جعلته مرتبكاً .. لم يظهر ارتباكه ولن يفعل.. ليس قحطان العزب من يفعل هذا..

ليس قحطان العزب من تثير فيه اي امرأة الاضطراب والارتباك ..

حتى لو كانت سيادة العزب نفسها..

انها مجرد فتاة أخطأت .. وعليه أن يقومها .. عليه أن يكسر عنفوانها ..

تلك الأنفة التي تنظر بها لمن سواها وكأنه يحق لها.. لا .. لايحق لها

شيء بعد أن كسرت هامة الشيوخ ومرغت سمعتهم في الأرض..

تنهد وأغمض عينيه مستلقياً على فراشه من جديد..

غداً في المساء تلك الفتاة ستصبح زوجته .. وعليه هو تقع مسؤولية

تعليمها ماذا يعني أن تكون امرأة تحمل اسم العزب .. وهو لن يهنئ

حتى يفعل.. سيجعلها تركع امامه طالبة العفو .. طالبة السماح..

سيجعلها تندم ولم يتوقف عند هذا الحد ..

هو سيفعل ماامره به جده .. سيتزوجها امام الجميع ويحمي شرف

عمه وعائلته..

ثم سيفعل مايريد .. وبطريقته الخاصة ..

سمع الطرقات على الباب حينها ..

نهض وفتحه بقلق ليرى أمه تقف هناك .. تنهد وفتح لها الباب على مصراعيه..

ابتسمت وتقدمت منه :

-لم تنم بعد ها؟؟ ماذا بك ياشيخ؟؟ هل أنت متوتر؟؟

ظهرت ابتسامة على طرف شفتيه وغمغم:

-زواجي غداً .. بالتأكيد سأتوتر أماه..

-لا أنت لست متوتراً لهذا الأمر..

قالتها بثقة جعلته يتنهد .. لاأحد يفهمه كأمه..جلس الى طرف سريره فاقتربت تمسد رأسه هامسة:

-أنت لاتريدها أليس كذلك.. ؟؟!!

-إنه أمر الشيخ امي.. ولايجب أن ارفض..

-انها مسألة زواج بني.. يجب ان ترفض .. هل رأيتها؟؟

هتفت باستنكار فابتسم قحطان وهو يدرك أن أمه لم تحب الفتاة قط كمايبدو ..

-انها مغرورة .. متسلطة كمايبدو.. ولايظهر انها تجيد اي شيء من أشغال المنزل.. أتصدق انها رفضت أن تأكل على الأرض مع باقي

النساء.. وبقيت جالسة على المجلس وتأكل من طبق منفصل مستخدمة الملعقة .. اه لو تسمع احاديث النساء عنها في تلك اللحظة ..

هتفت بغيظ جعله ينفجر ضاحكاً رغماً عنه .. فزمت حاجبيها بغضب وهتفت:

-أنت تظن الأمر مضحكاً .. ولكنها فضيحة .. كيف لو عرف الجميع انها ستكون زوجتك .. كيف ستستقبل ضيوفك في المستقبل وكيف ستعاملهم..؟؟!!

-انه دورك أنت أيتها الغالية لتعلميها كل مالاتعلمه ..

قالها بابتسامة جعلتها تكشر وهي تهتف:

-ولماذا كل هذا التعب ولأجل من؟؟؟ لماذا لاأزوجك من الفتاة التي أريد .. تلك ستكون زوجة حقيقية .. امراة بكل مافي الكلمة من معنى..

-لأجل جدي أماه ..

قالها بنفاذ صبر.. ونهض يقطع غرفته وهو يواصل:

-الشيخ أمرني بفعل هذا .. من اجله .. وسأفعلها ..

تأففت أمه وجلست الى جواره هاتفة بحنق:

-كيف لها أن تتأقلم على المعيشة هنا؟ وليكن في علمك قحطان أنت لن تعيش في بيت اخر؟؟ ولن تأخذك وتسافر كما فعلت أمها ؟؟ اتفهم؟؟

نظر لأمه بدهشة حقيقية وهتف بتعجب:

-أتظنيني قد أخضع لها امي؟؟!! أنسيتي من أنا؟؟

همست بحسرة:

-مع امـرأة كهذه أنا أتوقع أي شيء..

-بالذات معها لاتتوقعي شيئاً ..

هتف بحدة ونهض يفسر:

-أنا وهي سنعيش في الملحق الذي قمت انت بتجهيزه أمي .. كما قررت تماماً .. وليس قحطان العزب من يترك بلدته وعائلته ويركض خلف امرأة .. أتفهمين..

نظرت له بشك قبل ان تنهض وهي تغمغم:

-ماأعرفه أن الرجال يفقدون عقولهم خلف امرأة كتلك..

نظر لها بصمت قبل أن يقول بصوت بصلابة الحديد:

-أنا شيء أخر أمي.. وهي من سيخضع .. وبنهاية العام ستكون كالدمية بين يدي.. وهذا وعد..

مطت امه شفتيها ونهضت تتجه الى الباب وهي تهتف:

-سنرى ياابن العزب.. سنرى مانهاية هذه المهزلة ..

أغمض قحطان عينيه بضيق وأمه تغادر صافعة الباب خلفها ..

لم يتوقع أن تكون أمه غاضبة ورافضة للزواج بهذه الدرجة .. كانت أشد منه قسوة .. ولكنه يفهم شعورها جيداً ..زفر بتوتر .. وعاد يستلقي على فراشه حين تذكر ماجعله ينتفض واقفاً ويقبض على هاتفه وهو يقول لنفسه بسرعة:

-رباااه .. ابن الشهري سيقتلني لو لم يكن شاهداً على عقد زواجي..

وانتظر للحظات قبل أن يتسلل له صوت رفيقه الكسول هامساً:

-ألم يعلمك أحد أن هذا الوقت غير ملائم ابداً للاتصال ياشيخ..؟؟

لوكان أي أحد أخر غيره لكان أغلق الهاتف في وجهه ولم يتصل به قط .. ورغم الاحتقان الذي غزا صوته من الاحراج الا أنه قال بتوتر وبصوت حاد:

-غداً بعد صلاة العشـــاء .. ستكون شاهداً لعقد زواجي فلاتتأخر..

وبدون انتظار رد كان يغلق الخط .. وينظر للهاتف بشفتين مضمومتين .. لتصرخ نغمته بعد ثوانٍ وتظهر صورة عمرو الشهري على الشاشة .. كاد يغرق بالضحك وهو يرى الغضب على محيا صديقه في الصوره وكانها فعلاً تعكس شعوره ..

فتح الخط وأبعد الهاتف عن اذنه وهو يسمع سيلاً من الشتائم المضحكة والتي نزلت على رأسه بلاتوقف.. من رفيقه الغاضب .. ليختمها صارخاً:

-قحطان العزب .. تكلم واخبرني الان .. كيف غداً هو عقد قرانك .. أخبرني كل شيء..

-اذا ماهدأت وتمالكت نفسك .. بإمكاني الشرح..

-انا هادئ تماماً .. والان تكلم أيها الخائن ..أخبرني كل شيء.؟؟

قالها عمرو بحنق وغيظ فضحك قحطان :

-لا لن أخبرك كل شيء.. حين تأتي في الغد ستعرف.. كل ماستطيع اخبارك به أن العقد سيكون بعد الصلاة لذا من الأفضل أن تكون هنا قبلها بكثير.. واعمل حسابك أيضاً أنك ستبقى لأن الاحتفالات ستستمر ليومين ..

-سآتي أنا وزوجتي.. ونبقى في منزل عائلتي .. حتى يسهل علينا الأمر..

قالها عمرو بسعادة لم يقدر على اخفاءها ..

فابتسم قحطان :

-ممتاز حتى نُعرف الشيخ قحطان الصغير بأقرباءه بطريقة لائقة ..

ضحك عمرو وهتف بالمباركة لصديقه بحرارة .. واغلق الخط بعدها ..

لينظر قحطان للهاتف بتجهم ..

"ربما كان من الخطأ أن أدعوه .. فعمرو وحده يقدر على سبر أغواره واكتشاف مايشعر به حقيقة خلف القناع الذي سيرفعه امام الكل منذ الغد .."

فكر بضيق قبل أن يترك الهاتف ويستلقي على فراشه مجدداً وعيناه في السقف .. ترفض الانصياع خلف سلطان النوم .. نهائياً..

***

نظرت سلمى لسيادة بذهول ..

فبالنسبة لها .. كان الخلود للنوم عبارة عن استحمام قصير.. ربط شعرها بمنديل ثم ارتداء ثوب قديم من اثواب النوم والانسداح على فراشها بعد قراءة وردها اليومي من القرآن ..

ولكن سيـادة ..

تأملتها بذهول وهي تجلس على فراشها بثوب قصير يصل لركبتيها عاري الكتفين .. بلون الرمال الشاحبة وقد كانت تضع كريم ما على ساقيها وذراعيها باهتمام ..وشعرها الأحمر ينسدل حتى خصرها بعفوية فاتنة .. جعلت الفتاة القروية تفغر فاهها وهي تراقبها ..

-سلمى أغلقي فمك .. الفتاة الأنيقة لاتفعل هذا..

همست سيادة ضاحكة لمنظر قريبتها .. والتي سرعان ماكانت تغلق فمها وتمضي ناظرة للفتاة الأخرى بعينين متسعتين .. وهي تسأل:

-هلا أخبرتني ماتفعلين؟!

-انه كريم مرطب .. مصنوع من الاعشاب .. يساعد على العناية بالبشرة خصوصاً في جو حار وجاف كجو البلدة .. أتريدين تجربته..!!

همست باسمة فهزت سلمى رأسها بخوف .. فهزت كتفيها بلامبالاة ثم سمعت سلمى تسألها بفضول:

-ماذا كنت تفعلين في الحمام طيلة هذا الوقت..؟!

نظرت لها سيادة باستنكار ودهشة فتلعثمت سلمى وهمست معتذره:

-اااسفة .. أنا لم اقصد..

ضحكت سيادة واستلقت على الفراش:

-لابأس.. كنت اخذ حماماً عطرياً .. لقد كان السفر مرهقاً .. ورغم ان الحمام العطري دون حوض استحمام مرهق ولكنني اضطررت له .. لاشيء ينعش البشرة كتدليلها في حوض مليئ بالماء الدافئ والزيوت .. أليس كذلك..!!

هزت سلمى رأسها .. موافقة مرة ومعترضة اخرى قبل ان تغمغم:

-وماأدراني..؟!!!

ضحكت سيـادة بخفوت وهمست ناعسة:

-اه في يوم ما سأشرح لك .. ولكنني متعبة الأن .. حقاً متعبة ..

ومماسمعت غداً سيكون يوماً طويلاً..

اومأت لها سلمى .. وكادت تغلق الضوء حين سمعتا الطرق على الباب..

نهضت تفتح وتراجعت على استحياء وهي ترى عمها يقف هناك ..

سارعت بوضع طرحتها عليها وهي تقول بارتباك:

-مرحباً عمي ..

-مساء الخير بنيتي اعتذر عن التطفل..

نهضت حينها سيادة وركضت تلقي بنفسها بين ذراعي والدها تحت

نظرات سلمى المصعوقة من جرأته بالوقوف شبه عارية كما تعتقد

امام ابيها ..

-سيادة علينا التكلم ..

همس والدها فاومأت له بتساؤل .. ليلتفت لسلمى التي همست

بخجل:

-سأذهب عند والدتي ..

وركضت خارجاً ليدخل سالم العزب ويقف وسط الحجرة البسيطة قائلاً بحزم:

-أعطني جواز سفرك بنيتي..

تحركت سيادة لحقيبتها متسائلة :

-لما بابا؟؟ هل هناك اجراءات أخرى..؟؟

-بعض الشيء حبيبتي.. لاتقلقي..

اعطته الجواز بابتسامة ثم همست:

-بابا أحتاج لمكالمة ماما .. شريحتي لاتعمل هنا..

أبعد نظراته عنها وهمس وهو يخفي الجواز في جيب قميصه:

-سنرى هذا الأمر غداً .. أما الأن فهناك ماأريد أن أحدثك بشأنه..

زوت بين حاجبيها بانتظار ماسيقوله .. وهو شعر بغصة تحتكمه ..

كان عليه أن يواجهها الأن .. عليه أن يواجهها بكل شيء..

-أنا اعرف ماحدث..

نظرت له متسائلة فأضاف بحدة وسرعة وكأنما يخشى التردد أن يمنعه من قول مايريد:

-أعرف ماحدث بينك وبين عبدالعزيز(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لقد اخبرتني أمك بكل شيء..

-انت تعرف ماحدث بيننا ابي.. نحن نحب بعضنا.

قالتها بهدوء ليصرخ هو :

-لاتكذبي علي..

تراجعت مصدومة وهي ترى انفلات غضبه قبل أن يعاود الحديث بصوت مرير خافت:

-أعرف انه .. انه قد استغلك ..

اتسعت عينيها بشدة وكادت تصرخ معترضة حين استمر والدها بحقد:

-امك جائت تترجاني كي أوافق على الزوج حتى لايعرف احد مابالفضيحة .. وهو .. هو..

-لم يحدث شيء كهذا؟؟

صرخت مخنوقة وقد فهمت مايريد قوله .. وشعرت بالرعب..

والدها يظن أنها وعبدالعزيز؟؟؟ يالهي ..

-عبدالعزيز لم يلمسني قط ..

همست باصرار فنظر لها والدها ببرود وهمس:

-هو أيضاً أخبرني.. .. أراني أشياءك التي نسيتها في شقته ..

شهقت مصعوقة ووالدها يواصل:

-كيف استطعت فعل هذا سيـادة؟؟!!

كيف استطعت أن تمرغي رأسي في التراب..

هزت رأسها مصعوقة وهي تتراجع .. مستحيل أن يقول عبدالعزيز عنها هذا .. مستحيل ؟؟!!

-انه كاااااذب..

صرخت بمرارة فرد عليها:

-وأمك كاذبة ايضاً؟؟

صاح بيأس .. واقترب منها:

-انت خربتي كل شيء.. كل ماعملت جاهداً لسنوات .. انت جعلتني ذليلاً .. كدت أن اتوسل لابن الملاعين ذاك .. كدت أتوسله أن يستر على ابنتي وبهذا أفقد كرامتي وكرامة كل شيوخ العزب بسببك أنت ..

لم ترد ..

كانت في صدمة أشد مما عاشته بكل حياتها ..

كانت تنظر الى ابيها وتسمع مايقول ولاتكاد تصدق.. لابد انه مخطئ.. مستحيل أن يقول عبدالعزيز وأمها هذا الكلام عنها .. مستحيل..

-ابي .. أنت مخطئ..

هتفت بجنون فصرخ بها:

-اخرسي.. لاترفعي صوتك أم أنك تريدين للفضيحة أن تنتشر..؟!

هزت رأسها بمرارة ودموعها تغرقها :

-ولكنها ليست الحقيقة .. عبدالعزيز لم يضع اصبعاً علي أبي..

ماقالوه لك ليس سوى كذب.. اقسم لك بأنه كذب..

نظر لها بحزن .. لم يكن يصدق .. ليس بيده فكل شيء ضدها ..

-انتهى الأمر ياسيادة .. انتهى الأمر..

-ماذا تعني..

همست بشحوب فصاح:

-يعني بأنني لن اصدقك ياابنتي.. يعني بأنني اتخذت قراري ولن اتوسل

لذلك الملعون كي يصحح غلطته ..

انتابها الجزع .. مالذي يعنيه والدها .. ترى النظرة الذابلة في عينيه ..

ترى البؤس في وجهه وتسمع الأسى في نبرات صوته..

-ماذا تنوي أبي..؟!

همست بخوف .. ليقف بكل برود هامساً لها:

-لقد فعلت وانتهى الأمر.. ولأنني لم اقدر على التذلل لابن السلاطين ..

كان علي أن احنِ رأسي لسواه..

-ماذا فعلت؟؟

همست بصوت مخنوق فرد ببرود:

-لقد اعطيتك لابن عمك ..

نظرت له ببلاهة .. لم تستوعب ماقاله لفترة .. ظلت تنظر لوجهه

باستغراب وعدم فهم .. ففسر بهدوء مرير:

-لقد توسلت لابن عمك قحطان أن يستر عليك ويتزوجك..

اتسعت عيناها بذهول (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تسمرت في مكانها بلاحركة ووالدها يواصل بمرارة:

-لقد فضلت أن يذلني ابن أخي طول العمر على أن يذلني الغريب

بسببك أنت .. وغداً .. ستكونين زوجته.. سأخلع عني عاري .. ويرفع

ابن عمتك قيمتك بين الناس كلهم .. سيرفع رأسي الذي مرغته أنت

في التراب ياسيادة ..

رآآن صمت عليهما بعدها ..

هي تنظر لأبيها بذهول لاتكاد تصدق مايقول .. وهو يجلس بارهاق

على طرف فراش يردد جملته بينه وبين نفسه مراراً وبلاتوقف..

غداً يسترعارها .. والى الأبد ..

عارها ؟؟!!

غداً تزف الى قحطان ؟؟؟

اتسعت عينيها بذهول وصدمة ..

لاتصدق..

ابداً لن تصدق .. ولن تسمح لهذا أن يتم .. ابداً ..

***

نهاية الفصل

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الخامس

لن نعترف بحكم القدر ..لن نستسلم ..

حتى تُرفع السيوف وتسلط على أعناقنا سنظل نقاوم حتى ونحن نحتظر !!

***

ستظل الليـلة مظلمة .. كأن نور قمرها قد سُرق .. وكأنها ملعونة بالظلام الحالك بلا لمحة لضوء فجر يقترب.. وان كانت الساعة تشير الى اقتراب منتصف الليل .. لاتزال الليلة في بدايتها ولاتزال العواصف في مهدها !! وهناك على فراش ضيق في غرفة حالكة .. لم تضئها سوى الدموع المتدفقة من عينين جريحتين .. تذرفانها بلاتوقف منذ ساعات .. لاتتصور ان غداً ينتهي كل شيء..

بعد ساعات قليلة لن يكون لها الحق في ان تتذكر وتحلم .. في أن تصبر نفسها على أيام ستمضي ويحل بعدها لقاء!! بعد ساعات ستصبح لسـواه .. سيكون من العار عليها أن تفكر به!! تنتظره وتناجيه .. ستكون خائنة ان احتفظت بصورته الوحيدة التي تهدئ الوجع في قلبها ..

الليـلة فقط ستطون حرة أن تضمه اليها .. تناجيه في وحدتها ..تشكو اليه وتبث همها ..

ستكون الليـلة هي ليلة الوداع الحقيقية !!

كل تلك الأشواق التي سكبتها في رثاءه .. كلها ستنتهي وتصبح مجرد ذكرى تطويها الأيام..

مالذي يمكن ان يحدث؟؟ هل ستنسى حبيبها كما يقول لها الجميع؟؟

هل ستعيش كما يصبرها الكل .. هل ستمر عليها الأيام ويصبح مجرد ذكرى جميلة عاشتها لأيام وانتهت!!

انفجرت دموعها حينها .. تنعي حباً مغدور .. حباً لم يُكتب له الاكتمال .. واغتيل قبل أن تورق أشجاره وتتفتح أزهاره حتى!!

بكت حتى احمرت عينيها وانتفخت .. بكت بحرقة تلك النار التس اشتعلت بداخلها ولم تنطفئ.. حتى مع مرور الوقت .. كيف لها أن تنسى محمد؟؟

وليس هذا فقط .. بل هي ستتزوج أخيه في الغد؟؟؟

تأوهت بصوت موجوع وعادت تضم الصورة المهترئة الى صدرها وتنتحب..

-غــزل ..!!

بصوت مبحوح .. رفعت عينيها بسرعة لأمها التي دخلت متسعة العينين تحاول ايقاف دموعها هي الأخرى بلافائدة ..

-امي..

همست مخنوقة لتركض الاولى عليها وتحضنها بين ذراعيها هامسة بألم:

-لاتبكي ياقلب أمك .. لاتبكي ياغزل ..

شهقت غزل بالبكاء وهي تحيط امها بذراعيها صارخة بوجع:

-ولكنه حراام أمي .. اقسم باللّه انني أمووت .. ارجوك امي لاترغميني على الزواج .. انا لااريده لاااستطيع..

-توقفي عن هذا القول .. رعااد لايستحق منك كل هذا غزل ..

ابتعدت عن امها صارخة:

-لماتهتمون بمايشعر هو ؟! لما لاتهتمون بي ولو للحظة واحدة .. انا امووت امي..

-بعيد الشـــر حبيبتي..

صاحت امها بجزع ثم عادت تصرخ بحنق:

-جدك يعطيك الفرصة لتعيشي حياة جديدة بعيدة عن البؤس الذي تعيشينه.

-وهل تظنينني سأعيش مع رعاد في سعادة؟؟!!

صرخت باستنكار لتضيف بألم:

-أنا لن أنسى زوجي محمد مهما حصل امي.. ورعاد لن ينسى أنني كنت زوجة أخيه.. ابداً.

-عليكي جعله ينسى..

صرخت بها أمها لتتسع عينيها وهي تضيف:

-عليك أن تكوني زوجة حقيقية له .. عليه أن يشعر بأنك نسيت اخاه والا فأنك ستعيشين بتعاسة باقي عمرك..

-مستحيل ..

غمغمغت بحزن .. وتشبثت بثوب والدتها هامسة بضراعة:

-مستحيل أن اقدر امي.. سأموت كل يوم انا لاأريده .. أنا لاأريده ابداً..

- يالهي غزل انت ناكرة للجميل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)لاتتوقعي ان تكون الحياة كريمة معك هكذا طيلة الوقت ياغزل

-كريمة !!!

صاحت باستنكار لتكمل بوجع زاده انهمار الدموع الساخنة من عينيها بلاتوقف:

-لقد فقدت زوجي في اليوم التالي لزواجنا امي لقد تحطمت حياتي قبل حتى ان تبدأ .

-لاتقولي هذا .

صرخت امها:

-لاتقنطي من رحمة اللّه بنيتي فكري بانك نجوت من ذلك الحادث الماساوي ولم تصابي بأذى.

-نعم ولكنني فقدته امي..

ناحت بلاتوقف:

-فقدت محمد والان انتم تحرمونني حتى الذكرى التي املكها له.

-استغفري اللّه يافتاة انه ابتلاء من اللّه واختبار لصبرك والان هاهو يعوضك بمن سيكون افضل من محمد رحمه اللّه.

-لايوجد من هو افضل منه ..!!

بكت بمرارة وهي تغرق بين ذراعي امها وصوتها يعلو بالنواح لتدفعها امها عنها بقوة وهي تصرخ :

-لاتفعلي هذا بنفسك ياغزل انت لست صغيرة لفعل هذا الاشياء انت امراءة بالغة ولست طفلة فلا تتصرفي بهذه الحماقة.

نظرت لأمها بصدمة وهي تنهض تصرخ بها بقسوة:

-سوف تتزوجين رعاد رغماً عن انفك وسوف تتوقفين عن البكاء والنواح وستظهرين كعروس سعيدة غداً في الاحتفال اتفهمين..

-امي!!!

شهقت غزل لتصرخ بها امها:

-انت لاتقدرين النعمة التي وقعت بين يديك ان يتزوجك رعاد العزب من تركض خلفه معظم فتيات قبيلتك والقبائل الاخرى ان يختارك

انت الشيخ قحطان ليزوجك حفيده الشاب وانت مجرد ارملة لاخيه وبامكانه اختيار اجمل واصغر فتيات القبيلة متى تكفين عن حماقتك وغبائك؟؟!!!

لم تتفوه غزل بحرف واحد طيلة انفجار امها اللامعقول بل ظلت تنظر اليها بعينين متسعتان دون ان ترمشا للحظة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وكلماتها تقتلها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

"هي هي مجرد ارملة لأخ متوفيٍ ..!!

مجرد عبئ لايعلمون متى يتخلصون منه..!! والان هي تقع على عاتق رعاد!!

تصبح مجرد عبئ جديد عليه.. لما لم تفكر هكذا من قبل ..!! هي اصغر اخوتها الان تقع على عاتق امها مجرد حمل زائد عن الحد لاتطيق حتى تتخلص منه !! حتى جدها يراها هكذا مجرد عبئ لايعرف متى ينتهي من تبعاته ..!!

ثم كان رعاد !!!

الرجل الذي قَبِلَ ان ياخذ فضلات اخيه !!؟؟

الرجل الذي قَبِلَ ان يحمل وزرها ويتحمل مسؤليتها بعد ان ضاق بها الجميع كما يبدو؟؟!!

لما لم تشعر بالتضحية التي يقوم بها هو الشاب مكتمل الرجولة والذي يقبل ببقايا اخيه!

خفضت راسها بإنكسار(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

شعرت بانها حثالة مجرد شيئ يتقاذفونه بينهم كي يتخلصوا من حمله ومسؤليته (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كرهت نفسها حالياً وكرهتهم كلهم كلهم بلا استثناء(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-دعيني وحدي..

همست لأمها بشحوب لتتفاجئ الاخيرة وتقترب منها هامسة بقلق:

-غزل هل انت (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

-لاتلمسيني..

صرخت غزل بحدة وهي تقفز مبتعدة عن كف امها التي امتدت تربت على كتفها وقد هاجمها الندم على ماقالته لها وطريقة صراخها بوجهه لتفاجئها هذه الثورة!!

-بنيتي!!!

-قلت لك لاتقتربي مني ..

صاحت بعصبية وتراجعت اكثر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) نظرت لها امها بخوف وغزل تنظر لها بعينين لائمتين قاسيتين وهي تهمس:

-لاتقتربوا مني ودعوني وشأني لن اكون حملاً على احد منكم بعد الان ابداً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-غزل ماذا تقولين؟؟؟

همست بجزع والفتاة تصرخ:

-سأفعل ماقلتموه ولكنها المرة الاخيرة التي افعل بها امي سأتزوج رعاد وبعدها لن اسمح لأحد بالتدخل في حياتي انا وهو (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)لاانت ولاجدي لا احد على الاطلاق..

قالتها واسرعت الى فراشها ترتمي عليه هاتفة بغضب مكتوم:

-والان اخرجي ودعيني وشأني ..

تراجعت امها بقلق وتوتر بسبب الصدمة التي ولدتها معاناة ابنتها وانفجارها المثير للشفقة.. تعرف غزل وتعرف انها تقول كل هذه الاشياء من وراء قلبها وانها سرعان ماستعود عما قالته في الصباح(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ولذا نهضت من مكانها وغادرت الغرفة صامتة دون ان تحاول ان تقنعها عما قالته ابداً !!

في حين استمرت دموع غـزل بالانسيـاب على وجنتيها بصمت .. وداخلها يغلي ببركان من غضب لاتعرف كيف ستفجره وماذا يمكن أن تفعل لتهدئته .. وكل مايدور برأسها أنها لن تسمح لأحد أخر ان يتدخل في حياتها .. يريدونها أن تتزوج رعاد .. ستفعـل .. ولكن بطريقتها الخاصة !!!!

***

عصف الهدوء الغارق بنار مشتعلة بينهما .. عصف لدرجة انها لم تعد تقدر على سماع انفاسها وهي تتردد في حنايا صدرها .. كل شيء حولها يدور ويدور..

""لقد توسـلت لابن عمك قحطان أن يستر عليك ويتزوجك.. """

"" لقد فضلت أن يذلني ابن أخي طوال العمر على أن يذلني الغريب بسببك أنت .. وغداً .. ستكونين زوجته.. سأخلع عني عاري .. ويرفع ابن عمتك قيمتك بين الناس كلهم .. سيرفع رأسي الذي مرغته أنت في التراب ياسيـادة .. ""

غداً يسترعارها .. والى الأبد ..

عارها ؟؟!!

غداً تزف الى قحطان ؟؟؟

اتسعت عينيها بذهول وصدمة .. لاتصدق.. ابداً لن تصدق .. ولن تسمح لهذا أن يتم .. ابداً .. مستحيل..

-ابــداً..

صرخت مخنوقة لينظر لها أبيها بحزن وهو يهز رأسه بأسى:

-لامجال لأن ترفضي.. غداً سيُعقد قرانك عليه .. وبعدها ستزفين اليه بنيتي..

-لاتستطيع اجباري..

هتفت بشتات .. وهي لاتقدر على استيعاب الأمر .. او حتى فهمه؟؟!!

-بلى أستطيع ..

غمغم ببرود لتتسع عينيها بذهول وهي تفهم .. تعــي ماتُساق اليه ..

-انا لن اتزوج سوى الرجل اللذي أحب.. أنا لن اتزوج سوى عبدالعزيز .. وغداً سأغادر على اول طائرة ..

هتفت بشراسة لينظر لها بذات البرود دون أن تتحرك في وجهه عضلة واحدة لتعاود الصراخ بجنون:

-أتسمعني أبي.. لن أسمح لك بأن تجبرني..

-أخفضي صوتك ..

زجرها بعنف وهو ينهض من مكانه مواجهاً لها..

-لن أفعل .. وأنت لاتستطيع اجباري أتفهم..

قاومت بشراسة ليهتف بها من بين أسنانه بصوت أراده خافتاً:

-أنت لن تعودي الى ذلك الوغد الذي مرغ شرف عائلتي في الوحل..

أتفهمين؟؟

-عبدالعزيز لم يمسني..

صرخت بمرارة ليرفع يده مقاوماً هاتفه الداخلي المجروح أن يصدقها:

-توقفي عن الكذب ياسيادة .. لقد وشت بك أمك .. وشت بك ولم أعد أصدقك..

-ولكن هذا غير صحيح ..

هتفت بشحوب .. عالمها يدور ولاتقدر أن تفهم كيف يمكن لأمها أن تقول عنها مثل هذه الاشياء؟؟ كيف لها أن تطلق تلك الشائعات عنها؟؟ كيـف؟؟ وعبدالعزيز ؟؟!!

رفعت لوالدها عينين متألمتين وهمست:

-عبدالعزيز يحبني وهو لن(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-هو لايحبك ياحمقاااء..

صرخ ابوها بقهر واقترب يمسكها من كتفيها ويهزها بقوة:

-هو لايحب سوى نفسه وعائلته .. هو مجرد حقير لايريد سوى ان يقهرني بك ..

واعتلى شبح مخيف ملامح وجهه وهو يهدر:

-ولكنني لن أفعل .. لن يقدر احد منهم اولئك الملاعين أن يُحني رأس شيوخ العزب .. أتفهمين..

تخلصت من قبضتيه وهمست:

-لاتفعل بي هذا أبي.. لاتحرمني ممن أحب .. أنا لن أسمح لك..

-لقد خسرت فرصك كلها ياسيادة .. خسرتها كلها حين لم تحافظي على الثقة التي اعطيتك اياها..

همس بمرارة لتصرخ ببؤس:

-ولكنني لم أفعل..

-لاتكذبي ..

صرخ مزمجراً لتبتعد تنظر له بعينين متسعتين .. لاتصدق أن هذا هو والـدها؟؟ الرجل الذي زرع فيها كل تلك الثقة والقوة .. هو بالذات من يشكك بها الأن؟؟ هو بالذات من يتهمها بكل تلك الأكاذيب..

سالت دموعها بلاحول منها ولاقوة .. فكرت للحظات بأنه ليس هو؟؟ ليس ذنبه .. انها أمهـا؟؟!

وعبدالعزيــز ؟؟!!

عبدالعزيز الذي وثقت به ؟؟ يثير عنها تلك الأقاويل ولكن لمـاذا؟؟!!

لماذا يفعل بها هذا؟؟ وأمها .. هي الأخرى قالت عنها تلك الأكاذيــب .. لماذا؟؟

-كان قحطان سيقتلك .. كان سيدفن عاره بيديه ويتخلص منك نهائياً.. ولكنني توسلته ألا يفعل..

همس أبوها بشـرود .. بصوت خافت اخترقتها الكلمات كرصاص قاتل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نظرت لأبيها متسعة العينين لاتكاد تصدق ..

قحطـان يعرف؟؟؟

مالــذي يعنيه بهذا؟؟!!

جفاف انتاب حلقها وهي تحاول ان تفهم مايعنيه؟؟ مايقصده بقوله؟؟

-ماذاتعني؟؟ ماذا قلت له؟؟

خفض عينيه وهمس بانكسار:

-قلت له الحقيقة ..

-أي حقيقة؟؟؟

صرخت بجزع لينظر لها بتلك النظرة المكسورة:

-قلت له بانك لم تحافظي على شرف عائلتك ..

-لاااااااااااااااا

صرخت بانهيار .. لايمكن .. مستحيييييل..

اقتربت منه .. ركعت أمام ركبتيه وصرخت به بألم:

-أنت لم تخبره ذلك عني ابي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد

قائد) أنت لم تخبره كل تلك الأكاذيب..

-كان علي أن أفعل؟؟

همس بألم .. لتتسع عينيها بذهول أكبر في حين واصل ابيها :

-كان علي ان اعتمد على أحد أن يكون هناك شخص مابجانبي .. كان

يجب أن ارمي بهذا الهم على كتفين تقدران على تحمله .. كان أقوى

بكثير مما استطيع ..

-هذا جنووون ..

صرخت بوجع ..

-انا لم أفعل مايجعلك تخجل مني ابي.. كيف تفعل هذا؟؟ كيف تحطمني أمام ذلك الوقح الهمجي..كيف تفعل هذاا بي؟؟

نظر لها بلاتعبير على وجهه مماجعلها تنهض بوجه جامد وتستدير عنه بثقل وساقاها لاتقويان على حملها لخطوات..

كيف لها ان تتصرف ..!! كيف لها أن تنجو ممايخبئه لها ذلك الرجل ..؟!!! لاتستغرب نظراته اليها الأن؟ لاتستغرب معاملته الحقيرة لها فهو يظنها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..!!

لا لا ليس من حقه الحكم عليها؟؟

فكرت بثورة والتفتت لابيها الذي انهار بضعف..ربما كانت هذه الطريقة رغم كل شيء.. ربما كان الاعتراف بخطيئة هي بريئة منها هي الطريقة الوحيدة لتنجو .. ربما كان لعبدالعزيز وأمها نظرة مستقبلية على كل حال؟!!!

بارتباك لم تشعر مثيل له من قبل همست له:

-عبدالعزيز وعد أن يتزوجني..

رفع لها والدها نظرة ساهمة .. لتبتلع ريقها وتهمس بارتجاف:

-كنت أظن بأننا سنتزوج ولن يعرف احد..

-اصمتي ..

همس بعذاب ..لتقترب:

-انا أحبه ابي.. وماحدث بيننا لن يصلحه سوى الزواج .. دعنا نعد الى باريس.. انه ينتظرني هناك..

-أيتها الفاجرة ..

همس بألم .. أشاح ببصره وهو لم يعد يقوى على النظر اليها حتى .. كلما كانت تنكر كان هناك بصيص أمل بداخله .. انها ربما تكون صادقة .. انه يمكن أن يكون ظالماً.. أن زوجته وذلك الرجل ربما كانا كاذبين ؟؟!!

ولكنه لم يتوقع منها هذا الاعتراف .. الاعتراف الذي مزقه ببطئ.. وضع وجهه بين كفيه وهتف بألم:

-لقد وثقــتُ بكِ؟؟!!

بكت بوجع لألمه .. لم تره منكس الرأس أبداً لطالما كان والدها يفخر بكل مايمثله في هذه الحياة يفخر بأنه من شيوخ العزب ولاشيئ يحني رأسه .. حتى الأن .. فكرت بذهول .. أنا من فعل هذا ؟؟!! أنا من وضع رأس أبي الفخور في التــراب؟؟!!

سالت دموعها بصمــت .. وهو يتمتم بخفوت:

-لقد صدقتك .. وللحظة واحدة صدقت ادعاءك بالبراءة وتمنيت

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وبقت جملته معلقة .. انهمرت دموعها تبلل وجنتيها بحرقة .. لقد أحرقها ماقاله والدها ولكن؟؟!!

كان عليها أن تطرق الحديد وهو ساخن أن تستغل مايشعر به .. أن تحاول مساعدة نفسها مهما كانت الوسيلة قذرة وقاسية .. اقتربت راكعة امام رجليه وهمست محاولة عدم الاختناق بعبراتها أمامه:

-دعني أُصلح الأمر .. دعنا نعد الى باريس وأتزوج من عبدالعزيز وحينها لن يكون هناك عاراً ولاشيء يُحني رأسك أبداً ..

رفع رأسه لينظر لعمق عينيها الخضراوتين ويهمس بصلابة:

-لاتحلمي بالزواج من ذلك الرجل ياسيادة ..

-ابي..

بدأت بالاعتراض ليكمل بتحجر:

-قلت لك لاتحلمي بالزواج منه .. لايمكن أن تتزوجي من ابن الملاعين ذاك ورأس أحد شيوخ العزب يشم الهواء.. انه رجل حقير وهم جميعاً لايسوون شيئاً .. لن تطال يد أحدهم مازحفوا ليطولوه منذ سنوات يابنتي .. وان كان علي قتلك حينها .. فلن أتردد..

نظرت له متسعة العينين .. ذهول يجتاحها ولاتكـاد تسيطر عليه .. يقتلها؟؟!!

والــدها الحنــون .. مالذي فعله به هــواء هذه البلدة ..!!

وكأنه غدا من بطن تلك العصور الوسطــى .. فقدته؟؟!! والى الأبد..!! لايعقل؟؟

-أبي ..

همست بصوت متخاذل ليهتف بها نافضاً اياها من امامه لتقع ارضاً متأوهة بقهر:

-لن تفعلي شيئاً سوى الجلوس بانتظار زواجك من ابن عمك .. لن تتحدثي لأحد عن هذا الأمر.. لن تناقشي ياسيادة .. ولن تعترضي على شيء.. كل ماستفعلينه هو الموافقة بلااي اعتراض والا فأنك ستواجهين قحطان وليس أنا..

نظرت له من الأرض المذلــة .. لاتقوى على التصديق ان هذا الرجل هو سالــم العزب .. السفير.. والدها الحنــون؟؟!!

انتابها احساس عارم بالذل .. بالقهر .. اجتاحه أخر عارم بالغضب .. عاصفة لاتبقي ولاتذر .. توقفت دموعها ليجتاحها اصرار مهول على

المواجهة .. والقتال دون توقف.. حتى الموت .. لن تستسلم .. ليست سيـادة العزب من تفعل..

نهضت من سقوطها تواجه والدها بعينين قويتان لامعتان .. وهتفت بإصـرار:

-أنا لـن أتزوجه .. وأنت لاتستطيع اجباري ..

اشتعلت عينا سالم وهو يرى التحدي في عينيها وصرخ بحدة:

-ستفعليـن رغماً عن أنفك..

-لاأحد يملك ماقد يجبرني..

-اصمتي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

صاح بها والدها بحدة وهو يرفع يده لتسقط على وجهها بقوة ..

وتسمرت عينا سيـادة على كف والدها التي هبطت بسرعة مخيفة

وتوقعت الصدمة التي قد تصيبها .. واغلقت عينيها بقوة ..

لتطول المدة ولاتقع اليد القوية محطمة فكها ..

فتحت عينيها بذهول وجزع وهي ترى يد والدها معلقة في الهواء تثبتها قبضة قوية احتكمت رسغه وقوة قبضته وصوت قوي خافت يمتلئ برود‌اً يهمس له:

-لاتفعل عمي.

انتفضت بقوة وهي تواجه قحطان لا تصدق مالذي يفعله هنا يدافع عنها؟؟؟!!

تسمرت في مكانها تنظراليه ينزل يد ابيها ويقول له بنبرة مطمئنة:

-انها مسؤليتي الان وانا سأتصرف مع تمردها..

اصابتها ثقته بالجنون تراجعت منزعجة وهو يحني رأسه قائلاً بقسوة شعرتها في حروفه:

-استري نفسك يابنة العم.

توقفت للحظات لاتعرف كيف ترد على الاحتقار في كلماته وهي تكاد تجن كيف جاء الى غرفتها كيف؟؟؟

-قلت لك تستري..

هتف بعنف لتنتفض متراجعة وتلتقط روب حريري وضعته عليها واندفعت تواجهه صارخة بحدة وقد تفاقم غضبها وباتت لاترى:

-ليس من حقك اقتحام المكان هكذا..

نظر لها ببطئ قبل ان يخفض عينيه حال رؤيته لشعرها المتناثر على كتفيها بلا انتظام وملامح وجهها صارخة الانوثة لم يكن يريد التمعن بها ولكن ملامحها حفرت في عينيه وكأنما نُقشت هناك نقشاً!!!

-لاترفعي صوتك ولاتحاولي اثارة اي مشكلة..

هتفت بحنق:

-انت لاتملك حقاً لتأمرني ولاتملك علي شيئ؟؟

-انا سأكون زوجك منذ الغد ربما عليك التفكير في ماقلته قبلاً..

-انا لن اتزوج بك.

صرخت بانفعال وبروده يقتلها لترتفع عيناه المظلمتين بقسوة وتسمرانها في مكانها بلاحراك وهو يدمدم:

-لاترفعي صوتك امامي ام انك تريدين نشر الفضيحة التي نريد سترها؟؟؟

كادت تصرخ من القهر حاولت الهجوم بشيء حاولت الدفاع عن نفسها والصراخ انها بريئة ولم تفعل مايتهمونها به ولكنها لم تقدر تلك النظرة القاسية في عينيه جعلتها تتسمر وتفقد قدرة النطق والجدال التي تملكها!!!

فقط تراجعت بألم وعينيها تعودان لتحتويا دموعها الجاهزة للانهمار بأي وقت تتسعان بقهر ولاتملك ماتدافع به عن نفسها ليس بمواجهة قوته (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

شهقت للهواء وهو يقترب منها مسبباً تراجعها الغريزي للوراء وهو يهمس من بين شفتين مطبقتين:

-غداً ننهي هذه المهزلة بأحد شيئين اما موتك ودفنك ولااحد يستطيع حتى الاعتراض واما هذا الزواج وفي هذا انت لاتملكين حق الرفض او حتى القبول..

تأمل نظرتها المستنكرة بابتسامة ساخرة واضاف:

-انت لاتملكين اي حق هنا وانا فقط من بيده القرار ولاتحاولي افتعال فضيحة ياامرأة لأنك انت من ستكون الخاسرةالوحيدة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد). اتفهمين.

-انا لن اتزوجك..

هتفت باخر انفاس قوتها لينظر لها بقوة صاعقة اصابتها بالخرس لتتراجع حرفياً بذعر وهي تستقبل تهديده:

-ستفعلين رغماً عنك والاحطمت راسك المغرور هذا ودفنته في التراب ايتها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

لم يكمل ولكنها فهمت وتراجعت بانكسار وهي تراقبه يقود والدها الى الخارج دون اضافة كلمة اخرى وهي تراجعت لتسقط على

الفراش تجهش بالبكاء وبعنف دون توقف(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لايمكن .. مايحدث لها مجرد كابوس مرعب ستستيقظ منه وترى أن كله مجرد حلم .. كابوس.. شيء خيالي لايمت للواقع بصلة ..

ضربت وسادتها بقبضتها بقوة حانقة مقهورة ..

منذ متى لم تبكي هكذا؟؟!! سالت دموعها بلاتوقف .. وهي تحاول التفكير بحل يخرجها من هذا الشرك.. بلافائدة !! هاتفها لايعمل ..

جواز سفرها مع أبيها .. حتى ان هربت خارج المنزل .. الى أيــن ستذهب؟؟!! كيف ستهرب؟؟!!

شهقت للبكاء مجدداً .. وصرخت لنفسها بحرقة:

-حمقاااء .. غبية .. لم تصدقيه .. كان على حق.. كل شكوكه كانت واقعاً ..

فكرت بألم .. عبدالعزيز كان محقاً بقلقه .. وكذلك أمها .. ولكن؟؟! عبدالعزيز وأمها خدعاها.. كذبا على والدها وتسببا بهيجانه بتلك الطــريقة !!

سمعت حينها حركة وراءها .. التفتت بجزع لترى سلمى تقف مفغورة الفاه وتنظر باتجاهها بذعر.. حاولت سيادة الهروب من نظراتها ولكن سلمى صرخت باكية:

-أنا آآسفة .. لم أقصد التنصت ..

اتسعت عينا سيادة وسلمى تنفجر بالبكاء:

-سمعت والدك وهو يصرخ .. ظننته يضربك ولهذا ذهبت لأحضر قحطان.. لاأحد يضرب فتاة هنا .. لأحد يجرؤ على مس احدى بنات العزب .. حتى ان كان والدها؟؟!!

بكت حينها سيادة ..بكت بمرارة وهي تستقبل سلمى بين ذراعيها هامسة:

-لم يكن أبي ليضربني..

همست وهي تزيح من رأسها ذكرى قبضته القوية التي كادت تحطم وجهها واغلقت عينيها بمرارة وسلمى تصرخ:

-لماذا يزوجونك رغماً عنك؟؟ لماذا؟؟؟

شهقت سيادة بالدموع وسلمى تواسيها:

-لاتبكي سيادة .. لافائدة من البكاء..

-يجب علي الخروج من هنا.. يجب ان أهرب .. لايمكن أن أتزوج من ذلك الرجل..

هتفت سيادة بعذاب لتواسيها سلمى:

-قحطان سيكون رائعاً معك ..

اشتعل الغضب في عينيها وصرخت تبتعد عن سلمى:

-أنا أكرهه .. أكره همجيته .. لايمكن أن يصبح زوجي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لاتقـولي هذا عن أخي..

همست سلمى بصدمة .. لتبتعد سيادة أكثر وهي تصرخ:

-أنا أكرهه ولن أتزوجه حتى لو قاموا بقتلي.. لن أتزووج ذلك المعتووه ..

-توقفي والا سمعتك أمي..

صاحت بها سلمى وهي تركض اليها :

-لايمكن أن ترفضي مشيئة الشيخ .. ان اوامره سيف على رقابنا كلنا .. وأولنا قحطان نفسه ..

لمعت عينا سيادة بإصرار:

-لـن أتزووجه .. أخبري أمك وعائلتك كلها .. أخبريها أن سيـادة العزب ترفض الزواج بذلك الوغد الهمجي .. ولن تفعل الا على جثتها ..

صرخت بأخر كلمتين بعنف ودموعها تعود لتتفجر من عينيها بقهر..

لتنظر لها سلمى بأسى ..

هي تعرف بأن سيادة قد تعترض .. وسترفض.. وقد تقاتل حتى .. ولكن

!!؟؟

الأمر حُسِم .. والزواج سيتـم .. وإن على جثتـها ..

***

-اذهب لتنم بني..

همس سالم بخفوت .. لينظر له قحطان بهدوء يخفي أعماقه الثائرة

..

كان يستعد للنـوم بالكاد اغلق عينيه حين سمع الطرقات الملهوفة ..

رأى شقيقته تُسرع اليه عبر الباب والذعر يطل من عينيها .. لوهلة

فكر بأن الشيخ تعرض لمكروه .. لكن الكلمات التي استخلصها من

ثرثرتها المتسارعة عرف معها أن عمه وابنته المزعجة يتشاجران ..

لم يسأل كف ولماذا ؟؟ ارتدى قميصه وسارع خلفه سلمى .. حالما وصل

الى باب الغرفة المغلقة سمع الشجار ..ولم يتوانى دقيقة ليقتحم

المكان ويسارع لمنع عمه من ضرب تلك المخلوقة التي بالفعل تستحق

أكثر من الضرب..

ولكنه لم يكن ليسمح بضربها.. ليس وهي تبدو كرضيع حمل وديع ..ترتجف أمام ظل والدها الهائل.. ليس وهي ستصبح امرأته ..

لايسمح لأحد بمس ماهو له .. أبداً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نفض عن ذاكرته كيف كانت تبدو .. ثوبها الحريري القصير.. شعرها المتناثر بثورة نار مستعرة .. عينيها الملتهبتين.. كل شيء فيها .. كل شيء كان ثائراً .. كفرس أصيلة .. جامحة ..

-سيكون الغد يوماً طويلاً ..

أضاف عمه يسحبه من عواصف أفكاره .. ليهمس له قحطان:

-لاتقلق عماه .. سيكون الغد يوماً كاملاً ..

نظر له عمه بمرارة وكأنما يشتكي له أين الكمال في امـرأة ناقصة .. شعر قحطان بنظرة عمه المكسورة تذبحه بقسوة وعمه يهمس:

-أقسمت لي بأنها بريئة بني..

قالها بخفوت .. ليعقد قحطان حاجبيه وعمه يواصل بقهر:

-أقسمت أن ذلك الملعون لم يضع يده عليها ولم يمسها..

ارتفعت درجات الغضب عنده .. شعرها كثورة بركان طافحة تكاد تقتله ..فكرة انها كانت لرجل ما .. تقهره ..

-لاأعرف مايجب أن اصدق .. ابنتي .. كسرتني .. قهرتني ..

هتف عمه قبل أن يجهش بالبكاء كالأطفال .. ليتراجع قحطان بانزعاج .. لم يعتد ضعف الرجال .. لم يعتده ولايصدقه .. ولايؤمن به .. عض شفتيه بقسوة ..

أشاح بنفسه عن عمه وقال له:

-تصبح على خير عماه ..

وانطلق لغرفته .. يكره مايراه من ضعف.. يكرهه ..

عمه لايزال واقعاً تحت تاثير الصدمة .. لايزال لايصدق ان ابنته تلك المزعجة الصغيرة قد ترمي بشرفها للكلاب.. اغمض عينيه بقوة .. لا .. لا .. لايجب أن يظل عمه هكذا.. انكساره سيثير الاقاويل .. انكساره سيثير بلبلة لايمكن أن يسمح بها قحطاان ..سيثير تكهنات هو ليس بغريب عنها ..

أغلق بابه خلفه وارتمى على فراشه يفكر بوسيلة .. يفكر بطريقة تجعل عمه يرفع رأسه بفخر من جديد .. طريقة ترضي غرور أي رجل من آل العزب .. ..

***

كانت الاحتفالات تعم البلـدة ..

منذ ان انتهت صلاة الظهر .. حتى بدأت الاحتفالات .. بهرج لايحدث الا في القرى الصغيرة .. حيث للاحتفال معنى أخر.. ونكهة أخرى ..

الذبائح .. الطبـول .. التجمعات الصغيرة .. هنا وهناك ..

انتشـر الخبر النار في الهشيم .. زواج الشيخين الشابين .. على خيرة فتيات القبيلة .. تعالت الزغاريد .. والالعاب النارية في وضح النهار من سقف كل بيت .. سواء يمت للعزب بصلة أو لا ..

كانت الصدمة في خبر زواج قحطان من ابنـة العم التي وصلت توها !!

وصدمة أهل المنزل كانت أكبر..

جوهرة .. فتحية .. الكثيرات غيرهن ايضاً .. سلمى صامتة وهي الوحيدة التي شهدت شجار الامس وان لم تعرف سببه الا كون سيـادة مرغمة على الزواج ولكنها لاتدرك الاسبـاب..

غزل في منزل أمها حتى موعد العرس..

وسيـادة في غرفتها ..ترفض رؤية أحد ..

والبقية في هرج ومرج تحضيراً للاحتفال..

اقتربت الجوهرة من أمها هامسة بغيظ:

-لما لم يخبرني أحد أمي..

لم ترد امها بل أشاحت بوجهها مستمرة في اعطاء الاوامر للفتيات الصغيرات اللاتي انشغلن بالطهو والتحضيرات للعزيمة الضخمة ..

لتحتق الجوهرة غيظاً وتركض لسلمى :

-انت يافتاة هل عرفت بالامر..؟؟

زمت سلمى شفتيها وهمست:

-عرفت ليلة امس..

-ايتها الكاذبة لابد انك عرفت قبلاً ..

-جوهرة توقفي قلت لك لم اعرف من قبل لما لاتفهمين؟؟

شهقت الجوهرة حنقاً على صياح سلمى العصبي .. قبل أن تشيح عنها لتزفر سلمى وتنهض راكضة الى الغرف الداخلية .. كان يجب عليها أن تطمئن على الفتاة التي لم يغمض لها جفن وظلت تبكي حتى ساعات الصباح الاولى ..

حالما دخلت كانت سيادة تجلس على الفراش وتكتب شيئاً ما بورقة ..

حالما رأتها نهضت وركضت نحوها:

-أخي .. أريد توصيل هذه الرسالة لأخي..

نظرت لها سلمى بدهشة ..ونظرت للورقة التي احتوت كلمات مختصرة بالفرنسية وهمست لها:

-وكيف بحق اللّه سأوصلها له..؟؟؟

حملت عينا سيادة المنتفختين بالدموع ضراعة وهي تهمس:

-تصرفي ياسلمى اتوسل اليك .. خذيها اليه ,, اعطها اياه بأي طريقة..

-مستحيل .. الكل في الخارج .. الرجال في كل مكان والخروج من المنزل الان مستحيل .. سيقتلني اخوتي ..

همست برعب لتنفجر سيادة بوجع:

-انها الوسيلة الوحيدة .. عليه ان يقف بوجه ابي.. عليه ان يساندني..

هو لايعرف شيئاً..

نظرت لها سلمى بقلق لتتوسلها سيادة مجدداً:

-افعليها من أجلي سلمى ؟.. ارجوك اوصلي الرسالة لأخي..

نظرت سلمى للورقة بيدها قبل ان تحسم قرارها وتهمس:

-سأحاول ..

تنهدت سيادة بفرح .. وعانقتها بقوة وهي تهمس:

-سأدعو لك بالنجاح سلمى ..سأدعو ان تصل لأخي بسلام ..

نظرت لها سلمى بقلق .. تعرف انها لن تقدر ولكنها لاتستطيع ان ترفض .. وهي ترى مبلغ رغبة سيادة وتوقها للهروب ..

تراجعت للخارج وهي تفكر بطريقة ما للتسلل .. للوصول الى غرفة أخويها حيث يبيت ذلك الفـراس.. ولكن .. كيف .. كيف ستصل الى هناك ..؟؟!!

عضت شفتيها بقهر وهي تفكر بطريقة ..

عادت لمجلس النساء.. توقفت في زاوية وهي تنظر الى الجموع الغفيرة من نساء البلدة واللاتي جئن للمساعدة والاحتفال.. تنهدت وهي تخفي الورقة الصغيرة في جيبها .. ومضت تفكر..

بامكانها التسلل الى غرفة اخويها عن طريق حظيرة الغنم .. ولكن؟؟!!

لاأحد هناك الأن .. الجميع في مجلس الرجال حيث سيتناولون الغداء ..ربما عليها دس الورقة بين اشياءه ..

آآآه ..

تأوهت بقلق .. وبلاارادة رفعت أصابعها تقضم اطرافها بتوتر كما اعتادت أن تفعل .. كلما عصف بها التوتر!!

رأت الجوهرة وفتحية في خضم المعمعة وعرفت ان لاأحد سيفتقدها ان تسللت الأن ..

أحكمت غطاء رأسها .. ثم رفعت طرفه لتحيط به نصف وجهها فلاتظهر سوى عينيها .. وتسللت بخفة للخارج وعبر الممر القصير وصلت الى حظيرة الغنم .. كان المكان مهجوراً ..

لاتعرف لما تساعد تلك الفتاة لتهرب من زواجها بقحطان .. لاتعرف السبب ولكنها مستعدة ان تساعدها حقاً فعلى الرغم أنها تعشق أخيها .. الا أنها لايمكن ان توافق على زواج احداهن به قسراً .. قحطان يستحق أكثر من هذا .. وهذه المرأة الفرنسية لم تكن تناسبه .. ابداً ..

تنهدت ومضت عبر الحظيرة للباب الخلفي حيث كان هناك ممر صغير يربط بين الحديقة وملحق الرجال ..

سارعت بالركض اليه .. وكما تقوعت كان المكان شبه مهجور ..

قلبها كان يخفق بجنون .. وبلاتوقف..

تعرف بأنها غلطة وإن أحد من الرجال رآها ستكون كارثة .. ولو وقعت بيد قحطان أو رعاد ستكون المصيبة الكبرى .. لهثت بتوتر وهي تركض عبر الدرج الى الطابق الاعلى .. سمعت من بعيد هرج الرجال والأصوات الصاخبة .. فأمسكت قلبها برعب ..

تسللت على أطراف أصابعها عبر الممر الحجري الى غرف الرجال ..

كانت هناك عدة غرف ولكنها عرفت أن الضيف ينام مع شقيقيها في سرير محمد رحمه اللّه ..

ابتلعت ريقها وألصقت اذنها بالباب .. علها تسمع ان كان فيها احد أم لا ..

ولكن الصمت كان مخيماً ..

أخذت نفساً عميقاً ..

وفتحته بهدوء.. كانت الغرفة خالية .. أخذت نفساً وحررته بزفرة ..

رات سرير علي مرتب والأخر وكأنما قامت عليه حرب اهلية بالتأكيد .. هو لــرعاد .. من يصدق ان هذا الطائش سيكون عريساً اليوم !!

فكرت بحنق .. ثم أدارت نظرها للسرير الثالث .. حيث كانت الأغطية مزاحة وكأنما من كان نائماً قد اسيقظ توه .. اقتربت ونظرت لجاهز الحاسب المحمول بفضول ..سماعات جهاز ايبود .. لم تتعرف عليه ..

لامستها بحذر قبل أن تسحب يدها وتتراجع وهي تنهر نفسها وتفكر أين عساها تضع الرسالة ..أخرجتها من جيبها ومضت تلفتت حولها بيأس .. هل تضعها على الفراش؟؟

وان رأها احد اخوتها مثلاً.. فكرت بارتياح انها مكتوبة بالفرنسية ولااحد هنا يجيدها ..

ارادت اخراجها من جيبها حين:

-من أنت؟؟

تسمرت بذعر .. لم تتحرك وهي تسمع التساؤل الحاد بلكنة غريبة .. يأتي من خلفها .. لم تجرؤ على الالتفات .. تيبست ساقاها ولم تعد قادرة حتى على الحركة ..

-هل انت الخادمة ؟؟!!

سمعت التساؤل الفضولي وكادت تشهق معترضة وتصرخ به أن يتحشم وانها شيخة ابنة شيوخ .. فقط لو كانت قادرة على الحركة .. ولايتبع جسدها هذا القانون العجيب بالتيبس بلاحركة؟؟!

سمعت الخطوات تقترب منها ارادت الركض بعيداً ..

-هييه .. انت هل انتي صماء؟؟

سمعت التسلية في صوته ولكنها لم تتحرك .. ارتجفت واغلقت عينيها بقوة حين شعرت به يقترب .. حرارته تحوطها وهو يهمس بقلق:

-هل انت بخير مدموزيل؟؟

تراجعت بفزع وهي تفتح عينيها لأخرها وتطل على الوجه القلق الذي يطالعها..

كان وسيماً للغاية ..

فكرت بذهول .. لم ترى مثله قط من قبل .. بشرة بيضاء ..غير تلك الوجوه الكالحة التي تراها يومياً .. رأت القلق والاهتمام في عينيه

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-هل تجيدين الحديث أم انك بكماء ايضاً؟؟

قالها بسخرية .. ورأت العبث يتألق في عينيه العسليتين .. ابتلعت ريقها بصعوبة وهو يقترب منها .. كان يتأملها بوقاحة شديدة .. لم يخفض عينيه عنها ابداً .. تألقت عيناه وهو يهمس:

-ان عينيك جميلتـان ..

اتسعت عينيها بفزع وتراجعت اكثر وهي ترمي الورقة الصغيرة في وجهه قبل ان تستجمع شجاعتها وتهرول خارجاً..

-هييه انتظري..

صرخ بها فراس ولكنها كانت تركض بسرعة لتغيب خلف الممر الحجري !!

زفر بضيق ونظر الى الورقة القابعة تحت قدميه عقد حاجبيه قبل ان يلتقطها ويفضها بحذر ..

لم تتحرك نظرته وهو يقرأ التوسل الصارخ بين حروف شقيقته المكتوبة بلهفة وبلاانتظام ..

جعد فراس الرسالة بقلق لايصدق ان ابيه يزوج سيادته الغالية رغماً عنها كان يعرف بأن اليوم بدء احتفالات زواج ابني عمه ولكنه لايصدق ان احدى العروستين هي اخته نفسها !! وانها تزوج رغماً عن انفها مالذي حدث لأبيه كيف يفعل هذا بها كيف؟؟؟

حاول ان ينفض ذهوله عنه وانطلق الى غرفة المجلس حيث امتلأت عن اخرها بالضيوف راقب العريسين اللذين لم يتوقفا عن تلقي التهاني من الجميع وبحث سريعاً عن ابيه ووجده يجلس صامتاً في اقصى المجلس شارداً بشكل مثير للريبة حقاً..!!

سارع بالاقتراب منه ووقف امامه محادثاً اياه بالفرنسية:

-ابي علينا التحدث

نظر له ابيه بخواء وهمس له:

-ليس الان فراس..

-بل هو الان..

اصر الفتى وهو يشير لابيه ان يتقدمه خارجاً ليزفر سالم بتعب وقد ارهقته مواجهة سيادة في الليلة السابقة ونهض متثاقلاً الى حيث انفرد بابنه في زاوية جانبية ليواجهه فراس بغضب:

-هل صحيح ان سيادة ستتزوج من قحطان!!

نظر له ابوه بلاحراك فصاح:

-ابي قل لي هل صحيح ماعرفته؟؟

-انه صحيح.

رد ابوه ببساطة ليصيح فراس:

-ولكنها لاتحبه هي لاتريده انت تعرف بانها تريد عبدالعزيز.

اشتعلت عينا سالم بغضب وقبض على ذراع فراس بقسوة وصرخ به:

-اياك ان تأتي بذكر هذا الامر هنا اتفهم لااريد ان يسمع احد او يعرف شخص ما بهذا الامر يافراس اتفهم؟

-لماذا !!؟؟ عبدالعزيز يحبها وتركنا امي تحضر للخطبة كيف نزوجها الان؟؟

-لاشأن لك بهذا اتفهم سيادة ستتزوج ابن عمها وهذا ماسيحدث اليوم.. لا انت ولاسواك يملك الحق في تغييره.

-سيادة ترفض الزواج..

هتف باصرار ليقاطعه ابوه بحزم:

-ليس لها الحق في ان ترفض انه قرار شيخ العزب.

-زواج دون موافقة العروس اين تظننا في العصور الوسطى؟؟

صرخ بانفعال ليهتف به ابوه:

-انت لن تتفوه بحرف واحد لأحد اتفهم فراس والا فعليك ان تنسى

كل ماوعدتك اياه:

اتسعت عينا فراس وصاح باستنكار:

-اتهددني ابي؟!!

-عليك ان تقرر اما ان تنسى موضوع اميركا نهائياً وتتدخل فيما

لايعنيك واما ان تصمت وتقف مع ابيك كرجل.

اتسعت عينا فراس وتراجع بقهر وهو يرى رجل اخر غير سالم العزب

الذي يعرف رجل قاسٍ كالارض التي انجبته؟؟!!

تراجع بصمت وهو يحاول اتخاذ قرار شجاع بالوقوف مع شقيقته ضد

ابيه ولكن!!! عاد تهديد والده يضرب في اذنيه كان مستقبله في جهة

ومستقبل شقيقته في الاخرى وبلحظة تغلبت الانانية على كل

مشاعر الاخوة والرجولة لينسحب بصمت ويحاول ان ينسى كلمات

اختہ الملتاعة المترجية (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد

قائد)خرج للحديقة.. ورفع بصره للسماء الصحراوية ..

ابتلع ريقہ .. وأغلق عينيہ بقوة ..

لايقدر على فعل شيء(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لايقدر على شيء.. !!

***

كاد قلبها يتوقف ..

ركضت بسرعة .. لم تهتم ان يرها احد .. كل ماارداته هو الهروب من

ذلك الرجل .. الوقح .. الوغد .. فكرت ودموعها تطفح على وجنتيها ..

كيف يقترب منها بتلك الطريقة ..كيف اتتہ الجرأة ليفعل هذا؟؟

مسحت وجنتيها ومضت راكضة الى غرفتــها ..

رأت سيادة هناك والتي انتفضت صارخة:

-مالذي أخرك كل هذا الوقت؟؟

-اصمتي ..

هدرت بها لتتسع عينا سيادة وهي تراها تنزع غطاءها وتنفجر بالبكاء

صارخة:

-اخوك ذاك عديم الحياء.. كاد قلبي يتوقف..

نظرت لها سيـادة بصمت وهي تكاد تقتلها لكل هذا التعذيب الذي تمارسه عليها دون اطلاعها بماتريد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-انا احاول التغلب على خوفي واعطاءه الرسالة وهو يتواقح علي بكل غباء..

صاحت بحنق وهي تمسح دموعها المنهمرة .. لتبتسم سيادة رغماً عنها وتهمس:

-هل غازلك أخي..؟؟

رفعت لها سلمى عينين شرستين وهتفت:

-قولي له أن يتادب والا أقسم ان ألكمه بقوة لدرجة ان يفقد ذاكرته..

لم تتمالك سيـادة نفسها .. ضحكت ملئ شدقيها وقد تفائلت خيراً بوصول الرسالة لشقيقها .. لاريب انه يجري اتصالاته الاأن .. اقتربت من سلمى بمرح واحاطت كتفيها هاتفة:

-ماذا قال لك اخي الشقي؟؟

نظرت لها سلمى بغيظ وهي تمسح دموعها بفوضى:

-قال ان عيني جميلتاان (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-انهما جميلتان بالفعل..

جعدت سلمى انفها وهتفت:

-لامكان هنا لكل هذه السخافات .. نحن الشيوخ لانعرف مثل تلك الحماقات ولانعترف بها..

اتسعت عينا سيادة .. وهتفت بغيظ:

-يالهي .. انه مجرد غزل بريئ.. ماذا ستفعلين لو اخذك بين ذراعيه وغمرك بعاطفته ..

شهقت سلمى بفزع لتغرق سيـادة بالضحك وهي ترى عينيها المتسعتين وفمها المفتوح وبشرتها التي شحبت فجأة ..

-حسناً حسناً .. لابأس.. اهدئي .. لن يفعل لك اخي أي شيء.. فتوقفي عن الذعر..

همست لها بمرح .. لتنهض سلمى قائلة بارتباك:

-سأذهب الان .. يجب أن اعد الغداء مع الباقيين والا قتلتني امي..

استندت سيادة على الوسائد وهمست:

-وانا سأنتظر اخي .. لابد انه يتصل بأمي الان وسيخرجونني من هنا..

نظرت لها سلمى بقلق قبل أن تهز كتفيها وتنطلق للخارج ..

اما سيادة فقد نظرت للخارج وهي تهمس متأملة :

-سيأتي فراس لأخذي.. انا واثقـة ..

ولكن كلمتها المهزوزة عبرت الكثير عن ثقتها الداخليـة !!!

***

الجو كان خانقـاً .. شعر به يقتله ببطئ.. جلوسه هناك الى جوار أخيه والكل ينظر اليهما باعتبارهما العرسان الجدد .. كان أكثر سوءاً مماتوقع .. يرغب بالهروب.. يريد ان ينتهي من هذا بأسرع وقت .. يشعر بالاختنـاق .. !!

نظر لاخيه الصامد بقوة يحسده عليها .. هو يشتعل توتراً والأخر بارد كالثلج .. ولكن ماذا يتوقع .. انه قحطان فكيف لايكون هادئاً ..

بالطبع كان كسواه في معرفته خبر زواج أخيه من ابنة العم .. لم يعلق أحد أو يعترض .. ولم يكن أحد يقدر .. تفاجأ الجميع وابتلعوا صدمتهم ..

-هل سنبقى هكذا لوقت طويل؟؟

تململم في جلوسه وهو يهمس لاخيه بتوتر ليبتسم قحطان باختصار:

-انها العادات .. توقف عن الحركة من يراك يظن بأنك تجلس على جمر ..

زفر رعاد وأشاح ببصره عن جمود أخيه .. لما لايفهم احد توتره .. لماذا؟؟

تنهد بضيق وهو يفكر على الاقل هو سيُعفى عن مهرجان الزفاف ..

حيث سيعقد قرانه الليـلة وينتهي الأمر .. مراعاة لشعور غزل والذي

أصرت عليه أمها .. لن يكون هناك حفل زفاف .. وسيأخذها معه

الليـلة للملحق الذي بُني له أسوة بأخوته الذكور..

رأى من بعيـد شقيقه علي يجلس الى جاو ابناء عمومته غارق في

الضحك بحديثهم المعتاد وتسليتهم الواضحة وابتسم .. تذكر ماكان

الجميع يقوله في زواج محمد رحمه اللّه .. تذكر مداعباتهم لبعضهم

.. تذكر ابتسامته التي رسمها طيلة ذلك اليوم .. وتذكر جرحه الذي

لم يشك به احد !!

تنهد وأشاح عنهم ليرى قحطان يلتقط هاتفه النقال ويبتسم قائلاً:

-وصل شيـخ الشهري..

ونهض من مكانه مسرعاً الى الباب حيث وجد رفيق عمره يسلم على

افراد عائلته بابتسامة سعيدة تألقت على وجهه .. واقترب منه معانقاً

اياه بأخوية رجولية بحتة هاتفاً بمكر:

-مرحباً بعريس العزب .. ارى أنك أصبحت اكثر انسانية ..

ضحك قحطان بخشونة وخبطه بقوة على كتفه وهو يدمدم:

-احتفظ بتعليقاتك الذكية لنفسك ياعمرو والا ستعود لزوجتك بعين واحدة ..

رفع عمرو حاجبيه بشقاوة وهو يهمس :

-لا ..ارجوك الا عيني .. لدي زوجة مذهلة اتمتع برؤيتها دوماً .. لاتكن حقوداً ..

سيطر قحطان على ابتسامته وقاد رفيقه الذي اثار دخوله عاصفة من السلامات والمصافحات انتهت بعد وقت طويل ليجلس الى جواره هامساً:

-لقد نسيت كم تكون هذه الاحتفالات مزدحمة ..

ابتسم قحطان بهدوء ليكمل عمرو:

-علاء ابن عمتي كان قادماً معي .. ولكن شقيقته رزقت بطفل ليلة امس ولم يستطع تركها .. خصوصاً ان زوجها مسافر خارج البلاد..

-مبروك ماجائكم ..

همس قحطان مبتسماً فضحك عمرو ومال نحوه هامساً:

-سأمهلك تسعة اشهر بالضبط ..

ورفع معصمه ينظر لساعته مضيفاً:

-ابتداءاً منذ ليلة الغد .. وبعدها انا أطالب بحقي في سمييَ.. أتفهم ياشيخ الشباب؟؟

أدار قحطان عنقه ببطئ مثير لينظر لرفيقه الذي تألقت عيناه مكراً وخبثاً .. قبل ان يعود قحطان لوضعه وهو يتكلم من بين شفتين مغلقتين:

-اذا لم تكف عن هذا ياعمرو أقسم ان اعلقك .. وأنت تعرف بأني سأفعل..

لم يقدر عمرو على السيطرة على ضحكته التي خرجت مقهقهة .. عالية جعلت نصف المجلس ينظر اليهما بفضول .. كاد قحطان يشتم تهور صديقه ومكره .. اراد ان يوقفه عن ضحكه المتواصل فسأله بحدة:

-أين قحطانك؟؟

توقف عمرو عن الضحك وابتسم بدفئ وهو يتذكر عائلته الصغيرة التي استقبلتها النسوة وأخذوها بسرعة عنه:

-مع أمه .. ستحضره فيما بعد.. والأن .. أين الشيخ؟؟

-انه يرتاح قليلاً ليشاركنا الغداء..

-ممتاز ..

فرك عمرو يديه ليبتسم قحطان .. لاينكر شعوره بالسعادة لمشاركة صديقه للاحتفال .. حتى وان كان الاحتفال صوره مشرقة عن بشاعة موقف محرج .. ولكنه سعيد لماتسير اليه الأمور.. بكل هدوء وسلاسة ..

***

مرت ساعات دون أي خبر؟؟!!

كانت تقطع الغرفة ذهاباً وايابا بلاتوقف .. انتهى الغداء .. بالطبع هي كما العادات هنا لم تشارك النساء غداءهن .. بل تناولته وحدها كالمنبوذة .. صحيح ان سلمى جائت اليها تعرفها بامرأة لم تقابلها من قبل.. امرأة اقل مايقال عنها انها فاتنة .. وعرفتها انها شفـا .. زوجة اقرب أصدقاء قحطان اليه .. عمرو الشهري.. كانت المرأة لطيفة للغاية ..تحمل طفل رضيع بين يديـها .. وطفلة شقية تتشبث بثوبها ..

سلمت عليها وغادرت بصمت .. كانت تعرف انها تقيمها .. بنظرات خاطفة .. صحيح ان سلمى عرفتها اياها كونها عروس لذاك الوغد المتخلف .. ولكنها لم تعترض.. كانت تعرف أن فراس يخطط لشيء ولم ترد ان تزيد الوضع سوءاً او تثير حفيظة الباقيين ..

مسدت كفيها بقوة وهي تنتظر الخبران فراس اوقف الزواج او مجئيه كفرسان العصور الوسطى واخذها رغماً عن الجميع كي لايتم الزواج القسري ولكن!!..

اندلع الصوت ممزقاً ستارة الظلام بأعيرة نارية متتالية تشق عنان السماء وتعلن ما بقيت لساعات تنتظر الغاءه هي بالطبع لم تفهم ولم تعي سوى صوت الرصاص؟؟!!

صرخت بفزع مهوول واندفعت خارج غرفتها تركض بتوقف تهرب من المجهول الذي اطبق حولها فكيه ببطئ!! قابلتها حمى الاحتفالات بتوقف مثير للتساؤل وقفت امام جمهور من النساء بثوبها الحريري المطرز بالذهب وقد انسابت خيوط الشمس من قمة رأسها لمنتصف ظهرها عينيها متسعتين بذعر ولسانها في سيل من كلمات تصف خوفها بلغة اعجمية اعجزت الجميع

-مالذي يحدث!!

شق الصوت الغاضب المعمعة لتنصت النساء وتستدير العيون للمرأة التي اقتربت تناظر عروس ابنها بقسوة وتهمس لها بحنق:

-لماذا غادرت غرفتك؟؟

-الم تسمعي صوت الرصاص؟؟

هتفت هلعة لتشق الضحكات وجوه النسوة الساخرات في حين هتفت بها حماتها بقهر:

-انه صوت الاحتفالات لقد تم العقد والان اصعدي لغرفتك انت تفضحيننا..

"صوت الاحتفالات"

ضربتها الكلمة بقوة لتأتي التي بعدها بقسوة

"تم العقد"

مستحيل؟؟؟

اتسعت عينيها بذهول وغفلت عن عاصفة الزغاريد التي انطلقت من كل مكان وسمعت لفظ يتكرر بين النسوة اللاتي يملأن المجلس واللاتي يرينها للمرة الاولى (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لفظ ساحرة !!

وعيون مترقبة ترمقها بنظرات تجمع بين الاستغراب والاعجاب ونظرات اخرى امتلأت حقداً وشراً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

شعرت بذراع تحوطها وسمعت الجوهرة تهمس لها:

-تعالي معي ياسيادة..

نظرت للجوهرة بذهول .. ساقتها بلاحول منها ولاقوة كشاة تُساق للذبح (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

حاولت التكلم ولكن كل شيء بدا لها وكأنه يدور في فلك متعب ..

همست باسم الجوهرة بصوت خافت .. لتلتفت لها الأخيرة وتتسع عينيها بقوة ..

كانت الدموع تغرقها .. تنهمر بلاتوقف .. وهي تدمدم بكلمات لاتفهم منها الجوهرة اي شيء..

-سيـادة تعالي معي ولاتتسببي بفضيحة ..

انساقت معها .. حتى أوصلتها الى غرفتها ..وهناك وقفت بلا حراك تنظر للجوهرة التي بدأت تحضر لها الفراش بصمت ..

-هل ماقالته امك حقيقي؟؟

هل انتهى الأمر؟؟

هتفت بألم .. لتنظر لها الجوهرة بقلق.. الخبر الصاعق لم يفاجئ الجوهرة فقط كما يبدو .. فها هو يفاجئ العروس بذاتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-نعم حبيبتي .. لقد عقدوا القران ..

-لاااااااااااااااا!!

انهارت صارخة .. تلقفتها الجوهرة بسرعة وهي تصرخ بها:

-سيادة توقفي عن هذا الجنون ..

-لا اريده .. انا لااريده ..

نظرت لها الجوهرة بعيون محتقنة وهتفت بصوت مخنوق:

-لافائــدة .. لافائدة من اعتراضك ياسيادة..

أجهشت سيادة بالبكاء .. توسدت الأرض وصرخت:

-انا لست موافقة .. انا امرأة حررة وليس من العدل ان يفعلوا بي هذا؟؟

-انه قرار الشيخ .. ليس بيدك حيلة ..

همست لها الجوهرة لتنتفض سيــادة بقهر وترفع عينين مشتعلتين بالقوة والشراسة:

-لن استسلم .. سأذهب هناك وأفضح مافعله بي والدي وشقيقك الهمجي .. لن اسمح لأحد أن يُذلني .. أنا سيادة العزب..

ونهضت فعلاً تنوي تنفيذ تهديدها لتواجه اباها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تسمرت وتوقفت الدموع عن انهمارها .. لتكتشف انه ليس وحيداً .. كان الأخر هناك ..!!

بكل برود الكون يقف خلف ابيها ويبدو كوحش .. مستعد للانقضاض .. تراجعت غريزياً وصرخت لأبيها بشحوب:

-لن أسامحك ..ابداً لن اسامحك ..

تبادل سالم النظرات الصامتة مع ابن اخيه .. الذي اقترب منها وقال للجوهرة خلفها بهدوء:

-اتركيـنا أختي..

نظرت لهم الجوهرة بشتات قبل أن تلملم نفسها وتركض للخارج .. وتتركهما وحدهما .. مع سالم الذي تراجع لركن قصي.. ينظر لمعركة ابتدأت مسيرتها .. ولن تنتهي بخير ابداً ..

نظرت له .. للمرة الاولى تسمح لعينيها بالوقوع عليه كلياً .. تنظر له كله .. وكأنها تتشرب ملامحه المظلمة .. قسوته وجحوده اللامعقول .. بروده الذي نخر عظامها وهو يدور حولها كأسد مفترس يحاصر فريسته..

-أكـرهك ..

همست من بين شفتين مطبقتين .. لتبدو عليه شبه ابتسامة وهو يرد:

-اكرهيني كما تشائين .. ماحدث اننا تزوجنا .. وانتهى الأمر ..

-افضل الموت على أن أكون زوجتك ..

صرخت بقهر ..

-بكل سرور..

هتف بلاتردد .. ويده تطبق على لحك ذراعها بقسوة جعلتها تشهق بذعر وهو يهزها بعنف:

-لولا أنك ابنة العم الوحيدة .. ولولا الشيخ الذي جعلك قرة عينه قبل حتى أن يراك.. لكنت الأن لاتملكين حتى حق الخيار.. كنت دفنتك بلاتردد .. وأدتك حتى انتهى من العار الذي صببته على رؤوسنا اتفهمين..

-انت مجرد مجرم ..

هتفت بعنف ليضحك بقسوة جلدتها وهو يغمغم:

-سمني ماشئت.. ولكن هذا الزواج قد تم ومنذ الأن انت تحت أمري وفي عصمتي.. لن اسمح ابداً أن تسببي اية مشاكل والا أقسم أن انتهي منك دون ان يجرؤ أحد على الاعتراض..

-أتظن نفسك رجلاً كي تخيفني بتهديد؟؟!!

صاحت بحنق واقتربت منه تواجه حفرتيه المظلمتين بشجاعة وهي تهتف:

-ليـكن بعلمك انت أيها المسترجل .. انا سيادة العـزب .. وأنا لاأخاف بسهولة ..

لم يقدر اخفاء ذلك الوميض من الاعجاب الذي شق ظلمة عينيه .. ولكنه استطاع السيطرة عليه ..!!

سيطر عليه ليبتسم باختصار ويهمس لها:

-يعجبني التحدي يابنة العم .. ولكنني لست هنا لأثبت من منا الأقوى .. فهذا أمر مفروغ منه .. وكل ماجئت لأجله هو ان أخبرك انك ملكي الأن .. شيء استحوذت عليه ولن تملكي أن تهربي قط .. فوفري جهودك .. وغداً أمام الجميع ستزفين الي..

-أنا لست موافقة ..

صرخت بشحوب .. لينظر لها ببرود وهو يفلت ذراعها ببطئ:

-ارفضي كما تشائين. . ولكن لن تعترضي.. لقد فات الأوان والأن .. كل ماتملكينه هو الاستسلام ..

-لن استسلم ..

هتفت بضعف وهي تراه يستدير عنها للخارج .. ضربت بقدمها الأرض بقوة وهتفت:

-سأريك من تكون سيادة العزب .. سأودعك السجن ولن اتوقف عندها ..

نظر لها بابتسامة ساخرة .. ودون ان يتوقف .. غادر .. بكل بساطة ..

يلحقه عمه الذي لم يكلف نفسه حتى عناء البقاء.. ومواساتها ..

صاحت بحقد .. صرخت بألم ..

ضربت ساقيها بالأرض ..بكت .. مزقت غطاء وسادتها ..

وكل صرخاتها تضيع في الفضاء.. تنتهي الى .. لاشيئ..

هبااء.. كلها هبااء ..

***

انتهى الحلم ..

وبقي شيء واحد فقط .. سينتهي بعد لحظات ..

سمعت الطلقات النارية .. وانطلاق الزغاريد.. وأدركت أن الأمر قد تم ..

وأنها منذ الأن .. محرمة على الذكرى ..!!

رفعت الصورة .. وتأملتها للمـرة الأخيرة ..

الابتسامة الناعمة الشقية .. شعرتها تُحفر في أعماق قلبها ..

ولاتندمل ..

ابتلعت ريقها وأخرجت عود الثاقب من الدرج ..وأشعلت ناره .. وقربتها بيد ترتجف .. للصورة .. وراقبت بعيون غشيتها الدموع كيف تآكلت .. واحترقت ..

أفلتتها بشهقة باكية ..وعادت تغرق في الدموع .. نعم تحبه ..

تعشقه وتعشق ترابه .. ولكنها ليست خائنة .. انها امرأة رجل اخر الأن ..رجل يستحق منها ان تحترمه على الأقل ..

نهضت وهي تمسح دموعها وتواجه امها التي اقتربت تضمها اليها بقوة .. همست لها :

-كوني قوية وشجاعة كماعرفتك على الدوام ..

لم ترد .. مشت بآلية الى الخارج .. بزفة أقرب الى الجنازات .. ترافقها سلمى التي لم تخبئ دموعها وهي تتذكر زفة مماثلة قبل عام .. وان كان الفرح والصخب مسلكها ..

زفة فرح تحولت الى جنازة ..

وزفة فرح الان تشبه واحدة ..!!

أي قــدر هذا؟؟

تعرف أن خلف غطاء رأسها الأسود فهي تبكي .. تكاد ترى الدموع الذي اغرق نقاب الفتاة الصغيرة .. تكاد تسمع نشيجها المكتوم .. وتمزق قلبها لأجلها ..

لافرحة اليوم ..

اليــوم .. هو يوم تراقص فيه الأحزان أحلى أحلامنا ..!!

اليــوم هو يوم انتشت فيه الدموع ..

اليوم هو يوم الفرح المغزول بالدم !!

تركتها سلمى امام السيارة التي جائت تقلها من منزلها الى الدار الكبيرة .. صحيح ان المسافة قصيرة ولكن .. كان هذا هو التقليد المتبع ..

تنهدت ورأتها تنسل الى السيارة بلاصوت .. دون حتى أن ترفع رأسها او تعترض ..

وراقبت ابتعاد السيارة بصمت باكٍ ..

وبداخلها كان الجو اشبه بمأتم ..

رعاد الصامت كقبر يجلس الى طرف ..فيما عروسه الجميلة الحزينة تنكمش الى الطرف الأخر .. كلٌ وكأنه يهرب من الأخر .. يشعر

بارتجافة جسدها ويمزقه هذا الأمر .. يرغب باحتواء حزنها وضعفها ولايقوى ..

تنهد بضيق ونظر للمسافة لاقصيرة تُطوى امامه .. وكأنها أسرع من اي وقت مضى ..

وصلا الى الدوار .. وبانتظارهما امه والجوهرة وكذلك العديد من الفتيات .. واللاتي لم يقصرن بالزغاريد وغيرها .. تركهن يهتممن بعروسه التي اندفعت وكأنها لاترغب سوى بالهروب ..

ولكنها لم تعترض او تقاوم .. استسلمت لهن وهن يقدنها الى الملحق ..

حيث أدخلنها الى الغرفة الصغيرة وهمست والدته:

-تعالي بنيتي نساعدك في تغيير ملابسك ..

نزعت غزل غطاءها ونظرت لهن بصلابة .. وجهها احمر من شدة البكاء ولكن أثر الدموع على وجنتيها اختفى .. لم تضع على وجهها اي نوع من الزينة وبكل برود هتفت بهن:

-اريد البقاء وحدي..

تبادل الجميع النظرات المستغربة ولكن وقبل أن تعترض احداهن هتفت بعصبية:

-قلت لكن اريد البقاء وحدي .. لاأريد ولاأحتاج مساعدة من احد..

خفضت امه عينيها وهمست للجميع:

-هيا بنا يافتيات ..

وبهمهة معترضة اندفع الجميع الى الخارج ..وبقيت وحدها ..

لم تنظر حولها كأي عروس .. لم تغرق بالتخيل .. والحلم .. فكل شيء انتهى !!

سمعت صوت الباب يفتح بعد لحظات .. رفعت غطاءها مجدداً ..

ونظرت لظله الذي انسكب على الأرض.. ابتلعت ريقها بمرارة وخوف

لم تقدر على السيطرة عليه .. وبقيت متسمرة بانتظار ماسيفعله..

وهو واقف هناك لم يعرف ماعليه فعله..

يركض ويأخذها بين ذراعيه يطمئنها انه لايمكن ان يمسها سوء برفقته ..

او يركض للجهة الأخرى .. ويفر منها !!

ولكن .. كل ماستطاع فعله هو البقاء واقفاً .. متسمراً بلاحراك ..

للحظات طويلة قبل أن يهمس بصوت متردد:

-غزل ..

انتفضت بقوة وصوته ينساب اليها .. رفعت عينيها اليه .. ورأته يخفض بصره .. كمااعتاد ان يفعل معها .. لتغرقها الدموع مجدداً ..

وهو يهمس مخنوقاً:

-اذهبي للنوم .. سأبقى انا هنا على الكنبة..

تصلبت بعض الوقت .. لم تفهم مايطلبه منها ..

-اذهبي الأن ياابنة العمة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هتف حينها مجدداً لتتغلب على جمودها وتسرع واقفة وتركض باتجاه الغرفة التي اشار عليها .. وبلاتردد اغلقت الباب!! أغمض عينيه هو حينها .. بارتياح ربما ..

في حين التصقت هي بالباب واخذت نفساً عميقا .. وهي تصبر نفسها..

انه رعااد .. ورغم الخوف .. فهو قط لن يؤذيني !!

انه أمانها .. وسلامها منذ طفولتها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) رغم الخوف .. كان هو أمانها ..

***

-تبديـن جميـلة ..

سمعت الكلمة للمرة الألف .. ولم ترد .. كانت مجرد جثة ..

هكذا فكرت .. لم تستجب لشيء ممافعلوه طيلة الصباح .. التقاليد والعادات .. لم تفعل سوى انها نهضت من سريرها .. وهي التي لم تذق طعم النوم .. وهي تجبر على اتمام مراسم لم تفكر قط انها قد تواجهها !!

اليوم هو يوم زفافها ؟؟!!

فكرت بذهول .. لاتزال في طور الصدمة وعدم التصديق ..

انها فعلاً تجبر على الزواج !!

نظرت للجوهرة التي قالتها مترددة وهمست:

-ساعديني ..

احتقن وجه الجوهرة وهي ترى النظرة الميتة في عيني قريبتها الزمرديتان ..وتراجعت بيأس لاتقوى على فعل اي شيء.. لتشيح سيادة عنها وتتأمل نفسها في المرآة .. حتى الثوب الذي ترتديه لم يكن ثوبها .. تأملته كيف كان متسعاً عند الخصر وكأنه فُصل لامرأة تفوقها حجماً .. بكمين من الدانتيل وذيل طويل .. بلون ابيض شاحب لم يلائم بشرتها .. وانسابت دمعتها بقهر وهي تتذكر ثوبها اللؤلؤي .. الذي اختارته منذ شهور ., بقماش الكريب والشيفون.. وقطعة

الدانتيل المخرم التي تحتل مساحة الظهر كلها .. شرائط الحرير التي تثبت تنورته الضيقة ..

-لا تبكي .. ستزول الزينة ..

هتفت بها سلمى لتنظر لها بخواء ..

جائت الفتيات بعدها يطالبن بنزول العروس الى مكانها في المجلس ..

وكما الدمية رافقتهن .؟. يائسة من كل شيء حولها .. حتى فراس .. شقيقها وأملها الوحيد .. خذلها ..

كانت متعبة .. محطمة .. جلست كما طلبن منها .. تغطي وجهها قطعة من قماش سميك بالكاد ترى من وراءها ..

راقبت الهرج حولها بصمت وقلب يتدفق بالكراهية لكل من حولها ..

جدتها الصامتة بعيداً .. عماتها .. وبناتهن ..والدة ذلك الهمجي وشقيقاته اللتان لم تكفا عن الرقص ودق الطبول .. كل من حولها تعمد الفرح ليكسرها ..حتى غزل العروس التي تزوجت امس ..

جلست هناك صامتة تراقب.. وقد كرهتها كذلك ..

كانت تريد الصراخ والاعتراض ولكنها لم تفعل ..

كانت تدخل تحدياً .. بكل قوتها ولن تتراجع عنه .. كانت تتحدى جبروت رجل .. وليس هي سيادة العزب من تنحني لمطلق رجل ..!!

وهناك ..

في الجهة الأخرى للمنزل حيث افترشت المجالس الأرض وكان الضيوف من كل مكان تربع قحطان مكانه الى جوار شيخه الكبير وعمه .. والى يساره رفيق دربه .. ومن ثم اخويه ..

كان شارداً في تلك الغزال المتمردة ولاتي أتعبته .. قبل حتى ان تكون تحت امره .. منذ سمع عنها شكلت مصدراً للقلق .. والتوتر ..

وبعد تحديها الكبير له .. ماذا تنوي ان تفعل ؟؟!!

هل تنوي كسر كلمة ابيها امام الجميع .. لا .. لن يسمح لامرأة ان تفعل هذا .. ابداً..

مال على عمه وسأله بتوتر:

-متى تنتهي هذه المهزلة..؟؟

-اهدئ بني ..

تمتم عمه بقلق أكبر ليصمت قحطان ويتابع الراقصين الكثر بهدوء ..عليه أن يهدأ .. ان يتابع فصول المسرحية حتى النهاية واغلاق الستار!!

حين اقترب منه عمرو يقول له بخبث:

-لما لاتشرفنا ياشيخ ..

نظر له قحطان بابتسامة وهتف:

-أتظن انك الراقص الوحيد ..

قهقه عمرو وجذب رفيقه اليه في رقصة حامية .. فلكلورية تتنازع فيها الأسلحة من البنادق والسيوف .. وحتى الخناجر الرفيعة ..كانت دقائق منعشة .. صاخبة بالمرح وشاركه اخويه بسعادة والكل غافل عن العم سالم الذي اسود وجهه .. ينظر للوجوه حوله بداخله احساس عارم انهم يعرفون .. الجميع يعرف عن ابنته الخاطئة التي لوثت سمعة عائلتها .. حتى كاد يختنق..

وفي الجهة الأخرى كان شقيقها .. يجلس ناكساً رأسه .. لعاره الخاص .. وقد فشل في حماية شقيقته وتركها فريسة سهلة للذئاب؟؟!!

وفي جهة اخرى كان حسن .. الحاقد الأكبر..

يراقب فرحة الجميع ويكاد يصرخ من الغيظ ..

وعندها هناك .. كانت تراقب بعينين لاتريان .. حين شعرت بمن تقترب منها وسمعت الصوت ذو البحة :

-أتسمحين؟؟

رفعت عينيها لتطالعها صورة باهتة من خلف القماش السميك لامرأة والتي ابتسمت وهي تمد يديها لترفع احدى طبقات القماش لتضح الرؤية اكثر .. وهمست:

-هكذا افضل أليس كذلك؟؟

كانت تلك المدعوة شفا؟؟ جلست الى جوارها وقالت لها:

-لابد ان الرجال يمرحون .. انا متأكدة ..

لم ترد بل ظلت صامتة ..لتقترب منها شفا وتهمس لهابقلق:

-هل أنت بخير؟؟

ارتسمت شبح ابتسامة على محيا سيادة الجميل وهمست:

-لايهم ..

عقدت شفا حاجبيها وكادت تسألها حين سمعت صوت الجوهرة تعلن للنسوة ان قحطان قادم ..

نقلت شفا النظرات بين العروس البائسة والباب قبل أن تركض لتضع عليها عبائتها .. وأما سيادة فقد بدت كتمثال والزغاريد تتصاعد معلنة وصوله .. كان يحوطه الضباب لعينيها أبسبب القماش الذي يغطيها ام هي تلك الدموع الغبية التي انهمرت بلاتوقف عليها !!

شعرت باقترابه .. تحوطه امه وشقيقته الكبرى .. شعرت به يضع شيئاً ما على ساقيها لتتصاعد زغاريد النساء .. ثم شعرت بيده على رأسها قبل ان يجلس الى جوارها ..

اجتاحتها حرارته كشمس منتصف النهار .. ورغماً عنها ابتعدت عنه قليلاً .. لأول مرة في حياتها تشعر بالذعر .. انها وحيدة هنا..

وهو .. وسط عشيرته وقومه .. وكأنه زعيم قبيلة هندية يقوم بالطقوس للاحتفال بالغنيمة من احدى غزواته.. كانت وحيدة كالألم .. الجميع تخلوا عنها لقسوتها .. لجحودها .. لعارها !!

انهمرت دموعها اكثر .. بدون صوت .. وبدون حركة ..

-توقفي عن البكاء.. فللدموع فأل سيئ..

سمعت صوته وكأنه يجتاحها من اعماق بئر عميق .. لاتفعل شيئاً سوى زيادة دموعها ..

سمعت تنهيدته .. وشعرت تباعده هو الأخر .. ليبقى لبعض الوقت .. ثم ينهض بسرعة متجاهلاً الحاح عائلته للبقاء..

لم يأخذ ماتركه بين قدميها .. لتقترب النساء بعد انصرافه .. وكل واحدة تبدي اعجابها الشديد بقيمة الهدية .. ويتملك سيادة الفضول ..

خفضت عينيها لترى .. واتسعتا بقوة وذعر ..

وكأنها حيوان متوحش يربض على قدميها .. كانت بندقية ..

بندقية قتل .. سلاح متوحش كصاحبه .. بماسورة مصقولة .. ويد

خشبية تلمع كالذهب .. وجسد أسود كشبح .. قسوة .. وتهديد

مبطن ..

وهدية قيمة كما فهمت من تلاغي الأنفس حولها .. لاتُعطى الا

لسيدة .. لقيمتها الهائلة بالنقود .. والاصالة والعراقة !!

وبالنسبة لها كانت رسالة واضحة .. اعترضي وسيكون مصيرك

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) هو الموت !!

***

بعد ساعات ..

واحتفالات دامت للفجر .. أخيراً هي في غرفتها .. او التي من المفروض ان

تشاركها معه !!

تجلس على طرف فراش عتيق بأعمدة رباعية .. وفرش ثقيل يليق

بالأميرات..

سجاد عجمي .. ومفروشات باهظة الثمن ..

وفوق كل شيء .. كان هو !!

احتگر الهواء في الغرفة الواسعة وبات ثقيلاً يحمل عطره الغريب وبعض دخان سيجارته النفاذة ويحمل اكثر ثقل نظراته السوداء الغامضة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لن تنكر ارتجاف داخلها من وقعها عليها ولن تنگر نفورها منها ولگنها ليست من ينحني ولايهرب لذا لم تخفض عينيها حين تشابگت النظرات بقوة والتحمت في معركة طاحنة!!!

كانت خائفة وترتجف وليلعنها اللّه لو ظهر منها خوفها .. رأته يقترب فرفعت له رأسها بشموخ .. لاتزال ترتدي ثوبها البشع والذي لم يناسبها ابداً ..

-أتظنين انه يهمني ماتقومين به من وصلة عناد؟؟

لم ترد بل اشاحت عنه ليهتف بحدة:

-انظري لي حين اكلمك ..

نظرت له بحقد فصرخ:

-اعلمي بأني مافعل هذا الا من اجل عمي .. وجدي فقط أتفهمين؟؟!!

لم ترد فكساه البرود .. ورأته يمد كفه أمامه وبهدوء تحت نظراتها التي احتوت ذهول العالم استل خنجره المطعم بالذهب والعقيق وعبر نصل البلاتين اللامع رأت انعگاس النظرات الحادة عليها قبل ان يمر

النصل الحاد على لحم كفه الممدود أمامه دون ان تهتز عضلة واحدة في فگه لتتساقط قطرات من دمه القاني أمام عينيها لتمرغ قماش الفراش الأبيض الناصع (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) احتبست الأنفاس في صدرها برعب للوحشية التي تراها أمامها ولم تگد تحاول استعادتها حتى اتسعت عينيها بذهول اكبر وهي تراه يستل بندقية ضخمة .. تلگ التي وضعها تحت قدميها قبل ساعات ليتوجه الى النافذة ويخرج ماسورتها ويطلق عدة طلقات سريعة في الهواء شقت سكونه بلارحمة جعلتها تصرخ برعب وهي تقفز واقفة لتناظر لشبحه المهول ..

لتتبعها بگل قوة طلقات مماثلة تشبهها وعدة زغاريد احتفالية جعلت الرعب في قلبها يتحول تدريجياً الى احساس عارم بالعار وشحوب نافس بياض الملاءات التي كانت تجلس عليها وهي تدرك مافعله .. اي عاار ذاگ الذي صبه على رأسها بفعلته الحقيرة هذه!!!

فگرت بمرارة وحقد .. وگراهية!!

رفعت عينيها اليه بغضب وألم لتقابل عينيه الباردة الخالية من المشاعر..

رأت لمحة سخرية في زاوية فمه لتتعلق عيناها بشفتيه وتلك الحيوانية المتآصلة بداخله وهي تتحرك وترسل كلمات كحد السكين تقطعها بلارحمة :

- هاآقد استعاد عمي گرامته .. ولن يجرؤ مخلوق على التشگيك بعفتك بعد اليوم.. حتى أبيك نفسه .. سيعرف الأن أن شكوكه كلها كانت خاطئة .. وأن ابنته لم تكن يوماً خاطئة ..

صفعتها كلماته بقسوة فصرخت بحقد :

- حقيير(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لم يجرؤ احد على التشكيك بعفتي ايها الحيوا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لتبتر عبارتها بصرخة متألمة وهي تقع ارضاً من قوة الصفعة التي هوت على وجهها لترمي بها ارضاً في وسط الصمت وقبل ان تسترد أنفاسها كان يقبض على خصلات شعرها الناعمة لتشهق بألم وهي تواجه عينيه القاسية بشراسة لبوة تعرضت للجرح وهو يتمتم بكره لم يقوى على السيطرة عليه:

- الاسم الذي تحملينه فقط هو مايحميك مني ياابنة عمي .. وهو نفسه مايعطيني الحق لدفنك حية الأن دون أن يجرؤ أحد على سؤالي حتى .. أخبرتك قبلاً .. لاتمتحني صبري ..

تحملت بقوة لاتمت لأنوثتها بصلة .. جاهدت بعنفوان ألا تسمح لدموعها بالانهمار على وجنتيها گما كانت تشتهي .. تحملت بجلد وهمست من بين شفتين مطبقتين بحقد:

- انت لاتستطيع فعل شيء انت لاتعرف من أنا ولاتعرف قيمتي الحقيقية وحينها ستندم أشد الندم.

جلجلت ضحكته بقوة في الصمت ليشدد من ضغط أصابعه وهو يهمس بفحيح :

- ان قيمتك هنا لاتساوي شيئاً من دوني .. وأنا وحدي من يجعل لك قيمة وثمن أتفهمي .

نظرت له بحقد وهمست :

- ابداً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

فابتسم بحقد قبل ان يرمي بها عنه وينهض على ساقيه لينظر لها من علو وعيناه ترسلان وعيداً وحشياً باعادة تربيتها من جديد على يديه في حين قابلته هي بعزيمة وقفزت واقفة تقابل نظراته بمثلها وهي

تتوعده بكل شيء سوى الاستسلام (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد). تلك الدموع التي لسعت مآقيها تلاشت وهي تقف أمامه .. لن تسمح لها بأن تنزل بسبب مطلق رجل فمابالك برجل تكرهه حتى النخاع!!

همست بحقد:

-أكرهك..

ارتسمت السخرية على وجهه وان ظلت عيناه بقسوتهما وجمودهما وقحطهما المعتاد وهو يهمس:

-شعور متبادل يابنة العم(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فأنا أكرهك بالمقابل.. من كل قلبي..

وهنا تأتي البداية فحسب .. لسلسلة طويلة من ليالي الكره .. والتحدي ..

ولكن ؟! الى متى ..

لاتزال الليلة طويلة وان اقترب فجرها .. الا أنها لم تنتهي بعد !!

***

نهاية الفصل

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل السادس

***

حين يحتكمنا القلق وتعصف بنا زوبعة الافكار الافكار السوداء

لانرى الا بصعوبة مايحمله لنا الكون من البشارات..!!

حتى تأتينا تلك الفرجة من نور وتنشر ضوءه الهائل عبر الفراغ الأسود

الذي يملأنا (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ونعوم في بحر الادراك وننسى كل ماكان.. الا فرحة شبت بنا وملأت

فراغنا من الوريد للوريد.. في واقع احلى من اكثر احلامنا تطرفاً!!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل

بقلم عبير محمد قائد).

جلس سالم العزب على كرسيه مهدود القوة(شيوخ لاتعترف بالغزل

بقلم عبير محمد قائد)

لقد زوج ابنته والى من!!؟؟

شيخ الرجال شيخ العزب القادم..!!

الرجل الذي لم يحلم يوماً انه قد يقترب من مصاهرته ولكنه فعلها!!

لاتهم الوسائل ففي عالم السياسة التي يعيش فيه منذ نعومة اظافره كانت الغاية تبرر الوسيلة على الدوام(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هو فقط احتاج لوسيلة وقد وجدها في ابن اخيه البكر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تنهد بتعب واسند رأسه الى ظهر مقعده واغمض عينيه ..

سينجلي الفجر بعد ساعات قليلة وحينها قد ينام (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) يريد لهذه الليلة ان تنتهي باي طريقة ولن تمر سوى بالوقت!! حينها سمع صوت الرصاص!!

هب بقلق ونظر الى الخارج(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) تردد الصوت مجددا ولحقته عدة طلقات ليسمع بعدها الزغاريد!!!!

ايعقل !!؟؟ فكر بذهول.. "مستحيل..!!!"

تسارعت انفاسه بقوة عاد يتلمس طريقه للجلوس وهو يحاول السيطرة على افكاره المشتتة والتي ضربته بلارحمة ولاهوادة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) هل يعقل ان يكون ماسمعه صحيحاً .. هذ الطلقات لم تكن آتية سوى من مكان واحد ..

دار أبيه .. بالتحديد الملحق الجديد لقحطان العزب .. كما اعتاد أسلافه قبل عشرات السنين!!

هل من الممكن ان تكون ابنته !!!! طاهرة حقاً!!!!

اغمض عينيه بتوتر وقبضته تكاد تحطم مقبض الكرسي لايصدق ماسمعه الفكرة واضحة والمغزى اوضح قحطان يدرك مافعله ويعرف ان الجميع سيفهم ولكن!! هل يجرؤ على أن يفهمها بهذه الطريقة؟؟؟

فكر بتشوش لماذا فعلها!! لم يعد احد يطبق تلك العادات القديمة لم يعد احد يفعلها!!؟؟

رغم انه ليس مستغرباً ولكن!!! نهض بساقين مرتجفتين ينظر للملحق الذي يقع الى جوار من الدار الكبيرة وفكر اذا كانت بريئة حقاً فلماذا كذبت عليه ايفا!!؟؟

ولما كذبت هي نفسها عليه؟؟؟

لا لا..

ان في الامر سر وعليه ان يعرفه..!!

هل سيكون المشهد غريباً ان ذهب للملحق الان وطالب ابن اخيه بتفسير!!؟؟

اغمض عينيه بقوة لتفكيره الاخرق وعاد يجلس الى كرسيه بصبر يرتقب بزوغ الفجر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

يرقبه بتوسل رجل بلحظة واحدة استعاد ماظن انه فقده خلال سنوات!! .. يرقبه بقلب راجف متأمل .. ممتلئ بالرجاء واللهفة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) يخاف بل يخشى حتى الجنون أن يكون الأمر كله مجرد (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) مجرد ماذا؟؟

لم يكن ابن أخيه من المازحين .. وليس بالتأكيد في هذه الأمور.. ماذا اذاً ..!!؟؟

الشيء الوحيد منطقياً .. انها تكون فعلاً .. بريئة ؟؟!!

نهض بتوتر يذرع المكان بخطوات متسارعة .. لايكاد يقدر على الصبر .. ولايحتمله !!

***

تعالى وقع الرصاصات لتنتفض بقوة وتسرع لتضم صغيرها اليها وتتسمر قدميها بلاحراك!! توقف الزمن حولها وهي تغمض عينيها وترجوا ان يكون الأمر مجرد كابوس!!

حتى شعرت بذراعيه حولها ..

شهقت للهواء وهي تغرق في بحر دفئه وتضم اليها الطفل الذي شرع بالبكاء بصوت خافت .. نزل صوته عليها كماء بارد في قيظ حرارة يوم حارقة:

-لاتخافي ياجنــوني .. انها بقايا الاحتفال..

همست بشحوب:

-انه طلق ناري ياعمرو؟؟

مسد رأسها بحنان وهمس في أذنها:

-انه قانون الافراح هنا .. لاتخشي شيئاً حبيبتي..

رفعت له عينين مذعورتين فعاد يهمس برقة:

-أنا هنا الى جوارك ياشفا .. لاتخشي شيئاً..

أخذت نفساً عميقاً وحاولت السيطرة على ذعرها اللامعقول من صوت الرصاص بعدما تعرضت له قبل مايقارب العام .. وتقبلت يدي عمرو الحانية تقودها الى الغرفة حيث مددها على فراشها وهمس:

-سأعتني بالصغير.. اهدئي ..

تشبثت بطفلها وهمست:

-دعه معي أرجوك .. وأحضر علياء..

قلب عمرو عينيه وقال بنفاذ صبر:

-علياء نائمة ولن يوقظها الصوت ..

تنهدت .. ومضت تداعب صغيرها ليغفو وهي تهمس بتوتر:

-لم تعجبني العروس..

عقد حاجبيه:

-ماذا تعنين؟؟

-أشعر بأنها مرغمة على الزواج ..

اعتدل عمر من رقاده وزوى بين حاجبيه هاتفاً:

-ماذا تعنين مرغمة .. شفا أنت تفهمين ان فتيات القرى ليسوا كفتيات المدينة في اظهار فرحهم ربما كانت خجولة..

هزت شفا رأسها بتصميم:

-تلك لم تكن فتاة قروية .. تلك كانت ملكة جمال اوروبية كما اعتقد ..

رفع عمرو حاجبيه مندهشاً لتصرخ بعصبية:

-انسى ماقلته انا لم اصفها لك في التو .. انسى ماقلت..

-انا لم اقل شيئاً ..

هتف ببراءة ثم اضاف:

-ربما هي ابنة عمه الديبلوماسي .. امها فرنسية على ماظن.. ولكن هذا لايعني انه اجبرها على الزواج..

هزت شفا كتفيها وهمست:

-اقول لك مارأيته .. تلك الفتاة كانت بتعاسة همس يوم زواجها من أخيك..

-همس تعشق أخي..

صرخ باعتراض .. لتبتسم لجهله الواضح بماكانت عليه الحياة بين الزوجين السعيدين وقتها:

-بالطبع حبيبي .. والأن دعني أنوم هذا الحبيب قبل ان يستيقظ ولاننال اي قسط من الراحة ..

-لا لا .. دعيني أنوم هذا البطل الصغير في مهده..

اعترض بلطف ..فرمقته شفا بحذر وهمست مراقبة صغيرها يغفو بين ذراعيها:

-عمرو .. طفلي سيبقى معي .. تعال الى جواري وانسى ان ينام بعيداً عني.. ولنأمل أن تمضي الليلة على خير..

ضاقت عيناه بحنق .. واعتلى السرير الى جوارها وهي تضع الصغير المكتنز على صدرها وتشم رائحته المسكية بحنان .. نظرت لوالده الغاضب وضحكت برقة وهي تمد يدها لتلامس جانب وجهه:

-لاتغضب.. لاتناسبك هذه التكشيرة حبيبي..

غضن جبينه وقال بحدة :

-لاتريدينني أن أغضب وأنت تتركينني وتضمين هذا الصغير؟!

اتسعت عينيها وهتفت ساخطة:

-ان لهذا الصغير اسم .. ورغم اني لااوافق عليه ولكنه اسمه .. انه قحطان عمرو الشهري لو سمحت ..وهو لديه حقوق..

اقترب منها اكثر وهمس بشوق:

-وانا عمرو الشهري بنفسه وانا ايضاً لدي حقوق..

ضحكت بنعومة اثارت جنونه وهي تهمس:

-ياللهول عمرو .. من يسمعك يظن(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لايهمني مايظنون ..

قالها بيأس .. ليقترب ويحمل الصغير من حضنها برفق ويهمس لعينيها المتسعتين:

-سأرقده الى جوار اخته .. واعود اليك في الحال..

-عمرو !!

هتفت بسخط ليبتسم بشيطنة وهو يختفي خلف الباب الى الغرفة المجاورة .. فتبتسم هي بحنان وتستند الى الوسائد الناعمة مغلقة عينيها .. قبل أن تشعر بدفئه يحاصرها .. ورائحته تغزوها بلاهوادة .. قبل أن ترفرف قبلاته القوية على محياها .. همست باسمه برقة.. قبل أن تغيب أنفاسها في عناقه .. وهي تنسى كالعادة كل شيء حين تكون بين ذراعيــه ..!!

***

انتهى الفرح ..

تنهدت بارتياح .. وطوت ثوبها بعناية لتضعه في الخزانة .. كانت خائفة أنه لايمكن لليــلة أن تتم بعد كل ماحدث.. لم تصدق ان شقيقها أجبر سيادة على الزواج به!! ولكن لماذا؟! من حقها ان ترفض وهي عاشقة لذلك المدعوا عبدالعزيز..!!

تنهدت بضيق وهي تدعوا أن تمر الأيـام القادمة بهدوء.. ومن اعماقها تدرك ان هذا لن يكون يسيراً ابداً ..

"اذاً فقد لعب الشيخ قحطـان لعبته ببراعـة"

اغمضت عينيها بقهر.. تشبثت بالخزانة ورفضت ان تنظر اليه .. الى وصلة العذاب اليومية ..

"انظري الي في الحال"

صرخ بحقد جعلها تجفل .. وتستدير اليه بتوتر.. وكالعادة لم تنظر في عينيه .. ارتجفت وهي تقف قبالته .. اقترب منها وهتف بشراسة:

-كنت تعرفين بأمر زواجهما قبلاً اليس كذلك؟!

ابتلعت ريقها ولم تجبه .. كانت البارحة تبيت في منزل اسرتها ولذلك لم تتعرض لهذا الاستجواب .. والفضل يعود لأمها التي طلبت منه هذا بقصد ان تساعد في التحضيرات.. ولكنها الان كلياً تحت رحمته..

قبض على كتفها بقوة وصرخ:

-لما لم تخبريني؟!

-لم اعرف..

همست بتخاذل وهي تتأوه من قوته ليصرخ بها :

-كااذبـة ..

اغمضت عينيها بقوة ورفعت ذراعيها تحاول الحوؤل دون قبضته التي نزلت عليها بلارحمة .. شهقت بدموع خنقتها وهي تتوسد الأرض تحت قدميه ..

يداه تطبعان الأثر تلو الأخر في مناطق لن يراها احد .. لقد كان خبيراً .. وعرف اين تطال يداه دون أن يكشفه أحد ..!!

خنقت صرخاتها كي لاتوقظ طفليها .. انهمرت دموعها بلاتوقف ولكنها لم تصرخ .. لم تتوسل له ان يتوقف .. وهذا ماكان يثير فيه الجنون .. لطالما ارادها ان تتوسل ان ترجوه ولكن .. لافائدة .. كانت صخرة ولم تشرخها ضرباته؟؟!!

اشتعل غضبه وانحنى نحوها يجرها من شعرها بقسوة متلذذاً برؤية دموعها:

-أخبريني الأن عنها؟؟ قولي لي كيف تبدو زوجة شقيقك الوغد .. انت من ساعدها على ارتداء ثوبها .. اخبرين اذاً عن تفاصيلها .. اخبريني كيف يمتع شقيقك نفسه الان ..

رفعت عينيها اليه وصرخت بوجع:

-انت حقير..

اتسعت عيناه بغضب .. ورفع يده بقوة ليهوي بها على وجهها ..

كانت من القوة بحيث انها رمتها بعيداً لعدة أمتار(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد). حينها صرخت بألم .. ولم تكفه .. هجم عليها بجنون يشبعها ضرباً .. وتوزعت ضرباته بين ظهرها وجنبيها .. حتى راسها نال منه .. ورغم كل وحشيته .. كان حريصاً على عدم المساس بوجهها .. بعد تلك الصفعة .. كان حريصاً الا تظهر علامات يديه عليها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

أخرج فيها كل حقده وعنفه .. أخرج كمده وغضبه ..

وحين تكومت هامدة بلاحراك .. حينها فقط توقف ..

يلهث بعصبية .. جلس منهكاً .. يسند ظهره الى قائمة سريره ..

وينظر لجسدها المتكوم بلاحراك .. تتسارع انفاسه .. يتصبب عرقه .. ويخفق قلبه بلاتوقف ..

-جوهرة ..

ناداها بشحوب ..

ابتلع ريقه بصعوبة .. واقترب منها يهزها من كتفها:

-جوهرة استيقظي .. كفي عن ألاعيبك واستيقظي الأن ..

سمع تأوهها الخافت .. فتنهد بارتياح ..

مسح عرقه بكم قميصه وهزها بعنف اكبر:

-استيقظي يامرأة ..

فتحت عينين مرهقتين .. منهكتين .. نظرت له برعب .. جسدها كله يؤلمها .. كله يصرخ بالوجع ..

تراجعت بألم .. لملمت كرامتها المبعثرة وارادت الهروب ولكنه لم يسمح لها .. سرعان ماكانت يداه تضمانها اليه .. كتمت صرخة الألم والرعب والاشمئزاز التي تصاعدت من اعماقها ..

اغمضت عينيها وكادت تسند اذنيها التي نقلت اليها حرارة انفاسه التي ضربتها بعنف وهو يهمس:

-انت من دفعني لهذا .. انت من تسبب بغضبي..

-اتركـ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) اتركنني..

همست مرتجفة .. فشدد ذراعيه حولها وهو يهمس:

-لاأستطيع .. انت حياتي .. انت جوهرتي الى الأبد ..

بكت حينها .. مجدداً انهمرت دموعها وهي تحاول التملص منه ..

ولكنه كان أقوى .. أكثر شراسة .. أكثر عنفاً .. واستسلامها هذه المرة .. كان أكثر ذُلاً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

***

استمرت قطرات الماء بالنزول .. قطرة تلو الأخرى .. رغم انها شدت الصنبور بقوة .. تأملتها بخواء.. وهي تنزل لتنتشر على صفحة الماء الذي ملأ حوض الاستحمام ..

ثم رفعت عينيها للحمام الذي تجلس فيه منذ ساعتين تقريباً .. كان حديثاً .. رخام بارد للغاية باللون الازرق والابيض .. وحوض استحمام ضخم .. لايقارن بالجاكوزي في جناحها هناك في باريس ولكنه يفي بالغرض.. تنهدت بألم .. ونهضت تقف أمام المرآة الى تحتل حائطاً كاملاً في الحمام العصري .. راقبت كيف احتوتها المنشفة الضخمة وقد تلفحت بها بعد حمام طويل .. جففت شعرها بمنشفة أخرى .. وأرادت أن تخرج لتغير ثيابها .. ولكن ذلك الرجل بالخارج..!!

تلفتت حولها بيأس تبحث عن ماتغطي به نفسها .. ثوبها الذي لم يكن ثوبها ملقى على ارض الحمام .. تأملته باشمئزاز بعد أن نزعته عنها بقرف ومضت تدوسه بقدميها بحنق كالأطفال ..

لم تحضر معها ثوباً أخر .. تباً لغبائها .. بعد مواجهتها الصغيرة معه ركضت هاربة .. لن تنكر ..

رفعت عينيها مجدداً الى المرآة .. وتلمست خدها الذي انطبعت عليها أثار اصابعه بقوة .. وارتجفت وهي تتذكر قوته وألمها .. متوحش.. فكرت بغيظ والدموع تلسع مآقيها .. متوحش وهمجي .. أغمضت عينيها بقوة ..وحاولت السيطرة على انفعالاتها ..حاولت تهدأة نفسها .. وقررت الخروج .. لن يأكلها .. انه لايطيقها حتى.. وبعد مافعل .. بالبندقية والدماء على سريرها لاتظنه سيقترب منها حتى .. ارتاحت للفكرة .. ومسدت شعرها بيدين مرتجفتين قبل أن تتوجه للباب وتغامر بالخروج .. !!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

مر وقت طويل ..

فكر بتوتر .. نظر لساعة الحائط كانت تقارب الثالثة فجراً وهي لاتزال خلف باب الحمام .. صوت الماء توقف منذ وقت لابأس به ولاتزال هناك .. تختلي بنفسها ..!!

زم شفتيه بحنق .. كره نفسه لأنه فقد أعصابه وضربها بتلك الطريقة .. لم تمتد يده يوماً على امرأة .. لم يضرب امرأة قط في حياته .. حتى يوم كان صبياً ..

هو صحيح يريد قتل تلك المخلوقة .. يريد عصر عنقها بين يديه وازهاق روحها .. ولكن ليس الضرب..

تأفف بضيق ونهض من الفراش الذي اعده لنفسه على احدى الكنبات في غرفة الجلوس الملحقة بغرفة النوم ومضى يجول في المكان ..

مافعله يمحي عنها اي شبهة كانت برأس أبيها وقد تجول في رأس أحدهم نتيجة منظرها وحقيقة انها عاشت في الخارج عمرها كله .. ولكن .. يبقى احساسه هو ..

استند على الحائط ونظر الى الأفق المظلم .. يسند جبينه على حافة النافذة العريضة ويعقد حاجبيه بشدة.. يكفي انه يعرف .. انها كانت لغيره قبله !!

اعتصرت قبضته حافة النافذة .. وشعر بالحديد ينغرس بجرحه بقوة .. ويثير فيه ألماً لايطاق .. تجاهله بوقاحة وأفكاره تأخذه للرجل الذي كانت له زوجته قبلاً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

وليته لم يفعل ..

شعر بالنار تشب فيه .. نار أحرقته بالفعل .. وهو يفكر بصنوف من العذاب ينوي انزالها عليه .. ينوي أن يحرقه بيديه كما يشتوي هو الأن .. حين كان يفكر بالأمر قبلاً .. كان الغضب يتحكم به .. كان يسيطر عليه ويظنه يعميه .. ولكن الأن ..

حين أصبحت زوجته .. امراته هو .. أصبح الغضب شيئاً تافهاً للغاية مقارنة بما يستعر في أعماقه ..

رغب بدائية لم يعرف اصولها تحفر في داخله وتتآكله أكلاً .. وهو مضطر أن يكتمها !!!

أغمض عينيه ودفع نفسه بقوة بعيداً عن النافذة .. تلتهب دواخله وهو يفكر بكيفية القضاء على احساسه الذي لم يختبره يوماً ..

دفعة من حقد .. لهيب لايقدر ان يسيطر عليه ..

اندفع الى داخل غرفة النوم .. توجه بحدة نحو باب الحمام وتوقف قبالته .. أغمض عينيه ورفع قبضته يطرق الباب بعنف ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

كانت تهم بالخروج .. يدها تتجه الى المقبض وهي تتخذ قرارها أن تركض الى الخزانة وتسحب اول ماتجده امامها وتعود لترتديه هنا.. خلف امان الباب المغلق..

ولكنها انتفضت بذعر حين رأت قبضته المعلقة بالهواء تهم بالطرق عليه ..!!

تراجعت بحدة غريزية وعينيها تتسعان بذعر تتذكر صفعته المؤلمة وصاحت:

-ماذا تريد ؟؟

عقد حاجبيه بشدة أكبر وهو يسمع نبرتها المميزة واختفاء الراء من حروفها .. تجاهل تلك الحرارة التي اشتعلت بداخله.. أو حاول تجاهلها وهو يرى تشبثها الهزيل بالمنشفة التي التفت حول قوامها الناعم تكشف عن كتفين كالمرمر وساقين طويلتين ناعمتين .. وشعرها الناري ينسدل مبتلاً ليلامس كتفيها ..

شعر بكتلة تصطدم بمعدته وتقبض عليها بقوة حبست الهواء عن الدخول الى رئتيه وعينيه رغماً عنه تتعلقان بمنظر وجهها الشاحب الخالي من الزينة تحت ضوء المدخل الشحيح .. اصطبغت وجنتيها بلون أحمر قانٍ ولمعت عينيها بشهب خضراء وهي تغرق في دوامتيه السوداوتين .. ..

لم يستطع البقاء واقفاً أكثر .. كان عليه التحرك ..

لم يكن عليه الوقوف بغباء هكذا أمام امرأة,, صحيح انها المرة الأولى التي يرى فيها امرأة شبه عارية .. وليست اي امرأة .. كانت هـي !! كانت زوجتــه !!

في الظروف العادية .. كان سـ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

اتسعت عيناه بصدمة وهو يعي مسار أفكاره .. وبالرغم من صدمته استطاع تتبع احمرار وجهها الذي انتشر ليشمل عنقها ومقدمة صدرها ويختفي تحت طيات القطن الناعم .. الذي التف حول (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

حينها استدار ..

أشاح بوجهه عنها وهو يعي أن عينيه تخونانه .. كما لم تفعلا قط مع أي امرأة ..

همس بخشونة وقد استعاد صوته بالكاد:

-استري نفسك ..

تأملت طوله الفارع بذهول .. ظهره الوسيع تحت قماش القميص القطني الخفيف الذي يرتديه على سروال البيجاما.. وتسمرت عينيها على رأسه المنكس وهو يغمغم بصوت لم تسمع له من قبل اي شبيه:

-لاتخرجي هكذا ابداً ..

تحجرت الغصة في حلقها وهي تتراجع .. أرادت أن تطلب منه ملابسها .. ولم تقدر .. شيء ما تيبس في حلقها ومنعها من اصدار صوت .. وهو نفسه ماهاجم ركبتيها وجعلها تقتنع انهما مصنوعتان من الجيلي .. رخوتان وبالكاد استطاعت الوقوف عليهما ..

شعر بصمتها .. اراد سؤالها عن المشكلة بالذات انه يرى تيبسها وعدم تنفيذها لأمره .. ولكنه لم ينظر لها .. اراد أن يعصم نفسه ..

اراد ان يخرج من بؤرة المشاعر الغريبة التي وقع بها:

-ماذا هناك لما لاتتحركين؟؟

قالها بنفاذ صبر .. حاول أن يصبغه باللامبالاة.. فحاولت جاهدة أن ترد .. أن تجيب على مايقول وهمست:

-ملابسي..

بتردد بصوت خافت التقطته اذناه بوضوح وفهم ..

اندفع بلاتردد الى الخزانة التي احتوت ثيابها وفتحها بسرعة يبحث لها عماترتديه ..

وحالما فعل .. شعر بالضياع ..

مئات القطع .. فكر بانزعاج .. هناك المئات منها ؟؟!!!

توقف هناك بوجه مكفهر .. ونظرة واحدة اليه اعلمتها انه ضائع كلياً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

استندت على الباب وهمست:

-الجارور الثالث..

رمقها بلفتة خاطفة .. قبل أن يعيد بصره الى حيث قالت وفتحه بسرعة لتضيع يداه وعيناه وسط الحرير ..

كان الجارور مليئاً بملابس النوم .. حرير ودانتيل .. وأقمشة صغيرة ..

رفعت ضغط دمه خصوصاً بحرف ال s المطرز على حاشيتها ..

تصلبت اصابعه وشعر بالغضب يجتاحه وهو يتراجع كالملسوع ناظراً لها بشراسة:

-تعالي وخذي ماتريدين ..

اتسعت عينيها بدهشة وهي تراه يستدير مغادراً الغرفة كلياً الى الغرفة الملحقة ..

ترددت ولكن بعد لحظات مرت دون عودته .. سارعت لاتلقاط ثوب نوم طويل وروب مناسب وسارعت الى الحمام من جديد ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

لايصدق ..

زفر بتوتر .. هو قحطان العزب بجلال قدره .. هو يقع فريسة مشاعر متخبطة بسبب تلك المخلوقة المزعجة .. لايصدق نفسه .. لايصدق كم هو ضعيف ..

ضغط على فكيه بقوة .. وقبض يديه بعنف .. لا .. هو ليس ضعيفاً ابداً .. ولن يسمح لها أن تبدي نحوه القوة التي يريد أن يبسطها عليها .. انها مجرد زلة ..

مجرد ارتباك لدخوله ارض لم يطئها قبلاً ..

أخذ نفساً عميقاً .. وأغمض عينيه يفكربهدوء..

عليه الانتهاء من هذا كله .. عليه ارساء القواعد التي ستقوم عليها علاقتهما منذ الأن وصاعداً .. وعليه فعل هذا الأن ..

زفر النفس الذي أخذه مطولاً .. وبسط يديه امامه قبل أن يتوجه عائداً الى الغرفة .. هذه المرة عرف انها ستكون بالداخل وليستر اللّه في أي حال وأي هيئة..

ضاقت عيناه وهو يتصورها تمارس هذه الألاعيب .. ربما كانت تفعل هذا كي تحاول اغراءه ..

زمجر بعنف وعيناه تطقان بالشرر .. وبكل البرود الذي حاول أن يصبغه على نفسه .. طرق الباب بهدوء هذه المرة .. وانتظر الرد بصبر..

هذه المرة توقعت الطرقات ..

أخذت نفساً ونظرت لنفسها في المرآة التي تعتلي حائطاً مقابلاً لسريرها ورفعت رأسها بكل اباة .. كانت قد ارتدت الروب فوق الثوب الليموني الطويل وعلى راسها تكومت منشفة تخفي خصلات شعرها .. جلست على مقعد صغير أمام الخزانة .. لاتريد اختبار ركبتا الجيلي مجدداً وهمست له بالدخول..

أخذ نفساً عميقاً أخر ودلف الى الغرفة التي كانت على عكس جسده باردة قليلاً ..

رآها هناك .. منعشة كزهر الليمون ..

خطرة كأشواك الصبـار .. !!

تصلب في وقفته ونظرته لم تحمل اياً من مشاعره .. خبأها بمهارة وبدت باردة كقطعة جمر أطفأتها الريح .. تقدم الى مسافة آمنة منها .. أشرف عليها بطوله ولكن .. اياً من حرارتها لم يصله ..

-هناك قواعد علينا الالتزام بها..

رفعت عينيها اليه .. تحاول اخفاء الرجفة في أصابعها فغرزتها بقماش روبها بعنف .. وحاولت ألا تظهر عصبيتها في عينيها .. ارادتها باردة ومتجردة من المشاعر .. وسألت:

-الى متى نظل في هذه المهزلة؟؟

-انه زواج يابنة العم .. وليست مهزلة.

رد بقسوة لتعترض بهدوء:

-زواج لم أرضَ به ولم يأخذوا رأيي .. فهو باطل ..

-لاأحد يأخذ رأي النساء هنا ..

قال بغرور فكرهته .. كرهت غروره وقسوته التي تطل من كل خلاياه .. همست بحقد:

-أنا سأرحل عن هنا.. سأبلغ سفارة فرنسا وأرحل .. ولكن .. قبلها سأحرص على وضعك في السجن..

لم يتمالك نفسه .. ضحك بخشونة جعلتها تنظر له ببلاهة ..

كيف ارتخت عضلات وجهه وبات بشرياً ..

حتى توقفت ضحكته فجأة وعادت ملامحه تتشكل كقالب من القسوة .. وهو يهمس بزمجرة ذكرتها بالأسود في حديقة الحيوان:

-في أحلامك .. أن تهربي من هنا وترحلي .. في احلامك أن تخرجي من مدينتي ..

امتلأت نفسها بالقهر وصرخت كحيوان صغير مغلوب على أمره:

-سأفعل ..

هتفت بعناد فأصر بهدوء واثق:

-لن تفعلي الا لقبرك .. أتفهمين..

زمت شفتيها بحنق .. ارادت أن تصرخ وتعترض ان تركض اليه وتوسعه ضرباً بقبضتيها .. وتزرع اظافرها الطويلة في عينيه .. ولكنها سيطرت على غضبها بقوة .. في حين اقترب هو خطوة أخرى وقال:

-الحياة هنا ليست نزهة .. انت الأن زوجتي أتفهمين .. ستكونين واحدة من سيدات الدوار بعد جدتي وأمي .. عليك تنفيذ كل ماتقولانه لك ..لاتعترضي على شيء.. عليك أن تكوني دائماً سعيدة أمامهما .. ولاشيء بيننا يجب أن يخرج خارج هذه الأبواب .. هذا لمصلحتك الخاصة .. أتفهمين..

نظرت له وشرارة ثورة صغيرة تندلع في عينيها:

-لا لم أفهم .. مالذي تعنيه بأن أنفذ كل ماتقولانه لي.. أمك لاتطيقني ..

صرخت بحنق ليرد بابتسامة:

-ومن يفعـل؟؟!!

شهقت معترضة ليسارع بالدفاع عن امه:

-انها تشعر وتحس .. واحساسها دائماً على حق .. أعرف أمي تماماً .. وأعرف انها ان لم تلعبي دورك باتقان فستكشفك من اليوم الاول..

نهضت بعصبية مواجهة اياه:

-مالذي تنتظره مني ؟؟ أن اقضي اليوم كله بخدمة امك واظهار كم أنا سعيدة وممتنة للحياة التي اغدقتم بها علي..؟؟!!

-هذا بالضبط ماعليك فعله(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هتف بابتسامة لتصرخ بحنق:

-في أحلامك ..

هز كتفيه وهمس:

-والدتي ستحيل حياتك الى جحيم ان اكتشفت انك لاتحبين حياتك هنا أو أنك ولو للحظة تسيئين معاملة ابنها البكر .. ليس وكأنني سأسمح لك..

اتسعت عيناها بقهر وصرخت:

-مالذي تعنيه بالضبط؟؟

اقترب برأسه وهمس:

-أنت في عائلة العزب .. والزوجة في هذه العائلة همها الأوحد رضى زوجها عنها وعما تفعله له .. والشيء الأخر رضا عائلتي عنك .. أتفهمين؟؟

-مهما كان هذا الزوج وغداً حقيراً و(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

رفع اصبعه محذراً لتبتلع باقي عبارتها الغاضبة وتشيح عنه .. كانت كلها ترتجف .. كلماته تصفعها .. ماذا يعني بأنه عليها أن ترضيه؟؟

اذا ماكان يفكر للحظة أنها قد ..

وأغلقت عينيها وهي تصرخ بحنق:

-لو اقتربت مني .. سوف اقتلك ..

نظر اليها بدهشة .. قبل أن تنفجر ضحكاته مجلجلة .. لتجعلها تنظر اليه مصعوقة .. قبل أن يسيطر على نفسه ويهمس:

-لاتقلقي من هذه الناحية .. فكما قلت لك قبلاً .. ليس قحطان العزب من يقبل بفضلات سواه ..

قالها ببرود اخترقه هو بنفسه كسكين قبل أن يطعنها في صميم كبريائها وعزتها لتنظر له بكبرياء وتهتف :

-لاتجرؤ على قول هذا لي ثانية أتفهم ..

نظر لها ببرود قبل أن يشيح عنها .. وهو يقول:

-لقد قلت لك اهم الأمور أما الباقي فالبطبع ستعرفينه مع الوقت .. ستنامين هنا وأنا سأنام في الغرفة المجاورة وهذا الترتيب بيننا فقط أي لايعلمه سوانا .. بعد خروجي للصلاة سترتبين المكان وتخفين الأمر .. أتفهمين.

-أنا لست بخادمة ..

همست بعناد .. لينظر لها قائلاً بابتسامة ساخرة:

-لايوجد خدم في هذا المنزل .. الكل يخدم نفسه ومادمتني تزوجتك .. فأنت وحدك خادمتي,,

اتسعت عيناها بصدمة وكادت ترشقه بكلمات نابية حين استدار عنها الى الغرفة الأخرى .. وقفت هناك تغلي من الغضب .. وبكل حنقها رمت المنشفة التي تجفف شعرها ارضاً وتوجهت الى الفراش حيث توقفت مرعوبة امام الفرش الأبيض الملوث بالدماء ..قبل أن تتمالك نفسها وتجذب الغطاء بحرقة وهي تسبه بكلمات خافتة لترمي به في الحمام .. وتعود لتستلقي في الفراش (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)محافظة على الضوء الشحيح القادم من المصباح

الموضوع الى جوارها .. ومضت تنظر للسقف .. الغرفة باردة ولكنها خانقة ..

السرير ضخم .. وناعم ولكنها لم تعتد عليه .. الأعمدة الأربعة تحوطه وكأنها جارية في عهدة سلطان جائر ..

سمحت حينها لدموعها بالنزول..

بحرقة الايام الماضية .. بألم الصفعة التي اهدرت كرامتها ..

بقسوته .. بظلمه .. بمشاعرها التي تضطرم على اتون مشتعل كلما تواجد بالقرب منها ..!!

بكت حلم تحطم على واقع أبشع من كابوس .. بكت حتى انهكتها الدموع وتغلب النوم على قوتها الواهيـة ..

وفي الجهة الأخرى من الحائط ..كان يصارع الكنبة القصيرة أن تستوعب ساقيه الطويلتين..

شتم بحنق ورمى برأسه للخلف على الوسادة وقدميه تتدليان خارجاً .. يحاول تهدأة كم مشاعر هائل لم يستوعبه .. زفر بتململ يحاول ان يجد وضعاً واحداً فقط يجعله يغرق في النوم ..

قحطاااان ..

زجر نفسه بقسوة ..

لقد نمت في أماكن أسوأ بكثير..

فكر بضيق.. ولكنه يدرك ان مايسرق النوم من عينيه لم تكن الكنبة القاسية التي يرقد عليها .. بل كانت تلك النهنهات القادمة من خلف الحائط ..

فرغماً عنه .. كان رجلاً .. رجلاً حقاً .. لايدوس دموع النساء ..!!

***

باريـــس ..

انخفضت الأضواء في البار الذي بدا يخلومن رائديه في ساعات الصبح الأولى وبدأت تعلوا أصوات المغادرين بصخب سكرهم وعربدتهم ..

حتى هو بدأ يحس بالدوار .. لقد شرب كثيراً .. صحيح انه معتاد على الشرب ..ولكنه بشر .. وكمية كهذه قد تخل بعقل أي رجل هنا ..

دعك جبينه بقوة ونهض نافضاً عنه تلك الحسناء الشقراء التي تشبثت بذراعه كالقراد .. واندفع نحو ابن عمه الغارق في النوم على البار ..

-عبدالعزيز .. انهض الأن ..

تأفف عبدالعزيز ونفضه بذراعه وهو يبرطم بكلمات غير مفهومة ..

فزفر سيف بضيق وهزه بقوة صارخاً:

-انهض الأن يارجل لقد تاخرنا ..

رفع عبدالعزيز رأسه ونظر من خلف ضباب ثمالته لابن عمه بوجهه المظلم وملامحه القاسية .. لقد غفا هنا.. تباً .. عليه رؤية امه والاطمئنان عليها .. البارحة كانت متعبة بشكل أكبر..

نهض بصعوبة .. وهمس:

-أريد أخذ حمام بارد ..

سخر سيف:

-كلانا يريد هذا .. لنذهب الأن..

تحامل على نفسه وخرجا لضوء النهار الذي عاقبهما بقسوة وهو ينغرس في أعينهما بلارحمة ..

تأوه سيف وصرخ بالحارس أن يحضر لهما سيارة أجرة ويبعث بالسيارتين فيما بعد للقصر ..

كانت الرحلة قصيرة وقد قضاها عبدالعزيز بالنوم وقضاها سيف بمقاومة الدخول في غيبوبته .. وحال وصولهما للقصر فاجأتهما تلك الزائرة ..

-عزيز..

انتفض عبدالعزيز ونظر للمرأة الواقفة امامه بتوتر وقد اتسعت عيناه بدهشة:

-مدام إيفـا؟؟!!

اقتربت منه ايفا وسألته بتوتر:

-هل سمعت عن سيادة؟؟ هل اتصلت بك؟؟

في لحظة فقد الشراب كل سلطته عليه وبات متيقظاً وهو يقترب منها:

-لا .. ألم تتصل بك ..!! أنا أحاول محادثتها ولكن هاتفها مغلق على الدوام..

ظهر اليأس في صوتها وهي تجلس على طرف مقعد:

-وأنا بالمثل.. اتصل بي سالم حال وصولهم وبعدها لاشيء.. لااعرف عن سيادة أو فراس .. حتى سالم لم يتصل بي وأنا أكاد أموت قلقاً ..

اشتعل قلقه بالمقابل وبات متوتراً وهو ينظر لسيف الذي وقف بصمت متأملاً المشهد امامه :

-ربما شبكات الهاتف هناك..

-اعرف ولكنني اموت قلقاً .. واريد الاطمئنان على ولديّ.. كيف سيرتاح قلبي؟؟

همست بذعر ليصمت عبدالعزيز وهو يشاركها قلقها بصورة أكبر وعقله يدور بلاتوقف ..خشية عليها .. كيف سيطمئن؟؟ وكيف سيجد الوسيلة للاطمئنان؟؟

-ليس بيدكما سوى الانتظار..

همس سيف بهدوء.. لتلتفت له الانظار وهو يواصل:

-الاتصالات هناك وبالذات الدولية منها ليست سهلة .. اعطهم بعض الوقت مدام..

ضاقت عينا ايفا وهو تشعر بالانقباض يجتاحها من ذلك الرجل الداكن الذي يشرف عليها .. شعرت بتوتر واجتاحها القلق من صوته وهيئته .. لم ترتح له أبداً ..

نهضت من مكانها ونظرت لعبدالعزيز هامسة:

-اذا ماتصلت بك سيـادة .. فأبلغني على الفور.. أتفهم؟؟

-وأنت بالمثل ..

رد بتوتر.. لتومئ له بالموافقة وتسرع بالخروج (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) راقبها سيف للحظات قبل ان يبتسم بسخرية:

-لو كانت ابنتها بنصف جمالها فأنا لاألومك ياابن عمي..

نظر له عبدالعزيز بخواء قبل أن يهمس:

-انت لاتعي ماتقول .. يبدو ان الشراب لعب بعقلك..

-كما فعل معك..

قالها مقهقهاً قبل أن يتجه نحو السلم وهو يهتف:

-سأخلد للنوم .. وانت افعل المثل كي تقدر على الذهاب لزيارة عمتي

دون أن تقع على وجهك أمامها ..

تنهد عبدالعزيز وهو يفكر.. كيف سيأتيه النوم وهو يشارك امها

قلقها عليها؟؟!!

كيف سيهدأ ويرتاح دون أن يطمئن عنها ؟؟ كيــف؟؟

***

-ألن تشارك في الغداء حتى؟؟

همهم رعاد بتوتر وهو يراقب شقيقه علي يغلق حقيبته باحكام

وابتسامة على وجهه:

-لا .. لاوقت لدي .. لقد تأخرت بمافيه الكفاية .. كان من المفروض ان

اكون هناك هذا الصباح ولكن العزيزة امنا رفضت مغادرتي قبل

الصباح .. تعرف ..

اومأ رعاد بعيون مظلمة وهو يتذكر جزع والدته من سفر اياً منهما بالسيارة بعدماحدث لمحمد رحمه اللّه .. وتنهد وهو ينظر للأفق هامساً:

-لاتنسى أن تبحث لي عن شقة مناسبة .. سننتقل اليها في الاسبوع القادم ..

-حااضر أخي .. لاتبأس ستجد كل شيئ بانتظارك ..

ابتسم له ونظر باتجاه السرير الأخر الذي يشغل الغرفة وهمس له وهو ينظر لفراس الغارق بالنوم:

-ألا يستيقظ ابداً؟؟

ابتسم علي باستخفاف:

-لقد قضيت اسوأ ساعاتي اوقظه فيها لصلاة الفجر .. وفي النهاية تأخرت أنا وتأنبت من الشيخ والأخ لم يتحرك حتى(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ابتسم رعاد بسخرية وهمس:

-يحتاج له ابداع سلمى بالايقاظ ..

كتم علي ضحكة كادت تفلت منه ولكز شقيقه بكوعه:

-اه قل بأنك تشتاق لأفعالها في ايقاظك ربما على ابنة العم ان تتعلم منها بضعة دروس..

احتقن وجه رعاد وهو يسمع ذكر زوجته التي بالكاد رآها منذ تزوجها .. فهي اما محبوسة في غرفتها بعيداً عنه او مع سلمى خصوصاً يوم العرس.. أشاح بوجهه وهمهم مغالطاً أخيه :

-عافانا اللّه ..

اتسعت عينا علي ضاحكاَ وحمل حقيبته وانطلق مع أخيه للخارج وهو يهمس:

-كنت أظن قحطان سيتأخر عن الصلاة ولكنه كان قبلنا كلنا ..

أتعتقد انه استيقظ مبكراً ام أنه لم ينم أصلاً ؟!

قهقه رعاد بقوة وخبط كتف أخيه بتسلية:

-لاتدعه يسمعك والا فأنك ستقع في المتاعب ..

ضحك علي وهما يدخلان الى المجلس حيث اجتمع رجال العائلة الى جوار الجد الذي اتجه اليه علي يقبل كفيه وهو يقول بابتسامة:

-ادع لي ياجدي ..

-رافقتك السلامة ياولدي وبارك اللّه لك وفيك ..

ابتسم علي بارتياح والتفت لعمه الذي يجلس صامتاً لجوار ابيه وقبل رأسه وهتف:

-وأنت ايضاً عماه .. ادع لي .. ولاتنسى ان تزورني في عدن قبل سفرك ان شاءاللّه..

-باذن اللّه بني .. وفقك اللّه..

قالها شاحباً .. وعيناه تبحثان عن قحطان الذي تملص منه عند الفجر وبعد الصلاة غادر الى غرفته ولم يقدر ان يكلمه .. وحتى الأن هو لم يأتي .. تنهد بضيق ومضى ينظر للمجلس المتلئ بالرجال من عائلته وجيرانهم بانتظار العريس الذي تأخر كما يبدو فقد تبادل الجميع الهمزات واللمزات عنه حتى صديقه عمرو ابن عائلة الشهري كان يجلس الى جوار أخويه ولايكف عن الضحك لمايقولانه .. لابد أن قحطان هو موضوع الحديث كله .. كانت تقارب وقت الظهيرة والشيخ نائماً بالعسل..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وهناك في الملحق هتفت سلمى بحنق:

-اميي انا اريييد ان أخذ الفطووور ..

رمقتها أمها بحدة جعلتها تبتلع لسانها والتفتت الى فتحية التي حملت الصينية الضخمة وسألتها بقلق:

-ألم تاتي الجوهرة بعد؟؟

-لا خالتي.. يبدو انها غرقت بالنوم ..ليلة امس كانت مرهقة للجميع ..

اومأت هدية بتفهم قبل أن تنظر لسلمى الغاضبة وتنهرها:

-اذهبي من هنا لايصح ان ندخل كلنا على شقيقك .. اذهبي فلامجال للبنات الصغيرات هنا..

ضربت الارض بقدمها حانقة ومضت تعدو خارجاً متحلطمة لتبتسم فتحية وتصمت وخالتها تتقدم من باب الملحق وتطرقه بهدوء ولكن بحزم وهي تهمس:

-اللّه أعلم كيف ستكون تلك الاجنبية ..

-خالتي .. اعط للفتاة فرصة .. انها زوجة ابنك ..

زفرت الام بحدة وعادت تطرق الباب بشدة أكبر وقد اثارت الكلمة حفيظتها أكثر..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

بالكاد استغرق في النوم ..

بعد صلاة الفجر عاد الى الغرفة وارتمى على الكنبة الشيطانية ..

ولتعبه الشديد غرق في النوم مباشرة ..!!

ولكن الان استيقظ دفعة واحدة .. وانتصب جالساً وهو يقسم انه سمع من يطرق الباب ..

ضاقت عيناه وهو يفكر انه ربما كان متوهماً .. ولكن الطرقات الحازمة عادت ليقفز واقفاً .. وهو يلملم غطاءه ووسادته ويهتف :

-قاادم ..

تقدم الى باب الغرفة الأخرى .. وفتحه بسرعة .. وبدون ان يوقظ تلك النائمة كان يضع الفرش كيفما اتفق اعلى الخزانة الخشبية الضخمة وهو يعرف انه لايمكن لأحد ان يصل الى هناك سواه ..

وبسرعة كان يمسح وجهه بكلتا يديه ويتوجه الى الباب وبعد نفس قصير كان يفتحه ..

مواجهة الرجال في صلاة الفجر كانت شيء..

ومواجهة أمه هذا الصباح شيء اخر تماماً ..

لقد شعر بالاحراج فعلاً .. حتى انه خفض عينيه لرؤية عينيها الذكيتين تنفذان الى روحه .. وهي تهمس بصوت خفيض:

-صباح الخير ياعريس..

تنحنح باحراج وهو يفسح لها الطريق لتدخل ترافقها كبرى بنات عماته فتحية هاتفة بكل فرح:

-صباح الخير ياشيخ ..

-صباح الخير..

تمتم باحراج .. لتضع فتحية الصينية على الطاولة وتنظر له بابتسامة وعينين متسعتين .. وامه تسأل بفضول:

-أين عروسك ؟! أما انها لاتزال نائمة؟!

-انها نائمة ..

أقر قحطان بتوتر .. لتنظر له امه بشك قبل أن تجذب فتحية نحو غرفة النوم :

-سنوقظها ..

رفع يده يريد الاعتراض الا أنه لم يجرؤ .. مط شفتيه بيأس ..امه تنوي شراً .. وليساعده اللّه على تمضية الأيام القادمة على خير..

-لايجوز ياخالة .. دعيه هو يوقظها..

تمتمت فتحية بحرج خافت وهي تحاول الابتعاد الا ان خالتها جذبتها الى الداخل بحدة وتقدمت من الفراش الذي احتوى سيادة النائمة بهدوء .. واقتربت منها بغضب..

"كيف يستيقظ ابني من نومه ولاتزال هذه المدللة نائمة ..!!"

فكرت بحنق كأي حماة غير راضية عن زواج ابنها ومضت تنظر للعروس .. كانت نائمة بسلام .. فكرت بحقد .. شعرها حولها كهالة نارية يفترش الوسائد ..في حين انحسر غطائها يكشف عن ثوبها الليموني الناعم .. و(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

عقدت حاجبيها بحدة .. أهذه اثار دموع ؟؟!!

تجاهلت همسة فتحية المحتجة وهي تقترب من وجه سيادة بشكل كبير حين تململت الفتاة وفتحت عينيها ..وقبل أن تتفوه حماتها بشفه .. كانت عينيها تتسعان وتطلق صرخة حادة مدويــة ..

انتفض قحطان وسارع للداخل ..

كان قد جلس لتوه امام صينية الفطور وقد كاد يموت جوعاً .. حين سمع صرخة الفتاة ..

"يالهي ماذا فعلت امي؟؟"

كان هذا كل مايفكر فيه وهو يدخل الى غرفة نومه ليجد امه وفتحية تقفان بالزاوية تواجهان سيل الكلمات الفرنسية الغاضبة من تلك الجنية النارية الواقفة على ركبتيها على الفراش .. صدمته بقوة ..

اقترب منهم وصاح بحدة:

-مالذي يحدث هنا؟؟

توقفت سيادة عن صراخها الغاضب ونظرت اليه ..

-أنت (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

صاحت باتهام .. وعادت ركبتيها لتخذلانها .. جلست بانهكاك وهي تاخذ أنفاس متلاحقة ..

لم يكن كابوساً ..

انها هنا .. في بلدة صحراوية .. متزوجة من همجي متوحش.. !!

رفعت عينيها اليه مجدداً .. كان قد اقترب منها بخطورة .. حتى بات يملأ الفراغ امامه ويحتويه كله بين كتفيه العريضين .. لم تكن ترى سواه ..

عيناه كسوط تجلدانها بقسوة وشفتاه تتحركان بصوت خافت:

-عن التمثيل ابنة عمي ؟؟

وتذكرت حينها .. كل القواعد التي يجب ان يلتزما بها .. التمثيلية التي الّم تقم بها تحولت حياتها لجحيم ..!!

ولمعت عينيها بحقد .. بشيطنة ..وهي تخطط لانتزاع البرود من عينيه .. وترمي بقواعده السخيفة في وجهه وتريه مكانه هو والمرأتين الفضوليتين اللتان تقفان خلفه وتتصنتا لخصوصية امرأة وزوجها .. كات سيادة العزب .. وكانت على وشك أن تنفذ انتقامها منه وبكل برود .. او ربما .. بكل حرارة ..

رأى النظرة في عينها ولم يفهمها .. ببراءة رجل عفيف لم يسبق له أن يقع في براثن امرأة .. اتسعت عيناه بصدمة وهي تستـل ابتسامة كألف سيف .. وتستقيم على ركبتيها لتوازي طوله .. وتقع بحيرتيها الخضراوتين في سواد عينيه .. وتتلكأ ذراعيها على كتفيه .. ورغم قماش قميصه القطني .. الا أن لسعة مدمرة اجتاحته ورؤوس اصابعها تلامس أطراف عنقه القوي وتقترب منه لتجتاحه حرارتها .. هامسة بصوت اربك كل توازنه:

-أين كنت؟! استيقظت وحدي ..

كاد فكه السفلي أن يتدلى من فرط ذهوله وهي تقترب من بوجهها منه وتهمس بصوت اكثر خفوتاً ونعومة:

-وخفت .. !!

وبكل مكر لامست جانب وجهه هامسة:

-لما لم توقظني ؟؟ قحطاان ؟؟!!

اغمض عينيه بقوة ..

يحاول ان يسيطر على تلك الضربة التي شعرها في اعماقه وهي تتلفظ باسمه .. بكل تلك النعومة .. لم يعرف ابداً ان اسمه يمكن ان يُقال هكذا .. بتلك النغمة الخافتة .. المطوطة .. والتي كانت تشعل ناره في بدايتها وتستعر فيه حتى نهايتها .. بكل دلال .. ورقة .. كمناغاة طفل .. كتعويذة تلقيها عليك ساحرة .. كما النداهة في القصص القديمة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

عرفت انها نجحت ..

شحوب وجهه وارتجافته تحت يدها كان واضحاً .. كان رجلاً .. وهي عرفت كيف تستحكمه ..عرفت كيف تلقي به في غياهب دلالها ورقتها .. لم يكن يختلف عن كل الرجال اللذين مروا بها .. عرفت انها ستجيد التلاعب به وعرفت انها بالتأكيد ستجيد السيطرة عليه .. وهو أمر مناسب جداً لما تفكر به من انتقام ..

لم يكن أكثر من جبير متسلط .. ولكن هرموناته تسيطر عليه ..

ابتسمت باغواء وهي تفكر بكم التسلية التي ستحصل عليه من ترويضه والانتقام منه وجعله كخاتم بيديها ..

كان مجرد رجل .. وهي امرأة بكل ماللكلمة من معنى..

حينها فتح عينيه ..

وانتفض قلبها بقوة .. واعتصرته يد باردة حد الاختناق .. رعب اجتاحها وهي تدرك انها ربما .. فقط ربما تسرعت قليلاً .. كانت هي من يغرق .. في تلك الثقوب السوداء التي تجذبها اليه بلارحمة ..

حاولت الابتعاد عنه .. استندت على عضلات صدره وحاولت ابعاد نفسها عن مجال مغناطيسيته المدمر .. ولكن هيهات ..

التمعت السخرية في العينين .. والتفت ذراعه حولها كثعبان بوا مفترس وقربها منه بحدة .. لتصطدم بصدره .. وتشهق معترضة وهو يلتفت لأمه وفتحية الواقفتان بلاحراك قائلاً بخشونة:

-كان علي ايقاظها لكما .. اعذريني امي .. ولكن هلا تركتمانا وحدنا قليلاً ..

احتقن وجه امه بحرج في حين انسلت فتحية راكضة بخفة تناقض حجمها الضخم وامه تقول بحرج:

-حاضر بني ..

وقبل ان تغادر الغرفة هتف بها قحطان بخبث وهو ينظر لسيادة التي تصلبت بين ذراعيه بلاحراك من فرط صدمتها لقربه:

-اه امي ..

توقفت مشيحة عنه فابتسم ببطئ وهمس:

-هناك فرش متسخ في الحمام هلا أخذته معك ..

اشتعل وجه سيادة بالحمرة في حين ضحكت امه رغماً عنها بخجل وسارعت دون كلام لتغيب خلف الباب وتعود بعد قليل وهي تسرع الى الخارج حاملة دليل طهارة كاذب ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

وخيم الهدوء على المكان .. هدوء سافر .. امتلأ بالنظرات الغارقة بالغضب .. والانفاس الحارقة ..

-أنت .. أنت ..

حارت بما تصفه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كل الكلمات تعثرت على شفتيها ..كلها ماتت عن وصف ماشعرته نحوه وقتها .. ارادت قتله .. ارادت خنقه .. وهي التي ظنت للحظة واحدة انها أحكمت قبضتها عليه .. هاهو يحتجزها .. بكل وقاحة ..

رفعت قبضتيها وضربت صدره بعنف صارخة:

-انت خبيث .. انت ..

ضحك ببرود ضحكة لم تصل لعينيه جعلتها تبتلع لسانها وعينيها تتسعان بقوة وهو يقترب بوجهه منها هامساً:

-لاتمارسي العاب النساء علي مرة أخرى .. أنت لست على المستوى المطلوب .. أتفهمين..

-اتركنـي..

همست بيأس .. كانت ذراعه تخنقها .. وجودها بين يديه هكذا .. يثير جنونها ..

نظر لها بتمهل .. الان فقط عرف انه يضمها اليه .. تصرف دون وعي منه .. غريزته القاتلة اخرجته من دائرة السحر التي كاد يقع فيها بلاحول ولاقوة .. قاوم الوقوع في سحر صوتها وسحر لمستها المغوية .. كان يعرف انه يدوس في حقل الغام .. ولكنه مقاتل شرس ولايخشى شيئاً ..

تابعت نظراته تفحصها .. كتفيها تلمعان تحت ضوء النهار المتسلل عبر الستائر الخفيفة ..مشربتان بالحمرة لايعرف ان كانت حمرة خجل او الغضب..!!

خجل ؟؟!!

فكر بسخرية .. وكيف تشعر من مثلها بالخجل؟؟!!

كان الثوب الذي ترتديه رقيق للغاية .. تعلق بحمالتين رفيعتين على كتفيها ثم .. لم يستر شيئاً ..

كانت ذراعه حولها .. واستطاع الشعور ببشرة ظهرها تحت أنامله .. ابتلع ريقه بصعوبة .. وفكها منه بسرعة .. كحيوان خطر .. لتسقط على الفراش تنظر له بارتباك مليئ بالقهر .. وهو يرفع ذراعه مهدداً:

-لاتفعلي مثل هذه الاشياء المخجلة مجدداً امام احد .. أم نسيت اننا لسنا في باريس..

-انت قلت لي ان أمثل..

صرخت بحنق .. ليهتف:

-مثلي بحدود .. اياك ان تتجاوزيها ..

عقدت ذراعيها امام صدرها بعناد وهي تراقب انفاسه المتسارعة وهو يدور في الغرفة يبحث عن أشياءه .. هنا وهناك .. وهي تفكر..

لقد تاثر .. مهما قاوم ومهما حاول ان يقنعني .. وأن يقنع نفسه لقد تأثر بي.. لن يكون رجلاً الم يفعل..

واتسعت ابتسامة السخرية على وجهها وهي تقسم ان تريه ..

أن تدفعه ليفقد اعصابه حتى يمل منها .. ويتركها ترحل .. ألم يقل أنه لن يمس فضلات سواه !!

وبقدر ماارهقتها الكلمة وأحرقت كرامتها الا انها كانت طريقها الوحيد للخلاص .. منه .. ومن كل ماحولها ..

ويالله ـول كم كانت مخطئة .. !!!

أما هو فقد سارع لأخذ حمامه والوضوء .. وتجاهل طعام الافطار وهو يستعجل بالخروج .. للمرة الأولى في حياته يتأخر هكذا عن مجلس جده ..

ولكنه اليوم عريس .. فكر بهذا العذر واحتله الحنق لما سيلاقيه من تعليقات من اخويه ومن صديق عمره .. تسارعت خطواته نحو المجلس وهو يحاول تجاهل المرأة التي تركها تجلس بعصبية على سريرها وحدها .. ودخل الى المجلس بهدوء وهو يلقي بالسلام ..

التفتت كل الانظار اليه وبصبر تحمل هبوط التهاني اليه كالمطر ..

تقبل كل المزاح والغمزات .. تحمل ابتسامة عمرو الثقيلة وهو يقول له بخفوت انه خير من يفهمه ولاداع لكل هذا التوتر .. كاد يقتله ولكنه آثر الحفاظ على بروده وهو يجاهد عدم احمرار وجهه وتوجهه ليقبل يد جده ورأسه ويعتذر عن تأخره قبل أن يستدير لعمه الذي نظر

نحوه بلهفة لم يقوى على اخفاءها .. وبكل الهدوء الذي تدرب عليه قبل رأسه وهو يقول بصوت واضح للجميع:

-شكراً لك عمي .. شكراً لعطيتك الكاملة ..

تبادل الرجال الابتسام .. في حين اتسعت عينا سالم بذهول ..

اذاً فهي كانت صادقــة ..

ابنتي .. سيادة كانت صادقة ..

تحجرت الدموع في عينيه واستغل تصاعد الاصوات من الرجال الذين عادوا لمسامراتهم ونقاشاتهم وامسك كتفي قحطان بقوة وهمس بحرارة:

-أتعني انها؟؟!!(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ولكن (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قاطعه قحطان بخفوت :

-لاتقلق عماه .. ماقالوه لك مجرد افتراء.. ابنتك كانت صاعٌ سليم .. وأنا أشهد بهذا..

انهمرت دموع الرجل حرفياً لينهره قحطان:

-تماسك عمي .. انت وسط مجلس الشيخ ..

مسح دموعه التي طرفت بسرعة وجلس يتحسس مكانه بصدمة ليتنهد قحطان بحنق من الرجل الضعيف الذي كاد يفضحهم وأخرج من جيبه ورقة مطوية قدمها لعمه وتنحنح وهو يرفع صوته ليصل للجميع:

-انها لك عماه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) هي لاتليق بقدر ابنة عمي .. ولكنه مااستطيع تقديمه تقديراً لها..

نظر الجميع بفضول للورقة التي فضها العم بيد مرتجفة تحت انظار الشيخ المبتسم والذب هتف :

-انها عطية الصبحية من الشيخ كما يليق بالشيوخ ..

ابتسم الجميع لقحطان الذي جلس جوار عمه الذي همس بذهول:

-انها ارض ضخمة يابني.. وهي تساوي الكثير..

عض قحطان شفتيه بغيظ وقال بحسرة رغماً عنه:

-انها من شيخ لابنة شيوخ .. لايجب ان تقل عن هذا وانما تزيد ..

-لم يكن هناك من داعٍ لهذا ..

-بلـى ..

رد باختصار ليصمت العم .. ويكتم فرحته التي ظهرت بقوة في عينيه وهو يستمر باستقبال التهاني من كل الوافدين ..

وبعد صلاة الظهر .. ودع الجميع علي العزب والذي انطلق بسيارته الى المدينة عـدن .. عودة لدراسته .. في حين ظلت امه تبكي بحرقة دون توقف .. وجميع النسوة يواسينها .. حتى سلمى غرقت بالبكاء وتسللت خارجاً على أطراف أصابعها ..

وبعيداً كان سالم العزب يدخل الى الملحق الذي اعتزلت فيه ابنته بعد سماحها له بالدخول ..

كانت تجلس على الكنبة .. تحدق بالفراغ وقد غيرت ثيابها وارتدت بدلة خوخية اللون بتنورة واسعة تصل لركبتيها .. فابتسم بحنان واسرع يأخذها بين ذراعيه ..

تسمرت بذهول .. وهتفت:

-ابي ماذا تفعل؟؟

-مباارك بنيتي .. مباارك لك حبيبتي..

تملصت منه ونظرت بوجهه .. كان يعود له اشراقه بعد ايام الشقاء التي كانت محفورة على وجهه .. حملت عينيها الحيرة وتسائلت بشحوب:

-انت تصدقني الأن..

اتسعت ابتسامته ولامس جانب وجهها بحنان:

-قحطان أخبرني .. كل ماقالوه عنك كان كذب..

تسللت دموعها الى وجنتيها وصرخت بحرقة:

-صدقته ؟؟!! صدقته مباشرة ولم تفكر حتى بتصديقي انا ابي .. وقد توسلت .. وجثوت على ركبتي لأحلف لك..

-وفي لحظة عدت لتقري به..؟؟

صاح بحدة لتنفجر:

-لأنني اردت الخروج من هنا؟؟ لم اعرف كيف سوى أن أكذب؟؟

قالت بيأس مضيفة ليهمس لها:

-كنت واقعاً تحت تاثير أمك .. وذلك الوغد الذي كذب في وجهي..

اتسعت عينيها بذهول .. وهي تكتشف شيئاَ صعقها ..

عبدالعزيز ؟؟!!

لقد نسيت كل شيء عنه في الاربع والعشرين ساعة الأخيرة ..

نسيته نهائياً ..ولم تفكر به .. ابداً ..

أشاحت عن أبيها تخفي ذهولها وهو غارق في لذة الحقيقة التي انتشلته من بؤسه ..

-رفعت رأسي أمام الجميع ياصبيتي .. رفعت رأسي ووقفت فخوراً بك ..

اغمضت عينيها بحرقة .. كيف له ان يصدق ذلك الشيطان ويكذبها هي .. ابنته الوحيدة ..

-ربما كان يكذب.. ربما كنت فعلاً خاطئة وربما هو لايعرف شيئاً ..

صاحت بوقاحة لينهرها ابوها بقسوة:

-توقفي عن ترديد هذا الكلام ..

نظرت له باكية فرفع امامها العقد الموقع من قحطان ببيع قطعة الأرض الشاسعة لها والتي نظرت لها بخواء وهو يردد:

-انظري مادفعه لقاء برائتك وطهرك ..

قلبت شفتيها باشمئزاز وصرخت بحقد:

-متخلف قذر..

-سيـــادة ..

صاح بها ابوها .. بحدة لتصرخ بجنون:

-يظن انه اشتراني .. ألا يعرف من أكون انا ابي .. ألايعرف من أكون .. أنا سيـادة .. سيادة العزب أبي ولست مجرد جارية ..

ثم انتحبت ببؤس وهي تقول:

-أنت السبب .. أنت بعتني اليه دون مقابل ابي..

-سيادة ..

همس والدها شاحباً.. وتقدم يحتويها اليى ذراعيه لتبتعد صارخة:

-اتركني بحاالي ابي .. اتركني وحدي .. الأن ..

تراجع ابوها بحدة .. نظر لبكاءها الذي لم يره قط من قبل .. قبل أن يسرع خارجاً ..

وهي .. ركضت لتفترش سريرها بحزن .. تريد ان تخرجه من داخلها لتستطيع مواجهة الجميع .. لتقدر على الوقوف أمامهم .. لتقدر ان تقف بوجهه وتنفذ انتقامها منه ببرود ..

ولكنه دوماً يتفوق عليها بخطوة .. يحطمها بحركة قبل أن تبدأ هي ..

نشجت بعنف .. وامتلأت نفسها بكراهية عارمة نحوه .. احترقت حشاها .. وباتت تشهق بلاتوقف ..

سأنتقم منك قحطاان ..

صاحت بحقد .. وأشبعت وسادتها ضرباً وهي تصرخ بأعلى صوتها..

سأنتقم وأجعلك عبداً لي .. ذليلاً تحت قدمي .. سأشتريك وأبيعك .. بحركة من اصبعي ..

ولمعت عينيها بشراسة وهي تدمدم ..

لن اكون سيادة العزب إلم أمرغ رأسك المغرورة هذه في التراب يابن عمي ..

***

توجهت للربوة العالية .. حيث اعتادت ان تجلس بعيداً عن المنزل وضجيجه .. بعيداً عن الشعور بالتغيير الذي تخشاه وتخافه .. لاتريد توديع اخيها .. لاتريد ان تقف هناك مودعة وقلبها يحترق خشية ان يحدث له ماحدث لمحمد رحمه اللّه !!

انسابت دموعها وهي تفكر كيف تغيرت حياتها بين لحظة واخرى .. رعاد تزوج .. ومن غزل التي منذ زواجها وهي ترسم البؤس على محياها دون ان تتنازل عنه .. فقدت ابتسامتها وروحها المرحة .. والأدهى من هذا انها وبعد ايام قليلة سترحل هي الأخرى معه .. !! وتبقى هنا وحدها ..

حتى بوجود الجوهرة .. التي بتواجد حسن تختفي معظم الوقت .. وحتى حين تكون موجودة فهي بائسة .. صامتة ..

حتى ابنة العم الجديدة .. زوجة قحطان تثير فيها الرعب .. فهي الوحيدة التي تعرف انها ارادت الغاء الزواج .. وليس هذا فقط .. بل هي من ساعدتها .. وليتها نجحت .. لقد كادت تحطم حياتها هي في المحاولة .. وهي التي تعرف مدى حب المرأة لرجل سوى أخيها واخفاء الأمر .. يقتلها ..

بكت اكثر وهي تفكر انها خلال اليومين الماضيين فقدت الكثير والكثير(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)وتشعر بخوف يكتم أنفاسها .. ويخرقها .. وهي تخشى المجهول .. تخشاه بقوة ..

-أخيراً وجدتك..

انتفضت بذعر واستدارت تنظر له بذهول ..

تتبعها منذ مايقارب النصف ساعة ..

رآها تتسلل من نافذة الغرفة وتعرف على قوامها الرشيق وطولها المميز حتى بكل تلك الأسمال التي ترتديها !! وبكل شغف غريب عليه تبعها ..وتاهت منه وسط تلك المنطقة النائية .. ولكنه بحث حتى وجدها ..

توقف ينظر لعينيها اللماعتين .. كل ماكان يظهر من غطاءها .. واقترب مبتسماً:

-لماذا كنت تبكين؟!

تسائل بحذر وهو يرى صدمتها ..

-لاتخافي مني..

همس يطمئنها فصاحت :

-ابتعد ولاتقترب مني..

رفع يديه وهمس:

-لن اقترب منك .. كل ماارادته هو التعرف اليك ..

هزت رأسها رافضة فامال رأسه وهمس مترجياً:

-ارجووك .. انا أكاد أموت من الملل .. لما لاتعرفينني بنفسك .. انا فراس..

نظرت له ببلاهة .. يده ممدودة اليها بسذاجة وشعرت برغبة بضربه بأي شيء أمامها .. هل يعي مايقول ويفعل؟؟!! تراجعت خطوة وهتفت بخشونة:

-انت مجنون .. ابتعد عني..

اتسعت عيناه وهمس :

-لست مجنوناً ولكنني سأُجن اذا بقيت هكذا .. انا اكاد اجن من الملل .. ولااستطيع فعل شيء.. والأدهى ان رفيقي غرفتي هجراني .. وسأبقى طيلة الوقت وحدي..

لم تتكلم .. بل حملت نظرتها حذراً وهو يتوسل لها بعينيه هامساً:

-لما لاتكونين صديقتي ؟؟

شهقت حينها بعنف ونظرت له باستنكار جعله يهتف:

-حسناً حسناً .. لاتقتليني .. كل ماطلبته هو صداقة بريئة .. شخص مااتحدث معه..

-لن تتحدث معي..

صاحت بحنق .. وحاولت الفرار من امامه وهي تلعن بداخلها الشباب ومايفعلونه .. ليعترضها بجسده مسبباً افقادها لتوازنها وكادت تقع لولا ان مد ذراعيه يسندها لتصرخ وتتراجع حتى وقعت على ظهرها امام عينيه المتسعتين .. !!

كانت مؤخرتها تحرقها من الوقوع على الارض الحصوية وجروح سطحية تملأ كفيها وهي تشهق بالبكاء ..

اتسعت عيناه ونزل بركبتيه امامها وهو يسألها باهتمام:

-هل انت بخير؟! هل تأذيت؟!

بكت بوجع وصاحت:

-انت السبب .. ابتعد عني ..

تراجع وهو يراها تنهض وتنفض عنها الحصى والتراب وتنظر له بشراسه صارخة:

-اياك ان تتبعني مرة اخرى .. سأخرج لك عينيك واكسر ساقيك .. أتفهم..

رفع حاجبيه بذهول ..وهو يرى اللبوة الشرسة التي تطل من عينيها ودون انتظار كلمة منه كانت تركض نحو الدوار .. وبكل حنقه ..

رفس الحصى من امامه .. يعرف ان الايام القادمة ستكون طويلة وان عليه ان يحتمل .. مهما حدث عليه ان يتحمل .. لتحقيق حلمه ..

***

وقفت أمام المرآة بقلب مرتجف .. وبملابسها الداخلية تتأمل رضوضها ..

كانت هناك بقعة حمراء تميل الى اللون البنفسجي تحتل جنبها الايسر .. تؤلمها كالجحيم .. وأعلى صدرها توجد كدمة أخرى ..

استدارت قليلاً لتلاحظ كدمة مثلها في ظهرها ..

لم تكن الكدمات شيء جديد عليها على العكس.. كانت أكثر من مالوفة ..

ابتلعت ريقها ومضت ترتدي ثيابها بيدين ترتعشان .. تغطي كدماتها واشمئزازها من نفسها ..

تحاول ابتلاع دموعها وهي تخرج لطفلتها متسائلة:

-أين شقيقك..

-خرج مع ابي الى مجلس جدي..

اومأت للصغير ووضعت عليها غطاءها هامسة:

-لنذهب نحن ايضاً .. الا تريدين رؤية العروس؟؟

هزت الطفلة رأسها فعقدت الجوهرة عينيها متسائلة لتهمس لها بخوف:

-قالت عنها ام مريم انها ساحرة .. وانها ستخطف كل الفتيات .. وستدخلهم الى جوف شجرة ..

-ماذا؟؟

صاحت الجوهرة باستنكار قبل ان تمط شفتيها صائحة:

-ام مريم هذه شمطاء هذارة ولاتلق لها بالاً .. انها مغتاظة لأن خالك لم يتزوج اختها فقط ..

نظرت لها الصغيرة ببراءة وهمست:

-ولكن شعرها كالنار امي .. وعينيها غريبة للغاية ..

-انها أجنبية حبيبتي.. كاولئك اللاتي نراهن في التلفاز .. ألي لديهن عيون كعينيها !!

هزت الصغيرة رأسها منكرة فضحكت الجوهرة رغماً عنها وقبلتها بقوة على خدها هامسة:

-لايهم .. المهم انها زوجة خالك وانت لاتريدينه ان يغضب منا .. اليس كذلك؟؟

اومأت حينها الصغيرة بايجاب لتستمر امها محذرة:

-ولا أريد ان أسمع هذه القصة عن كونها ساحرة اتفهمين حبيبتي؟؟

-حاااضر .. لنذهب الأن ..

صاحت الصغيرة بحماس .. فابتسمت امها ومضيتا سوياً الى دار الشيخ ..

كان المكان مزدحماً .. احتفالاً بصبحية الشيخ ..

توجهت مباشرة نحو أمها التي عاتبتها بنظرة لتأخرها فابتسمت بتوتر وهمست:

-اعذريني امي لقد تاخرت في النوم وكنت اعرف ان فتحية ستكون هنا..

-لقد فاتك نصف عمرك ..

قالتها فتحية ضاحكة بخبث جعل هدية تصرخ بانزعاج:

-توقفا عن الثرثرة واذهبا لتأتيا بالعروس المحروسة ..

ابتلعت فتحية ضحكتها في حين اتسعت عينا الجوهرة مندهشة من غضب امها وتوترها وهي التي من المفروض ان تكون أسعد الناس..

تلكأت بالذهاب لجناح شقيقها المنعزل .. وحين فعلت طرقت الباب لعدة لحظات قبل أن تسمع خطوات قادمة .. لتفتح لها سيادة الباب .. وتقف الجوهرة مذهولة امام جمالها ..

ثوبها الخوخي كان يلتف حولها .. مظهراً تقاسيمها الناعمة وانوثتها الطاغية .. ..

ولكن اكثر ماأثار ذهولها هو شعرها ..

كان كهالة نارية انتشرت حولها حتى خصرها .. وعينيها تتألقان بالكحل والمكياج الذهبي .. لم تكن قط سيادة التي رأتها البارحة قبل العرس.. كانت امرأة أخرى .. تشع جمالاً .. واثارة .. لن ترحمها عيون النساء في الأسفل .. ابداً ..

-يالله .. يجب أن ارقيك يازوجة أخي ..

همست الجوهرة .. وشعرت سيادة بالخجل يجتاحها فعلاً والاولى تقرأ عليها المعوذات والاذكار وهي تقودها للمجلس.. وبعد ان انتهت همست لها بمرح:

-هل رآك أخي هكذا؟؟

تخضبت وجنتا سيادة بالحمرة ونفت بهزة من رأسها .. فضحكت الجوهرة:

-افضل.. فلأريد خسارة اخي الاكبر بأزمة قلبية ..

اشاحت عنها سيادة وسارعت للدخول الى المجلس .. الذي امتلأ عن بكرة ابيه بالنساء.. وتسمرت وهي تلاحظ العيون عليها .. بجشع .. وفضول ..

تعالت الزغاريد والكل ينظر لها برهبة .. جمالها خارق للعادة .. غير معتاد لديهم .. غريب .. وغريبة تشعر بالوحدة القاتلة والخوف ..

ابتلعت ريقها .. وجلست متسمرة على المجلس .. شتمت نفسها على قصر ثوبها الذي عذبها وهي تحاول اخفاء ساقيها عن العيون المراقبة .. والمدققة ..

خفضت عينيها واحنت رأسها ..لتنسدل خصلاتها الحمراء عليها .. وتزيد من رهبة المشهد امام الجميع ..

تعالت دقات الطبول وبدأت بعض الفتيات بالرقص .. في حين كانت هناك تجلس بلاحراك .. تلسع الدموع عينيها ولاترغب الا بالفرار..!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-انظري اليها .. انها فاتنة ..

همست سلمى بسعادة .. لتهمس فتحية:

-ولكنها حزينة ..

اختفت ابتسامة سلمى وعادت نظرتها تتألق بالاسى لما تعرفه ..

-ماذا حدث لكفيك؟؟

صاحت الجوهرة لسلمى فتلعثمت الاخيرة وهي ترد:

-سقطت في الممر .. اذتني الحصوات ..

-اه.. احذري في المرة المقبلة ستسقطين على رأسك ..

مطت سلمى شفتيها وهي تفكر لو عرفت اختها ماحدث لها ..

لأصيبت بالجنون ..

وعادت تنظر لزوجة قحطان البائسة ..وقلبها يحترق .. أسىً عليها

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

انتهت الليـلة ..

أخيراً ..

استلقى على فراشه والسعادة تلون وجهه .. لايوجد من هو أسعد

منه اليوم .. رغم تعاسة ابنته الا انها سرعان ماتدرك ان افضل

ماحدث لها هو زواجها من قحطان ..

نظر لهاتفه وهو يفكر ملياً .. للحظات قبل أن يتخذ قراره ويفتحه ..

ويجري الاتصال الذي أجله لأيام طويلة..

ولم تمضي بضع ثوان حتى سمع الصوت الملهوف:

-سالم .. !!

-نعم حبيبتي.. انا سالم ..

همس بابتسامة لتتنهد ايفا بارتياح وتحم ربها للحظات طويلة قبل أن تسأله بلهفة:

-كيف حالك وحال الصغيرين؟؟ هل أنتم بخير لما لم تتطمئنوني عنكم منذ وصولكم ياسالم لقد كدت اموت من القلق..؟؟

-تمهلي ياحبيبتي.. اخبرتك ان الاتصالات هنا سيئة وبالذات الدولية ..

همس بخفوت قبل أن يواصل:

-نحن بخير لاتقلقي.. والاولاد بخير..

-دعني اكلمهما .. سيادة وفراس..

-لااستطيع ..

قال ببرود جعلها تهمس بحذر:

-لما؟؟

-الوقت تأخر .. وسيادة الان ..

تردد للحظة قبل ان يقول:

-نائمة مع الفتيات .. ولااستطيع الذهاب هناك في هذا الوقت .. ولابد ان فراس يجول مع الشبان في مكان ما.. لقد استطعت اخيراً الحصول على شبكة لأتصل وقررت الاتصال بك ..

-لقد اشتقت اليكم جميعاً..

قالت بخوف .. وكلامه لايطمئنها فضحك .. بارتياح :

-لاتقلقي .. كلها ايام وسنعود ..

-ممتاز .. على سيادة العودة لتحضيرات زفافها ..

تجهم وجهه وغدا اسوداَ ولكنه اختار عدم البوح لها ابداً .. ليس الان على الاقل ..

-ستفعل .. والان حبيبتي علي الذهاب..

-ابقى معي قليلاً ..

توسلته بنغمة ناعمة .. فتنهد للدلال الذي تغمره به رغم السنوات ورغم غضبه الهائل منها .. ولكنه يحبها .. يعشقها وذلك الحب .. هو السبب بكل ماحل به من لعنات !!

***

انتهت الليـلة على خير..

فكر بابتسامة .. ودع رفيق عمره قبل لحظات واتصل يطمئن على أخيه الذي وصل بعد المغرب الى عدن ويستقر حالياً في شقة يتشاطرها مع احد رفاقه الشاميين ..

فتح باب جناحه ودخل يتنحنح .. جال ببصره بخفة وأدرك انها ليست موجودة في الصالة الصغيرة ..

وضع عنه كشيدته وجلس ينزع حذائه .. رأى صينية الطعام المغطاة بمفرش أبيض .. توجه اليها ورفع طرفها لتغمره رائحة الطعام الشهية والخبز الطازج المحضر في المنزل والمغمور كما يحبه تماماً بالعسل ..

لمعت عيناه ومضى يغسل يديه في مغسال صغير .. وهتف:

-العشاء معد ..

وعاد ليجلس وانتظر بصبر أن تأتي .. ولكن دون فائدة .. نهض بعد دقائق .. واقترب من الغرفة وطرق الباب بحذر .. وحينما لم يجد رداً دفعه ليدخل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كانت تجلس على السرير وعينيها للفراغ (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

عقد حاجبيه وهو يتأملها بثوبها القصير ذو الكمين الشفافين وشعرها المتناثر حولها .. اقترب وهو يحاول السيطرة على تلك المشاعر التي تهاجمه كلما كان قريباً منها ولكن .. لم يقدر ببساطة .. تجتاحه تلك المشاعر بقوة .. وتسيطر عليه ..

-ماذابك؟؟

لم تجبه .. فقط استمرت بالنظر للفراغ امامها حتى شعر بالقلق حقاً .. اقترب وجلس الى جوارها على الفراش هامساً:

-سيـادة هل أنت بخير؟؟

كانت المرة الاولى التي يناديها باسمها مباشرة .. سمعته ينساب الى أذنيها بخشونة صوته المشروخة وقد هزها من العمق .. التفتت اليه .. كان قريباً .. وضخماً .. كان قوياً .. وهي في أضعف حالاتها..

-لاأعرف..

همست بنبرة مخنوقة بالدموع اتسعت عيناه بصدمة وهي تميل برأسها وتستند على صدره .. تيبس غير قادر على الحركة .. وأنفاسها تحرق قميصه الخفيف وتتسلل عبر مساماته لتسير مع دفقات دمه .. واستمرت هامسة وكأنها لم تفعل شيئاً:

-أنا خائفة .. وحيـدة .. أشتاق لأمي .. أتوق لحضنها الأن بالذات ..

شعر بالأسى عليها لوهلة ..

كانت محقة في وحدتها .. شعور لم يختبره هو قط من قبل ..

-تلك النسوة ..

همست بشرود .. وخدها يرتاح على نبضات قلبه الهادرة..

-ظللن ينظرن الي وكأنني سلعة معروضة .. الجميع ينظر الى عروس الشيخ .. يبحثون فيها عن عيب أو خطأ .. لما لاتبتسم .. لما لاترد .. لما لاتبدو مثلنا ..

انسابت دمعتها .. بللت قميصه .. وأحرقت بشرته ..لينظر لرأسها المنكس وهي تستمر بألم:

-الجميع يضع الافتراضات .. يتحدثون عني وكأنهم لايصدقون انك أخذت واحدة مثلي ..

اشتعلت نفسه بالغضب.. يفكر بماقالته تلك النساء وجعلها .. بروحها القوية شخصيتها الهادرة .. بهذا الانكسار والضعف..

رفع يديه واحكم قبضتيه على كتفيها وهو يبعدها عنه بمايسمح له بالنظر في عينيها فقط .. وليته لم يفعل .. ان كانت عينيها مغريتان بألقهما الزمردي .. فهما ذابحتين وبكل قسوة خلف جدار الدموع الرقيق .. اخترقته دموعها كسيف حاد .. وشعر بطعنتها مؤلمة ..

مهما كان ..

هي كانت ابنة عمه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هي سيـــادة العزب ..

وفوق كل شيء .. كانت زوجته ..

كانت امرأته هو .. شيخ العزب ..

من يجرؤ على ان يبكيها ؟؟!!!

-من يبكيك؟؟؟

همس بخشونة .. لتشهق بألم وتنهمر دموعها أكثر .. وأكثر ..

كيف تقول له أن كل هذا يبكيها ..

وحدتها .. زواجها به .. حياتها هنا.. كلام تلك النسوة اللاتي ظننها لاتسمع ؟؟

كيف وكيف .. شهقت بالبكاء وعادت ترتمي بين ذراعيه ..

وهذه المرة لم يفلتها .. ولم يقف مكتوف الأيدي .. هذه المرة أحاطها بذراعيه .. لتختفي كالزبد بينهما .. تذوب في حرارته القوية وتنهل من بعض قوته المهول.. وهو يدعمها بصمت .. ارادت أكثر منه ..

تشبثت بقميصه وهتفت :

-تلك الأرض التي اعطيتها لوالدي .. ستستردها ..

-لم أعطها لوالدك .. انا اعطيها لك .. انها عاداتنا ..

-لا أريدها ..

شهقت بألم .. وهي تتذكر كلام تلكن النسوة عن انه اشترى العروس التي تركت كل ماتعيشه في بلاد الخارج وركضت ترتمي تحت قدمي الشيخ بلامقاومة .. وانتباتها موجة بكاء جديدة ..

-لاأريد الخروج لتلك النساء مجدداً ..

ابتسم .. واسند ذقنه على رأسها هامساً:

-مستحيل .. سيقتلنك غيبة ان لم تفعلي.. اظهري اليهن واخرسي كل واحدة لاتعرف مقامها ومن تكلم ..

-انهن يؤذنني .. وأمك .. امك لاتساعدني ابداً ..

تنهد وهمس:

-سأكلم امي .. لاتقلقي .. ولكن اي احد اخر فلك الحرية بوقفه في مكانه .. انت زوجتي سيادة .. فتصرفي على هذا الاساس.. عليكي ان تظهري لهن من هي سيادة .. فأنت ستكونين سيدة المنزل .. في المستقبل..

رفعت اليه وجهها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كانت تنعم بدفئه بطريقة لم تعدها قط .. ذقنه كانت قريبة من شفتيها

تشوكها شعيراته القصيرة وتثير جنونها .. تسارعت انفاسها حين احنى رأسه ..وباتت المسافة بينهما .. لاتصلح سوى للهواء..

-أنا لاانوي البقاء هنا .. ولاانوي ان أكون سيدة اي منزل..

داعبته أنفاسها وهي تتحداه بعيون ممتلئة بالدموع ..

كان يريد السخرية منها .. وأن التحد يعني القوة التي حالياً لاتملك منها سوى مايعطيها اياها .. ولكنه لم يفعل .. لم يسخر .. المشاعر الطاغية التي عصفت به جعلته يعقد حاجبيه بعقدة صعب فكاكها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وهو يهمس:

-وأنا أخبرتك .. أن الخروج من هنا .. مستحيـل ..

-لاتتحداني قحطان ..

همست بعناد ..فابتسم هذه المرة .. ربما لانها نفضت الدموع من عينيها بقوة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ولكنه فعل ..

-انا لااتحداك .. انا أخبرك فقط بما ستؤول اليه الأمور .. بكل بساطة..

تخلصت من ذراعيه التي تحيطانها بحنق .. قلبها يرجف .. كلها ترجف ..

أشاحت عنه وهمست بثقة:

-بل هو تحدٍ يابن العم .. وانا من ستفوز به .. سأخرج من هذه الحفرة قبل نهاية العام .. وسوف ترى ..

نهض ضاحكاً بنعومة .. وهمس بلامبالاة:

-حسناً حسناً .. هو تحدٍ كما تريدين .. والان تعال لتناول العشاء.. فأنا أتضور جوعاً يابنة العم..

رفعت رأسها بكبرياء وراقبته يغادر بأنفاس ثائرة ..

تدرك انه لايهتم لتحديها السافر له ..

ولكنها مستعدة .. وستقاتل بكل ماأوتيت من قوة.. وستفر من هنا ولو دفعت عمرها كله لهذا ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

***

نهاية الفصل ..

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل السابع

***

حرارة لاتوصف وقلوب لاتعرف كي تلجها من فرط تحجرها وقسوتها .. قد لاتمن علينا السماء برطوبة تغزوها فتلين .. ونضطر اسفين لاقتحامها اقتحاماً ..

***

بعد أسبوع ..

لقد مضت الأيام ثقيلة .. مرة .. غاضبة وغير سلسة بتاتاً .. عاشت مرارة الحنق والأسى .. عاشت فيها وحدة لم تختبرها قط من قبل .. عاشت فيها حرب غير معلنة أنهكتها وجعلتها متحفزة على الدوام بالكاد تقدر على تحملها .. كل يوم بذات الوتيرة .. تصحو لتجلس في الصالة الرئيسية تتناول فطورها مع عمتها وجدتها وسلمى .. وبعض النساء اللاتي لم تفهم مايفعلنه في البيت الكبير اصلاً .. فهن لسنا خادمات مادمن يشاركن في كل الوجبات .. ولكنهن يقمن بمعظم الاعمال .. في الايام الاولى كانت تصاب بالصداع بالتفكير فيهن وماعلاقتهن بعائلتها ولكنها لم تعد تهتم .. أصبحت تعتاد تواجدهن .. وان كنا يناظنها من خلف طرحهن الشفافة ويتبادلن الابتسامات المستترة ..

وكم ظلت تعاني وهي ترفض تناول الطعام على الأرض ..او تناوله في طبق خاص بها وحدها واستخدام ادوات الطعام والجميع ينظر اليها بدهشة واستنكار .. كانت تتحمل كل نظراتهن وتفعل ماقال لها قحطان ان تفعل .. تتصرف كزوجة شيخ العزب ..

حتى الزيارات التي لم تكن تنتهي .. كانت تتقبلها بصبر .. صبر يثير الاعجاب .. تجلس بلاحراك قبل وقت الغداء وحتى انقضاء العشاء .. استقبال المهنئين .. استقبال الزوار .. وكل مايهمهن التعرف على زوجة الشيخ الأجنبية .. كانت النسوة يأتين من مناطق بعيدة .. وهي عليها الجلوس هكذا بلاحراك .. حتى انتهاء الامر..

واليــوم لم يكن استثناءاً ..

لم تكد تصدق ان آخر تلك النسوة قد غادرت ولم تبقى في المجلس الكبير سواها وسلمى التي استلقت مجهدة من خدمة النساء واحضار القهوة بلاتوقف .. وكذلك جوهرة التي جلست تظفر شعر ابنتها النائمة على حجرها .. وامامهم تجلس الجدة ممسكة بسبحتها .. في حين تهادت هدية للداخل..

تأملتها سيــادة بحنق ..

لم تكلف نفسها حتى عناء الكلام معها او النظر لها بلطف امام النساء.. بل على العكس .. هي تمعن في مصمصة شفتيها واظهار ضيقها منها كلما ادارت رأسها .. حركاتها واضحة ومكشوفة للجميع .. حتى انها سمعت بعض النساء اليوم يقلن ان المرأة الشمطاء هذه ليست راضيةعن زواجها ..

تباً لهـا .. كأنني أنا التي ركضت خلفه :..

فكرت بحنق .. قبل أن تنهض معيدة خصلات من شعرها تفلتت امام وجهها بنعومة وتضع على رأسها وكتفيها الطرحة الشفافة التي ترتديها حين تتنقل في أرجاء المنزل استعداداً للعودة الى غرفتها ..وهي تواجه هدية التي توقف منزعجة من المواجهة الصارخة لهذه الدمية الغريبة التي ابتليت بها ..

-انا لن أحضر غداً ..

قالتها سيادة بقوة وهي تقف مكتفة ذراعيها امام صدرها لترفع هدية حاجبيها وتسأل بحدة:

-ماذا تعنين؟؟

اقتربت منها وهمست بنعومة تخفي غضبها:

-كما سمعتني لن أحضر غداً احدى هذه الجلسات السخيفة ..

شهقت هدية بحنق لتنهض الجوهرة تقول بسرعة:

-لابد انك تعبت حبيبتي من كل هذه العادات .. .. معها حق أمي .. الفتاة عروس ونحن أثقلنا عليها..

احمر وجه سيادة لمعنى الجوهرة المبطن ولكنها لم تنكره وهدية تقول بحدة:

-كلكن كنتن عرائس وفعلتن مثل هذا وأكثر .. غداً هو يوم السابع لزواج ابني البكر .. ولن أسمح لهذه الفتاة أن تخرب المناسبة ..

اغمضت سيادة عينيها بحنق ثم فتحتهما لتهتف بغضب:

-اسمعيني جيداً .. لقد تعبت من هذا كله ولست مستعدة ابداً لأرهق نفسي ..

وعادت تصرخ بشراسة:

-الجو حاااار ورطب .. ونسائكن لايحلو لهن الا الثرثرة الفارغة وانا لم أعد أحتمل ..

ابتسمت هدية بسخرية وتشف وهمست:

-هل استسلمت بهذه السهولة يابنة سالم .. ؟؟ كنت أظنك أقوى .. ولكن .. هكذا هن أنصاف النساء..

-أنا لاأسمح لك ..

هتفت بغيظ وهي تشع شرراً ..

لتقسو عينا هدية للحظة وكادت ترد عليها رداً لاذعاً حين سمعا من خلفهما صوتاً خشناً يلقي السلام ..

انتفضت هدية الى ولدها الذي دخل بخطوات هادئة ناقلاً بصره بنفاذ صبر بين تلك المجنونة المسماة عرضاً زوجته .. وأمه ..

بالطبع عيناه انجرفتا في تأمله .. لم يقدر ألا يفعل .. فتلك تبدو وكأنها قد خرجت من كتاب الجنيات .. بملامح صاعقة الجمال وقد التف شعرها أعلى رأسها ليظهر عنقها الطويل وبياض بشرتها التي أكسبته الحرارة احمراراً شهياً .. في حين احاطت كتفيها طرحة بيضاء شفافة.. لاتكاد تخفي ذراعيها ..

"استغفر اللّه "

اشاح بسرعة وهو يستغفر الى جدته الى ابتسمت له بحنان وهو ينحني ليقبل وجنتيها وكفها المتغضن قبل أن يسرع لأمه ويفعل المثل مقبلاً قمة رأسها ..

عقدت سيـــادة حاجبيها بشدة وهي ترى ابتسامة والدته التي شقت حلقها وهي تضمه اليها وتدعو له من اعماقها .. شيئ بدائي هجم عليها ..وظهر في عينيها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نظرة مفترسة وهي تقبض على اصابعها بشدة حتى أذتها أظافرها وعقلها ينسج خطة سريعة تمحو بها تلك الابتسامة عن وجه حماتها التي انسجمت بحديث مع ابنها متناسية اياها نهائياً ..

قال أن تمثل ..

فكرت بخبث .. بحدود .. عادت تفكر .. لتقرر بلحظة وهي ترسم ابتسامة مهلكة على شفتيها وتقترب من ذاك المتحفز كأسد وهو لايقدر اغفال اقترابها منه .. أحاطت بذراعه بتملك واقتربت منه هامسة:

-وأنا ..!! أليس لي نصيب من التحية يابن عمي ..

كشرارة كهربائية .. اندفعت لمستها تجري عبر عروقه وتشعله .. منذ متى لم يضع يده عليها .. لم يقترب منها حتى .. منذ تلك الليلة حين اشتكته النساء.. منذ ذاك الوقت وهو ينأى بنفسه بعيداً عنها .. حتى لايقترب منها ابداً .. وهي بالمثل !!

انتفضت بقوة وهي تلامس ذراعه بقساوة الصخر .. حرارته لفحتها بجنون .. وتلك الرائحة العطرة الخفيفة التي تسربت اليها تركتها في دوار ..

وهو بالمثل .. رائحتها العطرة كأزهار الليمون هاجمته بعنف ..

مالذي عصف بها الأن ..؟؟ وأمام عائلته؟؟ وأخته الصبية الصغيرة؟؟

هل جنت؟؟!!

التفت اليها ببطئ لتصطدم عينيه بكل تلك الروعة في عينيها لم تهتز صلابة عينيه لحظة .. يتأملها ليغرق فيهما و تأسره الزمردة المشعة بلارحمة وتجلده بسوط من نار وهي تخترقه وكل دفاعاته ليتوه فيهما والنظرة الناعمة التي سلبته تفكيره للحظات .. قبل أن يعي للابتسامة الساخرة التي تألقت في عينيها وعلى طرف شفتيها المغريتين .. لتنتقل له وتتألق في عمق ثقبيه الأسودين وتلتقطها هي بسرعة لترتبك عينيها للحظة وترغب بالفرار .. بل تكاد تفلت ذراعه الصلبة التي أحاطت بها بتملك .. الا أنه لم يسمح لها .. كذاك اليوم .. شعرت بذراعه تتحرك بقوة لتحيطها بتملك سافر قبل أن يحني رأسه مقترباً منها برعونة حتى باتت أنفاسه تلفح وجنتيها ونظرته تسمر عينيها في قوة لم تملك حرية الفرار منها ..

-تحيتي لك واجبة يابنة عمي .. ولكن وحدنا ..

قالها بهمس رقيق .. ظهر للجميع انها همسة حب أثارت غيظ امه .. وحرج شقيقتاه .. وأثارت تصلبها .. فهي وحدها من استشعرت الوعد المرعب في طياتها .. ابتعد عنها بسلاسة وجلس الى جوار جوهرة

يلاعب ابنتها بحنان .. لتقف هي كالحمقى وسط المجلس الضخم وقد انصرفت والدته وسلمى لتجهيز العشاء .. والذي لدهشتها كان قحطان سيتناوله معهن .. ربما للمرة الأولى ..

لم تعرف اين تذهب ..هل تبقى ام تركض الى غرفتها .. ابتلعت ريقها تقدم ساقاً وتؤخر الأخرى .. لاتريد أن تأكل معه .. هي لم تفعل قط .. قررت الانصراف .. ستأكل في غرفتها فيما بعد ان شعرت بالجوع .. حسمت قرارها لتشيح بظهرها لهم وتتجه الى الباب ..

-سيـادة ..

هدر صوته لتنتفض برعب .. لم تسمع اسمها قط منه بتلك الطريقة .. كأنه يسن الحديد .. بسيطرة مهولة وقوة لم تخطئها ابداً ..

انتفضت لها كل دقات قلبها بطريقة مأساوية ..

-سيـادة..!!

هذه المرة بنعومة أفعى تلتف حول عنقها .. استدارت له مشلولة .. تنظر اليه والصغيرة تجلس على ركبته وتقص له ماشائت من قصص .. والجوهرة تنظر لهما باستمتاع..

-ألن تذهبي لمساعدة أمي في المطبخ ؟؟

قالها بحزم .. يحمل أطنان من السخرية .. جابهته بنظرة مصعوقة .. وهي تفكر انها قد .. في يوم من الايام .. قد تفعل مايقوله .. كادت تصرخ .. معترضة .. شاتمة حين تدخلت الجوهرة ضاحكة:

-مابالك قحطان .. زوجتك لم تمضي اسبوعها الأول .. وانت تأمرها بالذهاب للمطبخ.. مستحيل.. حتى امي لن ترضى..

لم تتغير النظرة الغامضة في وجهه وهو ينظر لها في حين نهضت الجوهرة تلملم طرحتها حولها وتهتف بسيادة الواقفة تنظر له بلاحراك:

-تعالي واجلسي الى جوار زوجك ياسيادة سوف اساعد امي أنا .. وسارعت للذهاب تلحقها ابنتها التي نظرت لسيادة بخشية قبل أن تتوارى خلف الباب ..ليبقيا معاً .. ترافقهما الجدة التي كانت مشغولة بسبحتها ولم تعرهما ادنى اهتمام ..

مضى يتأملها بصمت للحظات طويلة .. يتفحصها بعيني صقر .. لم تهملا منها أي تفصيل .. ولم ترحمها عيناه .. أثارت ارتباكها .. عصفتا بها بشدة ليست المرة الأولى في حياتها تتعرض لهذا التفحص الدقيق من رجل ولكن .. هو بالذات(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد

قائد) شعرت بالحر .. يخنقها .. وبحركة عصبية نزعت الطرحة عن كتفيها ورمتها الى آخر المجلس تحت ناظريه ..

-تعالي ..

همس بصلابة ..لتشهق بتوتر وهي تعي انها كانت تحبس أنفاسها .. وتقترب منه متأثرة بالنظرة الصلبة والقوة المفرطة .. وقفت أمامه فمد يده ليسحبها بقسوة من معصمها لتسقط فعلياً الى جواره وهي تكتم صرخة ألم كادت تفلت من بين شفتيها ..وهي تجاوره تماماً ..

لفحته أنفاسها الحارة ليلتفت لها ويهمس بشراسة:

-هل جلست امام النساء بهذا الشكل؟؟

اتسعت عينيها بحدة .. تأملت نفسها تهرب من عينيه وهمست باندهاش:

-ومابالة شكلي؟؟؟

شعر بدمه يفور .. ينظر الى كتفيها العاريتين .. عنقها ومقدمة صدرها البارزة تقريباً من فتحة الثوب الواسعة ليثور غضبه وهو يهمس ..

-انظري لنفسك جيداً .. انت لست في باريس وسأقولها لك للمرة الألف .. والان أجيبيني هل جلست بين النساء هكذا ام كنت تضعين شيئاُ ماعليك.. ؟؟

ابتلعت ريقها ودمدمت متلعثمة:

-الجو حار .. لم اضع .. آآه ..

تأوهت مرغمة وكادت الدموع تفرط من عينيها وهو يشدد قبضته عليها بقسوة لم تتحملها نظرت اليه مصعوقة وعيناه تبثان غضباً أسود حارق وهو يهمس بحفيف:

-لو رأيتك مرة .. ترتدين شيئاً كهذا يكشف أكثر مما يستر.. ستندمين سيادة .. أتفهمين؟؟

جف حلقها وهي ترى النار التي تشتعل في عينيه ..ولكن .. روحها العنيدة تمردت لوهلة وهي تنفض قبضته عن معصمها بحدة وتمسدها بأصابعها وهي تهمس بحنق:

-سأرتدي ماأريد وقتما أريد .. ليس هذا من شأنك قحطان.

غامت عيناه كلياً .. وباتت لاترى أي ملامح لاللغضب او السخرية تسكن مقلتاه وهو يهمس بهدوء خطير أثار ارتعاشة ذعر على طول عمودها الفقري :

-ليس هناك ماتريدين .. في هذا البيت .. انا فقط من أريد ووقتما اريد .. وأنت ستنفذين ماقول .. والا ستندمين.

تغلبت على ذعرها وهمست بغضب لم تعد تسيطر عليه:

-ماذا.. هل ستضربني..؟؟

ثقلت نظرته ..ثقلت لدرجة لم تتصور وطئتها ..وهي تقع عليها ..

تحبس انفاسها وتمنعها من تنشق الهواء:

-هناك وسائل ..

وتحت نظرتها المصعوقة .. نزلت عيناه ببطئ مثير لجسدها .. تشمله بنظرة متأنية أرسلت اليها ملايين الافكار التي جعلتها تشحب .. بلحظة .. قبل أن تحمر كحبة طماطم ناضجة وعيناه تعاودان استقرارهما على عينيها وهو يواصل بخفوت:

-غير الضرب .. عزيزتي ..

ابتلعت ريقها بصوت مسموع وهي تحاول الفكاك من أسر نظرته الثقيلة ولاتقدر .. رأته ينزع كشيدته السوداء عن كتفيه وبصمت يحيطها بها لتغطي كتفيها وصدرها وهو يهمس:

-ماهو لي يابنة عمي .. ليس لأحد الحق برؤيته .. ابداً ..

تسمرت من تلك النبرة التي هدر بها كلمة .. أبداا.. وكأنها زمجرة مفترسة ..

لم تتحرك من مكانها .. وعينيها تنسحبان بانهزام من أسر عينيه بعد أن فكهما بغلظة .. وهو يشيح عنها باتجاه الباب الذي دخلت منه سلمى تحمل صحفة ضخمة عليها أطباق الطعام .. وتلحقها الجوهرة بمثلها ..

رأت احمرار وجه سلمى وهي تراها متلحفة بكشيدة أخيها في حين ابتسمت الجوهرة بحنان وهي تنظر اليهما .. عصفورا الحب كما ظنت .. وهي موقنة ان ماحدث ذلك اليوم لابد أنه انتهى والى الأبد وهي ترى التقارب الحميم بينهما .. حالياً ..

جاءت والدته بعدهن .. تحمل ابريق الشاي والفناجين ..

جلس الجميع كالعادة على الارض في حين بقيت سيادة على المجلس تنظر لهم بفتور ..

أنهكتها تلك المشاحنة بينهما .. كثيراً ..

نظرت لرأسه الأسود العنيد بحقد.. ترغب أن تاخذ ابريق الشاي وتصبه على رأسه .. في حين التفت لها هو ببطئ وكأنه شعر بنظرتها المسلطة عليه ..

-الى متى تبقين هناك .. تعالي سيبرد العشاء..

نهضت حينها سلمى بسرعة تحمل طبق خاص وملعقة الى سيادة

هامسة:

-سيادة لاتأكل على الأرض .. لقد حضرت طبقها ..

-عودي الى مكانك ..

هدر صوته بعنف لتختفي ابتسامة سيادة التي أطلقتها لسلمى

بحبور .. وتتسمر تلك الأخيرة بذعر وهو ينظر لزوجته بشراسة لم

تخفى على احد..

-هل كنت تاكلين وحدك كل هذه المدة ؟؟؟

سأل بحدة لتتسمر هي دون رد وتجيب امه بحنق :

-بالطبع .. تتعامل معنا كالأميرات .. كم أحرجتنا امام النساء من كل

مكان..وهي ترفض تناول الطعام معهن.

اغمض عينيه يستعيذبالله من الافكار الشيطانية التي اجتاحته

وهو يفكر برد ملائم .. كيف لها ان تفعل هذا؟؟ نظر لها بوحشية ..

جعلت الدماء تفر من وجهها وهي تواجه نظرته :

-لا.. لاأعرف ..

همست بنبرة مهزوزة .. وهي تدافع عن نفسها ..

تباً كم تجعلها وحشيته ضعيفة .. أرادت النهوض والصراخ .. ولكن .. احتقن كل ذلك في اعماقها واختفت نظرة الثورة من عينيها وهي تحاول السيطرة على رغبة مهولة بالهرب ..

رأى اهتزاز نظراتها .. وللحظة رغب بأن يضعها على ركبتيه ويصفعها عدة مرات كما يفعل مع ابناء أخته فقط ليعلمها اصول التربية .. ولكن تلك النظرة في عينيها من أنقذتها ..

وبكل هدوء مد يده ليضع احدى الوسائد من المجلس الى جواره ثم أمسك بيدها وجذبها بسلاسة لتجلس عليها .. وتريح ركبتيها .. ثانية ساقيها تحتها .. وتحت نظراتها المذهولة سمعته يقول لأمه والبقية بثبات:

-لابأس أماه .. انها عروس وليست أي عروس ..

وأمام ذهولهن التفت اليها مبتسماً وهو يزيح خصلة تدلت من شعرها الى خلف أذنها هامساً:

-انها عروس الشيخ قحطان .. ويحق لها أن تفعل ماتريد ..

لم تصدق للحظة .. وظلت تنظر لرأسه وهو يعاود تناول طعامه مصعوقة .. بكل هدوء .. كأنه لم يقم منذ لحظات فقط بأكثر مارأته في حياتها جنوناً ..

لقد نصفها أمام عائلته .. وليس هذا فحسب.. بل هو اعطاها الحق لتفعل أكثر بكثير..

اختنقت انفاسها في صدرها .. ولم تقدر على تناول سوى القليل من الطعام بعيون شاردة .. وهي ترى تعامله البسيط للغاية مع اخته .. او ابنة اخته .. وحنانه المفرط في تعامله مع أمه وجدته ..

ثم رقته معها .. لم تتصور قط انه يمكن ان يكون رقيقاً هكذا..

يناولها الخبز كلما نفذ مامعها .. حتى انه ناولها كوب الماء حين شرقت .. وكفه تضرب منتصف ظهرها بثبات وقوة حانية ..

وانتهى العشاء بالشاي .. التي رفضت تناوله .. واكتفت بالنظر اليه وهو يؤرجح الصغيرة على ساقيه ضاحكاً .. وتخيلته مع اطفاله ؟؟

ولكن ممن ؟؟

احمرت بقوة وهي تشيح عنهما ونفسها تثور هاتفة باصرار" من أي أحد سواي" ..

تنهدت قبل أن تشعر بأصابع فولاذية تطبق على ذقنها وتجذبه لفوق ..

ارتفعت عينيها اليه بتعجب صامت لتقابلها عينيه السوداوتين المرهقتين وهو يهمس:

-لنذهب للنوم ..

احمر وجهها بقوة حتى منابت شعرها .. والمعنى المبطن لتلك الكلمات الناعمة يجتاحها بحرارة غير عادية .. كحمام ساخن وقفت تحته بلامقدمات ..

وبسرعة نفضت عنها احساسها الأحمق وانتفضت واقفة تلحقه وهو يزمجر:

-ضعي شيئاً على رأسك ..

توقفت بحنق والتقطت طرحتها لتضعها على رأسها كيفما اتفق وهي تراقبه كيف يقبل رأس أمه وجدته ويعتصر الصغيرة ابنة الجوهرة بين ذراعيه وهي تضحك بصخب قبل أن يلوح لشقيقتيه ولذهولها يحيط كتفيها بذراعه ويقودها الى الملحق الخاص بهما دون أي كلام ..

شعرت بحرارته تجتاحها من ضغط ذراعه .. وشعرت كذلك بتصلب جسده الى جوارها والذي حالما وصلا الى ملحقهما ابتعدت عنه الى أقصى الغرفة .. نظرت له بتوجس وهو يدور كليث حبيس .. عرفت أنه لم ينسى ماقالته أمه وأن وقت الحساب قد أتى .. ولكنها ليست المخطأة ولايعقل أن يجبرها على مجاراة عادات لم يسبق لها قط ان

علمت بها .. هو ينوي ان يؤنبها وهي تنوي القتال ليس لتبرير موقفها .. وإنما لتنتصر عليه .. تحفزت ورفعت رأسها وهي تستقبل نظرته الحادة وهو يقول بهدوء:

-أعرف أن الأمر شاقٌ عليكِ..

تشوشت الرؤية أمامها .. للحظة فقط لم تستوعب ماقاله ولا النبرة الحانية في طيات صوته .. فقط تسمرت تنظر اليه وانتابها الذهول وهو يواصل:

-الحياة هنا جديدة كلياً .. كلها مفاجأت بالنسبة لك .. لاأتوقع ان تفهمي كل الأمور او أن تنخرطي بها بسهولة..

قالها بتفهم جعلها تنظر له مسلمة وتنتظر .. بصبر ماسيقول بعد .. ليقترب منها وعيناه تحملان حزم وقوة:

-وعلى كل هذا أن يتغير..

يالهي ..

كم كانت مخطئة .. شعرت بالغضب وهو يواصل بعجرفة:

-ستواكبين أمي كظلها .. ستتعلمين منها أصول العيش وسط عائلتي واقربائي.. ستتعلمين منها كيف تكونين امرأة حقاً .. وزوجة لشيخ العزب .. أتفهمين؟؟!!

اغمضت عينيها ..

واحد .. اثنان .. .. عشرة ..

عدت بصبر وهي تتمنى أن تفتح عينيها وقد اختفى من أمامها .. فهي لاتعرف بالضبط ماقد تفعل لو رأت عينيه المتعجرفتين تنظران اليها مرة أخرى ..

وفتحتهما .. لتصعق بالنظرة العاصفة في مقلتيه .. نظرة أفزعتها وتركتها ترتجف وهي تتراجع عنه ..

لم يرى في حياته مثلها ..

خفق قلبه بعنف وهي تغمض زمردتيها وتظهر ملامح الغضب على محياها بطريقة لم يعهدها قبل .. كانت رموشها طويلة للغاية تلامس وجنتيها المشتعلتين .. وخصلات من شعرها الناري تلتف حول وجنتيها .. اما فمها .. !!

ثارت مشاعره برعونة وهو يتأمل انحنائته المثيرة .. اكتناز شفتيها المعذب .. وانفراجهما الشهي .. عصفت به مشاعر من رغبة لم يشعرها قط من قبل .. لتفتح عينيها فجأة وتواجه نظرته المفترسة .. وتتراجع صارخة برعب تجلى بصورة مثيرة في عمقهما الأخضر ..

ولم يسمح بابتعادها .. وبغريزة وحش امتدت يده بقوة تقبض على ذراعها وتقربها منه ..

رفعت كفيها غريزياً تصد اقترابه لتلامس عضلات صدره القوية تحت قماش قميصه المقلم .. وتحس بخفقات قلبه المتصاعدة بلاتوقف .. رفعت عينيها اليه لتقع في سحر وحشيته البدائية والتي تطل بوضوح من عينيه .. فتسارعت أنفاسها وهي تحاول الفكاك من أسر نظرته والهرب بعيداً بلافائدة .. كغزال شارد وقع في الأسر ذابت في عينيه وهي تستقبل حرارته المهلكة وتنعم باحساس جديد عليها .. احساس الخضوع !!

تحرقه أنفاسها .. حارة منعشة .. كنسمات صيفية .. تهب عليه بلاتوقف من بين شفتيها .. لم يقترب هكذا من امرأة قط في حياته .. كانت شيئاً جديداً عليه .. جديد بالكامل.. بقدر ماكان يكرهها .. بقدر ماكان لايطيق حتى النظر اليها.. كان .. في هذه اللحظة .. يريدها !!

اقترب ونظرته تشتد وطأة .. وقبضته تزداد قوة حتى سمع تأوهاً خافتاً منها .. لامست وجنته نعومة بشرتها الساخنة .. شعر بها تتصلب بين ذراعيه .. فخفف من ضغط يده .. أحاط بالاخرى عنقها

ليرفع وجهها اليه .. ويرى نظرتها المرتجفة.. وهي تسقط عليه .. شعر بارتجافتها بين يديه .. وهو يقترب يريد فقط .. أن يتذوق طعم شفتيها .. هاتان المثيرتان لكل مالم يشعره في حياته ..

فكر بجنون .. فقط قبلة واحدة .. !!

سيقبلنـــي ..

فكرت بروع .. ارتجفت أكثر وهي تنظر لعينيه المغيبتين بالرغبة ..

فكرت بذعر انه لن يترك لها الخيار .. سيأخذها الأن ولن تجرؤ على المقاومة .. بل حتى ان جرؤت فكيف تفلت منه .. كانت حرفياً تذوب بين ذراعيه .. حرارته محرقة وهو يفرض تسلطه الذكوري عليها بلمسة من يديه ..

فكرت بذهول انها تريد ان تعرف ..

ارتخت ذراعيها .. وبدل أن تبعده عنها .. كانت تستند الى صدره بضعف .. وركبتا الجيلي تعاودانها بلاهوادة وهي ترفع له عينين خاضعتين .. ويالللخزي .. متوسلتين مايرغبه بكل ذُل ..

ياللهول ..

ماأروع عينيها .. شعر بصفعة تدوي على وجهه وهو يواجه الخضوع المغري فيهما .. ارتجافة شفتيها واقترابها المستسلم منه أخبراه بتوقها هي الأخرى.. وان لم تشي به الكلمات ..

فكل شيء أخر .. يفضحه!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هل نظرت اليه هكذا ؟؟؟

دوت الصفعة الثانية وهو على بعد انش واحد عن شفتيها ..

ليتسمر .. وتقسو عيناه ثم تشتعل بالازدراء وهو يفكر بلاتوقف..

هل استندت عليه هكذا؟؟ هل توسلت له بالكلمات ؟؟ هل خصته بعبارات غزل ..؟؟

هل كانت تمارس عليه انوثتها كما فعلت معه للتو .. متمردة للحظة .. وخانعة في التالية ..

كاد يفرغ كل مافي جوفه وهو يبعدها عنه بدفعة كأنها عقرب سام .. ويتركها تنظر له بذهول غارق في عدم الفهم .. وهي ترى تقلب نظرته الحسية الى ازدراء وقرف صفعاها بقوة ..

أحاطت جسدها بذراعيها تحمي احساسها المفاجئ بالفقد .. وتتراجع الى أقصى الغرفة وهي تهرب من عينيه التي حملت كل مالن يقوله لها ..

رأته يشيح عنها ويسرع الى النافذة ..

وقف هناك يستند على اطارها بقوة .. تكاد يديه تحطمان الاطار الرفيع وعيناه بركة من دم ..

عليه أن يتشبث بشيء ما .. حتى لايقتلها .. وينهي هذا الاحساس البغيظ .. هذه المشاعر القاتلة ..

هل ارتجفت بين ذراعي ذلك الرجل كما فعلت معه للتو ..!!

أغمض عينيه بقوة وهو يحاول ازاحة الصورة من رأسه .. يحاول أن يبعدها عن عينيه ..

صورة زوجته بين يدي عشيقها ؟؟!!

كتم صرخة غاضبة .. كزئير اسد غاضب .. متوحش ..

سمع شهقتها .. وصرخ بها بصوت مكتوم:

-اذهبي الى غرفتك .. في الحاال..

لم تتلكك .. ركضت الى غرفتها بسرعة تتخبط في خطواتها حتى استقرت بأمان وحدتها واستندت على الباب تلهث كأنها ركضت ملايين الأميال ..

مالذي حدث ؟؟

كيف استسلمت بكل وضاعة للاثارة في عينيه.. ارادته وبكل قوتها .. شيء لم يحدث قط معها من قبل؟؟

توجهت لفراشها واستلقت عليه بملابسها .. وهي تنظر الى السقف بعينين متسعتين ..

حتى عبدالعزيز .. حين كان يحاول التقرب منها .. كانت تشعر بالاضطراب والتوتر .. تكره تلك اللحظات وتهرب من مجرد ذكرها .. تهرب من منطق انها كرهت تقرباته .. ولم تشعر يوماً بالضعف نحوه .. كما شعرته الأن بين ذراعي هذا الرجل الغريب.. اغمضت عينيها بقوة .. لتتسلل لها رائحته العودية بقوة .. تذكرها بتلك النظرة المجنونة بالرغبة المتوحشة في عينيه .. والتي أخضعتها دون نقاش الى ماكان يريد ..

لولا أنه هو من سيطر على نفسه ..

لا .. لم يسيطر عليها ابداً .. شيء ماجنَّ عليه .. شيء ما تدخل وقلب مشاعره لتلك الموجة العارمة من الازدراء والكراهية ..

فتحت عينيها لتنساب دمعة وحيدة بصمت ..

لتدرك حينها انها لاتزال متشبثة بجنون بكشيدته التي وضعها على كتفيها .. والتي حملت رائحته .. ضمتها حولها تحتمي من النسيم البارد الذي هب عليها من التكييف .. واستلقت على جنبها تطالع الفراغ ولاتزال الذكرى تهاجمها .. وتفرض عليها نفسها بلارحمة ..

***

-السلام عليكم .

شهقت واقفة بذعر مسارعة تغطي شعرها عن عينيه الشاخصة بعيداً عنها من الاساس واخفت نصف وجهها بطرف طرحتها

وخفضت عينيها عنه.. احمر وجهه بشدة وتوقف حائراً بما عليه أن يفعل أيدخل أم يلزمها المزيد من الوقت!! وكأنما يدخل على امرأة غريبة عنه وليست امرأة كلها حلاله!!..

تنملت قدماه وهو واقف بلاحراك امام باب غرفته وخشي أن يمر عليه احد والاسوأ شقيقته الثرثارة حينها قد يقع في مأزق من الإحراج .. وهم يتسائلون سر انتظاره ليدخل على امرأته ..؟؟

ولذا أحنى رأسه أكثر ودلف الى الداخل بسرعة قبل أن يتراجع في قراره عيناه مزروعتان في الأرض وبدون كلمة لتلك الواقفة في الزاوية اندفع الى دولابه يستخرج منه ملابس نومه ومنه مباشرة للحمام حيث استحم بسرعة وعاد يستلقي على مرتبته التي استضافته منذ زواجه بها!!!

أغلق عينيه يبتغي النوم بعد نهار مرهق في العمل .. ليقاطع محاولته صوت مكتوم لبكاء مزق نياط قلبه !! أغمض عينيه بقوة وكأنما يريد البكاء مثلها ففقيدهما واحد ومن حقه هو قبلها ان يبكيه حتى تذوب عيناه من البكاء .. رفع ذراعه على رأسه يريد ان يُسكت صوت شهقاتها المخنوقة ولم يقدر كانت تخترقه كطلقات الرصاص !!

استقام في رقوده وصرخ بها بحرقة:

- توقفي الان عن البكاء .

انتفضت من ركنها المظلم ونظرت له بذعر للمرة الاولى يصرخ بها وللمرة الاولى تتجرأ و ترفع عينيها في حضوره خصوصاً بعد ان اصبحت ملكه .. في الماضي كانت متعتها الحديث واياه والمزح معه لتثير غيظ الاخر واستفزازه ،، ولكن الان ؟؟!!

انسابت دموعها بصمت وعينيها لاتفارقان وجهه هو من بين الجميع كان لايشبهه ولايمت لحبيبها الراحل بشيء وكأنما هما غريبان ،..

ورأت شيء اخر .. رأت العذاب في شتى صوره بين ملامح وجهه المنحوتة كالصخر (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

انه يكرهها .. فكرت بمرارة ،، النحس الذي حل على اسرتهم كانت هي هو يكرهها لانها تذكره به ويالليهول فهو يذكرها به ..

معادلة صعبة وربما مستحيلة الحل .. فقدوه هو ولكنه سيظل للأبد حاجزاً مستحيل اختراقه بينهما !!!

اما هو فقد حرقت الدموع مآقيه وهو ينظر لها للمرة الاولى منذ زمن ولم يشعر بالرغبة في الابتعاد بعينيه عنها فحسب بل رغب بالهروب بكله منها والركض بعيداً بلارجعة..

نفض عينيه ونهض مندفعاً بغريزته لحمايتها كما وعد واقسم وقف على رأس فراشها وهمس:

- توقفي عن البكاء فلن يزيده سوى عذاباً .

شهقت بألم فواصل باصرار:

- لاتفعلي ياغزل فمحمد لايريد منك ان تبكيه فدموع الكون لن تكفيك .

نظرت له بدموع تغرق نظراتها ورأته يبتسم بحنان:

-محمد لن يكون سعيداً لتعاستك .

وجدت صوتها اخيراً وهي تهمس بشحووب:

- وهل سيسعده مافعلوه بنا يارعَّاد هل سيسعده معرفة ماوافقنا عليه .

كانت تتكلم للمرة الأولى منذ زواجهما .. شعر بعينيه تتسعان وهو يسمع نعومة صوتها الذيمزق قلبه كسكين حامٍ .. شق طريقه وأسال دمه بدون فوضى .. كانت للمرة الأولى تعترض أمامه على مانسجوه لهما .. ابتلع ريقه بصعوبة وخفض عينيه وهمس:

- اعلم ماتشعرينه وانا كنت افعل المثل ياغزل .. انا شعرت بخيانته وشعرت انني مجرم بلاقلب ولكن..

ثم رفع لها عينيه وهمس:

- لقد اقسمت له بأن احافظ عليك ياابنة العم .. احافظ عليك حتى اسلمك اليه يوم تعود الحقوق لأصحابها ياغزل.. واانت حق محمد اخي ولن أسمح لأحد ان يغير هذا .

نظرت له بذهول .. هل صحيح مايقول؟! فغرت فاهها وهي تتأمل ملامحه المتصلبة والتي تشع صدقاً ولم تجد ماتقول .. فواصل مبتسماً:

- انت أمانة في عنقي ياغزل .. أمانة حتى اسلمك بيدي لأخي اتفهمين .

هزت رأسها بتردد فاومأ لها بارتياح وهمس:

- جيد والان نامي قريرة العين ياغزل فكما كنا اخوين منذ الصغر لن يتغير هذا مهما ربطوا بيننا بعقود وسواها .. انت زوجة شقيقي .. حتى وان شهد شيخنا نفسه انك زوجتي!!!

-أتعني هذا يارعاد ..

همسها باسمه جعله يكتم صرخة عذاب كادت تقتله وجف حلقه وهو يتأمل كيف ارتخت كفها من طرحتها ليظهر له وجهها الفاتن كالبدر .. ووجنتيها مبللتين بالدموع وقد توقفت عينيها عن سكبها .. في حين بدأت تظهر على شفتيها شبه ابتسامة ..

-بالتأكيد..

همس بصوت ميت .. لتتسع ابتسامتها وهي تقترب منه:

-وأمي.. ماذا ستقول؟! وجدي وعمتي؟!

رفع يديه ليمنعها عن الاسترسال وهو يهمس بقوة:

-سنسافر الى عدن بعد غد ياغزل .. وهناك سنعيش لفترة طويلة ..

لاتقلقي .. لن يعرف أحد .. ثقي بي.

-أنا أثق بك ..

هتفت بلهفة .. لتقابلها ابتسامته وهو يقول:

-اذاً توقفي عن البكاء.. وأعدي نفسك لحياة مختلفة تماماً .. وسأكون

معك فيها خطوة بخطوة ..

اتسعت ابتسامتها وهي تومئ برأسها كالأطفال .. ليبتسم هو الأخر ..

بحنان .. ويراقبها وهي تركض الى فراشها وتعتليه .. هاتفة:

-تصبح على خير يابن العم ..

ابتسم بشرود .. واستلقى على مرتبته .. ونظر في السقف قبل أن

يغلق عينيه وهو يبادلها تمنياته بصمت .. ويلقبها بشيء اخر تماماً ..

لو سمعته .. منه هو .. لماتت من ذعرها ..

***

تلك الليـلة .. من عجائب الدنيا .. فهي لاتريد أن تنتهي .. !!

وقفت تنظر للسيارة المبتعدة بصمت .. تتأمل الحي الذي تعيش فيه ..

حيث كل انسان يهتم فقط بشؤونه .. بالطبع لهذا اختاروا العيش

فيه .. فعودتها كل ليلة الى المنزل في سيارة مختلفة لم يكن شيئاً ستسكت الناس عنه ابداً في الاحياء العادية !!

نظرت لهاتفها حيث ترك الرجل رقمه بابتسامة ساخرة .؟. مجنون ان ظنها ستتصل به مرة أخرى .. وقست عينيها الرماديتان بقوة .. انها ليلة واحدة فقط .. لاتسمح بأكثر من ليـلة واحدة فقط ..

أخذت نفساً واسرعت الى المنزل كان اضواء الصالة الصغيرة مضاءة .. اغلقت الباب ثم استدارت لتجد اسوأ كوابيسها ..

اتسعت عيناها مصعوقة وهي تراه .. ذلك الدب الوحشي يتربع على كرسي وسط الصالة تحت قدميه تكومت امها وفي الطرف الأخر اختها الصغرى تبكي بحرقة وتخفي وجهها بين ذراعيها .. وهو يقول بهدوء شرس:

-أخيراً عادت الأميرة ؟؟

حاولت نفض ذعرها وهي ترى جسد امها ملقى بلاحراك .. سقط قلبها بين قدميها وهي تسأل بصوت متحشرج:

-ماذا فعلت بها؟؟

مال زوج امها للأمام ممسكاً بشعر المرأة بقسوة يرفع رأسها لترى وجهها الملطخ بالدم وهو يقول بلامبالاة :

-لاتزال حية ..

شهقت صارخة وهي تراه يعود القاءها على الأرض بقسوة قبل أن ينهض متجهاً نحوها بخطوات مهددة لتتراجع صارخة:

-اخرج من بيتنا ايها الحيوان ..

اشتعلت نظرته باستمتاع وهو يحاصرها في زاوية الغرفة ويهمس:

-نادين .. نادين .. الجميلة ..

-ابتعد عني ايها القذر..

صرخت بشحوب .. لتفاجأ بهجومه عليها وهو يحيطها بين ذراعيه ..

صرخت بجنون .. قاتلت .. ركلته على ساقه .. اسفل بطنه .. ولكن كانت كمن يصارع وحشاً ..

سيطر على ذراعيها بقبضته بسهولة بينما امتدت كفه تكتم صرخاتها العالية بقسوة وهو يقترب بوجهها من عنقها الذي انزاحت عنه طرحتها وبات ظاهراً لعينيه الجشعتين ..

-كم انت جميلة .. ناعمة .. كم اريدك ياجميلتي..

همس بثقل الكحول التي خرجت مع أنفاسه لتثير التقزز في نفسها وتسبب الدموع لتنهمر بقوة من عينيها وهي تحاول الفلات من قبضته

التي صارت مؤلمة لها .. صارعت لتبعد وجهه عن عنقها وفمه المقزز يثير غثيانها بلمساته القذرة ..

صرخت بقوة وهو يقرب جسده الضخم من جسدها ليضغط عليها بقسوة .. حاولت الهرب والفلات ولكنه كان بقوة ثور .. وجنون سكير عربيد .. لم تقدر .. شهقت بالبكاء وانهارت قوتها المزعومة بلحظة ..

رأت الدنيا تصطبغ بلون الدم وهو يزيد من ضغطه عليها وملامساته القذرة .. سمعت صراخ اختها الصغيرة ..

وشعرت بصدرها يضيق بالهواء .. كانت تغيب عن الوعي .. كانت تحاول التشبث بوعيها علها فقط علها تنجح في مقاومتها البائسة ..

حين شعرت به يتهاوى فجأة ..

انفلتت ذراعاه من حولها دفعة واحدة لتشهق للهواء بكل قوتها ..

وتشعر به حاراً يندفع الى شعيباتها التنفسية بكل قوة .. وهي تتهاوى معه ..

كانت تلهث .. تفتح عينيها بضعف .. رأته مكوماً تحت قدميها بجسده فدفعته بقدميها بقرف وهي تشهق بالبكاء .. رفعت عينيها ورأت أمها تقف خلفه .. تحمل مضرباً ضخماَ .. تستعملانه لاسناد البوابة ..

وهي بالكاد تقف على ساقيها .. شفتيها تنزف وعينيها متورمة ..

-أمييي..

همست باكية لتقترب منها أمها ببطئ هامسة:

-هل أذاك؟؟

نهضت نادين تلاقي امها وتغرق في حضنها صارخة بوجع:

-لم أعد أحتمل .. يجب أن نخرج من هنا في الحال..

حاولت امها الاعتراض الا أنها لم تمهللها بل نظرت لها :

-انظري الى نفسك .. يجب أن آخذك للمشفى .. أنت تنزفين ..

كان الدوار يحيط برأسها وبالكاد تقف .. بالكاد تحاملت على نفسها

حين شعرت بيدي ابنتها الصغيرة وهي توقظها صارخة ان ابي يؤذي

ناديين .. انسابت دموعها وهي تنهض من اغماءها بعد الضرب المبرح

الذي لاقته .. التقطت اول ما رأت ونهضت بالكاد ترى شيئاً سوى ذلك

الحقير يتهجم على ابنتها .. !!

لم تعرف كيف اتتها القوة لترفع المضرب وتنزل به بقوة على رأسه ..

ليتكوم تحت قدميها .. تتمنى انه قد مات .. تتمنى هذا من كل قلبها ..

-امي سأخذك للمشفى ..

سمعت صوت نادين المصر فلم تقاوم .. كانت تغرق في اغماءة جديدة ..

وكل ماتذكره هو صرخة صغيرة قبل أن تتهاوى بلاحراك ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

كانت ليـلة هادئة ..

مملـة .. هكذا تمر الليـالي حين تكون المشفى خالية من المرضى .. زفر بتوتر وهو يجلس مؤرجحاً ساقيه على الكرسي وبيده كتاب ..

يحاول مغالبة النعاس الذي بدأ يهجم بقوة مصراً على انزال جفنيه في هذه المستشفى التي تقع في أطراف المدينة .. حيث جاء حظه ليناوب هنا الليلة .. لطالما عشق المناوبات في المستشفى المركزي حيث لايجد الوقت حتى للجلوس .. ولكن هنا !!

زفر بضيق واغلق الكتاب ونهض يحرك ساقيه .. تعب من كثرة الجلوس ..

الكل تقريباً قد نام .. المرضان .. تعالى شخيرهما بصورة مضحكة في حين اغلقت بقية المراكز في الطوارئ .. كان يعرف انه هو ورجل الأمن العجوز فقط من بقيا مستيقظان ..

توجه نحوه ووجده يبتسم له قائلاً:

-ليلة كسولة ها؟؟

ضحك وجلس الى المقعد الى جواره وعيناه تطوفان بالليلة الحالكة .. حارة ورطبة ..

-هل ترغب بالشاي دكتور؟؟

-سيكون هذا رائعاً ياعم أمين..

همس بنعاس .. ليشرع الرجل بصب كوب من الشاي للطبيب الشاب الذي جاء من بلدته ولايزال يحمل في نظراته وسكناته برائة أهل الريف .. وتحت جلده قوتهم وعزيمتهم ..

كان السكون غالباً .. والبوابة مشرعة تحمل بضع نسمات من الهواء حين همس علي:

-سيمر الوقت طويلاً قبل أن تشرق الشمس..

وقبل أن تكتمل حتى جملته شق صوت السيارة المسرعة سكون الليل .. واقترابها الحثيث من البوابة وصوت صرير اطاراتها بالأرض المسفلتة .. لينهض علي بحماس وقد نفض عنه أثر النعاس هاتفاً بالرجل:

-أيقظ عبدالله ياعم أمين .. بسرعة ..

أسرع امين بايقاظ المرض .. في حين دخلت السيارة الفاخرة عبر البوابة بصوت حاد وأمام عينيه الذاهلتين .. رآها تقفز منها .. قبل حتى أن تتوقف .. فاتنة .. حورية بشعر ناعم يتساقط على كتفيها كشلال منسوج بخيوط ذهبية .. ثائرة كفرس أصيلة .. اندفعت نحوه بكل

ثورة عينيها تئز دموعاً ماسية بلاتوقف وهي تصرخ بكلمات لم يفهم منها شيء..

تسمر امامها بلاحراك ناظراً للجمال المبهر بذهول وهي تصرخ:

-لما لاتتحرك .. ألا تسمعني ..

انتفض حينها وأبعد تلك الافكار الغريبة عنه بقوة وهو يسألها:

-مالذي حدث لك؟؟

نظرت نادين للرجل الواقف امامها بمعطف الاطباء بحنق وغيظ .. كان يقف امامها وعقله يسبح في عالم اخر ارادت صفعة لأخراجه من احلام اليقظة وهي تشير للسيارة صارخة:

-أمي هناك وهي تنزف ..

اندفع حينها يرافقه اثنان أخران وتعاونا لاخراج امها على محفة وادخالها للكشف الطبي..

وقفت نادين تنظر اليهم مرتجفة .. شعرت باختها الصغرى تقترب وتحيط بخصرها باكية فوضعت يدها عليها تشد من كتفها هامسة بقسوة:

-لاتبكي ..

ولكن الصغيرة انفجرت بالبكاء .. قبل أن تشعر نادين بمن يرفع غطاءها عن الارض ويضعه على رأسها .. التفتت بحدة لتجد الرجل العجوز ينظر لها بحنان فرمشت عيونها بقوة تنفض عنها أثر الدموع قبل أن تشيح عنه الى اختها وتأمرها بالتزام مكانها.. ثم توجهت الى الداخل ..

كانت أمها مستلقية على احد الاسرة وقد وضعوا لها بضع ضمادات على رأسها ورأت الطبيب يحادث الرجل الذي جائت معه ..

-أخبرني عن اسمها..

تسائل علي بهدوء ليتلعثم الرجل وهو يحاول تذكر الاسم الذي قالته له الفتاة دون جدوى قبل أن يسمع صوتاً رقيقاُ من خلفه:

-احسان ..

رفع علي عينيه للفتاة واهتزت نظرته الهادئة قليلاً وهو يواجه جمالها غير العادي .. قبل أن يخفض بصره ويكمل باقي المعلومات .. والتي قدمتها نادين باقتضاب وحرص .. قبل أن تتقدم وتسأل بتوتر:

-كيف حالها؟؟

-سنجري لها بعض الاشعة .. ونتأكد من بعض الكدمات لاغير..

مالذي حدث لها؟؟

تسائل بتوتر فتملكها احساسها العارم بالكراهية .. لذلك المجرم ومافعله بأمها الحبيبة .. التفتت اليها وهمست :

-وقعت عن الدرج..

نظر لها علي باستخفاف.. ونظر للرجل الى جوارها .. ماذا يقرب لها ياترى؟؟

كان يعرف بأن المرأة لم تقع .. الكدمات والجروح التي عليها تشير الا شيء من اثنين اما انها تعرضت لضرب مبرح او ان سيارة مسرعة قد صدمتها .. وهو يرجح الاول .. فعلى عنقها كانت تبدو اثار أصابع واضحة ..

ولكنه هنا .. في بلاده الشرقية العصبية لن تتكلم المرأة ابداً ..

-وانت من تكونين؟؟

نظرت له نادين ببلادة وهمست:

-انا ابنتها .. نادين ..

اضطربت يداه بقوة وهو يسجل الاسم الذي لم يسمع مثله من قبل .. شعر بجفاف في حلقه وهو يراقب كيف احاط الرجل بكتفيها وقادها لرؤية أمها .. قلبه ينهشه يود معرفة مدى قرابتها له؟؟ ترك القلم ومضى ينظر باتجاههما بشرود .. كانوا يأخذون السيدة احسان

للأشعة ورافقتها هي .. يتابع خطواتها بشغف للمرة الاولى في حياته .. تخطف اهتمامه امرأة..

ابتلع ريقه واشاح ببصره ..وهو يحاول السيطرة على نبضات قلبه التي تخونه للمرة الأولى .. لقد رأى الكثيرات .. زميلات دراسة .. مرضى وزميلات عمل .. ولكن ؟؟؟

للمرة الاولى كان قلبه يتجاهل ماتعلمه من سيطرة خلال سنوات ويقفز لمرأى امرأة غريبة ..!!

عادت بعد دقائق تحمل نتائج الأشعة .. لاتزل طرحتها تكشف عن خصلات ناعمة بلون غريب .. يضاهي لون عينيها الأغرب وهي تلمع بأثر من دموع .. ترتقب ماسيقوله بأمل ورجاء ..

ابتلع ريقه وحاول أن يسحب عقله بعيداً عن تلك الطاغية التي أمامه .. وهمس لها بصوت حمل ضعفاً لم يقدر على التخلص منه:

-نتائج الأشعة مبشرة .. لاتوجد كسور .. لايتجاوز الأمر بضع كدمات .. لاتقلقي ياا.. سيدة ..

قالها بخشية فنظرت له بغرابة .. نظرة تحمل بؤس العالم .. وقوة حاقدة تتألق من وراء عينين عاصفتين .. وهي تهمس بحدة:

-أنســـة ..

ليبتسم لاشعورياً .. وتضطرب عينيها لابتسامته ..

أخفض عينيه بسرعة قبل أن تسمع هي تأوهاً ونداءاً خافتاً من أمها ..

لتركض وتتركه وحيداً متدلهاً في ذكرى نظرتها الصاعقة ..

انحنت على أمها هامسة:

-لاتقلقي اماه .. لاتوجد كسور وستكونين بخير..

-لايجب أن تخبري أحد ..

همست أمها بألم فتألق العزم في عيني نادين:

-لاتقلقي أمي .. أخبرت الطبيب أنك وقعت عن السلم ..وهو لايشك بشيء.. نامي الأن .. وسأجد حلاً ..

-نادين ..

سمعت الصوت الخشن يناديها فشعرت بالضيق .. حين لم تجد من يقلها وأمها الى المشفى لم تجد سوى زبونها الأخير لتتصل به .. وكاد يجن فرحاً لأنها غيرت رأيها واتصلت به بعد اقل من ساعة من افتراقهما .. وكم كانت دهشته عميقة ترافقها خيبة الأمل .. حين عرف السبب الحقيقي لاتصالها ..

رأته متوتراُ فابتسمت بسخرية ..

-ماذا هناك عزيزي.. ؟؟

-يجب أن انصرف .. لقد تاخر الوقت .. وبصراحة أسئلة الجميع تحرجني..

اتسعت ابتسامتها وهي تشيح عنه بلامبالاة هامسة:

-اذهب..

-هل سأراك مرة أخرى ؟؟

تسائل بلهفة .. فقست عيناها ونظرت باتجاهه مجدداً قبل أن تهمس بصوت كالفولاذ:

-انسى ..

شحب وجه الرجل الأكبر سناً واقترب يستعطفها:

-ولكن حبيبتي .. انا ..

لم تتغير نظرتها وهي تهمس:

-اذهب الأن .. والا فإنني سأثير فضيحة واجبرك على البقاء هنا حتى الصباح ..

وأردفت بمكر:

-حاول ان تفسر الامر حينها لزوجتك عزيزي..

ازداد شحوب الرجل قبل أن يتراجع بسرعة ويتجه لسيارته وهي تراقبه بغضب مكتوم .. تفكر ان كلهم هكذا .. بلافائدة ابداً ..

لايوجد منهم من يستحق حتى التفكير به .. تباً لهم كم تكرههم كلهم ..

ازداد الغيظ في اعماقها وبات يشتعل ..

استدارت عنه حالما بدأ يشغل سيارته وينطلق بها .. لتجد علي واقفاً الى جوار امها ويحدثها بكلمات لطيفة .. شعرت بغرابة هذا الطبيب .. اقتربت بحذر وسمعت امها تضحك بوجع قبل أن يقول لها بصوت خافت:

-لاتضحكي سيدتي جروحك مؤلمة .. وستستغرق وقتاً حتى تتماثل للشفاء..

-كم من الوقت ستحتاج دكتور؟!!

همست له بنعومة .. فالتفت لها بسرعة .. اتسعت عيناه للحظة وهو يغرق في عاصفتيها قبل أن يتنحنح ويخفض عينيه بخجل لم يقدر ان يخفيه تحت انظارها الذاهلة:

-اسبوع تقريباً .. تحتاج للراحة والغذاء الجيد مع المسكنات .. وستكون بخير..

شعرت بغرابة الموقف.. لم تعتد أن يخجل اي رجل امامها .. قد يرتبك .. بل بعضهم يتجرأ أكثر .. ولكن هذا الرجل .. كان حقاً يخجل .. وتكاد تقسم ان وجهه قد احمر قليلاً ..

ابتسمت باستمتاع .. وهي ترى ارتباكه وتلك الحمرة الخفيفة في سمار وجنتيه قبل أن يستأذن معدلاً نظاراته ويتجه ليجلس على مكتبه .. تابعت أمها نظراتها وهمست:

-انه شاب طيب ..

-لايوجد طيبون امي .. فقط سُذج كفاية لنستغلهم ..

-نادين (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

حذرتها امها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فضحكت بصوت مخنوق وجلست تمسك بيدها:

-لاتقلقي حبيبتي .. استرخي وحين تكملين علاجك هذا .. سأخذك لمنزل خالتي .. سنبتعد عن ذاك المجرم حتى اجد وسيلة نهائية للقضاء عليه..

-لاتتهوري ابنتي..

هتفت احسان بقلق فأشاحت نادين بعينيها الى البعيد وهمست:

-لقد فات الاوان امي .. لقد قررت وانتهى الأمر ..

***

أخيراً حل الصبـــاح ..

أشرقت الشمس بعد عناء ليلة طويلة لم تغمض فيها جفن ..

نهضت بثاقل من على الفراش تزيح ستائره الشفافة وتتجول في الملحق الخالي الا منها ..

كان قد غادر قبل صلاة الفجر ولم يعد قط !!

تنهدت ومضت تتحرك هنا وهناك .. العرق يتصبب منها بعد أن اغلقت التكييف .. تريد اخذ حمااام طويل يريحها من ارهاقها ..

وفعلاً كان الحمام بالزيوت العطرية ماتحتاجه لتنتعش قليلاً من الجو الحار الخانق ..

وبعد خروجها ارتدت ملابس خفيفة وهي تصر في نفسها على عدم مشاركة النساء حفلهن اليوم وليذهب من يعترض للجحيم ..

ارتدت قميصاً عارياَ من القطن وتنورة قصيرة واستلقت تحت التكييف .. ترفع شعرها اعلى رأسها مستمتعة بالبرودة بعيدة عن الجو الخانق..

سمعت طرقات ناعمة على الباب وتعرفت الى طريقة سلمى الخجولة .. فصاحت تدعوها للدخول ..

انسلت سلمى بردائها الطويل وطرحتها التي لاتفارق رأسها تحمل صينية ارتصت فوقها اطباق الفطور.. ونظرت لمنظر سيادة المستلقية على كرسي ضخم بمسندين وقد تدلت ساقيها العاريتين عن مسنده بكل أريحية .. بكل ذهول .. فضحكت سيادة وهتفت:

-مابالك يافتاة .. ان الجو خانق اليوم .. حتى التكييف لاينفع ابداً ..

تلعثمت سلمى وهمست:

-الجو حار فعلاً .. ولكن .. ارتدي شيئاً .. لو رأتك امي..

وحبست انفاسها بتوتر فصاحت سيادة بعصبية:

-لايهمني احد انا في غرفتي ولن أخرج منها .. أخبريها بهذا ..

-ولكن مستحيل الليلة ستأتي الكثير من النساء.. انه سابع زواجكما انت وقحطان .. الكثير من نساء البلدة والبلدات المجاورة سيحضرن .. وجدي أمر بذبح الذبائح .. لايعقل الا تأتي العروس ..

أشاحت سيادة بوجهها بضجر فتوسلتها سلمى:

-سيادة لاتكوني عنيدة .. ارجوك .. أمي وقحطان سيغضبان منك .. ناهيك عن جداااي .. ستكون فضيحة سيادة ..

-لايهمنـــي ..

همست ببرود .. فاتسعت عينا سلمى قبل أن تضع مابيدها على طاولة قريبة وتنظر لسيادة بانزعاج:

-قحطان لن يعجبه هذا الأمر .. وأنت لاتريدين اغضاب أخي اليس كذلك..

ارتسمت السخرية على شفتي سيادة فزفرت سلمى بضيق واندفعت للخارج .. فاعتدلت سيادة وهي تفكر في كلام سلمى .. هل سيغضب منها ؟؟

قبل أن تزم شفتيها بحنق وتفكر .. فليذهب للجحيم ..

وعادت تسترخي .. حين سمعت طرقات أخرى .. زفرت بضيق وأدركت انها لابد لحماتها الشيطانة !!

نهضت على مضض وفتحت الباب .. واتسعت عيناها بدهشة:

-فرااااس؟؟؟!!!

ابتسم فراس بحنان وهو يفتح ذراعيه ليستقبل أخته التي انفجرت بالبكاء حال رؤيته .. وارتمت على صدره تشهق بلاتوقف ..

كان يجب أن يراها قبل أن يغادر ..

كان يجب أن يرى شقيقته قبل أن يرحل في سفر قد يطول لسنوات ..

-اشتقت لك ايتها الشقية ..

نظرت له سيادة بحزن وألم ..

-لماذا لم تساعدني ..؟؟!!

نظر لها باضطراب .. وابتعد لتصرخ به باكية:

-أرسلت لك رسالة وعرضت نفسي لخطر الانكشاف.. ورجوت لساعات أن تخلصني مماسيفعلونه بي ولكنك لم تأتي..

-أنا أسف ..

تمتم بشحوب لتصرخ باستنكار:

-آآسف؟؟؟ كيف تأسف وأنت لم تفعل لي أي شيء فرااس .:. أنت حتى لم تحاول ..سلمى اوصلت الرسالة لك ولخاطرت أن يعرف أخوها بالأمر .. وهذا يعني القتل هنا لمعلوماتك..

-سلمى ؟؟

تسائل وهو يضع اسماً لتلك القامة المشوقة الفاتنة .. فهتفت بحنق:

-شقيقة قحطان .. التي أوصلت لك الرسالة؟؟

وهو من كان يظنها خادمة ؟؟ تلك تكون ابنة عمه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) شعر بالدهشة ليخرج منها على صوت اخته صارخة:

-أخبرني مافعلت لتنجدني.. ؟؟

ليهتف مبرراً:

-لقد كلمت أبي.. ولكنه لم يرضى..

-كان عليك الاتصال بالقنصلية .. كان عليك اخبار امي وعبدالعزيز ..

هتفت باكية وهي تضرب الأرض بقدمها بحرقة .. فساعدها فراس على الجلوس وهو يهمس:

-اهدئي حبيبتي .. اهدئي .. يجب أن نفكر بطريقة للخلاص.. أنا سأسافر بعد غد الى باريس ومنها سأذهب لأمريكا .. حال وصولي سأخبر أمي وهي ستخلصك ..

نظرت له موجوعة وهتفت:

-مالفائدة .. لقد تزوجت بذلك الرجل وانتهى الأمر .. لن يسمح لي بالرحيل قط ..

توترت عينا فراس وجلس الى جوارها محيطاً كتفيها بذراعه وهو يهمس:

-سنفكر بحل ما .. ليس من المعقول ان نتركك مع رجل لاتحبينه .. وهنا وسط الصحراء دون ان نفعل شيئاً..

-كان يجب عليك فعل شيء ما قبلاً فرااس .. وليس الأن ..

غمغمت باستسلام وهي تقبع على صدره فزفر بضيق ممسداً ذراعها بحنان .. كان يريد أن يطمئنها بكلمة ما .. ولكن كل الكلمات غادرته حين هب اعصار ينتزعها من بين ذراعيه وزئير أسد يهدر في أذنيه ..

لم تفهم سيادة أي شيء..

كانت بين ذراعي أخيها ولأول مرة منذ جائت الى هنا .. تشعر بالامان والراحة .. حين هب ذلك الاعصار..

شعرت بقبضة فولاذية تقبض على يدها وتنتزعها من حضن أخيها وتلقي بها في حضن أخر..

قاسٍ .. صلب ..

شهقت بذعر وهي ترى ملامحه السوداء الغاضبة وهو يخاطب شقيقها بقسوة ..

حاولت ان تترجم مايقوله ولكن .. صوته كان مرعباً ..

زئير عاصف لم تفهمه ..

حاولت تمالك نفسها وهي تسمع فراس يصرخ بعصبية:

-هل جننت قحطان ؟؟ انها أختي؟؟

لم يعد يرى أمامه من فرط الغضب ..

تعالى فيه احساس حارق لم يشعر له مثيل حين دخل الى غرفته ووجدها غارقة بي ذراعي أخيها بتلك الملابس الفاضحة .. لم يرى الا السواد وهو يهجم عليها لينتزعها بقسوة من بين احضانه ويشتعل بغضبه ويصبه عليه ..

-أختك أولا .. لايهمني هذا الأمر الان .. لايدخل رجل الى هنا حتى وان كان أبيها دون اذن مني .. أتفهم ..

اتسعت عينا فراس مصعوقاً ..

لم يصدق عينيه وهو يرى ذلك المتخلف يقبض على شقيقته بقوة وتحكم وكأنما يخفيها عن عينيه .. هل يغار عليها؟؟!!

فكر بسخرية .. حاول اخفاءها ولكنها تفلتت منه بضحكة وهو يهتف:

-أتغار عليا مني أنا؟؟

اسودت عينا قحطان وبات جسده متحفزاً للفتى اللاهي الواقف امامه والذي قال مداعباً في محاولة لتخفيف الجو المشحون:

-تلك التي تغار عليها نامت في فراشي مختبئة من صوت العواصف منذ طفولتها .. لتأتي الأن وتبعدها عني؟؟

أفلت قحطان يد زوجته واقترب من الفتى الساخر وهو ينوي سحق ابتسامته تلك من على وجهه ليتراجع الفتى بذعر حقيقي وهو يدرك انه فعلاً تجاوز حدوده مع هذا الشرقي المتعصب حد الجنون .. ورفع يديه:

-هييه .. لاتتهور ياابن العم .. انها شقيقتي .. تذكر هذا ..

-غادر الأن ..

زمجر قحطان محاولاً السيطرة على أعصابه بصعوبة .. فتراجع فراس .. ونظر لأخته المصعوقة بصمت قبل أن يغادر مسرعاً .. حينها فقط اغلق قحطان عينيه بسرعة محاولاً السيطرة على غضبه الذي تفجر دون حساب ..

مالذي دهاه ..؟؟

هل جُنَّ أخيراً ..؟؟

-مالذي فعلته؟؟!!

سمع الهمسة المخنوقة خلفه .. فلم يستدر نحوها قط .. بل تصلب في وقوفه وهي تصرخ به:

-كيف تطرد اخي ؟؟

-لقد جاء هنا بغير اذن..

همس بصوت بارد لتصرخ باستنكار:

-وهل اطلب اذن كل من يأتي لزيارتي؟! هل تحبسني؟!

نظر لها ببطئ وشملتها نظرته بحركة واحدة جعلتها تعي عريها لعينيه .. وتشعر بجفاف في فمها وهو يتلكئ بعينيه على ساقيها الطويلتين .. قدميها الحافيتين ..

-ألم اقل لك أن تتستري في لباسك ..

همس بصوت ينبئ بعاصفة .. فابتلعت ريقها وهمست:

-انا لم أخرج .. كما أن الجو حار.. و..

وابتلعت باقي عبارتها وهي ترى نظرته الصاعقة والازدراء يشملها ..

تراجعت ليقترب ويهمس بشراسة:

-لاأريد اعادة ماسأقوله مرة واثنتين سيادة .. إياك .. إياك أن ترتدي هذه الثياب مجدداً .. حتى حين تكونين وحدك أتفهمين؟!!!

التمعت الدموع في عينيها ولكنها لم تبكي .. ليس أمامه ..

حاولت ابقاء عينيها في عينيه.. ولكن .. نظرته كانت شديدة الوطئ عليها .. شعرت بها تجلدها وتكاد تجرحها .. همست مخنوقة بأنها تفهم .. ليتراجع وهو يستغفر .. أغمضت عينيها تحاول ان تخفف عنها

شعورها بالخزي من ضعفها لتسمعه يقول بصوت لايحتمل حتى النقاش..

-ستحضرين مأدبة اليوم .. كما أن جدي يريد رؤيتك ..

لم تعترض .. لم تفكر حتى بالاعتراض وغصة تتجمع في حلقها وتمنعها .. مسدت عنقها بتوتر وشعرت به يغادر الغرفة صافقاً الباب خلفه بقوة ..

لقد أعطى الشيخ أوامره وليس لها سوى التنفيذ..

***

-سأسافر أبي..

نظر سالم العزب لابنه بهدوء.. كان فراس يتنقل في غرفة ابيه بعصبية .. هاتفاً:

-سأحجز للرحلة غداً .. لم اعد أطيق البقاء هنا ابداً ..

تنهد والده وقرر أن يفاتحه بما خطط له بهدوء طيلة الأيام الماضية..

-ستعود الى باريس؟

-لبضعة ايام .. ثم سأذهب الى نيويورك .. دراستي ستبدأ بعد شهرين واحتاج للتجهيز .. تعرف هذا أبي ..

-بالطبع ..

رآن الصمت عليهما لفترة قبل أن يهمس سالم:

-هناك ماسأطلبه منك قبل سفرك..

نظر له فراس بقلق .. لينظر له أباه بصلابة:

-تزوج ..

ارتفع حاجبا فراس بتهكم قبل أن يطلق ضحكة عالية .. يتزوج؟؟!!

لقد جن أباه فعلاً..

-أنا ؟؟!! أتزوج ؟؟ ولكن لماذا أبي؟؟

ابتسم سالم بثقة .. ولم تهزه سخرية ابنه:

-لأنني أقول هذا بني.. ستتزوج وتذهب معها حيثما تريد..

نظر فراس لأبيه بتوتر وهو يستشعر الثقة المطلقة والحزم ..

-أبي انا لن أتزوج .. لقد ناقشنا هذا قبلاً .. واخبرتك ان الزواج اخر

مافكر به..

-كان هذا في الماضي بني .. ولكنك الان ستعيش وحدك في مدينة

جديدة ويجب ان أطمئن عليك ..

-والزواج سيطمئنك؟؟

قالها مستنكراً .. فلم تتغير نظرة سالم ابداً .. ليهتف فراس بحزم:

-لا أبي شكراً .. أنا لن أتزوج ..

-بلى فراس .. ستتزوج وقبل سفرك ..

اتسعت عينا فراس وهو يستوعب منطق ابيه اللامعقول .. يتزوج وقبل سفره !!

-انت لست جاداً .. ؟؟

همس بشحوب لينهض اباه وينظر في عينيه:

-زواجك في كفة .. ودراستك في كفة أخرى بني..

-أتهددني؟؟ مجدداً ابي؟؟

همس بشحوب ليصرح اباه:

-انها مساومة .. ليست تهديد ..

نظر لأبيه بعدم تصديق .. وتسائل:

-ومن تكون سيئة الحظ ..

ابتسم سالم بحنان:

-انها ابنة عمك.. لن تجد أفضل منها ابداً ..

عقد فراس حاجبيه .. ابنة عمه ؟؟ تلك المجنونة ؟؟

-أنا لن أتزوجها ..

همس بتصميم ليبتسم ابوه بثقة:

-فكر .. لا انتظر منك رداً الليلة .. فكر جيداً .. لا زواج .. لاسفر..

ابتلع فراس ريقه وصرخ:

-ستساندني أمي ..

ضحك سالم ملئ شدقيه .. فتوترت نظرات فراس وهو يراقب اباه:

-امك لن تفعل ولن تعطيك شيء .. انت تعرف هذا جيداً ..

عض فراس شفتيه بحنق .. يعرفه حق المعرفة للأسف .. ابتلع ريقه بصعوبة ووالده يهمس:

-فكر بني.. لن تجد من يهتم بك ويصونك سوى ابنة عمك .. انها شابة صغيرة جميلة وستربيها على يديك..

أشاح فراس بوجهه عن ابيه .. يكره هذا التهديد .. يكره هذا الابتزاز..

-سأنتظر قرارك غداً .. حتى ننهي كل الترتيبات ونتمم الزواج بسرعة قبل أن نسافر معاً الى باريس ..

نظر لأبيه مجدداً ورأى نظرة الثقة التي تصاحب التسلط ..

شعر بضيق يجثم عليه ولم يعرف كيف يجيبه ..

لذا وبكل انهزامية غادر .. سيفكر ..!!

سخر من نفسه .. والده أحكم لعبته .. ولن يتركه حتى يقع في الفخ ..

***

وقف على مشارف المزرعة التي كانت تدخل في موسم الحصاد شيئاً فشيئاً .. مزروعات ومحاصيل ..يشعر في كل مرة يراها بالفخر .. شعر بحركة من خلفه .. التفت ليجد أخاه الأصغر:

-كيف الحال رعاد؟

-بخير..

همس باقتضاب لينظر له قحطان بصمت.. كان يعرف مايعانيه أخيه .. لاينكر مايشعر به من أسى ولكن .. كل ذلك وجب أن يحدث ..

-هل جهزتما للسفر؟؟

-ان شاء اللّه .. سنغادر غداً بعد صلاة الظهر..

-ان شاء اللّه ..

-وأنت اخي كيف امورك مع ابنة العم (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟

تصلب قحطان وعاود نظره للمزرعة .. يريد فقط أن يرتاح من ذكراها وذكرها الذي يحاصره في كل مكان .. وهمس بشرود:

-لاشيء مميز..

نظر له رعاد بدهشة .. لم يعتد من قحطان هذا الهدوء.. كان ينتظر زمجرة وامراً بعدم التدخل في شؤونه .. هز كتفيه وقال:

-لنذهب للصلاة اذاً .. سيبدأ الضيوف بالتوافد لغداء السابع ..

زفر قحطان بضيق .. وهو يفكر بجدوى تلك المناسبات العقيمة التي يصر جده لاحياءها في كل مرة ..

-هل سيأتي عمرو الشهري؟؟

-لا انه مسافر خارج البلاد..

اجاب باقتضاب فآثر رعاد الصمت .. وهما يتجهان للمسجد ..

في المساء ..

كانت سيادة تنتقي ثوباً بلون المرجان الذهبي .. عاري الكتفين وعميق فتحة الصدر .. يصل لكاحليها .. ثم ارتدت عليه سترة من الدانتيل الذهبي الغامق ..

وقفت أمام المرآة كحورية من ذهب ..ورفعت شعرها أعلى رأسها ولم تترك أي خصلة لتنساب امام وجهها او على جبينها .. كانت عينيها تبرقان بقوة وسط لمعانها الذهبي ..

سمعت حركة خلفها ..

وعبر المرآة رأته .. كان يقف خلفها تماماً .. كيف تسلل هكذا دون أن تراه ؟؟

شعرت بالبرودة تجتاحها .. وتصلبت أطرافها وهو يقيمها عبر المرآة بعينين تلمعان بشدة ..

كانت فائقة الجمال وتدرك هذا .. شعرت بالزهو لجمالها .. حتى أنها ابتسمت له عبر المرآة وهي ترى نظرته المسلطة عليها ..

تنحنح يجلي حنجرته .. قبل أن يقول بصوت ثابت:

-سيتوقع الجميع أن يرو هديتي عليك .. انها تقاليد السابع يابنة العم..

حبست أنفاسها وهي تعي اقترابه وهمست ماخوذة بنظرته المتحكمة:

-أي هديـة؟؟

شعرت برؤوس أصابعه على جانبي عنقها فشهقت قبل أن ترى المعدن الثقيل يلامس جيدها ويتدلى بسلسال ضخم حتى صدرها ..

كان عقداً بديع من الذهب .. ويحمل حلية مزينة بالزمرد تألقت على عنقها الأبيض .. ونافست تألق عينيها ..

-انها جميلة ..

همست بصعوبة .. وأصابعه تتلكئ على عنقها وانفاسه قريبة منها:

-انها تناسبك .. ذهبيـة .. نارية .. مشتعلة .. مثلك ..

اتسعت عيناها بذهول .. قبل أن تشعر بانسحابه باضطراب للخلف ..

ياارب الكون انها تثير جنونه .. كلما اقترب منها وكأنما يفقد جزءاً من عقله الى جوارها ..

ابتلع ريقه ووضع لها العلبة المخملية التي تحوي على باق الهدية من حلق وخاتم مماثل وهو يقول بصرامة:

-ضعيها .. ستسألك النساء عليها ..

اومأت صاغرة .. ثم تأملته سراً وهو يخرج ملابسه ويتوجه للحمام ..

شعرت بالخجل وهي تراه يفتح ازرار قميصه ويظهر صدره الواسع امام عينيها .. وكأنها لم ترى قبلاً رجل عاري الصدر؟!

كيف وجوده حولها يشعرها انها ترى وتفعل كل شيء وكأنها المرة الأولى ..!!

تنهدت وهي تسرع لاكمال زينتها قبل خروجه ..

وبالفعل كانت ترتدي حذائها ذو الكعب العالي حين خرج بكامل ملابسه ..

شعرت بقلبها يكاد يتوقف ..

كان يرتدي قميصاً اسوداً .. وبنطال بلون الرماد .. وبكل هدوء التقط كشيدة رمادية موشحة بالاسود وربطها على رأسه كالعادة .. بعد أن مرر مشطاً على شعره القصير بسرعة فائقة .. ..

توجه نحوها وهمس:

-لاتتصرفي بجنون .. كوني حريصة على الظهور كما يجب ان تكوني.. زوجة لشيخ العزب .. وبعد احتفال النساء سيجتمع بنا جدي .. جميعاً .. فالليلة نودع رعاد وغزل .. اتفهمين..

رفعت عينيها اليه .. للحظة رأى اضطرابهما قبل أن تهمس بصوت ناعم:

-حاضر..

عقد حاجبيه لخضوعها التام.. ثم شد من قامته وهمس بخشونة ..

-هيا معي ..

نهضت بسرعة وضعت طرحتها وتقبلت يده الممدودة وتآبطتها بتردد اقتربت منه مرغمة واشتمت عطره العودي والذي تسلل ممتزجاً برائحته الخاصة كلياً .. شعرت بالدوار .. وتشبثت به بقوة وأظافرها تنبش بقماش قميصه الحالك ..

نظر لها متعجباً فخفضت عينيها ..

أشاح بوجهه عنها بسرعة ومضى للخارج يحاول تناسي مابدا له من جمال وجهها حينها .. الظلال الذهبية على جفنيها .. لون النحاس المطعم لشفتيها .. وفوق كل شيء كانت رائحتها المميزة بزهر الليمون ..أخذ نفساً يسيطر به على دقات قلبه .. وقادها للخارج .. اوصلها الى امام الممر المفضي لدوار النساء وهمس اها بخشونة:

-أحسني التصرف ..

زمت شفتيها بحنق ونظرت له متجاهلة الخجل الذي كاد يذيبها:

-لست طفلة..

نظر لها بادراك فاحمرت وهي تصيح :

-لست طفلة اقول لك..

تنهد واشار لها أن تذهب .. وقفت أمامه بعناد فعقد حاجبيه بصرامة:

-ادخلي بسرعة قد يأتي أحد .. وانت تقفين هكذا..

زفرت بحنق واستدارت عنه ولم تنتبه لتلك الابتسامة التي لاحت على شفتيه وهو يشيعها بنظرة لم يفهم حتى هو مغزاها .. تقدمت للمجلس حيث رأت عمتها وجدتها ترافقهما والدة غزل وبضع نساء اخريات من العائلة الضخمة حالما دخلت وكالعادة تعالت الزغاريد والتهاني من كل صوب ولاحظت ان بعضهن جئن بالهدايا ولكن شيئاً

من الاهتمام لم يظهر على وجهها وهي تجلس لجوار الجوهرة وغزل تحملت كل شيء برأس مرفوع وعزيمة قوية وابتسامة لم تغادر شفتيها ..

هذه المرة تصرفت كسيدة حقيقية ..

ابتسمت للجميع وبدأت بحفظ الاسماء .. والعائلات شاركت بالتصفيق للرقص .. واعتذرت بلبقاة حين دعونها للمشاركة.. كانت ترى نظرات جدتها الباسمة برضا لم يسعها فرحاً .. وكادت تقع على ظهرها من الضحك وهي ترى ملامح عمتها الساخطة ..

ثم جائت هي .. !!

رأت عمتها تنهض مرحبة بطريقة مبالغ فيها .. بسيدة غريبة .. لأول مرة تراها ومعا فتاتين احداهما ترتدي الزينة الكاملة كأي امرأة متزوجة .. والأخرى اكتفت بثياب بسيطة دون زينة كعادة العذراوات هنا ..

ورأت سلمى تنهض معانقة الفتاة وتهمس لها بشيء قبل أن تقودها بعيداً مع بقية الفتيات .. في حين اقتربت عمتها منها تقود المرأة الكبيرة والأخرى الاصغر منها الى حيث تجلس هامسة باضطراب:

-هذه هي العروس.. سيادة ..

نظرت سيادة بهدوء ممزوج بالفضول للمرأة التي نظرت لها بكراهية شديدة لم تحاول اخفاءها وهدية تقول :

-وهذه أم مريم .. جارتنا وزوجة كبير أل المدكر.. وهذه مريم ابنتها الكبرى ..

نقلت سيادة بصرها بين الام الشمطاء وابنتها قبل أن تبتسم بسخاء وتمد يدها لهن بتواضع هامسة بكل الدلال الذي في الدنيا:

-مرحباً بكما .. تفضلا ..

اتسعت عينا الفتاة وأمها وهما تنظران لها والى لكنتها الغنية قبل أن تلكز الفتاة امها وتسرع تلك برد السلام ومصافحة سيادة بخفة تتبعها ابنتها التي قالت بتوتر:

-اعذرينا لم نحضر زفافك .. ولكننا كنا في سفر ولم نعد قبل أمس..

اتسعت ابتسامة سيادة واومأت برأسها قبل أن تشير هدية للأم ان تتبعها بغيظ .. وتلحقها مريم ابنتها بينما سمعت الجوهرة تضحك مخنوقة ..وغزل تحاول اسكاتها بشتى الطرق ..

-مالذي يحدث هنا ؟؟

همست بغيظ لتشيح الجوهرة عنها وتقول:

-لاشيء .. لاشيء..

-بلى هناك شيء من يكونون هؤلاء ؟؟ ولماذ لاتطيقني المرأتان ..؟؟

-نظرت لها الجوهرة بصمت وعينين ممتلئتين بالضحك والخبث..

فزجرتها سيادة بقوة:

-تكلمي جوجو الان ..

-كانت تلك الفتاة هناك لتكون مكانك الان..

التوت عنق سيادة بحدة الى حيث تشير الجوهرة خفية .. وضاقت عينيها باشتعال حارق وهي ترى الفتاة التى تجلس الى جوار سلمى ..

تأملتها للحظات قبل ان تنظر للجوهرة :

-ماذا تعنين؟؟

-تلك الفتاة كانت هي العروس المختارة لأخي قحطان من قبل أمي..

وجدتي أيضاً ..

لماذا ازدادت الحرارة ؟؟

جف حلقها وشعرت بالعرق البارد يتصبب على ظهرها وهي تعتدل ونظراتها الحادة لاتفارق تلك الفتاة .. التهبت نظرتها وكادت تحرقها شخصياً وهي تشخص اليها .. شعرت بأن أصابعها تكاد تمزق قماش ثوبها .. ولم تتمالك نفسها .. قوة ساحقة تلك التي انتزعتها من مجلسها لتقف متوجهة الى حيث الفتاة ..

سمعت صوت الجوهرة يناديها ولم تأبه .. يجب أن تراها .. يجب..

تقدمت حتى وقفت مشرفة عليهن ..

قفزت سلمى واقفة وهي تبتسم بابتهاج لاتعي التوتر الذي احاط بالجميع حولها وسيادة ترسم على شفتيها ابتسامة باردة وتهمس:

-أن تعرفيني على أصدقائك سلمى؟!

اتسعت ابتسامة سلمى وبدأت تعرفها على كل واحدة على حدة ..

وترى ابتسامات صديقاتها البلهاء وهن ينظرن لذلك الجمال الساحق امامهن .. وازدادت ابتسامة سيادة غروراً .. حتى وصلت اليها ..

-هذه منى .. ابنة أل مدكر .. جارتنا وصديقتي المقربة ..

قالتها سلمى بفرح .. ولم تفطن للنظرة السوداء التى لاحت على وجه سيادة وهي تقيم الفتاة التي نهضت تقف امامها بارتباك ..

كانت اقصر منها قامة وساهم كعب سيادة العالي بإظهارها اكثر طولاً ..نظرت لها بامعان ..

هذه كانت لتحل مكانها؟! فكرت بسخرية .. هذه الفتاة التي لم تتجاوز عمر الطفولة بعد .. بشعر املس بلاحياة بلون قاتم كئيب .. يصل حتى خصرها .. بشرة باهتة .. ملامح طفلة .. دون اي ملامح

انثوية .. نحيلة كالقلم .. وانتقلت سخريتها الى شفتيها .. وهي تنهي تقييمها للصغيرة التي كان من المفروض أن تلعب دورها ..

قبل أن تمد يدها لها باستخفاف لتلامسها تلك بأطراف أصابعها بتوتر .. وترفع لها عينين خجولتين .. قبل أن تسحب سيادة يدها وتشيح لها بكل غرور .. ثم تعود لتجلس مكانها تحت نظرات انبهار النساء بجمالها ..

وثقتها بنفسها تزداد .. واطمئنانها الغريب ينتشر داخلها .. وهي تكاد تضحك من فكرة ان تلك الفتاة كانت لتتزوج قحطان يوماً .. !!!

***

الليلة استمرت حتى بعد انصراف المدعوات ..

تجمعت العائلة كلها في مجلس الشيخ .. الكل موجود .. وكل عروس جلست الى جوار زوجها ..في حين جلست باقي الفتيات الى طرف قصي منهن سلمى وابنتي عماتها .. بالاضافة لأمها وعمتها ام غزل .. وكان الرجال في الطرف الاخر .. بينهم فراس .. ووالده .. والذي استغل انشغال الجميع بالاحاديث الجانبية ونظر لأبنه بتساؤل فهمه فراس على الفور ..

-أعطيتني مهلة للغد ..

-لن أجد فرصة أكثر ملائمة من الأن ..

قالها سالم باصرار .. فخفض فراس بصره ولم يجب فابتسم والده وربت على ركبته بقوة قبل أن ينهض ليجلس الى جوار ابيه ..

ويتحدث في سره ببضع كلمات أرسلت الاشراق لوجه العجوز .. قبل أن يرفع صوته بنداء قحطان .. الذي انتفض الى جده وجلس الى جواره والاول يقول له بابتسامة:

-يبدو أن الاعراس ستسمر في دارنا ياولدي..

ابتسم قحطان بفرح وهمس لجده:

-ان شاء اللّه على الدوام ياجدي.. من؟؟

-فراس ولد سالم ..

نظر قحطان للفتى ذو السالفين والملابس المتحررة .. وتلك النظرة اللاهية وشعر بقلبه ينقبض لاارادياً وهو يسأل:

-ومن يريد ابن العم؟؟

-وهل سيجد خيراً من ابنة عمه يابني؟؟

عقد قحطان حاجبيه بحدة ونظر لشقيقته الصغرى والتي جلست بنقابها الكامل الى جوار امها .. وهمس بعصبية:

-ولكنها لاتزال صغيرة للغاية؟؟

امتعض الشيخ وهمس:

-لقد تزوجت جديتك وهي في الرابعة عشر من عمرها .. وسلمى الان في الثامنة عشر بني.. ليست صغيرة ابداً ..

توترت قبضة قحطان ونظر بنفور لعمه سالم الذي مد يده له وهو يبتسم:

-قل بسم اللّه بني .. ودعنا نتمم زواجهما .. ابني سيسافر وهو يريد السفر مع عروسه..

-يسافر؟؟

تسائل قحطان فأكمل عمه بهدوء ونظرة سيطرة على وجهه:

-سيسافر للولايات المتحدة للدراسة .. ولااريده ان يفعل وحده .. وجودها معه سيكون رادعاً وستراً له بني..

ظهر التردد على وجه قحطان .. في اي حال كان سيوافق بلاتردد على زواج شقيقته من ابن عمها ولكن هذا غريب.. بالكاد يعرفونه؟؟ هل ستوافق سلمى؟؟ وهل سترضى امي بالانفصال عن ابنتها الصغرى؟؟

صراع قوي الذي دار بداخله وظهر في عينه وعمه يسأله بقلق:

-أتحتاج لأن تسألها؟؟

-لاتُسئل الفتاة على ابن عمها ..

زمجر الشيخ ونظر لحفيده بحدة:

-قحطان .. ضع يدك بيد عمك ..

تنهد قحطان بضيق .. يعلم اللّه ان قلبه لايرتاح ابداً لهكذا أمر ..

ولكن..

انه ابن عمها .. ومن سيصونها غير ابن عمها؟؟

هذا ماتربى عليه .. ومايفعله هو نفسه .. ولايمكن ان يرجع يد عمه

المدودة اليه فارغة .. لايصح بأي عرف .. وليس له الحق ابداً .. ابداً أن

يفعل.

لذا وبكل الحنق بداخله .. يوافق على الزواج الثاني في العائلة .. رغماً

عن أنفه ..

وضع يده بيد عمه .. ورفع الشيخ رأسه معلناً الامر .. الذي سمر

الجميع كل في مكانه .. قبل أن تركض سلمى خارج المكان بسرعة

مهولة .. وتنهض امها خلفها بذهول ..

في حين تسمرت سيادة تنظر لأخيها ..

مستحيل .. هو لن يتزوج هكذا .. رأت وجهه .. يكاد يبكي بحرقة ..

تعرفه .. أحمر مخنوق .. نظر لها .. وأدركت نظرته .. نهضت تواجه

الجميع .. متجاهلة كم الرجال في المجلس .. ونظرت الى ابيها وزوجها هاتفة:

-لايمكنك ان تزوجه هكذا؟؟

نظر الكل لها بذهول ..

كانت تضع طرحتها على رأسها .. وتسدل جزءاً منها على وجهها تخفيه .. ولكن مع صراخها انسدل ذاك كاشفاً عن وجهها أمام كل ابناء عمومتها ..

لم تهتم ..

كل مافعلته انه صاحت بفراس:

-قف وقل انك لاتريد هذا الزواج .. قف واعترض ايها الاحمق ..

-سيـادة ..

على زئير الاسد .. وبلحظة كانت تشعر بقبضته الحديدة على رسغها .. يقودها للخارج ..

لم تملك أن تعترض .. ليس مباشرة .. تفاجأت بالسرعة التي تحرك بها وأصبحت معه في خارج المجلس..نظر لها بجنون كاد يقتلها من فوره ..

كيف اتتها الجرأة لتقف امام رجال العائلة وتكشف وجهها .. والادهى تعترض على امر الشيخ وخطبته؟؟!!

كيف تجرأت؟؟!!

-دعني ..

صرخت بألم .. وهي تنتزع يدها من بين أصابعه ليقترب منها ويهمس بصوت مخيف:

-سأذبحك .. أتفهمين .. ان رفعت صوتك مجدداً في مجلس رجال سأذبحك أمامهم وبلاتردد..

ارتجفت بعنف .. وتراجعت مذعورة وهي ترى الدم يجتمع في مقلتيه وهو يصيح بها:

-امشي ..تحركي الأن ..

لم تكن تقدر .. شعرت بركبتيها تتهاويان تحتها من فرط خوفها .. لأول مرة تشعر بقسوته هكذا ..همست مخنوقة ب.. لا ..

ليندفع نحوها وبحركة واحدة حملها بين ذراعيه بلاتردد..

صرخت بخفوت ووجهها يرتطم بعضلات صدره وهو يصعد بها الدرجات الى ملحقه .. وهناك .. وبرفسة واحدة من قدمه كانا معاً بالداخل ..

-انزلني..

صرخت مخنوقة وهي تضرب كتفه بذراعيها .. ولم يكذب خبراً ..

رماها على احدى الكنب .. ومضى ينظر لها بانفاس متلاحقة من

فرط الغضب ..

تراجعت تنظر له برعب .. تساقطت خصلات شعرها حولها وهي

تتذكر عنفه ليلة زواجهما .. تستشعر قبضته على وجهها .. وفكرت

لو ضربها .. فلن تحتمل قط ..

-كيف تجرات على وضع رأسي في التراب..

صرخ بجنون .. فانتفضت وهي تخفي وجهها بكفيها .. ليتسمر ناظراً

لها بحدة .. قبل أن يصرخ:

-انظري الي سيادة انا لن أضربك ..

تلكأت ولكنه لم يمهلها .. بل سارع للقبض على معصميها وابعد

كفيها عن وجهها .. كانت تبكي ..

دموعها تغرق وجنتيها فصرخ بها بعنف:

-توقي عن البكاء.. انا لن اضربك..

-أنت تخيفني..

همست مخنوقة .. فصاح بجنون:

-تستحقين القتل لفعلتك ..

شهقت بالبكاء .. فانهضها على ساقيها بحدة وانتقلت يداه الى كتفيها هاتفاً :

-أخبريني لماذا فعلت هذا؟؟

نظرت له بألم .. والرؤية تهتز أمامها بفعل قبضته العنيفة .. في حين لم يتأثر بنظرتها وقد اعماه غضبه وهو يواصل:

-ماشأنك ان تزوج اخاك بأختي من عدمه .. ها أخبريني؟.؟

-اخي لايريد الزواج بأحد ..

همست بضعف لتتالق نظرته الغاضبة وهوي هدر:

-وماشأنك أنت .. لاشأن لك بتاتاً اتفهمين سيادة ..

بكت بمرارة وهمست:

-أنت تؤلمني قحطان ..

تركها بحدة لتسقط الى مكانها باكية بنياط يمزق القلوب .. الا قلبه الذي كان يحترق وهو يتذكر نظرات الرجال كلهم على زوجته .. تباً كيف سيقف امام اولاد عمومته مرة أخرى ؟؟!!

كيف سيواجه الجميع بعد ماتسببت له هذه الفاسقة الصغيرة من فضيحة كبرى !!

أغمض عينيه بحرقة .. وجلس الى كرسي في الطرف الأخر ..

في حين اعتدلت سيادة .. ونظرت له .. كان أملها الوحيد .. زواج فراس من سلمى خطأ .. خطأ شنيع ولن يتعذب احد كما سيتعذبان هما معاً ..

نهضت واقتربت منه ..

-قحطان عليك أن تسمعني .. أصغي الي ..

لم يرد .. كان يحاول السيطرة على غضبه ولم تكن تساعده .. كلما سمع صوتها تذكر مافعلته .. وتذكر ماقالته ..

اقتربت اكثر حتى مست كتفيه وهي تهمس:

-سلمى ستتعذب بزواجها من اخي .. هو لايناسبها ابداً ..

تنهد بصوت عالٍ وهو يستغفر .. ثم نهض يواجهها:

-قلت لك ألا شأن لك بهما .. سلمى اختي انا وانا من يقرر مصيرها..

-أنت الأن تودي بها الى الهاوية ..

صرخت باستماتة فعلت السخرية وجهه وهو يهمس:

-كما فعل ابوك معك أنت..

غارت الدماء من وجنتيها وهمست:

-نحن لسنا موضوع النقاش الان؟؟

-لما .. لقد فعل والدك الشيء نفسه معك .. زوجك الي دون الاهتمام بموافقتك مع كل الفروق بيننا .. أليس هذا ماتفكرين به وماتبنين عليه افكارك .. الدمار الذي نعيشه سوياً..

احتقنت عيناها بالدموع وهمست:

-انا وأنت أقوى كثيراً مما نبدوا عليه .. وزواجنا لن يدمرنا .. على العكس .. وانا قادرة تماماً على النجاة منه بأقل الخسائر..

ضحك قحطان بسخرية .. وداخله يشتعل مما تقول .. أقل الخسائر؟؟ مالذي تعنيه بالضبط..

-ان ظننت انك ستخرجين من هذا الزواج لمكان سوى القبر فأنت مخطئة..

همس بوعيد .. قابلته ببرود وهي تهمس:

-نحن لسنا موضوع النقاش مجدداً قحطان .. نحن خطأ قد ارتكب ولدينا الوقت لاصلاحه .. انا الأن اريد اصلاح خطأ اخر قبل أن يحدث.. سلمى لن تنجو عذاب الزواج بأخي .. هي لن تقوى انا اعرفها ..

اقترب منها قحطان وقال بصلابة:

-لاتتدخلي بغير شؤونك .. والا منعتك حتى من مغادرة غرفتك سيادة ..

نظرت له بسخط وهتفت تضربه على صدره بقبضتها:

-انت لاتفهم .. عقلك متحجر .. لما لاتفهمني ..

قبض على يديها مجدداً وهذه المرة ليلويهما خلف ظهرها بقسوة جعلتها تصرخ بألم وهي تقترب منه بحدة .. خفض وجهه اليها .. ونظر مطولاً الى شفتيها ..

-انت متمردة ..عنيدة .. ومشاغبة ويسعدني ان اقوم بتربيتك من جديد ..

نظرت له بعينين مشتعلتين بالغضب وصرخت:

-قلت لك من قبل أنا لست طفلة .. اعتلت وجهه نظرة جليدية اشعلت اطرافها برداً قبل أن يديرها بقسوة نحو الجدار ويلصق مقدمتها اليه .. صرخت .. وتأوهت بألم ولكنه لم يأبه واقترب منها هامساً في أذنها :

-حين تكفين عن الجدل العقيم كما الأطفال .. سأكف عن معاملتك كواحدة ..ومنذ الان كلما أخطأت بشي فعقابك سيكون كماهم بالضبط ..

اتسعت عينيها بثورة وبدأت تتحرك بعنف تحاول الفرار من قبضته القوية ولكن دون فائدة قبل أن تشعر بذاك الألم اللاسع .. اتسعت

عينيها بذهول وهي تحاول ان تستوعب .. ولكن الصفعة عادت مرة أخرى وبقوة اكبر جعلتها تقفز متوجعة والدموع تطفر من عينيها .. حاولت الصراخ لتعاودها الصفعة أقوى .. على مؤخرتها .. كما الأطفال ..

صرخت .. ضربته بكتفيها .. حاولت الفرار .. وازدادت صفعاته قوة .. حتى توقفت تماماً وهي تنهار بين ذراعيه .. ليس من الألم .. بل من الخزي .. !!

تركها تهوي واقترب منها هاتفاً بصوت لاهث:

-كلما تهورت .. وكلما رأيت انك تتصرفين كالأطفال سيادة ..

سأربيك بنفسي .. أتفهمين ..

لم تجبه ..

لم تقدر والدموع تسكبها بلاتوقف .. بكت وبكت .. تشعر بألم فظيع وخزي .. لم تشعره قط في حياتها ..

ذلك الوغد .. فكرت ..

ذلك الحقير .. مسدت مؤخرتها بخشية .. لقد ضربها هناك حقاً .. الوضيع ..

فكرت بألف لقب ولقب يناسبانه .. ..

رأته بطرف عينيها يتجول حولها يضع سيجارة بين شفتيه ويشعلها ..

..

وفي اعماقها تصاعد شعور قوي تجاهه .. شعور بالكراهية .. او

مايوازيها قوة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

***

نهاية الفصل ..

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الثامـــن

***

اشتقت أنوثتي التي فيك ضاعت معانيها ..

وبت أهفو اليها سراً .. واسلطها عليك جهراً..

ومحاولاتي فيك .. بحر من هباء !!

***

لم تصدق انها فرت من أمامهم .. وقفت مذهولة بين ذراعي أمها التي

تضمها وهي الأخرى غير مصدقة ابداً لما حدث .. عينيها مغروقتان

بالدموع وخوف عارم يجتاح قلبها الصغير موديا بدقاته الى غياهب هاوية لاتعرف لها قرار ..!!

هل حقاً سيزوجونها ذاك الرجل اللي أرعبها واثار فيها كل خوف ..!!

تشبثت بأمها بذعر .. لقد رأت قحطان يضع يده في يد عمها والشيخ يعلن الأمر أمام الجميع .. وهذا يعني انها ستفعل..!!

رفعت عينيها الى امها وهمست مرتجفة:

-أمي انا لاأريد الزواج..

نظرت لها امها بشفقة .. لاتزال سلمى صغيرة .. وان كانت في عرف القبائل د وصلت الى سن الزواج منذ وقت ولكنها لاتزال صغيرة .. بالنسبة لعمرها هي اصغر اخوتها .. صحيح ان شقيقتها الجوهرة قد تزوجت في عمر يصغر عمر سلمى .. ولكن هذه بالذات لاتزال تحمل قلب طفلة .. طفلة لايزال أمامها الكثير لتنضج .. !!

ضمتها بقوة وهي تعي ارتجافتها .. وتعي خوفها .. شعرت بمن يدخل الى الغرفة والتفتت لتجد الجوهرة تتقدم نحوهما بنظرة شفقة في عينيها همست لها:

-هل انتما بخير؟؟

انسلت سلمى من بين يدي امها وارتمت في حضن شقيقتها هاتفة:

-لاأريد الزواج جوهرة.. لاأرييد..

ضحكت الجوهرة مخنوقة وهي ترى مأساتها تتكرر امام عينيها ولاتقدر أن تفعل اي شيء.. لقد رأت فراس هذا .. ورأت فيه شاباً عابثاً لايمكن ان يصون أختها الصغيرة .. ولكن ..

-ليس بيدنا مانفعله .. ليس لنا سوى ان نسكت ..

همست لأختها بألم لتنفجر سلمى بالبكاء بين ذراعيها وتهتف بها امها:

-جوهرة من المفروض ان تساندها .. فراس ابن عمها ورغم اننا لانعرفه الا انه يبدو متعلماً ومهماً..

نظرت لها الجوهرة بحزن .. لم تعرف كيف تجيب امها .. هل فكرت بمشاعر سلمى ؟؟!! هل فكر احدهم بها قبل اتمام هذا الزواج الذي عنوانه فشل ذريع يلوح في الافق ؟؟ ألا يرى أحدهم هذا ام يتجاهلونه بكل بساطة ؟؟ اغمضت عينيها وتنفست بقوة وهي تربت على ظهر شقيقتها .. قبل أن تتذكر ماحدث بعد هروب سلمى وهتفت :

-لم تريا ماحصل؟؟

-ماذا..؟؟

تسائلت امها بفضول بينما لم تتحرك سلمى لتسرع الجوهرة وهي تعرف انها ستخرج سلمى من حزنها بالاخبار:

-لقد اعترضت سيادة على الزواج.. أمام الجميع..

اتسعت عينا هدية بذهول في حين شهقت سلمى وابتعدت عن اختها تسأل مصعوقة:

-أمام الرجال ؟؟ هل تكلمت في مجلس الشيخ؟؟

-نعم .. اتصدقين؟؟

-وهل سكت لها قحطان؟؟

صرخت امها بجنون لتضحك الجوهرة:

-لا امي .. أخي كان وكانما تلبسه الشيطان اعوذ باللّه .. فجأة كانت سيادة واقفة وفي اللحظة الاخرى لم تعد .. اختطفها اخي بلانقاش ولم يعد .. اعتقد بأنها تلاقي نصيبها من التأديب..

-تستأهل ..

همست هدية بغيظ وهي تقلب كفيها:

-ولما تعترض .. هل تعترض على ابنتي؟؟ اين ستجد في جمال وكمال سلمى .. اين ستجد نسباً كما ابنتي..

صمتت الجوهرة وسلمى يحتقن وجهها وهي تقع على حقيقة ان سيادة لم تردها بل واعترضت امام الجميع على زواج اخيها بها؟؟ ألهذه الدرجة تكرهها ولاتريدها؟؟ شعرت بحزن غريب ينتشر بها يملأها

بقسوته .. تراجعت تجلس على طرف سريرها تضم ساقيها اليها ..

رأت امها تخرج ترغي وتزبد من حقارة تلك المجرمة كما تدعوها ..

تركتها لجوهرة التي اقتربت تعانق كتفيها بحنان وهي تهمس:

-لاتسمعي لأمي .. سيادة لاتقصد ماتقوله .. انها طيبة وتحبك..

نظرت لها سلمى بحزن وهمست:

-اتراني لااليق بأخيها.. هو غريب.. وحياتهم غريبة .. هو لن يبقى هنا..

أليس كذلك؟؟

انسابت دمعة الجوهرة ومسحتها بسرعة وهي تغتصب ضحكة:

-لا .. لن يبقى بل سيعود الى بلاده بالتأكيد .. وستذهبين الى فرنسا

ايتها الصغيرة..

انسابت دموع سلمى اكثر:

-ولكنني لااريد .. انا لااريد الابتعاد عنكم ..

-الا تظنين اننا نستبق الاحداث .. ربما لن يسافر..

تراجعت الجوهرة بسرعة وهي ترى بكاء شقيقتها الذي مزق قلبها ..

الا أن سلمى هزت رأسها بألم وهمست:

-بلى سيرحل .. اخبرتني سيادة مرة انه لايمكن ان يبقى هنا لأكثر من

ايام .. ماذا سأفعل وحدي..!!

-لن تكوني وحدك .. هو سيكون معك .. انه زوجك؟؟

-ولكني لااعرفه؟؟

همست موجوعة فشردت عينا الجوهرة وقالت بشحوب:

-ومن منا تعرف زوجها حقاً قبل أن تعاشره لسنوات..

-انت تزوجت حسن .. ابن عمنا الذي عرفناه طيلة عمرنا ..

اشاحت الجوهرة بوجهها تخفي ألمها وهي لاتقدر على كتم تنهيدة أفلتت منها :

-صدقيني سلمى .. لاأحد يعرف شريك عمره بصدق .. حتى يعاشره .. لايوجد رجل يظهر مايخفيه .. الا حين لايتوقع من أحد أن يراه ..

ثم التفتت لتواجه عينيها الذاهلتين المشتتين وهمست لها:

-لاتتسرعي .. ولاتخشي شيئاً.. فراس رجل كسواه .. وربما ابتعادكما عن البلدة هو خير لكما .. كي تعرفيه حقاً .. وتحبيه كما يجب ان تفعلي أختي..

مسحت سلمى دموعها ونظرت لأختها وهي ترى مرارة تسمعها في عمق كلماتها .. لم تفهم ماتعنيه ومامعنى انها لو ابتعدت قد تفهم زوجها أفضل .. ولكن الجوهرة نهضت وهي تهمس:

-يجب ان اذهب .. حسن سيغضب ان تاخرت .. وخصوصاً بعد ماحدث مع قحطان وزوجته.. سأعود في الصباح لتوديع غزل ورعاد كما يجب .. الى اللقاء..

ثم قبلتها على رأسها وابتسمت:

-استخيري ربك ياسلمى .. وهو سيدلك حبيبتي.. وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .. اليس هذا ماعلمتنا اياه جدتي ..

اومأت بصمت فعادت تقبلها على وجنتها وهمست:

-تصبحين على خير حبيبتي .. لاتخشي شيئاً ..

وانصرفت تاركة اياها مع افكارها التي هجمت عليها بلارحمة .. ولم تدعها لتفعل شيء سوى الاستلقاء بلاحراك والنظر الى السقف الجصي .. وهي تحاول تهدئة خفقات قلبها .. وهي لاتكف عن التفكير بذلك الرجل الذي تقرر مصيرها بأنها له .. تذكرت يوم فاجأها في غرفته .. ويوم تبعها الى التلة؟؟

هل كان يعرف من تكون؟؟ هل هو من اختارها؟؟

اجتاحها امل .. سرعان مابعدته وهي تتذكر انه حتى لم يرى وجهها .. فقط كاد يصيبها بأزمة قلبية واختفى .. تنهدت وهي تحاول كتم انفاسها لتمنع بكاءها الموجع من الانصباب عليها ..

***

لم تعش اذلالاً كالذي عاشته بين يديه ..

لاتزال موجات الغضب والحنق تجتاحها بلاتوقف .. تنتفض استجابة لها وتشهق بالدموع بغير توقف .. تشعر بلسعات الألم تضربها وكأنه لم يتوقف لحظة .. تصل مباشرة الى قلبها وتمزقه والى كرامتها فتبعثرها .. تريد الصراخ والنواح .. تريد أن تركض اليه وتدفع أظافرها في عينيه .. تريد أن تحطم كفيه وأصابعه التي تجرأت وضربتها .. شهقت بقوة وهي تخفي وجهها بين ذراعيها وهي تواجه الحائط حيث تركها .. بالكاد تقدر على الجلوس .. مؤلم .. كلما تذكرت لسعاته المؤذية عاودت دموعها الانهمار .. وهو يقف هناك أمام النافذة .. وكأنما يستلذ بمعاناتها وصوت الدموع التي تتدفق من عينيها .. رمقته بطرف عينها بحقد .. كان يدخن بشراهة .. ينظر للخارج دون حتى أن يكلف نفسه عناء الاطمئنان عليها !!

أي رجل هذا..!!

فكرت بمرارة كيف يجرؤ ويضربها كالأطفال .. كما في قصص العبيد القديمة ..اه كم تكرهه ..

شعت عيناها بعاصفة من غل .. كراهية .. ثم سرعان ماأشاحت عنه حين التفت اليها ببطئ..

كان يشعر بنظراتها مسلطـة عليه ..

تنهد بضيق وهو يتنشق دخانه اللذي لايمسه الا حين يفقد اعصابه حقاً.. كان يحترق ويحتاج أن يحرق ناره بأخرى تهدئها .. كان عنيفاً ولأول مرة يفقد أعصابه بتلك الطريقة أمام امرأة .. ومن ؟! زوجته التي من المفروض أن يكون حامياً حانيـاً عليها!!

تباً لها ..

شتم بعصبية وهو يكاد يجن من صوت نحيبها الذي لم يتوقف؟!

مالذي فعلته هذه المرأة به؟! كيف تثير اعصابه بهذه الطريقة ؟! كيف تخرجه عن طوره وعن كل ماعرفه في حياته من قوة وضبط للنفـس .. كيف تمتحن أعصابه .. تختبره وفي كل مرة .. يفشل في الاختبار..

نظر لها حين شعر بعينيها ترشقه بنظرات حارة .. رأها لاتزال مكومة حيث تركها .. بالكاد تقدر على الجلوس .. وتشيح بوجهها دافنة دموعها بين ذراعيها ..

تنهد وزفر دخان سيجارته بقوة .. ثم توجه اليها ..

شعرت باقترابه .. حتى انحناءه على كعبيه الى جوارها .. اجتاحتها حرارة أنفاسه المحملة بدخان سيجارته .. واقترب يهمس:

-انهضي ..

كان همسته دافئة .. ولكنها حازمة ومتسلطة .. رفضت النبرة القوية ولم تطقها .. لذا نظرت له بحقد .. رأى الاشتعال فيها .. وكاد يأمرها بغلظة أن تغلق عينيها .. ولكنها سبقته هاتفة بحشرجة :

-ابتعد عني..

رفع حاجبه بغطرسة ومد يده اليها بهدوء وكأنه لم يسمعها وهو يواصل بنبرة هادئة:

-انهضي فلايليق بك الجلوس على الأرض هكذا..

اشتعلت عينيها بغضب عاصف وهي تصرخ بوجع:

-وهل يليق بي مافعلته بي؟!!! عاملتني كـ.. ك..

وشهقت بالبكاء وهي تبتلع باقي جملتها ودموعها تذرفها بلاتوقف .. ليعض شفتيه وهو يجذبها اليه .. ويكتم صوت شهقاتها في صدره .. حاولت الابتعاد .. ضربته بقبضتيها بقوة .. تحاول دفعه عنها .. ولكنه كالجبل يرفض التزحزح.. تأوهت بألم وهي تستسلم للحرارة المنبعثه

منه .. توسدت صدره والنبض الراقص في عنقه قريباً من زفراتها الباكية ..

حملها بسهولة .. وتشبثت بعنقه بسهولة أكبر .. قادها الى غرفتها ..ووضعها برفق على سريرها ..

تأوهت بألم حال لامست مؤخرتها الفرش الناعم .. واسرعت للاستلقاء مديرة له ظهرها وهي تكتم ألمها بالوسادة .. أشرف عليها بطوله وهو يشعر بالذهول مماتفرضه عليه من احساس غريب..

يشعر بالرغبة في ضمها اليه بقوة .. كما تلك الليلة .. ان يشعر بدفئها بين ذراعيه .. وانفاسها تعانق انفاسه ..يريد أن يوقف دموعها بشتى الطرق مع أن عقابه هو مايبكيها..!!

ابتلع ريقه .. وبكل عنف طرد مشاعره الضعيفة تلك ورماها خلف ظهره وهو يستدير عنها .. يريد طرد صورتها الضعيفة تلك من عينيه وعقله الى الأبد ..

-منذ الغد ستساعدين أمي وشقيقتي في المنزل مثلك مثل الجميع .. لاأريد أن أسمع اعتراضاً منك أو شكوى لأحد منك ياسيادة اتفهمين ..!!

نزلت كلماته الباردة بقسوة عليها ..

حبست دموعها وهي تفكر كم كانت حمقاء.. لوهلة ظنته قد تراجع عن قسوته .. حنان ذراعيه وهي تحملها كان يفوق الوصف .. لم تشعر بمثله قط ..ثم جاء بكلمات كالسم ومزق كل مامضى ..

لم ترد .. فقط توقفت شهقاتها ولم يعد يسمع سوى حفيف أنفاس متلاحقة وهو يضيف ببرود اكبر:

-لاأريد سماع اعتراض على زواج أخيك بأختي.. انتهى الأمر تماماً بالنسبة لك .. لاأريد ان أسمع اي شيء بشأنه.. وإلا فأنك ستعاقبين سيادة .. كمااريد بالضبط ..

ادارت له وجهها ..

كان ملطخاً ببقايا من دموع ..

-هل هناك أوامر أخرى؟؟

نظر لها بقسوة .. تعمدها .. كي يقتل ضعفه تجاهها:

-لاتتدخلي فيما لايعنيك .. سمعتني؟؟

أشاحت عنه وهمهمت:

-ستندمون جميعاً .. ولكن لابأس.. أتوق لرؤيتك تندم قحطان ..

فسأتسلى وقتها .. وبشدة..

قبض يديه بقوة يمنع نفسه من هزها بعنف حتى تقفل فمها الذي لاينطق الا بالسوء.. واستدار يغادر وهو يغلي حنقاً وغضباً .. في حين استلقت هي ويدها تمسد ألمها وهي تهمس لنفسها:

-سأجد طريقة أنتقم بها منك يابن عمي .. وحينها فليرحمك اللّه من انتقام السيادة ..

واغمضت عينيها بقهر .. وهي تفكر وتفكر ..

عسى تجد طريقة تنفذ تهديدها ..

***

المنزل هادئ .. الأطفال نيام .. وهي كالعادة بانتظار العاصفة ان تمر ..

نظرت بقلق للباب الذي فُتح بهدوء ..كانت تعلم أن الليـلة لن تمر بهدوء بعد ماحدث في المجلس ومافعلته سيادة .. ستواجه الأن سخريته ولاريب .. والأدهى انها قد تواجه غضبه ..

راقبت ملامحه حال دخوله .. كانت مسترخية على غير العادة .. كان شارداً .. ألقى السـلام .. وبكل هدوء دخل الى غرفته مباشرة ..!!

تأملته بذهول .. ثم وبكل هدوء لحقته .. رأته يغير ثيابه للنوم ..

فابتلعت ريقها بترقب وهي تجهز السرير له بخضوع .. دون أن تنظر

اليه .. وهو في عالم أخر .. استلقى بهدوء .. ثم نظر لها مطولاً .. توقفت بذعر.. وهو يقيمها بنظرات باردة تشملها من رأسها لأخمص قدميها .. كانت ترتدي ثوب نوم من الحرير الأزرق .. والذي كان ناعماً ورقيقاً .. وشعرها حولها ثائراً ..

-سبحان اللّه ..

قالها بهدوء .. لترتجف وهي تسمع الخشونة في صوته .. ليضيف بعد لحظات..

-تلك المرأة .. كانت أجمل مارأيت في حياتي ..

هبط قلبها بين قدميها .. وعينيها تتسعان بهلع ..

-لم ارى في عمري امرأة بكل تلك الروعة ..

قالها بشرود وهو ينظر لها بتمعن (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ياله من محظوظ قحطان .. هو يحظى بملكة جمال .. وأنا ..

وتوقف ليواصل نظرته عليها بثقل .. وعينيه تحملان ازدراءاً .. يكبر شيئاً فشيئاً ..

-وأنا أحصل على الحثالة ..

ضربتها كلمته في الصميم .. شعرتها كجرح ينزف بلاتوقف .. كتم أنفاسها وأفقدها القدرة على النطق والاحساس بشيء سوى الوجع يتجمع في قلبها .. ودموعها تنهمر بلاصوت من عينيها ..

أشاح بظهره لها وهو يتمتم:

-انه فقط حظي السيئ .. انه قدري ان أحصل دوماً على فضلات الشيخ العزيز ..

شهقت حينها بوجع .. وسقطت على الأرض .. تدفن وجهها المحترق بالألم بين كفيها وهي تشهق .. وهو يبتسم بتشفٍ .. ويغمض عينيه مستمتعاً بصوت شهقاتها المتلاحقة .. بلارحمة ..

***

كان الوداع مؤلماً ..

بكت مطولاً بين ذراعي أمها .. بكت بلاتوقف .. حتى حين أصبحت في السيارة كانت تراقب العائلة المودعة بعينين مكسوتين بالدموع .. محترقتين بالأسى .. تشعر بالخوف .. رغم كل مافعلوه بها كانوا هم عائلتها .. كانت قد أقسمت الا تبكي حين تغادر فهي تريد الرحيل عنهم .. ولكنها لم تقدر ..

قلبها كان اضعف ان تقاوم دموع أمها وهي تودعها .. كانت تريد البقاء وبالذات بعد خطبة سلمى .. ولكن .. رعاد وعدها ان يعودوا للعرس .. ولكنه يجب عليه الالتحاق بجامعته ..

بكت مع سلمى التي ضمتها اليها بجنون وهي تتوسلها الا تذهب .. وانها تحتاج اليها .. الأن بالذات .. ولكن لم يسعها شيء.. راقبت الدوار يختفي .. ثم استدارت لتنظر للأمام .. كانت مع رعاد فقط .. وخلفهم سيارة الحماية التي أصر قحطان ان تذهب معهم .. لاأحد يريد أن ينسى ماحدث في المرة السابقة ..!!

أخذت نفساً عميقاً ورفعت صوت القرآن الذي يصدح في السيارة تتغلب به على خوفها وأفكارها التي تعيدها الى ذاك اليوم .. حين كانت في المقعد الخلفي وتنظر لمحمد العزيز .. بكل لهفة وشغف .. وهو يضحك ويتكلم مع السائق .. واجتاحتها غصة قوية .. واغمضت عينيها بقوة وهي تنفض الصورة من رأسها وتنظر اليه ..

كان وجهه متجهماً كالعادة .. ينظر للطريق بتركيز .. استلقت على الكرسي .. تريد أن تغمض عينيها وتنام .. هي تمضي كل سفر لها في النوم .. كما كانت تفعل في الماضي .. ولكن الان كانت تخشى

الاستغراق في النوم .. تخشى أن تستيقظ .. وتجد نفسها .. مرمية وسط الطريق .. بدونه !!

انتفضت بقوة ..

استغفرت وهي تشيح بوجهها للطريق .. لاتريد ان تغفو .. لاتريد .. ولكن .. حقيقة انها لم تنم امس ابداً .. كانت أقوى ..

ثقلت جفنيها ورغماً عنها استسلمت بعد قتال ..

.. كانت الرحلة ناعمة .. وكأنها تطفو على وسادة سحرية .. رأته هناك .. ابتسمت .. وركضت اليه .. تعرف محمد .. هذا هو هناك .. يقف وحده على تلة عالية .. تسلقت بسرعة .. كانت تلهث وهو يقف هناك مبتسماً لها بحنان وعيناه بركتا نبع صافٍ كعادته ..

همست باسمه .. نادته بعدها بعلوا صوتها .. ولكنه لم يقترب..

كان يقف هناك فقط .. يتأملها بحنان ..

زفرت بحنق وتابعت صعودها وهي تناديه بلاكلل .. حتى وصلت هناك .. ووقفت أمامه تلهث ..

-لماذا رحلت عني..؟؟

صاحت بألم .. ولم يجبها .. وقف يتأملها فقط .. اقتربت .. ولكنه ظل على تلك المسافة .. كلما اقتربت يبدووكأنه يبتعد .. ويبتعـد ..

صرخت باسمه ليجيبها بابتسامة .. قبل أن يشيح عنها .. ويبتعد حقاً ..

نادته بقوة وهي تشعر بقدميها تغرقان .. تبقيانها مكانها وتثبتانها بقوة كي لاتذهب خلفه ..

نادته باكية .. ولكنه ابتعد .. .. وظل يبتعد ..

.. غزل ..

صرخت باسمه بقوة ..

غـــزل ..

كان الصوت قوياً .. حازماً .. عاصفاً ..

نادت حبيبها بألم .. تلوت وهي تحاول ان تفك قدميها من أسرهما ..

-غزل انهضي ..

فتحت عينيها .. ونظرت امامها بهلع ..

ورأت عينا الرعد تضطرب .. قريبة منها بصورة كبيرة .. حتى لترى انعكاس ملامح وجهها المرعوبة في مقلتيه ..!!

-رعاااد ..

همست بثقل .. لتشع عيناه وسط ظلمتيهما وهو يهمس:

-لبيه ..

لتنتفض جالسة وهي تجبره على الابتعاد عنها صارخة:

-أين أنا؟؟

اعتدل في جلوسه هو الأخر .. وأشاح بوجهه عنها وهو يقول بصوت مخنوق:

-لقد وصلنـــا..

تأملت المكان الذي توقفت فيه السيارة ..

كان حياً هادئاً .. امام مبنى من اربعة طوابق .. عدلت طرحتها على رأسها وهمست بذهول:

-هل نمت طيلة الوقت؟؟

نظر لها وهمس:

-لقد نمت مايزيد عن الثلاث ساعات..

اتسعت عيناها قبل أن تغمضهما وهي تتذكر الحلم الذي لم يكف عن زيارتها منذ توفي محمد .. شعرت بالأسى والألم انها لاتزال تخون عهدها لرعاد حتى ولو بالحلم .. كان يجب ان تخرج محمد حتى من افكارها .. ولكنها بشر ..

تنهدت وهي تشكر ربها انه لايقدر على قراءة احلامها ..

ولكنه فعل ..

ابتلع ريقه بوجع وهو يوجه عينيه بعيدة عنها .. أصابعه تضغط على مقود السيارة تكاد تعتصره .. تبيض مفاصله من ذكرى همساتها في حلمها .. طيلة الطريق وهو يسمع مناجاتها لأخيه في حلمها .. طيلة الوقت وهو يسمع بكاءها ..

أكثر من مرة أراد ايقاظها ليرحم نفسه من ذلك العذاب.. ذلك العذاب الذي كاد يخنقه ..

كاد ان يقع في عدة حوادث بسببها .. تفادى الموت بأعجوبة .. ولكنه تمالك نفسه بكل قوة وصبر حتى لا يؤلمها أكثر .. فقد تحملت فوق استطاعتها ..

هو يقدر على التحمل .. ولكن الصغيرة غزل .. لايمكن ..

تنهد والتفت لها مجدداً كانت تضع نقابها .. فقال لها:

-سيأتي علي لأخذنا للشقة ..

اومأت .. في حين اتصل هو بأخيه .. الذي سرعان ماخرج من المبنى ملوحاُ لهما بحرارة ..

نزلا من السيارة ليتعانق الاخوين بمحبة وعلي يرحب بهما:

-مرحباً بكما رعاد .. كيف حالك ياغزل؟؟

-بخير..

تمتمت بخجل وهي تتراجع خلف رعاد الذي نظر لأخيه بتوتر:

-ألن تأخذنا لشقتنا نحن متعبان من السفر..

-بالتأكيد ..

هتف بسرعة قبل أن يشير رعاد للسيارة الجيب التي تقل حراسته:

-انظر لما اجبرني عليه شقيقك..

ضحك علي وغمز له برصانة:

-سأتكفل بهم اصعد انت وعروسك الى الطابق الثالث .. هذا هو المفتاح .. شقة رقم ستة ..وانا أحضر باقي الحقائب..

اومأ له رعاد ورفع حقيبتين في حين تبعت غزل وهي تنظر حولها باستغراب..

كان المصعد قديماً ولكنه متين .. نظرت له غزل برعب وهمست:

-ألن يسقط بنا؟؟

-لاأظن ..

أجاب بجفاف لتبتلع باقي مخاوفها والرحلة القصيرة تنتهي والمصعد يتوقف بهما .. خرجت مسرعة وهي تكاد تقسم ألا تصعد به مجدداً ..

فتح رعاد الباب .. ودخلا معاً ,.. كانت الشقة باردة ..مكيفة بصورة منعشة بعد عناء السفر الطويل ..

سارعت غزل بلهفة لتتنقل بن غرفها المنظمة بطريقة عصرية وراقية .. ورعاد نفسه شعر بالارتياح حال الدخول اليها ..

-انها جميلة ..

صاحت بفرح .. فابتسم رغماً عنه وهو يراها تنتقل بين الغرف .. حين سمع طرقات أخيه على الباب المفتوح:

-هل أدخل؟؟

-تعال علي..

هتف بقوة ليدخل أخيه وهو يحمل حقيبتان اخريتان :

-الطقم عاد للبلدة .. سيتوقفون في الطريق للغداء وثم يغادرون على الفور.,,

-ممتاز لاينقصني ان أحصل على طقم مسلح يتبعني حيثما أذهب..

ضحك علي وعدل نظارته وهو يسأل بفضول:

-أين غزل؟؟

شعر رعاد بالحنق يصب عليه مجدداً وهو يسمع أريحيه أخيه بذكر اسمها .. ولم يقدر على احتواء حنقه ولكنه فعل المستحيل ليخفيه في باطنه وهو يجيب بتوتر:

-تلف في المكان ..

-هل أعجبكما؟؟

-انها جيدة ولكنها كبيرة ..

قال رعاد منتقداً ليعبس علي .. ويتمتم بشيء من الحنق لأخيه الذي لايعجبه العجب كما يقول .. متجاهلاً ابتسامة رعاد ..

-لقد أحضرت لكما غداءاً من المطعم .. ستجدانه على الطاولة في المطبخ .. الثلاجة والخزائن ممتلئة .. تكفي لشهر ..

ثم نظر لأخيه مبتسماً:

-هل تريدون شيئاً أخر.؟؟

-وماذا سنريد أكثر؟؟

هتف رعاد ضاحكاً قبل أن يعانق أخيه ويصرفه بيده بقوة جعلت علي يهتف:

-من المفروض ان تعزمني على الغداء .. لاان تطردني؟؟

-انا متعب وسأنام .. لن آكل الأن ..

قالها رعاد مشاكساً .. ليعقد علي حاجبيه بحنق قبل أن يتجه للباب ..

-اه .. بالمناسبة لقد خطبت سلمى ..

قالها رعاد بسرعة ليلتفت له علي بدهشة ليواصل بحنق:

-لن تتخيل من؟؟

صمت علي للحظة قبل أن يقول بهدوء:

-فراس بن سالم؟؟

اومأ رعاد بغضب زافراً:

-انا لست موافقاً على هذه الزيجة .. ذلك الفتى لايناسب اختي..

زم علي شفتيه بقلق وهمس:

-ماذا قال قحطان؟؟

-عمي سالم خطبها وسط مجلس الشيخ امام جميع افراد العائلة..

-انه حاذق..

-ماذا تعني؟؟

تسائل رعاد بتشوش ليسارع علي بذكاء:

-ألم تسأل نفسك كيف استطاع اقناع قحطان بزواجه من ابنته البعيدة كل البعد عن تقاليدنا؟؟ قحطان بالذات لو كانت مثقلة

بالذهب لماكان وافق على الزواج منها.. ولكنه عمك من اوقعه ..

بطريقة ما لااعرفها.. الم ترى كيف كان شقيقك في عرسه .. كان

مجبراً على الزواج ..

نظر له رعاد بدهشة:

-قحطاان يُجبر على زواج؟! هل تسمع نفسك ياعلي..

-قحطان سيفعل المستحيل من أجل الشيخ .. لابد ان جدي طلب منه ..

وهو يستحيل ان يرفض له طلب.. كما يحدث الان مع سلمى..

-وهل سنوافق؟!

-ماباليد حيلة .. انها اوامر الشيخ..

قالها علي بحنق .. قبل أن يستدير:

-يجب ان أذهب لدي امتحان علي ان اذاكر له..

-اين تسكن الان؟!

تسائل رعاد:

-في البناية المقابلة تماماً.,

قالها علي مبتسماً .. واضاف:

-شقتي اصغر بكثير من هذه ولكنها تكفيني .. لن تتخلص مني

بسهولة .. أتوقع ان يأتيني الطعام الطازج يومياً..

عقد رعاد حاجبيه وظهر الحنق في عينيه وهو يطرد أخاه بعصبية:

-لم آتي بزوجتي لتخدمك .. اذهب وابحث عن زوجة تطعمك .. هيا اذهب..

قهقه علي بمرح قبل أن ينسل خارجاً ورعاد يغلق الباب خلفه ..

استند عليه ينظر للبيت الذي سيجمعه بها لفترة طويلة .. وتنهد يدعو لنفسه بالصبر.. حين لاحت أمامه .. كانت لاتزال بعبائتها ولكنها نزعت نقابها وبقيت بطرحتها وهي تهمس:

-هل غادر علي؟؟

-نعم ..

اجاب باختصار لتبتئس:

-ولكن الطعام كثير.. من سيأكل كل هذا؟؟

عبس هو وصاح بحنق:

-انا سآكله .. فليذهب هو ليأكل في مكان أخر..

اتسعت عيناها لعصبيته قبل أن يتركها ويسرع حاملاً الحقائب للداخل ..

كانت غرفة النوم مجهزة بالكامل ..

وضع الحقائب وانسل خارجاً .. كانت توجد غرفتين اخريتين .. فتح الاولى وكانت غرفة مكتب مريحة .. أما الثانية فكانت فارغة .. من اي اثاث.. مط شفتيه بانزعاج .. فكر كيف سيكون موقفه لو جاء بأثاث لها .. وهو وزوجته عروسين في شهر العسل؟؟!!

عاد للمكتب ورأى الكنبة الجلدية الضخمة وهو يفكر انها ستكون مرقده في الايام القادمة .. حتى تُفرج من عند رب العباد .. !!

***

كان اللقـاء بسلمى بعدما حدث محرجاً .. فالفتاة كانت تطالعها بصمت وحذر .. وحزن يلوح في عينيها .. وسيادة بكل قهر تكتمت عن أراءها وهي ترى نظرة الفتاة المسكينة .. وتراقب رد فعل امها سليطة اللسان .. والتي كانت تنظر لها بتشفي وكأنها تعرف مافعله بها ابنها رغم يقين سيادة انه لم يقل لها شيء.. أبداً..

تنهدت بضيق .. وهي تستقبل النظرات كلها .. بين مستنكرة وبين مزدرية وتكتمها في قلبها ..

فعلت كما أمر شيخ العزب .. وانضمت الى قافلة النساء في صحن الدار وهي تبحث عما يجب ان تفعله .. ارتدت قميصاً قطنياً وجينز خفيف أبرز رشاقة ساقيها الطويلتين .. وشعرها تدلى خلف رأسها

بربطة ناعمة .. في حين خلا وجهها من الزينة تماماً .. وحليتها الوحيدة كانت سلسال من الذهب تعلقت به لؤلؤة وحيدة بلون عاجي مثير..

وقفت تعقد ذراعيها حولها وحماتها العتيدة توزع الادوار للفتيات .. سلمى عليها تنظيف المجلس مع اثنتين من النساء .. وفتاة من البلدة تدعى شيخة .. عليها تنظيف صحن الدار في حين تتكفل حماتها بالمطبخ مع اثنتين من النساء.. ..

ووقفت سيادة حائرة ..

تنتظر اوامر هدية التي نظرت لها قليلاً قبل أن تقترب منها متسائلة:

-وأنت ماذا تجيدين؟؟ الغسيل ام الكوي؟؟

تدلى فم سيادة ببلاهة .. ماتعرفه عن الغسيل كان يتلخص بوضع ملابسها عنها وارتداءها مجدداً .. نظيفة .. ابتلعت ريقها وهي تفكر بالكوي؟؟!! من اي عصر قادمة اولئك النسوة..

-أتعنين ارسال الملابس للتنظيف؟؟

تسائلت ببراءة .. لتتسع عينا هدية وهي تصيح:

-ارسالها؟؟ الى أين تريدين ارسال ملابسك القذرة ؟؟ انت من سيغسلها بالطبع..

اتسعت عينا سيادة بصدمة وحماتها تشير لها لغرفة مجاورة :

-هنا ستجدين كل مايلزم .. وستساعدك احدى الفتيات .. هيا ..

نظرت لها سيادة بحنق .. وزفرت بضيق .. ثم توجهت حيث اشارت

وهي تمني نفسها بطول البال ..

فتحت الباب وليتها لم تفعل ..

اتسعت عيناها بذعر وهي تواجه مارأت ..!!

كومة ضخمة من الملابس .. برائحة قذرة خنقتها .. كادت تقيئ ..

وتراجعت تكتم انفاسها بكفها وهي تغلق عينيها بروع .. وتغلق الباب

خلفها بقوة ..

شهقت للهواء وهي تصيح:

-ماهذا؟؟

التفت الجميع نحوها واقتربت منها هدية بابتسامة ساخرة وهي

تهمس:

-غرفة الغسيل ..

فتحت سيادة عينيها وهمست من بين شفتين مطبقتين:

-انها غرفة القمامة .. غرفة القذارة ولاتمت للغسيل بصلة .. انا لن

ادخل هناك مجدداً..

-انها مهمتك لليوم .. غسيل ملابس الجميع.. كيف لن تقومي بذلك؟؟

لااحد يتراجع عن واجبه في الاعماال..

همهمت حماتها بتشفٍ لتلمع عينا سيادة بشدة وهي تصر:

-وأنا قلت بأني لن أفعل أي شيء لتلك القذارة لايهمني(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-امي انا اتولى الغسيل .. دعي سيادة تنظف المجلس..

تدخلت سلمى بتوتر لتصيح امها:

-لا .. سيادة ستقوم اليوم بالغسيل .. هذا قراري انا ياسلمى..

التمعت شرارة في عيني سيادة وهمست بتحدٍ:

-أجبريني ..

-ليس انا من سيجبرك .. بل هو زوجك من عليه ان يؤدبك ..

قالتها بخبث .. جعل سيادة تجفل للحظة .. ولسعة الألم التي لم تفارق مؤخرتها تعود اليها .. ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تفكر هل تعلم؟؟!!

ظهر الارتباك في عينيها وقرأته المرأة الأكبر سناً لتتعمق ابتسامتها وهي تقول بثقة أكبر:

-اذهبي سيادة .. لاتريدين لقحطان أن يعرف انك تراجعتي عن الاعمال اليومية منذ اليوم الأول؟؟

شع العزم من عينيها يحل مكان الارتباك .. ورفعت رأسها هاتفة:

-حسناً اذن .. انا لست من النوع الذي ينسحب من شيء دون ان يجربه .. ولكنني لااعرف ماتريدون مني فعله؟؟!!

اشارت لها حماتها الى الغرفة وهمست:

-لديك آلة الغسيل.. ولديك كل ماتحتاجينه ..

توقفت سيادة لبرهة تنظر في عمق عيني حماتها .. للحظة فقط ودت أن تصرخ وتركض .. ولكن لا.. لن تسمح لها بالانتصار عليها .. لن تسمح أن يهددها أحد ..

رفعت رأسها واخذت نفساً عميقاً .. قبل أن تتوجه للغرفة مجدداً .. هذه المرة كتمت انفاسها .. ودخلت الى الضوء الشحيح بخطوات مرتبكة ..تقدمت لتقف امام الكومة وسمعت الفتاة التي ستساعدها تقول بخجل:

-دعيني انا اقوم بالغسيل .. ارتاحي انت..

نظرت لها سيادة بحدة .. كانت لاتتجاوز الخامسة عشرة .. ببنية صغيرة ونظرات خجولة .. زفرت أنفاسها المحبوسة وهمست:

-بل سنقوم بها معاً ..

ثم عادت بنظرها الى الكومة هاتفة بحنق:

-حالما تخبريني بالضبط ماعلينا فعله ..

سمعت ضحكة الفتاة الصغيرة الخجولة قبل أن تتقدم وتبدأ بشرح كيفية العمل .. فصل الثياب البيضاء عن سواها .. كانت أغلبية الملابس رجالية .. حيث اعتادت النساء غسل ملابسهن وحدهن .. بدأت بفعل ماقالته لها الفتاة بحذر .. متجنبة ملامسة الملابس الا بأطراف أصابعها وبنظرة قرف على محياها لتهمس لها الصغيرة:

-ولكنها ليست قذرة ابداً .. على العكس.. معظمهما ملابس الشيخين .. وهناك ملابس السيد والدك .. وايضاً اخيك..

نظرت سيادة للملابس بقرف اكبر.. وكل كلمات الفتاة لم تزدها سوى عصبية ..

وعينيها تبحثان رغماً عنها عن ثيابه هو بالذات ..

رأت قميصاً عرفت انه ارتداه قبل يومين ولكنها لم تمد يدها اليه ..

تركت الفتاة التي عرفت اسمها سارة .. تركتها تفند الثياب وتفصلها بطريقة منظمة دون كلل وبكل هدوء وهي تدندن لحناً شعبياً ..

وسيادة تراقبها بفضول ..

الخطوة التالية كانت بوضع الثياب المتسخة في الغسالة الكهربائية الضخمة .. حاولت سيادة المساعدة ورفعت بضعة قمصان عرفتها لأبيها ولأخيها فراس من رائحة العطر المميزة التي لاتزال عالقة بها ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

في الخارج كانت سلمى تحادث أمها:

-أمي انت تدفعينها بقوة ..

-يجب أن تمارس كل اعمال المنزل والا كيف ستصبح سيدة الدار فيما بعد ..

ردت بقسوة لتتراجع سلمى وهي تزم شفتيها وتتجه لأعمالها محاولة تجاهل ماشغل بالها طيلة الليـل ..

انقضى الوقت سريعاً .. كانت تراقب سارة تقوم بالعمل وهي تراقب بحذر كي تتعلم .. والفتاة لم تبخل بشيء لتعلمها اياه .. وقفت تراقبها .. وحين انتهت ولم يبقى سوى تعليق الملابس في الشرفة الضخمة الملحقة تبعتها بهدوء .. ووقفت تطالعها بصمت ..

وحين انتهت ابتسمت لها سيادة وهمست:

-انت ملاك ..

اتسعت ابتسامة الفتاة وتخضبت وجنتيها بالحمرة وهي تقول:

-سأقول للخالة هدية انك من فعل كل شيء..

اتسعت ابتسامة سيادة بمكر واومأت لها لتخرجا معاً .. كانت الساعة تقارب وقت الظهيرة وقد بدأت هدية باعداد طعام الغداء ..

وحالما رأت سيادة تبتسم نهضت تقابلها متسائلة:

-هل أنهيتما الغسيل.. ؟؟

-بالطبع .. ادخلي لتري عمتي..

راقبت هدية ابتسامة سيادة الساخرة لتشعر بالغضب وهي تنظر الى يديها وثيابها المنسقة وهمست:

-تبدين وكأنك قد وقفت مشرفة ولم تمس شيئاً.. !!

اختفت ابتسامة سيادة .. وتجهم وجهها وهدية تلتفت الى سارة معنفة:

-هل قمت بالعمل كله وحدك؟؟

-لا .. لا .. لقد قامت السيدة بالغسل معي .. صدقيني خالتي..

اسرعت الفتاة مدافعة لتنظر هدية لسيادة بحنق .. فأسرعت سيادة:

-لقد قمت بما علي .. هل هناك أمر أخر أم يمكنني الذهاب.. ؟؟

عقدت هدية ذراعيها وهمست:

-ستشاركين بصنع الغداء.. ألا تريدين لزوجك أن يتذوق طعامك؟؟

عقدت سيادة حاجبيها وقالت بحدة:

-أنا لاأجيد الطهو؟؟

سمعت الشهقات حولها ورأت حاجبي حماتها يرتفعان بسخرية قبل أن تقول بحزم:

-سنرى ماتجيدين فعله .. حالما تدخلين الى المطبخ .. تفضلي أيتها الأميرة ..

ابتلعت سيادة ريقها وتوجهت معها للداخل .. وهي تدرك ان لاشيء سيكون على مايرام .. ابدااا..!!

***

أغلق قحطان هاتفه بعد أن اطمئن على استقرار شقيقه وزوجته .. كانت بداية اليوم صعبة وهو يواجه كل من انكشفت لهم زوجته البارحة .. ولكنه كان قحطان العزب .. وبكل أنفة لم يترك شيئاً كهذا حتى يمر برأسه وهو يلقي التحية لكل من يقابله من ابناء عمومته .. واقرباءه .. راى الخجل في عيون البعض ولكنه جابهه بالقوة ولم يحني رأسه وكأن شيئاً لم يكن ..تنهد بضيق وهو يشتم بسره تلك التي تسببت بكل هذه الفوضى .. وحالاً رأى عمه سالم

وابنه فراس يتقدمان نحوه .. أخذ نفساً عميقاً وواجههما بابتسامة قصيرة وعمه يسأله بتوتر:

-هل سيادة بخير؟؟

توترت نظرة قحطان ورد ببرود:

-بالطبع.. ولما لن تكون؟؟

-بشأن أمس.. ومافعلته في المجلس.. انا أدرك أن ابنتي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لقد فعلت مايلزم عماه .. لاتقلق ماحدث أمس لن يتكرر ابداً..

قالها بقسوة ظهرت في عينيه ليتدخل فراس باضطراب:

-هل عنفتها؟؟؟

رمقه قحطان باستخفاف ليواصل:

-سيادة رقيقة للغاية .. ولن تتحمل تعنيفاً .. عليك ان تكون رقيقاً معها.. هي لم تقصد غير مساندتي.

نظر له قحطان حينها بضيق.. انظروا لهذا الغر يعلمه كيف يعامل امرأته؟؟!! فكر بحنق .. قبل أن يقول ببرود:

-مابيني وبين زوجتي يخصني وحدي يافراس.. لاشأن لأحد به..

تجهم فراس وآثر الصمت وسالم يوقن ان قحطان لابد قد عاقب ابنته .. وشعر بالضيق لعجزه .. ولكنه حاول التجاوز عن الأمر ..وقال بتوتر:

-لقد انتهينا الان من هذا الامر .. ماجئنا بشأنه هو زواج فراس من سلمى..

ضيق اجتاحه وكاد يصرخ بالرفض .. ولكنه صمت بانتظار انتهاء عمه:

-فراس يريد السفر وانا وعدته ان يسافر خلال اسبوع على الأكثر..

غصة تجمعت في حلقه .. حاول أن يجليها ولكن خرج صوته متحشرجاً:

-كما تشاء عماه .. سنقيم العرس قبل سفره ..

-ممتاز ..

انفرجت اسارير سالم في حين كان فراس يحترق بالغضب وبالكاد يسيطر على اعصابه .. وسالم يواصل:

-سأسافر معهما .. واطمئن على سلمى .. لاتقلق بهذا الشأن قحطان..

-ولما أقلق وأختي بين يدي ابن عمها ..

قالها بحزم والتفت لفراس المرتبك ليواصل بهدير :

-انها أمانة في عنقه .. وان أصابها مكروه .. فسيكون ردي عليه هو ..

ابتلع فراس ريقه بتوتر .. وأشاح بعينيه عن قحطان وسالم يرد باضطراب:

-لاتقلق بني .. انها امانة في اعناقنا كلنا .. سلمى ستكون بالحفظ والصون .. لن يؤذيها احد ابداً..

-سنرى ..

همهم بتجهم ثم قال:

-سنبدأ التحضيرات .. ونبلغ اخوتها حتى يكونا معنا يوم عقد القران على الأقل..

-ممتاز بني سأترك لك كل التحضيرات..

-لاتقلق عمي..

راقب قحطان حينها انصرافهما بعيون مثقلة بالضيق والغضب.. لايريده زوجاً لسلمى .. ابداً لايريده .. ولكن ماباليد حيلة انه ابن عمها .. زفر بضيق .. ثم توجه الى الجيب القابعة بانتظاره ليتجه الى المزرعة .. كان يفكر بطريقة يسيطر بها على تلك المتمردة التي تزوجها وكيفية تأديبها .. بطريقة لاتخرجه عن طوره .. كان لايريد التفكير بكيفية اخراجها له عن سيطرته على نفسه .. يحاول تفسير رغبته المتزايدة بها في الايام الماضية .. زم شفتيه بعبوس .. لا .. يجب

عليه أن يفقد تلك الرغبة ويقتلها .. لم تكن هذه هي المرأة التي يريد أن تصبح زوجته .. لايريد لها ان تحمل اسمه .. او تحمل جزء منه .. تنهد بضيق .. مالذي يجب عليه فعله للخروج من هذا المأزق..

يعرف انه في غضون اسابيع ستبدأ امه وجدته وجميع نساء بيت الشيخ بالتساؤل ان كانت العروس حاملاً ..!! صحيح لن يجرؤ احد على سؤاله شخصياً .. ولكن امه قد تفعل ..يجب عليه ان يفكر باجابة .. جاهزة ورادعة ..

زفر بتوتر وهو يوقف الجيب امام مزرعة التين .. وخرج ليواجه يوماً طويلاً .. جداً ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

لم تصدق مافعلته ..

وقفت تنظر لاناء العجن الضخم بين يديها بفم مفتوح .. كادت تبكي .. حاولت السيطرة على العجين فلم تزد الامور الا سوءاً ..كانت العجينة قاسية .. لم ترد الا اضافة القليل من الماء .. ولكنها الان..!!

-مالذي فعلته؟!

سمعت الصرخة الحانقة .. فهبت واقفة من جلوسها على مقعد صغير وسط المطبخ وهي تحاول ايجاد ماتفسر به فوضى المكان حولها:

-اضفت بعض الماء فقط..

شهقت هدية وهي ترى العجين الذي كاد يصبح ماءاً وصاحت:

-أخبرتك الا تضيفي شيئاً .. كل ماكان عليك فعله هو العجن..

-ولكنها كانت قاسية ..

صرخت سيادة بتبرير:

-وفقدت احد أظفاري وانا احاول عجنها ..

شهقت هدية لتحمر سيادة بقوة وهي تصيح:

-هل تعنين ان هناك اظفراً في العجين ؟! يالهي هل انت غبية؟!

اتسعت عينا سيادة وصرخت :

-لست غبيــة؟!

-بلى انت كذلك .. انظري مافعلتي..

صاحت حماتها بقسوة واكملت:

-كل ماكان عليك هو تحريك ذراعيك الغبيتان وانظري ماسببته..

احتقن وجه سيادة .. حاولت جهدها الا ترد على تلك الوقحة .. ولكنها لم تعد تقدر .. غصة استحكمتها وهي ترى نظرات الفتيات حولها ..

توزعت بين الشفقة والسخرية .. :

-قلت لك ..

همست مخنوقة ..

-قلت لك انني لاأجيد العجن..

-لاتجيدين العجن؟! لاتجيدين الطبخ ؟! لاتجيدين حتى سكب الطعام لنفسك..

صاحت هدية بقسوة قبل أن تهمس بازدراء:

-أي مصيبة هذه التي جاء بها ولدي لي..

احترقت بالغضب حينها .. تملكها احساس عارم بالحنق وكل ماارادته هو تحطيم الاناء على رأس هذه المرأة .. ولكن ويالللعجب لم تفعل.. شعرت بأسى غريب يجتاحها وهي تسمع ضحكات ساخرة من حولها .. شعرت باحمرار يغزوها .. ويسيطر عليها ..

خجل ..!!

اجتاحتها حرارة قوية أحرقت صدرها وهي تحاول كتم دموعها في صدرها بقوة وبكل قوة تبقت لها التقطت منشفة وحاولت مسح بقايا العجين من يديها كيفما اتفق قبل ان تركض للخارج ..

لم تعرف كيف وصلت الى جناحها ..

ولكنها حالما فعلت .. رمت عنها طرحتها واندفعت الى الحمام تغرق فيه بؤسها ودموعها .. !!

بكت بقهر ..

هي .. سيادة العــزب .. من كانت تأتمر بكلمتها مايزيد عن خمسة عشر خادمة في منزل أبيها .. تضطر ان تسمع كل تلك الاهنات من امرأة قروية بائسة ..!!

شهقت بألم وبدأت تفرك العجين عن ذراعيها بجنون ..

لاتريد البقاء هنا .. لاتريد حتى أن ترى احد منهم .. تكرههم كلهم .. كلهم ..

صرخت بألم وبدأت تنزع عنها ملابسها الملطخة بالطحين ..

اغتسلت لوقت طويل قبل أن تخرج ملتفة بثوب قطني طويل ..

وشعرها يتساقط حولها ..

تمددت على سريرها وهي تغلق عينيها .. للحظة فقط تريد ان تتخيل نفسها وقد عادت الى باريس.. حيث منزلها .. خدمها .. أمها .. انسابت دموعها بمرارة وهي تفكر بالمستقبل الأسود أمامها ان لم تهرب من هنا بأسرع وقت ..لاتريد سوى العودة لأمها .. لاتريد سوى الهرب من هذا الدار الكئيب .. والرجل القاسي ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

حين دخل الى جناحه كانت الاضواء فيه خفيفة وقد أُسدلت كل الستائر..

شعر بانتعاش ينتشر في كل خلايا جسمه وهو يشتم رائحة الجو العبق برائحتها .. ابتلع ريقه بصعوبة .. ومضى الى الداخل .. كانت على الفراش استطاع رؤية تضاريسها عن بعد ..

أشاح ببصره وهو يتوق لحمام طويل يغسل به اقذار يوم طويل في المزرعة .. حين سمع نحيبها ..!!

توجست نفسه خيفة واقترب منها ببطئ.. هل تبكي وهي نائمة؟؟!!

رأى كتفها تهتز بشدة .. ومحاولتها لاخفاء وجهها واسكات صوت دموعها ..

ماذا الأن؟؟

فكر بضيق وهو يشعر بالحنق .. اقترب منها وهتف بقوة:

-سيـادة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لم تجبه .. رأى انتفاضتها للحظة قبل أن تسكن تماماً ..

زفر بضيق واقترب اكثر:

-لماذا تبكين؟؟ انهضي وكلميني..

لم تنهض ..

ولن تفعل .. فكرت بأسى .. فليذهب للجحيم ..

لقد شعرت به حال دخوله وان كانت خطواته ساكنة وامتصتها السجادة السميكة .. ولكنها شعرت به وبوجوده وهذا ماأثار حنقها وحفز دموعها من جديد ..

-سيادة انهضي الأن .. لن أكرر كلامي..

هتف بقسوة جعلتها تنهض بحركة واحدة وتواجه قسوة عينيه ..

كانت تبكي حقاً اذاً ..

فكر بتوتر وهو يرى وجهها المتورم .. وعينيها التي غار لونها بفعل الدموع ..

-لمَ البكاء؟؟

همس بخشونة فأخذت نفساً قوياً .. وصاحت بصوت شاحب من البكاء:

-أنا أريد العودة لمنزلي..

عقد حاجبيه بعنف .. وهتف بعصبية:

-انت في منزلك ..

-لا لا ..

صاحت بضعف وهي تضرب قبضتيها في الفراش وصاحت متجاهلة الغضب العاصف في عينيه:

-أريد العودة لباريس .. اريد أمي .. اريد خدمي .. اريد أن اعود كما كنت..

حاول السيطرة على أعصابه .. حاول أن يفكر بكل ماقالته الا انه لم يفكر سوى بشيء واحد وان لم تنطقه بشفتيها ونطقه هو بكل برود:

-تريدين العودة لذاك الرجل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

شحب وجهها وهو يذكرها بعبدالعزيز .. لم يسبق له ابداً ان جاء بذكره بشكل مباشر.. ويالللهول كيف كانت نبرته وهو يقولها .. كانت باردة لدرجة ان قشعريرة مرت كصاعقة عبر جسدها .. تاركةً قلبها ينتفض بجنون .. غصة تجمعت في حلقها وهي تواجه وجهه أسوداً من فرط القساوة .. دموعها جفت ولم تعد تسقط على وجنتيها ابداً ..

شعرت بغضبه يلفحها كأتون مشتعل ..

-قولي الصدق سيـادة .. قولي ان هذا ماتريدين العودة له حقاً ..

تمتم بجفاء .. لتهمس بصوت متحشرج:

-لم أفكر..

-اخرسي ..

صرخ بغضب عاصف أسكتها على الفور وعينيها تتسعان بذعر..

اقترب منها ويده تقبض على عنقها بقسوة من الخلف .. حاولت التراجع والانفلات من قبضته ولكنها كانت ككماشة .. صرخت بألم وهي تسمع فحيحه الغاضب:

-انسي ماتفكرين به.. انسى كل شيء سيادة .. والا اقسم ان اعيد ترتيب عقلك هذا بيدي انا .. أتفهمين..

-انت تؤلمني..

همست موجوعة .. لتشتد قبضته عليها اكثر وكأنه يؤكد ايلامها ..

-وسأقطع عنقك ان فكرت يوماً مابه .. أتفهمين ..

شهقت بالألم ودموعها تعاود انهمارها وهي تصرخ:

-لم أكن افكر فيه.. ابداً ..

خلصها من قبضته بقرف .. ظهر واضحاً على وجهه وهو يرشقها بنظرات ازدراء هاجمتها بقسوة وهو يقول بتهديد:

-هذا ماسيحدث سيادة .. كلما فكرت فقط .. سأنزعه من ذاكرتك ..

سأسلخك منها حية ان تطلب الأمر ..

-أنت مجنون ..

همست باكية .. لتلمع عيناه بقسوته وتظلمان بطريقة مفجعة ..

جعلتها تتراجع الى اقصى الفراش وهي تخفي وجهها بين ذراعيها

صارخة:

-دعني وشأني .. اتركني بحالي..

تراجع حينها ..

لايأبه لتوسلها .. لايأبه لتمردها .. لايريد أن يفقد اعصابه مجدداً ..

لايريد أن يخسر نفسه أمامها للغضب الذي عصف به بجنون .. لم

يشعره قط في حياته قبلاً .. وهي الان تتفنن في اظهاره .. من اعماقه

وبكل سهولة ..

اندفع للحمام يفرغ كل غضبه تحت الماء المتدفق .. يحاول ضبط

أعصابه ..والتحلي بقليل .. قليل من الصبر.. تريد العودة اليه ..

شاط غضبه مجدداً .. وتمردت قبضته ليهوي بها على الرخام البارد

للحمام بقوة كادت تحطم براجمه ..اغمض عينيه وأسند جبينه

للسطح البارد والماء يغسل جسده من بقايا العرق .. وهو يعاود التفكير

بها .. الى متى سيحتمل توقها للعودة الى ذاك .. الى متى تلجمه نفسه عما يريد .. قتلها وقتل ذلك الرجل .. الى متى يكبل نفسه عن السفر الى هناك واحضار ذلك الوغد وقتله امام عينيها !!

الى متى يحتمل تكبيل غضبه .. الى متى يحتمل؟؟!!

شهق للهواء ورفع رأسه يستقبل رذاذ الماء القوي..

حبس انفاسه وكتمها حتى شعر بقلبه ينتفض بقوة .. ويصرخ مطالباً به ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

مجنــون ..

فكرت ببكاء عاصف .. مجنون أوقعها سوء حظها فيه .. مجنون سيحطمها ويقتلها دون شك..

هي حتى لم تفكر بعبدالعزيز منذ زمن .. بكل سهولة نسيت حب حياتها ولم يعد يخطر حتى ببالها .. !!

تقتلها نظرة الازدراء من عينيه .. تقتلها وتحطمها ..

شعرت به يخرج من حمامه .. عليها ان تواجهه .. عليه أن يعرف انها ليست ضعيفة وانها لن تقف مكتوفة الايدي وهو يتهمها ويعاملها كالحثالة ..

نهضت بعنف وواجهته ..

كان يرتدي جينزاً حال لونه .. ويشرع بارتداء قميصاً قطنية حين وقفت تواجهه..

أشاح عنها واعطاها ظهره لتصرخ فيه بحدة شاحبة:

-انظر الــي ..

أخذ نفساً عميقاً .. ثم استدار لها ببطئ اقتربت منه وهمست متحشرجة:

-أنا لست خادمة لديك لتعاملني بهذه الطريقة .. انا سيادة العزب .. يجب ان تحترمني .. أتفهم؟؟!!

ناظرها ببرود وهو يرتدي قميصه .. قبل ان يقول:

-سأعاملك كما تستحقين سيادة .. واذا ماكنت انت سيادة العزب .. فأنا قحطان .. شيخ العزب كلهم سمعتني؟؟

-لايهمني من تكون .. لايهمني حتى ماتقوله.. انا لن أسمح لك بمعاملتي بهذا الازدراء..

صرخت بعصبية لينظر لها بتلك الطريقة التي ترفضها مماجعلها تصرخ بيأس:

-لاتنظر الي هكذا ابداً .. انا لست برخيصة ..

-أنت من أرخص نفسك يابنة عمي..

قالها بسخرية مريرة لتدافع عن نفسها :

-أنا لم افعل..

صاحت بألم ليهتف بقسوة:

-هذا امر لم يعد يهمني ابداً .. لقد انتهينا من كل ذلك الماضي سيادة

وانت هنا ستنسين كل شيء عنه.

-ماضٍ لم يحدث قط..

صرخت باستماتة لتشتعل عيناه بغضب أكبر ويتجه اليها .. قبض

على ذراعها بعنف وهزها بقوة:

-توقفي عن انكار الأمر .. فهذا لن يفيدك بشيء..

نظرت له بحرقة وهمست بوجع:

-يوماً ما .. ستعرف الحقيقة وحينها ستندم قحطان ..

نظرلها بذاك الازدراء .. قبل ان ينفضها عنه وهو يقول بخشونة:

-لن اندم أبداً .. انت فقط من سيندم ليل نهار على كل مافعلته

بعائلتك ..

مسدت ذراعها الموجوعة وهمست بمرارة:

-عائلتي التي لم أعرف عنها شيءمن قبل؟! عائلتي التي تخلت عن ابي لسنوات طويلة وظهرت فجأة لتحطم حياتي..

نظر لها ببطئ.. رأى عينيها تلمعان وقد اختفت أثار الدموع كانت مواجهة حقيقية لم يفكر يوماً ان يخوضها:

-والدك هو من اختار الابتعاد..

-وماذنبنا انا وأخي لتحكموا علينا بجرم فعله أبي.. هل فكر أحدكم يوماً بالسؤال عنا.؟! هل عرفت بوجودي حتى قبل أن تتزوجني قحطان؟!

رفع رأسه بعجرفة:

-لم أكن أعرف عنك شيئاً من قبل.. ولست نادماً على هذا ياابنة عمي ..

-لو لم تعرف عنا .. لكان كل واحد منا الأن يعيش حياته بسلام..

همست بشرود ليضحك بخشونة مرة .. فاجأتها وهو يدمدم:

-مهما حدث .. كنا سنلتقي يوماً ..

ارتعشت لاارادياً وهو يوجه لها نظرة سوداء مظلمة لم تفهمها قط ..

-كنت ستكونين قدري .. سواء التقينا أم لا ..

ابتلعت ريقها بصعوبة وهو يقترب منها .. أصبح مواجهاً لها .. امتدت ذراعاه تقبضان على كتفيها وتقربها منه ..

-قدرك أن تخطئي سيـادة .. وقدري أن أصلحه ..

لمعت عيناها بحزم وشقت الصمت بينهما بهمسة حاسمة:

-أنا لم أخطئ..

لم تهتز نظرته وهو ينظر لعينيها:

-لايهمني انكارك .. فلاسبيل لاثبات دفاعك لي .. ابداً..

قالها بحزم جعلها ترتجف .. وشعر بارتجافتها قبل أن يطلقها ويتراجع .. تاركاً اياها في دوامة .. تبحث عن سبيل للدفاع عن شرفها ولاتجد .. هو هكذا يرمي بها وسط دوامات غريبة .. ويتركها حائرة .. حتى النخاع..!!!

***

نهضت من جوار امها بعد أن اعطتها حبة الدواء المهدئة لتغرق في نوم عميق .. خرجت بعدها لتجد خالتها مستلقية على احدى الكنبات المتناثرة في صالة منزلها تضع ساقاً على الاخرى وبيدها تحمل مجلة نسائية:

-كيف حالها الأن نادين؟؟

-أفضل قليلاً .. الدواء الذي وصفه لها الطبيب يساعدها..

قالتها متنهدة وهي تجلس على كنبة اخرى وتمد ساقيها الملتفتين بسروال قصير وتدليهما بحرية هامسة:

-كان من الافضل بقاءها في المشفى..

-لو بقيتم هناك كان ذلك الوغد سيجدكما..

تلفتت نادين حولها وقالت:

-حمدلله انه لايعرف عنوانك الجديد ..

-الحمدلله ..

قالتها خالتها بلامبالاة وهي تعود لمجلتها وتعاود نادين استلقائها المسترخي حين فتح الباب ودخلت فتاة سمراء طويلة القامة ألقت التحية بمرح وأسرعت تجلس الى جوار نادين هاتفة:

-كيف حالك نادين؟؟

-كالعادة .. وأنت سمر كيف حالك؟

-ممتازة ..

واتسعت ابتسامتها وهي تميل لها هامسة:

-أتذكرين الشاب الثري الذي قلت لك عنه؟؟

-أيهم بالضبط ففي قائمتك الكثير..

قالتها نادين ضاحكة لتجاوبها ضحكة سمر العالية قبل أن تتصنع الجدية وتهمس:

-ذلك الفتى الذي يملك السيارة الفضية ..

تذكرت نادين وهمست:

-ذو الرأس الضخم؟؟

-بالضبط ..

ضحكت سمر لتسألها نادين بسخرية:

-هل وقع اخيراً ؟؟

-اووه نعم وقع .. الى الأخر بالطبع ..

هتفت سمر ضاحكة لتتجهم نادين وهو يخطر دون مقدمات الى رأسها؟؟!!

لاتعرف لما تذكرت نظرته المذهولة وهو يراها للمرة الأولى..

ولاابتسامته الساذجة وهو يشرد نحوها ..

قست نظراتها وهي تتذكر ماقاله لها من انه في خدمتها متى احتاجت اليه ..

-سنخرج الليلة ..

قاطعت سمر أفكارها وهي تحكي بحماس:

-سنذهب لذلك المطعم الجديد على البحر . عليكي بمساعدتي في التجهز نادين .. واريد ارتداء ثوبك الأزرق.. سيكون رائعاً علي..

نظرت لها نادين بقلق:

-الى أين ستذهبان بعد المطعم..؟؟

اتسعت ابتسامة سمر وهمست:

-سيأخذني الى حفلة مقامة في شاليه .. سنكون مجموعة .. هل تودين المجيئ..؟؟

عقدت نادين حاجبيها وهتفت بصرامة:

-تعرفين انني لاأحضر حفلات من هذا النوع..

-انت الخاسرة ..

قالتها بهزة من كتفيها .. قبل أن تنهض وتتوجه الى غرفتها التي تشاركها بها نادين وهي تصيح:

-تعالي لمساعدتي الان .. كي لاأتأخر..

راقبتها نادين للحظات قبل أن تنهض وتفعل ماعليها وهي تهمس:

-لاتتهوري سمر.. لاتدعيه يؤذيك ..

ابتسمت سمر بخبث:

-لاتقلقي.. هو لن يؤذيني ..كما ان اصدقاءه من الجامعة هناك ..

وكذلك بضع رفيقاتهن .. لن أكون وحدي.

تنهدت نادين بقلق .. ولم تعرف لما عاد لها علي .. بصورته المكتملة ..

نظاراته الصغيرة ..وابتسامته .. تنهدت وازاحته عن ذهنا بقوة وهي

تساعد قريبتها ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

كانت الساعة تقترب من الفجر ..

الجميع نائم وهي وحدها تقف بقلق ترقب عودة سمر التي تأخرت

كثيراً .. كثيراً ..

لاأحد يهتم بهن .. كالعادة .. سمر تتأخر الى هذه الساعة ولاأحد يهتم

.. دعكت كفيها بقلق وكادت تعض أظافرها حين رأت تلك السيارة

تتوقف قرب المنزل ..

السيارة الفضية ..!!

ورات سمر تترجل منها وتسرع الى حديقة المنزل ..

تقدمت تستقبلها وتوقفت هلعة وهي ترى كيف تقف شبه مترنحة ..

شعرها منتثر على كتفيها بلاانتظام .. بالكاد عبائتها تستر شيئاً من

ثوبها القصير..

-سمر؟؟!!

صاحت بحدة لتلتفت لها قريبتها بتوتر..

-لقد تاخرت؟؟

تسائلت نادين .. لتشيح سمر :

-وماشأنك أنت؟؟

صاحت بها فتقدمت نادين تهزها من ذراعها بقوة:

-لقد قلتِ ان السهرة بريئة؟؟

شعت عينا سمر البندقيتان بالغضب وهي تتخلص من ذراعها:

-وماشأنك أنت .. انها مشكلتي أنا؟؟

-سمر لقد اتفقنا .. لقد اتفقنا ألا نعود الى هذا الطريق مجدداً.

صاحت بألم لتضحك سمر بمرارة وتهتف:

-هذا هو الطريق الوحيد الذي نعرفه نادين .. لاتمثلي دور الشريفة معي..

اتسعت عينا نادين وصرخت :

-ماذا تعنين؟؟

-ماعنيه هو انني وأنت نعرف جيداً ماتخططين له .. ونعرف انه مخطط فااشل..

صاحت سمر بحقد وتجاهلت نظرة نادين المذهولة وهي تواصل:

-لعبك دور الفتاة البريئة التي لاترافق سوى علية القوم وافضلهم سمعة .. ولاتتمادى .. هذا الدور الأحمق الذي يصدقه الاغبياء .. لن ينطلي علي انا نادين..

وتقدمت منها هاتفة:

-انت تخططين للايقاع برجل ثري .. ساذج كفاية ليسقط في حبال امرأة مثلك .. امرأة يلوك الناس كلهم سمعتها ..

لمعت عينا نادين بالدموع الحارقة وهي تسمع قريبتها تفضحها بكل هدوء ..

-اخبريني نادين حبيبتي..

تسائلت سمر بسخرية:

-ماذا تنوين ان تخبري الساذج الذي سيقبل بك يوم زفافك.. هل تنوين تخديره ؟! ام تنوين اختراع كذبة السقوط من الدراجة وانت طفلة ..

صرخت بها بحقد جعل نادين تصيح بوجع:

-توقفي .. اصمتي .. اصمتي..

-لا لن افعل..

صاحت سمر بحقد..

-لاتحاولي ان تمثلي دور المرأة العفيفة امامي وانا اعرف من تكونين حقيقة .. كلانا نعرف مانكون نادين .. وكلانا وصلت قاع الهاوية .. فلا فائدة من محاولة الصعود .. فنحن غارقتان في الوحل لأعناقنا..

-تكلمي عن نفسك .. انا لست مثلك ..

همست نادين بقهر لتضحك سمر وتتركها واقفة في مكانها وهي تدمدم:

-أنت أسوأ مني .. على الاقل انا لاأخدع أحد .. والمهم انني لاأخدع نفسي..

تركتها نادين تهرب .. تركتها ودموعها تنساب بحرقة على وجنتيها .. تحيط جسدها بذراعيها بقوة لتوقف انتفاضته ..

هي ليست مثلها .. ولن تكون مثلها قط ..

هي تصر على الخروج من هذه القذارة التي وجدت نفسها تعيش وسطها دون ارادة منها .. مهما حدث ومهما فعلت هي ستخرج من هذا القاع القذر .. لاتهم وسيلتها .. فكل شيء مباح في الحب والحرب ..

وهي ستحارب .. ستحارب لتنجو بنفسها فقد عاانت الكثير ..

جلست تنظر للظلام وهي تفكر في كلام قريبتها .. نعم هي تخطط للهرب من الهاوية .. وستنجح ..

ولكنها تحتاج لسااذج واحد فقط .. رجل سااذج كفاية لينقذها ..دون ان يعرف ماعانته في الماضي .. تريد الخروج من هنا .. وهي الأن فقط تعرف من سيفعل ..

تذكرت النظرة الرجولية البريئة الوحيدة التي تعلقت بها .. منذ ان بلغت عنان انوثتها .. كانت نظرته هي الوحيدة التي لم تلوثها .. رغم انذهاله بها .. رغم اعجابه بها حقاً .. كما رأت .. كانت نظرته بريئة كفاية .. لتوقن انه من ستحاول معه الخروج من مكانها .. والصعود .. كان هو الوحيد الى الأن .. وعليها ان تحاول .. فهي لن تخسر شيئاً على كل حاال .. لم تخسره قبلاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

تحدد يوم الزفاف ..

او بالأحرى عقد القران .. بعد ثلاثة ايام .. وبعدها مباشرة سيطير العروسان مع والدها الى باريس.. وهي ستظل هنا .. محبوسة خلف اربعة جدران .. تتعلق انظارها بماسيقوله فراس لأمها حال وصوله .. تنهدت بضيق ومضت الى المجلس .. فبعد تلك الحادثة في المطبخ لم يطلب منها المساعدة .. كانت تساعد سارة .. خصوصاً ان سلمى

كعروس قادمة أُعفيت من كل المهام .. وكانت مهتمة فقط بتحضير جهازها ..

هذا اليوم قررت الذهاب لتحادثها فبعد ما فعلته وقالته في مجلس الشيخ هي لم تفتح موضوع الزواج مع سلمى قط !!كانت تجلس هناك الى جوار جدتها وامها وعماتها وبناتهن وأمامهن الحقائب .. وكانت الجدة تضع في الحقائب علب من البخور عطر الرائحة والعطور والعود ..

تنحنحت بحرج .. والتفتن لها كلهن .. رأت ابتسامة جدتها وسمعت فتحية تناديها:

-تعالي وانظري لجهاز عروس أخيك .. هيا لاتخجلي..

اقتربت بحذر وهي ترى نظرة هدية القاسية .. وسلمى الخجولة الحزينة .. حتى الجوهرة .. كانت تتجاهلها لاتعرف ان كانت متعمدة او .. مجرد رد فعل..

جلست تطوي تنورتها تحت ركبتيها وهي تهمس:

-انها جميلة ..

احمرت وجنتا سلمى بخجل .. واشاحت بوجهها في حين بقيت الجدة تلمس كل غرض وتقرأ عليه .. ثم تناوله لأحدى الفتيات لتضعه في مكانه .. في الحقيبة ..

-فراس لايحب البخور .. او العود ,,

همست لتتوقف جميع لافتيات وتنظرن لها باندهاش .. ورأت نظرة الاستنكار في عيني حماتها لتواصل بحزم:

-فراس لايحب الروائح الثقيلة ..انها تخنقه..

قالت بصدق لتتوتر الفتيات وترددن وبكل الخجل في نفسها نهضت سلمى راكضة تخفي دموعها ..

-كيف تفعلين هذا؟؟

اعترضت الجوهرة بحدة لتنظر لها سيادة :

-انها الحقيقة .. سيكره اخي كل هذا وستلوم سلمى نفسها.. أهذا ماتريدونه؟؟

صمتت الفتيات وتبادلن النظرات قبل ان تنهض سيادة وتلحق بسلمى ..

وجدتها باكية على فراشها .. تنهدت واقتربت منها ..

-سلمى توقفي عن البكاء وانظري الي..

شهقت سلمى وصاحت:

-ليس بيدي ان عمي اختارني ليزوجني اخاك .. انا حتى لم اعرف .. انا

اسفـــة ..

اقتربت منها وانهضتها مرغمة لتنظر في عينيها الدامعة:

-لاتقولي هذا.. لم اعني مافهمته ياحمقاء..

شهقت سلمى بالدموع فنهرتها سيادة:

-توقفي عن البكاء واسمعيني ..

ثم اخذت نفساً طويلاً قبل أن تزفره وتقول:

-اعتراضي على زواجك بأخي لاعلاقة له بك أنت فقط .. كنت افكر

بكما معاً .. انت وهو .. هلا اخبرتني ماتعرفينه عن اخي؟؟ أحلامه؟؟

طموحه .. هل عرفت انه يريد السفر لأمريكا؟؟ هل تعرفين السبب؟؟

اتسعت عينا سلمى وهزت رأسها نافية لتهتف سيادة:

-هذا بالضبط ماعنيته .. انتما لاتعرفان بعضكما ابداً .. كيف

ستتزوجان؟؟ اخي له عقلية غير اعتيادية سلمى .. اخي فنان.. يعزف

على الجيتار ويهدف ان يصبح عازفاً محترفاً مع احد المغنيين الكبار

هناك .. كيف يمكن ان تعيشي معه؟؟

اتسعت عينا سلمى اكثر .. لتواصل سيادة:

-اريد الان ان اساعدك سلمى .. لتتعرفي على اخي .. حتى لاتفاجئك تصرفاته الهوجاء في لحظة .. ساعديني لأشرح لك .. لأخبرك بما يحبه وبما لايطيق..

اومأت لها سلمى بتردد لتبتسم سيادة وهي تهمس:

-اعرف ان الامر صعب عليك .. تماماً كما كان صعباً بالنسبة لي .. ولكن مع الوقت .. ربما ستفهمينه وتسعدينه..

-سأبذل جهدي صدقيني..

قالتها صادقة وبحرارة .. لتفكر سيادة بكيف انها تبدو ضعيفة وبريئة ..وازداد يقينها في داخلها ان اخيها قد يحطم هذه البرائة .. وبكل قسوة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لتبتعدي اذاً عن تلك العطور والبخور .. اولاً ..

قالتها باسمة لتضحك سلمى بخجل وتومئ برأسها وسيادة تواصل:

-سأعطيك بعض مالدي حتى تصلي لباريس .. وهناك سأعطيك اسماء بعض المحلات وماركات العطور المشهورة .. لتنتقي ماينا سبك ..مارأيك؟؟

اومأت مجدداً وخجلها يبتلع لسانها ..لتضحك سيادة وتضمها بقوة هاتفة:

-سأشتااق اليك يافتاة ..

-وانا ..

تمتمت سلمى مخنوقة .. وعانقت سيادة بالمثل .. وهي تشعر انها بوقوف سيادة معها في الفترة القادمة سيكون من السهل عليها ان تتعرف على زوجها .. بشكل اسرع .. واكثر حكمة ..

في تلك الليـلة قضت سيادة معظم الوقت في نقل أغراض من خزانتها لحقائب سلمى التي فرشتها على سريرها .. تركت سلمى تختار من العطور .. وادوات الزينـة ..

وبعد انصرافها ظلت سيادة تنظر لأغراضها الخاصة بشوق ..

منذ متى لم تأخذ حمام زيوت ..!!

منذ متى لم تستخدم ادوات زينتها بالطريقة التي كانت تفعلها هناك في باريس.. منذ متى لم تتزين بحق.. وترتدي أجمل اثوابها .. قمصانها الحريرية .. وزينة أظافرها الناعمة المتلألأة !!

تنهدت بحرقة ومضت تغلق الادراج بحنق ..

تتذكر احلامها عن زواجها وماذا كانت تخطط لترتدي كل ليلة ..

تظهر انوثتها لزوجها وتطير بصوابه ..تنهدت بأسى وهي تتخيل نفسها تتزين لذلك القحط ..

ارتجفت من رأسها لأخمص قدميها وهي تزيح الفكرة من رأسها ..وسرعان ما كانت تتجه للباب حتى تذهب للعشاء حين توقفت فجأة ..

أنوثتها؟؟!!!

توقفت أنفاسها لدقيقة وهي تتذكر ذلك الضعف الذي لاح لها في عينيه تلك الليـلة .. حين كاد يقبلها للمرة الأولى .. لطالما عرفت ان كل الرجال ضعاف امام انوثتها..

وهي منذ زواجها تعمدت ان تخفي تلك الانوثة الصارخة عن زوجها الا في مرات قليلة فقد فيها اعصابه .. ابتسمت بمكر .. كم سيكون انتقامها لذيذاً .. ستجعله يركع لها .. وليس هذا فحسب .. ستثير جنونه وتجعله خاتماً في اصبعها اذا مالعبت اوراقها بشكل سليم .. وخططت بدهاء ..

تقدمت الى مرآتها ..

وقفت تتأمل قميصها الحريري باللون العسلي .. وبنطلون من الجينز كي تجلس على الأرض براحة .. وتجلت ابتسامتها وهي تلغي فكرة الراحة ..

وبحركة واحدة نزعت جينزها واستبدلته بتنورة طويلة .. تظهر تقاسيمها .. وتبرزها بنعومة .. وابتسمت وهي ترفع شعرها عن وجهها وتترك عنقها البض ظاهراً .. وفتحت اول زرين من بلوزتها ثم ارتدت حلية ذهبية تركتها تختفي على صدرها .. ثم حذائها الكريمي بالكعب العالي.. ووضعت عليها طرحتها كيفما اتفق .. ومضت الى المجلس..

كان العشاء يضم بالاضافة اليها حماتها هدية وابنتيها وجدتها فقط .. وطيلة الوقت كان تتحدث مع سلمى .. متجاهلة نظرات هدية الحارقة وتجاهل الجوهرة الغريب لها ..

وبعد العشاء قررت الجدة ان تذهب الى مجلس الشيخ .. وحينها نهضت سيادة بلهفة:

-سأذهب معك جدتي .. ليس هناك سوى قحطان ووالدي واخي مع الشيخ ..

تنهدت سلمى بأسى انها لاتستطيع الذهاب في حين سارعت الجوهرة للعودة لمنزلها .. والجدة تقول لهدية:

-حضري القهوة ياابنتي .. والحقي بنا ..

اومأت هدية وسيادة تمسك بذراع جدتها لتوصلها الى المجلس الذي تعالت منه ضحكات الجد ووالدها وهما يستقبلان السيدة العجوز ومرافقتها الجميلة ..

حالما دخلت ركضت لتغرق بين ذراعي والدها الذي عانقها بحنان هامساً:

-تبدين جميلة للغاية بنيتي..

احمرت وهي تهمس بشكر له قبل أن تنسل من بين ذراعيه وترتمي الى جوار جدها حاضنة كفيه بيديها تقبله بحنان هامسة:

-مرحباً جدي..

-وعليكم السلام ايتها الجميلة .. ماشاء اللّه بارك اللّه ..

قالها جدها وهو يبعثر خصلات شعرها لتتناثر امام وجهها ..

فضحكت بمرح .. ضحكة عالية سببت له هو شق في وسط صدره .. مالذي تنويه ..!!

فكر بحنق ..

منذ ان فتح الباب استطاع أن يشتم رائحة الليمون .. ورائحة عطر أخر .. لم يتعرفه .. ويشعر بذاك الانتعاش حال دخولها .. بذلك القوام

المبهر الذي خطف بصره وتركه يلحقها كصياد مفترس وهي تكاد تختفي بين ذراعي ابيها.. ثم تولي جُل اهتمامها بجده العجوز .. وهو ..!! كالأحمق .. وحده !!

نهض يساعد جدته على الجلوس .. حين توجهت هي اليه ..

كانت خصلات من شعرها تتهدل حول وجهها الفاتن .. وضحكة مجنونة تلمع في عينيها ..

تثير فيهما عاصفة .. في كل مرة عينيها تختلفان ..حين تبكي .. حين تغضب .. وحين تنظر له بهذا الشكل .. ككتلة من الفرح .. شيء مريب .. وهو لايشعر بالارتياح !!!

همست بخجل:

-مرحباً ..

اصابته كلمتها في عمق .. بعدما حدث بينهما قبل يومين .. وهي تتحاشى الكلام معه .. تتحاشى مجرد الاقتراب منه .. والان هي تحادثه وليس مجرد حديث ..

تأمل قامتها الطويلة التي كادت معها ان تصل اليه .. ولكن خانها الكعب ببضعة انشات .. لتتسمر عينيها على الشق في ذقنه ..

وارتجافة شفتيه وهو ينظر اليها .. رفعت عينيها فارتطمت بعينيه بقوة حتى كادت تقع؟؟!! لا لن تستسلم الأن .. عليها ان تكمل .. اقتربت اكثر ومست ذراعه تحيط بها بتملك .. شعرت بتصلبه وهو يجلس ويساعدها على الجلوس ..ولم تفلته .. كانت تراقب كل حركاته وسكناته وهي بالقرب منه .. من يراهما يظنهما عاشقين .. !! لايدرك انه يمثل .. وانها تخطط .. وببراعة ..

نظر لها من وقت لأخر .. وراى ابتسامتها .. رفع يده ليعيد ترتيب خصلاتها المبعثرة خلف اذنها .. دون كلام .. لتتسمر نظرتها وابتسامة على وجهها وهي تواجه خطر الاقتراب منه .. لمسته لها تعيدها الى المرحلة .. صفر .. في سيطرتها على نفسها !!

ابتلعت ريقها وحاولت تخفيف ضربات قلبها .,. ولكنها كانت قد تخطت الحدود وبدات تضرب بقوة ..

ذراعه القريبة من خفقاتها استشعرتها .. ورأته يلتفت لها ويهمس بصوت ثقيل:

-هل أنت بخير..؟؟!!

تاهت في نظراته السوداء وهمست بأن نعم .. دون صوت حقيقي .. ليقترب منها هامساً بخشونة:

-اذا ماكنت متعبة .. سأعتذر ونعود الى غرفتنا؟

ابتلعت ريقها .. هاهي المرحلة القادمة تقترب .. وهي تصاب بالذعر ..

تعرقت يديها وتشبثت غريزياً بقميصه وهي تفكر عما يمكن أن

يحدث في غرفتهما .. هل يعقل؟؟؟

ولكنها سيطرت على خوفها وفكرت..

انت تسيطرين على مجرى الامور سيـادة .. أنت تخططين .. ولن تدعي

شيئاً يقف امامك ..

أخذت نفساً والتفتت اليه هامسة:

-اريد الاستلقاء قليلاً .. لقد تعبت اليوم ..

استقبل همستها ببرود .. هناك أم مريب .. ولكنه لايعرف ماهو؟!

هدوءها الغريب .. اقترابها المستمر منه .. انها تخطط لأمر ..نهض

يجذبها خلفه واعتذر من الجميع قبل أن يقودها امامه الى جناحهما ..

كانت تشعر به خلفها .. يراقبها كصقر كل خطوة تخطوها .. كانت

تحفر نفسها في ذاكرته .. ابتلعت ريقها بتوتر وهي تشعر باحتكاك

جسدها به عرضياً كلما صعدا درجة او فتح لها باباً.. كانت تبتسم

وتنظر له مسبلة جفنيها هامسة بِـ.. شكراً .. بكل براءة .. ونعومة ..

رأت تصفد العرق على جبينه وهو يفتح لها باب جناحهما لتتلكك على العتبة هامسة:

-شكراً لك قحطان ..

تمالك نفسه وهو يسمع اسمه منها .. كما في كل مرة بطريقة ذاائبة تكاد تقتله .. مالذي تنويه هذه المرأة؟؟

تقدمته الى الداخل تتهادة وهي تنزع طرحتها وتحرر شعرها .. ثم تجلس الى الكنبة التي ينام عليها .. تضع ساقاً على الأخرى .. وتنظر له بعمق..

-مالأمر؟؟ تتصرفين بغرابة ؟؟ على ماتنوين بالضبط؟؟

همس لها بتهديد .. جعلها تجفل .. انه يدرك منذ البداية ؟؟!!

كلا .. هو فقط مرتبك .. سيطرت على نفسها بسرعة ونهضت تقفز اليه .. قالت بابتسامة:

-بصراحة .. لقد سئمت الشجار المتواصل بيننا ..

عقد حاجبيه .. لتواصل وابتسامتها تتسع:

-نحن نعيش معاً قحطان .. واذا ماستمرينا هكذا فسينتهي بأحدنا ان يقتل الأخر .. وأنا لاأفكر ابداً ان اقضي باقي شبابي خلف القضبان..

ابتسم بسخرية وعلق:

-او تحت التراب..

توترت ابتسامتها واقتربت منه:

-انت ابن عمي قحطان .. مهما حدث تظل اقرب الناس لي.. ولااريد ان اتشاجر طوال اليوم مع امك لأعود هنا واتشاجر طيلة الليل معك..

عقد حاجبيه وهي تقترب أكثر ..

-كل ماريده هو هدنة .. هدنة لفترة فقط .. حتى اتمام زواج اخوينا .. وبعدها ..

وصمتت ليكمل هو بسخرية:

-نعود لقتالنا .. !!

ابتسمت بعبث .. ورفعت يدها تداعب ازارا قميصه هامسة بخفة:

-سنرى .. الى أين نصل يابن عمي ..

ازدادت خفقات قلبه وهو يراها تفرد له يدها هامسة:

-متفقان؟؟؟

نقل بصره بين كفها المفرودة له وبين عينيها اللامعتين .. يشعر ان هناك امور وراء ماتقول .. ليس هذذا كل شيء وهو يقسم على هذا .. ولكنه لم يعلق ..بل مد يده يصافحها ببرود لتتسع ابتسامتها قبل أن تجذب كفها منه وتستدير الى غرفتها هاتفة:

-رااائع .. والأن تصبح على خير..

رد التحية بخفوت قبل أن تتوقف هاتف:

-اه .. تذكرت ..

واقتربت منه مسرعة قبل أن تدير له ظهرها وترفع شعرها كاملاً

هامسة له:

-هلا نزعت السلسال .. ان قفله صعب علي..

توترت عضلاته كلها وهو يقترب ليرى القفل الصعب .. !!

كانت رائحتها مذهلة ..اغمض عينيه لوهلة يستطيب رائحتها التي

تسللت اليه دون مقدمات وامتدت يداه حتى لامست عنقها .. شعر

بها ترتجف بقوة حالما لامستها رؤوس اصابعه ليهمس لها بخشونة:

-لاتتحركي ..

حبست انفاسها وهو يلتقط الذهب الرقيق بين اصابعه .. ويحاول ان

ينزع رائحتها عن رأسه ..

كان القفل سهلاً .. وحالما لمسه فتح ..

ولكنه لم يفلته .. رائحتها كانت كمخدر لذيذ اجتاحه بلارحمة ..

اقترب منها حتى لامس انفه شعيراتها الخفيفة اسفل عنقها ..

ارتجفت بقوة وهي تستسلم للمسته السحرية .. تنشق رائحتها

كزهرة استوائية .. بعثت فيه احساس عارماً بالخدر .. واشتدت يداه على كتفيها .. قربتها منه حتى ارتطم ظهرها بعضلات صدره النافرة وهو يغرق وجهه في عنقها .. أفلتت خصلات شعرها لينسدل ويغطيهما معاً ..شعرت بشفتيه تتجولان على النبض الضارب بقوة .. وشهقت متفاجاة حين أداراها اليه بحركة حادة .. لتواجه عيناه العاصفتين .. برغبة سعت اليها .. بكل حركاتها ..

رفعت يديها تصده بحزم وهي تستعيد بعض تعقلها ..

همست بصوت مثقل بالعاطفة:

-قلنا هدنة ياابن العم .. مجرد هدنة ..

لمعت عيناه بعاصفة من غضب مكبوت .. قبل أن تقترب هي منه وتمس وجنته الملتحية بشفتيها بنعومة هامسة له:

-شكرا ياشيخي العزيز ..

وتراجعت مفلتة من قبضته .. تركض نحو غرفتها .. وتغلق بابها خلفها بقوة ..

تقف هناك مستندة عليه لاتعرف مالذي حدث للتو.. مارادته ومافعلته كانا شيئان مختلفين تماماً .. ولكنهما أثرا بها وبقوة .. وجعلاها ضعيفة .. حتى النخاع ..

عليها ان تكون حذرة والا فانها قد ترتكب حماقة تندم عليها العمر كله !!

أما هو فقد وقف يقبض كفيه بشدة ويغلق عينيه مستغفراً بلا توقف..

حتى اخرجه الم لاسع في يده مما هو فيه .. لينظر ويرى سلسالها الذهبي وقد حفر فيه ذكرى صغيرة لحماقة كان على وشك ان يرتكبها ..

ويالها من حماقة .. لايمكن ان يصلحها شيء ان وقعت !!

..

***

الى اللقاء في الفصل القادم

بيرو

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل التـاسع

***

الليـل في مدينتا يسرق أضواء النهار

الليل في بلدتنا القديمة يشق نهراً من ظلام ..

يغفر زلات النهار .. ويفرش ورداً بلااشواك ..

الليل في قلوبنا قاسٍ .. لايغفر ولايترك الفرصة للسماح..

الليل في عالمنا متقلب .. يخفي من الاسرار الكثير.. ويفضح الكثير الكثير !!

الليل في مدينتا غازٍ .. يسلب القلوب .. ويرميها للذئاب..

الليل ياحبيبتي .. في مدينتنا قصة لايفهمها .. الا حالك القلب .. حد السواد !!

***

مالسر في ليلة ظلماء لاتبعث في النفس الا الرهبة ولاتترك الا الحيرة .. مالسر وراء عشقنا للظلام وابتهالنا فيه .. مالسر وراء ان نكتم أنفاسنا رهبة لجمال شيء اسود قاتم .. مخيف في كثير من الأحيان ؟؟

تنهد بتوتر وعاد يرفع عينيه للسماء القاتمة .. نعم .. مالسر وراء اعجابه بسواد الليل؟؟!!

نهض بضيق ومضى يدور في غرفته بتوتر .. يشعر بالضيق يجتاحه ولاسبيل لفكاكه منه سوى صحبة مسلية .. رفع هاتفه يبحث عن احد أصدقاءه .. ولكن ترددت يده وعاد ليضعه في جيبه قبل ان يلتقط مفاتيحه ويغادر الغرفة بسرعة ..

وصل الى سيارته الفيراري وانطلق بها في عتمة الليل ..

كانت باريس تحترق بأضواء الساهرين.. ولكنه لم يكن يأبه بهذا اللهو .. أراد العزلة .. العزلة التي يعشقها حين يكون في أحد مزاجاته المتفجرة .. وهو مايعانيه الأن ..

قاد السيارة مخترقاً الشوارع المزدحمة .. يبحث في عينيه عن لمحة للظلام .. ولكن المباني العالية وأضواءها الصاخبة .. كانت تشعل حتى الظلام ..

تنهد بحنق وضغط دواسة الوقود بشكل أسرع لتنطلق السيارة المرفهة بصورة مفاجأة للأمام .. وتهاجمه النسمات الليلية وتبعثر شعره على جبينه ليبدو كفتى عابث لاهٍ .. أصغ من سنينه الثانية والثلاثين بكثير.. وبدأت الطريق تُفضي للطريق السريع .. وزادت سرعته وهو ينطلق عبر المساحات الحرة .. وينظر مبتسماً للسماء التي اكتست ظلامها الرائع من جديد .. قبل أن يفتح غطاء السيارة المتحرك .. ويصبح وكأن رأسه يعانق السماء المظلمة والسرعة تشعل في عروقه نار الحماسة .. والريح ترتطم بوجهه .. صدره وذراعيه .. بطريقة مثيرة .. حتى انه اطلق صرخة انتشاء وهو يسمع

الصوت المدوي لسيارته وهي تتجاوز حدود السرعة القانونية

..وتنطلق بحرية دون قيود ..!!

والتي سرعان ماتلاشت وهو يرى الاضواء البراقة التي تلاحقه ..

عض شفتيه بحنق .. والسيارة تخفف من سرعتها حتى تتوقف تماماً

لسيارة الشرطة المرورية التي لحقته..

توقفت خلفه .. ونزل منها شرطي ..

حالما واجهه ابتسم بسماجة والشرطي يقول له ببرود:

-اوراقك واوراق السيارة ايها السيد..

لم يحاول الاعتراض كان يعرف انه تجاوز السرعة وكأنما شيطانه

اغراه بهذا .. اخرج اوراق السيارة والجواز .. وناولها للشرطي الذي

قارن بين صورته في الجواز ووجهه بمصباح صغير جعله يصرخ بألم

وهو يخفي عينيه..

-سيف سلطان الشيّب..؟؟

نطق الشرطي الفرنسي الاسم بارتباك ليرى الابتسامة الساخرة

تتألق على وجه السيف وهو يومئ ليعود الرجل ويطالع جواز السفر

الأمريكي بحذر ويحاول ان يفهم الاسم الغريب مع الاوراق الاغرب ..

قبل أن يتراجع ويشير لسيف أن يترجل ..

تنهد بضجر .. نزل من السيارة واتبع ارشادات الشرطي لاختباره للكحول قبل أن يحرر له مخالفة وهو يقول:

-لاتسرع هكذا في المرة القادمة .. سيتم حجز السيارة ايها السيد..

اعاد سيف اوراقه للسيارة بحركة لامبالية قبل أن يرفع يده بتحية ساخرة للشرطي ويقفز لمقعد القيادة بحركة سريعة .. وينطلق بها بنعومة ..

لم تتجاوز سرعته الاعتيادية ولكنها كانت في أقصاها ..

كان عليه أن يعود لأميركا .. لقد سئم البقاء هنا .. كمربية للصغير عزيز..

امتعض وجهه وهو يشعل اطارات سيارته بالسرعة .. عليه أن يعود بأسرع وقت .. !!

***

ليـلة طويـلة

عـدن

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

توقفت عن ترتيب الحقيبة ومضت تنظر لها من بعيد وهي تفكر ماذا نسيت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لا لا هي لم تنسى

شيئاً.. وضعت الثياب والاغراض الشخصية كلها في مكانها وثوبها الذي ستحضر به الزفاف ايضاً موجود لم يبقى سوى ان تسأل رعاد عن حاجياته..!! لقد مضى الاسبوع كما البرق وهاهما يستعدان للعودة للبلدة في زيارة..خاطفة لحضور زفاف سلمى الذي تم التحضير له بسرعة مهولة دون ان يجدا الوقت للتحضيرات ابداً

تنهدت وهي تتذكر مكالمتها الطويلة لسلمى مساء امس وكم كانت الفتاة متوترة وتكاد تبكي من الخوف.. ولكنها حاولت جهدها ان تطمئنها وتشرح لها كيف ان العائلة كلها خلفها ولن يصيبها فراس بمكروه ابداً.. تنهدت ومضت الى النافذة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) الساعة تتجاوز العاشرة ورعاد لم يصل بعد انه يتأخر هذه الايام اكثر من اللازم!!! فكرت بضيق صحيح انه يقضي الوقت مع اصدقاءه في المذاكرة وتجهيزات الدروس ولكنه يتأخر فعلاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وهي تخاف البقاء وحدها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) حتى وان كان يقضي كل وقته في المكتبة كان وجوده قربها فقط مايشعرها بالامان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تنهدت ومضت تمشي عبر الشقة .. لقد اتفقا مع علي أن يغادروا عند الفجر ..فعلي لديه مناوبة .. وسينتهي في الصباح ولكنه أخذ اذناً بالانصراف مبكراً .. ورعاد كان.. مرتبطاً بامتحان ولم يستطيعا السفر مبكرين ولذا تقرر سفرهما غداً عند الفجر وسيعودا في الفجر التالي مباشرة..

جلست على المجلس تنتظره وهي تقرض اصابعها بتوتر لقد تأخر اكثر من اللازم فعلاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نهضت تحاول الوصول الى هاتفها حين اوقفها هاجس مزعج(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) مابالك قلقة وتتصرفين كزوجة لحوح؟؟؟!!

اتركيه ينعم بحريته هو لم يتدخل في امورك قط منذ مجيئكما الى عدن اتركي له بعض المساحة على الاقل

عاودت جلوسها زافرة بضيق وهي تجيل بصرها في الشقة الفارغة من سواها وكادت تنفجر بالبكاء وهي تشعر بوحدتها اكثر

واكثر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فكرت لو كان محمد على قيد الحياة..!! هل كان سيتركها هكذا وحدها طيلة الوقت..!!

اتسعت عيناها بذعر وهي تفكر "انها تقارن رعاد بمحمد رحمه اللّه؟؟!!"

"استغفراللّه العظيم"

تمتمت بحرقة وهي تؤنب نفسها بقسوة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)مررة تلو الاخرى(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

حينها سمعت المفتاح يدور في قفله(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)نهضت تعدل من طرحتها وتستقبله(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كان يحمل العديد من الاوراق المطوية بالاضافة لحاسبه المحمول على كتفه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) القى السلام متجهماً كعادته قبل ان يدلف الى الداخل وهي تتبعه بفرحة لوجود من تأنس بانفاسه معا في نفس المكان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-هل اعد لك الطعام؟

تسائلت بلهفة ليجيب بارهاق:

-لا لقد تناولنا الشطائر شكراً لك غزل..

شعرت بالاحباط وتراجعت وهي تراه يجلس وكأنه ينهار على الكرسي هامساً:

-انا متعب وارايد فقط النوم.

-عليك ان ترتاح لدينا طريق طويل غداً..

همست بحنان ليفتح عينيه المغلقة وينظر الى جمالها الناعم قبل ان يشيح عنها وهو يشعر باعماقه تشتعل لبعدها ولتلك الطرحة التي تخفيها عنه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-نعم ساخذ حماماً وانام الان ايقظيني قبل الصلاة.

نهض بثقل .. لتناديه بتردد:

-رعااد..

التفت لها بصمت .. فتحشرج صوتها وخفضت عينيها بخجل تهرب من عينيه:

-هل أجهز لك حقيبتك؟؟

نظر بحزن ينهشه لرأسها المنحني .. ولكنه لم يعلق .. بل همس بصوت اجش:

-سأجهزها بنفسي .. شكراً لك..

شعرت بانصرافه.. رفعت رأسها تطالع قامته الطويلة تختفي خلف باب مكتبه وهي تكتم تنهيدة اجتاحتها ولاتعرف سببها .. جلست مكانه ومضت تنظر للفراغ .. لماذا يعاملها بهذا الجفاء.. !!

شعرت بحزن يجتاحها .. واستسلمت له ..

أما هو فقد كان يسيطر على بركان!!

جلس على كرسيه وهو يغرق وجهه بين كفيه ..

ياآرب .. خفف عني هذا العذااب..

همس يناجي ربه بقهر .. لقد كاد كيله أن يطفح,, مر أسبوع واحد فقط وهو يكاد يجن .. يكاد عقله يودي به الى هاوية ولايقدر على انقاذ نفسه .. انه يغرق شيئاً فشيئاً .. واحساسه بوجودها الى جواره وبعيدة كل البعد عنه لايساعده ابداً .. تنهد بقوة كاد معها صدره يحترق بالقسوة التي تمزق بها قلبه لسنوات خلت .. اهٍ منك غزل .. أهٍ منك وماتفعلينه بي..

فكر بمرارة.. واستلقى بثيابه يطالع السقف.. يحاول ان يهدئ من روع قلبه المجنون .. ولايقدر ..

حتى تغلب عليه تعبه .. ارهاقه .. واغمض عينيه مستسلماً للنوم الذي أشفق على حاله .. واغرقه بطياته بسلام ..

استيقظت حالما تناهى اليها صوت الاذان ..

استقامت جالسة على الفراش وهي تطالع الظلام حولها .. همست بصوت غارق في لذة النوم:

-رعاااد ..!!

تمتمت باسمه بخفوت .. لاتزال في نشوة احلامها ولم تستيقظ تماماً ..

رفعت يديها لتبعد خصلات شعرها السائبة بنعومة عن وجهها وهي تتعوذ من الشيطان وتحاول ان توقظ حواسها المخدرة ..

نهضت عن لافراش وتوجهت الى غرفة المكتب ..

للمرة الأولى توقظه ..

دخلت الغرفة وهالها ماستوعبته .. الغرفة كانت حارة .. خانقة ..

يارب الكون..

اتسعت عينيها بذهول وهي تكتشف بذعر ان الغرفة التي ينام بها منذ اسبوع كامل لاتحتوي على تكييف؟؟!!

نظرت حولها بذعر :..كيف احتمل الحرارة هنا؟؟

كيف بحق اللّه لم يشتك.. أبداً ..

ابتلعت ريقها .. واقتربت منه .. كان يغط في نوم عميق .. بكامل ثيابه .. العرق يتصفد عن جبينه .. ويغرق شعره .. وقميصه !!

شعرت بالدموع تلسع مآقيها وهي تتخيله .. كل ليلة .. هنا .. وهي تنعم بتكييف بارد ..

كانت غرفتها وغرفة المجلس فقط مكيفة في هذه الشقة .. ولكن المجلس لم يكن ليقدر على ان ينام بها؟؟ مستحيل .. فكل فرشها مسنود على الخشب .. والقطيفة لن تصلح ابداً ..

احترق قلبها حزناً عليه .. ومدت يدها تهزه برقة:

-رعااد ..

لم يتحرك .. وانما ازدادت عقدة حاجبيه .. والتي سببت زيادة في دقات قلبها وهي تعاود هزه بذات الرقة:

-رعااد استيقظ .. انه الفجر..

تناهى له صوتها ..

كتغريد عصفور الجنة .. فتح عينيه بتمهل .. كان يشعر بأنه يختنق.. وكأنه وسط نار ملتهبة .. لقد نسي أن يفتح النوافذ.. نام في وسط أتون مشتعل ..

وفتح عينيه ليجد نفسه في الجنــة ..!!

-غــزل ..!!

همس بخفوت .. بصوت يحمل نغمة لم تسمعها قط من قبل .. احمرت وجنتاها حتى كادت تنافس حبات الطماطم الطازجة .. وهي تغرق في سواد عينيه الحاد .. وتذوب في ملامحه المسترخية .. وهو يعود لتمتمة اسمها بصوت خافت .. يحمل رقة لم تعرفها قط ..

كانت يدها لاتزال تستريح على كتفه ..

وكأنه في الجنــة ..

ابتسم ببلاهة .. لايزال غارقاً في حلمه .. فرغم النار التي كانت تشتعل فيه .. كانت هناك مياه باردة .. تحوطه وتخفف عنه حرارة النار .. كان يعيش أجمل لحظات حياته .. وسط النار؟؟!!

-غــزل !!

عاد يهمس باسمها .. لتتراجع شاهقة ويستيقظ هو بقسوة ..!!

اتسعت عيناه بصدمة وهو يرى ماكانت تخفيه عنه بقايا الحلم الذي ارقه .. الغرفة الخانقة .. والمسافة الهائلة التي تفصله عنها ..

-لقد أذن الفجر ..

همست مخنوقة .. وركضت خارج الغرفة .. تاركة خلفها روحاً جريحة .. تئن بصمت .. وتزهق ببطئ!!

***

ليـلة طويـلة ..

عـدن ..

لقد تعبت .. جلست منهكة القوى وهي تنظر الى السماء التي ابتدأ نهارها يصطبغ باللون الحالك ..ويكاد يقضي على لمحات النهار كلها .. كانت أختها تفترش الأرض الى جوارها وتلهوا بالالوان والاوراق الملونة التي جائت بها ..

لقد تعبت حقاً .. لقد سئمت أن تدور وتدور منذ الصباح بحثاً عن عمل.. وهي لاتملك أية مؤهلات .. شهادة الثانوية التي حصلت عليها بصعوبة .. لم تكن تنفع ابداً ..

زمت شفتيها بضيق وهي تدعك جبينها .. النقود التي كانت معها شارفت على النفاذ .. وهي وامها واختها لازلن عالة على خالتها التي بدأت تظهر ضيقها .. ولاتستطيع ان تلومها ..

نهضت لتخرج بضعة الاف وتوجهت لخالتها هامسة:

-تفضلي خالتي.. انها مساهمة مني لمصاريف الشهر..

نظرت خالتها للنقود القليلة وهتفت بحنق:

-وهل يكفي هذا؟؟ نادين .. اننا نصرف الكثير.. الا ترين..

ابتلعت ريقها وهمست:

-سأحصل على النقود خالتي لاتقلقي.. امنحيني الوقت..

-ربما عليك ان تسمعي ماتقوله لك سمر..

قالتها خالتها بحنق لتشحب نادين وتصيح:

-لا .. تعرفين انني لم أعد ارغب بهذه السيرة ابداً ..

-انها سبيلنا الوحيد للعيش.. الاتفهمين ..

ثم اقتربت منها هامسة:

-انت جميلة للغاية نادين .. وهناك الف من يتمنى نظرة واحدة منك ..

ستجنين ذهباً يافتاة..

صمت أذنيها عن الكلام وصرخت بعناد:

-لا .. لقد انتهيت من هذا ولن أعود اليه اتفهمين؟!

شع الحقد والغضب من عيني خالتها وصاحت بها:

-اذاً عليك ان تبحثي أنت وأمك عن مكان جديد .. أنا لست مستعدة أن

أخسر نقودي في اعالتكم .. أتفهمين؟

-لابأس خالتي.. سنفعل..

صاحت بحنق وهي تذرف دموعها قبل أن تستدير وتعود لغرفتها حيث

وجدت أمها تنظر لها بلوم:

-قلت لك .. قلت لك نادين ان التوبة لن تفيدنا بشيء..

بكت بقهر.. جلست تضم ركبتيها اليها وهي تشهق.. تحاول ان تخرج نفسها وأختها من هذا العالم القاسي.. تحاول ان تلملم بقاياها التي بعثرتها قسوة الزمن .. ولاتقدر.. امر صعب .. ظلام وليل حالك يأسرها ولاتقدر على الفكاك .. كيف لها ان تهرب وتنجو بنفسها .. لاتستطيع ابداً ..

شعرت بأمها الى جوارها تضمها اليها هامسة:

-كوني عاقلة نادين .. ليلة واحدة مع أحد اولئك الأثرياء اللذين يلهثون خلفك .. ستدعمنا لشهر كامل..

نظرت لها باكية وصرخت:

-ثم ماذا؟؟ يرمون بنا كحثالة .. مجرد حثالة يرمون عظامنا للكلاب امي..

تجهم وجه امها وهمست:

-انه قدرنا..

نهضت تصرخ بوحشية:

-لا أمي .. لست مستعدة أن استسلم .. وهذا ليس قدري .. انا لن أقف مكتوفة الايدي واستسلم لواقع يجعلني عبدة لرجل بعد الأخر .. وبعدها ينتهي بي المطاف وحيدة .. مع طفل لااعرف حتى من هو ابوه ..

شحب وجه امها وهي ترمي لها بحقيقتها بقهر .. اشاحت عنها وهي تخفي الكثير بصمت ونادين تصرخ بلاتوقف:

-أخبرين ايهم هو ابي امي.. أخبريني؟! أم انك تريدين مني ان اكون في مكانك بعد عشرين عام.. وحيدة مع طفلة لاتعرف حتى نسبها؟!

-اصمتي..

هتفت بها بقسوة لتضحك نادين وتشيح عنها هاتفة:

-انت حتى لاتعرفين من هو؟! انت لاتدركين مشاعري وانا اعرف انني ابنة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-توقفي..

صرخت امها بشحوب .. ونهضت تواجهها بحدة:

-انت لاتعرفين شيئاًفاصمتي..

-لما لم ترمي بي..

صاحت بحدة .. وواجهتها:

-لما لم تتركيني وحدي في مكان مهمل حتى يجدني احد غيرك .. حتى أكبر وانا اعرف بأني يتيمة .. ولااعرف بأن لي أم مثلك انت و..

وقطع عبارتها الألم الحاد الذي اصاب وجنتها ..

صفعتها؟؟!! نظرت لها بذهول .. لم تضربها امها قط .. كانت قد استكفت من ضرب زوجها لها لتأتي هي الأن؟؟!! نزلت دموعها بقهر ..

وركضت بعيداً .. التقطت عبائتها وطرحتها وهي تسرع للخارج ..

متجاهلة صراخ امها ..

خرجت راكضة تخفي وجهها بنقابها بحركات مرتبكة ..

مشت مطولاً .. مطولاً .. كانت تبكي بألم ووجع .. كانت تذرف دموعها بلاقياس ..مشت ومشت حتى شعرت بألم في ساقيها ..

ولكنها واصلت المشي .. حتى وصلت الى منزل احدى صديقاتها ..

حين اخذتها الفتاة بعد الترحيبات الضرورية الى غرفتها واغلقت الباب:

-نادين مابك؟؟

-انا متعبة ..

همست باكية لتضمها صديقتها بحنان:

-انت من تجلبين التعب لنفسك ..

-سهام توقفي.. ليس انت ايضاً ..

هتفت بحنق لتضمها سهام بقوة اكبر:

-حسناً لن نفتح الموضوع مجدداً .. ولكنني واثقة من قوتك وقرارك بالابتعاد عن عالم امك وعائلتها ممتاز واشجعك عليه ..

-أريد مساعدتك ..

همست نادين لتشجعها سهام فهمست لها:

-أحتاج من يأخذ بيدي لنبتعد سهام.. أحتاج من يشجعني والكل ضدي..

-انا معك نادين .. فكما نجوت من تلك الدائرة قبل أن أخسر نفسي عليك أن تنجي انت..

انسابت دموع نادين وهي ترى رفيقتها التي التقت برجل رائع قبل أن تتلوث بعالم موحل .. وهربت وفازت بنفسها وثقته .. ولكن هي .. هي قد غرقت قبلهن كلهن .. وليس امامها الا الصراع للخروج ..

-لدي خطة .. واحتاج لمساعدتك ..

همست برجاء .. فلمعت السعادة في عيني سهام:

-وأنا معك حبيبتي..

-أحتاج اولاً لأن اجهز نفسي.. ثم سنخرج ..

اومأت لها صديقتها ونادين تبتسم .. انها فرصة للخروج حية مماهي فيه .. وستصارع وتقاتل كل من يقف في طريقها .. حتى لو احتاج الأمر ان تلعب بقذارة ..

انها فرصة للهرب من كل ماهي فيه من اسمال .. وهي ستنجو بنفسها .. والا فأنها ستموت ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

ليلة طويلة بحق ..

تنهد بإرهاق وهو ينزل نظارتيه ويغرق في كرسيه .. كيف ستمضي هذه الليـلة ..؟؟!! مملة لأقصى حد رغم الحركة المستمرة .. ولكن ينقصها شيء.. ربما احساسه الداخلي بالرفض لزواج شقيقته غداً .. ربما كان هو السبب ..

تنهد وعاد يضع نظاراته ومضى يوقع على بضعة اوراق امامه حين تهادت الى أنفه تلك الرائحة ..

اغمض عينيه بقوة وهي تصعقه بشده لدرجة انها شلت أصابعه وتركته ساكناً لايتحرك ..

تلك الرائحة التي لم تغادر رأسه .. منذ رأى صاحبتها .. !!

معقـول ..؟؟!! هل عادت ؟؟

رفع رأسه بحدة .. ليغرق في بحر من مشاعر هوجاء .. اتسعت عيناه بذهول وهو يراها .. تقف هناك امامه تضع طرحتها كالعادة باهمال على رأسها وتتفلت خصلات من شعرها امام وجهها .. ذلك الذي يلمع تحت الاضاءة الساطعة .. تتألق عينيها الغريبتان .. وتنظر اليه بابتسامة طاغية ..

شعر بقلبه ينتفض بعنف وهو يراها تدير رؤوس كل الرجال الذين حوله .. كلهم ينظر اليها بنظرات مسعورة لم تجلب لها سوى ابتسامة ساخرة اعتلت شفتيها المثيرتين وهي تقترب منه..

تراجع في مقعده .. حتى استند كلياً على ظهر كرسيه وهي تستند بكفيها على المكتب وتميل اليه :

-مساء الخير..

كان صوتها مبحوحاً .. شقياً .. مارس عليه سلطة لم تفعلها سواها .. تاه في النظرات الطاغية وأسرته بلاجهد وهو يحاول أن يهرب بلافائدة .. تنحنح علّه يجلي الغصة الماكرة التي استحكمت حنجرته وتمتم بما يشبه التحية لتقابلها ابتسامتها وهي تهمس:

-دعوت بشدة أن أجدك .. أنت بالذات.

اتسعت عيناه وهي تواصل بدلال:

-بعد أن عالجت أمي ذلك اليوم وأنا موقنة أنه لن يعالجني سواك ..

-هل أنت مريضة؟؟

همس بذهول مثير للشفقة جعلها توقن انه سيصبح لعبة بيديها

لامحالة .. فاعتدلت في وقوفها وهي تمسك بطنها بتعب :

-كثيراً .. هل تساعدني دكتور؟؟

نهض بعصبية ودلالها يجذب أنظار من حوله وغمزاتهم وضحكاتهم

الساخرة ..:

-اذهبي الى سرير الفحص وسآتي اليك ..

اقتربت منه هامسة:

-هل ستساعدني ؟؟

-بالتأكيد ..

همس بصعوبة وهو يحاول الهرب من نظراتها المحكمة .. الا أنها لم

تفكه بل تشبثت به بيأس .. هامسة:

-ألن تأتي معي..؟؟!!

تراجع بنظراته بحرج .. ممزوج بارثه من أخلاق أجداده القدام ..

حاول التراجع ليسد عليه مكتبه الطريق ويجد نفسه محجوزاً بين

المكتب الخشبي وبين أنفاسها المثيرة .. ورائحتها العطرة المغرية ..

لايكاد يفصلهما سوى مليمترات بسيطة ..لتجاور شفتيها وجنته

وهي تهمس مجدداً:

-ألا يهمك أن تعرف ما ألم بي؟؟

أراد ازاحة نظارتيه فقد تجمعت على جسرها قطرات عرق وكادت تعميه .. ولكنه لم يقدر .. لو تحرك قيد أنمله فسوف يمسها..

-دكتوور..

رفع عينيه باستسلام لغنج مناجتها الهامسة والمغلفة باغراء ..

ليغيب بين رقة عينيها المتزجة بلون البحر والسماء الكثيفة الغيوف .. في مزيج لم يره قط في امرأة كاد أن يصيبه بالاغماء ..

-ألن تكشف على مريضتك دكتور؟؟!!

تسائلت بغنج كامل يليق بها وبالجمال الذي تتباهى به .. فأراد أن يرد عليها .. بأي شيء عليه أن يرد .. ولكن صوته كان ثقيلاً .. مخدراً برائحتها .. نعومتها .. قربها الصاعق والمميت منه .. كأنما هو حجر يكثم على انفاسه .. حاول أن يأخذ نفساً .. وخرج صوته أخيراً شاحباً:

-استلـ.. استلقي.. على السرير أنستي..

ارتسمت ابتسامة شقية على شفتيها الملونتين بسخاء لتظهر تلك الحلية الناعمة كفص براق يزين احدى اسنانها ناصعة البياض لتضيف لمعان مبهر على ابتسامتها القاتلة .. قبل أن تسأل بخفوت:

-ستلحق بي..

كان صوتها مبحوحاً .. وكانت عيناه مذهولتان بروعة الابتسامة التي شقت قلبه نصفين .. في ضياءها وشقاوتها .. فلم يجب بل ظل ينظر اليها وكأنه مسحور .. ولايقدر على الخروج من دوامة سحرها .. وحملت انفاسه تنهيدة لم يقوى على كبحها لتقابلها بضحكة أضاعت الباقي من عقلانيته .. وتشله من رأسه لأخمص قدميه .. بكل مافي الكلمة من معنى ..قبل أن تستدير عنه وتتجه لسرير الفحص وهي تغمز لرفيقتها الصامتة باستمتاع .. وحال استلقاءها رأته واقفاً في مكانه لايزال تحت تأثيرها الصادم لرجل لم يخرج من قوقعته بعد .. وهي تبتسم بشوق لأيام قادمة ستحمل الكثير من التحدي لاخراجه من القوقعة التي تحصنه .. الى شبكتها .. واحكام الشبكة حوله.. وكصياد محترف رسمت علامات الضعف على وجهها واستلقت .. وهي ترتب كل اوراقها .. للهجوم على الضحية الجديدة ؟؟!!

لحقها فعلاً .. وأغلق ستارة تفصله عمن سواهما وهو يهمس لها:

-مالذي تشكين منه؟؟

نظرت له مبتسمة .. كان فعلاً وسيماً .. لولا السذاجة في عينيه لكان أروع رجل رأته في حياتها .. سمرا وذو شعر قصير جداً .. طويل القامة يفوقها بكثير.. عريض المنكبين والفك .. نظرت اليه بعينين شبه مغمضتين وهمست :

-هنا يؤلمني..

وبكل هدوء أخذت كفه بين يديها تحت انظار عينيه المذهولتين لتضعها على أضلاعها اليسرى فوق نبض قلبها الخافق بجنون .. جف حلقها وهي تشعر بيده الدافئة بين كفيها الباردتين .. وشعرت بجنون لمسته الخفيفة على جسدها .. قبل أن ينتفض وهو يسحب يده من عليها ناظراً لها مصعوقاً لجرأة هذه الفتاة الطاغية .. في حين انها تركت يده هي مذعورة لما شعرته ؟؟!!

اشاحت عنه تهرب من نظرته العاصفة .. همس لها من بين اسنانه:

-انت لاتشكين من شيء انستي..

نظرت له بحدة .. كانت عيناه فعلاً عاصفة .. عاصفة غاضبة سمرتها بقوة وهو يهمس محذراً:

-لاتليق هذه الافعال بفتاة شابة مثلك.. أتفهمين .. ؟؟

نهضت بحدة تواجهه.. يبدو انها مخطأة قليلاً.. فكرت بحنق .. فهذا الرجل لم يكن ساذجاً كما كان يبدو عليه..

-انت لاتصدقني؟؟

نظر لها ببرود يحاول اخفاء اختلاجات قلبه المسعورة.. في حين واصلت بحنق :

-انت ايضاً تظنني افتعل الألم ..؟؟

واصلت تمثيلتها .. واعتصرت عينيها لتسقط دموع لطالما اجادت انزالها وهي تهمس:

-ولكنه فعلاً يؤلمني ..

صعقته دموعها .. كحبات اللؤلؤ تتسرب من بحر ثائر.. سقط غطاء شعرها وهي تتوسد ركبتيها وتحيطهما بذراعيها وتبكي بصوت خافت ..

-مالذي يحدث هنا؟؟

سمع الصوت ووجد انها رفيقتها التي تقدمت تحيط كتفيها بقوة هامسة:

-دكتور الن تعطيها علاج ما؟؟

مالذي يقوله لها ؟؟ انه واثق انها ليست متألمة .. لايفهم لما كل هذا التمثيل حقاً ..ولكنه لم يعجبه ان تبكي هكذا .. في صوتها حرقة ادمت قلبه .. وجعلته يرق ويغضب من نفسه للشك بها ..

-سأعطيها حبوباً .. لاتقلقي..

نظرت له من خلف ستار الدموع الكثيف وهمست:

-ومادراك مما اشكو منه؟؟

اجتاحته عينيها مجدداً .. مع خصلاتها الذهبية الناعمة ..

-لاتقلقي.. أنا اجيد عملي واعرف ماتعانينه..

همس هو الأخر وقبل أن تعترض كان يشيح بوجهه ويغادر.. تابعته بحنق.. لم يكن عليه ان يفعل هذا.. لم يكن عليه ان يتركها .. لم يكن عليه ان يفسد خطتها ..

نهضت من السرير وعدلت غطاء رأسها قبل أن تمضي اليه .. حالما وقفت امامه مد لها وصفة طبية وقال بصرامة:

-تناوليها مع الطعام .. وستصبحين بخير..

نظرت للكلمات القليلة قبل أن تهمس برقة:

-حااضر..

رفع لها عينين مندهشتين للخضوع في صوتها ورأى ابتسامة رقيقة تتلاعب بشفتيها .. يريد اللعب .. فلنلعب اذاً .. فكرت بجنون ..

واقتربت من المكتب اكثر وهي تهمس:

-اذا ماوعدتني ان هذا العلاج نافع .. فأنت لن ترى وجهي ابداً بعد اليوم..

عقد حاجبيه بتوتر لتضيف بحزن :

-فأنت كما يبدو لاتطيق حتى رؤيتي؟

نهض متوتراً:

-لم اعني هذا..

رفعت له عينين متأملتين .. ليهمس بارتباك:

-انه نافع بالتأكيد ولكني لم أعني أن تذهبي هكذا..

رفعت حاجبيها هامسة:

-أتريد مني البقاء؟؟

عض شفتيه بحنق وهو يفكر بالذي يقوله .. انه مرتبك والكلمات تخرج منه دون ان يسيطر عليها..

-لم اقصد هذا؟؟

-أتريدني أن ارحل اذاً ؟؟

همست بخذلان وهي تخفض وجهها.. لينكر بشدة:

-لا لا لا ..

عادت ترفع عينيها بأمل وهما تشعان بالسعادة ليهمس هو مبهوراً:

-انت .. لا .. لاتذهبي..

اتسعت ابتسامتها وهي تكاد تقفز فرحاً لانها عادت لدائرة اهتمامه

وعاد هو لدائرة انبهاره بها ..

-ولكن يجب علي الذهاب ..

نظر لها باستسلام .. فتبسمت وهمست:

-ماذا لو لم يناسبني الدواء؟؟ ماذا لو لم يخف الألم ..؟؟ هل اعود لك غداً؟؟

-لن اكون هنا غداً ..

قالها بخفوت .. فرفعت حاجبيها وهي تعاود الحاحها:

-ربما اتصل بك؟؟

.. ثم مدت يدها اليه هامسة:

-هلا أعطيتني هاتفك دكتور..

عقد حاجبيه ولكنه لم يتردد باعطائها اياه بحركة الية .. ليسمع

بعدها نغمة عصرية ويرى ابتسامتها وهي تناوله هاتفه من جديد

هامسة:

-احفظه باسم نادين ..

ثم خفضت عينيها لبطاقة الاسم المعلقة على صدره هامسة:

-دكتور علي..

وبتلك الابتسامة .. شقت طريقها للخروج ..

جلس منهاراً على كرسيه .. لم يعد يعرف نفسه .. في ساعة هو لم يتردد في كشف نفسها امامها .. وفي اللحظة التالية استسلم كلياً لها ؟!؟ مالذي قصدته ممافعلته الأن؟؟ هل يعقل انها اتت اليه خصيصاً؟؟ شعربالعرق يتصفد جبينه .. وريقه يجف .. كانت الليلة مملة .. ولكنها الأن .. شيء اخر بالفعل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟؟

أخرج هاتفه وراقب رقمها .. قبل أن يحفظه بتردد .. ويكتب اسمها .. الغريب مثلها .. بكل بطئ..

***

ليلة طويلة ..

البلدة القديمة..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

أخيراً انتهت التحضيرات .. لقد تعبت كثيراً وحان لها الوقت أن ترتاح ولو قليلاً ..

فتحت باب غرفتها بعد ان اطمئنت أن الطفلين نائميـن وبعمق .. لقد تجاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليـل .. وهي تتوق للنوم فغداً سيكون يوماً حافلاً بلا أدنى شك ..

-لقـد تأخرتِ؟؟؟

انتفضت تنظر اليـه ..

كان يتربع على الفراش بكامل ملابسه وتلك البرودة الجديدة عليه ..

كان قد سافر مساء البارحة الى عدن دون أن يكلف نفسه عناء اخبارها أين كان ومع من ؟؟!!

ابتلعت ريقها واستعدت .. لا لا .. لن يضربها اليوم .. ليس وعرس أختها غداً .. ليس وهي ستكون امام الجميع ليروها ..

رفع يده وحرك اصبعه مشيراً لها ان تقترب.. فعلت .. ببطئ .. حتى جلست على ركبتيها .. أمام السرير .. لامس شعرها المعقود خلف رأسها ثم حرره بنعومة .. لينسدل ثائراً على كتفيها .. خفضت عينيها .. تخفي رعبها منه .. اعتدل في جلوسه واقترب منها .. يشتم رائحة شعرها العطرة هامساً:

-شعرك رااائع ياجوهرتي..أتعرفين؟؟

خفق قلبها بجنون وهي تحاول الا تصرخ من لمسة يديه عليها بحرية ..

شعرت بالألم يجتاح قلبها .. تعرف ماسينتج من هذا .. وتخاف حتى الموت ..

لامست أصابعه ذقنها ورفعت وجهها اليه .. تأمل في ملامحها الخائفة وهمس:

-يعجبني شعرك .. ويعجبني أكثر انه طويل .. ورغم جنونه وثورته جوهرتي .. فهو خانع .. مثلك..

لم ترد .. تعلمت ألا تفعل .. ارتجفت وهي تراه يمد يده للجارور خلفها

وشعرت بقلبها يهوي بين ساقيها وهي تحاول ان تفكر بما عساه يخفي لها ..

-ولكن أتعلمين كيف سيكون أجمل وأجمل..

نظرت له مذعورة وهي تتسائل:

-كيف؟؟

ابتسم ببطئ ورفع العلبة التي أخرجها من الجارور .. وهو يقول:

-حين تصبغينه لي ..

شهقت برفض لتقسو عيناه .. ويده التي تقبض على شعرها وهو يقول بحدة:

-مالذي لايعجبك؟؟

هزت رأسها نافية ليعيد بصوت أقسى:

-ستقومين الأن وتصبغين شعرك أتفهمين..

اومأت وهي تحاول ردع دموعها التي اغرقت عينيها .. أفلتها بقرف ورمى لها العلبة لتنظر اليها بعينين زائغتين .. كانت بيضاء دون تعليمات .. حتى لصقة الارشادات منزوعة عنها .. لماذا فعل هذا؟؟

-لا اعرف .. لا أعرف كيف؟؟

همست باكية فنهض بنفاذ صبر وانتزعها من بين يديها وهو يصيح:

-لأأنك حمقاء وغبية .. يجب أن أفعل كل شيء بيدي.. تعاالي..

وجذبها من ذراعها بقسوة ..

كانت أكثر ساعتين عاشتهما ذلاً .. وهو يمارس تسلطه الفج ويعطيها التعليمات لصبغ شعرها كله بلون لاتعرف مايكون .. كانت تجلس تحت شلال الماء تنتظر ظهور اللون الذي ينتظره بفارغ الصبر .. وحين ازال من شعرها كل اثر للمادة .. كان يرفعها من ذراعيها بنفاذ صبر أكبر .. وبدأ يجففه لها بقوة كادت تخرج رأسها من مكانه ..

تاوهت بوجع .. وكتمت ألمها وهي تراه يبتعد ليرى ناتج مافعله بها ..

وترى تلك الابتسامة ..

تلك الابتسامة التي اوقعت قلبها بين ساقيها ..

لامس خصلات شعرها المبلولة باعجاب .. وهمس:

-كم أنت راائعة ..

شعرت بالخوف يجتاحها وهو يقبض عليها من كتفيها ويقودها الى

مرآة الحمام هامساً:

-انظـري الى نفسك جوهرتي.. انظري الى شعرك وكم هو راائع الأن..

وقفت مذهولة للحظات ..

تسمرت عينيها على المشهد امامها وهي غير قادرة على اتمام مشاعرها

.. هل تصرخ بوجع ..!!

ام تبكي بانهيار ..

حرااام .. فكرت بقهر .. مايفعله بها حرااام ..

-أليس جميلاً ..

سمعت صوته وشعرت بفمه يقترب من عنقها .. وهو يهمس:

-شعرك الان ككتلة النار جوهرتي ..

شهقت جوهرة بألم .. بقهر امرأة تمارس عليها أعتى مبادئ الظلم ..

تأملت شعرها البندقي الجنوني الثائر وقد تحول الى خصلات حمراء

بشعة .. لم تعد تشبه اي شيء الا تقليد بشع .. لم يناسبها قط ..

صرخت بمرارة ووجع:

-لماذا فعلت بي هذا؟؟

ادارها نحوه بحركة حادة ورأت في عينيه الغضب العاصف ..همس

لها من بين شفتين مطبقتين:

-الم يعجبك؟؟ لطالما اردت امرأة بشعر أحمر .. ثائر .. امرأة نارية مثلها

هي ؟؟ ولكنني لم أحظى سوى بأكثر النساء برود ..

صرخ وكأنه يبصق بوجهها لتتراجع باكية بعنف وهو يواصل:

-ليأتي أخوك الشيخ القدير ويحصل على كل ماحلمت به .. كنت

أعرف انها فاتنة ولكنني لم اتخيل قط ان تكون بكل تلك الروعة ..

وترك كتفيها بقرف وهو يشرد بهيام:

-حين وقفت امام المجلس واعلنت انها لاتوافق على زواج اخيها من

سلمى .. رأيت وجهاً كالبدر .. محاط باجمل خصلات نارية رأيتها في

حياتي..

وعاد ينظر لزوجته التي تكورت على نفسها باكية بعنف:

-لأعود وأجدك انت .. أنت جوهرة .. باردة .. كقطعة ثلج .. ولكن .. سيـادة..

-توقف ..

صرخت بشحوب .. لينظر لها بعنف وهي تعترض:

-لو سمعك .. لو سمعك قحطاان ..

-اششششش(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

صاح بقسوة وهو يقبض على شعرها ويوقفها على ساقيها بوحشية:

-لاتذكريه امامي ابداً .. هو لايقدر على فعل شيء لي.. ابداً لايقدر.. انا حسن العزب الا تفهمين؟؟

بكت بمرارة وألم .. حاولت التخلص منه ولكن بلافائدة:

-يكفي أنني تحملت الزواج منك لسنوات طويلة .. ورغم السنوات .. لم تتغيري بل كل ماحصلت عليه هو زيادة في برودك .. وحماقتك..

-انت تؤلمني..

همست باكية ليفلتها بقرف وازدراء.. ويهمس:

-انت مقرفة جوهرة .. ستظلين هكذا طوال عمرك .. كل محاولاتي لاصلاحك بائت بالفشل..

شهقت بالبكاء .. سمعته ينصرف .. سمعته يغلق الابواب خلفه بقوة ..

افترشت الارض وبكت .. بكل قوتها .. وكل كيانها يصرخ.. يكفي .. يكفي ذلاً .. يكفي استسلاماً تاماً ..

يكفـــي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

ليـلة طويلة ..

البلدة القديـمة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

تأملته بعيون متسعة .. كان رائعاً .. حبست أنفاسها وهي تتلمسه بيديها بفرح .. شيء غريب يجتاحها هذا اليوم لأبسط الأشياء تدمع عينيها ..!!

رفعتهما لامها بفرح وهمست:

-انه جميل ..

ابتسمت أمها وضمتها بقوة هامسة:

-لقد اشترته لك عمتك منذ عام وأحضرته معها حين عادت من السعودية .. كان قلبها يشعر ان زواجك قريب..

نهضت بفرح وأمسكت بالثوب البسيط امام جسدها تهمس:

-هل سيناسبني؟؟

-بالطبع .. جربيه وسنفعل مايلزم ..

هتفت امها بحماس .. لتومئ هي وتركض الى الحمام لتجرب ثوب زفافها ..

حينها سمعت أمها الطرقات على الباب ورأت تلك .. تدخل هاتفة:

-هل بإمكاني رؤية العروس؟؟

لتتوقف بحدة حال وقوع بصرها عليها ..

لقد مر أسبوع .. وقد عملت سيادة مابوسعها لتتحاشى هذه المرأة .. ولكنها الأن تجدها هكذا أمامها ..دون أي أحد ليحاول ان يكون حارساً امام هجومهما المستمر على بعضهما .. تنهدت وتقدمت قائلة:

-مرحباً عمتــي..

نظرت لها هدية بحقد .. كانت متألقة بثوب ناعم من القطن يصل لكاحليها .. وشعرها معقوص أعلى رأسها ويظهر وجهها كله .. بكل بهاءه وجماله .. وطرحتها تتعلق بكتفيها بإهمال ..

-مرحباً بك ..

قالتها دون رغبة حقيقية .. لتشيح سيادة باستعلاء وتتسائل:

-أين سلمى .؟؟

-هنا ..

سمعت الصوت الملهوف لتلتفت بسرعة وتتسع عينيها بدهشة ..

كانت تقف امامها سلمى اخرى ..

بثوب ناعم من الحرير الابيض وكمين من الدانتيل .. وتنورة بغاية الروعة ..

-تبدين جميلة ..

همست سيادة .. لتنطلق السيدة هدية بالأذكار والمعوذات وهي تحيط ابنتها وتقرأ على رأسها بحماس وعينيها تطلقان الشرارات على زوجة بكرها التي تراجعت بدهشة وحملت عينيها حنقها على تلك السيدة وماتفكر به من حماقات .. قبل ان تقتقرب من سلمى وتقول لها:

-سأساعدك في زينة شعرك ووجهك مارأيك ؟؟

اومأت سلمى بسعادة لتتدخل هدية بضيق:

-الجوهرة وفتحية سيساعدنها لاتشغلي بالك انت ..

تجهم وجه سيادة واحتقن .. لتعترض سلمى:

-ولكنني اريد سيادة امي .. ان لها ذوقاً رائعاً ..

ابتسمت سيادة بفرح وغمزت لسلمى التي غمزت لها بالمقابل وهما تسمعان تحلطم هدية والتي صاحت:

-اذا سارعي بنزع الثوب حتى لايتسخ عليك ..

اومأت لها سيادة بالموافقة فركضت لتغيره ..

وهنا واجهتها حماتها بشدة:

-لاتحاولي افساد فرحة ابنتي..

نظرت لها سيادة بشفقة وهمست:

-صدقيني انا لاأحاول .. بالعكس انا اريدها سعيدة واريد السعادة لأخي أيضاً ..

-لايظهر عليك ابداً ..

ظهر الأسف على وجه سيادة وكادت تغادر حين تذكرت ماجائت لأجله .. فانتظرت خروج سلمى التي لم يتأخر وهي تعود حاملة ثوبها بيدها ..

اقتربت منها وهمست لها:

-جئت أخبرك ان الطائرة ستغادر بك وفراس وأبي بعد منتصف الليل مباشرة..

شحب وجه سلمى وارتعدت لتطمئنها سيادة:

-لاتقلقي.. سيكون كل شيء على مايرام .. فقط عديني ان تكوني سعيدة .. ان تحاولي ان تخلقي سعادتك بيدك سلمى .. فلن يحاول احد سواك..

-ماذا تعنين؟؟

تنهدت سيادة وهمست لها :

-لاتجعلي احد يسيطر عليك .. تذكري انك وفراس ستغادران باريس ايضاً .. فلاتجعلي امي تخيفك .. انها متحكمة قليلاً .. ولكنها طيبة القلب.

اومأت سلمى لتتركها سيادة وتتجه للباب وهي تقول:

-لقد اوصيت فراس عليك..

ابتسمت سلمى بخجل .. ظهر واضحاً عليها .. فابتسمت سيادة بأسى لم يظهر لسواها .. وهمست:

-أتمنى فقط ان يدرك هو معنى ماقلته..

وتنهدت وهي تلوح بيدها لسلمى ومضت الى جناحها ..

مشت ببطئ تتذكر ماقالته لأخيها قبل ساعات قليلة .. كان في غرفته وقد طلبت من ابيها ان يأخذها اليه .. وجدته يضع سماعات الاذن على رأسه وغارق حتى أذنيه في عالم أخر ..

هزته بقوة .. حتى انه قفز حال لمسها اياه..

-انصت الي..

صاحت به حالما نزعهما واستمرت:

-اخبرني الى متى تبقى في سلبيتك هذه؟؟

نهض بانزعاج وواجهها بسخرية:

-ألن ينقض علينا زوجك في اي لحظة الأن؟؟

-فرااس .. لاتسخر مني..

صاحت بحنق ووجهها يخذلها ويحمر لذكر ذااك .. لتراه يتنهد ويجلس بائساً يائساً:

-وماذا علي أن أفعل؟؟ .. الأمر ليس بيدي..

-كل أمرك بيدك .. أنت رجل .. قف وأوقف هذه المهزلة .. كلانا نعرف انها لن تستمر..

نظر لها بصمت لتقترب منه هامسة:

-فرااس .. سلمى رقيقة للغاية ولن تتحمل ان تخذلها ..

-انا لن أخذلها ..

هتف بحنق ..لتنظر لهُ باستياء..

-والدي وأخيها وكل رجل اخر في هذه العائلة المعاقة ذهنياً هو من سيخذلها .. الذنب ليس ذنبي..

صرخ بها ونهض يذرع الغرفة بتوتر :

-سيادة انا فقط أريد الخروج من هنا .. أريد العودة لباريس ثم السفر والالتحاق بالفرقة .. انا منقطع تماماً عنهم منذ وصولنا ..

نظرت لهُ بألم :

-انت ستحطمها ..

-أقسم انني لن أفعل..

هتف بأسى واقترب منها :

-ان كان زواجي من تلك الفتاة هو تذكرة خروجي من هنا فأنا سافعل .. ساتزوجها ..

-ستحطم حياتك وتقضي على الفتاة المسكينة ..سلمى لن تتحمل نمط حياتك التي تفكر بها.

-هذا شأنها فهي قد وافقت ..

هتف بعنف لتضحك بمرارة:

-هي لم توافق.. لم يسألها احد حتى .. مجرد ذبيحة اخرى .. تساق الى جزارها..

راقبها اخوها بصمت وهي تنهض وتتجه الى باب غرفته قبل ان يوقفها بسؤاله:

-ألن ترسلي معي شيئاً لأمي وعبدالعزيز؟؟

اخترقها الاسم بقوة .. وكأنه صورة من ماضٍ قديم عليها ان تتذكره الان..

-أخبر أمي بما حدث..

همست..

-وعبدالعزيز..

نظرت لأخيها بشرود وارتجفت .. لاتعرف لما .. ولكنها لم ترد .. بل غادرت بصمت ..

تنهدت سيادة وهي تنهي ذكرى ماحدث مع أخيهاامام باب الغرفة ..

ترددت قليلاً قبل أن تدخل دون أن تطرق الباب.. كان هناك ..

ابتلعت ريقها وحاولت التصرف كما اعتادت خلال الاسبوع الماضي ..

خلال الهدنة الغريبة التي اجتاحها البرود بينهما .. هو يعود في وقت

متأخر من الليل .. وهي تقضي لاوقت في تحضيرات العرس مع شقيقتاه .. تنهدت واغلقت الباب ..

-مساء الخير..

همست بصوت خافت .. وبدأت رحلتها لغرفتها ..

-انتظري ..

علا صوته بحدة .. لتتوقف في منتصف الطريق وتبقي له ظهرها المتشنج .. مالذي يريده الأن؟؟ فكرت بتوتر.. سمعت حفيف ملابسه وهو ينهض من على كرسيه .. وشعرت باقترابه منها..

-أين كنتِ؟؟

تسائل بهدوء.. لتجيب بذات الهدوء:

-مع سلمى .. تعرف انها ليلتها الأخيرة بيننا..

قالتها وهي تستدير ببطئ لتواجهه .. من الصعب أن تدير له ظهرها .. كان ذلك أصعب مماتظن .. أخذت نفساً وهي ترى كم كان قريباً منها .. وقعت عينيها على قبة قميصه .. وعلى ذلك الضارب بجنون أسفل عنقه .. لدرجة انها كانت ترغب بمد يدها ووضع اصابعها عليه فقط لتهدئ من روعه ..

قبضت على أصابعها بقوة .. وهي تستغرب مايدور بخلدها من أفكار ..

رفعت عينيها اليه .. ورأت تلك النظرة الغريبة .. سوداء عميقة وكأنها بئر ظلماء قفزت راغبة اليها ..

حبست أنفاسها وتراجعت خطوة وهي تضع يدها على دقات قلبها التي قفزت دون انذار .. تابعت نظرته حركتها الدفاعية .. رات التواء فمه بابتسامة خاطفة وهو يراقب توترها كلما كانت الى جواره .. في الأيام الماضية تعمدت الابتعاد عن طريقه كلياً وعذرها الوحيد هو الانشغال بالتجهيزات لعرس شقيقته الصغرى .. وهو كذلك آثر الابتعاد عنها بشتى الطرق ..

فالحماقات كثرت وهو لايريد الغرق بها مجدداً ..

-وهل أنتهيتن؟؟

-ماذا؟؟

تمتمت بذهول وهي تتوه عن مغزى السؤال كلياً .. تباً مالذي يحدث لها؟؟

رات سخريته تلمع في عينيه .. يعقد كفيه خلف ظهره ويفرد صدره أمامها بخيلاء كالطاووس ..

-تجهيزات العرس.. أليس هذا ماكنتن تحضرن له؟؟!!

ابتلعت ريقها .. حرارة قوية تهاجمها ولاتعرف مصدرها .. ويلها منه .. كيف يذيب كل ماتجاهد لبناءه حولها هرباً منه .. كانصهار قالب ثلج في مواجهة نار حامية ..

-نعم .. لم يتبقى شيء.. تقريباً..

-ممتاز .. لااعرف ولع النساء بالتجهيزات لهذه الدرجة .. انها ليلة واحدة وينتهي الأمر ..

علق بسخرية .. لتواجهه باشتعال زمردتيها .. وهي تدافع عن ابسط أحلام كل فتاة على وجه الأرض:

-انــه يوم زفافها.. كيف تقول عنه هكذا..؟! انه أهم يوم في حياة كل فتاة..

رمقها ببرود وقد اعتمت عيناه وهو يهمس:

-ولما تدافعين هكذا عن زفاف شقيقتي ؟! هل وكلتك محاميةً لها مؤخراً ..؟!

زمت شفتيها وهي تحاول التغلب على غصة استحكمتها:

-انه احساس قحطان .. مجرد احساس لأنه كان لدي حلم قبلها ..

وابتلعت باقِ عبارتها مع غصة استحكمتها .. ولكنه فهم .. لذا اسود وجهه وهو يدمدم:

-ولكن الحلم استحال الى كابوس معي أليس هذا ماتريدين قوله؟؟

نظرت له للحظة قبل أن تهمس بشحوب:

-لااعرف .. كل ماأعرفه ان حلمي قد تحطم .. وأنك أنت ووالدي السبب..

كثير عليه..

فكر بعاصفة من غضب.. أن يسمعها تقول ان حلمها بذلك الفاشل قد تحطم وانه مجرد كابوس ..

كثيـر جداً عليه ..

فكر بتحطيم رأسها في التو .. فكر بالصاق وجهها للحائط وضربها كما فعل قبلاً .. ولكن ..

تلك النظرة المكسورة في عينيها .. تلك النظرة ألقته الى مسافة بعيدة .. حتى شعر بانكسار شيء ما في داخله .. شيء اضطرب ..ووجد نفسه يتسائل.. مالذي يجب عليه فعله ..!!

تراجع حينها .. وليس من عادة شيخ العزب التراجع .. ولكنه فعل ..

تراجع بحركة أجفلتها وجعلتها تشهق برعب .. ولكنه لم يتوقف ..

استدار عنها وهمس بثقل :

-اذهبـي ..

ابتلعت ريقها بصعوبة .. وتراجعت حتى ارتطم ظهرها بباب غرفتها ..

ثم استدارت مذعورة ودلفت اليها بسرعة .. ويله كيف أصبح ضعيفاً

كما لم يعتد في حياته ..

كيف بكلمة واحدة فقط .. غيرت مجرى كل شيء.. كان ينوي

السخرية منها .. وهو شيء لم يفكر قط بحياته انه سيفعله .. ..

يسخر من امرأة .. وأي امرأة .. زوجتــه !!

وكان ينوي ضربها ؟! هل فعلاً كان سيضربها لأنها اشتكت دمار

حلمها بسببه .. لقد حطمها فعلاً ..

عبس بشكل مريع .. حتى تغيرت ملامح وجهه .. وبات بسواد الليل

الذي بات ينظر اليه بتجهم ..

أين أنت قحطان ..؟!

أين أنت ياشيخ مماتفعله الأن .. تزوجت امرأة رغماً عنها فقط لتنقذ

سمعة عائلتك ؟!!! تحتمل كراهيتها وحقدها.. جنونها وسلاطة

لسانها فقط كي لاتؤذي جدك الذي هام بها ..

والأن توافق على زواج شقيقتك من رجل لاتعرف عنه سوى انه ابن

عمك الوحيد .. والمفروض انها له .. منذ طفولتها وهي له .. هكذا هي

العادات .. ليس للبنت الا ابن عمها ..!!

فلم تشعر بأنك ترتكب ثان أسوأ قرار في حياتك كلها يارجـل ؟!

استند بمرفقيه على النافذة .. وسمع من بعيد عواء ذئب متواصل ..

وغرقت عيناه في سواد الليـل .. وهو يدعوا من كل قلبه .. لهذه الليلة

أن تنتهـي .. بأي شكل من الأشكال..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وانتهت ..

انتهت في بداية اخرى سواها ..

لم تعرف كيف ابتلع السواد النهار وباتت الليـلة المنتظرة للجميع ..

كان يوماً محموماً.. هذا أقل مايقال عنه .. استقبال الضيوف اللذين

توافدوا من كل مكان رغم المهلة القصيرة لم تصدق نفسها حين وقفت

الى جوار عمتها لاستقبالهن بصفتها زوجة الشيخ قحطان .. لم تصدق

ابداً ..ومن ثم استقبال افراد العائلة .. والمصيبة الكبرى كانت تهدئة

سلمى التي لم تكف عن البكاء ابداً .. منذ الصباح ..

لم تعرف كيف مر اليوم .. وهاهي الأن تستعد للاحتفال .. لقد انتهت

صلاة العشاء منذ قليل .. وهذا يعني ان عقد القران سيتم بعد لحظات

..

تنهد ونظرت لنفسها في المرآة..

ثوبها الأصفـر كان متعة للنظر .. بسلاسل فضية كأحزمة على طول جذعها .. عاري الظهر .. ينسدل بتنورة ناعمة حتى كاحليها .. أخذت نفساً .. ومضت تعدل زينة وجهها البراقة .. بظلال ذهبية لامعة وكحل أسود كثيف .. شفتين بلون أحمر زاهٍ .. وشعرها يرتفع بانتفاخ ناعم في الأمام .. قبل أن ينسدل كشلال ناري ثائر يغطي عري ظهرها وكتفيها .. وكحلية ارتدت سلسلة ذهبية طويلة تحمل حرفها الأول ..وفي ذراعيها ارتدت اساور ذهبية رفيعة متعددة ..

نظرت لنفسها نظرة اخيرة ثم وضعت بضع قطرات من عطر جديد عليها لم تضعه قط من قبل .. واجتاحتها رعشة للمسته اللاسعة.. وهي تحرق بشرتها الناعمة .. ورائحته تنتشر في الغرفة .. كجنون امرأة مغوية ..

تنشقتها باستمتاع .. تختلف عن رائحة زهرالليمون التي اعتادت ان تضعها .. كانت رائحة جريئة .. عابثة .. عودية بلمسة من البخور المعتق .. أهدتها اياه جدتها حال زواجها ولم تمسها قط ..

ستثير جنونه ..

فكرت برعونة .. ضاحكة بدلال .. انتقامها يسخن في الفترة القادمة قبل أن تخرجها امها من هذا المكان ..

ستسعد لرؤيته مرتبكاً وغارقاُ في حيرته .. وهي تتهادى امامه هكذا ..

أخذت نفساً وقررت الذهاب والانضمام للحفل..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

حين وصلت كانت هناك غزل الى جوار حماتها ..

غزل كانت ترتدي ثوباً رائعاً بلون البنفسج بكمين طويلين منفوخين وقد حدد معالم جسدها النحيل بنعومة وعلى كتفيه تناثرت حبات من الكريستال البراق .. وشعرها انسدل بنعومة الى جهة واحدة من عنقها وبرزت جمالها بزينة هادئة ناعمة .. وحمرة بنفسجية رقيقة ..

كانت جميلة جداً ولاصعوبة بإظهار جمالها ..

دخول سيادة الى المجلس حيث اكتظ بالمدعوات كالعادة كان حدثاً .. الجميع ينظر الى شعلتها النارية المتألقة.. وعينيها تلمعان تحت الاضاءة الباهرة .. بنظرات ذهبية براقة .. تتهادى عبر المدعوات بحذائها ذو الكعب الطويل .. وفستانها الذي نُسج من خيوط الشمس .. توزع ابتسامتها للكل .. حتى عائلة آل مدكر اللاتي نظرن لها بخليط من الحسد والانبهار..

-مرحباً غزل.. تبدين فاتنة..

تمتمت بالتحية للفتاة التي احتقنت بحمرة الخجل قبل أن تهتف بسعادة حقيقية:

-مرحباً سيادة .. واو انت جميلة .. بل مبهرة ..

لم تحمر سيادة أو تخجل .. بل ابتسمت بثقة عالية وهي تهمس:

-شكراً حبيبتي..

والتفتت لحماتها التي نظرت لها ببرود وهمست لها:

-هل سلمى جاهزة؟؟

-بالطبع .. ان الجوهرة تساعدها بارتداء ثوبها ..

ردت بضجر .. لتسرع غزل هاتفة :

-لقد رأيتها .. انت مبدعة في وضع الزينة لقد اختلفت تماماً .. حتى شعرها .. انه مذهل.

-سلمى جميلة حقاً .. لم افعل سوى اظهار جمالها بالزينة الملائمة..

همست سيادة بخفوت قبل ان يسمع الجميع تلك الطلقات النارية القريبة .. انتفضت سيادة بذعر لتهمس هدية:

-سيعقدون القران في الحال ..

غار قلب سيادة بين ضلوعها وهي تتذكر عقد قرانها هي الأخرى ..

حمل وجهها توترها وهدية تستأذن لتذهب لابنتها .. ولم تمضي دقائق أخرى حتى سمعن طلق نار أخر بكثافة أكبر..

شهقت بذعر لتنظر اليها غزل هامسة:

-لقد انتهى الأمر .. ألازلت تخافين طلق النار؟!

اومأت لها سيادة قبل أن تتصاعد الزغاريد معلنة وصول العروس ..

تراجعت سيادة وهي ترى الكل يشارك بزفة العروس الناعمة التي تهادت اليهن بثوبها الملائكي .. وغطاءها يظلل وجهها ..

حاولت المشاركة في لافرح وتقليدهن ولكن .. عدا عن صعوبة ماكن يفعلنه .. كانت الغصة في حلقها تمنعها وهي تتذكر زفافها هي؟!

حاولت أخذ نفسٍ عميق وهي تصبر نفسها ان كل شيء قادم الى نهاية .. وانها قريباً سوف تنجو من هذا السجن وتعود الى امها وحياتها..

بعد ان انتهت زفة العروس أجلسوها الى مقعد مرتفع .. واقتربت سيادة بصفتها اخت العريس لتزيح غطاء وجهها هامسة:

-مبارك لك حبيبتي ..

رأت الدموع تلمع في عيني سلمى تهمس لها مجدداً:

-لديك العمر كله لتبكي فيما بعد .. فلاتفسدي زينتك الأن ياصغيرتي ..

ابتسمت سلمى رغماً عنها وتألق وجهها بنعومة .. حيث انسدلت خصلات شعرها حول وجهها بعفوية وتألقت نعومة بشرتها السمراء وشفتيها تتالقان بلون الورد الطبيعي .. واحيطت عينيها بالكحل ..

-شقيقي سيدخل فيما بعد لرؤية عروسه فلاتتصرفي بتهور وتفسدي ماسيراه ..

كانت جملة مرحة قصدت من خلالها ان تضحكها ولكن مارأته من رعب في عينيها الجميلتان ارسل شرارات الذنب اليها .. فتراجعت بسرعة .. وهي تضحك بارتباك ..

توجهت حيث وقفت الجوهرة مع غزل .. كانت الجوهرة تضع غطاءاً على رأسها فعقدت حاجبيها بقلق وتسائلت:

-جوجو هل أنت بخير؟؟

نظرت لها الجوهرة ببطئ.. نظرة حملت كل حقدها .. بصورة لم تتوقعها ابداً ان تشعرها نحو اي احد .. فمابالك بزوجة أخيها .. ورأت سيادة الكره في العينين .. رفعت يدها بحركة غريزية تحيط عنقها هامسة:

-مابالك جوجو؟؟

لم تجبها بل تعمدت ان تنظر لها بكره للحظات أخرى قبل أن تشيح عنها وتنصرف الى اقصى المجلس.. نظرت لغزل بتوتر فهزت غزل كتفيها انها لاتعرف مالسر .. لتعاود نظرها الى ابنة عمها التي كانت تدور حول الضيوف بلاتوقف ..

كانت الاهازيج مستمرة .. الرقص على دق الطبول .. والعروس الخجولة تجلس بلاحراك .. حين رأت ان هدية تناديها .. رفعت رأسها وتقدمت منها ..

-يقول قحطان ان أخاك سيدخل .. هلا وقفت الى جواره ريثما انبه النساء..

اومأت سيادة بحماس .. وخرجت الى الممر لتلقي نظراتها بنظرات أخيها .. ابتسمت بسعادة لم تقدر على اخفاءها وهي تراه ببدلته الرسمية .. وقميصه الازرق الناصع ..وتذكرت تذمر والدها منه لرفضه ارتداء الزي الشعبي كالعادة .. وهمست له ضاحكة:

-كيف الحال ياعريس..؟؟

نظر لها باستخفاف ثم همس بضجر:

-لننتهي من هذه المهزلة بسرعة .. طائرتنا تقلع في تمام الثانية عشر ويجب ان نتحرك خلال نصف ساعة سيادة ..

رفعت كفيها هاتفة:

-حسناً حسناً .. لاتقلق..

-لدينا طريق طويل للوصول لعدن ولست مستعداً لسماع خبر ان الطائرة رحلت دوننا ..

هتف بحنق لتكتم ضحكاتها وهي تنظر لتجد ان هدية تشير لها بأن تتركه يدخل ..

نظرت اليه وهمست:

-ستجلس الى جوار عروسك وتضع المحبس الذهبي في اصبعها اليسرى .. ثم تقبل جبينها وتتمنى لها ولك السعادة .. وهكذا .. أتفهم ..

-فهمت والان هيا ..

قالها بنفاذ صبر ليشتعل فيها الحماس وهي تفتح له الباب على مصراعيه وتدعوه للدخول ..

سمعت الزغاريد وكادت تموت قهراً انها لاتستطيع فعل المثل .. كانت خطوات فراس سريعة .. لم ينظر يميناً اويساراً بل توجه نحو كتلة البياض التي جلست دون حراك امامه .. وجلس الى جوارها ..

انتظر ان تقترب سيادة وتناوله المحبس ليتناول يد سلمى التي كانت مغروسة في حضنها ..

يدها ناعمة جداً .. وصغيرة جداً .. وباردة جداً جداً ..

أدخل الخاتم بتوتر وهمس لها بنفاذ صبر:

-مبارك ..

لم ترد .. بل خفضت رأسها أكثر ورأى هو كتلة الشعر الاسود يغطي وجهها .. وسمع ضحكة سيادة وهي تضع محبسه الفضي في اصبعه نيابة عن عروسه التي باتت كالصنم ..

-هل بلعت القطة لسانك؟؟

سخر منها ليسمع شهقتها قبل أن يبتلعها الصمت مجدداً .. تنهد ونقل بصره بجرأة للنساء حولهم .. كل شيء اسود .. وان كان يعرف ان النساء خلف تلك الاغطية الشفافة يلتهمنه بنظرات فضولية .. مقيمة .. محنكة ..

فانارت وجهه ابتسامة ساخرة وهو ينظر لسيادة هامساً:

-أشعر بأنني أحد اولئك العارضين.. مالذي ينتظرونه مني أن أفعل؟؟

هل انزع ملابسي؟؟

قالها بتهكم ليحتقن وجه سيادة هاتفه بحنق:

-تعقل يافتى ..

كتم ضحكته بصعوبة وهو ينظر لساعته الفخمة ويعلق:

-سيادة يجب ان ننصرف في الحاال ..

اومأت وأسرعت نحو حماتها تبلغها بالامر ..

بعد هذا .. كان الأمر أشبه بفلم تراجيدي .. فسلمى لم تترك حتى لتغير ثيابها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) البسوها العباءة على ثبو العرس.. واستبدلوا الطرحة البيضاء بأخرى سوداء وعليها النقاب ..

ثم بدأ مسلسل الدموع ..

من جهة سلمى وغزل وهدية والجوهرة .. ومن الجهة الأخرى كانت سيادة التي لم تتوقف عن توصية أخيها بألا ينسى ماهي فيه ..

قبض فراس بقوة عل كف زوجته وهو يعد شقيقته بخفوت انه لن ينسى مهما حدث ..

وامام دموع عائلتها تسللت سلمى بصعوبة للخارج ..

حيث وجدت أشقائها وجدها .. !!

اقترب رعاد نحوها وقبل رأسها بقوة وهو يقول:

-اعتني بنفسك ياصغيرتي .. وان احتجتني في اي وقت تعرفين كيف تتصلين بي.. ؟!

اومأت باكية .. وانتقلت لعلي الذي ضمها بحنان وهو يهمس:

-كوني عاقلة ياسلمى ولاتتصرفي بجنون أتفهمين ..؟!

اومأت له بالمثل .. لتجد نفسها امام قحطـان ..الذي لم تنتظره ليتقدم ابداً .. بل وجدت نفسها تغرق بين ذراعيه باكية بعنف .. يقارب الصراخ ..

اعتصرتها ذراعاه بقوة وهو يهمس بكلمات مطمئنة لأذنيها .. قبل ان يبعدها بطول ذراعيه هامساً في عينيها بصلابة:

-تذكري من أنت هناك ياسلمى .. تذكري انك ابنة آل العزب .. وانك شقيقة شيخهم ..

تجمدت دموعها وقوة تتسلل الى اعماقها وهي تهمس:

-انا خائفة قحطان ..

رقت نظراته للحظة قبل أن تسلط عليها بقوة وهو يشد على كتفيها:

-الخوف شيئ جيد ياصغيرتي ..كلنا نخاف .. الغبي وحده من لايشعر به .. ولكن تصرفك تجاه خوفك هو مايحدد معالم قوتك ياسلمى .. كوني قوية ولاتخشي خوفك ابداً ..

-سأشتاق اليك ..

همست باكية ودموعها تعاودها ليبتسم بحنان دافق ويضمها اليه مجدداً هامساً:

-وأنا سأشتاق اليك ياصغيرتي .. وأنا ..

شعرت حينها بيد توضع على كتفها .. كان عمها سالم الذي قال بتوتر:

-يجب علينا الانصراف ..

نظر له قحطان بتوتر قبل أن يفلت أخته ليقودها الى السيارة .. وهناك أمسك بذراع عمه وهمس له بخفوت:

-شقيقتي .. عهدة عندك ياعمي ..

نظر له عمه بتوتر ليعود قحطان هامساً من بين اسنان مطبقة:

-لو اصابها ابنك بمكروه ..

ولم يكمل بل شعت عيناه بعاصفة وهو يواصل:

-تذكر انك انت من وضعت يدي بيده ..

توترت نظرات العم أكثر وهو يقول:

-وتذكر انني فعلت المثل معك بابنتي قحطان ..

انت لديك سيـادة العزب (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

احرص عليها بحياتك ..

اعتلت السخرية وجه قحطان وهو يفكر انه يجب ان يحرص منها

ومما تفعله به وليس العكس.. الا أنه قال:

-سنلحق بكم بالسيارة ..

اومأ له عمه قبل أن يتراجع سامحاً للسيارة بالانطلاق تحمل في

داخلها الرجلين والعروس .. الى حياة غريبة .. مجهولة . . تحمل لها

الكثير والكثير.. منذ اليوم الأول(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير

محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل

بقلم عبير محمد قائد)..

تراجعت الى الداخل وهي ترى الطبول قد توقفت وان الزغاريد

استبدلت بالدموع .. وقد توسدت هدية ركبتي جدتها ومضت تبكي

ابنتها بمرارة .. وغزل انزوت مع صديقات سلمى المقربات في بكاء

مماثل ..شعرت بالضيق وارادت الخروج ..

رأت الوداع من مكانها ..قبل ان يتحرك الجميع بسياراتهم للحاق بالعروسين الى المطار في رحلة طويلة .. رأت كيف ضمها اليه لوقت طويل .. وشعرت بالجنون .. شعرت بقلبها يحترق ولم تعرف السبب .. أخذت نفساً عميقاً تحاول السيطرة على مشاعرها الثائرة وارادت العودة الى مخدعها .. ولكنها توقفت بحدة وهي تواجه الجوهرة التي وقفت امامها باكية:

-انتم السبب..

اتسعت عينا سيادة بحدة وهتفت:

-مالذي تقولينه؟؟

-انت واخيك دخلتم الى حياتنا لتدمرنها .. شقيقك اخذ اختي ويعلم الله متى نراها مرة أخرى..

-جوهرة ماهذا الذي تقولينه؟؟ ماذا فعلت لك ؟؟

هتفت سيادة باستنكار لترى الجوهرة تنزع غطاءاها وشهقت بذهول وهي ترى لون شعرها الاحمر ..!!

شعرها البندقي الجميل اصبح نارياً .. ولكن .. نار خامدة بلاحياة .. لم يناسب وجهها الأسمر .. ابداً .. كان لوناًبشعاً عليها ..

-لماذا فعلت هذا؟؟

هتفت برعب .. لتضحك الجوهرة هاتفة:

-انت السبب .. انت السبب ..

اتسعت عينا سيادة اكثر واستنكرت لتقاطعها الجوهرة صائحة:

-كنت اعيش بسلام حتى ظهرت انت .. وكان يجب ان اشبهك .. كان يجب ان اكون انت ..

-لماذا؟؟

صرخت سيادة بعجز لتهمس الجوهرة بمرارة:

-لأنه يريدك أنت .. يريدك انت .. زوجي انا .. يريدك انت !!

جحظت عينا سيادة وتراجعت هاتفة:

-انت مجنونة ..

-لم اعد اعرف من منا المجنون ..

همست بوجع وهي تنهار على الارض .. ورق قلب سيادة لحالتها المأساوية .. لم تفكر قط انها تحمل لها كل هذا الحقد .. ولكن مالذي تعنيه بأن زوجها يريدها هي ؟؟!!

اقتربت منها واحاطت كتفيها بذراعها وهي ترفعها:

-تعالي معي لايصح بقائك هنا .. سيرانا احد ..

وبكل هدوء سحبتها الى غرفة المعيشة حيث أقعدتها على المجلس وواجهت عينيها بتصميم هامسة:

-انظري الي جوهرة ..

لم تفعل .. فرفعت سيدة كفيها بقوة لتقبض على عنقها وترفع لها وجهها .. ولكن الجوهرة صرخت بألم وتراجعت .. حينها فقط رأت ماكانت تخفيه طيلة الوقت ..

ذلك الاثر الضخم لأصابع كبيرة .. وكأن هناك من كان يضغط على عنقها بعنف ..

-يالهي جوهرة ..

همست سيادة بشحوب .. وهي تكشف عن عنق الجوهرة كلياً .. ثم كتفيها بعينين متسعتين .. وترى الكدمات هنا وهناك .. وتعاود النظر لوجه الجوهرة الغارق بالدموع هامسة:

-انه يضربك ؟؟؟

تأوهت الجوهرة بصمت وهي تغرق بين ذراعي سيادة التي ضمتها بحنان هامسة بتساؤل:

-منذ متى ؟؟ منذ متى وانت صامتة؟؟

ثم صاحت بجزع:

-هل يعرف قحطان بالأمر؟؟

شهقت الجوهرة بذعر:

-لا لا .. لوعرف .. لو عرف أخي سيقتله..

-انه يستحق ..

صرخت بحرقة لتجهش الجوهرة بالبكاء هامسة:

-ولكنه سيقتلني .. لوعرف انك عرفت .. سيقتلني وقد يقتل طفلي..

انه مجنون كلياً سيادة ..

-وكيف تصبرين على هذا الجنون باللّه عليك ..

صاحت سيادة بقهر لتقفز الجوهرة:

-انت لاتفهمين .. اذا ماعرف احد .. سيكون الامر فضيحة .. لايجب ان يعرف احد (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) انها اسرار زوجية لو افشيتها ستكون فضيحة..

-انه ضرب واعتداء وانت حمقاء كبيرة ان ظللت صامتة..

صرخت بها سيادة بحنق .. لتغمض الجوهرة عينيها بألم وهي تضم جسدها اليها برفض للفكرة .. لتسألها سيادة:

-ومالذي كنت تعنينه انه يريدني؟؟ ماقصدك؟؟

رفعت لها الجوهرة عينين مغروقتين بالدموع وهمست:

-منذ رآك في المجلس.. وهو لايكف عن التفكير بك .. طيلة تلك الفترة وهو مجنون ومهووس بفكرة ان يمتلكك..

اشمأزت سيادة وتراجعت بغريزية وهي تهمس باستحقار:

-انه حيوان قذر..

نظرت لها الجوهرة وهمست بوجع:

-حتى وهو .. وهو .. يعااشرني .. هو لايكف عن ترديد اسمك ..

شهقت سيادة برعب ونظرت للمرأة الضعيفة امامها بقهر .. ذلك الرجل .. لا لا .. ليس رجلاً ابداً ..

-واخر ماتوصل اليه انه يريد شعري ان يكون كشعرك .. كتلة نار كما رآه وحكت له فاطمة الصغيرة ..

-انه مجنون .. سادي .. وغير متزن ابداً .. زوجك حقير ويستحق القتل.. لو قحطان عرف..

همست بعصبية لتترجاها الجوهرة :

-ارجوك لاتخبريه .. حسن لن يتجرأ ويفعل اكثر من ان يخرج كل مكبوتاته بي أنا .. ارجوك لاتخافي منه.

-انت مجنونة لاحتمالك كل هذا .. مجنونة كلياً ..

هتفت سيادة لتسرع الجوهرة بلملمة طرحتها وهي تهمس:

-يجب أن أذهب .. يجب ألا يلحظ غيابي..

نظرت لها سيادة بتشوش .. لاتستطيع ان تفكر كيف تحتمل اي امراة مايحدث مع الجوهرة وهي متأكدة انه أسوأ بكثير مماتظن .. كانت تهرول راكضة هاربة .. ولم تقدر على ايقافها ..

هل يجب عليها اخبار قحطان بالامر ؟؟

ياربي .. فكرت بقلق .. ماذا عليها أن تفعل ياترى؟؟

جلست بارهاق .. وهي تفكر وتفكر .. ولاتجد حلاً .. بتاتاً ..

***

كان الوداع مؤثراً للمرة الثانية ..

هذه المرة كانت دموع علي في عينيه وهو يلوح لشقيقته التي يحيطها عمها بذراعه نحو الطائرة .. التفت لشقيقيه .. رأى تجهم قحطان الذي لم يخفى على احد منذ بداية مراسم الزواج .. حتى وهو يكمل امضاء العقد كوكيل للعروس ..

تنهد وهو يدعوا لشقيقته بالستر ثم هتف لأخويه:

-سأذهب الأن .. لن أعود معكما لان لدي الكثير من التحضيرات للبحوث..

اومأ له قحطان في حين قال رعاد:

-وأنا سأعود لأتي بغزل .. سنغادر بعد صلاة الظهر فأنا سأنام مطولاً ..

-هيا بنا اذاً حتى لانتأخر لقد تعدت الساعة الثانية عشر..

افترق الأخوة حينها ففي حين استقل قحطان ورعاد سيارة الجيب الخاصة بالاول تلحقهم سيارة طقم الحراس اللتي لم تعد تفرقهم .. توجه علي الى سيارته وهو يمني نفسه بليلة نوم طويلة بسبب ارهاقه ..

-علي العزب ؟؟!!

الفت حينها بسرعة نحو الصوت الصاخب واتسعت عيناه باندهاش وهو يرى زميله القديم:

-خالد الراجـي ؟؟

تقدم خالد منه بسرعة ضاحكاً بصخب معانقاً اياه بخشونة هاتفاً :

-انظر الى نفسك .. لقد تكبرت علينا منذ ان أصبحت طبيباً يارجل ..

ابتسم علي لجنون صديقه المعتاد وهو يقول برزانة:

-لا تقل هذا .. انت من اختفى كلياً منذ سافرت الى ايطاليا..

ضحك خالد بمرح وربت على كتف صديقه:

-اه لم اختفى ولكنك انت من توقف عن زيارة اصدقائك القدامى .. اخبرني ماهي تطورات حياتك يارجل؟؟

-خالد؟؟

قاطعهم الصوت الرقيق .. ليلتفت الاثنان للفتاة القصيرة التي وقفت الى جوار سيارة فضية وهي تعقد ذراعيها حولها بنفاذ صبر.. خفض علي نظراته وهو يرى لباسها بالحجاب الكامل .. ولكنه لم يتبين ملامح وجهها المكشوف وخالد يشير لها ان تنتظر بحنق:

-اه من الاخوات الصغيرات .. انهن كالحقن..

تمتم لعلي بخفوت ليبتسم الاخير بحزن :

-ولكنك تشتاق لهن كالجحيم حين يبتعدن عنك ..

-من ؟؟ اختي؟؟ اشتاق لهذه الفتاة المجنونة؟؟ مستحيل؟؟

اقتربت الفتاة حينها .. ولم يجد علي نفسه الا ناظراً للوجه الصغير الناعم وهي تصرخ بحنق:

-لقد سمعتك .. اقسم بأني سأخبر امي ..

قالتها وهي تضرب ساقها بالارض بحنق طفولي ليضحك علي رغماً عنه .. ويهمس خالد بخبث:

-اه هاقد رأيت بنفسك ..

ثم اعتدل قائلاً بأريحية فتى المدينة:

-علي اقدم لك اختي المجنونة رسمياً .. ترنيم الراجي .. ترنيم اقدم لك صديقي منذ ايام الدراسة .. د/علي العزب ..

تألقت عينا ترنيم العسلية باهتمام وهي تنظر للرجل الواقف الى جوار اخيها ينافسه في الطول ويزرع عينيه ارضاً وهو يتمتم لها بالتحية:

-انت طبيب؟؟

اومأ علي بحركة بسيطة وهو يهمس:

-طبيب امتياز ..

-راائع .. انا في السنة الأولى .. هل تعتقد انه بامكانك مساعدتي..

هتفت بفرح واعتلت الابتسامة وجه علي وهو يقول بحرج:

-بالطبع .. متى شئت..

-صفقت بيديها كالأطفال وقالت لخالد:

-انظر وتعلم .. شكراُ لك دكتور واعدك أن أكون تلميذة مهذبة ..

همست مضيفة ليضحك اخوها مقهقهاً :

-مهذبة .. ياصديقي لقد وقعت عقداً مع الشيطان ..

اعترض علي بأدب:

-خالد توقف عن احراج شقيقتك .. وتأكدي انستي انك ستكونين في ايد أمينة معي .. وسأساعدك وقتما تريدين ..

تألقت عينيها وهتفت بفرح:

-أنا واثقة تماماً ..

عبس خالد ومضى يجرها من ذراعها وهو يكلم علي:

-سنلتقي في مرة اخرى .. ألاتزال في تلك الشقة منذ ايام السنة الاولى..

-نعم هي نفسها ..

رد علي مبتسماً .. فصاح خالد انه سيزوره قريباً قبل أن يدخل شقيقته المجنونة كما قال الى السيارة ويمضي بها تاركاً علي يتذكر ابتسامتها الشقية بتوتر .. وهو يكاد يقسم انه اوقع نفسه في مأزق .. مع طفلة مجنونة ..ودخل الى سيارته وقبل أن يشعل محركها ارتفعت نغمة جواله .. أخرجه بهدوء .. قبل أن ينتفض كله وهو ينظر للأسم الذي شق قلبه نصفين .. قبل أن يقبل المكالمة ويرفع سماعة الهاتف الى أذنه هامساً:

-مرحباً ..

سمع تنهيدة خافتة .. قبل أن يجتاحه صوتها المغري بلاهوادة:

-اشتقت اليك ..

اغلق حينها عينيه .. واستند برأسه الى كرسيه ..

هي تدرك انها تلعب بالنار .. وهو يدرك انه يخوض فيها .. حتى قمة رأسه .. ولايريد الخلاص .. !!

***

كانت تجلس مع غزل وتشرفان على تنظيف غرفة المجلس .. حين همست غزل:

-لقد تأخروا ..

نظرت سيادة لساعة الحائط التي قاربت الثانية وهمست:

-سيعودان بين لحظة واخرى لاتقلقي..

-انا متعبة سأذهب لأنام ..

قالتها غزل وهي تتجه الى الباب وتبعتها سيادة متثائبة :

-وأنا كذلك ..

اعترضت غزل باستنكار:

-ألن تدعي قحطان يراك بكل هذه الروعة ؟؟

احمرت سيادة لذكره وهمست:

-غزل .. الا تستحين؟؟

احتقن وجه غزل وخفضت عينيها:

-اسفة .. لم اقصد ..

غرقت سيادة بالضحك وهي تلكمها على ذراعها مداعبة:

-كنت أمزح معك ..

نظرت لها غزل عابسة قبل أن تسرع نحو الدرج وهي تلم اطرف ثوبها

هاتفة بضيق:

-أكره الكعب العالي..

ضحكت سيادة مجدداً ورفعت طرف ثوبها هامسة:

-اتسابقينني .. بالكعب العالي..؟؟

-انت مجنونة ..

همست غزل لتلاعب سيادة حاجبيها لها بمكر قبل أن تبدأ بالركض

للملحق .. وسمعت غزل تركض خلفها ضاحكة بمرح .. صعدت

الدرجات بخفة وهي تنظر من وراء كتفها لتجد غزل تفعل المثل .. قبل

أن تتعثر بطرف ثوبها وتصرخ بألم .. وتجلس على الدرجات باكية ..

توقفت بحدة وسارعت بالنزول خلفها:

-غزل هل انت بخير؟؟

-قدمي .. قدمي تؤلمني بجنون سيادة ..

نظرت سيادة لقدم غزل التي لابد التوت ورأت ان كعب حذائها

مكسور .. فهمست تساعدها على النهوض:

-تعالي معي سأضع لك الثلج ..

حاولت غزل النهوض ولكن الألم كان صاعقاً فصرخت وعادت تجلس في مكانها باكية ..

-ماذا علينا أن نفعل؟؟

همست سيادة بتوتر .. وهي تعي انهما وحدهما الأن ..

ليقطع تساؤلها هدير سيارة .. فهمست برجاء:

-لابد انه قحطان ..

وبسرعة ركضت الى الباب تحاول اللحاق بهم قبل ان يتجها للملاحق من الابواب الخارجية ..

-قحطاااان ..

التفت بسرعة نحو الصوت ..

كانت تقف على الباب بالكاد تغطي شعرها بطرحة سوداء .. شعر بالغضب يجتاحه وهويراها تشير له بسرعة .. رأى أخاه يشيح بوجهه ويكاد يغادر الى ملحقه حين سمعها تصرخ عليه:

-لاتذهب رعاااد ..

تسمر رعاد مكانه ونظر لأخيه بتوتر..

وقحطان كان في عالم اخر..

انها تنوي ان تقتله .. اتجه نحوها بخطوات سريعة وقبض على كتفها بقسوة هامساً بوحشية:

-مالذي تفعلينه؟؟

نظرت له متجاهلة وحشيته وهمست بقلق:

-غزل وقعت وآذت قدمها ولم اعرف كيف اعيدها لحجرتها..

نجحت بعبارتها من جذب انتباهه بعيداً عن مافعلته هي .. ليتركها وهو يسأل بانزعاج:

-هل تأذت غزل؟؟

نظرت له بحدة .. وعينيها تطلقان شرارة مكتومة وهي تسمع نبرة القلق لامرأة أخرى .. قبل أن تهمس بنفاذ صبر:

-لايبدو هذا .. اعتقد انه مجرد التواء .. احتاج لرعاد لينقلها لغرفتها ونضع لها الثلج..

اومأ قحطان ثم همس لها:

-اذهبي الى جناحنا .. وسأتصرف..

-يجب ان اذهب معها..

-هكذا؟؟

هدر في أذنها بعنف وهو يشير الى ماترتديه .. فاحتقن وجهها وافلتت ذراعه قبل أن تركض الى جناحها بصمت ..

طمئنت غزل وأسرعت الى غرفتها .. في حين كانت الأخرى تمسد قدمها بألم قبل ان تشعر بوجوده الى جوارها .. شعرته فجأة يحوم حولها كعملاق .. رفعت عينيها لتجد عينيه المصدومتين وهو يهمس:

-هل أنت بخير؟! مالذي حدث؟!

همست باكية:

-وقعت .. قدمي تؤلمني.. أين علي؟!

حالو ان يترجم ماقالته للتو ..وقعت؟! حاول ان يبعد انظاره عن ماتبدو عليه .. بثوبها الرائع .. زينتها الناعمة وشعرها الذي يلمع على كتفها ..

همست مجدداً:

-أين علي ليعالجها؟!

صعقته الكلمة وهو ينظر لها مطولاً .. هل تطلب رؤية اخيه الأن ؟!

بالكاد تمالك اعصابه .. بالكاد سيطر على انتفاضة الغضب وهو يدني منها ويهمس:

-علي بقي هناك .. لن يعود..

شهقت بألم:

-ولكن ؟! قدمي..

-انا اعتني بك ..

صرخ بعنف جعلها تصمت وتبتلع لسانها ..

رفعت عينيها اليه .. لتدرك حالاً انها لاتضع غطائها عليها .. شهقت بذعر وهو يحملها بين ذراعيه كدمية لاتزن شيئاً .. وقبل أن تدرك كان يصعد بها بلاكلمة اضافية .. فتح الباب بدفشة من قدمه وحملها حتى الفراش ..كانت صامتة تخفي وجهها في طيات شعرها .. احمرارها يدل على ماتعانيه من احراج .. انتفاضتها تدل على موجة بكاء هادرة قادمة في الطريق .. كلها يرتعش .. شعرت به يقترب منها ويلامس قدمها ..

شهقت ورفعت وجهها اليه .. رأت وجهه العابس ينظر لاحمرار كاحلها بعنف .. رات نبضه الضارب بجنون في صدغه يدل على مدى غضبه وهو يكاد يحطم قدمها الرقيقة بين كفيه القويين .. ولكنه كان يمسكها وكأنها من زجاج هش يكاد يتحطم بين يديه .. برقة شديدة جعلتها ترتجف ..

حركها بخفة لتتأوه .. نظر لها وهمس بخشونة:

-قد تحتاجين الى اشعة .. سأخذك في الصباح الى العيادة وبعدها نتجه الى عدن ..

اومأت بصمت فسألها بخفوت:

-تؤلمك؟؟

دمعت عينيها وهي تومئ .. فوضعها برفق على وسادة .. ثم اختفى خلف باب الحمام ليعود بعض ثوانٍ يحمل مرهماً:

-هذا سيخفف الألم..

وبدأ يدلك كاحلها بخفة .. لمسته لها كانت حارقة .. جعلتها تتيبس وشرارة كهربية تصيبها بلاتوقف .. تنظر الى رأسه المنكس عليها بذهول.. وهي تفكر هذا رعاد .. انه رعاد ..!!

كانت يده عليها ناعمة .. يضغط بخفة ويحررها من الألم .. وبعد لحظات وضع قدمها على الوسادة دون أن يفلتها ورفع اليها عينيه العاصفتين هامساً:

-هل خف الألم ؟؟

نظرت له بذهول .. واحساس غريب يجتاحها وبقوة ..

ارادت أن تهمس له بان الألم قد زال كلياً .. ولكنها لم تقدر .. كانت غارقة في نظرة عينيه .. حتى النخاع ..ولذهولها .. كان هو في عالم

أخر .. لمسته حول قدمها اشتدت للحظة.. قبل أن تتغلب مشاعره عليه .. ويستسلم لفيضها ويحيط قدمها بيديه بحنان أكبر.. وينزل برأسه ..

وتحت نظراتها المصعوقة .. يضع شفتيه بحرارة .. على موضع الألم .. للحظة فقط ظنت أنها تحلم .. او أنها قد جنت ؟؟!!

ولكن احساس الحريق الذي تصاعد بقوة من مكان قبلته أيقنت معه انها مستيقظة تماماً ..

رأته ينهض بثقل .. ويقترب منها ..

تراجعت ليستند جسدها على رأس الفراش وهو ينحني عليها ..

عيناه لجتان من مشاعر لم ترها قط من قبل .. كان كالمخدر ..

احساسه اقوى من ان يقاومه .. اقوى من ان لايستسلم له ..

أحاط وجنتيها بكفيه .. ورفع وجهها المصعوق .. تأمل شفتيها المنفرجتين برغبة لم تخطئ فهمها .. شهقت لتبتعد عنه .. ولكنه كتم شهقتها بشفتيه بقوة ..

قبلة قصيرة .. لم تحمل لها اية مشاعر .. فقط ذهول عارم اجتاحها ..

وبرودة لم يسبق لها ان عاشتها شلتها من رأسها لأخمص قدميها ..

أما هو .. فقد فعلت به اعاجيب الدنيا ..

رقص قلبه بجنون .. وانتفضت عروقه بلاتوقف .. في موجة تلو الاخرى من نشوة لم يسبق له ان عاشها قط .. قبلة قصيرة .. اتصال مفاجئ صعقهما معاً .. ليتراجع هو بذهول .. بجسد متهدج .. بالكاد يقوى على الوقوف .. وهي بتصلب مصدوم .. غارق في عالم اللاوعي ..

-أأســف ..

همس بشحوب ..

-أنا.. اسف(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

ترددت همسته بينهما .. تحاول تحريره من ذنبه الذي شعر به يمزقه .. ويحاول بها اخراجها من صدمتها .. بلافائدة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

لم تصدق انها وصلت لغرفتها ..

تنهدت وهي تنزع غطائها بحركة سريعة وهي تستعد لمواجهة لابد ستقع بينهما .. ولم تتأخر ..

انتفضت بذعر وهي تسمع صفعه للباب مغلقاً اياه بحدة واقترابه المسرع منها .. التفتت اليه بسرعة وواجهته .. رأت العينان الغائمتان

تصبحان بظلمة قلب حالك السواد .. تراجعت شاهقة قبل أن يستطيع القبض على كتفيها بقوة وهو يجذبها اليه بحركة سريعة:

-هل جننت لترفعي صوتك مرة أخرى بتلك الطريقة وأمام أخي..

هزت رأسها بصعوبة وهمست:

-لم اقصد ..

هزها بعنف لتبتلع باقي عبارتها وهو يصيح:

-لم أعد أبه بأعذارك أتفهمين ..

-كنت اريد اللحاق به قبل أن يغادر..

فسرت بألم .. ليهزها بقوة وهو يصرخ:

-لاشأن لك ان تنادي اي رجل هنا .. اتفهمين .. لاانا ولاسواي ..

لمعت عينيها بألم من ضغطه القوي وصرخت ألمها ليهتف بحنق:

-ولكنك لاتفهمين .. أليس كذلك سيادة .. لاتفهمين ؟!

حاولت التخلص منه ولكنه كان كالوحوش الضارية وقد امسك بفريسة من المستحيل ان يفلتها .. حينها قررت استخدام انتقامها .. هو يريد العنف .. وهي تجيد اللعبة الأخرى ..

استكانت فجأة .. وبدل أن تصارع للخروج من قبضته اقتربت منه اكثر .. حتى ارتمت على صدره وهي تشهق للهواء العابق بأنفاسه ..

تسمر بذهول ينظر اليها .. رفعت وجهها اليه .. كانت قريبة منه .. كجزء منه .. كضلع من ضلوعه .. جسدها يذوب في احضانه وهي تهمس ببطئ مثير:

-اشرح لي قحطان .. فأنا حقاً لاأفهم ..

أسكرته كلماتها ..

كانت كعقار ينتشر عبر انفاسها ليتغلل الى اعماقه مع رائحتها العودية الغريبة .. رائحة عميقة .. قوية تسللت اليه وأشعلت كل اعصابه .. كل وريد بداخله .. كل نبض انتفض بجنون .. وهي تتحرك كالأفعى بين ذراعيه .. تثير فيه احساس مهول لم يشعره قط ..يداه تتجولان على كتفيها .. ظهرها العاري الا من قماش ثوب رقيقي .. جف حلقه وهي تمد يدها التي حررها لتلامس خصلات شعره القاتمة هامسة:

-الن تتكلم قحطان ؟؟

-مالذي تفعلينه؟؟

همس بثقل .. لتبتسم بانتصار .. وهي تراه يخضع لانوثتها التي ترميها عليه بلاحساب.. ولم تجبه .. اقتربت منه وهمست:

-قل لي أنت .. مالذي تريده مني قحطان ؟؟ قل مالذي تريده يابن العم؟

احاط عنقها بكفه .. أتسأله مايريد ؟؟؟ غشاوة اجتاحت عيناه وهو يقترب منها .. ويعترف بكل مافيه من روح .. انه يريدها هي .. هي مايريد .. اقترب أكثر وكاد أن يمتلك مايريد ..

كااد .. اه كم تقتله هذه المرأة ..

اعصار هب بداخله وهو يرى مافي عينيها .. لمعان الذهب .. ونشوة انتصار لم يخطئها .. !!

توقف على بعد انشات .. او أقل .. كانت انفاسه تلمسها بجنون .. لدرجة انها هي ايضاً .. ارادت !! اقتربت تريد الغاء تلك المسافة .. حين اشتدت يده حول عنقها وهو يغمض عينيه بقوة ويصرخ:

-ماذا تفعلين بي؟؟

شهقت بألم ويده تقبض على شعرها بقسوة وعينيه تتنازلا عن غشاوتهما لتعصفا باعصار اسود وهو يصرخ:

-أتظنينني دمية تلهين بها ؟؟

-دعني ..

صرخت متألمة بذعر من كمية الغضب الهائل التي رشقها بها .. ولكنه لم يفلتها .. ابداً لم يفعل ..ادارها بقسوة وهو يزمجر بجنون:

-أتظنينني غراً ستسيطرين عليه انا لست احمقاً سيادة .. أتفهمين ..

صاح بعنف لتصرخ بألم وتحاول التخلص من قبضته قبل أن تسمعه يقول بعنف:

-انت تستحقين الضرب .. واحدة مثلك .. امرأة مثلك لايقومها الا الضرب لتكف عن تصرفاتها المخلة ..

اتسعت عينيها بذعر قبل أن تشعر بيده تصفع مؤخرتها .. كما فعل يومها ..

صاحت بألم وهي تنفجر بالبكاء..

لا .. لا .. ليس هذا الذل مجدداُ ..

وبكل قوتها تملصت منه لم تعرف كيف ارتخت قبضته لتفلت منا وتواجهه بعنفوان ساحر ..بدت كساحرة نارية تواجه سلطان جائر..

-انت لن تضربني ابداً بعد اليوم .. لن أسمح لك ابداً ..

اشتعلت عيناه وهو يراقبها وكيف ثار شعرها حولها بجنون .. مرسلاً شرارت من نار حولهما .. ثوبها الطائر يلتف حولها وعينيها ترسلان مع الدموع البراقة الف رسالة انذار لكل من يمس شعرة منها بسوء..

-سيخبر فراس الجميع بمافعلتموه بي .. وبعد ايام قصيرة ستجد القنصلية الفرنسية وكل عملائها هنا ..

خبت الاشتعال في عينيه وهي تصرخ بجنون:

-وحينها سيخرجونني من هنا الى الأبد .. وسيزجونك في السجن قحطان .. مع كل المجرمين امثالك..

شحب صوتها في عبارتها الأخيرة حتى أصبح مبحوحاً .. رأت وجهه يصبح اسوداً .. كالظلام في الخارج .. همس بصوت خطير بارد ..

-أتظنين أن أي أحد قد يستطيع أخذ زوجتي مني؟!

هتفت بجنون:

-انا لست زوجتك .. العقد الذي وقعتموه انت ووالدي بااطل لأنني لم اوافق عليه ابداً .. ونحن لم نتمم الزواج ابداً .. ولذا فزواجنا كأن لم يكن (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

صرخت بصوت مبحوح .. لتغيب عيناه في سواد كاد يبتلعهما معا ..

-بامكان هذا ان يتغير..

همس .. بصوت كحد السيف .. لتتراجع بارتباك .. لم تفهمه ..

رأته بعينين جاحظتين يفتح ازرار قميصه ببطئ..

-ان كان اتمام زواجنا هو ماتريدين .. فمن اكون انا لأحرمك منه ..

تراجعت بذهول صارخة ب.. لا..

وركضت الى غرفتها .. حاولت اغلاق الباب ولكن قدمه حالت بين الضلفتين قبل أن يدفعها بقوة لتسقط ارضاً .. وعينيها تتسعان بذهول

وهي ترقب اقترابه البطيئ منها .. كان قد نزع قميصه .. وبكل هدوء كان ينزع حذائه .. قبل أن تمتد يداه الى حزامه ..

-توقف قحطان .. انت لاتريدني ..

همست بشحوب .. تحاول التراجع .. حتى ارتطم ظهرها بطرف الفراش ..

نظر لها من علو .. وهمس بخفوت:

-ومأدراك .. ماادراك أنت بما اريد سيـادة؟؟

وانحنى نحوها .. ورغم مقاومتها الشرسة .. اوقفها على ساقيها .. تتخبط بين ذراعيه كسمكة في وسط شبكة ضخمة .. .. كان يقبض على معصميها ككماشة .. بلارحمة .. صرخت بألم .. وهو يرمي بها على الفراش .. لم يترك لها الفرصة .. وقبل أن تدري .. كان فوقها ..

شهقت لثقله .. حاولت التخلص .. تلوت للهرب منه .. ولكنها لم تقدر .. كان اضخم منها بكثير .. واقوى بكثير .. قبض على معصميها بيد واحدة .. ورفعها اعلى رأسها ..مثبتاً اياها على الفراش دون حراك .. مسيطراً على ساقيها بفخذيه .. ويده الثانية تمزق علاقة ثوبها .. ليكشف عن كتفيها وصدرها ..

صرخت باكية .. وهو يغرق وجهه في تجويف عنقها .. ينهل من رائحتها الشهية .. همس بثقل وهو يلامس اذنها بشفتيه:

-أنت ماأريد سيادة .. منذ أن رأيتك .. أنت ماأريد..

رفع وجهه اليها .. ليغرق في زمرد عينيها الذاهلة .. وقبل أن يغيب صدى صوته من اذنيها كان يقترب ليمتلك شفتيها ..

شعرت بأنها تطير بلاتوقف ..

ترتفع وترتفع .. حتى تصل الى عنان سماء لم تعرفها قبلاً .. تخدرت حواسها وهي تستسلم لقبلته .. قساوة شفتيه .. تحكمها .. تسلطها .. كعبد خاضع .. يستسلم بلااي مقاومة لسيدة ..

يداه تضمانها بقوة .. تكاد تختنق وهي تذوب بين ذراعيه .. في قوته .. استسلام لم تفكر يوماً انها قد تشعر به .. نحو رجل اقل مايقال عنها انها تكرهه ..!! تكرهه وتذوب في كل مايمثله ..

تشابكت اصابعها في خصلات شعره .. وهي لاتستسلم له فقط .. وانما تبادله المشاعر .. باستحياء ربما .. بتردد .. ولكنها فعلت ..

وكأنما هذا هو مايريده فقط ..!!

فحال استشعاره لمساهمتها الخجولة فكها من اسر فمه المتعجرف ..

نظر لوجهها المتورد .. شفتيها المتورمتين .. رأى حمرة خجلها تشتعل .. شعر بارتجافتها ومقاومتها الميئوس منها تتحول الى استسلام لذيذ .. اجتاحه وبقوة .. كم عشق تحولها من رافضة لراغبة .. كم اراد ان يحتفظ بتلك اللحظة في عقله وذاكرته الى الأبد ..

لامس شفتيها بأصابعه ببطئ وهو يهمس:

-انت لي .. فقط لي أنـا ..

اغمضت عينيها تهرب من قوة عينيه المتسلطتين ويديه تلامسانها برعونة .. تستكشفان جمال جسدها وفمه يعود ليمتلك شفتيها .. عنقها .. كل جزء منها ..

مالذي تفعله .؟؟؟

أهكذا تخطط للهرب والانتقام منه؟؟ اهكذا تشيع رسالتها لأمها بطلب النجدة؟؟

الاستسلام الكلي لهذا الوغد الوقح .. الذي لايختلف عن زوج الجوهرة ومايفعله بها؟؟

لو استسلمت الان ؟؟ لن تنجح ابداً بفض الزواج دون طلب الطلاق(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

حتى لو قاومت .. بكل قوتها لم يكن ليفيد .. كان اقوى منها بكثير..

بكت بقوة .. وشعرت به يمسح دموعها بشفتيه .. يحيط وجهها بكفيه ويعاود اغراقه بالقبلات ..

تأوهت وهي تشعر برغبتها للاستسلام .. كم تكره ضعفها .. كم تكرهه ..

-عبد العزيــز ..

همست بجنون .. بخفوت .. بالكاد غادرها صوتها .. ممتزجاً بدموعها .. حارت ان كان قد سمعها .. فلم تكن تظن ان لها القدرة على تكرار ماقالت .. خطوة شيطانية .. هذا مافكرت به وهي تشعر بتصلبه الى جوارها .. لم تعد تشعر سوى بثقل انفاسه .. لم يتحرك .. للحظات ظنتها للأبد تسمرت والدماء تكاد تجف من عروقها من هول ماقالت .. ارادت الصراخ انها لم تعنيه .. ارادت الصراخ انها قصدت ان تثيره .. ولكن ..

تلك النظرة التي حدجها بها جعلتها تبتلع كل ماكانت تنوي قوله .. لم تره قط ينظر اليها بتلك الطريقة .. وكأنما سيقتلها في التو .. وكأنما قد قتلها وانتهى الأمر .. شهقت برعب وهو يتحرك يستند على كفيه ليشرف عليها .. أنفاسه ثقيلة .. ثقيلة ..

وجهه أحمر .. يكاد ينفجر .. يقابل عينيها الجاحظتين .. ووجهها الشاحب بعيون من حديد ذائب..

-قحطا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).آآآه ..

صرخت بوجع وهي تستقبل صفعته المدوية تسكت ماكانت ستقول ..شهقت بالدموع والألم الصاعق وهو يقبض على شعرها ككومة بيده ويرفعها لتواجهه بكل وحشية .. حاولت ان تحرر صوتها .. ولكنه كان ابحاً بالكاد نتج عنه بضع حشرجات وهي تستقبل الصفعة التالية التي رمتها الى الفراش مجدداً ..

ولم يتوقف ..

صفعها بقوة .. وانفاسه تغادره كهدير محرك بخاري.. كثور هائج .. لم يتركها حتى انهارت بين يديه فاقدة للوعي .. والدماء تسيل من بين شفتيها في منظر مثير للرعب ..

نهض بجنون .. يدور في ارجاء الغرفة كوحش فك أسره .. مجنون .. صرخ بزئير وهو يضرب مقعداً فيرمي به الى طرف الغرفة .. مزق الستائر .. حطم ادوات زينتها التي كانت على المنضدة .. كان يغلي .. داخله يثور كبركان ..

لو قتلها الان .. لن يشفي غليله ..

لن يطفئ تلك النار التي تستعر بداخله .. ابداً .. ابداً ..

صرخ مجدداً .. وضرب الجدار بقبضته .. بقوة كادت تحطمها .. قبل أن يعود اليها .. كانت لاتزال فاقدة للوعي .. اقترب منها .. أمسك وجهها بين يديه بقسوة وصرخ:

-استيقظي ..

لم تتحرك .. فابتلع ريقه بصعوبة وهو يضغط بقوة اكبر ويصرخ:

-قلت لك انهضي ..

فتحت عينيها بصعوبة ..

لا تتذكر الا انه قال بأنه يريدها هي .. قحطان يريدها .. وهي بكل غباء .. نادته باسم الرجل الذي لم تفكر به منذ التقته ابداً .. انهمرت بدموعها وهي تعي ألمها .. وترى قسوته في عينيه .. اصابعه تكاد تكسر فكها وهو يقترب ليهمس في عينيها المذعورتين:

-اذا ماكنت تظنين انني سأتركك لتعودي لذلك الرجل .. فأعيدي حساباتك ايتها السافلة الصغيرة .. سأقتلك قبلها سيادة .. سأقتلك واطعم جثتك القذرة للكلاب .. أتفهمين؟!

شهقت بألم وهمست تستجديه:

-قحطان انا .. آآه

تأوهت مجدداً وهو يشدد ضغط اصابعه ويقاطعها بوحشية:

-ان كنت تظنينني قد قسوت عليك قبلاً .. فلتعيدي حساباتك من جديد .. فمنذ الأن .. ستواجهين رجلاً لم تعرفيه قط من قبل في حياتك ..

وقبل أن تعترض افلتها بقسوة .. كما كان يمسكها بقسوة .. وتركها تجهش بالبكاء .. بلاتوقف .. وهي تعي انها اخرجت الوحش من وجاره .. وانها تتحمل كل مايترتب عليه من عواقب .. ولم تعرف للحظة كيف ستكون.. !!

***

تأمل القصر الضخم من بعيد.. لايصدق انه سيعود لدوامة عائلة العزب وماجاء لأجله يتحطم .. سيوقف هذا الزواج ولن يسمح لقريبه الغبي ان يحطم عائلة الشيّب بحماقاته ..

نزل من السيارة بسرعة يقطع الحديقة القصيرة الى البوابة .. لم يصدق الاتصال الذي وصله من عمته تخبره فيه ان ولدها الاحمق عاد ركضاً الى قصر سيادة العزب حال علمه بانها ستصل اليــوم بالذات ..

زفر بضيق والخادمة تفتح له الباب وتحتج حين لم يعر سؤالها عمن يكون اي اهتمام وهو يسرع الى حيث رأى ابن عمته الغر يجلس مع تلك المرأة ..

-عزيز..

هدر صوته لينتفض عبدالعزيز واقفاً مع السيدة ايفا التي تسائلت بحنق:

-كيف تسمح لنفسك بالدخول هكذا .. دون اذن؟! أين تظن نفسك؟!

لم يعرها ادنى اهتمام وهو يصرخ بقريبه:

-لما لانغادر معاً يابن العم .. قبل ان ترتكب حماقة جديدة..

لم يكن عبدالعزيز مستعداً لأن يفهم .. فحالما اتصلت به ايفا تبلغه ان سالم زوجها اتصل بها يخبرها انهم على وصول لم يكذب خبراً .. وجاء فوراً متجاهلاً نصائح قريبه .. كلياً ..

-اسمعني سيف .. سيادة ستصل بين لحظة وأخرى ..وهذا يعني اننا سنتمم زواجنا أخيراً.

اقترب منه سيف وصاح به بحنق:

-جدك لن يوافق قط على هذه الزيجة..

نظر له باستخفاف وهمس:

-لايهمني ..

شعت عيناه بالغضب وكاد يصرخ بقوة حين تدخلت ايفا:/

-هل لي ان اعرف سبب اعتراض اسرتك على زواج عزيز من ابنتي؟؟

-نفس الاعتراض الذي يملكه زوجك مدام..

هتف سيف بسخرية قبل أن يميل نحوها ويهمس بمكر:

-لم لاتسأليه ..

احتقن وجهها لنظرته الخبيثة وهتفت:

-زوجي غير رأيه كلياً وحالما يعودون سنتمم الزفاف قبل سفر أخيها ..

تنهد سيف وقال بصرامة:

-هذا الزواج لن يتم .. ابداً ..

انتفض عبدالعزيز بتوتر وكاد يهجم على قريبه حين سمع الجميع

صوت بوق السيارة الصاخب لتصيح ايفا بفرح:

-انهم هنا ..

وانطلقت بسرعة يلحقها عبد العزيز في حين كان سيف يكاد يمزق

شعره بيديه وهو يشعر بأن كل مايخطط له قد فسد .. عليه ان يجد

خطة بديله .. جده لن يسامحه ابداً ان رجع اليه بخفي حنين ..

سمع حينها تلك الصرخة المدوية .. فركض اليهم بسرعة ..وحال وصوله عرف ان هناك مشكلة ..

كانت ايفا ملقاة على احدى الكنبات والى جوارها يجلس شاب ما .. في حين كان عزيز يمسك بتلابيب رجل اكبر سناً .. والجنون كله يقفز من عينيه .. وخلفهم كلهم كانت هناك تقف مرعوبة .. في ركن قصي بلاحراك ..

لم تصدق مايحدث ..

حالما هبطت الطائرة كان عليها ان تتخلص من نقابها .. وان تبقى فقط بطرحتها التي لفتها حولها باحكام .. وعبائتها التي لفتها حولها كيفما اتفق.. تمسكت بيد عمها الذي شد من ازرها بقوة .. ويتبعهما ذلك المسمى زوجها .. نظرت له بحيرة .. هو لم يحاول الاقتراب منها .. الامساك بيدها .. حتى حين اصابتها نوبة الذعر في الطائرة كان عمها هو من واساها وساعدها .. اما هو فقد ظل ينظر لها بتجرد من بعيد .. دون ان يتحرك لمساعدتها ابداً ..

كان المطار اضخم مارأته في حياتها .. هي لم تسافر سوى مرتين .. وكلاهما الى العمرة مع شقيقيا مرة ومع جديها مرة .. تنهدت وهي تدلف الى سيارة ضخمة .. وعينيها تلتهمان الشوارع حولها ..والمارة

ينظرون لها بدهشة .. كان ثوب عرسها يظهر بذيله الطويل من تحت عبائتها السوداء .. والطرحة السوداء بالكاد تخفي شعرها الغجري .. تأملت الطرقات بذهول .. المارة .. البنايات الضخمة ..

كل خوفها تبخر في موجة حماسة عارمة اجتاحتها..

-سعيدة بنيتي..؟؟

جائها السؤال من عمها المبتسم بحنان لتبتسم بخجل وتهز كتفيها بحيرة فضحك وهمس:

-ستكونين .. انا واثق..

ورمق ابنه بنظرة خاصة جعلته يبتسم بسخرية وجعلتها تنكمش بخجل فطري.. وانطلقت السيارة تشق الطرقات في ساعات الفجر المظلمة .. حتى وصلوا امام بوابة ضخمة ..

انزلها عمها بهدوء وبينما كان ابنه يطلق البوق فرحاً بعودته قبل أن يركض للبوابة كان سالم يمسك بيدها ويهمس:

-مهما حدث الأن .. تذكري انني معك ولن يسبب لك اي أحد أدنى أذى .. أتفهمين بنيتي..

اومأت باستسلام قبل ان يمسك يدها ويقودها الى الداخل ..

تقدمت لتجد فراس يغرق امرأة حمراء الشعر تشبه سيادة كثيراً في حضنه وهو يضحك بفرح ويتحدث معها بالفرنسية .. ورأت رجلاً غريباً ينظر لهما بحدة .. وينقل بصره بينهما وبين السيارة المتوقف..

-أين سيادة ؟؟

هتف الرجل بحدة .. كان يتكلم العربية .. تراجعت سلمى بذعر لنظرته الغاضبة وسمعت عمها يهمس بهدوء:

-سيادة بقيت في البلدة ..

المرأة التي تأكدت الان انها والدة زوجها افلتت منه واقتربت من عمها وملامحها تدل على الحيرة وعدم الفهم:

-ماذا تعني ان سيادة بقيت هناك ياسالم؟؟

قست عينا سالم وهو يصر:

-ماسمعته ايفا .. سيادة بقيت هناك .. مع زوجهـا..

سمعت التشديد على لقب " زوجها "

وخفق قلبها بعنف وهي ترى توحش نظرة الرجل وهوي صرخ بجنون:

-مالذي تعنيه بأنها بقيت مع زوجها ؟؟ عن اي زوج تتحدث؟؟؟

-اصمت عبدالعزيز..

صرخت المرأة وهي تقترب من سالم .. وجهها احمر .. انفاسها متسارعة وهي تسأل بشحوب:

-اين ابنتي سالم؟؟ اين ابنتي سيادة؟؟

نظر لها سالم بتعاطف وهمس:

-اخبرتك حبيبتي.. سيادة بقيت مع زوجها .. قحطان .. ابن عمها ..

تراجعت ايفا صارخة بقوة .. بقهر وجنون قبل أن تنهار فاقدة الوعي ..

وحينها رأت الرجل المسمى عبدالعزيز ينقض على عمها .. صرخت بجزع وهي تراه يمسكه بقوة ويكاد يقتله ..

-ايها المجرم .. لقد خطفت امرأتي .. لقد اجبرتموها على الزواج .. اين هي .. قل لي اين هي .؟؟

حاول سالم التخلص من قبضة عبدالعزيز القوية وهو يهتف بسخرية:

-انها مع رجل حق يستحقها .. انها زوجة شيخ العزب كما حلمت لها دوماً ان تكون ..

-ايها الوغد ..

صرخ عبدالعزيز بقهر وهو يكاد يخنق سالم .. ليشعر بعدها بسيف يطوقه بقوة من الخلف ويجذبه بعيداً صارخاً بعنف:

-هل جننت ..؟؟ توقف عن هذا الهراء..

صرخ حينها بجنون:

-لقد اخذوا سيادة مني .. لقد اخذوها مني ياسيف؟؟

نظر سيف لسالم الذي كان يسعل بقوة وشعر بالرهبة من ذكاء الرجل وهو يهمس:

-اذا فقد انتهى الأمر..

ضحك عزيز بجنون وصرخ :

-في احلامك .. سيادة لي أنا .. ولن يحصل عليها سواي ..

-سيادة تزوجت وانتهى الامر..

هدر سالم بقوة وهو ينظر للرجل الذي انهارت اعصابه بجنون ويشير له للخارج:

-اخرج من بيتي ولاتعد قط .. هيا الى الخارج الان..

-سأجدها ..

هتف بعنف .. وواجه سالم برعونة:

-سأجدها وسأعيدها الي..

-ابداً لن يسمح لك قحطان العزب .. ابداً .

همس سالم بثقة ليثور عبدالعزيز ويصرخ بقهر .. ثم يركض الى الخارج .. نظر سيف لسالم وهمس بحقد:

-لقد لعبت لعبتك بمهارة احسدك عليها يااابن العزب..

عقد سالم حاجبيه بحيرة وهو لايعرف من يكون الفتى الذي انطلق خلف عزيز ..

حينها كانت ايفا تستيقظ .. كانت تبكي بانهيار وتصرخ بلاتوقف:

-اعد لي ابنتي .. اعدها لي ..ايها الوغد ..

-توقفي ايفا .. انت تثيرين فضيحة ..

صرخ بها بحنق لتصرخ:

-وانت ؟! مالذي فعلته لك سيادة لترمها بتلك الطريقة .. وسط صحراء مع بدوي جاهل.. اين هي ابنتي .. اريد ابنتي..

حينها فقط احاط سالم بكتفي سلمى وقربها لتقف امام ايفا قائلاً:

-لقد جئتك بابنة جديدة .. عليك ان تعاملينها وكأنها في مكانة ابنتك ..

نظرت ايفا لسلمى المذعورة بانزعاج وهتفت:

-قلت اريد ابنتي وليس اي فتاة من الشارع..

-احفظي لسانك يااامرأة ..

صرخ بحدة جعلت سلمى تنتفض .. كانا يتحدثان بالفرنسية والتي لم تكن تفهم منها شيئاً ولكن الصراخ كان موجهاً نحوها .. تراجعت بذعر وايفا تنهض وتواجهها هاتفة بلغة لاتفهمها:

-من تكون هذه.. ؟؟

تبادل سالم وولده نظرات خاطفة قبل أن يخفض فراس عينيه ويشد سالم قامته ويقترب ليزيح عباءة سلمى وغطائها ويكشف ثوب زفافها قائلاً بصوت حازم:

-زوجة فراس ..

جحظت عينا ايفا بذهول .. وللحظة مرت طويلة كدهر عم الصمت على الجميع وهي تنقل بصرها بين الثلاثة .. قبل أن تهمس لفراس بلاتصديق:

-هل .. ما.. مايقوله حقيقي؟؟

خفض فراس عينيه باجابة بليغة لتصرخ كلبوة مغدور بها وهي تواجه سلمى المذعورة بحقد وتصيح بها:

-أيتها الحثالة ..

اتسعت عينا سلمى برعب وهي تواجه غضب المرأة العاصف .. وهدير عمها يدوي محذراً لتصرخ تلك بعنف اكبر وتركض نحوها صارخة بغضب:

-ايتها الحثالة ايتها القذرة الصغيرة ..

تراجعت سلمى بفزع وهي تصرخ تحتمي بعمها الذي صاح بزوجته:

-توقفي عن هذا .. انت تخيفينها .. ووفري انفاسك فهي لاتفهمك ..

نظرت له ايفا بشراسة قبل ان تصرخ بجنون:

-انها مجرد قذرة صغيرة .. لااصدق ان ابني انا قد تزوجها ..

اتسعت عينا سلمى بذعر حقيقي وكلمات المرأة تصيبها بمقتل .. وقد فهمت كل حرف قيل بعربية ركيكة ثقيلة .. همست لها برعب:

-لماذا؟؟ لماذا؟؟ لماذا تقولين هذا عني؟؟

-اخرجي من بيتي .. اخرجي الان ..

صرخت بها ايفا ونالت تعنيفاً من سالم الذي لم يكف عن الصراخ ..

تراجعت سلمى بوجع ودموعها تغرقها .. تنظر لزوجها الذي جلس الى كرسي بلاحراك يشاهد مايحدث امامه دون ان يتحرك ..

أهذا من من المفروض ان تقضي حياتها معه؟؟!!

تراجعت باكية .. تحاول صم اذنيها عن الصراخ وهي تهمس .. كفى ..

كفى ..

ولكن .. لم يسمعها احد ..

عمها مشغول بقتاله ومعركته الخاصة مع زوجته ..

وزوجها .. يشاهد وكأنه يستمتع (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير

محمد قائد) !!

تراجعت صارخة بألم .. ووجدت نفسها تركض وتركض ..

لم تعرف كيف خرجت من القصر .. ولكنها لم تأبه .. رفعت ثوبها

ومضت تركض .. شعرها حولها يتناثر بجنون .. ولم تأبه ..

عينيها تغشيها الدموع ,.. وهي تركض ..

سمعت صراخ ما .. ولم تتوقف..

سمعت اسمها يتردد .. ولم تتوقف ..

كل ماارادته ان تهرب بعيداً .. بعيداً

حتى ارتطمت به ..!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ركض سيف بسرعة خلف عزيز .. ولكنه كان يطير .. وصل لسيارته وانطلق بها بجنون .. تباً فكر بحنق .. اراد ان يلحق به بسرعة قبل أن يقوم بحماقة ..

ركض عودة الى سيارته .. حين شعر بتلك الفتاة ترتطم به ..

تراجع بسرعة وهو يمد يديه ليتلقفها حتى لاتقع ..

ولكنها وقعت .. على ركبتيها امامه ..

ثم رفعت وجهها اليه ..

وليتها لم تفعل..

حورية من اعماق الظلام ..

ملاك يرتدي الابيض .. هاجمه وسط الظلام .. واواقعه في لجة من مشاعر لم يختبرها قط في حياته ..

كانت ملاكه المرسل من السماء ..

كانت فجراً .. يعلن نهاية ليل .. ظن انه لن ينتهي قط (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نهاية الفصل

عبير قائد

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل العاشر

***

تثاقل يبقيها على الفراش .. لاتقوى على النهوض والبدء بيوم لاينتهي .. بكابوس خطت تفاصيله بيديها نقشت قوانينه بحماقتها .. تهور .. شيطان لايحمل عقوبته ولايزر وزره إلا هي !! يوم جديد يحمل ملامح كل ماسبقه يعكس خشونة أيام مضت ولاتزال معالمها على جسدها !!

رأت السماء تغير لونها ليشرق الصبح .. لايحمل الا معاني الذل .. نهضت واقتربت بتردد من النافذة .. تريد استقاء نظرة للخارج .. فقط نظرة .. اشتاقت لحريتها .. لتنفس هواء لايعبق برائحة الظلم .. الحبس .. القهر الذي تعيشه ..

انسابت دموعها بحرقة كعادتها كل صباح .. ترى القضبان التي تشق نافذة غرفتها وتعزلها عن خارجها .. ترى كل شيء في الخارج وهي هنا .. محبوسة .. !!

مسحت دموعها بظهر كفها بقوة تنشقت باقي حزنها ومضت تريد أن تشغل نفسها .. فقد تعلمت منذ اسابيع ألا فائدة .. وأن الدموع والحزن لن تجلب لها سوى المزيد من القهر .. والألم ..

مسدت ذراعها بخشية .. ترى أثر قبضته المؤلمة .. عبر مرآة الحمام رأت البقعة التي تلونت بألوان متعددة شعرت بسقف حلقها يحترق من الغصة والألم .. وذكرى سبب البقعة الجديدة يحرق قلبها الفتي ..

رفعت عينيها للمرآة هذه المرة ولم تقوى على النظر ..

ليس وهي بهذا الضعف .. ليس وهي ترزخ تحت كل هذا القهر ..

ليست تلك العينين بعينيها .. تحوطهما الهالات السوداء .. بشرتها شاحبة .. ذابلة .. بالكاد تقدر على التعرف لنفسها .. لاتكاد تعرف نفسها ابداً .. مسدت خصلات شعرها التي تهدلت حولها بغير اعتناء .. وشعرت بالقهر .. رفعت عينيها بخشية تنظر لنعومة شعرها تختفي .. وأطرافه جدباء مقصفة .. اصبح طويلاً دون ملامح .. اختفت تموجاته .. وبقي شيء بشع لاتطيق حتى النظر اليه ..

وجهها الوافر الصحة صار نحيفاً .. بالكاد تظهر له ملامح من جمالها الصاعق ..

وجنتيها غائرتين ..بشرتها الوردية صارت شاحبة كثلوج الجبال ..
شفتيها جافتين ومشققتين .. أغمضت عينيها تخفي بريقهما الذي
انطفأ .. تحيط جسدها الذي فقد من وزنه الكثير والكثير(شيوخ
لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).
لقد أصبحت مجرد شبح ..
شبح مخيف فقد قدرته على الحياة .. بكت بمرارة ..
وتراجعت تغرق نفسها تحت المياه .. مهما حاولت غسل جسدها
فلاتقدر على ازالة قسوته .. عنفه .. لاتقدر على ازالة ضعفها وقلة
حيلتها .. لاتقدر على غسل ماعانته طيلة شهر مضى .. شهر كامل من
العذاب والذل .. شهر من الاحتراق البطيئ بسبب غلطة .. ارتكبتها
متعمدة ولم تحسب حساب من تخطئ أمامه ..
لم تحسب حساب الشيخ الذي لم ينزل بكلمته .. ولم يمرغها في
التراب كما فعل معها .. وأذاقها الهوان .. العنف والقسوة .. بلارحمة ..
كشيئ زائد لاقيمة له في الحياة ..
جلست متهالكة تغرق وجهها بين ركبتيها وهي تشهق بعنف .. لم تعد
تقدر على التحمل .. ينتهك انسانيتها بلارحمة ولاتقدر على
الشكوى لأحد ..هو حتى لايتنازل الى النظر اليها .. وكأنه سيتسخ

برؤيتها كما قال لها يوماً .. تركت المياه تغرقها .. تخفف من وطئ ذكريات ليلة أمس والتي مارس فيها قسوته كالعادة .. لذنب بسيط لم تفهم حتى معناه .. ولكنها كأي أمة في حضور سيدها كان يجب ان تنفذ أوامره كلها بالحرف الواحد دون اعتراض .. وخطأها أنها اعترضت ..بل أنها كانت على وشك الاعتراض.. ولم يمهلها حتى .. كانت تريد ان تفهم ولم يمهلها .. كان ديكتاتوراً .. قاسياً .. مهيناً ..

شهقت بوجع ونهضت بسرعة تنهي حمامها .. لوعاد قبل أن تنهي واجباتها التي أرغمها على فعلها .. اتسعت عينيها برعب من هول ماتخيلته..

رتبت كل حاجيات الجناح المبعثرة .. نظفت الأرضية .. الملابس الملقاة باهمال على الفراش والكرسي .. غسلتها ورتبتها .. كل شيء أصبح في مكانه تأملت الجناح الذي عاد يبرق من النظافة وتنهدت جالسة بحسرة .. تنظر لأظافرها واصابع يديها .. التي كانت يوماً منمقة ومثال في النظافة والأناقة .. والأن ..

تنهدت بحسرة جديدة وهي تتأمل أظافرها المتكسرة .. أطرافها المجعدة والمشققة.. تأففت وهي تحاول التقلب على الكرسي لتبعد

الوجع من مؤخرتها المتألمة .. تباً له .. ألا يدرك قوة يديه حين يستخدمها على أنثى ضعيفة وقليلة الحيلة مثلي؟؟؟

ورفعت عينيها بتضرع خجول للّه .. ياارب ساعدني .. بكت بمرارة .. لم أعد أحتمل .. حقاً لم أعد أحتمل ..

أسبلت جفنيها وحاولت أن تعوض نومها الذي لم تهنأ به ليلة أمس .. تحاول جهدها أن ترتخي وهو بعيد .. ولكن؟؟!!

انتفضت جالسة..لأن الباب فتح بقوة .. معلناً عن عودة الشيخ .. عودة معذبها الأوحد ..الرجل الذي تحدته بكل تهور وقاومته بكل غباء لتنهزم أمامه بكل ذُل وتعلن العصيان عليه بلاأمل ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

دخل بهدوء اعتاده في الأيام الأخيرة بعد أن حول الوقت ثورته وغضبه العاصف الى برود وقسوة جافة لايمكن أن يتصورها أحد عرفه في يوم .. !! كان يمارس عليها كل طقوس القسوة ولايتوقع منها سوى الاذعان وإن فكرت يوماً في المقاومة والاعتراض كان يعرف بالضبط كيف يقومها الى طريق الخضوع مجدداً ..

رفع بصره اليها .. وكالعادة لم تعرف عيناه سوى نظرة الاشمئزاز.. لايقدر أن يحمل نظرات اليها سواها بعد الأن .. لم يعد يراها تلك المرأة

الفاتنة كما كانت بل أصبحت مجرد وساخة .. لايقدر على أن ينظر اليها دون تغضن وجهه بالامتعاض منها ..

أشاح عنها وجلس بكل برود على المقعد أمامها .. طوح بساقيه على طاولة قصيرة أمامه وأسند رأسه على المقعد وهو يغلق عينيه ..تعرف دورها جيداً ولن يتعب نفسه بتلقينها إياه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تأملته بحقد .. يضطجع كالعادة بانتظارها لتنفذ طقوس الولاء والعبودية .. وتعرف مغبة عدم الإنصياع.. اقتربت تجثو أمامه خفضت عينيها لاتريد حتى ان ترى مكانها الجديد تحت قدميه .. ذل وهوان ولاأكبر من هذا .. هي.. سليلة أل العزب .. تصبح مجرد جارية لدى شيخهم الظالم .. ابتلعت ريقها تبتلع معه بؤسها وقهرها وبيدين مرتجفتين نزعت عن قدميه حذائه .. غصة دوماً تحتكم مؤخرة حلقها .. من كان يفكر أنه سيكون هذا مكانها .. بعد شهر من الاذلال.. تحت قدميه ..وككل مرة .. تسقط دمعة لاإرادية على خدها .. وهي تضع الحذاء الى جنب .. وتقبع كالحيوانات بانتظار أوامره ..وبإشارة مستحقرة من يده نهضت كالمسوعة وسيطرت

بقوة على دموعها ومضت توضب حذائه بعيداً .. تشعر بعينيه تحرقانها .. وقد عاد كالصقر يراقبها .. يعشق اذلالها وتعرف هذا.. ولاسبيل لها أن تقاوم .. فهي مسجونة .. ذليلة ولاسبيل لخلاصها ..

-أين عشائي؟؟

همس بثقل لترد بخفوت:

-على الطاولة..ألن تأخذ حماماً أولاً..؟؟

نهض يتمطئ بتعب .. ارهاق عارم فالموسم على الأبواب:

-بلى .. هل الحمام جاهز؟

قالها بتوتر لتومئ بصمت فاتخذ طريقه يغرق تعبه تحت شلال من الماء .. مرهق هو الأخر من لعب دور القسوة .. اللامبالاة والاجحاف .. يعرف أنها الطريقة الوحيدة التي استطاع بها أن يسيطر على رغبته بقتلها ذلك اليوم .. حين فجرت مشاعره بأنوثتها بطريقة لم يعهدها .. واغتالتها مباشرة بعدها بكلمة حطمت كل شيء..لايزال الأمر يجتاحه بلاتوقف ليل نهار .. لايستطيع السيطرة عليه ويهاجمه بلارحمة .. لم يشعر بعمره كله برغبة تجاه امرأة كما شعر نحوها .. كان احساسه يفوق الخيال .. وهو يضمها اليه ويعترف لها انها من يريد .. نعم هي من يريد وكيف لا ..

وهي بكل تلك الأنوثة والجمال .. والمفروض انها له .. زوجته وحلاله ..

نسي للحظة كل ماحدث وكيف تزوجها .. نسي كراهيته لها

وبغضه لما فعلته .. نسي ماحدث ولم يقدر سوى أن يفكر بها هي فقط

.. المراة العاتية بين ذراعيه ..

هو الذي لم ينظر قط لامرأة بنظرة سوء.. لا دينه ولاتربيته ولامركزه

كشيخ شيوخ عائلته سمح له بهذا.. حتى تلك .. من كان سيتزوجها

لم ينظر لها قط بنظرة اشتهاء.. ولكن سيـادة ..

ياالهي كم أسقطت كل معاييره .. كم حطمت تلك الحصون حول

مشاعره .. فكت قيود أحكمها حوله لدهور .. بسطها أمامها كي

تدوسها بقدميها كما تشاء..!!

وقد فعلت ..!!

تلك المجرمة ال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فعلت

بلااستحياء..

حطمت كل شيئ .. دمرت كل ماحلم به ..

استجابتها في البدء تجاوزت اعتى خيالاته .. لم تعد مشاعره تغلي

بداخله فقط .. بل هاجت كالبراكين وأحرقت كل ذرة تعقل كانت

لديه .. تركته كصبي غر .. يعيش متعة عمره وهو ينال قبلته الأولى

.. ينهل من بحر عشق اراده للمرة الأولى في حياته .. لن يقدر قلم على وصف شعوره وقتها .. وهي تذوب بين ذراعيه .. تبادله القبلة بمثلها .. تعلن بتردد عن اجابتها لكل ماسأل ..

ثم سقـط ..

وكأنما على قمة هرم .. على فوهة بركان .. يسبح في السماء ..

سقـط (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هوى بلامقدمات .. وارتطم جسده بصحراء من صخور مسننة ..

مزقته لأشلاء..

تحطم وتبعثرت كل ذراته

لم يعد يقوى على النهوض.. أراد قتلها .. وكاد يفعل .. لم يعد يرى أمامه .. تلطخت الرؤية بدوعها ودماءها .. اراد سحقها ودفنها ولن يحاسبه أحد يقسم باللّه ألا أحد سيحاسبه .. لامخلوق سيفعل .. ولكن خالقهم .. سيفعل بالتاكيد ..

له كل العذر ولكن ..

ليس الشيخ قحطان العزب من يفقد نفسه للشيطان .. وليس لاجل امرأة مثلها ..

عاد شعور الغثيان يجتاحه .. كم كرهها في تلك اللحظة .. كم أثارت فيه من اشمئزاز .. كم رغب بغسل قذارتها عنه بأي طريقة .. تركها .. خرج بعد أن أفرغ فيها جزءاً يسيراً من غضبه وقهره .. كان يغادر الجناح بخطوات تكاد تحفر اثراً في أرضية المنزل الحجرية .. دبيب جيوش من الجنون ..

لم يعرف اين يذهب ولكن كان عليه أن يتركها حينها .. كان عليه أن يبتعد حتى لايرتكب جريمة ..

خرج الى الباحة الخلفية .. يريد ان يتنشق بعض هواء .. علها تزيح عنه تلك القوة التي جثمت على أنفاسه .. عيناه غارقتان بحرارة من نار .. أنفاسه كرياح عاتية .. ساخنة تغلي ..

جسده كله يرتجف .. ينتفض مع كل نفس .. وكل شهقة .. أراد ان يفرغ طاقته .. أراد أن يهدأ ولو قليلاً من قهر مشاعره..

لم يعرف كيف جاء ببندقيته .. ولكن لم يعرف الا وهو يطلق النار.. مرة .. واثنتان .. وثلاث ..

رفع البندقية وصوب للسماء .. هناك حيث يقف الشيطان ساخراً منه واطلق ..

بحرقة قلب .. أطلق ..

مرة وثانية من جديد ..

كان يتحرك بسرعة .. من جهة للأخرى ..يمنة ويساراً .. يطلق هنا ويصوب هناك .. ليطلق أخرى ..

كان يلهث كراكض في ماراثون .. يريد أن ينفس بعض مشاعره الحارقة .. يريد تخفيف بعض مافيه من ألم .. نعم لن ينكر .. لقد شعر بالألم وكيف لا (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كيف استطاعت ؟؟!!

كيف استطاعت ؟؟ وكيف هو ؟؟!!

عاود اطلاق النار بلاتوقف .. كان يلهث بقهر .. عيناه تغشوهما مرارة وحقد اسود لم يعد يقدر على السيطرة عليه ..

..

قحطـان ؟؟!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قحطاااان (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

قحطاااااااااااااان ..

التفت بذهول ..

يطالع الوجه الحالك والذي اعتلته نظرة صدمة .. بأخرى أكثر منه..

-ماذا تريد؟؟

همس بخشونة بصوت شاحب .. احترق من الغصة التي استحكمته ..

-ماذا دهاك؟؟

سأله بصدمة وهو يرى حالته ..

ملامح وجهه لايعرف حتى كيف يصفها تتقلب بين الشحوب وسواد الغيظ .. غضب وعنف .. وقهر يلمع في عينين بلون الدم .. ولهيب يجري في العروق ..

-هل أنت بخير؟؟

تسائل ليشيح عنه قحطان ..

أنزل بندقيته وصوب فوهتها للأرض وهو يتوكأ على مقبضها ..

كتفيه مشدودتان .. عضلاته كلها تصرخ طلباً للرحمة .. لم يكن يريد لأحد أن يراه بهذا الشكل .. ليس أخاه الصغير بكل تأكيد..

-هل زوجتك بخير؟؟

احتقن وجه رعاد .. وتلعثمت حروفه والحمرة تغزوه من رأسه لأخمص قدميه وهو يهمس:

-ستكون بخير.. مجرد التواء.

-ممتاز..

همس باقتضاب .. يخفي ارتجاف قبضتيه على مقبض البندقية

ويرفع عينيه للسماء قائلاً:

-اذهب اليها اذاً.. لاتبقها وحدها.

ابتلع ريقه .. ومضى يفكر كالمجنون بما عساه يبرر هروبه من

مخدعه في تلك الليلة.. ولم يجد سوى:

-أردت الاطمئنان عن جدي .. لم يعجبني هذا المساء..

وكأنما صياد القى بالسنارة .. ليلتقمها قحطان بعذر وهو يتشبث به

بقوة:

-وأنا سأطمئن عليه كذلك ..

-لنذهب اذاً..

كغريبان يلتقيان وسط أرض الأعذار .. رفع قحطان بندقيته على

كتفه ومضى يرافقه أخيه الى مخدع الشيخ .. كانا يعرفان ان

جدهما يقضي هذا الوقت في صلاة القيام وليس في النوم ..

لذا تسللا بهدوء الى المجلس حيث يقضي معظم وقته .. ووجدوه

هناك .. يرفع كتاب اللّه بين يديه ويتلوه بصوت خفيض..

وقفا ينظران اليه بصمت ..

أحدهما بقلق وتوتر ..

والأخر بمشاعر لاتوصف ..

رفع الشيخ عينيه اليهما ونظر لهما للحظة قبل أن يشير لهما

بالجلوس .. وهو يهمس:

-لن أسأل عما جاء بكما .. فوجه كل منكما لايفسر ..

خفض رعاد عينيه بينما ازداد وجه قحطان اسوداداً .. ليهمس له

جده بحدة:

-ودع عنك انت البندقية .. فأنت لن تقتل أحداً ..

أفلتها بحركة حادة .. ليبتسم جده ويغلق كتابه ويصف اليهما

هامساً :

-يبدو أنني فشلت في تعليمكما شيئاً مهماً ..

لم يجيباه وكل واحد منهما يتوه في افكاره الخاصة ..

-النساء.. يحتجن ل اللين .. ويحتجن للشدة في كثير من الاوقات..

لم يتفوه احدهما بكلمة ..

أحدهما كان يفكر بأن مايحتاجه هو الهرب وليس اللين .. فكيف

يقدر على وضع عينيه في عينيها بعدما فعل.. لقد خان امانة اخيه ..

استباح حرمته وتعدى على مالا يملكه.. !!

شعر بحزن يجتاحه وهو يخفض عينيه ويهرب عن عيني جده الثاقبة

.. ليهمس الجد بحنو:

-السياسة .. والحنان تفعل الأعاجيب ..

رفع له عينيه بدهشة ليجده بوجهه المتغضن يهمس:

-ليست الحياة سهلة بني .. وتحتاج الى سياسة .. ومسايرة .. ألا تظن

.. والكثير الكثير من الصبر.

ياللهول ..

فكر رعاد بذعر .. هل يعرف ؟؟

نهض بسرعة لم يعد يقدر على البقاء وهو يرى في عيني جده كل هذه

الثقة .. وهو يسبر اعماقه بكل هذا الهدوء؟؟!!

-سأعود للنوم .. تصبحان على خير..

تمتم جده بالتحية باسماً .. فيما اعتمد قحطان صمته .. وهرول رعاد

مغادراً ..

وهنا نظر له جده .. بتنهيدة عميقه نظر في عمق عينيه .. ولم

يستسلم قحطان أو يخفضها .. بل ظل ينظر لجده بقوة .. واصرار..

رأى أن جده يقرأه بهدوء .. يقرأ ارتجاف مقلتيه .. وارتجاف زاوية فمه الغاضبة .. يرى تنفسه اللاهث .. وألمه المحسوس..

-حين تلتوي عصاك ..

همس الجد بثقل.. وببطئ.. يريده أن يفهم ..

-حين تفقد استقامتها .. وتسبب لك انحناءاً في الظهر..

تمتم بخفوت .. ليضيف:

-كيف تتعامل معها بني؟؟

غصة استحكمت حلقه .. وأخرجت صوته ملفوفاً بخشونة رجولية صاعقة وهو يجيب:

-أضربها لتستقيم..

-قد تنكسر ..

رد جده بقوة ليهتف قحطان بشراسة:

-اذا انكسرت فسأرمها للكلاب..

اغمض جده عينيه بألم .. للحظات قبل ان يهمس:

-وان كانت تلك العصا .. ذات قيمة كبيرة .. نقوش أثرية .. قطع جواهر وذهب .. ان كانت تلك العصا .. جزء من ثروتك ولاتقدر بثمن(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تصلب قحطان .. ومضى ينظر لجده بصمت ليهمس بألم:

-أتتركها للكلاب بني؟؟

خفض قحطان عينيه .. عض شفتيه بقوة كادت تدميها .. جده

يعرف؟؟ معقول؟؟ مستحيل.. سيموت ان عرف؟؟ اذاً لما يقول هذا؟؟ لماذا ؟؟

-أعرف بأنك تواجه مالايمكن تحمله من ابنة عمك بني..

همس جده بخفوت لينتفض ويناظره بذهول:

-أعرف بأنها لايمكن ان تكون زوجة صالحة بالطريقة التي تربت

عليها .. ليس لك ..

-كنت .. تعرف؟؟

همس بتردد.. ليضحك جده بخفوت:

-انها لاتناسبك ؟؟ بالطبع .. ولكن.. أنت الوحيد الذي يناسبها ..

نظر لجده بضياع .. ليتنهد الجد ويكمل:

-سيادة عاشت حياتها كلها بعيداً عنا بني.. عاشت وحدها ابنة لأم

أجنبية.. انظر لشقيقها وكيف هو وستعرف ماأعني .. سالم ولدي

فششل في تربية أبناءه..

فراس رجل .. ولست اخاف عليه .. ولكن ابنتي سيادة ..

وتهدج صوته وهو يواصل:

-انها فتاة رقيقة .. صغيرة ولااريد ان نفقدها .. أنت .. أنت وحدك قادر على اعادة تربيتها من جديد ياولدي..

-أربيها من جديد؟؟؟

همس بحنق .. يغلي من الداخل .. تزوج ليربي ؟؟؟

كتم حقده بداخله وجده يواصل:

-أدرك انه ستواجهك بعض الصعوبات .. ولكنك تقدر عليها بني .. الوحيد القادر عليها هو أنت..

كان كلام جده يزيد نكئ الجرح ويصب عليه النار .. كان الجرح مؤلماً وجده يزيده سوءاً .. وأكثر .. عض نواجذه بعنف يحاول السيطرة على تلك الموجة من الغضب اللامعقول وأشاح عن عيني جده البصيرتان وهو يحاول تهدئة نفسه ولكن ..

-انها بحاجة للصبر .. وعليك أن تفهمها وتقدر انها لم تعش يوماً في تقاليدنا ولايجب عليك استعجالها بالخضوع لك..

فاض الكيل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

شعر بالحنق والغضب يرتفعان في داخله ..

-انها صغيرة وطائشة ومعاملتها للنساء الاخريات بطيش لاتحاسب عليه الان .. اعطها الوقت بني..

حاول أخذ نفساً .. علهُ يهدئ من فيض غضبهُ وغيظهُ .. لايعلم .. جده بالتأكيد لايعلم .. لو يقول لهُ فقط..

-اعطها الفرصة لتتعرف عليك بني .. وعلى كل من حولها أعطها الفرصة الأن وخصوصاً ان والدها وأخيها قد غادرا..

نظر لهُ قحطان بعنف وهمس بخشونة:

-أنت لاتعرف جدي..

-لاأعرف ماذا؟

تسائل الجد بخفوت لتلجم لسان قحطان ويشيح مستغفراً بهمس ليضحك جده بهدوء:

-بني أنت لاتعرف عناد النساء وجنونهن.. فلاتحكم على زوجتك في هذه الفترة القصيرة .. أعط لنفسك أنت أيضاً الفرصة ..

-انها تستحق (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وبتر عبارتهُ قبل أن يلفظ بكلمة القتل .. واغمض عينيهِ وهو يهمس مستدركاً:

-تستحق العقاب جدي .. فهي تتصرف بجنون وطفولية .. ولم أعد قادراً على التماسك دون ضربها.

-اذا افعل.. قومها كما تستحق..

همس جده ببسمة على شفتيه وبحنان ربت على فخذ قحطان هامساً:

-ان كانت تستحق الضرب فأنت أرحم بها منا جميعاً .. فهي على كل حال زوجتك بني..

نظر له قحطان بحدة .. أرحم بها؟؟ ومن يكون رحيماً به هو منها؟؟

-لاأريد أن يتدخل أحد ..

هتف بحدة جعلت جده يصمت .. في حين واصل قحطان بسرعة يبلور فكرة العقاب الشامل بذهنه:

-لااريد لأحد أن يسأل عنها وكيف ومتى واين.. سأربيها بطريقتي.. وأخضعها لتصبح امرأة طيعة حقيقية .. ولكنني لن أسمح لأحد أن يخرجها او الاحتكاك معها ..

ناظره جده مطولاً .. قبل ان يسأله:

-الى متى؟؟

-حتى تصبح خاتماً في اصبعي ولاتجرؤ لرفع عينها بعيني جدي ..

اومأ جده باستسلام ليهب هو من جلوسه ويهتف:

-منذ الأن لن تخرج سيادة من جناحي ولن ترى أحد أو يرها أحد .. حتى أقرر انا متى بالضبط ولاأسمح لأحد أن يتدخل.. أتسمعني جدك..؟؟

-انها زوجتك بني..

قالها جده بهدوء أكبر.. ليضيف بعدها بثوانٍ:

-لن يخاف عليها احد أكثر منك .. ولن يحميها أحد بقدرك .. افعل ماتشاء..

بضع من الهواء تسلل لصدره المنقبض .. بضع من هواء تسلل ليسبغ راحة وزهواً للتفويض الشامل .. نهض على قدميه وودع جده بقبلة على قمة رأسه .. وهو يستعيد بسببه هدوءه وبعض حكمته .. غادر يفصل خطته التي كانت تتكون في رأسه بسرعة جهنمية .. عاد يزرع الأرض بقوة خطواته .. ويدخل الى مخدعة بشراسة ذئب .. ..

كانت تقف بانتظاره .. لاتزال تحيط نفسها بملائتها .. ويتهدل شعرها الأحمر الناري على كتفيها العاريتين .. ولكن المشهد لم يشعل رغبته كما كان .. انتابه فقط احساس بالغثيان .. الاشمئزاز .. رفعت له عينين مذعورتين .. حاولت ايجاد صوتها لتفسر .. لتقول له ماتريد .. فقط تريده أن يسمع .. أن تخبره انها لم تقصد .. ابداً لم تقصد .. ولكنه لم يمهلها..

سرعان ماكنت تقف بفعل قبضتيه على ذراعيها وتواجه نظراته الحارقة بذعر .. همس لها وهو يهزها بعنف:

-اسمعيني جيداً ..

جحظت عينيها لكل ذلك الشر من عينيه .. شعرت بالألم لقسوة قبضتيه .. ورأسها يرتج بلاتوقف وهو يعلن لها بكل عنف خطوط عريضة لحياتهما القادمة .. اتسعت عينيها بذهول وهي تسمع دورها القادم .. الجارية السجينة .. !! المرأة الذليلة .. الأمة الخاضعة .. والا فالعقاب السادي كما شعرت ..

حاولت الاعتراض .. حاولت ان تناقشه ولكن .. هيهاات ..

دفعها عنه بقسـوة .. وتركها تحاول استيعاب كل ماقال .. ولم يستصعب عليها الأمر (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فالعقاب بدأ منذ الصباح التالي ..

سجن مطلق .. فهي لاتخرج قط من جناحها .. لاترى أحد ولايزورها اي مخلوق ..

طعامها تجده امام الباب .. في الأيام الاولى .. قبل أن يجهز قحطان مطبخاً في الجناح نفسه .. ويترك لها مهمة الطهو لهما معاً .. كانت

مأساة .. فهي لاتجيد الطبخ ولاتعرف عنه شيء.. وكم لاقت من العقاب بسبب فشلها المرة تلو الأخرى ..

كانت وحدتها طيلة النهار تثير جنونها .. الباب المغلق .. والصمت حولها يحطمها.. حتى عودته في اخر الليل .. كانت لاتثير في نفسها سوى الخوف .. والرهبة .. انتظرت في الليلة الاولى ان يحاول اجبارها على معاشرته .. ظلت ترتعد بلاتوقف .. ولكنها لم ولن تنسى نظرته الشامتة والمشمئزة وهو يهمس لها باستحقار:

-لاتقلقي من هذه الناحية .. فأنا قد عفتك .. عفتك من اعماق قلبي

سيادة فليس الرجل الحُر من يقبل ببقايا الحثالة..

لم تصدق يومها .. لم تصدق يومها ابداً ماقاله .. لم ترتح لابتعاده ابداً .. لم يقتلها سوى نظرته وكلماته القاسية .. ذبحتها بلارحمة .. وتركتها للدموع والقهر التي عاشت به من يومها حتى الأن ..

***

تنفس الصعداء .. وتسلل خارج الملهى المزدحم وهو يبتسم بثقل .. وبثقة .. كانت ليلة أخرى لاتنسى .. نجاح جديد .. واحساس قوي بالانتشاء فرحاً .. تصالبت خطواته وهو يقطع الطرقات المسفلتة تحت الليل الحالك .. يضع أصابع كفيه في جيبي سرواله .. ويدندن

بصفير خافت لحنه اللذي أثار اعجاب لاجميع الليـلة .. انه يضع قدمه على اول السلم .. ولن يتراجع .. ولن يتركه ابداً لسواه ..

كانت أحلامه عاصفة .. قوية ومثيرة وتكاد تغرقه قائماً ..!! حين قاطعه صوت رنين هاتفه..

راقب الرقم الغريب وهو يتوقف عن المشي.. عقد حاجبيه وهو يلقي التحية بترقب:

-مرحباً ..

صمت لفترة ضئيلة ..قبل أن يصل اليه ذاك الصوت الساخر:

-كنت مميزاً الليـلة ..

عقد حاجبيه وهو يحاول التعرف على صاحب الصوت قبل ان يهمس بحيرة:

-من تكون؟؟

كان يكلمه بالعربية .. وبلهجة أهل بلده البدوية ويضحك بثقل عجيب .. ذكره بذاك .. لينفض عن ذكرياته ويستمع للصوت الأجش هامساً:

-أنا صديق.. أعجبني ماسمعت ولكن لم يرضني ياسيد فراس..

رفع فراس حاجبيه وهو يعود المشي ويضم أطراف معطفه اليه تقيه البرد قائلاً:

-وتعرف اسمي؟؟

-أعرف كل شيء عنك ..

همس الرجل بصوت ثقيل .. ورافقهما الصمت للحظات قبل أن يقطعه الرجل قائلاً:

-أعرف أنك فراس العزب .. وأنك عضو في فرقة موسيقية فاشلة أنت العضو الموهوب الوحيد بها..

احتقن وجه فراس والرجل يواصل بسخرية:

-أعرف ان الملهى الذي غنيت فيه لتوك يعتبر قفزة بالنسبة لك رغم كونه من أحقر ملاه المدينة.. وأعرف أنني أقدر على رفعك فوق ماتتصوره..

توقف فراس عن المشي.. ونظر للهاتف بيده باستغراب.. من يكون هذا وكيف يعرف عني كل مايقول.. والمصيبة انه محق بكل شيء.. الفرقة .. والملهى .. كل شيء.. فهل يكون صادقاً حتى في أمر رفعه..

-ولما تفعل لي هذا؟؟

تسائل بشك ليسارع الرجل دون تأخير:

-لأننا من بلد واحد .. ولأنك تملك الموهبة ولن أنكر هذا الأمر .. ابداً .. ويسعدني قيامك بالأمر معي.

عقد فراس حاجبيه أكثر وهمس له بقلق:

-من تكون؟؟

صمت الرجل للحظات .. قبل أن يتهادى له صوته بحزم .. فيه نبرة سخرية لامعقولة..

-سيـف .. سيف سلطان الشيـّب..

زوى فراس بين عينيه وهو يتذكر الاسم للرجل الذي التقاه مرة واحدة فقط قبل شهر كامل تقريباً .. تذكر الطول المهيب والطلة القاتمة لرجل ذكره بشخصية ابن عمه القحط ..لولا سخريته الزائدة .. لولا مدنيته وأناقته المبالغ فيها لظنه هو بتكبره وعنجهيته .. وقسوته التي تطل من عينيه ..

كان وقتها لايعرف كيف يشرح لأمه ماحدث هناك في البلدة القديمة .. كيف ترك شقيقته فريسة لأولئك الهمج وزوج لاتطيقه ولاتستسيغه .. كان يشرح لها بكلمات مرتبكة وهو يواجه قسوة عينيها وذعرها على ابنتها المدللة ..بعد أن ألقت تلك الكلمات المسمومة على مسامع العروس الصغيرة التي لاذنب لها .. سواه !!

حين صاح به والده بعنف:

-أين هي سلمى؟؟

انتفض يلتفت الى الباب الذي شُرع دليلاً على خروجها لاتلوي على شيء.. وجد نفسه يركض خلفها .. صرخ منادياً لها بقوة .. رآها على المدى تركض ككتلة بيضاء تتحرك دون توقف ..

الى أين ستذهب المجنونة .؟؟؟

ركض خلفها بسرعة .. يناديها بلاتوقف ..

سلمى .. سلمى ..

صرخ باسمها بعلو صوته .. رآها تسقط على الرصيف .. فتوقف مبهوتاً ..

قبل أن يتغلب على نفسه ويعود راكضاً نحوها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

حين رآه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ذلك الرجل الداكن ينحني عليها .. لايكاد يلمسها وعيناه .. عيناه تلتهمانها بطريقة لم يرها قط في رجل ..

-سلمى ..

صرخ بخشونة ..

لتضيع صرختة وسط الظلام والاثنان يغرقان بعيداً عنة .. حينها فقط انتفض .. انتفض واقترب منها صارخاً باسمها مجدداً وهو يحيطها بذراعيه يخفيها عن عيني ذلك الرجل الذي ناظره بصدمة قوية ..

عيناه ارتطمتا بعينين كلها قسوة .. وغضب .. وجه أسود من فرط احتقانه وحقده .. وكأنما انتزع منه أغلى مايملك ..

أشاح عنه ونظر للفتاة المرتجفة وهمس لها:

-أأنت بخير؟!

نظرت له باكية .. تحاول لملمة شتات نفسها تحاول أن تسيطر على ارتجافها وقلقها .. دون فائدة .. كانت ترتعد بقوة .. لم تجد في نفسها القدرة على شيء سوى دفن نفسها بين ذراعيه .. تشهق بالدموع حرقة على نفسها وماسيحدث لها ..

أخذها بين يديه ورفعها عن سقوطها المذل على الأرض ..

-أين تأخذها؟!؟

سمع الحشرجة الغريبة من خلفه .. التفت ليرى الرجل نفسه يناظره بطريقة عجيبة لم يعهدها قبلاً .. وكأنه طفل أنت على وشك أن تسحب منه أمه ؟! أو شيء انتظره بعد سنوات !!

-انها زوجتـــي ..

قالها مدافعاً .. وكأنما يبرر .. ورأى الصاعقة على وجه الرجل الأخر ..

رأها في عينيه وكأنه لم يصدق ولم يتوقع أن المرأة بالثوب الأبيض

تكون زوجته هو ..

توقف مبلماً .. ينظر لهما معاً .. وفراس يسأله بخشونة:

-من أنت ..؟؟

لم يجبه لفترة طويلة وهو يمعن النظر اليه .. وكأنما يحفر تفاصيله

في عقله .. لغاية في نفسه ..وقبل أن يفقد فراس الأمل برده همس

بخفوت يحمل بين طياته مشاعر عنيفة:

-سيف .. سيف الشيب..

عقد فراس وهو يقارن الاسم باسم عبدالعزيز .. ووجد نفسها يبتعد

.. يحيط سلمى المذعورة ويبتعد بها .. يعود بها الى المنزل الضخم ..

عاد لواقعه يناظر الهاتف باستغراب ..

-ومالذي تريده مني سلطان؟؟

ابتسم سيف واضطجع في مقعده يناظر ابراج المدينة تتوالى عليه

والسيارة تنهب الأرض نهباً:

-كما قلت لك ..أريد مساعدتك للارتفاع.. تعرف بأنني استطيع ..

بالتأكيد يعرف .. فعائلة الشيب لديها نفوذ قوي هنا.. ابتلع ريقه وهمس:

-ولكن .. بعد ماحدث؟؟

-لاشأن لنا بماحدث ..

قاطعه سيف بحدة .. كان يحاول السيطرة على أعصابه والسيطرة على الحديث بينهما كي لايفلت من بين زمام أصابعه .. وهو لايريد التفكير بماحدث منذ شهر .. ومدى تأثيره عليهما (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لم يكن ذنبك ولاذنب أياً منا .. فلما لاندع الماضي لشأنه ونلتفت للحاضر أيها الشيخ.

-شعر فراس بالسخرية للقب .. وهمس:

-يجب أن نلتقي..

-ممتـاز ..

ابتسم سيف بارتياح .. قبل أن تلتوي الابتسامة سخريةً وهو يضيف:

-غداً مساءاً .. سنلتقي في مكتبي هنا.. لاتتأخر عن السادسة .. فلدينا اجتماع بعدها مع أحد الموزعين..

اتسعت عينا فراس بلاتصديق .. في حين أنهى سيف المكالمة باقتضاب بعد أن أملاه العنوان .. وبقي الأول ينظر للهاتف بلاتصديق.. بعد شهر كامل من التقلب بحثاً عن فرصة .. هاهي تقدم له على طبق من ذهب.. بالطبع غيره يقضي سنوات .. ولكن .. موهبته كانت غير اعتيادية وهو يعرف.. ومن الحرام أن تظل مكبوتة ..اتسعت ابتسامة نصر على شفتيه وهو يقفز بفرح وسط الشارع .. وهو يعود الى شقته ..

كانت خاليه صغيرة وباردة ..

لاتشبه بحال من الأحوال قصر أسرته في باريس..

ولكن ماذا كان يتوقع بعد ان تخلى عنه ابيه .. وتجاهلته أمه في سعيها المتواصل للعثور عن ابنتها .. دخل الى الصندوق كما تبدو الشقة فعلاً ..ونظر في أنحائها .. كانت ضيقة وقذرة .. بالكاد يتحمل البقاء بها دون أن يقيئ باشمئزاز .. ولكنه مستعد للتحمل ..

بعد أن حرمه أبيه الدعم اللازم .. ترك كل مابيده وسافر الى نيويورك وحيداً ..

تاركاً خلفه زوجته التي لم ينظر اليها حتى ..

تلك الزوجة التي عاد بها الى القصر كجثة تنتفض .. ووجد أمه وقد ثارت ثورتها .. تكيل الاتهامات لوالده بلاتوقف بأنه قد ضيع ابنتها

الوحيـدة ..انكمشت الفتاة بين ذراعيه .. واخفت وجهها عن وجه حماتها الغاضبة .. ليتلقفها عمها بين ذراعيه بارتياح هامساً لها بحنو:

-ياللهول بنيتي .. أين ذهبت؟؟

نظرت له باكية وهمست:

-أعدني الى عائلتي..

اتسعت عينا سالم بذعر وصرخ:

-هنا عائلتك ياسلمى .. هنا عائلتك يابنتي.

هزت رأسها بضعف ليلمع الاصرار بعينيه وهو يصيح:

-بلا ان هنا منزلك وهذه عائلتك التي إن لم تقبل بك فعليها هي وحدها الانصراف..

سمعت شهقة المرأة المصعوقة ليلتفتا اليها معاً ..كانت تناظرهما بذهول وهي تصرخ:

-أتطردني من منزلي من اجل هذه الفتاة؟؟

-انها سلمى العزب .. شيخة بنات قبيلتها .. ظفرها وحده ..

صرخ سالم هادراً لتصعق زوجته وهو يترك جملته معلقة ويعود للالتفات لابنة أخيه المتجمدة بذعر .. ونظر لابنه بحدة:

-تعال وخذ زوجتك الى جناحكما .. الأن ..

-لاتتركني ..

تشبثت به بضراعة ليربت على كتفها بحنان وهو يهمس:

-لاتقلقي حبيبتي .. ففراس معك.

هبط قلبها بين قدميها .. وهو ماتخاف منه أساساً .. فراس..

نظرت له مذعورة وهو يُذعن لأمر أبيه ويقودها من يدها عبر سلم

رخامي ضخم .. تسمع خلفها معاودة الصراخ بين عمها وزوجته ..كان

يحيط كتفيها بذراعه بالكاد يسندها الى أن اوصلها لجناح ضخم

نظرت حولها بذعر .. بالكاد سيطرت على نفسها كي لاتقضم

اصابعها خوفاً .. راقبها هو بعصبية .. واشار لها باقتضاب عن مكان

تواجد غرفة النوم والحمام قبل ان يقف كطفل يتعرض للتذنيب

ويعتذر:

-انا .. اا.. أنا أسف عما قالته أمي..

نظرت له مجروحة .. بالكاد تقدر على النظر اليه .. خفضت عينيها

وهمست باكية:

-لماذا تكرهني..

-انها قلقة على سيادة..

-سيادة لن تكون بحال أفضل .. انها زوجة الشيخ قحطان..

همست مخلصة ليتفجر غضبه ويصرخ:

-سيـادة لم تكن موافقة وتم زواجها غصباً ..

تراجعت سلمى خائفة في حين صاح فراس بقوة:

-أترين .. ذلك الرجل الذي كان هنا قبلاً هو خطيبها .. هو من تحب ..

شحب وجه سلمى وتذكرت .. " عبدالعزيز" .. من تحدثت عنه سيادة مرة ..

-هو الرجل الذي كان من المفروض أن تُزف اليه شقيقتي .. ولكن ..

اضاف بحرقة:

-شقيقك الغبي أفسد كل شيء..

شعت عينا سلمى بالغضب .. مرارة وحرقة هاجمتها وهو يصف شقيقها بالغباء:

-قحطان ليس غبياً .. انه افضل رجال العالم..

التوت شفتاه بالسخرية واشاح عنها لايرغب بالدخول في تفاصيل..

-يجب أن أرى أمي ..

همس بسرعة قبل ان يتركها .. وينزل .. كان والداه لايزالان في شجار عنيف تبادلا فيه كل انواع الاتهامات..

-أنت تركت ابنتك قرباناً لتعود لحضن عائلتك سالم ..

صرخت امه بحقد لينفجر اباه:

-كان يجب ان اعود .. كان يجب أن انقذ ابنتي من الضياع الذي كانت تغرق به .. والشيخ فرصتها الوحيدة.

-رميتها لرجل لانعرفه .. همجي ومتوحش فقط لتنقذ غرورك ..

صاحت بقهر ليعنفها:

-سيادة كانت في الحضيض ايفا .. سيادة كانت تعاشر ذلك الفتى ..

كيف باللّه عليك سأرضى أن تتزوجه بعد ان خانت ثقتنا؟!

اتسعت عينا ايفا وصاحت:

-مالذي تقوله؟! سيادة لم تعاشر عبدالعزيز قط.. كانت مجرد كذبة لتوافق على زواجهما..

نظر لها ساخراً وهتف:

-اوه لقد عرفت .. بالطريقة الصعبة عرفت..

انعقدت لسانها ليفسرهو بانفعال:

-قحطان العزب اثبت برائتها امام الكل .. تزوجها بكراً وقد أثبت هذا بنفسه..

شهقت ايفا بذعر وصرخت:

-في اي قرن تعيشون انتم؟؟ كيف.. كيف وضعت ابنتي في هكذا موقف.؟؟ كيف تركتها لذلك الهمجي كيييييييف؟؟

نظر لها سالم ببرود:

-ذلك الهمجي الأن زوجها ولاشيء تقولينه سيغير من هذه الحقيقة..

-أنا اريد ابنتي ياسالم..

صاحت بألم .. وأضافت لرؤية بروده:

-سأحدث القنصلية .. الصحافة .. سأنشر الخبر وأعود بابنتي.

ابتسم ساخراً :

-القنصلية لن تفعل شيئاً .. فزواج سيادة قانوني .. ولن تقدر على التدخل .. والصحافة لن تسبب سوى الفضائح .. هنا في مجتمعك المخملي .. فهناك وسط صحراء بلدي وسط بداوتنا لااعتراف لشيء كصحافة او فضائح .. وسيادة لن تصلي اليها .. مستحيل ان تصلي لها دون ان يأذن لك زوجها ..

شحب وجه ايفا .. وارتسمت عليه المرارة وزوجها يواصل:

-انسي أمر سيادة الان .. واهتمي بابنك الذي يكاد يضيع منا هو الأخر .. زوجته ابنة عمه .. انها سليلة العزب .. امرأة بألف .. اهتمي بها .. اعتني بها وساعديه ليعرف قيمتها.

نظرت له بحقد ..

كيف له ان يطلب منها هذا؟؟ نهضت تواجهه بعنفوان:

-انا لم اوافق ابداً على هذا الزواج .. وان كان ابنك الاحمق وافق فلاشأن لي بهما معاً .. وحتى تعود لي ابنتي .. فلا انت ولا ابنك تهمانني بشيء.. سأرحل عن هذا المنزل ولاأريد رؤية احدكما قط .. حتى تعود لي صغيرتي..

-أمي ..

تدخل فراس بارتباك لتنظر له بحنق وتهتف:

-انت مجرد عار علينا .. تركت شقيقتك .. دون أن تهتم بابلاغي حتى .. وقبل ان يعترض احدهما كانت تسرع صاعدة الى جناحها ..

يومها غادرت المنزل الضخم .. تركت كل شيء لتعود لشقتها الباريسية الفخمة .. قاطعته وأبيه ولم تهتم بأحدهما في سعيها المستمر لإيجاد ابنتها بسرية حتى لاينتشر الخبر وتعم الفضيحة وسطها المخملي..

أما هو .. فقد واجه ابيه مباشرة برغبته في السفر .. ولكن ابيه رفض نهائياً .. وثارت ثائرته .. وهو يرتطم بالواقع رويداً رويداً ..

وأن اباه لم يزوجه ابنة عمه الا ليربطه بها .. والى الأبد .. ولكن هيهاااات ..

ليس فراس العزب من تربطه امرأة .. وامرأة لاتساوى كتلك الريفية ..

ولذا لم يكذب خبراً ..

وفي النهار التالي بعد ليلة قضاها بالتسكع خارج القصر .. كان يشد الرحال الى أمريكا .. حلمه .. موقناً انه سيلاقي الدعم من والدته مهما تكبرت عليه وقتها .. موقناً انه سينجح .. ولو بعد حين ..

ولكن .. شهر كامل ظل يتخبط وحده ..

والده وقد تبرأ منه نهائياً ولايطيق سماع حتى اسمه ..

ووالدته التي لامنطق لديها سوى اعترافه بمكان سيادة وعدم تصديقها لحكاية انه حقاً لايعرف .. كيف يعرف وهو لم يذهب هناك سوى مرة .. وبالتأكيد لايعرف حتى المكان ..

ولكنها لم تيأس من ضغطها .. وهو لم يكن لديه مايشبع فضولها ..

ومضى شهر وهو غريب وحده .. لايعرف عن زوجته شيئاً .. ولايكاد يكلم أبيه .. وفي الفترة الأخيرة أمه كذلك ..

والأن تأتيه هذه الفرصة .. على طبق من ذهب ..

فكيف يفرط بها ؟؟!!

***

كالعادة الأيام تتوالى ..

رتيبة ومملة .. من كان يظن أن باريس ستكون مملة هكذا .. ؟؟؟

زمت شفتيها وجلست على طرف مقعدها تناظر الحديقة التي اكتست بالثلوج .. لم ترى ثلجاً بحياتها ومنذ اسبوع لم تعد ترى سواه !! تأففت واسندت ظهرها لكرسيها وهي تفكر:

-كل الأيام سواء.. لاوجود لتغيير يحرك فيها بعض من المشاعر التي اجتاحتها في الايام الاولى .. القهر والألم تبلد .. ولم تعد تشعر سوى بالملل.. مجروحة نعم .. تريد الهروب والعودة الى حياتها السابقة ولايبقيها سوى احترامها لعمها الذي ترجاها ان تبقى وألا تخبر اخوتها عن مصيبتها ..

زوجها الذي هجرها منذ يومها الأول !!

تنهدت ونهضت من مقعدها متسمرة امام النافذة .. ممل .. متعب للقلب .. هذه هي الحال .. تبقى اليوم باكلمه وحيدة وأسيرة لهذه الجدران .. لاتعرف كيف وصلت لهذا الحال .. وهي من تزوجت ابن

عمها الشاب الرائع .. الأجنبي الذي سينقلها من البدو الى قمة الحضارة ..

تأففت وهي تشيح عنها مثل تلك الأفكار ..

ماذا ياترى تفعل عائلتها ..

امها .. جديها .. أخوتها وزوجاتهم؟؟ الجوهرة وأبنيها؟؟

ماذا يحدث هناك وهي مسجونة هنا؟؟!!

-بنيتي؟؟

انتفضت ناظرة الى عمها .. والذي نظر لها بحنو:

-مابك ياصغيرتي؟؟

هزت كتفيها بتوتر مرتبك .. لاتريد ان تقلقه فيكفيه مايمر به من هجران زوجته وولده له..

-تعالي الي حبيبتي..

همس وهو يجلس لتقترب وتجاوره بخجل .. مسد رأسها المغطاة بطرحة رقيقة وهمس:

-لاتزالين تضعين هذا؟؟

-هناك غرباء في المنزل..

همست مبرة بخجل ليبتسم :

-انهم يعملون لديك .. البستاني والسائق..

-لااستطيع عمي .. انا ارتاح هكذا..

همست بصوت خفيض وهي تزرع عينيها في الارض .. راقبها بحزن .. شابة بعمر الزهور اقتطفها بلااستئذان لشخص لايستحق حتى ظفرها .. ماذا عليه ان يفعل .. لقد مضى شهر كامل والفتاة تعيش وحدها وزوجها هاجراً لها ولايرغب حتى بالنظر اليها والعودة ..كان يعاقبه بطريقته .. ولكن الى متى؟! الفتاة تخفي بأصالتها المتوقعة أمر زواجها المحطم عن كل عائلتها .. يعرف برد فعل أخيها ان عرف .. ولكن ماذا عليه ان يفعل ليخرجها من حبسها ..

زوجته تركت المنزل وتبحث عن طريقة لاستعادة ابنتها واتحادها مع ذلك المجنون عبدالعزيز كان يشكل ارقاً عليه ولايكاد يسيطر على اعصابه منهما .. لو عرف قحطان فقط .. لقتل عبدالعزيز دون أن يطرف له جفن .. ذلك الأحمق سيسبب لنفسه المصائب.. ولكنه مرتاح من ناحية ابنته .. فعلى الاقل .. قحطان يُعتمد عليه ..

-هل تخرجين معي هذا المساء؟!

نظرت له سلمى بدهشة .. كل يوم يطلب منها الخروج .. وكل يوم تقول له لا .. فكيف تخرج وحدها .. معه دون زوجها ؟! .. ولكنها اليوم

رات رجاءاً ملحاً في عينيه .. وشعرت ذلك التهور يجري في عروقها ولم ترفض.. بل همست باستحياء:

-نعم .. سآتي..

رات عيناه تتسعان من الفرحة ويقفز على ساقيه كشاب في العشرين هاتفاً:

-ممتاز .. سأخذك لتري معالم باريس كلها .. ثم نتعشى في أفضل مطاعم المدينة .. مارأيك؟؟

انتابها الحماس للحظة وهي تتصور كل مايقول .. قبل ان يغلبها تجهمها وهي تفكر.. كان من المفروض أن يأخذها هو .. كان يجب ان يزورا معاً كل مكان .. يأخذها للعشاء.. يريها معالم المدينة ..

تنهدت ولم تشأ افساد سعادة عمها ووافقت بحماس ..

خرجا معاً ,, ارتدت سروال من الجينز وكنزة وفوقها معطف طويل من الكشمير يقيها البرد ورتبت حجابها باحكام ..

كان عمها مرافقاً مسلياً .. أخذها للشانزليزيه .. وبرج ايفل .. وساحة النصر ..

ثم اخذها الى مطعم فاخر ..جلست فيه متيبسة لاترفع رأسها الى النظرات التي تراقبها بالخفاء .. شرزاً .. لحجابها وتقوقعها .. تزرع عينيها الى قائمة الطعام التي لم تفقه فيها حرفاً .. وعمها يبتسم لها:

-سأطلب لنا معاً لاتقلقي..

اومأت باستحياء .. وحتى جاء الطعام لم تتحرك عينيها ولم ترفع رأسها..

-سلمى بنيتي انظري الي ..

رفعت اليه عينين خجلتين ليبتسم:

-ارفعي رأسك ولاتخافي.. ليس لأحدهم شان بك .. أنت حرة هنا حبيبتي.

ابتسمت بخجل .. ورفت عينيها وهي تنظر لعمها ذو الهيبة والمكانة .. كان الكل يعامله باحترام وكأنه زبون معتاد على المكان ..

كانت السهرة جميلة ولم تعشها قط من قبل.. كانت مبهورة بكل ماحولها ولكن .. خجلها ألجم انبهارها وقيده .. كانت متوترة وتريد للسهرة الانتهاء بأسرع وقت ..

وحالما عادا للمنزل استأذنت منه لتعود لغرفتها .. وهناك استلقت متعبة على الفراش.. تفكر بماحدث الليلة .. لقد عاشت يوماً مختلفاً للمرة الأولى منذ شهر .. ولكنها لم تكن سعيدة .. فهو لم يكن معها .. كانت وحدها برفقة ابيه .. لاتزال زوجة منبوذة .. مهجورة ..

انسابت دموعها بقهر على ذاتها .. كما يحدث معها كل ليلة .. حين تغلق بابها عليها وتمضي في الانسياق خلف أفكارها وماحدث يومها .. حين خرجت تركض بلاهوادة .. لاتود الرجوع .. تود الهرب من تلك المرأة التي حطمت كيانها ومزقت فرحتها بقسوة ..تريد صم أذنيها عن قسوة تلك الساحرة الشمطاء .. تريد محو تلك الكلمات من ذاكرتها ..

سمعته يناديها ولم تأبه .. ركضت وركضت .. تغشى عينيها الدموع .. وتمنعها من رؤية امامها .. ولكنها واصلت الركض لاتأبه لشعرها المتناثر حولها بجنون .. ولاثوبها الالبيض الطويل الذي رفعته بلامبالاة .. فقدت حذائها وهي تركض .. لم تشعر بالحصى الصغير الذي هاجم قدميها بلارحمة .. صرخت بألم وتناثرت دموعها بلاحساب ثم وقعت بين ذراعيه ..!!

تلقفتها ذراعاه من سقوط مريع كان يواجهها .. كمنقذ وفارس بزغ بالامقدمات من عقلها الباطن ..

رفعت عينين لاتريا الى وجه منقذها الغريب.. وغرقت في سواد عينيه لبرهة .. برهة تجلت فيها الرؤية .. لتلحظ ذلك الألماس الأسود المصقول وهو يلمع الى درجة الاشتعال .. وتكتشف بذعر أنها تقبع بين ذراعيه باستسلام ..

شهقت بعنف وتراجعت لتقع ارضاً.. وعينيها لاتزالان أسرى تلك العينين..اللاتان لم تفلتاها قط .. تراجعت مذعورة من هول خوفها .. اجتياح ذاك الذي انسل الى أعماقها .. بقوة وبتهور .. قبل أن يقترب هو .. وتتيبس هي .. مكانها بلاحراك تناظره بذهول ..حتى انهار أمامها على ركبتيه .. تسمرت عيناها على النبض الضارب بجنون في صدغه .. أي شيء أي شيء هو أرحم من تلك النظرة في عينيه ..

سمعت همهمة ما تصدر منه .. لم تفهمها ابداً ..

ولكنها سحبتها بقدرة قادر عائدة الى عينيه ونظرته .. لتتجمد فيها حتى الأنفاس .. وتظل مفغرة فاهها .. تناظره بغباء .. ودموعها تنهمر بلاتوقف ..

حتى جاء الأخر ..!!

" سلمى " (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

صرخة أعادتها للواقع .. وانتشلتها من عمق ماوقعت به مع الغريب ..

شعرت بفراس يحوطها ويوقفها على قدميها متسائلاً ان كانت بخير..

نظرت له .. كان القلق الحقيقي ينضخ من عينيه ..ويديه تضمانها له

بتملك وهو يحدج الرجل الأخر بشك .. وتساؤل .. وحانت منها التفاتة

للأخر..

وليتها لم تفعل ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

نهضت شاهقة .. ترى بلل وسادتها بالدموع .. ككل ليلة .. وفوق ذلك

انقباض عارم في صدرها من هول ماتذكره .. نهضت تجر اذيال الخيبة

والألم لتقف على شرفتها تطالع القمر الذي انتصف السماء .. يعاند

بزوغ الفجر ..كيف تهورت وحلمت بذات الحلم مرة بعد الأخرى ..

ككل ليلة ينهشها مسلسل الهروب الفاشل الذي لم تتقنه ..

وتستيقظ مذعورة على وطئ تلك النظرة من الماسات السوداء ..!!

كل ليلة تقف تنظر لقمر بشكل او بأخر لترى اتقاد الشر في مقلتي

ذاك الغريب ..

نعم كان شــراً ..

لاتوصف تلك النظرات سوى بالشر المطلق .. أو بالقسوة الجامدة ..

التي لن تلونها مشاعر أخرى ..

كان شيطاناً ينظر اليهما هي وزوجها .. شيطان أخذوا منه فريسته ..

ذئب جائع أمام ذبيحة نازفة ..

حرارة وقوة .. التهبت بالنيران ..

أغمضت عينيها ومضت تدمدم بضعة ايات قرآنية .. تجلو عنها بعض

ماتشعر به من انقباض .. وهي تعود الى فراشها وماحدث بعدها

يهاجمها بلارحمة ..

العودة الى القصر حافية القدمين ..

المواجهة مع زوجها والتي حطمت الباقي من تماسكها وجعلتها تفقد

وعيها وهي تنبذ ليلة عرسها ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لقد خدعني أبي..

قالها بكل سخط .. يواجه بها دموعها التي لم تتوقف في داخل

جناحهما المشترك ..

-خدعني حين قال انه بزواجك مني فهو سيتكفل بمصاريف سفري ..

ولكنه كذب(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تفجرت كلماته كسياط حامية على جلدها .. فتراجعت تصرخ له بأن يصمت .. ولكنه لم يفعل:

-أنا لاأريدك سلمى .. أنت لاتثيرين فيَّ أية مشاعر خاصة ولست بأي مزاج لأحافظ على زوجة لاأطيقها .. ولاتناسب مستقبلي .. أتفهمين ..

قالها بازدراء جمدها .. أوقفها مكانها بلاحراك وجعلها تشرد في مايقول بلاتصديق..

-سأرحل الأن .. ولكنني أبداً لن أعود..

وبدون كلمة اضافية .. رحل !!

حينها فقط انهارت مقاومتها وسقطت .. ولم تعد كما كانت ..

منذ شهر كامل .. تعيش يومها بانتظار عودته .. بعد ان أقسم لها عمها انه سيعيده لها متوسلاً .. وان كل ماقاله لها في لحظة غضب من المؤكد انه من وراء قلبه .. فهو بعد كل شيء .. ابن عمها !!

ومضت الايام .. حتى غدت سابيع وهي تعيش على الامل الذي يهن في كل يوم أكثر وأكثر.. حتى بات أضعف من ذبابة .. ولكنها تنتظر..

***

دعك عينيه بألم .. ترك الكتاب ونهض يتمطئ .. جسده كله متيبس .. نظر للوحة على المرسام بعين غير راضية .. وهو يفكر بأن هناك شيء ماخطأ ولكنه لايقدر أن يضع يده عليه ..

تأفف وهو يمني نفسه بنوم طويل ثم يصحو ليعدلها من جديد .. غداً.. وقطعت افكاره وهو ينظر لنور الفجر وهمس لنفسه " بل هو اليوم بالفعل " هو يوم أجازته وسيقضيه حتى الظهر في النوم .. وبعدها .. سيعود لدراسته ورسوماته .. مسد وجهه بكفيه بقوة وحانت منه التفاتة للباب كي يخرج ليرتطم بعينيها .. ويقف مشدوهاً ..

كلما رآها .. تذكر ..

وكلما تذكر .. اهتز عالمه للذكرى ..

كان يراها في اليوم ألف مرة .. وفي الحلم ضعفها .. ويتذكر في كل مرة .. مرة ..!!

يتجمع ريقه ويخنقه .. ويسعل بارتباك يريد أن يجلي غصته ..

ولكنها تظهر بوضوح في شحوب صوته وهو يسألها..

-مالذي أيقظك؟؟

راقبته بفضول امتزج بحدة .. لاتعرف لها سبباً .. لم توجه له الحديث بل مدت له بهاتفه الذي ظل يرن دون انقطاع لساعة كاملة حتى أرهق أعصابها ..

نظر للهاتف بدهشة .. لم يعرف انه نسيه في لاغرفة .. فتحه ووجد كم المكالمات الفائته الهائل وعقد حاجبيه وهو يسارع ليعرف المتصل .. ليتنهد بارتياح وهو يرى الاسم .. حمدا للّه ليس احدا من البلدة فهو ليس بمزاج ابدا لأخبار سيئة ..

-من؟؟

انطلق الصوت الرقيق ليخرجه من عالمه ويعيده الى عالمها وحدها .. منذ متى لم يسمع صوتها يحادثه بغير كلمات مقتضبة ترد بها عليه السلام او تبلغه بروتينية مواعيد الطعام او اي شيء غبي أخر.. لاول مرة تبدي اهتمامها بشيء ما يخصه هو ..

-انها زميلتي.. رانيا ..

عقدت حاجبيها .. وهمست بحدة لم تملك السيطرة عليها:

-وكيف تتصل بك زميلتك في مثل هذه الساعة ألاتعرف ان للوقت حرمات؟؟

اتسعت عينا رعاد بدهشة لتواصل غزل بعصبية:

-اعتقد انه من غير اللائق أن تتصل بك فتاة في مثل هذا الوقت أيها السيد كماانها تتصل في وقت صلاة الفجر ألتعرف انك تصليها في المسجد وأنك لابد لن تأخذ هاتفك .. ها؟؟

وقف مبهوتاً يرى عصبيتها الجديدة بعد فصل من البروود المحتد دون مشاعر أخرى بعدما حدث قبل شهر .. طرد عن رأسه تلك الأفكار واقترب يدافع عن موقف زميلته التي يدرك عذرها :

-لاداع لكل هذا غزل .. انها تنفذ طلبي فقد قلت لها بأني سأنهي فرضنا قبل صلاة الفجر ولابد انها اتصلت فقط لتطمئن ..

كتفت غزل ذراعيها وهمست :

-لقد أزعجتني .. هي تتصل منذ وقت طويل وأنا بصراحة لاتعجبني هذه الحركات رعاد ..

-أي حركات؟؟

صاح بحدة ليلجمها وهي ترى اشتداد عقدة حاجبيه وقد ابتدأت اعصابه بالفلات منه .. تراجعت وهي تهمس مضطربة:

-انها حركات مكشوفة .. والكل يفهمها..

-غززل ..

صاح بحدة أكبر.. لترى عرقه الضارب بجنون في صدغه وهو يدمدم بغضب:

-لاتتكلمي بالسوء عنها انت لاتعرفينها.

اتسعت عيناها بصدمة .. وتراجعت دون كلمة اخرى ..

-غزل..

صاح يناديها ولكنها كانت تسابق الريح الى غرفتها .. وبقي هو كالأبله ينظر لطيفها وهو يغيب خلف الابواب .. نظر للهاتف بيده بعصبية وحنق..

ماكان هذا بالضبط؟؟؟

شهر من اللامبالاة .. لتعود وتفعل هذا؟؟

مالذي يسمونه أصلاً .. ؟؟ قبض على الهاتف بقوة تكاد تسحقه .. وهو يجلس الى مقعده وقد طارت فكرة النوم تماماً من رأسه .. ومضى يفكر فيما قد تكون تفكر .. وعادت له الذكرى رغماً عنه ..

نفض رأسه بعناد .. لتتشبث رقة شفتيها بوعيه .. وتغرقه في لذة ماحُرم منه لسنوات.. حتى أصبح محرماً عليه وهو ملكه.. ولكنها لن تحرمه حتى لذة الذكرى ..

أسند راسه الى الخلف وتخلى عن ندمه واحساسه بالذنب .. وعاد يغرق بالذكرى مررة .. ويعيش احساسه بالرقص على السحاب مرات ومرات ..انتشله من أعماق بؤسه ووضعه على قمة العالم .. لايزال يتذكر مذاق شفتيها .. مذاق يشبه الجنة .. في عينيه .. برد .. وسلام .. وجد نفسه حينها .. وصرخ قلبه بعشق يتوسلها .. ولايمل .. قطعاً لايمل ..!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

رباه ماذا أصابني ..؟؟!!

فكرت بجنون .. وهي تقطع غرفتها جيئة وذهاباً .. مشاعرها هذه جديدة ولامنطقية ابداً ..ولكنها محقة .. وقفت ساخطة .. محقة في غضبها فكيف تسمح تلك الفتاة لنفسها بأن تتصل لرجل غريب عنها في مثل هذه الساعة .. فسرت بحنق .. تلك قلة أدب ولاشيء اخر..

كانت تنام بسلام .. حين أيقظها صوت الهاتف..

تجاهلته عدة مرات ولكن حين أذن الفجر نهضت .. صلت فرضها وقرأت وردها من القرآن والأدعية ثم اعتزمت العودة لسريرها والنوم ..

وهي تسمع عودة رعاد من الصلاة ودخوله مكتبه .. والهاتف الغبي لايتوقف..

استلقت نائمة .. او تحاول .. ولكن .. الهاتف ظل يرن ويرن .. ربما لنصف ساعة كاملة بعد الصلاة .. لم يتركها لتنام .. ولم تقدر على تجاهله .. وهنا انتابها احساس بالذعر .. ماذا لو حدث لأحد ما مكروه بالبلدة ؟! او ربما علي؟! ونهضت لترى الاسم الذي يضيئ شاشة الهاتف بلاكلل ..

رانيـا .. رانياG ..!!

عقدت حاجبيها وتجاهلت الرنين لبضعة دقائق.. قبل أن تقرر انها يجب ان تأخذ له هاتفه .. وقلبها يشتعل غضباً وحنقاً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)من تلك اللتي لم تأبه للاتصال برجل غريب في وقت أغرب .. أوأنه ليس غريباً؟!

فكرت بحنق وهي تاخذ له الهاتف .. حالما وصلت لباب المكتب الموارب حتى تسمرت وهي تنظر اليه ..

كان مرهقاً ومتعباً ويظهر عليه هذا بوضوح .. وقف بالكاد يقدر على صلب طوله الفارع ..يمسد ظهره بقوة .. قبل أن يمسح على ملامح وجهه المرهقة ..

ناظرته باشفاق .. وداخلها ينتفض بعنف لاتدرك له سبباً .. ليتوقف متصلباً وهو يلتفت اليها فجأة .. كل مشاعرها تسربي من قدميها كالجبناء.. وتركتها باردة جوفاء..

حالما انتهت معه مواجهتها القصيرة .. وبثت مشاعرها الحانقة اليه حتى هربت .. لاتريد النظر اليه .. لاتريد سماع صوته فكلما فعلت .. اجتاحتها تلك المشاعر وبقوة .. كأنها تستحم تحت شلال غزير .. يغرقها من رأسها لأخمص قدميها ..

عادت لغرفتها بسرعة ترتمي على فراشها وتعض نواجدها على حماقتها وتهورها .. تباً .. لكل ماتحسه بوجوده .. ماذا دهاها لتتصرف بحنق هكذا .. كانت تعامله بكل برود وصمتها المتواصل نتيجة لمافعله بها .. لتهوره وتعديه عليها يوم كانت مصابة .. مافعله يومها محى من عقلها كل ألمها .. محى ذلك الألم الحارق من قدمها ونشره على جسدها كاملاً ..

كانت ترتجف خجلاً وارتباكاً .. محمد من كان زوجها لم يقترب منها بتلك الطريقة .. كان رقيقاً ومراعياً .. كان حنوناً واعطاها وقتاً قبل أن يأخذه الموت منها .. ولكن رعاااد !!

ارتجفت بصمت لذكرى قوة شفتيه على فمها المستسلم .. وغطت وجهها بالملاءة علها تحجب عنها الذكريات.. كم تكرهه لفعلته .. كم تكرهه ..

حين عاد بعد خرجه يومها لم تنظر اليه حتى .. فقط عاملته بالصمت ..

لم ترد على اعتذاره الذي جاء به متلعثماً .. لم تكن تقدر حتى على النظر اليه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) حتى اليوم .. تلك المدعوة رانيا .. "فكرت بالاسم ساخرة" أخرجتها عن طورها .. تباً لهما معاً..

تنهدت بألم .. وعادت تغرق في وسادتها تحاول صرف مشاعرها عنها .. بلافائدة ..؟؟!!

***

-صباح الخير أمي ..

التفتت السيدة هدية لابنتها الجوهرة والتي بدت متألقة كشمس الصباح وهي تدخل الى الدوار بابتسامة متألقة..

-صباح الخير حبيبتي .. تعالي لتشاركينا الفطور..

-لاأمي شكراً تناولته مع الصغيرين..

واقتربت تقبل رأسها وظهر يدها متسائلة:

-أين جدتي ..؟؟

-تشرف على المطبخ ..

هزت جوهرها رأسها ثم تلفتت حولها بفضول قبل أن تسأل:

-ألم تخرج سيـادة بعد؟؟

تنهدت هدية بضيق هامسة:

-كلا .. وأخوك لايرضى بمجرد ذكر اسمها .. وجدك لايريد فتح الموضوع .. كلما سألتهم عنها يدير جدك لي ظهره ويعقد اخوك حاجباه قائلاً .. انسها حالياً أمي ..

عقدت الجوهرة حاجبيها وهمست بذعر:

-امي .. ماذا ان قتلها اخي بسبب لسانها الطويل؟؟

انتفضت هدية ثم عادت لتتنهد:

-لو فعل كان سيدفنها امامنا كلنا .. ليس قحطان ولدي من يقتل امرأته ويخفيها .. انه أكبر من هذا.. ويعلم أن لاأحد سيحاسبه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ولكن لماذا هذا الحبس اماااه..

تسائلت الجوهرة بحنق لتهز هدية كتفيها وتصرخ بحدة:

-سيخرج قحطان بعد قليل.. اسأليه ..

اتسعت عيناها وتراجعت مبهوتة:

-لا .. سيقتلني ..

تنهدت هدية بصمت ثم التفتت لابنتها وسألتها:

-متى يعود زوجك من سفره هذه المرة؟؟

مطت الجوهرة شفتيها وهي تدعي في سرها ألا يعود وأن يأتيها خبره في سفره .. ولكنها سرعان ماتعوذت من الشيطان .. بعدماحدث واجباره لها بصبغ شعرها ومعاقبتها بشدة لعدم مطابقة اللون لما في خياله المريض .. سافر للصين .. في صفقة تجارية منذ مايقارب الثلاثة أسابيع ولم يعد بعد ..

استغلت سفره وكانت تضع على شعرها الحناء المرة تلو الأخرى حتى بهت لونه الأحمر البشع وبالكاد أصبح صالحاً للنظر .. وبالطبع لم تسلم من التعليقات ولكنها حاولت الصبر .. بصبر!!

-لست أدري امي هو لم يخبرني.

ردت باقتضاب وهي تفكر بسيادة .. منذ اليوم التالي لزواج سلمى وهي لم تخرج من جناحها ..

وحسب كلام أمها فقحطان والجد أمرا ألا يناقش أحد موضوعها ..

والا ينتظرون منها شيء.. لا مساعدة في المنزل أو مشاركة في أية مناسبة على الإطلاق..

وقد قتلهن الفضول ولكن لاأحد يستطيع النطق بحرف واحد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

وهناك .. في جناح الأسر .. كانت تجهز الفطور على الطاولة بأصابع ترتجف ..

لم تنم طيلة الليل .. قلقة ومضطربة .. تبكي بلاتوقف.. وتفكر بحل يخرجها من هذه الماساة ..ولاتجد حلاً اسوأ من الاستسلام ولاأصعب منه .. والأن انظروا مافعلت .. أحرقت الخبز وافسدت الشاي .. كادت تبكي وهي تراه يجلس ينظر للطعام بصمت .. ودون أن يمسه أرجع الطبق هامساً:

-الحمدللّه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تفجرت حينها مشاعرها .. كراهية لهذا المغرور وأسىً على نفسها:

-ألن تاكل ؟؟

نظر لها بطرف عين وقال باقتضاب رجل اليريد مناقشة كلماته:

-لاتدعيني ابدأ بذم نعم اللّه..

تباً لك .. تباً لك ..

فكرت بحقد .. وصرخت:

-قلت لك .. قلت لك بأني لاأجيده ابداً ماتريده مني مستحيل..

-لاشيء مستحيل ..

هدر بعنف .. لتبتلع كلامها برهبة وهو يقول بصوت ساخر مقيت:

-حتى الكلاب حين تربيتها تفعل المعجزات ..

احتقن وجهها بحرقة .. طفح الكيل .. .. لقد تجاوز حدوده بالفعل:

-أنا لست بكلب..

صرخت بجنون .. ليهب واقفاً يواجه هستيريتها:

-لاترفعي صوتك ..

اشتعل وجهها بالانفعال وصرخت:

-وماذا تريدني ان افعل .. ان اسكت لك وأنت تشتمني .. انا سيـادة ..

أتعرف من تكون سيادة العـزب..

ضحك ساخراً وهمس بهدوء:

-نعم بالطبع اعرفها .. مجرد جارية حقيرة وقذرة لدى شيخ العزب فلا

تزيدينها يا امرأة..

تألقت عيونها بالدموع وهبت تصرخ بشحوب:

-أنا لست بجارية .. لست قذرة .. وانت لست سيدي ياقحطان..

امتدت يده بسرعة خاطفة تقبض على خصلات من شعرها .. بقسوة جعلتها تتألم صارخة .. وقربها منه وهو يهمس بصوت كحد السيف:

-انت ملكي .. مجرد شيء أملكه ..بيدي اقرر مصيرك ياسيادة .. بيدي افك سجنك او أبقيك فيه الى الأبد .. واقسم بأنك لو زودتها أكثر فإن نور الشمس حتى سأحرمك منه..

بكت بمرارة .. تدفقت دموعها بلاحساب وهي تدرك ان مايقوله صواب..

انتظرت اياماً طويلة علها تتحرر وبلافائدة .. لم تعد تجدي المقاومة .. لم تعد يجدي الصراخ والشتائم فهو يجيدها ويقدر عليها أكثر منها بكثير..

-ماذا تريد مني اذن؟؟

همست متوسلة .. ليفلتها بقرف .. فتسقط أمام قدميه منتحبة :

-سأفعل أي شيء..

نظر لها من علو .. هاهو يجدها تحت قدميه .. متوسلة خاضعة .. كما أراد بالضبط .. فلما لايشعر بالارتياح.. لما لايشعر بالاكتفاء.. لما يشتعل القلب حنقاً .. لما يخنقه احساسه هذا .. لماذا؟؟

رفعت له زمردتيها غارقة بالدموع وهي تتشبث بقماش ملابسه متضرعة:

-أرجوك قحطان .. أرجوك لاتتركني هنا هكذا.. لم أعد أحتمل البقاء مسجونة وحدي.. أرجوك ياابن عمي لاتفعل بي هذا أرجووووك..

ازداد غضبه ولايعرف لما .. كل مايعرفه انه لايريدها هكذا ضعيفة .. تباً ماذا دهاه .. ألم يكن يتقصد اذلالها فقط كي يراها متوسلة هكذا خاضعة بهذا الشكل .. لما لايعجبه هذا الأن ..

-انهضي ..

زفرها بغضب مكتوم .. فهزت رأسها معترضة ودموعها تنهمر بلاتوقف هاتفة:

-ليس قبل أن تقولها .. ليس قبل ان تحررني ..

-قلت انهضي..

صاح بعنف وهو يقبض على معصمها ويرفعها بحركة حادة آلمتها وهو يوقفها على قدميها ويواجه عينيها الباكيتين .. فقبض على كتفيها بقوة وهزها صارخاً:

-توقفي عن البكاء.. أنا لااريد هذا سيادة .. لااريد هذا..

-مالذي تريده اذاً ..؟؟

صاحت بألم ليقف مبهوتاً .. مالذي يريده حقاً؟؟ رات عينيه المرتبكة .. رأت حيرته .. رأت عدم ثقته .. وقررت الخوض حتى العمق فلم يعد يهمها .. اقتربت منه برعونة حتى باتت انفاسهما تتردد بذات الوتيرة وهي تهمس بالقرب من شفتيه:

-اذا خذ ماتريد .. أنا كللي ملكك فقط حررني ..

نظر لها بصدمة .. عينيها الواسعتين الغارقتين بالدموع ارتجاف جسدها الواضح والخوف القابع خلف نظراتها .. هل حقاً وصلت الى هذه المرحلة .. هل وصلت لأن تبيعه جسدها؟؟؟ حتى وان كان أصلاً يملكه .. شعر بالغثيان .. بالاشمئزاز .. أبعدها عنه بحركة حادة وهو يقول بتصلب:

-لن تغريني بهذا الاسلوب.. فأنا لست غراً ولاحيواناً استسلم لغرائزي دون تفكير ياسيادة ..

تجمدت من الصدمة .. والتي تجلت بوضوح في اتساع عينيها وارتجاف جسدها كله وهي تواجهه بشحوب وهو يهمس ببرود:

-انا لاأريد جسدك .. ولامتعة رخيصة قدمتها لسواي على طبق من ذهب.. أنا لااريد استسلامك العقلي ..

لازالت تناظره بشحوب .. وهي تفكر انه حقاً يظنها قد سلمت لعبدالعزيز .. حقاً يعتقدها بهذا السوء..

-أنا اريدك كلك سيـادة ..

أضاف بهدوء .. هدوء تملكه بحق .. وقد عرف الان بالذات .. وهو ينظر لمافعلته بها كلماته .. ينظر لها بعقلانية .. ويتكلم وكأنه يناقش قضية عادية:

-أريدك ..كلك .. قلباً وقالباً .. أريد روحك المتمردة .. أريدها ملكاً ليميني..

أريد اشتعال عينيك وليس هذا الانطفاء.. أريدك متقدة لي أنا وحدي ..

أريدك أن تستسلمي بقوة وليس بضعف .. أريد ترويضك واخضاعك ..

ولكنني أريدك بكامل قواك بعدها .. وليس كما أنت الأن .. مجرد جسد ضعيف من ضعفه يهدد ببيع نفسه للخلاص..

أريد القوة بعد هذا الضعف يابنـة عمي ..

اتسعت عيناها بذهول وهي تستمع اليه .. كان وجهه بارداً وكأنما قد من صخر .. ولولا اشتعال عينيه وهو يتحدث .. وتلك الحرارة التي تلفحها من كلماته لما صدقت انه بشر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!! أيريدها أن تعشقه؟؟؟

-أتريدني عاشقـة؟؟

لم تسيطر على شفتيها وخرجت الكلمات مهزوزة .. متبعثرة في اعصار بثته عيناه بلاهوادة لتشع تلك ببريق النصر وتصرخ هي عازمة :

-في أحلاااااامك قحطاان ..

ابتسم بسخرية .. وقد عادت روحه تمتلئ قوة وهو يرى بريق التمرد يعود ويغزو زمردتيها:

-سنرى ..

-أنا لن اعشقك يابن عمي ولو كنت أخر رجال الأرض..

صاحت بشحوب باكية .. فضحك بصدق .. واقترب منها يهز تماسكها الضعيف هامساً:

-أنا أخر رجال الارض فعلاً بالنسبة اليك .. المسألة مسألة وقت ياابنة عمي.. وحتى ذلك الحين ستظللين هنا .. لاترين سواي .. لاتعرفين غيري..

-انت لن تجبرني على الوقوع في غرامك ياشيخ ..

ارتفعت ذقنه بغرور وهمس لعينيها الصاعقتين:

-ومن تحدث عن الاجبار ياابنة العم.. ستقعين طواعيــة .. وبملئ ارادتك ..

-مغرووووووور ..

هتفت ساخطة ليضحك مطولاً وهو يتراجع:

-في هذه الاثناء أنصحك بالعمل على تحسين مهاراتك التمثيلية .. فأنا لاأصدق بسهولة .. انا أكثر شكاً من ثعلب الصخور ياسيادة..

-أرجووووك ..

هتفت حانقة واضافت وهي ترى التسلية في عينيه:

-أنت أكثر مكراً من كل الثعالب .. أنت مجرد ذئب .. ووغد .. عديم الرحمة..

صرخت بانفعال ليقهقه ..

-لولا أنني بمزاج حسسن والا كنت لاقيتي عقاب شنيعاً على ماتقولينه .. ولكن احذري فأنا لست بهذا المزاج طيلة الوقت.

-اذهب الى الجحيم ..

صرخت بحقد وهي تلتقط احدى الوسائد من على الكنب وترميه بها .. فتلقفها ببساطة زاجراً بتسلط:

-لانزيديها سيادة .. فصبري له حدود يابنة عمـي..

وتحت نظراتها الحارقة غادر بكل هدوء مغلقاً الباب خلفه .. تأملته بشراسة وهو يغادر .. قلبها يحترق لوعة .. عاشقـة ..!! يريدها هذا المغرور عاشقة له ؟؟!!

في احلامه .. اااااه !!

صاحت بقهر وهي تضرب قبضتيها بالأرض بحنق .. وقد توسدتها باحباط .. هذا المغرور .. الوغد .. تباً لك ياقحطاان .. تباً لك ..

أما هو .. فقط عاودته الابتسامة حالما تركها ..

هو هذا مايريد .. يريدها غاضبة .. حانقة .. يريدها مشتعلة .. يريدها كماقال .. عاشقة له .. وسيفعلها مهما كانت ردة فعلها .. سيفعلها

وسيجعلها تتوسل منه الغرام الذي سيذيقها عذابه حتى تكتوي بلااكتفاء..

***

توقفت سيارة الأجرة أمام العنوان الذي حفظه عن ظهر قلب .. وبعد التحقق من شخصيته قاده حارس أمن خصوصي الى حيث مكتب ابن سلطان الشيّب(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) حالما دخل عاوده ذلك الشعور انه بحضرة طاغية ..المكتب الضخم .. الاضائة الخافتة والمفروشات داكنة اللون كلها تعبر عن شخصية رجل قاسٍ لايرحم وهو مااستشفه منه .. رآه يجلس خلف مكتبه وينظر له بغموض ..

-تفضل بالجلوس فراس..

تقدم فراس بهدوء يحاول معه السيطرة على اضطرابه وجلس مقابلاً له يشعر بأنه تلميذ في مواجهة مدير المدرسة بعد اذنابه..!!

-هل عرفت العنوان بسهولة؟؟

-بالطبع .. لاأحد في المدينة يجهل مركزاً تجارياُ مهماً كهذا..

ابتسم سيف ببطئ.. ثم بدأ تقييمه .. كان الجالس أمامه فتى غِر .. رغم عدم كونه صغيراً بالسن الا أنه لايفقه في الحياة شيء.. اعتاد

الحصول على كل شيء على طبق من ذهب.. بل اعتاد ملعقة ذهبية في فمه ..ولذا فقد كان عليه أن يستغل ضعفه الأن .. حتى يحصل على مايريد .. بعد تخطيط طويل بدأ ينفذ خطته حين باتت كل الأمور مواتية ..

-ماذا تريد أن تشرب؟؟

سأله بلطف .. ليعقد فراس حاجبيه ويطلب له كوباً من القهوة

ويفعل سيف المثل .. وبانتظارها قال سيف:

-والأن أخبرني عن طموحك فراس؟؟

توترت نظرات فراس وتململ في مقعده وهو يتسائل الى أين سيقوده هذا الحديث وهل حقاً يهدف ابن الشيّب الى مساندته:

-أنا أريد اصدار البومي الغنائي كما تعلم..

-ممم .. وهل اقتربت من التعاقد مع اي شركة غنائية..؟؟

-لا ..

اعترف فراس بصدق ليبتسم سيف بسخرية لم تخفى على الاخر وابتلعها بصمت:

-هذا من حسن حظي بالتأكيد..

قال سيف يداري سخريته ونهض من مقعده يدور حول فراس :

-تعرف ان مجال شركات الشّيب هنا لايمت بصلة الى العالم الغنائي..

وان اقتحامنا لهذا السوق غير واردة حالياً .. بسبب المنافسة الشرسة الموجودة اصلاً ..

نظر له فراس بحيرة:

-وماذا تريد مني ان كنت لاتنوي اصدار البومي اذا؟؟

ابتسم سيف بهدوء ووقف يواجهه:

-لاتتسرع أنا لم اقل انني لانوي اصدار الألبوم..

-أنا لافهم..

همهم فراس بضيق ففسر سيف بثقة:

-انا لست عضواً في السوق التي تريدها فراس .. ولكنني اعرف الكثير منهم كذلك .. وتربطني معهم علاقات قوية .. واعمال كثيرة .. وأنت .. ستكون احدها..

-كيف؟؟

تسائل عاقداً لحاجبيه ففسر الأخر:

-سأكون مدير اعمالك .. سأتبناك وأرعى كل اعمالك مادياً .. وأقدمك للشركات الكبرى كما نقدم أية منتج لنا .. يحمل شعارنا ..

-أتعني بأن أكون مجرد رمز دعائي لك؟؟

صاح فراس بحنق ليضحك سيف وهو يجلس متضجعاً على كرسي وثير امامه:

-لا بالطبع لم اقصد هذا.. ماأعنيه هو أنك ستقوم بالغناء واقامة الحفلات وأنت تروج لمنتجاتنا .. سترتدي ملابس من صنعي .. وغيرها من الاكسسوارات التي نصنعها .. ولكن بطريقتك ..

تراجع فراس في مقعده مفكراً فبادره سيف:

-لاتفكر كثيراً .. كل من يعمل في الغناء والتمثيل يفعل هذا وخصوصاً في البدايات .. نحن سنكون شركتك الراعية فراس.. فلاتفكر..

-وماذا عن اختيار الاغاني .. والموسيقى..

تسائل فراس بقلق ليشوح سيف بيده وهو يهمس بلامبالاة:

-لاشان لنا بكل هذا.. سنعطيك المال .. والدعم .. وتقدم لنا الدعاية اللازمة .. ماذا قلت؟؟

-سأ.. سأحتاج أن أفكر..

تمتم بتوتر لينهض سيف معلناً انتهاء المقابلة:

-ممتاز .. هذا يعني بأنني سأنتظر منك رداً .. لاتتأخر علي فراس فوقتي ضيق..

نهض فراس هو الأخر لينصرف قبل أن يقول سيف بسرعة:

-لم تشرب قهوتك بعد ..

-لاداع.. سأشربها في وقت لاحق..

تمتم بسرعة وهو يتجه للخارج .. يكاد عقله ينفجر من التفكير..

كل حواسه تطالبه بالموافقة وكل مافي عقله يطلب منه الحذر ..

فسيف ليس سهلاً .. وهو لم يعرض عليه مايعرض الا لغرض في نفسه ..

هل يعقل بأنه يريد الانتقام مماحدث لابن عمه بسبب سيادة ؟؟!!

لا مستحيل .. فابن عمه لايزال في فرنسا يحضر الخطط لايجاد سيادة والاوصول اليها مع امها ايفا .. بالطبع دون اي نجاح .. فسيادة في عمق البدو .. ولن يخاطر أحد لايعرف المكان جيداً بالوصول اليها .. ووالده لايزال على اصراره ..

تنهد وهو يشق طريقه عبر الطرقات المزدحمة للتايمسكوير.. عليه ان يفهم .. ويقرر وبأسرع وقت ..

أما ذاك فقد وقف على نافذته يراقب الشارع المزدحم بتجهم ..

كان ذاك زوجها .. الذي وقف يحدثه بكل هدوء ومدنية كان زوج تلك الحورية الخارجة من الظلام .. كان قربه هنا ولم يقتله ويتخلص منه ..

تباً كم شغلت تفكيره منذ رآها .. منذ سقطت بين ذراعيه وتنشق عبيرها ..

منذ قرأ في عينيها انتماءها له ..

وهنا فقط قرر انها له .. ومهما حدث فسيحصل عليها .. وان كان عليه ان يجاهد الشيطاان نفسه ليفعل هذا .. فسيفعل.. بكل طيبة خاطر ..

وارتسمت الابتسامة الشيطانية على وجهه .. بكل وضوح.

***

جلست تشرب شاياً معطراً بالورود .. شربته هنا لاول مرة وتعلقت بطعمه الغريب حد الجنون .. وكأنها تشرب عبق حديقة ملئى بالزهور والعطور.. ابتسمت لاشعورياً واستسلمت لاحساسها بجمال الطعم والرائحة .. ثم قطع خلوتها ذلك الصوت الحاد لتوقف سيارة امام مدخل الفيلا..

عقدت حاجبيها بقلق فهو ليس موعد عودة عمها من عمله .. كماانها وحدها ولاتعرف احد ولاتتقن استقبال الضيوف اللذي قد يأتون الى هنا .. نهضت من مقعدها مرتبكة تسوي عبائتها المنزلية وطرحتها التي غطت شعرها بانتظار من تفتح له الخادمة الباب ..

وتسمرت بخوف غريزي وهي تنظر للمراة التي دخلت بخيلاء..

كانت تشبه سيادة حقاً .. بشعرها الأحمر وعينيها الزمرديتان ..

راقبتها باصرار للحظات جعل سلمى تخفض عينيها بارتباك وهي

تتذكر مافعلته بها المرأة يوم وصولها وأنها غادرت المنزل ولم تطأه

بقدميها حتى الأن؟؟ ماذا تريد ياترى؟؟

فكرت بارتباك .. لترد على نفسها بحنق:

"انه منزلها ايتها الحمقاء.. ماذا تعتقدين انها تريد؟؟"

ربما ستطردني ..

فكرت بذعر وهي تواجه اقتراب السيدة الفولاذية والتي رشقتها

بالنظرات الحاقدة من رأسها لأخمص قدميها هامسة بغيظ:

-وكنت اتسائل سبب هروب ولدي وعدم عودته .. انظري الى نفسك

..

اتسعت عينا سلمى بألم .. رغم كلماتها الركيكة ولكن المعنى واضح

كالشمس.. تراجعت وكادت تركض مبتعدة بقهر لتمنعا ايفا بحزم:

-توقفي..

تسمرت برعب لتقترب منها حماتها قائلة :

-لاتغادري دون أن أسمح لك بهذا..

واقتربت اكثر تدور حولها قائلة بتسلط:

-لقد تركت بيتي لفترة طويلة .. وحان الوقت لأعود واستلم زمام الأمور .. فلاتظني أنني سأسمح لك بتجاهلي والاستمرار بهذه المهزلة لوقت أطول ..

رفعت لها عينيها بخوف لتهمس :

-انا هنا سيدة المنزل وانت ..

ثم علا وجهها الاشمئزاز:

-مجرد شيء فقد أهميته عند الكل وقريباً سترحلين ..

امتلأت عينا سلمى بالدموع واحتقن وجهها وهي تهمس:

-اريد الرحيل .. انا ايضاً لااريد البقاء.. ارجوك..

ضحكت بسخرية :

-هل تظنينني سأصدق هذه الأعذاار السخيفة .. وهذا الادعاء الكاذب..

وامتلأ وجهها بالسخط والشر وهي تهتف:

-انت وشقيقك دمرتما عائلتي ..خطف ابنتي وحبسها عنده وأخفاها عن الجميع .. وانت تزوجت ابني وتورط بك .. ولكن هيهاات ..

صاحت بعنف وهي تكمل:

-هيهاااات أن أسمح لكما بأكثر من هذا .. انت ستعودين من حيث جئتِ .. وابنتي ستعود حيث تنتمي .. ولن اسمح باستمرار هذه المهزلة أكثر .. أتفهمين ..؟؟

نظرت لها سلمى بقهر .. وألم .. وبكل قوة تبقت لها .. لملمت عبائتها وركضت تستجير بغرفتها .. تسمع من ورائها الهذر الشيطاني للمرأة ولاتهتم .. لاتريد سوى الانفراد بنفسها .. لاتريد سوى البقاء وحيدة حقاً ..

ايفا بقت تناظرها بسخرية قبل أن ترفع هاتفها وتطلب رقماً ما .. وحال سماعها الصوت المتوتر:

-لاتقلق عزيز .. سوف تكون الامور جيدة .. سأبقى هنا حتى أعرف الطريق لابنتي وحينها سنذهب معاً لاسترجاعها .. فلاتقلق..

سمعت كلماته القلقة وابتسمت تطمئنه .. وتطمئن نفسها ..

فهي لم تجني شيئاً من الابتعاد .. سالم أخفى أثر ابنتها وحتى بلاغها في القنصلية لم تستفد منه فأوراق الزواج قانونية .. ورغم ولادة الفتاة في باريس فهي تحمل جنسية يمنية وليس من السهل اختراق القوانين لاعادتها دون اذن زوجها كما تنص قوانين بلاده ..

لهذا كان عليها العودة .. عليها ان تكون قريبة .. مهما كلفها الأمر.

***

مسح قحطان قطرات العرق التي تجمعت على جبينه وقد انتصفت الظهيرة وبات عليهم أن يعودوا للدوار لتناول الطعام والاستراحة ..

كان الجو حاراً في النهار والشمس حارقة .. بينما تتجمد الارض في الليل .. كان شتاء الصحراء متعباً ..ولكنهم اعتادووه ..

كان يتجه مع بعض العمال الى السيارات حين لفت نظره رجل بثياب مدنية يقف ملوحاً له .. فعقد حاجبيه وأسرع نحوه وقد تعرفه ..

-سيد مختار ؟؟ يمرحباً بك..

ابتسم الرجل الاسمر بارتباك:

-اعتذر قدومي دون موعد ولكن كان لدي مهمة قريب من هنا وفضلت المجيئ بسرعة عن الاتصال..

عقد قحطان حاجبيه ومشي معه الى منطقة مظللة معزولة هامساً بقلق:

-هل من اخبار جديدة؟؟

عدل الرجل نظارته وقال:

-بشأن الحادث .. كلا ..

تململ قحطان وهمس:

-مادامت لاأخبار جديدة فلما الاستعجال بالقدوم؟؟

بلل الرجل شفتيه وتلفت حوله بقلق:

-هناك أمر عرفته بالصدفة .. وبصراحة ليس الامر ساراً ابداً..

-ألة علاقة بمقتل محمد اخي؟؟

تسائل قحطان بخشونة فنفى الرجل بحركة من رأسه وهو يهمس:

-كلا .. بل يتعلق الامر بالسيد حسن.

زوى قحطان بين حاجبيه وهتف:

-حسن .. حسن العزب؟؟

-نعم هو ..

اومأ الرجل فسكت قحطان يستحثه على الحديث .. ولم يقصر الرجل .. بل مضى يفضي له بالكثير.. وعينا قحطان تتسعان .. ووجه يحتقن بالغضب .. أكثر وأكثر .. وهو يسمع مايقول الرجل ..

وحال انتهاءه قال بغضب مكبوت:

-هل أنت واثق مماتقول مختار؟؟

-بالطبع ياشيخ .. وهل لو تشك بي كنت جعلتني مسئولاً عن التحقيق بمقتل اخيك رحمه اللّه ..

اومأ قحطان بصمت فعاد الرجل:

-اسمعني ياشيخ مثل هذه الامور تؤخذ بروية .. لاتنسى انه أب لأبناء أختك .. وهو بالنهاية ابن عمك.

نظر قحطان للرجل ببرود ومد يده اليه قائلاً:

-الى اللقاء مختار .. تعرف ماانتظره من اخبار فلاتتأخر .. أما عن موضوع ابن عمي فانسه .. نهائياً .. أتفهم؟؟

اومأ الرجل مرتبكاً .. فنادى قحطان الى احد العمال وصاح به أن يأخذ الرجل ويقدم له الغداء والضيافة قبل ان يعود لطريقه .. وبعد وداع مختصر قاد سيارته بتجهم الى الدوار ..

معقول حسن يفعل هذا؟؟ من كان يتصور(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) حسن ابن عمه هو .. ؟؟ لايكاد يصدق..

زفر بغضب مكتوم وتوجه الى الداخل بعد توقف سيارته رأى أمه فسألها بهدوء يخفي الكثير:

-أين الجوهرة أماه؟؟

نظرت له امه باستغراب:

-في منزلها بني.. هل حدث مكروه؟؟

تجاهل قحطان السؤال واستمر:

-هل ستأتي اليوم الينا؟؟

-نعم ولكن بعد صلاة العصر.. مالذي حدث بني أجبني..؟؟

-لاشيء اماه .. فقط لاتدعيها تخرج دون أن اقابلها وأكلمها .. سأتغدى وأُقيل قليلاً .. سأعود بعد الصلاة واحدثها باذن اللّه فلاتدعيها تخرج.

-حاضر

اومأت امه باستسلام وهي تعرف النظرة الجهنمية التي تلوح في عينيه وتدرك انه ليس بمزاج حسن وانها لن تنال منه سوى باطل

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

في حين واصل هو طريقه الى جناحه .. كان يحاول السيطرة على افكاره التي تأخذه وتعيده في نقاط متواليه بالارحمة .. لايريد ظلمه ولايريد ظلم أحد .. ولكن لو كان الامر صحيحاً .. فستكون هي ابواب الجحيم وستفتح .. زفر بضيق وهو يدخل الى جناحه .. كانت سيادة قد رصت اطباق الطعام (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كالعادة بعض الارز المحروق والدجاج المسلوق .. عض شفتيه بالاصبر

وهو يشعر ببطنه تصرخ اعتراضاً على الجوع الذي يشعر به .. وقرر أن يذهب الى جده ويتغدى معه .. ويتركها هي لأرزها المحروق..

-سيـادة ..

صاح بحنق ..ولكنها لم تجبه فزفر مرة أخرى وصاح مجدداً ولم تجبه كذلك ..

نزع كشيدته بعنف وأتبعها بحذائه الملوث بالطين ومضى الى غرفة النوم .. كانت شبه مستلقية على الوسائد فقترب يصرخ:

-ألاتسمعينني؟؟

رفرفت بعينيها ببطئ ونظرت اليه .. كانت شاحبة .. وعينيها ذابلتين ولكن غضبه اعماه عن كل هذا وهو يصرخ بها:

-هل اصبت بالصمم؟؟ لما لاتردين علي..

-انا مريضة ..

همست بألم .. فلم يهتم.. غضبه الشرس اعماه .. امسكها من ذراعها يوقفها وهو يصرخ بها:

-حين اكلمك ردي علي الا تفهمين..

-لا قحطاان لا ..

صرخت بضعف .. فمع حركته القاسية والمفاجئة عاودها الغثيان والدوار .. عاودها بشكل اقوى .. وأكثر حدة .. لتجد نفسها تتهالك بين ذراعيه وتفقد احساسها بكل من حولها بسرعة خاطفة ..

في حين تسمر قحطان وهو ينظر لجسدها المسجى ارضاً..

-سيادة ..

ناداها بحدة .. ولكنها لم تجبه .. انحنى نحوها ونظرة واحدة لوجهها لاذي حاكى شحوب الموتى عرف انها فعلاً فاقدة للوعي .. فاسرع يحملها بين يديه ويضعها على الفراش (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)ويخبط وجنتيها بحنو قلق:

-سيادة .. سيادة أفيقي..

ولكنها لم تفق كانت تشحب اكثر .. مماأثار خوفه .. ولأول مرة في حياته .. أمسك كفيها فكانت باردة كالثلج .. في حين تصبب منها عرق غزير .. نهض بسرعة وغادر الغرفة ينادي أمه .. !!

بعد دقائق طويلة بدت كدهر ..

كان يقف بجوار باب الغرفة بانتظار خروج امه مع الممرضة التي استدعوها من القرية بأسرع وقت .. كان جده الى جواره وقد اصر على البقاء معه حتى الاطمئنان على سيادة ..

وكان الانتظار يقتله .. فهو لم يعتد قط انتظار أحد .. وهذا القلق الذي ينهشه وذكرى شحوبها يمزقه .. بطريقه لم يعهدها ابداً .. تأفف ليستغفر بعدها بصوت مسموع ويصيح بانزعاج:

-مالذي يؤخرهم هكذا .؟..

-تمالك نفسك بني ..

همس جده بروية ليستغفر قحطان من جديد وهو يزرع عينيه بالباب المغلق .. ولولا وجود المرأة الغريبة لكان اقتحم المكان عليهم .. وكأنما استجاب اللّه لدعوته الباطنة وانفتح بسرعة لتظهر امه وقد تشقق وجهها بالسعادة ترافق المرأة التي تبتسم بثقة هاتفة:

-مبارك ياشيخ .. جعله من مواليد السعادة باذن اللّه ..

نظر لها قحطان ببلاهة تجلت في عينيه .. وسمع توالي الزغاريد من داخل الغرفة المغلقة .. وسمع ابتهالات جده بسعادة .. وهو يقف كالحمقى يناظرهم ..!!

مالذي يوقولونه ..؟؟

عادت امه بعد ثوانٍ .. تطلق زغاريد الفرح .. الذي يشع من عينيها وهي تهتف:

-مبارك بني .. مبارك ياشيخ العزب ..

مباارك ..؟؟

-ما.؟؟ مالذي تقولينه امي؟؟

همس بشحوب وهو ينظر لأمه التي ضحكت بسرور:

-مالذي لم تفهمه بني .. انت ستصبح اباً .. سيادة حامل قحطاان .. انها حاامل بني.

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

حاامل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟؟

حاامل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اتسعت عيناه بذهول صرف .. والاصوات كلها حوله تختفي .. والمناظر كلها تختفي .. ويحتل السواد عالمه .. ويسيطر عليه بالكامل ..

زوجته حاامل؟؟

زوجته التي لم يمسها قط .. حاامل ؟؟!!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

نهاية الفصل قرااءة ممتعة :*

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الحادي عشر

***

سيقتلني الشوق يوماً .. لدنيا لاتمت لوجودك بصلة ..!!

***

ستمطر..

نظر للخارج بوجوم .. كانت السماء مظلمة .. وغيوم رمادية تتجمع على رؤوس الجبال الشاهقة .. التمع ضوء مفاجئ ورعدت السماء بقوة .. تنهد وهو يفكر أن الأرض بحاجة للمطر.. عقد حاجبيه ونظر لساعته بتوتر.. تأخروا بالداخل .. وهو ليس في مزاج يتحمل ألأنتظار ولوعته ..

زم شفتيه بغضب .. ولم اللوعة ؟! انه فقط قلق .. فهي بعد كل شيء .. زوجته .. ومسؤولة منه ومنظرها الشاحب كاد يطير بصوابه ..

زفر بتوتر ونظر لجده الجالس بلاحراك ينظر لأصابع يديه المستغفرة ..

-مالذي يؤخرهم هكذا .؟..

-تمالك نفسك بني ..

همس جده بروية ليستغفر قحطان من جديد وهو يزرع عينيه بالباب المغلق .. ولولا وجود المرأة الغريبة لكان اقتحم المكان عليهم .. وكأنما استجاب اللّه لدعوته الباطنة وانفتح بسرعة لتظهر امه وقد تشقق وجهها بالسعادة ترافق المرأة التي تبتسم بثقة هاتفة:

-مبارك ياشيخ .. جعله من مواليد السعادة باذن اللّه ..

نظر لها قحطان ببلاهة تجلت في عينيه .. وسمع توالي الزغاريد من داخل الغرفة المغلقة .. وسمع ابتهالات جده بسعادة .. وهو يقف كالحمقى يناظرهم ..!!

مالذي يوقولونه ..؟؟

عادت امه بعد ثوانٍ .. تطلق زغاريد الفرح .. الذي يشع من عينيها وهي تهتف:

-مبارك بني .. مبارك ياشيخ العزب ..

مباارك ..؟؟

-ما.؟؟ مالذي تقولينه امي؟؟

همس بشحوب وهو ينظر لأمه التي ضحكت بسرور:

-مالذي لم تفهمه بني .. انت ستصبح اباً .. سيادة حامل قحطاان .. انها حاامل بني.

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

حاامل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟؟

حاامل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اتسعت عيناه بذهول صرف .. والاصوات كلها حوله تختفي .. والمناظر كلها تختفي .. ويحتل السواد عالمه .. ويسيطر عليه بالكامل ..

زوجته حاامل؟؟

زوجته التي لم يمسها قط .. حاامل ؟؟!!!

تبدلت نظرة الذهول في عينيه .. تبدلت لتعود له صفعات من الماضي القريب .. صفعات استهدفت رجولته بكل وقاحة .. المرأة الخاطئة التي اتخذها زوجة ..الفضيحة التي اراد سترها .. عمه الذي حمله سترعرض ابنة خاطئة .. وقحة ..

وفوق هذا وذاك .. هي ..

هي بين ذراعيه تناجي عشيقها .. تناجيه بعد أن لعب الشيطان لعبته به هو وانساق الى رغبته فيها ..

كانت حامل؟؟!!

تحمل طفلاً لايمت له بصلة .. ابن ال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لايعرف حتى كيف وقف امام والدته بلاحراك .. وهي تضمه وتعلن له بكل فخر فرحتها !!

لم يعرف كيف احتمل أن ينهض جده ويضحك في وجهه ويقبل رأسه معلناً فرحته اللتي لاتقدر بحفيده الجديد .. وليس اي حفيد..

كان ابن شيخ العزب .. ابن الشيخ قحطان بنفسه ..

حينها فقط شعر بالغثيان .. شعر برغبته ان يتقيأ كل مافي جوفه ..

شعر بحرقة تهيج بداخله .. تشتعل وتشتعل .. شعر برغبته بالصراخ .. بالغضب المهول .. شعر برغبته بتحطيم كل ماحوله .. تمزيق من أمامه ..

رأى امه تهمس شيء لجده بخفوت فيضحك العجوز ويتخذ طريقه للخارج هاتفاً:

-اذهبي ياامرأة واعدي غذاءاً متيناً لسيادة .. لا لا ..

توقف ونظر له بحماس وعيناه تتقرقران بالدموع:

-لِ أم محمد .. اليس كذلك بني.. ؟؟

نظر له قحطان بخواء..

خواء لايحمل أية مشاعر وهو يسمع امه التي اجهشت بالبكاء وهي تقول بضراعة:

-نعم قحطان .. انه محمد .. وهو لي بني .. لاأحد له شأن به سواي أتفهم .. منذ الأن .. ابنك محمد هو لي وبعدها انت وزوجتك بامكانكما ان تحظيا بدزينة غيره .. ولكنني اريد محمد بني ..

اكملت عبارتها بالدموع وهي تجلس وكأنما اجهدها البقاء واقفة ..

لينظرلها قحطان بصدمة .. مالذي تقوله .. ؟؟

كيف .. تظن لوهلة انه قد يبقي طفل الحرام ذاك في بيته .. يحمل اسم اخيه .. واسم اجداده ..

هاجت الحرارة بداخله أقوى وأقوى .. شعر بالنار تهب لتشتعل وتريد ان تغادر جسده المحترق بأي طريقة ..

-اتركينا الان امي..

همس بصوت لايعرف من اين جاء به .. صوت لايمت له بصلة .. حتى امه نظرت له بغرابة .. ورؤية وجهه الأسود .. أقنعتها ان تنهض وتتبع الشيخ في خروجه الهادئ..

أما هو .. فقد وقف للحظات طويلة .. ينظر للباب الذي يفصله عن الخاطئة .. عن تلك الزوجة ال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

اغمض عينيه للحظات طويلة .. فقط يريد استعادة أنفاسه ..

يعرف عنه الهدوء والبرود ..

ولكن حتى جبل الجليد .. ينفجر وتشتعل به النار ان ثار في جوفه بركان ..

والذي كان في جوفه ليس مجرد بركان؟؟ لا .. كان جحيماً .. جحيماً أسود ..جهنم استعرت وظهرت بشفافية خلف جدار عينيه السوداء .. كان أشبه برجل مهمته كانت القتل .. أو اسوأ ..

اقتحم الغرفة لامبالٍ بما تظنه .. رآها تعتدل على الفراش ونظرة هلعة تشع من عينيها المجهدتين .. وكيف لايكون الهلع هو ماتشعر به وهي ترى تفجر الاجرام من عينيه.. منذ سمعت تلك الزغاريد بالخارج وتلك المرأة المتخلفة تبارك لها بحملها بعد أن سألتها بضعة أسئلة خاصة ومحرجة كذبت بمعظمهما واحتقن وجهها للبعض الاخر .. لتعلن بكل صفاقة للجميع انها حامل؟؟!!

نظرت لها بذهول .. وكادت تشهق ضاحكة بجنون وهي تفكر.. هل جنت المرأة؟؟؟؟

همست لها بخشونة:

-أنا لست حاملاً ..

ولكنها نظرت بادراك وهمست :

-لاتخجلي بنيتي .. كل شيء يدل على حملك ..

استندت على الفراش بكلتا يديها وهتفت بعناد:

-قلت لك انني لست حاملاً .. هل ستعرفين أفضل مني؟؟

رفعت المرأة حاجبيها وقالت:

-متى كانت أخر مرة تأتيك دورتك الشهرية؟؟

احتقن وجه سيادة وصاحت بحنق:

-لاشأن لك .. وأخبرتك لست حاملاً .. مستحيل ان أكون حاملاً..

اقتربت حماتها منها وقد ضاقت عينيها هاتفة :

-ولما مستحيل .. انت متزوجة منذ أكثر من شهر..

تأففت سيادة وفكرت .. ماذا تقول لهن؟؟ كيف تبرر ثقتها من عدم حملها وهي تفكر بمافعله زوجها المصون ليلة زفافها .. أتقول انه لم

يمسها وان كل تلك الدراما كانت مجرد تمثيل .. اه كم سيسعدها رؤية وجه حماتها وهي تقول لها هذا .. ولكن ..

العواقب كانت مخيفة .. معرفتهم اجمعين بأنه لم يقترب منها ولم يمسها؟؟ ماذا سيفكرون؟؟

اعترى وجهها الخوف وعقلها ينطلق في شتى الاتجاهات .. تفكر وتفكر ..

-ربما ..

همست باستعجال.. ونظرت لوجه حماتها تتصنع البراءة وجهها أحمر من الخجل:

-لااعرف ..

ضحكت المرأة وقالت بثقة:

-انا أعرف .. مبروك ياام الشيخ .. مبارك لكم ..

اتسعت عينا سيادة بذهول وهي تعي مافعلت لتوها .. رأت فرحة هدية وسمعت تلك الزغاريد تنطلق والمرأتان تنطلقا للخارج للبشارة وهي متسمرة في مكانها ..

رباه ماذا فعلت؟؟

كانت تعرف انها ارتكبت كارثة ولكنها لاتدرك حجمها بعد .. ولكنها أدركته الان وهي تنظر اليه .. الى مارد الجحيم وهو يتقدم نحوها يكاد الدخان الأسود يتصاعد من عينيه ورأسه ..

سارعت بالوقوف على قدميها صارخة بدفاع:

-توقف .. توقف.. اسمعني قبل أن تستخدم يديك ..

نظر لها بجنون .. بحرقة .. تقف .. تقف امامه ولها الجرأة لتبرر .. وتشرح ..

لم يسمع .. لم يرغب أن يسمع .. وسرعان ماسمع صرختها المتألمة وهو يقبض على شعرها بيده بقسوة ويقربها منه هامساً بجنون:

-سأقتلك .. سأقتلك وأدفن معك ابن ذلك(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-اصمت ..

صرخت بهستيريا وهي تتخلص من قبضته المؤلمة لتواجهه بعنفوان .. كانت تواجهه .. مرة اخرى سيادة العزب كانت تقف امامه بكل شموخها وقوتها ..

ماردان يقفان على النقيض .. وأمامهما حفرة استعرت بالنيران ..

-لاأسمح لك .. لاأسمح لك أن تتهمني هكذا..

نظر لها بسوداوية .. بنظرة لايعقل الا أن ترمها محترقة:

-اسمعني جيداً يابن عمـي.. ماقالته تلك المرأة ليس صحيحاً .. وأنا لم اوافقها عليه الا لتتركني وشأني..

عقد حاجبيه بتوتر وصوتها يخترق الحجاب الناري عن عقله وهي تواصل بيأس:

-الجميع يظن زواجنا حقيقياً .. لم أملك الجرأة لأن أعترض على ماقالته ليس وأنا لاأملك ان اقول اننا لم ..

وقطعت جملتها بحرج وهي تنظر لوجهه المكفهر ..ثم واصلت بخفوت:

-انا.. انا لست حاملاً وكيف اكون باللّه عليك..

اضافت قسمها بيأس.. جعله ينتفض وهو يراها تواجهه بكل عنفوان وقوة:

-وماقالته .. المرضة؟؟

تسائل بشحوب.. لتهتف يائسة:

-انها لاتفقه اي شيء مجرد حمقاء..

نظر لها بشك .. جعل قلبها ينقبض بقسوة وكادت تبكي بقهر .. هي .. سيادة العزب تقف لتدافع عن شرفها وعفتها للمرة الألف أمام هذا

الرجل؟؟ ماذا يجب أن افعل .. فكرت بألم؟؟ كيف تثبت له انها صادقة وانها لم تمس؟؟

-انا لست حاملاً ياقحطان ..

رفعت عينيها اليه وواجهت نظرته المكفهرة بألم وهمست:

-للمرة المليون لم يمسني رجل من قبل ولست مستعدة لأن أدافع أكثر..

همست بألم ..ثم اضافت:

-خذني لاجراء فحص طبي ان اردت .. ولكن لاتنظر لي هكذا..

همست بخفوت مخنوق .. تراه ينظر اليها كحشرة .. كشيء قذر لايسوى .. وصرخت بمرارة:

-أنا لست هكذا لما لاتصدقني..

اقترب منها بسرعة جعلتها تشهق مذعورة وهو يقبض على فكها بقسوة:

-اصدقــك ؟!!! وكيف اصدقك وأنت لاتخرجين من فمك هذا سوى الأكاذيب؟؟ كيف اصدقك وقد فضحك والدك .. كيف اصدق كذبك وماتزوجتك الا لستر تلك الفضيحة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟

نظرت له بشراسة:

-لقد سئمت تبرير نفسي والدفاع عني امامك .. انت لاتريد ان تصدقني ولم اعد اريدك ان تفعل ..

شعت عيناه بسخرية مجنونة وهو يهمس مقترباً منها بحنق:

-والدليل مناجات عشي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

واختنقت الكلمة في صدره وعيناه تشتعلان بغيرة مجنونة جعلتها تتراجع بجزع رغم احكامه القبض على فكها وهو يواصل بصوت هادر:

-لاتحاولي الدفاع عن نفسك فقضيتك خاسرة .. ولن تنجحي بخداعي ابداً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

حاولت الفكاك منه وهي تهتف:

-قلت لك قم بماتريد .. سأقوم بالفحوصات اللازمة لأثبت لك ان تلك المرأة مجنونة وخطر على من حولها..

سيطر على ذراعيها بسهولة لتشهق وهو يقربها من صدره بحزم هاتفاً:

-علي اللعنة لو لم افعل .. سأخذك في الصباح لعدن لاجراء الفحوص اللازمة .. واذا ثبت ..

قاطعته بجنون:

-لن يثبت شيء.. سوى غباء تلك المرأة المطلق.. أتسمعني..

أفلتها بحدة وتراجع عنها ..لتتشبث بالجدار خلفها وقد عاودها الدوار والغثيان بصورة أكبر..كانت مريضة ومرهقة .. تريد الراحة ولاشيء سواها .. اغمضت عينيها تريد ان تنجو من تلك الدوامة التي تعيش بها.. تحسست طريقها للفراش وارتمت عليه هامده وهي تهمس بألم:

-انا متعبة ..

نظر لها بتوتر .. يكاد يقتلها .. وتتنازعه شفقة وهو يراها مرمية على الفراش بذاك الشكل الذي جعل قلبه يلتوي بطريقة غريبة حتى عنه هو شخصياَ.. تقدم دون تفكير .. رفع ساقيها الى الفراش برفق .. عدل الوسائد تحت رأسها لتواجهه عينيها الذاهلتين ..

-شكراً لك..

همست مخنوقة ليتراجع .. خرج كلياً من الغرفة واغلق الباب خلفه وهو يدعك وجهه بقوة .. منذ متى الضعف ياشيخ؟؟!! فكر بسخرية .. منذ متى ؟؟.. منذ تعرف اليها.. منذ دخلت حياته كإعصار وبعثرت أجندته ومزقت تفاصيله قبلها ..

جلس بفتور ينظر للفراغ امامه .. لما يشعر بالهدوء الأن .. وكأنه عرف حقيقة ذلك الحمل من عينيها.. كانت صادقة ؟! فكر بدهشة.. كانت صادقة وهو أدرك ذلك حالما نظر اليها.. تأفف بضيق واستند برأسه الى ذراعيه ,., لو كانت صادقة في دفاعها هذا فهل هي صادقة بكل شيء سواه ؟!!!

اعتدل بحنق وهو يفكر .. لا .. انها مجرد ممثلة .. تجيد اكتساب الجمهور حين تريد.. ربما .. ربما هي مريضة فعلاً؟!!!

طرقات متتالية على الباب أخرجته من شروده .. فتحه ليجد والدته تحمل صينية ضخمة عليها اطباق عديدة وهي تهمس:

-أحضرت لك العشاء.. لقد لاحظت سفرة طعامك الغريبة ..

قالتها بمرح غريب عليها وهو يتلقف منها الصينية ويضعها على الطاولة بجواره متنشقاً رائحتها الشهية .. وهو يكتشف جوعه القوي :

-شكراً لك أماه ..

قالها وهو يقبل رأسها بحنو لتبتسم بفرح وهي تربت على كتفه:

-بارك فيك ياولدي .. انا لاأستطيع ان أصدق ..

رأى الدموع تتألق في عينيها فعبس بتوتر وهمس:

-امي لاتتأملي كثيراً ..

نظرت له بقلق فتنهد مضيفاً بحزم:

-قد تكون المرضة مخطئة .. لاأعتقد ان سيادة حامل..

نظرت له أمه بصدمة قبل ان تهمس:

-ماذا قلت؟؟ ولكن.. ولكن لماذا؟؟

احاط كتفيها بذراعه وهمس رفيقاً بها:

-انا لااقول بأني متأكد .. ولكنه احتمال امي ولذا أريدك ان تكوني متوقعة لهذا.. غداً سآخذها للمدينة لاجراء الفحوصات اللازمة .. وسنتأكد..

-نعم بالطبع ولكنني واثقة من حملها..

همست أمه بثقة لينظر لها مشفقاً وهو يومئ برأسه بصمت لتسأله:

-لاتنسى ان تطعمها جيداً بني.. يجب أن تأكل لقد أصبحت الفتاة مجرد خيال لم اصدق حين رأيتها.

نظر لها بحدة وهو يرافقها للخارج ..

اغلق الباب واستند عليه..أصبحت حقاً كالخيال.. مجرد امراة شاحبة وقد اختفى كل ذلك السحر والبهاء..اختفى كأن لم يكن..

تنهد وتقدم الى الغرفة حيث كانت قد اخفضت النور وبدا وكأنها تغط في نومها .. همس باسمها .. وللحظات لم ترد..

ولكنه شعر بحركة خفيفة تحت الأغطية فهمس بتوتر:

-تعالي لنأكل..

صمتت للحظات قبل أن تهمس:

-لاأشعر بالجوع..

قبض اصابعه بقوة لصوتها المخنوق وعرف انها كانت تبكي..

اقترب منها وقبض على كتفها بقوة وهو يقول:

-انهضي وتناولي الطعام .. جائت به امي وسيعجبك..

مسحت دموعها بقوة وهي تشعر بالحرارة تجتاحها للمسة يده عليها وهتفت :

-لا اريــد ..

-سيادة انهض والا أجبرتك ..

صاح بعصبية لتتكور على نفسها بقوة وهي تبكي بعنف .. !! هزه بكاءها .. للعمق ..

جلس يجاورها على الفراش وهو يهمس لها:

-توقفي عن هذه الدموع .. لما تبكين الأن؟!

-لأنني متعبة ..

همست .. تغالب دموعها التي استرسلت على وجنتيها دون توقف منذ سمعت صوته .. ولاتعرف السبب والأن بقربه هذا .. تجتاحها حرارة .. وتشوش يغرق فكرها ولاتعرف السبب .. سمعته يتنهد وبكل قوة .. وحنان فائق يديرها لتواجه عينيه الغارقتين في الظلام:

-أعرف بأنك متعبة ياسيادة .. ولكن يجب ان تأكلي.. والطعام شهي للغاية .. وهو ساخن ..

همس يغريها لتتوقف دموعها تلقائياً وهي تنظر لوجهه .. وتتوه في تفاصيل رجولته الخشنة التي سببت تعثر دقات قلبها وهو يقبض على كتفيها بقوة ويجبرها تقريباً على الجلوس ومواجهته ..نظر لوجهها المبلل بالدموع ودون ان يقاوم بأطراف اصابعه مسح بقايا الدموع وهو يرى نظرتها الذاهلة هامساً:

-سأستحم وأغير ملابسي .. وأريدك ان تشاركيني العشاء.. انها وصية امي..

ضاقت عينيها بشك تهمس:

-ألم تضع لي سماً أو ماشابه..

اتسعت عيناه بدهشة للحظة قبل أن يقهقه عالياً .. لتتسمر هي متفرسة في ملامح وجهه التي شعت برحابة وبدت مغايرة لمايبدو عليه من قسوة وظلام حين يغضب ..

-لاتقلقي سآكل من كل طبق قبل أن تفعلي أنت .. والأن هيا..

نهض يرفعها معه .. كدمية تناظره بذهول ولاتقوى على مواجهة الرجل الغريب الذي كاد قبل لحظات أن يقتلها .. قادها للطاولة مستندة اليه .. قبل أن يتراجع الى الحمام ..

تأملت الطعام .. وفكرت.. أي رجل هو هذا؟! تشوش ذهنها بقوة ولم تعد تستطيع الفهم؟! يربكها حتى العظم!! تصاعدت لها رائحة الطعام الشهية لتصرخ معدتها باعتراض على حرمانها من الطعام لوقت طويل .. فتأوهت وهي تبدأ بتناول الخبز الساخن .. بلهفة جائعة .. وتتجرع من الشاي الدافئ..

حين خرج من حمامه وضع عليه بيجامته واحاط عنقه بمنشفة صغيرة يجفف بها شعره .. وتوقف بابتسامة ينظر لها .. كانت تأكل .. وبشهية لم يرها فيها من قبل.. مست شغاف قلبه .. رغم انكاره وهزه لكتفيه بحنق وهو يقترب متنحنحاً مما سبب اجفالها وتوقفها وهي تنظر له ..

جلس قبالتها وقال بسخرية:

-هل أبقيتي لي شيئاً؟؟

احمرت بخجل وتراجعت في مقعدها ليسارع بالقبض على معصمها

هامساً بقوة:

-كنت امزح ياسيـادة ..

خفضت عينيها ليبتسم رغماً عنه ..

تباً لها .. فكر بحيرة .. تقلبه من وضع لآخر .. لايكاد يرسى معها على

بر ابداً ..

وهي بالمثل .. تشعر بالاختناق لتواجده قربها .. ولكنها لم تكن غاضبة

او متألمة .. بالعكس.. نظرته الثاقبة تلك عليها تثير فيها دفئاً

لايوصف.. دفئ غريب يشع من عينيه ويحيطها كلياً .. رغم قسوته

فهو لم يقدر على ان يراها متعبة .. متألمة .. لقد مسح دموعها بحق

اللّه..

فكرت بخجل ..

-أنا أصدقك..

همس بتوتر وهو يبتلع مافي فمه من طعام لتنظر له بدهشة ..

فأضاف بنبرة هادئة تخفي مابداخله:

-أنا أصدق ماقلته بشأن الحمل..

شعت عينيها بأمل ليضيف:

-ولكننا سنجري الفحوصات كاملة .. حتى نعرف سبب اغمائك وارهاقك المتواصل في الايام الأخيرة.

نظرت له باندهاش للحظات .. رأت تقطيبة حاجبيه وصرامة فكه .. ثم ابتسمت بتلقائية.. لم يعهدها في عينيها قط .. ليبتسم مخفياً ابتسامته في كوب شاي .. فقط للغد .. فكرت بمرارة.. تريد الاحتفاظ بهذا السلام فقط للغد..

***

-نادين .. !! الى اين أنت ذاهبة؟؟

ابتعدت نادين عن المرآة تنظر لزينة وجهها المتقنة وجمالها الناعم هامسة:

-سأذهب لزيارة صديقة؟؟

ضحكت خالتها:

-في هذه الساعة؟؟

ابتسمت نادين بخفة واكملت ارتداء عبائتها وطرحتها ونقابها وهي تخرج لتقابلها أمها هاتفة بحنق:

-ألن تذهبي للموعد الذي حددته لك؟؟

ارتسم البرود في عينيها وهمست:

-لا أمي .. لن أذهب وقد أخبرتك بهذا قبلاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

حركت امها رأسها بنفاذ صبر وبدأت بالصراخ لتتجاهلها نادين وتنهي ارتداء حذائها دو الكعب العالي.. وبحركة من كفها ودعت المرأتين للخارج ..

تعرف انه الليلة هناك في المشفى .. وهي لن تفوت الفرصة لتراه .. لقد اشتاقت اليه .. لأيام طويلة مرت لم تره واكتفت بسماع صوته الرزين والذي أصبح يذيب أوصالها على الهاتف فقط .. تنهدت وهي تغادر المنزل بخطوات مسرعة .. ستأخذ سيارة أجرة وتعود بواحدة ولذا فهي لن تتأخر كثيراً ..كان الشارع ساكناً وقد تجاوزت الساعة الثامنة مساءاً..

وقفت على حافة الطريق تنتظر مرور السيارات حين شعرت بتلك الحركة الغريبة خلفها ..

التفتت بسرعة لتتسع عينيها برعب وتتراجع وهي ترى الرجل التي هربت منه لأسابيع يقف مواجهاً لها بشراسة .. ارادت أن تصرخ .. ان تركض عائدة للبيت حيث خرجت ولكنه كان أسرع منها ..

أحاطت ذراعه بوسطها بقوة وامتدت الأخرى تحيط بفمها تمنع عنها الصراخ والاستجداء .. في حين رفعها عن الارض وتراجع بها للخلف مستغلاً خلو الشارع من المارة ..

لم تصدق .. حاولت الافلات منه .. حاولت التراجع والهرب ولكنها لم تقدر .. كان أقوى وأكثر شراسة .. حاولت الهروب ولكنها لم تجني سوى ازدياد القسوة في قبضته وتلك الحشرجة المكتومة من صوته وهو يأمرها بالصمت والا كسر عنقها ..!!

تملكها الهلع .. امتدت يديها ورجليها ترفسانه بلا توقف تحاولان الوصول الى شيء تتمسك به حتى لايجرها معه ولكن هيهات ..

الرجل كان قوياً .. وبعنف رمى بها الى سيارة فان متوقفة قريباً منها .. ليرتطم رأسها بالمقعد بالجهة المقابلة ويهاجمها الدوار.. لقوة الضربة قبل أن تشعر بثقل جسمه عليها وهو ينتزع عنها نقابها بعنف لتشهق بألم وهو يقبض على فكها بأصابعه بعنف ويهمس لها بصوت خافت به فحيح:

-أخيراً التقينا مجدداً أيتها الجميلة..

اتسعت عينيها بذعر وحاولت التخلص من ثقله عنها متخبطة تحت ثقله لتكتشف برعب انها مثبتة بلاحول ولاقوة لتشع عينيها بالشراسة تنافس الهلع وتصيح:

-اتركني ايها الوغد .. دعنيييييي..

شعرت بالصفعة الأولى تنزل على صفحة وجهها بقسوة لتسكتها من غير شهقة الم غادرتها وهي تسمعه يصيح بخفوت:

-اصمتي.. اصمتي والا قتلتك في الحال ..

حينها شعرت بنصل السكين يلامس عنقها لتشهق بوجع وهو يضع كفه الكبيرة على فمها ويضغط بقوة مجبراً اياها على الصميت وهو يقترب بوجهه منها لتلامسها انفاسه الوضيعة المقززة :

-ستصمتين نهائياً يانادين .. لقد انتظرت هذه اللحظة طويلاً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وضحك مثيراً اشمئزازها ويده تجول بحرية على عنقها ومقدمة صدرها لتهمس باستجداء:

-اتركني.. ارجوك ..

اقترب بوجهه منها هامساً:

-لاتطلبي مني هذا ابداً .. لقد صبرت طويلاً وحان وقتنا معاً..

شعرت بالغثيان يصيبها وهو يلامسها لتشهق حين شعرت به يرفع عبائتها عنها بسرعة لتحرك ساقيها بعنف وهي تحاول التخلص منه الا انه شدد ضغط السكين على عنقها حتى كادت تقطع لحمها الطري وهي تصرخ متألمة ..ليصيح بها:

-توقفي عن المقاومة ..

-دعني ايها المجنووووووون ..

صاحت برعب حقيقي ليهتف بعنف:

-توقفي نادين .. لن تحرميني ماكنت ستقدمينه للتو لغيري..

-ايها الحقير السافل..

صاحت بألم ليضحك وهو يقترب منها هامساً:

-ألسنا كلنا كذلك ..

فكرت بجنون انها لن تستطيع مقاومته .. كان اضخم منها بكثير.. والصمت حولها يدل على عدم وجود أحد حولها قد ينقذها .. حاولت التفكير بطريقة تخلصها مما هي فيه .. لتبزغ في عقلها فكرة سريعة فصاحت بقهر:

-على الاقل موعدي كان يعدني بعشاء فخم وغرفة لائقة وليس مكان قذر كسيارة قديمة متهالكة على مرمى البصر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نظر لها بتوتر وهمس:

-وهل ستأتين معي ..؟؟

تحملت نظرته الجشعة وهمست:

-انت أو غيرك .. سواء عندي .. فكر بانها ليلة كاملة .. وبكامل رضاي..

التهبت عيناه برغبة عارمة لما تعده به .. جعلتها تشعر بالغثيان .. وهو يسألها:

-الن تهربي مني؟؟

أشاحت عنه بنظرها وهمست بمرارة:

-الى اين؟؟ فهاقد وجدتني..الى أين قد اهرب بعد؟؟

شعرت بضغطه حينها يخف.. لتأخذ نفساً مكتوماً .. وهي تشعر به ينهض من عليها مهدداً:

-اذا مافكرت بالهرب..

وترك تهديده معلقاً لتبتلع ريقها بصعوبة وهي تشعر بالألم في كامل جسدها ووجهها .. اعتدلت في المقعد وهو يتراجع هامساً:

-لاتتحركي .. أتفهمين .. اومأت بتعب وهي تحاول تغطية شعرها الذي انفلت عقاله .. وهي ترى نظرت الجشعة عليها بتوجس.. تراجع ليخرج من الباب وهي تراقبه بحذر وماان اصبح جسده في الخارج حتى تمالكت نفسها وصرخت وهي تدفع جسدها نحوه بقوة ليرتطم بجسده ويسقط معه للأرض ..

سمعت سبابه القذر وشعرت بالألم في جسدها بالكامل وهو يرتطم بالأرض الصلبة .. ولكنها لم تتوقف ابداً لتفكر .. سمعت ارتطامه هو .. وصرخته المرعبة لتجزم انه تاذى وبعنف ..

ولكنها لم تتوقف .. بل نهضت بقوة استحوذتها للفرار منه وركضت .. ركضت ماان لامست اقدامها الأرض.. عينيها متسعتان بذعر .. وهي تسابق الريح لتهرب ..لم تصعد الى بيت خالتها .. لاتريد أن تجازف وتصعد الى هناك .. ركضت وركضت .. وصلت الى شارع عام لاتزال الحياة تدب في اوصاله ورأت نظرات الناس اليها .. الى منظرها المشعث .. الى نظرة الذعر في عينيها .. شعرت بذراع تحيطها فصرخت مذعورة لتجدها امرأة تنظر لها بحنان هامسة:

-بنيتي هل انت بخير؟؟

نظرت لها متسعة العينين لتصيح المرأة مشيرة الى عنقها:

-يالهي أنت تنزفين ؟؟

وبلحظات تجمع الناس حولها .. وبدفعة رقيقة من المرأة كانت تجاورها في سيارة ما .. كانت ترتجف بقوة تنظر للمرأة بذهول ..والمرأة تهدئ من روعها .. وتطمئنها بكلمات رقيقة ..دفع الدموع الى عينيها وهي لاتصدق نجاتها ..لاتصدق ..

همست شاحبة:

-لااريد الذهاب للمشفى ..

لاتتصور قط ان يراها بهذا الشكل .. ليس هكذا ..

-لاتقلقي سنأخذك الى هناك فقط لنطمئن عليكي بنيتي (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

طمئنتها المرأة بحنان لتهمس باكية:

-لا لا .. لااريد ..

ولكن لم يلتفت أحد لاعتراضها والسيارة تتوقف في المشفى القريب .. لتنظر له بجزع .. وهي تفكر ماذا ستقول له ..؟؟ ماذا ستفسر.. ؟؟!!

ولكنها كانت متعبة .. وجرح عنقها يؤلها بحق.. كانت تحتاج اليه .. تريده ان يكون قربها بأي طريقة .. ولذا .. استسلمت بهدوء.. وانقادت اليه بصمت ..

..

كان يجلس كعادته .. يراجع فحوصات أحد المرضى .. وقلبه يرقص بانتظارها ..

يعرف بأنها قادمة .. وعدها الرقيق أن تمر لرؤيته اليوم بعد انقطاع دام أيام جعله كله في حالة لذيذة من الترقب .. يعمل بنشاط فاق الحد .. لاتفارق ابتسامته شفتيه .. يضحك لاتفه شيء.. وكله شوق لها ..!! شــوق ؟! نعم وكيف ينكر .. يشتاق اليها وبجنون .. تلك الفتاة تتسرب اليه .. بعنفوان وقوة .. وتؤثر عليه كذلك (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كان قلبه يرقص طرباً حين فتح الباب الزجاجي معلناً وصول مريض جديد .. ليرفع عينيه وتتسع بصمت مشوب بالذعر والصدمة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كانت ناديــن ..

وقفت هناك ..

زائغة العينين .. ممزقة الملابس .. بالكاد تستر صدرها بذراعيها في حين التفت طرحتها حول رأسها باهمال يكشف عن عنقها الدامي .. ووجهها الأحمر ..

لم يعرف كيف تخلص من ذهوله واندفع اليها صارخاً برعب:

-نادين ماذا أصابك؟؟

نظرت له بعينين متسعتين .. رأت النظرة في عينيه .. اللهفة في صوته .. القلق الممتزج بشيء من القوة .. شهقت بالدموع واستسلمت لها وهي ترمي بفسها بين ذراعيه امام الجميع هاتفة:

-انا احتاج اليك علي.. ارجووك ساعدني ..

تصلب بذهول امام مافعلته ..

لم يفهم كيف يتصرف وهو يشعر بجسدها الرقيق يرتطم بعضلات صدره وهي تبكي بهستيرية .. لم يفكر مرتين .. تجاهل نظرات الجميع المصدومة لفعلة الفتاة .. وانحنى يحملها بين ذراعيه بسهولة بالغة .. وتقدم ليضعها على سرير معزول عن البقية وهو ينحني ليلقي نظرة عن قرب الى جرحها صارخاً بمساعده بجلب ادوات طبية للكشف عليها ..

كان الجرح جرح سكين لاريب..

شعر بقبضة تعتصر حلقه وهو يتخيل مامرت به .. هناك من وضع سكيناً على عنقها ..

لامسه بطرف سبابته لتجفل بألم .. فهمس:

-من فعل بك هذا؟؟

أشاحت عنه باكية .. وهنا رأى جانب وجهها .. واتسعت عيناه بذهول.. أثر خمسة اصابع .. ضخمة .. احتلت بشرتها الرقيقة .. وخلفت بعدها اثراً قاسياً .. فمها متورم .. !! ماذا حدث؟؟!!

كانت التساؤلات تملأه ولكنه قدر حالتها المعنوية المحطمة .. ضمد جرحها بحرفية .. وسجل لها بعض السوائل المهدئة .. قبل ان يقف امامها بانتظار الاجابات(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-نادين؟؟

نظرت له من تحت رموشها الكثيفة ولم تتكلم.. فزفر بضيق واقترب الى جوارها أكثر ينظر في عينيها:

-مالذي حدث لك..؟؟

كان الصمت هو جوابها الوحيد ..اشاحت عنه فزفر من جديد وهتف بيأس:

-نادين لاتصيبيني بالجنون.. تكلمي من فعل بك هذا .. وسأمزق وجهه ..

نظرت له بدموعها وهمست مخنوقة:

-لاأعرف ان كان حياً أو ميتاً ..

اتسعت عيناه بذهول لتهمس بمرارة:

-لقد دفعته على الرصيف واعتقد بأنه قد تاذى..

احمر وجهه بغضب مخيف وهو يهمس:

-من يكون؟؟

تلعثمت حروفها وهمست:

-زوج أمــي..

اتسعت عيناه بذهول لتهمس:

-هو من ضربها ذلك اليوم.. وقد هربنا منه .. وهو وجدني ويريد معرفة مكانها ..

كذبت بسهولة .. فلم يكن امامها سوى الكذب ..

-ابلغوا الشــرطة ..

اتسعت عيناها بذعر وهتفت:

-لا لا .. لانريد اية فضائح أرجوك ياعلي..

ماذا ستقول للشرطة؟؟ كيف ستكون ردة فعله هو ان عرف من الشرطة عنهم؟؟

اشاحت بوجهها وهمست:

-علي ارجوك .. انا اريد العودة ..

-الى أين ستذهبين؟!

نظرت له باكية وهمست:

-لاأعرف.. لاأستطيع العودة للبيت فقد يجدني هناك .. وأحتاج لأن أخبر امي..

نظر لدموعها المنسابة بلاتوقف وشعر بحرارة تجتاحه وبقوة .. أخرج هاتفه وناوله اياه :

-اتصلي بها..

التقطت الهاتف بلهفة وضربت الارقام بسرعة لتحادث امها وتشرح لها ماحدث بكلمات قصيرة ومختصرة وهو يراقبها بمشاعر تخبطت بين الحيرة والشفقة .. وبين الغضب لماحدث لها ولصمتها الذي لم يفهمه .. أنهت الاتصال وناولته الهاتف شاكرة ليهمس بصوت كان مظلماً كعينيه:

-كدت تموتين الليلة..

شعرت بقبضة قوية تلتف حولها لقوله .. نظرت له بجزع ليهمس:

-لو انحرفت السكين .. لو فقط كانت اعمق لإنش واحد فقط ..

واختنق صوته لقوة مشاعره التي لم يعهدها قبلاً .. اه يالهي .. اشاح عنها بسرعة يخفي ملامح وجهه التي فضحت ماعاناه من ألم لرؤيتها هكذا..لرؤيتها وقد كادت تواجه الموت؟؟ تباً .. كيف له ان يشرح لها ماعاناه وهو يضمد جرحها ..

-كنت ستفتقدني؟؟

همست بنعومة ليهتز من الداخل ..

-انا أسفة ياعلي.. لم اشأ ان أجرك لهذه المشكلة ..

-مشكلـــة؟؟!!

صرخ بحدة وهو يقترب منها ليواجه عينيها الحزينتان.. عينين بلون العشب الأخضر.. تباً.. كانتا تتلونان بجنون .. بين خضرة منعشة .. وعاصفة تنذر بهطول امطارها .. هتف بعنف:

-اتسمين ماأنت فيه مشكلة؟؟ ذلك الرجل كاد يقتلك وأنت ترفضين حتى التبليغ عنه..

أشاحت بوجهها وهي تفكر بما سيكون رده لو قالت بأنها لن تخلص لو قدمت بلاغاً ضد كل رجل تعرض لها .. فالقائمة كانت طويلة .. طويلة بحق..

-أنت لاتفهم .. هناك أمي.. وشقيقتي.. ستتأذيان لو فعلت..

تنهد يحرقة واشاح عنها هامساً:

-انت لاتفعلين سوى ماتريدين أليس كذلك؟!!

نظرت له لاهفة تكاد تذوب بنظرة عينيه الحازمة .. لم تتردد باحاطة معصمه بكفيها برقة هامسة:

-سأفعل كل ماتطلبه مني أنت .. ولكن لاتطلب مني ان ابلغ الشرطة ارجوك.. دع الليـلة تمضي بسلام.

تنهد وهو يشيح عنها ونبضه يتسارع بجنون .. للمسة يدها المنعشة على معصمه .. غصة اختنقت في حلقه وجعلته يتنحنح باحراج ووجهه يحمر بخجل جعل داخلها ينتفض بقوة وهي تحمر بالمقابل.. ربما للمرة الأولى في حياتها .. تقابل رجلاً يزرع بداخلها خجلاً .. من خجله هو !!

***

كان الطريق الى المدينة مملاً ..

فكرت بضيق .. لم تتصور في حياتها ان تخرج من تلك البلدة .. وكانت سعادتها تتشقق من بين ملامحها وهي تتجهز لتخرج وهو بانتظارها .. راته يرفع حاجبه المعقوف بتساؤل وهو يراها بتلك الملابس .. سروال

من الجينز الأزرق وبلوزة بلون الخوخ وجاكيت برونزي من الجلد حتى ركبتيها .. وعلى رأسها طرحة شفافة ..

-الى أين تظنين نفسك ذاهبة هكذا..؟؟

زمجر بخفوت لتهمس ببراءة:

-معك ..

شعت عيناه وهمس:

-أين عبائتك ياسيادة؟؟

عقدت حاجبيها باستنكار ليرفع يده وهو يهمس:

-لاتجيبي..

..

والأن تنظر لنفسها بحنق ..

ترتدي عبائة تفوق قياسها بمرتين .. وليس هذا فحسب .. بل جلباب اسود يغطيها من راسها ويخفي معالم وجهها .. لاداع ان تتذكر المعركة التي قامت بينهما لتخرج معه بهكذا لباس.. ولكنها فعلت .. كي تغادر الجحر التي تعيش فيه .. فعلت ..

تنهدت وهي تتحرك بضيق في مقعدها هاتفة بنفاذ صبر:

-متى نصل؟؟

-بعد دقائق..

اجاب بهدوء .. كان يقود السيارة بقوة وفعالية .. سرعة متوسطة ويدين ثابتتين على المقود ..تأملت شعيرات يده القصيرة والتي ظهرت تغطي معصميه .. ولاتعرف لما شعرت بحرارة تجتاحها وهي تتذكر لمساته عليها تلك الليلة المشؤومة ..

-هل سأظل ارتدي هذا لوقت طويل؟؟

همست تتخلص من افكارها بحنق .. لينظر لها بطرف عينه .. لايزال حانقاً من عنادها لاصراره عليها ارتداء غطاءها الكامل كما اعتادت كل النساء في بلدته ..

-كلما خرجنا ..

زفرت بتوتر وهتفت:

-ولكنه حار .. وليس لائق بالمرة علي..

-سنشتري اخر لك من المدينة .. انها لامي ولهذا فهي واسعة ..

زفرت بحنق .. وفكرت بمرارة.. هي سيادة العزب.. رائدة الموضة الباريسية .. تضيع بداخل هذا الجلال الاسود..

صمتت عن الكلام وهي ترى السيارة تدخل الى معالم مدنية .. تقترب شيئاً فشيئاُ للحضارة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

حين وصلا الى المشفى حيث ستجري الفحوص.. تعثرت مرتين بالعبائة الضخمة .. وتعاركت ملايين مع غطاء وجهها وهي تقاوم رغبة همجية في القاءه بعيداً عنها ولكن تخوفها من ردة فعل الوحش الى جوارها تركت رغبتها تلك لاتتجاوز عقلها الباطن ..كان يتقدمها في حين التفت اصابعه كقبضة حديدية حول معصمها .. كان يمشي بسرعة وهي بالكاد تلحقه .. وعدة مرات تتعثر لترتطم بظهره العنيد وتقابل نظرته المشتعلة لتهمس بحنق:

-لاأجيد المشي بهذه الملابس ..

ضاقت عيناه محذراً وهمس بخطورة:

-اخفضي صوتك ..وامشي باعتدال..

ارتجفت لنبرته التي تسللت الى اعماقها ودغدغت انوثتها بوحشية لم تعهدها .. شعرت انها يجب ان تقاوم هذه السلطة الذكورية الفجة في كلماته ونبرة صوته ..ونظرته التي حطت من قدرها وأنزلتها لمكانة جارية .. ليس اكثر ..ولكن!! لم تفعل سوى انها جلبت الحرارة لوجنتيها .. حرارة وحمرة جعلتها تخفض عينيها عن بؤرة الغضب في مقلتيه ..

وصلا لبوابة العيادة المختصة النسائية .. وبنظرة تأملت سيادة العيادة الفاخرة .. والنساء حولها .. تأملت كل واحدة منهن .. ضاقت عينيها وهي تتأمل الحرية في الملابس لبعض النساء وتأملت الرجل الى جوارها وكيف اشاح بوجهه وضاقت عيناه وهو يهمس بخشونة:

-سأنتظرك في الخارج..

تصاعدت بداخلها رغبة شقية لشيء مجنون .. ولم تفلت يده بل تشبثت بها قائلة بضراعة:

-لا لاتتركني وحدي..

زم شفتيه بغضب وجلس الى جوارها بانتظار دورها .. .. ورأت نظرات النساء حولها كانت نظرات فضولية بمعظمها لم يكن هناك سوى قحطان كعنصر غريب لايرفع عينيه عن الأرض ولايفك عقدة حاجبيه ابداً .. شعرت بالابتسامة تغزوها بسخرية .. ونقلت بصرها بين الجميع .. شعرت بالغرابة انها هنا .. خارج السجن ..!!

انتابتها مشاعر كثيرة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ماذا سيحدث لو هربت منه الأن؟؟

فكرت بتطرف ثم نظرت له جزعة .. رباه لوفعلت سيقتلها بلاشك ..

نظرت للنساء ورات ان اكثر المنقبات حتى انزلن نقابهن .. خصوصية المكان رغم وجوده .. شعرت بالحر ورمقته بطرف عينها قبل أن تنزل النقاب بحذر وتكشف عن وجه كالبدر جذب نظرات النساء اليها بحدة .. وسمعت شهقة اعجاب من مكان ما .. استرعت انتباه قحطان ليلتفت لها هامساً بسخط:

-انزلي غطائك..

زمت شفتيها نظرت له بحنق:

-الجو حار .. وانا مخنوقة .. لايوجد رجل غريب سواك..

نظر في عينيها لتشتعل الزمردتين بنار التحدي وتثير ضربات قلبه بقوة لم يعهدها .. خانته حروفه.. حتى باتت شبه خافتة وهو يهمس من بين اسنانه:

-قلت لك أنزليها قبل أن افعل بنفسي.. ألاترين كيف تنظر لك تلك النساء؟؟

زفرت بضيق وتجهم وجهها وهي تطيعه لانها تعرف جنونه وماقد يفعله..

بعد ساعة كاملة .. جاء دورها اخيراً ..

وبعد نقاش طويل مع الطبيبة التي استمعت شكواها بتأن ونظرة حذرة للغاضب لجوارها .. همست:

-هل تمارسين نشاطاً مرهقاً .. كأعمال المنزل او ماشابه؟؟

نظرت له سيادة بحدة ليشيح بوجهه فنظرت للطبيبة بحذر وهمست:

-ليس كثيراً ..

اومأت الطبيبة وسجلت بضع ملاحظات على ورقة وقالت:

-قومي باجراء هذه الفحوص وسنكتشف السر..

تناولت سيادة الورقة ونظرت لها بحيرة للرموز الطبية ثم سألت :

-هل أدرجت فحصاُ للحمل ؟؟

عقد قحطان حاجبيه وهمس بخشونة:

-لاداعٍ لذلك ..

نظرت له سيادة بدهشة قبل أن تعقد حاجبيها وتنظر للمرأة هاتفة باصرار:

-أريد فحصاً للحمل..

-ولكن لاداع لذلك لايوجد تأخر في دورتك الشهرية وليس كل جرثومة في المعدة حمل سيدتي..

قالت الطبيبة مبتسمة لتصر سيادة:

-ولكنني أرغب بالتأكد .. ليس هناك مشكلة من ذلك ؟؟

-لابالطبع ..

همست الطبيبة بابتسامة متوترة وهي تنقل بصرها بين الاثنين ..

خرجا معاُ لحيث سحب العينة ورأت ان وجهه لايفسر فلم تأبه ..

كانت مصرة ألا تدع مجالاً للشك .. ولن تفعل..حين جلست الى مقعد

سحب الدم كان الى جوارها .. لم تقم بفحوصات منذ وقت طويل

ولاتزال تتذكر الوخز المؤلم .. شعرت به الى جوارها .. يمسك بيدها

بينما الأخرى تسلمها طواعية للفتاة التي ابتسمت بخجل وهي ترى

اهتمام الرجل بزوجته .. وشعرت سيادة بالسخرية لذلك .. ربما

تظنهما عاشقان ..!!

تنهدت وهي تفكر أن الفتاة قد تقفز ذعراً لو علمت بالحقيقية ..

تنهدت بصمت وهي تضغط على كفه بقوة وماان رأت الابرة تشق

جلدها حتى شهقت بألم وسارعت لاخفاء رأسها على صدره القريب

جداً .. مرغت وجهها في القماش الناعم لقميصه .. شعرت حينها

بذراعه تلتف حولها وتقربها اكثر حتى تغلغلت رائحة عطره الدافئة

في أنفاسها.. واجتاحتها حرارته بقوة .. لتنسى الألم وهي تغرق في احساس عميق بالحاجة الى أن تدفن نفسها أكثر .. وأكثر ..

رفعت وجهها اليه .. ورأته يناظرها بصدمة .. قبل أن تنفرج شفتاه بسؤال واهٍ:

-أأنت بخير؟؟

اشاحت لتجد الفتاة قد وضعت لاصقاً طبياً على ذراعها مبتسمة :

-انتهينا ..

رفعت ذراعها اليها وفكرت انها لم تشعر بالألم .. نظرت له وهمست مشوشة:

-أنا بخير..

راقبها للحظات وكيف أشاحت عنه قبل أن يسأل الفتاة:

-متى تجهز النتائج:

-بعد ساعتين..

اومأ ليغادرا معاً .. كانت صامتة .. مصدومة من مشاعر غريبة تنتابها .. كإحساس غريب بالأمان برفقته؟؟!! ركبا السيارة وهمست تسأله:

-هل سنذهب الى منزل احد أخويك؟؟

هزرأسه نافياً:

-علي مناوب للظهر .. وكذلك رعاد هو في كليته .. وبصراحة لم اخبر أيهما بقدومنا كي لاأشغله عن واجباته..

-والى أين سنذهب؟؟

-نحن مدعوان للغداء..

قالها بابتسامة .. وقاد السيارة بسرعة وبراعة .. تأملت الطريق المحفوف بالاشجار والذي يطل على شاطئ البحر والذي شقته السيارة بدقائق .. لتتوقف امام بوابة ضخمة سرعان مافُتحت لسيارتهما والطقم خلفها ..

-أين نحن؟؟

تأملت بفضول الحديق الواسعة والمزينة بأشجار النخيل وممرات مرصوفة بالحصى وغيرها بالرمل الابيض الناعم..قال بهدوء:

-منزل صديقي.. سنتناول الغداء ثم نعود لاستلام النتائج..

توقفت السيارة امام بوابة الفيلا الداخليه ونزلا معاً بينما واصل الطقم تقدمه للجهة الداخلية .. وحينها رأت الباب يلُفتح ويشق الرجل الطويل الوسيم الطريق بخطوات سريعة قبل ان يعانق قحطان بحرارة هاتفاً:

-انظروا من لايذكرنا الا وقت الحاجة ..

تبسم قحطان بخفة :

-مقبولة منك ياشيخ ..

ضحك عمرو الشهري بارتياح قبل ان يهمس بخفوت مرحباً بها هي الاخرى مشيراُ لها ان تتقدمهما حيث ستقودها الخادمة للقاء زوجته .. ثم التفت الى صديقه العنيد وربت على كتفه:

-تعال لدي الكثير لأناقشه معك ..

اومأ قحطان .. ورافقه الى مجلس وثير.. وحال تربعهما عليه قال قحطان بسخرية متأملاً عمرو:

-أرى أن الزواج مفيد لك ياصديقي انظر اليك وقد زاد وزنك اضعافً..

اتسعت عينا عمرو وهتف بحنق:

-اضعاااف؟؟ انها مجرد بضعة كيلوات تعوض خسارتي لضعفها وقت اصابتي؟؟

هز قحطان رأسه مداعباً:

-انظر اليك اصبحت كالدببة ..أخبرني ماذا تأكل؟؟

رفع عمرو كفه مخمساً بوجه رفيقه بمرح ليغرق قحطان بالضحك قبل ان يعتدل ويعقد حاجبيه:

-لدي ماقوله لك .. طلب سأطلبه منك ياعمرو..

اعتدل عمرو هو الاخر واشار لعنقه:

-رقبتي يارجل.. قل مالديك..

تنهد قحطان بتوتر قبل أن يبدأ بقص عليه ماسمع وماعرفه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وفي الجهة الأخرى كانت الخادمة تقود سيادة الى غرفة اخرى .. واسعة توزعت اضائتها بشكل ناعم على الجدران المطلية بلون سماوي رحب ومفروشاتها مزدانة بالنقوش.. الازهار والفراشات .. وسجاد فاخر.. تأملت سيادة كل هذا بانبهار .. قبل ان تقع عينيها على تلك المرأة .. والتي تعرفتها على الفور.. وكيف تنسى .. شفا الشهـري.. كدمية اغراء متحركة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كلها غنج ودلال.. تقدمت وشعرها الغجري الاسود يتهداى خلفها مرحبة بسيادة بلطف:

-مرحباً بك ياعزيزتي..

ابتسمت لها سيادة بتردد وهي تساعدها لتتخلص من عبائتها وطرحتها والتي اعطتهما مباشرة للخادمةلتعتني بهما في حين همست سيادة:

-بيتك راائع..

اتسعت ابتسامة شفا وقال بفرح:

-انا اخترت كل مفروشاته بنفسي.. كانت اياماً عصيبة ولكن النتيجة مرضية..

-بل هي رائعة..

علقت سيـادة وهي تنزع جاكيتها وتتقدم لتجلس على احدى الكنبات المتناثر في الغرفة اللطيفة التي قالت عنها شفا بابتسامة:

-انها غرفتي الخاصة .. استقبل ضيوفي المقربين مني..

ابتسمت سيادة وهي تجلس بارتياح:

-انها جميلة وحميمية ..

-عمرو يكرهها .. تذكره بعدد المشاوير التي قمنا بها لاختيار اثاثها ..

قالتها ضاحكة وعينيها تشعان بالحب وهي تضيف:

-انه حتى لايقربها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) يزعم ان ساقيه تصرخان باعتراض حالما يفعل..

شاركتها سيادة الضحك وهي تفكر.. أيمكن في يوم ما أن تصل هي وقحطان لهذه الدرجة من العاطفة الصادقة .. وتشع عينيها بكل ذلك الغرام كما تفعل عينا سيادة الان .. تباً ..

انتبهت لنفسها بذعر ..

مالذي تفكر به؟؟ ان تغرم بذلك الرجل الان؟؟

ابتلعت ريقها بينما راقبتها شفا باهتمام .. الفتاة متغيرة .. تشعر وكأن .. نفسها .. مكسورة؟؟

في حين انشغلت سيادة بافكارها الخاصة .. لأول مرة هي وحدها من دون متحررة من قيوده .. بعيداً عن عينيه الثاقبتين .. بعيدة عن سجنه ..

شعرت بالتوتر يجتاحها ..لاتريد التورط بمشاعر نحوه .. ابداً لاتريد .. انها تريد الخروج من حياته .. الانتقام والرحيل عنه للأبد .. تلفتت حولها بشرود .. انها ابعد ماتقدر عليه الان .. انها حرة ولو لساعات قليلة .. فكرت بتوتر..

كيف يمكن ان تستغل هذا.. كيف يمكن ان تهرب .. بعيداً بعيداً عنه ..

امها؟؟!! اه م اشتاقت لإمها؟؟

-أيمكنني استعارة هاتفك..

همست لشفا بخجل.. لتنظر لها شفا بحيرة:

-انا .. انا فقط اشتقت لأمي .. وتعرفين .. تعرفين كيف هي شبكات الاتصال في البلدة .. وبالذات الاتصال الدولي..

نهضت شفا بحماس هاتفة:

-بالطبع حبيبتي اعرف لاداعي ان تفسري.. تفضلي..

وناولتها هاتف فضي اللون تأملته سيادة بذهول.. رباااه .. تستطيع الاتصال بأمها .. رباااه نظرت لشفا غير مصدقة انها اعطتها الهاتف .. في غفلة منه .. في معزل ..

نظرت للهاتف غير مصدقة .. وهمست بشفتين مرتجفتين:

-شكرراً .. شكراً لك..

ضحكت شفا ببساطة وهمست غامزة بعينها:

-سأتركك لتتكلمي براحتك واذهب لأرى ماحل بالغداء..

اومأت لها بشرود وراقبتها تخرج قبل ان تنظر للهاتف بعينين ناديتين .. وقلبها يتخبط بين ضلوعها بلاتوقف.. الهاتف معها الان .. تستطيع الاتصال بأمها.. تستطيع المحاولة ..

وبأصابع ترتجف .. بدأت بطلب الارقام التي تحفظها عن ظهر قلب..

وباتت اللحظات طويلة .. ورنين الهاتف على الطرف الاخر لايتوقف.. لم تفكر .. لم تتوقف.. كانت كغريق يتشبث بوسيلة نجاة وان أغرقها معه ..!!

-الــو ..

سمعت الصوت المميز لتشهق فجأة..

-الو .. الو..

عاد الصوت بعصبية وهي تكتم شهقاتها بيدها وتحاول وقف دموعها التي انهمرت بغزارة تبلل وجنتيها :

-ماما.. ماما..

توقف الصوت من الجهة الاخرى للحظات قبل أن تسمع همساً شاحباً:

-سيادة .. بنيتي..

حينا باتت الشهقات عالية .. والدموع الصامتة اصبحت نشيجاً مؤلماً وهي تنهار ارضاً .. وكل ماحدث لها يعيد تكرار نفسه .. زواجها القسري .. معاملة قحطان المهينة .. تخلي الجميع عنها حتى شقيقها ..!!

كلها هاجمتها بلاحول ولاقوة ..

-سيادة حبيبتي اجيبينني .. أهذا انت؟؟

هتفت امها بيأس لتجيب هي صارخة:

-نغم ماما انها انا .. ارجوك امي اخرجيني من هنا اعيديني الى باريس ماما..

غطت ايفا فمها بيدها تكتم شهقة ارتياح مخلوطة بالحقد تجاهه من فعل ذلك بابنتها وهتفت:

- يالهي بنيتي كم اوحشتني.. اشتقت اليك حبيبتي.. اين انت الان؟؟

قالت لها سيادة مرتجفة لتضيف بألم:

-ولكننا سنعود الى البلدة امي .. سنعود في المساء..

-لا لا سيادة لاتتحركي من مكانك سأتصل بأفراد الفنصلية ..

-لا امي .. لاا..

صرخت بهلع وهي تتصور ردة فعل قحطان لو حدث ..

-سيقتلني قحطان امي .. سيقتلني..

همست باكية لتزيد عصبية امها وهي تشتم بكل قذارة قبل ان تصرخ:

-ستخرجين من عندك بنيتي سأخرجك مهما حدث..

-ماذا ستفعلين؟؟

همست سيادة باكية لتقول ايفا بقوة:

-سأتحدث مع الرجل الذي حدثته قبلاً .. واعود اليك .. هل تستطيعين الاحتفاظ بهذا الهاتف.؟؟

-فقط لوقت قصير امي..

همست بتوتر لتؤكد لها امها ان هذا لن يستغرق سوى ثوانٍ..

-حسناً حسناً .. لاتتأخري امي..ارجوك لاتتأخري..

-لن افعل .. ثقي بي..

فعلت ذلك .. اغلقت الخط وانتظرت بصبر..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

-مالذي تقوله؟؟

هتف عمرو بحنق ليزفر قحطان هاتفاً:

-الوغد .. لو وضعت يدي عليه .. سأحطم عنقه ..

-قحطاان .. انت تتحدث عن احد ابناء عمومتك .. لايجب ان تتهمه جزافاً ياخي؟

-ليس جزافاً ..

همس قحطان ليواصل بعدها:

-الكثير من الدلائل .. والكثير من الشكوك .. ثم كانت تلك الحادثة التي رآها محامينا .. د

اغمض عينيه بتعب حينها واضاف:

-لقد كان واثقاً ممايقوله لي ياعمرو .. ولذا جئت ابتغي منك الحقيقة ..

عقد عمرو حاجبيه وهمس:

-انه شيء عسير على التصديق .. لااقدر ان اصدق ان حسن العزب .. يفعل كل هذا ..

-الوغد انه يخطط لفعل الكثير بعد .. لا اعرف لو وقع بيدي ماقد افعله به؟؟

قبض بقوة على يده وكأنه يبين ماقد يفعله بذاك القذر ليربت عمرو على كتفه ويقول:

-لابأس ياأخي .. سأبحث لك عن كل المعلومات لاتقلق..

-عليك ان تعذرني ياعمرو .. تعرف انني لن استطيع استخدام اياً من رجالي .. فأغلبهم من ابناء عمومتنا .. وقد يبلغه احد ..

-اعرف اخي .. لاتقلق.. والأن تعال لنتناول الغداء..ونفكر جيداً بماعسانا نفعل..

اومأ له قحطان .. ونهض معه .. وعقله يدور بقوة .. حول كل شيء..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

دخلت شفا الى الغرفة لتجد سيادة تستند على الوسائد بنظرات هائمة في الفضاء حولها .. همست لها ان الغداء جاهز ..وعلى وجبة شهية من الاسماك المقلية همست سيادة :

-أتعرفين مكاناً لبيع العباءات ياشفا؟؟

اومأت لها شفا وهمست بعينين متلهفتين:

-بالطبع .. اعرف الكثير.. اترغبين بالتسوق..؟؟

رسمت نظرات الحسرة باتقان على وجهها وهي تهمس:

-كنت اتمنى ان نبقى لفترة اطول .. اريد التسوق .. ولااعرف كيف اقنع قحطان..؟؟

شعت عينا شفا بحماس:

-اه سيكون هذا ممتعاً .. سآخذك لأفضل الاسواق ونشتري الكثير من الاشياء.. يجب ان تبقيا في عدن لفترة اطول .. اقنعيه ..

تنهدت سيادة بأمل وهمست:

-أتمنى ..

ثم رفت بعينيها:

-ربما يقدر زوجك ان يساعدني ..

-نعم .. عمرو ..

ثم ضحكت بخبث:

-يستطيع اقناع الحجر ان يتحول الى ماء ان اراد .. زوجي وأعرفه ..

لاتقلقي..

تنهدت سيادة بارتياح .. اكملت طعامها بشهية .. وبعد لحظات كانت

ترافق قحطان بالسيارة عودة للمشفى .. وهي تخفي وعداً من شفا

باتصال عمرو بزوجها واقناعه .. وتخفي طلب امها منها .. وخطتها

المحكمة .. نظرت له بخفة .. كان اكثر هدوئاً واسترخاءاً ..

وبدأت تحضر ماتريد قوله .. وطريقته ..

وصلا الى المستشفى وبعد ان أخذا الفحوص عادا بها الى مكتب

الاختصاصية حيث علا صوت قحطان هادراً:

-ماذا تعنين انها ذهبت؟! انها مريضتها وقد كانت هنا منذ قليل..

-انا اسف.. اسفة .. لقد انصرفت منذ نصف ساعة..

-لايهمني .. اريدها ان تعود في الحال..

خبط على المكتب الصغير بقوة وهو يصرخ لتمسك سيادة بكتفه

متلفتة حولهما وقد جذب صوته بعض متفرجين:

-قحطان توقف ..اننا في مشفى ..

حدجها بنظرة قاسية وعاد للفتاة المسكينة والتي بدت مصدومة

وهو يقول:

-اتصلي بها ..

-لاأستطيع ..

همست الفتاة متحشرجة ثم اضافت:

-قالت انها لن تأتي حتى الغد انا اسفة ..

شعت نظرته بشراسة وصاح:

-اسمعيني ياصغيرة .. نحن قادمان من مكان بعيد .. وليس من السهل

ابدا مجيئنا وذهابنا يومياً ..

لم تتكلم الفتاة المسكينة بل صمتت بذعر لتتدخل سيادة وقد شعت

عيناها الزمرديتان بدهاء:

-قحطان تعال .. تعال معي ..

وقبل أن يعترض.. كانت تشده بقوة من ذراعه حتى افلتها منه

بحركة حادة وهو يهمس من بين اسنانه:

-مالذي تفعلينه؟؟ هل جننت؟؟

-انت من يتصرف بجنون ..

صاحت بخفوت قبل أن تتسائل:

-ماذا ستجني من الصراخ ولفت الانظار الينا؟؟

-عودة تلك المرأة الى هنا وانتهائنا من هذا المكان.

-لن تعود لقد انتهت ساعات عملها .. نحن تاخرنا لاتلمها على تقصيرنا نحن؟؟

-أتدافعين عنها؟؟

همس بهدوء مخيف لتبتلع قائلة:

-انا فقط اقول الحقيقة ..

تنهد بضيق و:

-والان ماذا؟؟

-نعود غداً ..

قالتها بنعومة ليهمس باستهزاء:

-لن اقود تلط الطريق كلها مجددا فقط لاجل تلك المرأة ..

-لن نعود الطريق..

نظر لها باستغراب لتهمس وهي ترسم في عينيها نظرات التوسل كلها:

-لنبقى هنا ليومين فقط ياقحطان..

-ماذا؟؟

تسائل باستنكار لتسارع:

-انا لم ارى المدينة قبلاً .. واريد التسوق قبل عودتي .. كمانه بامكاننا زيارة اخويك غداً وقضاء اليوم معهمها فهو الخميس ولادراسة .. ارجوك فكر ياقحطان .. حتى زوجة عمرو شفا تظن انني سأتمتع بالسوق .. ارجوك وافق.

ظهر التردد في عينيه لتسارع سيادة بصوت مخنوق وقد قررت ان تخاطر بكل شيء:

-ارجوك قحطان .. انا اطلب منك هذا .. للمرة الاولى .. انا اريد البقاء هنا .. ليومين فقط .. سنعود لزيارة الطبيبة .. ونرى اخويك .. واتمتع بالتسوق.. ارجووووك..

تنهد بيأس وهز رأسه موافقاً لتصرخ بفرح وتتعلق بذراعه .. وهي تهرب من عينيها الذاهلتين .. لموقفها فتراجعت محرجة وهي تهمس:

-شكراً لك ..

تلعثمت فنظر لها باستغراب .. كانت محقة .. فهي لم تخرج خارج البلدة .. وهي بحاجة لعبائة وغيرها كي تستطيع التنقل.. كمانه اشتاق لأخويه .. مالذي سيضر لبقائهما يومين كذلك ..

لم يكن يعرف انه بموافقته يخطو الى شرك الخبيثة ايفا .. يخطو برجليه الى الخطة المحكمة التي اعدتها .. بعينين زائغتين من الفرح عادت معه الى السيارة وهو ينطلق بها بهدوء.. ذهنه لايقدر على استيعاب ماتحيكه له من مؤامرة .. وصدرها لايقوى على السيطرة على مافيه من احاسيس..

كانت تقترب من الخروج والهرب ..

كانت تقترب .. وبكل سرعة ..

***

نهاية الفصل

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الثاني عشر

***

تسوقنا تلك الليالي الى مستقبل غامض فنقف أعلى قمة تل .. مليئين بالترقب!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

انطلقت السيارة بقوة تقطع الطرقات عبر المدينة المزدحمة وهي ترسل نظرات عينيها المتحمسة بعيداً حتى لايرى .. لايلاحظ .. لايقرأ

ماتخططه ولايفهم ماسر تشوقها وتقافز النبض المجنون في ثنايا عروقها .. ولكنها لاتستطيع احتواء فرحتها .. لاتستطيع اخفاء الترقب والنشوة من انتصارها البسيط .. مقدمة لانتصاراتها التالية والتي هي قادمة بلاشك وستكلل بشيء واحد فقط لاغير.. الهروب منه .. من عالمه المتخلف .. من الظلم والقهر .. اااه كم ستتوق لرؤية وجهه بعد هروبها .. تريد فقط ان تظل مختبئة وتشاهد تعابيره وهو يواجه خبر انفلاتها من أسره .. فقط لتضحك وتقهقه ..

أخذت نفساً عميقاً ونظرت له .. أخيراً .

كان يقود السيارة لجهة غير معلومة بعد أن وافق على بقاءهما ..

همست بصوت ناعم:

-الى اين سنذهب؟؟

رأت قبضته على المقود تشتد .. وتلك العضلة على جانب فكه تنتفض .. قبل أن يرد بصوت بارد النبرات:

-الى منزلنا.. والى أين تظنيننا ذاهبين؟؟

-هل لديك منزل هنا؟؟

تسائلت بدهشة ليومئ بصمت فعادت تسأل بحماس:

-وهل هو بجمال منزل صديقك؟؟

رفع حاجبه وهمس:

-لا بالطبع .. عمرو وزوجته يعيشام في ذلك المنزل طيلة الوقت .. اما أنا فلاأتي لمنزلي سوى بضع ايام في العام ..

ظهرت الخيبة على وجهها وهمست:

-من ينظر لمنزلكم لايشي بمدى ثرائكم .. عائلتك متقشفة ..

قالتها ساخرة ليضحك بصورة مفاجأة فنظرت له مندهشة وهو يوضح:

-ليست المسألة مسألة تقشف .. اننا نعيش في بلدة صغيرة يقل فيها عدد الاثرياء وغالبية سكانها من البسطاء الذين يعدوننا بمثابة مثل وقدوة .. نحن شيوخ قبائل ياسيـادة .. والتفاخر بما نملك امام بسطائنا لايمكن ان يدر علينا سوى الحقد .. وعدم الوفاء.. صحيح اننا نمتلك من المال مايكفي ويزيد .. والحمدلله .. ولكن التفاخر امامهم له نتائج وخيمة..

مطت شفتيها بعدم اقتناع ..

فابتسم بسخرية وهو يدخل بالسيارة بمهارة عبر طريق محفوف بالاشجار كانت مناورة مفاجأة جعلتها تفقد توازنها للحظة وتقترب

منه بشكل خطير.. رفعت يدها شاهقة لتدعم جسدها وتشبثت بذراعه بسرعة ..

كانت قريبة منه بصورة لاتصدق .. تشبثت بقماش قميصه الناعم وأخذت نفساً عميقاً ..

تباً لتلك الرائحة .. ابتلعت ريقاً متحجراً .. واستسلمت لرجفة امتدت عبر جسدها كاملاً والرائحة العابقة بالعود تتغلغل الى أنفاسها وتنتشر كنار مستعرة في هشيم .. شعرت بانقباض حلقها فرفعت عينيها اليه بضراعة لترتطم بجانب وجهه القريب جداً عنقه الأسمر الطويل ..فكه المربع القوي .. ذقنه الخفيفة الناعمة .. حتى خصلات شعره السوداء الفاحمة وقد تدلت باهمال من تحت كشيدته الملتفة بقوة على رأسه ..

أخذت نفساً حاداً وقد اجتاحتها حرارة منبعثة منه بقوة.. تريد التراجع والابتعاد ولاتقدر حتى على الحركة!!

شعر بها تفقد توازنها مع انعطافته الحادة .. وشعر بكتلة نعومة ترتمي على جنبه .. تسقط عليه ككتلة حريرية مشتعلة .. سمع شهقتها المنفعلة .. وشعر بضغط وزنها على ذراعه ..واحساس بالخدر يجتاحه لهبوب انفاسها الساخنة على نبض عنقه.. نظرة

خاطفة تلك التي رشقها بها .. لتحتكمه عيناها .. تأسره زمردتيها كتعويذة سحرية .. كانت قريبة .. كتلك المرة !!

ابتلع ريقه وعاد ينظر للطريقة بحدة جعلته تحتقن وتتراجع الى مقعدها بسرعة وهي تحاول التخفيف من الحرارة التي اجتاحتها بدون انذار.. عضت شفتيها بقوة وهي تحاول السيطرة على موجة من الذكريات هاجمتها بعنف وبلارحمة .. ذكرى ضغط ذراعيه عليها .. حرارته وهي تحتويها .. شفتيه وهي تحطم شفتيها !!

اغمضت عينيها تستجيب لرجفة اجتاحتها بقوة ..احاطت ذراعيها وانكمشت في مقعدها تهرب من احساسها المهول والذي تضاعف لحدود غير طبيعيه لوجوده قربها .. تباً له .. مالذي يفعله بها؟؟

كاد يحطم عجلة القيادة بقبضته..

اعتصرها بقوة حتى كاد الجلد الذي يغطيها يخترق مسام جلده هو .. ابيضت مفاصل اصابعه السمراء وشعر بالالم الذي اخرجه وبقسوة من نشوة احساسه بها .. اخذ نفساً عميقاً .. جاء لسوء حظه مشبعاً برائحتها الليمونية .. قافزاً بمشاعره لسقف لم يعرفه سوى مرة من قبل .. حين احتواها !!

"استغفر اللّه العظيم "

تمتم من بين شفتين مطبقتين ..وهو يدفع بالسيارة نحو المنزل الذي لم يسكن به منذ اشتراه في الفترة التي لازم فيها عمرو صديقه فترة صراعه مع عمه .. قادها بصمت محاولاً الخروج من الشرك الذي وقعت فيه مشاعره .. كان تائهاً ولايعرف كيف يسيطر عليها تجتاحه كريح قوية وتعصف بدواخله ..

عاد يأخذ النفس العميق .. ولوهلة فقط أغمض عينيه والليمون الشــرقي يتغلغل في اعماقه .. و..

-قحطان ..

فتح عينيه بحدة وهو يعدل مسار السيارة التي انحرفت عن الطريق .. أخذ نفساً سريعاً غاضباً وهو ينظر لها .. عينيها المتسعتين وهي تناظر الطريق .. كم هو أحمق ..

لولا ندائها الخاطف لكان اودى بهما الى التهلكة ..

مد يده ليفتح اولى ازرار قميصه ويتحرر من قوة ضغطه الخانق عليه وهو يهمس بصوت متحشرج:

-أآســف لقد شردت ..

اومأت بشحوب .. كانت غارقة في تأملاتها .. حين رأت تلك الشجرة على جانب الطريق تقترب .. وبسرعة .. نادته بلاتفكير .. نظرت له

بسرعة وهي تتسائل .. ترى أين كانت تجنح به أفكاره .. وانتابها احساس مزعج .. أرسل شرارات على طول عمودها الفقري .. أن تفكيره كان يأخذه هو الأخر لتلك الليـلة ..

لتعاود انكماشها .. وهي تفطـن أنها وحدها معه .. وحدها تماماً ..!!

-وصلنا ..

سمعت القوة المتحكمة في نبرته .. وعادت بعينيها من أحلامها لحيث هما الأن .. كان يدخل عبر طريق ترابية قصيرة الى مدخل واسع لفيلا صغيرة بجدران حجرية مضلعة .. وسقف مفتوح .. تملأ الجدران الشبابيك الخشبية .. وشرفات حجرية محاطة بشبابيك من ارابيسك .. كان المبنى الصغير رائعاً .. تباينت فيه الحجارة الرصاصية والخشب البني اللامع والأخضر ..

حديقتها صغيرة بالكاد تتكون من ممر عشبي وبضعة اشجار ولكنها كانت نظيفة ومرتبة ..

رأت احد مايقترب بسرعة .. رجل بزي شعبي .. حالما رأى السيارة اندفع يسلم بحرارة على سائقها الذي ترجل مبتسماً .. تنهدت واسدلت غطائها عليها .. قبل أن تترجل هي الأخرى ..

اقترب منها قحطان بسرعة .. وشعرت بقبضته تحيط ذراعها بتملك وهو يقودها الى الداخل .. تعثرت ملايين المرات .. وسمعت دمدمته الغاضبة ..

-انا لست معتادة على هذه الاشياء كلها فوق رأسي..

هتفت بحنق ..

-اصمتي ..

همس بحدة فعلت الاعاجيب بها .. من ناحية كانت تغلي من الغضب .. ومن الاخرى كانت تستجيب وتنكمش كهريرة صغيرة بالقرب من عملاق ..وكرهت نفسها لهذا..

رافقته عبر الباب الخشبي الثقيل الى ردهة واسعة .. مفروشة بسجاد عجمي ثقيل .. كان ديكور الردهة ثقيلاً .. بمفروشاته قديمة الطراز .. وجدرانه الحجرية .. حتى اللوحات المعلقة على الجدران .. كانت قديمة العهد تصف مراحل من العهود العثمانية .. اضائة صفراء معتمة .. واثاث من خشب ثقيل .. محفور باليد .. غالية .. أثرية ولكنها كئيبة ..

أنزلت غطائها وأدارت بصرها في المكان وهمست بعينين مستائتين:

-من فرش هذا المكان؟؟

زوى قحطان بين حاجبيه وهز كتفيه:

-اشتريته بكامل أثاثه .. مالمشكلة فيه؟؟

نظرت له بعينين حادتين وقالت بعبوس:

-تبـدو وكأنها غرفة دفعت صاحبها للانتحار..

ضاقت عيناه ولم يرد لتتركه وتتجول في المكان .. كان حقاً كئيباً ومثير للقلق .. لن تستغرب حقاً ان كان صاحبه قد مات منتحراً .. رأت سلماً يقود الى الطابق العلوي .. ورأت ابواباً تفضي لغرف اخرى بهذا الطابق .. نظرت نحو قحطان الذي قال:

-لم تحضري معك اية ملابس فكيف ستدبرين امرك؟؟

ابتسمت باشراق وقد نسيت الجو حولها:

-ومانفع السوق .. سأشتري مايلزمني من هنا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)هل نستطيع الاتصال بشفا والاتفاق معها.. ربما غزل ايضاً..

هز كتفيه لايمانع فاتسعت ابتسامتها .. رأته يخرج هاتفه وهو يقول:

-سأتصل بأخوي اولاً ..

اومأت وراقبته يتحدث مع أخويه اولاً علي .. ثم رعاد .. ورأت الابتسامة تزين شفتيه .. رأت وجهه كيف استرخى وهو ينطلق في

حديث سلس معهما .. وشعرت بتقلص في معدتها قبل ان تستدير عنه وتعود لرؤية المكان .. كانت تغطي المفروشات طبقة لاتكاد ترى من الغبار .. لابد ان هناك من ينظف البيت باستمرار..

-سيأتيان بعد قليل ..

سمعت ماقال فسألته بفضول:

-من يعتني بالمنزل؟؟

-زوجة جمال .. الرجل الذي استقبلنا..

اومأت بتفهم ليعاود:

-سأدعها تجهز لك غرفة .. فالغرفة الوحيدة الجاهزة للاستعمال فوق هي لي..

احمرت لاتدرك لما وأشاحت عنه .. تزم شفتيها بحنق طفولي شعرت به .. ربما لأنها توقعت ان يعرض عليها الغرفة .. ولكنه لم يفعل .. بل جلس الى أحد المقاعد يتابع اتصالاته باهتمام .. كانت متعبة .. وتشعر بارهاق شديد .. كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة عصراً .. تركته وصعدت تستكشف الطابق العلوي ..

ثلاث غرف للنوم .. وصالة استقبال واسعة .. بالاضافة لديوانية واسعة ..

دخلت احدى الغرف .. كانت مفروشة بالكامل ولكن السرير كان عارياً .. والأخرى كانت جاهزة بشكل مفرح .. دخلت الى الغرفة الزرقاء وشعرت بالسرور لمنظر السرير بأغطيته النظيفة .. لابد أن المراة المسؤولة تغير الفرش باستمرار .. نزعت عنها تلك العباءة الضخمة وازاحت عن الفراش غطائه المخملي الثقيل واستلقت مسرورة لنعومته .. انها متعبة وهو لاينوي الاستفادة من غرفته فلتفعل هي .. تكاد تقع من فرط تعبها وارهاقها بعد ليلة جافاها بها النوم .. نزعت حذائها وفكت أسر شعرها ووضعت رأسها على الوسادة .. واغمضت عينيها لتغيب في عالم النوم دون اية مقدمـات..

***

انتهت بوقت قياسي .. تأملت ثيابها المكونة من تنورة طويلة بلون الدخان وبلوزة وردية عارية الكمين بجاكيت قصير من الدانتيل .. وحلية بسيطة من الذهب زينت جيدها وأذنيها .. وعقصت شعرها بخفة بنية ان تتركه منسدلاً فيما بعد ..ثم ارتدت عبائتها وطرحتها والنقاب وخرجت لملاقاة رعاد الواقف بصبر بانتظارها:

-انتهيت ..

-أخيراً ..

دمدم وهو يشيح عنها لتعبس وهي تلحق به الى السيارة التي يقودها علي .. والذي جلس رعاد الى جواره بينما جلست هي بالخلف ..

وسمعت علي يحييها بابتسامة لترد سلامه بخجل ..

-هيا نذهب تأخرنا ..

قالها رعاد بحدة أجفلتها وجعلت علي يبتسم بصمت ..

الطريق لفيلا الشيخ كانت سلسة .. وصلوا في أقل من نصف الساعة وعلى الباب استقبلهم قحطان معانقاً اخويه بمحبة .. قبل أن يقودهم لديوانية أرضية ويقول لغزل:

-سأنادي سيـادة في الحال..

اومأت له بخجل ليشق طريقه باستغراب بحثاً عن تلك التي قالت أنها ستلقي نظرة على المكان فقط .. قادته قدماه مباشرة لغرفته التي راى بابها مواربا .. وتسمر في مكانه ينظر اليها .. شعر باحتقان انفاسه والتي تصاعدت بقوة لتنحشر دفعة واحدة في سقف حلقه !! لم يشعر بساقيه التي تقدمت به نحو السرير الذي احتواها ..

كانت نائمة !! تفترش الملائات البيضاء بجسدها الرقيق وقد انتشرت خصلاتها الحمراء حول وجهها كأشعة شمسية .. نارية تحيط بوجه شاحب.. مرهق ..

تسللت أصابعه لتلامس النار المستعرة .. ناعمة .. مخملية.. كورق الورد..ابتلع الريق المتحجر ووجد نفسه ينحني ليشتم عبيره الأخاذ.. تباً لم يظن أن رائحة الليمون قد تثير فيه أعصاب حسية لم يدرك وجودها يوماً .. اقترب بوجهه منها لتلفحه أنفاسها الحارة .. كان قريباً لدرجة ان يلاحظ تلك النمشات القليلة التي قبلت اعلى وجنتيها وجسر أنفها ..كان قريباً لدرجة ان يلاحظ ان رموشها لم تكن سوداء بالكامل .. كانت لها اطراف حمراء برتقالية .. كشعرها تماماً !!

كان قريباً لدرجة ان تهزه من الاعماق تأوهاتها وهي تنقلب على جهتها اليسرى وتصبح في محاذاة وجهه .. لايكاد يفصله عنها سوى .. ذرات من هواء عبق بشرارات كهربية مثيرة .. استاتيكية غريبة عن عالم الفيزياء حركت كفه وجذبته ليلامس نعومة وجنتها .. يزيح عنها خصلاتها النارية التي انتشرت تحميها من عينيه الفضوليتين .. شعر بجفاف فمه .. وارتباك اصابعه وهي تكشف عن انفراج شفتيها المثير.. رأى احمرار وجنتيها .. وكأنها تنظر اليه بملئ جفنيها .. وترى بأم عينيها رغبته التي عصفت بعقله وتوازنه .. وجعلته كغر .. مراهق فقد عقلانيته امام امرأة .. ليست كأي النساء..

تنهدت .. فأرسلت مع كل نفس .. دعوة تقبلتها حواسه بشكل مثير للجنون .. لم يدرك انه قد ركع على ركبتيه امامها .. لم يدرك انه قد احتوى وجهها بين كفيه .. كانت كنداهـــة .. سحر وغموض .. احساس غامض من وراء الستار .. وكان هو ذلك الفلاح القروي البسيط الذي وقع بين براثن دعوتها الميتة ..

لم يعرف انه قد يغرق فيما هو فيه أكثر .. حتى فتحت عينيها .. حينها فقط فقد زمام الأمور كلياً ..

رآى الزمرد يشتعل .. يصطلي وسط النيـران .. وسمع ندائها البعيد .. يحمل حروف اسمه .. ليغيب ..

كشهاب محترق على سطح الشمس المشتعلة .. اجتاحته الحرارة القوية وهو يقربها منه .. وشفتاه تمتلكان بتسلط شفتيها .. ابتلع شهقتها .. واحتكم انفاسها .. بقوة وسيطرة لاتمت لقرويته البسيطة بشيئ.. كل ماكان يفكر به هو انه يريد ان يشعر بها من جديد .. حرارتها .. نعومتها .. ارتجافة انفاسها بين انفاسه .. اختلاط رائحتها الليمونية بذرات الهواء .. هو يريد ان يسحق هذه النعومة .. ان يستولي على الرائحة .. يريد ان يحول تلك الارتجافة لانتفاضة حب .. اجتاحته هو قبلها ..

كان أسوأ ماحدث له في حياته ..

كان أجمل ماحدث له في عمره .. ..

كان يقف على طرفي نقيض .. المرة الأولى كانت قسوة .. وغضب ..

ولكن الأن ..

رباه مايحدث له .. مايشعر به وهو يتذوق ثمرته المحرمة .. مايصارع ليكم عقله .. مايدفعه من ثمن كي لايغرق .. وكي لايهرب بعيداً عنها .. لم يعرف انه حتى بحاجة للهواء .. حتى شعر بصدره يضيق .. كان يكتم انفاسه .. لايزال يحتفظ بأنفاسها التي التقطها محملة بعبق من رائحتها .. ولايرضى حتى بزفرها ..

كاد يبعدها .. يتخلص منها وتأثيرها السام عليه وعلى بدنه ..

كجنون .. جنون خطر وجب التخلص منه .. ولكن هيهات .. حتى شهقة للهواء لم تسمح بها .. وحالما قرر الابتعاد .. كانت ذراعيها تحيطان به .. تعانقان كتفيه .. تنغرسان بين خصلات شعره الداكنة .. كانت تستولي عليه .. تفرض سلطتها .. بكل قوة ..

كانت تحلم .. بالتأكيد هو حلم ..!!

كانت ضائعة في وسط صحراء قحط .. حلقها جاف .. والشمس تكاد تكون على قمة رأسها .. كلها حار وينتفض من التعب والارهاق

.. كانت تصيح بحثاً عن النجدة .. يمنى ويساراً بحثت عمن يمكن ان ينجدها ويجدها وسط ذلك القفار .. ولكن لاأحد ..

كانت وحدها تائهة ..

مشت ومشت حتى كادت قدميها تصرخان باعتراض .. تتوسلان اليها التوقف والجلوس .. لبعض الوقت فقط .. حتى تنجلي كل تلك الألام .. أو تخف حتى دون فائدة .. مشت ومشت .. وحين ظنت انها لم تعد تقدر على الاستسلام .. سقطت .. حتى دموعها جافة ..

رفعت عينيها للسماء .. لتقابلها شمس حارقة .. صرخت بألم ووجع .. ولم تسمع رداً على صراخها سوى صوت النسور اللاحمة .. شعرت بالاختناق .. اختناق مؤلم استحكم حلقها وجعلها تبكي دون دموع .. بصوت يمزق نياط القلوب .. افترشت الرمال وقد استسلمت لواقع انها ستموت .. ضائعة وسط الصحراء!!

حينها فقط سمعت همسه ..

شعرت بأنفاسه القريبة .. لمسته الحانية كندفات ثلج في يوم قيظ الحرارة .. رفع عينيها اليه .. وهمست اسمه بصعوبة .. ليبتسم في عينيها ويجذبها الى ذراعيه ..

اتسعت عينيها بذهول وهي تشعر ببرودة حضنه .. ثم قوته .. تلك المشاعر التي هاجمتها وهي تتنهد باسترخاء بين ذراعيه ..وهو يغيبها في عناق افلتها من زمام أمورها ..وجعلها تتأوه برغبة لم تشعرها لرجل قبله .. وحين أراد الابتعاد .. لم تسمح له !!

لفت ذراعيها حوله .. لاتريد أأن يحرمها أحد من الأمان الذي تشعره بين ذراعيه ..همست باسمه مجدداً .. وفتحت عينيها .. لترقى قربه المهلك .. عينيه .. يالهول عينيه .. بركتا سواد .. احتوتا نظرتها المتوسلة .. اغرقت عينيها ولم تفلتهما .. افلت شفتيها بتنهيدة ..

لايصدق .. لايصدق مايحدث له .. ولاتكاد تفهم مايحدث لها .. تمتمت باسمه ..

قحطاآآآن ..!!

تساؤل وهي تشعر بالذعر وقد عاد اليها وعيها .. تدريجياً .. لتكتشف انها بين ذراعيه حقاً .. تعانقه وتتشبث بكتفيه كغريق .. تعانق اصابعها خصلاته السوداء بجنون .. وتحمل انفاسها حرارة قبلتهما .. التي فجرت بداخلها مالم تشعره لأحد من قبل .. اتسعت عينيها بذهول وهي تعي ماتفعل .. وتسمرت بين يديه ..

نظر لعمق زمردتيها .. تحمل احساساً بالارتباك .. احساس عامر بالغرابة .. نظرت له مشتتة .. فنظر لها بظلمة عينيه .. تصلب فكه .. اشتداد شفتيه لخط رفيع قاسٍ .. ثم ذلك الاحمرار الذي غزا وجهه .. امتدت يداه يفك أسره من ذراعيها .. بقوة وحزم وثبات .. لايشي بما كان يشعر به قبل لحظات بين ذراعيها ..

همست باسمه بتردد لينهض بحدة ويهمس بصوت فقد ثباته :

-اخوتي وغزل بالأسفل .. لاتتأخري..

اتسعت عينيها بذهول وهو يتركها ويستدير بعيداً .. ارادت أن تصيح .. ان تناديه ولكنها عادت لرشدها .. مالذي تفعله ؟! هل جنت؟! ألا تكفيها النظرة المظلمة المحملة بالاحتقار والتي لاحت في عينيه حين ابتعد عنها؟! اجتاحتها الحرارة وهي تشعر بما فكر به؟!

تباً له ..

فكر بحقد .. كيف انساق وراء رغباته بكل تلك السهولة كيف؟!

كيف استسلم لاغواءها وهو اكثر من يعرف انها لم تكن له من قبل ولن تكون الأن ؟! تنهد بضيق استحكم صدره .. انه يريدها ..

قبض كفيه بعنف تباً لكل رغباته .. تباً لجنون مشاعره التي كادت ترمي بعقلانيته وراء ظهره وتتركه يستسلم لجنون رغباته ويخضع

لسلطان تلك المرأة التي مرغت كرامته يوماً وفعلت المثل قبلها لكرامة واسم عائلتها .. كيف له ان ينسى .. كيف له أن يخاطر بها تفكر بغيره وهي بين ذراعيه ؟! كيــف؟!

تنهد بحرقة .. واندفع الى الحمام الملحق .. يريد فقط ان يتخلص من تلك الغشاوة حول عينيه .. غسل وجهه عدة مرات .. بدون توقف .. ليتغلل الماء لثنايا عقله .. وربما يخلصه من جنونه ..!!

وهي نهضت ببطئ .. توجهت الى المرآة ووجدت أثار مافعله بها .. شعرها المشعث.. شفتيها المتورمتين .. وجنتيها المحترقتين .. بشرتها المتوهجة .. رفعت يدها تحيط بعنقها بشحوب.. رباااه ..

مالذي حدث لتوه .. !! كيف لها ان تفعلها من جديد .. كيف لها أن ترضى بعينيه والاحتقار يملؤها .. شعرت بالغصة تقتلها وهي تشعر بخروجه العاصف من الحمام .. مر من خلفها فاستدارت اليه .. بسرعة تقبض على مرفقه .. تتشبث به ولاتعرف لما ..

توقف بحدة والتفت اليها ..

لا لا .. همس قلبها بوجع لاتدري له سبباً .. لاتنظر لي هكذا ..

-لماذا؟!

تسائلت مخنوقة .. لاتعرف غرض السؤال حتى هي نفسها .. أتتسائل لما تركها ؟؟ أم لما بدأ معها من الأساس .. عيناه تتقلبان بين الاستحقار .. والرغبة المشتعلة والتي لم تهمد بعد.. رفع حاجبه باستعلاء .. ورمق كفيها المتشبثين بذراعه بقسوة جعلتها تجفل مبتعدة .. لاتعي التوسل المخزي الذي انسكب من عينيها وهي تنظر اليه .. والذي استقبله بكل غروره الذكوري الفظ ونفضه عنه كرماد سيجارة وخطايا فاسق لاتغتفر ..

-اخبرتك ألف مرة قبلاً .. أنا لاأرضى ببقايا غيري..

اختار ان يفسر سؤالها كما يريد .. واختار اجابة تقضي على نبضات قلبها .. وتحطم مشاعرها .. كشيء قذر سئم منه .. كرهته وقتها .. كرهت هذه النظرة وكل هذه القسوة وهو ينفضها عنه ويغادر ..جلست بلاحراك لدقائق طويلة تنظر عبر المرأة .. وكأنها تسأل نفسها دون أن تجد من يجيبها.. مالذي تريدينه منه؟؟ وأنت نفسك من زرع هذه الفكرة السوداء في رأسه؟؟ مالذي تريدينه منه ؟؟ وهو ان أقسمت بالكتاب وربه لن يصدقك؟؟

ورفعت لنفسها عينين مرتجفتين..

لما تريده أن يصدقها ..!! فليذهب للجحيم .. فبعد ايام لن تكون هنا؟؟ ولن تضطر بعد الان لسماع مايقوله لها ولاكيف ينظر لها .. ستنجو بنفسها منه.. سترحل وتتركه يتخبط في دنيته القاحلة وحده .. انسابت دمعتها تبلل وجنتها بحزن لاتدرك سببه .. ولكنها تركته .. يغسلها للعمق ..

***

الصباح التالي ..

كان يقودها الى العيادة لمقابلة المختصة النسائية .. وبعد الغداء كانت على موعد مع شفا وغزل للسوق .. ليلة امس كانت الامسية هادئة .. هي في عالم من الاحتقار للنفس والحزن .. اضافة للتعب والارهاق .. وغزل كعادتها هادئة وصامتة .. كانتا تسمعان الضحكات من المجلس المجاور .. هي ترتجف لعمق صوته ونبرته المتسلطة .. والأخرى تجفل كلما سمعت صوت زوجها يزعق بأسلوبه الفظ الغريب ..

بعد انصرافهم .. رأته يتوسد المجلس .. لم تجرؤ على سؤاله ان كان سيقضي ليلته هناك ولكنها فهمت انه سيفعل .. وصعدت لغرفته ..

اغلقت الباب عليها بقوة .. واستلقت على الفراش تناظر السقف .. وهي تحاول الاستغراق في النوم .. ولم تفعل حتى ساعات الصباح الأولى .. حين وصلا كانت المختصة بانتظارهما .. اعتذرت بلباقة وهي تواجه نظرات قحطان العاصفة لعدم تواجدها ليلة أمس .. اجلستهما امامها ونظرت للفحوص باهتمام قبل ان تنظر لقحطان وتقول:

-زوجتك ليست حاملاً سيد قحطان..

-أعرف هذا ..

هتف بغلظة أجفلت المرأة التي التفتت لسيادة ورأت المرارة على وجهها .. عقدت حاجبيها وهمست:

-انتما لاتزالان شابين والعمر كل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-اسمعي ..

هدر بنفاذ صبر وهو يلوح بكفه:

-لاداعي لكل هذه النصائح اخبريني مابها زوجتي لتعاني من كل هذا الارهاق والتعب ودعينا ننصرف من هنا.

عقدت المختصة حاجبيها بحنق ونقلت بصرها بينهما .. ورأت انكماش سيادة الواضح والشحوب على وجهها قبل أن تغلق الملف الطبي بيدها وتواجهه بحدة:

-اسمعني ياسيد .. زوجتك وللأسف تعاني من سوء تغذية حاد .. بالاضافة لنقص في المناعة .. والحديد .. وكأنني اراقب فحوصات مريض من المهمشين وليس سيدة من عائلة محترمة وزوجة لشيخ قبيلة .. اخبرني ماتفعله بها؟؟ تحبسها؟؟!!

صرخت به بغيظ .. وهي تراقب انفعالاته المصعوقة وهي تخبره النتائج .. لتفاجئ بضحكة ساخرة طويلة من الجهة الأخرى ..

التفتت لسيادة التي لم تقدر على التماسك .. لم تقدر على ان تمسك نفسها وهي تسمع ماقالته.. سوء تغذية حاد ؟؟ نقص حديد وغيره؟؟

ضحكت بهستيريا .. هي .. سيادة العزب بجلالة قدرها .. تعاني كما يعاني المساجين(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لما تضحكين سيدتي هل أخطأت بشيء..؟؟

نظرت للمرأة المستغربة وهي تحاول السيطرة على ضحكاتها بالافائدة:

-لا .. لاشيء..

دمدمت ضاحكة .. يالسخرية .. نظرت له وسط ضحكاتها لتراه يناظرها بعنف ..فازدادت ضحكاتها وهي لاتقدر حتى على السيطرة على نفسها وهي تهتف به:

-أخبرها قحطان .. هل تحبسني في زنزانة ما ؟!

ازداد انعقاد حاجبيه .. اشتعل غضبه وانقبضت كفيه بقسوة كادت تحطمها .. لاينكر انه شعر بحقارة مافعله بها وقذارته حالما أخبرته المختصة بماتعانيه .. لاينكر احساسه العارم بالارتياح وهي تؤكد له حسن ظنه بها وأنها لاتحمل طفل رجل سواه .. ولاينكر ماشعره من اسى لمنظرها وهي تضحك بتلك الطريقة ..

حتى جاء سؤالها الساخر .. محملاً بنبرة اتهام قاسية سمرته مكانه وغضبه يتصاعد .. بالخصوص لمرأى دموعها التي انسابت بحرقة على وجنتيها دون أن تعي هذا ..

رأى الطبيبة تسرع اليها وتساعدها على مسح دموعها والتي تحولت لشهقات متتالية وهي تحاول السيطرة عليها دون فائدة .. انتزع نفسه مماهو فيه ونهض يجذبها بعيداً عن المرأة الأخرى وهو يهمس بحدة:

-توقفي عن البكاء..

خفضت عينيها بحرقة وشهقاتها تزيد .. ترتفع لحدود السماء ولاتعرف كيف تسيطر عليها .. لاتدرك حتى ماسبب انفجارها بالبكاء وهي كانت تغرق في الضحك !! كلما أدركته انها تريد البكاء والصراخ والعويل .. اهٍ منه ومن كل مايفعله بها ؟؟

-قلت توقفي..

صاح بها لترفع عينين حادتين اليه وتصيح بحرقة:

-لاشأن لك (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) هل ستحاسبني على البكاء كذلك؟؟

اتسعت عيناه بذهول وهو يراقب كيف التمع الزمرد خلف ستار الدموع .. كحجر كريم .. غارق وسط محيط .. رفع كفه يمسح دموعها عن وجنتيها لتبتعد بحدة وهي تصفع يده .. ازدادت عقدة حاجبيه وغصته التي استحكمت صوته وكلماته التي اراد ان ينزلها على رأسها كالسياط .. ووجد نفسه يجذبها اليه بكل سلاسة .. لتغرق الباقي من دموعها على صدره ..

اووه .. كم ان حضنه دافئ ..

فكرت بجنون .. كم كانت صلابة صدره كفراش من ريش النعام تحت وجنتيها .. انهمرت دموعها بشكل اقوى وهي تتشبث به

بقميصه وتسمع هدير دقات قلبه .. في حين كانت يده تمسد ظهرها بنعومة وحنان .. والأخرى تشدها اليه .. بقوة وتملك ..

نظر للطبيبة التي وقفت تراقبهما مصعوقة من غرابتهما وهمس بخشونة:

-شكراً لك سيدتي .. ولاتقلقي عليها سأفعل اللازم لتستعيد قوتها..

اومأت المرأة بشرود .. بينما كان هو يساعد سيادة على النهوض ويوجهها للباب .. لم تكن قادرة حتى لعى شكر المرأة .. كانت تلتجئ لدفئ ذراعه التي أحاطتها بقوة وتسلط .. مستسلمة .. لاتعرف لمتى؟؟ فقط لتستعيد توازنها .. حمقااء .. الى متى يأسرك بتصرفاته العفوية التي تفاجئك انت قبله هو؟؟

الى متى تقفين متفرجة له وهو يلعب بمشاعرك ويحكك كالدمى؟؟

تخلصت من ذراعه حولها بحركة سريعة وهمست بتوتر:

-استطيع المشي وحدي.

نظر لها بغرابة .. قبل ان يفتح لها باب سيارته.. عم الصمت بينهما .. هو غارق في احساسه بالذنب الجديد عليه وهي تفكر بطريقة لتفسر مشاعرها الغريبة نحوه.. أخذها لمطعم هادئ راقٍ .. وكان اهتمامه يعكس تفكيره بالذنب الذي يأسره ..

كلي هذا .. تذوقي هذا .. لاتشربي الشاي .. خذي العصير..

نظرت له حانقة وهتفت بحرقة:

-لست طفلة ..

لم يعرها اهتماما وهو يقدم لها طبقاً من كبد الطيور المشوية قائلاً:

-ان بها نسبة عالية من الحديد .. كليها كلها ..

شهقت ونظرت له عابسة:

-لقد أكلت مايكفيني لسنوات ..لن أكل لقمة واحدة بعد.

نظر لها بصبر.. يحاول معه السيطرة على غضبه هو قبلها :

-تناوليه سيـادة والا جرعتك اياه غصباً ..

شهقت وزمت شفتيها بعناد وهي تعقد ذراعيها على صدرها وتتراجع في مقعدها .. رافعة احد حاجبيها لتلمع زمردتيها بتحدٍ وهي تهمس:

-حاول ماتقدر عليه ياشيـخ..

شعت عيناه بغضب وهو ينقل بصره بالطاولات حولهم والتي نظر لهم روادها بتسلية وقد ورد اليهم بضع مما قالته .. جز على أسنانه وهمس بصوت حديدي:

-لاتناقشيني ياسيادة والا فعلت مايجب لتأديبك أمام الجميع .. والأن كلي ولاتتصرفي كالأطفال.

شعرت بكتلة تكتم على انفاسها وهي ترى غضب حقيقي في عينيه .. خوف ربما ؟!!! خوف أحنقها وجعلها تكتم غيظها وتتوعد في سرها ان انتقامها منه سيكون مدوياً ..

أكلت ماطلبه منها بصعوبة .. بالكاد تقدر على ابتلاعه .. وهي تنظر له بصمت .. عينيها محتقنتين .. تكاد تنفجر بالبكاء .. ولكنه لم يأبه لها ..

حين غادرا كانت هي على موعد مبكر للتسوق مع شفا وغزل .. ومع اتصال امها الذي طال انتظارها له .. رمقته خفية .. مالذي سيفعله لو عرف انها تنوي الهروب منه؟! جف فمها وهي تتخيل ردة فعله .. لماتخطط له وانتقامها .. منه .. احساس بشع بالخوف اجتاحها .. وشيء اخر .. شيء لم تفهمه سيطر على اعصابها وتسارعت معه دقات قلبها وهي تفكر .. لو رحلت الأن .. سيتأكد من كل شكوكه .. سيتأكد من أنها مجرد رخيصة وانها سلمت نفسها لذاك الرجل ؟! ستترسخ الفكرة في رأسه.. وعندها سيتيقن ولايمكن ان يصدقها بعدها؟!

تباً تباً ..

اتسعت عينيها بحنق .. لماذا تفكر بماسيقوله وماسيظنه .؟؟ فليذهب للجحيم .. ولما تفكر اصلاً بتبرير نفسها له؟؟ لايهمها الأمر .. لايهمها ولايمكن ان يهمها..

اشاحت عنه بحدة .. ثبتت عينيها على الطريق وتركته يقود بصمت .. قلبها يرجف .. بخوف وقلق .. ترقب واحساس عامر بشيء على مشارف اليوم يقترب .. ولاتعرف ماهو .. لاتجرؤ حتى ان تسأل؟؟

***

ارتدت عبائتها وصندالها الرقيق وتوجهت للخارج وهي تحكم اغلاق حقيبتها .. انها المرة الأولى التي تخرج بها للتسوق منذ وصلت الى عدن.. ابتسمت بفرح لم تملك سوى الشعور به .. وتقدمت من غرفة المكتب حيث يقضي رعاد فترة بعد الظهر ..

وحال اقترابها من الباب سمعت ضحكته المجلجة ..

عبست وهي تفكر انها تسمع ضحكته تلك للمرة الأولى منذ سنوات؟؟ اقتربت اكثر وسمعت الصوت المألوف يقول بحماس:

-بالطبع سنتمكن من الفوز تلك مسألة لاشك فيها.؟؟

"يتحدث عبر الهاتف؟؟" فكرت بحيرة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

-لاتقلقي .. ستكون المنافسة شريفة وسنتمكن منهم جميعاُ مادمنا معاً..

ارتفع حاجبيها مجحظت عينيها مصعوقة..

يحادث امرأة .؟؟؟ من هي تلك التي سيفوز مادامامعاً؟؟؟

-رانيا لاتقلقي .. خوفك لامبرر له؟؟

تصلبت حواسها وهي تسمع (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لن يفرقنا أحد اطمئني ..

ابتعدت كالميتة .. كل اطرافها متيبسة .. جامدة عينيها جاحظتين تناظران الباب الموارب والذي حمل من جديد ضحكة زوجها المجلجلة في حديثه مع امرأة سواها .. تراجعت بخوف شلّ اطرافها وجعلها تسقط على طرف الكرسي ناظرة للفراغ ..

هناك امرأة أخرى؟؟؟ فكرت بخواء .. امرأة تبسط طريقها لقلب رعاد؟؟

بل انه هو من يفرش لها الطريق .. ويعدها ويطمئنها؟؟ بردت اطرافها .. باتت كالثلج وهي تنظر بهلع لكفيها المتشابكتين في حظنها .. لماذا؟؟

لقد وعدها رعاد ان يظل بقربها وألا يتركها قط ..

سمعت الباب .. رفعت عينيها تنظر اليه ..

رأت حاجبيه ينعقدان بتوتر .. وسرعان ماكان قربها:

-غزل هل أنت بخير؟؟

نظرت له خرساء من هول ماسمعت وماتفكر به ليعود بحرارة:

-هل أنت مريضة ؟؟ انظري لك انت شاحبة للغاية؟؟

جلس الى جوارها .. التقط كفيها .. دعكهما بيديه بقوة علة يبعث لعض الحرارة والحياة لكفيها الباردين كالثلج:

-غزل تكلمي معي ماذا أصابك؟؟

أشاحت عنه .. لاتقوى على النظر اليه ..

كل شيء من حقه .. رعاد رجل .. بكامل قوته وحيويته؟؟ من حقه البحث عن امرأة يختارها بنفسه.. تشاركه حياته .. تعطيه من الحب والحنان مالم تستطع هي تقديمه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

فكرت بذهول .. قبل ان تستولي عليها المرارة وتفكر.. "هو قد قالها قبلاً .. هي مجرد امانة .. أجبر على الاعتناء بها بعد وفاة أخيه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ليست من حقه وليس من حقها!!" شعرت بالأسى يجتاحها .. ربما هي غيورة منه .. لأنه يستطيع ان يعيش حياته بينما هي .. هي لاتقدر..

ابتلعت ريقها بمرارة قبل ان تجتاحها رجفة عميقة وهي تشعر بأصابعه الطويلة الخشنة تقبض على ذقنها وتدير وجهها اليه:

-ماذا بك ياغزولة؟؟

همس بحنان .. صوت عذب ارسل شرارت قوية الى اطرافها .. جعلها تفتح فمها بغباء تنظر لعينيه الصافية وهو ينظر اليها .. بنظرة لم تقدر ان تفسرها.. اشعلت بداخلها جمرة لم تفهم معناها ..

-سنتأخر ..

همست وهي تحاول التخلص من نظرته التي حطمت شيء بداخلها .. سد ضخم جرف ماخلفه بقوة .. اغرقها ولم تعد تقدر على الصمود في وجهه ..نهضت مرتبكة .. سمعت تنهيدة اليأس التي غادرت شفتيه .. ولم تتوقف لتنظر وتسأل عن السبب .. غادرت قبله .. وبقي هو هناك خلفها بنظرة غريبة تلمع في عينيه ..كاد يجزم انه رأى بعض الاهتمام في عينيها .. ولكنها تعود وترفع حصونها امامه ..

تنهد بقهر ونهض خلفها .. سيوصلها .. ثم يعود الى دراسته .. فليس له وقت ليحكم عواطفه على عقلانيته الان .. حتى تعود هي .. وربما وقتها .. ربما ..

وصلا بعد دقائق الى السوق الضخم .. وبعد اتصال قصير عرف اين ينتظره اخيه ..

حالما التقت النسوة الثلاث .. انطلقن في طريقهن .. في حين غادر رعاد .. واصطحب عمرو قحطان الى مكان مجهول ..

كانت رحلة التسوق ممتعة .. باستخدام بطاقة قحطان البنكية اشترت ماارادت وأكثر .. كانت صحبة شفا الشهري ممتعة بانطلاقتها ومعارفها تقريباً في كل انحاء السوق المغلق من مالكي المحلات للبائعين .. ضحكت سيادة في سرها وفكرت .. هي كانت هكذا قبل أن يخطفها ذلك الشيخ ..

غزل كانت شاردة معظم الوقت .. ولكن هذا لايمنع انها قد استخدمت حسابها البنكي باسراف كذلك .. كانت ترى ضحكتها من وقت لأخر .. ولكن بمعظم الوقت كانت صامتة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

حين قررت الفتيات الجلوس في مقهى وتناول المثلجات ادركت سيادة ان الوقت قد حان للاتصال بأمها .. وبخجل طلبت هاتف شفا التي ناولتها اياه بلاتردد ..

نهضت عنهما وابتعدت معتذرة.. كانت ترتجف .. تتلفت حولها بعينين متسعتين وكأنها ستجده خلف عنقها بلحظة .. سمعت الرنين القصير قبل ان تفتح امها الخط وتناديها بلهفة:

-سيـادة؟؟

-امااااه ..

نادتها باكية لاتعرف السبب ..

-هل أنت بخير؟؟

تسائلت ايفا بجزع لتحاول سيادة السيطرة على نفسهاوهي تهمس:

-نعم .. انا . اانا بخير..

-هل نفذت ماقلته لك..؟؟

-نعم امي .. الان انا بالخارج واحتاج لمساعدتك لاغادر من هنا اماه

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لقد تعبت..

همست كلمتها الأخيرة بتهدج اصاب عقل امها بالجنون .. فنهضت عن كرسيها قائلة بحزم:

-أين انت بالضبط .. سأدع رجل القنصلية يقابلك لاتمام كل مايلزم ياسيادة..

القت لها سيادة اسم السوق مرتجفة .. فهمست امها/

-لاتقلقي بنيتي .. أقسم ان اخرجك من هناك وبعدها سأنتقم منهم جميعاً ..

اغمضت سيادة عينيها وهمست بألم:

-لو عرف قحطان امي .. سيقتلني..

شعت عينا ايفا بالغضب وصرخت:

-سأقتله ان تسبب لك بالأذى بنيتي .. سأقتله..

اجتاحها أسى هائل لم تدرك سببه وهي تهمس:

-فقط أخرجيني من هنا .. اريد الابتعاد عنه أمي..

دارت ايفا حول مقعدها وهمست بحرارة:

-لاتخافي بنيتي .. لاتخافي .. سيادة ..

همست بتردد لتجيبها ابنتها:

-ماذا هناك امي؟؟

-هناك من يريد التكلم معك بنيتي..

عقدت حاجبيها قبل أن تسمع الصوت المالوف ..

-حبيبتي ..

انتابها الغثيان ..

لم تعرف لماذا او كيف .. ولكن .. حال سماعها صوت عبدالعزيز تصاعد شعورها بالغثيان ليجتاحها ويصيبها بغضب وحنق تجلى في صوتها وهي تتذكر كل ماعرفته انه قاله لوالدها :

-ماذا تريد؟؟

احتقن وجه عزيز وهو يسمع صوتها .. ايام طويلة مرت وهو يعين نفسه على الصبر كي يسمع صوتها من جديد اراد ان يدفع عمره كله فقط ليراها ويغرقها بين ذراعيه من جديد ..

-اريدك انت حبيبتي..

همس كعاشق ولهان .. لتصرخ بيأس وتصرخ غير مبالية بمن سيسمع:

-اسمعني أيها الحقير.. لم أنس مافعلته .. ماقلته لوالدي .. كذبتك الحقيرة التي أدفع ثمنها الان بكل قسوة.

-سيادة اسمعيني ..

هتف بترجي وهو مصعوق مماتقول ولكنها لم تسمع بل اندفعت تهتف بحرارة:

-بسببك انت .. بسببك انت هو يظنني فاسقة مرغت اسم عائلتها بالوحل .. بسببك انت هو يكرهني ويحتقرني .. انت هو سبب كل ماحدث لي .. انت سبب كل مصائبي..

-من هو هذا؟؟

صرخ بجنون .. لتجيبه بحقد:

-انه زوجي ايها الأحمق .. زوجي الذي يكرهني ولايطيقني..قحطاان .. الرجل الذي اجبروني على تحمل كراهيته وقسوته .. انه الرجل الذي تسببت انت بوجوده في حياتي..

-سأقتله .. سأمزقه الى قطع ..

صاح بعنف لتضحك باستهزاء وهي تتخيل مواجهة بين عبدالعزيز وقحطان ..ليصرخ اسم الأخير بجنون معلناً فوزه دون مقاومة من الاول .. لم تكن تريد ان تقارن .. فكما هي تكره قحطان .. الان هي لاتطيق عبدالعزيز ولاترغب حتى بسماع صوته:

-اعطني امي .. الان..

هدر بقوة وهو يضغط على الهاتف:

-اسمعيني ياسيادة .. انت لي وحدي .. انت من حقي ولو ان ذاك الرجل مسك بسوء .. سأحطمه.

-قلت لك اريد امي..

صاحت بعصبية .. لتسمع امها تهدئ من روعها وقد استولت على الهاتف من ذاك الغبي الذي يكاد يفسد كل شيء بعصبيته:

-انا هنا معك حبيبتي..

-امي انا لااريده ان يبقى .. اريده خارج حياتي حال عودتي .. لااريد سماع حتى اسمه.

صاحت بحرقة لتهدئها امها وتهمس لها:

-اطمئني حبيبتي .. اطمئني كل شيء سيكون على مايرام .. والان اسمعيني لقد تكلمت مع رجل القنصلية .. وهو في طريقه اليك في الحال .. بعد ساعة واحدة اريدك ان تتصلي به .. احفظي رقمه واتصلي به وهو سيتكفل بكل شيء بنيتي..

حاولت سيادة السيطرة على غضبها .. حاولت السيطرة على تدفق الدم بقوة عبر دماغها ..

حاولت حفظ الارقام التي ملتها لها امها .. ورددتها بصدرها عدة مرات حتى حفظتها .. ثم ودعتها باختصار .. وحاولت تمالك نفسها لتعود لرفيقتيها ..

حالما اغلقت الخط .. التفتت اليه:

-هل جننت .. أتريدها ان تكرهنا نحن كذلك..

-ابنتك لم تعد كما كانت ..

همس بشرود .. عيناه تغيبان في الافق عبر النافذة الزجاجية لتعقد ايفا حاجبيها وتهمس:

-ماذا تعني؟؟

-هناك ماتخفيه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-انها غاضبة منك؟؟ ليس الا ..

-لا ..

همس وهو ينظر اليها ثم يواصل بقهر:

-سيادة تعلق اهمية كبيرة على ابن عمها .. انها مقهورة من نظرته نحوها كفاسقة كما تقول ..هي تكره انه يظنها عشيقتي .. تكره هذه الفكرة وتكرهنا لها..

-ماذا تعني؟؟

صاحت ايفا بنفاذ صبر ليجيبها ببرود:

-ابنتك تتعلق بذلك البدوي .. انها تتعلق به ..

اتسعت عينا ايفا بذهول وصاحت:

-انت مجنون ..

هز رأسه بيأس:

-انه واضح تماماً .. مهما كانت رغبتها بالهرب منه فهي تقاوم مشاعرها الجديدة يايفا .. انها تقاوم ولكنها تتعلق به لااعرف الى اي مدى ولكنني اخاف ان تركناها لمدة اطول ان نفقدها..

اتسعت عينا ايفا مصعوقة ليستمر:

-علينا ان نعيدها لباريس بأسرع وقت ممكن والا سيطر ذلك الرجل على سيادة وحصل عليها؟؟

-لا لا .. ليس ابنتي ..

همست ايفا بشحوب .. ثم قالت بعصبية:

-سأتصل بالرجل ليسرع الامور .. اانا اريد ابنتي ..

عقد عزيز حاجبيه وهمس بقسوة:

-علينا ان نعيدها بأسرع مايمكن .. لايعقل ان نتركها اكثر ..

ثم ضاقت عينيه وهو يتذكر ماقالته عن ذلك الرجل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)قحطان ..!! الشيخ القروي الذي استولى على امرأته .. قبض على كفيه بقوة .. يقسم ان ينتقم منه .. ان يوجع قلبه كما فعل هو به ..

-في هذه الاثناء .. سأخذ انا بثأري من ذلك الشيخ ..

عقدت ايفا حاجبيها بتساؤل ليبتسم عزيز ويهمس بسخرية:

-الا تدركين مدام ان للشيخ نقطة ضعف هنا بيننا .. وانا وأنت ..

سنستمتع بكل هدوء .. بانتقامنها منه عن طريقها ..

اتسعت عينا ايفا وعزيز ينظر لها مبتسماً:

-تريدين التخلص من كل افراد العزب الذين شتتو عائلتك .. انا لها

يامدام ..

-ماذا تنوي ان تفعل عزيز؟؟

همست بتوجس ليبتسم بسخرية متشفية وهو يفكر بقحطان :

-سأفسد له حياته .. سأفسد له شقيقته .. وأجعلها خاتماً في

اصبعي .. قبل أن احطمها تماماً ..

رفعت ايفا حاجبيها بذهول .. وهي تكتشف جانباً جديداً في

عبدالعزيز .. جانباَ شيطانياً .. للغاية ..!!

***

فعلت كما طلبت منها امها ..

بعد ساعة .. اعتذرت من رفيقتيها للذهاب للحمام .. وتركتهما امام

احد المحلات مع وعد اللقاء بداخله .. وتراجعت تبحث عن محل

اتصالات عام .. عضت شفتيها برقة وهي تتلفت يمنى ويساراً .. بحثاً

عن واحد .. كانت في الطابق الثاني من السوق العام .. وهناك وجدته ..

طلبت الرقم .. بأصابع ترتجف ليرد عليها الرجل الفرنسي .. كانتقلقة وتكاد تموت من الرعب وهي تصف له مكانها .. ووقت انتظارها له كانت تموت من الرعب ..تتلفت حولها باستمرار بانتظار ان يفاجئها قحطان .. !!

كانت تقف وهي تحاول السيطرة على غطائها الذي لم يكن يستقر على رأسها للحظة .. حتى راته من بعيد .. تعرفته على الفور .. رجل طويل القامة .. اسود البشرة .. تقدمت منه وهمست باسمه بتوتر:

-مسيو باري؟؟

التفت الرجل لها وتأملها باستغراب لمنظرها بالغطاء وهمس بالفرنسية:

-مدام سيادة..؟؟

تنفست الصعداء وقالت هامسة:

-نعم انها انا..

قادها الرجل لركن قصي وهمس لها:

-هل انت وحدك؟؟

-لا ولهذا علي الذهاب الان بأسرع وقت .. ماما قالت بأنك ستساعدني على الخروج من هنا..

همست بضراعة ليقول :

-بالطبع مدام .. لقد شرحت لي مدام ايفا طريقة زواجك وكيف ارغمت عليها .. ولكنني لاافهم سبب رفضك الالتجاء للشرطة؟؟

اتسعت عينيها وهتفت:

-لا لا ليست الشرطة .. انا لااستطيع .. انها عائلتي ..

همست بضعف وهي لاتستسيغ حتى تبريرها في حين نظر لها الرجل باستنكار لتهمس له:

-اخبرني كيف ستساعدني؟؟

-لقد وجدت نسخة من جواز سفرك في القنصلية .. وسأستخدمه لاستخراج جواز جديد لك .. وبهذا نستطيع اخراجك دون الحاجة لجوازك الذي اخفاه والدك .. انا فقط بحاجة للوقت.

-وانا ليس لدي الوقت .. لااعرف كم سنمكث هنا ولكنها مدة قصيرة حقاً ..

هتفت بيأس ليومئ لها وهو يخرج من جيبه هاتفاً محمولاً:

-حسناً حسناً لاتقلقي .. خذي هذا ..

نظرت للهاتف باستغراب فقال بحسم:

-اخبرتني امك انك لاتملكين واحداً .. وانا بحاجة لأن اتصل بك وابلغك بكافة الترتيبات .. لذا اشتريته لك .. سأتصل بك غداً في المساء..

وأطلعك عليها كلها.. اتفقنا؟؟

نظرت للهاتف بشك قبل ان تومئ بتوتر ..

حينها ودعها الرجل .. وانصرف بهدوء..

أخفت الهاتف بحقيبتها وعادت لرفيقتيها .. تكملان رحلة التسوق وهي تفكر .. مالداعي لشراء الملابس .. مالداعي لكل تصرفاتها المتماسكة وهي ترتجف من الاعماق .. مالداعي ان تقف وهي لاتريد سوى الانهيار باكية ولاتدرك مالسبب ..؟؟؟

***

-لقد أحضرت الأوراق المطلوبة ..

قالها عمرو الشهري بهدوء وهو يناول قحطان مجموعة من الاوراق التي حالما نظر لها تبدل الهدوء في وجهه لعاصفة من الغضب وهو يهتف:

-الحقير..

-اهدئ قحطان ..

قالها عمرو بهدوء ليعصف صديقه:

-لاتطلب مني الهدوء وهذا الوغد يريد ان يحطم سمعتنا في السوق بتصرفاته اللصوصية .. ساعلقه من قدميه اقسم على هذا حال عودته ..

-انه في تايلاند واعتقد انه يحضر لصفقة جديدة ..

قالها عمرو ليغرق قحطان بالتفكير.. كيف له ان يواجه كل هذا .. ابن عمه .. زوج شقيقته .. يهرب أسلحة الى داخل البلاد .. وليس هذا فحسب .. بل هو يستعمل تجارته كغسيل اموال لكثير من تجار السلاح في المنطقة .. كيف سولت له نفسه فعل هذا؟! كيف خرج عن طوع قبيلته .. !! لو عرف الشيخ .. لو عرف مايخفيه حسن العزب لقتله بيده (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ماذا تنوي ان تفعل؟!

نظر لعمرو بحنق وهمس:

-لن افعل شيئاً الان حتى يعود .. وحينها أقسم انه سيفكر مليون مرة قبل ان يخطو خطوة واحدة دون مشورتي..

اومأ عمرو ونظر في ساعته:

-الا تعتقد ان نسائنا قد قضوا مايكفي في التسوق؟! اخاف ان تعلن ارصدتي نفاذها قريباً..

لم يستجب قحطان لمزاح عمرو .. بل اتجهت افكاره بجنون لزوجته التي تعد احدى مصائبه الكثيرة .. وشعر بالمرارة وهو يتخيل ماكان سيكون عليه الأمر لو انها كانت زوجته حقاً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

دون منغصات .. يعاملها ببساطة وحرية كما يفعل صديقه ..

لينتفض بقوة وهو يهب من مقعده.. تباً له أيفكر بعلاقة عادية وبسيطة مع تلك المرأة ..

خفق قلبه بجنون وهو يصرخ مجيباً بنعم .. ليجبره على الصمت بعقلانية .. وسيطرة مهولة على النفس ..وهو يقود سيارته ليعيدها للمنزل ..

لم ينظر اليها .. تركها تتكلم مع غزل التي اعادها هو الى بيتها .. ورافقها الى شقتها بصمت حتى سلمها ليد شقيقه الذي شكره بابتسامة مقتضبة .. ثم رفض دعوته له على العشاء وعاد لتلك في السيارة ..

كانت منكمشة على نفسها .. تفكر للحظات .. لو نظر لعينيها لعرف ..

ذعر انتشر بداخلها وهي تكتم انفاسها وهو ينسل الى مقعده بجوارها .. تحيط حقيبتها بيديها بذعر .. خائفة لو انه اكتشف الهاتف (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) والخطة باكملها ..

لا لا .. كيف له أن يعرف كيف ..؟؟

فكرت تطمئن نفسها .. في حين كان هو يصارع مشاعره التي تحاول السيطرة عليه ..

انظر اليها فقط .. اشبع عينيك من رؤيتها ..

قبض على مقود السيارة ورفض الانصياع لتلك المشاعر والافكار العقيمة والتي دوت في خلايا مخه باصرار..حالما وصلا الى المنزل لملمت سيادة اغراضها وتمتمت بتحية صغيرة قبل ان تركض الى غرفتها ..

كانت تجاور غرفته التي باتت فيها ليلتها وقد رتبتها زوجة الحارس ونظفتها وفرشتها..

حالما دخلت .. سارعت باخفاء هاتفها وسط اكوام الملابس التي اشترتها ..

ووقفت تلهث..

لن يعرف .. كيف له ان يعرف ..

واست نفسها .. وهي تجلس على سريرها .. يجب ان تتخلص من هذا الخوف .. كلها ايام وربما ساعات قليلة وترحل .. تهجره .. تفر منه .. كلها ايام وترى هزيمته امامها ..

استلقت تطالع السقف.. لا .. لن تراها .. ستكون بعيدة .. آلاف الأميال .. ستكون في مكان بعيد ولايعترف بزواج قصري .. اغمضت عينيها وهي تهمس" وماذا عن انتقامك انت سيادة؟؟ كيف ستثبتين له انه مخطئ وانك لست فاسقة ولست مجرد غانية تبيع نفسها؟؟"

تنهدت بمرارة وهي تفكر لاسبيل لهذا ..

ماذا لو كتبت له رسالة؟؟ تشرح له فيها انها وكل ماقالته هي او ابيها عن علاقتها بعبدالعزيز مجرد كذب ..

لا لا .. لن يصدقها ابداً..

-سيدتي العشاء جاهز ..

سمعت نداء زوجة الحارس فهتفت :

-قادمة ..

نهضت وهي تنوي التفكير بالأمر .. عليها ان تجد طريقة .. وستفعل ..

بعد حمام قصير.. ارتدت ثوباً جديداً من الحرير الاصفر ينساب الى كعبيها .. عاري الكتفين .. واسدلت شعرها الطويل ولم تضع كزينة سوى سلسال ذهبي .. واحمر شفاه برتقالي .. يجب ان تقاوم مشاعرها وتتصرف معه حتى وقت رحيلها وكأنه لايعنيها .. عليها ان تريه سيادة القديمة والتي كانت تدير الرؤوس وليس هذا فحسب.. عليه ان يعرف انه بتعامله القذر نحوها لن يزيدها الا بهاءاً وقوة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

شاهدها بذاك الثوب الاصفر ترفل في الغرفة وكانما اشتاقت لملمس الحرير على بشرتها فكانت تبدو كشعلة نارية متحركة لايعرف مالذي شعر به وقتها كان احساس لايقدر على وصفه فلم يعرفه قبلاً جف ريقه وشعر بالمرض وهي تتجه بكل ذاك الكبرياء نحوه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

رأى ابتسامتها العجيبة وسمع همسها وهي تسأله وكأنمامن وراء جدار:

-مارأيك؟؟؟

عاد ببصره عن ابتسامتها ليشمل الجسد المخملي تحت الحرير والتمعت عيناه كما لم تفعل من قبل.. تذكر نعومتها بين ذراعيه ..

تذكر ملمسها ورائحتها .. عرف بأنه يدوس في حقل الغام قد ينفجر في وجهه بأي لحظة لذا استعاد بعض من رباطة جأشه ورد بأكبر كمية من السخرية:

-أتحاولين اغرائي يازوجتي؟؟؟

شملتها رعشة من رأسها لأخمص قديمها وهي تستقبل صوته الذي امتلأ بخشونة اكبر من اي وقت وبات اشبه بزئير اسد جبلي مرعب جعلها ترفع يدها لاارادياً لتمسك دقات قلبها عن الانتفاض رعباً وهي تغرق في بركتي القطران المشتعل..!!

ارادت نفي التهمة عنها ارادت ضرب نفسها لأنها تنازلت وسألته (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ولكن لم تطاوعها الحروف التي استكانت بين شفتيها تنتظر بشغف كلمات اخرى بذاك الزئير المثير الذي لم تختبره من قبل وبدون تأخير جائت كلماته الاخرى لتصيب غرورها في مقتل وهو يقترب منها هامساً:

-لاتحاولي يازوجتي الغريبة فلايطير عقل شيخ العزب بثوب مبتذل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لاتحاولي اغرائي فكثيرات حاولن قبلك ولم ينجحن وانت ياعزيزتي لست استثناءاً ابداًا..

احتقن وجهها كم يجيد استهداف انوثتها بلامبالاته وجعلها تشعر بأنها لاتسوى ؟؟؟ اشتعلت عينيها وهي تغيب في عينيه هامسة:

-انا هي كل الاستثناءات ياشيــخ ..

التمعت عيناه والتوى فمه بسخرية وهو يهمس باستحقار:

-لغيري .. وليس لي..

انتفض قلبها وكادت شفتيها تصرخان انها لم تكن يوماً لسواه ولكن الكلمات تحجرت في حلقها وهو يقول ببرود استعاده بسهولة مهولة:

-لما لانتوقف عن تلك الالاعيب التي لاتفلح سوى باضاعة الوقت .. هيا لنأكل لأن لدي العديد من المشاغل في الصباح سيادة ولاأنوي التاخر بسبب نقاش عقيم.

جلست امامه كالصنم .. تأكل دون اي رغبة ولاتريد سوى الانتهاء .. وعقلها يسبح في افكار عميقة وطرق مخيف لمحو نظرة الاستحقار والهزء من عينيه .. اللامبالاة التي جعلتها تكره جسدها .. انوثتها .. حتى حين يفقد نفسه للحظات معها يعود ويسيطر على ذاته كرجل آلي .. تريد ان تفكر بطريقة لتعيد لها كرامتها التي سلبها اياها؟؟

هروبها وحدة لن يفي بالغرض .. ستقتل غروره ولكنها قط لن تستعيد

نفسها وترفع هامتها امامه .. كان هذا مايهمها .. ان تمحو نظرته الدونيه عليها .. ان تعيد مجدها وقوتها لنفسها وليس له هو؟؟

نظرت له من تحت رموشها الكثيفة وأدركت انها محقة .. يجب ان يدفع الثمن لكل مايفعله بها .. لكل مافعله .. عليه ان يعرف انه قد ظلمها .. عليه ان يعيش في الذنب والقهر..

-سنبقى هنا في عدن ليومين بعد .. لدي عمل ضروري..

قالها بجفاء كادت معه ان تصرخ بفرح .. لو يعرف ماكانت تعانيه وهي تفكر بطريقة لاقناعه بالبقاء اكبر وقت ممكن .. اومأت تخفي فرحتها .. وتحملت الفترة المتبقية للعشاء.. وهي تعيد وتزيد في تفكيرها بطريقة تعيد لها كرامتها ..

حتى على فراشها كانت تفكر .. حتى توصلت لطريقة .. كانت مجنونة .. لايمكن لها ان تقوم بها .. ولكنها كانت الوحيدة .. كانت الحل الوحيد .. فكرت (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ليصرخ عقلها محذراً مغبة الانسياق لتلك الافكار .. ولكنها كانت تحيي الفكرة.. تكاد تموت من رعبها لها ولكنها .. كانت الحل الوحيد .. فكرت شاحبة .. كي يدرك انها ليست كما يظن ..

فليذهب للجحيم وماشأنك بما يظنه؟؟؟

حين تهرب وتختفي .. جدها والجميع سيظنون انها هربت لعزيز ..

وحده هو سيعرف انها لم تفعل ..وحده هو سيوقن ويؤمن بما كانت

تدافع به عن نفسها طيلة تلك المدة ..

فكرت وفكرت ..

حتى انبلج الصباح .. ولازالت تفكر وتفكر ..

مرت الساعات ثقيلة وهي وحدها طيلة اليوم .. منذ غادر قحطان في

الصباح وهي متشبثة بالهاتف بانتظار اتصال مسيو باري..اتصلت

بأمها التي قالت لها انه طمئنها بدوره .. وان كل شيء على مايرام ..

ولكنها لم تكن مطمئنة .. كانت خائفة .. حتى الموت ..

وبعد السادسة مساءاً .. اتصل ..

وبقلب راجف كانت تسمع مايمليه عليها من تعليمات .. قلبها يكاد

يقفز من صدرها وهي تستوعب مايطلبه منها كانت خطة بسيطة ..

وسهلة التنفيذ .. وتوقيتها ممتاز .. حقاً ..ولكنها كانت مرعوبة .. من

فكرة انها قد تنفذها .. وتنفذ ماقررته قبلها ..

ابتلعت ريقها .. ومضت تنظر للمساء القادم برعب ..غداً عند الفجر

..غداً عند الفجر ترحل من هنا؟؟؟

لم تستوعب الأمر .. لم تصدقه .. ابداً ..

ابتلعت ريقها .. ومضت تراجع ماقررت فعله .. ستكون الليـلة فرصتها الأخيرة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

وقفت أمام المرآة لوقت طويل .. أتحاول استجماع شجاعتها .. ام التخلص من كبرياء لعين يصر على التشبث لآخر لحظة بأكتافها هولاً مماقد تفعله وتجنيه بعيداً عنه!! ابتلعت ريقها وأخذت نفساً قوياً تعبئ به بضع لشجاعتها المهرولة من ساقيها .. تنظر لمافعلته أصابعها الماهرة بملامح وجهها فرغم البؤس ارتدت قناع زائف من السعادة والبهجة ورغم كل ماتشعر بداخلها من ذُل تلبست رداء الاغراء والثقة ..

هي لاتملك أيها ..ياقتراب وقت الصفر .. اصبحت مجرد جسد راجف

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لم تعد تشعر بالثقة .. لابنفسها ولابجمالها ولاحتى بجسدها .. معه .. كل شيء تغير..كل نظرتها لنفسها وماتملكه .. كل شيء تغير وهي تعرف نظرته اللامبالية بها كل يوم .. وفوق كل شيء كانت نظرة الاستحقار تطل من عينيه كلما نظر اليها .. نظرة الازدراء تجلدها

وهو ينظر لها.. ويتركها مشتعلة بالرغبة نافضاً عنه فضلات غيره ..

كما فعل ذلك اليوم ؟؟؟

أغمضت عينيها بقوة .. كم تقتلها تلك الكلمة ومايظنه خلفها .. تقتلها تلك النظرة الشرسة التي تخبرها انها مجرد شيء مستعمل ينقرف حتى من مجرد لمسه والشعور به بين يديه ..مهما كان يتوق اليه .. كانت كبرياءه أكبر مماقد يشعر نحوها يوماً .. كانت كبرياءه تحكمه وتسيطر عليه .. عزة نفسه وقوته .. كلها كانت تتحكم .. وفوقها تهذيبه وطيبة قلبه .. هي لن تنكر قط .. لن تنكر ابداً طيبته واحساسه العارم بالمسؤولية تجاه كل من حوله .. حتى هي بكل ماتسببت به من مشاكل وجنونها الذي تحمله لأسابيع .. كانت مسؤولية تحملها ولم يمل قط منها ..تذكرت مافعله معها عند الطبيبة .. حضنه الدافئ الذي استكانت له للحظات ..

لا لا .. لن تفكر بهذا ابداً .. ستنفذ انتقامها .. وتترك له الرسالة التي قضت ليلها تكتبها وتحضرها ..

تنهدت ونظرت لنفسها وهي تحاول تمالك نفسها .. لن تتراجع .. لقد فكرت طويلاً واتخذت قرارها .. الليـلة .. سيعرف الحقيقة .. الليلة ستذوب بين ذراعيه وتخبره ليس بالكلمات فقط .. انها بريئة من كل

التهم اللتي يصدقها عليها .. الليلة ستتوسل اليه ان يصدقها .. الليلة لن تبكي وتصرخ ببرائتها .. بل ستقدمها له .. على طبق من ذهب ..وسيتقبله .. الى النهاية .. وبعدها .. وأغمضت عينيها بخوف .. لاتريد أن تفكر بماسيحدث بعدها .. ابداً لاتريد التفكير..

ستضحي بعذريتها من اجل كرامتها .. سيعرف الليلة انه اخطئ.. وانا مذنب .. وانا بريئة من كل شيء..

ستكون ليلة واحدة فقط .. ليلة واحدة وبعدها .. سينتهي كل شيء

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اغمضت عينيها بقوة تمنع دموعها من الانهمار على وجنتيها .. هي خائفة حتى الموت ولكنها لن تريه هذا .. ابداً ..لاتريد لزينتها المتقنة أن تفسد .. لامست ثوبها الذي انساب على جسدها كجلد ثانٍ بخيوط من ذهب تتألق كلما تحركت وبدت لامعة كشمس مشرقة متألقة ..تعلق بكتفيها بحمالة واحدة انتشرت عليها تطريزات ذهبية بخيوط لامعة وتزينت بجواهر ذهبية وزمردية في حين كان ظهره منخفضاً أظهر بياض بشرتها ونعومتها ..

وانسدل الثوب حتى لامس القماش الرقيق قدميها .. اللتان التفتا بصندال ذهبي مرصع بجواهر زمردية ..

أما شعرها فقد انسدل كشلال من لافا مشتعلة على كتفها العاري يغطيه تماماً .. لم تضع عليه سوى حلية ذهبية على شكل فراشة ترصع جناحيها بزمردتين متألقتين ..

أما وجهها فقد زينته بمهارة بحيث بدا طبيعياً للغاية وان اختفى الشحوب والظلال السوداء المخيفة التي جنتها من ليالي الضن التي مناها بها بالاضافة لسوء التغذي والتعب(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اختفت اثار الدموع التي ذرفتها وهي تنسج خطتها .. واختفت الشفاه الباهتة التي جناها عليها نقص الحديد .. بلون عسلي جذاب .. وتدلت من اذنها الظاهرة حلقة ذهبية مزينة بفراشة تماثل دبوس شعرها .. وذراعها العارية التف عليها سوار بذات الشكل ..

كانت تبدو كملكة .. متألقة .. تلمع وبقوة ..

أخذت نفساً أخر واتخذت طريقها خارجاً .. الى حيث أعدت الطاولة .. راقبت زوجة الحارس ترص الاطباق بتوتر وهي تسترق لهذه السيدة الفاتنة النظرات المبهورة فهمست بها بعصبية:

-اسرعي نورا.. سيصل بين لحظة وأخرى..

تسارعت خطوات الفتاة قبل ان تسمع كلاهما صرير العجلات يتوقف امام باب المنزل لتنتفض هي بشوق خالطه الذعر والترقب .. في مزيج عجيب لايصيبها الا حين يتعلق الأمر به .. ونظرت للمرأة ..

-اذهبي ..

ركضت نورا وكأنها تهرب من الشيطان في حين بقيت سيادة واقفة ترقب نزوله من السيارة بسرعة وخطواته الواثقة.. ليصل الى الباب ..

لم يكن يستطيع ان يراها ترقبه .. بالتأكيد لايراها ولايتوقعها أن تراقبه .. ولذا فقد استمتعت بكل لحظة وهي ترى خطوته الجبارة .. كأسد .. أسد جبلي متحفز .. حتى وهو في منزله الخاص!!! خفق قلبها بلهفة .. وتسارعت أنفاسها وهي ترقب حركة كتفيه العريضين تحت قماش قميصه الخفيف وعضت شفتيها برقة وهي تتخيل ملمسهما تحت أصابعها الدافئة .. لتغلق عينيها باستمتاع ..

كم هي مجنونة ..

تراجعت عن النافذة .. ووقفت مواجهة للباب الذي سمعت المفتاح يدور في قفله بحدة .. واجهته بصلابة .. الليلة .. سيختفي التردد الذي شاب علاقتهما (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) الليـلة ..

سينتهي الوجع الذي تحسه كلما نظر اليها بتلك النظرة المزدرية ..

الليلة سيمتلك الاسد لبوته .. وان انتهى الأمر حتى بموتها .. فلايهم ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

فتح الباب ودخل ..

تسللت اليه رائحتها .. حاول أن يتجاهلها .. رائحة تعيث في كل روحه فساداً .. تبعثر اوراقه وتتركه كطفل فقد والدته ويقف متخبطاً في البحث عنها .. حاول ان يتجاوز مايحسه .. حاول ان يخرجه من عظامه التي استقرت بها وانطلت تلك الحيلة على ذاته .. فعقد حاجبيه بقوة وهو يدخل الى البهو البارد دون ان يرفع عينيه الى الاعلى .. يخشى ان يراها تنظر له من فوق .. من اعلى الدرج !!

تباً لها ..

تلك التي أدخلت كلمة الخشيــة في قاموس أســد العزب ..!!

زفر بضيق ومضى أكثر حين شعر بالكون حوله يتوقف ..

وارتفعت عيناه بلا ارادة نحو تلك الآية من الجمال والتي وقفت أمامه بكل صفاقة !!

هل فقد القدرة على الكلام .. التفكير .. هل من اللائق لشيخ العــزب أن يقف أمامها هكذا كأبله لايعرف مايفعل ولاكيف يتصرف !!امس فقط

كان يتباهى انها لاتستطيع اغواءه .. امس فقط .. هل يعقل ان يبلغ به الشوق هذا المدى ليتغير مايريد ويرغب بليلة واحدة .. ولكنها كانت مختلفة الليلة ..

هل من الحكمة أن تكون أمامه بكل هذه الفتنة!!

لم يتحرك قيد أنملة .. بدا كتمثال من صوان .. عيناه فقط اشتعلتا كجمر نائم ..

وتحركت تفاحة أدم بقوة في عنقه دليل توتره !!

فقط انتفض قلبه بقوة زلزلة حتى كاد يضع يده عليه يخشى ان يقفز من بين ضلوعه .. فقط انتفض فيه كل عرق يجري بالدماء ..

يحثها ان تركض أكثر وأكثر .. لتحميه من الاصابة بجنون مؤقت ..

ليقاوم كل هذا الجمال امامه ..

مالذي تنويه؟؟!!

توقع اي شيء بعدما حدث بينهما .. بعد ماقاله لها من كلام جارح وقاسٍ ..توقع اي شيء.. سوى هذا!؟

اقتربت اكثر ..

ام كان هو من فعل؟؟

المهم أن المسافة بينهما تقلصت .. حتى بات قادراً على رؤية توهج عينيها بوضوح .. يرى شيئاً ما خلف الزمردتين اللتين تألقتا بوهج مشتعل .. شيء لم يفهمه .. أو أنه فعل .. ولم يجرؤ على الاعتراف؟!

شعر بأصابعها الرقيقة تلتف حول معصمه .. تخلصه من تشبثه اليائس بمفاتيحه وتهمس له:

-لقد أعددت لنـا العشاء..

فتح فمه ليرد .. ليسألها .. ليقضي على التوتر الذي اندفع في الجو كألف صاروخ .. الا أن أصبعها تسلل لتضغط على شفتيه هامسة بصوت لم يعرفه يوماً :

-شششش .. لاتعترض سيدي الشيخ .. لااعتراض اليوم ..

واقتربت منه بشكل خطير .. اقتربت حتى كادت تقضي على كل مسافة بينهما وتنافس فيها حتى الهواء:

-الليـلة فقط .. الليـلة فقط قحطان .. سننسى من أنا ومن انت .. ولو حتى لساعات ضئيلة .. سنكف عن شجاراتنا ونمضيها بسلام .. فهي .. أخر ليلة لنا ..

همست بخفوت ليعقد حاجبيه وتضيف بتنهيدة ساخنة:

-أخر ليلة لنا هنا..

تساقطت اعتراضاته .. وذابت كقطع الثلج في مواجهة شمس الأصيل .. كفه التي تحيط بها احتوت أصابعها بقوة كادت تحطمها .. والحرة ارتفعت لتقبض على كفها الأخر بسيطرة جعلتها تتاوه بخفوت وهي تسمع زمجرته الخشنة:

-الليـلة فقط؟؟

بللت طرف شفتيها بلسانها بتوتر لم تملك أن تسيطر عليه وهمست تترجى بأعذب نغمات صوتها الناعم:

-فقـط ..

تصيبه بالجنون .. هذا ماتفعله .. ولولا انهما يقفان في بهو المنزل الذي لايعرف من يقتنص فيه النظر لهما لكان (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لكان ماذا.؟؟ ابتلع ريقه بصعوبة وهو يفلتها بذهول احتكمه .. ماذا كان ليفعل؟؟

لقد اقسم على نفسه .. أقسم عليها الا يمسها قط .. بعد تلك الليلة التي كاد أن يفقد فيها سيطرته على نفسه .. وبعد ماقالته له ؟؟!!

تراجع لتتشبث بكفه وتهمس له برجاء:

-تعال معي ..

تركها تقوده الى الطاولة المعدة قريباً من الشرفة .. كانت الشموع الحمراء تزينها والطعام يبدو لذيذاً .. جلس لتبتسم له تلك الابتسامة التي تكاد تودي به الى الجنون ؟؟!! لتسكب له الطعام في طبقه وتجلس قبالته .. لاتزال تبتسم ..

لايعلم كم تكلفها تلك الابتسامة ..

تريد ان تصرخ .. أن تبكي .. تريد ان تقفز بين ذراعيه .. وتتمرغ في دفئه .. تريد أن تقسم له بالحقيقة وتريده بكل جوارحها أن يصدقها !!

تريد ان تخبره انها الليـلة ستنتقم .. وتريده أن يسامحها ..

تريد أن تجعله يذوق مر الكأس .. وتريد اقتسام مرارتها معه..

لم يكن هناك مجال للكلام بينهما .. حتى الطعام التي اجتهدت لتطهيه بشكل فاق تصوراتها .. تجرعاه كالدواء المر.. هي تهرب من عينيه وهو يصر على جلدها بها بلاتوقف ..

همس بخفوت:

-أنت من طهوت الطعام؟؟

لمعت عينيها واومأت بحماس ليهتف بارتباك:

-ينقصه الملح ..

لسعت حرقة مؤخرة حلقها .. التمعت عينيها بالدموع رغماً عنها ..

ألايدرك انها هشة .. كالرمال حالياً .. ألايكف عن ايذاءها .. استندت

على الطاولة هامسة بحشرجة:

-سأحضر الملح..

أصابته الغصة في صوتها بالألم .. شعر بقسوته هذه المرة بشكل غير

طبيعي .. أمسكها بقوة من ذراعها ومنعها عن النهوض هامساً:

-انه جيد للغاية ..لاتأبهي بي..

نظرت له مذهولة ..

هل يحاول اصلاح مافعل؟؟!! هل يحاول ان يعتذر عما قاله ونقده فيها؟؟

وعادت المرارة تجتاحها.. لا ..

قحطان العزب لايعتذر..هو ببساطة .. يمن عليها ..

ابتلعت ريقها واعتدلت في جلوسها بينما تظل ذراعها أسيرة لقبضته

بقوة .. نظرت لها بتوتر فأفلتها وهو يزفر ويعود لتناول الطعام بصمت ..

خفض عينيه فكانت فرصتها لتنظر له بشغف .. لكل مايفعله ..تريد

ان تسجل مايفعله في عقلها ولاتدرك لماذا؟؟

طريقة امساكه بالملعقة .. طريقة نقره بيده اليسرى على الطاولة ..

عقدة حاجبيه وتركيزه وكأنما مايفعل هو التوقيع على معاهدة

حربية وليس تناول وجبة عشاء في منزله مع زوجته!!

تاهت عينيها في خطوط القسوة حول عينيه وفمه .. خصلات من

شعره تهدلت على جبينه وتاقت أصابعها لتعيدها لمكانها .. وبالكاد

سيطرت عليها ..

كتفيه العريضة .. لطالما حلمت بأن تعود لذراعيه ..

كلما ضمها اليه .. كل ذكرى لدقات قلبه الهادرة لامست يوماً أذنيها

تقتلها .. عنقه الأسمر القوي وفتحة قميصه التي أظهرت صدره

العارم .. جعلت حلقها يجف .. ورغماً عنها خفضت عينيها تخفي

شوقها له ..

-ماذا بك؟؟

انتفضت تنظر اليه ..

لم تكن تظن انها تنهدت بصوت مسموع ..

الى أين أخذتها تخيلاتها .. عضت شفتيها برقة وهي تحمر خجلاً ..

ياربي .. ماذا سيقول عني.. أبدو كمراهقة غبية وانا اريد ان أوقعه في

شباك امرأة مغوية .؟؟؟

صدمه اللون على وجنتيها ..

هل تحمر خجلاً؟! لقد رآها من قبل تكاد تنفجر من الغيظ .. ومن الغضب والكراهية .. ولكن ؟! منذ متى لم يرها تحمر خجلاً.. تلك الليلة الأولى في البلدة بعد زفافهما ؟! وربما مرة او اثنتين بعدها ..

ولكن الان..

كانت تذوب .. احترقت أصابعه لتلامس تلك البشرة الذهبية التي اشتعلت بالحرارة ..

ولم يسيطر عليها قط .. امتدت يده ليلامس خدها المحترق كان ناعماً لدرجة لاتصدق .. ناعماً ودافئاً ..ابتلع ريقه وأصابعه تتحرك على وجنتها برفق وكأنما يخشى خدشها ..كلاعب بيانو محترف ..

تنقلت اصابعه من وجنتها لعنقها .. تلامس النبض الضارب بجنون ..

وتعود لتلامس زاوية فمها ..

كم كانت يده باردة في مواجهة حرارتها .. وخشنة في مواجهة نعومتها .. كانت يد رجل.. يد مزارع علمته الحياة قسوتها .. وحفرته بأثارها .. كانت يده التي تقص عليها قصته .. مالت عليها .. بلا ذرة حياء.. وتأوهت بصمت وهي تغرق في مشاعرها .. تغلق عينيها وتعيش قصة مع أحلامها ..

لم يعد يقوى على ماتفعله به..تغويه .. تلك المراة .. تغويه .. !!

حارب بقوة المشاعر التي تثيرها داخله .. حارب ولهه وانفلاته عليها ..

حارب رغبته العميقة ان يحملها بين ذراعيها ويأخذها له كما يتمنى

وكما تبدو راغبة ومستعدة تماماً له !!

ولكن لا ..

ليـس قحطان العزب من ينزل الى هذا المستوى ..

ليس قحطان العزب من تدلهه امرأة .. وتجعله ينسى وسط رغباته

الخاصة ماقسم عليه ..

وبكل قوة يتحلى بها .. أبعد يده عنها مشاهداً بلوعة كيف انتفضت

مرتجفة .. ونهض ..

-شكراً على العشاء..

راقبته بذهول .. ينسل من أمامها كالزئبق ويندفع مغادراً الطاولة ..

يشكرها على العشاء؟؟!!

شعرت بصفعة مدوية تهب عليها .. تلهب جسدها وتثير فيها رغبة

جامحة وبدائية بتحطيم كل ماحولها .. ليس بهذه السهولة يابن

عمي .. لن يفسد عليها خططها بتصرفاته المتقلبة تلك .. ابدا ..

همست لنفسها .. يشكرها على العشاء الذي لم يمس منه سوى بضع لقيمات .. ولكنها تخبئ له الكثير بعد .. هي حتى لم تبدأ .. أخذت نفساً عميقاً هي الأخرى ومضت بسرعة الى غرفتها .. نظرت للساعة .. تقارب الحادية عشر مساءاً ..

لم يعد لديها وقت أبداً ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

خرج من حمامه البارد بعد نصف ساعة ..

احتاجه وبشدة ليطفئ نار شوقه لتلك الملعونة الصغيرة .. والتي يبدو انها فقدت عقلها الليـلة .. ارتدى سروال بيجامته وحمل قميصه ليرتديه حين سمع أكرة الباب تدور ببطئ.. دون تردد ..

استدار بعينين متوحشتين ينظر لمن يجرؤ على اقتحام خصوصيته .. لتتسمر عيناه على ملكة الليلة ..!! لابد انها لم تفقد عقلها فقط .. بل جنت بالكامل ..

دخلت بصمت وبلاتردد واغلقت الباب خلفه ووقفت تستند اليه ذراعيها خلفها وتنظر له بتلك السهام الخضراء بوقاحة ..

نظر اليها .. كانت قد غيرت ثوبها الى ثوب نوم رقيق من الحرير الأحمر التمع تحت الضوء الخافت.. مقدمته كلها شرائط صغيرة حريرية

تشابكت بعقد صغيرة تمتد حتى خصرها .. في حين يصل طوله الى كاحليها كان هناك شق طويل يبدء من أعلى فخذها الى النهاية .. كشف عن طول ساقيها وبياضهما الشديد مقارنة بدموية رداءها الخارق ..وشعرها تحرر من فراشته واتنثر بعاصفة هوجاء على كتفيها العاريين .. في حين ظلت اسورتها تعانق ذراعها وحلقها يلمع في أذنها .. كانت تبدو كغجرية ..مهووسة .. خارقة الجمال تنظر له بجوع ..

المجنونة ..

فكر للحظة .. يكاد ينهار من سيطرته التي فرضها على نفسه .. يحاول ان يصرخ بذاته التي توحشت لمرآها .. يحاول ان يعقلها .. يحاول لجم جنونه هو الأخر ..

كانت لسواك قبلاً قحطان ..

كانت لرجل سواك .. انها مجرد ساقطة صغيرة ..مجرد مغوية .. ساحرة .. لاتسقط في فخها .. لاتفعل ..

ولكن هيهات ..

فإن كان عقله قد حاول ..

فإن قلبه قد نجح وبجدارة .. فحين اقتربت منه .. كانت تبدو كحلم يتهادى اليه في ليلة موحشة .. حلم اجتاحته رائحته العذبة كعاصفة .. حلم رشقه بسهام الهوى دون واسطة .. ويالهول قلبه المسكين .. فقد تلقاها كلها .. دون رحمة .. تقدمت منه .. حتى باتت قريبة للغاية .. حينها اكتشف انها حافية القدميـن ..كانت بالكاد تصل لكتفه وهي حافية .. تماماً كماالأن ..

رفعت وجهها اليه .. عينيها تحملان دعوة واضحة .. لن يخطئها حتى ضرير .. وانفاسها تحمل حرارة لاتخطئها روح .. تشتعل كما يشتعل هو لها ..

رأته في عينيه ..

رأت استجابته الغريزية لوحشية ماتطلبه منه .. رأتها في النظرة المفترسة التي تألقت في عمق سوداوتيه ..رأتها ولم تخطئها .. عرفت بأنه لها .. في تلك اللحظة حين تغيرت أنفاسه وباتت ثقيلة .. وكأنما يُجثم على صدره .. عرفتها في احمرار وجهه والتهاب بشرته .. حين رفعت يديها لتضعها على كتفيه .. كان حاراً وكأنما مصاب بالحمى .. شعره يقطر ماءاً .. تتألق على رؤوس كتفيه ومقدمة صدره في منظر هزها من العمق .. وحبس أنفاسها .. اقتربت وقبلت صدره برعونة ..

قبلت قطرة ماء انسابت من عنقه عبر صدره ببطئ .. ثم رفعت وجهها المشتعل اليه وبطرف لسانها لعقت شفتيها المبللتين ..

لم تكن تعرف ماتفعل ..ومدى تأثيره على رجل .. ولكنها رأته في عينيه ..

رأته في سوادهما الذي اشتعل بألف نار .. رأته في نظرتهما التي ذكرتها بنظرة وحش قاسٍ.. ارادت ان تهمس له .. ماخططت له طيلة الأيام الماضية .. ارادته أن يعرف .. ولكنها لم تفعل .. اختنقت الكلمات في حلقها .. ولم تخرج منها سوى حشرجة عقيمة حملت حروف اسمه بصوت لاهث .. قبل أن تغيب كلها بين شفتيه ..

حين قبلها قبلاً ..

كانت تجربة جديدة .. كانت طفلة تخطو في عالم ضخم .. كانت بذرة لم تتفتح .. كانت رحلة استكشاف لطيف لما تكون عليه ..

كانت المرة الأولى لها .. كما كانت له (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كانت مجرد قبلة رغم كل مااحتوته من مشاعر وقتها ..

غضب وحنق ولهفة ..

ولكنها كانت شيء لايقارن بماتشعره الأن (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

وحشية وجنون .. رغبة مهولة احتواها لأشهر .. ربما لسنوات ..

وكأنما قد تزهق روحها بين يديه وقتها .. احتضانه لها كان قاسياً ..

تحطمت أضلاعها على صدره .. وأنت عضلاتها تحت ضغط ذراعيه

اللتان أحاطتا بها بقوة .. وقسوة .. وكأنه عقاب.. !!

ارتفعت قدماها عن الأرض .. شعرت فجأة أنها تطير .. تشبثت بكتفيه

وهي لاتريد أن تفلته قط .. لم تبتعد عنه .. طالت قبلته ولم تتغير.,. لم

تهدأ .. ولم تخف وحشيتها ابداً ..

حتى وأنفاسها تضيق.. حتى والهواء يكاد يختفي من رئتيها ..ظلت

تتشبث به بجنون ..

حتى ابعدها هو .. بشهقة عميقة للهواء .. وصرخة خافتة منها .. بألم

.. من افتكاكها من بطش وحشها الشرس.. ونظرته المتسعة وهو

ينظر اليها .. يلهث كقطار ..

رفع يده محذراً .. كانت تنظر له بانكسار .. كيف تركها ؟؟!!

تشعر بمذاق الدم في فمها ولسعة ألم .. ويتذوقه هو بين شفتيه

حائراً أهو دمه أم انه لها !!

رفع يديه بين خصلات شعره المبعثره عله يخفف النبض المؤلم لرأسه .. وأشاح عنها وهو يكاد يحترق .. فأصاب قلبها المكسور بسهم جديد .. ولكن.. مرة أخرى .. مرة أخيرة .. فكرت بولع ..

"لآخر مرة قحطان .. لآخر مرة سأنحني لك .. لأخر مرة فهذا أقصى ماستطيع وماتقدر كبريائي التي حطمتها لمرات على ان تتحمله .. "

ركضت نحوه لترتمي عليه .. تحيط وسطه بذراعيها وتلصق جسدها بعضلات ظهره وكتفيه هامسة بشوق:

-لاتتركني الأن ..

تصلب تحت لمستها .. فلم تتوقف .. لامست بكفيها عضلات صدره بتهور .. بجرأة .. لامست جسده الحار بشفتيها .. قبلات رفرفت عليه بخفة الفراشة ..

مرتبكة .. تحاول ان تبدو واثقة .. الا انها كانت ترتجف .. شعر بشيئ رطب يبلل ظهره .. ليستدير بين ذراعيها .. رأى دموعها .. تبلل وجنتيها وتتساقط عليه كالمطر .. شهقت لمرأى عينيه .. الرغبة الجشعة والتي لم يعد يقوى على السيطرة عليها ..

رفعت وجهها وهمست بوجع:

-قحطاان .. أرجوو(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ولم تكمل لم يسمح لها أن تكمل ..

حطمتها ذراعاه بقوة .. حطمتها .. وهو ينهل من شفتيها بقسوته

وشراسته .. كمن وقع على فريسته أخيراً بعد مطاردة عنيفة

قبضتاه تعتصران خصرها في حين تتلكك ذراعيها على كتفيه ..

تحارب للوصول لتلامس منابت عنقه .. تلامس شعره وتغرق في

قبلته .. تريد أن تغرق ان تتوه .. ولكن وحشيته لم تترك لها الخيار ..

كانت متألمة من قسوته .. ولم تجرؤ على الاعتراض ..

تباً .. تباً .. تباً ..

تصاعدت في عقله اللعنات وهو يصب جام غضبه عليه ..

تغويه ..

الفاسقة الصغيرة تنوي انهاء مابقي من تعقل وصبر في عقله وفعلت

المستحيل لتغويه ..

ولكنك أقسمت قحطاان .. أقسمت ألا تمسها ..

تصارع العقل والعاطفة بداخله .. كاد يتركها .. خفف ضغطه عنها ..

يريد أن ينتزعها منه .. من عقله وقلبه .. يريد أن يشفي رغبته

المجنونة بها بقدر مايريدها خارج حياته الأن وفي التو ..

ولكنه لم يقدر..

ازداد تشبثه اليائس بها .. كانت زوجته بحق اللّه ..

زوجته التي لم يرغبها يوماً ..

زوجته التي لم يرغب بسوها ابداً ..

نسي حينها كل شيء.. نسي كل ماكان ولم يضع في عقله سوى تلك المرأة التي تطيح به ..

نزلت شفتاه بوحشية تنهل من عطرها .. من جمالها ورقتها .. جاست يداه بلاتوقف في حناياها .. سمع شهقاتها وقد تحررت أخيراً من أسر شفتيه .. لامسته برقة .. لتشعل ناره أكثر ..

حملها بين ذراعيه وتوجه بها الى فراشه بقلة صبر .. ليرميها وسطه ويقف كمارد ينظر الى سبيته خارقة الجمال .. كانت تلهث وفي عينيها بقايا دموع .. شفتيها منتفختين .. وجنتيها محترقتين .. وصدرها يعلو ويهبط بقوة مشاعرها الثاائرة ..

شعرها يحوطها كألف نار .. تباً كم يتوق ان يغرق وجهه بين طياته .. ويعبئ صدره برائحتها ..

اه كم يحترق وهو يتخيل الرجل الأخر .. !!

أغمض عينيه بقوة ليسمع شهقتها .. ..

رأتها ..

رأت نظرة وحشية شيطانية تجتاح نظراته الجائعة لها .. نظرة سرعان ماأخفاها بجفنيه ولكن .. بعد فوات الأوان .. رأتها وكادت تموت من قوتها وناريتها .. وعرفت مايراه ..

يراها مجرد فاسقة صغيرة .. كما دعاها مرة ..

يراها امرأة باعت شرفها لرجل سواه ..

شهقت بألم ورأته ينظر لها ..

انهمرت دموعها لتغرق وجنتيها وهي تعتدل مقتربة منه .. تسمر وهي تقترب حتى أصبحت مواجهة له .. في عينيه التمعت نظرة عاتية .. لم ترحمها .. ولكنها لم تهرب .. بل أحاطت وجهه بكفيها وهمست باكية:

-لم يكن هناك أحد من قبل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لم تتلعثم وهي تنطقها .. لم تشعر بالغضب والألم وهي تدفع ببرائتها أمامه للمرة الأخيرة .. لم تشعر بالحقد ولا الكره .. كانت تتوسله أن يصدقها .. في كل حرف من حروفها .. كانت تتوسله ان يصدقها .. ولكن ..

حقده أعماه .. لم يكن يفكر .. لم يكن يرى دموعها .. لم يكن يرى ابداً الصدق وراءها .. كل مافعله انه رآى المرأة المغوية .. تلك الساحرة النارية التي دمرت ثقته وكبرياءه .. رآها تمارس عليه اغواءها كما لاريب فعلت بالأخر .. رآها تمارس الاعيبها عليه .. كما تفعل معه !! ولم يحتمل ..

امتدت ذراعه بقسوة لتحيط خصلات من شعرها وتقبض عليه .. صرخت بألم وهو يعود ليلقي بها على الفراش ويسقط فوقها .. تحملت ثقله وعينيها تتسعان للنظرة المفترسة التي بدت عليها ملامحه قبل أن يغرقه في طيات شعرها الناعمة ويهمس:

-لاتدافعي عن نفسك الان .. لن تنجي من بين يدي ابداً سيادة ..

حاولت أن تخبره .. انها لاتريد النجاة ..

انها تريد الموت هنا .. وصعقت لتفكيرها .. صُعقت لأي درجة .. وصلت بها مشاعرها وقادها اليها ضعفها .. هي لاتريد هذا الضعف (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) هي تريد انتقاماً ستحققه بكل صعوبته .. ولكنها لم تفعل سوى الاستسلام ليديه اللتان وبكل وحشية تحلان عنها خيوط ثوبها الحريرية .. ترافقها قسوة شفتيه الجائعة ..

حاولت ان تقاوم .. فقط ارضاءاً لغرورها وكبريائها ..

أن تظهر عدم استسلامها الكامل بكل خزيه له .. ولكنها لم تفعل ..

ووقعت في استسلام له طعم العلقم المُر .. وقعت ولم تُظهر بين يديه الوحشيتين سوى استسلام .. وارتباك .. طفلة في مواجهة مفترس متوحش ..

لم تعرفه هكذا قط .. أين هو قحطان الذي قتلها ببروده واتزانه ..

أين هو من هذا الفظ الهمجي .. الذي لم يرأف بدموعها التي انسابت بسخاء ..

أين هو المتزن .. الشيخ العاقل الذي بكلمة منه فقط يقيم الدنيا ولايقعدها ..

كان هو .. يفعل الاعاجيب بمشاعرها .. كان فعلاً يقيم الدنيا بداخلها ولايقعدها .. يثير فيها كل مهالك الرغبة ويشعلها .. لم تتوقف ارتجافتها بين يديه .. حتى وهي تقدم له مايريد بكل خنوع .. ولم تتوقف وحشيته المدمرة .. لايعرف مافعلته به ..

أطلقت شياطينه .. أخرجت من أعماقه نار لم يجرؤ يوماً أحد على ايقادها .. جعلته يقف أمامها كالاعمى الذي وجد نفسه في طريق لايجيدها .. فمضى يتخبط بها بكل وحشية.. علّه يجد مخرج ..!!

صراع عنيف ذاك الذي اجتاحه مع نفسه ..

واحدة تحاول السيطرة والأخرى وكأنها شيطان فُك من عقاله .. !!

لم يكن يريد أذيتها .. رغم رغبته الصارخة بها وبتجريدها من كل ادعائاتها الزائفة بالبراءة .. الا أنه قط لم يكن عنيفاً .. كانت رغبته متوحشة .. ولكن لمساته كانت دافئة .. كان يضمها بقوة .. وكأنما يخشى عليها وحشية لم يعرها انبثقت من داخله ..

وكأنها كانت مع رجلين في آن واحد .. رجل لايجيد الغزل ولايعترف به .. والأخر هي مهنته الوحيدة ..!!

عشقت قبلاته التي انهمرت عليها بلاتوقف ..

وتاقت للمساته التي لم تتوقف ..

جُنت لقوته .. واشتاقت لهمساته النارية كلما صمت ..

وكان يجب ان يصمت ..

كان يجب ان يفعل وهو يكتشف انها لم تكن كاذبة ..

وأنهم كلهم فعلوا ..

ساحرته الصغيرة .. كانت بريئة!!!

لم يبعدها عن ذراعيه لوقت طويل .. كان ينظر للسقف بذهول .. وهي تتكور على صدره كقطة .. ويفترش شعرها يغطي وجهها الذي لم

تتوقف دموعه عن الانهمار .. لايزال يضمها .. بقوة وكأنه يخشى ان يكون كل هذا مجرد حلم ..

بالكاد هدأت أنفاسهما الثائرة .. آذاها وهو يعرف ..لم يكن يقدر على شيء سوى أن يؤذيها .. ابتلع ريقه بصعوبة .. لايزال الخدر يجتاحه .. لايزال يجد صعوبة في التحرك .. متعب .. وفوق كل شيء .. غارق في ذهوله .. قوته كلها تركزت في ابقائها بين ذراعيه .. حاولت الابتعاد فلم يسمح لها قط ..

بكت وبكت .. لم تتوقف لحظة واحدة عن البكاء..

لم يؤلمها بقدر ماتصور .. بل لن تنكر انها حلقت فوق غيوم لم تشعرها قط من قبل.. كانت سعيدة بين ذراعيه .. سعيدة وهي تراه ينظر لها بذهول وسط عاصفة من المشاعر أخذتهما الى قمو جبل ورمتهما معاً!!

كانت سعيدة لانها انتصرت ..

رأت الذنب يلمع في عينيه .. رأت الأسى وعدم التصديق تنطق من وجهه ..

ولكنها لم تشعر بلذة الانتصار .. ابداً لم تشعر بها..

كل ماارادته هو أن تبقى هنا ..

في حضنه الدافئ وتنسى كل شيء .. ولكن؟؟

لم تكن هذه خطتها ولم يكن هذا انتقامها .. مرغت وجهها الدامع على صدره وهي تسمع ضربات قلبه الهادرة والتي لم تهدأ قط .. زادت تتشبث به .. وهي تسمع صوت تنفسه الحاد .. مرة تلو الأخرى .. ثم شعرت بتحركه .. لم يبعدها عن حضنه .. فقط استقام جالساً .. وبعد لحظة شعرت بيده تلامس عنقها .. وتحيط بذقنها لترفع وجهها اليه ..

كانت عيناه لاتفسر .. نظرة سوداء لم ترها من قبل:

-هل أنت بخير؟؟

نظرت له بوله .. لم تقوى على السيطرة عليه .. رغم الدموع .. رغم الأسى .. رغم كل شيء.. عرفت الأن أن عليها أن تنفذ انتقامها .. يجب ان تنهي هذه المهزلة .. يجب ان تنهي هذا ..

تجمدت دموعها وهي ترى اللوعة على وجهه وهمست بكل ماأوتيت به من قوة:

-هل عرفت الأن ؟؟

التمعت عيناه بشرر وقست يده حول كتفيها وهو لايزال ينظر في عينيها المتوهجتين:

-سألتك ان كنت بخير؟؟

هل يهتم؟؟

فكرت بوجع .. هل يهتم ولو قليلاً ؟؟!! ارادت أن تسأله .. هل يحسب قلبها الكسير كنوع من الأذى ؟؟؟

هل تحسب دموع قلبها في حسابه؟؟

-هل آالمتك ؟؟

عاد سؤاله بخشونته الرجولية الفظة .. وهو يقترب منها .. لم يقدر ان يقاوم ملامستها .. وكأنها مغناطيس يجذبه بعد ان كان ينفر منها ويهرب.. عبق رائحتها يدوخه .. يثير جنونه .. كالمدمن تنشق عبيرها .. كالمسحور .. لامست وجنته الخشنة بتردد وهو يدفن وجهه جانب عنقها ..

آآ لو يعرف .. ماتخبئه له ..

اغمضت عينيها وهمست بوجع:

-كلي يؤلمني..

عانقتها ذراعاه بلطف .. كدواء مسكن احاطها بنعومة .. وأسندها على صدره هامساً :

-سأخذك للطبيب في الصباح..

بكت بمرارة .. أي صباح .. لن يكون بينهما صباح ؟؟!!

شهقت بالدموع فنظر لها بقلق وهمس:

-أأخذك الأن ..سيـادة انظري الي ؟؟

رفعت وجهها اليه وقربت شفتيها من فمه هامسة:

-فقط قبلني ..

هزته همستها المختلجة .. كما لو انها وجهت له لكمة عنيفة ..

ووجد نفسه يتضائل امام رغبتها بالقرب منه ويحيطها اكثر

بذراعيه قبل أن يغرقها في دفئ حضنه ويأخذها في عناق اودى بهما

معاً الى غياب طويل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

وحين فتحت عينيها كان نائماً ..

تاملته بحزن.. كم أخذ منها ذاك التحدي .. كم أخذ منها أن تعترف له

ولايصدق .. المرة تلو المرة .. حتى أثبتت له بالدليل القاطع.. خططت

طويلاً لهذه الليلة خططت طويلاً لضحكة الانتصار والشماتة وهي

تنتصر عليه وتريه انها ليست كما يظن ..

أشاحت عنه ونظرت للسقف .. دموعها تعاود انهمارها وهي تفكر..

ضحكة النصر أصبحت مجرد دموع حارقة .. والشماتة كانت

توسل خنوع ان يقبلها ؟؟!!

كم أنت ضعيفة سيـادة العزب .. ؟؟

عنفت نفسها بحرقة ..

وعادت تنظر الى ملامحه القوية .. أسدها الجبلي الجبار.. زوجها ..

حبيبها ؟؟!!

اغمضت عينيها بوجع .. لا لا كااذبة هي لاتحبه .. انكرت بوحشية ..

متى انحنت وهي من عاشت شامخة عمرها ؟؟

فتحت عينيها ببطئ .. تنظر لملامح وجهه المسترخية .. اه كم تعذبها

تفاصيله .. حتى ذقنه النامية .. تذيب عظامها .. وجنتيه القاسية ..

شاربه المشذب بعناية .. بشرته الخشنة .. وعيناه آآآه كم تذبحها

عيناه بنظرتهما القاتلة .. والتي تهزها هزاً من العمق ..

اقتربت منه اكثر من مجرد توسدها على ذراعه .. اقتربت حتى

لامست بشفتيها شعيرات صدره القصيرة .. وقبلت تلك النبضات

الثابتة .. ليفتح عينيه وينظر لها ..

آآآه كم كانت محقة ..

تقتلها عيناه .. بصورة غير طبيعية ..

أخذ نفساً سريعاً وهو يغرق في زمردتيها .. كانت تنام على ذراعه ..

وتطبع اثاراً شقية بشفتيها على صدره .. توشمه .. !!

لامس جانب وجهها بيده الخشنة .. ووقع اسيراً لدعوة شفتيها الواضحة .. لينعم بتأثيرها عليه لبضع لحظات أخرى .. قبل أن يبتعد بصعوبة .. ويراها تغلق عينيها وتغرق في حلمها ..

حينها سمع الأذان ..

نظر لساعة الحائط بدهشة ..

لم ينم قط عن صلاة الفجر منذ كان في العشرين من عمره .. كان دائماً يستيقظ قبل الاذان بوقت طويل .. نظر لها تلك الساحرة التي أفقدته صوابه .. وهاجت في اعماقه تلك المشاعر مجدداً .. نهض يريد الالتحاق بصلاته حين فتحت عينيها فجأة وتشبثت بذراعه ..

نظر لها مستغرباً .. فهمست له:

-لن تتأخر؟؟

أخذ نفساً وهمس لها متحشرجاً:

-سأعود بأسرع ماستطيع..

اقتربت منه .. أحاطت عنقه بذراعيها واغرقت وجهها في عنقه هامسة:

-سأشتاق اليك .. كثيراً ..

غمرته برائحتها تهدد باضعافه من جديد .. بالكاد تحامل على نفسه ونهض من الفراش بارتباك .. لم يعتده ابداً .. واندفع الى الحمام .. وخلفه هي تنظر بإثره وهي تفكر .. لن يتأخر .. هو لن يتأخر ابداً..

رفعت ركبتيها تضمهما اليها وهي تشخص بعينيها بانتظار عودته .. ولم يتأخر ..

راقبته بعينين لاتخجلان .. كان يرتدي ثيابه بسرعة لايدرك عينيها المسلطتين عليه .. وهي تحاول ألاتغفل عن اي حركة يقوم بها .. في كل خط من خطوط جسمه .. تريد ان تحتفظ بهذه الذكرى .. تريد الاحتفاظ بها الى الأبد .. حالما انتهى نظر نحوها .. وعقد حاجبيه لمرآها تنظر له بلاحراك ..

اقترب وسألها بخشونة:

-ألن تنهضي للاغتسال؟؟

راقبته بولع .. تعب من وجهه من صوته .. اومأت صامتة ليتراجع ويشيح عنها بسرعة .. وحين كادت يده تصل لمقبض الباب صاحت باسمه :

-قحطاان ..

التفت ليراها تركض نحوه .. ملتفة بالملاءة .. وقبل أن يستوعب كانت ترتمي بين ذراعيه ..وتغرق شفتيها بشفتيه ..

فكرت بيأس .. للمرة الأخيرة ..

فقط للمرة الأخيرة ..

قبلة قصيرة وحشية .. شعر بها تدمر الباقي من قوة تحمله وسيطرته ..

أبعدها بقسوة .. وتسمر ينظر لوجهها المتوهج .. وعينيها المتألقتين ..

همس بخشونة:

-سأعود سريعاً ..

وابتلع ريقه وهو يغادر وكأنما تطارده شياطينه ..

ولم يرى دموعها .. ابداً لم يسمع نحيبها ..

افترشت الارض وشهقت بألم .. بكت بحرقة .. بحرقة الايام القادمة .. وكل ماحدث بينهما .. بكت بحرقة حتى انهارت تماماً ..

لاتريد الرحيل .. لاتريد الهرب منه الأن .. ياللجنون .. كيف لاتريد .. يجب ان ترحل .. يجب ان تفعل .. .. هو لايحبها .. الى متى تبقى الى جوار رجل يحتقرها .. يعتبرها جارية حقيرة اشتراها ليسترها ويستر

عارها .. هاقد انتقمت منه .. أثبتت له ان تضحيته لم تكن لازمة وانها بكر لم يمسها سواه ..

ولكنها في غمرة انتقامها .. حطمت قلبها الذي وقع وسلم نفسه له بلاقيد ولاشرط ..

نهضت من الارض تجر اذيال خيبتها .. يجب ان ترحل ..

لن تحتمل ان تبقى هنا .. وتحتمل مايقوله عنها .. لن تحتمل نظرة ازدراء منه بعد الأن .. لن تحتمل أن تعود الى البلدة برفقته .. شهقت بالبكاء وارتمت داخل الحمام .. تحت شلال الماء الدافئ.. لدقائق .. قبل أن تخرج بسرعة وتغير ثيابها .. حقيبتها التي جهزتها منذ الصباح ..

التقطت ايشاربها ونظرت الى الساعة .. انها الخامسة ..

بقيت عشر دقائق فقط ..

أخذت نفساً عميقاً .. ولم تقوى على حبس دموعها التي انهمرت بشدة وهي تنظر لأشياءه المبعثرة .. هنا وهناك .. اقتربت من قميصه التي نزعها عنه امس ورفعتها لأنفها بشغف .. قبل أن تضمها اليها ..ثم تتسلل الى الخارج تحت جنح الظلام .. فتحت الباب الخلفي وبسهولة كما خططت استطاعت الخروج من المنزل ..

لن تتراجع .. ابداً لن تتراجع .. وحبها الوليد لذلك المتوحش ستعيش معه .. او ستنسااااه .. يجب ان تنساه ..

انتفضت بالبكاء وهي تركض عبر الممر الخلفي الى حيث توقفت سيارة الملحق بالقنصلية والذي كان ينتظرها هناك .. والذي ماان رآها حتى فتح لها الباب المجاور له ..

جلست تشهق باكية فصرخ بها يسألها عما بها لتهز رأسها صارخة:

-فقط خذني من هنا..

انطلقت السيارة تقطع الطرقات الهامدة في هذا الوقت .. وتمزق الصمت بقوتها ..

وصلا الى المطار في اقل من ربع ساعة .. وهناك حمل الرجل حقيبتها هامساً:

-سأنهي معاملاتك على الفور .. تعالي معي بسرعة فالطائرة على وشك الاقلاع..

اندفعت خلفه .. وهي تحاول كفكفة دموعها التي انهمرت بلاتوقف .. وهي تحاول ان تستحضر ملامح وحشها الحبيب .. حتى وصلا الى صالة المسافرين .. كانت مشوشة .. تتبعه بذهول .. لاتصدق انها تحررت ..!!

لاتصدق انها تهرب منه؟؟ من قحطاااااان ؟؟!!

عادت تبكي والجميع يناظرها بذهول.. ويدها في يد ملحق السفارة ..

الذي أخذها لتسليم تذكرتها وحقيبتها..

كانت تنظر الى المضيفة التي تستقبلها على باب الطائرة بابتسامة

حانية وهي تهمس:

-تركت أحدهم خلفك..؟؟

ارادت ان تصرخ بأنها تركت قلبها خلفها .. قلبها وروحها هناك خلفها ..

سالت دموعها وهي تجلس وتفتش في حقيبة يدها عن تلك الرسالة

المشؤومة التي كتبتها له .. تريد ان تمزقها .. أن ترحل دون اي كلمة

هو افضل مليون مرة من ان تقول لها كل تلك الاكاذيب..

فتشت بسرعة .. ولكن دون فائدة .. لم يكن هناك شيء..

اتسعت عينيها بذهول وهي تقلب محتويات الحقيبة رأساً على عقب ..

لاشيء..

شهقت بذعر وهي تتذكر مافعلته ..

لقد وضعتها هناك ..

اتسعت عينيها بذهول ورعب .. وضعتها على المنضدة بجوار سريرها

ولم تأخذها قط ..!!

نظرت للملحق الذي بدأ بالقلق عليها وهي تصرخ:

-سيقرأ الرسالة ؟؟!!

عقد الرجل حاجبيه وهي تستمر بالصراخ:

-سيقرأ الرسالة ويصدق كل ماجاء بها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-اهداي مدام ..

هتف الرجل لتنهض سيادة وتركض عبر ممر الطائرة نحو المرأة التي استقبلتها صارخة بذعر:

-افتحي الباب دعوني انزل..

اتسعت عينا المضيفة وصاحت:

-مستحيل .. لقد بدأت الطائرة بالاحماء .. عودي لمكانك مدام (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

صرخت بألم وهتفت بها باكية:

-لا لا اتوسل اليك .. دعيني انزل ارجووك ..

-لاتأخذي لها بالاً ..

صاح الملحق وجذب سيادة من ذراعها بقوة وهو يصرخ:

-مدام سيادة لقد تجاوزت الحدود .. تعالي واجلسي الطائرة ستقلع في الحال..

-لااريده ان يراها ..

همست تنتحب .. ليجذبها الرجل ويرغمها على الجلوس بالقوة هامساً:

-ستثيرين فضيحة اصمتي .. لقد عملنا لأيام طويلة لأجل هذا اليوم فلاتفسديه ..

-سيكرهني ..

همست بشرود .. وهي تغرق في بحر الدموع وتتمتم:

-سيكرهني .. قحطاان سيكرهني الى الأبد ..

وعبر دموعها وعبر النافذة الصغيرة .. راقبت الشمس تشرق على المدينة .. وعلى حبيبها الذي تركته .. وتركت له دليلاً قاطعاً على انتقامها.. وعلى خيانتها.. دليلاً أدركت انها تأخرت جداً لتعود اليه .. وانه فعلاً قد اصبح بين يديه ..

وهناك .. في الأسفل .. في ذلك المنزل الذي اجتاحته عواصف الحب والغرام الملتهب طيلة الليل .. كان يواجه عاصفة أخرى .. عاصفة غضب .. ألم .. عاصفة جنون ..

حطم كل شيء لها ..

حطم كل ماوصلت اليه يداه .. المرآة .. الطاولة .. العطور والادوات الشخصية .. حتى دولابها الذي احتوى ملابسها كان على الأرض وقد رماه بقوة ثور ..

مزق ثيابها .. اشياءها كلها على الأرض..

ووقف ينظر للدمار الذي خلفه بأنفاس متلاحقة .. بالكااد تغادر صدره ..

غضب اسود يعميه .. غضب يملأه ووحشية حيوان مفترس يريد أن ينقض على كل شيء حوله ويحطمه .. يريد أن يمزق روحه التي استسلمت لسحرها وخذلته .. وتركته كالمنبوذ .. كرجل ضعيف .. تركته ..!!

هبت عاصفة الغضب عليه مجدداً ليحطم مالم يتحطم ..

هب عليها كعاصفة هادرة .. كألف اعصار واعصار..

يريد ان يخرج كل ماهو مكبوت بداخله ولايقدر ..

ناار تعتصر بداخله ولايقدر على اطفاءها .. كيف وهي تركته لتلتحق بعشيقها ..؟؟ كيف وهي تهزأ منه .. ومن سذاجته في الانجرار الى

لعبتها المحكمة لتوقع به .. سخرت منه لأنه فقد حريته واقترن بها رغماً عنه ..

سخرت منه وواجهته انها فازت بالتحدي..وانها استطاعت الهروب منه .. هربت من تحت أنفه ومن بين يديه..

أغمض عينيه وهو يتذكر الكلمات الساخرة التي قرأها حال عثوره على تلك الرسالة المشؤومة.. بعد ان عاد وكله لهفة اليها لم يجدها في غرفته.. ذهب الى غرفتها .. علّه يجدها .. ولكن .. لم تكن هناك.. وبدل ذلك .. كانت تلك الرسالة ؟؟!!

صرخ بجنون .. حطم كل شيء امامه .. وفي النهاية ..جلس مهزوماً وحده ..

وسط الحطام .. تتشبث يده بقوة بتلك الرسالة .. كان يجب ان يحتفظ بها .. لتذكره كل يوم كم كان ساذجاً .. اختار ان يحمي امرأة لاتستحق سوى القتل .. اغمض عينيه بقوة يمنع تلك القوة من الخروج من بين طيات صدره والاعتراض.. سيقتلها ..

همس لنفسه بخفوت ..

يقسم أن يقتلها بلارحمة .. هذه الخائنة اللئيمة سيذبحها بيديه ..

فتح عينيه ونظر للورقة مجدداً .. يريد ان يحفظ كلماتها .. كلمة كلمة ..

وفعل ..

وهو يخطط لانتقامه .. ولكن اولاً عليه أن يجدها .. فتلك المتمردة الصغيرة تقول بأنها ستختفي عن وجه الأرض ولن يجدها .. ولكنها لاتعرفه .. لاتعرف من يكون قحطان العزب ..

ومادام قرر ان يجدها فهو سيفعل ..

سيجدها مهما حدث..

ونظر للورقة مجدداً هامساً لنفسه بكل كره العالم:

-سأجدك سيادة .. أينما ذهبت وان اختفيت تحت الارض,.. سأجدك .. اقسم بأني سأجدك..

وبكل حقده وألمه كان يسرع بالتقاط اشياءه والخروج من منزله تحت ضوء الفجر الخافت .. لم يعد يرى امامه من فرط غضبه وقهره .. يفكر بكيفية مواجهة عائلته ليعود ويقسم لنفسه انه لن يعود بدونها ولو دفع عمره ثمناً لهذا ..

كان امام سيارته .. يكاد يفتح بابها .. حين شعر بمن هو خلفه .. اراد ان يلتفت .. ان ينظر الى من خلفه .. من يتسلل وراءه .. ولكنه لم يقدر ..

ذلك الألم الذي انتشر بقوة عبر رأسه .. حتى شعر بالدماء تكاد تنفجر من عينيه وأذنيه ..جحظت عيناه بقوة وتهاوت ساقاه تحته .. اغتمت الدنيا أمام عينيه .. وسقط ..

كجثة هامدة بلاحراك .. سقط

تحت قدمي مهاجم ملثم .. وقف خلفه بهرواة ضخمة .. ينظر لجسده المسجى بلااي حركة .. ودون ان يثير اي شبهة .. كان يتراجع بصمت كما جاء .. تاركاً الشيخ وحده ..

نازفاً ببطئ.. حتى الموت ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

نهاية الفصل ..

***

شيــوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الثالث عشر

***

خَسِرتُ الجولةَ الأولى

وها أنَا ذا

أراني الآنَ مَحمولاً

بعيدًا خارجَ الحلَبةْ

لكِ الغَلَبةْ

ولي الأحزانُ شيءٌ لا يُفارقُني

وتسألُ قلبيَ المصلوبَ:

مَنْ صَلَبَهْ ؟

عيونُكِ واحةٌ للقلبِ يَعبدُها

ويُلقِي بينَها تَعَبَهْ

ومنذُ الجولةِ الأولى

ولي طلَبٌ بعينيكِ

مُنايا فيهِ مَقطوعٌ

وقلبي منكِ قد طَلَبَهْ

***

ليل لاينجلي..!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-مساءالخير..

رفع عينيه بسرعة يطالع الوجه المبتسم والذي ألقى عليه التحية بمرح .. عقد حاجبيه يحاول تذكر اين رأى تلك العينين الذهبيتين ولم يفلح.. للحظة .. وظهرت تلك الحيرة في عينيه لتزوي هي بين حاجبيها وتهتف عابسة:

-لاأصدق أنك لم تتذكرني؟؟

رمشت عيناه بقوة وعلت الابتسامة وجهه وهو ينهض مقابلاً اياها بحرارة:

-اسف حقاً لقد كنت مشغول البال .. تفضلي انسة ترنيم..

ابتسمت الفتاة ذات الوجه الملائكي الناعم وتقدمت لتجلس على المقعد أمامه بعينين متألقتين وهي تراه يلملم اوراقه وينظر لها بارتباك لتتسع ابتسامتها وتهمس:

-أخبرني خالد انها مناوبتك اليوم كذلك.. فقررت الزيارة قبل عودتي الى المنزل..

-مرحباً بك انستي..

-ترنيم ..

صححت له ضاحكة فرفع عينيه يتأملها لوهلة..

كانت صغيرة السن بعمر شقيقته سلمى تقريباً ..وجهها طويل قليلاً نحيف ..عينيها بلون الذهب وتتألقان بشقاوة غريبة .. خفض عينيه بسرعة وتنحنح بسرعة وهو يقول باسماً:

-ترنيم .. اسم غريب ..

غمزت بعينها هاتفة:

-لنقل أن امي تهوى الموسيقى ..والدندنة .. فأنا ترنيم .. وشقيقتي الكبرى دندنة..

ضحك علي بمرح وهو يرى ابتسامتها المعدية .. قبل ان يسيطر عليها ويقول محاولاً البقاء هادئاً:

-وهل حقاً ترتداين كلية الطب؟؟

-انني في سنتي الأولى ..

ثم اكتسى وجهها باليأس وهي تهتف:

-وابحث عن شيء واحد فقط .. يجعلني اكمل سنوات الشقاء اللائحة بالأفق..

هنا لم يقدر وانفجر ضاحكاً وهو يفكر ان هذه الشيطانة تجيد قلب مزاج اسوأ عكر.. لتشاركه الضحك بطريقة عالية جذبت انظار الجميع اليهما فقال بحرج:

-يالهي ماذا سيقولون عنا؟؟

-نضحك ..

قالت بلامبالاة وهي تنظر له بتحدٍ .. ليبتسم وقد احتقن وجهه ..ويقتنص نظرة جدية وهو يسألها:

-مالذي تريدين معرفته مني؟

اعتدلت في مقعدها وشبكت حاجبيها بحزم:

-اريدك ان تساعدني في بعض الدروس وكذلك اريد ان اتعلم واتي معك الى المشفى.. هل تستطيع فعل هذا؟؟

اومأ برأسه موافقاً:

-بالطبع .. انت مرحب بك على الدوام وبامكاني ان أكلم لك بضع طبيبات لتتدربي معهن كذلك.

-لا لا .. انا فقط اريدك أنت ..

قالتها باصرار ليتراجع بحرج ويناقش:

-ولكن وجودك مع الفتيات أفضل لك ترنيم .. بهذا تأخذين راحتك بشكل اكبر..

ابتسمت باتساع وهمست:

-لاتقلق بهذا الشأن .. انا لاأتفق مع الفتيات كثيراً وأخشى ان يتطور الامر لمشادات نسائية..

ضحك بمرح وهز رأسه لايصدق الشقاوة المطلة من عينيها في حين هتفت هي باصرار:

-والأن .. ماقولك ؟؟

-بالطبع انا موافق..

قالها بابتسامة ليتشقق وجهها بابتسامة سعيدة قبل ان يضيف محذراً:

-ولكن عليك ان تعرفي انا استاذ صعب المراس ولكن اسامح عند الاخطاء..

رفعت حاجبيها وقالت بثقة:

-ليست ترنيم الراجي من تخطئ أو تسمح بالخطأ .. لاتقلق علي دكتور..

-علـي..

رفع علي عينيه بسرعة ليلقى اللوم في العينين الغاضبتين العاصفتين .. وبلحظة شعر بذاته تذوب برقة وهيام لصاحبة الصوت الرقيق كنغمات قيثارة ابتسم بتلقائية لتلمع عيناه وهو يتناسى كل من حوله حتى تلك الفتاة التي رمقت المشهد أمامها بفضول .. نهض لايولي على شيئ وهو يحتوي منظرها أمامه بعينين لاهفتين .. واجهها بطوله الذي يفوقهابضعة بوصات ونزل بعينيه لعينيها الناعمتين بكحلهما الأسود الرقيق وهمس:

-ناديــن ..

اغلقت عينيها مرغمة.. تستمتع بخشونة اسمها من بين شفتيه .. تقسم انها شعرت بالدوار للحظة وهي تستقبل التنهيدة التي حملت لها حروف اسمها .. حتى انها استندت على الحائط بضعف وهي تعود لتفتح عينيها وتملي عينيها من رؤية وجهه ..

رباااه .. كيف اطارت رؤيتها له مع تلك الفتاة صوابها .. رباه كيف اشعلت اعماقها بنار لم تعرفها من قبل .. والان .. هو يطفئها فقط باقترابه منها .. بدفئه الذي اجتاحها كطوفان ..

ابتسمت لتتقافز دقات قلبه لحد الجنون وهو يرى تلك الحلية التي زينت اسنانها الناصعة وهي تهمس:

-مساااء الخير..

اتسعت ابتسامته ببشاشة وهمس برقة:

-مساءالنور والسرور .. كيف أتيت الى هنا؟؟

لمعت عينيها بدلال وقالت بخفوت:

-زوج صديقتي أوصلني .. انهما بالخارج ..

اقترب وقد حملت عيناه قلقه:

-هل أنت بخير.. ؟؟ أأنت مرتاحة بالاقامة لدى صديقتك؟؟

اومأت تهرب من عينيه فأسسرع بسؤالها:

-ماذا عن والدتك؟؟ هل عرف زوجها الوغد مكانها؟

تنهدت وهمست:

-لاأعرف .. امي قالت بأنه لم يأتي اليهم .. لااعرف حتى ان كان حياً

ياعلي.

زفر علي بضيق لتسرع وهي تنظر للخارج بقلق:

-جئتك لتغيير ضمادتي .. لااريد التأخر عن صديقتي وزوجها ..

انتفض مفسحاً لها الطريق لتستقيم وتمشي باتجاه الغرفة الداخلية

.. حيث وقفت ترنيم تنظر لهما بفضول.. توقفت نادين مواجهة لها

وعينيها ترسلان شرارت من الحقد .. رمقتها بطريقة سوداء ..

كانت جميلة .. جميلة للغاية .. صغيرة السن وترتدي ملابس تشي بذوق رفيع واناقة مفرطة بالاضافة لرصيد مالي متخم .. تأملت البالطو القصير والجينز الظاهر تحته ثم الطرحة الحريرية .. الحذاء الرياضي ذو الماركة المسجلة قبل أن تنظر لعلي باستفهام حانق ..

-د/ترنيم الراجي .. انها زميلة جديدة ..

قالها بارتباك وهو لايعي سر النظرات الحارقة لتضحك ترنيم بارتباك وتقول:

-لست كذلك بعد .. انت تسابق الزمن دكتور ..

ثم نظرت لنادين الصامتة بقهر وهي تقول بمكر:

-لازلت في السنة الاولى ولكن د/علي صديق قديم لأخي وسيعتني بي جيداً..

أخذت نادين نفساً عميقاً وكادت ان تنفجر بالصراخ وترنيم تسألها ببرائة مصطنعة:

-وأنت؟؟ من تكونيـــن؟؟

رفعت الفتاة رأسها وقالت بهدوء بالكاد سيطرت عليه:

-ناديـــن ..

رفعت ترنيم حاجبها باستغراب ليتدخل علي بسرعة دافعاُ نادين لغرفة التضميد وهو يقول:

-نادين لاوقت لدينا ستتأخرين ..

اندفعت نادين للغرفة بحنق وقفزت جالسة على الفراش الضيق وراقبته بغضب وهو يجهز ادواته ويرتدي قفازاته قبل أن تهمس :

-من تكون تلك؟؟

لم ينظر اليها وهو يهمس بهدوء:

-أخبرتك انها زميلتي.. وهي اخت صديقي..

ثم نظر في عينيها وهمس:

-ليس اكثر..

زفرت بغضب وتجاهلت النظر الى حيث تجلس الفتاة .. في حين اقترب منها علي وقال:

-والأن دعيني أرى جرحك..

نظرت له بألم .. وبحركة سريعة فتحت طرحتها لتسقط على كتفيها .. رأت عيناه تتسعان لوهلة لرؤية خصلات شعرها الناعم باللون الاشقر الاصطناعي قبل أن يخفض عينيه .. وتحت نظراتها

الذاهلة مد يديه يرفع بهما الطرحة ليغطي رأسها ولايبقى سوى فرجة بسيطة ليطال جرح عنقها وهو يهمس بلوم:

-هكذا يكفي نادين..

احمرت وجنتيها .. وخفضت عينيها وقلبها يتسارع بدقاته.. مالذي دهاها .. الا تعرفه بعد كل ذلك الوقت وتدرك ان أساليبها الرخيصة هذه ليست له ..!! لمعت عينيها بالدموع وكادت تفلت منها شهقة ليرمقها بلمحة حادة وهو يتوقف عن نزع الضماد بسرعة:

-آلمتك؟؟

هزت رأسها نافية وخفضت رموشها تغطي بلل عينيها .. أماالت عنقها لتتركه لعمله السريع والمتقن والذي لم يتلكك به .. ابداً .. همس لها بعد لحظات:

-انتهيت ..

حينها فقط رفعت عينيها اليه نظرت لارتباك عينيه .. ورجفة اصابعه التي لمست اغراضه وابتعاده عنها ..

همست له:

-علي..

نظر نحوها بحدة لتهمس:

-شكراً لك ..

خفض عينيه بصمت لتنزل من على السرير وترتب طرحتها في حين كان هو يغسل يديه ويسبقها للخارج .. رأت الفتاة تلك جالسة تنظر لها باصرار لترفع رأسها عالياً .. اذا كانت تظن انها قد ترعبها بتلك النظرات فليست نادين من تُرعب من فتاة غر كهذه ..

-الى اللقـاء دكتور .. متى تريد مني العودة؟

نظر لها ولازال اللوم في عينيه وقال باقتضاب:

-بعد غد..

تألمت بصمت وقد توقعت ان يقول الغد فقط لرؤيتها ولكنه لم يفعل .. لذا نظرت لترنيم بغضب لم تقدر على ان توجهه لسواها وهتفت بانفعال:

-كماتشاء..

وبسرعة اندفعت للخارج .. لتنظر ترنيم لعلي الذي كان يعقد حاجبيه بحنق .. ورات وجهه المحتقن .. كانت تعرف ان مابينهما تعدى علاقة الطبيب بمريضته .. ولكن؟! فكرت بدهشة مالذي يجمع رجل مثله بأخلاقه وعائلته ومركزه بفتاة كهذه .. قد لايستطيع هو ان يفهمها ولكن ترنيم فعلت وبسهولة..

الطريقة التي ارتدت بها عبائتها .. زينة وجهها المبالغ بها .. طريقة مشيها وحديثها .. كلها تدل على انها ليست بالفتاة التي قد تجذب سوى ارخص انواع الرجال ..

ولم يكن علي العزب واحداً منهم بالتأكيـد ..

***

أنهت اعداد العشاء بوقت قياسي ..وبدأت تقديمه وهي تنادي بصوت عالٍ:

-رعااد .. العشاءجاهز ..

لم تمض سوى لحظات ورأت يخرج من مكتبه ليجلس بصمت ..

جلست الى جواره وهي تحاول التخفيف من دقات قلبها المتسارعة ..

احاطت يديها بكوب الشاي وهي تتذكر ماناقشته مع شفا وسيادة مساءامس اثناء التسوق .. عضت شفتيها بتوتر وهي تراقبه يزدرد طعامه دون كلمة وبحاجبين معقودين .. ووجدت نفسها تسأله دون تفكير:

-ألم يعجبك الطعام؟؟

نظر لها بارتباك .. للحظة فقط ظن بأنه وحده .. وجدها تناظره بعينيها الواسعتين وكالعادة كانت طرحتها على رأسها ..تختبئ منه ..

-لا .. انه لذيذ ..

ثم بحركة ملول ابعد عنه الطبق وقال:

-لقد شبعت ..

-أنت لم تأكل شيئاً ..

قالتها بحنق ليهز كتفيه:

-لست جائعاً ..

مطت شفتيها بغير اقتناع ورأته ينهض بسرعة لتنهض بدورها هاتفة:

-أريد التحدث معك ..

نظر لها بصبر لتحمر وتهمس:

-هناك امران اريد مناقشتهما معك ولكن بهدوء..

-لما لاتحضري القهوة وتتبعيني للمكتب؟

قالها بحشرجة وهو يستغرب من طلبها لتومئ بحماس ..

وبعد لحظات كانت تجلس الى مقابلة له .. هو يغرق افكاره في فنجان قهوته وهي تدعك أصابعها بتوتر بلاتوقف.. نظر لها للحظات ثم قال:

-تكلمي ياغزل .. لن نقضي الليل كله ونحن نلف وندور..

ابتلعت ريقها واومأت قبل أن تهمس متلعثمة:

-انا.. اا.. انا ومحمد رحمه اللّه..

قالتها وتوقفت بذعر وهي ترى ارتجاف يديه .. حتى ان قليل من القهوة الحارة انسكب على اصابعه قبل أن يشتم بخفوت وهو يعيدها الى الطاولة لتنتفض هي وتسارع:

-هل تأذيت؟؟

نفض اصابعه بغير اهتمام وقال بخشونة:

-لا تهتمي (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) اكملي ..

رأت وجهه اسوداً وهي تعود الى مقعدها وترفع اصابعها لشفتيها ..

تكاد تقضم اظافرها ليهتف هو بنفاذ صبر:

-تكلمي ياغزل .. لدي مذاكرة والكثير الكثير من العمل..

اتسعت عينيها بذعر وهي تلاحظ عصبيته المفرطة والتي كانت تظهر بوضوح من خلال عروق صدغه النافرة واشتداد اوتار ذراعيه وهويحاول السيطرة على غضبه الذي لم تفقه له سبباً ..

-انا .. اعني بانني أريد ..

وتوقفت وقد اتسعت عينيها برعب لم تعرف له مصدر ليصيح وقد نفذ صبره:

-تكلمي ياغزل..

-أريد استكمال دراستي..

قالتها بسرعة لينظر لها باستغراب وهو يحاول ان يترجم ماقالته ..

اهذا ماتريده؟؟!!

-ماذا قلت؟؟

ابتلعت ريقها وهمست وهي تنكمش برعب:

-اريد استكمال دراستي .. تعرف انني انهيت ثانويتي بمجموع مرتفع وقد فاتتني سنة دراسية كاملة في الجامعة بسبب ماحدث ..

ولكنني الان اريد العودة للدراسة..

دعك جبينه بتوتر .. لم يكن ابداً ممن يعارضون دراسة المرأة .. على العكس كان هو الوحيد الذي وقف امام سلمى حين قررت التوقف عن الدراسة والبقاء في المنزل .. ولكن الان .. لما يشعر بأن وراء طلب غزل شيءأخر .. شيء لن يعجبه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ومنذ متى تفكرين باستكمالها؟؟

سأل بحيرة لترد بسرعة:

-أخبرتك انني لم افكر ابدا بتركها .. كنت أنوي اكمالها مع (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وتحشرج صوتها وصمتت ليفهم هو .. ويجتاحه احساس عارم بالألم والمرارة .. ابتلع ريقه وقال :

-ليس لدي مانع غزل..

-حقاً ..!!

هتفت بذهول .. لم تكن تعتقد ان الامر سيكون سهلاً .. ابداً ليومئ هو :

-انا لن اقف امامك بشأن الدراسة .. أخبريني ماتريدين من تخصص لأكمل اجرائاتك .. لاتزال السنة الدراسية في بدايتها وبامكاننا الحاقك ..

ابتسمت بسعادة وهتفت:

-شكراً لك رعاد .. شكراً ..

حرك كفه بلامبالاة وهو يسأل:

-أي تخصص تريدين الانضمام له..

فكرت لثوانٍ ثم قالت بحزن:

-كنت انوي الالتحاق بكلية الحقوق كالمرحوم(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

انقبضت يداه بقوة لتكمل هي بأسى :

-ولكنني لااعتقد بأنني استطيع الذهاب هناك وحدي .. وافكر انه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

واحتقن صوتها لينهض هو بتوتر هاتفاً بخشونة:

-هناك الكثير من التخصصات ياغزل ..وكما اذكر فمجموعك في الثانوية يحقق لك الدخول لأفضل الكليات .. اختاري ماتريدين ..

نظرت له بضع لحظات وهمست:

-اريد أن أكون معك ..

نظر لها بحدة فاحتقن وجهها وهمست بخجل:

-اقصد .. اعني بدراستك .. صحيح انك تسبقني بثلاث سنوات كاملة ولكن بهذه الطريقة نستطيع ان نذهب معاً .. ونعود معاً وخصوصاً ان موقع الجامعة بعيد جداً .. ثم انني استطيع الاستفادة منك بخبرتك ..

اتسعت عيناه وهو ينظر اليها قبل أن يسألها بذهول:

-تريدين الدراسة برفقتي..

اومأت بحرج وهمست:

-اذا لم يكن هناك مانع لديك..

-بالتاكيد ليس لدي مانع..

هتف بسرعة وهو يقترب ليجلس الى جوارها ويقول بحماس:

-حضري كل اوراقك وسأقدم لك منذ الغد ..

اتسعت عينيها بلهفة وهمست:

-حقاً ؟؟

اومأ بابتسامة لتصيح بانفعال شاكرة له وهي ترتمي بين ذراعيه:

-شكرا.. شكراً رعاد ..

تسمر بذهول وهو يشعر بالتجائها اللطيف الى صدره .. بالكاد

لامست ذراعيها كتفيه وحط راسها على صدره لتقفز متراجعة

ووجهها محترق من الخجل .. نظر لها بصمت وه تهمس:

-ااسفة ..

خفض عينيه وتراجع واقفاً ..باللسخرية .. فهاهي زوجته تعتذر من

ملامسته بعفوية ..

-لابأس ..

قال متحشرجاً لترفع عينيها اليه بسرعة قائلة قبل ان يبتعد:

-هناك شيء أخر..

توقف دون أن ينظر اليها لتتنحنح بحرج:

-أريد ان نغير هذه المكان..

عقد حاجبيه ونظر اليها باستفهام لتحمر وهي تفسر:

-انت هنا لاتأخذ راحتك بالمرة .. الشقة صغيرة ولاتحوي سوى غرفة نوم واحدة .. حتى التكييف لايوجد..

رفع حاجبيه لتكمل:

-غرفة المكتب غارقة بالحر وانت تنام بها يومياً .. انت لاتكاد تهنأ بليلة واحدة..

-لقد اعتدت عليها لاتقلقي بشأني.

همس باحراج لتلمع عينيها بتصميم:

-لا.. انت تتضرر منها ولاتتكلم رعاد.. لما لاتجد لنا شقة أكبر وقريبة من الجامعة؟؟

فكر للحظات قبل ان يقول:

-حسناً .. سأبدأ البحث منذ الغد لاتهتمي ..

ابتسمت بسعادة ونهضت قائلة بارتياح:

-ممتاز سأتركك لتكمل مذاكرتك واذهب لأجهز اوراقي حسناً ..

اومأ لها ببسمة صغيرة شقت شفتيه وهي تنطلق من امامه .. لايعرف لما وقتها فقط احس أن الايام القادمة قد تشهد تطوراً ما .. ليس وكأنه ينتظر هذا التطور او يبحث عنه .. ولكنه يريد .. يحتاج .. فقط لأمل .. لايفهمه هو شخصياً .. !!!

***

كان الصمت مخيماً على الفيلا .. توجه مباشرة كعادته الى غرفة الصغيرين .. وابتسم بحنان وهو يلقي نظرة على الملاكين النائمين بهدوء .. علياء المتوسدة دميتها المفضلة .. وقد تخلصت من غطاءها وقحطان النائم بوداعة في مهده .. قبل جبين ابنته الكبرى .. وداعب وجنة صغيره الاخر بحذر كي لايوقظه .. قبل أن يتسلل للعودة الى غرفته بعد صلاة الفجر ..

رآها على سجادتها .. ترفع يديها بدعاء صامت .. جعل قلبه يخفق بقوة .. وكأنما يراها للمرة الاولى .. كيف كان يظن ولو للحظة انه قد يسأم منها .. قد يمل او يشبع من رؤيتها وحبها؟؟!!

ابتسم بحنان واقترب بحذر ودون ان ينتظر التفاتتها احاطها بيديه بقوة واغرق رأسه في جلالها الابيض ذو الرائحة العودية القوية الغارقة بالبخور .. شهقت بذعر واغلقت عينيها وهي تسمع يأخذ نفساً عميقاً ويهمس:

-كم تبدين شهية ..

اغلقت عينيها تصطبر تصرفاته المجنونة والتي لن تعقل ابداً ..

وهمست محذرة:

-اسمع يابن الشهري .. ابتعد عني الأن والا ستنال مني مالايرضيك..

ضحك بحب وهو يغرق في الرائحة القوية هامساً:

-كل ماناله منك يرضيني حتى التخمة ياجنوني .. ولكنه لايزيدني الا جوعاً لك ..

ابتسمت رغماً عنها ولكزته بمرفقها وهي تهمس:

-تحشم ياشيخ .. انا على سجادتي ..

-وهل ماطالب به حراماً .. انت حلالي ياجنوني .. حلالي وملكي .. هل من اعتراض..؟؟

همس بشغف وهو يديرها لتواجهه لتغرق في ضحكة ناعمة وهي تهز رأسها نافية بينما يحل هو عقدة الجلال ليفك اسر خصلاتها السوداء الغجرية وهو يغرق وجهه في عنقها هامساً:

-أعشق شعرك الاسود ..

ابتسم وهي تلف ذراعيها حول عنقه .. تعشق اسلوبه بجرها لمايريد دون ان تقاوم .. همست تناجي اسمه بنعومة ليضحك وهو يقربها منه .. قبل أن يشق صوت هاتفه المكان ويبعده عنها بشتيمة حانقة ترافقها ضحكتها المجلجة ..

ابتعد عنها زاماً شفتيه لتنهض هي هاتفة:

-لاتتأخر حبيبي,,

أخرج الهاتف بوجه مكفهر ليطالعه رقم قحطان ؟؟!!

عقد حاجبيه وهو يتسائل عن سبب اتصال صديقه به في هذا الوقت..

-السلام عليكم..

قالها بسرعة وهو يفتح الخط ليسمع الصوت المرتبك:

-شيخ عمرو؟؟

نهض من مكانه بسرعة وعقد حاجبيه:

-من معي؟؟

-انا جمال .. العامل الخاص بفيلا الشيخ قحطان..

قبضة مؤلمة تلك التي تكونت في طيات صدره وهو يسأل:

-لما تتصل من هاتف الشيخ ياجمال مالذي حدث؟؟

سمع الزفرة المتوترة من الرجل قبل أن يجيب بسرعة وارتباك:

-لقد وجدنا الشيخ مرمياً امام السيارة ياشيخ عمرو .. وهو غارق بدمه..

لم ينتظر للرجل ان يكمل .. سارع للانتفاض خارجاً .. يركض بسرعة وهو يصيح:

-لاتحركوه من مكانه انا قادم في الحال ..

سمع صرخة شفاء تناديه ولكنه لم يتوقف .. سارع بالانطلاق خارجاً ويداه احداهما تقود السيارة بسرعة والاخرى تفتش عن رقم وحدة الاسعاف القريبة ..

اخترق الاف القوانين وهو يسرع الى رفيقه وصديق عمره.. لم يعرف كيف قطع المسافة التي تفصل بيتهما عن بعضهما في اقل من خمسة دقائق والعادة يقطعها في اكثر من ربع الساعة بقليل ..!!

رأى تجمع الرجال حول صديقه .. اندفع بسرعة وهتف:

-مالذي حدث؟؟

تبادل الرجال النظرات المرتبكة بينما سقط عمرو على ركبتيه امام جسد قحطان المسجى بلاحراك .. اتسعت عيناه وهو يرى بقعة الدم الصغيرة التي تجمدت تحت رأسه:

-هل حركتموه؟؟

-لا ياشيخ .. لقد وجدناه هكذا قبل ان نتصل بك..

قالها جمال بذعر في حين قال احد رجال الحراسة:

-لقد ذهبنا كلنا للصلاة وحين عدنا ذهبنا للنوم مباشرة فالشيخ قال لنا انه لن يخرج قبل الظهر .. وبعدها سمعنا ضوضاء قوية من الفيلا .. وحين خرجنا وجدناه هنا .. كان ينزف ولكنه يتنفس ..

شعر عمرو بالقهر وهو يرى ان صديقه قد فاجأوه من الخلف كما تدل الضربة النذلة .. تحسس نبضه .. كان النبض قوياً ولكن قحطان نفسه كان شاحباً وبقوة .. سمع وقتها صوت سرينة الاسعاف فصاح بالرجال:

-افسحوا لهم الطريق.. واتصلوا بشقيقيه في الحال ..

واملى للرجال اسم المشفى المتخصص .. وحالما وصلت الاسعاف نقلوه بحذر بعد وضع واقي العنق حوله .. ساعدهم عمرو وهو يقول بعصبية:

-سألحقكم بسيارتي..

اومأ له المسعف بينما ضغط عمرو على يد صديقه بقوة وهمس:

-تماسك ياشيخ .. انت أقوى من ضربة حقيرة كهذه,..

وكاد يبتعد حين رأى انفلات قبضة قحطان المضمومة بقوة .. وراقب الورقة التي انسلت الى الأرض .. عقد حاجبيه وهو يلتقطها وقبل أن ينظر لماتحويه سمع جمال يناديه:

-ياشيخ ..

التفت له بسرعة ليقول الرجل بارتباك:

-هناك أمر أخر..

قبض عمر على الورقة واقترب من الرجل الذي نقل بصره بين عمرو ورئيس طقم الحراسة الذي كان يقف جوارهما بتوتر:

-تكلم يارجل مابك.. لاوقت لدي؟؟

زمجر عمرو ليسرع جمال هامساً بتوتر:

-السيدة .. السيدة ليست هنا..

عقد عمرو حاجبيه وهو يفطن لشيء جوهري للغاية .. زوجة قحطان.؟؟ زوجة قحطان كانت معه؟؟

-هل بحثتم جيداً؟؟

همس بخفوت ليومئ له الرجلان ويصرح الرجل الاخر:

-المنزل بالداخل مقلوب رأساً على عقب .. وبالذات غرفة النوم فوق .. هناك من حطم كل ماتحويه .. والسيدة ليست موجودة .. ربما خطفت؟؟

شدد عمرو من امساكه بالورقة بين يديه ونظر لجمال قائلاً بحزم:

-اعطني هاتف قحطان.. مهما كان من فعل هذا فاذا خطفت فسيطالبون بشيء.. وارايد عهداً قاطعاً منكما..

واشتدت عيناه صلابة:

-لاأريد لهذا الامر ان يسمع اتفهما؟؟ مهما كان من سيسألكما ..السيدة بأمان في منزلي أتفهمان؟؟

تبادل الرجلان النظرات المرتبكة ليهتف عمرو بقسوة:

-الا تفهمان ماقلته للتو..؟؟

-مهما كان ياشيخ؟؟

تسائل جمال بارتباك ليصرح عمرو:

-مهما كان .. حتى وان كانا اخويه .. اتفهمان ماقلته؟؟

اومأ الرجلان بارتباك ليشدد عمرو على ماقاله بقوة فيومئا مجدداً .. فيعود هاتفاً:

-والان اتصلا برعاد وعلي واخبراهما ماحدث للشيخ وانه معي في المشفى.. وانا سأذهب خلفه..

ودون انتظار رد .. وكرجل اعتاد من رجاله الانصياع لأوامره دون نقاش اندفع بسيارته خلف الاسعاف بقوة وسرعة ليسمع هاتفه

يرن ويرى رقم مجنونته ينيرها .. فتح الخط وشرح لها بكلمات مقتضبة ماحدث .. ثم ودون ابداء اسباب قال لها:

-سأطلب منك شيء ياشفا..

عقدت حاجبيها بتساؤل ليكمل:

-اريدك ان تجيبي عن كل من سيسألك عن سيادة زوجة قحطان .. اريد الكل ليعرف انها معنا وانها تتعافى معك من صدمة ماحدث لزوجها أتفهمين؟؟

شحب وجه شفا وعشرات الافكار تجتاحها وهي تحاول الفهم قائلة:

-لم افهم شيئاً .. ولكن الان ليس وقت الشرح .. سأفعل وتفهمني لاحقاً..

ابتسم باختصار وهمس لها:

-سأذهب الان وارجوك ان تدعي لقحطان بالنجاة لأنه لو لم ينجو فالله وحده يعلم اي قيامة قد تقوم ..

دعت بقلب راجف ليغلق الخط وينطلق للحاق برفيقه وعيناه تسترقان نظرات وجلة للورقة المجعدة بين اصابعه وعقله يخبره ان فيها مايمكن ان يجلي بعض من الغموض .. !!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

بعد ساعتين ..

في المشفى المتخصص الضخم في أطراف المدينة ..

كان عمرو يجلس يناظر الفراغ امامه بشرود وذهنه لايكف عن الغليان .. في حين جاوره رعاد الذي بالكاد جلس من فرط قلقه وعصبيته.. في حين كان علي بالداخل .. ليخرج حينها ويواجههم بقلقه هو الأخر:

-طمئننا ياعلي..

هتف به عمرو ليزفر علي ويجلس بتوتر:

-انه في غيبوبة ..

تراجع عمرو مصدوماً في حين صرخ رعاد بقهر وعلي يواصل بألم:

-الضربة كانت قاسية .. واصابته بارتجاج في المخ .. الحمدلله النزيف كان بسيطاً .. ولكنه دخل في غيبوبة اللّه وحده العالم متى يستفيق منها وبأي حال؟؟

-ماذا ان سفرناه الى الخارج ؟؟ هل لديهم فرصة؟؟

تسائل عمرو بشحوب ليهز علي كتفيه:

-لايوجد حل سوى الانتظار .. هو لايعاني من اية كسور او نزيف بداخل الجمجمة او الدماغ .. كل مانقدر على فعله هو الانتظار ..

-أيمكننا رؤيته؟؟

تسائل عمرو بلهفة ليجيب علي باقتضاب:

-ليس الان ..

جلس عمرو بشرود في حين قال رعاد بغضب:

-يجب ان نعرف من فعلها .. يجب ان يدفع الثمن..

نظر علي لعمرو وقال:

-انت اقرب الناس اليه ياعمرو ؟؟ هل تعرف من قد يفعل به هذا؟؟

اخفى عمرو مابداخله من قهر والم بصعوبة .. وهو يفكر بالقائمة الطويلة التي امامه والتي تصدرها اخر شخص قد يمكن ان يفكروا به وهمس:

-لا.. ليس هناك أحد على حد علمي..

-تباً .. ماذا سنقول لأمي .. وجدي .. وماذا عن زوجته؟؟

تسائل رعاد بألم ليهتف عمرو:

-لاتقلقوا بشأن زوجته فهي في أمان مع زوجتي.. مايهمنا الان هو قحطان .. يجب ان يستعيد وعيه ..

قالها بحزم ليتبادل الثلاثة النظرات بتوتر.. فالانتظار كان كل مايملكونه.. اما عمرو فقد اختنقت انفاسه وهو ينزوي بمايعرفه

بعيداً ويفكر لو أحد فقط أدرك مايخفيه وماحدث بالفعل .. رباااه ستقوم القيامة على رؤوس الجميع .. مالذي يجب عليه فعله؟! فكر بتوتر.. ماذا يعقل أن يفعل الأن؟!

فكر بتوتر وهو يحاول ان يخرج من حالة القلق المرعب الذي يعيشه على صديقه ورفيق عمره ..

اخرج هاتفه وأجرى مكالمة قصيرة ومهمة قبل أن يعود الى الشقيقين اللذين كانا يجريان اتصالاتهما بدورهما لابلاغ العائلة ..

أدرك ان المكان سيتحول لسيرك في غضون دقائق وانه يجب ان يتصرف بشكل ما .. لذا قال لرعاد:

-سأذهب الان لأنبه على الجميع عدم التحدث بالأمر وخصوصاً مع الشرطة لانريد لهذا الامر ان ينتشر.

-ولكن .. يجب ان نبلغ الشرطة ياعمرو..

هتف علي بحنق ليسرع رعاد بخشونة:

-وماذا ستفعل لنا الشرطة علي.. انه امر يخصنا نحن ونحن أقدر على التعامل معه..

لم يستسغ علي تلك النظرة الشرسة في عيني أخيه الأصغر وسخر بمرارة:

-كما تولينا أمر محمد رحمه اللّه؟؟!!

احتقن وجه رعاد ليتدخل عمرو بعجرفة:

-دكتور علي انت لاتدرك ماكان يقوم به قحطان بشأن مقتل اخيك ..

ولاتقلق فكل الامور تحت السيطرة ومن فعل هذا بالشيخ سيلاقي

مالن يخطر له على بال .. فلاتاخذ ببالك قط..

ثم نظر لرعاد الغاضب من تصرف شقيقه وهتف:

-سأوكل طقم الحراسة بتأمين المكان وأعود مع رجالي للفيلا للبحث

عن أي خيط يقودنا للفاعل .. سأعود حالمااقدر ..

اومأ له رعاد بتفهم بينما التفت هو لعلي وقال باصرار:

-وأنت دكتور .. اتصل بي مهما حدث .. سواء بالأحسن أو الأسوأ ..

أتفهم؟؟

نظر له علي بضيق صامت قبل ان يشد عمرو جسده ويخرج مسرعاً

.. كان رأسه يلف ويدور .. عاد يجري اتصالاً بمحاميه ويطلب منه

باختصار موافاته الى الفيلا التي تعرض فيها قحطان للاعتداء واخذ

فريقاً من رجاله الموثوقين لاجراء البحوث اللازمة .. واغلق الخط دون

انتظار رد .. كان يغلي بقوة .. ويريد معرفة الاسباب .. وصل للمكان

وقد انتصف النهار .. وجد جمال يسرع نحوه بلهفة:

-كيف حال الشيخ ياسيدعمرو..؟؟

كشر عمرو وقال بضيق:

-الحمدللّه على كل حال ياجمال .. ادعو له فقط ..

تمتم الرجل بالدعاء قبل أن يسأله عمرو بتوتر:

-خذني الى الداخل اريد ان ارى ..

أدخله الرجل دون نقاش .. رأى عمرو ان الفيللا كانت هادئة ومنظمة .. صعد للطابق العلوي وبعد تردد دخل الى الغرفة الرئيسية .. كانت مرتبة .. وان كانت بعض الملابس مرمية على الارض .. وكذلك السرير الذي تبعثرت أغطيته ..

لم يجد مايثير الشبهة .. ليعود ويدخل الى الغرفة الاخرى وتوقف مصدوماً ..

كانت كلها محطمة .. الفرش .. الملابس .. خزانة الثياب ومنضدة الزينة .. اعصار غاضب هب على الغرفة ولم يبقي فيها شيء سليم ..

كانت الخزانة تحتوي على ملابس نسائية .. وادرك انها لابد لزوجة قحطان .. ولكن؟؟ فكر بقلق لما تحتفظ بملابسها في غرفة أخرى غير غرفة النوم الرئيسية(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟

كان يشعر بالتوتر .. والحيرة الشديدة تجتاحه ..

وقف مشوشاً يناظر ماحوله .. قبل أن يخرج الرسالة من جيبه ويلقي نظرة حانقة سوداء على الكلمات التي خطت على عجلة ..

ياللهول .. لو رأى قحطان هذه الرسالة .. لكان عذرً ملائماً لتحطيم كل ماحوله.. ولكن المشكلة .. لو أن زوجته نفذت ماكتبت عنه فمن الذي ضربه؟؟ ولماذا؟؟ هل كشفها قبل اتمام الهرب ؟؟ هل استطاع اللحاق بها فماكان منها وممن ساعدها سوى ضربه ؟؟

دعك جبينه بارهاااق .. قبل أن يجيل نظره حوله من جديد .. حتى وان فعلوا ؟؟ فلن تكون الضربة من الخلف؟؟ كان يجب ان يكون هناك عراكاً .. عراكاً شرساً فهو يعرف صديقه حق المعرفة..

زمجر بقهر وهو يعود ليفكر انهم قد فاجأوه .. الانذال فاجأوه .. لعب قذر لايستطيع حتى ان يفكر بمن عساه يفعلها؟؟ وصل حينها المحام الخاص به .. ومعه بعض الرجال .. محقق خاص واحد افراد البحث الجنائي المتعامل معهم .. تركهم عمرو لعملهم وهو يشدد بضرورة السرعة وانطلق عائداً الى منزله ..

وصل بعد دقائق ليجد شفا بانتظاره ..

-أخبرني الان عما حدث .. بالتفصيل.

سألت بحدة وهي تساعده على نزع سترته ليزفر بضيق ويتهالك على كرسي طويل رافعاً ساقيه:

-انا متعب ياشفا .. اريد الراحة لبعض الوقت فقط..

زمت شفتيها وجلست الى جواره تمسد وجنته الخشنة بحنان هامسة:

-انت لم تنم حبيبي.. ولذا انت متعب .. اخبرني بماحدث بسرعة ثم اعدك ان ادعك تنام حتى المغرب..

فتح عين واحدة ليطالعها بحنق فرأى لمعان عينيها البريئ وهي تهمس :

-قد استطيع المساعدة ..

تنهد وهو يرفع يديه ويمسد رأسه بقوة .. ثم اعتدل في جلوسه وهو يفكر انها ربما كانت على حق:

-شفا ياعمري كله ..

همس لها بدفئ ليحمر وجهها كالعاده حين تسمع كلماته الغزلية ولم ترد في حين واصل هو :

-حينما كنت مع زوجة قحطان الم تثر اي كلام حول السفر .. اوكيف انها تكره البقاء هنا .. او او .. اي شيء..

اتسعت عينيها بذهول وهمست متسائلة:

-هل هربت سيـادة؟؟

عض عمرو شفتيه واومأ برأسه بصمت لتشهق شفا وتصرخ:

-المجنونة ؟؟ لما فعلت هذا؟؟ لما ..

وانعقدت كلماتها ولم تجرؤ على قول المزيد وهي ترى احمرار وجه زوجها وهو يقبض على كفيها بقوة متسائلاً:

-أخبريني ياشفا .. هل لمحت للموضوع بأي طريقة؟؟

هزت شفا رأسها وهي تهمس:

-لا .. ابداً على العكس .. كانت تتسوق .. وتشتري ملابس تدل على بقاءها هنا لفترة طويلة ..صحيح انها لم تكن تتحدث كثيراً ولكنني لم أرى منها مايسيئ ياعمرو..

زفر عمرو بيأس لتفكر هي قليلاً ثم تقول بتردد:

-هناك .. هناك شيء..

نظر لها بحدة لتهمس:

-اخذت مني هاتفي عدة مرات لتتصل بوالدتها .. وكانت دائماً تبدو مضطربة..

-ربما لم تكن والدتها ..

فكر بصوت عالٍ لتتسع عينيها بذهول قبل أن يسألها:

-أين هاتفك؟؟

-لما؟؟

-سأستخرج الرقم الذي كانت تتصل به..

اجاب بحدة لتقول بضيق:

-كانت تمسح الرقم حال انتهاء المكالمة ..

التقط هاتفه من المنضدة الى جواره وهو يقول بسخرية:

-لامشكلة يمكنني استخراجه من الشركة وبسهولة ..

راقبته شفا للحظات وهو يطلب لائحة بالارقام التي تم الاتصال بها من هاتفها في الايام الثلاثة الماضية واقفل قائلاً:

-سيرسلونها لي بالفاكس بعد العصر..

-عمرو بماتشك؟؟

تسائلت بخشية فنظر لها بحذر .. لتسرع بالقول:

-اسمعني ياعمرو .. صحيح انني التقيت بتلك المرأة لمرات قليلة ..

ولكنني رأيته في عينيها حبيبي .. لايعقل ان تحاول قتل زوجها..

-الا لو كانت تكرهه..

قالها عمرو بشرود لتحاول الاحتجاج فيقاطعها بحنق:

-اسمعيني ياشفا .. قحطان واعرفه .. انه قاسٍ وجلف ولايأبه لمشاعر من حوله في كثير من الاحيان وبالذات النساء ؟.. هو يؤمن ان احاسيس النساء ومشاعرهن مجرد اضاعة ثمينة للوقت والجهد .. استطيع ان افهم ان شعرت معه بالجفاء والخيبة .. وخصوصاً انها تاتي من بيئة مختلفة .. ومماعرفه عن عائلة العزب ادرك انها تزوجته رغماً عنها ورغماً عنه .. فقحطان لن يتزوج واحدة مثلها قط .. لطالما كانت فكرته عن الزوجة لاتتعدى انجاب اولاد اصحاء وتربيتهم تربية حسنة والطاعة التامة له ولوالدته..

اتسعت عينا شفا وصرخت بحنق:

-أين يعيش رفيقك ياعمرو؟؟ في القرن العاشر؟؟؟

زفر عمرو بضيق وهتف:

-انا لاأمزح ياشفا .. انا بالطبع لااوافق قحطان في تفكيره ولاطريقته في معاملة النساء ..

لمعت عينيها بالشقاوة وهي تغمز له بسخرية:

-لاتحتاج لان تخبرني.. لقد عاشرتك بنفسي واعرف ماتعنيه ..

قهقه بضحكة مفاجئة وهو يقربها منها هاتفاً:

-لاتقلقي .. انت بنفسك وضعت نهاية لعمرو الشهري وتاريخه المزري مع النساء..

ضحكت بنعومة وهمست تقبل ذقنه:

-اعرف حبيبي .. ولولا ثقتي هذه لكنت الان في خبر كان ..

ابتسم .. للحظة قبل ان تعاوده جديته ويقول:

-المشكلة انني اعرف قحطان جيداً .. وانا بالطبع لاابرر مافعلته زوجته .. ولكنني افهمه .. واحدة بخلفيتها الثقافية وعاشت حياتها كلها بتلك الحرية التي عرفتها عنها بالطبع لن تصبر في مواجهة عادات وتقاليد البدو في مدينتي ..

-اتعني انها من ضرب قحطان للفرار؟!

تسائلت شفا بدهشة ليقول بضيق:

-لا اعرف.. لااصدق انها قد تفعل هذا ولكن..

وتذكر للحظة الرسالة .. وماذكرته بها عن رجل أخر .. وانقبض صدره بقوة .. ماذا لو ان الرجل الاخر ..اغمض عينيه وتعوذ باللّه من الشيطان وهمس:

-لايسعنا الا افتراض الاسوأ الان ياجنوني .. سأفعل مابوسعي لايجادها قبل ان يفطن احد لغيابها .. سأفعل مااقدر لأعيدها قبل ان

تقع المصيبة الكبرى ويكتشف الجميع ان زوجة شيخ العزب هربت منه ..

قالها بتوتر .. تحمل وعداً في طياتها عرف انه لن يهنأ له بال حتى يحققه ..

***

باآريـــس..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تراخت اصابعها حول الهاتف الصفير وشحب وجهها الوردي بانفعال فاق توقعاتها وهي تهمس بشحوب:

-ماذا تعني بأنها لم تأتي معك؟؟

-اخبرتك مدام لقد رفضت رفضا قاطعا ولم تستمع لي.. واخذت سيارة اجرة لمكان مجهول.

احمرت عيناها بقوة وهي تحاول السيطرة على غضبها الحارق(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لا مستحيل!! كيف لها ان تختفي هكذا بعد كل مافعلته لتخرجها من السجن الذي عاشت به؟؟!!

ثم تكافئها ان تختفي بتلك الطريقة وتتركها في نار لاتعرف كيف تطفئها؟؟!!

رمت بالهاتف بعيدا وهي تصرخ بحنق لما تخسر في كل مرة تظن بها انها رابحة!!

دمعت عيناها ببؤس وهي تدور في غرفتها تكاد تحترق من الغيظ والقلق.. ابنتها لاتعرف ماتريد فعله هي متخبطة.. وضائعة.. ويجب عليها ان تساندها ولكن كيف؟؟ وهي لاتعرف اين اختفت؟؟ وكيف لها ان تجدها دون دليل؟! ماذا لو انهم وجدوها قبلها؟؟

كرت بجزع ماذا لو أعادوها رغما عنها لتلك البادية التي بالكاد استطاعت النفاذ منها ؟؟

لا لا لايمكن لهذا ان يحدث فكرت باصرار قبل ان تسرع لالتقاط الهاتف من جديد وتتصل بالرجل الوحيد حالياً القادر على مساعدتها ..

عبد العزيز الشيب.. لم تمضي دقائق الا كان عندها.. اقتحم البهو بغضب عاصف وهو يصرخ:

-أين هي؟؟

فركت ايفا يديها بحركة يائسة ليصرخ بجنون:

-ايفاا .. لم نخطط لكل هذا لتفسده سيادة بدلالها الأحمق .. يجب ان تجديها والان.

-وكيف تعتقد انه بامكاننا ايجادها؟؟

صرخت بحنق لينفجر:

-اتصلي باصدقائها .. معارفها وكل من يمكن ان تلجئ اليه..

هتف بحنق لتضحك متهكمة:

-أتظنها قائمة قصيرة .. سيادة لديها الاف الاصدقاء في باريس وحدها

..واذا مااختارت الاختباء منا حالياً .. فلن نجدها بهذه الطريقة..

نظر لها بألم وهتف:

-وماذا تفكرين ان تفعلي؟؟

زفرت وهي تجلس محاولة ان تحتكم للصواب والتعقل:

-اريد ان نبحث عنها في خارج باريس(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ابنتي ليست غبية .. ولن تعود هنا حيث سيبحث عنها زوجها مباشرة..

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتيه وهو يجلس الى جوارها بهدوء:

-لاتقلقي من هذه الناحية .. فذلك الوغد لن يلحق بها ابداً ..

رمقته بحدة وهتفت :

-وكأنك لاتعرف آل العزب ياعزيز .. انهم اقسى قوم عرفتهم بحياتي ..

رغم ابتعادي انا وسالم عنهم منذ البداية الا انني عرفت الكثير من

اساليبهم المجرمة والقاسية .. ولم استغرب ان يهاجمنا زوجها بين

اللحظة والاخرى لاستعادتها .. و..

قاطعتها ضحكة طويلة متهكمة منه جعلتها تجفل .. لتناظره بعدها

بتوجس هامسة:

-عزيز.. مالذي فعلته بالضبط.؟

نظر لها ببراءة مصطنعة وهو يقول :

-انا؟؟ .. وماذا سأفعل باللّه عليك؟؟

رأى نظراتها المتشككة فعاد يضحك بسرور خبيث :

-حسناً حسناً .. لنقل اني عطلته ..

وظهرت نظرة شرسة في عينيه وهو يضيف:

-الى الأبد عن اللحاق بها..

اتسعت عينيها بذعر وصرخت:

-ماذا فعلت؟؟

-اششش .. اخفضي صوتك..

صاح بها بغضب .. ثم اضاف:

-لقد خلصتها منه .. انتهينا من قحطان العزب ومايمكن ان يفعل لاستعادة سيادة ..

وقبض كفه بقوة وهو يقول بشراسة:

-كان يجب ان يعرف نتيجة من يعبث مع عبدالعزيز الشيب.. كان عليه ان يدرك هذا منذ البداية.

-انت مجنون..

قالتها ايفا بتوتر ليقهقه باستمتاع وهو يهتف:

-افعل اي شيء لأحصل على سيادة ..

وهامت عيناه بنظرة متأملة:

-انها حب حياتي ..

ابتلعت ريقها وهمست:

-هل مات فعلاً؟؟

-كما قال لي الرجل فان الضربة التي تلقاها قادرة على شق رأسه لنصفين .. لاتقلقي..

توترت ايفا ونهضت تدور في المكان وهي تهمس:

-ماذا عن سلمى؟؟ اتنوي التخلي عن افكارك بشأنها؟؟

لمعت عيناه بخبث وهمس:

-بالطبع لا .. لاضير من بعض التسلية .. ثم انك ساعدتني كثيراً ايفا ولن يهنأ لي بال حتى اعيد لك ابنك مجدداً ..

نظرت له بتوجس فنهض واحاط كتفيها قائلاً :

-كل ماعلينا الان هو ايجاد سيادة .. هي بالتأكيد ستتصل بك لتطمئنك .. وحينها ستحاولين جاهدة الاستعلام عن مكانها وستعدينها بألا تخبريني عنه .. وهو بالطبع ماستفعلينه .. وحين أراها انا .. سأتكفل بالباقي ..

قالها بابتسامة بشعة جعلت قلب ايفا يخفق بقوة .. متوجسة خيفة منه .. وتتوق لما سيفعله لاعادة ابنتها لها .. وبالتخلص من زوجها البدوي المجرم فهذا عني شيئاً واحدا .. انها لم تعد مضطرة للاختباء.. وانها يجب ان تعرف هذا .. بأسرع وقت ممكن ..

-ماذا يفعل هذا هنا!؟

هدر الصوت بقوة جعلتها تنتفض وهي تواجه زوجها سالم الذي عبرت معالم وجهه عن غضبه وانفعاله .. وهو يرى عبدالعزيز يتوسط منزله بكل وقاحة ..

-اخرج في الحال من منزلي ايها القذر..

ابتسم عبدالعزيز بسخرية .. لم يكن يريد ان يدخل في مشادة عقيمة حالياً وبالخصوص وهو يرى انفعال سالم القوي .. لذا التفت لإيفا وهمس:

-لاتنسي موعدنا يوم الغد للعزيزة ابنة الشيوخ ..

نظرت له ايفا متوترة .. واومأت بسرعة ليتخذ هو طريقه للخروج في حين اقترب سالم منها وهدر بعنف:

-ألن تكفي عن الاعيبك؟؟

رفعت عينيها نحوه بتحدٍ وقالت:

-انا لا أمارس الالاعيب .. فليس انا من خدع ابنته لزواج كارثي ولست انا من هدد ابنه لزواج مثله .. انا لست من يلعب سالم بل هو أنت.. فلاتخدعني بكل هذا الغضب والحمية وانت السبب بكل مانحن فيه من البداية ..

اشتعل الغضب في عينيه وكاد يهاجمها بكلمات مؤذية لولا قاطعه رنين هاتفه ..

رأت ملامح وجهه تتقلب من القلق الى الذعر والغضب وهو يستمع لمحدثه قبل أن يصرخ:

-من فعلها؟؟ كيف لاتعرفون؟؟ كيف وصل اليه اصلاً .. ؟؟ ألم يكن برفقة طقمه؟؟

عقدت حاجبيها بحذر .. لابد انهم يخبرونه عن ابن اخيه .. ورأت وجهه يشحب وهو يهمس:

-ابنتي؟؟!!

انتفض قلبها وتلهفت لسماع مايقول قبل ان يغلق عينيه حامداً اللّه ..

ثم اغلق الخط ونظر لها .. رأت البؤس والاسى في عينيه وهو يقول:

-قحطان تعرض لحادث..

-حادث؟؟

تسائلت بحدة ليومئ بشرود:

-نعم .. لايعرفون سوء حالته .. يجب ان اعود اليه..

كادت تصمت .. بل تعلن له بوقاحة عن حقيقة ماحدث ولكنها لم تتكلم بل تصنعت القلق وهتفت:

-وابنتي سييادة؟؟

ابتلع الرجل ريقه وقال:

-انها بخير وبرفقة احد اصدقاء عمرو..

عقدت ايفا حاجبيها باندهاش وقد عقدت المفاجأة لسانها .. في حين هتف سالم:

-لاتخبري سلمى شيئ مما حدث .. حالما اطمئن عليهما سأتصل بكما واشرح لها كل شيء ..أتفهمين ايفا؟؟

عقدت حاجبيها وأخفت حيرتها وهمست بشرود:

-بالطبع ..

-ساغادر على اول طائرة .. يجب علي ان اطمئن..

قالها واسرع يجري اتصالاته للحجز وغيرها في حين جلست هي شاردة .. مامعنى ماقال ان سيادة عند اصدقاء؟؟ .. عضت شفتيها بحنق .. تلك الفتاة ستودي بها للجنون .. اين هي بالضبط؟؟ وماحقيقة ماحدث؟؟

***

أخيراً اشرقت الشمس ..

وقفت تتأمل المساحات الهائلة من العشب الاصفر .. والذي ستغطيه الثلوج قريباً .. انه الريف الفرنسي الذي تعشق .. وقفت صامتة .. تتأمل الشمس الباردة والتي لاتقارن بشمس البادية .. التي هربت منها ولن تعود اليها قط ..

كانت اسوأ رحلة قامت بها في حياتها لم تعرف كيف استطاعت ذرف كل تلك الدموع .. بكت وبكت كما لم تفعل قط في عمرها .. وحين وصلت الى ارض المطار وجدت نفسها تهرب ..!!

هربت وانسلت بعيداً عن مرافقها لاتريد سوى الاختباء .. ربما من خزيها لمافعلته .. تهرب من هروبها .. يالها من مهزلة .. تباً لها من حمقاء غبية ..

فكرت بألم .. اخذت سيارة اجرة وامرته فقط بالانطلاق دون ان تحدد وجهة لها ..

لاهاتف .. لاحقائب .. لااوراق .. فقط هروب متجرد من كل مالها ..

تنهدت وهي تضطجع على شيزلونج نحاسي مبطن .. وسرحت عينيها في الهواء حولها .. الصمت .. النسيم البارد الذي يهب من الجبال .. السحب التي سمحت لبضع اشعة شمسية ناعمة بالتسلل عبرها .. سرب من الطيور المهاجرة والت تنوي البحث عن أماكن أكثر دفئاً تحضيراً للشتاء القادم بضراوة ..

لملمت اطراف شالها الكشميري حولها وابتغت دفئاً حقيقياً .. دفئاً كذلك الذي عاشته بين ذراعيه ليلة أمس الاول .. اغمضت عينيها .. لتنساب دمعة ساخنة الهبت وجنتيها بحرقة مشاعرها .. ندم .. ربما

.. هذا ماتشعر به هنا وهي وحدها .. وكل ذكرى مرت بينهما تعود لتغمرها كشلال وتغسلها بالاحاسيس من رأسها لأطراف قدميها

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كم كانت غبية .. كانت غبية حين استغلت ضعفه نحو عاطفتها المشتعلة .. كانت غبية حين استسلمت لاغوائها لنفسه وانصاعت اليه في عاطفة مشتعلة

..كانت غبية حين سلمت له جسدها .. كانت غبية اكثر حين هربت منه ..

والاسوأ .. كان غبائها وهي تسلمه قلبها ..

آآآاه ..

تنهدت بوجع .. تحبه .. تحبه ولاتعرف كيف تتصرف تجاه هذا الحب؟؟ يؤلمها ويؤذيها ولاتعرف مايجب عليها ان تفعل بشأنه؟؟ كيف ومتى أحبته؟؟ لاتدري .. كل ماتعرفه انه لم يملك جسدها وعذريته فقط .. بل استحوذ على قلبها وروحها بالمقابل ..

فتحت عينيها لتغشى الرؤية امامها طبقة خفيفة من الدموع ..

ارسلت الى اطرافها رعشة وهي تتذكر دموعها على صدره .. تتذكر كلماته لها .. لمساته .. قبلاته .. !!

ياويلي ..

فكرت بذعر .. كيف لها ان تنجو من هذه ذكريات .. وكلها يتوق اليه ..

المرة بعد المرة ؟؟

اغمضت عينيها يائسة .. لتسمع نحنحة خلفها ..

انتفضت جالسة ورفعت عينيها للشقراء ذات الجسد المثالي خلفها ..

-اسفة ..

همست الفتاة بالفرنسية برقة قبل أن تتقدم لتجلس الى جوارها

وتهمس:

-أنت لم تنامي بعد ؟؟ أليس كذلك؟؟

اختنقت عبرات سيادة ولم تجب .. اكتفت بهزة من رأسها لتتنهد الفتاة

وتهمس:

-ليس هذا جيداً لك سيادة .. مما اخبرتني به امس فانت لم تنامي

لثلاثة ايام كاملة .. انظري لنفسك ..

خفضت سيادة وجهها وهمست:

-ليس الأمر بيدي ريمي .. انا لااستطيع..

تنهدت ريمي وقامت لتجلس الى جوارها .. تحيط كتفيها بذراعها

بحنان هامسة:

-ليس عليك أن تتأسفي لي عزيزتي .. انا لن احاكمك او افرض عليك مايجب ان تفعليه بملئ ارادتك .. كل ماعليك فعله هو الانصات لقلبك وليس لشيء أخر..

-قلبي خانني ريمي .. خانني وسلم نفسه لألد اعداءه..

أجابت باكية لتجيبها ريمي بنظرة حالمة:

-ربما يجب عليك الانصات له لمرة واحدة بجدية .. ربما كان الافضل لك التسليم لألد الاعداء ياسيادة .. لتحظي بالسلام الذي تحتاجينه.

نظرت لها بيأس:

-كيف اسلم له ياريمي وهو لايكره في الكون سواي.. انت لاتعرفين كم هو شرير .. قاسٍ .. كم أذاني واتهمني بظلم ودون وجه حق .. لاتعرفين قسوة المعيشة كسجينة دون امل بالخروج والخلاص..

نظرت لها ريمي متفاجأة ثم سألتها ببساطة:

-ألم يكن يجدر بك ان تكرهيه عوضاً عن الحب ياسيادة؟؟

-كان يجدر بي..

صرخت ببؤس .. ثم اضافت بوجع:

-لااعرف كيف وقعت واحببت ذلك الجلف عديم الاحساس .. لاأعرف كيف سلمت له امري ..

ابتسمت ريمي وقالت:

-انه الحب سيادة . L'moure كيف لك أن تقاومه ..

ابتسمت سيادة ببؤس وهمست:

-انا لم اقاومه ريمي .. لقد وقعت فيه بكل بساطة ..

ضحكت الفتاة وابعدت خصلات من شعرها الاشقر الثلجي عن وجهها وهمست:

-كلنا فعلنا سيادة .. والاهم الان هو ماتنوين فعله .. هل ستخبرين امك عن مكانك؟! لاتنسي انها بانتظارك حبيبتي..

تجهم وجه سيادة ونقلت بصرها للافق هامسة:

-ليس الان .. لااريد ان تسرب مكاني لعبدالعزيز وانا اعرف يقيناً انها ستفعل .. احتاج لبعض الوقت لأفكر.

-وماذا عن زوجك ؟!

تسائلت ريمي بحذر لتدكن عيناها الخضراوتان وتهمس وهي تقبض على صدرها بقوة علها تخفف من وقع ضرباته:

-لااعرف .. كل ماعرفه انني بحاجة للاختباء من الجميع .. ومنه هو بالذات (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لاحد سيفكر انني لديك ريمي فلااحد يعرف انك تملكين هذا الكوخ هنا في الريف ..

ابتسمت ريمي بحزن وهمست:

-كلنا نهرب من شيء ما سيادة .. لااحد يعيش مرتاحاً وبأمان هذه الايام .. نظرت لها سيادة بحزن .. هي أكثر من يعرف ماتعانيه رفيقتها المبتسمة دوماً وماتخفيه .. قلبها مشبع بالحزن والألم مثلها ولكن لأجلها فتحت باب عزلتها وأدخلتها له .. لتحتويها برقتها الدائمة ..

ابتسمت لأجلها وضمتها لها هامسة:

-سنعيش يوماً بالراحة التي نبتغيها ريمي صدقيني..

ابتسمت ريمي بحزن .. وهي تتأمل رفيقتها وبؤسها ..

في زمن كان للحب معنى التفاؤل والأمل .. وفي زمنهما ..

أصبح يعني الوحدة .. البؤس .. والحزن ..

وكل معاني الألم ..

انه الحب لقساة القلب .. انه الحب ومايقابله من جفاء..

***

-اريدك ان تشدد البحث أتفهم .. ابحث في كل قوائم الشركات .. لاتترك طائرة غادرت الا وابحث فيها ..

شدد عمرو من اوامره وهو يغلق هاتفه بقوة ويتجه الى المشفى التخصصي حيث قحطان ..

كان قد ترك رجاله يبحثون في كل شركات الطيران .. يدرك انها لابد غادرت وخصوصاً بعد ان تبين من الرقم الذي استخرجه من هاتف شفا انه لفرنسا .. وكلما حاول الاتصال بالرقم وجده مغلقاً؟!

وجد رعاد وعلي .. وحالما نظرا اليه سألهما بلهفة:

-هل من اخبار؟!

-لقد خف الضغط عن المخ .. وبدأت استجابته للمؤثرات الخارجية تتحسن ..

-الحمدلله ..

قالها عمرو بارتياح .. ثم تسائل:

-هل ابلغتم العائلة؟!

وقبل ان يكتمل سؤاله كان باب المصعد يفتح كاشفاً عن مجموعة من رجال القبيلة .. من اعمام وابناء عموم قحطان بالاضافة لسيدتين تغطيتا بالاسود .. حالما رأتا رعاد وعلي انفجرتا بالبكاء والعويل ..

تراجع عمرو باحراج بينما سارع رعاد بجذب المرأتين بعيداً وهو يصيح بهما بقسوة ان تصمتا ..

ورأى عمرو الشيخ العجوز بالكاد يقوى على الوقوف .. اسرع نحوه بلهفة وقال:

-السلام عليك ياشيخ..

رفع الشيخ عينين باهتتين مرتجفتين لعمرو وهمس بشحوب:

-وعليك السلام يااابن الشهري .. اين هو بني .. اين سندي وعكازي ..

غصة استحكمت حلق عمرو وهو يهمس يطمئنه:

-لاتقلق ياشيخ .. لن تسمع عنه الا كل خير فلاتقلق..

هز الرجل رأسه باصرار وهتف:

-لن يرتاح لي بال حتى اراه .. اريد ان ارى ابني..

اومأ له عمرو يطمئنه في حين كانت هدية تتشبث برعاد بيأس

ودموعها تغرقها:

-اريد ان اراه .. اريد ان ارى ابني.. اروني اياه..

هتف رعاد بنفاذ صبر وبصوت خفيض:

-امااااه لاتسببي لنا فضيحة .. قحطان سيكون بخير لاتقلقي..

هزت راسها بانهيار وهتفت لاتلتفت لماقاله:

-اريد ان اراااه .. اروني ولدي ارجووووك بني..

-لابأس عليك امي سأدخلك انت وجدي في الحال .. فلاتبكي ..

تدخل علي لتلتفت نحوه هاتفه ببكاء يمزق القلب:

-ارجوك ان تسرع .. سأموت لو اصاب اخاك مكروه اتفهم .. سأموت..

احاطها علي بحنان وهمس لها:

-لاتخافي اماه .. انه تحت تاثير مهدئ قوي بسبب الألم ولن يشعر بكما الان .. ولكنه بخير اطمئني..

كذب يطمئنها لتنهار تدعوا اللّه بلاتوقف بينما جاءوا بالشيخ معها ليدخلا لرؤيته ..

الغرفة كانت باردة ومليئة بالاجهزة المعقدة .. شهقت هدية بذعر وهي تواجه ولدها وقد احتواه السرير الضيق بصعوبة .. كان ينام بهدوء .. ولولا شحوب وجهه لظنته نائماً كما العادة ..

لولا تلك االاسلاك التي توصل صدره العريض بلوحات قراءة العلامات الحيوية .. خرطوم الاوكسجين الذي يمده بما يحتاجه .. ثم ذلك الضماد حول رأسه ..

بكت بمرارة واقتربت تحاول قدر ما امكانها السيطرة على عدم رمي نفسها على صدره ..

لاتتصور ان تفقده ..

لايعلم الا اللّه ان ماقد يحدث لها اسوأ من الموت بمراحل لو حدث له مكروه.. لم يعرف احد كيف نجت من مأساة موت ابنها الاصغر .. لم

يعرف احد كيف قدرت ان تتماسك وتعيش يوماً واحد بعده .. فلذة كبدها .. ولكنها تعرف .. كان هو ..

ابنها البكر .. قحطان العزب .. شيخ عائلته .. هو من امسك بيدها .. هو من نظر في عينيها وقال لها ان اللّه قد أخذ امانته .. وان لا اعتراض .. كادت تموت وقتها .. ولكن نظرة واحدة لوجه قحطان ليلتها .. نظرة واحدة للقوة الصارخة والثبات .. جعلتها تبكي بصمت وتحمداللّه وتستجير منه بمصيبتها ..

ولكن .. لو اصاب قحطان سوء.. من سيقف لها .. من سيقول لها .. كيف لها ان تقف وقد كُسر ظهرها ؟؟؟!! بكت بمرارة .. وتلمست كفه الكبيرة بيديها وهي تهتف بوجع:

-يااارب اجعل يومي قبل يومه .. يااارب لاترني فيه سوءاً ابداً يارحيم ..

سمعت نهنهة خلفها وادركت ان ورائها كان الشيخ العجوز ..

ازاحت عينيها بصعوبة عن ولدها لترى الشيخ ولم يقدر على صلب طوله .. رأت علي يجلسه على مقربة وقد شحب وجهه ونزلت دموعه تجري على خده .. بكت حينها مجدداً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لقد كانت هناك يوم اخبروهم عن موت زوجها .. موت ولده .. يومها وقف بشموخ .. لم يتحرك من مكانه .. وقحطان

وقف الى جواره .. كان شاباً صغيراً لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره .. حينها شد جده على كتفه .. وهتف بقوة لم تتصورها والجميع يبكون بانهيار انه ان ذهب ناصر العزب فإن ولده لايزال حياً .. شيخ العزب لايزال قحطانياً ..

لم يبكي ابداً .. وسلم اموره كلها للفتى الذي نسي ان يكون طفلاً مراهقاً وأصبح ذراع جده اليمنى .. مسنده وعكازه كما يقول.. بكت وهي ترى الرجل العجوز ينهار .. تشبثت بكف ابنها وتوسلت ربها بألم ان ينجيه .. فلاشيئ قد يعود كما كان لو اصاب عماد ال العزب مكروه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لم يعرف علي كيف استطاع اقناع والدته وشقيقته الجوهرة بالعودة الى منزل رعاد للبقاء مع غزل .. ولكنه فعل وبصعوبة .. اما الجد فلم يقنعه شيئ بترك مكانه .. كان يعاند برأس يابس .. لم يتزحزح .. حتى يأسوا منه جميعاً .. وحالما عم المساء نظر اليهم بصمت قبل ان يسأل:

-اين سيادة؟؟ لما ليست مع زوجها؟؟

نظر الجميع لعمرو الذي نهض محافظاً على رباط جأشه وهو يقول:

-انها مع زوجتي ياشيخ .. لاتقلق بشأنها حالياً ..

-الم تتأذى ؟؟ هل رآها الطبيب؟؟

عقد عمرو حاجبيه وقال:

-لاتقلق ياشيخ اخبرتك انها ستكون بخير فهي لم تتأذى ..

-سيادة ابنتي حامل .. وامر كهذا قد يصيبها بضرر يابن الشهري..

قال الجد بنفاذ صبر ليشهق علي بدهشة في حين اتسعت عينا رعاد

وعمرو والاول يهتف بفرح:

-اتعني ان قحطان سيصبح اباً؟؟؟

عقد عمرو حاجبيه بحيرة بينما قال الجد:

-باذن اللّه .. هذا سبب نزولهم بالدرجة الاولى الاطمئنان على حملها..

-لم يخبرنا قحطان بشيء..

قالها علي متعجباً ليصمت الجميع بينما شرد عمرو ..

حاآآمل؟؟ تلك المجنونة .. لم تفر بنفسها فحسب بل هربت تحمل ابن

الشيخ؟؟ هز رأسه بتوتر وهو يفكر .. يجب ان يجدها قبل ان يستيقظ

قحطان .. يجب ان يجدها قبل ان يحرق الدنيا كلها على رأسها (شيوخ

لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-دكتور علي ..

هز الصوت الصمت الذي اجتاحهم ليلتفت الجميع صوب الفتاة القصيرة بزي الممرضات والتي هتفت ببهجة:

-لقد استيقظ المريض ..

واتسعت عيون الجميع بذهول ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

احساس عارم بالتشوش ..

ألم .. وغز ونبض مؤلم يسيطر على رأسه ..!! وكأن كل عروق رأسه تنبض بآن واحد .. كمن يقرع على طبل ولايهمد.. شعر ببرودة .. تجتاح أصابعه .. اراد ان يفتح فمه ويصيح بأحد ان يعطيه بضع قطرات من الماء ولكن .. حلقه كان جافاً للغاية لهذا ..

عيناه ..

رباااه كم هما ثقيلتان .. وكأن احدهم قد وضع على كل جفن طن لايقدر على زحزحته .. رمش .. يريد ان يرى الضوء .. عله يتخلص من الثقل ..

آآه ..

تأوه .. ليسمع صوته الجاف .. حينها فقط بدت عيناه ترمشان بصعوبة .. سمع همسة الى جواره ..

" انه يفتح عينيه مجدداً "

لم يقدر على تمييز الصوت .. كان يبدو وكانه قادم من بئر سحيق ..

"قحطاان افتح عينيك اخي"..

من هناك .. فكر بصعوبة .. ساعدوني .. اراد ان يصرخ بهم ان

يساعدوه .. ولكن حلقه كان جافاً .. للغاية .. ماء .. اريد بعض الماء ..

-ماء ..

اتسعت عينا الجميع حين ندت منه تلك الهمسة .. قفز رعاد ليحضر

كوباً من الماء في حين قال له علي بحزم:

-بضع قطرات فقط ..

اومأ الرجل وهو ينزل بضع قطرات الى جوف شقيقه الذي ابتلعها

بسرعة وبلل شفتيه .. كان الجميع ينظر اليه بلهفة ..

-قحطان اخي .. افتح عينيك ..

همس علي بلهفة .. وتسللت النبرة لدماغ ذلك المسجى بلاحراك ..

ليعاود رمش عينيه .. ثم وبصعوبة .. فتح جفنيه .. سمع تنهيدة من

مكان بعيد وابتهالاً بالحمد والشكر ..

كان المنظر امامه مشوشاً .. رأى وجوهاً عديدة تنظر اليه .. حاول تعرفها .. ولكنه لم يقدر .. رأسه كان ينبض .. وبعنف .. ويدور .. بلاتوقف ..

-رأسي ..

تأوه بألم ليسرع نحوه علي:

-على مهلك قحطان .. على مهلك ..

تسارعت انفاس قحطان وهو يحاول جاهداً الخروج مماهوفيه .. ليس هو من يقع بهذا الضعف .. ليس هو ابداً .. ابتلع ريقه وعاود فتح عينيه .. هذه المرة الرؤية كانت افضل بكثير .. صحيح انها مهتزة .. والوجوه مشوشة .. ولكنها قابلة للتعرف ..

-علي ..

همس بشحوب لتتسع ابتسامة عليه وهو يقول بفرح:

-لبيه ياشيخ ..

ادار قحطان عينيه الى الاخرين وبدأ يعدد اسماءهم الواحد تلو الاخر .. لتتسع ابتسامتهم بشكل مفرح وعمرو يهتف بسعادة:

-حمدلله على سلامتك ياشيخ ..

اغلق عينيه وهمس بثقل:

-الحمدللّه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-الحمدللّه الذي لم يرنا فيك سوء بني ..

سمع قحطان صوت الجد من بعيد وقد اثقلته دموع الفرح وهمس بتعب:

-الحمدللّه ياشيخ .. الحمدللّه ..

-اخبرنا قحطان من فعل بك هذا ..؟؟

سارع رعاد بالسؤال وهو يزم حاجبيه بغضب لينهره عمرو بعنف:

-ليس الان رعاد الا ترى حالته؟؟

ابتلع رعاد غضبه وتراجع وهو يعرف صواب ماقاله عمرو في حين قال علي بسرعة:

-لنترك الطبيب المختص يقوم بفحصه الان .. وسنراه بعدها .. هيا بنا ..

-عمرو ..

التفت الجميع لقحطان الذي نادى رفيقه والذي اقترب منه بسرعة ليقول له:

-ابقى معي ..

اومأ عمرو مباشرة .. بينما خرج الجميع .. ليدخل بعدها الطبيب المختص ويبدأ بفحصه بصورة مكثفة .. استجابته الحركية والعصبية .. عينيه .. كل شيء .. ليقول بعدها:

-ممتاز ياشيخ .. ستكون على مايرام وسيزول هذا الثقل في خلال ايام لاتقلق ..

اومأ له قحطان ببطئ وهمس:

-رأسي .. أشعر به سينفجر..

-سنعطيك مسكناً فلاتقلق ..

قالها وانصرف ليغلق قحطان عينيه بألم .. مضت لحظة صمت وعمرو ينظر لصديقه .. متوقعاً السؤال بأي لحظة ..

-عمرو ..

اتاه بأسرع مماتوقع ليجيب بسرعة:

-نعم قحطان ..

فتح عينيه ونظر للسقف وهو يتسائل:

-ماذا حدث لي؟؟

ابتلع عمر ريقه وهمس:

-لقد ضربوك على رأسك .. من الخلف..

-من؟؟

تسائل بحذر ليهز عمرو رأسه نافياً ..فعقد حاجبيه بصعوبة وتأوه ..

ليقترب منه عمرو ويسأله:

-مالذي حدث ليلتها ياقحطان؟؟ من الذي هاجمكما؟؟

لم تتحرك نظرة قحطان عن السقف للحظات ثم نظر لرفيقه ببطئ

وتسائل:

-هناك من تاذى غيري؟؟

تنهد عمرو وهمس:

-اطمئن .. هي لم تتأذى على حسب علمي .. ولكننا لم نجدها في اي

مكان .. وبصراحة انا ..

-توقف توقف ..

قاطعه قحطان بتوتر .. بالكاد يستطيع ان يسيطر على المه والنبض

الضارب في مؤخرة رأسه ليصبر على كل هذا الهراء..

-من هي؟؟ عمــن تتحدث؟؟

ضاقت عينا عمرو وهو يواجه سؤال رفيقه المشوش لينظر في عينيه

ويهمس:

-اتحدث عن سيــادة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

سيـادة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

سيـادة ..!!

عقد حاجبيه وهو يحاول ان يخرج من بحر النار الذي غرق في بلحظة سماعه الاسم .. عبس يريد ان يفك عنه تلك الرائحة الليمونية المزعجة والتي هاجمته بلارحمة .. رمش بعينيه وهو يحاول السيطرة على دقات قلبه التي تقافزت بجنون حال سماعها الاسم .. الاسم الغريب عنه ..

عن عقله ..

عن ذاكرته ..

سيااادة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-من تكون (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) سيـادة ؟؟!!

همس بتردد .. وهو يغرق في اتساع عيني رفيقه المذهول .. شعر بحرارة تجتاحه .. وعينين بلون الزمرد تقتحمان عقله وتعيثان بضربات قلبه فساداً .. تزيدان الالم .. والوجع في مؤخرة رأسه ..

-من هي سيادة ياعمرو؟؟

تسائل بخشونة .. وهو يستعيد الشعور باطرافه الباردة ..

تسائل بألم وهو يشعر بالحلقة تضيق حول بنصره الايسر .. تخنقه ..

ليرفعها اليه بحركة حادة .. ويعقد حاجبيه بوحشية وهو يرى

الخاتم الفضي السميك الذي يحيطها باحكام وصوت عمرو يتردد

مخترقاً اسماعه بذهول:

-سيادة هي زوجتك ياقحطان ؟؟

ازدادت الوحشية في عينيه..

زوجته ..؟؟؟

سيادة هي زوجته؟؟؟

نظر لعمرو بتشوش .. كيف .. كيف له زوجة ..؟؟

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

نهاية الفصل

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الرابع عشر

***

من أنت من رماك في طريقي؟

من حرك المياه في جذوري؟

وكانَ قلبي قبل أن تلوحي

مقبرة ميتة من الزهور

مشكلتي لست أدري

حداً لأفكاري ولاشعوري

أضعتُ تاريخي, وأنت مثلي

بغير تاريخٍ ولامصير..

محبتي نارٌ فلاتُجنّي

لاتفتحي نوافذ السعيرَ

شفتانِ معصيتانِ .. أصفحُ عنهما

مادام يرشح منهما الياقوتُ

إن الشفاة الصابراتِ أُحبها

ينهار فوق عقيقها الجبروتَ

كرزُ الحديقةِ عندنا متفتحٌ

قبلتهُ في جرحهِ ونسيتُ

شفتان للتدمير يالي منهما

بهما سعدتُ وألاف ألفٍ شقيتْ

شفتان مقبرتان شقهما الهوى

في كل شطرِ أحمرِ تابوتُ

نزار

***

ترددت في ذهنه العبارات الغريبة ..

زوجة؟؟ له هو ؟؟ رفع عينيه بحدة لصديقه الذي ناظره بذهول .. هل يسخر منه؟؟ بالتأكيد يسخر منه .. زوجة؟؟ كرر لنفسه بذهول .. هو لم يتزوج .. لا لم يفعل ؟؟

-مالذي تقوله؟؟

همس بحشرجة .. ثم أضاف لصديقه المشوش أكثر منه:

-زوجة من ؟؟ عمن تتكلم؟؟

-يالهي قحطاان ..

هتف عمرو بتوتر ثم اقترب اكثر ينظر في عينيه:

-اسمعني جيداً .. هل تتذكر أي شيء حدث في الاسابيع الماضية؟؟

ضاقت عينا قحطان وتراجع يهتف بحنق:

-ماذا تعني بالاسابيع الماضية ..؟؟ اية اسابيع؟؟

مسد عمرو عنقه بتوتر ثم هتف:

-هل تخبرني انك لاتتذكر زوجتك ؟! لاتعرف عن زواجك ولاتتذكر ماحدث؟!

عقد قحطان حاجبيه بقوة .. عصبية وغضب تملكاه جعلتاه يغمض عينيه بقوة وهو يتوعد رفيقه الذي يصر على أن يختبر صبره بلاتوقف:

-عمرو توقف عن اساليبك الملتوية واخبرني باللّه عليك أنك تمزح..

هتف عمرو بحنق:

-كنت أتمنى أن أكون مازحاً ياقحطان ولكنها الحقيقة انت متزوج منذ مايقارب الشهرين ؟!

-شهرين؟!؟

اتسعت عيناه بذهول ..

شهرين كاملين ولايقدر على تذكر اية لمحة من تلك الزوجة المزعومة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كيف له هذا!؟ كيف حدث ولما؟(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نظر لعمرو بانفاس متلاحقة وهمس بحشرجة:

-سيادة ؟! هناك سيادة واحدة فقط في عائلتي .. ابنة العم سالم..!!

قالها ونظرة وحشية تطل من عينيه ليومئ عمرو بالموافقة فتشتعل لتشمله كله .. كان جسده ينتفض وبقوة .. تزوج ابنة سالم ؟!؟ العم

الغارق في ملذاته في الغربة ؟؟ العم الذي حطم تقاليد عائلته ورماها خلف ظهره .. العم الذي ترك عائلته وركض خلف اجنبية لامن دينه ولامن ملته فقط لاتباع غرائزه ومايسميه عشق؟؟!!

كيف تزوجها ؟؟؟ بأي قوة فعلها؟؟ مستحيل ان يتزوجها بارادته .. ليس هو؟؟

نظر لصديقه وهمس بغيظ بالكاد حاول احتوائه:

-كيف تزوجتها؟؟ لماذا؟؟

نظر له عمرو بحذر .. كيف له ان يقول له مالايعرفه؟؟ قحطان لم يفصح يوماً عن اسباب زواجه الغريبة بابنة عمه رغم يقين عمرو من وجودها ولكنه لايقدر على قول شيء .. ليس بعد ماقرأ ماكتبته تلك المراة ؟؟

-لاأعرف؟؟

قالها بتوتر.. لتشع عينا قحطان وعمرو يكمل بعصبية:

-انها ابنة عمك فلماتسألني انا؟؟

عقد قحطان حاجبيه وعاد يسند رأسه للوسائد خلفه .. ليقترب منه عمرو ويهمس:

-أخبرني ماتتذكر .. أخر شيء..

رمش قحطان بعينيه لعدة لحظات قبل ان يهمس:

-كل شيء مشوش .. اتذكركم بوضوح .. وماحدث حتى سفرنا انا والشيخ الى باريس .. كل شيء بعدها مشوش..

قالها بقهر ليربت عمرو على كتفه ويقول بتفهم:

-سأستدعي الطبيب .. قد يفسر لنا الامر..

قالها ونهض بسرعة ليتوقف ناظراً لقبضة قحطان القوية على ذراعه فنظر له باستغراب ليهتف قحطان معترضاً:

-لاأريد لأحد أن يعرف..

-ولكن ..

حاول عمرو الاعتراض لينهره قحطان بعنف:

-لاأحد ياعمرو .. أتفهم .. لاأريد أن يعرف أحد..

تراجع عمرو .. لايستطيع ان يعترض فهو خير من يعرف صديقه .. ويدرك جيداً ان اعترافه بالعجز ولو بشيء لايد له فيه لم يكن من شيمه ابداً.. كان عنيداً كالصخر .. صلباً كالحجارة صلداً مثلها.. عاد ليجلس وهمس :

-وماذا تنوي ان تقول لهم؟!

استرخى قحطان في فراشه وهمس:

-سأجد حلاً ما .. لاتقلق بشأني..

اوما عمرو بيأس .. كان يحاول ان يفكر بشيء يخبره .. يفسر له عدم تواجد زوجته .. ضغط بقوة على شفتيه وهم بأن يصارحه ولكنه لم يقدر (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لقد تحجرت الكلمات في فمه ولم يتفوه بحرف ..

وكأنما وصلت افكاره لصديقه دون حجاب فقد اعتدل قحطان فجأة وتسائل بخشونة:

-هل كانت معي وقت اصابتي؟!

شحب وجه عمرو .. للحظة فقط وعاد يسيطر عليه بقوة وهو يتحكم بنبرة صوته .. ويحاول ان يبرر له .. الا ان قحطان نظر له بحدة وتسائل:

-قلت بأنها لم تكن في المنزل وانكم بحثتم عنها ولم تجدونها ؟!

تباً .. تباً ..

صرخت ذاته وهو يناظر صديقه بسخط .. نسي كل شيء وتذكر جملته العفوية الخرقاء.. فكر بسرعة عمايجب قوله .. فكر للحظات سريعة قبل ان يسارع بالقول:

-لاتقلق لقد عرفنا فيمابعد انها سافرت لباريس..

عقد قحطان حاجبيه وغمغم بتوتر:

-كيف؟؟ تسافر وحدها؟؟

تسائل بخشونة ليسرع عمرو بالتغطية:

-انت سمحت لها قحطان امها مريضة وحالتها خطرة وكان يجب ان تسافر في حين انك لم تقدر على الذهاب معها..

عقد قحطان حاجبيه وهو لايقدر على استيعاب مايقول صديقه .. وعاوده الصداع وبقوة .. حينها سمعا الباب يفتح ويدخل احد المرضين ليضع له المسكن .. وفي حين نظر له عمرو همس له قحطان:

-اريد ان اعرف من فعلها ياعمرو..

اومأ له صديقه ليعاود همسه:

-بأسرع وقت .. اريده حياً ياعمرو..

اضطربت عينا عمرو للحظة قبل ان يؤكد لرفيقه انه سيفعل مابوسعه .. ويتركه ..

اما قحطان فقد بقي يقوم بحماقة تأثير المسكنات .. كان رأسه يؤلمه والاغراء للاستسلام للنوم فوق مايتصور .. ولكن .. صورة واحدة ظلت تسيطر على عينيه ورأسه .. صورة تجسدت بزمردتين تحترقان وسط نار مستعرة .. تشبثت الصورة بعقله وعينيه .. تشبثت

بحماقة وابت ان تفكه .. حتى وهو يغرق في نعاس مستسلم وكأنها غيبوبة جديدة سيطرت عليه كلياً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

وحين أعود مساء إلى غرفتي

وأنزع عن كتفي الرداء

أحس - وما أنت في غرفتي -

بأن يديك

تلفان في رحمة مرفقي

وأبقي لأعبد يا مرهقي

مكان أصابعك الدافئات

على كم فستاني الأزرق ..

وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع

كأن ذراعي ليست ذراعي

نزار~~

***

استيقظت فجأة ..

فتحت عينيها دون مقدمات.. اعتدلت على الفراش تشعر وكأنما يد باردة اعتصرت قلبها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) منذ جائت الى هنا لم تنم .. منذ ثلاثة أيام وهي تقاوم ذلك الضعف الانساني وتأبى أن تغمض عينيها .. حتى البارحة .. لقد وقعت فاقدة الوعي ان صح التعبير..

نهضت بسرعة وارتمت على النافذة .. الريف الغارق ببرودة الصباح .. تنهدت .. بقوة ..

كتفت ذراعيها حولها.. ومضت تنظر للأفق .. ستشرق الشمس .. ستكون باردة .. هامدة .. ستكون شمس دون حرارة او ألق.. مجرد قرص ينير الأرض بلادفئ حقيقي..

فتحت الباب الزجاجي الذي يؤدي للشرفة وتقدمت تجلس على حافتها الحجرية المنخفضة .. تدلت ساقيها واستندت على الحافة بيديها .. كالأطفال رفعت وجهها يستقبل الشمس واغلقت عينيها .. شعرها الحريري يتطاير حولها .. كجزء من اشعتها .. أحمر كالنار المستعرة .. فتحت عينيها وهي تستشعر الاشعة المخملية تلامس وجنتيها .. تشتاق اليه .. تصاعد حنينها كثعبان خبيث التف حول

عضلات قلبها واعتصره ببطئ.. ينزف الم وشوقه .. تركها تصدر انيناً ملؤه الشوق والفقــد .. !!

أيعقل أن تدمن شيئاً منذ التجربة الاولى ..!!

هي فعلت .. لم تنل من حنانه الا الشيء اليسير .. ولمرة فقط .. ولكنها أدمنته .. حد الثمالة .. تتقلب احشائها شوقاً اليــه .. توقاً للعودة الى ذاك الدفئ .. الى تلك القوة .. تريد ان تنظر في عينيه مجدداً .. تحتمي بذراعيه وتستند الى قوته .. اشتاقت صوته .. نبرته الخشنة .. كلماته القوية وبدويته التي أطارت بصوابها .. هل أخطأت حين رحلت؟! سؤال لن تعرف اجابته الا اذا فتحت قلبها لنفسها بكل شفافية .. تؤمن انها فعلت الصواب وأنها نجت بنفسها ولكن .. ؟! مما نجت بالضبط ؟! منه ؟! أم من حبه الذي بدأ يسيطر عليها وهي مستسلمة بلاحول ولاقوة؟!

لاتعرف كيف سمحت له بالنفاذ اليها بتلك الطريقة.. سيطر بكلية على دقات قلبها واستولى على روحها بلاجهد؟! في طريقها لتكرهه .. لتكره حياتها معه .. هاهي تحبه .. وتتشوق للعودة اليه ..

أغمضت عينيها بقوة .. ضربتها النسمات الباردة .. ولم تنقذها الشمس الخجول من لسعة البرد القارص في اولى ساعات الصباح ..

االاه كم تتوق ان يكون هنا .. الى جوارها فتركض اليه .. ترتمي بين ذراعيه,,, تتخلص من قرصة البرد التي تنخر في عظامها بين يديه .. تنهدت .. وعادت تنظر للأفق حيث الجبال المغطاة بالثلوج .. قممها بيضاء تشي بشتاء قارص قادم في الطريق ..

-سيـادة ..

انتفضت وتشبثتت بالحجر القاسي وهي تلتفت الى صديقتها التي ركضت نحوها متسائلة بجزع:

-هل أنت بخير مالذي تنوينه يامجنونة؟؟

اتسعت عينا سيادة وهي تضحك رغماً عنها:

-يالهي ريمي لاتقلقي لن اقفز من شرفتك ابداً ..

تنهدت ريمي بارتياح واقتربت تمسد كتفيها هامسة:

-ومالذي تفعلينه بالخارج في هذا البرد .. هكذا؟؟

مشيرة الى ماترتدي من قميص قطني ناعم بلاكمين وسروال من القماش نفسه يصل لركبتيها .. فسرحت سيادة بعينيها وهمست:

-لاشيء يضاهي البرد الذي اشعره بعيدة عنه..

نظرت لها ريمي بحزن دفين .. وهي تشعر بكل كلمة تجلدها ..

-لماهربت منه اذن؟؟ متى ستتعلمين ان تقفي وتواجهي ياسيادة.. أن تدافعي عماهو لك؟؟

تنهدت الفتاة بحرقة وهمست :

-هو يكرهني؟؟ يظن بي كل سوء.. ويعتبرني هم ثقيل يحمله على كتفيه..والان بعد هروبي منه وتلك الرسالة اعتقد بأنه يكرهني ولايريد سوى قتلي.

-انت لاتعنين ماقلته للتو .. أليس كذلك ..؟؟

همست ريمي بتوجس لتختنق المشاعر في اعماقها وتشرد ببصرها بعيداً .. كم تتوق لتخبرها بكل شيء ولكنها لاتقدر .. لاتقدر ان تزيد همومها .. نظرت لها وقالت:

-يجب أن اتصل بأمي .. لابد انها ستكون قلقة ..

-هل تظنينها مستيقظة في هذه الساعة ..

-اعرف امي .. هي لاتنم حتى انتصاف النهار ..

-اذا خابريها .. حتى لاتقلق..

تنهدت سيادة وقفزت عن الشرفة تتجه للهاتف .. اغمضت عينيها وهي تضمه اليها وهي تعدد الكلمات التي ستقولها لأمها .. ستلقي التحيـة .. وتطمئنها عنها فقط .. وتصر على البقاء بعيداً لفترة ..

لاشيء اخــر..

سمعت الرنين الطويل .. وبعد فترة تهادى لها صوت امها الناعس:

-صباح الخير ماما..

همست بتوتر .. لتسمع صرخة امها المرتاحة وهي تقول:

-سيـادة .. بنيتي حمداً للّه .. كيف حالك حبيبتي..؟؟

تنهدت سيادة وشعرت بغصة تملئها وهي تهمس:

-بخير لاتقلقي علي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-أين أنت حبيبتي.. ؟؟ أين ذهبت؟؟

-اغمضت عينيها وهمست:

-انا بخير لاتقلقي بشأني.. كل ماأردته ان أخبرك بهذا أمي..

-انا وعزيز لم نتوقف لحظة عن البحث عنك؟؟ اين ذهبت حبيبتي؟؟

تنهدت بضيق وصرخت بعصبية:

-اميي .. لاشأن لعبدالعزيز بمكاني ارجوك اخبريه بهذا .. لقد انتهيت منه..

زفرت امها بضيق وصاحت:

-مالهراء الذي تتفوهين به؟.. عزيز فعل المستحيل من أجلك .. وهو يحبك ويعبدالتراب الذي تسيرين عليه .. لايصح ان ؟(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

-اميييي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قاطعتها بعنف .. لتصمت امها بذهول وسيادة تحاول السيطرة على اعصابها التي اشتعلت بقهر وهي تصرخ:

-انا لم اعد اريده .. ألاتفهمين .. انا لم اعد احبه وهو لايهمني ابداً..

-بعد كل مافعله من أجلك ؟؟

تسائلت امها بدهشة .. لتضحك سيادة بمرارة:

-هو لم يفعل اي شيء لي سوى انه دمر حياتي..

-هو انقذك من براثن البدوي الذي خطفك..

-قحطاان لم يفعل بي مايسووء..

صاحت بعنف لتقهقه امها بسخرية:

-وتدافعين عنه الان؟؟ ماذا فعل معك هل غسل دماغك؟؟

كانت تموت .. ذكره فقط ووقع اسمه على شفتيها اصابها بوهن لم تقوى على التغلب عليه فهمست بصوت مبحوح:

-قحطان لايستحق ماتقولينه؟؟ هو افضل رجل في هذه الدنيا؟؟

سمعت صراخ امها الغاضب وابعدت سماعه الهاتف عنها واعدتها حين هدأت لتقول ببرود:

-امي انا لن اعود الان ..

-ربما يجب ان تعودي فليس لك مكان اخر تهربين اليه حتى ذاك البدوي الوغد قد انتهى ..

تسمرت عينيها للحظة قبل ان تهمس:

-ماذا تعنين؟؟

ابتسمت ايفا بسخرية وهمست بغل:

-كما سمعت .. لقد تعرض زوجك العزيز لاصابة بالغة .. وقد سافر والدك عند الفجر .. ويقول بأنه في حالة سيئة للغاية..

تسمرت في وقفتها .. لم تعد تسمع سيل الكلمات الغاضبة التي تدفقت من بين شفتي والدتها بلاتوقف .. طنين .. طنين مؤلم انتشر عبر كل جسدها .. حتى انتشر عبر مسامها وعروقها مجرى الدم .. هزها من العمق بلاتوقف ..

قحطان تأذى؟؟!!

شهقت بألم وهي توقع الهاتف من يديها لتنظر امامها بكل ذهول؟؟!!

قحطان مصاب وحالته سيئة؟؟؟ تفجرت دموعها بقهر وسقطت ارضاَ وهي تشهق بالبكاء.. مالذي حدث؟؟ فكرت بجنون؟؟ مالذي حدث له؟؟

-سيادة مابك؟؟

سمعت الصوت لتلتفت لصديقتها التي تناظرها مذعورة وهتفت:

-قحطان .. قحطاان ..

تمتمت باسمه باكية بانهيار لتتسع عينا ريمي وهي تسألها:

-مابه ؟؟ أخبريني سيادة؟؟

-لاأعرف .. لاأعرف ماحدث له .. امي .. امي تقول انه مصاب..

صاحت باكية بعنف لتحيطها ريمي بذراعيها وتحاول ان تهدئها قائلة بحنان:

-لاتقلقي سيادة .. ربماكان الامر بسيطاً ..

هزت سيادة رأسها بعنف وصرخت:

-امي تقول ان حالته خطرة وانه يمووت ..

ثم ابتعدت عن ذراعي ريمي وصاحت:

-لو أصابه مكروه .. لو حدث له شيء ياللهول ريمي ..

-اششش ..

اسكتتها بحدة وهتفت بها بصرامة:

-لاتتحدثي بالسوء قبل وقوعه انت لاتعرفين ماحدث..

بكت سيادة بمرارة:

-يجب ان أراه .. يجب ان اطمئن..

-مالذي تقولينه؟؟

هتفت ريمي بحنق لتنظر لها سيادة بوجع وتهمس:

-احتاج أن أطمئن عليه .. فقط لأراه ويطمئن قلبي..

-اذا ماعدت له سيقتلك وهذا ماقلته بنفسك ..

اجهشت سيادة بالبكاء وهمست:

-اريد ان ارااه .. ولو من بعيد .. فقط للحظات ..

زفرت ريمي وهمست لها:

-اتصلي به سيادة .. اتصلي بالهاتف واسمعي عنه .. لاتحطمي كل مافعلته في نزوة عابرة..

-نزوة ؟؟!!

تسائلت متخاذلة .. لتضحك بعدها بمرارة وهي تهمس:

-ليتها كانت نزوة ياريمي .. ليتها كانت كذلك .. لو تعرفين ماشعرت حين اخبرتني امي بمااصابه.. لو كانت النزوة تحرق القلب هكذا

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وضاعت باقي العبارة فنشيج مؤلم مزق نياط قلب ريمي التي عادت تضمها بحنان هامسة:

-ومالذي تنوينه ؟؟

ابتعدت عنها سيادة وهمست مشوشة:

-لاأعرف .. اريد ان اراه .. اتأكد فقط بأنه بخير..

-اتصلي به .. اذا ماكان بخير فستتأكدين ..

اومأت سيادة .. والتقطت الهاتف الواقع ارضاً وقد فصل الخط ..

وتسمرت للحظات قبل ان تنظر لريمي:

-لاعرف رقم هاتفه؟؟

اتسعت عينا ريمي بدهشة لتهمس سيادة بوجع:

-لااعرف الرقم ريمي ..

قالتها واجهشت بالبكاء مجدداً .. فعادت ريمي تهدئها وهي تقول:

-الا تعرفين رقم اي احد اخر ..

هزت سيادة رأسها وهمست:

-لااعرف .. لا اتذكر ..

شتمت ريمي بخفوت .. وهي تنظر لرفيقتها بصمت .. كانت سيادة تغلق عينيها بقوة .. تحاول التذكر .. اي شيء .. اي شيء قد يفيدها ..

توسلت الى اللّه بصمت .. ترجت ودعت .. بألم .. بدموع تسيل على وجنتيها بصمت .. ثم فجأة .. من اللامكان ..

-شفا الشــهري..

هتفت بحدة وهي تفتح عينيها .. لتتتعلق بعيني رفيقتها اللازورديتان وهي تهمس بأمل:

-سأتصل بشفا الشهري..

لم تفهم ريمي من تكون تلك ولكنها رأت لهفة سيادة وهي تضرب الارقام بلهفة هاتفة:

-حفظت رقمها عن ظهر قلب لأعطيه لرجل القنصلية (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

انتظرت ريمي بصبر.. وهي ترى اللهفة التي لم توقف سيل دموع سيادة المنهمر وهي تترقب الاجابة على هاتفها .. في حين كانت الاخيرة تترقب صوت شفا بصبر يكاد يتفجر .. وحالما سمعت الصوت ذو البحة المميزة حتى قفزت واقفة وهي تصرخ:

-شفا؟؟!!

ضاقت عينا شفا للحظات وهي تتسائل من يتصل بها في الصباح الباكر من رقم خارجي لم تعرف من اي بلد؟؟!!

-من معي ؟؟

تسائلت لتتردد سيادة للحظة قبل ان تستجمع شجاعتها وتفوقها لوعتها وهي تجيب:

-انا .. انا سيادة العزب..

شهقت شفا وهي تعتدل في فراشها صارخة:

-سيادة أين أنت باللّه عليك؟؟

تيبست سيادة .. تدرك انها لابد قد عرفت بأمر اختفائها .. لابد أن الجميع قد ادرك الحقيقة .. همست بصوت مخنوق:

-ارجوك شفا .. طمئنيني عن قحطان فقط ..

-يامجنونة ..

صاحت شفا بقهر وهي تدرك من نبرة المرأة انها تحب .. وغارقة فيه لأذنيها:

-مادمت تحبينه الى هذه الدرجة فلمارحلت؟؟ لماهربت منه؟؟

-شفا ليس الان الوقت الملائم فقط قولي لي عنه؟؟

صرخت سيادة بنفاذ صبر .. لتتنهد شفا وتهمس:

-انه في غيبوبة..

شهقت سيادة وانحبست انفاسها .. وشفا تقول بقسوة:

-لقد هاجموه في منزله بعد هروبك مباشرة .. قولي بأنك لم تكوني السبب.. قولي بأنك..

-هل سيموت؟؟

همست ذاهلة تقاطع سيل تساؤلات شفا التي همست بحدة:

-الاعمار بيد اللّه وحده .. ولكن حالته ليست مطمئنة ابداً ..

شردت عينيها .. بالكاد حافظت على القوة لتمسك الهاتف بين يديها وهي تحاول السيطرة على ضربات قلبها المتقافزة بجنون وشفا تقول:

-عمرو زوجي يبحث عنك في كل مكان ..

-انا عائدة ..

همست بشرود .. لتصمت شفا بتوجس وسيادة تهمس بخفوت بالكاد وصلها:

-يجب ان اراه .. يجب ان اراه ..

قالتها بألم ثم همست :

-سأعود حالما استطيع ياشفا .. ارجوكي ساعديني ..

تنهدت شفا وهمست:

-اتصلي بي حال وصولك الى المطار وسأكون بانتظارك .. الجميع هنا يعرفون انك معي بسبب ماحدث .. لااحد يعرف بأمر هروبك سواي وعمرو.. وبالطبع قحطان..

اغمضت عينيها بقوة وبكت بصمت .. اغلقت الهاتف .. ومضت تنشج بالادموع .. وكأنها لم تعد تكفيها ..

اقتربت منها ريمي ضمتها اليها بصمت وتركتها تفرغ المها دون صوت .. فهي الوحيدة من تستطيع فهمها .. حقاً ..

-سأعود اليه ريمي .. سأعود ليطمئن قلبي..

همستها بألم فهمست لها ريمي مطمئنة ببضع كلمات .. تهدئ فيها روعها وألمها .. قدر استطاعتها..

***

توقف بسيارته امام الفيلا الصامتة .. نزل منها مسرعاً ملبياً نداء المرأة الأكبر سناً ..

وجدها تنتظره بعيون غاضبة وملامح حانقة..

-مالأمر الأن ايفا؟؟

قالها بتوتر لتصرخ بغضب:

-غباؤك اوقعنا في مشاكل اكبر مماكنا نتخيل..

اتسعت عينا عبدالعزيز بدهشة لصراخها المباشر نحوه واقترب جالساً الى جوارها متسائلاً:

-اخبريني ماحدث.. واهدأي..

شعت عينيها الزمرديتين بالحنق وصاحت:

-ابنتي العزيزة الحمقاء..

تلهفت عيناه وهتف:

-اتصلت بك؟؟ هل عرفت اين هي؟؟

ضحكت ساخرة وهتفت بقسوة:

-غبـــي..

اتسعت عيناه بصدمة وهي تواصل:

-غبي واحمق ان ظننت انها تريد ان تراك او تسمع عنك .. الحمقاء العاشقة ماان عرفت باصابة ذلك البدوي حتى قررت الرجوع اليه ..

-ماذاااا؟؟

هب من مكانه صارخاً لتتسع ابتسامة السخرية المريرة على شفتيها وهي تهتف:

-انها تعشق الرجل .. اصيبت بالجنون حالمااخبرتها .. وقررت الرجوع..

-ولمااخبرتها باللّه عليك..

صرخ بعنف لتجابهه:

-لأنني ظننت انها ستفرح .. ظننتها ستتنهد ارتياحاً وتعود الينا ..

واضافت هامسة:

-ظننت هروبها منا ليس الا هرباً منه .. ظننتها سبتعد حتى تضمن ابتعاده .. ولكنني كنت مخطأة..

غرس عبدالعزيز يديه في خصلات شعره الكثيفة وهدر بعنف:

-كيف؟! كيف لها ان تحب رجلاً مثله.. كيف لسيـاده ان تقع في حب ذلك البدوي .. وتنسى عبدالعزيز الشيب؟! كيييييييييف؟!

نهضت امها بحنق وهمست:

-لقد غسلوا دماغها ليست ابنتي من تواجهني بتلك الطريقة .. ابدا ليست سيادة التي ربيتها؟

نظر لها بحنق وهتف بغل:

-سأعيدها ايفا .. اقسم ان اعيدها الي .. بارادتها او حتى رغماً عنها..

شعرت ايفا بالقلق لنبرة صوته .. القلق للشر المطلق في عينيه .. كان رجل اخذ الغرام بصوابه ..

-أنت لن تؤذها ؟!

تسائلت مضطربة لتغيم عيناه بالعشق وهو يهمس:

-أوذي سيـادة؟؟!! هل جننت ياامرأة ؟؟

تنهدت بارتياح .. جلست على المقعد وهمست:

-وماذا عن فراس؟؟ متى ستخلصني من تلك الفتاة؟؟

نظر لها للحظات بحنق وكأنه يعيب عليها ان تفكر سوى بسيـادتها..

الا انه لم يعترض بل هز كتفيه بلامبالاة:

-انا بانتظار ماتنوين فعله انت .. أحضريها الي وانا اتكفل بالباقي ..

نهضت ايفا وهمست :

-سأفعل الان..

-سأكون بانتظاركما اذا .. الى اللقاء..

قالها ببرود قبل ان يشق طريقه للخارج .. اما هي فقد أخذت نفساً

طويلاً واتخذت طريقها لغرفة سلمى ..

طرقت الباب بهدوء وحالما سمعت الصوت الرقيق يدعوها للدخول

حتى دخلت ..

كانت سلمى تجلس على كرسي وثير تقلب في تلك القنوات الفضائية

والتي بدت لها بلانهاية .. ضجرة .. حزينة .. ومكتئبة ..

تجلس طيلة النهار وحدها .. حتى التلفاز الضخم لايسليها .. لم تعد

تريد البقاء هكذا .. كَ بيتٍ وقف !!

سمعت الطرقات وبعد لحظات دخلت حماتها المصونة ..!!

اعتدلت بريبة .. ومضت تنظر للمرأة التي وقفت تناظرها للحظات قبل ان تتحدث بعربيتها الركيكة:

-اتسمحين لي بالدخول؟؟

ابتلعت ريقها واومأت لها .. لتقترب المرأة وتجلس قبالتها .. نظرت لها مطولاً .. كان شعرها العربي الكثيف ينسدل على كتفيها دون انتظام وقد خلا وجهها من الزينة وارتدت عباءة عربية ملونة واسعة ..

اخفت تفاصيل رشاقتها وجمالها .. تابعت تأملها بعين ناقدة .. اظافرها محطمة .. بشرتها شاحبة .. وفكرت .. سيكون العمل معها متعباً ..

تنهدت وهي تعتدل في جلوسها مظهرة رشاقة جسدها رغم سنها وقالت تنظر لها بتقييم:

-فراس لم يتصل بك أليس كذلك؟؟

تجهم وجه سلمى وخفضت عينيها بخجل .. وألم .. زوجها .. الغائب أبداً .. شعرت بوجع يلتهب في نبضها .. لذا لم تجرؤ على النظر الى حماتها الغريبة وفضلت الارض مثوى لعينيها ..

-أتعرفين لمالم يفعل؟؟

تسائلت ايفا بخبث .. لتتردد سلمى .. ثم ترفع عينيها بصمت وتنظر لها للحظات هامسة:

-لا..

رفعت ايفا ذقنها باستهزاء وقالت بعجرفة:

-انهضي ..

ابتلعت سلمى ريقها بصعوبة ثم نهضت ببطئ .. لترمقها حماتها من رأسها لأخمص قدميها .. كانت طويلة القامة رشيقة القد .. ولكنها كانت في حالى يرثى لها .. هزت رأسها بأسى وقالت:

-انظري لنفسك في المرآة ..

شحب وجه سلمى ولكنها فعلت .. وقفت مطولاً تنظر لنفسها .. مالذي حدث لها .. انها ترتدي عباءة عربية جديدة .. حتى شعرها الثائر دوماً ناسبته الاجواء الباريسية واصبح اكثر هدوئاً ..

شعرت بالمرأة تقترب من خلفها وتقف مباشرة ورائها لتظهر في المرآة .. وبكل هدوء همست:

-انظري جيداً لنفسك بنيتي .. ثم انظري لهذه..

قالتها وهي تقدم لها صورة ما.. التفتت لها سلمى ونظرت للصورة لتجد ماجعل قلبها يخفق بقوة ..كانت الصورة لزوجها فراس .. ولم

يكن وحده.. كانت تتآبط ذراعه تلك المرأة الفاتنة .. رشاقة مذهلة .. شعر كثيف ناعم يصل لخصرها .. جمال مبهر واناقة مفرطة.. تدلت شفتها وهي تنظر لجمال الفتاة الصاعق .. وكيف تشبثت بفراس وكأنه من حقها ..

دمعت عيناها ونظرت لإيفا التي قالت لها بشفقة:

-هكذا يحب ابني نساءه .. صاعقات الجمال .. كعارضات الازياء..

اطبقت سلمى شفتيها بألم .. وجعدت الصورة بين يديها وهي تقارن مارأته بالصورة ومارأته في المرآة .. فرق .. فرق كبير كذاك الذي بين السماء الصافية وأرض جرداء(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ابني يعشق المظاهر ياسلمى .. يحب ان تكون امرأته قمة في الجمال ومحط انظار الجميع .. طبيعته التي تربى عليها .. يعشق المرأة التي تلفت انظار الجميع اليها .. يعشق ان يلفها اليه ويقف امام الجميع معلناً انها له ..

تساقطت دموع سلمى وهي تشعر بالدونية .. بالحقارة .. اي رجل تزوجت ليعجب بهكذا رخيصات .. لتشعر باصابع حماتها ترفع ذقنها لتنظر في عينيها هامسة:

-اذا اردت ان تعيديه اليك .. اذا اردت ان تكوني زوجته حقاً عليكي بالتغير لأجله..

عقدت سلمى حاجبيها وهمست بتردد:

-اا.. اتغير؟؟!!

رفعت ايفا حاجبيها وهمست :

-بالطبع .. عليكي ان تصبحي امرأة كما يحب ويرغب .. انت زوجته؟؟

-اتغير هكذا؟؟

قالتها بقرف وهي تنظر للصورة ساخطة .. ثم رفعت عينيها لحماتها المندهشة لتقول بحنق :

-انا سلمى العزب .. اصبح رخيصة كهؤلاء..!!

ثم اضافت وهي ترى ذهول حماتها:

-انا ابنة الشيوخ .. شقيقة قحطان العزب .. شيخ قبيلتي .. وقبائل البلد .. اصبح واحدة من الرخيصات (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟

قالتها باباء وأنفة واضافت بحدة :

-اسمعيني جيداً سيدتي .. اذا كان ابنك لايرغب بي كماانا فلست مستعدة ابداً لأنزل بنفسي لهذا المستوى لأرضيه هو او سواه .. وسيسعدني العودة الى اهلي كما انا وفي الحاااال..

-اسمعيني جيداً.

صاحت ايفا وهي ترى ان زمام الامر قد بدأ يخرج من بين يديها..

-انا لم اقل ابداً ان تفعلي مثلهن..

عقدت سلمى حاجبيها لتقترب ايفا وتهمس بخبث:

-انا فقط اريد ان تبدي مثلهن ياصغيرتي ..

اريدك ان تصبحي جميلة .. ناعمة ومدللة .. ولكنك ستكونين له فقط وليس لسواه..

-هل تقولين انني قبيحة؟؟!!

صاحت سلمى بحنق لتضحك حماتها بمكر :

-لا بل على العكس انت جميلة بطريقة .. بطريقة ..

وحارت بالتعبير للحظات وهي تنظر لعيني سلمى المتسعة كالغجر قبل ان تهتف بانتصار:

-بطريقة بوهيمية (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ماذا؟؟؟

صرخت سلمى لاتفقه مماتقوله حماتها شيء لتضحك الاخرى بسخرية من جهل هذه الفتاة وهمست:

-فقط اسمعي لي ودعيني اساعدك لتبدي مثلما يريد ابني .. لااطلب منك ابداً ان تصبحي رخيصة فقط اطلب منك ان تبدي انيقة وراقية .. كما يحب وكما يجب..

ثم امسكتها من كتفيها وواجهت نظرات سلمى المتشككة هاتفة:

-انت الان في باريس ياسلمى ولم تعودي في بلدتك القديمة .. انت في مديـنة النور .. علي ان تعيشي على اسسها وقوانينها .. وانا سأساعدك ..

-لماذا؟؟

همست سلمى متشككة لتلمع عينا ايفا وهي تعرف انها قد استطاعت الولوج اليها .. استطاعت النفاذ الى الفتاة المسكينة والتي بدأت تستسلم:

-لأنني اريد السعـادة لأبني.. وأنت زوجته .. سبب سعادته صغيرتي ..

تراجعت سلمى .. تحاول ان تزن الكلام برأسها .. انها هنا منذ فترة طويلة .. اسابيع مرت دون ان تعرف عنه شيئاً .. حتى عائلتها ابتعدت

عنها ولم تعد تعرف اخبارهم .. لم يعد لها سواه .. زوجها .. والان ..

هاهي تجد الفرصة لتقترب منه من جديد .. ولكن .. بأي ثمن ..!!

ابتلعت ريقها وهي تفكر .. التخلي عن عاداتها وتقاليدها .. الانجراف

خلف ماتراه هذه المرأة .. مايريده هو؟؟ اهذا حقاً ماتريد ؟؟ ان تتغير لأجله

؟؟ ان تتخلى عن ذاتها القديمة فقط من أجل زوجها؟؟؟

كان رأسها يؤلمها .. من فرط التفكير.. لم تعرف ماتقرر وكيف؟؟

-لاتفكري بنيتي .. انت الان لزوجك .. كل مايجب ان تفكري فيه هو

كيفية اسعاده .. وارضائه..

همست لها ايفا بخفوت لتعود لها كلمات سمعتها قبلا من امها .. هدف

الزوجة الوحيد هو ارضاء زوجها .. اسعاده وتنفيذ رغباته كلها .. هذا

ماتربت عليه ..

شعرت برجفة تجتاحها وهي تنظر لايفا .. لم تخطئ فيماقالته ..

فطاعة الزوج من طاعة اللّه .. هي تدرك ان حتى الجوهرة تغيرت منذ

زواجها بحسن .. ملابسها .. شعرها .. كلها تغيرت بعد زواجها ..

وكذلك صديقاتها المتزوجات اصبح لبسهن مختلف .. طريقة حديثهن

.. حتى شعورهن تغيرت .. قصات جديدة والوان مشرقة .. فلم هي؟؟

لمالاتحاول ؟؟ بطريقتها دون ان تفقد ذاتها؟؟؟

-ماذا .. ماذا علي أن افعل؟؟

همست بتخاذل لتشرق عيني حماتها وتقترب منها هاتفة بحمااس:

-اتركي لي كل شيء.. انا سأتصرف اتركي نفسك لي كلياً ..

نظرت لها سلمى بقلق .. تشعر بوجود خطب .. تشعر بأن الامور لن تكون كما تتخيلها .. على الاقل ليس بالسهولة التي تتوقعها ابدااا..!!!

***

كانت الرحلة أطول ماحدث لها في عمرها..

الاجراءات التي اتخذتها بسرعة لاتصدق .. كانت سعيدة الحظ بالابقاء على اوراقها جاهزة بعد رحلة هروبها الفاشلة .. فهاهي تعود اليه .. تعود مسلمة لكل ماسيفعله .. فقط لتطمئن على وجوده حياً .. وبصحة جيدة .. نظرت عبر النافذة الصغيرة للطائرة وهي تهبط الى أرض المطار .. قد يقتلها حال استيقاظه .. سيتهمها بأبشع التهم .. ولكنها لاتنوي البقاء..

نعم .. قررت بشجاعة لن تبقى حتى يقتلها هو او سواه .. فهي ستراه فقط .. ستطفئ الشوق في أحشائها لرؤيته وتغادر لن تسمح لأحدهم ان يوقفها ابداً ..

بالأسفل كانت بانتظارها شفا والتي سرعان ماأخذتها بين ذراعيها

هاتفة بحنق:

-ياحمقاء ماذا فعلتي؟؟ كيف تهربين بتلك الطريقة ؟؟

ابتعدت سيادة عنها وهمست:

-كيف حاله؟؟

اضطربت عينا شفا فهي منذ بضع ساعات فقط عرفت انه استيقظ ..

ولكن بأي حال؟؟ لم تعرف مايجب ان تقول لها .. لذا آثرت الصمت

وفضلت أن يقوم عمرو زوجها بالمهمة .. لم تكن قد أخبرته بوجودها

بعد كانت تريد ان تتأكد من عودتها قبل ان ترفع آماله .. وهو من

سخر الكثير من رجاله للبحث عنها في انحاء باريس.

-تعالي معي .. سيخبرك عمرو زوجي بكل شيء..

انقبض قلبها وهي ترافقها للسيارة الفاخرة والتي يقودها سائق خاص

..كانت ضربات قلبها متسارعة بطريقة مؤلمة .. تكاد تتفجر من

كيات صدرها .. نظرت لشفا المتوترة وعرفت انها تخفي شيئاً .. ولكن

ماذا؟؟

سرحت بأفكارها للخارج .. هل من المعقول ان حالته قد استائت؟؟

شحب وجهها وتجمدت أطرافها وهي تفكر .. لا لا .. لايعقل أن يحدث له هذا ابداً ..

اغمضت عينيها واسندتها لزجاج النافذة وهي تدعوا بصمت:

-يااارب .. احفظه من كل سوء ..

كانت مرهقة ومتعبة .. يوم كامل قضته في معاملات طويلة لتعود للوطن .. لم تخبر احد .. فقط حزمت حقيبة صغيرة وانطلقت عائدة اليه .. كيف لها الأ تفعل وقد عرفت مصابه؟؟!!

المضحك .. وسخرت من نفسها انها غادرت هاربة قبل يومين اثنين فقط ..

اقصر رحلة هروب بالتاريخ .. وأكثرها فشلاً .. كيف تهرب من رجل اودعته قلبها وروحها قبلاً ..

تنهدت واغمضت عينيها .. تريد ان تريح نبض اعصابها المؤلم .. للحظات فقط ..

اوصلتها شفا الى فيلا الشهري الراقية .. وحالما رأت وجهها المستغرب وهي التي كانت تظن انهما ذاهبتان الى المشفى قالت لها بحنان:

-انت بحاجة للراحة ولحمام ساخن .. ريثما يأتي عمرو فهو من سيأخذك بنفسه ..

حاولت الاعتراض ولكنها بالفعل بحاجة للراحة .. لهفتها لرؤية حبيبها قيدتها بعنف .. وتركتها تتخبط بين ضلوعها ..وهي تسيطر عليها بطريقة مثيرة للاعجاب وتستسلم لماقالته شفا ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

في الجهة الأخرى من المدينة ..

كان عمرو ينظر لسالم العزب بتوتر والرجل يصرخ به بخفوت:

-مالذي تعنيه بأن ابنتي ليست هنا؟؟ أخبروني كلهم انها مع عائلتك..

تنهد عمرو وهمس من بين اسنانه:

-اسمعني ياسيد سالم .. ابنتك سافرت قبل الحادث .. وكان من المفروض ان تصل باريس في صباح قبل امس .. انا لااعرف اين ذهبت بالضبط ولكننا بحاجة للوصول اليها بأسرع مايمكن.؟.

احتقن وجه سالم وهو يعيد الامر في رأسه مراراً وتكراراً ..

ابنته غادرت الى باريس؟؟ دون اخباره .. دون الاتصال به .. وماذا عن قحطان ؟؟!! كيف سمح لها؟؟ كيف وافقها على الامر .. أم انه لم يفعل؟؟؟

اتسعت عيناه بذعر وهو يفكر.. هل من المعقول ان تكون حادثة قحطان متصلة بسفرها؟؟؟

نظر لعمرو الشهري متردداً .. هل يسأله؟؟!! هل يخاطر بفضح ابنته امام الرجل الغريب؟؟

ولكن عمرو لم يسمح له .. لم يترك له الفرصة .. بل تراجع عنه حال ورود اتصال له .. تراجع يشيح عن الرجل الاكبر سناً وانزوى يسمع صوت مجنونته المتوتر وهو يهمس له:

-عمرو .. لدي مفاجأة لك ..

وعقد عمرو حاجبيه بترقب قبل ان تتسع عيناه بذهول وهو يسمع ماهية مفاجآته .. فهو لم يتوقعها ابداً .. ابداً..وبدون تردد يذكر .. دون ابداء اسباب او ترك شروحات .. غادر وكأنما تلاحقه الشياطين تحت انظار سالم العزب المذهولة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

تصاعدت دقات قلبها بطريقة لم تعهدها من قبل.. وكأنها ستقابل غولا متوحشاً وليس مجرد رجل كسواه !!

ابتلعت ريقها وهي تعدل طرحتها وتنتظر الباب يُفتح لتقابل الرجل الذي قلب باريس كلها بحثاً عنها.. انتظرت بصبر ولوجه وحالما فعل وقفت مرتعدة مترقبة وحائرة في امرها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) بالذات حال رؤيتها لنظرته الجامدة حاولت ضبط

لهفتها على معرفة اخبار ذاك دون فائدة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فهي كانت تتوق لتسمع عنه اي خبر ولم تستطع البقاء جالسة دون حراك تقدمت تحاول التمسك بشيء يردع لهفتها ويخفيها ؟؟ولكن بلافائدة ..

التمعت عينيها بدموع حبيسة وتسابقت انفاسها بلاتوقف وهي تتسائل:

-اين هو؟؟ مالذي حدث له بالضبط؟؟!!

نظر لها عمرو بتجهم وهمس بصوت بارد:

-كيف تجرؤين على ادعاء الاهتمام بهذه الطريقة؟؟؟

-أنا لا ادعي..

هتفت بالم وقد هاجمتها نبرة صوته بالصميم ليشد عوده ويتهمها بقسوة:

-بلى تدعين ..فلو كنت تهتمين ولو ذرة لما تركته وهربت؟؟

-لقد عدت من اجله..

دافعت عن نفسها بحرقة ليضحك باستهزاء هامساً:

-بعد ماذا؟؟ بعد ان كاد يخسر حياته ؟؟؟

اتسعت عينيها بوجع وهمست:

-كيف هو احالته خطيرة!!!

نظر لها للحظات طويلة قبل ان يقرر الرأفة بحالها ويهمس لها بجفاف:

-انه بخير..

تنفست الصعداء بارتياح ليعود ويمعن في الجرح أذية وهو يضيف:

-ولكن ليس كلياً ..

نظرت له تائهة في مشاعره المتقلبة على وجهه وهو يعود ليهمس:

-قحطان فقد ذاكرته..

رمشت بعينيها تنظر اليه .. لاتفهم مايقول .. للحظات تسمرت نظرتها اليه بغباء..؟؟

-ماذا تعني؟؟ تسائلت بخفوت.. "ماذاتعني بأنه فقد ذاكرته؟؟"

نظر لها مطولاً ثم همس بضيق:

-هو لم يفقد ذاكرته كلياً؟؟

أضاعها مجدداً .. ورأى في عينيها ارتباكها .. وشعر بحزن لما سيقوله .. لم يعرف سببه .. ابتلع ريقه وهمس يقضي على الباقي من تماسكها:

-قحطان نسي كل شيء متعلق بك أنت سيدتي..

لم تتحرك عضلة في وجهها .. لم ترمش او تتحرك .. فقط نظرت له للحظات طويلة .. غير مصدقة ولامستوعبة ماقاله للتو .. فقط شحب وجهها وارتعدت اطرافها وقد عاد اليها الاحساس .. لم تعرف اي صوت غادرها فقد كان خشناً .. شاحباً:

-ماذا تعني؟!

حينها شعر بالشفقة .. خفض عينيه وهوو يفشل في مواجهة كآبة عينيها اللتان فقدتا لونهما وباتتا جامدتين بلاحياة ؟! وبدأ يصف الرصاص .. الواحدة تلو الاخرى ..

-قحطان لايتذكر ماحدث ليلتها ..

همس بخفوت .. لتتسع عينيها .. وتتعلق عينيها بشفتيه وهو يطلق الرصاص الثانية:

-قحطان لايتذكر زواجه منك اصلاً ..

تيبست في وقوفها .. تناظره بلاحراك وقد جمدتها الصدمة ليطلق الثالثة وبكل برود:

-هو لايتذكرك بتاتاً ..

وكانت الخاتمة .. التي مزقتها بلارحمة .. كصاعقة نزلت تشق رأسها نصفين .. مالذي يقوله؟!

من الذي نسيها ولايتذكرها نهائياً؟؟ الرجل الذي قطعت نصف الكرة الارضية لتعود اليه متجاهلة حقيقة أنه قد يقتلها حال رؤيتها ولن يلومه أحد؟؟؟!

الرجل الذي قضت اسوأ ليالٍ في عمرها تحلم به .. تبكيه .. تشتاق للمسة من يده لم يعد يذكرها؟؟!! مستحيل .. رددت من اعماقها .. مستحيل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-مستحيل..

همست مخنوقة .. عينيها تتسعان .. تلمعان بدموع تهدد بالانفجار..

-كيف .. كيف نسي؟؟

اضافت بجزع .. فكرت مرتعدة ..

كيف نسي ماحدث بينهما في أخر ليلة جمعتهما .. كيف نسي الحب ؟؟ تلك العاطفة الوحشية الجامحة؟؟ كيف نسي مشاعرهما الملتهبة .. كيف نسي برائتها التي دفعت ثمنها غالياً من كرامتها؟؟! كيف نسي الحب الذي اغدقته عليه ليلتها دون حساب .. !!

كيف وكيف ؟؟

لم تشعر الا بخيط دموع انساب على وجنتها .. ببطئ وصمت .. مزق شغاف قلب الواقف امامها بلاحراك .. والذي لم يعرف كيف يجيب التسائل الباكي في عينيها .. هتف بها بخشونة:

-لاتبكي سيدتي ..

وكأنها كانت الكلمة السرية لفتح مزاريب دموعها ..

اتسعت عيناه بدهشة وهو يرى تفجر الدموع من عينيها بلاحساب .. ترافقها شهقات متوالية .. وقبل ان يتحرك كانت تسقط ارضاً على ركبتيها .. لتنشج حزنها بلاتوقف .. تحاول كتم شهقاتها بكفيها ولكنها تزيدها لوعة .. ولم يعرف كيف يواجه تلك الدموع .. تسمر ينظر لها بذهول .. كانت تنتفض بلاتوقف .. وتشهق بالدموع بعنف..

-توقفي عن البكاء الان فهو لن يفيد ..

-كيف ؟! كيف لايتذكرني كيييف؟!

هتفت باكية بلوعة تمزق القلوب .. ليزفر مغمضاً عينيه يعد للعشرة وهو يحاول السيطرة على اعصابه التي تكاد تفلت من بين يديه .. لم يواجه هستيرية كهذه منذ زمن؟! كم احتاج زوجته الان .. ربما استطاعت ان تسيطر على المرأة ..

-كيف له ان ينسى؟!؟

عادت تصرخ مجدداً ليزفر بحنق وهو يتخذ موقف الدفاع عن صديق عمره ويحدجها بنظرة حانقة صارمة وهو يهتف وقد فاض به الكيل:

-ربما كان من الافضل له النسيان .. بالذات بعد ماقرأه برسالتك الغبية التي تركتها خلفك قبل هروبك مدام.

رفعت له عينيها مذهولة ؟؟ مصعوقة ..

-الرسالة؟؟!!

همست بخفوت.. ليهاجمها بقسوة:

-نعم الرسالة؟؟ الرسالة التي خلفتها ورائك بعد هروبك مع عشي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

"لا .. لاااااااااا"

صرخت وهي تستقيم تسكت الكلمة القذرة قبل ان تغادره ليغلق هو عينيه بحنق وقد كره فقدانه لأعصابه بتلك الطريقة .. اما هي فقد انتفض قلبها برفض لاتهام جديد لم تكن مستعدة لأن تواجهه في حالتها المزرية ووجدت نفسها تصرخ باكية:

-انا لم اهرب مع أحد .. لقد فعلت وحدي وبنفسي .. ابتعدت عن الجميع واولهم هو وامي .. ليس لي عشيق ولم يكن قط ..

هتفت شاحبة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد). تريد السيطرة على اعصابها التي تفلتت منها ولم تعد تقوى على الاحكام حولها ..

-ذهبت الى مكان بعيد لايعرفني فيه أحد لأهرب منهم جميعاً .. لأجد نفسي وارتاح لبعض الوقت .. احتجت الى الابتعاد .. فقد سئمت اتهاماته .. سئمت شكوكه التي لاتنتهي ..

هتفت منتحبة .. لينظر لها عمرو مصعوقا وهي تواصل بنشيج مؤلم:

-لأنه لم يصدقني يوماً ؟؟ واستمر يوجه لي اتهامات الخيانة ؟..كان يعاملني كمجرمة وخائنة.. حتى حين اثبت له برائتي .. كنت ارى شكوكه في عينيه؟؟

لم يفهم .. كل ماقالته لم يفهمه وادرك انها لن تشرح .. هي فقط تريد ان تخرج كل مابداخلها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وتركها .. صمت لتفرغ غضبها ونقمتها ..

-اردت الانتقام منه ..

همست بوجع ..

-اردت إيلامه وامعان الاذى به ؟؟ اردت الانتقام بغبااء .. لم أكن أنوي ترك الرسالة وماكتبتها الا لأغيظه فقط.. لم أكن انوي تركها له .. ابداً صدقني.

نظر عمرو لعودتها للبكاء بصمت .. يصدقها فتلك الدموع لم تكن كاذبة ..تلك الحرقة لم تكن مجرد مشاهد تصطنعها .. مالذي حدث ليتهمها صديقه ويشك بها؟؟ نفض رأسه وهو يزجر نفسه بقسوة .. ليس من حقه التدخل هكذا .. يعرف قحطان ككف يده .. حرمته وخصوصياته خط احمر محمي بنار مستعرة .. من يجرؤ ويقترب لامصير له سوى الاحتراق .. وحتى يفيض هو له .. فلن يعرف شيئاً ولن يحاول .. كل ماعليه فعله الان هو محاولة ردم الصدع حتى يعود قحطان قادراً على الحكم على الامور بنفسه..

-أتحبيـــنه؟؟؟

تسائل بخشونة .. نظرت له .. عينيها تعودان للونهما الاصلي .. تبرقان كالزمرد ؟.. صافيتان .. نظرت له باهتمام .. رأت في عينيه رغبة صادقة بالمساعدة .. عرفت انه الوحيد من قد يفهم ..

-من كل قلبي..

همست بخفوت .. ليومئ مغلغلاً اصابعه بين خصلات شعره ..

-اذاً ربما كان القدر رحيماً بك .. ومامر فقدانه لذاكرته عنك الا سبباً لتعودي وتزرعيها بمايجب ومايصح ..

نظرت له مشوشة فأضاف:

-انها حكمة الهية مدام .. استغليها بكل قوتك لتستخدميها وقت الضرورة..

-كيف ؟؟ كيف وهو قد نسيني؟؟

تنهد عمرو وهتف:

-نسيك نعم .. ولكنه يعرف الان بأنك زوجته.. هو لايتذكر سبب زواجكما اياً كان ولاحتى ماهية حياتك معه وكيف كانت .. وبالتأكيد هو لايتذكر هروبك منه ولارسالتك الغبية ..

احمرت وجنتيها لنبرته المؤنبة .. وصممت في حين أكمل هو:

-استغلي الامر.. أثبتي له بأن حبك حقيقة وليس مجرد خيال .. اعطه مايقدر على الذود عنك حين يجيئ الوقت.؟.

-أي وقت؟؟

همست بخوف .. لينظر لها مطولاً قبل ان يقول بحسم مختتماً حديثه:

-قبل أن يجيئ الوقت ويتذكر كل ماحدث وبالتفصيل يامدام ..

جف حلقها .. وتملكها الرعب للحظات .. وكلماته تصل اليها بكل معانيها الكامنة ..حكمة الهية .. فرصة جديدة من اللّه .. كي تستعيد ماتخلت عنه بيديها .. تصلح جريرة يدها .. قبل ان يفوت الاوان (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تفعل كل مابيدها الان .. ليصبح شفيعاً لها .. غداً ..؟؟؟

***

-كفى امااه لم أعد قادر على ابتلاع لقمة أخرى ..

تأفف قحطان بضجر وهو يمسك كف والدته الممدودة اليه بجزء من فطيرة بالعسل والسمسم قائلاً بحنق:

-لقد شبعت امي حقاً ..

سمع ضحكة شقيقته الخافتة وهي تقترب منه حاملة كوب من الحليب قائلة:

-اماه يكفي انت تطعمينه منذ ساعات وارى ان الشيخ قد زاد وزنه بضع كيلوات الان..

-اللّه اكبر.. بارك اللّه .. تعوذي من الشيطان ياجوهرة..

هتفت امها بسخط لتضحك الجوهرة بفرحة وهي تقرب الكوب من شقيقها الذي همس بابتسامة دافئة:

-لاتبدأي انت الأخرى ياجوهرة فلم يعد هناك متسع لشيء..

وربت على بطنه مؤكداً لتهتف باستنكار:

-انه كوب واحد فقط وقد امر الطبيب بأن نحسن تغذيتك..

ضحك قحطان باقتضاب وهمس:

-لاتقلقي .. انا متخم بالفعل .. اتركيه في الثلاجة وأعدك سأشربه فيما بعد ..

ثم نظر لأمه بحنان:

-لقد أكلت كثيراً ولاارید سوى النوم حالياً ..

اقتربت امه تمسح على رأسه متحاشية الرباط السميك وهمس برفق:

-نم بني .. سنبقى الى جوارك في حال احتجت لشيء..

امسك كفيها بين يديه وقبل باطنها بحنو وقال:

-لا أماه .. اذهبا مع رعاد .. سيبقى علي برفقتي فقد تاخر الوقت ياحبيبتي..

اتسعت عينا امه واقتربت تضم رأسه الى صدرها هامسة:

-الا تريد بقائنا الى جوارك بنـي؟؟

ضحك بخفة وهمس:

-بالعكس .. ولكن المكان هنا لايناسبكما .. سيحضر الرجال بعد صلاة المغرب .. وبعدها يصبح المكان موحشاً للنساء.. اذهبا وتعاليا بعد صلاة الفجر مباشرة لاأمانع..

ابتسمت الجوهرة وهمست:

-لابأس أخي .. سنذهب الان مع رعاد .. ولكن تعدنا انك ستتناول عشاءك بالكامل..

ضحك مؤكداً ان الرفاق لن يتركوه حتى يلتهمهم هم شخصياً ..تركوه بعدها .. كان ينتظر قدوم عمرو او احد أخويه .. وعرف بأنهم سيتأخرون عنه ولو لساعة تقريباً ..

نهض يصلي فرض صلاة العصر .. ثم عاد لفراشه .. كان رأسه يؤلمه .. استند على الوسائد .. وحاول ان يهدأ .. لم يكن يحب المسكنات .. لم يكن يرضى بها في كل وقت .. فقط حين لايستحمل الالم.. فقط حين يعلن استسلامه ويفقد قدرته على المواصلة .. تنهد واغمض عينيه .. سينام ليخدر الألم .. هذا هو افضل الحلول حالياً .. والليلة سيغادر هذا المكان ..

حالما أغلق عينيه عادت الزمردتان تهاجمانه !!

فتح عينيه بقوة وهو يلهث .. هل استغرق بالنوم ؟؟!! ربما لثوانٍ فقط سمحت له ان يقع فريسة تلك الساحرة بالعينين المشتعلتين.. تعوذ باللّه .. ريقه جاف ولكنه كان بحالة خدر .. خدر لذيذ يجره الى النوم .. وهو ليس بالقوة الكافية ليقاومه ..لذا عاد لاسبال عينيه .. وتاه في نوم عميق ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

لم يكن هناك احد..

توقفت امام باب الغرفة التي يرقد بها وجسدها يكاد يكون كتلة ثلجية من فرط توترها ..نظرت لعمرو الذي أوصلها برعب ليهمس لها:

-ادخلي اليه ..

ابتلعت ريقها بتوتر .. نظرت للباب المغلق بخوف .. قبل ان تأخذ نفساً عميقاً .. وتدفعه ليفتح دون صوت .. وتلفحها برودة الغرفة .. قبل أن تأخذ نفساً قصيراً .. وتكتمه .. ثم تخطو للداخل بخطوات قصيرة مترددة ..

راقبها عمرو بصمت ..

حتى اختفت خلف الباب .. ثم تنهد وجلس .. كان يعرف انها مخاطرة .. جلبها اليه هكذا دون مقدمات قد يفجر ذكرياته وقد يقودهم كلهم

الى مالا تحمد عقباااه .. جلس في الخارج كي يمنع اياً كان من الدخول ومقاطعة صديقه مع زوجته .. ليس الأن على الاقل فهي تحتاج للبقاء معه بمفردها ولو لبعض الوقت ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

حالما دخلت توقفت مبهوتة ..

وقفت تنظر لجسده الراقد بسلام على الفراش الضيق وشعرت بقبضة باردة كيد غول مفترس تعتصر قلبها .. تقتل دقاته .. تخنقه .. حتى بات الهواء بين طياته ثقيلاً .. محطماً .. احتقن وجهها .. حتى ماعادت تقوى فزفرته بقوة .. خرجت منها كشهقة سرعان ماكتمتها وهي تتسمر مكانها تنظر اليه ..

لم تكن تدرك ان حجم شوقها اليه مذهل الى هذه الدرجة؟؟!!

لم تكن تدرك انها ستقف هكذا تعب من تفاصيله ولاتشبع .. وجهه البدوي الصارم بذقنه المهملة .. خصلات شعره المتساقطة على جبينه .. وشحوب ملامحه .. .. القميص الباهتة التي يرتديها والتي تظهر بوضوح عرض كتفيه .. قوة عضلات صدره .. ثم ذراعاه المستكينتان على الفراش .. وتذكرت قوتهما .. احكامهما حولها وهي تستسلم لفيض مشاعره الوحشية .. فتضرجت وجنتيها بخجل ..

وتوق .. وشوق داعب اطرافها .. واعماق صدرها .. واختنق هناك .. اعلى حلقها وكتم انفاسها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اقتربت كالمخدرة منه .. وقفت امامه .. تعانق ملامح وجهه الحبيبة .. جفنيه المقطبين حتى في نومه .. حاجبيه الكثين .. رموش عينيه الطويلة الغريبة عن الرجال والتي لامست اطراف وجنتيه بحنان ..ثم ذقنه المهملة الناعمة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وشفتيه القاسيتين ..

عضت شفتيها برفق .. وهي تحاول حبس شهقة جديدة كادت تفلت منها .. ودموعها تنساب بألم وهي ترى حجم الضماد الذي يحيط برأسه.. مدت يدها بتردد .. لامسته بخفة .. ثم تاقت اصابعها للمزيد ..

تاقت لتلك الحرقة اللذيذة والتي تشب في اطرافها حال ملامسة جزء منه .. وتمردت .. تمردت لتلامس اطراف شعره السوداء كجناح غراب .. تمردت وازدادت جرأة وهي تلامس بشرته الشاحبة .. ذقنه الناعمة .. ثم شفتيه ..

ازداد انهمار دموعها وهي تهمس:

-كيف نسيـتني؟؟؟

لم تكد همستها تغادرها ..وهي نفسها بالكاد سمعتها .. ولكنها وصلت اليه .. رأته في اختلاج عينيه .. في افتراق جفنيه .. في تغير انفاسه الرتيبة الى الحدة المميزة .. شهقت حينها .. وارجعت اصابعها اليها .. ووقفت تنظر له بذهول ..

فتح عينيه ببطئ.. ورائحة تشبه رائحة بساتين الليمون تحيط به من كل جانب .. كانت الرؤية مشوشة .. ولكنه لم يخطء ان هناك من وقف امامه .. عاد يغلق عينيه بقوة وهو يحاول التخلص من الاحساس القاهر بمن يجثم على صدره ويصادر انفاسه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فتح جفنيه بقوة مجدداً .. وهذه المرة كانت الرؤية جليـة ..

ضاقت حدقتاه .. وزوى بين حاجبيه وهو يمعن النظر بمن تقف امامه مسمرة تناظره بذهول ولهفة..

كانت ترتدي عباءة سوداء .. وطرحة شفافة سقطت على كتفيها .. من عادته ان يغض بصره .. ان يخفض عينيه ويطالبها بقسوة ان تستر نفسها .. ولكن ليس الأن.. الان فقط تسمرت عيناه عليها .. تلتهمان تفاصيلها .. طولها الفارع .. ثم شعرها الاحمر المتساقط كغيمة نارية

حول وجهها الى اسفل خصرها ..ثم كان وجهها الشاحب .. ببياض شفاف مشوب بالحمرة .. ثم الى عينيـها ..واتسعت عيناه بذهول حينها ..

عينيها شعتا كقطعتي زمرد عتيق.. لامع بقوة .. كاد القهما يعميه ..

تسمرت نظرته على الزمرد يعكس صورته المدلهة بالجمال الذي لم يره من قبل .. او انه فعل؟!

لما تبدو له المرأة مألوفة ..

ظهرت الحيرة في عينيه وهو يحاول ان يتذكر .. لقد رآها من قبل ..

اقتربت منه .. لايعرف مايقودها .. حماقتها ام المغناطيسية القوية والتي تفجرت بينهما !!

اقتربت ليحيطه حضورها الطاغي .. رآها تقترب حتى ماعاد يفصلهما سوى هواء بكمية ضئيلة .. همست باسمه .. فكأنما لكمته في معدته وبقسوة .. ياللهول .. كان صوتها مزيج من بحة .. نعومة .. تغريد العصافير في الصباح الباكر .. كان مزيج من خضرة ونار .. مزيج من عسل وسُم .. مزيج اقتحم اعماقه بقوة .. وفجر فيه مشاعر لم يعرفها قبلاً .. تذكرها جسده بوضوح .. ولكنها ظلت محجوبة عن عقله .. خلف ستار محكم ..

صداع هاجمه .. صداع مزق اعصابه وجعله يغمض عينيه عن وجهها وهو يتأوه بألم..

اتسعت عينيها بذهول .. لتحول عينيه من الوله الصافي .. والشعلة النارية التي تأججت في اعماق الفحم الخامد .. الى ذلك الألم القاسي والذي اودى بتعقله وتماسكه وجعله يتلوى في مكانه:

-رأسيييي (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قحطاااان ..

عادت تناديه بفزع .. وهذه المرة تجرأت ولمسته .. تشبثت يديها بكفيه وحاولت ان تعيده الى الفراش الذي تلوى عنه بقسوة ..

-لاتفعل هذا بنفسك اهدأ ..

ارتجف جسده كله من لمسها .. حتى عبر قماش قميصه شعر بأصابعها تحرقه .. تشتعل فيه بنار لاتكاد تخفت وتنطفئ.. شه للهواء وعاد يستلقي ناظراً اليها هاتفاً بألم:

-من أنت؟؟

لم تتحضر ابداً لهكذا احساس ..

نعم قد أخبرها عمرو الشهري .. نعم قال لها انه قد نسيها .. كانت واثقة من هذا حال دخولها .. واثقة من انه سينظر اليها وينكرها ..

وكانت تعتمد على هذا .. كان الحافز الوحيد لدخولها وحدها انه لن يعرفها .. سينظر في وجهها ولن يتعرف اليها .. ستظل في أمان ..

ولكن (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هناك .. في عمق ما .. في زاوية مظلمة من قلبها .. في مكان خفي بين طيات ضلوعها ..بكت بمرارة .. ذرفت دموع دامية وهي تكتم صرخات خيبتها .. صرخات حنقها وألمها .. كتمتها بقسوة .. كي لاتفضحها عيناها .. كرهت شعورها بالخذلان والذي تصاعد بقوة .. مزقها .. قهرها ألا يتعرف اليها .. ألا يتذكرها .. تاقت وقتها ان تشع عيناه بالغضب .. تاقت ان ينفجر في وجهها .. تمنت لو انه تعرفها .. تمنت لو انه قتلها ولم ينظر لها تلك النظرة المحتكمة بالضياع .. شهقت بوجع .. وكتمت شهقاتها بقوة بكفيها ..

ولم تسكت عينيها .. سكبت دموعها بقوة .. بكت بمرارة تواجه نظرة عينيه .. تكاد روحها تزهق مع شهقاتها المتوالية .. تراجعت وهي تبكي بمرارة حارقة .. تهز رأسها غير مصدقة ..

رغم كل شيء .. تمنت .. دعت .. ترجت من اللّه أن يكون مجرد كذب .. مجرد خدعة لتعود ويمسكها .. تمنت من اللّه ان ينظر اليها ويعرف

مافعلته به(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ماتقاسمته معه .. الحب .. الحنان .. العاطفة الجامحة .. ولكنه لم يفعل ؟؟!!

هذا الرجل الصلد لم يفعل .. بل نظر لها بكل وقاحة واعلن انها لاتهمه .. وان ذكراها مجرد شيء .. فقده ولايهمه ..

-من تكونين؟؟

اكتسى سؤاله التالي بالشحوب .. وهو يرى منظرها المنهار .. للحظة شك انها تفهمه .. فكر ربما تكون مجرد اجنبية اضاعت مكانها .. ولكنها لم تكن ؟؟

هو يعرف من هي .. ؟؟ هو يدرك من تكون ؟؟

لايذكرها ولم يفعل .. ولكنها أدركها .. وليته لم يفعل؟؟

اتسعت عيناه بذهول وهو يدرك انها زوجتـه !!!

هذه المرأة هي زوجته؟؟

احتقنت انفاسه وهو يطالعها بذهول .. ممزوج بالاستنكار .. هذه المرأة هي زوجته؟؟ كيف؟؟ كيف رضي بها كيف؟؟ حدجها من رأسها لأخمص قدميها .. ملابسها .. طريقة مشيها .. عبائتها .. ثم ذلك الجمال الصاعق الذي اودى بعقله لحظة رآها ؟؟؟!!

أهذه الجميلة تكون زوجته ؟؟ امرأته؟؟؟

-سيـادة؟؟!!

همس .. لتنتفض وعينيها تتسعان بذهول.. تسمرت وهي تنظر اليه..

هل تذكرها؟؟ هل عرفها ..؟؟ تغلبت لهفتها على تعقلها .. اندفعت له ..

يدفعها شوقها .. حبها الذي تفجر من عينيها بقوة ووشى بها .. تركها

مستسلمة له .. مسلمة كل زمامها اليه ..

ارتمت الى جواره.. تدفن دموعها على صدره وهي تهمس بحنان:

-نعم هو أنا .. انا سيادة حبيـبي ..

لم تفطن الى ذهوله .. تخشبه الواضح وهو يستقبل ارتمائها عليه ..

لم تفطن الى تجمد ملامحه وهي ترفع عينيها اليه وتغرق في ناره

الخامدة لتهمس مخنوقة:

-قحطاان انظر الي ..

خفض عينيه بتشوش .. يغرق في خضرتها الناعمة .. المتألقة كألف

شمس خلف ستار دموعها الرقراق ..كان قريباً .. قريباً لدرجة

تنشقهـا لأنفاسه الحارة ..قريباً لتشعر بشعيرات ذقنه الناعمة

تلامس جبينها ووجنتيها .. وهي تغرق في نار عينيه التي اشتعلت لها

.. رويدا رويـداً.. رفعت يدها بحنان تلامس جانب وجهه .. بظهر

كفها .. تستشعر نبضه الضارب .. عضلاته المتشنجة وهو ينظر لها دون أن يحيد عن عينيها ..

-انت سيـادة؟؟

همس بخشونة .. وارتجافة صغيرة تلاعب حروف اسمها من بين شفتيه ..

سالت دموعها بقهر .. وهي تدرك انه لم يتذكرها ابداً .. ولكنها لم تحـد عن نظرته .. لم تبتعد عن عينيه .. بل نظرت اليه بكل قوتها ..وتسللت اصابعها الى شفتيه .. تلامس السفلى المكتنزة وهي تهمس:

-أنا هـي .. بشحمها ولحمها..

لمستها له تكاد تحرقه .. من جهة لايريد البقاء قربها .. لايريد التواجد معها .. ابداً .. لايريد سوى الهرب من تأثيرها عليه .. تأثير لم تسببه امرأة ابداً طوال سنين حياته عليه .. تأثير رآه في رجال سواه .. وكرهه حتى العظم .. احتقر ضعفهم تجاه نساء أحنوا جباههم وأذلوهم بلارحمة وبكل شماتة.. عرف تأثيرها عليه قد يكون مشابهاً .. قد تحاول السيطرة عليه .. ولكنه ليس كالأخرين .. لايعرف سبب

زواجه منها ولكنه لن يستسلم لاغراء الوقوع في حبال امرأة مثلها ابداً وان كانت زوجته ..

رفع ذراعيه ليقبض على كتفيها .. بقوة وقسوة .. رآها في ألم عينيها الخاطف .. وهي تتأوه وتشتد اصابعها على كتفيه .. أبعدها عنه .. ليقدر على التنفس .. ليحمي عقله من تأثير سحرها .. كانت كجنية تسعى للاستحواذ عليه .. وليس هو بالضعف الذي تظنه وان كان في موقفه هذا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اعترضت تناديه بضعف ليقول بحزم:

-قد ياتي أحد ..

رفعت حاجبيها .. ومن سيأتي وصديقه يجلس خارجاً كحارس أمين؟! ولكنها لم تعترض .. احتاجت هي أيضاً الابتعاد عنه.. قليلاً لتستعيد عقلها .. ابتلعت ريقها .. واعتدلت في جلوسها .. لم تبتعد كثيراً .. لاتزال كفه المستريحة قربها .. همست بلهفة:

-هل أنت بخير؟! أعني .. هل تتالم؟!

نظر لها بعيون مظلمة .. اراد ان يسأل الكثير والكثير.. اراد أن يعرف سبب زواجهما ولكن؟! لم يسمح لنفسه بالظهور بمظه الضعف امامها.. لن يعطيها هذه الفرصة ..

-أنا بخير..سأغادر المشفى غداً..

شهقت بذعر وصاحت:

-وهل سمح لك الطبيب..؟؟ رغم ماحدث لك ومأأنت فيه الأن؟؟

-أنا بخير كلياً..

قالها مزمجراً لتهتف بغيظ وقد اثارها بروده:

-أنت فاقدٌ لذاكرتك قحطان؟؟

عقد حاجبيه بقوة وهو يتسائل عن كيفية عقابه لصديقه الذي لم يكتفي بالصمت واخبرها عن هذا الامر ثم زمجر بشدة:

-انا لم افقد ذاكرتي .. انا نسيت بعض التفاصيل فقط..

شحب وجهها .. ونهضت تواجهه بألم هامسة:

-أنا (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) تقول عني بعض التفاصيل؟؟

توترت اعصابه للألم الظاهر في عينيها وهي تحاول اخفاءه بقوة ..تارة تخفض عينيها وتارة أخرى تشيح بهما بعيدة عنه وهي تحاول السيطرة على نبرة صوتها هامسة:

-ربما .. ربما تكون على حق .. ربما كانت تفاصيل غير مهمة ..و..

-أنا لم اعني هذا..

هدر بقوة لتنظر له معاتبة .. عينيها تحتقنان بدموع حبيسة لم تستطع السيطرة عليها فسالت على وجنتيها .. لم تكن تعرف انها تجيد البكاء بهذه الطريقة .. والى هذا الحد .. ولكنها تفعل .. انها تجيد البكاء وهو معلمها الاوحد..!!

مسحتها بسرعة وهمست مخنوقة:

-الامر لم يعد مهماً .. المهم فقط هو نجاتك..

نظر لها مطولاً .. يحاول السيطرة على مشاعره الثائرة .. يحاول البحث عن اسباب نسيانه لامرأة مثلها .. شيء لايصدقه عقل .. ناهيك عن زواجه منها بالاساس .. تنهد وحاول البحث عن شيء أخر..:

-كيف حال امك؟؟

نظرت له باستغراب ليسألها بحدة:

-امك المريضة جداً والتي سافرت بسرعة لرؤيتها؟؟

لم تفهم للحظة ولكنها عادت وفكرت بسرعة .. ربما هذا ماعناه عمرو حين قال لها انه اخترع كذبة لايصدقها طفل .. فأثرت ادعاء الفهم وهي تومئ:

-ستكون بخير..

-كيف سافرت وحدك؟؟

همس لها بحدة وقبل ان تجيب هتف:

-كيف سمحت لك بالسفر وحدك؟؟

شعرت بالذعر وهمست بتلعثم:

-لقد .. لقد كنت مستعجلة ولم تقدر على القدوم معي..

هز رأسه بحدة هاتفاً:

-لم اكن لأسمح لك بالسفر .. ابداً ..

وكأنما حركته العنيفة اعادت له احساسه بالألم فقد تأوه وهو يمسد عنقه .. بألم وارهاق لتسرع نحوه متسائلة بقلق عمايشكو منه..

-الصداع سيقتلني ..

همس من بين اسنانه المطبقة ..فاقتربت لتجلس الى جواره هامسه:

-دعني اساعدك ..

نظر لها مشككاً فابتسمت مغالبة دموعها التي لم تجف بعد واقتربت لتجلس خلفه تقريباً .. ابعدت يديه .. وبدت تضغط على جانبي عنقه بيديها ..بقوة وثبات .. كانت اعصابه كلها متشنجة.. دلكتها بلطف وقوة بمزيج رائع ارسل شرارات قوية عبر عموده الفقري وجعلته يتأوه بقوة ..

-استرخـــي ..

همست بخفوت الى جوار أذنه .. شعرت به يستجيب قليلاً ..

يسترخي ويستند بظهره اليها .. ابتسمت .. تشعر بثقله عليها ..

اسندت ذقنها الى جانب وجهه وهمست بخفوت:

-اغلق عينيك وحاول النوم قليلاً ..

كان يقاوم الاستسلام اللذيذ ليديها .. بغباء عنيـد.. وحماقة

لامتناهية .. ولكن .. تباً تلك الرائحة تسللت الى اعماقه .. وجعلته

يغلق عينيه باستسلام .. حتى شعرت بثقل جسده كله يقع على

صدرها .. أسندته بقوة .. وضغطت على عضلات عنقه وكتفيه

بحرفية وهي تسمع تنهيدته المستكينة .. لتبتسم وهي تسند رأسها

الى رأسه .. وتهمس له ببضع كلمات بالفرنسية .. تسللت له

كنغمات حورية بحرية جعلته يغفو .. وكأنه فوق موج بحر .. بلاقرار

..

***

تأفف علي بحنق .. ونظر لهاتفه بغل .. لايصدق انها لاتجيب عليه ..

لايصدق انها تتجاهله منذ ان اتت اليه قبل ايام وغادرت كما فطن

غاضبة .. لايعرف سبب غضبها ولكنه يتخيلها الغيرة .. والان هي لاترد .. ابداً .. وهو قلق .. رغماً عنه هو قلق ..

جلس ينظر لغروب الشمس بألم .. لماذا يشعر نحوها بكل تلك المشاعر.؟! لماذا لايتصرف كأي رجل ويعتبرها مجرد امرأة مرت عليه في حياته؟! ولكنه ليس كأي رجل؟! ونادين بالطبع لم تكن بمطلق امرأة .. هو كان رجل لم يعرف اي امرأة خارج عائلته في حياته ..

هو كان رجلاً اعتاد معاملة النسائ في عالمه كاشياء موجودة ولكن غير مرئية .. لم ينظر يوماً لامرأة كماهي عليه .. حتى وان تودون اليه .. تقربن منه .. كان على الدوام يضع بينه وبينهن مائة ساتر وساتر..

لم يعجب يوماً مابفتاة .. لم يفكر بأحداهن لأكثر من ثوانٍ قبل ان يطردها من ذهنه .. لم تسرق احداهن النوم من جفنيه حتى اتت من تفعل به كل هذا وأكثر..

نادين(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اغمض عينيه وهو يتذكر ملامح وجهها الفاتن .. وابتلع ريقه الجاف شوقاً اليها بطريقة لم يظنها قط .. ممكنة!! تنهد وهو يفكر بأنه وقع في الحب .. الحب الذي لم يعترف به من قبل ؟! وقع فيه حتى قطم جذور رقبته في عمقه .. تنهد بحرقة ومسد شعره بقوة .. يحتاج ان

يراها بأسرع وقت والا فإنه سيجن .. يريد ان يراها ويشبع من صوتها وحنانها ..

التقط هاتفه وحاول الاتصال بها ولكن كالعادة .. هاتفها كان مغلقاً .. وهاجمه هاجس مميت ..

ماذا لو وصل لها زوج امها؟؟ هب من مكانه كالملسوع .. ماذا لو وصل اليها وتسبب لها بأي أذى .. اووه هو لن يسمح له قط .. سيقتله ان مد يده على المرأة التي يحب.. ولكن ..

تنهد بيأس كيف سيعرف؟؟

دار حول الكرسي بقلق وهو يفكر .. هو لايعرف عنوان صديقتها التي تمكث معها .. وهو حتى لايعرف عنوان منزل خالتها التي تمكث فيه امها؟؟ مالذي يجب ان يفعله؟؟

فكر للحظات ثم برقت عيناه بذكاء..

عم اسماعيل.. سائق الاجرة العجوز الذي يقضي كل وقته امام المشفى الذي يعمل به .. هو من اوصلهم ذاك اليوم الى منزل خالتها .. هو قد يستطيع ان يدله ..

ولم يكذب خبراً ..

وبعد مايقارب الساعة كان يقف امام المنزل الذي وصفه له عم اسماعيل بعد محاولات طويلة لتذكيره بالحادثة وقتها .. نظر للشارع الهادئ وقد تجاوزت الساعة الثامنة مساءاً .. واوقف السيارة وهو يفكر:

-ماذا سيبرر زيارته في مثل هذه الساعة؟؟ كيف سيقف امام عائلتها ويطلب اي معلومات عنها؟؟

تردد للحظات وهم باعادة تدوير السيارة ولكنه توقف مؤنباً نفسه بحدة .. يجب ان يجدها .. يجب ان يطمئن عليها ولو كلفه هذا الكثير .. تنهد بحرقة .. وترجل من سيارته باتجاه المنزل ..

وقف مطولاً امام الباب محاولاً السيطرة على أعصابه .. قبل أن يحسم قراره ويدق الجرس بحسم ..

بعد لحظات سمع صوت فتاة صغيرة .. تسأله عمن يكون .. لم يعرف مايقول .. الا ان عرف بنفسه بتوتر:

-انا د/علي العزب ..

لحظات مضت قبل ان يسمع اصوات تدل على فتح الباب وعبر فرجة صغيرة رأى امرأة تنظر له بتساؤل .. كانت تغطي شعرها بينما ظهرت

زينة وجهها ظاهرة للعيان بطريقة مبالغ فيها .. جعلته يخفض عينيه بحرج..

-ماذا تريد ايها السيد؟؟

-انا .. انا ابحث عن السيدة والدة الانسة نادين؟؟

هتف بسرعة لتعقد المرأة حاجبيها وتهتف:

-وماذا تريد منها بالضبط؟؟

-انها مريضتي .. واردت الاطمئنان عنها..

همس باضطراب ولاتزال عينيه على الارض لتضحك المرأة بسخرية وتقول بصوت عالٍ:

-ومنذ متى كان الاطباء عندنا يقومون بالزيارات المنزلية .. ولا .. دون طلب ايضاً..

احتقن وجه علي وكاد يتفجر الدم من أذنيه وهو يسمع التقريع الساخر من المرأة والتي هتفت بميوعة لم يستسغها:

-منذ متى ايها السيد أخبرني؟؟

-من فضلك فقط اخبريها بقدومي لو انها هنا؟؟

قالها بعصبية لتعاود الضحك وتنظر خلف ظهرها ساخرة:

-انها هنا بالتأكيد ..

وغابت للحظات .. سمع صوتها العالي بوضوح وشعر بأنه يحترق من الخجل والاضطراب وهو يحاول السيطرة على اعصابه وعدم الخروج دون عودة .. ولكن سرعان ماتوقف وهو يرى الباب يفتح ليقابل عيني المرأة التي رآها مضروبة ذاك اليوم وفي عينيها حذر وتساؤل:

-من تكون؟؟

نظر لها علي بتوتر واضطراب .. ابتلع ريقه وهمس:

-انا د/علي..

ضاقت عينا المرأة قليلاً .. قبل أن تقول بفرحة:

-انت من عالجني يوم .. يوم وقعت..

ترددت في كلامها قبل ان تضحك وهي تقول:

-مرحباً بك يادكتور .. اهلا وسهلا بك .. تفضل بالدخول .. تفضل ..

ارتبك علي اكثر ورفض بهلع:

-لا لا .. لانوي الدخول انا فقط اردت الاطمئنان عليك .. وعلى الانسة نادين..

قالها بخبوث لتلمع عينا الام بخبث وهي تقول:

-لن اتحدث معك بشيئ حتى تتفضل بالدخول وعندها فقط سنكمل حديثنا..

-ولكن ..

اعترض بتخاذل لتصرخ به:

-لايوجد لكن دكتور .. تفضل لايوجد غريب بيننا .. تفضل ..

ابتلع علي ريقه بتوتر .. وبدون ان يسمع تنبيهات عقله المستمرة دخل

.. دون ان يدرك نظرتها الخبيثة .. ولاابتسامتها المنتصرة .. دون ان

يدرك انه دخل وكر الافاعي برجليه .. وانه مهماحاول فلن يغادره

سليماً ابداً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ابداً ..

..

نهاية الفصل

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

شيوخ لاتعترف بالغزل

***

يا لهيبتك

عندما تجلس بمحاذاة رغبتك

على مرمى لهفة مني.. و لا تُقْدم

على مرمى قبلة مني.. و لا تفعل

دع الأمنياتِ تستوي على نار خافتة

و ارحل

ثمّ عد.. بذلك القليل أنا أسعد

أو أوصد القلب خلفك

فحيث تمرّ

تنخلع أبواب النساء بعدك

أحلام مسغانمـــي (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

وقفت غزل تناظر الفرحة التي تجلت بوضوح على وجه حماتها وسلفتها .. دون ان تحرك ساكناً .. نعم كانت سعيدة لتواجدهم معها .. وأكثر كانت سعيدة للأخبار التي حملوها باستيقاظ الشيخ .. ضحكت وتسلت بأخبار العائلة البعيدة .. وفرحت بخبر بقاءهم معها تلك الفترة حتى يصبح الشيخ قادراً على مغادرة المستشفى .. ثم فجأة ودون مقدمات ..

ذهبت السَـكرة .. وجاءت الفكرة !!

أين ستبيتان؟؟

نهضت بآلية ترفع اكواب الشاي وبقايا الحلويات التي اعدتها بمناسبة قدومهما اليها وتركتهما تجلسان مع رعاد وانزوت في المطبخ متشاغلة بغسل الاطباق المتراكمة .. هي لم تفتها نظرة الاستغراب التي اطلقتها نحوها عمتها والجوهرة حالما رأتا كيف تلتزم بغطاء شعرها بوجود رعاد ولكن تهذيبهما الجم منعهما من التعليق او هكذا تعتقد!! تنهدت بتوتر ورغماً عنها بدأت الاطباق باصدار اصوات عالية وهي تحاول ترتيبها بهدوء دون فائدة تذكر .. عضت شفتيها وهي تراقب قطرات الماء تتساقط عن الاطباق ببطئ وشعرت بغصة تحتكمها .. اغمضت عينيها تحاول التفكير.. عبثاً حاولت ولم تقدر.. تريد التفكير والتحليل ابتكار عذر ربما .. ولكن ماهو؟! أخذت نفساً عميقاً .. حينها شعرت بمن يدخل الى المطبخ خلفها ..

عرفته من رائحته الزكية .. التفتت اليه تنظر لوجهه المسترخي .. العابق بابتسامة لم يقوى على حبسها ففرحته اليوم كبيرة ..

استيقاظ قحطان وقدوم عائلته .. البهجة التي تنشرها امه حين تتواجد حوله وكأنما يعود ليكون ذاك الطفل البريئ الصغير بوجودها !!

استغربوا تأخرها فنهض بحماس يعود بها لسماع اخبار العائلة والبلدة لم يتوقع ان تقابله بتلك النظرة الضائعة والقلقة .. تبخرت ابتسامته وهمس بتوتر انتقل اليه كالعدوة:

-ماذا هناك ياغزل؟؟

-أين ستبيتان؟؟

هتفت دون مواربة وبلامقدمات .. بصوت مرتجف قليلاً .. خائف وقلق.. لتصدمه الحقيقة التي لم يفكر بها قط؟؟ أين ستبيتان ليلتهما فعلاً ؟؟ رأت شحوب وجهه فأدركت انه لم يفكر بالأمر من قبل .. وانه مثلها ادرك وضعهما السخيف لتوه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لايمكن ان ندعهما تبيتان في الصالة فليس بها تكييف .. كما .. انهما ستدركان اننا لا (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وابتلعت باقي عبارتها بحرج ليخفض عينيه هو بحنق هاجمه رغماً عنه وهتف بخشونة:

-بالطبع لا..

-اذاً ماذا سنفعل رعاااد؟؟

همست بضراعة .. تخاف ان تدرك حماتها انها ليست زوجة بمعنى الكلمة لولدها .. حينها لاتعرف ماقد يحدث.. لن تسلم من كلامها وبالتاكيد الجميع سيعرف هناك في البلدة وقد يجبرونها و(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تيبست بذعر للفكرة وهي تنظر له مناشدة بضراعة ليقول بخشونة داعبت حروفه:

-لاتقلقي سأتصرف..

-ماذا تنوي أن تفعل؟؟

تسائلت بيأس ليتنهد بحنق ويهتف بعصبية:

-قلت سأتصرف لاتقلقي..

نظرت له بعجز ليستدير عنها ويهتف بانزعاج:

-تعالي للخارج فلن يفيد هروبك أكثر فهما تسألان عنك.

تنهدت بيأس ورمة الفوطة التي كانت تتشبث بها على الطاولة امامها قبل ان تلحقه وهي تحاول رسم ابتسامة غبية على ملامحها المتشنجة لتخرج وتنظم لأحاديثهم الضاحكة الخفيفة.. والتي لم تنجح ببعث ضحكة حقيقية لنفسها .. ظلت شاردة متوثبة وقلقة .. تراقب عمتها التي لم تكف عن النظر للزوجين بنظرات حادة

ومتشككة .. كادت تبكي وهي تحيد بعينيها وتغرزهما ارضاً ..

تعرف عمتها .. غم طيبتها ولكن(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-متى سنفرح بخبر حملك ياغزل؟؟

عم الصمت هادراً .. صارخاً بقوة .. معلناً سخريته من زوج الاعين الذي ارتفع بصدمة لهدية التي سألت سؤالها بحدة .. تنقل ببصرها بينهما .. بين الوجه الرقيق الشاحب والذي خلا من الدماء وبين الرجل المصدوم الذي تصلب فكه وتوسعت عروق جبينه وعنقه تعلن غضبه من السؤال..

-اميي .. لم تمر عدة شهور بعد..

همست الجوهرة بحرج وهي ترى ردة الفعل امامها لتهتف امها بحنق:

-ان سيادة وقحطان تزوجا معهما .. وهاهي ابنة الاجنبية حامل فلمالاتكون غزل؟؟

زاغت عينا غزل وغصت بريقها فلم تقدر حتى على التنفس في حين هدر رعاااد بغضب وقد فاق الامر الاحتمال:

-اماااه .. الانجاب قدر من اللّه ونصيب.. لماتقيسين هذا على هذا؟؟

نظرت له بحدة وهتفت بتسلط:

-انا لم انتقص من قدرة اللّه حاش اللّه .. كل مافي الأمر ان أحوالكما لم تعجبني.. هناك برود .. اشعر بالقشعريرة وانا بينكما .. لااكاد اشعر انني وسط زوجين جديدين او حتى عائلة محبة..

اتسعت عينا غزل بذعر في حين سيطر رعاد بقوة على مفاجأته من قوة ملاحظة والدته وبديهيتها وهتف:

-ماذا تريدين منا ان نفعل اماااه ..

قالها بسخرية جعلتها تحمر وهو يواصل بخبث:

-انها اسرار زوجية ياامي العزيزة ومشاعري لزوجتي احتويها فقط بقلبي وبيني وبينها وربـي .. فلاتتدخلي ارجوك..

احتقن وجه والدته خجلاً لمعانيه المبطنة .. واسود وجه غزل احراجاً وغضباً .. من نظرات الجوهرة الضاحكة بخبث ونظرات رعاد الماكرة ..

كانت تعرف بأنه لايهدف الا لتهدئة أمه ولكن لم تقدر .. قلبها كان يغلي .. ولم تقدر على القعود معهم صامتة .. نهضت بحدة وهتفت:

-سأتي بالشراب..

راقبها تركض بصمت وقد شعر باحراجها والمها .. ثم التفت لأمه التي راقبته بتركيز .. فتغلب على حنقه من تدخلها السافر في حياته

وابتسم ببشاشة امامها محاولاً الحفاظ على اعصابه قدر الامكان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) قبل أن ينهض قائلاً:

-سأحضر انا وغزل لكما الغرفة لتنامان فيها امي .. وسننام انا وزوجتي في المكتب..

عقدت امه حاجبيها وصاحت باصرار:

-مستحيل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) سننام انا واختك هناك .. وابقى مع زوجتك في غرفتكما..

-لا امي .. المكتب حار للغاية لم نأتى به بتكييف بعد .. لايجوز.

هتف بحدة لتزم امه شفتيها وتصر بعناد:

-تعرف بأنني لااحتمل التكييف.. ولن اسمح بان تخرج من غرفتك .. سننام هناك وانتهى الامر.

اتسعت عيناه بحدة وهتف:

-ولكن امي؟؟

-انتهى الامر رعاد لاتحاول.

صرخت به بقوة ليبتلع لسانه ويصمت في حين واصلت هي:

-ستحضر لنا فراشين مناسبين وسنذهب بعد الفجر لزيارة أخيك والاطمئنان عليه ثم نعود الى البلدة اذا كانت الامور بخير ان شاءالله..

قررت بحزم في حين اومأ هو باذعان .. ليس امه من يقدر على الوقوف امامها .. لاتزال هذه المرأة قوية وصارمة .. حتى بعد نضوج ابنائها وتزويجهم.. تنهد ومضى يحضر الفرش الاضافي .. ساعدته غزل دون تعليق وهي لاتدرك كيف دبر الامر .. وهو لم يخبرها..

بعد ساعة كانت غزل تتراجع على وسادتها بهناء.. وهي تحرر شعرها القصير ليحوم حول عنقها بحرية بعد تقييده طوال اليوم .. كانت سعيدة بالترتيب الذي قام به رعاد .. فعمتها والجوهرة تنامان بالمكتب وهو سيفترش الصالة كمايبدو .. وهي هنا .. ابتسمت وتوسدت فراشها تنعم بزخات البرودة القادمة من التكييف وهي تستعد بأذكارها للاستسلام للنوم حين سمعت تلك الطرقات الخفيفة لتنتفض جالسة وهي تتسائل بتوتر:

-مـن؟؟!!

قابلها صمت للحظات قبل ان تشعر بقشعريرة باردة من اخمص قدميها لأطراف شعرها وهي تسمع الصوت الخشن يرعد باسمه ليجف حلقها وهمست تتسائل:

-ماذا تريـــد؟؟!!

-افتحي الباب..

قال بتوتر.. لتسحب غطائها عليها بسرعة تحيط وجهها به وتقفز الى الباب المغلق لتستند عليه هامسة بخوف:

-ماذا هناك؟؟ مالذي جاء بك؟؟

اسنـد رأسه الى الخشب الثقيل ورغماً عنه .. تباً تبـاً .. رغماً عنه تسللت رائحتها اليه ..

وآآه آآهٍ مافعلته بدقات قلبه المسكينة .. بعثرتها بقسوة .. أمسكت أنفاسه واحتجزتها .. اغلقت رئتيه عن كل ماحولها .. اسرتها بين طيات ضلوعه .. وكأنما أمسكت سوطاً ومضت تجلد به قلبه المجاور لها بلارحمة!!

-افتحي الباب ياغـزل ..

همس بخشونة تسللت لها عبر مسام جلدها كالسُم .. كغاز مسيطر احتكم الدفة ووجه يديها لفتح الرتاج دون اعتراض .. لتقع عينيها في عينيه .. للحظة طويلة عم الصمت والهدوء .. لحظة واحدة قبل ان يقطع هو الجمود الذي نصب خيامه حولهما ويتقدم ..

تراجعت بصمت مشوب بالترقب .. عينين متسعتين ترقبان ولوجه الهادئ .. اغلاقه الباب خلفه بصمت ثم استناده عليه .. عادت عيناه تناظرانها .. دون كلام ..

-مالذي تفعله؟؟

همست بصوت بالكاد يسمع.. ليتنهد مطولاً .. قبل ان يهمس هو الاخر وكأن لامكان للصوت العالي بينهما:

-سأبيت هنا الليـلة..

شحب وجهها .. تراجعت تخفي فمها بكفها تكتم صرخة اعتراض ليسارع هو:

-هذا ماتتوقعه امي وشقيقتي.. ماذا تظنينهما سيقولان لو شاركتهما المكتب ياغزل؟؟

قالها بيأس لتقول بشحوب:

-يمكنك النوم في الصالة؟؟

ضحك بسخرية ودمدم:

-صدقيني ان النوم هو آخر مايخطر ببالي..

شهقت برعب ليسارع:

-لاأشعر بالنعاس ياغزل فلاتفهمي اي شيئ خطأ ..

ناظرته بأنفاس مخطوفة .. ليقول مهدئاً من روعها:

-اذهبي الى فراشك .. سأبقى هنا..

وأشار الى كرسي قريب.. كان ابعد مايكون عن اي راحة قد ترجى..

تراجعت مصممة على عدم الاهتمام.. تحاول اخفاء دقات قلبها الذي كاد يثب من طيات ضلوعها .. تكورت على فراشها تنظر له يجلس على الكرسي القريب ويمد ساقيه الطويلتين.. قبل ان يسند رأسه للخلف..

حينها شعرت بذاك الوجع .. ذنب يهاجمها بقسوة ..

بعد ليالٍ نام بها في الحر والتقشف .. هاهو الان يبيت على كرسي خشبي .. لايمكن ان يسبب له سوى التشنجات العضلية لباقي حياته..؟؟؟ عضت شفتيها وهي تحاول ان تسكت ذاك الصوت ..

"لاتتركيه هكذا ياغزل.. لاتتركي ابن عمك هكذا"

اغمضت عينيها بقوة .. وهي تفكر.. مالذي يمكن ان افعله له؟؟

فكرت بحدة لتخطر ببالها فكرة .. وقبل ان تفكر بها اكثر نهضت وبدت تنفذها ..

شعر بها .. تتحرك خلفه بسرعة .. التفت بدهشة.. كانت ترتب لحاف ضخم على الارض الى جوار السرير.. تضع به وسائد .. وملائة جديدة..

-ماذا تفعلين؟؟

نظرت له باسمة بارتباك ..

-احضر فراش لك.. لن تستطيع النوم هكذا يارعاد.

همست بخجل ووجنتيها محمرتين .. لايعرف اهو من مجهود نقل اللحاف الضخم ام من(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

ونفض عنه الافكار المجنونة بقسوة قبل ان يتوجه نحوها ويشكرها بامتنان:

-شكراً لك ياغزل.. لقد اتعبت نفسك..

حركت كتفيها بلامعنى قبل أن تعود لسريرها الذي يعلوه مباشرة .. كان فراشه المرتجل قريباً جداً .. وشعر هو بسعادة مطلقة انها لم تقصيه الى طرف الغرفة.. بل أبقته قريباً .. جداً.

-تصبح على خيــر..

همست بخفر .. لتتسع ابتسامته ..ويبادلها التحية ببشاشة .. راقبها وهي ترفع غطاء السرير الى حافة ذقنها .. وشعر بكل ذاته

ترتجف .. وجف ريقه وهو يفكر .. مالذي ستكون عليه ردة فعلها الان لو اقترب .. ازاح عنها الغطاء .. ثم غمرها بين ذراعيه..!!

انها زوجته بحق اللّه .. زوجتــه ؟؟!!

اشاح وجهه بحدة وهو يستغفر بصمت .. لا لا .. ليست زوجته .. انها أمانة في عنقه.. انها غزل محمد .. أخيه محمد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اسود وجهه بقسوة ماوجهه لمشاعره من لوم وتقريع .. وبكل حدة توجه الى الحمام الملحق بالغرفة .. غسل وجهه واسنانه قبل ان يغير ثيابه الى بيجاما مريحة من القطن .. ترك قميصها واكتفى بالبنطلون وهو يتوجه الى فراشه ويندس فيه دون صوت ..

كانت راقدة تحت الأغطية .. واعية بجنون لكل حركة .. تشعر به حين تسلل ليندس تحت أغطيته واعية لأنفاسه حين بددت سكون الليــل حولها وانتزعت منها طمأنينة اشتاقت لها الأن.. مضت تنظر للفراغ بصمت لاتدرك أنها تحبس أنفاسها بانتظار أنفاسه هو؟؟؟

تقلب في مكانه .. من جهة لأخر .. كسمكة على النار .. كتف ذراعيه وزم شفتيه واغلق عينيه بقوة وعناد بحثاُ عن النوم بشتى صوره .. ولم يقدر ..

لايزال يتتبع حركتها العصبية الرقيقة على الفراش اعلاه .. حفيف الأغطية .. زفراتها .. صرير السرير تحت ثقلها .. كلها أشعلت اعصابه وكأنه يرقد على جمر ..

تباً أليست لليلة من نهاية .. همس لذاته بعذااب .. عض شفتيه بقوة يريد ان يشتت تفكيره عن متابعة أدق تحركاتها .. ولم يقدر .. لم يكن امامه سوى الاستسلام ..

تنهد .. وسقطت ذراعاه الى جواره .. يناظر السقف.. هاهي تتنفس من جديد .. اغلق عينيه وكررس كل حواسه لها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تتنفس بعمق وكأنها تجاهد لالتقاط الهواء .. تتحرك من اليمين الى اليسار وربما العكس ..

..لم يعرف كم ظل يتابعها ..

ساعات ربما حتى سكنت أخيراً .. وأصبحت انفاسها هادئـــة ..

منتظمة .. هل نامت أخيراً؟!!! تسائل.. هل سيهدأ نبض قلبه أخيراً؟!!!

بلع ريقه.. واستسلم لهاجسه بالنهوض .. ووقف كمارد يطل عليها..

كانت نائمة فعلاً .. خفق قلبه بجنون ..

جسدها ملقى في منتصف السرير وقد ركلت عنها الاغطية فظهرت غلالة نومها القطنية الناعمة تنحسر كاشفة عن ساقيها الدقيقتين .. حتى ركبتيها .. يديها معقودتان على بطنها .. يتحرك صدرها مع انفاسها العميقة .. ثم ينحسر خمارها ليكشف عن خصلات شعرها الناعمة والتي تبعثرت حول وجهها الرقيق ..

لم يقدر على منع نفسه .. كان كل جزء منها يركله .. يصفعه .. يقتله ان شئنا التعبير .. وبلارحمة.. كان عليه أن يلمسها .. توسلت اليه أطراف اصابعه ان يطفئ شوقها فقط بلمسة .. لمسة خاطفة لتلك النعومة .. وتجرات لتعصي اوامر عقله المتخبط بجنون ..

كعاشق يواجه حُرمة لايمكنه تجاوزها .. ولكنه فعل.. امتدت يده برعونة تلامس وجنتها .. يلامس سخونتها ونعومة بشرتها بخشونته وصقيعها .. ابتلع ريقه بصعوبة .. واصابعه تنزل على طول وجنتها .. تريد شفتيها .. ثمرته المحرمة والتي كادت تطرده من الجنة ..

تململت تحت يديه .. فلم يتحرك .. لم يبتعد بل مال نحوها أكثر .. حتى حاذى وجهه وجهها .. وتهدلت خصلات شعره الطويل نسبياً .. تلامس اطراف وجهها ..

اقترب حتى باتت انفاسها تغادرها اليه.. اختنق من رغبته بها .. من قوة مشاعره .. وكأنها طوق من نار تكبله .. رمشت بعينيها .. فناداها برقة ..

ازعجتها تلك الحرارة.. تكتم انفاسها وتحاصرها .. جاهدت للخروج من تأثير حلمها الغريب .. تأوهت وفتحت عينيها .. لتغرق في عينيه .. بل لتذوب فيهما .. وتسلم للنظرة العميقة والتي سحبتها الى هوة لم تجد لها قرار.. خرج اسمه من بين شفتيها مهزوزاً .. وقبل ان تدرك الفرار.. كان ينحني نحوها .. يغرق شوقه في شفتيها .. ويضع بصمته على ذاتها المذهولة .. يحطم رقتها تحت عضلات صدره الصلب .. يغرقها في رائحته الرجولية .. دفئه الغريب .. واستسلامه قبلها .. لمشاعره المحمومة ؟؟!!

أخذتها المفاجأة .. على حين غرة .. وكجندي وحيد فاجأه العدو وكبله دون حول ولاقوة .. أوقعت أسلحتها واستسلمت للأسر تهاوت مقاومتها التي فكرت بها لوهلة.. وسقطت ذراعيها الى جوارها كأمة مطيعة بين يدي سيدها .. تنتظره أن يعود لرشده .. وهو يسلم مقاليد عقله كلها لقلبه .. لم يعد يسيطر عليه عقله .. كله أصبح تابعاً لقلبه العنيد .. والذي لن يودي به الا للهاوية ..

استشعر استسلامها .. شعر بها تصبح دمية بين يديه.. احاطها بذراعيه .. قربها لدقات قلبه الهادرة .. حتى ماعاد يعرف اي قلب ينبض .. واي واحد توقف من فرط صدمته .. اعتصرها بين يديه ..يغرق شوق سنوات قضاها بين كبت لمشاعر لايد له فيها .. وبين خيبة وألم .. انها زوجته ..

حقه .. امرأته.. تأوه اسمها بين قبلاته المحمومة .. كم يحبها .. كم يعشقها .. منذ ولدت ونظر لأول مرة في وجهها .. شعر بأنه يطفو ويغرق في سواد عينيها .. وقبل ان يفتح فمه .. كان الكل يهتف ان عروس محمد قد أتت الى الدنيا .. وتقوقع هو .. لايعرف السبب انهم خطبوها لأصغر اخوته وهو أحق ان تكون هذه اللعبة ذات الشعر الاسود له .. كان اخاه الاصغر ينظر لمن حوله بصمت وهو لايدري مايقولون .. وهو يتراجع بصمت وقد كبت مشاعره وحنقه الغاضب تحت ستار العصبية والقسوة ..

كانت ل محمد .. وهو كان كسارق الحلوة .. يتلصص مراقباً لماهو ليس له من بعيد .. يشتم اريج عطرها في كل مكان ويكتمه بداخل ضلوعه خوفاً ان يفقده ..ويفقدها .. يعرف انها لم ولن تكون له ولكن ..

ظل هناك في القلب .. مضغة عنيدة تأبى الا ان تغرقه في أحلام وأمنيات ظنها مستحيلة ..

والأن ..

هاهي بين يديه ..

"غــزل"

االاه كم تغزلت باسمها دقات قلبه .. كم ناجتها في وحدته .. كم تقلب على جمر بعدد سكون اسمها بين حنايا الليل .. كم تمزق وهو يراها عروس لأخيه .. وكم كتم مشاعره في اعماقه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) حتى ماعاد يشعر بها .. الا كلفحة برودة حين يمر قرب منزلها .. يرى بضع أثاراها .. يسمع اسمها ..

كانت كشبح يفرض نفسه على حياته .. لايحق له حتى الانفراد باسمها .. ولاترديده بين شفتيه ..فكلما فعل كان يخطئ بحقها ..وحق أخيه وحق نفسه قبلهما .. كان عاشقاً .. ويدفن عشقه تحت التراب ..

ولكنها الان لهُ..

ملكه .. فكيف يصبر القلب العاشق منذ نعومة أظفاره على الصبر..

كيف يصبر.. اراد ان يصرخ بحبها .. أن يهمس الان انه عاشق .. انه مغرم بها .. مهووس بعشقها .. كيف يقول لها انه يهوى انفاسها .. دقات قلبها .. رموش عينيها ..

ثم وحينها .. شعر بتلك الرطوبة تبلل وجنتيها .. وطعم ملوحتها في قبلته لعينيها .. ففتح عينيه ببطئ ليرى وجهها الشاحب .. نظرتها الشاخصة للسقف .. ودموعها التي تجري على وجنتيها دون توقف .. لم يجرؤ على الابتعاد ..لم يقدر ..

عرف مابها .. وعرف مايبكيها .. ولكنه لم يعد رعاد العاشق الصامت بعد الان .. شيء مافي عمقه تغير.. شيء ولده استسلامها له .. جلس معتدلاً .. وجذبها معه .. ليغرقها في حضنه ويغرق وجهها الباكي في تجويف عنقه .. ليشعر بارتجافة انفاسها مع كل نفس يتنشقه .. ويسمع شهقاتها الخافتة بالبكاء .. قبل ان يضمها اليه بقوة وبصمت وكأنه يشاركها العزاء .. على ذاك الجفاء الذي كان بينهما .. فكل شيء الان اختلف ..

فهو تقدم خطوة .. وهي استسلمت خطوات ..

"شششششش"

همس لها بنعومة .. ومع شهقة بكاء أخرى .. أخفض رأسه يقبلها بنعومة .. ويكتم شهقات دموعها .. لم تقاومه ايضاً .. وانفرجت شفتيها .. وهي تستسلم لمشاعره العاتية .. قبل ان يبتعد بارادته .. وينظر لوجهها المسجى على كتفه بانبهار .. وقد انتبه لتوه .. انها في غمرة مشاعرها .. احاطت بذراعيها .. بقوة تتشبث به باحكام .. حينها أدرك انه لم يتقدم خطوة فحسب .. بل قفز قفزة كبرى .. دون ان يحسب لها حساب.. !!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

لم يكن في مكان كهذا من قبل؟؟

تنحنح بتوتر .. واعتدل في جلوسه .. رأسه منكسة على الأرض وعرقه يكاد يتصبب منه .. يديه مقبوضتان الى جواره وانفاسه بالكاد تغادره بكل هذا التوتر الذي يشع منه .. مالذي جاء به الى هنا؟؟

تنهد بضيق ورفع عينيه بتردد الى المرأتين قبالته.. احداهما كانت والدتها .. رغم الفارق في الشكل فقد تعرفها على الفور .. بعد مجيئها اليه في المشفى ذلك اليوم .. والأخرى لم يتعرفها واخبرته أنها خالتها.. ولكن هي ؟؟ أين هي ناديـــن؟؟

سألهما بوضوح لتنظرا لبعضهما بتوتر قبل أن تقول امها بقلق:

-انها تبقى عند رفيقتها .. فهي متوترة بعدماحدث لها ماحدث دكتور..

تنهد وخفض عينيه متوتراً وهمس:

-حاولت الاتصال بها مراراً ولكنها لاتجيب..

تاملته امها بامعان .. كان انيق الملبس .. فارع القوام .. يبدو العز في كل ملامحه وصفاته والاحترام من كل تحركاته .. ابتسمت وشعرت بأن ابنتها تجيد اللعب .. وليس هذا فحسب .. لعبها هذه المرة اوقعها واقفة .. طريدة سمينة .. دسمـة .. ستكون صيداً مربحاً..

لذا تصنعت الاهتمام وقالت:

-لابد انها خائفة .. بنيتي المسكينة تعيش هذه الايام بحالة رعب..

شعر بذاته تشتعل .. يريدها بجواره لكي يحميها وهي تهرب منه..

قبض اصابعه بقوة وهمس:

-اريد ان اراها واطمئن عليها سيـدتي.

تنهدت ونهضت لتجلس الى جواره:

-لااعرف .. صدقني دكتور قد تغضب منا كلنا لو أخبرناك عن مكانها..

انت لاتعرف نادين؟؟

ومالت نحوه بشدة سمرته مكانه تضع كفها على ركبته هامسة:

-انها عنيــدة .. ولاتتراجع فيما تقرره ابداً ..

تنحنح علي وتراجع عنها مجبراً اياها لتبعد يديها عنه وهي تبتسم بخبث:

-ولكنني لااعرف سبب عنادها هذا فأنا يجب ان اطمئن على جرحها..

تدخلت خالتها ضاحكة بمكر:

-لاتقلق عليها دكتور.. فابنة أختي كالقطط ..تجيــد لعق جراحها بنفسها لتشفى تماماً..

اتسعت عيناه بصمت وهو يستنكر التشبيه الغريب بينما تدخلت امها بارتباك قائلة:

-يالهي اختي.. لاتأخذ لها بالاً دكتور هي تحب ان تمزح.. أليس كذلك نجاة؟؟

اضافت بقسوة لتتسع ابتسامة السخرية في عيني نجاة اختها وهي تنهض قائلة بمكر:

-بالطبع .. بالطبع .. اعذرنا دكتور فلم نحضر لك ضيافة بعد ..

أتشرب الشاي او القهوة؟؟

نهض علي بارتباك ورفض بتوتر:

-لا لا .. لاداعٍ ابداً.. سأنصرف..

قاطعته خالتها ضاحكة بصوت عالٍ فاجأه وهي تصيح:

-مستحيل .. لن تخرج من هنا قبل شربك شيئاً .. أخبرني..

وغمزت عينها هامسة:

-اتريد شراباً بارداً يهدئ اعصابك المتوترة هذه؟؟

تدلت شفته السفلى ببلاهة ولم يصدر صوتاً بينما نهضت والدة نادين بحدة تقول بصوت عالٍ:

-سأحضر الشاي بنفسي تفضل دكتور اجلس .. لايجوز ان تغادر هكذا؟؟

تراجع محمر الوجنتين وبقوة .. جلس يغالب شعوره بعدم الارتياح والرغبة بالفرار..يحاول الابتعاد عن النظر الى المرأة الغريبة التي عادت تجلس امامه تعقد ساقيها غطاء رأسها يكشف عن مقدمة شعرها المصبوغ بلون اصفر بشع لم يلائم سمار لونها الشديد .. ولا ابتسامتها الخبيثة التي لم يرى في حياته اكثر منها ازعاجاً .. عقد ذراعيه على صدره .. ومضى يتأمل السجاد المفروش تحت قدميه وكأنه الشيء الأهم في الكون .. وهي نهضت بعد لحظات واستأذنت بطريقة ساخرة .. تاركة اياه وحده..

زفر بضيق .. اعتصر كفيه ببعضهما وهو يستند بمرفقيه على ركبتيه .. يشعر بالاختناق من هذا المنزل .. به رائحة تخنقه .. تكبل أنفاسه .. ثقيلة .. صحيح هي جميلة .. بخور ربما او نوع من العطور الثقيلة ولكنها تقيد انفاسه .. وتضيق عليه صدره..كيف تعيش ناديـنه الرقيقة هنا.. في جو خانق .. محمل بالسوء؟!

زفر بضيق وقرر النهوض والانصراف مهما كان ..حين رأى والدتها أمامه بالشاي وهي تقول باندهاش:

-الى أين دكتور..؟! اشرب الشاي اولاً..

اعتذر بكلمات سريعة غير مترابطة ولكنها لم تمهله.. وضعت الصينية على الطاولة جوار كرسيه وضحكت بارتباك وهي تقبض على مرفقه بين يديه وتعيده للجلوس هامسة:

-لن تتحرك قبل أن تشرب شيئاً تفضل..

جلس مرغماً .. تناول الكوب وحدق في السائل الاسود الثقيل .. لايحب الشاي.. عقد حاجبيه ورفع عينيه لتصطدم بتلك الاخرى !!! كانت فتاة صغيرة في السن .. ربما بعمر نادين .. سمراء بشعر اسود فاحم يصل الى خصرها .. اتسعت عيناه بذهول لمرأى ثيابها .. بيجاما قطنية خفيفة ..تكشف عن ذراعيها وساقيها من الركبتين .. تفصل

ملامح انوثتها ببجاحة لم تطقها عيناه .. أما عينيها فقد استولت عليهما نظرة حادة .. غريبة .. أشعرته بالغثيـان ..

ودون تفكير.. كان يعيد الفنجان الى الصينية ويهب واقفاً وهو يقول:

-شكراُ لك سيدتي.. يجب ان أنصرف..

نظرت له بدهشة وتراجعت وهي ترى اندفاعه العاصف للخارج لتسد شقيقتها عليه طريق الخروج قائلة بابتسامة:

-الى أين دكتور؟! ألن تتعرف على ابنتي؟!

نظر لها بوجه محتقن ليشعر بتلك خلفه تهمس بصوت خفيض:

-مرحباً دكتور..

لم ينظر .. يكفيه احساسه الغريب بالاشمئزاز شعر بها .. تقترب بلزوجة خلفه وشعر بيدها تكاد تمتد لتلامس كتفه ..حدج أمها بنظرة قاسية .. جعلت ابتسامتها تختفي وليس هذا فحسب .. رجفة شملتها وهي تقابل تلك النظرة السـوداء تراجعت مما أفسح الطريق أمامه وبسـرعة كان يشق طريقه للخارج ..

غافلاً عن عينين رقيقتين .. سوداوتين بحدقتين متسعتان تنظران له ببرائة من خلف ستارة خفيفة .. ماان غادر حتى ركضت صاحبتهما الى غرفة خلفية .. أخرجت من تحت الاغطية هاتفاً محمولاً رخيصاً..

وضغطت زراً واحداً فقط .. ومضت تنتظر اجراء المكالمة بقلب راجف وعينين متسعتين تنظران لباب الغرفة الموصد بذعر..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

لم تعي أن هاتفها يرن الا بعد أن لفتت صديقتها نظرها له .. كانت قد سئمت من الاتصالات المتكررة من علي ليس لسأمها منه هو .. بل لوجعها الذي لم تفهمه كلما ناظرت اسمه على شاشة الهاتف .. لاتدرك السبب ولكنها تشعر بالضيق والألم كلما اتصل .. وليس هذا فحسب .. بل الذنب ايضاً ..!!

ولكن هذه المرة لم يكن علي.. كانت شقيقتها الصغرى..

فتحت الخط بسرعة وهمست:

-ماذا حدث سارة؟؟ هل هناك مكروه؟؟

-لقد جاء..

همست الصغيرة بخوف لتتسع عينا نادين بذعر وهتفت:

-من جاء؟؟؟ تكلمي؟؟

كانت تخشى ماتخشى ان يكون ذاك الوغد قد عاد ..فبعد مافعلته به وقد اختفى تماماً .. ولاتعرف اين ذهب..

-الطبيب(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تبلد ذهنها للحظة .. للحظة فقط توقفت عن التفكير وهمست بشحوب:

-أي طبيب؟؟

-اووف يانادين .. طبيبك الوسيم..

همست سارة بحنق .. خافت .. رفع دقات قلبها لتعانق السماء أرخى ركبتيها فتهالكت تبحث عن مأوى .. جلست تضمهما كي لاتهرب منها شجاعتها وتتسرب منها .. همست بشحوب:

-كيـف؟؟ لماذا جاء؟؟

-كان يبحث عنك..

همست اختها بخفوت .. وناظرت الباب وعادت لتهمس:

-ولكن خالتي وسمر اغضبتاه..

عقدت حاجبيها تحاول استيعاب ماتقول الصغيرة والخروج من حالة الذهول التي انتابتها ..

-لماذا؟؟

-لاأدري.. رأيته ينظر لخالتي بطريقة افزعتني .. لاأعرف ولكن أمي تشاجرت مع خالتي حال انصرافه..

صراع الاناث التقليدي..

فكرت بسخرية ومرارة.. شعرت بالسوء.. المرض .. غثيان احتكم نفسها وارادت ان تخرج كل مافي جوفها بسببه علها تهدأ .. علها تخرج السموم التي تقتلها يوم بعد الأخر..

اغلقت الخط وهي تهمس لأختها انها ستتصرف والا تقلق..

ماذا ستفعل؟؟ لماذا ذهب لمنزلها؟؟ لما يريدها ان تقلق عليه الان.. فخالتها لابد ستنتقل لمحاولة الايقاع به.. مادامت سمر قد دخلت الى اللعبة.. فهو لن يكون بخير.. مالم تتصرف هي .. وتعلن ملكيتها له ..

شعرت بالغيظ .. بالغيرة .. تكاد تموت ..

نهضت بعصبية .. ارتدت عبائتها تحت نظرات صديقتها وكلماتها المحذرة ولكنها لم تهتم هتفت بقوة:

-سأذهب لأمي لبعض الوقت.. لن اتأخر فلاتقلقي علي..

قطعت المسافة بين البيتين بسيارة أجرة في وقت قصير.. حالما وصلت تأملت الشارع الساكن وخشية تجتاحها أن يكون مختبئاً في مكان ما .. يراقبها وينتظر لحظة لينقض عليها .. ابتلعت ريقها وطلبت من السائق ان ينتظرها لبضع لحظات ..

لم يكن لديها مفتاح للمنزل لذا طرقت الباب بسرعة وانتظرت بصبر ان يفتح ..

وحالما فُتح رات سمر ونظرات الدهشة على وجهها الملطخ بالأصباغ:

-نادي__ن؟؟!!

دفعتها نادين ودخلت بسرعة:

-أين أمي؟؟

سرعان ماكانت امها وخالتها تركضان نحوها:

-نادين بنيتي مالذي جاء بك؟؟

نظرت لها نادين بحدة وصاحت:

-ألم أطلب منك الابتعاد عن علي..

اتسعت عينا امها بدهشة في حين تغلبت خالتها على المفاجأة بشكل

اسرع ومضت تقهقه بسخرية:

-هل اشتكى لك بهذه السرعة؟؟ ياله من رجل؟؟

حدجتها بنظرة صاعقة وهتفت:

-ابتعدوا عنه كلكم .. لاتقتربوا منه فهو ليس من نوعكم ولايجيد

كل هذه الألعاب التي تلعبونها..

-نادين..

هتفت امها بحذر ولكنها لم تسمع بل اقتربت من خالتها التي ناظرتها

بدهاء وهتفت:

-ابعدي مخالبك عن علي ياخالتي.. انه ملكي انا..

رفعت خالتها حاجبيها بخبث وهمست:

-أنت لم تري نظراته لابنتي .. ولوفعلت لأدركت ان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-كاذبة..

هتفت بحدة وثقة جعلت خالتها تنظر لها بتوتر وهي تواصل:

-علي لاينظر لأي امرأة ..وبالذات لابنتك وبالطريقة التي تلمحين بها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

توترت خالتها ولم ترد في حين اضافت هي:

-اني أحذركن .. ثلاثتكن ..

ونظرت لأمها بحدة:

-وأنت بالذات امي.. لاتحاولي التوفيق بيننا .. لاتحاولي جره الينا .. دعيه وشأنه.. دعينا وشأننا معاً ..

التمس صوتها الرجاء .. في عبارته الأخيرة .. لتقترب سمر وتقول بحدة:

-أنت لاتملكينه يانادين فلاتتصرفي كزوجة غيور..

نظرت لها نادين بحقد وهتفت:

-انت بالذات .. لاتفكري بالاقتراب منه.. فهو سيلفظك كخرقة قذرة ماان يعرف حقيقتك ..

احتقن وجه لافتاة وبات اسوداً .. ولكنها اطلقت ضحكة ساخرة مقيتة وصاحت:

-وماذا تظنينه سيفعل حين يعرف حقيقتك انت أيتها الفتاة الشريفة؟؟؟

تجمدت ملامح نادين وسمر تقترب منها وتقول بحقد وغل:

-ماذا تراه سيفعل بك عندما يعرف انك لست خرقة فقط .. بل خرقة ممزقة وبالية .. مجرد فتاة مهترئة لاتصلح لشيئ سوى تنظيف القذارة ..

-اخرسي..

صاحت بألم وكفها يستقر بحدة على وجنة الفتاة التي ناظرتها بذهول ..

تسمر الجميع ينظر لها.. حتى سمر التي فاقت من ذهولها وصاحت بجنون:

-أتضربينني انا ايتها القذرة ال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

واندفعت تهاجمها بعنف وتعالى الصراخ من الفتاتين وامهاتهما اللتان حاولتا فك الشجار .. وسمر تشد من شعر نادين بقسوة وتوجه لها الضربات بكفيها وساقيها .. في حين تكورت نادين على نفسها تحاول حمايتها من الهجوم الشرس للفتاة الغاضبة ..

-توقفا الان ..

صرخت امها واندفعت خالتها تسحب ابنتها الساخطة بعيداً بينما جلست نادين على الارض تحمي رأسها بذراعيها وتهتز ببكاء عنيف..

اندفعت اليها امها مذعورة:

-ابنتي..

-اتركيني..

نفضتها صارخة بجنون .. ونهضت على ساقيها صائحة:

-اتركوني جميعاً بحالي.. لاتتدخلوا بحياتي بعد الان..

-اسمعيني جيداً ..

جائت الصرخة من خلفها لتلتفت وتجد خالتها تواجهها بعنف:

-هو من جاء الى هنا بقدميه .. ألم يخبرك بهذا؟! هو اتى الينا فلاتلومينا ابداً اتفهمين؟! واخبرنا انك تبتعدين ولاتهتمين برد حتى اتصالاته لك..

-لاشأن لك بنا خالتي..

هتفت بمرارة لتضحك خالتها وتهتف بها:

-اذا لم تكوني تريدينه يافتاة .. فنحن بحاجة له..

واشارت بيدها لابنتها الغاضبة لتهتف نادين:

-هو ليس كالبقية .. فلاتخطئي خالتي .. والا دفعتي الثمن غالياً..

رفعت خالتها حاجبها بتحدٍ وهمست:

-سنرى..

عدلت نادين وضع طرحتها وهتفت بعنف:

-لقد حذرتك..

ودون اضافة .. غادرت ..

تبادلت حينها خالتها وامها النظرات والاولى تقول بحنق:

-يبدوا ان ابنتك عاشقة ياعزيزتي..

ارتجفت بخوف على ابنتها واختها تضيف بسخرية:

-ألاتدرك ان من هم مثلنا لايجوز لهن العشق والهوى؟؟ وانها لن تجني سوى الألم والموت؟؟

-دعيها ..

-الى متى؟؟

صرخت بحدة ..

-حتى تدمرنا كلنا بطيشها .. انها لاتفهم ولاتعي ان الحب ليس لنا ابداً .. وليس مع رجال كذاك.. أخبريها هذا.. اشرحي لها من تكون وماهو الفرق بيننا وبينهم .. والا فلن تجدي منها سوى الخراب..

قالتها واسرعت تجذب سمر من يدها الى غرفتها في حين تسمرت الاخرى تنظر للباب المغلق خلف ابنتها بحسرة .. وهي تدرك صواب ماقالته اختها .. كله ..!!

***

اعتيادي على غيابك صعب

واعتيادي على حضورك اصعبُ

كم أنا أحبك حتــى

أن نفسي من نفسها تتعجبُ

*نزار

***

لاتعرف متى عشقت ؟؟!!

متى أحبت تلك التفاصيل الصغيرة .. لاتدرك انها ملَّكت قلبها لمقلب القلوب .. فكأنما غربلت مشاعرها وابتدعت غيرها .. ولكنها تدرك انها عاشقة .. أدركت حين غرق في النوم بين ذراعيها ..استسلم لألامه ولمسات يديها واغمض عينيه واستسلم .. ثقلت أنفاسه على صدرها فلم تبتعد .. أحاطته بذراعيها واقتربت اكثر وكانما تعوض غياب سنوات.. اغمضت عينيها واسندت ظهرها للوسائد خلفها بينما استلقى هو بثقله في حضنها نظرت له مطولاً ..وجهه شاحب ومرهق .. عيناه مطبقتان بشدة وحزم وكأنما يرغمها على ذلك .. ابتسمت بخفة وجعلت اصابعها تمسد جانب رأسه ليسترخي أكثر.. تململ في رقاده .. قبل أن يدفن رأسه كلياً في حضنها.. واحدى ذراعيه تحيط بوسطها ..!!

تيبست تناظره بذهول .. انه مكانه.. بين ذراعيها هو مكانه.. تجولت اصابعها بخشية على صفحة وجهه الخشنة .. ذقنه النامية .. وخصلات شعره القصيرة..وتجمعت مشاعرها هناك في جانب صدرها الايسر واحتقنت به ضلوعها .. تكاد تتفجر منها ولاتقدر عليها.. متى تسلل اليها بكل تلك القوة..

متى أصبحت له.. لهذا الجلف .. القحط؟؟

تنهدت وانسابت دموعها بلاحول ولاقوة منها.. انتابتها مشاعر عديدة لم تفهمها وهي ترى دمعتها تسقط لتنساب على وجنته وتبلل شفتيه.. شهقت بخفوت وهي ترى تحرك شفتيه لتلعقا الدمعة بخفة قبل ان يعود لسكونه.. خفق قلبها بعنف.. ومضت تمسح دموعها بسرعة .. لاتعرف مماتخاف.. ربما.. ان ينهض وينظر الى دموعها ويضحك .. او ربما يرمقها بتلك النظرة المشمئزة مجدداً .. او يعود فيتذكر خداعها له.. هروبها منه.. لاتعرف .. هي فقط .. تخاف وتخشى .. أن يضيع منها مجدداً ..!!

اشتدت يديها حوله اكثر.. فقط لتتمتع بقربه الذي لم تذقه الا للحظات معدودة واجتثت منه كنبتة خبيثة!!

مضت تدعوا بصمت .. علها يجاب لها .. ان تبقى معه الى الأبد .. هي لاتريد ان تفكر.. ليس الان وقت التفكير سيادة .. همست لذاتها .. دعي الامور كماهي .. اتركي كل شيء.. ليتولى اللّه تصريفه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

أرادت اسناد رأسها على صدره والاجهاش بالبكاء .. تشعر بأنها ضائعة وتريد ان تجد ملاذها .. تشعر بأنها مشتتة .. موزعة بين هذا وذاك.. تتقلب بين أمر وأمر.. تريد أن تريح رأسها على صدره والاستماع

لدقات قلبه..تنهدت بشوق .. ومالت بجسدها لتضع وجنتها على صدغه وتغمض عينيها .. بينما تسللت يدها لتضع كفاً على جانب صدره الايسر .. وتحت مداعبات ضربات قلبه الخافق بقوة .. استسلمت للنوم..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

استيقظ كعادته ..عند أذان الفجـــر ..

عادته ولن تتغير سواء كان فاقداً لذاكرته أم لا.. فُتحت عيناه بقوة .. ليطالع المنظر الغريب أمامه.. كان يطالع السقف وضوء النيون الابيض ساطع ..هناك شيء ماغريب عليه..

حينها تململت .. وانتفض هو كالملسوع..

اتسعت عيناه بشدة وهو ينظر لمن تتوسد ذراعه وتتكئ برأسها الى صدره بوداعة.. وكأنه مكانها منذ الازل انتفض عقله بقوة مؤلمة جعلته يغلق عينيه بوجع .. ويمسد رأسه المتعب بحنق.. قبل ان يهدئ من مشاعره المتخبطة بحزم.. انها تلك المرأة .. ابنـــة عمه .. زوجته!!

نظر لها بذهول .. زوجتـــه!!

لما تبدو الكلمة غريبة عنه الى هذه الدرجة.. لماذا يستعجبها وكأنه لم يتوقعها لتناسب هذه المخلوقة بين يديه.. عقد حاجبيه ومضى يتأمل ملامحها النائمة باستكانة .. كانت جميلة جداً ..

انتفض قلبه .. وجف ريقه وهو يتمعن في وجهها المحاط بسلاسل من اشعة الشمس وقت الغروب .. وتسللت يده لتمسد شعرها بخفة .. وتبعد خصلاته الكثيفة عن وجهها لتظهر ملامحه الفتانة بوضوح .. رقة بشرتها العاجية .. رموشها الداكنة تستكين بارهاق على وجنتيها .. بينما تكنتز شفتيها كثمرتين ناضجتين..

لم يفكر يوماً بالتغزل بامرأة.. ليس لجمالها ولالأخلاقها .. لم يفكر أبداً بالمرأة التي سيتزوج منها يوماً .. لم يشترط الجمال .. الجاذبية .. ابداً .. كان الشكل هو آخر مايفكر به.. اراد امرأة خلوق.. ملتزمة بدينها .. تعطه الاولاد وتسهر على رعايته ورعايتهم .. فقط لاغير.. لم يخلق للغزل .. لما تزوج بامرأة لاتستحق الا شاعراً يتغزل ليل نهار بجمالها ونعومتها ..!!! عقد حاجبيه بقوة .. مالذي يقوله؟! ماهذها الهراء الذي يفكر به..

جف حلقه واراد الابتعاد عنها .. بسرعة قبل ان يفقد عقله .. حين فتحت عينيها.. وليتها لم تفعل؟!!!

اتسعت عيناه هو نفسه بذهول .. وهو يغرق بالزمرد المشتعل .. يغرق بشذرات الذهب المتألقة .. بين جفنين ناعستين .. تألقتا بقوة حال انصهارهما بسواد عينيه .. واندفع اسمه من بين شفتيها كتعويذة سحرية انتشلته من ذهوله ..

رأى اتساع عينيها .. واعتدالها لتشرف عليه .. وتتدلى خصلات شعرها النارية حوله .. وتعزلهما في دوامة مشتعلة ويديها تستندان على صدره بينما تلتصق به بجنون هامسة:

-هل أنت بخير؟! هل تشعر بألم؟!

مالذي تقوله هذه المرأة؟! الألم هو ماتفعلينه بي؟!

فكر برعونة .. قبل أن يقبض على كتفيها بقوة .. وسرعة .. ويرفعها عنه وينهض معها .. لتشهق بذعر وهي تواجه نظرته العاصفة ..

هل تذكر؟!

فكرت بخوف .. وهي تجلس امامه على ركبتيها وتناظره بعينين متسعتين .. وعيناه تتألقان بنظرة غريبة عنها:

-لقد أذن الفجر ألم تسمعيه؟!

تدلى فكها بذهول .. وراقبته يفلتها وبخفة ينزل عن الفراش:

-سأتوضى ونصلي معاً ..

راقبته بذهول وهو يغيب خلف باب الحمام.. قبل ان تنظر لنفسها وجلستها الغريبة كتلميذة شقية مذنبة .. تأملت بنطالها وبلوزتها المكرمشة.. وفكرت كيف انتقل رقادها الى بين ذراعيه بتلك الطريقة دون أن تحس وتشعر؟!

نهضت بسرعة وعدلت ثيابها .. زمت شعرها كله خلف رأسها ليتدلى كذيل حصان أصهب .. وانتظرته ليخرج.. وحالما فعل بعد دقائق قال دون أن ينظر اليها:

-سأنتظرك فلاتتأخري ..

اومأت وغابت خلف الباب نفسه .. ليعقد هو حاجبيه بتوتر.. ماذا به.. لما لايعاملها بطريقة عادية.. انها زوجته بحق اللّه فلما كل هذا الاضطراب وكأنها ليلتهما الاولى؟! ولكنها بالفعل كذلك بالنسبة اليه.. فهو لايتذكرها حتى؟!

تنهد وبدأ يطوي اطراف بنطاله ليعلوا كعبيه .. ثم ارتدى قميصاً نظيفاً وبقي ينتظرها حالما خرجت وقفت تنظر اليه .. اقترب وقال لها بسرعة:

-سنصلي الفجر في جماعة بمااننى لااستطيع الخروج للمسجد..

رفعت حاجبيها وتلعثمت:

-لا.. لاأعرف كيف؟؟

زوى بين عينيه وهمس:

-مالذي لاتعرفينه؟؟

رفعت اليه نظرة مذعورة وهمست:

-صلاة الجماعة؟؟

رأت ذاك العرق على جانب صدغه ينبض بقوة ففهمت انه غاضب ..

ولكن ملامحه لم تشِ بمدى غضبه ابداً .. على العكس كانت هادئة

تماماً وهو يسألها:

-أتصلين فروضك؟؟

ابتلعت ريقها وهزت رأسها مرتين (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير

محمد قائد) مرة بنعم والاخرى بلا .. فتنهد بصبر وهمس:

-وماذا كنت اتوقع.؟؟

-اصليها ولكن..

هتفت تبرر ليزفر بضيق ويهمس:

-نعم نعم .. اعرف ليس بانتظام ..

تجلت نظرة الذنب في عينيها وهمت بالتبرير اكثر ليقول بحدة:

-أتعرفين مانفعله بالولد حين يتجاوز العاشرة ولايصلي؟؟

اتسعت عينيها وهزت رأسها نافية ليضيف بحدة:

-نعلقه من قدميه في احدى اشجار النخيل ونتركه للاطفال الاخرين ليعلموه معنى ترك صلاته..

شهقت بذعر وتخيلت الموقف للحظة ليضيف هو بسخرية:

-وانت اخبريني .. كم تجاوزتي من العمر ؟؟

رفعت عينين دامعتين اليه فتسمر للحظة قبل أن يتراجع بتوتر :

-سأشرح لك بسرعة حتى لاتفوتنا الصلاة وبعدها نتفاهم..

سارعت لوضع عبائتها عليها واستمعت بانصات لشرحه البسيط..

قبل ان تقف خلفه وهو يأمها بالصلاة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

وبعد لحظات من انتهائهما .. كانت تناظره بذهول ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

مارست معهُ كل شيئ.. اختبرت كل انواع المشاعر..

ولكنها فقط اليوم صَلَّتْ خلفهُ ..

عشقته قبلاً ..

والان عشقته أكثر .. بذهول منبهر .. وخشوع لايَضِل..!!

سماعه يتلو آآيات ربه بصوت خشن مُرتل أصابها بغصة وكادت تبكي وهي تغرق رغماً عنها في تأمل الكلمات الربانية المتمهلة .. !!

نظر لها من فوق كتفه .. وتسمرت عيناه على الذهول في مقلتيها .. والارتجاف على شفتيها .. ابتلع ريقه بصعوبة.. ثم اشاح عنها ..يعقد حاجبيه ويستغفر بهدوء.. وذاك الصـداع يعاوده.. كيف لايتذكر امرأة مثلها؟؟!! كيــف..؟؟

زم عينيه بقوة ونهض بسرعة .. طوى سجادته وتجاهل تحركها حوله وهو يعود الى فراشه ويقول بصوت مقتضب:

-سأنام..

راقبته بصمت .. كيف أشاح عنها الى الجهة الأخرى وغرق في نومه.. لوكانت امرأة طبيعية في علاقتها بزوجها لاقتربت بكل بساطة وتوسدت كتفه.. وغرقت في النوم.؟.. ولكنها ليست كذلك.. ليست طبيعية ولاشيء بينهما طبيعي..

تنهدت وجلست الى المقعد جوار النافذة وقضت الوقت وهي تطل على الشارع الساكن والذي دبت فيه الحياة ببطئ..

لم تعرف كم انقضى من وقت .. ولكن لابد انها غفت في مرحلة ما.. فحين استيقظت كان النور يغرق الغرفة والشارع دبت فيه الحياة

بشكل كبير.. سمعت طرقات على الباب وادركت انها ماأيقظها فنادت بصوت رقيق سامحة لمن يطرق بالدخول وهي تمسح عينيها بطفولة .. لتقاطعها زمجرة عنيفة طالباً ممن كان يطرق ألايدخل حالياً.. و جعلتها تقفز واقفة تنظر باتجاهه.. كيف لم تدرك انه استيقظ مثلها ..

-غطي شعرك ووجهك..

اتسعت عيناها بذهول وهي ترى النظرة الصاعقة العنيفة في عينيه وهي لاتكاد تفهم لينهض من فراشه ويتوجه لها بخطوات غاضبة ويهمس بعنف:

-انت مكشوفة الرأس وتدعين اين كان للدخول؟؟

-أأاا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

حاولت رص كلمات ما ولكن النظرة في عينيه الجمتها فلزمت الصمت بقهر وهو يأمرها بحنق:

-اذهبي للحمام وانتظري هناك الان..

تبلمت ناظرة اليه ليزجرها بقسوة:

-الأن تحركي مابالك..

نهضت بسرعة واستجابت لأمره دون ان تفهم.. سمعت صوت رجولي بعدها في الغرفة ونقاش محتد بين قحطان وبين مهماً كان برفقته وهي تقف كالبلهاء في الحمام .. كانت تريد ان تغضب ان تحتد ان تخرج وتسلط عليه لسانها بكلمتين ولكنها لم تفعل.. فكرت بحنق.. لما يعاملها بهذه الطريقة حتى وهو لايتذكرها .. وكأنها طفلة مشاغبة لابد ان تعاقب يومياً .. لا لا.. عادت تفكر..

انه يغار عليك ياحمقاء.. تغلب ولهها على الحنق وغامت عينيها بنظرة حالمة وهي تفكر..

نعم هو يغار .. لايريد ان يراها سواه .. تبسمت ببلاهة ثم مضت الى المرآة ووقفت امامها واتسعت عينيها وشكلها المضطرب يظهر لها عبر الزجاج الابيض بطريقة أفزعتها ..

يبدو ان اليومين اللذين قضتهما في السفر والتوتر العصبي قد نالا منها وبقسوة ..

الظلال السوداء شوهت عينيها .. بشرتها شاحبة وباهتة .. حتى شعرها فقد بريقه وأصبح خشناً .. ومنكوشاً .. مطت شفتيها باشمئزاز .. انها تحتاج لحمام دافئ .. وراحة .. حسناً .. فكرت بعزم

الراحة ستتأجل .. والحمام بامكانها التصرف والذهاب لزيارة سريعة ل شفا الشهري وهي واثقة ان ماتريده ستلقاه عندها ..

غسلت وجهها وأسنانها وحاولت تسريح شعرها بماتوفر.. قبل أن تقترب من الباب وتحاول استراق السمع .. بعد بضع لحظات سمعت الباب الخارجي يغلق فأدركت انهم غادروا .. رتبت شعرها بيدها وفتحت الباب فرجة صغيرة تنظر خلالها .. ورأته ..

كان يجلس على طرف السرير وقد نزع ضمادة رأسه .. همست:

-هل أخرج الأن؟؟

نظر لها بحدة قبل أن تلين ملامحه ويشير لها ان نعم.. فابتسمت باشراق وتقدمت نحوه .. رأته ينظر لها بامعان فهمست:

-أنا اسفة .. ماكان علي ان ادعوهم للدخول دون التأكد منهم..

نظر لها بعتب .. لم يعرف ماجرى له وهو يراها بذاك الشكل وتسمح لأي كان بالدخول .. شعر وقتها بحريق يشتعل في جنباته ..رأى عينيها المشتعلتين وتلكأت نظرته عليها بشكل مستفز جعلها تحمر خجلاً وتخفض عينيها هرباً منه ليبتسم مرغماً .. ثم يتنحنح ليقول بعدها بحزم:

-سنعود اليوم الى البلدة..

-اليــوم..!!

صاحت متفاجأة وهي ترفع عينيها له باندهاش ليومئ فتعترض:

-ولكن اصابتك؟؟ رأسك.. ذاكرتك؟؟!!

رفع حاجبه بتفكه وقال:

-اذا كان الطبيب نفسه من أذن لي بالخروج, أنت من ستعترضين؟؟

احمر وجهها للمرة المأئة ولكنها لم تتراجع بل تمسكت برأيها وعقدت ذراعيها بعناد:

-ولم لا ربما يريدون التخلص منك فقط؟؟

انفجر ضاحكاً بوجهها لتتسع عينيها مبهورة بكل تلك التغيرات التي انسابت بنعومة على خطوط وجهه المشدودة وغيرتها مائة وثمانون درجة .. كان حقاً يضحك..!!

ابتسمت بتلقائية رداً على ضحكته العميقة .. والتي ارسلت ملايين الشرارت العذبة عبر عروقها بطريقة لم تشعرها قط من قبل..!! ازداد احمرار وجهها وهمست مخنوقة بمشاعر تفوق قوة احتمالها:

-لاتضحك..

حاول السيطرة على ضحكاته ولكنه لم يقدر .. من يرها .. للوهلة الاولى يظنها امرأة غريبة محنكة.. امرأة لاتملك برائة من اي نوع ..

ولكن الان .. وهو ينظر لاحمرار وجهها.. لايرى سوى برائة طفلة جزعة على .. ربما والدها !!

نهض يشرف عليها لتتراجع خطوة للوراء ويعترضها هو بذراعه ويقربها خطوتين فتصبح عينيها مزروعة في عينيه وراحة يديها تعانق عضلات صدره المفتول وابتسامة ساحرة تحتل شفتيه وهو يتسائل بنعومة:

-ألهذا الدرجة تظنينني مريضاً شقياً يسعون للتخلص منه؟؟

اتسعت عينيها وهي تغرق في ابتسامة عينيه التي اخذتها لعالم لم تصل له من قبل وهمست:

-لم .. لم أقصـد ..

-ماذا قصدتِ اذاً؟؟

همس باصرار فحاولت الهرب من ابتسامته .. من ذراعيه .. من هالة القوة التي قيدتها بلافكاك الى حصار حضوره الطاغي ولم تقدر .. كله يُكبـلها .. كجنزير غليظ.. استسلمت وهمست تنظر اليه بوله:

-أنا.. أنا فقط خائفـة عليك..

عقد حاجبيه بخفة وارتبكت نظرته وابتسامته وتسائل:

-خائفة؟؟ علي أنا؟؟

اضطربت دقات قلبها بجنون .. حتى لم تعد تقوى على احتمالها وهو يقربها اكثر ويمحو حتى كفيها اللذان فرقا بينهما وتدلتا بطيعة على جانبيها وهي ترفع رأسها باستسلام وتهمس:

-أنت زوجي.. بالطبع سأخشى عليك..

"زوجي"!!

يالها من كلمة أثارت فيه مالم يقدر على احتماله .. لما تحتوي حروفها على كل هذه القدرة على الاغواء؟؟!! أخذ نفساً سريعاً أراد به فقط ان يخفف من ارتباكه لتفاجأه تنهيدتها الحارة وهي تذوب بين ذراعيه ليستسلم لفيض مشاعره ودون ارادة منه كان يقترب لينهل من رحيق شفتيها الشهي.. لتستسلم هي الاخرى وترتمي بقوة ضعفها الى قوته الهائلة والتي لم تخذلها يوماً .. تشبثت بكتفيه بيأس ليضمها اليه حتى كادت تختفي بين يديه.. تذكرت اول قبلة لها معه .. وكم تختلف هذه .. تختلف لأنها تريدها .. تحتاجها .. تاقت اليها منذ ايام طويلة .. احاطت عنقه بذراعيها واقتربت منه أكثر .. ليعمق قبلته أكثر واكثر..

حتى كاد يشعر بأن روحه ستزهق من فرط قوتها .. شعر بأنها عنيفة .. رغبته بها كانت متطرفة .. وكلما قربها أكثر .. لم يرغب بالبعد عنها قط .. رغبته بها كلما أشبعها .. زادت اشتعالاً ..

ولكنه بشر .. ويحتاج للتنفس .. وكأن ابتعاده عنها كابتعاده عن نفسه .. كانقسامه نصفين .. شهق بقوة .. وفك أسرها لتشهق هي متهاوية على صدره .. ويسقط رأسها على عنقه .. بأنفاس حارة متلاحقة .. جعلته يضمها أقوى وكأنها قد تتهاوى تحت قدميه .. !!

وبخفة لم يعرفها عنه رفع وجهها اللاهث اليه ليقع تحت أسر عينيها المغيبتين بالنشوة ويُحنى رأسه دون مقاومة ليغرق في جنون شفتيها .. هذه المرة بعذوبة ورقة .. بتمهل وكأن الكون كله ينتظره .. غيبها العناق كلياً .. وكأنها تطفو على موجة هادئة .. تثور بلحظة وتعود لمسلكها الراسي .. بنعومة .. احاطت ذراعيها بظهره واتكأت عليه تحمله ثقلها فساقيها لو تركت لهما المهمة لتكومت أرضاً بلاخجل .. ياللهول مايفعله بها هذا الرجل .. بلمسة منه فقط يذيب حتى عظامها..!!

تنقلت قبلاته على صفحة وجهها بنعومة وجنتيها .. جسر أنفها .. بين عينيها وحتى جفنيها المطبقين .. قبل ان يبتعد ويراقب انفراجهما

بأنفاس ثقيلة .. لتطل عليه زمردتيها بشكل يخطف الانفاس

ليهمس بثورة مشاعره التي لم تهمد بعد:

-أنت ..أآنت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

رفعت حاجبيها .. بأمل .. ليمسك نفسه بلحظة .. ويعقد حاجبيه

وهو يتنحنح بقوة ليجلي عن حنجرته ذلك الضعف الذي انتابه

ويبعدها عنه بخفة .. هل كان ينوي التغزل بها؟؟؟!!

-قحطان..

نادته بضعف وقد كسر قلبها ابتعاده الغريب ليهمس بخشونة:

-لنجهز اغراضنا للعودة بعد الظهر ..

شهقت بخفوت ليواصل بحشرجة:

-سأتصل بأخوتي .. لم أعد أطيق هذا المكان ..

تأملت ظهره المبتعد بجمود.. مالذي أصابه .. لما تراجع عنها هكذا

وكأنها مرضٌ معدٍ لايطيق الاقتراب منه؟؟ ابتلعت ريقها بصعوبة

محملاً بخيبتها العريضة .. وعضت شفتيها بغصة وهي تنفذ ماأمرها

به .. بكل سكون..

***

لم تصــدق عينيها ..

فتحتهما على وسعهما وتدلت شفتيها وهي تنظر للمكان حولها !!

-أاعجبك؟؟!!

سمعت التساؤل لترى حماتها تقترب منها وعلى شفتيها المطليتين بحمرة الشفاة بسخاء.. ابتسامة ناعمة لم ترتح لها وهي تكمل:

-انه من أفضل مراكز التجميل في باريس..واكثرها رقياً .. تعالي معي ..

وقبل ان تعترض كانت تجرها من ذراعها كالنعاج .. الجميع كان ينظر لها بتعجب .. لتلك الفتاة المغطاة من رأسها لأخمص قدميها بالاسود وتجرها تلك المرأة الفرنسية ذات الصيت الشائع والشخصية المعروفة..

كانت تكاد تركض خلفها تقريباً حتى وصلتا الى غرفة خاصة أجلستها على مقعد مرتفع وقالت:

-سيوافينا في الحال..

تلفتت سلمى العزب حولها بذعر:

-من؟؟

-من سيظهر كل ماتحملينه من جمال وقوة..

قالتها بسخرية لتناظرها سلمى بخشية.. لاتعرف مايجب ان تفعل ولكنها ليست مطمئنة لهذه المرأة ابداً .. ولكن عليها ان تمضي قدماً بما قررت القيام به من اجل الاستحواذ على قلب زوجها واعادته اليها بأسرع وقت..

ولذا صمتت واستمعت بانصات لعمتها وهي تلقي عليها التعليمات انها يجب ان تنفذ كل مايطلبه منها الرجل الغامض والذي لاتعرف من يكون .. وانها يجب ان تكون مطيعة وان تتركه يفعل كل مايريد !! حتى تصبح بمستوى من الجمال مايعيد فراس اليها جاثياً ..

نظرت سلمى لها بتوتر .. لم تعتد ان يوجه لها أحدهم التعليمات بهذه الطريقة ولكنها الان تحتاج لهذه المرأة لتعيد لها زوجها .. ولن تستسلم ..

تنهد بصبر وراقبت الباب الذي فتح ليظهر لها ذاك الشاب؟؟

أين رأته قبلاً .. ؟؟! ضاقت عينيها وهي تحاول تذكر اين لاقته قبلاً؟؟

طوله متوسط .. شعره يصل لرؤوس كتفيه حالما وقعت عيناه عليها حتى ابتسم ملئ شدقيه واقترب منها.. وبكل غريزية تناولت طرف طرحة رأسها لتغطي نصف وجهها وتتسع عينيها لجرأته وهو يمد يده اليها مسلماً:

-عبدالعزيز الشيِّب..

ظلت تنظر الى يده المدودة باستغراب وكأنها ستعضها وتنقلت عينيها منها الى وجهه بطريقة مضحكة جعلته يقهقه بصوت عالٍ وينظر لإيفـا بعبث هاتفاً بالفرنسية:

-سيكون الأمر ممتعاً للغايـة مدام .. فترويض هذه النمرة سيكون حدثاً هائلاً..

ضحكت ايفا لتنظر لهما سلمى باستغراب قبل ان يعود كل شيء مماحدث بتلك الليلة الكالحة لذاكرتها وتهب هاتفة:

-أنت من تشاجر ذلك اليوم مع عمي سالم؟!

عقد عزيز حاجبيه وقال بابتسامة خفيفة:

-وتملك ذاكرة مميزة ايضاً..

عقدت حاجبيها وهتفت بحنق:

-مالذي يحدث هنا؟! انا لم اعد اريد شيئاً ..اريد المغادرة

امسكتها ايفا من ذراعها بقوة وهتفت بها:

-لاتتسرعي سلمى انتظري..

نظرت لها وهتفت بثورة:

-لن ابقى هنا ابداً ..

اشارت ايفا لعزيز ان يبتعد بسرعة ثم احاطت بالفتاة وهمست:

-لاتتسرعي بنيتي وتذكري لما أنت هنا.. عبدالعزيز يمتلك سلسلة من اشهر محلات التجميل وليس بالضرورة ان يبقى بالامكان الاستعانة باحدى مساعداته..

نظرت لها سلمى بحنق وهتفت:

-انا اعرف من يكون سيدتي .. انه الرجل الذي كانت سيادة زوجة اخي على علاقة معه..

ضاقت عينا ايفا لتقول سلمى بحنكة:

-سيادة قالت لي .. كما أنني سمعت ماقاله لعمي يوم عدنا انا لست غبية ولن أسمح لكما بالتلاعب بي مهما كانت نواياكما..

قبضت ايفا عليها بقوة ألمتها ولكنها لم تظهر ذاك الألم ابداً عقدت حاجبيها وانصتت لإيفا التي صاحت بها:

-لاتكوني حمقاء.. عزيز صديق للعائلة منذ زمن .. كما أن مابينه وبين ابنتي قد انتهى وهو يعرف هذا جيداً .. انت الان من تهمنا .. ألايهمك فراس؟؟

ارتجفت سلمى لذكر زوجها الغائب واحتقن وجهها وايفا تعاود بحنق:

-انت تنسين ان مانفعله هنا هو لأجلك انت .. ماضي عزيز وسيادة لايهمنا الأن أتفهمين؟؟

نظرت سلمى لعزيز وهو يراقبهما ببرود وقلبها يخفق بقوة .. تعرف ان سيادة تحبه.. ومما رأته يوم وصلت لباريس ملأها يقيناً ان الرجل ليس سهلاً ابداً ابداً ..شعرت بالضيق وعادت تنصت لعمتها التي واصلت التشجيع لتخوض هذه التجربة بشتى الوسائل .. وفكرت .. ربما ..

-لاأريده بالقرب مني..

هتفت بعصبية .. لتسرع ايفا:

-سيغادر.. لاتقلقي ولن تكون لك صلة به..

تنفست سلمى باضطراب وهمست:

-فقط ابعديه عني..

اومأت ايفا وأشارت لعزيز الذي ابتسم بغموض قبل أن يومئ بالمقابل ويدير ظهره ويغادر.. وحينها التفتت ايفا لسلمى وسألتها:

-ارتحت الأن؟؟

نظرت لها سلمى بتوجس قبل ان تهز رأسها ب نعم لتضحك ايفا وتشير لها:

-اذاً تعالي معي .. لدينا الكثير لنقوم به..

وبعد تردد قصير لحقت بها.. لاتعرف انها تخطو بقدميها الى شَرَك حُبكت شباكه بمهارة .. لتحويلها من حال .. الى اخرى .. لاتمت لها بصلة ..

***

لم يتوقف لحظة عن اللف والدوران .. لم يصدق متى أشرقت الشمس حتى انطلق الى المشفى علّه يشفي غليله ويعرف ماحل بابنته .. طيلة الليل يبحث عنها .. اتصل بكل من يعرفهم ليكتشف اين ذهبت وكيف سافرت دون زوجها ولم يصل لشيء.. حتى زوجته لم تكلف نفسها عناء الرد على مكالماته العديدة ..

كان عقله يلف ويدور بلاتوقف .. دون أن يعي ماعليه ان يفعل وكيف يتصرف حتى؟؟ ..

حالما وصل الى المشفى توجه الى جناح قحطان وبعد طرقات سريعة على الباب دخل ..

كان قحطان يرتدي قميصه حين فاجأته الطرقات السريعة وقبل حتى ان يتقدم خطوة فُتح الباب ودخل ذلك الرجل .. شعت عيناه بغضب وهو ينظر باتجاه سيادة التي كانت ترتب حقيبته الصغيرة

وتفاجأت مثله بالرجل يقتحم الغرفة دون استئذان .. وبعد لحظة فقط سمعها تصرخ بابتهاج:

-بابا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

توقف سالم العزب بذهول ينظر لابنته التي سارعت بالارتماء بين ذراعيه وهي تهتف:

-اشتقت اليك ابي.. اشتقت اليك حبيبي..

ضاقت عينا قحطان وهو يعي ان الرجل لم يكن سوى عمه الذي التقى به منذ فترة وجيزة فقط .. لايعرف لما شعر بالنفور منه حال رؤيته من جديد والاكثر حالما رأاها تتمرغ بين ذراعيه .. شعر بحنق غريب واقترب منهما ليجذبها من ذراعها بحدة فاجأتهما معاً وهو يرحب بعمه بضيق ظهر واضحاً على وجهه:

-السلام عليكم عمي.. كيف حالك؟؟

نقل سالم بصره بين الاثنين وقال بتوتر:

-بخير بني .. الاهم هو أنت كيف اصبحت؟؟

-بخير.. سنغادر بعد الظهر باذن اللّه..

-بهذه السرعة؟؟

اعترض باستنكار لتسارع سيادة:

-أخبرته بابا .. اخبرته ان علينا البقاء للاطمئنان ولكنه لم يرضى..

نظر لها والدها باستغراب .. والاكثر ذراعها التي امتدت بسخاء تحيط بزوجها وذراع الاخير الملقاة على كتفها ليقول:

-ماذاقال الطبيب؟؟

تنهد قحطان قبل ان يرد بحدة:

-انه قراري انا وليس لأحد دخل به .. انا بخير وسأكون بحال افضل ان غادرت هذا المكان..

رفعت رأسها اليه لينظر لها بحدة رسمت الابتسامة على شفتيها بصورة تلقائية وهي تهمس باغاظة:

-عنيـد ..

رفع حاجبيه بتسلط لتزفر حانقة وتنظر لأبيها:

-انه لايسمع لأحد بابا..

عاود سالم نقل بصره بينهما بذهول .. يشعر بأنه ضائع كلياً .. كيف سافرت ولايجدونها وهي الان هنا؟؟ كيف؟؟ اراد سؤالها ولم يجرؤ.. بل همس:

-يجب عليك الاستماع لأوامر الطبيب قحطان .. بني اصابتك لم تكن طفيفة..

-أنا بخير عمي لاتقلق علي سنغادر بعد تناول الغداء مباشرة حتى نصل قبل صلاة العصر..

اراد عمه ان يعلق الا أن الباب فتح مجدداً لتدخل السيدة هدية هذه المرة ترافقها الجوهرة وساد الهرج للحظة وهدية تنظر لسيادة بحدة والتي انكمشت للحظات بعيداً عن زوجها الذي عانق امه بحنان بالغ مقبلاً رأسها وكفيها وهو يجيب عن اسئلتها المتلاحقة مطمئناً اياها بابتسامة احتلت وجهه وجعلتها هي تذوب واقفــة .. لتفوق على حركة عنيفة من والدها لجذبها عنهم ..

اتسعت عينيها وهي تلتقي عينيه القاسية:

-الى أين ذهبتي؟؟ كيف اختفيتي وسافرتي دون أن يعرف عنك احد؟؟

شحب وجهها للحظة وغارت منها الدماء .. لم تفكر ان احداً قد يعرف ولكن والدها على مايبدو لديه فكرة ما عما حدث.. تلعثمت ولم تجد ماتقوله الا انه اضاف:

-أنا لاأفهم شيئاً ممايحدث سيادة؟؟ مالذي يحدث بينك وبين قحطان؟؟ هل تشاجرتما؟؟

ابتسمت بتوتر وهمست:

-لا بابا لاتقلق.. لم نتشاجر بالتأكيد كماترى؟؟

-لما رحلتي اذن؟؟

كرر بعصبية لتبتلع ريقها بتوتر ..وهي تفكر بكذبة جديدة ..

تخرجها من تلك الورطة.. قبل ان تسرع بقول:

-ماما.. ماما قالت ان آتي .. ووافق قحطان..

نظر لها بشك فأضافت بسرعة:

-انا حتى لم أكمل رحلتي ابي.. عدت قبل أن التقي بها..

-امك تريد افشال زواجك ..

همس بعنف لتشير له أن يصمت وهي ترجوه:

-لاتقل هذا بابا .. ارجوك.. لن أسمح لأحد ان يفعل؟؟

عقد حاجبيه لايصدق ان من تقف أمامه هي ابنته وهتف بشك:

-مالذي حدث وتغير؟؟

غامت عيناها وهي تسرق نظرة لذاك الغائب كلياً عنها بعائلته

وهمست:

-كل شيء أبي.. كل شيء تغير..

-سيـادة ..

همس بتحذير لتنتفض وهي تنظر اليه .. الشك والخوف والتوتر يملأ

عينيه .. ولكن خلفها كان يكمن قلقه عليها .. كانت غاضبة منه ..

وبشدة فكل ماحدث لها كان بسببه هو ولكن .. لم يكن للغضب مكان في اعماقها كانت تقف حائرة فوق حافة تصعد بها الى قمة الفرح وتفصلها عن هاوية الضياع..

كانت تتأرجح بلاتوقف وتبحث عن ارض صلبة تسندها ..

-ساعـدني بابا..

همست تترجاه .. لتتألق عيناه بتاثر وهو يهمس:

-أنت تحبيــنه..

انسابت دمعة بطيئة على وجنتها سارعت لتمسحها بظهر كفها وهي تشهق بألم ليغمرها بين ذراعيه هامساً:

-لاتقلقي بنيتي.. لاتقلقي..

-انا خائفة بابا..

شكت بصوت مخنوق وهي تخفي وجهها في تجويف كتفه باحثة عن الامان الذي طالما ارتجته من والدها ولم تجده:

-لاتخافي سيـادة.. انت في كنف ابن عمك الان .. مالسوء الذي ممكن أن يحدث؟!

قال ببساطة يقاوم فرحة غامرة تجتاحه وهو يرى ان مخططه يسير بأفضل مماتخيل .. ولكنها لم تهدأ .. وخوفها لم يكن .. بل اضطرم بقوة

..وخفقات قلبها زلزلت انفاسها وباتت ترتجف مغادرة صدرها بشهقات خافتة وهي تتخيل ان يعرف والدها مافعلت.. ماقالته ومايعرفه عنها ابن عمها ورحمها به ربها فأنساه !!

اه فقط لو يدرك ماتعانيه صغيرته المدللة .. وماذا يفعل الحب بها .. أبعدها عنه لينظر في عينيها التائقتين للدموع والمغروقتين بها وهو يضيف:

-ستكونين بخير.. طالما يسكن قلبك وعقلك..

اومأت بصمت فليس الان وقت الشكاوى ولا اخذ النصائح ..

ابتسم لها بابتهاج وربت على وجنتها بحنو حين جاء صوت زوجها من خلفه يقول بتوتر:

-هل انتهيتما من تبادل الاسرار؟؟

رفعت اليه عينين تائهتين التقطتهما عيناه بتسلط واحتجزتهما بقوة جعلت كل قواها تخور .. لتستسلم لذراعه التي احاطتها باحكام وهو يهتف بعمه :

-هل ستعود معنا الى البلدة عماه؟؟

نقل عمه نظره بينه وابنته بسعادة لم تخفى عليه ونفى :

-لابني .. لقد اطمأن قلبي عليك وابنتي ولم يعد لوجودي اي معنى..

-بابا..

اعترضت بتخاذل لتتسع ابتسامة ابيها وهو يهتف:

-سأعود الى عائلتي بنيتي.. لاتنسي ان امك وسلمى هناك..

عقدت حاجبيها وتسائلت بخشونة:

-وفراس؟؟!!

تجهم وجه والدها .. وللحظات رفت عيناه لايريد لذلك الصقر التقاط ارتباكه لذا قال بطريقة حاول قدر الامكان صبغها بالاعتيادية:

-سافر لأميركا في عمل .. سيعود قريباً..

زوت بين حاجبيها اكثر في حين شعر قحطان للحظة بالضياع.. اخته اين؟؟ اراد السؤال ولكن.. قد يفضح امر فقدانه للذاكرة بحماقة .. نظر لها .. لتستجيب لعينيه مباشرة .. وبحركة واحدة من جفونها ادرك انها ستشرح له كل شيء.. ولكن ليس الان ..

ابتسمت له فشعر بذاته كلها تستجيب .. جف ريقه وتيبست حنجرته وحاول ان يجليها بسعال متحشرج وهو يستدير نحو عائلته قائلاً لهم عن قرار العودة المبكرة ليجد مشاعر متناقضة بين الفرح والقلق(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) دون أن يؤثر ذلك على قراره ..

وفعلاً .. بعد انتهاءهم من الغداء كانت السيارات تقلهم عائدة الى البلدة بعد اتصال طويل بين قحطان وعمرو الشهري حيث طمأنه الاخير على سير الامور وانه سيأتي اليه بنفسه ليطلعه على سير التحقيقات خلال الايام القادمة ..

لم يستغرق الطريق وقتاً طويلاً على العكس كانت السيارات تنهب الاسفلت نهباً.. وفي السيارة التي تقلهم كان قحطان يجاور الشيخ والى جواره شقيقه علي الذي أصر ليرافقهم خشية على أخيه .. وفي الخلف والدته وسيادة ترافقهم الجوهرة .. لم تحاول سيادة الدخول في معمعة الحديث مع هدية التي كانت تتجنبها بحذر غريب وكأنها لاتريد خلق مشاكل في غمرة فرحتها بعودة ابنها سالماً ..!!

كان من المفروض ان يكون وصولهم هادئاً .. فقد شدد قحطان على هذا .. ولكن هيهات .. فحالما أصبحوا على مشارف البلدة بدأت الأعيرة النارية .. بشكل كثيف ارسل ذعراً مروعاً اليها فاتسعت عينيها وتيبست على رأسه .. وكأنما وقعت عيناها على مجسات استشعار لديه .. وجد نفسه ينظر للخلف ليلتقي عينيها المذعورتين فعقد حاجبيه واقترب هامساً:

-ماذا؟؟ ألم تسمعي الاعيرة النارية من قبل؟؟

تشبثت بذراعه المتدة على ظهر الكرسي وهمست:

-ليس بهذه الكثافة ياقحطان..

اختلجت نظرته للمستها الخفيفة .. ووجد نفسه يطيل النظر لشفتيها المرتجفتين رعباً .. ورغماً عنه كانت حرارة لاتطاق تتصاعد من ملمس أصابعها أجبرته ليعتدل مبعداً اياها قائلاً بتوتر:

-لاتخافي انه مجرد ترحيب بعودتنا ..

تراجعت بخيبة تضم اليها ذراعيها مرسلة عينيها للخارج عبر النافذة المظللة .. لو كان الى جوارها الان لارتمت بين ذراعيه .. سعت الى دفئه وأمانه ..

مطت شفتيها بحنق وعقد ذراعيها حولها قبل ان تزم فمها بأسى وتحاول السيطرة على انفعالها بفعل الاعيرة المستمرة بطريقة مخيفة وكأنها تدخل ساحة حرب (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لاتعرف كيف انتهى ذاك اليوم .. وهي تجلس برفقة كل نساء البلدة اللاتي قدمن للتهنئة بسلامة الشيخ .. كانت تستشيط غضباً .. كلها ينتفض .. انها متعبة بعد ليالٍ طويلة من الارق والارهاق .. والادهى كان قحطان..

كان منذ وصوله في مجلس الرجال .. لم يرتح للحظة واحدة ..

وكأنه لايوجد في قانونهم ان الرجل مصاب ووجبت له الراحة ..

كانت تريد النهوض من مكانها الى جوار الجوهرة والانقضاض على

مجلس الرجال ونزعه من بينهم .. وتعود لتتخيل ماقد تكون ردة فعله

.. فتجلس رغماً عنها زامة شفتيها بحنق تنظر الى النسوة بحقد ..

لم تصدق ان بعد كل هذا قُدم العشاء.. والذي كان سلسلة لاتنتهي

من الذبائح والطعام الدسم .. نظرت لجوهرة بحنق وهمست:

-الن يعدن الى بيوتهن؟!

نظرت لها الجوهرة مصعوقة وهمست:

-اصمتي يامجنونة .. لو سمعتك أمي او جدتي سيقتلنك..

مطت شفتيها بحنق مشيحة برأسها وهي تفكر انها من تود قتل

حماتها التي تبدوا كأسعد نساء الارض..

ومن مكانها رأتها تهتم بشكل زائد عن الحد بتلك الفتاة التي كانت

تنوي خطبتها لقحطان !!

عقدت حاجبيها بشدة وهي تراقب تصرفات هدية الغريبة وهي تعامل

الفتاة بطريقة مثيرة للشك.. مالذي تنتويه ياعمتي.. فكرت بحقد ..

قبل أن ترفض بلباقة دعوة الجوهرة لمشاركتها العشاء وهمست:

-لا اريد شكراً ..

-سيادة أنت لم تأكلي منذ الصباح .. حتى الغداء رفضت تناوله..

اعترضت الجوهرة لتتنهد سيادة وتهتف بسأم:

-انا لااشعر بالجوع .. سأكل شيئاً خفيفاً قبل أن أنام لاتقلقي علي..

-كما تشائين..

صرحت المرأة بلاهتمام وهي تنشغل باطعام ابنتها الصغيرة .. راقبتها سيادة بابتسامة .. كانت الصغيرة جميلة جداً .. تتمتع بشعر والدتها الغجري الطويل.. بالاضافة لعينيها الواسعتين .. كانت تحبها .. وتدرك ان قحطان يحبها كذلك..

قحطاان ..!!

عاد قلقها لتنهض بسرعة وتتجه لحماتها الضاحكة ببشاشة للفتاة التي نسيت اسمها ووقفت الى جوارها هاتفة:

-عمتي..

التفتت الانظار اليها ووجدت الفتاة الصغيرة تناظرها بحدة جعلتها ترفع رأسها بتعجرف وتشيح عنها هامسة لهدية:

-قحطان عليه ان يرتاح .. انه مجهد منذ الصباح الاتعتقدين عمتي..

واصبغت رجاءاً على نبرتها دغدغ قلب العمة بقلق على ولدها وهمست تشق طريقها تلحقها كنتها:

-معك حق لقد تأخر الوقت.. لقد نبهت علي الا يتركه على هواه وان يصر عليه ليعود الى غرفته..

-انه لايسمع لأي منا ابداً ..

اعترضت سيادة بحنق لتضحك هدية:

-انه شيخ العزب .. مالذي تظنين؟؟

تجاهلت سيادة حنقها وتبعتها الى الممر الموصل بين المنزل الرئيسي ومجلس الرجال الخارجي .. وراتها تتصل بعلي وتسأله عن قحطان .. وبعد لحظات صمت اغلقت الهاتف قائلة:

-سيغادران في الحال فقحطان نفسه قد تعب..

-هل هو بخير؟؟

تسائلت بجزع لترمقها هدية بحاجبين مرفوعين وحدة هاتفة:

-بالطبع هو بخير.. سيأتيان في الحال .. غطي شعرك..

سارعت بتغطية شعرها واسدال جزء من غطاءها على وجهها وهي تقف لاستقبال زوجها الذي ظهر بعد لحظات برفقة علي ..

-ستغادر الليلة؟؟

-بعد صلاة الفجر ان شاءاللّه .. لدي محاضرة مهمة علي اللحاق بها..

-بالتوفيق اخي.. سأراك عند الصلاة..

قالها بابتسامة يخفي بها علامات الارهاق والالم الذي عصف به منذ ساعات .. والذي تحمله بجلادة وهو يقف الى جوار جده في المجلس الى جوار عائلته واهل بلدته .. وكان اتصال امه السبيل الوحيد لنجاته من السقوط ارضاً.. وكانت هناك بانتظاره .. وهي الى جانبها .. خفق قلبه رغماً عنه بشكل أقوى وهو يرى هيئتها المستورة والتي اقتربت منه حالما رأته قائلة بلهفة:

-هل انت بخير؟؟

رفع حاجبيه وهمس:

-نعم انا بخير لما القلق؟؟

نظرت له من تحت غطائها ولم تفتها النظرة المرهقة لعينيه ولااحمرارها .. امسكت بذراعه بين يديها وقالت بحدة:

-انت مريض وتحتاج للراحة ولم يكن عليك ان تتعب نفسك بهذه الطريقة..

اراد ان يسحب ذراعه.. يعنفها ويخبرها ان اكرام اهل بلدته اهم عنده من اي شيء اخر .. ولكن .. نبرتها المخنوقة قلقاً عليه ألجمته ..

وجعلته يبتسم بصمت ويقترب من امه ليقبل كفها متمنياً لها ليلة سعيدة يطمئنها بها على نفسه ..

كانت سعادتها لاتوصف وهي تتآبط ذراعه وتسير واياه بصمت الى جناحهما .. كانت قد نظفته بمساعدة الجوهرة والتي لم تبخل عليها وقامت بتعطيره وتبخيره بطريقة مذهلة.. .. وكانت ردة فعله تشرح القلب.. اتسعت ابتسامته وهو يدخل ليجد الجناح المكيف ذو الرائحة الطيبة والاضائة الخفيفة .. شعر بارتياح غامر حال دخوله .. لطالما قال له جده ان الرجل السعيد حقاً في حياته هو من يجد راحة عقله وقلبه حال اغلاق باب بيته عليه .. وهو الان .. يشعر بشيء من تلك الراحة !!

رفع بصره الى تلك المرأة .. سبب راحته حالياً.. رآها تنزع عنها غطاء رأسها وتلحقها بالعباءة .. وتسمرت عيناه عليها .. كانت ترتدي ثوباً ناعماً الى ركبتيها وشعرها الاحمر الناعم مكوم اعلى رأسها .. رأها تقترب منه.. ساعدته على نزع سترته الخفيفة .. وابتعدت لتعلقها في مكانها ..

راقبها بحذر .. متأنياً يحاول الاحتفاظ بكل حركاتها في رأسه كيف تلتوي عنقها الطويلة اعلى كتفيها المرمرين وكيف يتهادى خصرها

على ساقين طويلتين من العاج .. اشاح برأسه مرغماً .. لايكاد يطيق ماتفعله مراقبتها به ودقات قلبه.. دمدم بشيء عن استخدام الحمام .. فراقبته يشق طريقه برأس شامخ لايكاد ينظر اليها .. شعرت بالخيبة واقتربت من المرآة تراقب ثوبها الناعم وانسداله الملفت حول قوامها الرشيق المغري.. ألم اعجبه؟؟!! فكرت بألم .. لم ينظر لي حتى .. لاتيأسي سيادة ..

فاجأها صوت من اعماقها .. لتأخذ نفساً عميقاً وتحزم امرها لن تجعله يحطم أملها بأن تسيطر على مشاعره وتجعله يتمرغ في غرامها .. سارعت لتغيير ملابسها مستغلة غيابه .. وبعد لحظات قليلة كان يعود الى الغرفة وقد اتردى ملابس نومه ليتسمر وهو ينظر لها .. كانت تجلس شبه مستلقية على كرسي حب منجد تنتظره وقد اسدلت شعرها حولها كهالة شمسية غشت بصره للحظات قبل أن يستوعبها بصعوبة ..ابتسمت بسخاء لتظهر اسنان لؤلؤية لعبت بأعصابه رفعت ذراعها تدعوه اليها باغواء .. ولم يستطع السيطرة على ساقيه اللتي قادته اليها بضعف التقطت اصابعه كفها الممتد اليه بقوة قبل ان تجذبه هي ليجلس في الحيز الضيق جوارها وبخفة عقدت ذراعيها حول عنقه وهمست:

-هل تشعر بأنك بخير؟؟

غرقت عيناه بسحر عينيها بسهولة بذلك الزمرد اللامع تحت أشعة شمسها الذهبية وفتنة رائحته العطرية المنعشة تذكر الرائحة على الفور .. رائحة الليمون الحاذقة .. التي تسربت الى اعماقه وجرته الى اغوائها الصامت بنعومة ..

شعرت بذراعيه تحيطان وسطها وتقربانها اليه بخفة قبل ان يميل رأسه ليدفن شفتيه الى التجويف خلف اذنها متنشقاً عبق رائحتها المجنونة .. اغمضت عينيها مستسلمة لمشاعرها التي رقصت بداخلها بجنون وهي تتخلل خصلات شعره الكثيف بأصابعها .. همست باسمه بنعومة .. شاعره بمداعبة طرف أنفه الحاد كالسيف الى جوار نبضها الخافق بقوة ..

-رائحتك زكية ..

همس بخشونة لتبتسم وتحيط وجهه بكفيها وتبعده لتقع عينيها في عينيه هامسة:

-رائحتي فقط؟؟

غشيه صوتها الناعم بالنبرة الفرنسية المغوية وعينيها تلمعان باغراء لم يفته .. واستجابت له كل خلاياه بعنف جعله يتأوه من اعماقه ..

ارادها وبقوة .. ارادها بين ذراعيه كما ولابد كانت له من قبل.. ولكن شيء ما.. شيء ما جعله يرفع ذراعيه عن خصرها ويحيط بعنقها .. يبعدها عنه ويحدق مطولاً بتلك الزمردتين .. رأى اضطرابها وخيبتها فلم يجازف بخسارة التماسك الذي اجتاحه للحظات .. تنحنح وقال بصوت اراده قوياً .. صلباً .. فخرج مهزوزاً بطريقة مؤسفة:

-انا أشعر بالصداع سيـادة .. لنخلد للنوم ..

أزاح خوفها عليه كل مشاعر اخرى قد تفكر بها وصاحت بجزع:

-هل أنت بخير؟؟ هل اكلم علي؟؟

عقد حاجبيه بعنف لسهولة ذكرها اخيه امامه .. سهم احمق مشتعل بنار حامية اراد تمزيق شفتيها بعنف لذكرها اسم رجل اخر بتلك الطريقة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وكأنها اعتادت مناداته من نعومة اظافرها.. ورأت هي التغيير.. اصابتها نظرته المتوحشة بالذعر لتهتف:

-قحطان ماذا دهاك؟؟

أشاح عنها ونهض من جوارها بسرعة هاتفاً بصوت مكتوم:

-لاشيء.. ولااريد ازعاج احد بشيئ تافه.. انه مجرد صداع .. وحالما ارتاح سيخف..

نهضت خلفه .. تراقبه ينزع قميص البيجاما ويتمدد على الفراش ويغلق الاضواء دون كلمة اضافية .. لم تفهم مالخطأ الذي ارتكبته ليغضب ويتغير مزاجه هكذا !!! ربما فعلاً هو متعب وهي لم تراعي هذا!!

تنهدت ونزعت معطفها الحريري لتبقى بثوب نوم ناعم يصل لكاحليها .. اقتربت لتستلقي الى جواره بتردد قبل ان تحسم ترددها وتقترب لتسند رأسها على ظهره وتحيط وسطه بذراعيها .. وصلت اليها نبضات قلبه الهادرة وحرارته تجتاحها بسهولة لتهمس:

-اشعر بالبرد ..

تنهد بصمت .. اغمض عينيه بقوة يحاول السيطرة على انفعاله .. لايريد السقوط في فخ لاتتحكم فيه به سوى غرائزه .. ليس قحطان العزب من يركض خلف رغباته كالبلهاء ويستسلم لها بتلك الطريقة .. ولكن نعومة الجسد الذي التصق به كطفل لم تترك له الخيار .. وجد نفسه يستدير اليها .. ودون كلمة منه او منها كان يحيطها بذراعه لتستوطن دفئ صدره .. في حين يفترش شعرها فوقه وهو يهمس بثقل:

-اخلدي للنوم..

ابتسمت بفرح .. واحاطته بذراعيها بقوة .. وهي تجاهد لاغلاق عينيها والخلود للنوم كما قال.. كانت مجهدة وجاء سقوطها في غيبوبة النوم المريحة سلساً دون منغصات (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

أما هو .. فلم يقدر على اغماض جفن ..

وجودها بين ذراعيه بتلك الطريقة .. دفئها .. نعومتها .. ثوبها الحريري الذي لم يشعر بمثله قط .. رائحتها التي اثارت فيه كل عصب .. كل شيء نزع النوم من عينيه وجعله يحملق بالسقف .. دون أن يقدر على التحرك .. كم من قوة استلزمته ليحجم رغباته ويمنع نفسه من اخذها بين ذراعيه.. واطفاء تلك النار التي استعرت به .. منذ متى هو هكذا؟؟

أيعقل ان يكون هذا هو سبب زواجه منها؟؟ هذه الرغبة المهولة التي تمزقه ..؟؟

اغمض عينيه بقوة وهو يعاود التفكير.. ليس من الخطأ مايفكر به؟؟ انها زوجته وليست امرأة من الشارع..

تململت في رقادها .. وتكورت الى جواره اكثر .. لتقترب منه اكثر واكثر .. فهمس لنفسه بالصبر.. عله يعينه على قضاء الليـل.. !!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

بعد ساعات كان يعود برفقة جده الى المنزل بعد صلاة الفجر.. متعب ومرهق من ليلة ارقه.. لم يغمض له فيها جفن .. حالما سمع اذان الفجر انتفض الى الصلاة موقظاً اياها .. تذكر بابتسامة كم كانت خيبتها حين عرفت انها ستصلي وحدها .. ولايعرف لما ملئه ذلك بالسعادة ..

حالما اجلس جده في مجلسه سأله الشيخ:

-هل ستفطر معي بني؟؟

ابتسم قحطان ولم يرد جده قط:

-بالطبع ياشيخ .. سأدع امي تحضر لنا الفطور..

ابتسم الشيخ بفرح ودعا له بقلب راضٍ..

واثناء الافطار الذي تكون من الخبز التقليدي المطبوخ بالتنور والقهوة الساخنة برفقة العسل البلدي والتمر سأله جده:

-ماذا فعلت في عدن قبل اصابتك بني؟؟ هل انجزت ماذهبت بشأنه؟؟

عقد قحطان حاجبيه وهو يحاول التأكد ممايقول جده وقصده .. قبل ان يقرر مجاراته بحذر:

-لاتقلق جدي كل شيء على مايرام..

-لله الحمد ياولدي.. وهل قالت الطبيبة شيء عن موعد الولادة؟؟

زوى قحطان بين حاجبيه ونظر لجده باستغراب .. ليعاود سؤاله:

-مابك ياشيخ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟ ألم تسأل عن موعد وصول حفيدي الاول؟؟ ام أن الامر لايهمك؟؟

معقول؟؟؟!!

نظر لجده بذهول .. معقول مايقوله جده؟؟؟

-قحطاان بني ماصابك؟؟

تسائل الجد بقلق.. ليخرج قحطان من ذهوله ويتلعثم:

-لا .. لاشيء جدي.. كلمافي الامر اننا لم (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لم نسأل..

ضحك الشيخ وقال:

-انتم الشباب .. لابد انكما سألتما عن كل شيء الا الاشياء المهمة..

خفض قحطان عينيه وهو يفكر بذهول.. حامل ؟؟ زوجته حامل؟؟

معقول؟؟

لما لم تخبره؟؟ كيف لم تقل له؟؟

ولكن؟؟

فكر بحنق.. لابد انها تعتقده يدري..

ولكنها تدرك فقدانه لذاكرته..

ربما لم يخطر لها .. او ..

نفض رأسه بقوة .. وسارع بانهاء الفطور وودع جده وهو مصمم على معرفة الامر بحذافيره..

كانت بداخله لهفة غريبة .. كلها شوق وتأمل .. قلبه يخفق بقوة .. ذهب مباشرة الى الجناح .. وهناك كانت تنتظره ..

حالما راته يدخل انتفضت واقفة اليه وقبل أن يقول شيئاُ كانت ترتمي بين ذرعيه هاتفة بشوق:

-لما تاخرت قحطان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ؟؟ قلقت عليك؟؟

اضطرت مشاعره وهو يغرق في احساس قدها الغض الذائب بين ذراعيه .. خفض بصره نحوها وقبل ان يفتح فمه .. كانت تقبله بيأس.. بشوق ..

تفاجأ للحظة .. ولكنه سرعان مااستلم المبادرة الجريئة .. ليتحكم بكل مافيها ..ويغرقها في ناره المشتعلة بلارحمة .. شوق الامس كله .. صبه الان .. تهاوت بين ذراعيه وهي تحاول التشبث به .. ليعفيها من مجهودها ويحملها بين ذراعيه بخفة يقودها للفراش .. وحالما وضعها

على الوسادات الناعمة .. ابتعد عنها .. بنفس مخطوف .. ومشاعر ثائرة .. نظرت اليه ..

كان صدره يكاد يحطم ضلوعها بأنفاس قوية هائجة وهو يسألها بشحوب:

-أنت حامل؟؟

اتسعت عينيها لوهلة .. وغرقت في عينيه .. تتأمل نظرته الغريبة التي زلزلتها .. ظل ينظر لها بعينين متقدتين .. لهفة أنفاسه وصلتها دون جدال ..ارتجفت مقلتيها وهي تتخيل أن تخذل ذلك التوق الشاحب في عينيه .. تتخيل ان تحطم أملاً امتلأت به أنفاسه واشتعلت .. ترددت الكلمة في حلقها وباتت غصة صعب عليها التخلص منها ..خفضت عينيها لتشعر بأصابعه تحيط عنقها وترفع رأسها اليه لتجبر عينيها على الالتقاء بعينيه وهو يهمس:

-أجيبيني سيـادة.. أأنت حقاً حامل..

كيف لا ..

همست ذاتها واتبعتها شفتيها بارتجافة .. ليستقبل اجابتها بابتسامة .. رائعة خطفت أنفاسها بقوة قبل أن يعيدها اليها بنعومة .. وهو يميل ليطبع عليها قبلته المخدرة الرقيقة ..

تأوهت من اعماقها وهي تذوب .. تذووب دون أمل .. ارتخت ككائن هلامي لاتعرفه بين يديه .. شعرت بيده تضغط بخفة على بطنها الضامرة قبل أن ينزل بشفتيه عبر عنقها .. ببطئ مثير .. أفقدها صوابها .. لتعض شفتيها بقوة كي تكتم صرخة اعتراض مدوية على مايفعله بها ..

كيف يقودها الى الجنون .. ورأسه يستريح قرب بطنها .. وينظر لها بعبث حاجبيه مرفوعان باستغراب وهو يهمس:

-أتعنين أن عمرو قحطان العزب يرقد هنا؟؟

واصابعه تضغط عليها بخفة ليحتقن وجهها وتدمع عينيها رغماً عنها..وهي تفكر الأن .. الأن ستخبره ان الامر كان مجرد خطأ .. وأن الطبيبة في عدن قد ابلغتهما بعدم وجود حمل قط .. ابتلعت ريقها بصعوبة .. الان يجب ان تدمر هذه الفرحة العامرة في عينيه.. الان عليها ان تمزق ابتسامته .. وتبعثر دفئه وتعود لتلتفح ببروده وقسوته .. !!

لا لا .. تصارعت المشاعر بداخلها وبات كل واحد منهما بضراوة لبوة جائعة .. حانقة تخشى على احد أطفالها .. لاتستطيع أن تحطم الرجاء في عينيه .. النبض الضارب خلف ضلوعها يتلهف الى هذا

الحنان والدفئ.. لاتقدر ان تحرم نفسها من قوة عاطفته من لهفته .. لقد أدمنت .. ولاسبيل لأن تعالج ابداً ..

ارتجفت ابتسامة على شفتيها والتمعت عينيها بعاطفة لم تقدر على السيطرة عليها ابداً .. همست:

-هل أنت موقن انه صبي؟؟ وأسميته ايضاً ؟؟

تيبس للحظة .. وغرق في ابتسامتها الشاحبة قبل أن يأتيه تأكيدها المبطن .. ورغماً عنه شعر باحساس يفوق أي وصف يداهمه ويغرقه كموجة عنيفة لاقرار لها .. ليضحك بقوة واضطراب .. ثم يقبلها على بطنها بعمق وقوة أرسلت ارتجافة قوية عبر جسدها كله .. قبل أن يستند على ذراعيه ويشرف عليها هامساً امام وجهها:

-الطفل الاول لشيخ العزب صبي .. انه قانون الوراثة ولاجدال فيه ..

حبست انفاسها برهبة لقربه المثير.. رائحته المسكية تغرقها في نشوة مثيرة قبل أن يختم كلماته وهو ينحني ليضمها اليه في عناق جامح .. جعلها تتخبط في مشاعر قوية بين احساسين متناقضين كلياً .. فكلها يهتف انها قد أحكمت السيطرة .. وبكل قوة على هذا الأسد القوي .. واحساس مزعج .. ينبض فيها بكل شراسة انها وبالمقابل .. قد فقدت سيطرتها على نفسها .. فقدت السيطرة كلياً ..!!

***

نهاية الفصل

شيـوخ لاتعترف بالغزل

الفصل السادس عشر

***

بعد أسبــوعين..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هطل الثلج بقوة .. اغلقت الطرقات وحبست العديد في منازلهم ومكاتبهم بعد نهار عمل طويل .. وبدت السماء مكفهرة تعد وتهدد بالمزيد .. تنهد بضيق وابتعد عن النافذة مغلقاً الستائر المتحركة خلفه بحركة ضجرة.. لقد سئم هذا الجو.. في هذا الوقت من السنة تصبح نيويورك ابشع مدينة في العالم .. جلس على مقعده واغمض عينيه .. كم يتوق لجو دافئ.. شاطئرملي ناعم وامواج بحر تداعب اصابع قدميه .. ابتسم وهو يمعن في الحلم .. وهي الى جواره.. تنظر اليه بعينيها تلك .. الذائبة في بحر القهوة الداكن .. تنهد باشتياق .. وكله

يتوق اليها تلك اللتي سلبت لُبهُ من النظرة الاولى .. تلك التي خطفت انفاسه وجعلته يفعل المستحيل ليحظى بها .. وسيفعل..

ابتسم .. موقناً من نجاحه .. من مقدرته على اعادتها اليه .. برضاها .. ولن يقبل بأقل منه .. جائزة على صبره الذي امتد شهوراً ..

اسند رأسه للوراء وحاول ان يغرق اكثر في الحلم حين سمع الرنين الخاص بهاتفه .. مط شفتيه بانزعاج .. قبل ان يجبر ذراعه الكسولة ان تمتد ليلتقطه من على المنضدة الى جواره ..وضاقت عيناه وهو يرى اسم المتصل.. فتح الخط وتحدث بكسل:

-مالذي تريده راندال؟؟

ولكن كل كسله طار بعيداً عنه وهو يسمع كلمات محدثه الهادئة ليعتدل في جلوسه وتتسع عيناه بحدة صارخاً:

-مالذي تعنيه بأنه ترك كل التحضيرات وعاد لباريس؟؟

استمع لمحدث بضع لحظات قبل ان ينفجر بثورة:

-وكيف تسمح له من الاساس بمغادرة الاستديو دون ابلاغي..

عاد محدثه يسوق الاعذار التي لم تشفي غليله فعاد يصرخ :

-أنتم مجرد حفنة من الاغبياء..

وقبل ان يسمع الاعذار التالية كان يصفق الخط بوجهه بحزم ويتصل بمن لديها لاريب مايبحث عنه من اخبار.. وحالما وصل اليه الصوت العابث حت صاح :

-اين انت روبي؟؟

لم يمهلها حتى لتجيب ليعاود سؤاله:

-اين هو فراس العزب الذي عهدتك اياه؟؟؟

-لقد سافر..

همست بارتجافة وهي تعي ثورته من نبرته المخيفة ليغمض عينيه بقهر صارخاً:

-كيف ؟؟ كيف يسافر دون علمي؟؟ هل اتعامل مع مجموعة من الاغبيااء؟؟

-لقد حدث الامر بسرعة ولم نكن نعرف عنه .. لم اعرف الا حين جاء لوداعي هذا المساء سيدي..

قالت متلعثمة ليصرخ:

-ولم تكلف عناء نفسك ان تخبريني؟؟ ايتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

ومضى يسبها بوقاحة قبل ان يغلق الهاتف ويطلب رقماً اخر .. استغرق بضع وقت قبل ان يجيب الطرف الاخر والذي حدثه بهدوء محاولاً السيطرة على غضبه:

-مرحباً جاك .. اريد التحقق من اسم احد المسافرين الى باريس.. لقد غادر في وقت ما هذه الليلة .. اريد ان اعرف متى سيصل الى هناك ..

واخذ نفساً يستمع خلاله لمحدثه قبل ان يرد بنزق:

-اريده الان جاك لاتحدثني ابداً عن ضغط الوقت.. اسمه فراس.. فراس سالم العزب..

قالها بنزق ثم اغلق الخط متوجهاً الى النافذة المطلة على الشارع الاكثر ازدحاماً بالسيارات في العالم مشعلاً احدى السجائر الامريكية الرفيعة .. ويغرق في دخانها بعد لحظات بتنهيدة عميقة وعقله يعمل ك الصاروخ لايمكن أن يسمح لذلك الفتى بافساد ماخطط له لأسابيع!! كان يعقد العزم على العودة الى باريس بنفسه في نهاية الاسبوع .. مطمئناً أن المنافسة بعيدة .. وغافلة .. ليفاجأه الفتى بأن يسبقه؟!

سحب نفساً عميقاً أخر واغلق عينيه بقوة وهو يدعك رأسه بعنف..

لا لا .. لن يترك غراً كذاك يفسد ماخطط له.. ولاأن يأخذ منه تلك الحورية التي ستفك روحه من عقالها وتدعوها الى الحياة الحقيقية بعد طول سجال مع ذاته الغريبة التي لم يجد لها قرار!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

باريــس..

مساء ليلة مشابهة .. باردة ..قارصة ..

وهي تقف وحدها .. في مواجهة زوجة عمها الغامضة ..

-لا أستطيع الخروج لهم هكذا؟؟

هتفت بيأس لتصيح ايفا بعناد:

-نحن لم نخطط كل تلك الايام لتجبني في النهاية سولي.. انت يجب ان تخرجي وتري الجميع كم أنك جميلة..

اشاحت سلمى بيأس تخفي وجهها بين كفيها وتصيح:

-ولكنني عارية .. انظري الي..

نظرت لها ايفا مصعوقة .. كانت ترتدي ثوباً ناعماً من الحرير المطعم بالدانتيل باللون الاخضر الغامق بزهور بلون دخاني زينت حاشيته.. بكم قصير وفتحة عنق ضيقة .. في حين رفعت شعرها مكوماً خلف عنقها بطريقة أنيقه أخفت طوله وكثافته الغزيرة لتترك خصلات

ملتوية على جانب وجهها فقط .. كانت زينة وجهها على بساطتها المفرطة قد أبرزت جمالها المميز وحافظت على لون بشرتها الحنطي المميز..

-أنت ترتدين ثوباً مغلقاً من الرأس الى العنق ماذا تريدين اكثر؟!

-شعري؟!! ذراعاي..

همست باضطراب وأضافت:

-الثوب ضيق ويكشف جسدي..

-أنت جميلة جداً سولي.. توقفي عن ظن العكس او التشكيك بنفسك حبيبتي..

نظرت لها بعجز لتقترب ايفا مصرة على ماتريد:

-سينظر الجميع لك باعتبارك آية من الجمال فلما تظنين على نفسك هكذا احساس(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ولكن .. عائلتي..

ترددت .. بخوف وعينيها تتسعان بوجل:

-لو رآني أحد اخوتي؟!!!

-ومن اين سيأتي اخوتك الان؟!

صاحت ايفا بضيق.. لتنكمش سلمى متراجعة امام الاصرار .. اصرار أمرُ من السحر.. لتقترب تلك المشعوذة كما بدت لها في تلك اللحظة هاتفة بصوت ناعم كنعومة جلد افعى رقطاء:

-انصتي لي سولي.. أنت تستطيعين ان تعيدي فراس صاغراً لباريس.. تعيدينه لك وتمارسي حياتك الطبيعية كزوجة .. يجب ان تغريه بالعودة اليك .. لايجب ان يأتي ويراك كما كنت؟! كما تركك.. يجب ان يشعر بما فقده .. بمايمكن أن تقدميه له..

نظرت لها بتشتت فأصرت عليها:

-أنت الوحيدة القادرة على اعادته لصوابه .. فقط باثباتك انك أنثى أجمل وأكثر جرأة من كل من عرفهن بحياته قبلك.. ألاتفهميني؟!

هزت رأسها بخوف.. بقلق .. هي لاتفهم .. لاتستطيع فهم مالذي تجنيه تلك المرأة مما تفعله معها.. أحقاً تريد اعادة فراس لها .. فراس الذي لم تسمع منه منذ اسابيع طويلة .. سوى بضعة اخبار توصلها لها ايفا من وقت لأخر.. حتى عمها سالم .. والذي منذ عودته الى باريس قبل اسبوعين وشجاره المهول مع زوجته بسبب ماقاله ان سيادة تفضل البقاء مع زوجها وهو لايبقى في القصر سوى لساعات قليلة من وقت

لأخر ويعود ليغادرهم .. تاركاً اياها فريسة للمرأة الفرنسية التي استحوذت عليها بالكامل..

لن تقول انها مستاءة ممافعلته لها ايفا .. فهي اصبحت اكثر جمالاً وثقة .. اكثر ايجابية .. حتى انها تعلمت بعض الفرنسية بفضل الدروس المكثفة التي تلقتها منها .. والان .. انها تواجه أكبر تحدٍ في حياتها .. انها تواجه نفسها .. عاداتها وتقاليدها .. دينها الذي تشبعت به منذ نعومة أظفارها ..

-لاتفكري سولي..

همست الى جوار اذنها .. بفحيح ارسل قشعريرته على طول عمودها الفقري..

-لن تتركي ترددا بسيطاً.. يقضي على ماخططنا له طيلة الاسابيع الماضية.. ولاتنسي ان فراس في طريقه الى هنا هذه الليلة ألاتريدينه ان يرى كم أنت جميلة؟؟

نظرت لها بقلق لتقبض ايفا على كفيها بقوة وتقول مشجعة:

-لاتترددي ياابنتي.. لاتتركي نفسك للشكوك .. كوني قوية .. وافعلي ماتدربنا عليه.. هيا.

بقي القليل فقط .. القليل فقط من التردد والعظيم من القلق ..

وخطواتها البطيئة تتبع ايفا الى حيث الحفل الذي تقيمه للترحيب بها وتقديمها لأصدقائها كزوجة لابنها الغائب..

خطواتها اثبتت تقدمها الكبير .. فبرغم قلقها وخوفها الكبير جائت واثقة .. هادئة متمهلة .. تتقدم نحو جموع الناس الالتي امتلأت بهم الصالة الواسعة .. وكأنها تفعل هذا طوال عمرها .. حتى وجهها الذي اصطبغ بالحمرة القانية .. ويدها التي ارتفعت بغريزية لتلامس شعرها جائت حركة دلال فاتن حبست انفاس الجمع المتشوق لرؤية الفتاة الجديدة لعائلة العزب ..!!

-انت جميلة .. فلاتخشي شيئاً..

همست لها ايفا بتشجيع قبل ان تتركها تواجه بعينيها الجمع اللاهث خلف التعرف عليها .. وبنقرات أنيقة على كأس شراب تحمله ..

جذبت انتباههم .. لتعرفهم على الجميلة الخجولة ..

ورغماً عنها .. رفعت سلمى عينيها تلتقي اعينهم رأتها تحمل تساؤلات .. وابتسامات .. ثم رأته .. ليرتجف قلبها بخوف غريزي وهي ترى نظرته القاتمة .. برودة اجتاحتها .. وهي ترقب اقترابه منها .. بشكل مخيف..

ارادت التراجع ولكن .. لا .. ليست هي من تخشى أحد بعد الان ..

وقفت رافعة رأسها.. تواجهه..

-مرحباً بك سيدتي.. يالها من طلة مبهرة ..

لم تبتسم رداً على ابتسامته اللزجة .. على العكس.. واجهته ببرود ..

لم يرتح قلبها قط لهذا الرجل.. ولن تفعل.. هذا الرجل الذي يكره أخيها .. وعائلتها كلها .. بسبب عشقه لسيـادة ..!!

-مرحباً بك سيد عبدالعزيز..

اجابت بجفاء ليرتفع حاجباه بمرح وهو يقيمها بنظرة عابثة جعلتها تشعر بالاشمئزاز:

-ولما هذه الرسمية سولي.. اننا أصدقاء..؟؟

حدجته بنظرة قاسية جعلته يتراجع بارتباك وهي تقول بصوت خافت بارد:

-انا لست صديقة لك.. واياك ان تتبسط معي بالحديث واياك ان تنادني ب سولي.. أتفهم؟!! ولاتظن انني لااعرف ماتريد.. فابتعد عني قبل ان اسبب لك فضيحة..

تراجع اكثر وهو يعقد حاجبيه بعصبية في حين اقتربت ايفا هاتفة :

-سولي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ارى انك وعزيز قد التقيتما مجدداً..

-يبدو ان كنتك عصبية قليلاً ايفا..

قالها متوتراً لتضحك ايفا وتجذب سلمى اليها:

-لاتزعجها عزيز .. فهي بانتظار فراس الذي تأخر كما يبدو .. هيا بنا سولي لدي اشخاص كثر اريد تعريفك بهم..

تجاهلته سلمى كلياً وهي تتوجه مع حماتها حيث مجموعة من الاصدقاء لتتعرف بهم في حين وقف عبدالعزيز ينظر بإثرها بعينين ضيقتين.. منذ عرف بأمر عودة سيادة لأخيها المجرم .. وهو يخطط للانتقام منه .. وماهو افضل من استخدام اخته الصغرى لفعل هذا؟؟

وابتسم بشماتة يتخيل فقط ماقد تؤول اليه الامور حين يسبب لذلك الشيخ الفضيحة المثلى .. ويقضي عليه تماماً .. بمساعدة شقيقته !!

***

كان يوماً متعباً للغاية ..

جلست مرهقة.. تضع مرجعاً ضخماً على الطاولة أمامها وتنظر له بغيظ .. مالذي جعلها تقترح عليه ذلك الاقتراح الاحمق باستكمال الدراسة؟؟!! تكاد تشد شعر رأسها من فرط غبائها.. لقد نسيت كل شيء عن المذاكرة والدروس وغيرها .. والان كمن رموا بها الى بحر متلاطم وهي لاتجيد السباحة.. وعليها أن تنقذ نفسها ..!!

زفرت بضيق وعقدت حاجبيها وهي تدير بصرها بمن حولها .. كانت في كافيتيريا صغيرة جميلة بداخل الحرم بانتظار انتهاء رعاد من محاضراته ليعودا معاً .. خفق قلبها بعنف وهي تذكره .. واحمر وجهها كعادتها في الايام الاخيرة .. فعلاقتهما بعد تلك الليلة اليتيمة لم تعد كما كانت قط .. تعرقت يديها وهي تتذكر كيف قضت تلك الليلة نائمة على صدره .. يهدهد دموعها برقة لم تعرفها قط .. كل خوفها ورعبها منه في الماضي اختفى.. لم تشعر يوماً كما شعرت وهي بين يديه .. لم يطالبها بشيء.. لم يرغمها على شيئ.. لم يفعل سوى ضمها بين ذراعيه بقوة .. وتحمل دموعها التي سكبتها بغزارة.. حتى نامت.. وحين استيقظت لم يكن معها .. كان يؤدي الصلاة في المسجد .. وبعد أن عاد .. وحتى هذا اليوم .. لم يذكر تلك الليلة .. وكأنها لم تكن .. لم تحدث قط الا في مخيلتها .. وحدها .. !!وبعدها بأيام جاء يخبرها انه وجد شقة جديدة .. قريبة من الجامعة وبغرفتي نوم منفصلتين !! تنهدت وفكرت.. هل غضب مني تلك الليلة؟! ربما فعل؟! لقد أزعجته .. وفعلت مالا يغتفر بذلك الاستسلام المذل والمروع ..

-غزووووولة ..

انتفضت بذعر وهي تلتفت للفتاة ذات الحجاب الاصفر والملامح المرحة والتي أخرجتها من دوامة افكارها المجنونة بطريقة عابثة تراقصت لها عينيها حادتي الذكاء بمرح:

-هبة يامجنونة أخفتني..

ضحكت هبة .. زميلتها وصديقتها الجديدة وهي تحتل المقعد الى جوارها قائلة:

-اني اناديك منذ ساعات وانت في عالم اخر؟؟ بمن كنت تفكرين .. اعترفي؟؟

قالتها تغمز بعينها بخبث تورد له وجه غزل وهمست بخفوت:

-انت عديمة الحياء..

ضحكت هبة بصخب جعلها تحتقن خجلاً وجذب انظار الفتيات حولهن ورأت غزل احداهن تنهض لتقترب منهما هاتفة:

-هبة ؟؟!! ضحكتك ستصل الى مكتب العميد .. الن تكفي عن هرجك هذا؟؟

استمرت هبة بالضحك غير ابهة لماتقوله الفتاة التي نظرت لغزل بوقاحة :

-أنت طالبة جديدة؟؟

لم ترتح لها غزل .. نفور غريزي واجهت به الفتاة ذات العينين المثقلتين بالكحل ووجه اثقلته الزينة في نهار جامعي ..!!

-اي قسم تدرسين؟؟

تنحنحت غزل وهمست بتردد:

-تقنية معلومات..

رفعت الفتاة حاجبيها وهمست:

-لاتكثري جلوسك مع هذه الهرجة والا فأنك لن تغادري السنة الاولى.. ابداً.

عقدت غزل حاجبيها بانزعاج من فظاظة ماقالته ونظرت لهبة التي توقفت عن الضحك ونهضت تواجه الفتاة قائلة بحنق:

-مالذي يزعجك رانيا؟؟ لما أنت متضايقة من ضحكي هكذا؟؟

-لأننا نذاكر هنا ياهبة ولسنا في مقهى..

تلفتت هبة حولها تطالع المكان قبل ان تعيد انظارها للفتاة امامها هاتفة بحدة:

-بل اننا في مقهى.. ونحن نأتي هنا للاستراحة من الدروس لو رغبتي بالمذاكرة فتوجهي للمدرج ..

-توقفا عن هذا..

نهضت غزل بسرعة هاتفة بذلك تقف امام الفتاتين اللتان ارتفعت حدة اصواتهما عن المقبول امام الجميع في حين نظرت لها رانيا بحدة وصاحت:

-خذي صديقتك واذهبا للحديقة اذا اردتما الضحك والمزاح اما الجميع فيرغب بالهدوء.

-ومن قال هذا انت؟؟!!

صاحت هبة بعناد لتزفر غزل بضيق وتحاول التدخل لتقطعها رنة هاتفها وترى اسم رعاد ينيره.. فعرفت انه لابد ينتظرها في المكان المعتاد .. لذا جذبت هبة من ذراعها وقالت بارتياح:

-لابأس هبة تعالي ..

ثم التفتت للفتاة الاخرى وقالت بتوتر:

-اسمعي سنترك لك المكان كله..

الا ان هبة صاحت بعناد:

-لن اغادر لأي مكان..

زفرت غزل وصاحت بها:

-تعالي هبة لقد جاء رعاد ..

زفرت هبة بحنق وهي تأسف مجيئه المبكر .. في حين نظرت رانيا لغزل بحدة وهتفت:

-رعاااد؟؟ تعنين رعاد العــزب؟؟

ضاقت حدقتا غزل وهي تحدق بالفتاة وعقلها واشياء أخرى تستشيط ناراً بمجرد ذكر اسمه منها في حين قالت هبة بسرعة:

-اه صحيح رعاد دفعتك اليس كذلك؟؟

نقلت الفتاة بصرها بينهما وقالت بخشونة:

-انه زميلي هذا صحيح؟؟ من اين تعرفانه أهو أخوك؟؟

-انه زوجــي..

قالتها ببرود .. يخفي النار التي اشتعلت والتي استعرت أكثر وهي ترى شحوب من تقابلها وتقارن الاسم في ذاكرتها منذ مدة باسم الفتاة لتضع لها صورة واضحة .. قبل ان تشيح عنها وتقول لهبة بحدة:

-هيا هبة .. فرعاد يكره الانتظار..

وتحت أنظار رانيا المذهولة تجاوزتها الفتاتان للخارج حيث تسارعت خطوات غزل الحاسمة تتبعها هبة التي شعرت بتغير ماحولها ولم تلتقط سوى شذرات كهربائية لم تفهمها ..

-غزل؟؟ ماذا كان هذا بالضبط؟

-لااعرف..

حسمت غزل بحدة وعينيها تجولان في الموقف القريب عن سيارة زوجها البيضاء والتي اقتربت منهما بسرعة .. كانت اعتادت في الايام الماضية على ايصال هبة معهما لقرب منزلها منهم وارتياحها لها..

حالما جلست الى جواره رمقته بطرف عينها كانت ملامحه مشدودة كعادته .. وبالكاد رد السلام الذي القته عليه هبة بصوت خجول ..

اما هي فقد اختارت الصمت كي تستطيع هضم ماتشعر به وفهمه ..

لهيب حارق امتد عبر جسدها كله وهي تسمع اسمه من تلك الفتاة ..

لابد انها هي.. تلك التي وجدت اسمها على هاتفه..

غصة امتلأت بها حنجرتها وهي تغرق عينيها في الطريق الممتد امامها ويبدو بلانهاية ..تشعر بجفاف في حلقها ورغبة بالصراخ ولاتدرك السبب ..

اوصلا صديقتها مع وعد باللقاء في اليوم التالي .. قبل ان يمضي رعاد بالسيارة نحو منزلهما القريب وهنا قالت بشرود:

-احتاج لشراء بعض الاشياء من السوق؟؟ أتأخذني اليوم؟؟

رأت انقباض اصابعه حول المقود وهو يهمس:

-ليس اليوم .. لدي عمل كثير..ربما نذهب غداً..؟؟؟

رضخت بصمت.. وامتد بهما حتى ولوجهما الى الشقة الفسيحة .. الباردة .. شعرت بالقشعريرة تقرصها وهي تتجه الى غرفتها لتلوذ بها قبل تحضير الغداء كالعادة .. جلست حائرة في تلك المشاعر التي عادت تهاجمها دون تفسير مقنع تهنأ به ويخفف عنها قلقها واستغرابها من حالها .. لم تفهم لما يجب ان تغضب من امرأة تنادي باسمه امامها؟؟

هاهي هبة تفعل دون ان تثير في نفسها ذلك الألم والحقد؟؟

فلم تلك؟؟ نهضت بعصبية تأخذ حماماً دافئاً قبل ان تغير ثيابها الى ثوب قطني طويل ومريح ثم وقفت أمام المرآة تربط شعرها الذي بدأ يستطيل حتى وصل الى رؤوس كتفيها .. عقصته بسرعة وجائت بطرحتها لتضعها عليها حين توقفت يديها في الهواء ..وحدقتاها تتجمدان عليها في المرآة ..

مالذي تفعلينه ياحمقاء؟؟!!

سمعت الصوت ينهرها بسخرية .. فابتلعت ريقها وتسمرت تنظر لذاتها التي واجهتها بسخرية وحنق..

" لقد سبق ان رآك دون غطاء.. لقد سبق أن رأى شعرك وعنقك .. سبق ان لامسه بيديه.. وأكثر؟؟

احتقن وجهها وهمست مخنوقة:

-ولكن.. انا لم..

"توقفي عن التبرير.. أنت زوجته بحق اللّه .. وقد سبق له رؤيتك فلم تزيدين المسافة بينكما بهذه الطريقة؟؟

-لا استطيع الخروج له هكذا؟؟ ماذا سيقول؟؟

فكرت بهلع ليعاود الصوت بعصبية " لن يقول شيئاً ياحمقاء.. رعاد لم يطالبك بالحجبة عنه ولن يفتح فمه ؟؟!! كل مافي الامر انك ستكونين أكثر راحة في منزلك.. لاتستطيعين البقاء بالحجاب داخل وخارج البيت..

لانت ملامحها وهي تلامس خصلات شعرها الذابل والصوت يعاود اصراره " انظري الى شعرك .. انظري الى تقصفه وذبوله .. انت تخنقينه.. دعيه يتنفس ياحمقاء.."

عضت شفتيها بتوتر وهي تفكر..

ولم لا.. هو رأها من قبل.. ماذا سيضر؟؟ انها حقاً تخنق نفسها دون اي داعٍ .. ؟؟!! في السابق كانت تحرر نفسها أثناء غيابه ولكن الان ؟؟!! فهي لاتكاد تفك خناقها سوى ليلاً وقت النوم؟؟

ابتلعت ريقها بتوتر وجلست تقرض اظافر يدها اليمنى بعصبية..

مابين هذا وذاك لاتكاد تستطيع اتخاذ القرار.. ولكن .. يجب ان تكون شجاعة .. يجب ان تتخذه..

نهضت بحدة وهي تقرر ان تخوض التجربة ..لن تكون جبانة بعد الان .. انها قوية .. نعم انها قوية وشجاعة..

-مالذي يمكن أن يحدث؟؟

فكرت بصوت عالٍ قبل أن تقف بشجاعة وتتجه نحو الباب سافرة الرأس.. ومان أمسكت مقبضه بيديها حتى اجتاحتها حرارة قوية .. وهانت ركبتيها تحتها .. ووجدت نفسها تعود راكضة لأخذ غطاءها واحكامه حولها وقلبها يرتجف .. وهي تفكر ملياً .. ان الشجاعة لاوقت لها حالياً ..!!!

***

نقرات ناعمة على زجاج النافذة ..!!

عدة نقرات متتالية..

فتحت عينيها بسرعة .. وانصتت أذنيها لبرهة..

مطـــر؟؟!!

فكرت في غمامة من مشاعر النعاس والاستكانة .. شعرت بالبرد يغزو قدميها العاريتين فاقتربت غريزياً من مصدر الدفئ القابع قربها تلامسهما بقدميه وهي تدفن رأسها في جنبه كقطة سيامية تعشق دفئه .. وهي تدمدم راضية بهناء .. وابتسامة ناعمة تزين شفتيها ..

حين عادت النقرات ..

فجعدت انفها بانزعاج قبل ان تفتح عينيها مجدداً ..

انه مطر؟! فكرت بتشوش.. وتأوهت بانزعاج وهي تحاول الابتعاد عنه .. الا ان ذراعه الملتفة حولها ككماشة لم تفكها .. نظرت له بسرعة وقد استيقظت حواسها كلها بلحظة ..

كان غارقاً في النوم .. ابتسمت وعينيها تلمعان وهي تبعد ذراعه الثقيل من حولها باصرار قبل ان تنهض من فراشهما لتقترب من النافذة على أطراف قدميها وتطلع بابتهاج لأول بادرة للشتاء تراها في ذلك القفر.. مطر.. حاولت فتح النافذة الثقيلة ولكنها لم تفلح .. المزلاج القديم أبى بعناد الاستجابة ليديها الصغيرتين.. زفرت بحنق ونظرت للساعة التي قاربت ساعة الفجر .. وناظرت زوجها بتردد قبل ان

تقترب منه وتجلس على حافة الفراش قربه تنظر له بوله.. كم يبدو وسيماً .. فكرت عاشقة ..

خشونته .. ذقنه النامية باهمال .. خصلات شعره المتهدلة على جبينه السمراء.. عيناه المغلقتان بارتخاء..

شعرت بقلبها يخفق بقوة وهي تمد يدها لتلامس جانب وجهه بأطراف أصابعها .. بحالمية رقيقة .. قبل ان تنحني وتلامس انحنا فكه القوي بشفتيها .. قبلته بنعومة كما تحط عليك فراشة.. كما تداعبك قطرات المطر.. بخفة ورقة لاتكاد تُحس..!!

ثم احاطت كفه المستكينة على صدره بكفيها .. ورفعتها الى شفتيها .. تقبل اصابعه الطويلة االواحد بعد الاخر.. قبل ان تريح كفه الضخمة بخشونتها المحببة على مقدمة صدرها بالقرب من خافقها المرتجف وهي تهمس باسمه بنعومة فائقة ..

حين فتح عينيه لم يتخيل ان ينظر الى تلك العينين الصافيتين .. لم يتخيل ان يستيقظ ويغرق في حلم باهٍ كهذا الذي يربض امامه ..

رمش عينيه بقوة وهو يسمع همسها باسمه ناعم وخطر على دقات قلبه التي انتفضت بلاحول ولاقوة:

-قحطـــاان.. استيقظ..

فتح عينيه بقوة ونظر لها هاتفاً:

-هل حدث مكروه؟؟ ماذا هناك؟؟

رفعت حاجبيها بعبث وهمست:

-لم يحدث شيء؟؟ لم يحدث سوى كل خير..

عقد حاجبيه لتقترب منه هامسة الى جوار أذنه بعاطفة:

-صباح الخير ياشيخ ..

وقبل أن يرد .. كانت تمرر شفتيها بخفة على جانب وجهه .. مروراً بوجنته الخشنة ليغمض عينيه باستسلام لذيذ لمشاعرها المتدفقة وهي تعيد عليه التحية بطريقة بطيئة وناعمة حركت مشاعره وبقوة ..

يالله ماتفعله به.. كيف تخرجه من بروده وتسلط عليه جنونه .. كيف تحرك فيه مشاعر لم يعتقد يوماً بوجودها سوى في من خفت عقولهم .. كم من مرة حاول لجم اعصابه.. السيطرة على عاطفته امامه ولكنه لم يقدر..

دائماً ماكان يحاول افراض قوته على نفسه .. يقيدها .. يحكم العقل على العاطفة .. حتى تنظر له بتلك الجوهرتين النادرتين .. وتندس بين ذراعيه تناجيه بصوتها المغوي .. تذوب كقطعة ثلج في أحضانه..

استسلامها اللامشروط له كان يذيب عظامه .. يفقده قوته..

بالكاد يهيمن امامها على كبريائه.. بالكاد يقدر..

-سيـادة ..

ابعدها عنه هامساً بخشونة لتنظر له بوله ليبتلع ريقه بصعوبة

ويستقيم في رقاده قابضاً على كتفيها بقوة:

-مالذي ايقظك في هذه الساعة؟؟

يارب الكون.. ساعدني..

تضرعت بأسى وهي تحاول السيطرة على مشاعرها .. فقط لتبتعد

عنه قليلاً .. كي لاترتمي بين ذراعيه وتطلب منه بل تترجاه حتى

يضمها اليه ويدعها تقبع هناك .. الى جوار دقات قلبه القاسية ..

تنهدت هامسة:

-مطـر..

عقد حاجبيه بقوة لتواصل باسمة:

-السماء تمطر..

-مطر؟؟!!

تسائل بخشونة مجلياً حلقه من اضطرابه لتبتسم اكثر وتومئ

برأسها مشيرة للنافذة:

-نعم انها تمطر..

-أيقظتني لأنها تمطر؟؟

-النافذة لم تفتح لي..

بررت بضحكة مكتومة وهي ترى علامات نفاذ صبره الوشيك ..

لينهض بسرعة متجهاً للنافذة ويفتحها بسهولة وهو يقول بحنق:

-هاهي نافذتك..

قالها واستدار عائداً للفراش لتتشبث بذراعه معترضة:

-الى أين تذهب؟؟

نظر ليديها بحدة قبل ان يرفع عينيه لعينيها المتحديتين وهي تهمس :

-ماالفائدة لو لم تشاركني؟؟

حملت ملامحه حيرته لتضحك بصفاء وتجذبه لها.. وقفا أمام النافذة المشرعة .. وقطرات المطر تمتزج بالتربة الطينية وترفع رائحتها الزكية .. وبرودة منعشة تنتشر في الهواء حولهما وسيادة تغمغم متنشقة الهواء بعمق:

-أليست منعشة.. ؟؟!!

نظر لها قحطان لايصدق ان هذه المرأة بالغة الانوثة تثيرها رائحة التربة المبلولة بالمطر.. نظر لها وكيف شعت عينيها بالاثارة وهي تقف

متولهة بالمطر عبر نافذة ضيقة .. وحينها انتبه للقطرات التي وصلت اليها .. أندت كتفيها العاريين .. فجذبها هاتفاً بخشونة:

-لاتقفي بهذا الثوب امام النافذة..

نظرت له بخبث وابتعدت تضع يديها على خصرها هاتفة بمكر:

-مالذي لايعجبك بثوبي الان ..أذكر بأنه اعجبك بشدة ليلة امس؟؟!!

اتسعت عيناه لوقاحة هذه اللعوب الصغيرة قبل ان ينفجر ضاحكاً وهو يمسح على وجهه بكفه مخفياً احمرار وجنتيه التلقائي.. نعم يذكر .. بالتأكيد يفعل .. كيف لايعترف بمافعلته رؤيتها بذلك الثوب الاحمر القصير ذو الحواشي البيضاء والذي لم يصل طوله الى ركبتيها ابداً .. !!

اتسعت عيناها بذهول .. وهي تلاحظ احمرار وجهه .. يالله .. كم تريد التغزل به .. كما لم تفعل قط مع سواه ..تريد اسماعه عبارات تزيل التقطيبة عن جبينه .. تريده أن يحمر خجلاً .. مجدداً..!!

كادت تضحك ..هو بكل قوته .. أسدها الجبلي الجبار .. يحمر خجلاً ..

تريد ان تخبره أنه أكثر الرجال الذين رأتهم وسامة .. رغم وحشيته .. رغم نظرة الافتراس التي تتألق في عينيه في كل حين .. اقتربت ترجوها

.. ترجوا تلك النظرة التي تشعرها انها امرأة .. بكل ماتعنيه الكلمة من معنى .. امرأة تنتمي اليه هو فقط ..!!

شعر بها تقترب وتبعد كفيه عن وجهه هامسة بمرح:

-أتريدني أن اغيره .. ياشيخ؟؟!

التمعت عيناه بقوة .. بنظرة ارسلت رعدة قوية على طول عمودها الفقري لترتعش لها اطرافها باستجابة غريزية أحاط وسطها بذراعه بقوة.. وبشهقة وجلة.. التصقت به كفيها ترتاحان على عضلات صدره القوية وعينيها تتعلقان بنظرته السوداء المرعبة .. يديه ككماشة أحكمت قبضتها على كتفيها ولم تفلتها..شعرت بجفاف حلقها.. وتعلقت عينيها بعينيه .. للحظات طويلة قبل ان تستجمع شجاعتها وتعاود سؤالها برجفة.. ليبتسم .. مجرد التواء عجيب لجانب فمه .. جعلت امعاءها تلتوي بعنف وهي تشعر بتغير لمسة أصابعه الخشنة .. من القسوة الى النعومة دون مقدمات .. .. تغلغلت أصابعه بين خصلات شعرها الناري بتؤدة ولامست شعيراته الناعمة .. حتى اطرافه .. فابتلعت ريقها الجاف وهي تقاوم السقوط ارضاً بفعل لمسته البطيئة .. اصابعه التي انتقلت من شعرها ولامست ذراعها

العاري بتأنٍ مؤلم .. انتفضت له كل اعصابها الحسية .. ورقصت بسببه بجنون..

لمسة خيالية امتدت من أطارف اصابعها المتشبثة بصدره..على طول ذراعها من الباطن حتى عظم ترقوتها.. وهنا تحولت انتفاضة اعصابها لارتعادة مؤلمة .. شهقت لها بخفوت وكتمت أنفاسها.. وهو يحيط عنقها بأصابعه من الخلف ملامساً شعيراته القصيرة بخفة جعلت جسدها يقشعر وهي تستسلم لابهامه يرفع ذقنها لتقع فريسة لنظرته المتوحشة .. عضت شفتيها .. تريد الاحساس بألم ما يخرجها من دوامة العاطفة المهيمنة عليها بتلك الطريقة .. ليتحرك هو ينقض على شفتيها بفمه.. محرراً أسرها بشفتيه.. آخذاً أنفاسها أسيرة بين طيات صدره.. مصادراً حريتها بذراع وبالاخرى يسيطر على رأسها فيميل به بالاتجاه الذي يريد.. مسيطراً .. مهيمناً .. لن تتهمه بالقسوة.. لا لا ..

ليس هذه المرة .. ليس وهو يتأنى في قبلته.. في لمسة شفتيه.. ويديه!! ليس وهو يأخذ أنفاسها في رحلة بين الغيوم.. وكأنها تطفوا .. ليس وهي تغيب عن الدنيا .. وتتهاوى اسيرة لقوته..

لم يكن يقبلها فحسب .. كان يستحوذ عليها كلياً .. رفعها اليه بمنتهى السهولة والوقاحة .. وكأنها دمية بهلوانية .. طافت قدميها بالهواء.. صرخت بخوف وهي تتشبث بكتفيه وتبتعد عن غزوه المتوحش.. كان يرفعها ليحاذي رأسها رأسها وتقع زمردتيها في عينيه .. وتهاجمها عيناه بوحشية قبلاته.. فجعلت قلبها ينتفض مستسلماً وهي ترفع ذراعيها بخنوع وتحيط عنقه .. طالت النظرة بينهما حتى ظنت انها تغرق ولاشيء قد ينقذها.. حاولت ان تهمس بشيء ما ينقذها.. ولكن حلقها كان جافاً للغاية ..

ولتهرب منه .. من نفسها .. تركتها اليه .. ارتمت عليه تغرق وجهها في جانب عنقه ويديها تلتفان بقوة حوله تتشبث به كخشبة الخلاص الوحيدة .. شهق حينها بقوة .. يسترد فيها أنفاسه الضائعة كما يبدو.. وهمسها ل إسمه يداعب نبضاته الضاربة بجنون..

كانت همسة رجاء .. وصلته بوضوح ليقول بصوت أجش:

-ألا تريدين البقاء مع المطر؟؟

انتفض قلبها لنبرته.. خشونته الرجولية الصاعقة .. حركت كل أنوثتها بمهماز .. قربت شفتيها من أذنه وهمست برعونة:

-مطـري .. هو أنت..

لتترك له حرية الهطول بقوة .. محطماً كل ماامامه .. كسيل عرم..

***

غامت السماء .. منذرة بهطول الامطار كان الجو كئيباً قاتماً للنفس(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لم تعرف قط مدى اهتمام الناس بسماء منذرة .. قابضة.. انها تعشق الشمس.. تعشق أشعتها الدافئة والتي تخلص جسدها من كل الادران.. ولكن أين هي هذه الشمس الان..!!

تنهدت بضيق وعادت تناظر الطريق .. تأخر؟؟!!تلك الاسابيع حملت تطور علاقتهما بشكل خيالي.. حبها الواضح وعشقه المنبهر بها كان لايصدق.. كان يحبها .. لم يقلها مباشرة ولكنها استشعرتها .. بعثها في رسائله القصيرة وردتها له بالمقابل .. تنهدت فماستفعله الان ليس سهلاً وان لم تكن حذرة فقد تفقده ..

ضمت ذراعيها اليها وتجاهلت نظرات انصبت عليها من بعض من حولها .. تجاهلت الهمزات والغمزات التي طالتها بوقوفها في تلك المنطقة السياحية التي تجذب العديد من الزوار لمجاورتها للشاطئ.. أشاحت بوجهها للبحر المتلاطم بغضب وهي تكتم احساس بالقهر والعجز يخنقها..

-نادين..

التفتت بسرعة تنظر اليه .. كان يقف بالقرب منها .. كيف لم تنتبه الى وصول سيارته هكذا؟؟!! ارادت الركض والارتماء بين ذراعيه.. ارادت ان يضمها بقوة ويبعدها عن كل ماحولها..

-لماذا تأخرت؟؟

همست ليقترب وفي عينيه نظرة غريبة لم تفهمها..

-كنت في الجامعة انهي بعض التقارير..

التهمته بعينيها.. كان يخفي نصف وجهه بكشيدة قطنية يلفها حول عنقه باهمال.. فيما انحشرت يداه في جيبي بنطاله الجينز وهوينظر لها بغضب..

-أأنت غاضب مني؟؟

همست بخوف ليقترب معنفاً:

-لما طلبتي ان نلتقي هنا؟؟ هل جننت؟؟ انظري كيف ينظر لنا الجميع؟؟

احتقن وجهها من خلف نقابها وتلفتت حولها ترى النظرات التي احرقتها قبله .. وعادت تنظر اليه هامسة:

-كان يجب أن اراك.. احتجت أن أكلمك وحدنا..

هدر بعنف خافت:

-كان بامكانك الانتظار لأن نلتقي اليوم في منزل عائلتك أم نسيت ان أمك قد دعتني؟؟ أو كان بامكانك المجيئ الى المشفى كما اعتدنا؟؟

خفق قلبها بعنف وهي تستنكر كل ماقاله .. هذا ماجائت له اليوم.. هذا بالذات.. لذا صاحت بحرقة:

-اذا ماجئتك للمشفى فان تلك الفتاة تظل ملتصقة بنا طيلة الوقت حتى لاأستطيع التكلم معك بشيئ.. اما بشأن منزل عائلتي فهو ماجئت اكلمك بشأنه بالتحديد..

-اخفضي صوتك..

صاح بنبرة مهددة لتحبس انفاسها وهو يواصل:

-ترنيم لاتحشر نفسها .. انها بالكاد تجلس معنا..

-انها تحوم حولك ..

همست مخنوقة .. الغيرة تخنقها ظلت تكابدها في الفترة الماضية .. تحاول السيطرة عليها ولكنها لاتقدر..

-انها مجرد طفلة ..

همس باستنكار لتغلق عينيها بيأسٍ وهي تهمس:

-انها امرأة..

تنهد وهو يدرك عقم النقاش الذي يخوضانه للمرة الألف.. بشأن ترنيم.. وهو على موقفه.. لم يرى من الفتاة مايسيء ابداً .. ولن يفعل مايغضبها او يغضب شقيقها.. صديقه..

-اسمعي نادين.. أخبريني بشأن عائلتك ودعيني اغادر.. فلدي عمل.

نظرت له بحرقة .. لو استجابت لما يقوله عقلها لتركته ورحلت.. ولكن لا .. لاليس علي.. ليس حبيبها علي.. تنهدت تسيطر على اعصابها واشارت له ليجلسا على كرسي خشبي يطل على الموج الهادر ففعل..

جلست الى جواره .. بينهما مسافة تموت كل يوم على امل ان تلغيها وهو يصر عليها ..

-تكلمي..

نظرت الى وجهه المكفهر وهو يسقط عينيه على البحر بقوة متجاهلاً النظر اليها لينتفض صدرها بألم وتتجاهل غضبه الواضح وتمد يدها لتجذب وجهه نحوها هامسة:

-ألاتريد حتى النظر الي؟؟

اغمض عينيه بحرقة وامسك كفها بقوة يبعدها عنه.. لتتأوه بألم وتصرخ به:

-ماذا دهاك علي؟؟ لم أنت غاضب مني؟؟

اعتدل في جلوسه مواجهاً اياها وصاح بعنف:

-لأنك ترفضين العودة الى منزلك.. ترفضين العودة في حين ان خطر زوج امك قد انتهى.. والشرطة تبحث عنه في كل مكان بسبب اتهامات امك له وهو لن يخاطر بالتعرض اليك..

اتسعت عينيها باندهاش:

-من قال لك كل هذا الهراء؟؟

ارتبكت عيناه للحظة قبل ان يقول بتوتر:

-امك.. هي قالت بأنها قامت بابلاغ الشرطة واتهمته بسرقة مصاغها والكثير من الاموال,, بالاضافة للتعرض لها بالضرب..

ضحكت نادين بسخرية .. ضحكت حتى أدمعت عينيها وهي تفكر بما قالته امها له.. يالله كم تعشق امها تاليف القصص واختراعها.. كم تعشق الكذب..

-لماذا تضحكين؟؟

نظرت له بأسى.. ماذا تقول.. بماذا تفسر كلام امها الذي لايعقل ان يكون حقيقياً .. فالشرطة لن تعرف بالامر ابداً .. ليس عن طريق عائلتها فلو حصل لكانت امها في السجن قبله بكثير؟؟!!

-الامر ليس هكذا؟؟ انا ..

وترددت .. قبل ان تهمس:

-لاأشعر بالأمان هناك..

-وتشعرين به هناك عند رفيقتك وزوجها؟؟

قالها بحرقة .. حرقة غيرة ادمت قلبه وجرحته في العمق..

واستشعرتها هي بقلب أنثى عاشقة ..ارتجف لها قلبها ورقص بفرحة طاغية ..

-أكل هذا الغضب لأنني باقية مع رفيقتي؟؟

همست متسائلة ليهمس بغيظ:

-ولاتنسي زوجها؟؟

ضحكت برقة هامسة:

-تغار؟؟!!

التفت لها وعيناه يملؤها الغضب:

-بالتأكيد أغار.. مالذي تظنينه عني؟؟ اغار لدرجة انني اشعر كل ليلة برغبة في الذهاب اليك والسهر على باب غرفتك كي لايتعرض لك بسوء.. اغار لدرجة انني اكره فكرة بقاءك هناك في منزل رجل

غريب.. تأكلين من طعامه .. تحتمين بسقفه وتأوين اليه.. مالذي تظنينه نادين..؟؟

اتسعت عينيها بذهول وهي ترى انتفاخ اوداجه بغضب.. وتقارنها بأنفاسه التي ينفثها بعنف .. احمرار وجهه ولمعة عينيه.. لم تملك سوى الابتسام .. ابتسامة دفعت بالدموع لعينيها وهي تشعر بأنها ولأول مرة في حماية رجل.. رجل حقيقي بكل مافي الكلمة من معنى..

-لاتفعل..

نظر لها بعنف لتكمل هامسة:

-زوج صديقتي ليس هنا.. لقد سافر في اليوم التالي لمجيئي عندها .. فهو يعمل في منطقة اخرى..

عقد حاجبيه بحنق لتضحك بفرح وهي تواصل:

-أمها تبقى معنا نحن الاثنتين فلاتقلق..

-لما لم تخبريني بهذا قبلاً؟؟؟

هدر بعنف لتعاود ضحكها بفرحة لاتخطئها عين في حين ارتبكت حواس علي وهو يسمع نغمات ضحكاتها الفاتنة التي سيطرت على دقات قلبه وجعلته يرافقها هادراً ..

-توقفي الناس تنظر الينا..

زجرها بخشونة لتحاول السيطرة على صوتها في حين عاد هو يقول:

-ولكنني لازلت على موقفي .. عودي لمنزلك.. لامبرر لعدم عودتك.

توقفت ضحكاتها على الفور حينها..ماذا تقول له؟؟ كيف تبرر وتخبره عن كذبهم .. والادهى .. كيف تخبره انها لاتريد الذهاب الى هناك حتى لاتشاركهم خداعهم القذر له..

-أتذهب أنت؟؟

سألته بقلب مرتجف.. لينظر لها بلوم:

-نعم بالطبع.. امك بحاجة لرجل يعتني بها بعد ماحدث..

ابتلعت ريقاً قاسياً وهي تسأل بشحوب:

-ماذا تعني؟؟ كم تبقى هناك؟؟

تنهد بتوتر :

-انا لاأذهب لأبقى انا حتى لاأدخل للداخل.. كل مافي الامر انني اسأل عنها واطمئن.. واذا مااحتاجت لشيء فهي تتصل بي..

عقدت حاجبيها بغضب وصاحت:

-هل اعطيتها المال؟؟

نظر لها علي بحدة وغمغم:

-لاترفعي صوتك نادين..

-اجبني ياعلي..

قالت مصرة ليعقد ذراعيه على صدره ويقر:

-لقد طلبت مني بعض المال..

صاحت بخجل تخفي وجهها بكفيها ليعترض باهتمام:

-لاتستائي نادين انا فعلت ذلك من اجلك..

"وهي تستغلك .. تستغل طيبتك وشهامتك وانت لاتدري"

صرخت في اعماقها .. تريد الصراخ بها في وجهه.. تريد ان ترجوه

الابتعاد عن امها وعائلتها.. تريده ان يبتعد ..

-لاتفعلها مجدداً.. ارجوك..

همست بألم .. ليصيح بحنق:

-كيف لا.. انت مسؤولة مني نادين .. كيف لااهتم بمصاريفك؟؟

نظرت له بجزع وصرخت:

-هل قالت ان الاموال لي؟؟

تراجع علي بدهشة وهمس:

-ألم تحتاجها انت ؟؟ بسبب تركك لعملك؟؟

قبضت كفيها بقوة وهمست بغضب:

-لاأصدق انها فعلت هذا؟؟لااصدق انها كذبت بهذا الشكل؟؟

-اتعنين ان النقود(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-النقود لم اخذها ولم اكن لأطلب منك ولو كنت سأموت..

صاحت بحرقة ليحتقن وجهه وهو يقترب منها هامساً:

-لاتقولي هذا نادين.. انا سأعطيك ماتريدين؟؟

نظرت له بألم (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وصاحت بحرقة:

-وماهو المقابل دكتور؟؟

نظر لها باستنكار لتشيح عنه شاهقة بألم:

-اسفة.. انا حقاً اسفة ياعلي..

-لم اطلب يوماً مقابل لماافعله معك نادين..

قالها بجفاء .. وقلبه يتخبط بقوة .. عادت بعينيها الرماديتين اليه وهمست:

-اسفة .. انا ..

-أنا احبك ناديــن ..

قالها بثقة .. ليستجيب قلبها بدقات موجعة جعلتها تتأوه بألم وهي تشيح عنه.. رباااه..كم تاقت لسماعها منه..

وحالما فعلت.. هاهو يستخدمها كسكين يطعنها بها..

-نادين انا قلت لك بأنني احبك..

-لماذا؟؟

همست بتخاذل.. لتتسع عيناه بدهشة.. فيما نظرت له وهمست بعيون عاصفة بالدموع:

-لماذا تحبني انا دوناً عن الاخريات..؟؟!!

-لأنني احبك وهذا يكفي..

-لا لايكفي..

صرخت بضيق .. نهضت تلملم حقيبتها وتهمس بتوترٍ باكٍ:

-يجب ان اذهب..

-لا لاتذهبي.. ليس الان..

توسل فاعطته نظرة حادة وهي تصر:

-بلى .. يجب ان اذهب واضع حداً للمهزلة التي قامت بها امي..

-دعيني اتي معك..

-بل سأذهب وحدي..

أصرت .. ثم ارست عينيها عليه وهي تقول:

-لاتأتي الليلة.. ارجوك..

عقد حاجبيه للحظات قبل ان يستجيب للتوسل في عينيها ويومئ موافقاً فتبتسم له عينيها وهي تهمس:

-أنا أحبك كذلك علي..

نظر لها بحنق محاولاً السيطرة على فرحته وهو يقول بخشونة:

-الان تذكرت؟؟

ضحكت برقة .. امتزجت بسيل من الدموع وهي تجيل النظر حولها:

-انت اخترت المكان غير المناسب ابداً..

ضحك بسرور وهمس:

-سيكون لنا مكاننا الخاص نادين .. انا وأنت ..

اجتاحتها السعادة بقوة .. كفيض من عبق بحر انعشها فاقتربت تهمس:

-حينها .. سأخبرك كم أحبك بالضبط ..

ابتسم حينها .. ابتسامة غطت كل مشاعره السابقة وغضبه وحيرته مماتفعله في حياتها.. والغموض الذي يلفها وعائلتها ممنياً نفسه بفرصة يخطفها بها بعيداً .. حتى تكون له فقط ..

غافلة عن تلك العيون الزائغة .. تلك العيون التي تترصدها من بعيد.. والتي شعت بجنون .. جنون قذر وهي تراقبهما دون كلل ..

***

طالت الحفلة .. حتى ظنت انها ستقضي عليها قبل أن تنتهي.. كانت محور انظار الجميع .. بجمالها الشرقي الغريب.. سمارها المميز ..مهما فعلت بها زوجة عمها ظلت على تحفظها .. وجهها لم يرتفع لتواجه كل تلك النظرات .. لم تستطع .. لايزال حيائها يقيدها حتى لو ظنت انها تخلصت منه.. كم ارادت الركض والتخفي.. ولكن عمتها لم تسمح ..

كانت ورائها كظلها .. تعرفها على العديد والعديد ممن لم تفقه اسنائهم او حتى شخصياتهم والتي ظنتها عمتها اهم من أن تُهمل بتلك الطريقة..

ارادت الهروب ولم تفلح بهجة الاحتفال بأن تلهيها..؟؟

وهو .. لم يأتي..

بأس وألم ارتسم على محياها وهي تقاوم رغبة ملحة للانفجار بالبكاء بمهانة جمال لم يُعطى حقه تراجعت لتلتصق بالحائط .. في الظل وكأنها تتمنى لو ينشق عن حجر يبتلعها.. ويخفيها عن كل العيون..

نظرت لحماتها بقهر.. ارادت أن تركض اليها .. ان تصرخ بوجهها ..

أرادت أن تنفجر ولكنها آثرت الصمت .. آثرت ان تكتمه في اعماقها ..

صبرت.. وصبرت..

تراقب بصمت قلق حماتها وتوترها.. ثم عصبيتها المفرطة وهي تودع

آخر ضيوفها وابنها لم يأتي.. لم يدخل حتى.. رأتها تقترب من ذاك اللزج

الذي لم يقترب منها بعد ان نبهته بقسوة ألا يفعل.. ورأتها تحادثه

بعصبية والخيبة بداخلها تزدهر.. تحركت ببطئ .. جلست بفتور

على مقعد ما.. قابع في الظل .. تكاد تلتهمهما بعينيها كم تكرههما

معاً .. تكره ذاك الذي دمر حياة سيادة ويحوم الان حول حياتها هي..

وتكره هذه المرأة التي تنوي ولاشك في هذا أن تسبب لها مايسوء..

والاكثر انها تكره نفسها لأنها استجابت لها .. تكره نفسها

وتستحقرها للأبد.. كانت تتابع حركتها المتوترة بعينين حادتين

تملكان كل الاعذار للانفجار بالبكاء دون توقف واللطم.. والنواح!!..

حتى فاض الكيل .. نعم لم تعد تقدر..

نهضت راكضة متجهة للخارج .. تريد ان تبتعد من كل من حولها

وتنئى بجرحها بعيداً ..

-توقفي سولي..

توقفت تغمض عينيها بقوة تمنعها من الانفجار بالبكاء.. تقبض كفيها بشدة حتى هددت أظافرها بالانزراع في باطنيهما..

-الى أين تذهبين؟؟

تسائلت ايفا بتوتر.. لتلتفت لها قائلة بخفوت:

-انا عائدة الى غرفتي..

-لاتفعلي .. لم ينتهي الامر بعد.

-بلى قد انتهى..

صرخت بحدة .. لتتسمر حماتها بدهشة وهي تواصل:

-لن يأتي.. ولدك العزيز الغالي لن يعود لما لاتفهمين هذا؟؟

اقتربت منها وهمست بشحوب:

-بلى انه آتٍ .. لقد وعدني..

حاولت تمالك نفسها.. لم تعرف ماتفعل .. تضحك ساخرة من هذه المرأة ام تجهش بالبكاء..!!ترى لهفتها على ولدها ولاتملك حق التعاطف معها.. ليس بعد صدمتها بابنتها.. ليس بعد ان عرفت ان سيادة تخلت عنهم جميعاً لتبقى مع زوجها؟؟!!

-هو لن يعود..

همست بألم واضافت بسرعة وهي ترى احتقان وجه ايفا:

-انا اسفة عمتي ولكنه لن يأتي ..

ثم اخذت نفساً عميقاً قبل ان تقول:

-وأنا لن أنتظره .. سأعود غداً لبلدتي.. وهذا نهائي..

اتسعت عينا ايفا .. وكادت تعترض وبشدة حين جاءهم الصوت الهادئ:

-ماهو هذا الامر النهائي؟؟

التفتتا معاً بذهول .. وتسمرت اعينهما عليه .. محور احاديثهما الدائم .. وقلقهما المتواصل..

اتسعت عينا سلمى بذهول وتسمرت وهي تنظر الى ذاك الرجل الغريب والمسمى عرضاً زوجها؟؟ والذي لم تلتقيه الا لماماً منذ زواجهما قبل اسابيع.. تسمرت وبردت أطرافها وهي تراقب امه التي ركضت تعانقه وتقبل كل جزء من وجهه الضاحك بتوتر مستقبلاً عاطفتها الجياشة بارتباك..

أما هي فلم تجرؤ على التحرك ..وقفت تعي انها سافرة الرأس (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) متبرجة الوجه .. كاشفة الجسد أمام زوجها وبحضور رجل غريب.. اتسعت عينيها .. وبردت كفيها وهي تتخيل ماقد يفعله بها.. الان فقط تدرك انها تتعرى امام

رجل غريب لأجل زوجها.. وزوجها هو فراس العزب.. وهي أدرى من يكون آل العزب.. هي أدرى بحميتهم.. جاهليتهم.. قسوتهم..

تجمدت في وقوفها وهي تعي في التو ماارتكبته.. ماإقترفته يداها..

وتفكر بكل فزع عماهية العقاب القادم ؟؟؟

تسمرت ولم تتحرك .. بانتظار خطوته التالية.. لاتملك القدرة حتى للهرب.. !!

حبست أنفاسها حين التفت اليها بعد تخلصه من عناق والدته الملح ونظره اليها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

حينها تراجعت فعلاً .. بذعر ملأها.. وواجهت عينيه المتسعتين بذهول.. بدون تصديق.. برجفة داخلية ورغبة بالهرب بعيداً..

راقبته يقترب منها بتؤده.. تعلقت عينيها بعينيه المتسعتين بغير تصديق..

-سلمى؟؟

تسائل بذهول .. لتتسمر دون قدرة على نطق كلمة.. راقبت ملامحه التي تنقلت عليها باندهاش .. ولمحت في عينيه نظرة ما.. لمعة غريبة .. اثارت فيها رجفة جعلتها تحيط نفسها بذراعيها وهي تنكمش على نفسها .. احمر وجهها خجلاً .. تراجعت ..

-مارأيك بها.؟؟ اليست فاتنة بني؟؟

سمعت صوت حماتها من بعيد .. وراقبت وجه زوجها الذي حمل حيرة .. وتوتر وهو يهمس:

-انها.. انها حقاً..

-فااتنة ..

صدح صوت عزيز من خلفها.. فانتفضت بقوة وهو يقترب يحيط بكتفي زوجها هاتفاً:

-انظر ماقدمت لك ياصديقي.. زوجتك من تحت تلك الاسمال التي جائت بها..

ضحك حينها فراس.. ضحك لتتكون غصة في حلقها وهي تقع اسيرة نظراتهم الثلاثة..تراقبنها باصرار .. بتفررس .. وكأنها على وشك التحول الى شيء ما.. عرض رخيص شعرت معه بالذل..

خنقت انفاسها وكادت تبكي بقهر.. حين اقترب منها فراس وهتف ببشاشة:

-انت حقاً جميلة..

نظرت له بعينين متسعتين .. دامعتين.. ليعقد حاجبيه بتوتر .. ويشعر ان ماقاله لم يكن صائباً .. شعر بالتوتر وهمس لها بخشونة:

-مابك.؟؟ الست سعيدة لأنك جميلة؟؟

لم تفهم ..

حقاً لم تعد تفهم نفسها.. كل ماعملت به في الايام الماضية كان لأخذ هذه الكلمة منه.. ورؤية هذا الاعجاب والتوتر في عينيه.. كل ماارادته هو ردة فعله هذه.. فلم تشعر بكل هذا الألم .. والخيبة..لم تشعر بكل هذا الخوف والضيق..!! تراجعت والغصة تخنقها أكثر..

نظرت له بعينين مغروقتين بالدموع .. وهي تهز رأسها رافضة ..

مخنوقة ..

-سلمى ..

همس بتوتر ويده تمتد ليقبض على كتفها .. ولكنها تملصت بسرعة وركضت مبتعدة ..

راقبها بذهول .. وكذلك فعلت ايفا التي صرخت بحدة:

-مابالها هذه المجنونة.؟؟

راقبها عزيز بسخرية .. في حين توترت عينا فراس ونظر لأمه التي تشبثت بذراعه بقوة وهي تهمس:

-حمقاء.. وغبية دعك منها وتعال.. لدينا الكثير لنتحدث عنه..

اراد الاعتراض وعيناه تبحران خلف تلك الباكية .. رأى دموعها قبل ان تبتعد .. لايلومها.. حقاً لايفعل بعد كل هذا الغياب..

-وأنا سأترككما ..

قالها عزيز ..بابتسامة غليظة .. ليبادره فراس:

-لاأخبار من سيادة؟؟!!

أظلم وجهه للحظة قبل ان تصيح ايفا بحدة:

-سأشرح لك كل شيء بني.. تعال معي ..

نقل عزيز عينيه بينهما قبل ان يودعهما ويغادر بسرعة .. حينها جذبت ايفا ذراع ابنها هامسة:

-تعال بني.. لدينا الكثير والكثير لنتحدث عنه ..

أخذهما وقتها الحديث.. أخذهما لوقت طويل ..

وتلك هناك وحدها .. تحدق في الفراغ .. لاتصدق ماحدث لها.. كل تلك الخيبة .. كل ذلك الألم .. لاتعرف لماذا وكيف .. ومالداعي.. !!

انسابت دموعها تغرق وجنتيها محملة بالألم .. والقهر..

مضت ساعات منذ صعدت .. وحدها دون أن يأتي بعدها.. لابد انه هناك برفقة أمه.. تنهدت .. وضمت ركبتيها اليها .. تريد العودة الى بلدتها.. الى أخوتها.. وأمها .. تريد العودة لجدها وجدتها .. تريد

النهوض مبكراً لازعاج رعاد.. تريد الركض الى حظيرة الغنم..

والمزرعة .. تريد العودة للاحتماء بصدر قحطان خوفاً من رعاد.. تريد

أن ترجع ..

ولكن اين..

بكت شاهقة .. رعاد وعلي.. كل واحد في عالمه الخاص.. حتى

قحطان.. لابد انه مشغول مع زوجته.. لم يعد احد لها.. لقد خرجت

من دارهم ولم يعد باقياً لها سواه..

وكأنما استدعته من افكارها .. بزغ امامها فجأة ..

لاتعرف متى دخل وكيف لم تشعر به..؟؟

تراجعت بفزع ليرفع كفيه هامساً:

-لاتخافي مني.. لن امسك بسوء؟؟

اتسعت عينيها بذعر رغماً عنها .. وراقبته يجلس بالقرب

منها..همست دون وعي:

-أنت لست غاضباً مني؟؟

نظر لها باندهاش.. ثم ابتسم بخفة ورفع كتفيه:

-ولم سأكون غاضباً..؟؟ لا لست كذلك..

عقدت حاجبيها ونظرت له.. باستغراب.. قبل ان يرفع يده ليلامس وجنتها الغارقة بالدموع:

-انت جميلة جداً .. وعينيك باهرة الحسن فلم الدموع؟؟

انتفضت بقوة للمسته .. شعرت انها تود التراجع والاختباء.. وسؤاله هاجمها في الصميم .. كيف لها ان تبكي .. ولم الدموع والبكاء وجل ماارادته تحقق ..لقد عاد .. وكما يبدو ان مظهرها الجديد اعجبه وكثيراً .. كانت ترى الاعجاب في عينيه .. تراه ويثير ذعرها .. اكثر من اي شيء أخر..

-أخبريني..؟؟

عاود سؤاله برقه فهمست مذعورة:

-لاأعرف..

ضحك ونهض بسرعة :

-لا لا .. لايجب ان تبكي الان.. انظري لنفسك .. لديك جمال تحسدك عليه نجمات السينما.. فلم البكاء.. هيا الان انهضي.. لم اسمح لأمي بتناول العشاء حتى تأتي معي..

-عشاااء؟؟!!

صاحت متفاجأة .. فالساعة تجاوزت الثالثة صباحاً ليضحك :

-لم اتناول العشاء وانا جائع .. هيا تعالي..

نهضت بتردد .. ترقبه يمسك بكفها بين كفيه ويهمس:

-ثم أنه سيكون عشاءاً وفطوراً .. فلن تطلبي مني النهوض باكراً بعد رحلة استمرت مايقارب نصف اليوم أليس كذلك..

لم تعرف كيف ترد.. كان مختلفاً .. ربما .. !! احتارت ولم ترد.. تركته يقودها الى الاسفل حيث اعد العشاء بسرعة قياسية .. قبل الفجر بساعات معدودة ؟؟!!!

***

كانت الصحبة راائعة .. فكرت بابتسامة واسعة وهي تتنقل بعينيها بين جديها العجوزين وكيف تسود بينهما مودة ورحمة لم ترها قط من قبل .. وتسترق خلسة نظرات مشتعلة الى ذاك الذي تجاوره وتزرع نفسها في جنبه وكأنها جزء منه .. هكذا قُدر لها أن تكون.. وهكذا تريد..

لاتصدق انها هي .. بجلال قدرها ورفعته تشارك زوجها.. هذا الرجل الفخور القوي طعام افطاره المعتاد مع جديه .. وليس هذا فحسب.. بل هي من أحضر الفطور.. وحضره لهم.. ومن يهتم بتقديم كل شيء..

كانت قد بدأت بهذه العادة المحببة منذ اسبوع.. تستيقظ معه عند الفجر.. وتشارك أمه تحضير لافطور بينما الرجال في المسجد.. ثم ترتبه على صينية كبيرة وتذهب به الى مجلس الجد.. كماكانت تفعل سلمى من قبلها.. في البداية كانت تسكنها الغرابة.. ولكن الان.. أصبح نهوضها المبكر.. أجمل لحظات حياتها..

-أخبريني بنيتي.. متى سيصل عمرو العزب؟؟

احتقن وجهها وخفضت عينيها تلقائياً .. لتسمع ضحكة قحطان المفعمة بالرجولة الى جوارها وهو يقول:

-يالله جدي.. لايزال الوقت مبكراً ..

ضحك الجد قال:

-انت لاتدرك شوقي لرؤيته بني.. ربما تجاوز شوقي لرؤيتك انت نفسك..

نظر لها قحطان بحاجبين مرفعوين هامساً بسخرية:

-مالذي يحدث أخبريني.. هل سيسرق ابنك مني الاضواء حتى قبل ان يظهر على وجوده شيئ اصلاً؟؟

خنقتها غصتها وهي تهرب من عينيه الحاذقتين واللتين شعرتهما ينفذان الى اعماقها ويفضحان كذبتها بكل سهولة .. ياللهول كم

تكره الحديث عن الطفل القادم .. والذي يحدث تقريباً كل صباح ..

فالجد يسأل عنهما كل حين.. وكذلك والدة قحطان .. فهي لاتدعها

تقوم بشيء.. كي لايحدث للصغير القادم مكروه.. مالذي قد يحدث لو

عرف احدهم انها كذبت..!!

شحب وجهها وبردت أطرافها ليعقد قحطان حاجبيه باهتمام وهو

يشعر بكفها الغارق بين اصابع كفه يبرد!! وهمس:

-أأنت بخير ياسيادة؟؟

اومأت بتوتر:

-نعم لاتقلق.. انا بخير..

ضغط على كفها بقوة جعلتها تضعف.. ترغب ان ترتمي في حضنه

وتبوح له بكل شيء.. فقط ليسامحها.. يغفر.. وينتهي الكابوس الذي

يظلل هناء عيشها الحالي.. ولكن؟؟!!

كذبتها كانت كالرمال المتحركة.. كلما تحركت للخروج منها ..

كانت تغوص بها اكثر..!!

لاتعرف ماعليها ان تفعل.. تستمر بالكذب.. أم تخترع كذبة جديدة

للخروج من كذبتها الاولى؟؟

عضت شفتيها بقهر.. وعادت تحاول الانصات لمايقوله الجد .. سارداً بفرحة كيف كانت ردة فعله حين ولد زوجها الذي كان يضحك بسرور مصراً أنه لم يكن قط طفلاً مشاغباً كما يدعي عليه..

لم تتمالك نفسها من الابتسام .. وضحكت ملئ فمها وهي ترى اسلوب الجد المغيظ في اثارة حنق قحطان بحكاياته عن طفولته الشقية ..

-جدي توقف لم اكن كذلك؟!

قالها بحنق لتضحك جدته بسرور تناصر زوجها:

-بل وكنت أكثر.. انت لم تولد عاقلاً بني.. لقد كنت مجنوناً في صغرك..

تحمست سيادة وهجرت قرب زوجها وهي تجلس الى جوار جدها تتشبث بذراعه بعبث:

-أخبرني المزيد جدي.. هيا..

ضحك جدها في حين قال قحطان بغضب:

-سيادة تعالي الى هنا..

نظرت له بعبث ترفع حاجبيها وتزم شفتيها مغيظة:

-انا سأبقى هنا حتى يخبرني المزيد عنك وبهذا استخدمه ضدك عند اللزوم..

لم يضحك .. كما توقعت .. بل اشتدت عيناه قسوة وهو يشير للمكان جواره ودمدم من بين اسنان مطبقة:

-تعالي.. الان..

ارتجفت بقوة وهي تفلت جدها الذي ابتسم وهمس لها:

-اذهبي بنيتي.. مكانك هنا امام الباب مباشرة وكماتعرفين باب الشيخ لايقفل ابداً ومن يقف يستأذن للدخول سيراك لامحالة .. بينما هناك .. بعيدة ومستورة عن الجميع.. هيا.. اذهبي..

نظرت للباب تلقائياً.. ووجدت ان مايقولانه عين الصواب.. وفعلاً ارعت للنهوض والعودة لمكانها الى جواره حيث همست باعتذار:

-لم اعرف.. ااسفة..

نظر لها بحنق.. ورمقها بشعلة من عينيه وهو يدمدم:

-لاتحاولي مناقشة اوامري بعد الان سيادة أتفهمين؟؟

-كنت أمزح..

همست تسترضيه.. ولكنه أشاح بوجهه بحنق ظهر جلياً على عضلاته المشدودة.. تنهدت واقتربت تلتصق بجنبه هامسة باسمه بصوت دافئ جعل كل اعصابه ترتجف وهو يحاول السيطرة على مشاعره والتفت نحوها زاجراً:

-ألا تستحين..؟؟

شعرت بالارتجاف بين حروف كلمته.. حتى صوته امتزج بخشونته التي تطير صوابها فابتسمت بخبث:

-لا.. لاأستحي..

اختفى الحنق والغب من عينيه لتمتلئ رغماً دفئاً .. وأشاح بوجهه عنها كي لاتكشفه ولكنها فعلت.. وتصاعد دفئه في داخلها كالحمم.. فصدر عنها صوت ناعم .. كصوت هريرة راضية تتمحك بقدمي سيدها بدلال..

وهنا سمعا طرقات قوية على الباب وصوت يصدح بالسلام .. لتسارع سيادة بوضع غطائها على رأسها ناهضة يرافقها قحطان قائلاً لها:

-اذهبي الان..

اومأت بسرعة وسارعت للخروج من الباب المؤدي للمنزل وهي تلقي نظرة خاطفة على الزائر وتعرفته .. زوج فتحية ابنة العم.. كانت لاتزال ترتجف من تأثيره عليها .. وظهرت ابتسامتها جلية على وجهها.. شعرت بحرارة قوية رغم الجو البارد.. لذا انزلت طرف طرحتها عن وجهها .. وهي تعبر الممر الضيق بين المجلس والبيت العامر.. حين توقفت مصدومة وهي تكاد ترتطم بالرجل قبالتها المتحرك بسرعة ..

شهقت متراجعة .. في حين توقف هو يناظرها بذهول.. يتأمل ملامح وجهها الفاتن والذي استعاد نظارته وبهائه.. وتبلدت نظراته على عينيها الزمرديتين وشفتيها المنفرجتان باندهاش لجرأته .. بشرتها النقية وبياضها اللافت المشرب بالحمرة .. وتلك النمشات الناعمة التي تتوسط جسر أنفها تؤكد صهبانيتها الطبيعية..

تراجعت بحدة أكبر وشعت عينيها بالغضب والكراهية وهي تهتف بحقد:

-ابتعد عن طريقي..

صعقه صوتها.. اللهجة الفاتنة.. الراء الغائبة.. النعومة الفائقة دمرت ماتبقى من عقلانيته .. ليقترب بتهور فتتسع عينيها بذعر وتتراجع هاتفة:

-ماذا تريد أيها المجنون؟؟

حينها شع من عينيه الجنون فعلاً.. لم تكذب الجوهرة في كل ماقالته عن زوجها المأفون.. نظرة صاعقة أرسلت رعدة خوف الى اعماقها وهي تسارع بانزال طرحتها وتهتف بتهور زاد من جنونه:

-ابتعد الان وإلا ناديت قحطان وأخبرته عن كل أفعالك ايها المختل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ماذا؟؟

همس بفحيح غاضب جعلها تلملم اطراف عبائتها بقبضتها وتستغل مفاجأته لتركض ناحية المنزل .. شاهقة برعب.. وهي تحدث نفسها انه فعلاً مجنون.. ومجنون خطر.. تكفي نظرته اليها..!!

اماهو ..فقد تصلب ينظر بإثرها.. كم كانت جميلة .. جمال صاعق يخطف القلوب.. ولكن؟؟ مالذي كانت تعنيه بوصفها اياه بالمختل..

جُنت عيناه وهو يتخيل ماقد تعنيه بأفعاله؟؟ وتهدده باخبار قحطان..

غامت عيناه بالغضب وهو يتخيل ماقد تعنيه.. معقول انها قد أخبرتها شيء عنهما؟؟

توحشت عيناه وهو يتوعد تلك الزوجة العاصية بمصير اسود في حين تأخذه قدماه الى داخل المجلس..!!

في حين أسرعت سيادة بالدخول الى بهو الدار حيث وجدت هدية مع ابنتها يشربان الشاي وماان رأتها الجوهرة حتى قالت مشرقة بابتسامة:

-لما عدت مبكرة سيادة؟؟

انزلت سيادة طرحتها ونظرت لها بتمعن قبل ان تهمس:

-زوجك عاد ياجوجو..

أفلتت الجوهرة كوب الشاي من يدها وشهقت بذعر لم تقدر على السيطرة عليه .. حملت ملامح وجهها رعبها ومفاجأتها.. في حين انسكب الشاي الساخن على قدميها ولم تشعر.. لتنتفض أمها متعوذة باللّه من الشيطان .. وكم كانت عبارتها حقيقية.. واندفعت سيادة تساعدها لتجفف قدمي الجوهرة من باقيا المشروب الذي ولحسن الحظ انسكب معظمه على الارض ولم تنالها منه سوى بضعة قطرات..

-مابك بنيتي.. تعوذي باللّه..

قالتها هدية بقلق لتنظر لها الجوهرة بعينين متسعتين هامسة:

-لاتقلقي اماه.. لقد تفاجأت فقط.. فهو.. لم لم يخبرني..

ارتجفت حروفها وهي تنظر نحو سيادة بطريقة جعلتها تبادلها النظرات بقوة.. ياللهول كم تبدو ضعيفة ومغلوب على امرها.. ياللّه..

تنهدت وأشاحت عنها هاتفة:

-تعالي معي لننظف ثيابك جوهرة..

رافقتها المرأة بصمت حتى غرفتها وهنا همست سيادة بتوتر:

-الى متى هذه اللامبالاة ياجوجو؟.! الى متى تتركينه يمارس عليكي كل هذا القهر والظلم.

سارعت الجوهرة لكتم صوتها بكفيها وعينيها ترسلان تضرعاً لاشك فيه وهي تهمس:

-اشش ياسيادة لاتتفوهي بشيء.. اتوسل اليك .. لايجب أن يعرف أحد..

نفضت سيادة كفي المرأة المذعورة وصاحت بها:

-انظري لنفسك جوهرة.. انظري لابنة الشيوخ وماتقوله خوفاً من رجل لو عرف أحد اخوتها حقيقته لعلقه من قدميه أمام الجميع..

بكت الجوهرة بقهر وهمست:

-أنت لاتعرفين شيئاً.. لاتفهمين..

-بل أنت من يجب أن يصحو من غيبوبته.. أنت من يجب أن يعرف ان كل ماتقومين به من تسترعلى ذاك المجرم يعطيه الجرأة لفعل أكثر من مجرد ضربك واهانتك..

ثم حملت عينيها استنكاراً واتهاماً:

-هل فكرت يوماً أنه قد يقتلك ياجوهرة.. أو ربما يضرب احد ابنائه ويصيبه اصابة خطرة.. هل فكرت بهذا؟؟

انتحبت الجوهرة بصمت لتواصل سيادة بعنف:

-رجال مثله يجب ان يقبض عليهم ويودعوا في السجن.. أتفهمين؟؟

-انه ابــن عمي..

صرخت الجوهرة بقهر.. ورفعت عينين عاصفتين بالألم لسيادة وهي تواصل:

-انه ابن عمي .. ألاتفهمين.. أخر مايمكن أن يفعلوه به أن يحاضروه بشأن الرفق بالزوجة.. ثم يغلقون أذانهم ويهمسون بصمت ان مابيننا هو شأن رجل بامرأته(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ولاحق لأحدهم بالتدخل..

اتسعت عينا سيادة برعب وصرخت بها:

-أتظنين قحطان قد يصم أذنيه عمايفعله بك زوجك؟؟

-انت لاتدركين كيف تجري الامور هنا..

همست الجوهرة بألم لتعاود سيادة سؤالها بحنق.. فتنتفض المرأة المسكينة وتصرخ:

-كلهم سواء.. قحطان لن يفعل شيئاً في مواجهة ابن عمه .. لن يمس أحد شيوخ قبيلته من اجل امرأة..

تيبست سيادة.. لم تتحرك وهي تنظر للجوهرة التي نفضت ثيابها ونهضت تمسح دموعها بكفيها هاتفة باضطراب:

-يجب أن أعود الى المنزل.. يجب ان أجهز كل مايحبه.. لايجب ان يعود وبيته بتلك الحال من الفوضى..

راقبتها سيادة بصمت وبداخلها من العواصف الكثير.. أيعقل أن تكون الجوهرة محقة؟؟

انصرفت المرأة وجلست الاخرى تعيد الامر في ذهنا وتقلبه يمنى ويساراً.. لقد ضربها قحطان مرة.. لا بل مرات.. فهل كان معه العذر.. !!

فكرت بتشوش.. والان ان عرف بأمر الجوهرة .. هل سيقف مكتوف الايدي.. ؟؟

لا لا .. مستحيل أن يفعل.. مستحيل..

حينما ضربها قحطان كان الامر مختلفاً..هو لم يتعمد اصابتها بأذى أو احتقارها.. وكان بطريقته يقومها..

وماذا في الامر.. فزوج الجوهرة يقول الشيئ ذاته لها؟؟

اتسعت عينيها بذعر وهي تتخيل مصيرها كمصير الجوهرة .. امرأة خانعة خاضعة لرجل طاغٍ!!!

لملمت طرفي عبائتها عليها.. تدفئ بعض البرد الذي اجتاحها وخطة ترسمها للتخلص من ذاك الاحساس القهري الذي ينتابها بالخوف من مستقبل اسود بالانتظار..

***

أغلقت الهاتف عن صديقتها هبة بعد أن أخبرتها عن موعد اختبار قصير لليوم التالي.. كادت تبكي قهراً .. هي لم تنتهي من احصاء دروس اليوم لتبدأ الاعداد لاختبار..

زفرت بقهر وراقبت المراجع بيديها تشعر بغصة تستحكمها.. لقد رأتها اليوم كذلك .. فكرت بألم (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) رأت تلك ال رانيا اليوم.. كانت متألقة وفاتنة تسبقها رائحة عطر ثمينة .. اليوم لم تقترب منها وتحادثها.. بل بقيت تنظر لها من بعيد بنظرات غامضة لم تفقه منها شيء.. ثم رأتها بعدها تحادثه..

استحكمت الغصة حلقها وهي تتذكر ماشعرت به وهي ترى تلك الفتاة تقف بالقرب من رعاد وتحادثه بأريحية ظهرت عليه هو الأخر.. وليس هذا فحسب.. بل كان يضحك .. وحينما اقتربت منهما رأت الفتاة تنظر لها بسخرية ..

قارنت منظرها المتشح بالسواد من رأسها لأخمص قدميها بمنظر تلك الفتاة الملون.. وكأنما تنظر الى حقبتين مختلفتين.. وهو وقف بالنصف بينهما.. شاب مكتمل الرجولة .. راقبتهما بصمت وصدرها يوزعها

انهما مناسبان فعلاً لبعضهما.. شابين في مقتبل العمر.. أمام هي..

فمجرد أرملة.. أجبر على الزواج بها تنفيذاً لعادات وتقاليد أعلن لها

بنفسه انه يبغضها..

لسعتها الدموع في مآقيها .. لسعتها بقوة تكاد تعميها ..

سمعت الباب يفتح وأدركت انه قد عاد من صلاة العشاء..أحكمت

حجابها وجلست تدفن عيونها اللامعة في الحروف والارقام المتراقصة

أمامها..

-السلام عليكم..

-وعليكم السلام والرحمة..

ردت بصوت مهتز .. في حين وقف امامها عاقد الحاجبين محاولاً

السيطرة على دقات قلبه المتقافزة.. وافترت شفتاه عن ابتسامة

حانية..وهو يرى انهماكها في مذاكرتها.. رأى بلمحة عبوسها فهمس

متسائلاً:

-لم العبوس؟؟

نظرت له مضطربة ولم تعرف ماتقول.. ليقترب ويجلس الى جوارها

على الطاولة:

-ألديك اختبار غداً؟؟

تمسكت بالعذر واومأت برأسها ليعود قائلاً:

-أهو صعب؟؟ بامكاني مساعدتك؟؟

همست:

-قليلاً.. انا لست جيدة في الفيزياء..

ابتسم ومد يده يأخذ المرجع من يدها ويقول بتفكه:

-ولكنني كذلك.. دعيني أرى مالديك..

اتسعت عينيه:

-هل ستساعدني؟؟ ولكن لديك مذاكرة انت الأخر؟؟

-ليس الان.. سأخذ فترة للراحة واساعدك..

ابتسمت تلقائياً.. لتنتقل له الابتسامة وهو يتعلق بعينيها اللامعتين

مأخوذاً في حين همست:

-لم لاأعد العشاء.. ريثما تقرأ..

ابتلع ريقه واشاح عن وجهها الفاتن بصعوبة هامساً:

-ممتاز ونسهر الليلة من أجل انهاء هذا..

اومأت بفرح.. ونهضت بسرعة تحضر العشاء والذي سبق أن

طبخته.. كانت تدندن بفرح لاتدرك له سبباً وان كان قربه منها بتلك

الطريقة جعل كل احشائها تغني وترقص بهجة..

ثم حملت الاطباق لتحضر المائدة.. رأته يتحدث على هاتفه ضاحكاً.. فابتسمت وادركت انه لاريب أحد أخوته.. وضعت الاطباق وعادت للمطبخ حين توقفت متسمرة وقلبها يشتعل وهي تسمع الاسم الذي ينادي به محدثه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) رانيا؟؟؟ نظرت له بحدة ورأته يستمر بالحديث وكأنه لايفرق معه بشيء.. كان يبدو مرتاحاً .. مستمتعاً.. ضاحكاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فلم تحترق هي؟؟

قبضت كفيها بقوة واندفعت الى غرفتها بحنق تزفر غضبها ..

لاتصدق.. لم يحدث تلك الفتاة دوناً عن الجميع؟؟ لقد رأت الكثيرات ممن يشاركونه صفوفه ولكن لم ترى اي منهن تحادثه بطريقة تلك الفتاة.. او تتصل به بكثرة كماهي.. طحنت ضروسها بغيظ .. مالذي تريده منه؟؟ لما تتصل به ألايوجد لديها من يحاسبها على أفعالها المشينة؟؟ فكرت بألم..

ثم نظرت للمرآة .." من حقه أن يفعل؟؟"

فجأها الصوت بهدوء.. به مكر لم تستغه..

-من حقه فعل ماذا؟؟

تسائلت بخشية ليعاود الصوت بهدوء أكبر

"من حقه البحث عن فتاة يعيش معها حياته الطبيعية.. فتاة تقدره وتميل اليه كمايبدو.. فتاة لاتلتزم حجرتها طيلة الوقت.. فتاة لاتلزمه باتخاد اقصى معايير الالتزام والتحشم وهي برفقته وكأنها غريبة وليست زوجة؟؟"

نظرت لنفسها مصعوقة والصوت يواصل بمكر:

"فتاة لاتحرمه حقوقه حتى بالمعاملة الحسنة.."

-انا لم أسئ اليه مطلقاً..

همست مخنوقة ليضحك الصوت في ذهنها:

"وماذا عن خنقه يومياً بذكرى أخيه الميت؟؟ ماذا عن جعله غريباً في بيته(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) استئذانه منك ليل نهار وكأنه يدخل على غريب وليس زوجة؟؟ ماذا عن حقيقة كونه اعزب متزوج بذات الوقت؟؟ "

-انه قراره.. هو من اتخذه ..

بررت بضعف ليواصل:

"وانت وافقت عليه ولكن الان .. الامور تغيرت.. أليس كذلك؟؟"

اتسعت عينيها بذهول.. الامور تغيرت؟؟ كيف .. كيف تغيرت..؟؟

لم يجبها احد .. بل ظلت تناظر انعكاسها على المرآة متسمرة .. الامور قد تغيرت فعلاً.. خفق قلبها بجنون..تيبس حلقها .. ولم توقف يديها وهي تمتد لتفك حجابها.. تحرر شعرها وتسرحه بيديها تعدل ياقة ثوب البيت الطويل الذي ترتديه..ثم بصلابة .. لاتعرف كيف اتتها تتجه للخارج..

اغلق الخط بعد ان انتهى من محادثة زميلته .. تلك الفتاة تختار اسوأ الاوقات لتساؤلاتها التي لاتنتهي..

زفر بضيق واغلق الهاتف نهائياً قبل ان يتجه للطاولة وتسمر مكانه بعينين متسعتين..

-العشاءجاهز .. تفضل..

وقف بلاحراك يناظرها.. يتأمل كيف انسدلت خصلات شعرها القاتمة على رؤوس كتفيها.. وكيف تحرك عنقها بدلال وهي تشير للطاولة.. وكيف ارتعشت تلك الابتسامة على ثغرها..

اراد ان يغض بصره .. أن يخفض عينيه ويطلب منها ان تغطي شعرها.. ان تتحشم.. ولكن..

تلك العبارة اختنقت اعلى حلقه.. وابتلعها بالقوة مع الغصة التي استحكمته.. وهو يهتف بحرقة انها حقــه.. زوجته.. من حقه ان يراها كما يشتهي..!!

بالقوة تحركت ساقاه.. بالقوة دفعها الى الجلوس لتجاوره.. ويتطاير شعرها الناعم بحرية.. مرسلاً شذرات عطر الفل الذي تضعه على استحياء.. ليغلق عينيه ويغرق في عبق الرائحة التي تسللت الى اعماقه معيثة فيها كل الفساد..

-تفضل..

همست مناولة له طبقه.. وكلها يرتجف .. لاتعرف مالذي فعلته به.. ولاتدرك عظم مايجيش بصدره وقتها..

تناول الطبق مدمدماً بشكر خفيض.. لتبتسم وهي تدرك أن الامور الان.. أصبحت تتدافع على حافة ضيقة .. اما تصعد بهما للقمة .. أو تسقط بهما معاً للقاع!!!

***

احتدت المناقشة حتى لم تعد تسمع سوى بضعة اصوات عالية .. لم تعد تفهم منها شيء.. نظرت للطرفين المتصارعين بقهر .. وحقد .. وحين أخذت كفايتها منهما نهضت تصيح:

-كفا عن الصياح .. توقفا ..

نظرت لها المرأتان بحدة والاولى تصرخ:

-انت السبب بكل هذا.. لو تطاوعينني فقط ..

احتدت نظرتها وصاحت بحدة:

-انسي نهائياً خالتي.. لقد انتهينا..

-لا لم ننتهي بعد نادين..

صاحت خالتها لتتدخل أمها بعنف:

-اتركي ابنتي وشأنها.. قلت لك انني سأتصرف.

-ومن اين ستفعلين..؟؟ بسبب ابنتك الغالية فالطبيب لم يعد يأتي حتى.. والان من اين تنوين سداد الدين الذي برقبتك اختي؟؟

تنهدت امها وأشاحت عنها لتصرخ نادين:

-اتركوا علي خارج الموضوع .. وكذلك انا .. لاشأن لكما بنا.. لقد تركت لكما المنزل بأسره فماذا تريدين مني أن أفعل.

اقتربت خالتها وقالت محاولة السيطرة على اعصابها:

-ليلة واحدة مع التاجر الذي قلت لك عليه.. ليلة واحدة وتنهين كل معاناتنا..

اتسعت عينا نادين واحمر وجهها وهي تصيح:

-انسي الامر.. أخرجيني من حياتك خالتي فلن تجدي سبيلاً للوصول الي..

-نادين اهدائي..

صاحت امها لتصيح بدورها:

-ألاتسمعينها امي..

ثم التفت لخالتها وهمست:

-دعي سمر تقوم بالامر أما أنا فقد تبت.. ألاتفهمين.. لقد تُبت نهائياً..

أطلقت خالتها ضحكة مجلجلة.. ونظرت لأختها هاتفة:

-أخبري ابنتك ماينتظرك من وراء توبتها..اخبريها ان السجن ينتظرك وقد نُسحب بعدك كلنا..

نظرت نادين لأمها التي تهالكت على الكرسي بفزع.. واقتربت تهمس:

-أخبريني أمي.. مالذي تقوله؟؟ لماتقول هذا؟؟

رفعت امها اليها عينين مغروقتين بالدموع وهمست:

-لأنها الحقيقة..

شهقت نادين بذعر في حين أضافت أمها بحدة:

-لو لم تشاركي سهرتنا الليلة سأدخل السجن في الصباح الباكر نادين..

-كيف ؟؟ انا.. انا لاافهم؟؟

تشوشت افكارها وامها تهتف بألم:

-ذلك الرجل اعطانا مبلغاً كبيراً من المال.. وقد كتبت الكثير من الشيكات لأغطي حقه والان..

رفعت اليها عينان باكيتان:

-الان هو يطالب بالشيكات .. يطالب بالنقود التي لانملكها..

تجمدت نادين في حين تدخلت خالتها بنرفزة:

-عرضنا عليه كل شيء.. ان يمدد المهلة او اي شيء يريد ولكن الرجل مصر.. هو لايريد الا نقوده ..

ثم واجهت نادين المصعوقة واضافت ببرود:

-أو أنت نادين..

لم ترعف كيف ترد وأمها تفسر بخفوت:

-لقد رآك ذاك اليوم في حفلة شيري .. قبل عام تقريباً ومنذ ذلك الوقت وأنت تعششين في رأسه.. انه يريدك بنيتي..

-والمقابل؟؟

همست بشحوب.. لتسرع خالتها:

-المقابل ان يمزق الشيكات كلها .. وينسى امرنا.

سالت دموعها بقهر.. انهمرت بطوفان متواصل.. لتقترب امها وتحوطها بذراعيها فتصرخ بقهر:

-لاأريد امااه.. لااريد العوودة لماكنت عليه.. اقسم باللّه أنني قد تبتُ امي.. لقد تبت واللّه..

بكت امها حينها .. لتقف خالتها تناظرهم مدهوشة .. ثم هتفت بعصبية:

-ماذا تظنين نفسك نادين؟؟ مجرد لصة تابت وستُقبل توبتها؟؟

رفعت عينين مذعورتين لخالتها التي اشرفت عليها وهي تواصل صراخها:

-انت مجرد حثالة.. مثلنا كلنا حثالة تبيع بضاعتها لمن يدفع ..

-اصمتيي..

صاحت بوجع لتضيف المرأة بهجوم:

-هل كنت تظنين ان بتوبتك ستخرجين من عالمنا نظيفة؟؟!! صاعٌ سليم كماكنت؟؟

نظرت لها نادين بقهر.. وكلماتها المسمومة تطعنها بالصميم وهي تواصل باستنكار:

-ماكُسر لايجبر نادين.. مافقدته لايمكن ان تعيده اليك توبتك المزعومة..

ثم اقتربت تهمس:

-انت كماكنت من قبل.. مجرد قذرة سا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).. بائعة هوى.. لماتظنين ان هذا قد يتغير؟؟ لأن شاب احمق اخرق من الريف وقع بغرامك..؟؟

وبسرعة أمسكتها من كتفيها تهزها بعنف:

-اصحِ نادين.. أفيقي الى نفسك .. من هم اعلى منه شأناً وقوة كنت تديرينهم بأصبعك الصغير.. من هم أكثر نفوذاً وثراءاً كانوا يتساقطون تحت قدميك..

-لم اعد اريد ان اكون كذلك..

صرخت بضعف..

-لم اعد اريد ذاك المال القذر.. اريد أن أصبح نظيفة .. أريد أن اصبح محترمة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

عادت تصيح بقوة لتهزها خالتها بحدة:

-انت لن تصبحي محترمة ابداً .. انت في مجتمع لن يغفر لك زلاتك مهما فعلت.. انت وصمة عار نادين.. مهما فعلت ستظلين تلك الفتاة التي تبيع جسدها لقاء لقمة عيشها..

-توقفي..

صرخت بشحوب.. لتنهرها:

-عليكي ان تفيقي.. عليكي ان تري نفسك وماتفعلينه.. عليك ان تعيشي واقعك..

هزت رأسها بوجع لتعود خالتها تسألها بحدة:

-هل تظنينه سيتزوجك؟؟ هل تظنينه سيأتي بأسرته ليقابل عائلتك وتزفين له؟؟ عليك ان تعيشي الواقع نادين .. انظري من تكونين ومن يكون هو؟؟

شهقت بألم وتهالكت أرضاً تفترش بكاءها ووجعها .. بنحيب مزق نياط قلب امها التي زحفت اليها تضمها.. تخبئ شهقاتها وانتفاضة جسدها بذراعيها في حين استمرت خالتها:

-انت تحملين مهنتنا هذه في دمك .. مهما حاولت فلن تستطيعي التخلص من الدم في عروقك..

-كفى اختي .. كفى ..

صاحت امها بشحوب.. ثم سحبتها واقفة وجرتها حتى الغرفة ..

وهناك اجلستها على طرف الفراش وهتفت بها:

-لاتبكي ياصغيرتي .. لاتبكي..

-اريد التخلص من هذا الكابوس..

شهقت باكية..

-اريد الهروووب امي..

عانقتها امها بقوة وقلبها ينتفض بألم وشعور بالذنب يمزقها .. بكت لبكائها.. ومافعلته بها.. ولكن..

-ستكون المرة الاخيرة ..

همست امها بحسم ليتصاعد بكائها بقهر فهتفت امها بحدة:

-اسمعيني جيداً ..

-لاأرييد..

-بلى ستسمعين ..

قالتها بحدة لتنظر لها نادين بضعف فأسرعت تفسر:

-سوف يأتي الليلة للسهرة معنا .. وستكونين بانتظاره في ابهى حلة..

-لاا امي..

همست باكية لتسكتها امها بحزم:

-ستكونين مضيفة راقية فقط .. سنضع لها منوماً كمااعتدت من قبل نادين ..

حملت عينيها تشوشاً وهمست:

-كنت تعرفين؟؟

-بالطبع كنت اعرف.. لااعرف بالضبط منذ متى ولكنني اعرف..

نظرت لأمها باندهاش والاخيرة تواصل:

-سنأخذ منها الشيكات وبعدها تهربين.. لااريدك أن تعودي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ورفاقها؟؟ ماذا عنهم؟؟

-سندعوه وحده .. ونخبره ان السهرة الليلة فقط لأجلها.. اتفهمين..

هزت رأسها نافية لتتنهد أمها بحنق:

-لاأريدك أن تقلقي فقط اريدك ان تتزيني وترتدي الثوب الذي سأعطيك اياه.. واتركي كل شيئ لي.. أتفهمين؟؟

لم تكن تفهم؟؟ ليس حقاً ولكنها لم تعترض.. كانت في حالة يرثى لها.. كالمخدرة.. يقودونها لفعل كل مايريدون دون حول لها ولاقوة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

حل منتصف الليل بسرعة ..

دعك عينيه بقوة بعد ارهاق ليلة مضنية في المذاكرة .. نهض ونظر لهاتفه.. كان ينتظر منها اتصالاً بعد رسالتها التي اخبرته فيها انها تعاني صداعاً وانها ستغلق هاتفها وتنام .. مط شفتيه وهو يرميه بعيداً وقد بلغ به الشوق محله ..

قرر ان النوم هو الوسيلة الوحيدة لتخطي شعوره الكئيب.. كان يتجه الى سريره حين سمع طرقات الباب القوية .. نظر لساعته باستنكار ثم توجه للباب بسرعة وفتحه على مصراعيه مواجهاً ذلك الرجل الضخم..

-ماذا تريد؟؟

كان الرجل في منتصف العمر.. ذو عينين زائغتين .. ومنظر لايريح النفس ابداً..

-ومن تكون؟؟

استمر بالسؤال ليبتسم الرجل كاشفاً عن صف من الاسنان البنية المقرفة.. يتأمله من رأسه لأخمص قدميه قائلاً بطريقة خشنة:

-اذاً هو أنت الفارس المقدام.. ؟؟

عقد علي حاجبيه وتسائل ببرود/

-عما تتحدث ومن تكون؟؟

ضاقت عينا الرجل للحظة قبل ان يقول بسرعة:

-انا والد نادين..

اتسعت عينا علي للحظة قبل ان يصحح الرجل باستهتار:

-بل زوج امها اذا اردت الصدق..

شع الغضب محيا الطبيب البارد وتقدم يزعم التهجم على الرجل الذي تراجع صائحاً:

-لاتفعل ماقد تندم عليه دكتوور.. لقد جئتك بأخبار وحقائق ستذهلك ولاريب..

ضاقت عينا علي بترقب بينما الرجل يتكئ على الجدار ويقول بسخرية:

-ولكن يجب علينا الانطلاق االان.. اذا أردنا الالتحاق بالحفل الخاص..

-عما تتحدث ايها الوغد.

ضحك الرجل مجدداً وهمس بخبث:

-سأشرح لك كل شيء.. ولكن في الطريق .. فلاوقت لدينا..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

ازداد شعورها بالغثيان ..

راقبت الاجواء حولها وكادت تتقيأ عدة مرات منذ ابتدت تلك السهرة المروعة .. كانت تحبس دموعها وغثيانها بصعوبة .. ترى تمايل سمر برقصة فاحشة امام هذا الغول المقرف وتكاد تصرخ من اعماقها ..

شعرت بذراعه المتعرقة تحيط بها فتباعدت باشمئزاز ليهمس لها:

-الى أين تذهبين ياقطتي الجميلة..

لم تنظر اليه .. لو فعلت لبصقت في وجهه..ولكنها همست باضطراب:

-الى الحمام .. سأعود..

-هل آتي لمساعدتك فاتنتي..

اغمضت عينيها بقوة وهي تنهض راكضة بعيدة عنه تريد الاسراع بانهاء هذه المهزلة .. قابلت امها وهتفت بها:

-اين المشروب.. اريد ان انتهي امي..

اعطتها امها المشروب بحرص وهمست:

-انتبهي نادين سيستغرق الامر نصف الساعة ليبدأ مفعوله.. واريدك ان تعامليه برفق..

زفرت نادين بنفاذ صبر وعادت الى الصالة حيث رأته يراقص تلك السمر فرسمت على شفتيها ابتسامة اعتادت اختراعها واقتربت تشده نحوها قائلة بدلال:

-تفضل سيدي .. أحضرت مشروبك المفضل..

تناول الرجل المشروب بيد واحاطها بالثانية وبدأ يقول لها بصوت عالٍ ثمل:

-ارقصي معي ياقطتي.. هيا ارقصي..

ابتسمت غصباً وبدأت تتمايل على النغمات العالية وهي تحثه على اكمال المشروب المسكر .. والرجل يحيطها بيديه .. كادت ترمي به ارضاً..

كانت تموت من الداخل .. تريد ان ينتهي كل شيء.. وتهرب ولاتعود ابداً لهذه القذارة .. انها الليلة الأخيرة .. الاخيرة لها في هذا المستنقع..

ضحكت بطريقة مائعة وهي تتنازل منه كأس المشروب وتسقيه بيدها هاتفة :

-اشرب .. هيا اشرب ياغولي القذر..

كانت تدرك انه لن يعي شيئاً مماتقوله وهو في حالته تلك .. لن يعي شيئاَ.. وفعلاً .. كان الرجل في حالة سكر شديدة لدرجة انه لم

يستطع ان يحافظ على وقوفه .. وسقط ارضاً .. لتمعن نادين في ضحكة ماجنة ساخرة .. وتدفعه بكعب حذائها باشمئزاز قبل ان ترميه بماتبقى من الشراب وتستدير عنه .. فقط لتتسمر واقفة بذهول .. وكل جسدها يتجمد .. حتى اطراف اصابعها .. كالثلج.. ك قالب ثلج .. وهي تواجهه.. هو دون الناس اجمعين .. كان يقف امامها ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لم يرد ان يتبعه .. اراد ان يصرعه ارضاً لأنه كاد يتعدى على حبيبته.. ولكنه لم يفعل.. شيء ما اوقفه.. شيء ماجعله يرافقه بصمت.. قلبه يدوي بين جنباته والرجل يقوده الى بيت خالتها .. ويصعد به الى الشقة ويفتحها بمفتاح خاص حار في تفسير كيف وصل اليه..

وهناك عبر الاضائة الخافتة .. الى الصالة المظلمة تقريباً ماعدا عن اضواء ثريا معلقة في السقف .. وتحت تأثير الموسيقى المدوية بنغمات راقصة مقرفة توقف بلاحراك ..

كان يراقب الجسدين المتمايلين على النغمات بطريقة مقززة .. رجل سمين.. عجوز .. يحضن فتاة شابة .. بعمر ابنته تقريباً .. وهي بذاك الثوب الضيق والذي كشف عن كتفيها وصدرها .. وشعرها الاشقر

يتطاير حولها بفعل حركاتها الراقصة .. ثم تلك الضحكة الماجنة التي طعنته في الحشى ..

نادين ؟؟!!

اتسعت عيناه مصعوقاً وهو يراقب الرجل يتهاوى .. تتبعه هي بكأس ما ..

مستحيل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هتف من اعماقه .. لتستدير نحوه بضحكتها تلك .. ويتوقف الكون حولهما..

نادين؟؟؟

صرخت اعماقه بلوعة .. يراقب بلاكلل شحوب وجهها .. بتلك الزينة الرخيصة التي حولتها في نظره لوحش بشع.. لايمت بصلة لحبيبته الرقيقة ..

نادين؟؟!!

خرجت منه مكبلة بألف قيد .. خرجت تنعي امرأة لم يعشق يوماً قبلها .. ويشك ان يفعل بعدها ..

يراها الأن.. مجرد غانية ..!!

-نادين ؟؟

خرج صوته شاحباً .. مهزوزاً ..

لتقابله هي بصمت مدوٍ.. وقد خلت الغرفة من اي احد سواهما وذاك الراقد على الارض.. زحزح عينيه عن وجهها بصعوبة .. ينزل بنظرته الى ماتبقى منها .. جسد رخيص التف بثوب الغواية .. انتهكته الف يد وعين.. وهو يقف هناك أمامها.. عاد ببصره لوجهها .. قلبه متحجر ..يعي كل شيء الان.. يعي ماعج ان يعيه قبلاً وماكان واضحاً امامه وبكل غباء عُمي عنه..

تخلى الجمود عن ملامحه وبات وجهه يحمر غيظاً.. غضباً عاصفاً .. ليس منها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لا لا انها احقر من ذلك .. من نفسه الغبية التي وقعت ضحية جمال ملوث منتهك..

رأت تعابيره تتغير.. رأته يخرج من حالة الصدمة التي أوقعتهما معاً .. والتي لاتزال ترزخ هي تحتها بلاقوة .. أرادت الصراخ .. ارادت ان تجثو على ركبتيها وتقسم له بأنها كانت المرة الأخيرة .. أرادت ان تشرح.. ان تحكي له.. ارادت وأرادت..

وكل مافعلته ان فتحت شفتيها ليغادرها اسمه مع زفرة هواء..

لتشع عينا شيخ العزب بألف نار .. وتشتعل به.. ويقابل همسها المحتظر بصفعة قوية .. هوت بلارحمة على جانب وجهها .. ترميها على ذلك الذي شاركها مُجنها قبل لحظات ..

كانت الصفعة من القوة التي آلمت يده.. هو نفسه.. ومن الصدمة بحيث لم تستطع نادين مجرد تفاديها.. وقعت ارضاً صارخة بألم وذهول.. تتفجر دموعها تغرقا بلاحساب.. تسمع أنفاسه اللاهثة.. لهيب تلفحها ونار.. صاحت بألم وقد انتزعها الها من ذهولها ونظرت له مكومة تحت قدميه هاتفة بوجع:

-علي لاتظلمني(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ارجووك..

-اصمتيييي..

صرخ بعنف وهو يركلها بقدمه بقسوة ..تحملت الألم والذل.. تحملت وهي تحاول التشبث بقدميه هاتفة ببكاء مزق حبال صوتها:

-ارجووووك.. ارجووووك علي..

تخلص منها بقسوة اكبر وامتدت يده تقبض على شعرها المنثور بوحشية جعلتها تصرخ بألم:

-توقفي عن ذكر اسمي .. توقفي عن الكذب ايتها العاهرة الحقيرة..

وبكل اشمئزازه بصق في وجهها .. وتركها تتهاوى مع عارها ارضاً..

قبل ان يفتش بأنفاس ثائرة عن طريق الخروج.. كان حتى لايكاد يرى أمامه.. كل شيئ اصطبغ بالاحمر.. كل شيئ..

اماهي فقد زحفت على يديها وركبتيها تناديه بلاتوقف .. لتقطع امها عليها الطريق تحاول انهاضها من مكانها وهي تصرخ بها:

-انهضي نادين .. انهضي بنيتي..

-اتركووني .. دعووني اذهب الييييه..

صرخت بجنون لتهاجمها خالتها بقسوة وانفعاال:

-توقفي يامجنونة .. لقد رآك وعرف حقيقتك نادين .. اخرجي من حلمك الاحمق ..

صرخت نادين بألم وهي تلطم خديها بقوة ..كانت منهارة .. خسرته.. تعرف الان انها خسرته الى الابد.. لطمت وجهها بقوة وهي تصرخ باسمه .. تناديه بلاتوقف.. حاولت امها الاقتراب منها .. حاولت مساعدتها ولكنها لم تقدر.. كانت تبكي بجنون.. لتتقدم خالتها وتهزها بعنف:

-توقفي قلت لك توقفي عن هذا الجنون.. لقد انتهيت من هذا الكابوس نادين .. عودي الينا .. نحن دمك نادين .. عائلتك.. ومهنتنا كماقلت قبلا.. انها تسري في عروقنا..

نظرت لها نادين بوحشية .. دموعها توقفت .. وانفاسها تنفثها كاللهب.. نظرت لخالتها بعينين طائرتين وهمست بفحيح:

-ان كانت تسري في دمي .. فسأريقها بنفسي..

ودون تردد كانت تركض الى الحمام..وقبل ان تلحق احداهن بها .. كانت تغلق الباب خلفها وتنقض على الخزانة.. اخذت تلك الشفرة الحادة .. وامام المرآة وقفت .. تنظر لأثر بصقته عليها.. جسدها العاهر.. وثوبها الرخيص.. وجهها الذي لطخته الاصباغ والدموع .. قبل ان تشيح .. وتنظر لمعصمها وتلك الدوامة تبتلعها .. اكثر واكثر.. تودي بها لبحر متلاطم لاقرار له .. وكل شيء بداخلها يهتف.. ان كان دمي قذراً .. فسأريقه بنفسي..

ودون وعي لماتفعل .. وكأنها واقفة تشاهد شيطان ماتلبس جسدها .. يستل الشفرة ببرود .. ويمزق شرايين معصميها دون تردد..

وتفجر الدم القذر .. يسيل بلاتوقف.. يغرق ذراعيها .. وهي تراقبه بذهول.. من خارج جسدها.. وكانها مجرد شبح .. يرى انهيار جسدها

ارضاً.. وتكومه فوق بركة من الدماء.. قبل ان تغيب عن عينيها الحياة .. وتستلم لذلك الظلام الذي ابتلعها .. دون قرار(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟؟

***

عاد قحطان يومها متأخراً .. تركت كل مابيديها وهرعت تستقبل جسده المنهك بين يديها..تتلقى ابتسامته الحانية بشفتيها .. قبل ان تهمس له بشوق:

-اشتقت اليك.. لما تاخرت هكذا؟؟

نظر لها بنشوة تجتاحه وتنفي عنه ادران النهار.. كانت كشعلة متحركة .. صهباء نارية .. جزء من الشمس يحتويه بين ذراعيه.. دافئة .. ناعمة .. مغرية مثيرة لكل اعصابه المنهكة ..

-جاء ابن عمي .. وأخذنا الحديث بالاعمال..

توترت عينيها ولكنها لم تتركه يلاحظ.. بل زمت شفتيها بدلال واستندت على صدره بذراعيها وهمست:

-جاء ابن عمك ونسيت كل شيء عن ابنة عمك ؟؟ ها اعترف..

لم يتمالك نفسه وضحك محيطاً خصرها الناحل بذراع والاخرى تغرق بين طيات شعرها الاهوج:

-لالم أنس صهبائي العنيدة والتي ظلت تزور مخيلتي بين الفينة والاخرى..

ابتسمت بنعومة وقلبها يخفق بدوي هائل لاعترافه انها تسرق حتى ولوجزئاً يسيراً من اهتمامه.. قربت منه ولامست أنفه بأنفها الدقيق:

-هل شتت ذهنك؟؟

ابتسم وقربها اكثر:

-قليلاً ..

تنهدت بيأس من عناده .. من بأسه في مواجهة عنفوان مشاعرها .. ماكان سيضره لوقال الكثير.. بدل القليل.. تراجعت من حضنه وقالت باستياء:

-عشائك جاهز.. غير ملابسك لنتناوله معاً..

استشعر استيائها.. وكاد يزيله ويقدر.. ولكنه تأنى .. وابتسم ببطئ وهو يراقب ابتعادها .. كم كانت حركتها مغرية .. كل جسدها يتحرك بانسجام .. ورغم ان ثوبها الثي ترتديه كان طويلاً ويصل الى الارض الا انه كشف عن ظهرها كله .. واختارت هي قاصدة ان تكوم شعرها على كتف واحدة لتظهر بشرتها الناعمة بنمشاتها الدقيقة

الخفيفة .. ومقدمة الثوب معقودة خلف عنقها تكشف عن مرمريته وصقل كتفيها المتلئتين..

ابعد عينيه عنها بصعوبة .. منذ عادا الى هنا وهي ترتدي حلة جديدة كل يوم.. ثياب لاتتكرر قط .. ملابس نوم لم يظن في حياته انها قد تكون موجودة.. لم يكن يريد ان يفكر حتى كيف اتتها الجرأة لتبتاعها.. ويشعر بالخجل وهو يتذكرها..

أنهى استحمامه وغير ثيابه لملابس قطنية مريحة ثم وافاها الى طاولة الطعام حيث رصت اطباق عملتها بيدها قابلته بالابتسامة .. ليعيد لها مثلها وأشهى وهو يجلس الى جوارها مقرباً مقعده منها حتى باتت تستند على صدره وهي تغرف له الطعام هامسة:

-لقد اعددته بنفسي .. فاذاكانت لك اية تعليقات فاحتفظ بها ارجوك..

ضحك بمرح وبدآ يتناولا الطعام معاً .. حين رن هاتفه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)التقطته هي بشقاوة متجاهلة نظرته المهددة لتضحك وهي تمده له:

-انه صديقك ابن الشهري..

فتح الخط بابتسامة وصلت بارتياح لصديقه الذي تبادل معه الاحاديث المعتادة وهو يشعر برضا وسعادة لحال صديقه بعد رجوعه الى بلدته .. ولكن لم يكن هذا ماتصل بشأنه..

-قحطان هناك شيء لم نناقشه من قبل ..

عقد قحطان حاجبيه وانتظر رفيقه الذي واصل:

-حين اتيت الى عدن قبل اصابتك طلبت مني البحث عن معلومات بشأن حسن العزب..

-حسن؟؟

تسائل قحطان لتتفاعل سيادة باهتمام وهي تنظر اليه وعمرو يواصل:

-نعم .. كنت قلقاً من معلومات وصلتك انه يهرب بضاعة غير قانونية الى البلاد..

-انا لااستطيع تذكر هذا الامر..

قالها قحطان بارتباك ليتفهم عمرو:

-اعرف ولذا حاولت جهدي الا أزعجك بهذا الامر حتى اكون متأكداً مليون في المائة..

-وهل تأكدت؟؟

دمدم قحطان بغضب مكبوت.. ليؤكد عمرو:

-نعم قحطان .. ربماتعرف بأنه قد عاد .. ولم يفعل وحده.. الرجل له صلات عدة بالمافيا الصينية قحطان وهو يهرب الممنوعات الى البلاد..

اغلق قحطان عينيه بقهر وتسائل:

-اية ممنوعات؟؟

-مخدرات.

جاوب عمرو باقتضاب ليضرب قحطان الطاولة بقبضته بعنف جعل زوجته تنتفض وهي تنظر للغضب العاصف في عينيه.. قبل ان يدمدم بقسوة:

-سوف اقتله بيدي.. ذلك الوغد..

-قحطاان..

هدر عمرو بحذر:

-عليك ان تكون حذراً يارفيقي.. للرجل صلات عده .. والبضاعة التي يتاجر بها ليست لأي كان أتفهمني..

-افهم..

رد باقتضاب قبل ان يودع صديقه ويغلق الخط بسرعة .. تأملته سيادة .. تاملت الغضب العاصف والتوتر في خطوط وجهه ..

-مشكلة؟؟

همست تريد ان تفهم ليغمض عينيه محاولاً السيطرة على نفسه وغضبه قبل ان يهز رأسه ويطمئنها:

-مجرد مشاكل في العمل لاتقلقي..

-انه حسن ابن عمك..اليس كذلك..

لم يجبها بل زفر بضيق وهتف:

-لاتتدخلي بهذه الامور سيادة فليس من شأنك..

ولكنها لم تسكت حتى وهي تشعر بالحنق من كلماته :

-لم أرتح له منذ رايته .. انا لاأطيقه ولااستسيغ نظراته اللزجة..

نظر لها بعنف وصاح بحدة:

-هل تعرض لكي؟!

نظرت له باضطراب ليقبض على كفها بقوة ويهتف بحسم:

-تكلمي الان.. هل تعرض لك ابن عمي بأي طريقة كانت؟!

وهنا لم تعد تحتمل .. لم تعد تقوى على اخفاء مايفعله ذلك المتوحش بالجوهرة .. ودون توقف سارعت بسرد ماتعرفه .. حسب مااخبرتها الجوهرة .. متحملة القبضة العنيفة التي كادت تحطم أصابعها .. والذهول العارم في عيني زوجها والذي تحول ال نار مستعرة.. شبت

من اعماقه .. وتقافزت شراراتها من عينيه.. مهددة بحرق الاخضر واليابس معاً..!!

***

وقفت تتأمل نفسها في المرآة..

ثيابها الانيقة والتي تحمل توقيع اشهر مصممي الازياء في اوروبا لم تزدها الا بهاءاً .. تنورة سوداء بحواشٍ فضية .. وبلوزة انيقة من الحرير الفضي بكمين طويلين .. وعنق واسع أخفته بوشاح من الكشمير..في حين رفعت شعرها خلف عنقها وتركت غرة قصيرة تزين جبينها ..

مرت عدة ايام منذ عودة زوجها الغريبة .. ومنذ ذاك الوقت وهو يقضي وقته في المنزل معها ومع والدته.. كانت تخرج برفقته في الامسيات بكثرة.. تحضر حفلات معه.. حتى انها رافقته لمعرض رسوم خلاب هذا الصباح.. ثم يجن الليل .. ليفترقا كالاصدقاء.. !!

تنهدت بغرابة وهي تضع بعض البودرة على انفها وتشق طريقها للاسفل حيث تنتظرها مآدبة صنعتها حماتها لأصدقائها المقربين للترحيب بعودة ولدها..

وجدته يحادث احدى السيدات وحالمارآها اقترب يأخذ بيدها ليعرفها على السيدة التي حسب قوله تمتلك معرض الفنون الذي زاراه في الصباح.. حيت السيدة بلباقة .. وبدأت تتحدث معها عن الفن والرسم خاصة بعد ان صارحتها انها تهواه منذ الصغر ولكنها قط لم تفكر فيه كاحتراف..

كانت لغتها الفرنسية تتحسن باستمرار ولكن تخونها بضعة تعابير فكان فراس يتدخل بكياسة ليترجم لها..

رأتها حماتها واشارت لها لتنضم الى مجموعة من السيدات ففعلت بعد استئذان رقيق ومضت الى المجموعة التي تركتها معهم حماتها ..وذهبت تستطلع عن العشاء..

-اذن انت زوجة فراس؟؟

تسائلت احدى النساء وكانت تتحث العربية بلكنة غريبة فعقد سلمى حاجبيه وصاحت بفرح:

-انت عربية؟؟

-جويل فارس.. من لبنان..

قالت المرأة بكياسة .. .. لتندفع سلمى مقبلة وجنتيها بحرارة جعلت المرأة تتراجع بذعر:

-مرحباً مرحباً .. كدت اموت من البقاء وحدي.. واشعر اننا سنصبح اصدقاء..

نظرت لها السيدة بحذر وهي تنفض عن ذراعيها شيئاً وهمياً ..

هامسة:

-بالطبع.. بالطبع..

-ربما تدعينها لتقابل دارين ياجويل..

نظرت سلمى للمرأة الاخرى وكانت لكنتها مصرية خالصة هاتفة بفرح:

-أنت مصرية؟؟

اتسعت ابتسامة المرأة التي لم تكن تكبرها سوى بعدة سنوات فقط:

-نعم سيدتي.. مصرية للنخاع.. انا ريهام حسن..اعمل بالسفارة المصرية..

وفتحت ذراعيها لها بترحيب:

-الن ترحبي بي..

-اووه..

صاحت سلمى بفرحة طاغية وسارعت تقبل وجنتي ريهام بحرارة.. وهي تفكر انها اكثر حرارة من تلك اللبنانية الغريبة ..وسرعان

ماكانت تغرق في حديث من القلب مع صديقتها الجديدة .. والتي كانت مرحة لدرجة لاتوصف اضافة لجمالها الانيق ورقيها الطبيعي..

وبعد العشاء تجمع الكل في صالون انيق تعرفت فيه سلمى على زوج ريهام .. وهو ديبلوماسي مصري طيب القلب ذكرها بشقيقها قحطان كثيراً .. وهنا طلبت حماتها الصمت من الجميع لأن ابنها على وشك ان يقدم معزوفته الجديدة ..

تأملتهما سلمى بدهشة.. لم يخبرها انه سيعزف.. صحيح انها تعرف موهبته وحلمه ان يصبح مطرباً وعرفت منه انه تعاقد مع شركة مهمة وسيصدر البومه الاول قريباً .. ولكنه لم يخبرها عن الليلة ..

نظرت لحماتها بغيظ والتي افسحت له مكاناً بالصدارة اعتلاه بابتسامة واثقة وهو يحتضن جيتاره ويشرع بعزف لحن ناعم.. تغلغل بداخلها..

لم لاتشعر بالشوق اليه؟؟

فكرت وهي تغرق في تاملها اياه .. لما لاتشعر كما تشعر بقية النساء نحو ازواجهن..

لما لاينتفض قلبها كلما رأته ولما ليست غاضبة من ابتعاده عنها بتلك الطريقة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

تنهدت وهي تراقبه .. كان وسيماً دون شك.. ولكنها لاتشعر بشيء.. لاتعرف حتى مايجب ان تشعر به ..

شعرت حينها بشعور غريب.. انتفضت ونظرت خلفها.. كأنها مراقبة ..!!

عقدت حاجبيها ونفضت عنها احساس القشعريرة الذي انتابها ..

وقفت وتسللت عن عيون الجميع الى التراس.. المطل على الحديقة ..

كانت ليلة باردة للغاية .. احكمت شالها حول عنقها ونفثت انفاساً دافئة بين كفيها .. وهي تغرق في الانغام الرومانسية والتي يعزفها زوجها بمهارة ..

ثم عادت لتشعر بذاك الوخز .. وعادت القشعريرة تجتاحها ..

تيبست والتفتت ببطئ خلفها ..

واتسعت عينيها بذهول وهي تنظر لعيني الذئب التي تلتهمانها بكل جوع .. ومن بين شفتين منفرجتين .. مرتجفتين بسبب كل شيء عدا الواضحة منها .. همست:

-أنت؟؟!!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

نهاية الفصل

شيـوخ لاتعترف بالغزل

الفصل السابع عشر

***

تأخر الوقت.. وازدان المساء بنور القمر رغم السحب المتراكمة والتي أصبغت على سكون الليل برودة وقتمة.. وهبت ريح محملة ببرد الصحراء القريبة ..تحمل روائح الطين الندي..

وفي منزل منعزل عن البقية بباحة جميلة ومنظر عصري جميل وقفت جوهرة نادرة ابتلائها بشيطان مجسد لم يحرمها من حنان أمومة طاغٍ انصب من عينيها وانكب على طفلين ينامان بوداعة .. قبلت رأسيهما بحنان .. بشفتين ترتعشان ارتقاباً لعودة طاغية لاتعرف لم.. وكيف .. أُبتلت به؟؟

غادرت الغرفة على أطراف أصابعها.. لاتعرف ماذا تفعل ؟؟ هل تستعد لاستقباله كما يُفترض بزوجة أن تفعل بعد عودة زوجها من سفر

طويل؟؟ أم تقبع بانتظار أوامره الجديدة؟؟ هي لاتجيد هذا الترقب.. كل مرة يطالبها بالعكس.. وفي كل مرة هي لاتعجبه؟؟

وقفت امام المرآة تتأمل شعرها والذي بدأت الحنة الطبيعية تعيد له رونقه ولونه الأغبر الجميل.. ثم رداء منزلي تقليدي بلون أزرق غامق..

تنهدت بضيق.. لن تفعل بنفسها شيء.. فهو على كل حال لن يرضيه شيئ.. لن يملئ عينيه الا التراب..

تنهدت بعمق وسحبت نفساً عميقاً وهي ترفع يديها لتدعو له بالهداية ..

حين سمعت صوته اللزج خلفها يقول بسخرية:

-أتدعـين علي جوهرتي؟؟

انتفضت شاهقة بعنف ويدها تخبط صدرها بتلقائية وهي تنظر اليه بعينين متسعتين من الرعب:

-ماذا جوهرتي المدفونة؟؟ ألم تعرفي بقدومي؟؟ هل فاجأتك؟؟

لم تتكلم .. تحجرت الكلمات في حلقها وهي ترقب تقدمه نحوها بخطوات متمهلة وكأنه حيوان مفترس..

-أم ربما أنت بانتظار سواي؟؟

قالها بغموض لتتسع عينيها أكثر وتتراجع عنه لايوقفها شيء سوى منضدة الزينة التي انغرس حرفها في ظهرها بقسوة جعلتها تنتفض وهي تدرك انه لم يعد يحميها شيء من الغضب البارد الذي تجلى في عينيه..

-أخبريني يازوجتي المصون؟؟ من كنت تنتظرين في مخدعي.؟؟

تجلى الرعب في عينيها وهي تهز رأسها نافية الاتهام الوقح بلاحول ولاقوة لتتسع ابتسامة شيطانية على شفتيه وهو يزيد اقترابه ويهمس:

-ربما يجب أن افتش المكان بحثاً عن عشيق سري او ماشابه..

-ماأ..اذا تقوول..

همست بشحوب ليواصل بصوت مبحوح:

-ماذا عن الشيخ الفاضل.. شقيقك المفضل.. مالذي سيفعله ويقوله حين يعرف الناس كلهم أن شقيقته تخون زوجها؟؟

-انا لم أفعل..

صرخت باكية دون أن تعي فيضان دموعها .. ليضحك بملئ فمه ويمسك خصلات شعرها الداكنة بيده قائلاً بخبث:

-بالطبع لم تفعلي.. وهل أنا أحمق لأظن بك هذا..

اتسعت عيناها بألم مما يقول ومن ضغطه المتواصل لخصلات شعرها المكومة بيده:

-كنت قتلتك ودفنتك قبل حتى ان تفكري بالأمر ياجوهرتي المكنونة..

شهقت بالدموع قبل ان يتركها بقرف ويبدأ نزع ملابسه زافراً بتعب وحنق:

-شقيقك صدع رأسي بتساؤلاته المتواصلة .. وكأنه يجري معي تحقيق.. مالذي يريده بكل تلك الاسئلة ها .. مالذي يصبو اليه؟؟ ألايكفيه انني اعمل لوحدي .. دون تدخل من العائلة المصون؟؟

كانت تركض حوله تلملم ملابسه وتمد اليه بالمنشفة التي جذبها بعنف من يدها وهو يشق طريقه الى الحمام لاعناً اياها واسرتها بقذارة جعلتها تغمض عينيها بألم..

وبعد دقائق كانت تضع له الطعام على طاولة منخفضة .. وحالما جلس امامها حتى خفضت عينيها وهي تغرف له بصمت .. في حين كان يتأملها بامعان.. وكلمات تلك الفاتنة الفرنسية تدوي بجنون في رأسه.. مالذي تعرفه تلك السيادة؟؟ وهل هي من اخبرتها؟؟ واذا لم تكن هي فمن؟؟

-هل تقضين الكثير من الوقت مع الفاتنة الفرنسية ياعزيزتي؟؟

قالها بنعومة جعلت يدها ترتجف وهي ترفع عينين مذعورتين اليه..

رغم قوله الذي اصابها بسهم مؤلم الا ان ذعرها مماخلف السؤال كان أكبر؟؟ مالذي يريد أن يصل اليه الان؟؟

-ماذا ؟؟ هل أكلت القطة لسانك؟؟ أم أنك لم تفهمي السؤال؟؟

فتحت فمها واغلقته ببلاهة.. لم تعرف كيف تجب على اتهام صريح كهذا.. انه يعرف؟؟ تجمدت اطرافها حتى ان الطبق الذي بيدها ويحمل شوربة ساخنة وقع وتناثرت محتوياته لتصيب بعضها يده ..

في ثانية واحدة انتفض بغضب وهو يصرخ ناعتاً اياها بالغباء.. وقبل حتى ان تفهم كانت يده تنزل بقسوة على صفحة وجهها .. لتدفعها ارضاً ..

كان يرى كل ماحوله احمر.. ارتباكها العنيف وتبلدها الواضح لم يحتج اي ذكاء ليدرك انها الفاعلة وانها أفشت اسرارهما لتلك المخلوقة الغريبة .. وليس هذا فحسب بل ربما لأخيها كذلك .. وبكل عنفه ركل الطاولة مبعثراً محتوياتها على الارض.. وعيناه لاتريان سوى احمرار الدنيا ..

صرخت وكتمت صرختها بكفيها بقوة وهي تحاول التراجع عن مجال غضبه .. تعرفه حين يكون بهذه الحالة من الهيجان .. تعرفه ولاتريد ان تكون في طريقه..

زحفت تحاول الفرار بعيداً .. ولكن هيهات.. هي كانت مصدر غضبه ولن تصبح سوى وسادة تنفيسه عنه..

قبض على شعرها بقسوة.. وجرها منه لتحت قدميه متجاهلاً توسلاتها الخافتة .. وبكل قسوة كان يجرها لغرفتهما .. حيث ستكتم الجدران صوت صراخها الذي يتوق لسماعه الان وهو الشيء الوحيد الذي قد يخفف من حدة غضبه ..

اوقفها بعنف لتواجهه .. ولكنها كانت تهرب بعينيها وشفتيها تهذران بشتى عبارات التوسل الذي لن ينفعها بشيء.. ليس وهو بهذة الدرجة من الغضب.. ليس ومافعلته وماجعلت تلك الفرنسية تقوله له يغلي مدوياً في أذنيه .. رفعت يديها ببؤس وعجز تحمي وجهها من الصفعات المتتالية وهي تكتم صرخاتها حتى لاتُسمع ولديها ماتعانيه تحت يدي أبيهما المتوحش.. رفعت ذراعيها شاهقة بألم وتقوقعت تحت قدميه بلاحول ولاقوة .. تحاول صد ركلاته الموجعة بشتى الطرق ولكن ..

كان حسن في أوج لحظات غضبه..

كل جسدها الضعيف نال من قسوته.. وجهها .. عنقها .. بطنها

وصدرها .. حتى ظهرها المسكين.. تحمل قسوة قدمه العنيفة..

كل هذا وهي تكتم صرخاتها بذراعها.. تعض عليه بأسنانها بقوة ..

كي لايصدر منها صوت ..

ولم تهمد قسوته ولاانفعاله حتى رأى ذلك الشق اللزج دموي اللون

يبلل وجهها ..

توقف لاهثاً وهو يراقب السائل اللزج يشق طريقه من أنفها وفمها..

يبلل عنقها وقد سقطت على ظهرها خائرة القوى .. لاتستطيع حتى

رفع ذراعها تحمي به ماتبقى من وجهها ..

هذه المرة لقد فاق الامر كل ماسبق..

توقف لاهثاً بقوة .. كقطار بخاري أشرف عليها ورفع ذراعه صارخاً

بعنف:

-هذا .. هذا كي لا تفتحي فمك لأحد مجدداً .. أتفهمين..

انهمرت دموعها بصمت .. لاتجرؤ على فتح فمها.. تشعر بطعم الدماء

في حلقها.. تشعر به ولاتجرؤ على ان تقول اي شيء.. لم تعد تشعر بأي

جزء منها.. لم تعد تشعر سوى بالألم ..

حتى الرؤية أصبحت معتمة..

لم يضربها قط بمثل هذه القسوة من قبل.. لم يضربها بهذه الطريقة ابداً ..

ماذا فعلت ياسيادة؟؟ فكرت بخواء.. كيف أوصلت له؟؟

راقبها بعنف.. يريد قتلها .. يريد تمزيقها ارباً ..

كان يدور حولها كقط حبيس.. حين لاحظ انها هامدة بزيادة .. لم تحاول حتى الفرار منه او الاختباء.. جلس الى جوارها وبدأ يخبط وجنتها برفق وهو يهمس مخنوقاً:

-هيا .. هيا استيقظي جوهرتي..

لم تجبه.. كانت هامدة .. لاتقوى حتى على فتح عينيها..

-جوهرتي.. انهضي.. هيا انهضي..

لم تجبه .. أنين فقط .. أنين لم يتجاوز صدرها الا بحشرجة خافتة جعلته ينظر لها بذعر.. وسرعان ماكان يحتضنها ويهزها بين ذراعيه بقوة:

-جوهرة .. جووهرة استيقظي.. هيا حبيبتي انهضي..

حينها .. سمع تلك الطرقات ..

طرقات قوية ثابتة .. هزت باب المنزل وهزت اعماقه معها وبقوة ..

طرقات عرفها دون شك.. كانت للشيخ.. شيخ العزب.. كانت

ل..قحطـان..!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

لم ييكن يتخيل ولو للحظة واحدة ماقالته له سيادة ..

لم يكن يتخيل مايحدث لشقيقته تحت سقف بيتها وعلى يد زوجها

مصدر أمانها وعزتها.. لم يعرف كيف نهض دون حتى ان يكمل طعامه

او يلتفت لتلك المذعورة التي وقفت تراقبه يرتدي ثيابه بسرعة وهي

تصرخ بذعر:

-الى اين تذهب؟؟

نظر لها بغمامة سوداء تظلل عينيه وهمس من بين أسنانه:

-ابتعدي عن طريقي..

اتسعت عينيها وهمست بتوجس:

-أنت لن تذهب اليه الان قحطان.. يمكنك التحدث اليه في الغد..

كانت ترى كمية الغضب الهادر في عروقه تستطيع رؤيته من وجهه

المحتقن وعروقه النافرة ذلك السواد الغارق في بياض عينيه ..

-ومن قال انني سأتحدث معه من الاساس..

قالها وأسرع للخروج لتعترض طريقه بسرعة فاردة ذراعيها وترسم العناد على ملامح وجهها وهي تهتف بحسم:

-أنت لن تذهب اليه في هذه الساعة وانت بهذه الحالة ووحدك؟

شعت عيناه بغضب لتتنهد وهي تدرك انه سيحطم رأسها لاريب..

ولكنها لم تستسلم بل اقتربت تحوط وجهه بكفيها هامسة:

-أنا اخاف عليك..

خفق قلبه بجنون لقربها منه .. ولكنه ليس في المزاج الملائم لينساق وراء اغواءها المشتعل فلم يجد بداً من القبض على كتفيها بغلظة وابعادها عن طريقه هاتفاً بعصبية:

-لست غراً لتخافي علي.. وليس من ذلك الجبان على كل حال..

ومتجاهلاً صرختها الحانقة كان يشق طريقه بلاتردد..

كان كله ينتفض بعنف.. شقيقته؟! يضرب شقيقته؟!

ذلك الجبان .. هو وأبيه من قبله لم تمتد ايديهم على اي من شقيقاتهم .. ابداً لم يضربهما ابداً .. ثم يأتي هذا المعتوه المريض نفسياً ليضربها..

دمدم لعنة ما وهو غاضب وبالكاد يرى امامه ..شق طريقه نحو منزل شقيقته وسرعان ماشعر بمن يلحقه ودون ان يستدير أمر حراسته بأن يعودوا لمكانهم..

تلك كانت مسألة عائلية وحساسة .. ولكن عليه ان يقوم بزيارة ما قبلاً..

وبعد دقائق كان يطرق الباب الخشبي الثقيل .. ويرى بطرف عينه اثنين من ابناء عمومه .. وزوج عمته والد فتحية .. كان عليه أن يجلب رؤوس العائلة .. حتى يصبح كل شيئ على مرئى الجميع ..

كان يريد جلب شقيق حسن الاصغر ولكنه كان يكمل دراسته في الخارج بعيداً ..

وقف يعيد طرق الباب بقوة وهدوء كعادته على الدوام .. يقف وخلفه أهله وعزوته .. ينفث ناراً ألهبت صدره .. حتى سمع صوت الرجل يسأل باختصار عمن يكون الطارق.. فابتسم بسخرية وهو يدرك انه يعرفه عن حق..

-انه شيخ العزب ياحسن .. أفتح الباب..

هتف بها زوج عمته بحدة ليُفتح الباب بعد تردد بسيط .. ويظهر الرجل الذي وجل بدهشة لرؤيتهم جميعاً على باب بيته.. اتسعت عيناه وهو يتسائل بخشونة:

-مالذي يحدث هنا؟؟ لماجئتم بهذه الساعة؟؟

نظر الكل اليه باستنكار بينما سكت قحطان تماماً وهو يتأمله بكره.. لطالما غض الطرف عن تصرفات ابن عمه الهوجاء وتعاملاته المشبوهة ولكن الان لقد فاض الكيل.. الا الجوهرة .. الا شقيقته الغاليــة..

شعر بحريق ينتشر عبر عروقه وهو يسمع زوج عمته يهتف بحنق:

-العرب يرحبون ويهللون بالزيارة اياً كان وقتها.. أفسح المجال لشيخك قبل اي شيء..

احتقن وجهه وهو يتراجع مفسحاً الطريق لقحطان الذي دخل ببرود ووقف قبالته .. عينيه في عينيه بنظرة تهز أي رجل .. وفعلت الاعاجيب لحسن الذي شعر بجفاف حلقه وبرد يجتاحه.. اراد الهرب من النظرة المسيطرة ولكنه لم يقدر ولم يجرؤ.. قحطان كان الان يتحكم به.. بقوة وسلطة يمتلكها عن حق..

-أين جوهــرة العزب؟!

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يحاول السيطرة على قلقه وتوتره.. وخرج صوته شاحباً متقطعاً:

-نا..نائمة..

-أيقظــها..

أمر بلاتردد .. ليمتقع وجه حسن وهو يقبض يديه بتوتر.. مالذي سيفعله الان..؟؟

جالت عيناه على افراد من عائلته واراد التهرب من شيخه فقال بتوتر:

-لما لاتدخلون الى المجلس يارجال.. وسوف أحضر اليكم بالضيـ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-حسن ..

هدر صوت قحطان مقاطعاً هذرة الرجل الفارغة لينتفض حسن بذعر حقيقي وهو يرى انتفاخ اوداج الشيخ الغضبى ويتراجع امام نظرته الحارقة وهو يهمس بغضب مكبوت:

-أين جوهرة؟؟؟

ابتلع الرجل ريقه بصعوبة.. فلم يُعِد قحطان السؤال .. بل اندفع مبعداً اياه عن طريقه بيده بقوة جعلته يتعثر في وقوفه .. وقبل ان يسرع ليعترضه شعر بيدي اثنين من ابني عمومه يقيدانه بقوة..

توجه قحطان دون تردد نحو غرفة نوم الجوهرة ودق بابها بقوة عدة مرات وهو يناديها دون ان يسمع أي رد .. شعر بقلق رهيب يتصاعد بداخله دون أن يفهم السبب ..عاد يدق الباب بقوة اكبر ولم يسمع شيئاً..

نظر لحسن بحقد وصاح به:

-أهي بالداخل..؟؟

صمت حسن بضعة لحظات وهو ينظر لقحطان بذعر .. قبل ان يخفض عينيه ويستمر بصمته ليتقدم زوج عمته ويهتف بقلق:

-اكسر الباب بني..

ضغط قحطان بقوة على نواجده وتراجع ليدفع الباب بقوة بقدمه .. ليفتح على مصراعيه.. وتوقف حينها مذهولاً..

كانت اخته هناك.. راقدة ارضاً .. يتناثر شعرها حولها بفوضى .. وكل شيء حولها محطم وكأنما هب عليها اعصار..انتفض يركض اليها وهو يناديها بجزع:

-جوهرة.. جوهرة ..

التقطها بين ذراعيه واحتقن وجهه بغضب مهول وهو يرى اثر الدماء على شفتيها.. وجهها المليئ بالكدمات..

-رحماك الهي..

هتف بتضرع وهو يبحث عن شيء ينعشها به .. حتى وجد زوج عمته يناوله كوب ماء وسرعان ماكان يبلل اصابعه ويمسح بها على وجهها برقة بالغة هامساً باسمها ..

كان قلبه ينتفض بقوة .. وعجز .. رباه لو ماتت.. !!

نفض عنه المشاعر السلبية وهزها برفق .. كاد يصرخ بسعادة وهو يسمع أنينها وتأوهها الخافت..

-جوهرة .. استيقظي يااختي.. انا هنا الى جوارك..

همس بقوة وحنان .. مزيج لن يوجد الا معه ..

والجوهرة تفوق ببطئ.. تخرج من عالم الضباب تشعر بيدين قويتين .. حانيتين .. دفئ ومحبة .. صدر عارم وأمان بالغ.. انه ليس حسن..

فكرت بمزيج من الاسى والألم .. لم يكن زوجها من يضمها بين ذراعيه.. لم يكن سوى منقذها من الاحلام ..

بكت حينها .. بكت لأنها تدرك انه مجرد حلم .. وانها ستسيقظ منه لتجد نفسها تعيش الكابوس نفسه مجدداً؟! بكت بقهر ومرارة..

شعرت بفارسها يضمها بحنان .. ويهمس باذنها ان كل شيء سيكون على مايرام..

نظر قحطان لأخته الباكية بانهيار بين ذراعيه بحرقة ..ثم رفعها هامساً لعمه ان يحضر مايغطيها به .. وفعلاً احضر الرجل ملائة السرير ووضعها عليها ليحملها قحطان متوجهاً بها للخارج حيث اتسعت عينا حسن بذعر وصرخ:

-الى اين تأخذها؟؟ أعد لي زوجتي..

نظر له قحطان بطريقة مخيفة .. جعلته ينكمش بين ابني عمه

وهدر بقوة:

-زوجة؟؟ لم يعد لديك زوجة عندنا .. وحالما أطمئن على جوهرة

العزب.. حتى أتي لأصفـي حسابي معك أيها الجبان..

ودون أن يلقى بالاً لصراخ الرجل التفت الى عمه:

-أحضر فتحية ودعها تاخذ الطفلين الى بيتها ريثما نطمئن على حال

أمهما..

ثم التفت الى ابناء عمومه وقال بغضب:

-خذاه الى المخزن.. سآتي اليه حالما أنتهي..

وسارع بحمله الى منزل العائلة .. قلبه وجل على شقيقته الهامدة ..

وفي نفس الوقت .. يغلي من غضب حارق .. يهدد كل من يعترض

طريقه.. بلا استثناء..

***

مُدِ يديك بداخلي

وتحسسي قلبي

لعلي أطمئنْ

ليس الضياعُ حبيبتي

طفلاً تشرد في طفولتهِ

ولازمناً يضنْ

إن الضياع حبيبتي

قلبٌ يذوب من الحنين

من أجل قلبٍ لايحنْ

عبد العزيز جويدة

***

توقف ساهمة تنظر في عيني الغريب الذي رأته مرة قبلاً.. رأته يتفرس بها بنظرة لم تعرفها قط منذ التقته قبل اسابيع.. نظرة أرسلت لكل عصب على طول عمودها الفقري رسالة حازمة وقوية.. وجعلتها ترتعش بطريقة لم تختبرها قط من قبل..!!

-أنت؟؟!!

همست بشحوب وهي تشعربالبرد يهجرها .. وحرارة غير مسبوقة تندفع عبر أوردتها.. تشعل عروقها وتدفع بدفئ عارم لون وجنتيها

الشاحبتين لتصبحا بلون الفاكهة الناضجة تتألقان تحت الاضواء الخافتة ورسم خجلاً لم يره على امرأة منذ سنوات..

لم يقدر على السيطرة على ذاك الجوع الذي مزق مقلتيه كي ينهل من عطرها أكثر .. يذوب في مقلتيها العسلية أكثر ويتمرغ في بحور عشقها أكثر وأكثر.. كم تثير فيه كل جنون هذه المرأة .. كم تخرج منه مالايعرفه ولم يقدر على فهمه في نفسه على الاطلاق..

ورأته كله..!!

وتسمرت بذهول تعب من نظرته.. ولم تسبب لها كل تلك المشاعر الغريبة .. تحاول ان تجاوب على سؤال قفز ملحاً في عينيه.. وتفجر أكثر الحاحاً في عروقها.. .. تحاول فهمها ..تشعر بنفسها عارية أمام عينيه وقلبها يؤلمها .. ويحطمها من اعماقها.. لم هو بالذات تشعر بالرغبة للاختباء منه .. تشعر بالعار لما فعلته .. والذنب والأسى يمزقها..

ولكنها لم تفهم .. ولم تعي.. وماحدث أن جهلها أرعبها.. كحيون مذعور .. قفز في وجهه ذئب شرس.. ووقف عاجزاً عن اتخاذ أي خطوة.. لم تقوى على الفرار.. ولم تقوى على حماية نفسها..

وقفت متسمرة تنظر اليه مستسلمة .. عينيها بحور من شهد تقطر دون انقطاع.. تضيئ ليل أحلكته الظلمة .. ووجنتيها ثمار لم يقطفها بشر..

تاقت أصابعه لملامسة بشرتها.. صقيع أراد دفئها .. اراد أن يحرر خصلات شعرها .. ويراه يتطاير حولها.. كتلك الليلة حين سلبت لُبهُ وتركته ممزق الوجدان.. يالله .. أخذ نفساً عبق برائحتها.. مزيج من عطر امرأة.. وليل.. لماذا هكذا ؟؟ لما تظهر هكذا؟؟ مالذي تغير في حوريته السمراء.. لماتبدو مختلفة .. بنفس الجمال والروعة .. ولكنها مختلفة وكأنهم أبدلوا روحها العطرة بأخرى .. غريبة ؟؟!!

-ماذا تريد مني؟؟ من انت؟؟

همست تتسائل.. واغمض عينيه يستعذب هبوب حروفها على اسماعه المتشوقة .. ابتسم فانقبض قلبها بقوة .. لاتعرفه .. ولكنها تحفظ خطوط وجهه.. ملامحه التي هبت عليها ك ريح عاصفة أخلت بتوازنها وشتت فكرها.. تلك العقدة بين حاجبيه.. شعره الملتصق بجمجمته.. وأشياء عديدة لم تملك معها سوى الاحمرار خجلاً والتوسل من الله أن يسامحها لتمعنها ذاك(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

عاد يفتح عينيه لتغيما بمشاعر طاغية وهو يهمس:

-أريد البقاء قربك..

أفلتت منه .. دون ارادة .. لتتراجع شاهقة فيرفع ذراعيه يوقفها هاتفاً:

-لاتخافي مني..

-من أنت؟؟

كررت بذعر.. ليتنهد وهو يهمس:

-أنا صديق.. صديق لفراس ..

لم يشأ أن يقول زوجك.. فلو فعلها لتقيأ.. فهي لاتسبب الا الارتباك لكل دواخله..

عقدت حاجبيها وهي تستعيد نفسها.. انها في بيت عمها.. في حضرة زوجها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) من يمكن له أن يؤديها.؟؟

كانت تفكر باعتيادية كما تعلمت وكبرت.. ان زوجها حاميها.. مهما كان.. فهذا الغريب لن يعرف ابداً ماتعانيه مع ذاك .. ولا ان زواجها.. مجرد.. ماء راكـد..!!

-أصدقاء فراس زوجـي بالداخل معه..

االاه كم يود لو مزق شفتيها حين نطقتها..

شعت عيناه بالغضب.. تدفق منه حمماً بلاقياس وهي تنادي ذاك الرجل باسمه وتنعته بما يكاد يحطم اعصابه.. زوجها؟؟ تباً .. تبـاً ..

-انه لايعرف بوجودي.. بعد..

كانت تستعيد قوتها تدريجياً .. وتسيطر على اعصابها أكثر..

تراجعت بخفة واشارت له للبوابة المواربة وهمست:

-اذاً ادخل واعلن عن نفسك.. لايحب الرجل المتسللون من خلفه..

ضاقت حدقتاه بحنق.. وكاد يصرخ بها " أتسمين ذاك المسخ رجلاً؟؟"

ولكنه كتمها في اعماقه .. وعقله يصرخ انه لو كان رجلاً حقاً لكان هنا معها.. يشبع رجولته من فتنتها وعبقها المزلزل.. ماتركها لحظة لتقع بين يدي ذئب مثله(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كان يخطئ معها.. فهم هذا بلحظة .. رأى الأسوار التي رفعتها حولها وأحكمتها خوفاً وقلقاً منه .. انها تخشاه الان .. يراه في عينيها النجلاوتين.. لذا تراجع .. أخذ نفساً عميقا وانفرجت ملامحه وهو يهمس:

-لااحب الازدحام..

ظهر الشك في عينيها ليعاود بابتسامة خلابة:

-انا أكره الحفلات والرسميات..

قفز قلبها تعلقاً بتلك الابتسامة ووجدت نفسها تفكر انها كذلك تكره الرسميات.. ولكنها لم تعلق في حين واصل سيف متهكماً:

-كمااننني لم آتي متأنقاً كماترين.. لم أعلم بوجود حفل..؟؟

نظرت له متأملة .. كانت سترته السوداء من الجينز تعلو قميصاً مماثلاً باللون .. لترفع عينيها وتقع في عينيه المتسلية والتي تلتهمها بتلك النظرة المحيرة .. ابتلعت ريقاً جافاً وهمست:

-أنت لست مدعواً؟؟

رفع كفه يحك ذقنه الخشنة بملل وهمس:

-لقد طرت لأكثر من ثمانية عشر ساعة عبر المحيط فقط لألتقي بفراس..هو لايعلم حتى بوجودي هنا.. ولن أغادر حتى ألتقيه وأعيده معي الى نيويورك.

اتسعت عينيها بذعر وهتفت:

-لماتريد اخذه بعيداً؟؟

تصلبت عيناه وهو يرى فزعتها لذاك.. وامتلئست روحه بغضب لايفسره الا الجنون .. وابتلع ريقها بحنق حاول جهده اخفاءه وهو يهمس بحشرجة:

-لدينا عمل..وهو قد سافر دون اذن دون حتى أن يخبرني بالامر.

-انا.. نحن..

تلكأت .. وارتبكت .. لتضيق عيناه قبل ان تهمس بتوسل:

-نحن بحاجة اليه هنا..

نار تلك التي هبت من اعماقه .. نار لم يترجمها سوى بشعوره بالغيرة والحسد.. لما يحظى ذلك الغر بكل هذا الحب والاهتمام من هذه الحورية.. لم تقع كل الامور الصائبة لأناس خاطئين..

رأى لهفتها في عينيها وهي تتحدث عنه .. عن زوجها .. ذكر نفسه بقسوة .. وكأنما يحب ذلك الالم القارص الذي يعذبه ببطئ طاغية لايرحم..

-أرجوك سيدي .. فقط دعه يبقى لعدة ايام أخرى..

توسلت .. لتهاجمه شياطينه دفعة واحدة .. كل شيطان يهتف بما يمكنه ومايجب عليه فعله ليمحو من ذهنها اي فكرة عن الصبي الذي تزوجته وتلك العينين لاتريا غيره وتلك الشفاة المرتعدة برداً لاتنطقا سوى اسمه.. ولكن..

اهدئ سيف.. اهدئ ..

فكر بتروي.. وأخذ أنفاساً عميقة .. مرة تلو الاخرى .. متراجعاً .. هارباً من تلك النظرة البريئة التي طالبت بحقها من الفرح والحب .. هارباً من

تلك البراءة التي هددت بعواصف كراهية مقيتة ان تجرأ وأزعجها .. وهو لايريد الكراهية الأن.. هو يريد بعض السلام .. والثقة .. كي ينفذ اليها.. ويسيطر عليها كما يرغب..

ابتلع ريقه وتراجع يستند على حاجز الشرفة بمرفقيه وهمس:

-انها ليلة باردة..

نظرت له باستغراب من تقلبه من حال لحال؟؟ واحاطت كتفيها بذراعيها لاارادياً تحمي نفسها من شيئ مجهول استشعرته ينبض تحت جلده.. رأته ينظر باتجاهها بكسل:

-ربما يبقى .. ولكن لفترة قصيرة فقط..

تهلل وجهها بالسعادة .. ابتسامة هاجمته بقوة لتحبس أنفاسه.. وتتركه يغرق في بحور يكتشفها للمرة الاولى معها .. سمع قبلاً عن الغرق في ابتسامة امرأة.. من عاشقين حمقى .. والان هو يبحث عن الهواء.. يفتش عن ذرات تنقذه من الموجة الهائلة التي ابتلعته.. والتي تدفقت منها بلارحمة ..

-سلمـى..

انتفضا معاً .. والتفتا لمصدر الصوت.. حيث وقف فراس مخرجاً كل واحد منهما من عالمه بكل قسوة .. لتركض هي اليه بفرح هاتفة:

-انظر فراس لاداعي لسفرك مبكراً فقد وافق مديرك على بقائك..

-مديري؟؟

همس سيف بشرود وهو يرى الرجل الذي اعتدل واقترب منه ببطئ:

-مسيو سيف؟؟ مالذي تفعله هنا؟؟

ابتسم سيف بسخرية للارتباك الواضح في عيني الفتى :

-بل مالذي تفعله أنت؟؟ لقد تركت كل شيء خلفك وهرعت دون تفسير الى باريس؟؟

-كانت هناك مشكلة..

قالها بعصبية وهو ينظر باتجاه سلمى التي انكمشت مكانها وعينيها تتعلقان به.. لينتفض ذاك بحنق .. مستنكراً الخوف الذي ظهر في عينيها .. واعتدل في وقوفه مزمجراً دون أن يعي أو يقصد:

-اذا كانت لديك أي نوع من المشكلات فماكان عليك سوى استشاراتي..أم انك نسيت أن هناك عقود تربطنا مسيو عزب..؟؟

ابتلع فراس ريقه وهو ينظر الى الكيان المظلم قبالته .. لم يكن يدرك انه يهرب منه حتى وقف الان أمامه.. بكل جبروته وهيمنته الفطرية .. لم يكن يخيفه.. بل هو يخشاه فعلاً.. وقد كان يخنقه.. صحيح ان عرضه وتنفيذه كان يفوق الخيال ولم يتوقعه قط ولكن؟؟!!

البقاء قربه كان خانقـاً.. وهو لم يعتد أن يُقيد بتلك الطريقة .. أبداً..

-كان عليك اخطارنا بمكانك وسفرك.. أتعلم كم خسرنا في اليومين السابقين؟؟

قالها سيف ببرود جعل فراس يضيق.. زفر بتوتر ورآه سيف يتململ في وقوفه.. هنا فقط كان عليه التراجع.. لم يكن عليه أن يضغط اكثر والا خسر.. كان يدرك مايعنيه مزاج الفنان.. كان يعرف انه ان الضغط المبالغ فيه يؤدي للانفجار.. ولذا وبكل حرص تراجع .. مبتسماً بتفكه .. مقترباً ليربت على كتف فراس جاذباً اياه من قرب زوجتها هاتفاً:

-ولكنك قمت بالصواب على كل حال.. ففعلاً انت تحتاج لأجازة .. تغير بها مزاجك ..

عقد فراس حاجبيه وهمس بقلق:

-حقاً؟!!

-بالطبع.. يالهي يارجل لقد أهديتني اجازة انا بنفسي.. وقررت المجيئ ورؤية الاهل.. فكماتعرف لم ارهم منذ مدة..

قالها ببساطة وهو يتجاهل النظرات الحارقة التي رشقته بها سلمى والى أحرقت ظهره بقسوة ..

-سنبقى انا وانت هنا فراس وبعد عدة ايام نعود للحياة المملة والاعمال.. مارأيك؟؟

-حسناً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

همس فراس بضعف .. ليبتسم سيف وهو يعود للسيطرة والتفت للخلف حيث وقفت تلك تنظر له بنظرة حادة كارهة أصابته بقسوة وجعلته يتحشرج في أنفاسه وهو ينظر لفراس هاتفاً:

-اتفقنا اذاً.. تعال غداً الى هذا العنوان ..

وناوله ورقة مطوية وغمز بعينه هامساً:

-أخر شيئ قبل البدئ بالاجازة مارأيك؟؟

-ماذا سيكون هناك؟؟

تسائل فراس فضحك سيف بخواء:

-مفاجأة .. فلاتفسدها بكثرة التساؤلات..

ثم خطف نظرة اليها وقال:

-سأودعكما الان.. الى اللقاء..

-ألن تبقى بعض الوقت..!!

-لا لا .. لقد تأخر الوقت وارغب بالنوم..

قالها بتوتر وصافح فراس بقوة قبل أن يلتفت لسلمى التي تراجعت عن طريقه والتجأت لزوجها تبحث عن حماية غريزية ضد نظرة الافتراس التي لاحت في عيني الشيّب في حين كان زوجها لاهياً في تفحص العنوان غير عابئ بمن تتشبث به يائسة .. وهنا ابتسم سيف.. بسخرية وتهكم .. وقابل نظرتها المتوجسة من خلف كتفي فراس بتحدٍ سافر ..وقوة مطلقة .. ودون كلام هتف بها .. ستكونين لي أيتها الحورية السمراء.. أقسم أنك ستكونين لي..

رأى مقلتيها ترتجف.. وسمع شهقتها الخافتة .. وكأنما وصلت رسالته اليها بالكامل..

فاتسعت ابتسامته .. وملئت عيناه الوحشية .. قبل ان يستدير عنها ويمضي بسرعة دون صوت كماجاء..

هي ترتجف بقوة وتنظر لزوجٍ لاهٍ في عالم غريب عنها .. خائفة حد الموت من رجل يثير فيها مشاعر من القوة والتحدي لم يثرها سواه ..

وهو اندفع بقوة مغادراً المكان وكله يقسم .. انه سيغويها .. تلك الفاتنة السمراء ستكون له.. بين يديه ولن يوقفه شيء.. سيحصل عليها ولو كلفه ذلك كل مايملك ..

***

توقفت الدنيا عن الدوران .. كل شيء أمامه يراه متجمداً .. بلاحراك .. وكأنما توقفت كل عقارب الساعة في الكون .. عند مشهد واحد .. عند لحظة واحدة .. عند زمن واحد..

لحظة رآها تتمايل شبه عارية بين يدي رجل غريب؟؟!!

يالله ..

شخصت عيناه .. حتى شعر بلسعة ألم .. بغثيان قوي يتصاعد من اعماقه .. لم يعرف هل يركض هارباً .. أم يعود ليقتلها بيديه ويتخلص من هذا الألم الحارق.. من هذا العار المتغلغل في عروقه ..

أغمض عينيه بقوة وتعثرت قدميه على الدرج .. كاد يسقط عدة مرات وشعر بمعدته تغلي .. لم يستطع السيطرة على نفسه ليفرغ كل مافيها على السلم .. تقيأ بعنف.. وكأنما سيزهق روحه والعار معه..

أراد الصراخ .. البكاء.. ولكنه سيطر على نفسه بقوة .. وقسوة .. لم يعد يشعر بساقيه.. تهالكت تحته.. وجذبته معها أرضاً.. لقد صعقته المفاجأة ..

صعقته ولم تتركه الى يدور ويدور في دوامة سوداء تبتلعه..

تهالك على الدرج يلهث بقوة .. فمه مر.. كمر مارآه .. ياإله الكون..

فكر بجنون.. ليته أصيب بالعمى قبل ان يرى مارآه .. ليته مات قبل ان

يراه.. ليته مات قبل ان تقتله بتلك الطريقه ..

أآآآه ..

صرخ بعمق وهو يركل الدرج الحجري بقوة أرسلت تياراً من الألم عبر

ساقه .. لم يهتم .. عاد يركلها بقوة وكأنما شعوره بالألم قد يحرره..

قد يفرج منه بضع مايشعره من قهر .. عجز .. وخيانة ..

يالله كم كان غراً ساذجاً ..

أحمق.. طفل لعبت به بكل وقاحة .. استخدمته بكل حقارة ..

عاد يركل الدرج وهو يصرخ بوجع ..

حين شقت الصرخات الانثوية عنان المكان ..

انتفض بقوة .. قلبه صاح بألم لم يفهمه .. سمع صرخات مجنونة ..

توالت بلاتوقف.. قبل ان يرى تلك الطفلة التي تعرفها كأخت لتلك

الخائنة وهي تنزل هاربة عبر الدرج تصيح بلاتوقف..

لم يجد بداً من ايقافها .. امسكها من ذراعها بقوة ونظر مصدوماً

للدماء التي تغطي يديها وهي تصرخ بلاتوقف.. وقد اتسعت عينيها

متجمدة .. دون ان تتوقف.. ابداً ..

شعر بالألم يغزو أذنيه من حدة الصوت وصرخ بها:

-توقفي.. توقفي..مالذي حدث..؟.؟

تيبست الطفلة بين يديه .. تيبست وهي تنظر له بعينين مذعورتين جاحظتين .. تنقلان النظرات بين يديها الملطختين بالدم ووجهه الشاحب الذي بدا يستوعب ولو عبر ضباب مشاعره الكثيف:

-نادين..

ولم تنتظر الطفلة سوى اسم شقيقتها لتعاود الصراخ بلاتوقف ليتركها هو بقلب نفض عنه كل شيء سوى احساس عارم بالجزع .. تركها وصعد الدرجات القليلة التي تفصله عن الشقة القذرة حيث مصدر البكاء والعويل الذي لم يتوقف..

توجه نحو المصدر الصوت بسرعة ليتوقف دون حراك للحظة..

كانت هناك .. ملقاة على ارض الحمام الرخامية.. يلفها ثوبها الاحمر .. وتغطيها دمائها..!!

تصلب في وقوفه وسط بحر من الصراخ والعويل.. للحظة فقط همد الكون كله.. لم يعد هناك سواهما ..

نادين .. وهو ..

نادين الصبية العفية .. نادين الجثة الغارقة بالدماء..

نادين الضاحكة .. والتي تحمله عينيها للغيوم.. نادين الشاحبة .. الباردة.. الخالية من الحياة ..

"ناديييييييييييين"

صرخ بحرقة وهو يرتمي الى جوارها .. لم يعرف كيف انتزعها من بين يدي والدتها المتشبثة بها بجنون .. كل ماعرفه انه انتزعها الى صدره.. ينظر الى مصدر الدماء.. معصميها النازفين بلاتوقف.. هزها بعنف وهو يصرخ باسمها دون فائدة .. لينظر لمن حوله ويصرخ بهم أن يحضروا مايوقف به النزيف..

نظر لوجهها البارد وصعقه شحوبها البالغ.. وجد نفسه يكبل معصميها بقوة كفيه يحاول الحد من تدفق الدماء التي كانت تئز بقوة لامبالية بقوة ضغطه..

-ناديين..

صاحت أمها بجنون .. تلطم وجهها وصدرها .. في حين تحاول اختها مواساتها والاولى تقاتلها بشراسة .. تجاهلهما وهو يهمس لنادين بوجل:

-نادين استيقظي.. استيقظي نادين ..

صرخ بها بقوة دون مجيب حينها وجد سمر تناوله خرق مزقتها من ملائة قديمة وهي تبكي دون توقف.. لم يعرهم اي اهتمام .. بل صب اهتمامه كله على ربط معصمي الفتاة بقوة مانعاً تدفق الدماء ..

حينها اقتربت امها تحاول ضم جسدها ليبعدها علي بغلظة وهو يصرخ:

-ابتعدي عنها ..

ودون مراعاة كان يحملها بين يديه .. ويتجاوز صف الفضوليين الذي تجمع على باب الشقة .. ويسرع بها للأسفل.. كان عليه ان يوصلها للمشفى بأسرع وقت.. نبضها كان ضعيفاً وجسدها البارد يشير الى مافقدته من دماء .. ويفتن بأن ماتبقى بالكاد يكفي..

كانت تموت .. وبسـرعة ..

لم يعرف بوجود امها خلفهما الا بعد ان وضعها في السيارة حيث صاحت برجاء:

-خذني مع ابنتي.. ارجوك خذني معها..

اراد أن يوصد الباب.. اراد ان يقفله ولايدع أي أحد يقترب ولكنه يدرك انها أمها.. ويجب ان تكون معها.. تمالك نفسه بصعوبة وتركها تدخل قبل ان يجلس خلف المقود وينطلق بالسيارة نحو المشفى دون تأخير..

حين اخذوها لغرفة العمليات كاد يقع من طوله ..

كله يرتجف.. بكل قوة هددت ساقيه أن تخذلاه .. لذا بحث عن اقرب مقعد وجلس ينظر للفراغ أمامه.. عيناه شاخصة .. لايقوى على حتى اغلاقها .. لو فعل.. سيراها مجدداً .. تراقص ذلك الغريب بكل مجون.. غصة استحكمت حلقه وصورتها الباردة الغارقة بدمائها تهاجمه دون رحمة ..

ضغط على نواجده بقسوة .. وقبض كفيه الملطختين بالدماء بعنف ..

-دكتور..

سمع الصوت من جواره لينظر ووجد احد زملائه يتقدم منه ويجلس الى جواره:

-هل أنت بخير؟؟

-نعم بخير.. المهم كيف حالها هي؟؟

نظر له زميله بشك للحظات قبل ان يقول:

-لااعرف.. حالتها خطرة وقد فقدت الكثير من الدماء وسنحتاج لنقل الدم..

ابتلع ريقه وهمس:

-انا مستعد للتبرع بدمي ان كان مطابقاً..

-سنرى .. ماجئتك الان بصدده هو الشرطة؟!

نظر له علي بحدة .. كان يعرف انها محاولة انتحار.. ويدرك ان الشرطة يجب ان تبلغ وان تحقق بالامر ولكن..

اغمض عينيه وهو يتخيل ماقد يؤول اليه الامر.. الفضيحة التي ستلطخ حياتها .. الكارثة التي قد تتسبب بها لها ولأختها الصغيرة ؟!

فتح عينيه ونظر لصديقه الذي كان يتطلع له بامعان وهمس:

-انها تخصني ياشهاب.. ولم آتي بها الى هنا الا لثقتي انكم ستتكتمون عن الامر..

تنهد شهاب وتراجع في مقعده .. انه يعرف علي العزب منذ الطفولة .. بل انهما من قبيلة واحدة .. وشيخ العزب أفضاله على الجميع ..

-شهاب .. والدك مالك هذه المستشفى وتستطيع ان تمرر الامر بكل سهولة..

قالها علي باصرار.. ليتنهد الشاب ويومئ برأسه:

-بالطبع لاتقلق.. سأتكفل بالامر..

-وكل المصاريف علي أتفهم ..

-حاضـر ياشيخ.. كما تشاء..

قالها الشاب مبتسماً قبل ان يغادر ويترك علي في مواجهة ام نادين التي همست:

-لم تفعل لنا كل هذا؟؟

نظر لها بألم .. بعمق مجروح .. بقهر .. لم يشأ أن يدخل معها في جدل .. في نقاش .. كل مافعله انه أشاح عنها.. لم يأبه لها .. ولكنها تصر:

-انت تحب ابنتي..

نظر لها بحقد .. حقد اودع فيه كل خيبته وقهره ممافعلته ابنتها به:

-ابنتك مجرد ساقط(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لا لا ..

هرعت تسكته باكية بعنف .. ليبعدها بقرف فتصيح:

-ابنتي تابت.. تابت قبل حتى أن تتعرفك..

نظر لها ساخطاً وترددت في اعماقه ضحكة عالية لم تجرؤ شفتاه على البوح بها وهو يصرخ:

-ومارأيته كان توبتها النصوح ها؟؟ أخبريني ..

-انا أجبرتها..

شهقت بوجع .. وتهالكت تبكي بانهيار :

-أنا أجبرتها .. لم يكن يفترض بها ان تفعل سوى البقاء معه لعض الوقت.. كنا سنضع له المخدر وينام كالبغال..

-ياارب الكون..

صرخ بألم .. ونهض يصيح بها:

-أي نوع من البشر انتم..؟؟ أي قذارة تعيشون بها؟؟

-انت لاتفهم..

تلعثمت باكية ليصرخ دون أن يهتم بأي مكان هو :

-مالذي يجب أن أفهمه؟؟ مالذي يجب أن أفهمه وأنتم تعيشون في وحول قذرة.. كأنكم مجرد خنازير عفا أن تكونوا بشراً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

اتسعت عيناها بذعر لثورته وتراجعت في مقعدها في حين تراجع هو زافراً بقهر .. ناظرا لكفيه الغارقتين بدماء تلك المجرمة لتنتابه موجة غثيان جديدة .. نظر لأمها بقهر:

-سأفعل مابوسعي لتخرج من حالتها .. سأتكفل بكل شيء ..

نظرت له بأمل قبل ان تكتم املها بقسوة كلامه بعدها:

-ثم اريدكم خارج حياتي.. لااريد أن أرى احداكن ابداً .. أتفهمين؟؟ ان عاشت ابنتك.. فسوف تأخذينها بعيداً والا فأنا أقسم أن أسلمكم للشرطة بنفسي..

وقبل ان يسمع اعتراضها الواهن.. كان يغيب خلف احد الباب يريد تخليص نفسه من قذراتها عليه.. ومحوها من حياته والى الأبد..

***

لم تتوقف عن الارتجاف لحظة .. غطتها بكل حنان ومسدت رأسها بعطف .. وتركتها لدموعها المنهمرة بلاحساب وتسللت الى خارج المخدع حيث أخذت هاتفها وحاولت الاتصال به للمرة الألف دون فائدة ..

تنهدت بغيظ وجلست تسند ذقنها الى باطن كفها وهي تتذكر ماحدث قبل ساعات وهي تراقب ضوء الشمس الوليد ..

كانت ترتقب عودته من عند شقيقته بلهفة .. ليست مرتاحة أبداً لشراسته وهو يغادرها وتدرك انه بصدد ارتكاب جريمة حين تفاجأت بالباب يدفع بقوة وبه يدخل محملاً بشقيقته فاقدة الوعي..

تسمرت تنظر اليه بذهول وهو يتجه الى غرفة النوم حيث وضع الجوهرة برفق على الفراش وهتف بها :

-سيـادة تعالي وساعديني..

أسرعت نحوه لتشهق مرعوبة وهي ترى وجه الجوهرة وقد تورم وظهرت عليه كدمات محمرة وتئز شفتيها بالدم..

-هل ضربها ذاك المتوحش؟؟

نظر لها قحطان بفروغ صبر:

-أحضري بعض الثلج والقطن لتنظيف جروحها ..

سارعت لتنفيذ مايقول .. وسرعان ماكنت تنظف جروح المرأة التي كانت تئن بألم وتستعيد وعيها ببطئ.. في حين كان قحطان يراقب بصمت وعقله يعمل بسرعة الصاروخ.. لايصدق ان اخته سكتت لسنوات ماكان يفعله بها هذا المجرم القذر المريض.. لايصدق ان ابنة ناصر العزب تعرضت للضرب ورأسه يشم الهواء.. لايكاد يصدق.. احتقن وجهه بقهر.. ووجه لها نظرة لائمة .. لو اخبرته منذ البداية.. فقط لو قالت له او لمحت لكان استطاع حمايتها .. لكان مزق ذلك القذر بيديه كما ينوي ان يفعل الان .. تنهد بحرقة واقترب من الفراش حيث بدأت الجوهرة باستعادة وعيها وفتح عينيها متأوهة تنادي طفليها بشحوب..

-لاتقلقي ياجوهرة .. الطفلين بأمان عند فتحية..

نظرت له بذعر .. قبل أن ترفع كفيها تخفي كدمات وجهها عن عينيه الصقريتين ليهتف بحنق:

-لقد رأيت وعرفت كل شيئ.. لاداعٍ لإخفاء وجهك عني ياشقيقتي..

بكت بمرارة .. وحاولت النهوض:

-انها مشكلة بسيطة قحطان .. انها شيئ تافه..

اتسعت عيناه بذهول وصاح بها:

-تافه؟؟!!

تراجعت شاهقة وهي تواجه غضبه:

-لم يكن يعني ضربي ياقحطان .. أنا استفزيته .. انا..

-جوهـــــرة ..

هدر بغضب عارم لتنكمش باكية .. وتسارع سيادة لأخذها بين ذراعيها بسرعة وهي تهتف:

-لاتخفها قحطان .. ارجوك اتركنا الان..

نظر قحطان لزوجته التي مسدت رأس شقيقته بحنان وهي تدمدم لها بكلمات مواسية حنونة ليقول بزمجراً:

-بيننا الكثير من الكلام جوهرة .. الكثير جداً.. سكوتك عن ذاك الحيوان هو ماجعله يتمادى في جنونه ووحشيته.. ان كان يظنك

دون أهل أو عزوة فقد جُنْ.. لقد نسي من انت ومن يكون جدك واخيك.. ولكنني سأعيد له ذاكرته اليوم ..

نظرت له متضرعة وقلبها يرتجف خوفاً:

-لاتؤذيه ياقحطان.. ارجوك اخي .. هو لايعي مايفعل بي حين يكون غاضباً ..

-استغفر اللّه العظيـــم..

صاح قحطان بجنون جعلها تقفز لتتشبث بسيادة اكثر وقحطان يهدر:

-وتدافعين عنه أيضاً.. مالذي فعله لك؟؟ غسل دماغك.. ؟؟

-انه والد طفلي..

دافعت متحشرجة .. ليهتف باصرار:

-طفليك بعهدتي منذ الان .. أما هذا الحيوان فانسيه .. فلاشيء سيتبقى منه بعد أنتهي منه..

قالها بسرعة وهو يسرع للخارج لتندفع سيادة خلفه وهي ترق لحال الجوهرة المنهارة .. وقبل ان يغادر الغرفة توسلت له:

-توقف قحطان ارجوك..

نظر لها بحنق لتهمس:

-لاتغضب من جوجو انها بحالة نفسية سيئة.. ولاتعرف مايجب ان تفعل..

-كان عليها ان تلجئ لي.. كان عليها ان تثق بأنني لن أسكت عمايفعله ذلك القذر بها..

-اعرف اعرف.. ولكنها كانت بحالة سيئة قحطان .. تربت على منطق ان كل مايحدث خلف باب منزلها اسرار عليا ولايجوز افشاءها .. انها تعاني بسبب منطق مجتمعكم قحطان .. ليست مشكلتها وحدها..

نظر لزوجته باستياء وهو يعي ان ماتقوله صحيح ولكن بداخله يرفض مطلق أذية يمكن أن تقع على شقيقاته.. في حين واصلت سيادة بدهاء:

-أخبرني أنت مثلاً ماهو رأيك بضرب النساء؟؟

عقد حاجبيه وهتف:

-من يضرب امرأة بلاحول ولاقوة هو رجل ناقص لايستحق لقب رجل يحمله..

رفعت حاجبيها وكادت تصرخ به انه فعل معها المثل ولكنه عاد يقول بفطنة وعيناه تلمعان بحكمة:

-وأنا لاأتحدث عن تأديب الزوجات الذي أوصانا به رسولنا الكريم حين تشز أو ترتكب معصية تستأهل معها كسر رأسها .. قال تعالى:

(واللاتِي تخافونَ نُشوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهجُرُوهنَّ في المضاجعِ واضربُوهُنَّ).

عقدت حاجبيها بغيظ وهو يستخدم معلوماته الدينية التي لاتفقه فيها اي شيئ.. وشعرت بنفور من هذا الامر الرباني وظلم .. الا أن قحطان همس بحدة:

-ان الامر له الكثير من الضوابط الشرعية سيادة .. وهو جاء كأخر حل وفيه العديد من النقاشات والرسول نفسه عليه الصلاة والسلام لم يضرب امرأة ولاخادماً قط .. ليس كهذا المتوحش الذي احال شقيقتي الى وسادة ملاكمة ..

ثم تنهد وأكمل:

-ادرك خشيتها وأسبابها ولكنني لن اقف مكتوف اليدين .. وسأفعل مايتوجب علي كي أضمن ألا يكرر مافعله معها ابداً ..

ثم غادر بسرعة ومنذ ذاك الوقت وهو خارج المنزل ..

تنهدت وعادت الى غرفة نومها حيث وجدت الجوهرة تجلس ساهمة والدموع تتجمع على وجنتيها .. اقتربت منها وهمست:

-أتريدين مسكناً اخر جوجو؟؟

رفعت عينيها اليها وهمست:

-ألم يتصل بعد؟؟

هزت سيادة رأسها نافية لتتنهد الجوهرة وتغلق عينيها بوجع

فتسائلت سيادة هامسة:

-مالذي تخشينه الان جوهرة ؟؟ انت بحماية شيخ العزب ..فمالذي

تخشينه؟؟

نظرت لها الجوهرة بشرود قبل ان تهمس:

-أخشى القادم.. أخشى ماسيقولونه عني .. وعنه..أنت لاتعرفين

قسوتهم على المرأة هنا سيادة..

أضافت بمرارة .. لتحتقن الدموع في عينيها وتواصل:

-سيتهمونني انا بأنني افشيت اسرار زواجي.. سيقولون عني انني من

كنت أستفزه.. هنا اللوم كله يقع على المرأة .. في بلدتي الرجل

لايخطئ.. ابداً لايخطئ..

-ولكن هذا غير صحيح.. انت ضحية ..

اعترضت سيادة بقهر.. لتضحك الجوهرة بدموعها وتهمس:

-ليس حين يخبر الجميع انني لااقوم بكل مايريده مني.. او اذا ماتهمني بالتقصير في حقوقه وحقوق طفليه.. او حتى اتهامي بابشع من هذا..

-قحطان لن يسمح له..

صاحت سيادة بثقة لتهمس الجوهرة بثقل:

-قحطان في النهاية رجل.. وهذا ابن عمه ..

-وأنت شقيقته..

صاحت سيادة مستنكرة لتسكت الجوهرة وتشيح بوجهها فابتعدت سيادة بتوتر وهي تشعر بالقلق من مجرد احتمالية صواب ماقالته..

وقلبها يغلي .. وهي ترغب بعودة قحطان بأسرع مايمكن..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

وهناك في المخزن الذي تسربت اليه أشعة الشمس الدافئة وبددت القليل من برد الصحراء.. وقف قحطان برفقة ابناء عمومه وزوج عمته في مواجهة الحسن المثبت الى كرسي قديم وقد تهدلت كتفاه ونزفت شفتاه ورأسه من ضرب مبرح .. بالاضافة لحالته الذهنية التي تراوحت بين الهذيان وفقدان الوعي ..

وأمامه وقف قحطان يسأله ببرود:

-ألاتنوي اخباري عن عصابة الاتجار التي تعمل معها؟؟

رفع حسن جفنين ثقيلين ونظر لابن عمه ذو الصورة المهتزة وهمس:

-سيقتلونني.. سيقتل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قبض قحطان على شعره المخضب بالدم والعرق وهدد:

-وأنا سأشق عنقك إلم تخبرني الان في التو.. تكلم ياحسن.. تكلم الان..

كان كله يحترق.. ماقاله ابن عمه عن تجارته وكيف استغل اسم عائلته لادخال السموم البيضاء الى البلد وكيف يتعامل مع العصابة باعتباره رسول للعائلة .. كاد يجن وهو يسمع ماكان يقوم به من افعال مشينة باسم آل العزب .. وشعر بالجنون أكثر لأن لاشيء ممافعله هذا القذر قد وصل لأسماعه .. كان عمله من السرية بحيث لم يصل لهم قط..

-قحطان دعه الان.. ربما ان تركناه في البرد والجوع والعطش سيتكلم..

تدخل احد ابناء عمومه ليبتعد قحطان عن الرجل بقرف.. ولكنه لم يتركه بل انحنى نحوه وهمس:

-والجوهرة ياحسن..

همس حسن بتوتر:

-لاشأن لك بزوجتي.. ماافعله بها وما..اااآآه..

قطع عبارته بتأوه عميق حين قبض قحطان على عنقه بعنف وضغط أكثر وهو يسمع لحشرجة الرجل وهو يصيح:

-زوجتك هي شقيقتي.. حفيدة شيخ العزب.. ولا أنت او غيرك تملك الحق بمسها بسووء..

-انهاا.. زو..زوجتي..

تحشرج صوته وقحطان يشدد ضغطه على عنقه بوحشية هاتفاُ:

-زوجتك يعني ان تحافظ عليها .. لاأن تحاول قتلها.. أيها الحيوان القذر..انت لن ترها بعد الان ابداً.

شعت عينا حسن بالغضب والجنون وهو يصرخ:

-اياااك قحطان.. اياااك.. لن تقدر على ابعادي عن زوجتي.. هي لاتستطيع العيش بدووني..

صفعه قحطان بقوة وهو يصرخ:

-اخرس ياجباان.. لو كنت رجلاً كفاية لامارست قوتك على من لاحول لها ولاقوة .. ايها القذر اللئيم.

ثار جنون حسن وبدأ يحاول النهوض من الكرسي المثبت ارضاً وهو ينتفض محاولاً فك قيوده:

-انت هو السبب.. انت سبب كل الخرااب..

ضاقت عينا قحطان وهو يشعر بالغضب الهادي .. غضب مزقه من كل مكان.. هذا الرجل لن يهدأ حتى يثير فيه كل عصب .. كان عليه أن ينتهي من المسألة حتى يعود الى منزله .. لقد حل الصباح ويجب ان يخبر جده بكل ماحدث.. ولكن قلبه لم يكن قد بردت حرته بعد .. لذا وبكل قسوة اندفع نحو حسن وحرر يده اليمنى بغلظة وهو يصيح:

-هذه يدك التي كنت تضرب بها اختي ياحسن أليس كذلك..؟؟

اتسعت عينا الحسن وهو يحاول جذب ذراعه بضعف من قبضة قحطان القوية والتي اندفع اثنين من ابناء عمومته لمساعدته وتثبيت الذراع وفرد كفها على طاولة قريبة في حين كان قحطان يتناول مطرقة حجرية ضخمة ..

-مالذي تنوي فعله ياقحطاان.. توقف قحطاااان..

صرخ بهلع وعيناه تتسعان بذعر وقحطان يدمدم ببرود قاتل:

-حتى لاترتفع يدك على امرأة قط بعد الان أيها الناقص..

وبكل قوة هوى بالمطرقة .. وتردد صوت الصراخ .. عويل مزق صمت الصباح .. مزقه الى اشلاااء..!!

***

وأخافُ يوْمًا

أنْ أُحِبَّكِ فوقَ ما تتحمَّلينْ

وأخافُ أن ألقاكِ نَهرًا في دُموعي

وأخافُ أن ألقاكِ يَومًا في ضُلُوعي..

نَهرًا من الأشواقِ ،

نَبْعًا مِنْ حَنينْ

وأخافُ أنْ ألقاكِ شَمسًا

دِفْؤُها لا يَستكينْ

وأخافُ يا قَدَري الذي

قد خُطَّ مِن فَوقِ الجَبينْ..

من بَعدِ أن أهوى هَواكِ تُسافِرينْ..!!

عبد العزيز جويدة

ان كانت تخشى ماتخشى فهو الوقوع في خطأ لايمكنها الخروج

منه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) تلك الليلة

كسابقتها مرت عليها بهدوء غريب.!!

تنتظر رجل اختار عزل نفسه عنها وعدم القتراب ولاحتى الاكتراث بها ، هل فكر يوماً بما قد يعنيه هذا لها من تحطيم ،، من تعذيب لمشاعرها وامتهان لكرامتها؟؟؟ لا بالطبع ففراس لايفكر.. كانت الغرفة الثانية في جناحهما المشترك هي ملاذه يقضي بها الكثير من الوقت .. يتركها ليعزف موسيقاه الغريبة .. !!

تنهدت وهي تقف على شرفتها تراقب انصرافه المبكر للموعد مع رئيسه الغريب والذي بعثت ذكرى تواجده ليلة امس الفوضى لمشاعرها البريئة الغضة ،، تخاف منه ربما والاكثر انها لاتفهمه وعدم الفهم هذا يربكها وشتت تفكيرها ،،، تأففت وعزت نفسها الى الموعد الذي ضربه لها زوجها بغرض الخروج وتمضية الوقت سيتغذيان معاً في الخارج .. كل ماعليها هو موافاته الى العنوان الذي تركه لها.؟

تنهدت وابتعدت عن النافذة ..

تقدم لايكاد يذكر.. ولكنه تقدم..

جلست تضم ساقيها اليها وتراقب النار المضطرمة في المدفأة..

وابتسمت بحنين(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) تتذكر البلدة القديمة..البرد القارص والتجمع مع أخوتها حول المدفأة الحديدة القديمة والتي يستطلي فيها الخشب الجاف.. ثم

مشاكستها للجميع بتلطيخ اصابع يديها بالدحام وركضها حولهم لوضع الشارات المضحكة على وجوههم..

تذكرت عبوس علي.. وابتسامة قحطان الرزينة .. وتذكرت غضب رعاد.. وركضه خلفها حت يقبض عليها ويستخدم الباقي لتلطيخ وجهها بالكامل..

ابتسمت بحنين ومرارة .. غصة موجعة ودمعة حارة فرت من عينيها .. ليتها تعود.. تتمرغ في دفئ عائلتها وترتاح من كل هذا ..

زفرت بضيق ونهضت تحاول الاتصال بعائلتها دون فائدة ..

الخطوط في هذا الوقت مع قوة الريح هناك سيئة للغاية ولاتكاد تشبك معها مهما حاولت..

تركت الهاتف وعادت تجلس .. ولكنها هذه المرة التقطت كتاباً وشرعت تقرأ فيه.. كان في اللغة الفرنسية وتعلمها.. كانت تعشق الكتب.. واكتشفت ان القراءة مسألة شغوفة ورائعة.. وليس هذا فحسب.. بل القراءة باللغة الفرنسية .. كانت متعة لاتضاهى.. لهذا اشترت العديد من الكتب المترجمة لتقوية لغتها وتحسينها..

وتمضية وقت ثقيل وخصوصاً بعد التجاهل المباشر الذي وصلها من ايفا حال عودة فراس وكأن مهمتها قد انتهت..

مر الوقت سريعاً .. وفي الواحدة ظهراً كانت تجلس في سيارة العائلة المخصصة لتنقلاتها ويقودها سائق خاص للعنوان الذي تركه لها زوجها.. كان استوديو خاص وحالما وصلت اعطت اسمها للحرس الخاص الذي رمقها مطولاً بنظرة لم ترقها.. وكأنه يستنكر لهجتها الغريبة ونطقها المتكسر ..

كانت تنتظر بقلق عودة الحارس الاخر الذي لم يتأخر وقال بغلظة:

-لم نجد اسمها في القائمة..

نظر لها الحارس الاول بانتصار لتنتفض هاتفة:

-ولكن لدي العنوان.. وزوجي بالاعلى.. هو من طلب مني المجيئ.

-نعتذر مدام.. فهذا مبنى خاص والدخول لايتم سوى بدعوة .. ويجب لمن دعاك ان يترك اسمك لدينا.

-ولكن..

دمدمت معترضة :

-اتصل به.. انا واثقة ان هناك خطأ ما..

عقد الرجل ذراعيه وقال بسماجة:

-لايود أي خطأ.. أنا أسف مدام ولكن يتعين عليكي الانصراف.

اتسعت عينيها بذهول.. رباااه حتى اليوم الذي ظنت انها ستتقرب فيه لزوجها بعيداً عن أمه المهووسة به ينتهي قبل أن يبدأ..ولكن كيف؟؟ لقد أكد لها أنه سيترك اسمها..ارادت الاتصال به ولكن هاتفه مغلق..!! مالذي ستفعله الان..؟؟ حتى السيارة قامت بصرفها؟؟

تأوهت بأسى واحتشدت الدموع على مقلتيها وهي تتراجع بغصة تملؤ حلقها ..

-مدام ســلمى؟؟

شهقت تنظر باتجاه الصوت الاجش.. لتتسمر عينيها عليه.. بطلته المهيبة .. وتتسمر مكانها وهو يقترب منها بخطوات سريعة ونظرة لاتفسر تملئ عينيه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

يالله كم تمنى لو أنه لايحلم..

كم كان الكون كله يدور حوله بعاصفة على وشك الهبوب.. بغضب اسود بعد ليلة ليلاء قضاها في نسج الخطط ومقاومة كوابيس وأحلام تنافسها بشاعة ليصحو كل ماحوله لرؤيتها تقف بكل ذلك البهاء؟؟!

تسمر ينظر لقامتها في معطف ثقيل أزرق يصل لمنتصف ساقيها..

تعقده بحزم حول وسطها النحيل.. ترتدي جينزاً ابيض ناصع وحذاء

برقبة قصيرة في حين تتساقط خصلات شعرها الغجرية حولها بعفوية..

وجهها متقد من البرودة .. وقد التمعت عينيها بدموع لم تفته..ووجد نفسه يناديها بلهفة .. لتستجيب برقة..

-أنت مجدداً؟؟

همست بشحوب ليقترب مهيمناً عليها بطوله الفارع:

-مالذي جاء بك الى هنا؟؟

نظرت له لوهلة .. قبل ان تنفض اضطرابها وتعود لبؤسها وتصرخ بحنق باكٍ:

-هؤلاء الحمقى رفضوا أن يدخلونني.. فراس لم يضع اسمي في القائمة وهو من طلب مني المجيئ في الاساس..

نظر لها بدهشة قبل ان يتنهد وهو يستوعب الامر ببطئ..لاينكر انه شعر برغبة بتحطيم ماحوله حين ذكرت زوجها ولكنه لن ينكر تقافز دقات قلبه الراقصة بصبيانية حولها تلهيه عن التركيز فيماتقول بشكل لائق ولكنه فهم..

-لاتقلقي.. سأتكفل بالامر..

وبدون تردد نظر باتجاه الحرس الذين تقبلوا تعنيفه القصير والمختصر بوجوه محتقنة .. لم تفهم ماقال بسبب اضطرابها وسرعة حديثه وخفوته.. ولكنه عاد يقابلها بابتسامة ناعمة:

-لاتقلق منذ الان.. أنت مرحب بك في أي وقت.. دون انتظار اذن من اي أحد..

اتسعت عيناها:

-ولكن كيف؟؟

هز كتفيه تحت قماش معطفه المفصل مبرزاً عضلات انسيابية :

-انه ملكي وأفعل ماأريد به.. هيا بنا..

قالها فارداً لها ذراعه لتتقدمه .. نظرت له بتردد لبعض الوقت قبل ان تحسم ترددها وتمضي ليتبعها بابتسامة شقية .. ثعلبية .. وحشية ..

تأملت المكان الذي قادها اليه برهبة..

الطابق الاول.. حيث الغرف يفصل بينها حوائط غريبة عازلة للصوت.. والمساحات امتلئت بألات موسيقية متباينة في النوع والحجم..

-فراس هناك..

قالها هامساً لتقفز عينيها حيث يشير..

ورأته يجلس الى كرسي يحيط اذنيه بسماعتين كبيرتين ويبدو غارقاً في العزف على جيتاره الذي يحتضنه بقوة..منعزلاً عن العالم .. وقفت ساهمة بانتظاره أن يلتفت اليها .. ان يفطن لوجودها .. تذكرت ماقرأته ليلة امس في احدى الروايات الفرنسية .. أن الهواء يتغير حولنا حين نحب.. فنشعر بوجود من نهوى قبل ان نراه أو نسمع صوته..

يالها من أكذوبة رومانسية رخيصة ..!!

فكرت بحنق امتزج بالمرارة.. ولكنهما أين والمحبين أين؟! انهما زوجين حقاً .. ولكنهما كذلك مع ايقاف التنفيذ.. زوجين في مرحلة التعارف .. والتودد.. ان كان شيئ كهذا له وجود من الاساس؟!

لايجب أن تلوم كاتبة الرواية الرومانسية.. فلم يكن هناك من نصّب فراس بطلاً سواها..!!

-انه منشغل كماترين..

سمعته خلفها .. لتنتابها رعشة خطيرة امتدت على طول عمودها الفقري.. ورغماً عنها وكأنما تشدها ايدٍ خفية التفت اليه .. لتقابل دكنة عينيه الخطيرة .. وقد انعكست عليها الوان كنزته الكتانية

الزرقاء.. فباتت بزرقة عاصفة .. كبحر وسط اعصار هادر.. مدمر..

هاجمها واغرقها ..

-هو.. احم.. هو طلب مني المجيئ..

تمتمت بخفوت وهي تحاول النجاة من شبكة عينيه الآسرة دون

فائدة.. كان يُحكم سيرته وبقوة.. كغازٍ يبسط نفوذه على مملكة

جديدة .. بلاحول ولاقوة..!!

-ربما فهمت خطئاً..

همس بحزم .. ليندم على الفور وهو يرى تألق الدموع في عمق مقلتيها

العسليتين.. وتتقلص امعائه في عقاب سريع لقسوته وقلة مراعاته..

ياللكون هل تحب ذلك الرجل؟!

-لاتبتأسـي مدام..

همس برقة جعلتها تنتفض .. ضعفها اربكها .. والقائد المحتل اهمل

شباكه لتتفلت حوريته من عقالها بسرعة وتشيح عنه هاربة الى

فارسها المغوار..

-فرااس..

صاحت تطرق على الزجاج العازل للصوت بقبضتها بقوة ..

انتفض بسرعة وهتف بها:

-توقفي لن تؤذي سوى نفسك..

نظرت له بحدة .. بعينين تطاير شررهما بحقد .. هو من كان يبعد زوجها عنها .. واصابته الشرارت بالعجز .. يحترق في أتونها وينتابه العجز لفتنتها..

-فرااااس .. انظر الي..

صرخت بعجز .. وقد بدأ شعور بالخوف يحوطها ويتغلغل بداخلها .. حين شعرت باقتراب ذلك الكيان منها.. شعرت به يقترب كخطر داهم سقط عليها واجتاحتها نار غضبه تلفحها وهو يقبض على معصميها بيديه صارخاً بحسم:

-ستؤذين نفسك.. ألاتفهمين؟!!

تأوهت من قوة قبضته .. ورشقته بمقلتيها الشبيهة بأحجار العقيق اليمانية الغاضبة .. لينتفض بقوة بدوره ويعي انه يلمسها.. انه حقاً يلمس حوريته السمـراء..

-اترك يدي..

صرختها ببدويتها .. بكلمات عجيبة تركته فاغر الفم.. تركها..

تراجع ينظر لعنفوان النار التي اضطرمت في عينيها.. وقلبه يرقص لوحشيتها التي تصارع وحشيته هو نفسه..

-سلمى؟؟!!

التفتا معاً نحو الصوت .. هي تنهدت بارتياح وركضت لزوجها .. وهو ود لو يحطم المبنى على رأس ذاك الرجل الذي يملكها؟؟!

-فرااااس.. هل نسيت وضع اسمي بالاسفل..؟؟

صاح متنهدة وهي تتشبث بكتفه بطفولية شعشت مشاعر سيف وجعلتها تصطلي بنار غيرة لم يتمالكها .. ظهرت بوضوح من خلال عروقه النافرة .. واحمرار مقلتيه وهو يراها قريبة من الاخر.. قريبة منه جداً..

-لماكل هذا الازعاج سلمى .. قلت لك انني سأتصل اذا ماانتهيت مبكراً .. لماجئتي الى هنا؟؟

تراجعت مذهولة .. مصدومة .. وهي ترى انزعاجه الواضح..

قلة صبره.. ضيقه من وجودها ..!!

-لا.. لم تقل انك سـ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-بلى قلتها بوضوح ..

قاطعها بنفاذ صبر.. واضاف متجاهلاً نظرة الانكسار في مقلتيها:

-قلت لك سأتصل بك لو انتهيت مبكراً لنخرج للغداء ولكنني مشغول جداً .. هيا عودي للبيت وتوقفي عن ازعاجي بتطفلك ..

ودون ان يلتفت لأحد.. كان يعود لغرفته .. لعزلته .. يدندن لوحدته..

وهي ..

توقفت متهدلة الكتفين .. مصدومة المشاعر.. احتقنت عينيها

بالدموع.. وفاضت بها جفونها .. فانسابت رغماً عنها على وجنتيها..

تشعر أنها ضائعة .. مهزومة ..

تشعر انها وحيدة ..

وبالخلف.. كان يراقب بشغف.. يراقب كضارٍ .. مفترس .. يترقب انهزام

ضحيته .. سقوطها .. انكسارها .. لينقض ويأخذ مايريد .. وهي من

يريد..

وكاد فعلاً يفعلها .. كاد يهجم .. حين رأى اهتزاز كتفيها .. وسمع

شهقتها التي كتمتها بقوة .. ليتساقط سيف الشيَّب.. يتساقط كغر

..حانق .. حاقد.. غاضب بجنون .. لمن أسال دمعة من عقيق عينيها..

اقترب منها بسرعة .. وجذبها اليه .. قريب للغاية .. قريب لدرجة ان

يشتم رائحة شعرها .. مزيج من الورد.. وشيء أخر لم يميزه ..

قريب جداً .. لتصله شهقاتها الخافتة .. ويشعر بانتفاضتها الضئيلة ..

قريب .. لترفع عينيها وتستحكم عينيه .. تغرقه في بحور لم يعرفها

قبلاً ..

"لاتبـكي.."

توسل لها ..

"لاتبكي فقلبي لايملك القوة على السيطرة على ذاته أكثر.."

شهقت بالدموع ليهمس بخشونة:

-تعالي معي..

لم تعترض.. لم يكن لديها مخزون من القوة لتفعل..

كانت خائرة القوى.. رفض زوجها الموجع اضعفها .. سلمت نفسها

لذئب نشـب فيها مخالبه ومضى يركض.. دون توقف..

دوي هائل صم اذنيها .. عينيها غائمة في الدموع ويدها في قبضة

الشيّـب..

-خذني الى البيت ..

صاحت بصوت مبحوح.. ليتجاهلها بعجرفة .. قادها الى سيارته ..

وتجاهل سائقه الذي تقدم منه بسرعة.. قادها بنفسه في طرقات

العاصمة الضائعة وسط البرد.. هي تشيح عنه وتنتفض ببكاء

خافت.. خزي مزق قلبها وتركها مجروحة الفؤاد ..

وغضب وحقد اشتعل في اعماقه لمارآه من معاملة لحورته من رجل

لايقدر مابيده من جوهرة ثمينة..

-لاتبكيه.. انه لايستحق..

صاح بشدة لتنتفض وهي تتكور على نفسها .. تريد ان تنشق الارض وتبتلعها مع حزنها.. ووحدتها ..وعارها المذل أمامه .. امامه هو بالذات .. رفضها .. مرغ كرامتها..

الى متى تتحمل كل هذا؟؟ الى متى تتحمل هوانها عليه؟؟

-قلت لك لاتبكيه فهو لايستحق.. لاتخفضي رأسك لرجل لايرفعه لك ابداً ..

شهقت ناظرة اليه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) متسعة العينين .. لاتعي مايقول سوى جملته الاخيرة التي هزتها من الاعماق ..

كان يغلي غضباً .. ذلك الاحمق الارعن السخيف..

كان يتنازعه احساس عارم بالفرح لأن الفراس لاغبي افلتها من بين يديه .. واحساس اقوى وأشد بالغضب.. بالحقد على رجل امتهن كرامة حوريته .. حتى لو كان الامر يصب لمصلحته شخصياً..

-أعدني للبيت..

هتفت به وهي تناظر الطريق المستقيم امامها ليأخذ نفساً .. عميقاً .. ويزفره متقطعاً .. ليسيطر على مشاعره الثائرة وهو يهمس:

-ليس قبل أن تمسحي دموعك .. تستعيدي نفسك قليلاً ..

مسحت وجهها بكم معطفها بهوجاء وهتفت:

-أنا بألف خير فقط خذني لمنزل عمـي..

قبض على عجلة القيادة بشدة وقال ببرود:

-نحن بعيدون عنه .. وبصراحة لدي زيارة علي القيام بها..

اتسعت عيناها بشدة وصرخت تقاوم الانفجار بالبكاء مجدداً:

-اعدني لمنزل عمي.. ماذا دهاك انا لن ارافقك لأي مكان ياهذا..

ابتسم لاوياً شفتيه ودون تردد اوقف السيارة وفتح قفل بابها وهو يقول:

-قلت لك بأنني لن اعود كل تلك المسافة .. تفضلي وخاطري بالعودة وحدك..

تصلبت .. هي لاتعرف شيئاً عن ركوب تاكسي هنا.. وان فعلت.. هي لاتعرف عنوان منزلها!!

نظرت له فاغرة فاهها لينظر لها متحدياً:

-هيا مدام .. ليس لدي وقت..

تلعثمت حروفها .. واضطربت هامسة:

-لا .. لاأعرف..

رفع حاجبه بشـــر .. لتهمس باكية:

-لااعرف كيف اعود وحدي..

أشاح عنها بسرعة قبل ان يفقد تماسكه ويمسح دموعها بطريقه تجعلها تكرهه الى الابد وابتلع ريقه بصعوبة وهو يهتف:

-اذا دعينا ننهي موعدي وسأعيدك بنفسي.. لاتقلقي..

تراجعت شاحبة.. منكمشة في مكانها تواجدها الحميم مع رجل غريب في مكان ضيق كسيارته الرياضية الغريبة.. جعل كل عروقها تقف متحفزة بانتظار ماقد يقوم به.. ولكنه لم يفعل اي شيئ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) سوى قيادة تلك المركبة الصاروخية بسرعتها الهائلة التي حبست انفاسها وهي تهمس:

-قلل السرعة ..

ليضحك فخوراً بصغيرته السريعة ويربت على المقود هاتفاً بشراسة:

-لا مداام ..السرعة هي حياتي فاعتادي عليها منذ الان..

"تعتااد عليها؟؟"

فكرت بذعر .. انها الاولى والاخيرة .. ولن تتكرر ماحييت.. اقسمت سراً وهي تحكم حزام مقعدها حولها وتتشبث بمقعدها بشكل

مضحك والسيارة تطير بهما عبر الطريق السريع خارج حدود باريس الباردة ..

يرمقها بوحشية سافرة ..

من كان في مثل سعادته وهناءه .. طريدته ناشبة بين ضلوعه .. لم يعد يفرق من اصطاد من .. من الصياد ومن الضحية .. هما الاثنان معاً .. الان.. ولتنهار الدنيا من حولهما ..

كانت تقارب الثالثة حين أوقف السيارة .. أمام مبنى من دور واحد .. سقفه منخفض .. محاط بسياج حجري تسلقته النباتات الشاحبة بفعل فصل الشتاء القاسي.. وبدا مهجوراً..

نظرت نحوه مذعورة وهتفت:

-أين تأخذني..

استند على كرسيه براحة وضم يديه على بطنه قائلاً:

-انا جائع .. ألست جائعة؟؟

اتسعت عينيها بذهول وراقبته يترجل متمهلاً,, صرخت تناديه:

-هييييه .. انت ياهذاا ..

لم يتوقف.. بل استمر بالابتعاد لتقفز خلفها راكضة ..

-تعال وقد هذه الخردة وعد بي الى منزل عمي..

صاحت بحنق .. ليلتفت لها ناظراً بمكر لعينيها المتوهجة بالغضب..

شعرها المنكوش حولها بفعل الهواء البارد.. وجهها الذي احمر بسبب الغضب او البرد .. كلاهما قاسٍ وقارص..

-اخبرتك أنني جائع.. من يقود بهذا الجو ببطن فارغة ..؟! هيا تعالي لنأكل شيئاً..

-لاايهمنييي..

صرخت بعنف وهي تضرب الارض بقدمها كالاطفال ..بحنق .. وغضب جعله يضحك من اعماقه وهو يشير لها بالرفض ويعاود السير بتمهل..

تاركاً اياها تبتلع غيظها وحنقها وتكاد تجن من اسلوبه الماكر السخيف.. تباً تباً .. انه يذكرها باغاظة رعاد شقيقها لها.. ولكنها لن تسمح له.. لن تسمح له ان يسيطر عليها .. عادت تقف امام السيارة تستند عليها.. لن تدخل .. ستبقى هنا..

فكرت بعناد وهي تزم شفتيها غضباً ..وتستند الى بدن السيارة .. الجو كان بارداً .. بشكل مرعب..

ضمت ذراعيها اليها بقوة وزفرت البخار البارد .. كانت أسنانها تصطك برداً .. وهي تخفض رأسها تحول رفع ياقة معطفها تحميها من الهواء البارد حين شعرت باصابعه تحيط ذقنها بقوة .. لترفع له عينين

غائمتين بالغضب.. كمراجل نار .. انتقلت حرارتها اليه بلحظة ..

وهمس:

-قلت لك ألاتخفضي رأسك..

زفرت هواءاً مثلجاً .. وهي تتذكر الشق الثاني لعبارته والذي أغفله متعمداً .. ثم تركها مجبراً وهو يواصل:

-تعالي.. سنأكل وأعيدك لمنزل عمك مباشرة ..

ترددت للحظة .. قبل ان تتبعه ببطئ..قلبها يخفق بجنون بمشاعر لم تفطن لها ابداً من قبل .. تشعر بارتباك يحوط بها ويدمر اعصابها..

تنهدت وهي تضغط على قلبها بخفة ..

المبنى من الداخل كان كالجنة بدفئه ..

ركضت كالاطفال نحو المدفأة الحجرية الضخمة وخلعت قفازها لتبث النار دفئها اليها .. وتنهدت براحة والدفئ يتغلغل الى داخلها ..

وراقبها هو من بعيد .. بابتسامة حانية .. لم يستطع السيطرة عليها ..

التفتت اليه وراقبته يقترب.. نازعاً معطفه الثقيل وقبعته وشاله ..

وضعهم على ظهر كرسي قريب وهمس لها:

-هاتي معطفك..

نظرت له بتردد قبل ان تجيل نظرها في المكان..

كان مطعماً ريفياً انيقاً .. أخذها عمها الى واحد مشابه قبل فترة ..

كانت الطاولات متباعدة تفرض خصوصية راقية لكل الموجودين

والذين كانوا بعدد الاصابع الواحدة .. كان الوقت متأخراً جداً للغداء

.. ومبكراً جداً لتناول العشاء..

تنحنحت وهي تنزع معطفها .. لتظهر كنزتها الكشميرية الانيقة

بكميها الطويلين والت وصلت لحدود ركبتيها .. تناول معطفها وقادها

الى الطاولة المعدة سلفاً ..

-بماأنك ضيفتي فسأطلب لك الطعام على ذوقي..

لم تعترض وكأنما فقدت قدرتها على الحديث.. تركته يطلب مايريد

.. لغته الفرنسية كانت جميلة .. راقية ومهذبة .. قوية ومسيطرة ..

والوقت بعدها مضى بالصمت .. كان يريد التكلم .. أن يسمع صوتها

فقط .. ولكن مهما حاول القاء بعض الاسئلة.. الا انها كانت تجابهه

بالصمت المطلق..

ولذا سكت حتى جاء الطعام .. تأملته سلمى بحذر وهمست حينها:

-ليس به ايش من منتجات الخنزير؟!

نظر لها مجفلاً .. قبل ان تكتسحه مشاعر الحنق.. ينتظر منها كلمة لمدة وحين تفرج عنها تسأله عن الخنازير.. قلب شفتيه وهمس بنفاذ صبر:

-لاتقلقي.. لقد نبهته.. انها بط مشوي وبطاطا بالكريم .. لاتقلقي..

مطت سلمى شفتيها وهي تفكر انها لم تذق بطاً قط من قبل.. ولكن لابأس.. ستجرب..

-ماذا تشربين؟؟

تسائل لتهز كتفيها بلامبالاة فعاد يسأل:

-اتريدين شراباً خفيفاً.. ام ثقيل؟

-خفيف..

همست لينظر للنادل ويأمره باحضار البيرة لها والنبيذ له فشهقت صارخة:

-انا لاأشرب الكحول ..

نظر لها مندهشاً قبل ان يعي مع من هو بالضبط ويشير لها ان تهدأ ويسألها:

-مشروباً غازي اذاً؟؟

-لم اعد أريد أن أشرب..

هتفت بحنق ليهز رأسه ويلغي طلبها ويؤكد طلبه هو فتعترض بصلابة:

-ولاأجلس على طاولة يدار فيها خمر..

عقد حاجبيه بحنق .. ولكن رؤيته لانعقاد حاجبيها الحازم أدرك معه انها جادة وقد تسبب له فضيحة فألغى طلب واستبدله بمياه معدنية له ولها.. هو بلاتاكيد سيحتاج لمايبلع به باقي الوجبة..

بدأت بتناول طعامها ولدهشتها كان الطبق لذيذاً .. والبط طرياً .. والبطاطا ناعمة كأنها قشدة ..كانت تأكل بنهم فهي لم تتناوزل افطارها .. لم تتناول شيئاً منذ ليلة أمس.. راقبها مشدوهاً ..

كيف تعامل البطة بفرح .. حتى انها كانت تحادثها ضاحكة:

-لابد انها كانت بطة سمينة..

رفع حاجبيه بمرح .. وهي تواصل:

-يالهي البطاطا راائعة .. كيف يصنعونها .. لوكان رعااد هنا.. لأعجبته ..

عقد حاجبيه بحدة .. لتتجمد يدها .. ثم تفلت شوكتها وقد فقدت شهيتها ..

لوكان رعااد هنا؟؟ قحطان أو حتى علي..؟؟

طفرت دمعة من عينها .. ليسارع بالتقاطها بأصابعه .. لتنتفض متراجعة بعيداً عنه فيهمس بغلظة:

-من يكون؟؟ رعاااد؟؟

تأملته للحظة قبل ان تهمس:

-أخي..

قلتها بخفوت .. لتتوتر نظراته وهو يحاول ان يفكر بالرجل خلف الاسم .. الاسم الغريب الذي لم يسمع مثله قبلاً ..

-كم اخوة لديك؟؟

-ثلاثة .. والجوهرة .. شقيقتي.. ومحمد"رحمةاللّه عليه"

همست .. وهي تعاود العبث بطبقها .. تشتاق لعائلتها حدود الوله ..

-ألــن نعود؟؟

همست باضطراب.؟. ليجيب:

-الحلوى..

وأشار للنادل ليأتي بموس شوكولا بديع .. أسال لعابها .. وله القهوة.. كيف عرف انها تعشق الشوكولا.. لاتعرف ولكن اختياره اعجبها.. بل اطار صوابها.. توسعت حدقتاها ومضت تأكل بشهية وهي تصدر

اصواتٍ راضية .. ذكرته بهريرة صغيرة .. بالطبع يجب ان تعشق الشوكولا.. فهي مثلها ..

سمـــراء.. لذيذة .. ولايقاومها احـــد .. !!

عقد كفيه أسف ذقنه ومضى يتأملها وهي لاهية بكنزها الصغير..

بابتسامة خلت من اي شيء سوى الانبهار بملامح وجهها البريئ..

والذي تتبدل حسب ماتتذوقه..تغمض عينيها وتبتسم وهي تضع ملعقة كبيرة بين تلك الشفتين المحرمتان .. وتنتشي لتحمر وجنتاها..

وتعاود التهام المزيد .. وتتبدل ملامحها في نشوة تلو أخرى.. كطفلة شقية ..نالت كل ماتبتغي..

لم تبقي فيه شيئ..

-هل أطلب لك واحداً أخر؟؟

همس بخشونة .. وهو يحاول السيطرة على اصابعه التي تاقت لمسح بقايا الشوكولا من على طرف فمها الشهي .. لتهتف باكتفاء:

-لاااا.. لو أكلت اكثر فأنا سأعود لباريس ركضاً..

لم يضحك .. لم يشعر برغبة بالضحك.. كان يقيد وحشاً بداخله .. فكيف يضحك؟؟

نهض بسرعة لغرابة الامر .. كان يريد الانتهاء من هذا اللقاء.. فقد بدأ يفقد سيطرته..!!

حالما خرجا صفعهما الهواء البارد.. تناثر شعرها حولها .. وضمت كفيها بسرعة امام فمها ليعبس بحنق.. وينزع شاله الصوفي ويحيطه بعنقها بقوة متجاهلاً اعتراضها .. ويحثها على الاسراع الى السيارة ..

كانت الرحلة هذه المرة مختلفة .. وقد بدأ الظلام يرزخ على الطريق وتلوح أضواء باريس الجميلة في الافق..

مالذي فعلته؟؟ فكرت برهبة؟؟ تخرج مع رجل غريب .. بالكاد تعرفه.. بل هي لاتعرف اطلاقاً؟؟ جف حلقها وانتشرت في خلايا انفها رائحة قوية غريبة.. رائحة أزكمتها .. ارادت التخلص منها ولم تقدر ..

مالذي سيقوله زوجها حين تعود برفقة رجل أخر؟؟ مالذي سيفعله اخوتها؟؟

تجمد ريقها وارتجفت يديها .. ضمتهما اليها بقوة ..

-تشعرين بالبرد؟؟

تسائل بقلق وهو يرى ارتجافتها الواضحة لتنفي بهزة من رأسها ..

فعقد حاجبيه وصمت ..

أوصلها الى المنزل الغارق باضواء المساء وبرد الليل الوشيك.. ترجل قبلها وساعدها على النزول..

-هل تريدين مني الدخول معك؟؟

نظرت له بتوتر وهمست:

-ماحدث لن اذكره لأحد.. وسأنساه في الصباح الباكر..

اختلجت عضلة في فكه .. واستشاطت عيناه بغضب.. وبكل برود همس:

-ان كان الامر بهذه السوء فلم لاتنسينه منذ الان؟؟

اتسعت عينيها بصدمة .. الا انه لم يترك لها الفرصة للرد .. وعاد لسيارته يقودها بسرعة .. تابعته بنظراتها للحظات قبل ان تعاود الرائحة الغريبة هجومها .. رفعت يدها تمسح انفها لتكتشف وشاحه الملتف حولها كأفعى..مصدر الرائحة الغريبة .. مزيج عطري نفاذ.. غريب..

أماهو .. فقد قاد سيارته بسرعة .. وبعد ان ابتعد لمسافة كبيرة أخرج هاتفه وطلب رقماً طويلاً .. وبعد سماع صوت محدثته الناعس قال بحزم:

-رووبي.. أحزمي حقائبك.. أنا احتاجك هنا في باريس..

ودون ان يفسر القى الهاتف جانباً .. وهو يصر في اعماقه على انهاء الامور بأسرع مماهي عليه حالياً..

***

عاد منهكاً .. يجر قدميه بالكاد .. كان النهار متعباً .. ومواجهة شيوخ قبيلته وعلى رأسهم جده بمافعله حسن الحقير بمتاجرته مع المافيا بالسموم البيضاء ثم مافعله مع زوجته .. ومايمكن ان يفعلوه معه .. دخل جناحه لتستقبله سيادة بابتسامتها الخلابة وترتمي بين ذراعيه هامسة:

-اشتقت اليك..

ثم عبست:

-أنت تتاخر كثيراً هذه الايام وهذا لايعجبني..

ضحك بوجوم وابعدها عنه بروية هامساً:

-أين الجوهرة..؟؟

-في غرفة سلمى القديمة .. لقد وضبتها لها وعمتي هدية معها لاترضى بمفارقتها بعد ماعرفت.

تنهد وجلس على الاريكة فجلست جاره هامسه:

-حضرت العشاء..

-لارغبة لي بالاكل..

قالها مهموماً .. فتراجعت بصمت .. تراقبه وكيف كست خطوط الارهاق والهموم وجهه.. تنهدت وهي تحاول التفكير بماقد يفرج كربته ويخفف عنه.. ولكنه يحمل الكثير.. همومه وهموم اسرته ..بالاضافة لهذا المختل الجديد الان .. تباً له..

-سأحضر لك بعض الحليب الساخن اذاً.. مارأيك.؟؟

نظر لها بحنان .. كم كانت فاتنة.. خصلاتها الصهباء تتساقط حولها بسخاء.. وعينيها تبرقان بتلك الطريقة التي لاتليق الا بالزمرد .. رفع كفه يمرر أصابعه على حريرها المتوقد ..يبعد خصلاته المتمردة عن وجنتها المخملية .. ويستبدلها بشفتيه بخشونة ناعمة .. أرسلت صعقة كهربية أضعفت مقاومتها وجعلتها تهمس بشوق:

-أو ربما لا..

اصدر صوتاً مخنوقاً كضحكة مكتومة وهو يحيطها بذراعيه ليقربها وتصبح شبه جالسة على ساقيه تعانق عنقه بذراعيها وتغرق في موجة غرام لاتصدق بين يديه..

أسند جبينه اليها وهمس:

-يجب أن أتكلم مع الجوهرة..

لامست خشونة وجنته وهمست:

-ألاينتظر الامر للغد..؟؟

-لا.. لو انتظرت لفكرت أكثر وأنا لااريد التفكير سيادة ..

تنهدت .. وقربت شفتيها تختطف قبلة سريعة قبل ان تنهض عنه

متثاقلة وهي تقول بعبوس:

-ولكنك ستتناول العشاء حين تعود..

ابتسم وتوجه الى الباب ولم يرد فزفرت بضيق..

دائماً هكذا .. لاينفذ الا مابرأسه فقط ..

قحطان توجه الى غرفة سلمى القديمة .. طرق الباب..ثم دخل حال

سماع صوت امه تدعوه..

كانت الجوهرة ترقد على الفراش مديرة له ظهرها في حين هبت امه

تسأله:

-على مااتفقتما قحطان؟؟

نظر لأمه مطولاً .. امه التي يبدو انها لم تستوعب ماحدث..

-سأتحدث اولاً مع الجوهرة اماه.. وبعدها أخبرك.

نظرت له ساخطة وكادت تعترض الا أنه أشار لها ألاتفعل.. فتنهدت بغيظ وسارعت للخروج.. فتنهد وتقدم من سرير اخته وجلس الى جوارها..

شعرت بثقله جوارها.. فتجمدت..

لاأحد يشعر بها.. لايعقل ان يعرف احد ماتعانيه وماتكابده ..

-هل تريدينه أختي؟؟

اغمضت عينيها بقهر.. بكت بدون صوت .. هذا ماكنت تخشاه .. هذا التخاذل الذي يطل من نبرات صوت أخيها.. انهم يفكرون..

-جوهـرة..

ناداها قحطان .. لتهمس ينشيج:

-هل ستعيدني اليه؟؟

عقد قحطان حاجبيه وهمس:

-انا أسألك جوهرة.. هل تريدينه؟؟

نهضت تجلس مقابله .. تريد رؤية عينيه وهو يسلمها الى قاتلها..

لقد سمعت كل من سيادة وامها تمجدان بأخيها.. وتصفانه بكل وصوف الشجاعة والقوة.. وانه لن يسلم عنقها لذاك الرجل.. ابداً ..

والان هاهو .. يسألها أن تعود اليه؟؟

-اهذا ماتريده مني اخي؟.؟ ان اعود اليه؟؟

-اريد جواباً صريحاً لسؤالي..

هتف بقوة لتصرخ:

-بل قل انك تريد مبرراً .. لتتراجع عن كل ماقلته..

اتسعت عيناه لتصرخ اكثر:

-تريد موافقتي لترضي ضميرك وتنام هانئاً في حضن زوجتك وانت تقول انها هي من اختارت.. أليس كذلك قحطان؟؟

-أهذا ماتظنينه بي؟؟

همس متسائلاً .. بعينين مصعوقتين.. لتجهش بالبكاء:

-كلهم هكذا..كلهم هكذا..

امسك كتفيها بقوة وصاح:

-أخبريني جوهرة هل خذلتك في يوم؟؟ هل رأيتني أخذل من يلجأ لي للمساعدة؟؟ هل ظلمت احد من قبل؟ تكلمي اختي؟؟

لم تجبه .. لم يحتج للاجابه فهو لم ولن يفعل..

-ان كنت لم أتدخل من قبل بينك وبين ذاك المتوحش فالسبب انني لم اكن اعرف ولم أكن لأتصور مافعله ويفعله بك؟؟ يالهي جوهرة لما لم تخبريني؟؟ لم لم تخبري أمي..؟؟

صاح بحرقة لتهمس:

-كانت اسرار.. كانت اسرار مخدعي فكيف افشيها؟؟

-كانت سادية وظلم ..

صاح بعنف .. وابتعد عنها بقهر وهو يدمدم:

-كل مرة كان يقابلني .. ينظر في عيني .. يصافحني.. بنفس اليد التي تمتد عليكي انت اختي؟؟

كيف سكت كل تلك المدة؟؟ أخبريني منذ متى ابتدأ يضربك؟؟

سألها بحنق لتهمس:

-لاأعرف.. ربما بعد ولادة فاطمة..

-ياارب الكون..

هتف بقهر.. كل هذا الوقت .. كل تلك السنوات..

ثم اقترب من شقيقته وهمس:

-لما لم تخبريني.. لما ارتضيتي الظلم والقهر على نفسك.. ونحن أخوتك شيوخ القبيلة رأسنا يشم الهواء لما؟؟

-لأنه ابن عمي..

هتفت بألم ووجع.. واضافت:

-ابن عمي .. وزوجي ووالد طفليّ.. مالذي تريد مني فعله؟؟ كان نصيبي وقد ارتضيته..

بكت بمرارة ليقترب ويضمها الى صدره هامساً:

-انتهت تلك الايام ياجوهرة.. انتهت ولن تعود ابداً..

نظرت له:

-ولما سألتني قبلاً.. ؟؟

-اردت أن اتأكد فقط .. أردت ان افهم هل هناك مايجبرك على البقاء معه او يلزمك بهذا..وهل رغبتك من اعماقك فعلاً؟؟؟

-انه اسوأماحدث لي قحطان ..

غمغمت بدموعها ليضمها أقوى:

-وقد انتهى .. وكل رجال القبيلة شهدوا الليلة على ذلك ..

نظرت له باضطراب وهمست:

-ماذا تعني؟؟

نظر لها بحزم وقال:

-منذ صباح الغد تبدأ عدتك بطلاقك من حسن العزب.. طلاقاً بائناً لارجعة فيه..

اتسعت عينا الجوهرة .. وشهقت برعب.. وهي تستوعب بالضبط مايقوله..

***

جلست الى جوار السرير البارد بلاحراك .. تراقب الوجه الشاحب المسترخي بعيون ملئه بالدموع.. تنساب لبلل وجنتيها بلاتوقف.. تلامس جبينها تارة .. تتفقد جهاز النبض المعلق قربها في التالية .. عينيها لاتفارقان معصميها المضمدين بقوة .. وتشهق ببكاء ينزف دموعاً حارة ..

تراقب انسياب قطرات الدم عبر وريدها ببطئ..

ووقف هو يراقب من بعيد .. يراقب بعيون صقر تغير نبضاتها .. أنفاسها المتعاقبة ببطئ.. لقد نزفت كثيراً وقد بحثوا عن فصيلة دمها لوقت طويل قبل ان يقوم احد أصدقاءه باحضار قريب له من بعيد يطابق فصيلة دمها النادرة .. كان مستعداً للتبرع.. ولكنه لم يطابقها..

كان عليه ان يغادر فلم لم يفعل.. هو لم يتحرك من مكانه منذ الامس.. بالكاد غسل يديه ووجهه واخذ قميصاً من زميله المناوب هنا.. ولم يتحرك من مكانه.. اراد ان يرحل ان يأخذ بعضه ويبتعد ولكنه لم يقدر..

شيئ منه بقي معها .. فكيف يرحل ناقصاً؟؟!!

تنهد بقوة ودعك وجهه وهو ينظر لساعته التي وصلت منتصف الليل..وتعدته بساعتين او أكثر.. انهم هنا منذ مايقرب اليوم الكامل .. وأكثر وهي لم تستيقظ بعد..

قال له الطبيب المسؤول عنها انها بحالة مطمئنة.. ولاتستدعي القلق.. اما عدم استيقاظها فمحير للغاية ..

رأى أمها تنظر اليه .. قبل ان تشيح عنه هرباً من اكفهرار وجهه الاسود وقتها ..

-انها تستيقظ..

سمع هتاف امها لينتفض بقوة .. اراد الاندفاع نحوها ولكنه لم يقدر.. كان هناك من يثبته على الارض .. ولايدعه يتحرك ..

حركت نادين رأسها ببطء.. لاتكاد تستوعب الثقل الذي يرزخ تحته.. ولاحتى الألم الصاعق الذي انتشر عبر جسدها وتجمع في معصميها .. تأوهت .. وهمست تناديه.. بضعف.. ليتقافز قلبه بجنون .. وتحتقن عيناه وهي تراها تتمايل بغنج مع ذلك الرجل.. لتخنقه الغصة ويستدير متحلياً بالقوة مبتعداً عنها ..

-علي.. علي لاتتركني..

همست بضعف.. بحرقة .. بألم موجع مزقها وفاق كل ألم جسدي ينتابها .. شعرت بابتعاده .. شعرت بعدم وجوده حولها ليتحول همسها الموجوع لصراخ مزق السكون حولها .. حاولت أمها السيطرة عليها بلافائدة كانت تركل وتصرخ دون توقف ..

عينيها الجميلتين جمرتين تغرقان بالدموع وهي تصرخ بهستيرية:

-انت السبب.. اكرهك .. انا اكرهكم جميعاً ..

-لانادين .. لابنيتي.. لاتقولي هذا حبيبتي..

صرخت امها باكية والمرضة تندفع عبر الباب وتمسك بيد ناديت لتدفع مهدئاً عبر وريدها وهي تصرخ بشحوب:

-لماذا أتيت بي الى هذه الدنيا (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ؟؟ لماذا لاتدعوني امووت .. اريد ان امووت ..

شهقت امها بالبكاء وهي تتركها للمرضة التي ثبتتها بقوة وهي تصيح بها ان تذكر اللّه وان تكف عن هذا القول ولكن لاحياة لمن تنادي..

كانت تتخبط باكية قبل ان يسري بها المهدئ.. وتهمد غارقة في النوم من جديد ..

تراجعت امها شاهقة بالدموع .. خرجت تبكي بحرقة .. تهالكت على الارض وهي تسند رأسها الى كفيها وتشهق بقوة ..

راقبها من بعيد .. بعيون ضاقت بقسوة ..

كان يدرك انها فعلاً السبب كماكانت تهذي ابنتها.. هي الاصل

وعليها نشأت تلك الفتاة ..

هز رأسه باسف ..كان واثقاً انها السبب .. ولم يتمالك نفسه اقترب

منها .. سمعها تهذي:

-انه خطئي انا .. انا اجبرتها ..

عقد حاجبيه واستغفر بدون صوت لتنظر له باكية:

-انا أجبرتها صدقني.. لم تفعل مافعلت الا بسببي..

-لديها عقل تحكم به .. قد تكونين السبب في البداية ولكنها اختارت

ان تمضي في طريقها للنهاية..

-لا لا.. نادين تابت منذ زمن.. تابت ولم تعد تفعل اي شيء.. تركتنا

ورحلت لهذ السبب..

-بعد ماذا؟؟ بعد أن خسرت نفسها؟؟

همس بمرارة لتصرخ:

-انا السبب.. أنا بعتها رخيصاً.. انا أدخلتها الى هذا العالم القذر.. لو

تركتها ..لو تركتها لهم.. لماكان هذا حالها..

كانت تبكي بهستيرية وتضرب فخذيها .. ولكن كلماتها كانت صادقة .. بكاءها المرير اوجعه .. وحشد ذهنه وهو يسألها:

-تركتهالمن؟؟

توقفت مذعورة عن البكاء.. وكأنما تلفظت بمالايجب ولايجوز.. والتقطها علي بحذق.. واقترب يسألها مصراً:

-ماذا تعنين بتركها لهم؟؟ عمن تتكلمين؟؟

هزت رأسها مذعورة ليصر عليها بقسوة :

-تكلمي.. تكلمي والا أجبرتك امام الشرطة..

كان قلبه يخفق بقوة .. وشكوكه القديمة تنهض من سباتها .. ورآها تتهاوى باكية .. تهذي بكلمات ارسلت قشعريرة باردة حتى أطرافه:

-تركها لأهلها.. نادين.. نااادين ليست ابنتي..

قالتها شاهقة بدموع كثيفة .. انهمرت بلاحساب جعلت عيناه تتسعان بذهول وعقله يصرخ بذهول.. كان يدرك انها صادقة .. فانهيارها لايكذب..

-تكلمي.. اخبريني بكل شيء..

نظرت له بقهر.. تدرك الاسبيل للتراجع فهو لن يصبر ولن يسمح بأقل من الحقيقة كاملة ..

-انها ليست ابنتي..

همست باكية .. قبل ان تسرد ماحصل بالتفصيل..

" كنت اعمل مربية لعائلة تعيش في مدينة بعيدة .. عائلة جائت من الخارج للعمل في مجال النفط.. الزوجة كانت حاملاً وانجبت التوأم الجميل..

كانتا صبيتين رائعتي الجمال .. عشقتهما منذ اللحظة الاولى.. توفيت المرأة اثناء الولادة .. واصيب الرجل بحزن شديد .. وكان لايطيق النظر لابنتيه فكانتا معي طوال الوقت..

وجاء زوجي.. وكان عقيماً لاينجب.. وحرضني على اخذ الطفلتين من ابيهما القاسي والهرب بهما .. رفضت في البداية .. ولكنني استسلمت..

لم يكن الرجل حتى يطيق النظر للملاكين .. وكنت اعشقهما..

فأخذتهما وهربنا معاً.. "

وفاضت دموعها وهي تضيف:

-ثم ااركت سر لهفة زوجي لأخذ الطفلتين.. كان يريد بيعهما .. يريد بيع ابنتيّ .. لم اوافق .. وحدث بيننا شجار عنيف.. ضربني واخذ احدى الفتاتين..وخرج .. كدت اموت .. ولم اعرف ماافعل .. هربت مع نادين ..

هربت الى عدن حيث شقيقتي.. ثم عرفت ان زوجي مات.. قتل من قبل الشرطة في مداهمة .. لم اعرف ماحل بالطفلة الاخرى .. ولاحتى ان كانت حية او ميتة.. لو تقدمت للبحث عنها كانوا سيأخذون مني نادين..

قالتها وبكت بانهيار.. وعلي ينظر لها مشدوهاً .. وكأنه في كابوس.. كان يفكر على الدوام باختلاف نادين شكلاً عن أمها واختها الصغيرة .. ولكن عزاه دوماً الى والدها ولكن الان.. تنهد بحرقة وامها تواصل:

-ثم تزوجت مجدداً .. وكان هو من أدخلنا الى عالم القذارة .. هو كان السبب..

شعر بالغثيان يجتاحه .. رباااه ماعانته نادين وماتسببت به هذه المرأة..

-أنت خذلتها.. أحببتها وخذلتها..

-نعم هو أنا ..

همست باكية ..

-أنا السبب.. انا السبب..

تراجع علي بأسى .. عرف الحقيقة.. هذا صحيح ولكن مالفائدة..

نادين هي نادين .. بكل مافعلته وماكانت تفعله.. لافائدة .. لافائدة على الاطلاق..!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

وعلى بعد ..

آلاف الامتار عن الارض..

تألقت العينين العاصفتين بفرح والتفتت له هامسة:

-لقد وصلنا..

ابتسم ببطئ كسول وغمغم:

-سعيدة لعودتنا..

ضحكت بخفوت وهي تلامس وجنته الخشنة بذقن غير حليقه:

-ألاتشعر بالسعادة للعودة الى الوطن؟؟

غاب في عينيها للحظات ثم همس:

-أنا أعود لوطني كلما نظرت في عينيك حبيبتي..

تضرجت وجنتاها بخجل وأشاحت عنه تخفي ابتسامتها الشغوفة ..وهي تسمع ضحكته الرجولية الخشنة ويده تقبض على يدها بقوة حانية .. لتعاود انظارها اليه ليهمس:

-متى نصل الى الارض لقد سئمت الطيران..

-وأنا أيضاً ..

صدح الصوت الحانق بينهما لينتفضا بقوة وينظرا معاً لطفلتهما ذات عيون القط والتي نظرت لهما معاً بحدة قبل ان تزمجر بطريقة تشبه والدها:

-متى انزل من هذا الكرسي.. لقد سئمت..

ضحك والدها بمحبة وقبل رأسها هاتفاً:

-متى استيقظت ملاكي الجميل..

مالت نحوه بدلال وهمست:

-أيقظني صوت مزعج بابا.. وصفير..

ضحك والدها بحنو وقال:

-انه كابتن الطائرة ينبهنا لربط الاحزمة ياملاكي.. سنهبط بعد قليل..

نظرت لوسطها وهتفت:

-من ربط حزامي..

-والدك فعل حبيبتي..

همست امها بحنان لتعانق الشقية ذراع والدها وهي تصيح:

-انا احب بابا جداً ..

ضحكت امها وهتفت بزوجها غامزة:

-يالهي .. هل يجب علي أن اغير..

ضحك بمرح وأشار لطفلهما الثاني المغمور بذراعيها بقوة ولايريد الفكاك:

-بل هو أنا من يجب أن اغير من هذا القرد المعلق برقبتك طول الوقت..

نظرت لطفلها النائم بهناء وابتسمت:

-لاتوقظه .. والا تحملت انت تبعات ذلك يوسف..

ضحك بسعادة وحمد اللّه للهناء الذي تعيشه عائلته .. عائدة للوطن في زيارة سنوية لعائلة همس وعائلته .. ونظر لزوجته .. معشوقته..

ملاذه الامن وهمس:

-تبدين سعيدة للغاية ..

نظرت له بدفئ :

-أشعر بغرابة.. وكأنني اعود حقاً .. لاأعرف كيف أفسر لك..

نظر لها بحيرة .. ثم عاد يضغط على كفها..

دائماُ ماكان حدسها صائباً .. دائماً ماكانت تقلقه احلامها وكوابيسها .. ولكن هذه المرة يرى شيئ أخر في عينيها العاصفتين..

يرى أملاً غريباً .. ولهفة غير مسبوقة ..

هل يجب عليه ان يشعر بالقلق..؟؟ لايعرف.. كل مايدركه انه سيكون معها خطوة بخطوة .. ولن يتخلى عنها ابداً .. ومهماحدث..

نهاية الفصل

الى اللقاء

***

أمر الشارع المرأة بطاعة زوجها في كل ما يتعلق بعقد النكاح من حقوق، وجعل المرأة التي تُطيع زوجها في ذلك من خير النساء، فروي عن عبد اللّه بن سلام أن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال: "خير النساء مَن تسرُّك إذا أبصرتَ، وتُطيعك إذا أمرتَ، وتحفظُ غَيْبتَك في نفسها ومالك"، إلا أنه قد يظهر من المرأة عدم اكتراث بحقوق زوجها عليها، فتضرب بهذه الحقوق عُرْض الحائط، كأن تُسافر بدون إذنه، أو تعصي أمره، أو تُدخل في بيته مَن يكره، أو لا تحفظ ماله، أو تحتدُّ عليه في الحديث، أو تتعمَّد إهانته والإساءة إليه، ونحو ذلك، ففي هذه الحالة حرص الشارع على ألا يتفاقَم الخلاف بين الزوجين إلى الحدِّ

الذي تستحيل معه المعاشرة بينهما. فأرشد مَن له القِوامة على هذه الأسرة، إلى ما ينبغي أن يكون بحفظ كيانها من التصدُّع أو الانهيار، وذلك بأن يعظ زوجتَه بالحسنى، فيُذَكِّرها بحقوقه عليها، وما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الزوجين، وهذه العِظَة هي أُولَى درَجات التأليف بين الزوجين، تتلوها درجتان أشد منها يتبعهما الزوج إذا دعت إليهما ضرورة الحِفاظ على كِيان الأسرة، وأكثر النساء اللاتي أظهرن عدم الاكتراث بحقوق أزواجهن، تكفيهن هذه الموعظة للعدول عما انطوت من هذه الاستهانة.إلا أن بعض النساء قد يستمرئْن هذه الاستهانة بحقوق أزواجهن، وتُلقَى عليهن الموعظة فلا تجد منهن إلا آذانًا مُعرضة نافرة، ونفوسًا ساخطة، وفي هذه الحالة لا تجدي موعظة، فكان لا بد من الالتجاء إلى وسيلة أخرى لحفظ بُنيان الأسرة من التصدُّع أو الانهيار، وهو إعراض الزوج عن زوجته، بأن يستدبرَها في الفراش، حتى تستشعر عِظَم ما أهدرته من حقوقه عليها، وغالبًا ما تأتي هذه الوسيلة بالمقصود منها، خاصة مع ذوات الطِّباع الحادَّة، اللاتي يؤذيهن هذا الإعراض، وليس في هذه الوسيلة أو سابقتها امتهان لكرامة المرأة أو تحقير من شأنها، كما أنه ليس فيها عُنف أو تعنيف. وهناك وسيلة ثالثة هي أشدُّها وأقساها على النفس، قد

يضطر الزوج إلى استعمالها عند الضرورة إليها، وهي الضرب غير المُبَرِّح، الذي لا يكسر عظمًا ولا يدمي جلدًا، ولا يُسَبِّب عاهة، وهذه الوسيلة، وإن كانت مشروعة بنصوص الكتاب والسنَّة، إلا أن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ حضَّ على عدم استعمالها، فروي عنه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أنه قال: "وخيرُكم لا يَضرب" ورُوي عبد اللّه بن زمعة عنه قوله: "لا يَجلِد أحدُكم امرأتَه جلد العبد، ثم يُجامعها في آخر اليوم"، وروي عن عائشة قالت: "ما ضرب رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ امرأة له ولا خادمًا قط"، وهذا دليل على أفضلية عدم ضرب الزوج زوجته عند خوف نُشوزها. ومما يدل على مشروعية استعمال الوسائل السابقة قول اللّه، تعالى: (واللاتِي تخافونَ نُشوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهجُرُوهنَّ في المضاجعِ واضربُوهُنَّ) وما رواه معاوية بن حيدة عن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ من قوله: "حق المرأة على الزوج أن يُطعِمَها إذا طَعِم، ويكسوَها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يُقَبِّح، ولا يهجُر إلا في البيت" وروَى عمرو بن الأحوص عن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أنه قال: "استوصُوا بالنساء خيرًا؛ فإنما هن عندكم عوانٌ، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مُبَيَّنة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مُبَرِّح ".

***

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الثامن عشر

***

-توقفي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) توقفي..

وقفت متسمرة .. تتنازعها رغبة الفرار ورغبة مواجهته والصراخ بوجهه واخراج كل مافي قلبها من حنق وغضب ..صوته اصابها بالتوتر .. لم تشعر بالذنب ابداً على عكس ماكانت تظن.. شعرت بدنوه منها باقترابه.. فالتفتت اليه ..

أخذ نفساً عميقاً قبل ان يسألها بتوتر:

-أين كنت حتى هذه الساعة؟؟

عقدت ذراعيها حولها وهمست بحنق:

-وهل يهمك أين كنت؟؟ لقد طلبت مني بوضوح أن أغادر وفعلت.

لوح بيده:

-يالهي سولي لقد جئتِ الي بوقت غير مناسب على الاطلاق.. ماذا كان يجب علي أن أفعل؟؟

-أن تعاملني بهدوء واحترام .. أن تدرك انني لااعرف اين يجب أن أذهب أو آتي.. أن تطلب مني الانتظار حتى تنتهي.

صرخت بألم ليهتف:

-وماأدراني أنك صرفت السائق؟!

-كل ماكان عليك هو أن تسأل..

صاحت بوجع ليتأفف ويهمس:

-لاتحملي الامر أكثر ممايجب.. والان أخبريني عن نزهتك الصغيرة..

هبط قلبها بين قدميها.. وجف حلقها وهي تتصور مايعنيه بمثل قوله.. تتخيل عقابها وكيف يمكن أن يتصرف وهو يظنها قضت الوقت مع رجل غريب..

-أنا.. أناا..!!

-هل حقاً خرجت برفقة سيف الشيّب؟!

خرج سؤاله ملهوفاً.. ووقع الاسم عليها وهول مافعلت يصدمها .. ليمتقع وجهها ويجف حلقها وهي تنظر اليه بخشية من عقاب متوقع .. أو حتى تقريع وقد خرس لسانها ولم تعرف بماتجيب ليعاود السؤال بلهفة أكبر ويتبعه باهتمام:

-هل قال لك اي شيء عني؟؟ هل حدد معك موعد انطلاق البومي الجديد؟؟

توقفت للحظة .. توقف فيها كل شيء.. حتى دقات قلبها توقفت بخشية.. من أن ماتسمعه حقيقي.. أو أن ردة فعله هذه واقعية وليست كابوس ما؟؟

-تكلمي سولي.. هل أخبرك متى سنطلق البومي الجديد؟؟

-ما..ماالذي تقوله؟؟

همست متلعثمة وكلها يصرخ بألم وحنق..

-انا.. اناالم .. لم نتحدث ابداً عن .. عن هذا..

هتفت بمرارة .. ليتنهد بيأس ويصيح:

-وبماكنتما تتحدثان طيلة هذا الوقت ها؟؟

نظرت له صامتة بذهول.. لاتقوى على الرد .. في حين تنهد هو وهمس:

-يبدو أنه معجب بك ..

اتسعت عيناها بذهول وهو يغمز بعينه ضاحكاً:

-ربما بامكانك استغلال هذا الامر وتسريع العمل الذي يصر على تأجيله باستمرار بحجة انتظار الوقت المناسب..

-يالهي..

همست بشحوب .. تراجعت وهي تنظر له .. بعينين اتسعتا من فرط المفاجأة.. من فرط الألم ..

-أي رجل أنت؟؟

همست بمرارة لتضيق عيناه ويهتف هازاً كتفيه بلامبالاة:

-مالامر عزيزتي.. انها مجرد خدمة واحدة أطلبها منك ..

واقترب هامساً بحماس:

-يبدو ان الرجل الامريكي البارد تعجبه السمراوات.. فلم لانستغل هذا ونحقق حلمي قبل..

-ااصمت..

صاحت وهي تقفز مبتعدة .. تدفقت دموعها بغزارة ..تهز رأسها لاتصدق .. لاتصدق انه قد قال ماقاله؟؟ أو حتى فكر به من الاساس؟؟

-ك..كيف تفكر؟؟ كيف تفكر باستغلالي هكذا؟؟

هتفت باكية .. لتتسع عينيه باستنكار:

-أستغلك؟؟ مالذي تقولينه هل تسمين مساعدتك لي استغلالاً؟؟

نظرت له بألم مشمئزة .. ترغب بصفعه بقوة علّه يخرج من تلك الهاوية التي يعيش بها ربما حينها فقط يسترجل ويصبح جديراً باللقب الذي يحمله ويمرغه في الارض..

تراجعت تهز رأسها بقوة لاتصدق انه فعلاً يطلب منها ان تفعل مايقول.. تحاول التقرب من رجل لمصلحته.. شهقت باكية وهي تخفي فمها بيديها.. لقد كانت تشعر بالذنب وتكاد تكره نفسها لخروجها المخزي مع ذاك الذئب ليأتي هو .. ويبرر لها فعلتها بل يطلب منها ان تفعل ماهو أكثر؟؟؟

-ابتعد عني الان يافراس.. اتركني بحالي..

صرخت ليتراجع متفاجئاً في حين أسرعت هي بالدخول لغرفتها .. أغلقت الباب خلفها وارتمكت على الفراش تبكي بحرقة .. لاتعرف هل يجب عليها ان تكرهه أم تلطم خديها على مصيبتها بزوج لايقارن بالرجال.. !!

شعرت به يلحق بها .. ويجلس الى جوارها الى السرير .. ابتعدت .. ليقبض على ذراعها ويهمس:

-سولي لاتحزني .. أنا لاأفهم لماتبكين..؟؟

تنهدت بحرقة .. وألم ..ومضت تبكي .. وتبكي..ليتنهد هو بضجر ويحاول ضمها اليها .. ولكنها نفرت منه بسرعة وهمست بصوت مبحوح:

-لاتقترب مني..

نظر لها بحنق وهتف:

-كنت اواسيك ليس إلا.. لاتصابي بالهستيريا علي الان .. وافعلي مابدالك.

قالها وأسرع بالخروج.. لتتراجع مهزومة .. باكية تشعر بالقهر والألم .. كم كرهت لمسته عليها .. شعرت بالنفور .. بالضيق.. ليس من المفروض أن تشعر هكذا.. ليس من المفروض ان يكون هذا احساسها بزوجها ابداً.. ابداً..

***

اقترب اليوم الثالث حثيثاً .. ولاتزال تلك تقبع تحت المهدئات والمسكنات .. معزولة عن الكل .. حتى أمها التي رفضت رؤيتها بإصرار..

ولكنها الأن أكثر هدوئاً ..ربما من تأثير كل تلك المهدئات.. تشعر بجسدها هامداً ولاتكاد تقوى على النهوض وممارسة أبسط متطلباتها الجسدية.. ترزخ تحت وطأة الحزن والوجع.. لاتزال ترى من

خلف غشاوة غريبة نظرته اليها.. اشمئزازه منها .. حقده وكراهيته التي انطلقت تصيبها برصاصات قاتلة.. حينها لم تعد تأبه بشيء.. لقد ماتت فعلاً يوم رآها علي بذلك المنظر..

عاهرة رخيصة ..

انسابت دموعها بصمت .. لاتقوى حتى على مسحها.. شعرت بأصابع رقيقة تفعل وصوت هامس:

-لاتبكي.. فالبكاء لايفيد ولايجلب سوى المزيد من الحزن..

حركت عينيها لتنظر لتلك الفتاة والتي كانت تعلق لها المحاليل باستمرار.. لم تعرف لما شعرت انها تتعاطف معها.. ربما لأنها تناظرها باشفاق.. كان يجب ان تكره هذه النظرة .. تنفر منها ولاتحرك بها شيء.. ولكن ماحدث انها استجابت لها.. ربما لصدقها.. !!

-أريد أختي..

همست بشحوب لتقترب منها المرضة بابتسامة وقد حصلت منها على تجاوب اخيراً ..

-أمك بالخارج.. هل أجلبها..؟؟

شعت عينيها العاصفتين وصرخت بخفوت:

-لا لا .. أحضري أختي سارة فقط.. أريد اختي..

مستها الممرضة بحنو على كتفيها وهمست:

-لابأس عليكي .. لابأس.. سأحضرها لك لاتقلقي..

اغمضت نادين عينيها وهمست راجية:

-أرجووك أحضريها الى هنا.. لاتدعيهم يأخذوها .. لاتدعيهم يقتلونها مثلي..

نظرت لها الممرضة بحيرة قبل ان تغادرها بخفوت وتغلق الباب لتواجه عيني أمها المثقلتين بالدموع والرجاء:

-هل أستطيع رؤيتها ..؟؟ أرجوك قليلاً فقط..

هزت رأسها بأسى:

-أنا أسفة سيدتي ابنتك ترفض رؤية أي أحد سوى اختها.. تقول انها تريدها حالاً..

-سارة؟؟

تسائلت الام بأسى وهتفت:

-سأحضرها لها ولكن ارجوكي دعيني اراها للحظة واحدة فقط..

-أسفة .. الطبيب أمر ألا نزعجها حالياً ..

تراجعت امها بقهر .. ورأت الممرضة تتوارى خلف باب أخر لتفكر بضع لحظات قبل ان تتسحب بهدوء وتفتح الباب لتدلف دون أن يراها أحد ..

وقفت تتنفس بقوة خلف الباب تسترق نظرات لابنتها الغافية بهدوء..

قبل أن تقترب وهي تتأملها بجشع .. راقبت ضماد معصميها.. ثم وجهها الشاحب.. أشرفت عليها ولامست وجنتها الباردة .. ابتسمت بحنان ودموعها تغرقها ..وعقلها يصرخ بها.. يلومها على ماآلت اليه ابنتها ..

آآه كم أحبتها.. لم يرزقها اللّه الاطفال لوقت طويل.. صبرت حتى وجدت هذا الملاك بين يديها .. لاأحد يريده .. مرفوض من قبل والده .. كله لها.. وماذا فعلت به.. مزقته وحطمت حياتها بيديها..

آآآه .. كم هي مذنبة بحق هذه النادين الساحرة..كم تلام على كل مافعلته .. ماسببته لها من اذى وألم.. ليتها ماتت قبل ان تفعل بها مافعلت.. ليتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وتشتت أفكارها حين سمعت أنين نادين الخافت..

تراجعت بذعر حين فتحت الفتاة عينيها وطالعتها باضطراب..!!

-نا..نادين ..

خرجت نادين بصعوبة من غشاوة النوم .. خرجت لتجد مالم تعد ترغب برؤيته ابداً ..

كل ذلك الضعف والتخاذل.. كل ذلك الارتخاء اندفع بقوة مهوولة عبر جسدها.. اندفع بجنون لتشع عينيها باعصار هائل وهي تصرخ:

-ابتعـدي عني..

تراجعت أمها بذعر لتستمر نادية بقوة وهي تنهض مستندة على مرفقيها:

-اخرجي من حياتي.. ابتعدي عنييي..

-نااا..

-لاتنطقي اسمي.. اخرجي.. اخرجيي..

صاحت بهستيرية ..تحاول نزع المحاليل المعلقة عليها .. اقتربت تحاول منعها لتهتف بها بوحشية:

-اخرجي من هنا .. لااريد ان اراك .. لاارييد..

تراجعت امها باكية بعنف وهي ترى كيف نزعت المحاليل وبدأت دمائها تقطر على الارض في مشهد مخيف.. وصرخت تنادي الاطباء لتجده واقفاً امامها .. علي بشحمه ولحمه ..

-ارجووك بني ساعدهاا ..

انتفض علي بقوة وهو يرى محاولات نادين البائسة لمغادرة فراشها وهي تصرخ بلاتوقف .. والدماء تسيل من اوردتها بعد انتزاعها للمحاليل..

أسرع اليها يثبتها على السرير وهو يصرخ بالممرضة التي لحقته متسعة العينين (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

كان علي يضغط بقوة على ذذراعها حيث تدفق دمها بغزارة وكأنه يحتاج لعذر فقط .. تلطخت يداه والممرضة تعيد تغطية المثبتة المفتوحة .. وتهتف:

-لقد تركتها نائمة مالذي حدث؟!

لهث علي وهو يحاول السيطرة على حركة نادين الضعيفة وهو يمعن النظر في عينيها الباكيتين بغزارة ووجها الملطخ بالحزن.. والقهر..

-نادين توقفي .. لاتخافي.. لاتخافي سوف نخرجها من هنا..

هزت رأسها بعنف وهي تصرخ:

-لااريدها .. اخرجووها من هنا.. اخرجووها..

نظر علي للمرأة بحقد وصاح يطردها بقوة لتعترض:

-انا امها .. امها.. ماتفعلونه بي حراام .. حرااام..

شعت عينا علي بالعزم وصاح بها بكره:

-أنت لست أمها ابداً .. أخرجي قبل ان أخرجك بالقووة ..

اتسعت عينا المرأة بذهول وهي لاتكاد تصدق انه سيفضحها بهذا الشكل..

ليعاود علي الصراخ بقسوة:

-غادري الان .. يكفيك مافعلتهٔ بها .. يكفيك ياامرأة..

شهقت بألم وتراجعت تبكي بانهيار .. في حين التفت علي لنادي التي همدت بين ذراعيهٔ .. ليجدها تناظره بذهول.. لقد سمعت ماقالهٔ..!!

ولم يتراجع .. ليس الان..

-انها ليست أمك.. أتفهمين نادين.. هي ليست امك.

اتسعت عينيها بقوة وهذرت:

-ولكن.. انا.. هي.. في دمي.. قالت انهٔ في دمي..

كانت تهذي بكلمات غير مترابطة .. وحينها تركها .. أفلتها لتتهالك يديها الى جوارها .. وتراجع تاركاً للمرضة تنظيف يديها من بقايا الدماء.. ونظر للدماء بيديهٔ .. قبضهما بقوة .. بحنق وهو يلعن عصبيتهٔ الشديدة وماقالهٔ للتو..

نظر اليها .. كانت ممتقعة.. تنظر في الفراغ .. همس يناديها ..

لتهمس بسرعة:

-كيف عرفت؟؟

تنهد بقوة وهمـس:

-هي اخبرتني.. اعترفت لي بكل شيء..

نظرت له .. كانت وللغرابة هادئة .. تقبلت الامر ببرود.. ربما لاتزال تحت الصدمة ..

راقبته .. للحظة .. مالذي يفعله هنا الان؟؟ كيف لم يبتعد عنها ؟؟ كيف لم يتركها ويرحل الى أبعد مكان ممكن؟؟ انهمرت دموعها بغزارة لتغشي عينيها عن رؤيته .. أشاحت بوجهها حين رأت نظرته المثبتة نحوها بقوة .. تريد أن تنشق الأرض وتبتلعها .. تأخذها بعيداً ولاتعود بها.. لما لم تمت؟؟ كي لاتعيش العذاب مرتين.. تريد أن ترحل بهدوء .. ترحل دون ان يعي أحد هذا فقط بصمت دون أية مقاومة .. ولكنهم لم يتركوها ترحل؟؟!!

-لمافعلتي هذا؟؟

همس بشحوب وهو يقاوم رغبته باعتصار رقبتها حتى الموت.. يقاوم رغبة أخرى بالفرار والهروب.. يقاوم أخرى بالاقتراب والبقاء ..!!

-لماذا تريدين الموت ككافرة ؟؟

ضاق صدرها بعنف.. لم تكن تنوي الانتحار.. كانت تنفذ فقط ماقد حدث.. كانت ميتة.. فلم سيفرق الانتحار اذاً؟؟ رأته طريقاً واضحاً .. سهلاً للخلاص.. للهروب..

-أجيبيني نادين.. لم كنت تريدين أن تنهي حياتك كماعشتها؟؟

نظرت له .. باستنكار لمايقول.. ليواصل بقهر:

-لم كنت تريدين انهاءها برخص.. كماعشتها برخص؟!

ضربتها كلماته في الصميم.. يالله كم أوجعتها الكلمات.. أصابتها في مقتل وتركتها تنعى بصمت..

-معك حق(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

همست بشحوب.. تشعر بذاتها جافة.. ذابلة .. روحها مقتولة .. على شفير الهاوية ..!!

-انا رخيصـــة ..

عادت تهمس وهي تخفض عينيها بألم .. مالذي ستقوله لتبرر..

لتشرح .. لتهمس له عن تلك الايام البشعة .. عماعانته وتكبدته

وهي مجرد طفلة .. لاتعي شيئاً..

-لماذا؟!؟

همس بوجع .. ألم حطم قلبه ومزقه..

لتضع يديها على عينيها وتهمس بصوت مثقل:

-انت لاتريد أن تعرف.. لاأحد يريد ان يعرف الحقيقة.. الاسباب..

ثم رفعت عينيها اليه وهمست:

-الحقيقة بشعة..لاتصـــدق..

اقترب وفي عينيه الكثير.. يريد ان يصرخ ويقول الكثير والكثير.. يريد أن يفهم ويعي دون أن يقدر على التعبير.. وصدت اقترابه .. صدته ان أشاحت عنه بثقل هامسة:

-اذهب.. ابتعد عني وارحل..

شعت عيناه بغضب وصرخ بحقد:

-بالتأكيد سأرحل..

اغمضت عينيها بوجع .. وانسابت دموعها غزيرة تغرقها .. تشيح بوجهها تخشى مواجهته .. وهو يثور غضباً يريد ان يواجه .. أن يوجع .. أن يمعن في الاذى بقدر ما أوذي هو وتوجع..

-انظري الي ..

صاح بحقد .. لتتشبث بهروبها فيصرخ:

-انظري وواجهيني .. اخبريني لماذا فعلت هذا؟؟ لماذا خدعتني؟؟

لم تجب.. لو أقسمت له بكل شيء.. لن يصدقها.. أبداً لن يفعل..

-ظننتني مجرد غر ساذج سترمين شباكك حولي..

هدر بعنف..

-ظننتني سأقبل بامرأة ساقطة لاتمت للشرف بصلة ؟؟

أوجعها .. كسكين مثلم بدأ ينخر ضلوعها بلارحمة..

-أخبريني كم مرة فعلتها؟؟

صاح بقسوة..

-كم مرة أوقعتي رجالاً مثلي بشباكك؟؟ تكلمي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

عضت نواجدها بقوة .. كي تصمت وجعها عن الانين.. تشبثت بفراشها باحكام حتى شعرت بجروحها تعاود نزف الدم من جديد.. ولكنها لم تتحرك وتلتفت اليه.. كان الخزي يلفها.. يحكمها.. يسيطر على تصرفاتها .. كانت تؤنب نفسها وتقرعها.. انه على حق.. هو مصيب في كل مايقوله..

-ظننتني مثلهم ..

همس .. بأنفاس ثائرة تغادر صدره كنفير..

-انا .. علي العزب..لست كغيري يامرأة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هدر بعنف لتشهق وهي تشعر بيده تطبق على كتفها لتديرها اليه .. ورغماً عنها ارتطمت عينيها بعينيه.. باللوم.. الأسى .. الكراهية التي تدفقت بجنون من مقلتيه.. الحقد الاعمى الذي اندفع يجلدها بسياط من بين شفتيه:

-هل ظننت انني لن اعرف.. انني لن أتحرى عن المرأة التي سأدخلها بيتي وستكون جزءاً من عائلتي..

همس بفحيح لتحاول الرد.. لا .. لن تشرح .. لن تبرر.. فلن يسمع.. هي فقط .. ستهمس له بحبها عَـلَّهُ يشفع لها.. ولكن ..

وحتى قبل أن تغادر شفتيها كان يهمس بقسوة جارحة كالنصال:

-هل ظننت لوهلة أن علي العزب قد ينظر لحثالة مثلك بعد أن يعرف حقيقتك؟؟

ندت منها صيحة مجروحة.. كطير يُذبح وهو يواصل بقسوة:

-يالله كم أكرهك نادين.. أكره كل مافعلتيه بي.. أكره كل مافعلته لأجلك.. أستحقرك.. وأشمئز منك.. ومن كل مافعلته في حياتك..

كنت على حق.. انت مجرد رخيصة ..رخيصة كان من الافضل تركها تنزف العار علها تتخلص منه بموتها..

شهقت بألم وهو ينفضها بعيداً منه .. تراجع عنها صارخاً:

-لااريد ان أراك ابداً نادين.. ابداً..

ودون كلمة اضافية تركها .. تنتفض بعجز وبؤس لم تره امرأة من قبل تركها.. تنزف الالم والوجع مع الدماء تركها.. تتهالك على فراشها بقهر.. خامدة .. كجثة هامدة .. لم يعد لها حتى الهواء تتنفسه !!

***

جلست ساهمة.. لاتشغل بالاً بمابين يديها .. بل تشتت نظراتها في الفراغ وهي تعود بذاكرتها للصباح فقط.. وقلبها لايزال على خفقاته القوية ونبضاته الهادرة بلارحمة .. تعيش في صراع حتى الان لاتدركه ولاتريد ولاتستطيع الاعتراف به..

-غزل..

غزووووولة ..

انتفضت بقوة ونظرت لرفيقتها التي كانت تطالعها باستغراب وتسلية وهمست:

-ماذا بك لماتصرخين؟؟

رفعت الفتاة حاجبيها وحركت رأسها باستغراب:

-أنا اناديك منذ بعض الوقت وأنت لاتردين علي؟؟ ماذابك؟؟

ثم اضافت بفضول:

-بماكنت تفكرين؟؟

امتقع وجه غزل وعادت تنظر لكتابها هامسة:

-لاشيء.. كنت أسترجع ماأحفظ فقط.

زمت هبة شفتيها وهزت كتفيها قبل أن تغمز بعينها بمكر:

-لايعقل أنك لاتزالين تفكرين بمارأيناه اليوم؟

رمقتها غزل من فوق حافة الكتاب وهمست متشاغلة بتقليب صفحاته:

-ماذاتقصدين؟؟

لكزتها هبة على كتفها وهمست بحنق:

-وقوف زوجك المستمر مع تلك المزعجة رانيا؟؟ هل ستسكتين عن هذا الامر؟؟

عاد اليها الشعور الغريب مرة اخرى.. عاد بقوة يحرق انفاسها وضلوعها ويتركها ضحية نار لم تعرف متى هبت ولاكيف اشتعلت:

-انا لاأجد الامر مثيراً للقلق ابداً انها زميلته..

بررت لتشهق هبة باستنكار وتصيح:

-يالك من باردة .. لوكان زوجي لكنت تقدمت وخرمت عينيها تلك الآفة بأصابعي وسحبته من أنفه عائدة به الى الدار..

ضحكت حينها .. من اعماق قلبها وهي تتخيل مشهد سحبها لرعاد من أنفه.. ياللهول.. سيعلقها من أذنيها ان فكرت حتى.. وان كان راق لها فكرة ان تخرم عيني تلك الفتاة بالفعل..

انها ليست غاضبة وليست حانقة ابداً .. ليس من حقها ولم سيكون.. هزت كتفيها بلامبالاة .. ونظرت الى الكتاب تعود الى مذاكرتها حين انتزعتها هبة من افكارها مجدداً وسألتها:

-هل تبقين طوال الوقت هكذا في المنزل؟؟

نظرت لها باستغراب لتضيف صديقتها مشيرة الى ملابسها:

-بهذه الملابس أقصد..

نظرت غزل الى ثيابها.. كانت ترتدي جلابية منزلية خضراء اللون .. واسعة وبكمين طويلين وتضع على رأسها منديل مشبك صغير.. في حين عقصت شعرها خلف عنقها بعفوية ..

وعادت تنظر لرفيقتها هامسة ببرائة:

-وماذا تريدين مني أن أرتدي؟؟

قلبت هبة عينيها وهمست بغيظ:

-ياللهول يافتاة .. وتتسائلين لم ينظر لسواك؟؟

عقدت غزل حاجبيها وهتفت بحنق:

-انا لاأهتم .. فلينظـر حيث يشاء.. لايهمني هبة.

حدجتها الفتاة بنظرة ساحقة قبل ان تهمس من بين شفتين مطبقتين:

-اصمتي ياغزل قبل أن أحطم رأسك.. انت بالتأكيد تغارين على زوجك..؟؟

-أغار؟؟

صاحت غزل باستنكار وهي تنتفض واقفة قبل ان تضحك بارتباك وتصيح بها:

-يالهي هبة انت مخطئة .. لقد فهمت الامور بشكل عكسي..

ناظرتها رفيقتها متسعة العينين:

-عكسي؟؟ وكيف هذا ياأم العريف؟؟؟ ماهو العكسي في زوجة تغار على زوجها.. أخبريني.

أسقط بيد غزل ولم تعرف كيف ترد.. تقول انها لاتغار لأنها لاتحب رعاد.. ولاتنظر اليه بتلك الطريقة من الاساس.. أم تقول انها تغار وتسكت هبة وفمها الكبير..!!

جلست دون أن كلمة في حين همست لها هبة:

-ياحمقاااء.. تتركين زوجك لتدير عقله فتاة المدينة..

حينها انفجرت ضاحكة .. جزئياً تنفض عنها توترها.. والجزء الاخر.. لسخافة الفكرة..

-رعاد ليس هكذا.. لاتفكري بالامر كثيراً ولاتعطيه أكبر من حقه.

-أهذا حقاً ماتظنينه؟؟

قالت هبة باستنكار لتتوقف ضحكات غزل وتناظرها بتوتر والاولى تضيف:

-اسمعيني جيداً غزل.. حافظي على زوجك قبل أن تجديه يصطحبها الى منزلك يوماً ما.. وانت تعرفين الباقي..

ثم نهضت تلتقط عبائتها هاتفة بحنق:

-سأعود لمنزلي.. لقد تأخر الوقت.

رافقتها غزل للباب.. وهي تحاول اخفاء شحوبها وقلقها.. فكلماتها لم تكن مطمئنة ابداً ..

وحين عادت لتجلس على كرسيها تذكرت مارأته الصباح ..

الضحكات .. والنظرات الهائمة لتلك الفتاة والتي أغدقت بها رعاد بلاتوقف.. صحيح انه كان يحافظ على مسافة بينهما .. ولكن..

تلك الكهرباء التي تشع بينهما لاتخطئها عين..

لقد رأت الهمزات واللمزات بينهما وهي ليست مغفلة لتدرك ان لها أساساً..

ولكن المشكلة هنا..

أنها لاتعرف أيــن المشكلة؟؟

ألم تكن هذه خطتها منذ البداية .. أن تزوجه بسسواها حتى يبتعد عن طريقها للأبد.. ستكون زوجة له بالاسم.. وتبحث له عن زوجة حقيقية؟؟!!

مالذي تغير.. لمالاتريد الا ان تركض نحو تلك الفتاة وتدوسها تحت قدميها؟؟

زفرت مشاعرها المضطربة بضيق وأغمضت عينيها بقوة وهي تردد المعوذات بقلب راجف غير مطمئن .. ضمت ذراعيها حولها .. تنشد دفئاً وأماناً .. لاتعرف مالذي ترميها اليه هذه الدنيا وتخشاااه بقووة ..

-غزل..!!

انتفضت للصوت الخشن الذي انتزعها من أفكارها عنوة .. لتجد محورها يقف امامها بكل عنفوانه .. خفق قلبها بعنف .. وخفضت عينيها تخفي ماهب في عمقهما من مشاعر لم تدرك تفسيرها وهي تهمس:

-متى وصلت؟؟

راقبها بشغف.. يسرق نظرات محرمة كعاشق محروم.. اه كم تبدو فاتنة .. مسرة للعينين.. بذلك القد النحيف الذي اخفته عنه ملابس واسعة غير مغرية بتاتاً الا أنها لعبت بكل مشاعره وأعصابه

بلارحمة.. كان يقف متأملاً اياها منذ وقت طويل قبل أن يدرك انه قد يبقى على وقوفه هذا حتى الصباح ان لم يتحرك أو يقل شيئاً..فكان اسمها أرحم ماقد يقول..

-في التو ..

كذب بحرج .. وأجبر عينيه على الحياء وخفضهما بقوة .. وهو يسأل:

-غادرت صديقتك..؟؟

-نعم .. منذ بعض الوقت..

ردت وهي تنهض لتقترب منه بهدوء.. عوامل خفية .. خيوط عجيبة تجذبها اليه.. تقف قريبة منه وتسأله بابتسامة ناعمة:

-هل أنهيتم التخطيط للمشروع الجديد..؟؟

حاول أن يتراجع عن قربها المهلك ولم يقدر .. رباه انها تنهكه ..

-ليس بعد..

غمغم بخشونة لتعاود السؤال:

-ومتى تنتهون؟؟

هل تدرك ماتفعل؟؟

انها تضع عطراً هذه المرة .. عطر غريب .. اخترق خلايا أنفه وتصاعد الى دماغه بقوة مستهلكاً الهواء محتلاً ومسيطراً .. مصيباً اعضائه بالشلل .. الخدر..

رفع عينيه اليها.. عينيها تلمعان وبقوة .. لايعرف سر تلك الابتسامة التي تملكها ولكنها كانت تذيبه للعظم.. تنهك مقاومته وترفع درجات ضغطه للسقف..

-قريباً.. ان شاءاللّه..

همس .. يشعر بذاته ترتخي امام النار التي تشع منها وتلفحه .. تذيبه .. أيعقل انها تتعمد هذا.. لا لا .. فكر باستنكار .. مستحيل..

-ممتاز .. هكذا نعود للبلدة فقد اشتقت لأمي..

همست بحياء وهي تخفض عينيها .. تشبك اصابعها بتوتر.. وتنتظر منه خطوة ..

هل سيقفان هكذا للأبد ..؟! فكر بحنق.. على الباب ..!!

-هل.. اا..غزل انا..اا..

تردد .. تلعثمت حروفه.. وشعر بسخونة تجتاح جسده .. انها قريبة جداً كتلك الليـلة .. ناعمة جداً .. هادئة للغاية.. انها غزل .. حب عمـره كله ..

-كيف هي رانيـا؟؟

صفعه السؤال بقوة ..

نظر لها بذهول .. وهي تطالعه بتلك العينين المليئتين باللمعان .. كعسل مصفى .. ببشرتها القمحية المحتقنة .. لوهلة .. نسي من تكون هذه الرانيا؟؟ نسي ولم يتذكر سوى انه هنا مع غزله وحـده ..

-من؟؟!!

همس بشتات لتعقد ذراعيها على صدرها وتهمس بحدة:

-رانيـأ.. زميلتك الغالية..

انتبه لرنة السخرية في صوتها.. شحذت انتباهه وجعلته يعقد حاجبيه بعصبية والحرارة في عروقه تزداد وهو يكتم غضباً لايدرك مصدره:

-ومالذي ذكرك بها؟؟

-وهل أنساها ابداً ..؟؟

همست بسخرية .. لتتسع عيناه ويهتف بها بعصبية:

-مالذي يعنيه هذا؟؟

اختار هاتفه لحظتها ليرن بقوة .. فانتفض وهو يرفعه ليرى اسم العذول يقفز أمامه ..

رأته .. رأت لمعان عينيه وهو ينظر لشاشة هاتفه المحمول وأدركت بحدس المرأة انها هي..

بالتأكيد هي.. ثارت البراكين داخلها .. ثورة حمم حارقة ألهبت عروقها وجعلتها تهتف بألم:

-هي؟؟؟

رأته يجفل والهاتف يرن باصرار.. لم تتردد .. ابداً .. مدت يدها بقوة واختطفت الهاتف منه لتجد اسم المرأة الاخرى عليه .. وتحت نظرته الذاهلة فتحت الخط وردت بثورة مكبوته:

-من؟؟؟

سمعت صمتاً للحظات قبل ان يتناها اليها صوت رقيق يحاول البدء بالكلام لتجد نفسها تهتف بثورة:

-تكلمي ماذا دهاك أم أصبت بالصمم؟؟

جاوبها صمت مطبق قبل ان تسمع صوت الفتاة تقول بوقاحة:

-أريد التكلم مع رعاد..

اتسعت عينا غزل بحنق والتفتت لرعاد الواقف يناظرها دون حراك .. وهتفت وهي تنظر لعينيه اللتان تخفيان مشاعر عاصفة لم تعرف تفسيرها وقالت بشراسة:

-رعاد زوجـــي .. مشغول حالياً .. ولايقدر على رد مكالمتك.. وداعاً..

كانت تصر على كلمة زوجي بطريقة غريبة وكأنها تؤكدها ..

وتنظر في عينيه متحدية منه ان يناقض ماقالت أو حتى أن يعترض..

في الحالات العادية كان ليأخذ منها الهاتف.. يعاقبها بقوة على مافعلته

من تحدٍ سافر وقلة اعتبار له .. ولكنه الان.. يقف محتاراً .. يناظرها

بذهول ولايفقه سر مافعلته.. لايفقه بتاتاً ..

اعادت له هاتفه واستدارت تنوي الابتعاد .. الا أنه لم يسمح لها..

وكيف يفلت الفرصة التي لاحت له بكل وضوح..

-توقفي..

هدر بعنف .. لتتسمر مكانها برعب..

نعم مرعوبة منه .. ممافعلته في أوج ثورتها وغضبها .. جف حلقها ولم

تعد تدرك ماسبب فعلتها الشنيعة هذه؟! هي اكثر من يعرف رعاد في

نوبات غضبه .. في عصبيته .. هي أكثر من يعرفه..

-ماكان كل هذا ياغزل؟!

همس من بين اسنانه.. لتحجم عن الرد.. فتشعر بيده تطبق على

كتفها بقوة وتديرها اليه بعنف جعلها تشهق وهي تنظر اليه برجاء

صامت استهدف خافقه المجنون بها بلارحمة .. وجعله يذوب.. ولولا باقٍ من الكرامة لكان توسد أسفل قدميها دون تردد:

-كيف سمحتي لنفسك بمعاملة زميلتي بهذه الطريقة؟؟

زجر بحدة لتغروق عينيها بالدموع وهي تخفض عينيها .. وتستخدم تسلطها لتعاتب قلبه برقة تقبلها بألم وهو يرى دموعها التي انسابت تبلل وجنتيها وهمسها المخنوق آسفـــة .. قبل ان تلملم شتات نفسها وتحاول الفرار منه ليسرع قاطعاً عليها الطريق وهو يتلقفها بين ذراعيه هاتفاً بخشونة:

-لاتبكـــي..

شهقت بالدموع التي انسكبت بغزارة لاتعرف من اين أتتها ؟؟ لتتسع عينيه وهو يقبض على كتفيها بقوة ويهزها برفق :

-يالهي غزل .. لم الدموع الان؟؟

رفعت عينين ذابلتين اليه وهمست مخنوقة:

-اآسفـــة .. انا.. أآ..

-اشش ..

طلب منها الصمت برقة .. واقترب يحشرها بين عضلاته الصلبة وجدار غرفة المعيشة وهو يهمس:

-لاتتأسفي .. ولاتبكي .. غزل ..

ناداها برقة لتستجيب بعينيها الدامعتين فيهتف بحرارة:

-دموعك غالية أيتها الغاليـة ..

شهقت باكية بقوة أكبر.. ليقربها دافناً رأسها في تجويف كتفه

ويخفض رأسه ليجاور خدها هامساً:

-يكفيك تعذيباً لهذا القلب ياغزل .. يكفيك ماتفعلينه فلاتزيدي الأمر

سوءاً..

-رعـاد..

همست تناجيه .. تداعب أنفاسها الحارة نبضه الضارب بقوة ..

مسببة تسارعه واضطرابه الشديد.. أحاط رأسها بكفه .. وأماله

لينظر في عينيها .. مأسوراً للحظة لايعرف متى قد تعود .. والى أين

يمكن أن تقوده .. ولكنه لم يأبه .. كان يريد لهذه اللحظة أن تستمر

والى الأبد ..

خفض رأسه باتجاهها ببطء.. احدى يديه تحيطها باحكام والاخرى

تثبت رأسها في مكانه.. تعرف ماسينتهي اليه الأمر .. تعرف انه

سيقبلها ..

تسارعت أنفاسها بقوة .. ووجدت نفسها تسترخي بين يديه ..

وتغمض عينيها بانتظار قبلته ..

ولم تتأخر..

شعرت بنفسها تغوص في بئر عميقة ..ليس لها قرار.. ليس لها قاع ..

مياهها دافئة .. اجتاحتها كلها ..غمرتها حتى لم تعد تقوى على

التنفس.. كان ضغطه ناعماً .. وبذات الوقت كان قوياً .. مسيطراً

لامجال فيه للتردد او اعادة التفكير..

وجدت نفسها تبتسم .. من الداخل تتفتح كزهرة برية نفضوا عنها

تراب السنوات وأزهرت.. تشبثت بكتفيه .. كطفل صغير ينشد

الامان..

شدها اليه.. بيأس رجل لم يعد يطيق الصبر.. وقد نفذ منه.. واستنفذ

معه كل حكمته..

شدها اليه بقوة حتى وكأنه يحملها بين يديه .. لم يدرك الا انها تتعلق

بكتفيه .. وانها حرفياً تحرك قدميها في الهواء..نظر لوجهها الذي

اختفت دموعه وبات احمراره شهياً .. لايُقاوم .. همس باسمها

بأنفاس مخطوفة .. لتستجيب دون ارادة منها وتعاود اسمه بحروف

غزليــة خجلة .. وهي تعانق عنقه باستسلام ليس له سوى تفسير واحد لم يخطئ تفسيره ولن ينكره ..

واستجاب هو .. بعنف كل تلك السنوات استجاب .. بعقل غيبته رغبة عارمة وعشق صامت منذ نعومة اظافره.. استجاب بكل توق .. ومحبة ..

كان لقاؤهما عاصفاً بصمت .. لم تتحدث فيه سوى آهات وأنفاس متلاحقة ..

مشاعر طاغية .. احساس مرهف .. ارتباك وازدهار مشاعر صافية نقيــة .. تحمل من الحب الكثير والكثير(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تركتهما مجهدي الروح .. والجسد ..

تركت احدهما غائباً في لذة امتزجت بالذهول والألم .. ودموع أنسابت بصمت .. وأنين اختفى بين صدر عامر تلاحقت به الانفاس بصورة غير اعتيادية.. بطريقة أقرب للغضب .. عدم التصديــق.. ذهول عارم غطى على كل شيء أخر..

صدمة .. لم يتوقعها .. تقوقعت بين ذراعيه تخفي نفسها عن عينيه وهو من يريد ان تختفي كلياً عنه ..كان شعور عارم يقتات به ببطئ..

يقتله .. ينهش اعماقه ويمعن في اعتصار دواخله ..حتى تصاعد الغثيان يملئه.. يعمي عينيه .. يشعر باهتزازها .. يريد أن يسألها .. أن يطمئن عليها ولايقدر..

مايعانيه الان.. مايقتله ببطئ..

اختنق بغصة .. ورغبة بالتقيوء.. نهض بسرعة .. مبتعداً عنها وكأنها آفــة .. مرض شرس انتهكه وحطمه .. قفز مبتعداً عنها .. يعيد ارتداء ملابسه بسرعة .. تحت نظراتها الذاهلة ..

رأته يبتعد .. يسرع هارباً منها ..

هتفت تناديه بشحوب ..

-رعاااد (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ولكنه لم يرد .. لو كلمها الان .. لو فتح فمه وتكلم ستكرهه الى الأبد ..

وسيكرهها الى الابــد ..

لم ينظر اليها .. يريد ان ينسى .. ماحدث يجب ان ينساه ..

تعثر بحذائه وهو يندفع متجاهلاً ندائها الخافت .. وحتى ندائها الاعلى منه بعدها .. اندفع للخارج وكأنما تطارده شياطينه .. عيناه كتلتان من جمر.. لو ترك لنفسه العنان لانفجــر بالبكاء..

أماهي .. فقد انفجرت ..

باكية بعنف ..

لاتفهم ماحدث توها .. لقد سلمت له اغلى ماتملكه اية فتاة .. اعطته

بلاقيود.. اعطته روحها .. حبها .. جسدها .. اعطته كل شيء..

وتوقف عقلها عن العمل ..

حبها؟؟!!

ارتمت على الفراش تناظر السقف بذهول..

حبها؟؟!! متى وكيف؟؟؟

هي (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) من بين كل الناس..

تحبه هو .. رعااد .. دون أي أحد .. رعاااد ؟؟!!

***

كانت تراقبه من بعيد .. يغرق نفسه في العديد من الاوراق

والحسابات المعقدة والتي تراكمت بعد الايقاع بحسن زوج الجوهرة

كما يبدو وكأنه يراجع مافعله ذلك الاحمق..

تقدمت بهدوء وهي تحضر الكلمات التي تنوي قولها دون تردد..

-قحطاان..

أكسبت صوتها كل النعومة في الدنيا وأصابعها ترسم خطوطاً وهمية على قماش قميصه الصوفية الدافئة وهو يدمدم باجابة لندائها:

-قحطاااان..

اعادت بدلال وهي تستجدي انتباهه الكامل .. ليفلت القلم بين يديه وينظر لها بعتب:

-ألاترينني مشغولاً بعض الشيئ..

هزت رأسها بدلال قبل ان تقترب وتجلس على حجره متجاهلة اعتراضه المنزعج ضاحكة وهي تهمس:

-هناك ماارید أن اطلبه منك..

زفر بتوتر .. ونظر لها بانزعاج حقيقي وهتف:

-بسرعة سيـادة .. لدي العديد من الاوراق لأنهيها.. ولاوقت لدي .

زمت شفتيها وهتفت بدلال:

-انت لاتهتم بمشاعري ابداً قحطاان .. الاتشعر بفضوول ولو قليلاً لمالدي لأقوله؟؟

رفع حاجبيه وهتف بحدة:

-سيـــادة .. لاوقت لدي لهذه السخافة تكلمي او ابتعدي واتركيني لعملي.

امتقع وجهها وكادت تغضب وبشدة لولا انها تعرفه جيداً وتدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه ولذا عذرته فقط قليلاً .. لذا ابتلعت حنقها وهي تتوعده في سرها وتتوعد بالانتقام منه ولكن ليس الان .. الان ستأخذ ماتريد ..

-أريد الاتصال بأمـــي..

هتفت بسرعة ليعقد حاجبيه وهو يهز كتفيه :

-وماشأني بهذا .. اتصلي بها.

تنهدت بحرقة .. لو يتذكر فقط .. لكان حطم وجهها لهكذا طلب .. ولكنها احكمت مابنفسها ولم تظهره وهي تهمس:

-هاتفي ليس به شبكة دولية .. هل اخذ هاتفك؟؟

التقط هاتفه وسلمه لها ببساطة وهمس:

-خذي راحتك واتركيني لأعمل ..

ابتسمت بجذل واخذت الهاتف مقبلة وجنته بحرارة هاتفة:

-شكرراً .. شكررااااا,,,

لم يملك سوى الابتسام وهي تقفز راكضة لتتصل بالرقم ..

كانت تطير بصوابه في احيان كثيرة وهذه احداها .. بالذات حين يشع وجهها الجميل بكل هذه الحيوية والحلاوة .. أخفض عينيه متنحنحاً .. ليس لديه وقت لهذه الاشياء.. ليس الان على الاقل..

في حين تراجعت سيادة بقلب خافق وهي تضرب رقم الهاتف والذي رن لوقت طويل وعقلها يفكر في الكثير والكثير لتخبر امها ..

وجائها الصوت المتكبر لتملأها البهجة وهي تهتف بالفرنسية:

-ماماا .. اشتقت اليكي..

-سيادة؟؟؟

هتفت ايفا بذهول وهي تنهض من مكانها لاتصدق ..

-نعم ماما انها انا .. اشتقت اليكي ماما..

هتفت سيادة بفرحة عامرة ودموعها تغرقها شوقاً لأمها .. التي بكت من جهتها بقهر .. وهي تصرخ:

-كيف تفعلين بنا هذا سيادة .. بعد كل ماخططنا له ومافعلناه لتهريبك .. تعودين اليه بقدميك..

-اووه ماما.. لاتفكري بهذا الامر الان.. دعيني اسمع عنك حبيبتي..

هتفت سيادة برجاء لتعترض ايفا :

-لا لا .. أخبريني مافعله لك هذا البدوي؟؟ كيف غسل دماغك؟؟

عبست سيادة ومسحت دموعها وهي تدافع عن حبيبها:

-لاتقولي عنه هكذا؟؟ أنا احبه ماما..

-ماذاااااا؟؟

صرخت ايفا بجنون ودارت حول نفسها وهي تصيح:

-تحبين من؟؟ ايتها المجنونة الغبية..

تيبست سيادة من قوة الصراخ وتحجرت نبراتها وامها تهدر بعنف:

-سوف أنسى ماقلتيه في التو سيادة .. سوف أنساه نهائياً وسوف تستخدمين كل مااوتيت من قوة لتخرجي من عندك وتعودين الى باريس.. الى امك وعبدالعزيز..

اشتعلت عينا سيادة بحدة وثورة وهتفت بحنق:

-لااماااه .. انا لن اعود لعبدالعزيز.. انا احب قحطان وهو يحبني ولن اسمح لأحد بالدخول بيننا.

-انت مجنونة..

صرخت ايفا قبل ان تهتف:

-لن اسمح لك بتحطيم مستقبلك ايتها الحمقاء.. ستعودين والا ..

زفرت سيادة بعنف وهتفت تقاطعها:

-والا ماذا ماما..

انتشرت البرودة في عيني ايفا وهتفت بجمود :

-والا فانسي انك ابنتي.. نهائياً..

-ماماا

اعترضت سيادة بضجر.. وكأنها تعرف ان أمها لابد تبالغ .. وسرعان ماتلين .. وتنسى .. بل تغرم بقحطان كمافعلت هي.. لم تكن تدرك عظم تأثر امها حتى سمعت الرنين المتقطع والذي دل على ان إيفا اغلقت الخط .. وليس هذا فحسب .. بل اغلقت في وجهها سبيل المصالحة ايضاً..

حينها بكت .. مقهورة .. مشتاقة .. تحتاج الى حضن ودفئ والدتها .. نشجت بألم .. قبل ان تشعر بيده تربت على كتفها لترتمي بين ذراعيه شاهقة:

-قحطاااان (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ضمها بقوة وهو يزجرها بعنف:

-لاتبكي .. لاتليق الدموع بشيخة البنات..

لم تفلح طريقته بالتخفيف عنها بل زادتها بكاءاً وهي تتشبث به ليضمها بقوة :

-مالامر؟؟ هل تشتاقين لها لهذه الدرجة أم ان هناك أمر ما قد حدث؟؟

لم تجب .. واستمرت تبكي وقد دفنت وجهها في قميصه بقوة ليبعدها عنه بحركة حادة وينظر في عينيها هاتفاً بشدة:

-تكلمي سيـادة مالذي يبكيكي؟؟

نشجت بقوة .. وحاولت مسح دموعها ليعترض هو .. ويمسحها برفق بظهر يده وهي تهمس:

-انها غاضبة مني..

-ولم؟؟

تسائل باهتمام:

-لأنني لم ازرها منذ زواجنا.

كذبت بسهولة .. وقد اعتادت على الكذب ولم يعد حتى يؤنبها.. تنهد هو وعاد يضمها هاتفاً:

-لم لاتدعها للمجيئ عندنا.. سنضايفها ونكرمها.

قلبت عينيها .. وكأن أمها سترضى:

-لن ترضى قحطاان .. ابداً..

تنهد وهو يمسد شعرها الناعم وهو ينسدل على كتفيها في حين تكورت هي في حضنه:

-حسناً اذاً سنفكر بطريقة ما لننال رضاها .. فهي مهما كان أمك ..

ويجب ان تنالي رضاها اليس كذلك؟؟

اومأت وهمست بشحوب:

-ولكن كيف؟؟ هي تريد مني العودة لباريس؟

تصلب في جلوسه .. وعقد حاجبيه وكله يرفض مجرد الفكرة ورد بخشونة:

-لاتقلقي .. سنجد حلاً ..

ثم ابعدها عنه ونظر لوجهها المنتفخ أثر البكاء وابتسم:

-لاتبكي مرة أخرى .. لايليق بك البكاء.. انظري لنفسك..

تراجعت محتقنة وهي تلكزه بحنق:

-يالك من زوج مراعٍ .. ألاتستطيع ان تجاملني ولو بكلمة ..

ضحك بمرح واحاط بوجنتيها بكفيه قبل ان يقترب مقبلاً جبينها بعمق .. لتغمض عينيها بنشوة وتهمس بشقاوة:

-انزل قليلاً ..

ضحك بنعومة .. ونزل بشفتيه لمابين عينيها لتهمس مشجعة :

-قليلاً بعد ..

استقرت شفتاه على أرنبة أنفها .. وسمع تنهيدتها الشاكية:

-أتنوي تعذيبي لوقت اطول ..

ضحك حينها بقوة .. وتراجع نهائياً وهو يرى وجهها المتقع وهمس مستقيماً:

-ليس الان سيادة .. يجب ان ارى جدي .. لدينا الكثير لنناقشه ..

-قحطاااااااااان ..

اعترضت ليستدير ملوحاً لها بكفه .. تاركاً قلبها يلتوي بعنف ..

تتهالك على الكنبة بحنق وتعانق وسادة ضخمة وهي تتذمر :

-يالك من بارد عديم المشاعر..

قبل ان تغرق أنفها بالوسادة وتهمس بعذاب:

-وانا غارقة حتى الموت في حبك أيها الشيخ المتوحش ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

دخل على جده وعلى شفتيه ابتسامة ويخفي خلف ضلوعه قلباً اختنق بمشاعر يكبتها بعنف .. بكل برود وثقة .. تنهد واقترب من شيخه يقبل كفه ورأسه ويتربع جالساً الى جواره قائلاً بمرح:

-مالذي يوقظك حتى الساعة ياشيخ؟؟

رفع الشيخ عينين مثقلتين بالهموم جعلتا قحطان يخرج من حالة المرح التي جاء بها ويعتدل بقلق:

-جدي مالأمر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) هل حدث مكروه؟؟

تنهد جده وهمس بصوت كسير:

-أولاتسمي ماحد لجوهـرة لعزب بمكروه؟؟

تراجع قحطان زافراً بضيق .. انه يجاهد الا يفكر بماحدث.. يجاهد كي ينسى انهيار شقيقته وهو يبلغها بطلاقها.. يجاهد كي ينسى مافعله بابن عمه الذي كاد يلوث سمعة العائلة .. وكاد يدمر أخته بلارحمة..

-ماحدث كان لابد منه..

همس بتوتر ليهز الشيخ رأسه:

-ماحدث لم يكن يجب ان نصل اليه من الاساس..

كيف .. كيف يقوم ابن عمها بضربها واهانتها؟؟ ابن عمها عليه ان يكرمها؟؟ ان يرفعها وان يضعها على رأسه بني..

همس الشيخ بألم .. ليشيح قحطان برأسه وغصة تستحكم حلقه:

-لاتقلق ياشيخ .. الجوهرة مكانها محفوظ على الرأس.. ومن لم يعزها ويقدرها سأدوسه بقدمي.. انها شقيقتي وحقها علي ان ارفع غلاها وقدرها .. وان أحافظ على حقوقها ولن يوقفني شيء..

أسند الشيخ ذقنه على عكازه وهمس ببؤس:

-مايقهرني هو انه ابننا .. ابن عمها .. ابن عمك ياقحطان .. اذا لم يأمنها ابن عمها ويحافظ عليها فلمن نأمن.. وكيف؟؟

-ماعاش من ينزل رأسك ويوطئه .. ماعاش من يقهرك ياشيخ.. حسن مصاب بأمراض نفسية وعقد وحين لم يجد من يفرغ عقده فيه اتخذ الجوهرة متنفساً له .. ولاتقلق .. لقد عالجته بنفسي..

قالها قحطان بشراسة ليتنهد الشيخ وهو يدرك ان حفيده لابد قد أذاق حسن الويل والثبور.. ولكن شيء في قلبه يضن عليه ..

-ولكنني اخشى ماأخشاه ألايكون هو الوحيد..

-ماذا تعني جدي؟؟

تسائل قحطان بحيرة ليهتف جده بجزع:

-سلمى يابني.. سلمى تزورني في المناوم ..

اتسعت عينا قحطان وهتف:

-مالذي تقوله لك جدي..؟؟

حرك جده رأسه بحيرة:

-لاأفهمها بني.. انها ترطن بلغة غريبة .. ولاتكف عن البكاء وأنا لاافهمها..

عقد قحطان حاجبيه بحدة .. ومضى يفكر.. هو لايتذكر من زوج اخته اي شيء.. هو حتى لايتذكر شكله .. تنهد بحنق وهو يضغط على راسه .. هل من الممكن أن يكون مثل حسن؟؟

نظر لجده الغارق في حزنه وعقله يرسم خططاً واسعة وشاملة ..

قبل ان يسمع جده يهتف:

-اتصل بفراس واطلب منه ان يأتيا هو وسلمى .. اريد أن أرى حفيدتي واطمئن عليها.

اومئ قحطان للحظة قبل ان تلمع عيناه ويفكر:

-ربما لدي شيء أفض جدي..

نظر له جده بحيرة ليواصل:

-سيـادة تريد ان ترى امها .. يبدو انها غاضبة عليها لأنها لم تزرها منذ زواجنا.. فلم لاأخذها لتراها وبالمرة أطمئن بنفسي على سلمى وزوجها.

-هل حقاً ستفعل؟؟

صاح الجد بلهفة ليبتسم قحطان ويربت على كتفه هامساً:

-بالتأكيد جدي لاتلقى بالاً .. سأذهب لأبرق الخبر لتلك الغاضبة واتصل بعمرو واجعله يرتب لي السفر بنفسه.. مارأيك..

ضحك جده ودعا له من كل قلبه فتبسم قحطان وقبل رأسه وهو يستأذن ..

توجه الى جناحه وحالما وصل وجدها تستلقي في مكانها كما تركها .. تزم شفتيها بغضب .. وتناظر السقف فكتم ضحكة تفجرت في اعماقه ورسم الوقار على وجهه وهو يقترب ليجلس جارها ويهمس بمكر:

-أين كنا؟؟

نظرت له بعتب.. ثم اشارت لأرنبة انفها بصمت ليفلت ضحكته دون ارادة منه ويميل نحوها هامساً:

-مارأيك أن نبدأ من جديد؟؟

هزت كتفيها تدعي عدم الاكتراث .. ليلامس وجنتها بكفه بنعومة ويهمس/

-اتريدين البدء من هنا ..

ومرر بأصبعها على جبينها مروراً الى انفها ببطئ..

-أم هنا..؟؟

وتلكأت اصابعه على طرف شفتيها لتنفرج بدعوة صريحة.. قبل ان يضحك محيطاً عنقها بكفه ومغرقاً انفاسها بعبق انفاسه وهو يفكر ان هناك وقت طويل ليخبرها عن السفر الوشيك.. وقت طويل للغاية ..

***

اغلقت ايفا الهاتف بحرقة ..

كانت تغلي .. كلها تلتهب .. وجاء من يزيدها اشتعالاً ..

-ايفا هل أنت بخير؟؟

-عزيز؟؟

نظرت للرجل الذي اقترب منها بقلق وهمس:

-اانت بخير؟؟

-كلمت سيادة للتو..

هتفت بتوتر لتتسع عيناه ويقترب متسائلاً:

-ماذا قالت؟؟ متى ستأتي؟؟

ضحكت المرأة بمرارة وهتفت:

-انها لاتريد المجيئ.. الفتاة يبدوا انها تقع في غرام البدوي..

شعت عينا عزيز بالغضب وصرخ:

-سأقتله..

اشاحت عنه ايفا بحنق وهتفت:

-كف عن المبالغة ولاتسرف بالتهديدات.. يبدو انني قللت من قيمة ذلك البدوي.. قللت من قيمته كثيراً .. انا لم اعد عرف ابنتي حتى.

-سيادة ستعود الي .. وسوف اقتل ذلك الرجل وسأريك..

هدد عبدالعزيز بعنف قبل ان يغادر وهو يرغي ويزبد .. في حين ترك المرأة تدير الخطط في عقلها دون توقف ..

كان يقود بسرعة عالية حتى وصل الى منزل عائلته .. ترجل من سيارته واندفع للمنزل الساكن.. ووجد سيف هناك ..

-الى اين ؟؟

تسائل بسخرية وهو يرى ابن عمه في قمة الشياكة ليشيح سيف ويهمس:

-ليس من شأنك..

ضحك عزيز بسخرية قبل ان يسأله:

-اخبرني هل انتهيت من البدوية؟؟

نظر له سيف نظرة صاعقة كانت لتجمد الدم في عروقه لولا البركان الهادر الذي تفجر بداخله:

-لاتتجرأ وتفكر بالاقتراب من سلمى .. أتفهم؟؟

اقترب عزيز من سيف بتهور:

-ومالذي ستفعله بهذا الشأن يااابن العم؟؟

واجهه سيف بقوة ويده تقبض على عنقه بقسوة جعلت عزيز يشهق من المفاجأة:

-تعرف جيداً ماقدر على فعله عزيز فلاتستفزني..

تحشرج صوت الرجل وهدد محاولاً التخلص من قبضة ابن عمه:

-انت لاتستطيع .. ليس ان اخبرت جدي بماتقوم به.. ومافعلته ابنة العزب بكبير السلاطين..

-اصمت ..

هدر سيف وهو يفلته بقسوة ليرتد الرجل للوراة يسعل بقوة .. يحاول التخلص من الم حنجرته القوي .. وهتف ب سيف:

-انت لن تجرؤ على الوقوف امام السلطان سيف.

نظر له سيف بحدة جعلته يبتلع باقي عباراته ويتراجع بصمت قبل ان تعاوده الشجاعة:

-سأنتقم من شيخ العزب .. وسأجعله يندم على الاستيلاء على حبيبتي..

-افعل مابدالك .. ولكن سلمى خط احمر ياعبدالعزيز .. إيااااك أن تقترب منها أتفهم؟؟

تجاهله عزيز وسخر بحركة من يده قبل ان يختفي خلف احد الابواب .. ليزفر سيف بتوتر ويسارع بالاتصال برقم ما وحال سماعه صوت محدثته حتى حدثها بعصبية:

-الى متى التأخير.. لقد انتظرت طويلاً .. اريد الامر ان ينتهي بأسرع وقت.. أتفهمين ..

وبعد سماع الرد اغلق الهاتف بقوة .. وقلبه يخفق مدوياً .. فالآتي يجعله يقف على الحافة الضيقة التي توصله للقمة .. إما أن يصل او يقع وتكسر رقبته(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

لايعرف الى متى ظل يجوب الشوارع ..

حتى صلاة الفجر لم يقدر عليها .. فهو على جنابة كبرى .. كان يمشي ويمشي ..ك تائه .. أو مجنون.. مالذي فعله .. تشعث شعره .. احمرت عيناه .. وكاد يقع في عدة حوادث ..

وفي النهاية قادته قدماه المنهكة الى كورنيش خالٍ في تلك الساعة والتي قاربت الضحى ..

جلس بانهاك ينظر للبحر..

مالذي فعله .. ؟؟ زاغت عيناه .. لقد انتهك زوجة اخيه .. أمانته التي وضعها في عنقه ..

انتهك جسد امرأة نذرت نفسها لعشق شقيقه.. ؟؟

رباااه كم انه قاسٍ .. سافل .. مجرم ..

تيبس حلقه .. واشتد خطبــه وهو يغمض عينيه بقوة يمنع دموعه ..

كانت عذرااء؟؟!!

رباااه ماذا فعل؟؟

وكأنه ذبحها بيديه.. انتهك عرضها ..اغتصب ماليس له ..

اااه .. اااه

صاحت روحه بعذااب .. قلبه يدوي بعنف ويديه تضغطان جانبي رأسه بقوة .. بلارحمة .. يخفف من قهره وعذابه .. ولايقدر..

لقد ارتكب اثماً لايُغتفر.. لن يغفره لنفسه ابداً ..

لقد خــان شقيقه..

خان ثقته ووعده .. خان أمانته..

نهض بتخاذل.. لايكاد يرى حتى امامه .. قادته قدماه المنهكة الى منزله .. وصعد الدرجات ببطئ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

كانت تدور في المكان بقلق .. أين ذهب..؟؟

لقد ترك هاتفه في المنزل فلاتستطيع حتى الاتصال به ومعرفة اين هو؟؟ قلبها يؤلمها عليه وماكتشفته وقتها.. تحبـه؟؟!!

رباه ماروع هذه الكلمة ..

انتباتها حرارة الاحراج والخجل وهي تتذكر ماحدث بينهما .. واحتقن وجهها وهي تحاول صرف ذهنها وقلبها المتراقص بفرح عن ذكريات ماحدث ولم تقدر..

لاتزال تشعر بلمساته .. تسمع أنفاسه .. وتشعر بكل شيء..

عضت شفتيها باضطراب وقضمت اظافرها بتوتر.. حتى سمعت الباب يفتح ببطء وتثاقل..

-رعاااد..

همست لنفسها وهي تركض نحو الباب..

ووقفت تنظر لهيئته المشعثة بذهول.. وكأنه قادم من عمق معركة طاحنة ..

حالما دخل وقعت عيناه عليها.. شعرها المبلل ينسدل على كتفيها .. وقد ارتدت ثوباً ناعماً وعليه كنزة كشميرية ناعمة .. سمع صوتها يناديه .. رآها تقترب منه ..

وشعت عيناه بالغضب..

هي الســبب .. .. نعم انها هي .. هي أغرته.. هي سلمت نفسها لشيطانه دون حتى ان تقاوم؟؟ هي استسلمت و اوقدت ناره .. هي السبب..

-لاتلمسيني؟؟

هدر صوته بعنف لتتوقف يدها التي مدتها لتمس كتفه بحنان وتقفز مبتعدة عنه بذعر وهي ترى اسوداد وجهه واحتقان عينيه وهو ينفث انفاسه كالنار المشتعلة:

-أنت السبب..

اتسعت عينيها بهلع وهو يصرخ بجنون:

-أنت أفقدتني صوابي..

-رعااد ..

صاحت بجزع ليهتف بها:

-لاتنطقي اسمي.. انت تسببت بكل ماحدث؟؟ انت السبب .. لقد اغويتني..

شهقت بذعر وهي تخفي فمها بكفيها وهو يعاود اتهاماته البشعة:

-لقد خنت شقيقي.. خنت محمد .. أخذت زوجته عنوة .. انت ..

-اصمت ..

صرخت بعنف وعينيها جاحظتين .. ويدها ترتفع لتنزل بقوة على صفحة وجهه الغاضب .. لتشيع برودة كالثلج في حرارة الغضب..

ويشحب الاحتقان .. وتتعالى شهقات البكاء وهي تصيح:

-مالذي تقوله رعاااد؟؟ مالذي تقووله؟؟؟ انا زووجتك.. زوجتك انت ..

نظر لها بذهول .. وهي تصرخ بمرارة:

-كيف تفكر بمحمد الان..؟؟ كيف؟؟

اغروقت عينيه بالدموع دون ان يملك الجرأة ليفلتها وصاح:

-لأنني لست بخائن.. لست مثلك .. انا لن أخون اخي.. لولا مافعلته بي.. لم اكن لأدنسك انت .. انت زوجته .. حبيبته .. انت ملكه ..

سدت أذنيها بكفيها بقوة وصاحت بعنف:

-اصمت .. اصمت .. انت لاتعي ماتقول..

اقترب يهزها من كتفيها وهو يصيح بألم:

-لما لم توقفيني.. ؟؟ لم لم تبتعدي عني؟؟ لماخنتي ثقته ياغزل؟؟

ابتعدت عنه صارخة بوجع:

-لانني لم أفكر بأحد سواك .. لأنني أيقنت انه قد مات .. أتفهم ..

محمد قد مات .. وانا الان زوجتك أنت.

اتسعت عيناه باستنكار لتقترب ودموعها تغرقها وتشير بأصبعها

نحوه:

-أنت هو زوجي رعاد .. ماحدث هو ماكان يجب ان يحدث.. انا لست

بخائنة .. لست ببغية .. ولست حمقاء لأصدق ماتهذر به.. أتفهم ..

واشارت لنفسها بعزة .. رغم دموعها:

-انا غزل ابنة سياف العزب .. اتفهم من اعني.. غزل العزب.. يابن

عمـــي..

وتركته على ذهوله وتخبطه واندفعت شاهقة بالبكاء الى غرفتها ..

تنعي حبها الذي قتله حبيبها في مهده .. بشكوكه وظنونه .. بقلة

تعقله وغرابة تفكيره ..

***

بعد يومين ..

كانت تجلس ضجرة .. وقد ابتعدت عن الجميع بعد ماحدث بينها وبين فراس.. انتبهت انه في اليومين الاخيرين يتغيب كثيراً عن البيت .. ولم تعد تأبه.. حقاً اصابها الملل.. ستتركه حتى يعود لها بارادته ..

رن الهاتف .. التقطته بضيق وسمعت الكلمات الفرنسية السريعة فصاحت بصاحبها بفرنسية بطيئة ان يتمهل .. وبعد جهد عرفت انه يبلغها رسالة من زوجها .. بملاقاته بشكل سريع وضروري الى مكان الاستوديو..

اقفلت مترددة .. تفكر بعدم الرد على الدعوة وتجاهلها .. ولكن ..

يالهي سلمى انت هنا لتصلحي الامور لاتزيديها تعقيداً واذهبي..

نهضت متأففة تستجيب للمرة الاولى في حياتها لصوت العقل ..

وباشرت باعداد نفسها ..

لم يوصلها السائق هذه المرة فقد اعتادت الطريق في المرات السابقة ..

وهذه المرأة رفع الحارس قبعته لها احتراماً فابتسمت للذكرى السابقة .. وأخذت المصعد للاستوديو .. وهناك كان المكان هادئاً ..

كتلك المرة .. ودلفت بثقة .. تبعد خصلات من شعرها الثائر عن عينيها لتتسمر دون حراك ..

صرخت .. صرخت بقوة اجفلت الجسدين المتلاحمين بمشهد قذر .. قلب امعائها وجعلها تكاد تموت في مكانها .. رأته ينتفض وينظر لها بذهول.. وبين يديه تلك الساقطة الشقراء .. سمعته يردد اسمها بذهول قبل ان تفلت من المكان القذر بأعجوبة وتسارع راكضة للخارج ..

لم تصدق مارأته عينيها لوهلة ..

اختنقت الاهات بين زفرات أنفاسها وهي تحاول محو المشهد اللعين من تلافيف دماغها ولاتقوى .. يجثم على انفاسها ويقسو عليها.. لم تعرف كيف نزلت الدرجات متجاهلة المصعد .. لاتكاد ترى أمامها ..شهقت للهواء وهي تخرج للشمس الساطعة .. تبحث بجنون عن مفاتيحها وتسمع صوت قدميه يقترب ..

-توقفي سلمى توقفي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

جرت بجنون الى الموقف .. تريد الهرب .. رائحة الخيانة قذرة وتزكمها .. شهقت مجدداً لتكتشف أن شهقاتها مجرد دموع تهطل بلاتوقف .. حين ارادت فتح الباب ولم يستجب المفتاح بكل وقاحة ..

-سلمىىىى

سمعت الصوت الهادر لتراه يقترب مهرولاً بسروال مهلهل وقميص مجعد .. ارتداهما على عجل:

-لاتذهبي هكذا دعيني اشرح لك ..

نظرت له بجنون .. رفعت يديها تسكت سيل الكلمات المتدفق من بين شفتيه:

-لاتقل شيئاً .. اصمت .. اصمت ودعني ارحل من هنا..

-لا لا .. لن ترحلي قبل أن تسمعيني ..

سدت أذنيها بيديها بقوة وصرخت:

-تووقف ..انت لاتستحق كل مافعلته لأجلك .. لاتستحق ماضحيت به من اجلك..

-سلمى..

صرخ وهو يمسك كتفيها لتنتابها هستيريا مؤلمة وهي تجاهد لتتخلص من قبضتيه .. صارخة:

-ابتعد عني .. لاتلمسني ايها القذر.. لاتلمسني..

تركها مرغماً لتهدأ على الفور:

-انت مجرد نكرة .. مجرد لعوب احمق يظن بانه يستطيع السيطرة على كل من هم حوله.. انت لاتساوي شيئاً فرااس.. انت مجرد حششششرة لاتسوى أتفهم..

صرخت بجنون وهي تبكي بلاتوقف .. وهو صامت يناظرها ببله..

-خسرت عائلتي كلها من أجلك ..تركتهم ورائي.. والان اخسر نفسي .. واخسر مبادئي وكلها من اجلك..

ورفعت عينيها الباكيتين تصرخ بحقد:

-من أجل جباان خاائن .. لايُسوى ..

حاول الشرح .. حاول ان يقترب عله يمسح دموعها التي لم تتوقف على الانهمار مطلقاً فلم يقدر .. شعر بأنه بعيد عنها الاف الاميال .. وهي تنتحب بصوت مزقه بقوة .. رآها تستند على بدن سيارتها بوجع .. تسقط الى جوارها بدون صوت .. تفترش الارض الحارة بتأثير الشمس وهي تنتحب:

-اريد العودة .. اريد ان اعووود كما كنت .. لماذا فعلت بي هذا .. لماذا قتلتني وشوهتني هكذاا.. لماذاا

..

لتتردد صرخاتها حولها دون مجيب.. وتستمر دموعها بالهطول دون مكفكف لها .. وهو واجم امامها بلاحركة .. يعرف انه قضى عليها .. وردة الياسمين الفواحة .. مزق بتلاتها بيده .. وحرق قلبها بخيانته .. فهل تسامحه يوماً !!

***

الى اللقاء في الفصل القادم

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل التاسع عشر

***

آهِ يا حُبِّي الذي قد زارَ قلبي

منذُ كُنَّا

في رحابِ الغَيبِ

طِينًا يَتَشَكَّلْ

عبدالعزيز جويدة

***

تصاعد الرنين المثير للأعصاب بشكل مستفز وملأ الجو المستكين ..

سمعت زفرته المغتاظة وضحكت بخفوت هامسة في عينيه:

-ألــن تُجيب؟؟

غرق في زمردتيها لوقت مطول قبل ان يهمس بخشونة:

-ربما يراجع نفسه ويتوقف عن الازعاج.

لمعت عينيها بشقاوة وهمست:

-وربما كان شيئاً لايحتمل التأخير أو التوقف؟؟

توقف حينها الرنين بغتة ليبتسم هو بثقل يمرر أصابعه الخشنة على نعومة وجنتها هامساً:

-لابد انه ليس بالامر المهم على كل حال..

عبست مازحة وأحاطت كفه بيديها وقربتها من شفتيها هامسة :

-معك لاشيئ غير مهم ..

ملئ عينيه بجمالها الاخاذ والذي تألق بشكل مثير لايقاوم وقال:

-بلى .. حين يكون اتصالاً هاتفياً بعد منتصف الليل .. فهو لايهم بتاتاً..

كان يمزح .. تأملته باندهاش .. لترى لمعان عينيه الماكر .. وشعرت بأنها تضيع.. اولاً في ثقبيه الاسودان وثم في طريقته المتلاعبة .. هل يشير ان الوقت معها لايوجد مابأهميته؟؟

لم تقاوم فضولها .. ولاتلك الدغدغة التي انتشرت بصدرهاوجعلت خفقات قلبها تدوي بعنف.. هل ممكن أن يعترف ولو بشيء يبل ريقها الجائع والتائق حد الجنون للمحة عاطفة يُفصح بها.. استندت على مرفقها وأجبرته فعلياً على الاستلقاء على ظهره بينما تشرف عليه وذراعيها تستندان على صدره العارم .. قريبة من دقات قلبه الثابتة .. وأنفاسه الهادئة بطريقة عجيبة ..

-هل تعني ان امضاء الوقت معي مهم لك قحطان؟؟

تسائلت بنعومة .. تحاول ان تدرج في صوتها أكبر قدر من القوة .. وعدم الاستسلام لذلك الامل المخجل والذي تصاعد عبر شرايينها بلارحمة..

تأملها بصمت .. كحورية .. كغازية تمهد طريقاً وعورته كانت أشبه بالجحيم قبلاً .. لم تجرؤ اي امرأة قبلها ان تنظر اليه ولم يجرؤ هو قبلاً حتى على التفكير بتعبيده ..!! والان .. هاهو القلب القاسي ينبض فعلاً لغرض غير دفق الدم الى باقي الجسد.. هاهو القلب ينتفض بقوة .. والحرارة تجتاحه وتسيطر عليه.. يعترف انه معها لايكاد يعرف نفسه .. معها هو أضعف.. اكثر انسانية.. غريب بالنسبة له نفسه..

تخللت أصابعه خصلاتها الخمرية بنعومة وفرشتها على صدره ..

يعشق هذه النار التي تلهبه.. ولايعرف كيف يبرر هذا الامر..

-أنت زوجتي..

همس بخشونة.. لتتألق عينيها وهو يواصل:

-بالطبع الوقت الذي أقضيه معك مهم..

تشبثتت بعينيه بيأس تبحث عن شيء اخر .. ولكن .. كان هذا أكثر مايمكن أن تحصل عليه.. كان مسيطراً وبقوة على مشاعره.. الوغد الحبيب.. فكرت بحنق ..ونهضت تشيح عنه بزفرة طويلة .. لايجب ان تيأس.. ابداً .. ولكنها تعبت ..

حاول ان يعيدها الى ذراعيه بضحكة خشنة خافتة سببت لها مغصاً معوياً حين عاود هاتفه للرنين..

-اقسم انه عمرو ..

همس بغيظ قبل ان يلتقط الهاتف ويرى رقم صديقه وصورته ذات التكشيرة المحببة ..

-السلام عليكم

هتفها بغيظ لتقابله ضحكة ماكرة من الجاكوار قبل ان يرد السلام ويلحقه بخبث:

-أأفهم انني أتصل بوقت غير مناسب؟؟

عقد قحطان حاجبيه ونظر باتجاه زوجته التي توسدت جواره عابسة وزفر بضيق وهو يمرر اصابعه في خصلات شعره عدة مرات:

-مالذي تظنه أيها الشيخ الهمام؟؟

انطلقت ضحكة عمرو مجلجلة حتى اخترقت أسماع سيادة التي نظرت له بفضول بينما احمر وجه قحطان واشتدت عقدة حاجبيه وهو يسمع رفيقه يصيح به بمرح:

-مرحباً بك ياشيخ الى نادي المتزوجين .. لقد كنت قلقاً عليك قبل فترة ولكن لابد انني اخطأت..

اغمض الرجل عينيه وهمس:

-تكلم ياعمرو..

تنحنح عمرو وقد عرف ان صديقه على وشك الانفجار رغم انه فشل في اخفاء التسلية من نبرة صوته:

-مساعدتي انهت جميع اجراءات سفرك انت والمدام الى باريس..

سأعطيها رقمك لتتصل بك في الصباح وتحدد لك الموعد لأنني مسافر الى موسكو الان ولن اكون موجوداً..

-أهذا كل شيء..

-بالنسبة للسفر نعم ولكنني اردت ان (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ولم يتركه يكمل .. كان يعرف بظُرف عمرو الجديد عليه منذ زواجه لذا اغلق الخط وهو يشعر بنبرة المكر تلون صوته وهو يفكر بطريقة للانتقام قبل ان تفاجأه رسالة نصية سريعة حالما فتحها وجد ضحكة طويلة تمتد لثلاثة أسطر .. ليعبس بشدة ويرمي بالهاتف ليلتفت لسيادة التي كانت تراقب بصمت والتسلية بادية في عينيها ..

-يبدو أن احد ماقد أخذ بثأري..

تنازل عن عبوسه فجاة لتنفرج ملامح وجهه ويهمس:

-هل اتفقتما علي؟؟

ضحكت بمرح واقتربت كالقط الذي لايعشق الا خانقه واستكانت بين ذراعيه هامسة:

-هل كان يحدثك عن السفر؟؟

ابتسم وأسند ذقنه الى شعرها يتنشق أريجها الناعم:

-ستتصل بي غداً سكرتيرته الشخصية وتبلغنا بموعد الرحلة؟؟

سهم من نارأصابها ولم تدرك كنهه الا انها سألت بحنق:

-ولماتتصل بك؟؟ لمالايقول لك هو مباشرة؟؟

هز كتفيه وقد غابت عن عينيه الغيرة المتقدة في زمردتيها:

-هي من تولت الامر ثم أنه مسافر للخارج.

زمت شفتيها بضيق وعادت تتوسد صدره هامسة:

-أريد أن ننتهي من هذه الاجراءات الطويلة .. تعبت.

اغلق عينيه بثقل هامساً:

-ستنتهي قريباً .. كلها أيام فقط كوني صبورة..

تنهدت وشعرت بذراعه تثقل عليها وأنفاسه تنتظم برتابة لتدرك أنه قد بدأ يغرق في النوم .. لتغلق عينيها وتحاول اللحاق به..

في الصباح .. حين رن الهاتف المزعج للمرة الثالثة كانت توضب ملابسه التي سيخرج بها لصلاة الجمعة قررت الرد على الرقم الغريب والذي ظل ينير الشاشة بلاكلل .. رأت باب الحمام المغلق وهزت كتفيها وهي تفكر انه لن يغضب ابداً ..

فتحت الخط وقدمت السلام لتسمع الصوت النسائي المرتبك:

-سيد قحطان؟؟؟

عقدت حاجبيها وهاجمت بلارحمة:

-من معي؟؟

ازداد الصوت ارتباكاً:

-عفواً لابد اخطأت الرقم..

-لالم تفعلي.. من تكونين؟؟

دقيقة صمت مضت قبل ان يستعيد الصوت ثباته وتسمع النبرة المتمهلة الواثقة:

-أميــرة جُبيــل.. هل الشيخ قحطان موجود؟؟

"أميرة؟؟

أميرة ..؟؟!!

فكرت بحنق وهي تنظر لشاشة الهاتف وكأنها تتوقع ان ترى المرأة عبرها بطريقة ما قبل ان تعيده قريباً من اذنها وتصرح بقوة وصلابة:

-زوجــي لايستطيع الرد الأن؟؟ أفهم أنك مساعدة السيد عمرو؟؟

سمعت الرد المقتضب بالايجاب لتبتسم سيادة بغرور وتقول:

-وأنا سيــادة العزب.. زوجته.. أخبريني بماتريدين وأنا سأحرص على ابلاغه..

سمعت الضحكة الخفيضة.. بالطبع سمعتها واخترقت اذنيها وجعلت اعصابها تغلي بالاضافة لذلك الألم الذي تقلصت به معدتها بقوة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وتسبب لها بغثيان ودوار..

-كلا عزيزتي..

همست المرأة الأخرى بنعومة وأضافت ماكرة:

-أفضل التحدث معه شخصياً..

قبضت اصابعها حول الجوال بقوة .. بالتأكيد ستترك اثراً .. وحضرت رداً لاذعاً مناسباً وعينيها تشتدان قتامة حين تدخل هو..

شعرت به حولها يده تمتد ليأخذ منها الهاتف وعيناه تحملان عتباً ظاهراً وسمعت نبرته الحيادية وهو يكلم تلك المرأة ويتفق معها على عدة مواعيد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)قبل ان يغلق الخط.. وينظر لها بتمعن .. لتعود الى الارض.. وتنحسر عنها تلك الحرارة لتكتشف ان أطرافها باردة للغاية .. وبلحظة شعرت بذراعيه تحوطانها وصوته القلق يلامس اطراف أذنها هامساً:

-هل أنت بخير..؟

اتكأت عليه بضعف وساقيها لاتحملانها وذلك الشعور المزعج يتقلب في بطنها متقافزاً كشيطان شقي.. أراحت رأسها على صدره لتتسل لها رائحة معجون الحلاقة وتنعشها برودة جسده المبلول من اثر الحمام:

-شعرت بالدوار فجأة..

همست بضعف لتلمس كفه بطنها الضامرة بعد ويهمس بقلق:

-أأنتما بخير؟؟ هل أجلب الطبيب؟؟

يالله ؟؟

فكرت بذعر.. هل ظن ان تعبها له علاقة بحملها المزعوم؟؟!!

تشبثت بكفه وهمست بضراعة:

-لالا .. أنا بخير..

رفع وجهها الشاحب اليه وتسائل بقلق:

-أأنت واثقة سيادة؟؟

تلذذت بملمس كفه الدافئة على بشرتها الباردة وهمست

بابتسامة:

-نعم لاتقلق..

وأجبرت نفسها على التراجع وهي تهمس:

-مالذي تريده منك؟؟

عرف المقصد من السؤال وادرك ان لابد الاتصال هو سبب اضطرابها

ولم يعرف العلاقة؟؟ راقبها لثوانٍ قبل ان يشيح ليلبس ثيابه استعداداً

للصلاة:

-السفر بعد اربعة أيام.. طائرة الفجر.. سنذهب الى عدن قبلها بيوم ونقضي الليلة هناك تحسباً..

اومأت بشحوب لاتعرف سبب انخطاف اللون من وجهها مرة أخرى او احساسها العارم بالخوف والذي هاجمها بلامقدمات..

-سأتصل بأبي لأبلغه قبل سفرنا.. لاأريد افساد المفاجأة على والدتي.

-ممتاز .. وأنا سأبلغ العائلة اليوم على الغداء.. جهزي الاغراض..

راقبته يرتدي ثيابه بتأنٍ..وتذكرت ذاك اليوم .. اليوم الذي عاشت معه أروع تجربة في حياتها وانتهى بأغبى شيئ فعلته في عمرها كله .. اغمضت عينيها تحاول ان تهدئ الصداع الغريب الذي عصف بها مصاحباً ذاك الدوار الاغرب .. ثم فتحتها لتراه يقترب وعلى عينيه تلك النظرة القلقة .. ابتسمت بدفئ تبددها ليرد الابتسامة لها بعطف:

-متعبة؟؟

-قليلاً ..

اجابت هامسة وهي تستجيب للمسته الخاطفة لوجنتها برجفة شملتها من رأسها لأخمص قدميها..

-استلقي اذاً لبعض الوقت..لاتجهدي نفسك ..

اومأت تهدئ قلقه الواضح وكيف لا .. وهي تحمل ابنه الاول كما يعتقد.. ازداد شحوب وجهها وتراجعت على الفراش لتستلقي كما طلب منها .. حين غادر كان لايزال قلقاً .. وقلقه ظاهر عليه .. لايعرف لما عصفت رؤيتها بذلك الضعف بمشاعره عصفاً.. ولايذكر ان شيئاً كهذا قد حدث له قبلاً .. ضيق انتشر بين ضلوعه وشغل تفكيره ..وحين سلم على والدته قبل خروجه كالمعتاد أوصاها بها .. ورأى ضحكة والدته المرحة وهي تهز كتفيها دون اكتراث هاتفة:

-لابد انها متعبة بسبب الحمل بني لاتقلق..

كل هذا بسبب الحمل؟! فكر باستنكار والغيظ ينتشر به ..لايعرف السبب ولكنه كره ماتعانيه سيادة بسبب ولده الشقي .. اووه كم سيتسلى بعقابه لمايفعله بأمه ..؟!!!

***

ازداد اضطراب السماء.. رعدت .. وأبرقت ..قبل ان يهطل ذلك السيل الكثيف ويغشى الرؤية لأميال.. ورغم الدفئ المحيط بها من كل اتجاه .. بسبب النار المضطرمة في المدفأة .. كان البرد ينخر عظامها بلارحمة.. برد انتشر ليحطم روحها من الداخل ويرسم على وجهها البريئ شقاءاً لم تعرفه قبلاً .. والان تواجهه بمفردها وتكاد تنكسر

لها .. لم يعد لها سوى بعض قوة .. قوة بالكاد حافظت عليها لتستطيع الاستمرار.. وتقبل ماقد تواجهها من مصائب بعد قادمة في الطريق.. تعرف هذا .. توقن بها .. ولاسبيل امامها للفرار.. ولاحتى الاختباء.. ابتلعت ريقاً عاصياً.. وتنهدت بحرقة وهي تحجم دموعاً هددت بالانفجار بأي لحظة وهي تشيح بوجهها عن النافذة التي أظهرت لها مشهداً أبت الذاكرة اللعينة نسيانه.. !!

واتجهت للنار تقف بالقرب منها قبل ان تسمع الصوت المرحب بمصرية دافئة محببة:

-سلمى العزيزة..

التفتت بكيانها كله للمرأة المصرية الجميلة واسرعت ترتمي بين ذراعيها وهي تهتف:

-ريهاااام .. اشتقت اليكي.

عانقتها ريهام وهي تشعر بمدى اضطراب وبؤس الفتاة الصغيرة .. ثم قادتها الى كرسيين متقابلين بالقرب من المدفأة وهمست لها:

-وأنت أكثر صديقتي العزيزة .. أخبريني عن أخبارك.. ؟! كيف حالك؟!

نظرت لها سلمى بعينين متسعتين مغروقتين بالدموع وهمست مخنوقة:

-انا بحالة سيئة.. أشعر..أا.. أشعر بأنني سأموت..

رقت نظرات ريهام وهي تمسك بكف الفتاة مشجعة وهي تهمس:

-تحلي بالايمان ياسلمى وتعوذي بالله من الشيطان الرجيم..

تعوذت سلمى بخفوت وهي تغمض عينيها بقوة لتغافلها الدموع وتنساب بحرقة على وجنتيها .. شهقت بألم لتتفجر بعدها ولاتقدر على السيطرة عليها ..

-انه .. انه يخوونني..

همست شاهقة .. تضع كفيها على فمها تحاول ايقاف سيل الشهقات المخنوقة بالبكاء.. وشفتيها تصرخان بلاتوقف:

-ذلك القذر.. الوغد يخوونـ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-اششش ..

ضمتها ريهام بقوة وتركتها تفضي مابصدرها من شتائم ودموع دون أن تقاطعها بكلمة ..

لم تكن سلمى تعرف المرأة الا منذ ايام .. ولكنها بطريقة عجيبة كانت تفتح لها مابصدرها دون مواربة او احجام.. وثقت بها منذ اللحظة الاولى .. واحساسها لايخيب..

همست لها ريهام:

-لاتبكي سلمى.. مامن رجل يستحق دموعك صديقتي سوى والدك..

ازداد انهمار دموعها وهي تشهق:

-واخوتي..

ابتسمت ريهام بتعاطف وهي تصادق على ماقالته .. ومضى بعض الوقت قبل أن تستعيد سلمى قوتها وتصبح شهقاتها الباكية مجرد نهنهات خافتة جعلت ريهام تبعدها عنها وتمسح اثارها عن وجنتيها برقة وهي تنهض قائلة:

-تعالي معي للمطبخ ياسلمى .. سنعد شاياً ثقيلاً ونتناول بعض بسكويت الزنجبيل الحار..

نهضت سلمى بتردد لتبتسم لها ريهام مشجعة:

-هكذا كنا نقضي ليالي الشتاء في منزل أمي بمصر.. ولازلت احافظ على تلك التقاليد.. تعالي.

رافقتها الفتاة بخجل وهي لاتكاد تعرف كيف استجابت لتلك الرقة المتمثلة بهذه المخلوقة اللطيفة .. واتسعت عينيها بانبهار حال دخولها الى المطبخ.. لم ترى قط مطبخاً يحمل كل هذه التفاصيل الحميمة والجميلة سوى في بيتهم هناك في البلدة .. واجتاحتها غصة وهي

تنظر للطاولة الخشبية والكراسي الموزعة حولها والمغطاة بمفارش منسوجة باليد بألوان مختلفة .. ثم مفرش الطاولة الجميل والمرقع بعدة ألوان .. كان قديماً .. مهترئاً .. ولكنه غاية في الجمال..

رأت الخزائن الخشبية وقد تلطخت بألوان ضحكت لها ريهام وهي تفسر انها بفعل شقاوة طفليها عمرو وسمر.. ثم كانت الثلاجة الضخمة والتي تعلقت عليها صور العائلة الصغيرة السعيدة في مختلف انحاء العالم ..

كان مكاناً دافئاً .. ذلك الدفئ الذي لايمت بصلة للمدفأة ولا النار المتقدة في الموقد..

كان دفئاً عائلياً .. افتقدته وقتها سلمى وبشدة ..

جلست ومضت تنظر للشاي والبسكوت بنظرات زائغة تحمل الكثير من التعاسة ..

-لاتجعلي تجربة واحدة تفقدك إيمانك بالحياة عزيزتي..

همست ريهام لتنظر لها سلمى بألم ..

-انت لازلت شابة ياسلمى .. وأمامك الكثير والكثير لتقدميه لنفسك.. لاتقعدي بعد تعثرك للمرة الاولى.. لاتقعدي ابداً .. قفي وواجهي وانطلقي..

هتفت المرأة بحماس لتهمس ريهام بألم:

-انا خائفة.. أشعر بالألم والخيانة ياريهام..

تنهدت ريهام وهمست:

-ألم تعرفي اسبابه؟؟

-وهل تهم؟؟

صاحت بائسة لتهز ريهام رأسها نافية وسلمى تواصل بقهر:

-لو علم أحد اخوتي بمافعله.. سيعيدانني لمنزل على الفور.. سيعلمانه معنى ان يخون العهد..

-اهذا ماتريدينه؟؟ ان تُعلمي أخوتك بمافعل؟؟

اتسعت عيناها بذعر وهمست:

-لا لا (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ثم نظرت لنفسها .. وقد تنازلت عن حجابها.. وخلعت عنها رداء الحشمة .. وانساقت خلف رغبات رجل قميئ لم يتردد لحظة واحدة في خيانتها..

-سيروننني هكذا.. سيقتلونني قبل ان يرفعا اصبعاً عليه.

-لاتقولي هذا حبيبتي..

-بل هذا ماسيحصل..

صاحت سلمى .. ثم همست:

-أنت لاتدركين كم خالفت من اعراف وتقاليد بخروجي هكذا.. لن يهتموا بمافعل فراس بقدر ماسيهمهم التخلص من العار الذي جلبته لهم..

اختنقت بغصة وهي تواصل:

-انا جلبت لهم العار ريهام.. لو علم احد.. لو رآني احد من اهلي بهكذا شكل سيقتلني بلاتردد.

-هل تعجبك نفسك هكذا ياسلمى؟؟

سألتها ريهام بتعاطف لتهز الفتاة رأسها نافية فشجعتها ريهام:

-اذا عودي كماكنت..

-وفرااس؟؟

تسائلت سلمى بخوف.. قبل ان تسارع بالقول:

-قبل ان اخلع حجابي كان لاينظر لي حتى.. أما الان .. فهو على الاقل يهتم..

-وهل تنتظرين اهتمامه بعد مافعل؟؟

سألتها باهتمام لتتسمر سلمى بعض الوقت قبل أن تهز كتفيها شاعرة بالضياع وعينيها تلمعان بالدموع الحبيسة .. لتحيط ريهام بكفيها حول فنجان الشاي الثقيل وتهمس:

-يجب أن تعرفي ياسلمى.. يجب أن تتخذي قرارك.. هل تبقين مع الرجل الذي خانك في اولى مراحل زواجكما .. هل تغفرين له أم تواصلين حياتك بعيدة عنه؟؟

-انه ابن عمي..

همست سلمى بشحوب.. واضافت مرتجفة:

-لايمكنني الخلاص منه ابدا..ابداً..

-هذا هرااء..

هتفت ريهام بقوة.. واضافت:

-تستطيعين الخلاص منه وقتما اردت بقوتك وحدها سلمى.. فقط ان كان هذا ماتريدينه حقاً.

-انا لاأعرف..

همست خائفة..

-فكري اذاً .. فكري ولاتتسرعي .. ابداً.

تراجعت سلمى في مقعدها وعقلها يسرح في البعيد.. يأخذها لدوامات لم تدرك لها اي قاع..هل تغفر وتسامح وتعطي له فرصة أخرى .. أم تواجه عائلتها كلها .. وتنفض عنها خنوعها واستسلامها.. هل تنفض عنها ضعفها واستسلامها؟؟ هل تقف وتطالب بحقوقها في حياة خالية من الخيانة .. وتجبر الجميع على مواجهة حقيقة ابن عمها الخائن؟؟ هل لديها القوة لتفعل كل هذا؟؟

في وقت متأخر خرجت من عند صديقتها الجديدة .. وعقلها زخم بالكثير والكثير من الافكار .. حتى بات الصداع يقتلها ..

وكعادتها في الأونة االاخيرة كانت تقود السيارة وحدها.. احدى الحسنات القليلة التي علمتها اياها ايفا.. كان المطر قد توقف الان وان ظلت السماء مظلمة بشدة .. والطرقات المزدحمة عادة فارغة بسبب الاجواء ..

قادت السيارة لعدة كيلومترات فقط شاردة في مشاكلها الخاصة حين أصدر المحرك حشرجة غريبة أخرجتها من أفكارها .. نظرت للمقود بقلق .. سرعان ماتحول الى ذعر بالغ والمحرك يصدر الصوت الغريب مجدداً قبل ان تسارع بايقاف السيارة تماماً الى الرصيف ..

وتتسمر مكانها بلاحركة.. وبعد لحظات من التردد حاولت تشغيل السيارة من جديد.. ولكنها لم تستجب..!!

زفرت مطولاً ..ولعدة مرات قبل ان تشغلها من جديد.. ليجابهها صمت .. عقدت حاجبيها بحدة وضربت المقود الهامد بباطن كفها بقوة وصاحت :

-لما لاتعمل؟؟

بالطبع كان الصمت لايزال مسيطراً .. لتصرخ من جديد وهي تضربه بقوة أكبر:

-هيا تحركي.. هياا ..

ولكن لاشيء..

تجمعت الدموع خلف مآقيها ..وزررت أطراف معطفها للعنق وأحكمت قبعتها الصوفية على رأسها وكذلك الشال حول عنقها وفتحت الباب.. ترجلت بصعوبة وموجة صقيع تهب ضاربة وجهها.. وقفت تواجه المحرك الضخم وهي حتى لاتجيد فتح غطاءه .. وصاحت بحنق:

-لما لاتعمل ايها الاحمق..

واستخدمت رجلها لتركل العجلة الامامية بقوة ألمتها قبل ان تحرك السيارة العنيدة قيد أنملة ..جزت على أسنانها بقوة وهي تحاول

السيطرة على اعصابها التي بدأت تفلت من زمامها.. وبعد أن خبطت السطح بقوة أخرجت هاتفها من حقيبتها وحاولت الاتصال برقم المنزل ..

اتصلت مراراً .. ربما عشر مرات .. وفي كل مرة كان الرنين يتواصل حتى يتبعه ذلك الرنين المتقطع المزعج الذي ينبئ بعدم رد أحد..!!

حاولت مرة أخرى وأخرى .. تكاد تبكي.. بقهر.. لاتريد الاتصال بفراس.. فهي لاتزال تقاطعه ولاتريد حتى أن تنظر بوجهه.. تلفتت حولها والقفار يسخر مواجهاً لذعرها بوقاحة .. فركت كفيها بقوة تستجدي بعض الدفئ.. ثم حاولت الاتصال من جديد ليقابلها الرنين المستفز .. حينها طفرت تلك الدمعة من عينيها .. بقهر وهي ضائعة ولاتجيد التصرف.. تذكرت ريهام وبدأت تطلب الرقم بأيدٍ مرتجفة لتسمع حفيف الاقدام خلفها..

التفتت بسرعة بعيون متسعة لتتسمر امامه..

مالذي يفعل هنا؟! كتمت أنفاسها .. وضمت يديها اليها وهي تترقب اقترابه الهادئ .. الريح تعبث بأطراف معطفه والظلام حوله يزيده هيبة وإجلال.. غار قلبها من قوة شخصيته التي هبطت عليها فجأة ..

وبدا له أنه كالظلام .. حين يطبق على كل ماحولها.. يحوطها بسحره وقوته..

توقف ينظر لها بذهول لايصدق ماتبدو عليه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) شعرها الغجري يلتف حولها بتموجات ساحرة يلامس حرير وجهها بفعل الريح التي بدت وكأنها تحوطهما بخصوصية وتفصلهما عن العالم كله نسي كل ماكان يريد ان يفعله وكل ماكان ينتوي قوله لقد تبها منذ غادرت منزل ذلك السياسي المصري .. انتظرها هناك مطولاً وكاد ييأس من طول الانتظار ولكن تجددت اماله باللقاء حال نزولها وانطلاقها بلسيارة ثم كان التوقف المفاجئ.. لم يحتمل رؤيتها ضائعة كما بدت .. لم يتخيل ولم يجرؤ ابداً على تجاهل مابدت عليه من ضعف ووحدة ولهذا قرر الكشف عن نفسه والاقتراب وان قرر التزام الحذر وعدم الاندفاع اللامسؤول وخصوصاً بعد نجاح خطته الاولى ورؤيتها لزوجها بالطريقة التي أراد !!..

جالت عيناه بقوامها الرشيق والذي لفه معطف جلدي أنيق يصل لركبتيها ويظهر من تحته بنطلون من الجينزالضيق تغطيه حذاء برقية طويلة وكعب عالٍ أضاف لطولها المميز هيبة واجلال .. لم يقدر

ألا يقترب.. وقف يتأملها وقد جاورت عيناه عينيها اللامعتين بحذر وهي تهمس متسائلة:

-أنت؟؟!!

-مرحباً بك مدام..

همس بثقل لتخرج حروفه مثقله بالبخار البارد ليرسل الى أطرفها قشعريرة تجمعت لتمطر مشاعر جياشة اغرقتها لتقف حائرة لاتقدر على الرد .. كيف تقف قبالته عاجزة حتى عن الرد او التحرك أو حتى الهرب بعيداً يأسرها ويقيدها تصبح في حضوره عاجزة عن اتخاذ قرار او حتى تفسير مايجري لها ..

-مالذي تريده مني؟؟ لما تلحق بي؟؟

همست بشحوب لتختلج عضلة في فكه ويهمس:

-انا احاول الاعتناء بكي.

لم يحاول ان ينكر او يبعد عنه الاتهام الصارخ في عينيها بالطبع لم يفعل فهو لايبحث عن أعذار ليس هو من يفعل ليس هو بهذا الضعف وقلة الحيلة هو أكبر من هذا هو أقسى من هذا .. لايزال يستغرب طيلة البال التي يعاملها بها بينما في العادة يكون أكثر اندفاعاً .. أكثر شراسة أعنف توجهاً وأكثر تصميماً ..

لايزال يعاملها بلين .. بتؤدة وصبر.. شيئ ليس من صفاته ابدا!!

-لم أطلب حمايتك ياهذا..

همست بشحوب ليعقد حاجبيه ويتقدم خطوة نحوها .. كانت كافية لتثير كل شكوكها وتشعل فيها كل ماكانت تكبته من احساس عارم بالخوف والتوجس من.. تراجعت بخشية وعينيها تتسعان برعب بينما كان يهمس:

-ليس من الداعي ان تطلبي يكفي ما اراه بعيني..

-ليس من شأنك.

هتفت بخوف وهي ترى الكيان الاسود والذي تعاظم أمامها ويكاد يختزن الكون كله من حولها فيه فقط .. ملأ عينيها وتعلقت بعينيه اللتين استحكمتاها بلافكاك منه ابداً ..

-ليس من شأن من؟؟

هتف بثورة وان جائت مهزوزة النبرات .. متلعثمة الحروف ومضطربة المشاعر .. ولكنها وقعت عليها بقوة ارادها وتعمدها ..

-انت بحاجة لمن يعتني بكي.

شعت عينيها بالغضب لما قال ولما شعرت به من اختلاجة في نبضات قلبها استجابة له وكأنها ستستجدي منه تلك العناية التي يلوح بها

والتي كانت بأمس الحاجة لها ولن تنكر .. ولن تطلبها منه ابداً ولو عنى ذلك موتها .. فهي ورغم كل الذي تمر به فهي لاتزال ابنة شيخ العزب ..

شمخت برأسها ورمقته من رأسه الى أخمص قدميه .. بطريقة مهينة لم تجد لها منه رداً سوى اختلاجة في عضلات فكه وعقدة لحاجبيه أرسلت قشعريرة على طول عامودها الفقري .. جعلتها تعقد ذراعيها حولها وتتراجع بخشية .. وفهم خوفها منه.. وادرك انه يجب ان يخفف من اندفاعه .. لذا أخذ نفساً عميقاً.. وخفض عينيه وهمس:

-دعيني القي نظرة على السيارة..

فقط حينها تذكرت مصيبتها .. وأشاحت عنه تنظر للجسد الحديدي الهامد خلفها .. عاودت نظرها اليه وهمست:

-هل ستصلحها؟؟

تجاهل السؤال واقترب من المحرك ليرفع غطاءه .. راقبته من بعيد ..يدفن رأسه تحت الغطاء .. تضم كفيها اليها بقوة .. تحاول ان تخفف من قفزات قلبها المضطرب.. ثم راته يعتدل ويقف ينظر لها قبل ان يقترب منها بتؤدة .. ظهر الخوف رغما عنها على وجهها ..

-لاتقلقي المشكلة البسيطة .. سأصلحها لك.

ابتلعت ريقها وراقبته وهو ينزع معطفه .. قبل ان يناولها اياه قائلاً بصرامة:

-أمسكيه ..

التقطت المعطف الذي رماه نحوها بحركة خاطفة وهي تحدق به غير مصدقة وقد شمر عن ذراعيه وعاد لينهمك في المحرك المكشوف امامه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وتسمرت رغماً عنها وهي تضم ذراعيها اليها بقوة تقي نفسها الاحساس القارص بالبرودة .. حين شعرت بتلك الرجفة الغريبة تعاودها من جديد ودفئ خجول يتسرب الى مساماتها ليحيطها بحنان .. دفئ له رائحة الليل .. وأشجار الصنوبر .. وعبق مثير لم تشتمه من قبل .. أخذت نفساً عميقاً واغلقت عينيها .. يالله كم تذكرها الرائحة بليال الصيف الدافئة .. واشتعال الحطب في المدافئ العتيقة .. كانت رائحة اشتعال النار .. وانطفائها !!!

كانت رائحته هو .. رائحته التي تسللت لها عبر قماش معطفه ..!!

فتحت عينيها بسرعة دون ان تعي السبب لتجد عيناه .. قريبة .. قريبة حتى الجنون..

شهقت بقوة متراجعة ليحد من تراجعها وخوفها برفع كفيه قائلاً :

-انتهينا .. سيارتك جاهزة الان..

حاولت المستحيل لنقل عينيها من عينيه وحكمهما المستبد ولم تفلح..

-بهذه البساطة؟؟

سألت متحشرجة ليبتسم .. ويهوي قلبها بين قدميها وهو يقول

بابتسامته الدافئة البطيئة ..

-بهذه البساطـــة فعلاً..

ابتلعت ريقها وتراجعت بصعوبة عن مجال مغناطيسيته المدمرة ..

ليمد ذراعه بسرعة معترضاً فتجفل ويسرع هامساً بإيضاح:

-لا أريد سوى معطفي..

شهقت بقوة وهي تكاد ترمي المعطف اليه وصاحت بارتباك:

-أنا أسفة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) حقاً اسفة..

ضحك ببشاشة وهتف:

-لاتقلقي .. لاداعي لكل هذاِ الارتباك .. والان شغليِ السيارة.

أسرعت الى سيارتها وكأنه أفلتها بتعويذة ما .. وجلست خلف

مقودها تدير المفتاح ليثلج قلبها صوت المحرك الهادئ.. نظرت له

بارتياح وهمست من كل قلبها:

-شكراً لك..

اتسعت ابتسامته المذوبة واقترب هازاً رأسه:

-لاداعي لأن تشكريني..

نظرت له بحيرة .. اقترابه يعيد الاضطراب لها ولكنها لاتعرف سوى الامتنان له لمافعله معها الان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-مالخطأ فيه؟؟

تسائلت بفضول هدفه الخروج من احراجها.. ليبتسم ويهز كتفيه:

-لاشيء مهم .. ثقي أنه لن يتكرر .. فقط احرصي على الحصول على رقم السائق للحالات الطارئة او على الاقل على رقم خدمة سيارات الاجرة ..

اومأت بحركة سريعة قبل ان يميل على النافذة ويهمس ببطئ:

-أو بإمكانك الحصول على رقم هاتفي انا .. وسأكون تحت خدمتك.

اتسعت عينيها بذعر وتشبثت بالمقود بكلتا يديها وحركت رأسها بعنف ترفض اقتراحه الغريب ليبتسم بحنق رغماً عنه ويتراجع عن النافذة فتسارع باغلاقها قبل ان يراقب ساكناً من بعيد كيف سارعت بالابتعاد..

قست عيناه وقتها .. قست بطريقة مرعبة وهو يفكر بكل طريقة ممكنة ليجلبها الى دائرته .. أكثر وأكثر لتغرق ويستمتع هو بغرقها..

***

-توقفي..

تسمرت مكانها ضغطت بيديها بقوة على الصينية بيديها والتي حملت بقايا فطور تقريباً لم يمسه .. شعرت بالبرودة تجتاحها .. برودة ثلجت أطرافها وأرسلت ارتجافتها الى موطن نبضها .. توقفت وعينيها مغلقة لاتريد ان تلتقي عيناه .. صوته الشاحب اخترقها في مقتل حطم قلبها قبل ايام بقسوته وقلة مراعاته والان ينزل عليها كسكين بارد يُكمل مابدأه ؟؟!!

منذ تلك الليلة تغيرت الحياة بينهما للنقيض .. منذ انفجاره والقاءه اللوم عليها فيما تقاسماه من هوى وهي تعيش في كابوس .. بالكاد تقدر على حضور محاضراتها .. مشاركة زميلاتها الطاولة بانتظار انتهاءه من دوامه ثم مشاركته رحلة السيارة المريرة .. والتي لولا وجود هبة معها لكانت تحولت الى كارثة فعلية..

وفي البيت يعود الجليد مسيطراً .. لاتكاد تكلمه .. تعد له طعامه ..

وملابسه ولاتكاد تتبادل معه حتى السلام ..!!

لقد جرحها بعمق ,, جرحها بطريقة لايمكن أن تفهمها سوى أنثى ..

وبطريقة واحدة لاغير.. انه لايريدها ولم يفعل قط من قبل..

-غــزل ..

عاد الصوت يداعب أذنيها .. وهي تجاهد ألا تتذكر مامدى جمال

حروف اسمها من بين شفتيه وأنفاسه تداعب بشرتها الناعمة في

غمرة العاطفة المجنونة التي أخذتهما على حين غرة..

-غززززل ..

عاد يكرر بعصبية لتلتفت له صائحة:

-مالذي تريده الان؟!

بهت لعصبيتها وهو يغرق في ملامح وجهها الحبيب الذي غاب عنه

رغم تواجدها معه في كل وقت .. غاب في نظرة عينيها المشتعلة

والعروق النافرة في عنقها دليل غضبها العارم منه .. يعرف مااجرمه في

حقها ولكنها لن تفهم.. يقسم باللّه ان لاأحد سيفهم ابداً..

خفض عينيه هرباً من نظراتها اللائمة دون شك.. زفر بتوتر وهتف:

-سأتأخر اليوم في الكلية .. ربما الى العصر او بعده لدي مناقشة مشروع مهمة ولابد لي من حضورها..

رفعت رأسها وأشاحت عنه مكملة طريقها للمطبخ ..

لاحظ اابتععادها .. فاشتعل غضبه هو الاخر وسارع باللحاق بها هاتفاً بحنق:

-غزل أنا أكلمك ..

-والمطلوب؟؟

قلتها بنفاذ صبر وهي تضع مابيدها على الطاولة وتستدير لتنظر اليه عاقدة ذراعيها حولها ليزفر بتوتر مجدداً:

-لو لم تكن لديك محاضرات مهمة فلاتذهبي .. لا أريد أن تبقي لوقت طويل بلا فائدة..

عقدت حاجبيها وصاحت معترضة:

-لدي الكثير من الاشياء المهمة رعاد.. كما دراستك ومشاريعك تهمك فهي تهمني كذلك..

-أنا لم أقل شيئاً ..

استمرت كما وأنها لم تسمع:

-سأذهب معك وبعدها سندبر انا وهبة طريقة للعودة..

عقد حاجبيه بعصبية وصرخ:

-اذا كنت ستذهبين فتحملي الانتظار لحين انتهائي..

رفعت حاجبها بعناد وصرحت:

-سنرى حينها.. والان أفسح لي الطريق سأرتدي عبائتي..

نظر لها لفترة ورآها تبادله النظرات بقوة ليزفر ويتنحى عن الطريق فتسرع لارتداء عبائتها ونقابها وهي تلعن غباءها .. فليس لديها سوى محاضرة واحدة وغير مهمة وهذا يعني بقاءها طوال الوقت بلافائدة .. لعنت غباءها وعنادها مرتين .. وفكرت بالخروج والقول له ان هبة اتصلت تبلغها ب إلغاء المحاضرة او شيئ من هذا القبيل لتعود وتتراجع وهي تصر على الذهاب ..

كان الطريق قصيراً..وشاركت هبة المقعد الخلفي بحجة مراجعة بعض الدروس (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كانت قد أخبرت هبة انها تواجه صعوبات مع زوجها ومع انها لم تشرح لها الامر بوضوح الا ان صديقتها تقبلت الامر ولم تسرف بالأسئلة رغم فضولها ..

بعد انتصاف الظهيرة .. كانت تجلس تتحمل التقريع بصبر من هبة التي صاحت بصوت منخفض:

-والأن أخبريني بالضبط سبب انتظارنا لثلاث ساعات والله أعلم كم سننتظر بعد؟؟

زمت شفتيها بعناد وهمست:

-لابأس بالانتظار ياهبة .. واذا كنت منزعجة بامكانك أخذ سيارة اجرة..

-بمفردي؟؟!!

صاحت الفتاة حانقة .. لتزفر غزل وتهمس بعصبية:

-مالذي كنت تنتظرينه مني ؟؟ أن أوافق على أوامره بكل خنوع؟؟

نظرت لها هبة باندهاش قبل أن تسأل بقلق حقيقي:

-غزل .. مالأمر السيئ الذي فعله رعاد لتهاجميه بكل هذا الحقد؟؟

رمقتها غزل بقهر .. وداخلها يصرخ "أوقعني بحبه.. أوقعني بحبه ونبذني بلارحمة"

ولكنها لم تتفوه بكلمة بل هزت كتفيها وهمست :

-لاشيئ مهم..

-متأكدة؟؟

-نعم وأرجوكي لاتفتحي هذا الموضوع مجدداً..

همست مغلقة الامر في وجه رفيقتها التي تراجعت محترمة خصوصيتها مع زوجها رغم ان احتقان وجه غزل لم يفتها وكذلك لمعان الدموع خلف مآقيها ..

-مساءالخير..

التفتتا معاً للظل الطويل الذي سقط عليهما وتعرفته غزل وهبة على الفور .. خالد الراجي.. رأت غزل صديقتها تبتسم ببشاشة وتهتف مرحبة:

-مرحباً بك أستاذ خالد .. مساء الخير..

بينما همست غزل التحية على استحياء وهي تهرب من عيني الرجل الذي يدرسهما احدى مواد دراستهما والذي اقترب بمرح:

-أتسمحان لي بالجلوس ؟؟ فكما ترون جميع الطاولات مشغولة..

رفعت غزل عينيها مصعوقة برفض في حين أشارت هبة للكرسي جوارها بسعادة :

-بالطبع استاذ تفضل..

نظر الاستاذ لغزل التي احتقنت عينيها بالرفض وقال بتوتر:

-ربما لاتفضل صديقتك مشاركتي الطاولة انسة هبة؟؟

نظرت هبة لغزل وصاحت بحنق وهي تركلها بقدمها بصمت:

-لا لا بالتأكيد استاذ تفضل بالجلوس..

خفضت غزل عينيها وهي تكتم تأوهها بقوة من الركلة .. وشعرت بالاستاذ يجلس لتتراجع في مقعدها تضم يديها اليها بقوة .. في حين تولت هبة الحديث بانسيابية وانطلاقة كعادتها فيما كانت ردوده مقتضبة وشعرت به غزل .. شعرت بنظراته المنصبة عليها بطريقة أحرقتها .. وازداد االامر سوءاً حين مالى على الطاولة باتجاهها وسأل:

-مارأيك غزل ؟؟ كيف رأيتي الاختبار الماضي؟؟

رفعت عينيها مندهشة لتقع في عينيه اللتين تأملاتها بجرأة قبل ان تخفض وجهها بسرعة وتقول بتلعثم :

-لابأس به..

رفع حاجبيه وتراجع بإحباط لصدها الواضح .. كان باستطاعته رؤية عينيها من خلال فتحة النقاب الضيقة .. لم يكن يقدر على استنباط شكلها او ملامح وجهها .. ولكن ..

تنهد .. روح بهذه الشفافية التي هبت عليهم ذات يوم.. كان يلقي محاضرته بشكل عادي .. في يوم ممل كما قرر منذ الصباح .. في منزل ضخم فارغ .. وحتى وصوله الى الكلية بطريق طويل هامد .. كان يعرف هذه الايام ومدى ماتشكله من احباط ..

ولكنها غيرت كل شيئ..

حالما استأذنت للدخول .. وقدمت اعتذاراً رقيقاً لتأخرها .. وهفهفت الى المدرج تجالس رفيقتها المشتعلة نشاطاَ.. والتي تختلف عنها وتذكره بشقيقته المجنونة ترنيم ..

يومها لم يستطع ان يوقف خفقات قلبه المجنونة والتي تسارعت بقوة .. ودون انتظام مرحبة بتلك الروح التي غزت عالمه بسهولة وسلاسة ..

من يومها وهو مشغول البال بها لايكاد يمر عليه يوم دون أن يراها .. كان يحضر خصيصاً الى الكلية في أوقات فراغه فقط لينظر اليها ويسترق بضعة نظرات لها من بعيد دون أن يلحظ احد..

حاول قدر الامكان الاقتراب منها أو فتح حديث دون فائدة .. ولكن الان هاقد أتته الفرصة على طبق من ذهب..

-أنسة غزل.. ان علاماتك هذا الفصل ممتازة .. وبمستوى كهذا اتنبأ لكي أن تكوني من الاوائل على دفعتك.

قالها ببشاشة محاولاً كسر الجليد لتصده بشكر بالكاد غادر شفتيها ولكنه لم ييأس بل سأل باهتمام:

-مالذي تنوين فعله بعد التخرج ..؟؟\

ثم ضحك وقال:

-أدرك انه سؤال مبكر ولكنني فضولي..

رفعت عينيها متعجبة سر اهتمامه لتلقاه في عينيه .. واتسعت عينيها بدهشة للألق الذي شع منهما حال التقاءها بعينيها .. وهمست باضطراب:

-لاشيء مهم ..

-ألاتنوين العمل؟؟

سألها باهتمام لتسارع هبة بالاجابة بحنق:

-غزل لاتحتاج للعمل .. ولاأظن رعـاد يسمح لها.. اصلاً ..

عقد الاستاذ حاجبيه في حين وكأنما يأتي على ذكره وتذكرت المثل القائل .. أذكـــر الذئب.. ولم يكاي ذئب .. كان رعاد العزب .. انشقت الارض فجأة .. ورأته يحوم حول رأسها .. ظله انسكب على الطاولة ..وزئيره المخنوق بالغضب لفحها بقسوة وهو يصيح بصوت مكتوم:

-مالذي يحدث هنا؟؟

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قبل دقائق فقط .. كان يقتله القلق عليها .. نظر الى ساعته فوجدها قد تجاوزت الواحدة والنصف ظهراً .. انها تنتظر منذ العاشرة تقريباً ..

تنهد ونهض عن اصدقاءه وللم اوراقه المبعثرة معتذراً لهم باقتضاب وسارع اليها .. كانا قد اتفقا على ان تنتظره في المقهى الكبير.. حيث ان المقهى الخاص بالبنات يغلق بعد صلاة الظهر مباشرة فيما يظل الاخر المختلط طوال اليوم الدراسي الى ساعات العصر .. حالما دخل الى المكان رفع نظراته باحثاً عنها .. حينها رآها .. تجلس مقابلة لذاك الرجل .. تسمرت مكانها مذعورة .. ورفعت عينيها اليه بخوف حقيقي وهالها مارأت .. كل ذلك الغضب .. كل تلك النار التي استعرت في عينيه .. في احمرار وجهه المحتقن .. في قبضتيه اللتين تكورتا بعنف.. تعرف عصبيته وجنونه .. تعرف شدة غضبه ومايمكن ان يؤول اليه ..

نهضت مسرعة وهتفت :

-لاشيئ رعاد .. انه استاذنا وكنا نناقشه في المادة ..

نظر لها بعاصفة من الغضب اغشت بصره وتركتها في عينيه باللون الاحمر وهو ينفث ناراً مشتعلة:

-هناا!؟ في هذا الوقت؟؟

لم تجد بداً من الاقتراب منه .. أحاطت قبضته بأصابعها وهمست تهدئه:

-اننا في مقهى الكلية رعاااد .. لاتنسى هذا.. وقد انتهينا .. لنعد الى المنزل الان..

لمعت عيناه بالغضب أكثر ونقل بصره بين الاستاذ المذهول والفتاة التي همست تستجديه :

-رعاد لنذهب الان..

أعاد بصره اليها وشعرت وقتها بقبضته القوية تكاد تحطم اصابعها الرقيقة فتجلدت دون أن تبدي اي اعتراض .. رأته ينفث الغضب من أنفه كالمجنون .. كتنين غاضب بالنار يحترق .. خفق قلبها بقوة وعادت لها مشاعره النارية التي تحرقها باستمرار فهمست برجاء:

-رعاااد..

انتفض قلبها بقوة .. وقفزت اصابعه كمن احترقت بالنار من قبضتها واستفاق عقله من دوامته العاصفة وتراجع هامساً بشحوب :

-لنذهب..

وكأنما فيض من ماء مثلج هبط عليها لتتنهد بارتياح وتشير لهبة أن تتبعها وهي تتجاهل استاذها بقصد.. في حين انتظر رعاد ان تتقدمه هي وصديقتها قبل ان يلتفت للاستاذ الغافل عن أسباب كل هذا التوتر وهمس له بعينين صاعقتين بالغضب:

-لاتقترب منها أبداً .. \اتفهم.. ؟؟

ثم سارع بالخروج متجاهلاً الرجل الذي نهض باستعداد للقتال وهو يرى في عيني مواجهه الشراسة والغضب كما لم يرى في حياته .. غضب رجل يغار .. يغار حتى النخاع..

رحلة العودة لم تستغرق الكثير.. بل سرعان ماوجدت نفسها تجلس الى جواره وحدهما بعد إيصال هبة بنفس السرعة وجدتهما وحدهما في الشقة ..!!

استعدت للكثير من الصراخ .. استعدت حتى لشيئ أكبر.. كان قلبها يخفق وبقوة .. احساسان يتخبطان بداخلها .. احساس بالخوف ورغبة بتسكين الثور الهائج والتي لفحتها أنفاسه المتقدة والثورة المكبوتة بقدرة قادر بداخله .. واحساس عارم بالقهر.. بالأسف .. لأنه ولو للحظة فكر بأنها قد (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

-غــزل..

جائها صوته يخرجها من أفكارها المتسارعة لتلتفت له .. تواجهه بقلب نابض بجنون .. لتجد ثورة عينيه تشتعل .. أنفاسه ثائرة تهز صدره .. صعوداً وهبوطاً .. كتنيــن ينفث النار وقفت كصغيرة تتلقى

عقابها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ونسيت كل شيء عن ثورتها وحنقها وقهرها .. نسيت الاسف .. ولم تتذكر سوى خوفها وارتعابها االازلي منه..

تتجدد بلحظة ذكرياتها السوداء .. خوفها من العملاق الاسود .. الذي كلما ارتكبت خطئاً ما في طفولتها كانت تجده امامها شاهداً على حماقتها ..

تراجعت مذعورة .. تتذكر يوم سمعت كلام سلمى المجنونة وتسلقت الجذع القديم .. كانت لاتزال في الخامسة من عمرها .. يومها سقطت بقوة .. ومزقت ثوبها وتعرضت ساقها لجرح كبير.. يومها هو من رآها.. تذكرت انه ركض اليها .. كان ثائراً وعصبياً اتهمها بالحماقة .. وحتى أنه صفعها على راسها معنفاً ..

"حمقاء ومجنونة .. كدت تقتلين نفسك؟؟"

صرخ بأنفاس ثائرة لصبي لم يتعدى الثانية عشرة من عمره .. رأته من خلف ضباب دموعها ينهرها بقسوة .. ولم يدفعه عنها سوى محمد .. ابن العاشرة الذي هب اليها مدافعاً .. لم تفهم مايقال وقتها .. كانت عينيها متعلقتين بهستيريا الصبي الشرس الذي نزع كشيدته بغضب وربط بها ساقها قبل أن يأمر محمد بغلظة أن يعيدها للمنزل..

وهناك .. تحمل هو كل اللوم والتقريع من جديه ووالديها .. حتى قحطان لم يرحمه .. واتهموه دون ان تدرك السبب .. ابداً حتى هذه اللحظة ..

لاتتذكر سوى نظرة محمد المذنبة .. واحساسها الخائف .. وصمت هذا الثائر..

-لاتضربني..

همست بألم .. لتتسع عيناه وتزداد الثورة في عينيه وهو يهدر بعنف:

-ومنذ متى أضربك ياغزل؟؟

شهقت بتوتر وتراجعت جزعة ليشتم بعصبية وهو يقبض اصابعه حول مسند مقعد خشبي ثقيل في الردهة وهو يصيح بقوة أكبر:

-متى فعلت هذا؟؟

هزت رأسها غير قادرة على الرد ونظرتها تزداد رعباً ولايزال يرهبها بطوله المخيف وجسده الضخم ليستغفر بصوت عالٍ ويدفع بالكرسي ليسقط على الارض وهو يتقدم نحوها حاشراً جسدها الضئيل بينه وبين الجدار ليهمس لها يائساً:

-أتخافينني لهذه الدرجة؟؟

شهقت باكية وهي تشيح بوجهها عنه فتتسع عيناه ويهمس لها :

-غزل انظري الي..

اغمضت عينيها بقوة وأصرت على إشاحتها بعيداً .. ليهبط قلبه بين قدميه ؟؟ مالذي فعله بها ؟؟ لماذا تخافه الى هذه الدرجة .. أم أنها تكرهه؟؟!! لم يعد يفهم.. لم يعد يفهم حقاً؟؟

من منهما المخطئ؟؟ من ارتكب الذنب بحق من؟؟ حاولت هي ان تتجاهل ذلك الخوف منه .. حاولت ان تنسى هذا الخوف وخصوصاً بعد ماحدث بينهما اخر مرة .. ولكن.. ردة فعله وقتها لم تعزز الخوف فقط .. بل حملته بمشاعر كثيرة أخرى .. مشاعر مليئة بالخذلان لم تعرفها من قبل سوى منه ؟؟

تراجع يمسد رأسه بكلتا كفيه بقوة .. يريد لهذا الصداع المدمر أن يخف.. يريد لكل هذا التشوش الذي يستحكمه أن يخف يريد ذهناً صافياً لمرة واحدة ..

تراجع ليجلس على احد المقاعد وهو يهمس:

-انا أسف..

فتحت عينيها غير مصدقة تناظره بذهول .. رأسه المنكس وكفيه اللتان أخفتا ملامحه .. كله مخفٍ عنها .. رأت اهتزاز كفيه وظنت

للحظة انها لم تسمعه بشكل جيد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-أنا أسف ياغزل .. أنا حقاً أسف.

شعرت بانحدار طرحة رأسها لتسقط على كتفيها وهي تناظره متسعة العينين .. أيعقل لشيخ العزب أن يعتذر.. !! لم تصدق ابداً .. تأملته بذهول .. تراه في قمة ضعفه كما لم تره ابداً من قبل ..!!

-رعاد؟؟!!

همست بصوت خافت ليرفع لها وجهه .. عيناه محتقنتان .. وجهه يكاد ينفجر ..

-انا السبب..

همس بشحوب.. وعيناه ترتجفان بدموع حبيسة ..

-أنا تسببت بكل هذا الاضطراب ..

.. أنا آذيتك .. منذ البداية كان علي رفض هذا الزواج .. كان علي أن أكون أقوى واواجه الجميع .. أقف أمام جدي وقحطان .. كان يجب.. وتحجرت باقي الكلمات في حلقه وهو يتذكر كلمات قحطان يومها .. إما هو .. أو علي.. أو أي رجل أخر ..!! انتشر الغضب العاصف في أعماقه وهو يتخيلها مع رجل سواه..

رجل لن يمهلها كما فعل.. رجل لن يحبها كمايفعل.. ثارت المشاعر في اعماقه .. ثارت بقوة حتى كادت تطفح على وجهه وهو يهمس بقهر:

-لم أكن أستطيع تركك لرجل سواي..

خرج اعترافه كسيل من ماء بارد هاجمها بقوة .. موجة مفاجأة حاصرتها حتى أغرقتها .. تركتها تناظره ببلاهة ولسان حالها يتسائل:

-لماذا؟؟..

رفع عينيه وقد نسي ماكان منه من غضب ولم يعد يرى سوى امرأة عشقها حد الجنون .. وعشقها كان مصابه الوحيد .. ألمه ووجعه الازلي.. حرقة القلب .. لوعة الفكر.. هاجسه الذي احتل عقله ولم يعد له سواه..

-لماذا؟؟!!

.. أتتسائلين لماذا؟؟

همس بشحوب لتثور هي .. من سلبيته التي قتلتها .. من احساسها ان تكون المبادرة دوماً ..:

-نعم رعاد .. لماذا إن كنت تكرهني لهذه الدرجة .. لماذا وافقت أن تتزوجني ان كنت لاتطيقني..

واقتربت هاتفة بسخط وقلب ممزق:

-أنا لم يكن لدي الخيار بقبولي بك .. كنت الخيار الوحيد أمامي يارعاد ولم أملك حتى حق الرفض.. ولكن انت..

اضافت ساخطة وهي تدفعه من كتفه بقوة والدموع تجري على وجنتيها بسخاء:

-أنت كان لديك الخيار كما يبدو.. انت كنت مخيراً .. فلم اخترتني .. ؟؟؟

-أصمتي..

همس بشحوب ليزداد غضبها وتخبط قدمها بالارض بقوة وهي تصرخ بانفعال:

-لما اخترت ان تربط نفسك بي لما لم تدعني لأحد سواك ..

هب حينها من مكانه .. تراجعت شاهقة ولكنها لم تهرب من جنونه.. من قوته الساحقة حين احتواها بين ذراعيه ودفع بها الى الجدار خلفها .. لم تهرب حين أخرس سيل كلماتها الغاضبة بكفه وعينيه تلمعان بشرر .. محمرتان .. كجمرتين مشتعلتين بالغضب..

مشتعلتين بالحب الذي لم يعد يأبه لاخفاءه وهو يغرق في عينيها هامساً بوحشية:

-أترككِ لسواي؟؟؟

تسائل بفحيح غاضب.. وحين ارادت الرد كان يضغط بكفه على فمها بقوة مقيداً حروفها .. مستغنياً عنها لسيل الكلمات المتدفق محملاً بالدموع من عينيها وهو يهزها بغضب صارخاً:

-أتركك لسواي .. وأموت مجدداً ..

اتسعت عينيها بذهول وتوقف تدفق دموعها وهو يشيط غضباً وأنفاسه المشتعلة تلفحها بحرارة تحرق فؤادها:

-أحترق مجدداً في اليوم ألف مرة .. وأنا أتركك لأخر للمرة الثانية .. .. أموت .. وأنا حيٌ أرزق(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تسمرت عينيها لاعترافه الصريح تصلبت بين يديه وهو يزيد في احتضانها مقترباً حتى كاد يزرعها بين ضلوعه وهو يهمس بحشرجة مست شغاف قلبها وبعثرت مشاعرها بلارحمة:

-أكان هذا ماتريدينه ياغزل؟؟ أن أتركك لأخــر؟؟!!

همست باسمه بعد ارتخاء كفه عن فمها .. همست وقلبها يخفق بجنون.. بأمل لعينيه اللتان لمعتا بقوة .. وهو يميل إليها .. يحتوي أنفاسها بشفتيه .. يميل ليحتوي ارتجافة شفتيها بفمه .. ببطئ.. بتردد..

وتشتد ذراعاه حولها .. بقوة هذه المرة .. قوة حانية ..قربتها من دقات قلبه الضاربة بعنف .. من ارتجافة جسده الضخم .. كانت قبلة انتظرتها بيأس.. استسلمت لمشاعرها دون أن تفكر بأحد سواه .. هو فقط من تريد .. من أرادت منذ زمن .. هو فقط من كانت تنتظره .. شعر بها تذوب .. تستسلم وذراعيها تلتفان حول عنقه وكأنما خلقت لهذا الغرض فقط .. مكانهما الطبيعي .. جزء منه .. كانت جزء منه طال انشقاقه عنه وهاقد عاد أخيراً..!!

كان يحبها .. بكل مافي قلبه من مشاعر.. كان يعشقها .. ولم يكن ليخفي عنها هذا الامر بعد الان ..

همس بحبه .. بين القبلة والأخرى همس أنه يحبها ..

وارتجفت لاعترافه .. لنظرة عينيه اللاهفة وهو يقولها .. لارتجاف شفتيه .. وحتى نبضات قلبه الراقصة جوار قلبها .. لم يكن يعترف بالكلمات .. لم تكن مجرد حروف تغادره ..

كان جزءاً منه .. جزء من نبض قلبه .. من دفقات دمه .. كان يعطيها جزءاً من روحه مع اعترافه .. أحاط عنقها بكفيه .. ورفع وجهها اليه ينظر في سواد عينيها هامساً من أعماق قلبه:

-أحبـك ياغزل .. لطالما أحببتك .. وسأحبك الى الأبد ..

اختنقت حروفه وهو يعترف لها بيأس رجل لم يعد يأبه لشيئ.. لم يعد يطيق تأخير ماتدفق من عينيه ونبضاته بلاحساب .. كان حبه يخنقه .. يقتله وكان عليه اما أن يتخلص منه أو يطلقه كي يتنفس.. نظرت له بذهول .. تشعر بروحها تكاد تطير من فرط فرحها .. من فرط سعادتها ..

-رعاااد ..اانا..اا..

تبعثرت كلماتها .. ولم يترك لها الفرصة .. لم يدعها تكمل ماكانت تريد أن تقول.. لم يكن يستطيع تحمل فكرة أنها قد تلومه .. أو تسخر من مشاعره .. هاقد اعترف لها .. اعترف ومرغ بكرامته وعلو شأنه في التراب.. تنازل أمامها .. انحنى .. تخلى عن كبرياءه العنيد واستسلم أمام أُنثــاه القاهرة ..

استسلم لحبه .. وانحنى يكتم شكواها بقبلاته ..

وامتَزَجنا

كانَ صوتُ الحبِّ أقوَى

مِنْ عِنادِكْ

كانَ أقوَى مِن قَرارِكْ

ذَوَّبتْني النَّارُ في عينيكِ حتى

لَمْ يَعُدْ مِنِّي أثَرْ

وتَطَهَّرتُ بمائكْ

واحتَواني صَدرُكِ المَملوءُ دِفئًا

وتَرَشَّفتُ حَنانَكْ

وامتَثَلتُ.. لِقضائي

عندَما أدرَكتُ أنِّي

أينَما وَلَّيتُ وَجهي

سوفَ ألقاني أمامَكْ

عبدالعزيز جويدة..

في الصباح ..

راقبها من بعيد .. بصمت لايشي بكل مايجيش في صدره من مشاعر.. بعد كل ماحدث بينهما البارحة وماقد يحدث مجدداً .. يشعر بنفسه وكأنه يقف على حافة خطرة .. يخشى التقدم .. ولايملك السبيل للعودة للوراء!! ..

تنهد وابتسم بحنان .. كانت كعادتها تعشق الطيور.. تقف الى نافذة المطبخ الخلفية .. وتضع على حافتها بضع بذور لتلتقطها العصافير المبكرة ..

كان عائداً من صلاة الفجر حين سمع خشختها .. وقادته قدماه ليتأملها بسكون .. يتمايل شعرها الناعم على رؤوس كتفيها .. ويسمع صفيرها الناعم تقلد بياض الثلج في نداءها للمخلوقات الصغيرة .. والتي لبت النداء على استحياء وبدأت تتجمع على حافة النافذة كي تلتقط ماتجود به هذا الملاك الفاتن ..

عقد ذراعيه على صدره واتكأ على حافة الباب يناظرها بصمت .. تتدفق مشاعره حارة وقوية اليها .. شعرت بها .. تلفح ظهرها وتثير فيها استجابة غريزية .. كتلك الغزلان التي تستشعر اقتراب ضاريــها .. تصلبت .. وازدادت خفقاتها بعنف .. حتى سمعتها الطيور الصغيرة لتجفل طائرة بذعر .. مثيرة فوضى غريبة ..

شهقت وهي تستدير لتنظر اليه .. تغرق في عينيه .. في نظرته وذراعيه اللتان احتوتها برقة .. ولسانه يتسائل عماأصابها وسبب ذعرها وخوفها.. كانت تلهث بين ذراعيه وكأنها ركضت لأميال..

عينيها الرائعتين متسعتين وكفيها يستقران بكل أريحية على صدره وهي تشهق:

-أفزعتنــي..

تحولت نظراته القلقة الى عابثة .. وابتسامة متلاعبة تتراقص على شفتيه وهو يهمس:

-كعادتي ..

نظرت له بانفاس مخطوفة .. نعم .. كعادته .. لطالما أخافها .. أطار صوابها .. لم تكن تعرف السبب وقتها ولكن الان .. انها متيقنة منه .. احمر وجهها لمشاعرها .. احتقن بالدماء التي ضخت بجنون في شرايينها .. وخفضت وجهها .. لاتريده أن يكتشف ضعفها بهذه الطريقة .. لازلت تخجل .. منه .. ومما قد يظنه!!..

وفهم تراجعها خطئاً .. وفسر اندفاعه سبباً .. وتراجع .. أفلتها بارتباك وهو يتمتم باعتذار واهٍ جعلها تطالعه بخشية .. وهو يضيف باختناق كتم أنفاسه التي كانت ترفرف بسعادة:

-أعتذر ياغزل ..

ترقبت ماسيقول .. بحذر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-انا اسف ااسف ان كنت قد آذيتك .. ان كنت قد تماديت و..

-انت لم تتمادى..

قاطعته حاسمة بشحوب .. تلتقط نظراته المرتبكة الحائرة .. لتبتلع ريقاً يابساً وتهمس بخجل ضرج وجنتيها:

-أنا زوجتك ..

نظر لرأسها المنكس .. للحظات وروحه تحاول استيعاب ماقالته .. لما لايزال هذا القلب القاسي يعذبه اذاً .. !! لمايصر أنه ارتكب اثماً بأخذ ماهو ليس له .. يريد أن يسألها .. ولايقوى .. يريد منها كلمة قد تريح نبضه الخافق ولايجرؤ.. يشعر بوجود حاجز لم ينهر بعد كل ماحدث .. لايزال هناك سد منيع .. يحول بينهما .. مهما قربها اليه وضمها الى صدره لايزال بينهما!! ..

اقترب منها .. يرفع رأسها بأصابعه ويبتسم .. علّه يتغلب على تلك المشاعر التي تهاجمه بقوة وتمزق مشاعره المتدفقة وهمس لها:

-نعم ياغزل .. انت زوجتي ..

لمعت عينيها بقوة وهي تنظر له .. لتراه يقاوم كل السلبية التي طافت في عينيه ويبتسم هامساً بحنو أكبر:

-وحبيـــبتي ..

اتسعت عينيها بذهول ليغمرها بين ذراعيها يغرق وجهه في خصلات شعرها الرطبة الناعمة:

-حبيبتي الوحيدة .. منذ الازل ..

ارتجف قلبها بقوة .. بقوة لدرجة أنها تكاد تشعر بجسدها ينتفض كله استجابة له .. صارخاً بحبه الذي ينتشي بداخلها ولكنها لم تجرؤ على التصريح .. لم تجرؤ على اخراج تلك الكلمات المصيرية من بين شفتيها .. احتبست بأعماقها وهي تغوص بين ذراعيه .. تتلفح بدفئه .. لاتجرؤ على البوح ولاحتى الابتعاد .. تريد فقط الاحتماء به .. الاقتراب منه .. اماهو فقد ضمها بقوة .. مستجيباً لالتجاءها الخجول لعمق صدره .. يكفيه هذا .. هذا القرب الذي كان يظنه مستحيلاً .. يكفيه .. حتى الأن!!

***

في الصباح التالي مباشرة اتجها معاً للمدينة الغافية في حضن الجبل .. في هذه المرة كانت تستند على كتفه .. تعشق الاقتراب منه .. تتنشق عبق رائحته وتذوب في الدفئ المنبعث منه .. كانت تتمسح به كقطة سيامية مدللة وهو كان حاميها ..

خرجا بعد صلاة العصر .. وابتسمت متذكرة كيف استقبلت امه خبر سفرهما على الغداء .. كادت تقام مناحة وقتها .. كانت تبكي بحرقة .. وتناظرها بشراسة غير عادية .. وكأنها ستخطفه بلارجعة .. ولم تهدأ الا حين فسر لها قحطان أنه يهدف زيارة سلمى والاطمئنان عليها

قبل كل شيئ.. ولكن حتى بعدها كانت غير راضية .. وبقيت تنظر لسيادة بحقد وعدم اطمئنان أصاب الفتاة بالضيق..

نظرت للطريق الصحراوي الممتد أمامهما وهمست لكتف قحطان:

-أمك لاتطيقني..

عقد حاجبيه ولم يحاول الانكار فهو أصبح مدركاً لهذه الحقيقة .. رغم عدم معرفته بالاسباب ؟! وهو ليس بغر ويعرف تماماً مقدار ذكاء زوجته ولذا لايتوقع منها ابداً أن تقبل منه غير الصراحة :

-عليكي أن تكتسبي محبتها..

قالها بهدوء ليغور قلبها بين ضلوعها وتهمس:

-وماذا إن لم أستطع؟!

-على الاقل اكتسبي احترامها ياسيادة .. والدتي امرأة ذكية وقوية .. ويبدو انها لم تكن موافقة على زواجنا من الاساس .. انا اعرفها تماماً وعرف نوع المرأةالتي كانت تريدها زوجة لي..

ابتعدت عنه وهتفت بحنق:

-ومالذي يعنيه هذا؟!

رفع حاجبه ولم يبعد عينيه عن الطريق غافلاً عن الغيرة الانثوية الحارقة التي اشعلتها:

-ماسمعتي.. أمي تحتاج للسياسة .. والاحترام .. وعليكي بطاعتها كما أفعل أنا..

تراجعت الى مقعدها وعدلت طرحتها بتزمت ليناظرها بطرف عينه بتسلية ويرى كيف زمت شفتيها بحنق .. ورغماً عنه افتقد وجودها الحميم الى جواره .. افتقد نعومة الجسد الذي التصق به منذ مايقارب الساعة .. ولكنه لم يعترض او يطلب منها أن تعود لقربه.. بل تنحنح بارتباك .. وعاد يركز في الطريق أمامه وعيناه تنجرفان للسيارة التي تتبعهما والتي تقل طقم الحراسة الخاص به كما اعتاد..

وصلا لعدن قبل أذان المغرب .. وعرفت منه أنهما سيتوجهان الى المنزل خاصتهما حيث ستقابلهما تلك المدعوة أميرة .. كان المنزل حال وصولهما مضاءاً .. أسدلت عليها طرحتها الخفيفة وترجلت من السيارة باتجاه المنزل بينما وقف قحطان ليتكلم مع طقم حراسته .. دخلت المنزل مرتجفة .. تتذكر أخر يوم كانت فيه هنا .. يوم أدركت حجم حبها .. وحجم غبائها بنفس الوقت .. تنهدت وضمت ذراعيها اليها بعد أن أسدلت طرحتها عنها ومضت تجيل عينيها حولها لتقع عينيها عليها .. وتتوتر نظراتها بتحفز ..

كانت أمام أميرة الجُبيل..!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كانت تحضر المنزل لقدوم الشيخ القحطاني .. قلبها يرتجف بترقب .. كلها ترتجف بانتظاره .. منذ أسند لها عمرو الشهري المهمة بتحضير كل مايلزم لسفر الشيخ وزوجته الى فرنسا وهي ترتجف .. منذ رأته قبل عام كامل .. وهي تتشوق للقائه مجدداً .. منذ أن وقف بشجاعة أمام قاسم الشهري وساند رفيق عمره ..

منذ أن وقف أمامها كمارد وهي مجرد موظفة صغيرة .. لاتكاد تُرى وهي تتطلع للقاء أخر .. لقاء يشبع فراغ بداخلها لم تجد ابداً من يملئه ..

ثم كانت تلك الفرصة .. حين أعلن عمرو الشهري لطاقم مساعديه احتياجه لمن يتفرغ لانهاء أوراق السفر للشيخ وزوجته .. وقفزت هي تعلن عن استعدادها للمساعدة خصوصاً أن لها قريب يعمل في منصب مهم في دائرة الهجرة والجوازات .. ولم يكذب ابن الشهري خبراً وتركها تهتم بكل التفاصيل وهو يتابعها عن بعد..

كانت تتابع الامر بكل شغف .. لاتعرف السبب .. ولا لماذا ولكنها كانت مشتاقة لرؤيته من جديد فحسب.. لم تهتم كونه يسافر برفقة

زوجته الباريسية والتي من صورتها أدركت مقدار الجمال الذي تتمتع به .. لم تهتم كونها مجرد موظفة صغيرة وهو شيخ قبيلته فائقة الثروة والنفوذ..

وقفت بحماس تجهز منزله الذي سيقطن فيه استعداداً لسفره بالغد .. ثم وصلت زوجته اولاً ..

وقفت تنظر لها من بعيد .. طويلة القامة تلتف بعباءة واسعة أنيقة من الحرير.. وحذاء بلون السكر عالي الكعب .. وحقيبة مماثلة .. ثم انسدلت عنها طرحتها لتظهر وجهاً كالبدر ببياضه متوجاً بإكليل من أشعة الشمس تتساقط خصلاته حول وجهها بنعومة فائقة ..

وقفت قبالتها بتوتر .. ومشاعر تغزوها للمرة الاولى .. كانت هذه الفاتنة زوجته؟ الصورة بالتأكيد لم تعطها حقها كاملاً .. كانت أكثر جمالاً .. أكثر رقة .. أكثر سطوعاً .. وهي ..؟!

من الجهة الأخرى تصلبت سيادة ..

تنظر للفتاة التي استقبلتها بوجوم ظهر جلياً على ملامحها .. كانت معتدلة القامة .. ترتدي حجاباً ملوناً .. وعباءة متناسقة تظهر جسدها المشوق .. في حين كان وجهها الفاتن بزينته المتقنة .. والرقيقة .. تزيدها بهاءاً ولمعاناً..

عقدت سيادة حاجبيها وهمست بعدائية:

-من تكونيــن؟؟

ابتلعت الفتاة ريقها ولكنها لم تظهر ارتباكها أو خوفها الغريب الذي هاجمها بقوة وانما رفعت رأسها عالياً وهمست:

-أنا أميرة الجبيل.. مساعدة السيد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-اااه نعم (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

سارعت سيادة مقاطعة لها وهي تشيح بيدها بضجر متعمدة تجاهل ذلك البركان المتصاعد من اعماقها .. وتتخذ مقعدها على صوفا مقابلة للباب .. وبحركة مدللة نفضت عبائتها عن كتفيها لتظهر ثوبها الفسدقي عاري الكتفين والذي انساب على جسدها مظهراً رشاقتها التي تثير الحسد وبكل دلال عقدت ساقيها لتظهر حذائها السكري بالكعب العالي متناسقاً مع بياضها المشع وهي تنقل عينيها على قامة الفتاة المعتدلة امامها بكل أنفــة واحتقار لم تفهم سببه الا انه بدا لها مناسباً جداً لهذه المخلوقة التي تواجهها رفعت حاجبها الأيسر باستعلاء وهمست بشتيمة فرنسية لم تفهمها اميرة قبل ان تكلمها بغرور:

-لما أنت هنا؟؟ ألم تنهي ماجئت لأجله؟؟

احتقن وجه أميرة وتوترت ملامح وجهها الجميل وهي تواجه طرداً مباشراً من سيدة المنزل التي لم تخفي ضيقها وتوترها من وجودها فيه .. وقبضت على الاوراق بيدها بقوة قبل ان ترد بصوت مكتوم:

-لدي بعض الاوراق التي يجب ان توقعيها أنت والشيخ ..

رفعت سيادة ذقنها وصدرها يحترق بغيرة لم تعرف اسبابها وهي ترشق الفتاة بنظرات لو كانت تقتل لتكومت تحت قدميها بلاحراك..

-السلام عليكم..

هدر صوته ملفتاً نظر المرأتين بسرعة .. وابتسمت سيادة بتلقائية وهي ترى حبيبها يتقدم نحوها بتلك الهالة القوية التي تحوطه دون عناء .. وتشبثت بعينيه اللتان تسمرتا عليها بنفس اللحظة وكأنه يعبئ روحه من جمالها الفطري والذي انتشى بعبيره دون قيود..

أما الأخرى فقد تسمرت تنظر له بذهول ..

لم ينظر لها حتى بل خفض عينيه لتقابل عينا امرأته .. ويغوص بهما .. وتحرك نحوها متجاهلاً من وقفت تنتظره طوال الوقت ولمدة طويلة .. دون ملل..

كانت بانتظاره هو .. بانتظاره وهاهو ينساب بعيداً عنها بكل بساطة الى تلك القوة المغناطيسية التي تجذبه دون كلل .. ولكنها لم تأبه .. كان يكفيها تلك اللحظة التي انتشت فيها برائحته وهو يمر بالقرب منها .. تسللت فيها رائحته الى تلافيف مخها لتعيث فيها فساداً وتثبت أن قلبها الموجوع حزناً وكمداً لايزال به بعض النبض الحي .. !!

استدارت تتبع طيفه الذي استجاب لذراع مدتها تلك الحورية اليه بدلال ليجلس بجوارها يقبض عليه بقوة ويقربها منه .. ويشتعل شيئ ما في جنباتها ..شيئ مظلم كخصلات شعرها ..

-وعليكم السلام ياشيخ..

ردت بشحوب .. لترتفع عينيه للحظة ينظر اليها .. نظرة خاطفة سرقت من عينيه صورة مجسمة لامرأة لم يحدد تعاليمها تقف أمامه ويعود خافضاً عينيه :

-انت مساعدة عمرو أليس كذلك؟؟

اومأت وأخذت نفساً تسيطر على مشاعرها المضطربة وتعود لثقتها بنفسها وقوتها قبل ان تتقدم منه:

-جئتك بهذه الاوراق لتوقعها قبل السفر .. كما انني سآخذ حقائبكما للشحن ..

اومأ قحطان ونهض يواجه الفتاة لتقع عيناه على وجهها .. وهذه المرة سرق منه الشيطان اكثر من مجرد نظرة خاطفة .. كانت فاتنة .. حاول خفض عينيه عنها بسرعة ولكن شيئ ما في عينيها اللوزيتين سرق عينيه وجعله يمعن النظر اكثر .. واستقبلت هي نظرته وبادلتها بجرأة غريبة جعلته ينزعج .. ويخفض عينيه بسرعة هاتفاً بغلظة:

-لنوقعها اذن بسرعة .. ستفوتني صلاة المغرب ..

اخرجتها حدته من نشوتها بقربه لترفع له الاوراق بحركة سريعة فاختطفها تقريباً من بين يديها وتراجع ليجلس لجوار سيادة التي كانت شاهدة على التوتر بينهما وظهرت غيرتها الواضحة على وجهها المصدوم وهي تناظر ملامح زوجها الجامدة ووجه الفتاة الاحمر

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-وقعي هنا ..

سمعت خشونة صوته فنظرت له بغضب .. كلها يرتعش .. أيعقل ان الغيرة سبب كل مايحصل لها؟؟ أيعقل أن تغار من امرأة أخرى وهي سيادة العزب .. بجلال قدرها !!!

حاولت السيطرة على دقات قلبها المتواثبة بجنون .. ثم ارتعاشة أصابعها وهي توقع حيث أشار .. الحرار تزداد من اعماقها بطريقة جنونية (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) اعادت له الاوراق ونظرت للفتاة التي ناولها اياهم وهو يقول بهدوء لاتدري متى استعاده:

-متى تغادر الطائرة..؟؟

-المغادرة في السابعة صباحاً .. عليكما ان تكونا في المطار في الخامسة تماماً ,..

فضحتها نبرتها ..

مهزوزة .. مرتبكة .. تجاهلها قحطان ببرود بينما اشتعلت لها سيادة بحرقة وهي تنهض بحركة حادة وتهتف:

-شكراً لك يانسة بامكانك الانصراف الان..

واجهتها اميرة بتوتر .. قابلت العينين الزمرديتان بعسل ذائب من عينيها .. سيادة كانت غاضبة .. كلبوة تدافع عن أسدها .. ولكن ذاك الاسد كان حلم .. حلم اكتشفت اميرة لتوها انها كانت تراه كل يوم في نومها .. في مخيلتها .. ولم يكن من السهل عليها ان تتنازل عنه الان .. ليس لأي أحد .. حتى وان كان هو نفسه لايدرك.. لايفقه .. ولكنها تعرف ..

بكل تأكيد تعرف.. كيف لا وهي تراه كل ليـلة.. وتعيش معه يوماً بأخر!!

ولكنها يجب ألا تتسرع (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لم تبتعد عن عيني الباريسية الحمراء.. ولم تخفض عينيها .. بل ابتسمت بهدوء .. قناع ديبلوماسي اعتادت ارتداءه منذ نعومة أظافرها .. وهمست:

-بالتأكيد مدام ..

ثم نظرت لقحطان الذي راقبهما بصمت وقالت بهدوء:

-سيصل السائق في الرابعة والنصف ليقلكما الى المطار.. الى اللقاء ياشيـخ..

ثم استدارت بسرعة دون أن تنتظر منه رد .. لتشتعل سيادة أكثر وأكثر .. تكرهها .. التفتت له صارخة:

-مغرورة .. حقيرة ..

-سيادة ..

نبهها بلطف وهو يكاد ينفجر بالضحك .. لايعرف لما تسبب موقفها الساخط بإشباع غرور لم يكن يعرف انه يملكه ..؟! غرور ذكوري بحت ..جعله ينهض كَ ديك شركسي نافشٍ لريشه .. يقف قبالتها

وهي تنفث غيرتها ناراً .. أنفاساً لاهبة .. وتلمع زمردتيها ببراكين خضراء جامحة .. جعلته يشتعل من اعماقه ..

-تلك الفتاة لاأطيقها .. ولاأريدها أن تقترب منا أبداً ..

رفع حاجبه بمكر وهمس:

-ولم كل هذه العدائية؟؟ لم تفعل المسكينة أي شيئ؟

ازداد الاشتعال في مقلتيها وظهرت شراسة الإناث في ملامحها الرقيقة :

-مسكيـــنة؟؟!! أتعدها مسكينة أيضاً؟؟؟

اتسعت عينا قحطان باندهاش فهو لم يتوقع حقاً هذه الثورة ..

-وماذا فعلت لك لتغاري منها بهذا الشكل؟؟

جمدت عينيها بصورة مفاجأة ..واحمر بياضهما قبل ان تلمع مقلتيها بلون خاطف .. استكانت أنفاسها .. استكانت بصورة مفاجاة أثارت قلقه .. ولم يظهر من توترها البالغ سوى ارتجافة خفيفة لشفتيها المكتنزتين وهي تهمس ببرود شديد:

-أنا لست غيورة ..

-سيادة ..

اعترض ضاحكاً لتقاطعه ببرودة أشد:

-أنا .. سيـادة العزب .. ياشيخ.. وليست سيادة العزب من تغار من فتاة لاتسوى كتلك..

عقد حاجبيه بتوتر وهو يشعر بتغييرها الطفيف واهتزاز نبرة صوتها التي حاولت السيطرة عليها قبل ان تضيف بهدوء:

-من الافضل أن تسرع باللحاق بالصلاة قبل أن تفوتك .. وأنا سأصعد لأرتب أشيائنا لهذه الليلة ..

-سيادة ..

ناداها برفق حين أشاحت عنه ولكنها لم تقف بل قالت بحزم:

-اذهب قحطان .. فقد تأخر الوقت ..

راقبها تبتعد.. تلك العنجهية التي تضج في عروقها وتجري مجرى الدم .. تلك العجرفة .. والغرور .. ابتسم .. لاينكر أبداً أنها تعجبه .. تثير فيه مشاعر عديدة .. رغبة في قتالها حتى تستسلم .. ليس هو من ترفع عليه تلك الاسلحة .. أبداً ..

أما هي فبالكاد وصلت لغرفتها التي شغلتها في المرة السابقة .. حانقة .. غاضبة .. مشتعلة ..

صرخت بحنق وهي تنزع حذائها لترميه الى الطرف الأخر من الغرفة .. وبكل حنقها ارتمت على الفراش .. تناظر السقف المرتفع وهي تلهث

بغضب.. لاتصدق انها فقدت أعصابها بسبب تلك المخلوقة البغيظة ..

يالله كم انها محتالة وسافلة ..

عضت نواجدها بقوة ..واغمضت عينيها وهي تصرخ بانفعال كاتمة فمها بكفيها ..

لم تشعر يوماً بمثل هذه الغيرة .. أبداً .. غيرة ..!!

فتحت عينيها بذهول..

تغار عليه .. يارب الكون ..

نهضت عن الفراش معتدلة .. تغار؟! بالطبع تغار..

عادت تسقط متنهدة بيأس وهي تصرخ:

-أنا اغار .. اغاااااااااار(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كيف لاتغار عليه وهي تحبه الى هذه الدرجة .. هي من لم تعرف عمق حب من قبل كهذا .. تغار بجنون .. ياربي .. فكرت بألم .. لو يعرف فقط كم مقدار حبه في اعماقها .. لو يدرك فقط كم تعشقه .. !!

هو الذي لم يظهر نحوها أي شيئ سوى الاهتمام .. والعناية ..

عضت شفتيها بقوة .. لو يدرك مقدار هذا الحب.. تحسست نبض قلبها بخشية .. كان يخفق مدوياً .. بجنون ..

لايجب ان يعرف الان .. لايجب أن تعترف حتى يبادلها هذا الجنون .. حتى يقولها بملئ فمه .. بكل جوارحه .. لن تعترف بحبها حتى يعترف هو قبلها ..!!

***

لايزال المنزل الضخم خالياً .. تنقلت فيه بضجر .. قاعة الى أخرى .. حتى المطبخ لم يسلم من جولتها التفقدية العاشرة بعد المائة كما فكرت ..

ضجرة .. ملولة .. حتى الكتب التي ابتاعتها لتسليها وتقضي على الملل وتساعدها في تقوية لغتها الفرنسية لم تعد تطيقها .. فكرها مشغول .. ضاج بأفكار لاتريد أن تركن اليها ومع ذلك .. لاتستطيع التخلص منها !!

جلست الى شرفة تطل على الحديقة الباردة في ذلك الوقت من العام .. تحيط نفسها بذراعيها متشبثة بشالٍ من الكشمير يدفئ بردها الداخلي ..

-مساءالخير..

انتفضت في مكانها وهي تلتفت اليه بحركة حادة كادت أن تخلع رقبتها .. لدرجة انه همس باستنكار:

-لقد ألقيت التحية فقط ياسولي .. لاداع لكل هذا التوتر

كلمارأيتني..

عقدت حاجبيها وهاجمته بقسوة:

-أنا لست متوترة ولكنني لم أتوقع عودتك مبكراً..

ثم اضافت ساخرة:

-لم أتوقع عودتك بتاتاً..

تنهد فراس واقترب يجلس الى جوارها وهو لايعرف حتى كيف يبدأ بقول مايريد وكيف بامكانه اقناعها..وشعر بالضيق وهو يلاحظ كيف تراجعت في مقعدها وكأنها تلزم مسافة بينهما لاتريده ان يخرقها او يقترب منها فيها ابداً.. وهو كان موافقاً على هذا .. لم يكن هو نفسه يريد الاقتراب..

-لاتخافي مني سولي..

-لست بخائفة .. وادعى سلمى وليس سولي..

هتفت بحنق وهي تحاول اخفاء ارتعاشة أصابعها التى تشبثت بغطاء الكشمير.. ليتنهد هو وينظر لها بتمعن قبل ان يقرر خوض الامر بكل صراحة ..

-هناك أمر ما ساطلبه منك وأريدك أن توافقي..

تململت في جلوسها وهي تهمس:

-مالذي تريده مني..؟

-رحلة قصيرة ..

قالها بسرعة لتعقد حاجبيها بعدم فهم ليضيف:

-مخيم يقيمه رئيس الاستوديو .. في كوخه الجبلي ويدعو اليه رجال أعمال كبار ومتنفذين في سوق الموسيقى ويجب علي حضوره..

عقدت حاجبيها هتفت:

-اذهب وماشأني بك؟

زفر بضيق وهتف:

-يجب أن تكوني معي..

اتسعت عيناها بذعر وهي تتخيل مايطلبه.. هي وهو .. في كوخ ما وسط الجبال؟؟ مع مجموعة من الاثرياء الغريبين عنها ؟؟؟؟

-مستحيل..

هبت صارخة ليتبعها باندهاش فيما تتابع بصوت عالٍ:

-لن أذهب معك الى أي مكان..

-سولي يجب أن تفهمي ..

حاول لتقاطعه بثورة:

-اسمي هو سلمى .. ولن أذهب معك لأي مكان أتفهم.. ان اردت يمكنك أخذ تلك الحثالة التي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وتوقفت بغصة استحكمت كلماتها .. وهي تحاول مداراة الدموع التي قفزت تغرق عينيها .. أشاحت عنها وسارعت بالركض تريد العودة الى غرفتها حين لحقها هو معترضاً طريقها هاتفاً:

-انتظري سلمى يجب أن تفهمي..

-لاأريد فهم شيئ..

صرخت تحاول التخلص من ذراعه التي قبضت على معصمها بقوة في حين استمات هو :

-سلمى أنا بحاجتك أرجوك.. انا يجب أن اكون هناك والا خسرت مستقبلي كله..

-اذاً اذهب .. اذهب وحدك.

صاحت بحنق ليهتف بيأس:

-ليس من المسموح لي بالذهاب وحدي في رحلة استجمام للعائلات .. يجب ان أخذ عائلتي معي.

نظرت له باستنكار وهتفت:

-وهل تسمينا عائلة؟؟!!

نظر لها بتوتر قبل أن يهمس:

-نحن كذلك شئنا أم أبينا ياسلمى.

نظرت لها بأسى لفترة قبل أن تتخلص من قبضته على ذراعها بقوة وتهمس بقسوة:

-اذهب للجحيم يابن عمي .. انا لن أرافقك الى أي مكان..

ثم سارعت للصعود الى غرفتها متجاهلة صراخه المنادي عليها .. أغلقت الباب خلفها وأخذت هاتفها للاتصال بريهام .. ومن وسط دموعها شرحت للمرأة المنصتة بصبر كل ماحدث .. شاهقة بالدموع وهي تضيف :

-أتصدقين انه يسمينا عائلة .. بعد كل مافعله ؟؟

تنهدت ريهام وهي تشعر بالحيرة لماتقوله صديقتها الجديدة ولكنها لم تكن تريد لهذه المشكلة أن تكبر.. ابداً ..

-حبيبتي ربما كان من الافضل لو تنصتين لزوجك هذه المرة ..

-ماذاااا..؟؟

صاحت سلمى باستنكار لتهتف ريهام مهدأة:

-لاتغضبي وانصتي لي..

حاولت سلمى السيطرة على اعصابها المتوهجة اشتعالاً في حين كلمتها ريهام بهدوء:

-هل لديك أي فرصة في الخلاص من زواجك بفراس ياسلمى؟؟

اتسعت عينا سلمى وهتفت بتلقائية:

-مستحيل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) انه ابن عمي كيف اتخلص منه؟؟

-بالضبط عزيزتي .. انه ابن عمتك .. فاذا لم يكن بمقدرتك التخلص منه .. فلما لاتجذبيه اليك ..

-ماذا تعنين؟؟

تسائلت سلمى بحذر لتسارع ريهام بالشرح:

-انت في موقف لايحسد عليه ياسلمى .. انت تواجهين مشكلة كبيرة وعليك التخلص منها .. يجب ان تسارعي بالحؤول دون فقدان زوجك اذا لم تكوني شجاعة بما يكفي للتخلص منه نهائياً..

-وكيف؟؟

همست بتردد..

-افعلي ماعليك فعله للارتباط به أكثر.. كوني له زوجة بكل مافي الكلمة من معنى..

اتسعت عينا سلمى وهتفت بذهول:

-بعد مارأيته؟؟ بعد مافعله مع تلك المرأة؟؟

-انت من تريدين المحافظة عليه سلمى .. تحملي وافعلي مايتوجب عليك ..

تيبست سلمى وهمست:

-لاأستطيع ..

-اذاً اتركيه وعودي الى عائلتك..

انهمرت دموع سلمى بغزارة وهمست:

-مستحيل.. لن تسامحني عائلتي ابداً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تنهدت ريهام بألم وهمست للفتاة الصغيرة:

-اذاً حاولي ياسلمى .. افعلي مابوسعك ..

-وان فشلت..؟؟!!

همست متهدجة .. لتهتف ريهام بحرارة:

-ستكونين راضية عن النتيجة ياسلمى .. لأنك ستكونين قد فعلتي كل شيئ.. ستتركين الكرة في ملعبه .. وستجعلين الخيار بيده هو ..

تنهدت سلمى وكلمات ريهام تهاجمها بلاتوقف.. ستفعل ماعليها؟؟ أم تعود الى عائلتها وتصارحهم بمافعله ابنهم العزيز .. وان فعلت .. مالذي يمنعهم من اعادتها اليه .. لايوجد مايسمى الانفصال في عائلتها .. وهذا ليس أحد انه فراس العزب .. ابن عمها ..

اغلقت الخط مع ريهام .. وجلست تعيد التفكير مرات عديدة .. علها تصل الى قرار ما .. قرار يرحمها من كل تلك الهواجس التي لاترحم..

***

أحببتُكِ مُرغَماً .. ليــسَ لأنكِ الأجملُ..!!

بَل لأنكِ أعمقُ .. فعاشقُ الجمالِ في العادةِ .. أحمقْ..!!

محمــود درويش

~~~

فكــرة سيئة .. انها حقاً فكرة سيئة للغاية ..

تصارعت الخواطر في عقلها بجنون وهي تحكم حزام الامان حول وسطها وتنظر الى الطريق السريع امامها يطوى بسرعة مهولة ..

كنت فكرة سيئة .. نعم للغاية .. نظرت لزوجها وابن عمها بتوتر..

كان يراقب الطريق بعينين ضيقتين وتظهر عليه أثار السهر والارهاق
~~~

.. ل تنكر فرحه المهولة بموافقتها على الذهاب معه .. كاد يطير فرحاً ..

لاتعرف سبب موافقتها بعد ليلة طويلة أمضتها في التفكير بماقالته لها ريهام .. ولكن الان .. تشعر بغباء موافقتها وعدم ارتياحها يزداد ولايتوقف..

السيارة تطوي المسافة بسرعة رهيبة .. وهي تنكمش في مقعدها لاتجرؤ على اخباره ان السرعة ترهبها ..!! هل يتعمد الاسراع ؟! لا مستحيل فهو لايدرك خوفها .. أليس كذلك؟!

فكرت برعب وهي تشيح بوجهها عنه وتغمض عينيها كي لاترى المناظر المتسارعة بجنون من النافذة الضيقة .. تريد أن تصل بأسرع مايمكن .. حتى تتخلص من قربه المربك ..

تنهدت وهي تسخر من نفسها .. أليس من المفروض أن تكون هذه الرحلة لتتقرب منه .. فمابالها تريد الخلاص ؟! وبأسرع مايمكن ؟! انها غريبة .. وغير منطقية بالمرة ..

فتحت عينيها باندهاش من نفسها.. مالذي تريده؟! أتريد ان تتخلص منه أم تريد خلق علاقة جديدة به؟!

عادت تسبل جنيها وتغرق في أفكارها من جديد .. تحاول ان تصل الى قرار علها تقضي على هذا التوتر والارتباك في حياتها الحالية والتي يجب فيها ان تصل الى قرار نهائي وحاسم .. ربما في هذه الرحلة .. ربما تستطيع أن تتخذ القرار الذي تنتظره من نفسها وبكل حزم..

لم تطل الرحلة سوى عشرون دقيقة .. بسرعة هائلة وطريق واحد لايتفرع كثيراً ..

حين وصلا اتسعت عينا سلمى من المكان .. كار رائعاً بحق..

قلعة ربما .. لايشبه الكوخ بشيء.. قلعة فخمة من القرون الوسطى .. وسط مساحة عشبية هائلة .. لم تؤثر عليها برودة الشتاء ولاامطار الليلة الماضية ..

انتصبت القلعة بشموخ على قمة تلة مرتفعة نسبية .. يقود لها طريق ملتوي تحفه الاشجار من الجانبين .. أشجار تعرت بفعل الشتاء ولم تمهلها الطبيعة ابداً .. اتسعت عينيها بذهول والسيرة ترتفع الى البوابة الشامخة ..

كانت تستطيع رؤية الابراج المرتفعة .. الحجارة المتهالكة للمبنى القديم وهذا اثار فيها حماس غير عادي لاكتشاف المكان .. شعرت بسلمى القديمة المشاغبة تظهر للسطح مداعبة .. ترسم على

شفتيها ابتسامة شغوفة بكل ماتراه جديد حولها .. سماء مكفهرة لم ترعبها بل اثارت فيها احساس بالتشويق وكأنها تدخل الى قصة مشوقة .. مرعبة .. حالما اقتربت السيارة من الباحة الامامية للقلعة حتى رأت سلمى صفوف السيارت وعرفت انهما ربما اخر من يصل وتذكرت ان فراس قد قال لها ان معظم المشاركين قد وصلوا البارحة ..

ترجلت من السيارة بسرعة واندفعت للباحة تنظر بانبهار للارتفاع الشاهق للقلعة .. وابراجها المتأصلة في القدم .. كان المشهد مرعباً .. قوطياً .. ولكنها لم تشعر سوى بالاثارة .. ارتسمت ابتسامتها السعيدة على وجهها وهتفت:

-انها رائعة ..

-انها قديمة ..

رد عليها فراس باشمئزاز .. لتنظر له باستياء قبل ان تتوجه نحو ممر حصوي يقود لخلف الباحة واسترقت نظرة لمايشبه الدغل الصغير .. يحيط بالممر الذي يتوغل الى العمق .. وشعرت بفضول لاستكشاف المكان ..نظرت لفراس وهتفت:

-ماذا يوجد هناك؟

-ومأأدراني ..

هز كتفيه بضجر ثم رفع ياقة معطفه يخفي وجهه من لفحة باردة هبت من الجبال البعيدة وهتف بسلمى :

-هيا لندخل سلمى .. لقد تأخرنا بمافيه الكفاية ..

تنهدت سلمى ونظرت للباحة مرة أخرى .. لم تهتم للريح البارد بقدر اهتمامها بفضولها . .. وقررت انها يجب ان تستكشف المكان قبل رجوعهما .. ولكن عليها ان تطلب الاذن من اصحابه حتى لاتكون متطفلة .. تنهدت واستدارت تلحق بزوجها الذي رمى بمفاتيح سيارته لأحد العمال ليصفها ويأتي بحقائبهما قبل ان يتوجها الى البوابة المشرعة على صراعيها لاستقبالهما ..

-انظـــروا من قررا أخيراً الانضمام الينا ..

تعالى الصوت الجهوري لتسمر مكانها ويسري البرد عبر أطرافها وتتجمد بلاحراك وعينيها تشخصان الى القامة الطويلة التى تهادت نحوهما بقوة وسيطرة ..

عينيها لاتفارقان الابتسامة .. ولاالبريق الصاعق .. ولاحركة الذئب المتراقصة وهو يقترب بكل تؤدة نحوها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وكأنه صياد .. يتفقد ضحيته تتخبط تحت الشباك .. !!

كيف لم تفكر أنه هو صاحب الدعوة؟! ابتلعت ريقها .. ألم يقل لها فراس أن رئيس الاستوديو دعاهما؟! ألم يقل لها هذا؟! كيف لم تربط واحد بواحد.. كيف لم تستخدم عقلها ..؟!

ياللهول ..

كم تتسبب هذه المرأة بتوتر ينهك كل اعصابه .. وكانها تيار كهربائي عالي الفولطية يصيبه ويتركه ينتفض وتئن كل أجزاءه ألماً .. وجهداً.. تتسارع دقات قلبه وتلهث أنفاسه علة يجد بعض الهواء يشبع به اختناقه الذي يقتله ..

كانت تقف الى جوار ذلك الاحمق .. تقف ناظرة حولها بعينين منبهرتين .. فيما تجتاحها عيناه بقوة .. بتفاصيلها الدقيقة العامرة بالجمال .. شعرها الغجري والذي عقصته الى جهة واحدة وانساب على كتفها الايمن .. وجهها المنتشي بالاثارة .. وجنتيها المحمرتين .. شفتيها المنفرجتين بانبهار ..

حامت عيناه عليها كلها .. ملابسها المكونة من جينز بلون الكريم .. وجاكيت أسود قاتم من الجوخ .. وحول عنقها يتدلى وشاح كشميري باللون الأحمر يماثل لون حقيبتها وحذائها ويحيط بعنقها عاكساً احمراره على ملامحها الفتية بطريقة خلابة أسرت مشاعره ..

تقدم هاتفاً بجملته التي حملت خشونة غصة احتكمت حنجرته لرؤيتها بذلك البهاء والروعة ..

تصلبت وتحجرت عيناها في أسر عينيه .. رأى ارتباكها لرؤيته .. وهذا جعل قلبه يخفق بقوة .. انها تشعر بشيء ماتجاهه .. شيئ يجعلها ترتبك كلما رأته .. ويرسل تلك النظرة الرائعة الى عينيه ..

تنهد ورسم على شفتيه ابتسامة قاتلة يعرف تأثيرها على النساء جيداً وهو يقترب منهما .. كان يرسلها اليها بالذات .. وعيناه تندفعان الى زوجها الغافل عما يدور حوله ..

-مرحبا بك يافراس سرني انك استطعت القدوم.

-لم أكن لأفوت فرصة كهذه ابدا ..

قالها فراس بحماس ليضحك سيف وينظر باتجاه المرأة التي انكمشت مقتربة من ذلك الرجل بطريقة أرسلت الغضب الى أطرافه وهو يرحب بها:

-سيـدتي..

رفرفت برموشها تحاول الهرب من نظرته المحكمة ولكنها لم تقوى فقد أسرها بلمحـة .. وجعلها تفقد دفاعاتها وهي ترد تحيته بخفوت قبل أن يشيح هو ويقول باهتمام:

-لما لاتشاركونا الفطور .. انزعا معطفيكما ولننضم للجميع بالداخل هيا بنا ..

اقترب حينها احد العاملين بالمنزل ليأخذ معطف فراس الذي نزعه بسرعة بينما اقترب سيف من سلمى هامساً :

-هل لي بمعطفك مدام؟؟

نظرت له بصدمة .. ليس لطلبه بل لوقوفه القريب .. والذي جعل رائحة غريبة تجتاحها .. مزيج من عطر وشيء أخر مثير دغدغ حواسها بوحشية .. ارتبكت أصابعها وهي تفتح أزرارها .. عينيها تبحثان عن فراس الذي سرعان ماتوجه الى الغرفة بطريقة حمقاء ..

في حين سمعت ضحكة قصيرة من سيف وهو يغمغم بتسلية:

-لايبدو أنه مستعدٌ لانتظارك ها ؟؟

ابتلعت ريقها بصعوبة وانهت خلع معطفها لتناوله اياه بعصبية ترفقه بشالها الأحمر.. لتتسع عيناها وهي تراه يقربهما من أنفه ويأخذ نفساً عميقاً عبقاً برائحتها الياسمينية .. شعرت بالبرودة تجتاحها وهو يهمس:

-منعشـــة .. كنهار ربيعي صحو .. وسط الشتاء القاحل؟؟

تراجعت بخشية قبل أن تجد ابتسامة تتلاعب على شفتيه وهو يشير لها أن تتقدمه .. بينما يناول معطفها والشال لعامل أخر قريب .. تراجعت بالاتجاه الذي سلكه زوجها تحاول قدر الامكان السيطرة على دقات قلبها المتقافزة .. بلافائدة .. انها تغرق .. تغرق ولاتعرف السبب ..

أماهو .. فقد اتسعت ابتسامته الوحشية .. اتسعت لتحتل وجهه بأكمله كتكشيرة حيوان مفترس .. عاهد نفسه على عدم الرحمة .. سيهجم بكل قوة ولاتهمه العواقب .. لاتهمه ابداً..

***

-دقائق معـدودة وتهبط الطائرة في مطار شارل ديغول بباريس .. الرجاء إحكام أحزمة الأمان .. والامتناع عن التدخيـن ..

استمرت المضيفة بإلقاء تعليماتها بصوت محكم في حين التفت قحطان لسيادة هامساً:

-لقد وصلنا ..

نظرت له بعينين متسعتين من الاثارة .. لامعتين بجنون .. لاتصدق أنها تعود الى بلدتها العامرة بالسحر .. معه..!! لو اخبروها قبل شهور فقط أنها قد تفعل بكل هذه المشاعر المحتقنة بداخلها لاتهمتهم بالجنون ..

لاشيء يمكن أن يعبر عن مدى سعادتها .. لاشيئ أبداً.. لاشيئ يمكن وصفه بالاعتيادي .. نها تشعر وكأنها في قمة العالم .. تذكرت ذلك اليوم حين هربت منه .. حين ظنت أنها تهرب وتنجو بنفسها .. كانت في طائرة تشبه هذه .. ولكن هيهات .. ماكانت فيه وقتها وماهي فيه الأن ؟!!!

ابتسمت باتساع ونظرت له وعينيها تلمعان باثارة شديدة:

-نعم قد وصلنا .. لاأكاد أصدق .. قحطان لاأصدق بأننا في باريس معاً ..

رفع حاجبه وهمس بثقل:

-ربما لاتكون فكرة جيدة ..

نظرت له بحيرة فأشاح بوجهه .. لايعرف سبب القلق الذي اجتاحه .. لايعرف سبب عدم الاطمئنان الذي يزاوله الان .. لما شعر بأنه مهدد هنا؟؟

عقد حاجبيه بقوة وصداع يهاجمه .. أوزعه الى ارتفاع الضغط الذي يعانيه كلما صعد الى طائرة .. تنهد وهمس لها أن تشد عليها حزام الامان ..

لم تفكر سيادة كثيراً بتقلب مزاجه الغريب .. بل كل ماكان يهمها هو قرب لقاءها بأمها .. بأخيها .. أما والدها فقد عرفت حين اتصلت به البارحة انه في مؤتمر خارج باريس ولايقدر على القدوم حالياً ولكنه وعدها بأنه سيأتي لهما قبل رجوعهما .. لم تتصل بأمها بالطبع لأنها لاتريد لأمها ان تخطط .. تريد أن تفاجأها .. تريد أن تدخل عليها برفقة زوجها وتريها كم أنها محظوظة بالزواج من هذا الرجل الرائع بكل مافي الكلمة من معنى..

تنهدت بارتياح وهي تحيط ذراعه بذراعها وتنظر لوجهه الذي حمل اضطراباً خفيفاً .. دون أن تراه حقيـقة .. بابتسامة متشوقة حملت كل قلة صبرها ..

هبطت الطائرة .. ورغم الاجراءات الطويلة والمرهقة لمعاملات قحطان بالذات كونه أجنبي ومن بلاد عربية الا انهما أخيراً استطاعا مغادرة المطار .. كانت سيادة ترتدي عباءة طويلة وتضع على رأسها طرحة حريرية سوداء في حين تخلت عن النقاب مما أثار استياءه وصمتها وهي ترى احمرار وجهه بعجز عن فعل غير هذا ..

قبض على معصمها بقوة وهو يجرها خلفه تقنياً نحو صف من سيارات الاجرة لتهمس له بألم:

-قحطاان .. أوجعتني..

نظر لها بعينين عاصفتين دون أن يخفف من ضغط يده عليها وزمجر :

-لاتتلككي سيادة .. هيا بنا فالناس تنظر اليكي..

عقدت حاجبيها بحنق وهتفت بعناد:

-انهم ينظرون لي لأنني أرتدي عباءة وطرحة رأس وليس لأنني

سافرة الوجه قحطان..

توقف فجأة والتفت لها بجسده كله .. مماجعلها ترتجف بقوة .. لقربه

منها ولنظرة وجهه الحارقة وهو يهمس ببرود:

-ربما تريدين نزعها والتبختر أمام الجميع بثوب قصير عارٍ؟؟؟ أهكذا

تبعدين أنظارهم عنكي؟؟؟

احتقن وجهها وهمست بحرج:

-لم أعن هذا..

-اذاً توقفي عن التحدث بالسخافات وهيا أمامي..

تأوهت بصمت من ألم معصمها وهي تحار في أسلوبه الخشن منذ

وطئا أرض المطار .. زمت شفتيها بغيظ وهي تسبقه الى الدخول في

سيارة أجرة قريبة .. والتزمت الصمت وهو يحاول أن يشرح للسائق

الفرنسي وجهته بالانجليزية .. دون فائدة .. ورأت عروق بارزة تكاد

تنفجر من صدغيه وهي تحاول كتم ضحكة كادت تفلت منها ..

وشعرت بالسخرية من الموقف فهي تجيد الفرنسية منذ نعومة أظافرها ولاتعرف لماالتزمت الصمت ربما لقبضته التي تكاد تكسر أصابعها .. وربما لتلقينه درساً صغيراً .. بسبب هجومه الشرس عليها قبل قليل..

لاتعرف مالسبب ولكنها تشعر بالتسلية لرؤيته حائراً بتلك الطريقة ..

وبالنسبة لقحطان كان الامر كالكابوس ..

فهو لايعرف مالذي دهاه ..

منذ هبطا في المطار ورؤيته تعامل الطاقم في الجوازات لزوجته الفرنسية بكل سلاسة ونظراتهم المستهجنة له وجوازه اليمني ..

ثم كانت النظرات اليها من قبل الجميع وهي تتهادى بجواره بكل ذلك الجمال .. تباً لهم .. لو كان بيده لأخفاها عن الجميع .. لأخفاها ولايراها أحد فهي له .. له وحده ..

والان يأتي هذا الغبي الذي لايجيد الانجليزية ويصر بعناد على هز رأسه دون حتى أن يفكر ولو قليلاً ..

تنهد بحنق وضغط على أصابع المسكينة التي جلست جواره صامتة .. قبل أن يهدأ لثوانٍ .. وينظر باتجاهها قائلاً بهدوء يغالب العاصفة التي تهب بداخله:

-ألاترغبين بالمساعدة قليلاً ..

ابتسمت حينها .. ابتسامة خلابة .. رأى تأثيرها وبقوة على السائق الذي اومأ برأسه بحماس حالما تحدثت معه بكلمات فرنسية شعر بها تشق طريقها عبر صدره وتغرز خطورتها في اعماق قلبه ..

منذ متى لم يعد يظن أن الفرنسية لغة غبية لااصول لها ؟؟ انظروا اليها كيف تنطق حروف وهمية بكل دلال .. وكأنها تغازل الرجل الذي لم يتوقف بل استرسل معها بالكلام بفرنسيته المثيرة للغثيان مقارنة بما كانت تقوله هذه المرأة ..

تباً تباً ..

كيف يسمح لها بأن تحادث رجل غريب بتلك الطريقة ..

شعرت به يتصلب ..

كان السائق يسألها ان كانت فرنسية حقاً أو تعلمت اللغة في مكان ما .. فلغتها بلهجتها الباريسية الناعمة كانت خارقة ولم يسمع أي سائح ينطق بها من قبل .. لتجيبه انها باريسية حقاً .. ولكنها عادت

الى أصولها في بلدتها البعيدة .. كانت تحادثه بكل هدوء ..

وابتسامتها تشع على وجهها كالعادة .. حين شعرت به يكاد يحطم

أصابعها بقبضته القوية .. وهو يهمس من بين أسنانه:

-هل أنتهيتما من التعارف؟؟؟

توقفت عن الحديث ناظرة له باستهجان قبل أن يضيف بحزم:

-توقفي عن الثرثرة سيادة والا ألقيت بالرجل عن السيارة وكسرت

صفي اسنانه ..

نظرت له بعينين متسعتين باندهاش .. لم يبدو لها مهزوزاً بهذا

الشكل ؟! لم تحب أن تناقش ليس وهو بهذا المزاج المريب.. لذا

تراجعت زامة شفتيها بغيظ والتزمت الصمت .. بحذر..

أما هو فقد تراجع الى المسند مغالباً الغليان الذي يتصاعد بقوة بداخله

.. يالهـي .. لايزال في البداية فقط .. هو حتى لم يمضي ساعة كاملة

في باريس وهاهو لايقدر على احتمال الوضع .. لم يكن يظن بنفسه

هذا الضعف .. قلة السيطرة على النفس ..مابالـه ؟!

عم الصمت في السيارة التي تقطع الطرقات المحفوفة بالاشجار

بانسيابية هادئة .. فيما يعادل الجو داخلها برودة الجو في الخارج ..

وبعد دقائق طويلة توقفت امام بوابة عالية مغلقة .. ورأى قحطان عينا سيادرة تلمعان بشغف وهي تهمس شيئاً بالفرنسية قبل ان تلتفت اليه وتهمس بفرح:

-انه منزلي ..

لم يعرف سبب الانقباض الذي شعر به والسيارة تتجاوز البوابة المعدنية بعد أن القت سيادة للحارس بضع كلمات .. شعر قحطان بريقه يجف والسيارة تندفع نحو البوابة الداخلية .. وقبل حتى ان تتوقف كلياً كانت سيادة تقفز من السيارة تاركة اياه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) اراد أن يصيح بها ان تنتظر .. أن تتوقف ليدخلا معاً ولكنه لم يقدر ..

الكلمات تحجرت في حلقه وهو يرى انطلاقتها المسرعة نحو الفيلا الانيقة لتغيب خلف بابها ..

وهناك توقفت سيادة في البهو .. تدير رأسها بكل لهفة منادية أمها بعلو صوتها ..

" ماماااا (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ماماااا .."

تهافت اليها الخادمات بأعين مشرقة .. وهتافات مرحبة وسعادة واضحة في الوجوه بينما تتسائل سيادة بلهفة عن مكان وجود والدتها التي صدح صوتها بشحوب من مكان قصي:

-سيااااادة ؟؟؟

التفتت بكل جوارحها لمصدر الصوت .. ليتطاير حجابها ويندفع شعرها الناعم حولها كغيمة تكسرت بداخلها اشعة الشمس وبدت محملة بالنار ..

-ماماا..

همست سيادة باكية .. بشوق طال احتماله لأمها .. التي اقتربت غير مصدقة .. وكأنها لاتكاد تصدق عينيها ..

-ابنتي؟؟؟ انت (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ا..

-ماماااااااااااااا

قاطعتها سيادة باكية بعنف وهي تركض لترتمي بين ذراعي أمها التي احاطتها بقوة .. وكأنما لاتريد ان تفلتها .. ابداً ..كانت سيادة تصرخ بشوقها واعتذارات طويلة لاتتوقف .. بينما كانت أمها تعانقها بقوة ولاتكاد تفلتها .. لاتقوى حتى على الإنصات لماتقوله ابنتها .. لاتكاد تصدق أنها عادت اليها .. مستحيل ..

أبتعدت بمقدار بسيط تنظر لوجهها للحظات فقط ..

-سيادة ؟؟!!

همست غير مصدقة .. وكأنما ستستيقظ لتكتشف أنها مجرد حلم أخر..

حلم ستفيق منه .. وتجد انها تمسك الهواء بين يديها ..

-سيـــادة !!!

-نعم ماماااا انها انا .. اااه مامااا اشتقت اليكي مامااااااااا..

بكت سيادة بصوت عالٍ وهي تعود لتتمرغ بين ذراعي أمها .. التي طوقتها بقوة وهي تغالب دموع كانت تحاربها لتنهمر .. وهي تهمس بشوقها وعتابها لصغيرتها التي هجرتها ولم تعد اليها ابداً ..

-ماماا..

اعترضت سيادة بضعف لتقاطعها ايفا بحدة مخنوقة:

-لابد انه رمى بك .. لابد انك جئتي هاربة منه كالمرة السابقة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اتسعت عينا سيادة بذعر وهي تحاول ايقاف سيل الكلمات اللاذعة من بين شفتي امها :

-لالالالالا (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) توقفي ماماا

لاتقولي هذا..

نظرت لها أمها بحنق قبل أن تتراجع سيادة وتهمس شاهقة:

-انا لم آتي وحـــدي..

عقدت ايفا حاجبيها .. لتتراجع سيادة وتلتفت خلفها حيث تدرك أنه

سيكون (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ورأته هناك .. واقفاً كجبـل .. بطوله الفارع وكتفيه العريضين تحت

معطف جلدي .. ماردا في جبروته .. مسحت دموعه بأصابعها ..

وركضت اليه ..

استقبل عيونها الدامعة بثورة .. ظهرت واضحة في عينيه (شيوخ

لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لتهمس تخفف منها ألا يقلق ..

أنها بخير..

تمسكت بكفيه .. وشبكت أصابعها بأصابعه القوية .. تستمد

بعض من قوته ودفئه .. شجاعته العارمة والتي تسربت اليها تهدئ

من انفعالها .. أخذت نفساً عميقاً وهي تستسلم لأصابع يديه اليمنى

التي أفلتت قبضتها ومسحت وجنتيها بخفة وهو يأمرها بخشونة:

-لاتبكـــي..

اغتصبت ابتسامة .. وهمست:

-تعال والتقي بأمي ..

نظر لها بصمت للحظات قبل أن يومئ لها ويستجيب لجذبها الرقيق ويقتربا معاً من تلك المرأة التي تقف قبالتهما.. سيادة .. ربما بعد عشرين او ثلاثين عاماً ..

نفس القامة والهيئة .. الشعر الاحمر والعينان الخضراوان .. نفس القوة التي تتمتع بها زوجته .. ولكن هناك شيء ما يحترق خلف العينين .. شيء قديم مدفون .. شيئ لم يرتح له قحطان .. شيئ يتجاوزه .. لأسلافه !!!

-ماما .. هذا ابــن عمي .. زوجي .. قحطان العزب ..

قالتها بفخر .. حملته حروفها الفرنسية شعر بها قحطان رغم انه لم يفهم سوى اسمه .. ولكنه شعر وكأن ثلوج جبال الآلب الفرنسية قد انهارت حولهما .. وقد تحولت عينا المرأة الاكبر سناً الى صقيع .. وهي تنظر للرجل الذي أخذ منها ابنتها ..

حاول قحطان تجاوز مشاعره السلبية .. حاول حقاً ان يرفع يده مصافحاً .. ولكن يده تعلقت بالهواء والمرأة تصرخ بجنون (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) تصيح بكلمات بلاتوقف ..

جعلته يتراجع باندهاش .. بينما سيادة تتوقف بالاحراك .. لاتقوى حتى على التنفس .. وامها تتحول الى شيطانة حمراء.. تنفث سمومها دون توقف ..

قبل ان تنظر لقحطان وتكشر عن انيابها وتصيح بعربية مفهومة:

-اخــرج من بيتي في الحاااال ..

اتسعت عينا قحطان بدهشة وغضب .. واستحال لونه الاسمر لأسود من شدة الغيظ وهي تصرخ بجنون:

-أخــررررررج من بيتي في الحاااااااااال أيها البدوي اللص (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).حينها تحولت الانهيارات الثلجية لبراكين تفجرت بثورة .. تفجرت ولاسبيل يلوح في الافق لإخمادها ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

****

نهايــة الفصل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

شيــوخ لاتعترف بالغزل

الفصل العشرون

***

رآن صمت مخيف في البهو الواسع للفيلا الفرنسية الفارهة ..

وثلاثة أزواج من العيون تلتقي في نظرات مجنونة متفاوتة .. احدها يشتعل بجمر .. والاخرى تتسع بذعر .. فيما توسع الزوج الثالث بصدمة .. سرعان ماتلونت بالغضب العاصف .. غضب لايحده اي قانون .. كان الشيخ .. القائد .. كان قحطان العزب من يُطـرد من بيت عمه .. كان هو من يُلقب باللص .. بالبدوي بكل استحقار ومهانة ؟!

كان يقف مذهولاً أمام تلك المرأة التي لم تترك له بقية أنفاس وخطفتها بكل ماقالته من كلمات مسيئة .. شتيمة .. احتقار .. تكفي نظرة عينيها ثم ذاك الحقد المتأصل في عمقهما .. تكفي الكلمات المهينة التي صبتها على رأسه وهو يطالعها بكل ذهول ..

" أنت .. أنت سرقت ابنتي .. أجبرتموها .. انت وعائلتك الارهابية اختطفتم ابنتي .."

صرخت بجنون لتحاول سيادة التدخل بانهيار:

-ماما توقفي.. ماهذا الذي تقولينه ؟!

نظرت لها امها بجنون دون أن ترد عليها بل عادت تنظر اليه .. ترفع ذراعها مشوحة بالهواء:

-انت اختطفتها .. غسلت دماغ ابنتي .. أيها المجرم .. انت .. ايها الحقير أخذت مني ابنتي ..

كانت تصرخ بقوة .. بكلمات امتزجت بين العربية الجيدة التي تمتلكها وبين الفرنسية الحانقة التي رشقته بها دون ان تفكر حتى.. لم يعرف ماهي المشكلة .. لم يعرف سبب ثورة هذه المرأة ولم يهتم .. ثورتها داست على كل الاعتبارات التي حملها في نفسه لها همشتها بكل سهولة ليحمر وجهه و يزمجر غاضبا وعيناه تشتعل بثورته المكبوته وهو يتحدث من بين اسنانه :

-اخفضي صوتك .. لا احد يعلو صوته على شيخ العزب (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كان صوته غاضباً عاصفاً ملؤه الحنق والصلابة .. واشار باصبع مهدد :

- لاتجعليني انسى من تكونين .. وكونك زوجة عمي .. أحد شيوخ العزب .. ونساء الشيوخ لا تتحدث هكذا امام الرجال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اشتعلت المرأة الباريسية وثارت بها كل آنفة أسلافها وهي ترى مايفعله هذا البدوي الذي لايُسوى .. وتجاهلت ارتعادة قلبها بين ضلوعها والذي لم يكن خوفاً .. ابداً هي لن تخاف رجلاً مثله يكفيها منظر ابنتها الخنوع وهي ترتمي بين ذراعيه تستجديه ان يهدأ ولايفقد أعصابه .. لمعت عيناها بعصبية وهي ترى سيادة التي رفعت كفيها تتشبثان بكتفيه وعينيها تستجديان تعقله هامسة له بضراعة:

-قحطان أرجوك .. لاتأخذ بالاً لماتقوله أمي ..

-سيااااااااااااادة ..!!

صرخت بجنون ليصيح قحطان بعنف أشد:

-لاترفعي صوتك ياامرأة ..

-ماذاااا؟؟

صاحت بذهول ليبعد قحطان سيادة عن طريقه ويتوجه لأمها التي تراجعت بحدة من عنف الهالة التي اقتربت منها بسرعة وقوة وحاولت الحفاظ على رباطة جأشها كي لاتهرب بعيداً عن الهمجية التي تشع منه .. وكأنها في مواجهة أسد غاضب:

-قلت لاترفعي صوتك .. وان كان عمي المسكين قد فشل في ترويض شراستك هذه .. فسيسعدني ان افعل ..

رآن الصمت عليهم بعد كلماته الاخيرة وحماته تناظره بذهول بينما تصاعد نشيج سيادة الحائرة بينهما وهي تكتوي بنارين ..

فمن ناحية تخشى ان تتفوه امها بأي شيئ قد يخرب مابنته طوال الفترة الماضية .. والاخرى .. فهي النار التي تصطلي بين أمها .. وزوجها .. لم تعد تعرف مايجب فعله .. ولكنها لم تكن قادرة على السكوت ايضاً .. ركضت اليه وجذبته من ذراعه هامسة باسمه في ضراعة لتعيد انتباه امها اليها وتصرخ بها بشحوب:

-كيف تغيرتي هكذا؟؟ أين أبنتي ..؟؟ أين سيادتي ؟؟؟

صاحت بألم .. ليقاطعها قحطان بقوة:

-سيادة هي زوجتي .. واذا تواجهين مشكلة في تقبل هذا الامر فهذا هو شأنك .. واياك ان تقللي من احترامي واحترام عائلتي والرجل الذي يأويك تحت سقفه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نظرت له بمرارة وغيظ وهمست بشتيمة فرنسية قبل ان تقول:

-انتم مجرد همج .. تعاملون النساء كأردية .. ماان تسأمون منها حتى ترمونها بعيداً كشيئ قديم .. مستهلك قذر..

عقد قحطان حاجبيه بغضب قبل ان يقول بهسيس يشبه اشتعال النار:

-تلك هي النساء من عينتك أنت مداام .. أما نساء العزب .. فمكانتهن من مكانتنا نحن ..

احتقن وجهها وارتعدت بذعر حين رأته يقترب منها فجأة هاتفاً :

-واذا فتحت فمك مرة اخرى او فكرتى ان يعلو صوتك .. اعدك ان اريكى جيدا المعنى الحقيقى للبدوى الهمجى .. وابتسم بسخرية وهو يضيف :

- وسترين ان شيخ العزب ليس بحاجة لخيمه حتى يعلمك كيف تؤدب العاصيات من نساءنا وكيف نقص السنتهن.

-لا قحطـان .. لا ..

همست سيادة بضراعة وهي تتعرف على قحطان القديم .. الشر الاسود الغارق بالوحشية والنابع من عينيه .. من حركة جسده .. فهد .. حيوان بري متأهب .. أنفاسه الثائرة .. تعرفه وتدرك انه قد فقد كل اتزانه وانه في سبيله لارتكاب جريمة ..

-اماااه توقفي ..

تضرعت لأمها بالمثل وحالت بينهما وهمست لعينيه:

-يكفي أرجووووك .. من اجلي أنا ..

كان غاضباً ..

وأكثر ماأثار غضبه هو عدم معرفته بالاسباب وراء هذه الكراهية ..

لايعرف ماكانت تعنيه بالخطف والهمجية التي تتحدث عنها .. ماذا

تعني هذه المجنونة ..

ولكن نظرة واحدة لعيني زمردته الغارقتين بالدموع .. نظرة واحدة

لملامح وجهها الخائفة .. كانت كافية ليتراجع .. لينزل أسلحته

ويشيح بوجهه مستغفراً بصوت عالٍ .. ويشير بيده بسرعة وقد سئم

كل هذا الهراء:

-هيا .. تحركي سيادة ..

نظرت سيادة لأمها بألم وعينيها مغروقتان بالدموع .. قبل أن تعيد

عينيها لزوجها وتهمس متضرعة:

-قحطـــان ..

-لن نبقى هنا لدقيقة .. هيا ..

شهقت أمها بذعر وصاحت وهي تسرع متشبثة بابنتها:

-لا لا .. لن تذهبي لأي مكان ..

احاطتها سيادة بقوة وهي تنفجر بالبكاء في حين نظر لهما قحطان بغضب وهتف بعجرفة:

-انتهي من وداعك والحقي بي في الحال..

قالها واسرع بالمغادرة لتهتف إيفا بحدة وهي تنظر لسيادة:

-أنت لن تذهبي معه سيادة .. ستبقين معي أليس كذلك؟؟

شهقت سيادة بألم وصاحت بألم:

-لماذا ماااا؟؟ لماذا فعلت هذا؟؟

اتسعت عينا امها بذهول وهي ترى منظر ابنتها الخاضع بلاتفكير وصاحت بها:

-مالذي حدث لك سيادة ؟؟ ماذا فعل بكي؟؟

هزت سيادة رأسها باكية وهمست مختنقة بمشاعرها:

-أحببببه ماااا.. أنا أحبه..

تراجعت أمها بذهول وقد شحب وجهها .. فيما سيادة تواصل شاهقة بالدموع:

-كما أحببت بابا.. أحبه ولاأريد الابتعاد عنه .. أرجوكي ماما..

أرجوكي لاتحطمي قلبي..

جف حلقها .. لم تعرف كيف تجيب ابنتها التي وقفت أمامها تتضرع أن تدعها تحب الرجل الذي تزوجته مرغمة .. كماأحبت هي قبل اعوام عديدة ..

حين وقفت أمام افراد عائلتها الارستقراطية (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) أمها وأبيها .. وقفت بشموخ تعلن عشقها للعربي الغريب.. تحملت النبذ من عائلتها .. المقاطعة التي استمرت لسنوات .. ولم تندم .. أبداً ..

-تحبينه؟؟!!

تسائلت بضعف لتصرخ سيادة:

-نعم أمي .. أنا أحبه كما لم أحب أحداً في حياتي .. أحبه ولايمكنني تخيل حياتي من دونه ..

اتسعت عينا أمها وهمست:

-وعبدالعزيز؟؟ ماذا عن عنه؟؟

اتسعت عينا سيادة بذعر والتفتت خلفها تتأكد من عدم وجود قحطا قبل أن تصرخ بامها:

-لاتقولي اسمه ابداً .. لقد انتهينا من هذه القصة منذ زمن اماه ..

قحطاان هو حبيبي .. أتفهمين ماما.. هو زوجي وحبيبي.. ولايمكن أن أسمح لأحد أن يفرق بيني وبينه..

نظرت لها أمها بذهول فهي لم تعد تملك سواه..

أهذه ابنتها .. ؟؟!!

هذه المتلفحة بالسواد والتي تصرخ بعشقها لذاك البدوي دون حتى أن تتردد .. دون ان تراجع نفسها ..!!

لم تستطع أن تصدق ابداً ..

اقتربت تهزها من كتفيها .. محاولة أخيرة .. قبل أن تسلم .. قبل أن توقن ..

-سيادة بنيتي .. انت هنا في فرنسا .. انت في بلدك .. تستطيع الشرطة وكلنا حمايتك منه .. ان كان قد أرغمك على البقاء معه هناك في تلك الصحراء فهو لن يستطيع اجبارك هنا ..

-ماماااا..

اعترضت سيادة بضجر وهي تكاد تصرخ من عدم فهم امها لم تقول في حين هتفت امها في محاولة أخيرة:

-بإمكاننا ارساله للسجن سيادة .. بامكاننا التخلص منه ..

اتسعت عينا سيادة وهتفت بجنون:

-لالا.. مالذي تقولينه ماما..

ثم اقتربت هاتفه:

-سأموت.. لو حدث لقحطان مكروه سوف اموت .. يكفي ماعنيته حين اصيب في المرة السابقة امي .. يكفي أرجوكي..

-أتحبينه لهذه الدرجة؟؟

تسائلت بشك لتهمس سيادة بهيام:

-وأكثر من هذا ماما.. أنا اعشقه ألاتفهمين؟؟

تراجعت أمها صامتة .. تنظر لابنتها التي بدت وكأنها نضجت سنوات فوق عمرها لتهمس لها سيادة:

-أرجوك أمي .. لاتتخلي عني .. لاتتركيني ..انا بحاجة اليكي الان .. هناك الكثير من الاشياء..

وغصت بدموعها وهي ترتمي بين ذراعي امها التي توقفت حائرة ممايجب ان تفعل.. أتنبذها كما أرادت .. أم .. لاتعرف.. هي حقاً لاتعرف..

-ماما.. انا بحاجة اليكي الان .. لاتتخلي عني..

همست سيادة باكية لتشعر بتحول تصلب والدتها .. احاطة ذراعيها بها .. همهمتها الخافتة انها هنا والى جوارها .. ولن تتركها أبداً ..

نظرت لها سيادة بأمل وهمست:

-اذاً تعالي .. قولي له بأنك أسفة .. أرجوكي ماما..

بدأت عينا ايفا بالاشعال وهي تتخيل نفسها تعتذر لذلك الرجل الهمجي حين هتفت بها سيادة بضراعة:

-انه كوالدي مامااا.. كرامته وعزته فوق كل شيئ ولايمكن أن يتقبل اي شيئ سوى الاعتذار.. ارجوكي..

اغمضت ايفا عينيها ..

لايزال الكثير لديها لتستوعبه .. تريد ان تعرف سر ذلك الرجل الذي يطيح بصواب ابنتها كماطاح عمه قبله بصوابها هي شخصياً .. شيئ ما .. شيئ يجري مجرى الدم ..

تنهدت واومأت لسيادة التي حثتها للتوجه اليه ..

كان ينتظر بنفاذ صبر. وقد حمدالله على عدم صرفه لسيارة الأجرة .. نظر لساعته مجدداً .. تاخرت؟؟

زفر بضيق .. وكاد يدخل ليجلبها حين رأى اقترابها عبر الباب مع تلك المرأة ؟!!!

اسودت ملامح وجهه .. واكفهرت عيناه وهو يواجه المرأة المتوترة والتي كانت تحاول الهروب من عينيه ..

-اصعدي الى السيارة ..

أمر سيادة باقتضاب .. لتبتلع ريقها وتهمس:

-هناك ماتريد امي قوله لك ..

رفع حاجبه بسخرية وهمس متهكماً:

-شتيمة جديدة تذكرتها الان؟؟

شحب وجه سيادة وهزت رأسها هاتفة:

-لا لا ..

ونظرت الى أمها تحثها بنفاذ صبر.. لتزفر تلك بتوتر وتنظر له هامسة:

-لاتغادرا المنزل .. ابقيا هنا..

قهقه قحطان متفاجئاً من وقاحة هذه المرأة التي تطرده حيناً وتطلب منه البقاء في الأخر.. لتسارع سيادة هاتفة:

-وماذا أيضاً ماما؟؟

نظرت لها ايفا بحنق قبل ان تعود بنظرها لقحطان وتقول بحدة:

-أنا .. أنا..

وتلككت الكلمات على شفتيها لتشجعها سيادة بنظرة قبل أن تزفر بضيق وتصرخ:

-انا اسفة لماحدث .. ولكنني فهمت الامور بشكل خاطئ..

عقد قحطان حاجبيه وهو يراقب المرأة التي تبدو وكأنها تعتذر رغماً عن أنفها .. وقال ببرود لايعكس توتره:

-ومالذي فهمتيه بشكل خاطئ بالضبط ؟؟

صمتت ايفا واشاحت بوجهها لتتدخل سيادة تمسك بذراعه:

-سأشرح لك كل شيء حبيبي .. دعنا نصعد الى فوق..

نظر لها قحطان بحدة وهتف:

-لن ادخل الى هذا المنزل مجدداً .. سنذهب الى فندق ..

اتسعت عينا ايفا وهتفت:

-لالا.. لاتأخذ ابنتي .. ارجوك.

نظر لها قحطان بغضب وقبل أن يتفوه بحرف كانت سيادة تترجاه:

-ارجوك قحطان .. لنبقى هنا.. نحن اتينا خصيصاً للبقاء مع امي وسلمى وفراس أم نسيت؟؟

-لن أبقى في مكان لاترغب صاحبته بوجودي..

هدر بعنف لتتدخل سيادة وهي تحيط وجهه بكفيها:

-هذا المنزل هو منزل والدي .. سالم العزب .. عمـك .. لاأحد يستطيع طردك منه .. أرجوك قحطان ..

رأت العناد يشق عينيه فعادت تهمس بضراعة:

-أرجوك حبيبي..

لم يكن يقدر على مقاومة تضرعها بكل قسوة ..

ليس وهي تضغط على كل الازرار الصحيحة .. وكأنه كتاب مكشوف أمامها ..

انه منزل عمه .. وقد تلقى ترحيباً من الاخير ليأتي ويبقى كم مايريد .. وزوجته تلك ان كانت لاترغب بوجوده فهي من عليها المغادرة ..

كما انه هنا لأجل شقيقته الصغيرة والتي لاريب تعاني الامرين بوجودها مع هذه الافعى تحت سقف واحد وعليه الاطمئنان عليها ..

تنهد يومئ برأسه لتهتف سيادة بسعادة بالغة وتعانقه بقوة امام انظار والدتها التي شمخت برأسها واستدارت عنهما بكل حنق .. في حين افلت قحطان من بين ذراعي زوجته هاتفاً بخشونة:

-هل جننت ؟! نحن في الشارع..

ضحكت سيادة بمرح واحاطت بذراعه هاتفة:

-لنصعد فوق اذاً .. سنوضب أغراضنا ونسلم على سلمى وفراس..

توقف مكانه للحظة وهو يبتسم .. ينظر لعينيها اللتان تخلتا عن الدموع وبدتا مشرقتين بألق زمردي خاطف وهو يتسائل عما فعله لتشرق في عالمه بتلك الطريقة البهية ..

-هياقحطاان ..

همست وهي تشده اليها من ذراعه بقوة .. لينفض عنه شروده .. ويتبعها بصمت ..

"المشهد بمشاركة الرائعة سوزان أبوزيد Suze"

***

وأسألُ نَفسي:

لِماذا أُحبُّكِ رَغمَ اعتِرافي

بأنّ هَوانا مُحالٌ .. مُحالْ ؟

ورَغمَ اعتِرافي بأنّكِ وَهمٌ

وأنكِ صُبحٌ سَريعُ الزّوالْ

ورغمَ اعترافي بأنكِ طَيفٌ

وأنكِ في العِشقِ بعضُ الخَيالْ

ورغمَ اعتِرافي بأنكِ حُلمٌ

أُطاردُ فيهِ.. وليسَ يُطالْ

وأسألُ نفسي لماذا أحبُّكْ

إذا كنتِ شيئًا بعيدَ المنالْ

لماذا أحبُّكِ في كلِّ حالْ

لماذا أُحبكِ أنهارَ شَوقٍ

وواحاتِ عِشقٍ نَمَتْ في عُروقي وأضحَتْ ظِلالْ

وأسألُ نَفسي كثيرًا . كثيرًا

وحينَ أجَبتُ

وَجدتُ الإجابةَ نَفسَ السؤالْ

لِماذا أُحبُّكْ ؟!

عبدالعزيزجويدة..

***

حين تتخذ الحياة حولك طابع الجمود .. لاشيئ يتحرك حتى الهواء ..

ذراته عالقة في حنجرتك .. تعرقل أنفاسك وتتسبب باختناقك..

تدريجياً .. حين تصبح الايام مجرد ارقام تتناثر حولك من روزنامة

معلقة على الحائط .. حين تتكالب عليك كل ظروفك .. حتى نفسك

ضدك .. حتى ذكرياتك.. تثور وتعلن عصيانها على النسيان .. تقلب

صفحاتها بداخلك بكل استهتار وكأنها تتعمد أن تقتلك بكل صفاقة .. تتعمد إيذائك .. تحرقك بالذكرى وتكويك ..

تقلبْ في رقاده المستمر منذ يومين لايجرؤ على مغادرة شقته .. لايريد أن يعلن عن وجوده عن استعداده لممارسة حياته بعد كل ماحدث .. بعد كل مااكتشف ومافقـد معه..

كان قوياً وانتهت قوته بطعنة نجلاء لم يتوقعها .. كان طيباً .. مسالماً .. لم يرى في هذا الكون شراً أكثر من مرضٍ فتاك يهتك بروح مريض لاحول ولاقوة ..

لم يؤمن بقسوة البشر .. لم يؤمن بأن بعضهم أشد خطورة وفتكاً من أكثر الامراض قسوة ..!!

تعلم منذ الصغر أن الميكروب يتخذ أشكالاً عديدة .. وينتهج طريقة غريبة للتسلل للجسد البشري.. ويكمن لفترات طويلة قبل ان يؤمن جانبه .. يبني قواعده .. ثم يبدأ بنخر بنية الانسان السوي .. ويدمرها بلارحمة .. يفتك به كمخلوق شرس.. حتى يحطمه .. أو يقتله..!!

والان تعلم ان بعض البشر كذلك..

فيروسات مدمرة تفتك بجسدك وعقلك .. تمتص روحك وتتركك خاوٍ دون سبيل لاملائك ..

مالذي حدث في هذه الدنيا ؟؟ كيف وقع فريسة لتلك المرأة .. كيف وقع اسيراً لها .. ؟؟ كيف؟؟

حاول النهوض .. ولكن جسده كان ضعيفاً .. منهكاً .. القوة التي تلفح بها خلال الفترات الماضية كانت وهماً فهاهو يسقط بعد ان نهضت هي .. بعد ان هربت من المشفى ولم تترك اثراً ..

لايعرف مالذي حطمه أكثر ..مافعلته به ؟؟ أم هروبها منه بتلك الطريقة؟؟

شعوره بأنها يجب أن تعاقب على مااجرمته وماكذبت بشأنه ..

شعوره انها يجب ان تدفع ثمن اخطائها الكبيرة وأنها قد تنفذ بجلدها بتلك الطريقة؟؟مالذي يريده منها؟؟

هنا نهض تثاقل .. نهض يظر الى المرآة التي حملت صورته الباهتة .. وجه أسود مكفهر .. ذقن غير حليقة وشعر مشعث .. ملابس مجعدة لم يكلف نفسه عناء تغييرها ..أشاح بوجهه وانطلق الى الحمام .. وتحت رشاش الماء البارد وقف ربما يطفئ بعضاً من ناره التي تغلي بداخله دون توقف.. أين هي؟؟ كيف اختفت هكذا ؟؟ حتى أمها لاتعرف اين ذهبت .. هكذا فجأة في مساء الأمس .. ذهب لغرفتها دون أن يعرف السبب .. ولاالدافع .. تجاهل تساؤلات عقله المتراكمة الغبية .. وخلع

عنه رداء التعصب الذي جعله يقسم ألايراها أبداً .. وذهب..بوازع انساني .. لايريد سوى الاطمئنان عليها هذا مااقنع به عقله المتشدد.. ليفتح الباب ويجد الغرفة خالية ..وحين سأل أخبروه انهم لم يجدوها منذ المساء..

هـربت..!!

وحدها..

تنهد بحرقة ..

كم كانت صدمته قوية .. تسمر في مكانه حتى ظنته المرضات مجرد عاشق مغدور وظللن يتغامزن حوله .. وهو لم يكن كذلك .. لم يكن عاشقاً .. لم يكن ابداً .. أغمض عينيه بقوة حتى تصاعد اليهما الماً حارقاً ..فتحهما فجأة ..وهو يلهث.. لن يفكر بها..لا.. لن يفعل .. خج مصمماً ان يجعلها مجرد صفحة .. صفحة لن يطويها حتى بل سيمزقها من حياته .. يمزقها ويرمي بها الى القمامة ..كان لديه الكثير ليعوضه .. الكثير من التقارير السريرية لمرضى يتابعهم بنفسه .. أبحاث عليه تسليمها قبل انتهاء سنة الامتياز التي طالت .. مذاكرة وقراءة عليه اللحاق بها ..

ولن يجعل شيئاً تافهاً كتلك المرأة يدمر مستقبله ..

بعد ساعة كاملة وصل الى المشفى .. كانت الحياة مستمرة ولم يتوقف الكون كما كان يظن .

سخر من نفسه ومضى ينغمس مع زملاءه في واجباتهم مصراً على اخراج جنس حواء من تفكيره .. لاعناً اليوم الذي التقى فيه بمن حطمت أحلامه دفعة واحدة ..

-د. علـي ..!!

صوت نسائي مألوف حمل لهفة وتعجب جعله يلتفت بانزعاج ليلتقي العيني البندقيتين لأبنة الراجي وهي تقترب بفرحة هاتفة :

-مرحباً بك دكتور لقد غبت عنا وقتاً طويلاً..

عقد حاجبيه بتوتر وغيظ يتصاعد بداخله يكاد يتآكله وهو يقول بغلظة :

-لم تكن سوى بضعة ايام .. لاداعي لكل هذه الجلبة ..

احتقن وجه الفتاة وهي تنظر له بصدمة في حين واصل هو بذات الطريقة المزعجة:

-ثم مالذي تفعلينه هنا بهذا الوقت ؟؟ أليس لديك جدول محاضرات مزدحم؟؟

تراجعت متلعثمة:

-اخذنا استراحة .. وفكرت بالمجيئ هنا وتعلم ..

-تعلم ماذا؟؟؟

صاح بحنق .. وجهه احمر وعيناه تستشيطان غضباً ..

-انت لاتفهمين شيئاً بعد ودس أنفك بمالايعنيك ولاتفهمين به قد يؤدي الى عواقب وخيمة.. أنت في مشفى ولست في محل تجميل انستي.

ازدادت الصدمة في عينيهاا وكادت تطفر بالدموع قبل ان تسيطر على نفسها بقوة وتهمس بهدوء محاولة الحفاظ على اعصابها المتقافزة :

-أعرف تماماً اين انا .. وأدرك انني لافهم اي شيء بعد ..

وظهرت الحدة في صوتها وهي تضيف:

-اخبرتك انني اتي للتعلم وليس للتطفل دكتور.. وعذراً على ازعاجك ..

قالتها واستدارت بسرعة تعتزم الرحيل ..

شعر وقتها بحماقته .. لاعذر لأن يخرج غضبه او جزء منه على هذه الفتاة التي لم يرى منها سوى كل خير..

-ترنيـــم ..

همس بتوتر .. لتتوقف الفتاة مشيحة له ليتنهد ويتقدم نحوها هامساً :

-اعذريني .. لم اعني ماقلته..

تنهدت ترنيم وخفضت رأسها تشعر بالاختناق .. لم يسبق لأحد ان عاملها بتلك الطريقة .. لم يسبق لأحد أن احتقرها وأهانها بتلك الوقاحة .. وهاهو يعتذر .. كم من الصعب عليها تقبل الاعتذار .. ليست حمقاء كي لا تدرك انه يعنيه حقاً .. ليس ابن العزب من يقدم اعتذاراً لايعنيه .. ولكنها هكذا .. منذ صغرها وهي تجد صعوبة في تقبل الاعتذار .. كانت تجيد اصطناع هذا التقبل .. بل تظهر على وجهها البشوش دوماً ماقد يخدع الناظرين بتفهمها الكامل .. ولكن لا ..

داخلها قاسٍ ك صوان .. لايلين بالاعتذارات الفارغة ..

ولم يتغير طبعها الان .. لازالت كما هي .. تقبلت الاعتذار .. ولم تستسغه .. ابداً ..

نظرت له وأومأت صامتة .. ليقول بسرعة:

-انني متعب ليس إلا .. ويبدو انني لم أجد سواك لاخرج تعبي عليه .. أنا أعتذر مجدداً ..

-لابأس دكتور .. اعتذر ان كنت قد أزعجتك..

قالتها بابتسامة مقتضبة .. عينين جامدتين .. ليواصل هو غير مدرك لجرحها العميق:

-لم لاتساعدين في ملفات المرضى المتراكمة ..

كان يهدف لأن يخرج من الاحراج الذي سببه لكليهما لتهز رأسها نافية وهي تهمس :

-اسفة لااقدر.. انا مشتركة بالفعل مع احدى زميلاتك .. وقد تركتها لوحدها وقت طويل.. يجب ان اعود إليها..

اومأ لها بتفهم وهو يشكر اللّه لهذا فلم يكن قط بمزاج يسمح له بالاقتراب من احد ..

ودعته بسرعة ومضت بطريقها بينما تنهد هو وحاول العودة لماكان يفعله .. يتنازع شعور الارتياح الذي نافسه شعور بالذنب .. ولكن حاول تجاوزهما معاً وهو ينخرط في التدقيق بالملفات .. ليظهر أمامه اسم مألوف ..

"يوسـف الشهري؟؟

أليس هو شقيق عمرو؟؟

نظر لرفيقه وتسائل:

-هل يعمل د. يوسف الشهري هنا؟؟

رفع صديقه عينيه بحماس :

-انه يقوم باجراء عمليات القلب الجراحية بالمجان هنا .. مستغلاً تواجده القصير.. شيء ماشبه بمخيم جراحي يقوده بنفسه .. الرجل طاقة لاتنضب .. انه يأتي بعد الفجر مباشرة ويستمر بالعمليات لقرابة العاشرة او الثانية عشر ليلاً ..

عقد علي حاجبيه وفكر بانه مايحتاج اليه بالضبط ..

-هل يمكن لأي أحد الانضمام للمخيم؟؟

نظر له صديقه بحنق:

-علي ..!! نحن بانتظار امتحاننا النهائي .. مالذي ترجوه من مخيم سيستنزف كل طاقتك .. يجب ان تتفرغ للمذاكرة..

-لايهم .. لاتقلق بشأني .. والان هل باستطاعتي الانضمام لهم؟؟

قالها بسرعة ليومئ صديقه بحنق مشيراً لمكتب قريب:

-راجع مكتب تنسيق البعثات في اخر الرواق ..

نهض علي من فوره .. وبعد نقاش قصير مع المسؤول عرف انه بامكانه الانضمام طوعياً .. وبعد معرفته المكان المخصص لاجراء العمليات الجراحية كان يشد الرحيل له ..

حالما وصل الى القسم كان المكان كخلية نحل .. العديد من الاطباء .. والطلبة .. المشاركين والمنسقين ..

وكان هو هناك .. يقف مبتسماً بإرهاق يحادث مجموعة من الطلبة المتحمسين والذين بدو وكأنما ينهلون منه العلم نهلاً .. ابتسم علي واقترب منهم يقف مستمعاً بصمت ..

أنهى يوسف مناقشته القصيرة مع بضع افراد فريقه الجراحي وصرفهم بسرعة للإستعداد والبدءبالجراحة التالية حين لاحظ الشاب بالخلف وملامحه الساهمة ليقترب منه ويمد يده مصافحاً ببشاشة:

-يوسف الشهري.. هل أنت عضو جديد؟؟

ابتسم علي منتفضاً وسارع لمصافحة الطبيب المتواضع هاتفاً:

-بكل تأكيد دكتور.. من لايريد الانضمام.. انا علي العزب ..ولكنني لازلت طبيب امتياز ولم(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قاطعه يوسف ببشاشة متجاهلاً اخر عباراته:

-علي العزب؟؟ هل تقرب لقحطان العزب ام انه اللقب فقط؟

-قحطان يكون شقيقي الاكبر.

ضحك يوسف ملئ شدقيه وهو يقترب منه محيطاً كتفيه بذراعه:

-اووه لقد شعرت بذلك منذ نظرت الى عينيك .. هل تعرف انك تشبهه.. لديكما نظرة الصقور الجارحة.

تفاجئ علي للحظة وهو يستغرب الحميمية الواضحة لحديث الرجل الغريب والذي التقاه لتوه:

-حقاً؟؟

-بالطبع دكتور .. صحيح انني وشقيقك لم نتفق ابداً على رأي واحد ولكن لن انسى ابداً مافعله لمساعدتنا انا وشقيقي فيمامضى.. والان هل تريد الثرثرة فيما حصل وقتها ام الاستعداد للعمل دون توقف؟؟

-بالطبع العمل.. انه شرف و..

-توقف ..

غمغم يوسف بضجر وهو يجذبه معه الى غرفة التعقيم هاتفاً:

-اعرف انها قد تكون عمليتك الاولى ولكننا سنأخذ الامور بروية..تعال معي دكتور.

توجه علي معه.. وتعقما سوياً قبل ان يدلفا الى غرفة العمليات وشارك بها بكل حماس وهو يشاهد كيف يعمل الجراح العبقري .. مايسترو في مجاله.. كان دائم الابتسامة.. بشوشها بطريقة تجذب كل من حوله.

وبعد انتهاء الجراحة جلسا لتناول الشاي وبعض الشطائر حين تكلم يوسف:

-هناك حالة في قسم النساء علينا الذهاب لرؤيتها .. عمليتها غداً والطبيب النفسي يقول ان حالتها لاتسمح لاجراء اية عملية فهي بحالة اكتئاب شديد.

عقد علي حاجبيه وتسائل:

-وماشأن حالتها النفسية؟؟

تحرك يوسف باتجاه المصاعد وهوعاقداً لحاجبيه وبدأ بالشرح بتفهم:

-المريضة تعرضت لجلطة قلبية منذ يومين.. بسبب صدمة نفسية قوية.. وبعد التشخيص اتضح ان عندها مايقارب من اربعة شرايين قلبية رئيسية مصابة بالانسداد بشكل جزئي بينما لديها اثنان مسدودان بشكل كامل.. هي تحتاج لقسطرة علاجية سريعة ودونها قد تموت.. حالتها النفسية مهمة لأن المعنويات المرتفعة للمريض تساعد بنسبة كبيرة في نجاح العملية .. كما ان عدم استقرارها النفسي قد يكون السبب في اصابتها بجلطة اخرى اثناء الجراحة..

اومأ علي بتفهم بينما يصلان للطابق الذي يحوي العناية الفائقة حيث تُرقد المريضة التي يتحدثان عنها:

-سأحاول أن اناقش أمرها مع الطبيب النفسي الذي يتابع حالتها بينما أريدك أن تتفحص فحوصها بشكل دقيق دكتور.

-حاضر..

وافق بسرعة وبعد القاء التحية على الطبيب النفسي توجه الى الملفات بعد أن عرف في اي سرير ترقد..

توجه اليه بهدوء.. كانت المرأة محاطة بالاجهزة الاليكترونية وعليها خرطوم الاوكسيجين.. والمحاليل لاتتوقف عليها.. تنهد بشفقة وهو لايكاد يتبين ملامحها بسبب شحوبها الذي نافس شحوب الملائات المحيطة بها..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كانت تهيم في عالم ملئه الهدوء.. وذلك الصوت المثير للاعصاب المتمثل بجهاز المراقبة القلبية .. كانت المهدئت التي اعطيت لها تحملها على أجنحة وردية لاتكاد توقعها.. تطفو.. مسالمة لكل ماحولها.. لاتكاد تشعر بذاك الألم الذي مزق صدرها وقتها .. لاتكاد تصدق انها قد عرفت ألماً يوماً في حياتها أقسى وأكثر وجعاً!!

يالله.. تنهدت وهي تفتح عينيها اللتان أُغرقتا بالدموع في الحال وصورة واحدة تحتل تفكيرها.. تحتلها وتتدفق عبر نبضات قلبها.. تملئها من الطرف للطرف.. وتفيض منها بشهقة باكية لاسبيل لها لأن توقفها.. ولاسبيل لأن تحتويها أكثر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)غشتها الدموع ولم تعد ترى من خلالها شيئ..

لم تعد ترى سواها .. العينان العاصفتين اللتان طاردتاها بلاتوقف.. بحرقة وألم صرخت تناديها.. تناجي ابنة فقدتها ولاسبيل لأن تعود لها مهماحدث.. ناديــن..!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نادين ..؟!

ناديـــن(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تسمر في مكانه.. لايصدق ماتسمعه أذناه.. في البداية كانت الكلمة مجرد همهمة لم يفهم معناها قط.. ولكن الثانية كانت بوضوح رصاصة اخترقت صدره ممزقة قلبه بلارحمة..

حاول التحرك نحو المرأة التي لم يتبين ملامحها من قبل والتي صارت الان صورة باهتة لماكانت عليه سابقاً من قوة .. اتسعت عيناه وهو يميز الوجه الذابل للمرأة التي دمرت حياة نادين وتركتها للذئاب..

-أنت؟؟

اتسعت عينا المرأة بذهول.. تنظر له بخوف..

-أين نادين؟؟

تسائل بشحوب .. والأفكار السوداء تجتاحه بلارحمة.. اجتاحه منظرها وهي غارقة بالدم.. معصم ممزق وروح تُزهق ببطئ.. لتشع عيناه بغضب هادر .. وينسى أين هو.. ومايفعله هنا..

اقترب منها وهدر بعاصفة من الغضب شعت من عيناه بقسوة وهو يمسك المرأة ويهزها من كتفيها:

-أين هي؟؟ ماذا فعلت بنادين تكلمي..

-علي؟؟؟ علي مالذي تفعله ابتعد الان..

هدر الصوت من خلفه بقوة وأسلوب حازم بينما شعر بذراع قوية تجذبه بعيداً عن المرأة التي بدأت تهذي وهي تكافح لالتقاط الانفاس في حين تدخل أحد الاطباء ليهدئ روعها ويحقنها بمهدئ من نوع ما .. بينما قاد يوسف علي الغاضب بقوة الى الخارج ليصرخ به:

-هل جننت؟؟ كدت تقتل المرأة المسكينة؟؟

نظر علي ليوسف بعاصفة الغضب التي لم تهدأ بعد وهتف بأنفاس متلاحقة:

-مسكينة؟؟ تلك ليست مسكينة؟؟ تلك المرأة هي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قاطعه يوسف بحزم:

-لايهمني من تكون وكيف تعرفها .. انها مريضة وبين الحياة والموت وواجبنا أن ننقذها لاأن نقتلها.. أتفهم؟؟

نظر له علي بحنق .. لالم يفهم.. انها المرأة التي دمرت حبيبته.. واللّه أعلم مالذي فعلته الان وتسبب بأصابتها بالأزمة القلبية..

مالذي أصاب نادين ياترى؟؟ وأين هي؟؟ اشتعل قلبه بحرقة وهو يتجاهل صوت من غياهب عقله يؤنبه على خفة مشاعره ورهافتها والتي انساقت خلف لاعقلانية قلبه المتوله بتلك الفتاة ونسي أو كاد ينسى كل مافعلته به؟؟

قاده يوسف الى مكتب الطبيب المناوب وجلس معه يسأله بحزم:

-علي ان كنت تعرف المرأة فعليك مساعدتي لنساعدها.

نظر له علي بعينين لاتزالان تحت تأثير الغضب والحنق ليواصل يوسف:

-اخبرني معالجها النفسي انها في حالة اكتئاب شديدة مماقد يشكل سبباً مباشراً لفشل العملية وانتكاستها..

ثم استند على ركبتيه وتسائل:

-من هي نادين؟

-كيف عرفها؟؟

تسائل علي بخشونة وقلبه ينتفض بقوة ليتنهد يوسف:

-المعالج قال بانها لاسيرة لها سوى ابنتها نادين التي لم يجدوا لها اثراً ولم تأتي يوماً لزيارة امها..

-ليست أمها..

هدر علي بغضب لتتسع عينا يوسف بدهشة والاول يواصل:

-تلك المرأة لاتعرف معنى للأمومة ولاعلاقة لها بنادين..

رفع يوسف حاجبيه وأدرك أن الموضوع أكثر تعقيداً مماكان يظن..

-المهم انها تظن انها كذلك.. المرأة تكاد تموت ياعلي ومامرأيته فالعملية حتى لن تصنع اي فارق.. ولكن وجود تلك الفتاة قد يخفف من عذاب المرأة بشكل كبير..

نهض علي وهتف بقهر:

-انا أسف دكتور ولكن تلك المرأة لاتستحق ان تعيش حتى لنحاول انقاذها صدقني.

تراجع يوسف في مقعده ونظر لعلي بعمق قبل ان يهمس:

-أسف حقاً دكتور لأنك تشعر بهذا .. فالطبيب ليس له الحق أن يقرر من يستحق ان يعيش ومن لا.. الطبيب عليه مهمة واحدة وهي بذل كل مابوسعه لتخفيف الام الاخرين .. واللّه وحده من بيده الاعمار.. أتفهم.

احتقن وجه علي بقوة بينما نهض يوسف وهو يهز رأسه بأسف.. غادر علي بعدها .. غادر يشعر بأكثر من الحزن على ماحدث معه.. يريد أن يعرف عن نادين وتقيده كرامته.. تحتجزه بقوة .. وتمنعه من اتباع دقات قلبه والبحث عنها في كل مكان كالمجانين..

مشى طويلاً .. مشى طريقه الى منزله بلاتوقف .. تجاهل المسافة الطويلة وتجاهل الام ساقيه حين وصل الى الشقة بعد مايقارب الساعتين الا دقائق معدودة.. جلس الى الاريكة مهدود القوى وكلمات يوسف تثور بين طيات عقله.. عليه ان يتجاوز المشاعر التي بداخله .. عليه ان يتخلص من الذنب الذي يصر على النخر باعماقه.. عليه ان يجد نادين.. ليس من أجله لا.. بل من أجل تلك المرأة التي قد تموت بين اللحظة والأخرى.. من أجلها فقط..

***

انتهت من توضيب الامتعة وتحركت بهدوء نحو النافذة المطلة على الحديقة.. كان الساعة تقارب الظهر.. والجو أصبح معتدلاً قليلاً عكس ماكان في الصباح البارد رغم ان هواء الجبال البارد يتحين اي فرصة ليقرص.. تنهدت وهي تحاول تجاهل الفطور الذي شاركت به رغماً عنها.. لاتدري مالذي جعلها تغص بكل لقمة تأكلها.. أهو منظر فراس العبثي في حضور مجموعة من الفتيات المائعات ام هو منظر ذاك الذئب الذي لم يدع عينيه عنها.. ولم يترك لها نفس الا تنشقه .. ولم يترك لها لمحة الا والتقطها.. لم تصدق متى انتهى ذاك العرض المثير للغثيان لتهرب وتحتمي بملاذ غرفتها .. شغلت نفسها بعد ان انصرف فراس مباشرة لممارسة تدريباته كماقال..

رأت حينها ومن مكانها ذاك الممر الحصوي والدغل المتشابك الذي اثار فضولها حال وصولها..

لم تكذب خبرا واستغلت الوقت قبل ان يحين موعد الغداء لتنزل وترضي فضولها.. كان القصر شبه خالٍ وعرفت ان لابد الجميع يستعدون للخروج حيث سيتناولون غدائهم في مطعم قريب كماقال سيد المنزل بعد الافطار..

وقفت امام الممر الحصوي بتوتر وهي تجيل بصرها حولها قبل ان تستجمع شجاعتها وتحيط عنقها بشالها وتتوغل فيه..

كان الممر رغم الجو الصحو .. مظلماً بسبب تشابك أغصان الاشجار فوقه مماشكل له سقفاً طبيعياً وظلاماً نسبياً لم تظهر له فجوة في الافق.. ولكنها لم تتوقف لقد عاشت مغامرات اسوأ من هذه في بلدتها وكهوفها المليئة بالحيوانات المتوحشة الصغيرة من الثعابين الى الثعالب والذئاب.. لم تخف يومها ولن تفعل الان.. تغلبت عليها طبيعتها الفضولية المجنونة وتقدمت متناسية انها في مكان غريب وبعيد ولاأحد حتى يدرك مكانها..

رفعت عينيها تنظر الى ابداع اللّه سبحانه وتعالى في تشكيل هذا الدغل وكيف اتحدت الاغصان للأشجار المتباعدة لتقربها بدقة هندسية مثيرة للتعجب والانبهار..

سبحان اللّه الخالق هو كل مافكرت به وقتها وهي تتعمق بتوغلها غير آبهة بعدم معرفتها بالمكان.. والذي كان يشبه بتكوينه متاهة طبيعية مصممة خصيصاً ليتوه كل من تسوقه قدماه لاقتحامها!!

لم تعرف كم مضي عليها من وقت ولم يخرجها من انبهارها سوى لسعة البرودة مع الظلام الذي بدأ يزحف حولها بسبب تشابك

الاغصان المحكم والذي عتم الشمس الساطعة فوقه.. توقفت برهبة تتلفت حولها .. ابتلعت ريقها وتيبست ناظرة الى مايحوطها من خيالات خلعت طابعها الجمالي وازدانت بالخيالات المفزعة والسواد الخالي من الرومانسية التي جذبتها في البداية ..

لم تحاول التفكير أكثر انها ابنة البدو والجبال وتدرك متى تقع في المشاكل وهذه كانت لاتبدو كمشكلة فقط وانما ورطة .. ورطة مريعة زجت بها نفسها دون تفكير..

استدارت بعينين متسعتين تدور على عقبيها لتسلك الطريق الذي جائت منه .. لتتوقف مذعورة بعد لحظات وتكتشف انها تواجه مفترق ثلاث طرق.. اتسعت عينيها وهي تحاول ان تتذكر من اي طريق جائت وكيف لم تفقه لهذه التفرعات قبلاً؟!

حاولت التقدم لتؤخرها خطوة وتقدمها الأخرى .. التردد والشك يلعبان بداخلها لعبة حامية لاتقدر على اتخاذ قرار ولكنها ليست طفلة نهرت نفسها بعنف.. تستطيع ان تقرر بعد التجربة .. تقدمت للممر في الوسط بخطى متعثرة قلبها راجف ولاتكاد تدرك وجهتها حين توقفت مذعورة تستمع لوقع الخطوات المقتربة منها بسرعة .. تراجعت بجزع تتلفت عن مصدرها وقد بدت وكأنها تأتي من كل

مكان حولها ولاتكاد تستقر في مكان.. ولااتجاه حتى.. تصلبت متسعة العينين وهي تتخيل كل مايمكن ان يحدث لها .. وهي وحدها.. في مكان غريب وبعيدة عن الاعين تبعد ملايين الاميال عن عائلتها؟؟!!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لم يتوقع ان تبتعد هكذا..

تلك الحمقاء فضولها سيقتلها يوماً كما القطط؟؟

كان يراقبها كعادته هائماً بتفاصيلها وهي تتهادى باتجاه الدغل الذي يصل بين حديقة البيت الريفي وبحيرة قريبة وكان مهملاً ومتروكاً فنمت عليه الاعشاب وغطته الاغصان بطريقة عشوائية وقد تكون خطيرة حتى انه لم يعد يذكر ان كان يفضي الى البحيرة ام ان الطبيعة غيرت خارطته كالعادة.. ولهذا لحقها..

كان يدرك انها ستضيع وقد تصاب بأذى ما..

راقبها من بعيد ولحقها بصمت كما ذئبٍ يتربص بفريسته ..

حتى رأى غابت عن عينيه في احدى دهاليز الدغل وهنا جن جنونه..

بحث عنها في اكثر من ممر وهي الغافلة التي تعبرها حتى دون ان تنظر خلفها وادرك انها كانت شاردة فيمالايعلمه سواها الا اللّه وحده..

حتى وقع اخيراً عليها ..

كان يركض تقريباً في احد الممرات التي افضت الى فرجة واسعة وراها هناك واقفة تناظره برعب الدنيا متجلياً على وجهها .. توقف يلتقط انفاسه اللاهثة بينما تناظره هي برعب وقلبها يخفق بقوة وبلاتوقف لاعنة غبائها الذي يوقعها في كل مرة بين يديه..

-مالذي تفعله هنا؟

صرخت بشحوب متناسية صلاتها ودعائها قبل ثوانٍ فقط أن ينجيها اللّه.. فكان ظهوره بمثابة استجابة لاتصدق لدعواتها الخالصة؟؟

-بل مالذي تفعلينه انت؟هل جننت لتغامري بنفسك هكذا ودون دليل؟؟ ودون حتى ان تخبري أحد بوجهتك؟؟

صاح بحنق وقلبه يزفر ارتياحاً لسلامتها الظاهرة اذا ماتناسينا خوفها المتجلي من حدقتيها المتسعتين.. واقترب منها نافثاً أنفاسها بادياً لها كثور هائج لتتراجع صارخة بعفوية:

-لاتقترب مني..

توقف بحدة وهتف بحنق:

-أنالن أؤذيك؟؟

كم مرة قالها لها؟؟ انه لن يؤذيها بأي شكل.. ورغم هذا تتصارع فيها مشاعر عديدة ..فهي تأمن جانبه في حين وبنفس الوقت فكلها

ينتفض انذاراً لقربه.. وكأن كل اعصابها تستنفر حال وجوده.. وتهدد سلامها الداخلي بل ترفع نفير الحذر!!

اقترب اكثر وهمس:

-هل تأذيتي بأي شكل؟

نظرت اليه للحظات بحذر قبل ان تهز رأسها نافية ليتنهد ارتياحاً ويشير لها ان تتقدمه مضيفاً:

-اذاً لنعد .. فقد يتأخر الوقت ويحل الظلام وحينها سنكون في ورطة.

اومأت موافقة بحماس قبل ان تنظر للاتجاهات وتعود اليه بنظرات متسائلة ليشير نحو اليسار:

-من هنا..

عقدت حاجبيها بشك:

-اانت متأكد؟

-نعم مداام.. تفضلي..

قال بنفاذ صبر وقد اثارته عدم ثقتها به ولو قليلاً.. لتبتلع شكوكها وتتقدمه وغفلت عن تلك الابتسامة المتلاعبة التي زينت شفتيه وهو يلحقها بخطوات الشيّب الماكرة..

كانت تشعر به خلفها.. كظل جاثم على كتفيها.. أقامت كتفيها وأحاطتهما بشالها بقوة وشمخت رأسها وهي تحاول عدم التعثر والسقوط على وجهها أمامه كالحمقى..

أماهو فقد ظل يتابع حركاتها الخرقاء.. تارة تعدل شالها حولها .. تشد من كتفيها والاخرى ترفع رأسها حتى ظن انها تود الطيران.. كان ينظر لكل هذا مفتوناً .. هذه المرأة تثير فيه كل احساس رجولي يملكه.. يود لو يحيطها ليخفيها عن كل العيون .. اقترب منها وكأنما يريد تنفيذ مافكر به حقاً.. لتنكمش بعيداً وتسرع من خطواتها شعر بطعنة توجهها اليه وغضب جاهد ليسيطر عليه بألايقترب أخذاً اياها بين ذراعيه مولياً بكل اعتباراته في الارض وساحقاً اياها تحت قدميه..

-اذهبي لليسار..

سمعت صوته الأجش يقودها للمر في الجهة اليسرى لتشتعل دواخلها بالقلق وتتوقف بتردد ناظرة اليه ليرفع ذراعه مؤكداً طريقه فتبتلع ريقها وتهمس مشككة:

-ولكنني واثقة بانني جئت من الطريق الاخرى؟؟!!

رفع حاجبيه بتعجب ساخر لتبتلع رأيها وتزفر حنقها وهي التي لاتعرف شيئاً كمايبدو.. تابعت السير كما أشار ربمالدقائق عشر او أكانت عشرين ربما .. توقفت متعبة ونظرت له هاتفة:

-الى متى؟؟

نظر لها دون أن ترمش عيناه حتى وهمس:

-قليلاً بعد..

نظرت حولها بيأس.. كانت تسير وسط غابة الان.. لم يعد الدغل الصغير يحوطها.. بل أصبحت عشرات بل مئات من الاشجار المتعالية للسماء..!!

-لقد ضعنا أليس كذلك؟؟

لم تتحرك عيناه عنها وهمس:

-لا لم نفعل.

بلى لقد ضعنا..

صاحت بعصبية واقتربت ترفع يدها صارخة:

-أخبرتك بأن علينا الذهاب لليمين.. ولكنك تعمدت هذا..

-حقاً!!!

تسائل بخبث باارد .. جعلها تصرخ بغيظ قبل ان تهتف بيأس:

-لما صدقتك يالهي لمااااذا؟؟

هز كتفيه بلامبالاة:

-لأنه لم يكن بيدك شيئ سوى تصديقي..

-هل كذبت علي؟؟

واجهته بعنفوان ليُقصر المسافة بينهما وعيناه تغوصان في دُكنة عينيها:

-لم أحتج للكذب..

رفست بقدمها الارض وصرخت:

-أخرجني من هنا..

قهقه من اعماق قلبه وتراجع ليستند على جذع شجرة باسقة عاقداً ذراعيه على صدره وهو يهمس:

-انني ضائع مثلك..

شعت عينيها بالغضب لينتفض قلبه متجاوباً بينما تشيح عنه وتواجه الغابة التي بدت مخيفة ومظلمة وهي تخبط بقدميها الارض بحنق.. لتتوقف شاعرة بالضياع وانفاسها ثائرة.. لاتريد حتى تصديق مالذي يحدث لها.. انها ضائعة حقاً .. وهذا الوغد..

شعرت بالغيظ وعادت تتجه اليه بسرعة وهي تصيح:

-افعل اي شيئ.. أخرجنا من هنا..

ابتسم ببطئ.. ابتسامة أظهرت خبثاً في عينيه أرادت محوه بقبضة يدها لولا الباقي من تعقلها وهو يهمس:

-قد لااعرف.. وقد نبقى هنا حتى الصباح.

اتسعت عينيها وشحب وجهها وهي تفكر بمايقوله.. وهو يضيف هازاً كتفيه ببرود:

-انت لم تخبري أحد بخروجك وانا لم اجد بداً من اتباعك مباشرة..

واتسعت ابتسامته:

-لاأحد قد يفتقدنا للصباح مدام..

كشرت بغيظ وصاحت:

-زوجي سيفتقدني..

لم تعرف مالذي حدث وقتها.. ربما شيئ مالدغه او رأى ماقد يثير الرعب او الغضب.. ولكن.. فجأة تخلى عن الاسترخاء الذي احتله منذ البداية .. حتى ابتسامته الساخرة تبخرت وبدا وكأنه على مقاعد جمر تشتعل به وتنفث النار من عينيه وتتقد.. تخلى عن وقوفه المسترخي وانقض عليها ليقبض على معصميها النحيلين بقوة موجعة وهو يهمس بحفيف جمد الدم في عروقها:

-وهل افتقدك يوماً من قبل؟؟

شهقت بذعر وتراجعت محاولة التخلص من قبضته ليكشر عن أنيابه كالذئاب وهو يضيف بحرقة:

-هو أبعد مايكون عن التفكير بك حالياً فمابين يديه يشده أكثر ويستولي على عقله.

رأى وجهها يشحب.. شعر بيديها تتجمدان ليس من البرد بل من الفكرة التي أراد توصيلها ولابد انها فهمتها بكل وضوح فقد تحشرج صوتها وهي تسأله بشحوب عما يقصده ليتأكله الندم فقط لرؤية ماعانته.. وتراجع يشيح بوجهه هاتفاً:

-تحضيره للحفل الذي سيقدمه ليلة غد ماذا تظنين؟؟

سمعته يقولها بتوتر ولم تصدق.. لوهلة ترائت لها رؤية زوجها بأحضان امرأة سواها كمارأته قبلها وانتابها الحقد الاعمى والكره..عرفت انه قصد ذلك ..ولم تجرؤ على سؤاله اكثر.. شعرت بالحريق يتصاعد بداخلها ولم تجرؤ على الافصاح.. بل تراجعت وهمست بخواء:

-أرجوك أعدني الى البيت..

التفت لها بحدة وعيناه تلمعان.. البيت؟؟ مالذي تعنيه بالبيت؟؟ بيتها هي؟؟ أم بيته؟؟

اقترب منها ينظر الى ملامحها الخاوية هامساً بخشونة:

-أأنت بخير؟؟

-لالست بخير.

همست باكية.. ليتآكله الندم للحظات:

-لاتبكـــي..

تنشقت دموعها بقوة .. صدتها عن الانهمار ونظرت له بعنفوان هاتفة:

-انا لن أبكـــي.

نظر لها بمشاعر متناقضة بين الاعجاب والغيظ للقوة التي لازالت تتشبث بها.. وترفض فكاكها.. راقب ابتعادها عنه لاحد الطرقات فصاح:

-الى أين تذهبين؟

هتفت بقوة تخفي اهتزازها الداخلي:

-لن أقف مكتوفة الايدي.. سأتخذ اي طريق ربما كان هو الصحيح..

-وربما كان خاطئاً وقد تضيعين مجدداً..

هتف بحنق لتجاوبه بسخرية:

-انا ضائعة على كل حال..

زفر بضيق وصاح بها:

-توقفي..

لم تنصت له بل واصلت سيرها ليدمدم بغضب عن عنادها ورأسها الثخين.. ولم يجد بداً من الاسراع خلفها وهو يفكر بطريقة مُثلى لعقابها.. كان يعرف بأنها تسير في الطريق الخطأ ولم يكن وارداً ان يدلها على خطئها .. ليس الان على كل حال فكر بخبث..

شعرت به يلحقها.. فلم تخفف من حدة خطواتها ولم تخفض سرعتها بل على العكس.. كانت تهرول تحاول استباق الظلام أو ربما الهروب من ذاك الرجل الذي يلحقها كظلها.. ولم تقدر.. كان الممر الذي اختارته يبدو خاطئاً لبعيد.. فهو ضيق والاعشاب النامية تغطيه بشكل يستحيل معه المشي دون خدش نفسك او اصابتها بجروح سطحية حارقة.. كانت تدرك خطئها وتدرك انها لو تعمقت أكثر ربما وقعت بمشكلة أكبر.. لذا توقفت.. زافرة بيأس وهي تلتفت اليه بحرقة:

-انه الطريق الخطأ..

رفع حاجبيه باندهاش وصاح بلوم:

-اهاا وأخيراً اعترفت السيدة المعصومة ببعض خطئها..

ناظرته بكره و مشت بسرعة باتجاه العودة وهي تصرخ:

-لم أطلب منك أن تتبعني فلاتلمني على شيئ.

زفر بحنق وعاود اتباعها صارخاً:

-ربما اذا أنصتي لي لدقيقة ونفذتي ماقوله لماكنت ضائعة هكذا.

توقفت بحدة حتى كان أن يرتطم بها والتفتت له بحذر هامسة:

-هل تعني انك تعرف طريق الخروج وظللت صامتاً طيلة الوقت؟!

لم يشأ ان يخسر تقدمه عليها .. لم يشئ ان يظهر كمراهق عنيد ويصلب رأسه كمافعلتها منذ دقائق ولكنه كان يتوق لرؤية الغيظ في تلك الجبال التي تلوح في عينيها.. وتغلب عليه احساسه بالغيظ وصرخ بتشفي:

-بالطبع اعرف ايتها الحمقاء.. ولم اتركك الا لأمتع نفسي بتخبطك المضحك هذا.

اتسعت عينيها بألم ورأه خلف المقلتين فلم يفهمه وهي تخفض عينيها للحظة قبل ان تقول رافعة رأسها باباء:

-شكراً لك مسيو.. لقد قلت مافيه الكفاية.. ومادمت تعرف الطريق تفضل بالذهاب ارجوك.

اتسعت عيناه بدهشة وهو يعترض:

-لم أقل هذا لتطلبي مني الرجوع وحدي.. سنعود معاً.

رفعت حاجبيها وكادت للحظة ان تنصت لتهورها وقلبها الحانق عليه وترفض اتباعه ولو لأي مكان ولكنها حكمت عقلها .. وبكل هدوء همست:

-أرني الطريق.

نظر لها بتوجس ولم يستدل من دكنة عينيها الغريبة اية افكار ولم يحاول.. بل زفر بضيق وقادها نحو طريق الخروج بخطى متصلبة واثقة.. كرهته عليها.. كرهته بقوة لدرجة انها رشقت ظهره العريض بنظرات سوداء حارقة لوكانت فقط تقتل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) جزت على أسنانها بقوة كادت تحطمها وهو يقودها بكل سلاسة عبر طريق مختصر الى خارج الدغل.. حيث انسبغت عليهما شمس الغروب الساحرة في طريقها للاختباء خلف قمم الألب..

ليستدير اليها فارداً ذراعيه:

-هاقد عدت سالمة..

نظرت له حاقدة وهتفت:

-طبعاً والشكر ليس لك..

اتسعت عيناه باندهاش وكاد يعلق على قلة امتنانها لتفاجأه بتقدمها السريع وقبل ان يخطو اي خطوة كانت تمد يدها بقوة وتنزل بها على صفحة وجهه الذي استحال لونه الابيض الى أسود حارق بالغضب والذهول وهي تصيح بحرقة:

-هذا لأنك تعمدت السخرية بي..

نظر لها بعينين سوداوتين بالغضب أرسلت قشعريرة خوف على طول عمودها الفقري وهي تستوعب للوهلة الاولى مافعلته لتتراجع مذعورة من وجه الشيطان الذي استفحل في عمق ملامحه وقبل ان يخطو نحوها كانت تهرول هاربة وهي تصرخ بفزع..

كاد يلحقها.. بل كان من الاحرى له ان يلحقها ويعلمها الادب على مافعلته به هو .. سيف الشيّب بجلال قدره.. ولكنه توقف.. يحاول ان يخفف من غليانه الداخلي والذي استفحل به بقوة وكفه تلامس موضع الصفعة بحنق.. قبل ان يبتسم بسخرية ويهمس لنفسه بوعيـد:

-ستدفعين ثمن هذه الصفعة غالياً ياجميلتي.. ستدفعينها رغماً عنك..

ثم شد من جسده وانطل خلفها بخطوات متأنية باتجاه قصره الذي بدا يرزخ تحت ظلال المساء الوليد.. بصمت.

***

انتهت من حمامها المعطر بسرعة قياسية وسارعت للخروج الى خزانتها الواسعة والتي احتوت الكثير من الاثواب التي لم ترتدي بعضها بعد وهي تبتسم باتساع وتلتهم التفاصيل التي غابت عنها لشهور .. كفيها تلامس الحرار والاقطان والفرو بشوق ليس له مثيل لقد اشتاقت لحياتها الماضية.. لن تكذب .. هي تريد كل شيء.. تريد حبيبها وتريد ان تعود حياتها كما كانت وأفضل.

تنهدت وهي تنتقي ثوباً من الحرير الماريني للعشاء وناسقته مع حذاء بكعب عالٍ بلون اللؤلؤ..

وبعد ارتدائهما وقفت امام المرآة تعدل من زينة وجهها الخفيفة لتلاحظ وقوفه في مجال المرآة بتحفز.. عاقداً ذراعيه على صدره يظهر الحزم كالعادة في خطوط وجهه الوسيم.. شعرت بقلقه وعدم ارتياحه وخصوصاً بعد علمه بسفر سلمى وفراس..

ولكنها لن تستسلم عليها ان تحاول ان تلين قلبه لايمكنها الاستمرار بالعيش في تلك الصحراء.. يجب ان تحاول ابقاءه هنا معها..

نهضت واقتربت منه هامسة:

-ماذا بك حبيبي؟؟

نظر لها بخشونة لم يقصدها.. انه المكان ربما.. يشعر بأنه مقيد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).. كوحش أدخلوه الى حلبة سيرك ضخم ويأمرونه بتسلية المتفرجين..!!

-لما أنت غاضب..؟؟

همست وهي تندس بين ذراعيه.. تقبل ذقنه بحميمية.. ليتنهد ويقبض بكفيه على كتفيها تحت القماش الناعم:

-لاشيء سيادة.. كل مافي الأمر انني استئت لعدم وجود شقيقتي.. فقط.

عبست هاتفة:

-ولكنها مع زوجها.. أليس هذا مؤشر جيد.. وانها ربما تقضي أجمل أيام حياتها حالياً.

زم شفتيه مستنكراً الفكرة ولايدري مالسبب.. ولكنه قلق بشأن شقيقته الصغيرة وحقيقة انهما لايجيبان على الهاتف لاتعجبه ابداً..

تنهد وهو يعود لزوجته الفاتنة التي همست باغراء شديد وهي تحيط عنقه بذراعيها:

-بصراحة الفكرة تراودني انا نفسي.. لنترك باريس..

همست قريبة منه ليذوب كلياً في زمردتيها:

-لنترك المدينة ونذهب لمكان وحدنا لايعلم به سوانا..

لم يملك سوى نسيان كل شيئ.. والغرق .. الغرق دون سبيل للانقاذ

وهو يهمس:

-والى اين نذهب ياماليكتي..

ابتسمت بفرحة لم تتمالكها للفظ التحبب الخاص جداً .. وأسندت

رأسها على عضلات صدره هامسة:

-الى اي مكان..

رفع وجهها اليه.. يحيط ذقنها باصبعيه ورأسه ينحني يريد امتلاك

شفتيها المغريتين وهي تهمس:

-أي مكان معك.. هو الجنة..

وغابت حروف جنتها في شفتيه.. ولكن سرعان ماابتعدا بحدة حين

تصاعد طرق من الباب نظرت له مدهوشة ليرفع حاجبيه بسخرية

لم تدرك سببها ..توجهت للباب وفتحته لتظهر امها..

شعرت بنظرات أمها الغاضبة تستقر على منظرها المشعث لتعتلي

وجنتيها الحمرة وهي تهمس:

-ماذا هناك ماما؟

-تأخرتما.. جعلتماني انتظر كالحمقى..

قالتها بغيظ لتتعمق حمرة وجنتي سيادة وتخفي ضحكتها هاتفة:

-سننزل في الحال حبيبتي..

هزت امها رأسها بغيظ واستدارت مغاضبة لتهز سيادة كتفيها بضيق قبل ان تلتفت لقحطان الذي كان يقترب منها والبرود يعتلي وجهه فهمست:

-لاتبدأ أنت ايضاً قحطاان..

رفع حاجبه باستنكار:

-وماذا قلت..

زمت شفتيها بحنق:

-لاتحتاج لقول شيئ فهذه التقطيبة تكفي وتزيد.

زفر بحنق لتشيح عنه وتسرع الى تعديل مظهرها قبل ان ترافقه الى الاسفل.. كان العشاء بارداً ومريعاً .. ولم يكن الامر متعلقاً بالطعام قط..

فقد بدأ الامر منذ نظر قحطان الى الطاولة قبل حتى ان يجلس اليها وبنظرة جليدية لحماته المسيطرة قال:

-لاأجلس الى طاولة عليها خمـر..

اتسعت عينا سيادة وشحب وجهها وهي تنظر الى امها التي لايمكن ان تتناول اية وجبة دون نبيذها الغالي.. ولم يسبق لأحد قط ان اعترض منهم..

-انه نبيـذ..

جاوبته ايفا بهدوء شديد.. ليلتزم وقفته دون ان يحرك ساكناً والنظرات بينهما تصيب كل من حولهم من سيادة والخادمتين الفرنسيتين بالقشعريرة.. قبل ان تتنهد ايفا وتأمر احدى الفتيات بازالة زجاجة الشراب المسكر واحضار الصودا بدلاً عنها .. وحالما فعلت جلس قحطان..

بابتسامة مقتضبة .. وتولت سيادة الحديث بمرح.. حاولت واللّه يشهد انها فعلت حتى لا ينتصب الطير بينهم.. ولكن لافائدة وبعد لحظات من الصمت كانت تزدرد طعامها بصعوبة بالغة لاتكاد تطاق..

حتى تفجر الوضع من الجديد..

-سنقيم احتفالاً بعودتك حبيبتي.. لابد ان الجميع متشوق لرؤيتك.

قالتها ايفا بهدوء.. لتتسع عينا سيادة بفرح وهتفت ببساطة:

-وانا كذلك اشتقت للجميع ماما..

-ليس هناك من داعٍ للاحتفالات.

نظرتا معاً لقحطان المكفهر .. واحدة بكراهية تكاد تقتل والاخرى برجاء صامت قابله بجبين مقضب ونظرة زاجرة:

-مالذي تريدينه من هذا احتفال.. الاستعراض امام الجميع؟؟ ولابد ان العديد من اصدقائكم الرجال سيكونون هنا.

-بالطبع.. هناك أصدقائي واصدقائها.. وافراد عائلتنا..

هتفت امها بحنق ليضحك قحطان بهزء:

-شكراً لك سيدتي فزوجتــي لاتظهر على رجال.. ابداااا..

-مالذي تقوله؟؟

-قحطاااان..

همست برجاء بينما صاحت امها بقوة وهي تهب من مقعدها:

-هل ستحبسها بعيداً عن الجميع جارية لك؟؟

نظر لها قحطان من مكانه وهتف ببرود:

-انها زوجتي وان اردت حبسها فسأفعل..

اشتعلت حماته بالغيظ بينما تجاهل هو رجاء سيادة الصامت ونهض مزيحاً كرسيه بفوضى:

-زوجتى لن تشارك باي من احتفالاتك يازوجة عمي.. افعلي ماتريدين ولكنها الكلمة الاخيرة.

نهضت سيادة هاتفة:

-اماه لاداعي لهذا .. قحطان..

ووجهت عينيها المتضرعتين اليه راجية:

-لاتقلق حبيبي هذا لن يحدث..

نظر لها بتصميم وهو يتخذ طريقه لخارج غرفة الطعام:

-ممتاز جداً أفهميها هذا الامر.

راقبته يخرج بقلب راجف ثم أغمضت عينيها بقوة تستعد لمواجهة غليان امها التي شعرت به من خلفها يثور كبركان وايفا تصرخ بجنون:

-لما لاتقبلين يده وقدمه ايضاا..

فتحت عينيها بنفس طويل والتفتت لأمها محاولة الهدوء قبل ان تفقد اعصابها كلياً:

-امي مالذي تحاولين فعله؟

-احاول استعادة ابنتي..

هتفت باستنكار ثم اقتربت منها وهتفت بارتياع:

-انظر اليكي سيادة ولاأكاد أعرفك.. انت امرأة اخرى لاتمت لسيادتي بصلة.. مجرد امرأة تابعة لذلك الرجل البغيظ.

-ذاك البغيظ هو زوجي ماما.

واجهتها سيادة بحرقة..

-من أرغموك على الزواج به.. خدعوك لتتزوجيه..

صرخت امها لتتسع عينا سيادة برعب وتسارع لايقاف سيل الكلمات الغاضبة من فم والدتها هاتفة:

-اششش اصمتي ماما .. اصمتي لاتقولي هذا.

تخلصت ايفا من يدي ابنتها وهتفت:

-مابالك سيادة هل تخافينه الى هذه الدرجة؟

-أنا لاأخافه أنا أحبـــــه..

هتفت صادقة ثم اقتربت تهمس بدموع تغرق مقلتيها:

-وهذه الامور ماما تؤذيني قبل أن تؤذيه..

طالعتها امها غير مصدقة تهمس بذهول:

-وعبدالعزيز؟؟؟

اتسعت عينا سيادة بذعر وتلفتت حولها .. خشية ان يكون قحطان قد سمع او ربما قريب كفاية لتلتقط أذناه الاسم الذي كاد يقتلها

يوماً لسماعه منها هي شخصياً وعادت تلتفت لأمها متضرعة بخفوت:

-لاتذكري اسمه بتاتاً.. لاشيئ يجمعني بذاك الرجل بعد الان لاشيء امي انا امرأة متزوجة وأحب زوجي ولن أسمح لأحد بالحؤول بيننا ابداااا..

راقبتها امها بصمت وعقلها يدور بعنف.. لاتصدق انها تواجد ابنتها الصغيرة لاتفهم سر تعلقها بذاك البدوي الذي اختطفها من وسط عائلتها وحياتها المثالية ورمى بها في صحراء جرداء.. وكأنها مسحورة او منومة مغناطيسياً.. هذه المرأة لاتشبه سيادتها بشيئ.. وكان عليها فعل شيء ما.. كان عليها استعادة ابنتها مهما كلفها هذا الامر.

-حسناً سوسو.. لابأس عليكي..

همست بهدوء نزل على سيادة كماء بارد هدأ من روعها وامها تواصل ببرود:

-سوف لن نتحدث عن عزيز ابداً.. ولن احاول الدخول بينك وبين زوجك.

تفائلت سيادة وابتسمت وهي تستسلم لامها التي جذبتها اليها ملامسة خصلات شعرها المتوهجة قائلة بحنو:

-انظري اليكي سيادة.. انت باهتة وشعرك استطال بطريقة بشعة..

اتسعت عينا سيادة وامها تواصل بلوم:

-اطرافه متقصفة وانظري الى هذا..

صاحت تشير ليديها :

-منذ متى لاتعتنين بأظافرك حبيبتي.. اااوه انت بحاجة لجلسة تجميلية باسرع وقت..

واضافت بحماس:

-سأتصل بسيزار ليحجز لنا موعد مستعجل غدا ونقضي اليوم كله في استجمام خاص بنا نحن النساء مارأيك..

ابتسمت سيادة بفرحة وهي تتذكر نشاطها الخاص وامها في منتجعات العناية بالجسم والشعر كل اسبوع وفقرات من تدليل النفس المبهج.. ولكنها عادت وتجهمت وهي تقول:

-قحطان لن يسمح لي بالذهاب.. سيزار رجل.. وهو..

عقدت امها حاجبيها لوهلة حالما نطقت اسم رجلها ولكنها حاولت ان تتغاضى وهي تعترض:

-ولكنه مجرد خبير تجميل.. اعتبريه كطبيب فقط(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هزت سيادة رأسها بلطف وهي تتخيل ردة فعل قحطان لو طلبت اذنه للذهاب لمنتجع سيزار .. ثم اشرقت ابتسامتها وهمست:

-لنذهب لمنتجع غادة..

-لاااااا هو ليس الجودة نفسها..

اعترضت امها بحنق لتضحك سيادة وتصر:

-بل هو كذلك.. غادة صديقة قريبة مني ومكانها مذهل وهو للسيدات فقط.. سيعجبك ماما..

تنهدت امها ورضخت رغماً عنها لتضحك سيادة بسعادة أكبر وتقبلها بحماس على وجنتيها وهي تؤكد لها انها ستتصل بالمرأة نفسها وتاخذ لهما الاثنتان موعد غداً.. وأسرعت الى غرفتها منتشية بالمصالحة او الهدنة الجديدة مع أمها..

في حين راقبتها ايفا بعينين ضيقتين.. حتى اختفت من امامها قبل ان تتحول ملامح وجهها المسترخية الى غيظ شديد ودون ان تفكر كانت تسرع الى حجرة المكتب وتجري اتصالاً طال تأجيلها له بمايكفي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

تململ في وقوفه على قدميه.. الحر والشمس تدني على رأسه حتى قبعته الرياضية المزجاة على وجهه لم تساعده في التقليل من قوة الشمس التي لم تعر بالاً اننا في مشارف الشتاء وانتصبت مشرقة بكل سطوع ..

كان يقف مراقباً الفتيات الصغيرات بحذر لايريد ان تفوته رؤيتها.. لايريد ان يفقد وصلته التي فطن اليها في خضم تفكيره المضني ليلة امس.. حتى وصل الى قرار المساعدة ليس رغبة منه في مساعدة تلك المرأة ولكنها انسانيته التي لم تفارقه بعد..

سيجد نادين.. وسيأخذها لرؤية امها المريضة التي تكاد تموت.. وأجره عند اللّه.

وبعد التفكير ادرك ان الوسيلة الوحيدة للوصول الى نادين هي عبر شقيقتها الصغيرة والتي كان يعرف الى اي مدرسة تذهب.. وهاهو يراقب بوابة الخروج للمدرسة منذ ساعتين .. بانتظار خروج الفتيات .. كان سيتتبعها ويعرف اين تعيش.. ولكنه قط لم يجهز نفسه لتلك الصدمة..

لم يتوقع ان تكون ردة فعله بتلك القوة حين يراها بل هو لم يخطط لرؤيتها من الاساس لخبطت كل اوراقه حين ظهرت امامه فجأة

تبحث عن شقيقتها وسط فوج من الفتيات الصغيرات كانت تضع نقابا على غير العادة ولكنه عرفها وكيف لايفعل كانت امرأته (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) هاجمته كلمته بقوة صفعته بلارحمة هاجمه مع صورتها تتمايل بذاك الثوب المثير بين ذراعي ذاك البغل ..

لتغيم عيناه وسط بركان من الثورة الحمراء أعماه.. جعله ينفث النار من بين أوداجه ويستدير مشيحاً بوجهه عنها لايقدر على السيطرة على موجة الغضب التي اعترته وكادت تكلفه اعصابه التي جاهد للحفاظ عليها باردة اراد الهروب من هنا والابتعاد.. ولكنه لم يقدر.. كلمات يوسف أوقفته كسد حصين ومنعته من التحرك.. بل انه استدار عائداً لينظر اليها.. رآها تستقبل الصغيرة وتحيط بذراعها بقوة قبل ان تجدا المسير بكل هدوء..

حرك ساقيه بصعووبة.. يريد اللحاق بها لايريدها ان تغيب عن ناظريه ولايستطيع ان يتوقف ولايستطيع البقاء بعيداً أكثر.. تعثرت خطواته وهو يسرع خلفهما لاتكاد عينيه تحيد عن تلك المرأة التي حطمت كل قناعاته تلك التي استولت رغماً عنه على كل تفكيره .. المرأة التي أحب يوماً.. وأصبحت عقدة حياته..

رأها تدخل الى شارع جانبي فحث السير خلفها.. كانت تبطئ.. فحاول مجاراتها.. ابطئ هو الاخر.. محاولاً عدم اثارة انتباهها او احد من الشارع حولهما..

لم تعرف سبب الوخز الذي اصاب عنقها وانتشر كالهشيم عبر مؤخرته نزولاً عبر عمودها الفقري مثيراً قشعريرة باردة على طول ظهرها.. ولكنها ارتجفت.. وشعرت بالوخز يصل لأطراف أصابعها التي التفت بقوة حول كف شقيقتها الصغيرة التي تأوهت ونظرت لها ببراءة هامسة:

-نادين انت تؤلمينني..

انتفضت تنظر اليها متفاجأة وتخفف من ضغط كفها معتذرة:

-اسفة حبيبتي..

زمت الصغيرة شفتيها وعاودت مسيرها بينما خشيت نادين مجرد الالتفات خلفها.. شعرت بمن يتبعهما.. شعرت به وكأنما نظراته مسلطة وبقوة عليها تكاد تخترقها.. وارتجف قلبها بقوة.. انها تعرف من هو.. لابد انه هو ولااحد سواه.. ابتلعت ريقها بصعوبة.. وأسرعت بخطواتها بقوة تجذب اختها خلفها.. حتى كادت الصغيرة تركض

فعلياً لمجاراتها.. ونادين ترتجف وتحاول السيطرة على اعصابها..

تحاول الهروب والاختباء..

رأها تسرع فجأة..

تكاد تلف عبائتها بيدها وتركض في وسط الشارع.. وادرك انها كشفته.. توقف لبرهة ثم قرر المضي قدماً.. أسرع خلفها وحالما رآها تهرب الى منعطف جانبي توجه من فوره خلفها.. كانت تركض تقريباً.. ولحقها..

شعرت بدنوه منها .. شعرته يهيمن عليها بقوة ويده تقبض ككماشة على معصمها الرقيق .. لتصرخ مذعورة وهي تلتفت تواجهه ..

ويتجمد كل ماحولها وهي تغرق في عينيه..

" علي..!! "

همستها بذهول ليصفعه صوتها المبحوح الذي اشتاقه بلاهوادة..

وينزل كغيث بارد على حرائقه المشتعلة ليل نهار فتطفئها.. وانهارت كل الحواجز بينهما وبات الكون لايحوي سواهما.. نسيا المكان.. والرفقة.. لم يعد يرى سوى ذاته.. روحه الغارقة في عمق عينيها.. وذاب.. ذاب في ذاك السيل المترقرق فيضاً منهما الى وجنتيها..

اغتمت الدنيا امامها.. وبات وجهه الذي لم يفارقها ليلاً ولانهاراً يترائى لها وسط غيوم دموعها.. لوهلة ظنته زوج امها هو من يتتبعها.. لوهلة ظنته هو من يلحقها ولذا هربت.. ولكنه كان علي..!!

شهقت باكية رغماً عنها ليفلتها بحركة حادة ويبتعد.. وتتراجع هي تضم اليها اختها ومعصمها الموسوم بلمسته..

لم يتحدث أحدهما لفترة طويلة .. ظلت تنظر له بصمت تحاول السيطرة على دموعها بينما هو يحاول الخروج من افتتانه بعينيها ..

ياالله كم يعشق عينيها..

تنهد بقوة وخفض عينيه هو.. أشاح ببصره وهو يستغفر بقوة علّه ينجو بنفسه.. يهرب بها من سيطرة هذه المرأة الموجعة عليه..

-بحثت عنك طويلاً..

همس بشحوب.. لتتسع عينيها ويجتاحها امل لم تستطع تحجيمه..

وقفز يصارع الحياة عبر عينيها ليقتله هو بحدة:

-من اجل أمك وليس من اجلي..

ضربتها كلماته في الصميم.. هاجمتها بقسوة وجعلتها تهتف بحدة:

-ليس لدي أم..

نظر لها بدهشة لتتراجع قائلة بخفوت:

-تلك المرأة لاتمت لي بصلة ولااريد أن اعرف عنها شيئ.

نظر علي لأختها الصغيرة والتي كانت ترتجف متشبثة بها بقوة قبل ان يعيد عينيه اليها.. كانت دموع عينيها قد اختفت وحل الجمود مكانها.. ليزفر مطولاً ثم يحاول:

-تلك المرأة على وشك الموت.. سيقومون باجراء عملية خطيرة لها يوم غد.. واذا لم تتحسن نفسيتها المتدهورة فهي ستموت لاريب.

سمع شهقة الصغيرة ورأى نادين تسرع لتغطية أذنيها بيدها بقوة وهي ترد:

-قلت لك ان امنا قد ماتت.. وتلك المرأة لاتمت لنا بصلة.

اقترب علي منها وهتف بحنق:

-لاترتكبي المزيد من الاثام نادين.. اذهبي لأمك.. فهي ستموت في كل الحالات.. ولكن لديك الفرصة لمساعدتها وربما تخففي بعضاً من عذابها..

وتراجع هامساً بقهر:

-ربما يخفف من عذابك انت ايضاَ..

ارتجفت بقوة.. وبادلته النظرات الزائغة قبل ان تهمس:

-وهل هناك شيئ مايخفف مافعلته بي؟!

شعر بعذابها.. حين اهتزت نظراتها الجامدة وادرك انها تكاد تقع من طولها.. ولكنها لم تكن تستحق شفقته التي كاد يصبها عليها..

هاجمته صورتها وهي تتمايل بغنج في تلك الشقة.. هاجمته واعمته ولم يعد يرى سواها.. تراجع وحملت عينيه احتقاره وهو يهتف بها:

-مافعلته بك ليس بعيداً جداً عمافعلته بنفسك..

اتسعت عينيها بقوة ليضيف باستهزاء مرير:

-هي باعتك يوماً نادين.. وانت بعت نفسك بعدها كل يوم..

جحظت عينيها برعب وهي تراقبه يتراجع متعثراً بخطواته قائلاً بصعوبة:

-انها تموت نادين.. فلاتحملي عبئاً أخر.. اذهبي اليها .. خففي بعض من ذنوبها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تفجرت دموعها بقوة من عينيها الجاحظتين.. ليضيف هو مخنوقاً:

-والبعض من ذنوبك أنت..

وقبل ان يفقد سيطرته على نفسه أكثر كان يستدير بقوة متجاهلاً صرخات قلبه الموجوع وأفرغ كل مشاعره في خطواته التي حفرت أثارها في طريقه بقوة.. كان يقاوم رغبة عنيفة في البقاء قربها.. مواساتها .. ورغبة أكبر في الهروب.. الابتعاد.. وربما رغبة أقوى منهم

جميعاً بالعودة وهزها بقوة ثم خنقها بكلتا يديه انتقاماً لكرامته الجريحة..

ونادين بالمثل.. حاربت ربة جامحة بالركض خلفه.. الارتماء بين ذراعيه والصراخ له بكل الحقيقة.. بكل ماوراء الستار القبيح.. البوح بمايثقل قلبها ويجرجر روحها ويمرغها بالارض.. تدفقت دموعها بلاحساب وهي تنشج بصوتها.. فقدت السيطرة على ساقيها فالتوتا تحتها لتسقط وهي تضم اختها اليها .. باكية بحرقة.. تحت نظرات المارة الفضولية.. كانت ممزقة.. ممزقة حتى النخاع.

***

انتهى اليوم الخاص بها وامها بطريقة خيالية كانت سعيدة جدا بتواجدها معها سعيدة للتفهم الذي لاح لها في عينيها..

سعيدة لانها عادت ولو لساعات قليلة تعيش حياتها القديمة مع واقع انها ستعود لتجده هناك بانتظارها..

ظهرت السعادة جليا في عينيها وهي ترتدي ثيابها استعدادا للعودة للمنزل تتامل قصة شعرها الجديدة المثيرة وكيف التف حول وجهها بخصلات ناعمة ملتوية تحيطها وتظهر جمال بشرتها الناصعة المنتشية..

وتالقت زمردتيها وهي تهمس لامها:

-سيجن قحطان لرؤية شعري هكذا.

-هو لايستطيع ان يتحكم بكل شيئ يخصك سيادة, عليكي ان تتحكمي به ..

نظرت لامها وكانها معتوهة وهي تنطلق بضحكة عميقة تتخيل كيف يمكن لها ان تسيطر عليه او تفكر حتى بالامر !!

-من يسيطر على قحطان اماه انه شيخ العزب هو المسيطر الوحيد.

تأففت امها ولم تجادل بل استمرت بالنظر الى ساعتها كلما مرت دقيقة او ماشابه لتهمس سيادة بفضول:

- اتنتظرين احدا ماما ؟؟

توترت عينا ايفا وهزت كتفيها نافية وهي تحث ابنتها على التحرك للخارج قائلة:

-لابنيتي كل مافي الامر انني لااريد التأخر.

ضحكت سيادة بمرح وهي تسبق امها نحو باب الخروج لتواجههم شمس الظهيرة المنعشة وتنعكس على ابتسامة سيادة وعينيها حين هاجمتها نوبة مريعة من الدوار لفتها بقسوة كادت معها ان تسقط على الارض (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لولا ان

امسكتها ايفا بسرعة استجابة لصرخة صغيرة انطلقت من بين شفتيها وهي تسألها بذعر عن مصابها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

استندت على امها بضعف وتمتمت:

- ماما اريد العودة اريد زوجي.

تشبثت امها بها بقوة وهتفت بقسوة :

-مالذي فعله بك ذاك الرجل؟؟

لم تحاول سيادة المجادلة بل رافقتها بخطوات بطيئة صغيرة نحو السيارة المنتظرة حين توقفتا معاً على صوت هامس باسمها..

"سيـــادة؟؟"

كان يشعر بالزمن وكأنه عاد للوراء.. لشهور خلت.. ربما كانت سنوات.. فهو لم يشعر بقلبه يدق بكل هذه القوة والعنفوان منذ رحلت عن حياته.

منذ أخبروه انها لغيره.. منذ أخذوها منه.. منذ تلك الليلة التي عرف انها تزوجت سواه!!!

لم يصدق نفسه حين أخبرته ايفا عن عودة ابنتها.. لم يصدق انها رجعت الى باريس.. الى مدينته.. عادت اليه.. ليفاجئ انها جائت معه هو.. ذاك الوغد الذي اختطفها منه..

عاش ليلة سوداء وهو فقط يتخيل انها على بعد حجر منه ..

كل ماعليه فقط ان يركض الى قصر العزب.. يقتحمه ويأخذها من بين يدي ذاك البدوي القذر..

وكم التزمته من قوة ألا يفعل.. أن يلتزم بخطة ايفا ويبقى في مكانه..

االاه كم اخذت من اعصابه.. لم يذق النوم ولو لدقيقة واحدة.. وهاهو منذ الصباح ينتظر خروجهما من محل التجميل.. لم يتأخر هو فقط انتظر وانتظر دون كلل او ملل.. ليراها.. وحالما فعل.. وقف هناك فقط.. يتأملها دون حراك .. هي تغيرت..

فكر بغصة خنقته.. شعرها الجميل اختفى تحت طرحة سوداء قاتمة.. رشاقتها القاتلة احتجبت تحت عبائة بلون القشطة.. شعر بها بعيدة عنه كل البعد.. شعر بها .. أخـــرى !!

رأها تبتعد.. وشعر بساقيه تتحركان بعدها.. لايريد ان يفقد الاتصال القصير الذي يربط بينهما.. وان كان على مسافة.. وحالما اقترب لم يصبر..

"سيـــادة؟؟!!"

ملئَ بالشوق المعذب.. غارقة بالحنين .. كعاشق مغدور وقف ينظر لها بعد استدارتها لتواجهه..

اتسعت عيناها بالمفاجأة.. وتراجعت خطوة محاولة الابتعاد لأميال بعد.. لم تستطع اخفاء نظرة الاستحار التي قفزت لعينيها وهي تراه..

لم يهمها ماذا كان يفعل ومالذي كان يريد كل ماكان يهمها ان يبتعد..

-ابتعد عني..

صاحت بحقد.. بكراهية لتتسع عيناه بقهر ويهمس:

-لاتفعلي هذا سيادة..

-لاتنطق اسمي.. لاتقترب مني والا أودعتك السجن ..

نظر لها بذهول فالتفتت لأمها صارخة بحرقة:

-انت من جاء به؟؟ لن تتوقفي عن هذا اليس كذلك؟؟ لن تتوقفي حتى أكرهك انا بالمقابل ماما..

شهقت امها لتتركها وتتجه نحو احدى سيارات الاجرة متجاهلة صرخاتها الغاضبة وأمرت السائق بأن ينطلق بها عائداً الى المنزل بأسرع طريقة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كانت غاضبة .. دوارها يزداد وهي تجاهد للحفاظ على وعيها.. رأت سيارة عائلتها تتبعها فزفرت بضيق وقهر وهي تحاول تمالك نفسها.. تحاول عدم الاستسلام لمشاعرها الراغبة بشدة بالخروج من السيارة وقتل ذلك المدعو عبدالعزيز امام الكل.. تكرهه.. لاتصدق انها وفي يوم ظنت انها تحبه او تكن له بعض المشاعر..؟؟

..

وصلت السيارة الى المنزل لتغادرها مسرعة وهي تحاول اخفاء غيظها وضيقها..

رأته أمامها.. كان بانتظارها.. شعرت بالامان .. وكأنه وصفة سحرية غريبة لاتصدق.. شهقت بانفعال وهي تسرع للارتماء بين ذراعيه..

-سيادة مالامر!!

تسائل بقلق وهو يحوطها بين ذراعيه لتزفر بتوتر:

-لاشيء انا فقط متعبة..

نظر لعينيها ورأى شيئ ما.. شيء اخر تخفيه عنه.. قبض على ذقنها ورفع وجهها اليه مثبتاً نظراتها عليه:

-مالأمر ؟؟ مالذي يزعجك مليكتي؟؟

ذابت مجدداً.. وبضعف تشبثت بذراعيه هامسة:

-انا .. انا اريد العودة ..لااريد البقاء هنا مجدداً.

عقد حاجبيه بتساؤل لتندفع:

-لم اعد اطيق المكان هنا حبيبي..

-ولكننا اتفقنا ان ننتظر عودة فراس وسلمى وكذلك والدك.

زفرت بعصبية:

-فراس وسلمى لابد يقضيان شهر عسل بعيداً عن كل شيء.. ووالدي سيعود للبلدة بعد شهر فلما ننتظر كل هذا الوقت دون فائدة..

رفع حاجبه الايسر مستنكراً لتسرع برجاء:

-قحطاان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) اعدني للبلدة ارجووك.. لم يعد هنا شخص مايهمني.

"سيااادة..!!

هدر الصوت خلفها بصدمة .. لتلتفت مسرعة وتطالع وجه امها الشاحب وقد سمعت ماقالته ابنتها بوضوح..

-كيف تتخلين عني؟!

شحب وجه سيادة وهي تلاحظ ان امها لم تكن وحدها .. تسمرت وبردت اطرافها وهي ترى عبد العزيز يقف الى جوارها.. يكاد ينقض

على قحطان .. عيناه مسمرتان عليه.. قاسيتين.. جامدتين كعيني شيطان..

في حين فعل قحطان المثل.. لم يأبه لشيئ سوى الرجل الذي رافق حماته المجنونة.. ويقف يناظره وكأنما يعرفه منذ سنوات.. وايقن ان زوجته تقف هنا.. معهم.. وتفجرت لديه مشاعر لم يفهمها.. كنمر.. أسـد جبلي يدافع عن امرأته.. أنثاه.. جذبها بقوة حملت بعض القسوة لتقبع خلفه بينما يقف بمواجهة ايفـا وضيفها الغريب عنه..

-ربما نستطيع حل هذه المشكلة فيما بعد يازوجة عمي..

وثبت عيناه على عيني عبدالعزيز وهو يقول بقوة:

-بعد ان نكرم ضيفك.. ونتعرف عليه.

اتسعت عينا سيادة برعب في حين تبادلت امها وعزيز النظرات بتوتر..

-مابالكم.. هل قلت مايسيئ؟؟

قالها قحطان بتوتر هو الاخر وقد استشعر مايدور حوله من ارتباك..

لتجاوبه ايفا باضطراب:

-انه صديق..صديق العائلة..

زم قحطان حاجبيه وتقلبت شفتاه بامتعاض من نوعية الحياة التي يعيشونها والتي كانت تعيشها زوجته.. والتفت لها هاتفاً بغلظة:

-اصعدي لفوق ولاتنزلي حتى يغادر ضيف والدتك.

تراجعت مبتلعة ريقها بصعوبة.. تتحاشى الالتقاء بعينيه .. تخشى ان تصعد ويقع مالاتحمد عقباه.. وتخشى ان تبقى ويطير صواب قحطان ويفعل ماقد تندم عليه بحق..

وقفت هناك تنظر حولها لاتعرف ماتفعل.. قدم تؤخرها والاخرى تقدمها..

-هيا اذهبي لاداعي للتلكك..

سمعت عبارته الفظة وارتجف قلبها.. سيشك بها.. سيشك بها وهي ليست مستعدة ابداً ان يفعل..

كادت دموعها تطفر من عينيها حين سمعت عبدالعزيز يهتف به بحنق:

-لاتحدثها بهذه الطريقة..

توقف الهواء حولهم في تلك اللحظة.. ارتجفت وبقوة للبرودة التي صفعتها بلارحمة.. والتي تجلت في نظرات قحطان وهو يواجه عبدالعزيز بكل عنفوان.. يفوقه طولاً .. يفوقه قوة.. يفوقه سلطة..

بدا الفتى وكأنه جُرذ بحضرة أسـد..!!

-ومن الذي سمح لك بالتدخل بيني وبين زوجتي.؟؟

ابتلع عزيز ريقه.. لقد سمع الكثير عن شيخ العزب.. سمع الكثير عن الرجل الصغير الذي يحكم قبيلته بيد من حديد .. سمع وسمع.. وكرهه في كل لحظة.. تمنى قتله في كل دقيقة منذ اختطف حبيبته..

وحلم بهذه اللحظة.. لحظة ان يراه.. ثم يوسعه ضرباً.. ولايفلته الا بأنفاس مقطوعة..

ولكــن..

حين فعلها أخيراً ووقف امامه تجمد..

شعر بنفسه يقف امام سيف.. وانما بقوة تفوقه الف مرة ..

كان يقف امام شيخ.. وهو لم يعتد مواجهة الشيوخ..

لن ينكر الرهبة التي اجتاحته.. لن ينكر التوتر الذي شمله من رأسه لأخمص قدميه.. لن ينكر انه اراد التراجع خطوة.. اراد مسح العرق الذي تصفد عنه جبينه.. والهوة التي وقع بها قلبه حين وقعت عيناه بعيني الشيخ أمامه..

ولكن كرامته لم تسمح له.. كرامة رجل عنيد.. عاشق متهور..

-انا اعرف سيادة قبل ان تسمع عنها حتى..

همس بشحوب لتشتعل عينا قحطان.. تشتعل بالغضب والثورة وهو يسمع اسمها من فم هذا الغريب..

رفع يده بقوة.. ليقبض على كتف الرجل أمامه فاجأة الجميع.. تراجع لها الفتى وقحطان يثبته مكانه بقوة وهو يهمس:

-لاتذكر نساء الشيوخ ابداً.. لاتذكر اسم زوجتي على لسانك.. لاتفكر به حتى اتفهم يافتى؟؟

ابتلع عزيز ريقه وحاول التراجع ولكن قبضة قحطان كانت قاسية ومتمكنة والرجل يضيف:

-والان ستغادر هذا البيت دون اي تأخيير.. والا فاني سأحرص على اخراجك منه بنفسي.

-لايحق لك..

هتفت ايفا معترضة ليحدجها قحطان بنظرة صاعقة جعلتها تبتلع لسانها وتصمت.. بينما افلت عزيز من قبضة قحطان وهتف بصوت متحشرج:

-ليس من حقك طردي.. المنزل لإيفا.. وهي ترحب بوجودي..

نظر له قحطان ببرود وهتف:

-انه منزل سالم العزب.. ولاأظن ان عمي يسمح بوجود من هم مثلك..

ضحك عزيز باضطراب.. وشعت عيناه بالكره.. مفكراً انه لم يعد يأبه بالخطط.. لم يعد الامر يهمه..

كل ماكان يريده هو رؤية وجه قحطان وتلك الكرامة والقوة والاباء التي تشع من عينيه حين يعرف من يكون هو.

-عمك سمح لي بالكثير من الاشياء ووجودي في منزله ليس سوى تحصيل حاصل.

اتسعت عينا سيادة بقوة وارتج رأسها بقوة وهي تسمع مايقوله هذا الوغد في حين اشتعلت عينا قحطان اكثر وزفر بغضب وهو يلتفت لزوجته هاتفاً بحقد:

-اصعدي لفوق..

شهقت متفاجأة وتراجعت بحدة وهي تسمع اعتراض عزيز الحقود:

-لالا.. لن تصعدي الان سيادة ويفوتك المرح.. لايزال الكثير بيننا لنناقشه.. الكثير لنقوله ونحكيه..اليس كذلك؟؟

همست بشحوب:

-لاشيء بيننا .. ابداً..

عقد قحطان حاجبيه بقوة وهو يغرق بدوامة بين التيار الذي انبثق بين الاثنين.. ورأى النظرة التي يرمق بها ذاك الرجل زوجته.. وبالكاد

تمالك نفسه ليرى نظرتها المذعورة وهي تناشده بصمت.. حتى تحول صمتها لحروف مبعثرة.. وهي تحاول الاقتراب منه بخطوات متعثرة..

-قحطاااان.. لاتصدقه.. قحطاا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) اا.. اااه..

وقبل ان تصل اليه.. كانت الجدران العالية تسقط وبقوة.. والارض تحتها تهوي.. وتهوي..

سمعة صرخة أمها.. وشعرت بذراعيه القويتين تتلقفانها.. صرخت باسمه بلوعة.. علّه ينقذها من الظلام الذي سقطت فيه.. ولكنها لم تنجو..

كانت تغرق اكثر واكثر.. حتى فقدت كل احساسها بمن حولها تماماً..(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

" انها تحتاج لراحة فقط.. "

نظر قحطان للطبيب الخارج من غرفة المشفى بنظرة سوداء..

قالها الرجل بالانجليزية.. فهمس له قحطان:

-مابها؟؟

-انها حامل.. ولابد انها اجهدت نفسها بصورة كبيرة هذا اليوم..

"حاااااااامل؟؟؟"

صاحت امها بجنون.. دفع الطبيب لينظر لها بحيرة بينما قال قحطان بهدوء:

-ألم تخبرك انها حامل؟؟ هذا غريب؟؟

نظرت له ايفا بشراسة واقتربت تصرخ:

-مالذي فعلته بابنتي.. ؟؟ مالذي فعلته بها؟؟

كان الصداع يفتك برأسه ولم يكن في مزاج قط ليتحمل كلام تلك الافعى الرقطاء.. رفع كفه بسرعة وهتف:

-اصمتي.. لاتتحدثي معي.. فقط غادرينا.. سأبقى انا معها حتى الصباح..

نظرت له بكراهية بحقد اعمى قبل ان تقرر انها فعلاً قد فقدت ابنتها .. على الاقل .. حالياً..

استدارت بسرعة وتركت المكان.. في حين تراجع قحطان وهو يحمل رأساً مثقل بالألم .. ألم غريب عصف به وجعله يرى الدنيا أمامه بلونين.. أبيض وأسود..

وكأنها صورة فوتوغرافية قديمة.. ماحدث اليوم.. لن يترك ذاكرته قط..

سقوطها ذاك بين ذراعيه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

جعله يدرك حقاً انها تعني له الكثير.. كم يخشى عليها ويخااف

عليها حتى الموت.. وكأنما ماتت بين يديه.. باردة كالثلج..

اغمض عينيه للحظة.. رباااه لو خسرها..

ماذا حدث لك ياشيخ.. ماهذه المشاعر التي أضعفتك..

مالذي يسيطر عليك ؟؟

تنهد وهو يدخل اليها.. يقترب لرؤيتها ممدة وسط الاغطية البيضاء

وشعرها بالقصة الجديدة يحيطها كشمس غاربة.. ابتسم بحنق..

هذه الصغيرة.. سيعاقبها وبشدة على قصتها هذه..

كان يحاول الخروج من دائرة الشكوك التي هاجمته وبقسوة.. نفض

رأسه يحاول ا ينسى ذاك المخلوق الذي لم يعرف حتى اسمه..مالذي

كان يجمع بينه وبين(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

لم يقدر حتى على التفكير بالاحتمالات.. كانت الاحتمالات مرووعة..

تنهد وهو يلامس وجنتيها ليدرك انها مبللة بالدموع..

كانت تبكي..!!

"سيادة؟؟!!"

همس وهو يمسح دموعها بأصابع مرتجفة رغماً عنه.. سمعها تشهق.. ورأسها يتحرك بقوة على الوسادة.. كانت ترى كابوساً..

حاول تثبيتها بيديه.. وهو يهمس لها مطمئناً.. يهمس لها ان تتعوذ من الشيطان وتستيقظ..

بل حتى جرب ان يقترب ليقبل رأسها.. وجنتها.. حتى شفتيها..

ولكنها كانت كالمحمومة..

تتقلب بين يديه وترتجف.. نهض حينها ليستدعي الطبيب علّه يستطيع مساعدتها.. اشاح عنها بتوتر يحمل الكثير من خوفه..

قلقه..

"اه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)"

هاجمته تأوهاتها.. محملة بفيض من دموعها ..

"لاااا.. لاتتركني(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)."

"لاااااا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)"

صاحت باكية.. تشوح بيديها.. ليعود نحوها .. يمسك بيديها

ويهمس لها بدفئ:

-لاتبكي سيادة.. لاتبكي ولاتخافي انا هنا..

"لاا"

هتفت بضراعة.. لاهثة وكأنها تركض في سباق محموم.. لن تنتهي منه ..

"لاااا.. "

"عبدالعزيز(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لاااااا"

حينها توقف .. توقف عن المواساة.. عن القلق..

توقف عن الاستماع لها والدنيا تحيطه بظلام لم يُخلق له نور بعد..

تراجع .. متخلياً عن كفيها وكأنما يلامس حية رقطاء.. توقف وهو يناظرها بذهول.. تناجي ذاك الرجل.. عبدالعزيز..

عبد العزيز؟؟؟ من(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟؟

عبدالعزيز..!!

هو؟؟ لابد انه هو..؟؟؟

شعر بالصداع يجتاحه أقوى.. وأقوى..

لفته صاعقة لاترحم.. لفته وضربت بجسده وعقله عرض حائط ..

صاعقة انفجرت في اعماقه.. صرخ لها بوجع.. حاول ان يتماسك ولكنها كانت اعنف مماقد يتحمله بشر.. سقط على ركبتيه..

يحاول احتواء الالم بين صدغيه ولكنه كان يتفجر بلارحمة..

"-عبد العزيــز ..

همست بجنون .. بخفوت .. بالكاد غادرها صوتها .. ممتزجاً بدموعها ..."

" كان يغلي .. داخله يثور كبركان ..

لو قتلها الان .. لن يشفي غليله ..

لن يطفئ تلك النار التي تستعر بداخله .. ابداً .. ابداً ..

صرخ مجدداً .. وضرب الجدار بقبضته .. بقوة كادت تحطمها"

"اذا ماكنت تظنين انني سأتركك لتعودي لذلك الرجل .. فأعيدي حساباتك ايتها السافلة الصغيرة .. سأقتلك قبلها سيادة .. سأقتلك واطعم جثتك القذرة للكلاب .. أتفهمين؟؟"

هاجمته الذكريات بقووة ..

لم تتركه .. بقيت تصارعه بلاهوادة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

" لم يعد يراها تلك المرأة الفاتنة كما كانت بل أصبحت مجرد وساخة .. لايقدر على أن ينظر اليها دون تغضن وجهه بالامتعاض منها .."

" سيـادة ..

يالهي كم أسقطت كل معاييره .. كم حطمت تلك الحصون حول مشاعره .. فكت قيود أحكمها حوله لدهور .. بسطها أمامها كي تدوسها بقدميها كما تشاء..!!

وقد فعلت ..!!

تلك المجرمة ال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فعلت بلااستحياء..

حطمت كل شيئ .. دمرت كل ماحلم به .."

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اااااااااه..

صرخ بوجع وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما .. والذكرياات تعاود صفعاتها بلارحمة..

" ليس الشيخ قحطان العزب من يفقد نفسه للشيطان .. وليس لاجل امرأة مثلها ..

عاد شعور الغثيان يجتاحه .. كم كرهها في تلك اللحظة .. كم أثارت فيه من اشمئزاز .. كم رغب بغسل قذارتها عنه بأي طريقة"

"أنا لن اعشقك يابن عمي ولو كنت أخر رجال الأرض.. "

"أنا لن اعشقك يابن عمي ولو كنت أخر رجال الأرض.. "

"أنا لن اعشقك يابن عمي ولو كنت أخر رجال الأرض.. "

"حاامل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟؟

حامل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اتسعت عيناه بذهول صرف .. والاصوات كلها حوله تختفي .. والمناظر

كلها تختفي .. ويحتل السواد عالمه .. ويسيطر عليه بالكامل ..

زوجته حامل؟؟

زوجته التي لم يمسها قط .. حاامل ؟؟!!!"

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

فتح عينيه برعب..

صداعه يتحول لمعركة .. كل شيء يتزاحم امام عينيه..

كل الذكريات تعود وكأنها هجوم ضارٍ لمفترس متوحش..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

" تصاعدت في عقله اللعنات وهو يصب جام غضبه عليه ..

تغويه ..

الفاسقة الصغيرة تنوي انهاء مابقي من تعقل وصبر في عقله وفعلت

المستحيل لتغويه ..

ولكنك أقسمت قحطان .. أقسمت ألا تمسها ..

تصارع العقل والعاطفة بداخله .. كاد يتركها .. خفف ضغطه عنها ..

يريد أن ينتزعها منه .. من عقله وقلبه .. يريد أن يشفي رغبته

المجنونة بها بقدر مايريدها خارج حياته الأن وفي التو ..

ولكنه لم يقدر..

ازداد تشبثه اليائس بها .. كانت زوجته بحق اللّه .."

" أحاطت وجهه بكفيها وهمست باكية:

-لم يكن هناك أحد من قبل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد

قائد)

لم تتلعثم وهي تنطقها .. لم تشعر بالغضب والألم وهي تدفع ببرائتها أمامه للمرة الأخيرة .. لم تشعر بالحقد ولا الكره .. كانت تتوسله أن يصدقها .. في كل حرف من حروفها .. كانت تتوسله ان يصدقها .."

" ساحرته الصغيرة .. كانت بريئة!!!"

" ساحرته الصغيرة .. كانت بريئة!!!"

" ساحرته الصغيرة .. كانت بريئة!!!"

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

فتح عينيه بلون الدماء.. نهض بصعووبة.. واقترب من سريرها.. كانت قد عادت لنومها.. لم تكن تتقلب في كوابيسها بعد.. كانت هادئة.. ومن عينيه المشتعلة كالجحيم.. رمقها بنظرة كادت تمزقها لقطع.. وهو يهمس من بين شفتين ممزقتين بالألم..

-كابوسك لم ينتهي بعد سيادة..

وأخذ نفساً عميقاً .. كتمه بأعماق صدره وزفره بتهديد ارسل قشعريرة باردة الى اطرافه :

-لقد بدأ للتو..

كان يكلمها.. وعيناه غارقتان بين سطور جهنمية لرسالة كتبتها في غمرة يأس..

رسالة حطمته مرة ..

ويبدو انها تعود لتحطمهما معاً.. وهذه المرة.. لاسبيل لمحو كلماتها المسمومة..

لاسبيل لها ابداً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

الى اللقاء في الفصل القادم ان شاءاللّه

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الحادي والعشرون

***

توقف المطر اخيرا وانحسرت الجريانات الصغيرة التي تكونت على قارعة الطريق الترابية بفعل القنوات التي تصلها مباشرة لتروي الاراضي الزراعية المنتشرة في كل مكان.

لم يكن المطر في هذا الوقت من العام مألوفاً ولكنه الاحتباس الحراري والرطوبة غير المعقولة والتي فجرت الكثير والكثير من التغيرات المناخية ولعبت بالاجواء بطرق عشوائية غير متوقعة، وفي تلك الليلة وبعد توقف المطر سمعت صوت صغيرتها الباكية بخفوت.. توجهت لها بسرعة والتقطتها من على الفراش الصغي هامسة لها بحنان:

-لاتبكي حبيبتي.. انا هنا الى جوارك.. لاتبكي..

نشجت الصغيرة بألم وحرقة ارسل آلاف منها الى امها التي بدأت تشعر بالجزع على طفلتها ومضت تهزها بذعر:

-فاطمة ياعمري.. مالذي أصابك؟؟ هل تتوجعين؟؟ هل قرصك شيئ.؟؟ تكلمي..

-بابااا ..

تحشرجت الطفلة ونظرت لأمها بألم ودموعها تغرقها:

-أريد بابا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اتسعت عينا الجوهرة وشحب وجهها وهي تواجه عينا ابنتها الغارقة بالدموع واللوعة.. وتحاول هدهدة نشيجها بضمها لصدرها بقوة قد تسكتها ولكنها لم تفلح ليزيد الطين بلة صوت تصاعد من خلفها يهمس بارتجافة:

-اين هو بابا ياامي؟؟

التفت لقحطانها الصغير متفاجأة استيقاظه لتراه وقد جلس على حافة فراشه يناظرها بعزم رغم عمره الصغير جدا.. وارتجافة صوته المنبئ عن بكاءه الوشيك جدا.. لتقترب منه وتضمه هو الاخر هامسة بصوت تحشرج من فرط انكساره:

-مابالكما انتما الاثنان.. بابا مسافر كعادته..

تخلص قحطان الصغير من ذراعها بقوة غريبة ونظر لها بتصميم وهو يهمس:

-لاهو ليس مسافراً.. الاولاد اخبروني انه محبوس(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

جحظت عينيها بذعر فيما فاطمة ترتجف وتهمس بوجع:

-قال الاولاد ان خالي قحطان حبسه وسيقتله ماما..

-لالالالا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نفت بقوة وجاهدت للسيطرة على فيض دموعها الذي انهمر على وجنتيها وهي تدافع عن شقيقها من نظرات ولديها اللائمة:

-خالكما قحطان لم يفعل لأبيكما شيئ من هذا لاتصدقا كل ماتسمعا.

اعتدل الصغير وسأل باهتمام لاح في عينيه الضيقتين:

-حقاً ماما؟؟

انفرجت اساريرها وقد لاح لها التصديق في تلك العيون البريئة:

-بالطبع حبيبي..

-اذاً اتصلي به..

هتف بحزم ليعود وجهها الى شحوبه وتتراجع مواجهة عينيه اللتي امتلأت حزماً وهو يصر:

-اتصلي به ودعينا نسمع صوته ماما.

-ولـ.. لكنني..لاا..

تلعثمت لتواجه النظرات اللائمة قبل ان تنهض مرغمة وتلتقط هاتفها بيد مرتعشة لتلاحظ اتباع الطفلين لها باهتمام ولهفة..

عصرت الجهاز الصغير بيدها بقوة قبل ان تهمس لهما

-قد لايجيب على الهاتف ياصغيري.. انت تعرف ابيك وكثرة مشاغله.

لم يجبها الصغير بل تعلقت عيناه بيدها التي بحثت عن الرقم ببرود وهي تدرك النتيجة المسبقة وتدرك ان لاأحد سيرد عليها ..

ولكنه حدث ..

شهقت بقوة وتراجعت تنظر للهاتف برعب وهي تسمع الصوت

الكسول يتسائل عمن يتصل بمثل هذا الوقت؟؟

نظرت الى لارقم مجدداً وكأنها تتأكد من انها تتصل بالرقم الصحيح وكان فعلاً.. لتعاود نظرتها المرعوبة الى الهاتف.. لم يكن بالطبع صوت زوجها.. لم يكن ابداً.. من يكون؟؟

-السلام عليكم.. من يتكلم؟؟

عاود الصوت مجدداً.. وان كان الكسل لايزال يتحكم بنبراته ولكن اجتاحه بعض الاهتمام.. لتهمس له بذهول:

-من أنت؟؟

عم الصمت قليلاً.. سمعت حركة مرتبكة.. لم تتعرف عليها قبل ان يعود الصوت مجدداً ولكن باهتمام أكبر وجزم:

-انت من تتصلين ايتها السيدة..؟؟ من تكونين أنت؟؟

عاودت النظر للهاتف ولم تفهم.. نظرت لطفليها اللذان كانا يناظرانها بترقب.. ودون انتظار لدقيقة اخرى كانت تغلق الهاتف بسرعة وتنظر لصغيريها هاتفة بخشونة:

-لقد اغلق الخط..

علت الخيبة وجهيهما وتقدم قحطان منها هامساً بلهفة:

-هل قال لك متى سيعود ماما؟؟

عقدت حاجبيها ومشاعر عديدة تجتاحها تتراوح من الفضول الى ذروة الغضب وهي تتذكر الصوت المتمهل والذي يطالبها بتفسيرات دون وجه حق:

-لاأعرف.. ربما سيتأخر لفترة طويلة هذه المرة..

ثم تنهدت بقوة واستدارت لتواجه الطفلين بحزم:

-والدكما مسافر في رحلة عمل كعادته.. ولن يعود قريباً.. واي شخص يقول لكما عكس ذلك فهو كاذب ولااريدكما ان تستمعا اليه بتاتاً.. اتفهمان..؟

اومأ الصغيرين لها بخوف.. وقد لاح لهما الغضب الذي تفجر في عروقها قبل ان تأمرهما بالذهاب الى الفراش بسرعة.. في حين قبضت هي على هاتفها بقوة وداخلها يشتعل بالفضول والارتباك .. لاتعرف ماحل بهاتف

زوجها ولاتعرف سوى قحطان لتسأله عنه وهو ليس هنا.. في حين كان الاضطراب يتآكلها.. بكل معنى الكلمة وكل مافيها يعتزم عدم ترك هذا الامر يفلت من بين يديها.. عليها ان تفهم.. بأسرع وقت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

وهناك .. في الطرف الاخر على قمة أحد أبراج المدينة الغافية في تلك الساعة.. نهض يطالع الهاتف بعقدة حاجبين لازمته لسنوات.. منذ استلم الهاتف للتحقق منه ومافيه من ارقام قد تكون مشبوهة او ذات صلة بالقضية التي يتابعها لم يتلقى عليه اي اتصال وكأنما مات من كان له.. وقد نسيه تقريباً.. حتى الان..

نهض يشد ذراعيه فوق رأسه بقوة.. لقد استغرق بالنوم في مكتبه.. كالعادة حين تؤرقه قضيــة ما ..

نظر لساعته التي تجاوزت الواحدة صباحاً بمراحل.. دعك عينيه بفوضوية قبل ان يلملم اغراضه المبعثرة ومفاتيح سيارته .. ليلقي نظرة على الهاتف قبل ان يأخذه بدوره بدافع خفي ..

ومضى الى منزله ..

***

تقاذفتها الامواج بقوة .. وشعرت وكانها تغرق وتغرق في محيط مظلم .. لاتكاد ترى فيه حتى اصابع يديها.. كانت تتخبط ,, تحاول الوصول لشيئ ما ولاتكاد تمسه.. لاتكاد تقدر.. خنقها شعورها بالعجز.. بالتكبيل..

شهقت للهواء فامتلأ فمها بالمياه.. مياه سوداء.. حالكة..

ملأتها بظلام لم تقدر على الفكاك منه ..

وحالما اغمضت عينيها واجتاحها شعور عارم بان الموت قادم لامحالة..

انتهى كل شيئ..

كانت تقف وحدها هناك ..

في صالة منزل والدها الفاخر وسط باريس.. تقف عاجزة .. تنظر له.. زوجها .. حبيبها.. يقف هناك بعيداً عنها.. ارادت الركض اليه والارتماء بين ذراعيه.. فتحت شفتيها لتصرخ باسمه.. ولكن!!

قدميها كانتا ملتصقتين بالارض.. شفتيها لاتتحرك.. وصوتها وكأنما يجثم عليه حجر..يحجزه ..

اتسعت عينيها بذعر وامتلأت بالدموع وهي تراه يشيح عنها .. يبتعد بخطى سريعة ولاتقدر على اللحاق به..

صرخت بصمت.. صمها صوت صراخها الداخلي حتى كادت تهلك!!

ثم رأته.. يقترب خلسة.. يتسلل بحثاً عنه.. عن حبيبها.. جحظت عينيها وهي تراه يستل خنجراً صلداً.. وبكل الغدر والحقد الذي يتشرب داخله كان يهوي بالخنجر بين كتفي زوجها.. وهنا لم يعد صوتها صامتاً لم يعد محتجزاً .. تحرر منها وهي تنادي بيأس:

-لالالالا.. عبد العزيز لالا..

حاولت تحرير قدميها المشلولتين.. حاولت التحرك جاهدت لتسرع اليه.. لتوقفه ..

"عبدالعزيز لالا" ..

هتفت بعلو صوتها .. وقدميها تتحرران بقوة لتقفز محاولة انقاذه.. وتصل ذراعيها اليه وتغوصان في الهواء.. لتتسع عينيها بقوة وذعر.. وهي تفتحهما بحدة لتواجه الظلام..

غارقة بالعرق.. كل جسدها منهك مرهق وكأنما كانت في حالة نـــزع روح مهلكـــــــــة!!..

"قحطاااان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) قحطاااااان"..

همست بصوت جاف.. ملتهب.. قبل ان تعاودها ذكرى ماحدث في بهو منزل عائلتها قبل ان تفقد وعيها.. لتغرقها الدموع بقوة.. وتصرخ بألم:

-قحطاااااان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

حبيبيييي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-انه ليس هنا..

انتفضت بقوة للصوت الذي قطع خلوتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ماما؟؟!!

اقتربت ايفا من ابنتها التي كانت تصرخ باسم زوجها دون توقف ورغم كراهيتها له ولكل مايعنيه في حياتها فقد شعرت باحساس غريب وهي ترى كمية الحب الذي تكنه له ابنتها!!

-كيف حالك سيادة؟

همست بارتجاف لتتجاهل سيادة السؤال وتهتف بلوعة:

-أين هو؟؟ مالذي حدث؟؟

-لاأعرف اين هو لقد خرج .. ذهبت لأحضر لك بعض الملابس وحين عدت لم أجده ..

اتسعت عينا سيادة بذعر وهمست:

-هل.. هل عرف بأمر عبد العزيز..؟؟

-أهذا كل مايهمك ؟؟

هتفت باستنكار لتصرخ سيادة:

-هل أخبرتموه بأكاذيبكما؟؟

اتسعت عينا امها وهتفت:

-لا لم نخبره بشيء ..

انتابها ارتياح غامر.. ارتياح تفجر من عينيها بدموع غزيرة.. غرقت ببكاء صامت.. في حين اقتربت منها امها تضمها بصمت.. محاولة مقاومة شعورها بالأسى وهي تسألها بخفوت:

-لما لم تخبريني؟؟

-اخبرك بماذا؟؟

همست بحشرجة لتعاتبها أمها:

-أنك حامل؟؟

اتسعت عينا سيادة بذعر وهي تتخيل ماقد يكون حصل.. انها في مشفى.. ولابد انهما سيجرون لها التحاليل .. وقحطان لن يسكت.. سيخبر الكل انها حامل.. وحينها..

جحظت عينيها وهي تتخيل ردة فعله حين يخبره الاطباء انه على خطأ..

-هل عرف؟؟ هل أخبروه؟؟

همست باكية وهي تدرك انه لابد هذا سبب خروجه وتركها وحدها.. لتجيب امها:

-ولكنه كان يعرف.. مالذي تقولينه سيادة لقد قال لي هو بنفسه ..

نظرت لأمها بضياع:

-ماما انا لاافهم؟؟

-مالذي لاتفهمينه؟؟ انك حامل؟؟؟

همست بشحوب:

-من قال لك هذا؟؟

-الطبيب قال لنا.. ثم أخبرني زوجك انكما تعرفان الامر منذ مدة..

اتسعت عينيها بذهول واعتدلت تسأل امها بصوت مرتجف:

-الطب.. الطبيب قال أنني.. أنني حاا..امل؟؟

عقدت امها حاجبيها بتوتر وحيرة في حين همست سيادة برجاء:

-ماما ارجووكي ان تقولي لي الحقيقة .. هل قال الطبيب انني حامل؟؟

زفرت امها بنفاذ صبر:

-نعم سيادة لقد قال انك حامل وان الطفل بخير كلياً وكل ماتحتاجينه هو الراحة..

صرخت سيادة غير مصدقة وهي ترتمي بين ذراعي امها .. تدفقت دموعها بغير حساب لاتعرف كيف تشكر ربها على هذه النعمة الغالية التي اجتاحتها لتنير عليها احلك ماقد واجهته في عمرها كله..

-الحمدللّه.. الحمدللّه..

كانت تحمد ربها بلاتوقف من بين دموعها الغزيرة وهي تعانق امها بقوة والاخرى تضمها لاتعرف سبب كل هذه الدراما كما فكرت وهي تعرف حملها قبلاً..؟؟

-سيادة مالأمر ابنتي أخبريني..

رفعت سيادة عينيها المغروقتين بالدموع لأمها وهمست بسعادة لم تقدر على احتوائها فتفجرت من خلال صوتها وملامح وجهها الفتي:

-انا سعيدة للغاية ماما.. لاأحد في العالم يقدر على تصديق مدى سعادتي ..

-اعرف بنيتي.. انه من اجمل الاشياء في حياة اي امرأة..

نظرت لأمها هامسة بألم:

-لاتعرفين كم أن هذا الطفل مهم لي ماما.. انه اهم شيئ بالنسبة لي..

ابعدت ايفا خصلات شعرها المبللة بالعرق وهي تحيط وجهها بكفيها هامسة:

-مالذي يحدث معك بنيتي؟؟ لم اشعر بان هناك شيئ يكتم انفاسك.؟

ضاقت عيناها بوجع:

-وبعد كل هذا وتسألين ماما؟؟ بعد كل مافعلتي؟؟ انت أردت ان انفصل عن زوجي.. ان ابتعد عنه.. اقتربت من عبدالعزيز وابتعدتي عني انا ابنتك..

-أردت ان اعمل مافي صالحك فقط..

برردت ايفا بشحوب لتصرخ سيادة بحدة:

-أنت لم تنصتي لي ماما.. صالحي الوحيد كان حبيبي.. قحطان وحده.

ارتجفت عينا ايفا .. وتراجعت عن ابنتها التي ظهر تصميمها في عينيها وهي تضيف باصرار:

-أنا أحبه ماما.. ولن اتوقف عن حبه مهماحدث.. وعلاقتي بعبدالعزيز انتهت والى الابد.. ولايمكن ان أخون قحطان بأي شكل من الأشكال.. أتفهمين..؟؟

ضغطت ايفا على شفتيها بقوة وهي تستوعب منطق ابنتها.. منطق العاشقة.. رأتها امرأة قوية.. حازمة.. لاتخشى في حبها شيئ.. سوى فقدان الرجل الذي تحب..ولذا تراجعت.. بصمت نهضت واشاحت

عنها وهي تحاول التأقلم مع الواقع الجديد.. فابنتها تخطئ خطئها الماضي.. وتقع في حب احد رجال العزب.. ولكن ..

ابنتها ليست بقوتها.. هي استطاعت أن تخطف الشيخ الشاب .. تبعده عن اسرته وتستأثر به وبحبه من الجميع ولكن ابنتها.. نظرت لها بحزن.. ابنتها غارقة في دوامة الشيخ.. غارقة ولاسبيل لنجاتها.. لن تقدر على اختطافه وقد استحكم أسرها بين يديه.. لن تقدر على الاستئثار به.. لن تقدر على سرقته.. فقد استحوذ عليها كلها..

لاتعرف مالخطأ؟؟

أهو في ابنتها الضعيفة؟؟

أم ان الرجل ليس هو الرجل؟؟

فسالم العزب لم يكن يقارن بالشيـخ قحطان.. لم يكن يُقارن به بتاتاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

ومن ناحية اخرى ..كانت سيادة لاتقدر على احتواء سعادتها بحملها.. لن تضطر للكذب بعد.. لن تضطر لاخفاء اي شيئ عنه بعد الان..

كل ماعليها فعله.. هو اقناعه بالعودة للبلدة اليوم قبل الغد.. الابتعاد عن باريس مهما كلفها الامر وبأسرع وقت ممكن.. وضعت كفيها

المرتجفين على بطنها الضامرة وهي تشعر بارتجافتهما تلامس اطرافها كلها.. وهمست بصوت خفيض لم يصل لأسماع أمها:

-سنغادر الى بلدتنا قريباً حبيبي.. سنعود مع أبيك الى حياتنا الهانئة ولن يوقفنا شيئ..

قالتها وقلبها يشارك باقي الجسد ارتجافه.. وهي تفكر في أين عساه يكون حبيبها.. زوجها الغائب.. دون خبر؟!

***

اشتد الظلام تلك الليلة .. اشتد ولم تعد للقمر ملامح ..

وقف يطالع السماء المكفهرة كعينيه وأصابعه تعتصر كوب الشراب بقوة تكاد تحطمه ..اراد التخلص من الصداع والافكار التي مرت برأسه بلارحمه.. عيناه غامت ولم يعد يرى سوى وجه محبوبته التي كانت تبعث بنظرات عشق لسواه.. لرجل اخر لم يكن همه سوى تمريغ كرامتها ارضاً ..

كيف لها ان تحب رجلاً متوحشا مثل ذاك؟! كيف لها ان تنسى غرامهما وتنتقل لرجل متخلف كابن عمها؟!

ابتلع جرعة الشراب المسكر بحرقة توازي حرقة السائل وهو ينزل عبر جوفه .. ويحرق الباقي من روحه .. "سيادة"(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

فكر بوجع.. كيف لاتغادرين دمي..

زاغت عيناه.. وتعثرت خطوته وهو يقاوم سُكره للعودة الى سيارته ..يريد ان يذهب اليها .. لن يسمح لها ان تتركه.. لن يسمح لذاك المأفون من أخذها.. لن يسمح له ..

رمى بكأس الشراب ارضاً واندفع عن الشرفة الفرنسية الطراز الى ردهة الكازينو حيث جاء هارباً مماحدث في منزل ابيها.. فبعد ان حاول افشاء سرهما أمام زوجها .. وفقدانها الوعي.. اراد الركض واحتوائها ولكن ذاك الرجل.. لم يسعفه الوقت ابداً.. ابداً..

كان يحيطها كحارس شخصي وبلمحة كان يحملها بعيداً عنه .. لم يجرؤ على اللحاق بها كما تمنى .. تل النظرة الوحشية المتملكة في عيني زوجها لم تمهله فرصة.

بالكاد غادر باب الكازينو.. ووصل الى سيارته التى اوقفها على بعد شارع واحد فقط.. كان يبحث في جيب بنطاله على مفاتيحه..

بأصابع مرتعشة مرتبكة بتأثير الشراب..حتى وجدها .. ولكن ومن

شدة ارتباكه أوقعها ارضاً.. ليشتم بخفوت.. ويركع على ركبتيه يبحث عنه.. وسط ظلام الشارع والزمهرير الذي بدأ صفيره بالهبوب.. كان يتحسس الارض الباردة بحثاً عن الكتلة المعدنية حين اصطدمت اصابعه بشيئ ما.. رفع عينيه.. ليقابل زوج من الاحذية السوداء الرجالية.. رفع عينيه نحو الكيان الواقف امامه دون حراك .. واتسعت عيناه بذعر وهو يواجه عينان قُدتـا من نار ورجل قُـد من صخور جبال لاتليـن..

-انهـض..

قالها قحطـان العزب ببرود.. برود أرسل قشعريرة طويلة على طول عموده الفقري ..

بالكاد استطاع النهوض .. بالكاد وقف على ساقيه مواجهاً الشيخ الغاضب .. كان يعرف.. رأه في عينيه حقاً.. شعلة من الغضب والكراهية تصطلي بلاتوقف.. وتطاله محرقة أطرافه.. انه يعرف من يكون..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لم يتوقف لحظة للتفكير..

منذ استعاد ذاكرته وهو خارج المشفى يجوب شوارع باريس دون ان يهتدى لمكان يستقر فيه النار التي كانت تشتعل بداخله كانت تهدد بحرق كل من يقف امامه بلارحمه.. كان مستعداً ان يشعل النار ويقف ببرود بانتظار انطفاءها ليُجديها أكثر وأكثر ..

كانت ناره قوية.. كل هذا الخداع.. كل هذا الكذب.. وهو.. كان كغر ساذج يقع في الفخ بلامقاومة وقع في سحر تلك الفرنسية .. تلك الساحرة الصهباء.. صدقها.. وثق بها وهي .. خانته بكل وقاحة وجرأة..

اغمض عينيه بحرقة..

كتبت..

"لست بارعة بالكلمات.. ولم أكتب رسالة من قبل .. ولكنك انت من أجبرني على فعل هذا.. أنت تعرف الان ياابن العم انني بريئة وأنك أول رجل في حياتي.. اول من يضع يدا علي.. لقد أخذت حقك ياابن عمي.. أخذت جسداً.. ولكنني وبالمقابل.. حققت انتقامي منك كاملاً ياشيخ العزب"..

تعلقت الكلمات امامه .. تتراقص بوحشية تكاد تعميه.. لم يفهم ماكانت تعنيه بالانتقام.. حتى استمرت بتلك الوحشية بلارحمة..

"رأيتك مدلهاً أمامي.. ترجو جمالي وفتنتي .. ترتجي قلبي وتتوق لامتلاكي.. ولكنني لست ملكك يابن عمي ..
انا لست ملكك ولن أكون ابداااً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) انا ملكه هو فقط.. حبيبي الوحيد.. عبدالعزيز(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)"

اغمض عينيه بقوة .. يريد ان يخرج من دوامة الذكرى التي جلدته بسوط قاسٍ بلارحمة لاشيئ يمكن ان يصف مشاعره وقتها.. امرأته هو .. زوجته.. ابنة عمه .. تعلن وبكل وقاحة انها ملك سواه..

"انا لم أحبك ابدا.. وكل ماحدث بيننا فقط لاراك هناك .. تحت قدمي تستجدي عاطفتي وهي ملك سواك.. انا لن أحب سواه.. والان انا سأذهب اليه.. سأذهب لأبقى معه بعيداً عنك انت.. هاربة منك ومن كل ماتمثله لي من ظلم وقهر انت وكل افراد عائلتك ..

وداعاً ياشيخ.. وداعاً الى الابد"..

هكذا كان وداعها .. قصيراً .. قاسياً..

هكذا تركته يشتعل.. يحترق.. ينتفض بجنون.. وكأنما مجنون قد مسه شيطان هالك ..

خرج من عندها لايقدر على البقاء اكثر.. لو انتظر .. لقتلها وانتهى..

ولكنه لم يقدر ..

خرج يبحث عنه.. خرج يبحث عن ابن الشيب الذي استحوذ على غرام ابنة عمه.. خرج يبحث عن الرجل الحقير.. ولن يعود الا بعد أن يبرد ناره ..

اتصل بعمرو.. وأخذ منه اسماء بعض ممن قد يستطيعون مساعدته هنا في باريس ..

وفعلاً لم تمضي سوى بضعة ساعات حتى جاؤو له بعنوان عبدالعزيز.. وبأخر مكان شوهد به.. وهو الكازينو ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-وأخيراً وجهاً لوجه..

قالها عبدالعزيز بمحاولة اخيرة للحفاظ على ماء وجهه.. وربما القليل من كرامته.. ولكن ملامح قحطان المكفهرة لم تمهله والصوت الحازم كضربات القدر لم تسعفه:

-لم أتي اليك لنلتقي ..

حاول عزيز الاعتدال في وقوفه.. حاول السيطرة على ارتجافة ساقيه في مواجهة الشيخ ولكنه لم يفلح ..

-ولم جئت اليّ اذاً؟!

نظر له قحطان بكره.. بحقد .. لكل مافعله.. لكل ماتخيله قد فعل.. هو يعرف بأنها بريئة.. بأنه أول رجل في حياتها ولكنه لايستطيع السيطرة على الغيرة الدامية التي اشتعلت في عروقه لتخيله هذا الرجل معها في اي مكان.. لايستطيع ان يتخيل دون ان يحترق انه قد كلمها.. رأها.. رأى عينيها قريبة منه كما يعشق هو.. رأى خصلات شعرها الحمراء.. لامس لهيبها.. او اشتم قليلاً من عطرها..

لايستطيع ان يسيطر على موجات غضبه الحارق وهو يتخيل ويتخيل انها همست له بالحب..

حينها اشتعلت عيناه وغام صوته بغضبه وحقده:

-جئت اليك كي أقتلك ..

ارتجف عزيز وتراجع مذعوراً ليرفع قحطان قبضتيه ودون سابق انذار كان يفرغ كل غضبه.. كل حقده .. كل كراهيته فوقه.. صرخ فيه ان ينهض ويدافع عن نفسه .. ولكن عبدالعزيز لم يستطع سوى توجيه لكمة هاوية لفك الشيخ والتي لم تسبب بأكثر من اثارة غضبه أكثر وأكثر..

كان الشارع الخالي من المارة يشهد عنفاً وحقداً ربما لم يشهده لسنوات..

لم يستطع قحطان ابداً ان يسيطر على غضبه ..

انهال باللكمات على وجه عبدالعزيز وصدره.. وحالما انهار الاخير ارضاً.. كان يرفسه بقوة .. محملاً قدميه باقي الغضب والكراهية .. لم يضرب احداً ابداً هكذا.. كان يعرف بأنه قد يقتله.. ولكنه ليس نادماً ..

كان يواجهه رجلاً لرجل.. وكان يأخذ ثأره.. عـاره الذي مرغه هذا الحثالة في التراب..

كان يلهث بقوة وهو يبتعد عن جثة عبدالعزيز المكومة أرضاً دون حراك..

والدماء تسيل من جبينه وفمه في منظر مقزز..

كان يحترق بأنفاسه المتلاحقه.. يشعر بالغثيان.. يشعر بانه حقق انتقامه ورغم هذا فهو لم يرتح بعد..

لاتزال تلك العاهرة الصغيرة هناك ..

لاتزال تهنئ بالطمئنينة ..

لولا طفله ..

اغمض عينيه بحرقة.. وتذكر كذبتها.. لقد كذبت عليه بهذا الشأن ايضاً ..

كذبت بشأن حملها.. كما كذبت بشأن كل شيئ أخر.. لابد انها اتفقت مع الطبيب ليغطي كذبتها ..

كان عليه ان يذهب اليها.. ان يأخذها بعيداً .. وينتقم منها,, ومن كل مافعلته به ..

وعلى انتقامه ان يكون كاملاً ..

عليه ان يرى ذلها.. عليه ان يمرغ كرامتها وهامتها ارضاً .. قبل ان يخنقها بيديه .. ويلحقها بفتاها الغالي ..

***

انها ليلة طويلة ومتعبة..

جلس يسند ظهره المجهد الى مقعد خشبي تأوه لملامسته عضلاته المنهكة من الوقوف الطويل ولساعات في غرفة العمليات دون فترة راحة حقيقية بين العملية والاخرى.. لايكاد يصبر ليعود الى منزله ويغفو أخيراً الى جوار حبيبته.. كانت الساعة بالكاد تتجاوز منتصف الليل ببضعة دقائق.. انه هنا منذ الصباح.. وغداً سيكون يوم الراحة الوحيد في المخيم الجراحي الذي يقيمه ..

سمع هاتفه يرن.. وحين رفعه اتسعت عيناه وهو يجد كم المكالمات الهائل.. يالله .. همس ستقتله..

-السلام عليكم..

همس لتصرخ عليه:

-لاسلام لي معك ولاكلام.. اين أنت؟؟

ضحك بخفوت لتجتاحها راحة عميقة وهي تستقبل صوته بخشونته المثيرة:

-وأين سأكون حبيبتي.. لقد انتهينا للتو..

-انا اتصل بك منذ زمن.. انظر لهاتفك لما لم ترد؟؟

هتفت بحرقة ليجيبها بهدوء وصبر:

-لقد كنت في العمليات حبيبتي وهاتفي وضعته في المكتب.

تنهدت بضيق وهي تتنقل في ارجاء بهو منزلها المطل على الشاطئ

هاتفة:

-لاتفعلها مجددا يوسف كدت أجن قلقاً عليك..

ضحك بخفوت ثم سألها بحنان:

-هل ستردين سلامي الأن؟؟

ضحكت رادة عليه السلام قبل ان يهمس هو بارهاق:

-سأغير ملابسي واعود للمنزل..لن اتأخر.

-عشائنا جاهز سأسخنه فقط وأجهز لك الحمام.. لاتتأخر.

-لن أفعل حبيبتي..لاتقلقي.

-ولاتقد السيارة بسرعة..

أضافت موصية ليضحك مؤكداً لها .. قبل ان يغلق الهاتف ويشرع

بتغيير ملابس الجراحة..

كان في طريقه للخروج حين تذكر تلك المرأة(شيوخ لاتعترف بالغزل

بقلم عبير محمد قائد)

توقف زافراً بضيق ولكن تغلبت عليه مشاعر الطبيب وعاد أدراجه

لغرفة العناية المركزة وهو يلقي التحية على الاطباء المناوبين.. وهناك

توقف بحيرة ..

كانت تقف مديرة له ظهرها.. فتاة بعباءة تغطي شعرها وكلها متصلب.. تناظر المرأة النائمة بتأثير المهدئات.. ولاتكاد تتحرك..

من تكون؟! فكر بحيرة ؟! أيعقل ان تكون ابنتها الغائبة؟!

اقترب ليلفت انتباه الفتاة.. والتي سرعان مالتفتت له هي الاخرى بحدة.. تناظره هي بعينين غارقتين بالدموع.. بشهقة انحبست بين شفتيها بينما تصلب هو بذهول يناظرها!!..

..

لم تكن تريد المجيئ..

لم تكن تنوي العودة الى الدوامة التي شقت طريق خروجها عبرها بالدم.. ولكن كلمات علي وقفت لها بالمرصاد.. كان عليها المجيئ..

ربما.. فقط ربما تُخفف بعض من ذنوبها.. ربما يكون هذا فعلها الصالح الذي قد تُثاب عليه ..

ولذا جائت للمشفى.. في اواخر الليل كما اللصوص.. تتسلل علها لاترى أحد.. وبعد توسل مبكي للمرضة وافقت على ادخالها.. وهناك وقفت تناظر المرأة التي غابت ملامح وجهها ولم يتبقى منه سوى شحوب أهلك عافيتها.. لم يبقى سوى جسد ضئيل.. ضامر.. وقفت تبكي بحرقة..

هذه المرأة التي ضحت لأجلها بكل شيئ.. هذه المرأة التي جعلتها تفقد كل ماهو مهم لها في حياتها.. جعلتها تفقد نفسها.. روحها .. والأهم.. شــرفها وعفتها ..

هي من جعلتها تقف امام الجميع كعاهرة.. فتاة تبيع شرفها كل ليلة كي تعيش ..

من أجلها هي.. فقدت كل شيئ.. فقدت الرجل الذي تحب.. والى الأبد!!..

خدعتها باسم الأمومة.. خدعتها ومثلت عليها بل هي خطفتها من عائلتها .. وليتها لم تفعل.. ليتها تركتها تواجه مصيرها هناك مع ابيها الذي قالت انه لم يكن يرغبها.. ربما كان ليسترها.. ولم يكن ليبيعها رخيصاً كمافعلت هي؟

أخذت نفساً ,, ملئته الدموع.. وهي تفكر هل يجوز لها ان تكرهها.. هل يجوز لها ان تقترب منها الان وتزيح عنها خرطوم الاوكسيجين وانابيب السوائل المغذية وتتركها لتموت ..

أم يجب عليها ان تنتحب وترفع صوتها بالعويل لأن الام الوحيدة التي عرفتها في حياتها.. تمـــوت؟؟!!

حينها سمعت الخطوات خلفها.. التفت بسرعة وتراجعت شاهقة

وهي تقف امام ذاك الرجل الضخم..

رأته يناظرها بذهول فهمست متحشرجة:

-من أنت؟؟

ضاقت عينا يوسف بذهول وهو ينظر للفتاة الصغيرة .. مستحيل ..

حرك رأسه بحدة.. كان ينظر لها بطريقةفجة أجفلتها وجعلتها

تتراجع صائحة عليه بان لايقترب منها.. ولكنها!!..

فكر بذهول وهو ييل النظر لعينيها ..

عينين لم يرى في حياته مثلها.. الا عيني زوجته.. همس؟؟!!

-من أنتي؟؟؟

هتفت بخشونة.. لتجفل من صوته واللكنة الاجنبية التي لاتزال

تتحكم بمخارج حروفه..

-اانااا ..

وتلعثمت باقي الحروف.. ماذاتقول عن نفسها..

انا ابنتها؟؟!! أم انا ضحيتها ؟؟!!

ولذا أثرت الصمت.. احتبست الكلمات في صدرها.. ليسألها يوسف

باهتمام:

-أأنت ابنتها؟؟ انت من كانت تنتظر؟؟

لم تجد بُداً من هز رأسها.. بتردد موافقة على مايقول..

فعقد حاجبيه وهو يتعجب من الشبه الكبير.. لم تكن تهمه الملامح..

ولكن العينين؟؟ يارب الكون.. وكأنه ينظر في عيني زوجته.. اللون..

النظرة .. تلك العاصفة التي تبدو وكأنها دوماً على وشك الهبوب

ولاتهب ابداااً..

حينها فقط وعى لنفسه يطيل النظر بالفتاة التي تعلقت به عينيها

برعب.. فتراجع مستغفراً وهو يشيح بعينيه .. همس لها:

-أمك بحاجة اليكي يانستي.. انها تعاني الكثير ولااعتقد ان لديها

الوقت..

نظرت له بانكسار وهي لاتعرف ماتقول.. رأته يتراجع لتهتف به:

-هل ستموت؟؟

توقف بأسف ونظر لها:

-كلنا سنموت يوماً ..

-ولكنها ستموت قريباً.. أليس كذلك؟

همست باصرار لينظر لها باستغراب.. أكانت تتمنى موتها؟؟ مالذي

يحدث؟

-انا لاأعلم الغيب انستي.

-أأنت الطبيب المسؤول عنها؟؟ أليس كذلك؟

-هذا صحيح..

صمتت للحظات تتأمله.. لاتعرف ماهية شعورها وهي تنظر اليه..

ارتياح.. ارتياح غريب وهي تسأله:

-كيف حالها؟؟

تنهد قبل ان يهمس:

-سيئـــة.. جداً.

نظرت لأمها .. ولم تشعر بشيئ .. تجمدت مشاعرها وقسى قلبها بطريقة لم تتخيلها .. لم يكن الحزن لها الان.. لقد حزنت على نفسها وبكتها كثيراً وهذه المرأة قد تستحق تعاطفها ولكن لاشيئ أكثر.. أبداً..

ولكنها لم تأتي الى هنا للتعاطف.. لم تأتي للحزن.. لقد فكرت مطولاً واتخذت قرارها.. يجب ان تعرف .. ان تفهم.. يجب ان تعرف عائلتها..

-متى ستستيقظ؟؟

-انها تحت تأثير المهدئات القوية.. لااعرف متى بالظبط ..

قالها يوسف بأسى.. لتنظر له هامسة:

-أتتركنا وحدنا لبعض الوقت؟؟

عقد حاجبيه ولكنه لم يفكر كثيراً بل اومأ بتفهم وتراجع ليغادر بصمت.. في حين التفتت نادين لأمها واقتربت هامسة:

-استيقظي ..

لم ترى اي رد فعل.. وبعد تردد قصير مدت يدها تهزها برفق..

-قلت استيقظي.. ألم تكوني بانتظاري.. هاانا قد جئت ..

رأت حركة طفيفة في جفنيها .. فشهقت متراجعة.. وأمها تفتح عينيها ببطئ.. وانفاسها تتسارع(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-نـ..نااادي..نااادييين؟؟ انت هنا؟؟!!

همست بشحوب لتبتلع نادين ريقها وتهمس:

-انا لم آتي هنا للاطمئنان عليكي.

بكت المرأة حينها بمرارة.. بكت وهي تهمس باختناق:

-انت هنا؟؟ قولي انه ليس حلماً.. ارجوكي بنيتي..

-لاتناديني بابنتي..

صاحت نادين بقهر.. عينيها تشتعلان بثورة وهي تقترب من المرأة هاتفة بحقد:

-انا لست ابنتك.. ولن أكون.

انهمرت دموع امها بقهر وهمست:

-سامحيني نادين.. سامحيني يابنتي .. ارجووكي..

لمعت عينا نادين بالدموع ولكنها لم تسمح لها بالسقوط على وجنتيها قط.. سيطرت بقوة على نفسها وهي تهمس بصلابة:

-انا لن أسامحك ابداً.. لن اسامحك على كل مافعلتيه بي طيلة تلك السنوات.. لن اسامح بيعك لي مراراً وتكراراً.. لن اسامح ابدا ..

قالتها بقهر وامها تذرف الدموع بلاقياس ونادين تواصل بحدة غير مبالية بحالتها الصحية:

-لم أتي هنا من أجلك.. لقد فكرت مراراً وقررت انني يجب ان اعرف كل شيئ.. أريد أن اعرف اين هي عائلتي.. أريد أن اعرف اسم أبي.. وأين مكان شقيقتي ..

اتسعت عينا امها بذهور بينما نادين تصر:

-أخبريني كل شيئ.. افعلي الشيئ الصحيح ولو لمرة واحدة في عمرك ..

-اانا,, انا لااعرف..

همست امها بتخاذل لتصرخ:

-بلى تعرفين.. انت تعرفين اسم ابي ..

-لا.. لااتذكر..

بكت المرأة بتعاسة لتصرخ بها نادين وقد فقدت سيطرتها على دموعها فانفجرت بقوة:

-اتوسل اليكي.. اخبريني.. لاتتركيني ضائعة بهذه الطريقة اخبريني الحقيقة.. أين ابي وشقيقتي؟؟

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كان في الخارج.. لم يقدر على المغادرة والابتعاد كماطلبت منه الفتاة.. بل انتظر في الخارج.. وهنا سمع الصراخ.. في البداية لم يحاول التدخل ولكن.. الصرخة الاخيرة كانت مدوية حتى انها لفتت انظار بعض المرضين المتواجدين خارج الغرف.. ولذا دخل بسرعة..

كانت نادين تشرف على سرير امها وتهزها بكتفيها بقوة:

-اخبريني .. قولي اين هي شقيقتي؟؟ اين ابي؟؟

ابعدها يوسف بقوة وهو يصيح بها:

-هل جننتي؟؟ ابتعدي عنها ستقتلينها..

-ارجوكي بنيتي.. انا لااعرف عنها شيئاً ..

-اخبريني اذن عن زوجك.. اخبريني اين أخذها؟؟

نظر يوسف لهما بذهول لاهذه تنوي التوقف .. ولاالاخرى تتوقف عن البكاء والتوسل..

-كل مااعرف.. ككل ماعرفه انه مات .. مات محاصراً في الجبل.. ولم يجدوا معه الطفلة.. لم يعرف احد اين أخفى اختك ابداً..

اتسعت عينا نادين وهي تحاول التملص من قبضة يوسف وهتفت:

-وأبي؟؟ ماذا عن ابي؟؟

-لقد رحل.. لم يبقى ابداً لمعرفة مصيركما..

قالتها المرأة بصوت مخنوق.. لتنهار نادين ارضاً وهي تبكي بحرقة:

-لقد حطمتما كل شيئ.. فرقتما بيني وبين شقيقتي التي يعلم اللّه اين تكون؟؟ ان كانت حية او ماتت وسط الجبل؟؟ وانا..

ورفعت للمرأة عينين غارقتين بالدموع:

-قتلتماني انا ايضاً.. حطمتماني بلارحمة ..

-بنيتي ..

همست امها بألم.. لتغمض نادين عينيها.. بحرقة وتجهش في البكاء.. لافائدة.. لافائدة ابداً .. ستظل بلاهوية.. ستظل مجرد فتاة رخيصة بماضٍ قذر.. دون عائلة.. دون مأوى ..

شهقت بالدموع ونهضت تريد الخروج من هنا .. الابتعاد وعدم العودة ابداً ..

اما يوسف فقد توقف مشدوهاً ينظر للاثنتين.. لايصدق ماسمعه ولايكاد يفهمه ولكن ..

لا لا.. مستحيل ان يكون..؟؟

عاد ينظر للفتاة ..

عينيها.. ملامح وجهها التي شدته منذ النظرة الاولى..؟؟

يارب الكون ..

ابتلع ريقه بصعوبة وتوجه للمرأة التي كانت حقاً تلفظ انفاسها الاخيرة ..

-متى كان هذا؟؟

همس بشحوب.. لتقابله عيني المرأة الزائغة.. فكرر سؤاله بقسوة وهو يخاف من مجرد الاجابة..

كانت ام نادين في حالة نزع لاريب.. ولكنه لايقدر ان يمنع نفسه.. وقوفه هنا ووجوده في هذا الوقت بالذات كان لسبب وهو لم يكن ليترك مصادفة كهذه تمر عليه.. لا لا .. ليست مصادفة ..

هو لايؤمن بالمصادفات.. انه قدر..

حكمة إلهيــة .. وعليه ان يغوص في عمقها ويعرف اصولها .. من أجل حبيبة عمره ..

فكرة مجنونة لن ينكر.. ولكن ذلك الشبه مستحيل.. تلك العينين..

عينا همس .. عينا زوجته العاصفتين..

-متى وجدت الطفلة؟؟ في اي عام واين؟؟

زاغت عينا المرأة.. وبدت تتحشرج.. ليهتف بها يوسف بقسوة اكبر:

-تكلمي يامرأة.. متى كان هذا؟؟

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

رأته يكلم امها.. او المرأة التي ظلت تحسبها أمها لسنوات عمرها ..

رأتها تهمس له بشيء.. ورأت الطبيب ينظر لها بذهول.. قبل ان تسمع صفير الأجهزة المتصلة بأمها يزعق.. وتراه يحاول جهده انعاشها..

رأت ثلاثة أخرين ينضمون اليه من الخارج.. وراقبتهم هي بذهول ..

دموعها تسكبها بلاتوقف.. تراقبهم لأكثر من خمسة عشر دقيقة

يحاولون انعاش القلب الساكن.. قبل أن يتتوقف الجميع.. وينفصل هو عنهم مقترباً منها..

كانت عينيها متسعة.. تناظره بذهول .. تعرف ماسيقوله لها.. تعرف انها قــد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-أنا ااسف..

همس يوسف بشحوب.. لتنتفض صارخة بقوة .. ودون ارادة منها ..

كانت ساقيها تتهاويان تحتها.. ووعيها ينسحب منها دون مقاومة..

تلقفها يوسف بسرعة.. وأخرجها لغرفة مجاورة ترافقه احدى

المرضات ..

مددها برفق على سرير.. وقلبه يرتجف.. هل من الممكن..؟؟ يارب

الكون؟؟

أوصى بها للمرضة ثم خرج بسرعة ..

وحين عاد اليها كانت لاتزال فاقدة للوعي.. اتجه للمرضة وهمس لها:

-أريدك ان تسحبي منها عينة دم ..

نظرت المرضة لأنبوب الفحص غريب الشكل بيده.. وكتمت

دهشتها في اعماقها وهو يقول لها بحزم:

-لااريد أحد ان يعلم بهذا الامر .. أتفهمين؟

اخذت منه الانبوب ووعدته بحيرة.. قبل ان تنفذ ماقاله دون اعتراض..

وفي اعماقه شك يتعاظم .. خصوصاً بعد ماافشته له المرأة المحتظرة..

وذلك الفحص .. هو سبيله الوحيد للتأكد.. الوحيد والأكيد..

***

حين عاد الى المشفى بعد وقت طويل في اللف والدوران.. كان الفجر يكاد يبزغ.. يعلن عن ولادة يوم جديد.. والكره في اعماقه والغضب المشتعل في أوردته لايزال حياً نابضاً .. وكأنما ولــد لتوه!!

رأى ايفا أمام باب غرفتها.. ولو كان يطاوع قلبه لكان أرداها بكل برود كما فعل مع ذلك الحثالة.. ولكنها امرأة .. وليست أي امرأة انها زوجــة عمه..

لذا تقدم ببرود وسيطر على أعصابه بكل هدوء بطريقة مثيرة للاعجاب,,

-أين كنت طيلة هذا الوقت؟؟

نظر لها باستخفاف:

-هل أنت قلقة علي يازوجة عمي؟

عقدت ايفا حاجبيها بقهر وصاحت بغل:

-بل هي تلك المسكينة التي لم تكف عن السؤال عنك منذ استيقظت .. انتفضت عضلة في جانب وجهه وهو يجاهد للسيطرة على اعصابه المتقفزة بجنون ..

-لما لاتغادرين الان وسأهتم انا بزوجتــي.

-هذا بالضبط ماسأفعله.. سأتي اليها في المساء ..

ودون ان تنتظر رده كانت تستدير مولية له ظهرها هارعة للخارج..

ليزفر قحطان بتعب.. استند برأسه على الباب البارد بتعب.. نعم هو متعب.. جسده منهك.. عقله.. عقله يكاد ينفجر.. يصارع قلباً..

يصارع روحاً تقاتل باستماتة للفوز بحقها للحياة.. وكل مايريده هو وأدها قبل ان تتفتح..

قبض على أكرة الباب وفتحه بقوة..

كان شعورها بالقلق يتعاظم وبشدة..

أين ذهب؟! الى اين غادر في مثل هذه الساعة دون أن يترك لها اي خبر.

دون أن يطمئنها بكلمة حتى..

والهاتف.. تباً لمايحمل هاتفاً نقالاً إن لم يكن ينوي الرد عليه؟!

زفرت بتوتر ونهضت تدور في حجرتها بلاتوقف.. أمها اعلنت انها ستعود لمنزلها.. وستأتيها في المساء التالي ولكنها لاتنوي البقاء..

ستغادر حالما يعود قحطان ..

وكأنما فُتحت أبواب السماء على ذكر اسمه ..

فقد سمعت دوران أكرة الباب قبل ان يفتح بقوة تعلن عمن خلفه ..

اتسعت عينيها بغبطة وهي تراه يدخل عليها .. يغسل قلقها وتوترها بحضوره الطاغي.. لتسارع بالركض نحوه والارتماء بين ذراعيه هتفة:

-ياإلهـي حبيبي.. !! أين كنت لقد كدت أموت قلقاً؟؟

تصلب قحطان لملامستها اياه.. تصلب كلوح خشب.. لايستطيع التحرك.. الابتعاد او حتى تنفيذ مايأمره قلبه المولع بها من ضمها أقوى وأقوى حتى يخفيها بين الضلوع ..

شعرت بتصلبه.. بتباعده.. رفعت وجهها تنظر الى ملامحه المتخشبة .. لامست وجنته الخشنة بأصابعها الناعمة وهي تهمس:

-ماذابك ياحبيب الروح؟؟

كانت قريبة جداً.. يارب الكون كم كانت قريبة.. لدرجة انه يشعر بنبضات قلبها تهدر الى جوار قلبه المزق .. كانت قريبة لدرجة ان همسها كان يصرخ في أذنيه.. وأنفاسها تداعب أنفاسه..

ولكن لا.. لن تفلح في تحطيم عزيمته بعد الان.. هذه المرأة لن تغويه.. لن تسيطر عليه برغباته.. سيلوي عنقها ويطعمه للذئاب لو فعلت مرة أخرى.. هو سينتقم منها ببرود.. بثقل الشيوخ.. سيقهرها .. سيقهر سيادتها ..

شعرت بتغيره ..

شعرت بها حين استكانت كفها على دقات قلبه.. وتباطأت سرعتها المعتادة.. حتى حرارة جسده .. بردت!!

نظرت في عينيه تبحث عن تلك الشعلة المعتادة.. كلما اقتربت منه.. ولكنها وعلى العكس..

سقطت في حفرة عميقة.. حفرة سوداء لامعالم لها..

شهقت بخفوت وهي تحاول الخروج من دائرة الظلام التي يحيط نفسه بها.. ولكنه لم يسمح لها.. شعرت بذراعه تلتف حولها كثعبان.. تثبتها مكانها بقوة وهو يهمس بصوت كالجليد:

-مابالك أنت سيادة؟! الى أين تبتعدين؟!

لوهلة ظنته قد عاد لها.. حبيبها ولكن؟!

تثاقلت أنفاسها وهو يقربها منه.. عيناه على شفتيها المتوسلتين..

همسها الناعم باسمه ..

-غيري ملابسك..

تراجعت بذهول .. تستغرب ابتعاده السلس عنها وهو يضيف بصلابة:

-سنغادر في الحال.

-نغادر؟؟!!

تسائلت لاهثة.. فالتفت يقول ببرود:

-ألم تكن رغبتك أن نعود للبلدة بسـرعة.. هيا غيري ثيابك.. سيارة الاجرة بانتظارنا لأخذنا للمطار.

اتسعت عيناها بمشاعر متضاربة .. فهي سعيدة لهذا القرار وبنفس الوقت لاتستطيع اخفاء قلقها وتوترها من ردات فعله المتناقضة..

-هل سنذهب للمنزل اولاً؟؟ كل اغراضي هناك.

-لا..

هدر بصوت قاطع.. لتصمت بخشية وهو يقترب منها بخطوات حاسمة:

-الطائرة لن تنتظرنا.. هيا الان لقد تأخرنا بمايكفي.

-وماذا عن ماما؟؟ ألن أودعها؟؟

همست بتوتر ليزفر بضيق وهو يجاهد للسيطرة على نفسه:

-ستتصلين بها حين نصل .. لاوقت لهذا الهراء الان سيادة.

اتسعت عينيها بصمت مراقبة اياه من بين رموشها.. كان مختلفاً.. وهذا الاختلاف أرعبها؟؟

ورأى قحطان خوفها.. رأى ترددها.. وهو لن يسمح لأحد أن يحطم خطته .. ابداً ..

ابتسم.. كثعلب ماكر وهو يقترب منها.. محيطاً وجنتيها بكفيه بحنان.. يهمس في عينيها الزمرديتان بلهفة:

-هيا بنا الأن سيـادة.. سنعود الى منزلنا معاً.. أليس هذا ماكنت تريدينه؟؟

ذابت لنغمات صوته الحانية.. رغم حد الخشونة فيها ولكنها تسربت الى اعماقها بكل سلاسة.. وجعلتها كخاتم طيع في خنصره.. فأحاطت كفه التي لامست وجنتها بكفيها ليقبض عليها بقوة وهمست:

-انا سأذهب معك الى أخر العالم لو أحببت قحطان ..

ثم قبلت براجمه بشفتيها ليبتسم ساخراً:

-لاتقلقي سيادة انا لن أخذك لنهاية العالم.. والان.. هل نذهب؟

أومأت بطاعة ليبتسم بشراسة.. وعيناه تبرقان بقوة وهو يهمس:

-هيا الان.. لانريد التأخر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وبعدها لم تعد تدري كيف حدث كل شيء بسرعة.. وكانها تطير او تعوم في بحور متلاطمة.. وجدت نفسها تجاوره في طائرة ما.. لاتعرف حتى الى اين تتجه بهما ..

كانت يدها لاتزال في يده.. فاقتربت همس:

-الى اين سنذهب؟؟

-مصر.. ومن ثم الأردن..

رفعت حاجبيها بدهشة ليضيف بسرعة:

-سنبقى لساعتين فقط قبل ان نعود الى عدن.. ومنها الى البلدة.

اومأت بتفهم.. لابد انه قد عمل المستحيل ليبحث عن رحلة ملتوية بهذه الطريقة.. ولكن مالداعي لكل هذا اللف والدوران.. كان باستطاعتهما الانتظار بضعة ايام فقط.. ولكن؟؟

هل كانت ستصمد لبضعة ايام دون ان تعرف ان كان عبدالعزيز قد يفشي سرها او لا؟؟

لالالا.. هكذا افضل.. بالطبع افضل بكثير..

اشتدت قبضتها الرقيقة حول اصابعه المحكمة.. ونزلت بعينيها الى يده النحيلة تحيط بكفها الغض وعقدت حاجبيها استغراباً.. كانت

قد شعرت بالمذاق الغريب الصدئ حين قبلتها قبلاً.. ولم تتنبه له..

ولكن الان!!..

تستطيع تمييز الخدوش الدقيقة على الاصابع ..

رفعت له عينيها وهمست:

-ماذاأصاب كفك ياحبيبي..؟؟

رمقها بصمت.. بعينين كحفرتين دون قرار.. جعلت قلبها دون وعي منها

يهبط بي قدميها.. في حين ارتسمت ابتسامة بطيئة على شفتيه..

ابتسامة متشفية .. ساخرة.. جعلتها ترتجف ..

ولم يجبها.. لم يكلف نفسه عناء الرد على سؤالها.. بل اشاح عنها

وأسند رأسه للمقعد واغلق عينيه.. ثم قال بصوت جامد:

-اخلدي للنوم ياسيادة .. فرحلتنا القادمة ستكون طويلة.. طويلة

للغاية.

ولم تعرف كم من الصدق تنطوي عليه كلماته.. كانت الرحلة

القادمة اطول رحلة في حياته.. وعليها بالصبر حتى تنتهي.. بأي حال

من الاحوال.

***

ليـلة أخرى قضتها وحيدة؟؟!!

لم تكن مستاءة .. ولكنها بالطبع ليست سعيدة.. انها تكره هذا المكان..

تلفتت حولها.. ضوء الشمس بالكاد يظهر خلف الأفق.. لقد أنهت فرض صلاها للتو حين سمعت باب الجناح يفتح.. انتفضت واقفة ورأته يدخل بخطوات متعثرة ..

-لقد تأخرت كثيراً..

همست بحنق.. لينظر لها باضطراب.. لايرى من فرط تعبه.. لقد عمل على الاسطوانة طيلة الليل.. والان لايريد سوى الانهيار على فراشه والنوم ولكنها هناك.. تقف أمامه وتعيد له ذكرى انهزامه امام عائلته.. أمام والده.. لم يشعر يوماً بكراهية تجاه امرأة كمايشعر نحوها..

أشاح بوجهه عنها باستحقار ومضى الى فراشه وهو يصيح بحقد:

-دعيني أنام.. اياكي ان توقظيني.. ابدا.

نظرت له بدهشة.. يارب الكون ماذا دهاه.. هل جن؟؟

زفرت بضيق واقتربت تسأله بصبر:

-هل صليت الفجر؟؟

اغمض عينيه بحدة وصاح بها:

-لاشأن لك بي.. اتركيني بحالي..

تراجعت مصعوقة.. تنظر له كيف افترش السرير وسرعان ماكان يغط في النوم.. لتتراجع بصمت ..

مالذي يحدث لها الان.. الى متى ستظل في حيرة من أمرها؟؟

الى متى ستظل بهذا العذاب؟؟

تجمعت الدموع في عينيها وانسابت على وجنتيها وهي تشرع بتغيير ملابسها هاربة من الغرفة بكلها ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

طوت الدرجات الى البهو بسرعة تهرب من نصيبها المكوم بكل كراهيته فوق.. وتحاول تحاشي أخر.. يحاول التدخل في كل مايخصها دون خجل..

وصلت للباب الخارجي وقبل ان تفتحه .. رأته..

كان يخرج من باب جانبي وحالما رأها توقف ينظر لها بصمت..

شعرت بالخجل يجتاحها وهي تتذكر ماحدث ليلة أمس.. مافعلته به ومافعله بها ..

-الى أين تذهبين في هذه الساعة المبكرة؟؟

ارادت أن تقول له بأن هذا الامر ليس من شأنه.. ولكنها لم تقدر

توقفت الكلمات في حلقها وهو يقترب ..

حاجبيه معقودان بقوة.. وفكه متشنج ..

يتذكر مافعلته اصابعها لارقيقة بصفحة وجهه ولايكاد يغفر لها ..

يريد ان يريها في الحال من يكون السيد هنا والف شيئ اخر يكبله ..

-سأخرج لتنشق الهواء..

همست بشحوب ليبتسم بسخرية:

-لتضيعي مجدداً؟؟

-انت كنت السبب بذلك.

ذكرته بحنق ليضحك بخبث:

-انا لم أجرك الى تلك المتاهة رغماً عنك ؟؟

رفعت رأسها وهمست:

-لاأريد التحدث عن هذا الامر الان.. اتركني اذهب.

رفع كفيه بمرح أسود لاح في عينيه:

-انا لاأمنعك.. تفضلي..

نظرت اليه بحنق.. قلبها ينتفض بقوة بين ضلوعها.. قبل ان تشيح عنه

وتسرع للخارج.. ليصفعها الهواء المثقل بالبرودة بلارحمة.. ارتجفت

ولامت نفسها على نسيانها الشال الصوفي.. ضمت اطراف معطفها اليها ومضت الى الحديقة الخلفية.. كانت الحديقة جرداء .. وفي وسطها صف من الحجارة يقود الى نافورة حجرية جميلة تلألأت مياهها الصافية تحت ضوء الشمس الوليد..

اقتربت منها ولامست اصابعها المياه الرقراقة لتشهق من برودتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-الجو بارد هنا.. قد تصابين بالمرض.

تنهدت بيأس .. لم لايتركها وشأنها.. كان يذكرها بذلك الماعز التعس الذي كان يلحقها في كل مكان في بلدتها.. حتى جاء اليوم الذي توسلت فيه لرعاد اخيها ان يذبحه ويخلصها منه.. لاتزال تتذكر ضحكات رعاد وهو يسألها ان كانت ستموت بعده فكمايبدو بينهما رباط خفي.. ولاتزال تتذكر طعم لحمه اللذيذ..

شعت عينيها بنظرات مرحة وهي تتذكر سخريتها من الماعز المسكين وهو يُذبح.. لدرجة ان رعاد شكك بكونها أنثى كباقي الاناث ..

-مالذي يضحكك؟؟

تسائل سيف بحيرة وهو يقترب ليرى ملامح وجهها المنشرح.. لتغيب ضحكتها وتلتفت له قائلة:

-اتذكر فقط نصيب المتلصص في بلدتي ..

رفع حاجبه بتساؤل لتهتف بحدة:

-الذبح أيها السيـد..

ضحك بجفاف وهو يشعر بذبذبات كراهيتها تطاله.. وتسائل محاولاً الظهور بمظهر اللامبالي والساخر:

-ومن قال انني اتلصص.. انني في منزلي .. تتجولين في حديقتي.. دون اذني؟؟ من منا المتلصص اذاً؟؟

عقدت حاجبيها بحنق لمنطقه البسيط وشعرت بالغيظ يلفها وهي تفكر في رد مفحم ولكن.. كل الكلمات خانتها وتجمدت على شفتيها وهو يقترب منها بتؤدة هامساً بنعومة:

-ولكنني أعفيك من الحرج ياسلمى.. أنا أسمح لك بفعل كل ماتريدين في منزلي.. تجولي حيث ماتشائين.. تصرفي وكأنه بيتك أنت..

قال جملته الأخيرة بصوت مبحوح جعلها ترتجف وهي تتعلق بعينيه القاتمتين.. تعض على شفتيها دون وعي منها وأنفاسها تحبس في صدرها بترقب وهو يقترب أكثر هامساً:

-كـوني سيدة منزلي سلمى.. كوني سيدتي..

اتسعت عيناها بصدمة وهي تتيبس مكانها في حين اقترب منها اكثر,, وهنا همست بشحوب:

-يبدو انك تريد كفاً على الخد الاخر!!

توقف للحظة قبل ان يبتسم هامساً:

-كل مايجيئ منك سلمى.. كله على قلبي كالعسل..

تراجعت شاهقة بعنف ووجنتيها تتلطخان بلون فاق الاحمر الى السواد.. وهتفت بغضب عاصف:

-انت عديم الحياء.. اانت.. اا.. ليس الرجل من يتعدى حرمات غيره..

ابتسم ساخراً لتمحو ابتسامته بصرختها:

-لاتنظر الي بهذه الطريقة ..

ابتلع ريقه بتوتر وهو يرى تجمع الدموع في عينيها وهي تتراجع..

-لاتبكي..

اقترب هامساً لتصخ بحرقة وهي تنفجر بالبكاء:

-لاتنظر لي بهذه الطريقة.. انت خسيس..انت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وشهقت باكية ليسارع قابضاً على كتفيها بقوة.. وهو يصيح:

-يجب ان تفهمي انني أريدك سلمى.. وسأفعل كل مافي وسعي لأحصل عليك..

صرخت برعب وهي تتخبط في قبضته:

-اتركني.. لاتقترب مني.. ابتعد عني ايها الحثالة.. ابتعد عني..

-توقفي.. انا لن أؤذيكي..

-دعني وشأني.. اتركني بحالي..

هتفت باكية وهي تتخبط محاولة ابعاد ذراعيه عنها ولكنه كان كمارد يحاصر قزماً ولافكاك منه.. همس باسمها برجاء لتصرخ بشراسة:

-لو كنت رجلاً لمافعلت بي هذا..

اسودت عيناه وواشتدت قبضته على كتفيها حتى صرخت من الألم في حين كان سيف يدفعها الى ظهر تمثال يحرس نافورة المياه ويقترب ليحشرها بين التمثال وبينه.. كان قريباً .. قريباً لدرجة انها شعرت بحرارته تصلها عبر الهواء.. عبر قماش كنزته الكتانية التي استندت عليها بضعف جوار قوته العنيفة ..\

-لاتجعليني اثبت لك انني رجل بكل مافي الكلمة من معنى في الحال والتو سلمى..

صدمة تجلت في عينيها صدمة جراء جرأته.. وقاحته.. وقلة احترامه لها ..

صدمة جعلتها تتعلق بعينيه وأنفاسه الثائرة .. صدمة جعلتها تنصت للحظة لخفقات قلبها الثائرة .. قلبه الذي انتفض بطريقة لم تعرفها يوماً من قبل.. محركاً فيها أحاسيس لم تظن قط انها قد تراودها..

وبالذات تجاه رجل مثل هذا .. لتوها جردته من معاني الرجولة ..

شعرت ببرودة تجتاح اطرافها بينما عمقها يشتعل بألف نار ..

كان يقترب منها.. بطريقة لم تعرفها قط من قبل .. شعرت بالخوف..

برعب ينتشر عبر أعماقها..كان يقترب أكثر ولو لم تهرب الان.. لو

انتظرت أكثر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ

لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وقطع تفكيرها ذاك الصوت الحاد..

انتفض سيف بقوة مبتعداً عن سلمى.. كاد يتجاوز كل الخطوط

الحمراء ويريها معنى ان تستفز رجلاً.. ولكن هاتفه لم يمهله

والصوت الحاد قطع انغماسه في افكاره المجنونة..

في العادة كان ليتجاهله ويمضي في اثبات رجولته امام هذه الجنية

الصغيرة ولكن.. هذا الاتصال لم ين من النوع الذي يتجاهله فينتهي لا

لا .. كانت نغمة هاتفه مميزة لدرجة انه انتفض حالما سمعها.. كانت النغمة المخصصة للسـلطان نفسه .. كانت نغمة ابيه هو .. سلطان .. سلطان الشيب بنفسه..

تراجع مخرجاً هاتفه باندهاش من الاتصال المبكر.. وحالما فتح الخط وسمع كلمات أبيه المختصرة حتى اتسعت عيناه بذهول هامساً:

-عبدالعزيز؟؟؟؟

ونظر لسلمى التي تراجعت بصمت تحاول لملمة ارتباكها.. وعينيها لاتزال في عينيه تنظر لشحوب وجهه .. واغتمام نظرته وصوته المتحشرج:

-من فعلها؟؟

عقدت حاجبيها بتوتر وهي تلاحظ تغير ملامح وجهه الى الاسود بفعل الغضب.. رأته يومئ برأسه هامساً:

-حاضر ياوالدي.. سأحضر من فوري ..

انتفض قلبها داخل ضلوعها بقوة وهي تراه يغلق الخط بصمت.. ارادت سؤاله عماهناك.. لا لا تباً كل ماارادته هو الهروب.. ولكنها لم تتحرك وبدا وكأن ساقيها ملتصقتين بالارض ..

نظر لها باضطراب..لايعرف ماهية الشعور الذي داهمة وقتها ..

مشاعر غريبة تنافست باحتلال جل مايفكر به.. احساس عارم

بالحقد.. احساس بالغدر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد

قائد) احساس بالغضب (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

واحساس اهم ان هوة عميقة حفرت مكانها بينهما .. أكثر عمقاً من

كل الهوات السابقة.. عميقة لدرجة انها تبتلع كل ماحولهما..

-ماذاهناك؟؟

تجرأت أخيراً وسألت.. وليتها لم تفعل.. فقد اشتعلت عيناه وهو يهمس

لها:

-شقيقك ..

اتسعت عينيها بذعر.. وفكرة صاعقة تهاجمها.. أحد اشقاءها أصابه

مكروه..

-من؟؟ مالذي حدث؟؟؟ تكلم..

صرخت برعب لينفجر بها:

-شقيقك قتل قريبي..قتل عبدالعزيز ابن عمي..

اتسعت عيناها بذعر وشهقت وهي تصرخ:

-من؟؟ مالذي تقوولة؟؟

اقترب يهدر بها بقوة:

-شقيقك الشيخ الجليل حطم ابن عمي..انه يحتضر ..

-قحطاااان؟؟؟

صاحت بشحوب وهي تفكر بأخيها.. قحطان هنااا.. في فرنسا..؟؟

وضرب عبدالعزيز.. عبدالعزيز؟؟

وتوسعت عينيها بصدمة.. لابد انه عرف بعلاقته بسيادة.. ولكن؟؟

ماشأن عبدالعزيز بسيف؟؟ كيف يكون ابن عمه؟؟

-أخيك وقع شهادة وفاته رسمياً سلمى ..

صرخ سيف بعنف..

اتسعت عينيها اكثر وهي تتخيل ماقد يحدث لشقيقها.. وسيف يهدر بعنف:

-يأتي الى مدينتنا وبكل وقاحة يتعدى على السلاطين .. مالذي يظنه هذا الرجل؟؟ أيتوقع أن نسكت له؟؟ ان نمرر ماحدث وكأنما لم يكن؟؟ أيظننا في عمق بلدته الهمجية؟؟ أي غرور يتملكه؟؟ أي قلب ميت يملك ليأتي الينا بقدميه ويتعدى على أحدنا بهذه الطريقة؟؟

-عبدالعزيز .. عبدالعزيز قريبك؟؟

همست بذهول.. وهي تحاول ان تربط كل الامور بذهنها.. تحاول وتفشل.. فشلاً ذريعاً.. والأدهى كان قحطاااان؟؟

هل عرف بمافعله عبدالعزيز لها؟؟ أم ان غضبه كان موجهاً نحو علاقته بسيادة؟؟

تراجعت بصدمة .. وافكارها تتزاحم في عقلها.. يجب ان تحذر أخيها.. يجب ان تحذره من غدر هؤلاء الرجال قبل أن يؤذوه ..

-يجب ان اخبره..

همست بتصميم.. لينظر لها سيف بغضب.. كانت تهم بالرجوع الى الفيللا الا انه اعترضها بسرعة هاتفاً بسخط:

-مالذي تنوين فعله؟؟الى أين تظنين نفسك ذاهبة؟؟

لم تنتبه للعصبية في كلماته ولالنظراته القاتلة.. أخرجت هاتفها بأصابع مرتجفة تبحث عن اشارة للشبكة الضائعة وسط الجبال الشاهقة وهمست:

-يجب ان أكلم شقيقي ..

اختطف سيف الهاتف الصغير من بين أصابعها بقسوة جعلتها تجفل وهو يهمس بفحيح:

-انت لن تفعلي شيئاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-اعد لي هاتفي.. الان..

همست بتوجس.. لتشهق مذعورة وهي تراه يرمي بالهاتف ليسقط وسط النافورة.. ويهمس بتحذير:

-لن تتصلي به سلمـــى.. لن تتصلي ولن تذهبي لأي مكان..

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تهمس بشحوب:

-مالذي تريده مني..؟؟

لمعت عيناه بتصميم وبداخله تدور معركة طاحنة تدوي أصواتها في رأسه وتكاد تعمي بصيرته.. ولكنه سيف الشيب .. ولاشيئ قد يحؤول بينه وبين مايريده.. لاشيئ ..

-انت ستبقين في ضيافتي لبعض الوقت سلمى..

قالها بجمود.. لتتسمر وهي تنظر في عينيه لاتعرف مالذي ينتويه.. أو انها تعرف.. ولاتكاد تصدق..

-ستبقين هنا حتى نحل الامر تماماً مع شقيقك..

-ستحتجزني هنا؟؟

همست بخوف.. ليصمت دون أن يجيب.. الا انها لم تسكت.. بل حاولت ان تتخلى عن خوفها.. ان تقذفه بعيداً عنها وان تتحلى ببعض القوة انها ليست بطفلة تخاف وتخضع..

انها سلمى العزب..

شقيقة قحطـان.. شيخ العزب وحاميها..

على وجهها تصميمها.. وبكل قوتها التي اختزنتها طيلة معيشتها في البر والبدو .. كانت تدفعه عن طريقها بكلتا يديها وتسارع راكضة..

تفاجئ سيف لوهلة.. وقبل ان يقع كان يستعيد توازنه ويسارع للركض خلفها..

اين ستذهبين؟؟

فكرت بذعر.. لاتعرف الى اين ستهرب؟؟ والى من؟؟

لم يكن معها هنا سوى زوجها.. رباااه مالذي ستفعله.. كادت الدموع تطفر من عينيها وهي تدرك ان الذئب يركض خلفها.. والمسافة بينهما تقصر بشكل مريع.. تباً له اي ساقين يملك.. صرخت بقوة حين شعرت بذراعه تمتد وتلمس ذراعها ..

ولكنها لم تتوقف بل ركضت اسرع واسرع..

رغماً عنها كانت تتجه الى مدخل الفيلا.. رغم كل شيء.. فراس كان زوجها.. وابن عمها ولابد انه سيساعدها .. سيتحرك.. سيفعل شيئاً..

الدرجات كانت قريبة منها .. فقط خطوة واحدة وستملأ الدنيا صراخاً..

ولكنه أدركها ..

لمسة واحدة وكان يتشبث بذراعها بل يجذبها بقوة لتسقط ارضاً ويلحقها ..

صرخت بقوة ولكنه كتم صراخها بقبضة حديدية.. تخبطت تريد التملص من ثقله ولكنه لم يمهلها..

كان يثبتها بقوة.. بذراع حول وسطها حملها كشوال من البطاطا ورفعها على كتفه كذبيحة.. لم يهتف لصرخاتها وهو يأخذها بعيداً.. بعيداً عن الفيلا.. بعيداً عن زوجها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

صرخت.. ضربت بذراعيها.. بساقيها ولكن دون فائدة..

كان أقوى بكثير.. كانت تشعر بصداع يهاجمها من وضعها المقلوب..

وكل الثارة التي شعرت بها والحماسة كلها بدأت بالانحسار عنها

وكأنما دفعت بجسدها وطاقته الى الاقصى ماتتحمل وكله الان ينهار.. تشعر بنفسها تنهار..

-انزلني الان..

همست بضعف ولكنه لم يلقي لها بالاً ..

أخذها الى احدى السيارات المتوقفة.. كانت جيب مكشوفة يقودها احد الرجال.. وضعها برفق على المقعد الخلفي.. ارادت الهروب.. ولكنه كان يتشبث بها بقوة.. دون ان يسمح لها بحتى التحرك.. مقيداً يديها بقسوة آلمتها.. وهي تصرخ:

-الى أين تأخذني؟؟

تنهد بنفاذ صبر.. بتعب.. بقلق.. وقربها منه.. ليسندها الى صدره بينما تشق الجيب طريقها في الغابة..

-سأخذك بعيداً.. سأخذك وأخفيك عن الجميع ..

بكت بمرارة .. بكت تتوسله ان يتركها تعود .. ولكنه لم يكن ينتوي هذا ابداً.. لم يكن ينوي تركها الان.. لأنها الضحية المثلى للسلطان.. كانت هي الطعم الوحيد المتوفر للقضاء على أخيها.. وكان عليه اخفائها قبل ان تصل ايدي السلطان اليها مهما كلفه هذا الامر..

***

وأخيراً وصلا الى البلدة..

رحلة شاقة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) متعبة ..

وصلت تشعر بتصلب في ساقيها.. وظهرها يكاد يقتلها ..

غثيان مريع وقد تقيأت عدة مرات.. يالله.. هل سيكون حملها سيئاً منذ البداية.. شعرت بارتجافة.. ونظرت الى قحطان كم كانت تريده قربها لتستند عليه.. تريح رأسها المنهك على ذراعه..

ولكن.. لقد اختار الجلوس الى جوار السائق وتركها وحدها في المقعد الخلفي..

يالله لقد رفض حتى توسلها للبقاء في عدن لقضاء الليلة.. حتى ترتاح من اجهاد السفر.. وأصر على ان يعودا من فورهما .. ستقارب الساعة منتصف الليل.. وهي بالكاد حصلت على الراحة..

تنهدت بضيق.. والدار تظهر في الافق.. وحالما وقفت السيارة ترجل هو وفتح لها الباب هاتفاً بغلظة:

-ادخلي دون تلكك..

ماذا أصابه؟؟

فكرت بحزن.. ثم سارعت بالدخول.. كانت حماتها بالانتظار وقد ابلغهم حال وصولهما لعدن ..

-وأخيراً وصلتما.. أين ابني؟؟

قالتها العجوز بلهفة.. وشعرت سيادة بكراهية شديدة لها دون ان تعي السبب.. وهمست بارهاق:

-انه يأتي بالحقائب ..

وسرعان ماسمعته خلفها يلقي بالسلام بصوت جهوري معلناً وصوله كالعادة في حال وجود اي احد من غير محارمه.. ورأت امه تسارع اليه لتعانقه .. ويقبل كفيها بحنان ورأسها باحترام وهو يطمئنها عنه وعن سلمى.. دون ان يأتي بذكر انه لم يرها اصلاً ..

ثم جائت الجوهرة ليضمها اليه بحنان ويطمئن عنها وعن طفليها قبل ان يقول:

-سأذهب لأرى جدي.. وانت..

موجهاً حديثه لسيادة بصوت زاجر:

-لاتقفي متسمرة هكذا.. سلمي على والدتي والجوهرة ثم اذهبي لمخدعك..

اتسعت عينيها بذهول وهي تسمع كلماته الفظة.. مالذي يقوله..؟؟ لمايكلمها هكذا كالجواري؟؟

رأته يتجه نحو الباب المؤدي لديوان الجد قبل ان يتوقف وينظر لها هاتفاً بشدة:

-حضري لي العشاء قبلاً فأنا جائع.

ابتلعت ريقها بصعوبة ولسعتها الدموع.. قبل ان تشعر بيد الجوهرة على كتفها وهي تهمس:

-سيادة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) تعالي..

نظرت لها بعينين متسعتين لامعتين بالدموع.. ورأت حتى حماتها تناظرها بشك.. وقد استغربت تغير مزاج ابنها من زوجته الباريسية.. وفي الحال حملتها كل الملامة على تعكر مزاج ولدها الغالي وصاحت بها بحقد:

-مالذي فعلته لولدي؟!

تراجعت سيادة بذعر وامه تهاجمها بقسوة:

-مالذي فعلته هناك؟! هيا تكلمي؟!

-لم أفعل شيئ.

همست سيادة بألم.. لتجذبها الجوهرة وقد استشعرت مدى صدمة الفتاة وقلة حيلتها:

-اماه.. لابد ان قحطان مجهد من السفر وكذلك سيادة.. تعالي معي حبيبتي ..

وتجاهلت لغط أمها في زوجة ابنها ومضت بها الى جناحها المرتب والمبخر كالعادة ..

-شكراً لك..

همست سيادة بتعب.. وتركتها تقودها للسرير واستلقت عليه مجهدة غير قادرة حتى على نزع عبائتها لتبتسم الجوهرة:

-لاتقلقي مماقال قحطان.. رجال قبيلتنا كأرض البلدة وسمائها..

ساعة تصفو وتزهر وفي الاخرى هي عاصفة وقاحلة.. وماعلينا سوى التاقلم..

ابتلعت سيادة خيبتها والاسى بداخلها .. وان ظل خوف مريع يعشش خلف عينيها ..

-اذهبي لتغسلي عنك عناء السفر وسأحضر انا العشاءلك ولشقيقي الغاضب.. هيا الان..

اومأت لها .. ونهضت تغتسل بسرعة.. ارادت ان تصدق كلمات الجوهرة.. وطمئنت نفسها ان السفر لابد اثر عليه.. واتعب اعصابه ..

ارتدت ثوباً قطنياً ناعماً يصل الى ركبتيها احضرته من مجموعتها الخاصة والتي اصرت على جلبها معها هذه المرة من باريس..رغم رفضه في البداية.. وكالعادة كان يحمل حرف اسمها كعقدة جميلة خلف ظهرها.. ورفعت شعرها.. تعطرت بعطره المفضل.. وانتظرته.. بصبر..

تأخر..

نظرت لساعة الحائط.. ربما لساعة أو يزيد.. وهي جائعة.. ومرهقة..

استلقت على الفراش.. وبسبب التعب .. غرقت في النوم..

واخيراً استجاب لمطلب جده وغادر مجلسه..

كان يريد البقاء هناك والى الابد..,

لم يكن يريد الانفراد بتلك المرأة .. لم يكن يريد ان يكون في موضع يختبر فيه قوته.. ضعفه.. مشاعره الغريبة التي تكبله ..

اخيراً وبعد أن طمئن جده عن شقيقته والتي لابد تقضي ايام شهر عسلها بهنا عاد الى مخدعه.. بالطبع لم يخبره عن ابن السلاطين وكيف يفعل؟!

لقد وافق عمه على المشاركة في المسرحية الهزلية لانقاذ سمعة تلك الفتاة .. سمعة عائلته.. ولكن الان وهو يرى انه قد وقع في فخ الجميلة الحمراء.. لايكاد يعرف كيف يعاقبها.. كيف ينتقم لكرامته المهدورة ..

دخل غرفته.. لتهاجمه البرودة الغارقة برائحة البخور.. ورائحة اخرى لطعام شهي.. تنبهه انه لم يأكل شيئاً منذ صباح الامس؟!

دخل بخطى مترددة.. يبحث عنها.. حتى وجدها هناك.. على فراشه ..

تصفد عرقه عن جبينه وهو يراها بكل تلك الانوثة المتفجرة.. بثوب انحسر عن ساقيها.. وارتفع فوق ركبتيها ببضعة انشات ..

"يارب الكون"

أشاح عنها زافراً.. واغمض عينيه وكلماتها المهلكة عنها وعن ذاك الحثالة تصفعه بلارحمة..

هل رآها هكذا..؟؟

اشتعل الغضب الحارق في اعماقه.. واقترب منها وفي عينيه لاتوجد سوى حمم حارقة من القهر.. والرغبة في القتل.. لامس ذراعها العارية بأطراف أصابعه.. لامسها برقة تكاد لاتُحس.. مروراً الى كتفها ثم عظام ترقوتها المكشوف.. حتى أسفل رقبتها الغضة.. وذلك النبض الذي يضرب بجنون..وتاقت اصابعه للاحاطة بعنقها النحيل.. والضغط .. الضغط .. حتى تشحب ملامح وجهها.. تجحظ عينيها.. ويرى روحها تغادر هذا الجسد الخائن ..

"قحطاااان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) قحطاااااااان"

انتفض بقوة .. يخرج من احلام يقظته على عينيها المتسعتين بذعر .. كانت اصابعه فعلاً تحوط عنقها.. وقد بدأتا بالضغط .. ولكن استيقاظها المفاجئ.. حال دونه ..

تراجع بذهول وقلبه ينتفض بعنف وهي تصرخ بصوت متحشرج:

-ماذا تفعل بي؟؟؟

عقد حاجبيه.. تتصارع في مشاعر الألم.. والغضب.. الكراهية العميقة.. الحقد الأعمى.. ومشاعر وئدها بقوة.. تجعله يرتخي.. وتحول بينه وبين واجباته القبلية.. التي تربى عليها..

-كنت اوقظك.. هل أذيتك؟؟

نظرت له بذهول؟؟ مالذي دهاه..؟؟ لوهلة ظنته يحاول قتلها.. اصابعه حول عنقها تخنقها .. تمنع عنها الهواء.. همست له:

-توقظني؟؟ بخنقـي..؟؟

ضحك بجفاء.. واشاح بيده:

-لو اردت خنقك ياسيادة لماكنت تناقشين الامر معي الان ..

اتسعت عيناها بصدمة ليغير الموضوع بصوت جاف:

-هل اعددت العشاء؟؟

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تحاول ان تخرج الامر من رأسها فليس من المعقول ان يحاول قحطان ان يخنقها مالذي دهاهها لتفكر بهذه الطريقة؟؟

-الجوهرة اعدته..

كان يريد ان يعاقبها على عصيانها اوامره بان تعده هي ولكنه كان متعباً حقاً .. تنهد واشار لها ان تتبعه لتناول الطعام.. وفعلت بتردد.. ولكن ماان جلست الى جواره وه يفتح الاغطية عن الطعام الدسم حتى شعرت بالغثيان يهاجمها من جديد.. وبقبضة حديدية تعتصر معدتها.. لتنهض بسرعة وتسارع الى الحمام لتفرغ مافي جوفها .. اراد ان ينهض بعدها.. اراد ان..

ولكنه لم يفعل.. بل جلس بكل برود(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) يراقب الباب الذي اختفت خلفه ويسمع صوت تقيوئها المؤلم.. غادرته رغبته بالطعام ونهض مستغفراً.. ليراها تغادر الحمام وقد تصبب منها العرق دائخة.. تترنح..

كان من المفروض ان يلبى نداء الذراع التي مدتها تستعطف سنده وقوته.. ولكنه لم يفعل..

بل وقف بكل جبروته امامها.. ونظرة مشمئزة تطغي على وجهه وهو يهتف بقسوة:

-حين تتقيئين مجدداً أغلقي الباب خلفك.. لقد أفسدتي عشائي..

اتسعت عينيها بصدمة ووجهها يشتعل خجلاً.. لم تتوقع ان تكون هذه ردة فعله؟؟ ماذا عن وقوفه الى جوارها.. ماذا عن اسناده لها عند

الحوض ومسح رأسها وتقبيل جبينها..؟؟ ماذا عن توعده لصغيره المسبب لأذيتها بالويل والثبور.. ماذا عن مغزلته الرقيقة لها بعدها.. واخبارها انها وفي أسوأ حالاتها تبدو جميلة.. مرغوبة.. ومثيرة .. نظرت له بذهول.. هذا الشيـخ.. هذا الشيخ لايعترف باي غزل.. هو لايعترف ابداااً.. حتى بأبسط المجاملات!!

شعرت بالقبضة المؤلمة تعود لتعتصرها.. ولكنها حاولت ان تكتم ألمها.. تكتم خيبتها وهمست بقهر:

-انه ابنك.. هو من أفسده وليس أنا.

اشتعلت عيناه بالغضب.. كذبها المتواصل.. يارب الكون الى أين قد تصل هذه المرأة.. ولكنه لم يرد ان يظهر غضبه.. لم يرد لها ان تكتشف ان ضعفه يكمن في الغضب..

ولذا ابتسم بسخرية.. ونظر لها من رأسها الى أخمص قدميها بنظرة احتقار صفعتها بألم وهي تكاد تصرخ من فرط وجعها الداخلي بسببه ..

-ابني؟؟

قالها بترفع.. بنكران.. بتكذيب وصلها كاملاً.. لتتسع عينيها بذهول وهو يقترب منها ليهمس:

-أتظنينني حقاً أصدق حملك المزعوم سيادة؟؟

اتسعت عينيها بذهول.. وتعلقت بنظرته السوداء القاتلة.. وهو يهمس بصوت حمل مرارة كل ماعرفه وأدركه:

-لاأظن اانني مغفل لأصدق منك شيئ سيادة.. فأنت المرأة الاولى التي تحمل حتى قبل ان يمسها زوجها.. أليس كذلك؟؟

شحب وجهها .. وتراجعت خطوة وهي تعي بصعوبة مايلمح اليه:

-ما..ماا ..

لم يمهلها حتى ان تكمل كلماتها المتلعثمة .. بل سرعان مااوقف تراجعها بقبضة ككماشة اشتدت حول مرفقها وهو يهزها بقوة:

-مالذي تتلعثمين به يابنة عمي المصون؟؟ مالذي ستقولينه في الدفاع عن نفسك يابنة سالم العزب؟؟

هزت رأسها مذعورة ليرفع لها قبضته ذات الخدوش وصرخ بها بعنف:

-كنت قلقة من الخدوش التي اصابت قبضتي.. وكأنك شعرتي بأنها من قضى على الرجل الذي بعتي عائلتك.. بعتي نفسك لأجله..

شهقت مصدومة وهو يهزها بقوة أكبر صارخاً:

-نعم ايتها العزيزة.. لقد اووسعت ذاك الحثالة ضرباً حتى أزهقت روحه ..

-من؟؟ من؟؟

همست بشحوب وسط دموعها وهي لاتكاد تستوعب مايقوله..

ليصرخ بها بعنف:

-ابن السلاطين.. ابن(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).. الوغد الحقير.. الرجل الذي تركتني لأجله.. حبيبك ايتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

اتسعت عينيها بذعر وهي تهز رأسها نافية اتهامه البشع .. الفاظه التي قسمتها نصفين.. وبكل قهر هتفت من بين دموعها:

-لا لا.. عبدالعزيز..!!!!!!!!!!!!!!اه

وقطعت صرختها المعذبة دموعها بفعل صفعته المدوية والتي رمتها ارضاً.. بعيداً عنه لأمتار.. وهو يسكتها بعنف.. قبل ان يسرع ليقبض على كومة شعرها رافعاً اياها اليه وهو يدمدم بعنف:

-لاتنطقي اسمه.. ابداً ايتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

بكت بمرارة وهي تحاول التخبط بين ذراعيه.. علها تتخلص من قبضته المؤلمة عليها ولكن هيهات.. كان كإعصار.. إعصار هائج لم تستطع التخلص منه ابداً.. حتى رماها على الفراش بقسوة شديدة.. شعرت معها ان رأسها يدور في دوامة ولايقف ..

-انا لم اعلمك بعد ياسيادة.. لم أربيك بعد.. ولكنني سأفعل .. اقسم باللّه انني سأريكي من يكون شيخ العزب.. سأجعلك تندمين على اليوم الذي فكرتي فيه بخيانتي ..

رفعت له رأسها.. لتقوى على الحفاظ على وعيها.. همست بصوت ثقيل:

-اانا.. لم اخنك.. ابداا..

اقترب يمسكها من كتفيها بقسوة.. قربها منه حتى اختلطت انفاسهما وهو يهتف بجنون:

-لقد قرأت رسالتك الملعونة تلك ياامرأة.. قرأتها بعد ان ..

وتحشرجت الكلمات في حلقه وهو يرى اتساع عينيها.. مالذي سيقوله لها..

قرأى الرسالة بعد ان اكتشف معها مشاعر لم يعرفها مع أحد.. مشاعر مجنونة وثائرة .. لتعاقبه على تلك الكبوة بأقسى طريقة

ممكنة.. لتهجره وتعلن ان قلبها لسواه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

كيف له ان يثق بها بعد الان؟؟ كيف له ان يغفر وينسى كيف؟؟

اما سيادة فقد نظرت له بذهول لاتستوعب اي شيئ.. لقد استعاد ذاكرته.. عيناه السوداوتان هما عينا قحطان القديم.. قحطان المتوحش.. الساخر.. قحطان الشيخ الغاضب.. الشيخ البدوي.. قحطان الذي كرهته.. قحطان الذي وقعت بحبه دون ان ترغب..

-ستدفعين الثمن سيادة .. ستدفعين ثمن كل شيئ.. وسترين كيف ينتقم شيخ العزب..

نظرت له بألم.. ووجع..وجع شق قلبها نصفين وذكرياتها الجميلة معه.. مع حبه وحنانه الذي لن تره بعد الان.. تنساب امام عينيها وتتهاوى مخلفة مكانها خرائب من الذكريات السوداء.. ألم.. ذُل ..

-هل ستقتلني ياشيخ؟؟

"اه كم اتمنى قتلك والارتياح من كل هذا العذاب ياسيادة"

فكر بقهر.. بألم..

"ولكنك أضعفتي هذا القلب.. لعبتي بمشاعره.. حركتي فيه مالم يكن بالحسبان يابنة العم.. زرعتي فيه مشاعر لم تكن موجودة.. فكيف أقتلك.. كيف أقتل نفسي .. أقتل روحي التي سلمتها اياك؟؟؟"

نظر لها بألم .. لم تره سوى سواداً يطل عليها.. سواداً يحمل حقده وغضبه..

-لا يابنة العم(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لن اقتلك وأريحك.. ابداً..

ابتلت ريقها بصمت بينما لامس هو جانب وجهها بظهر كفه.. وراقب بأسى كيف اغمضت عينيها باكية استجابة للمسته الخشنة.. التي عصفت بمشاعرها بلارحمة.. وهمس بصوت جاهد كي يبقيه متماسكاً:

-ماسأفعله بك يابنة عمي.. سيجعلك تتوسلين معه الموت رحمة ..

فتحت عينيها بذعر.. ليهمس لها بشراسة:

-سأقهـرك ..

شهقت بذعر.. لقساوة الكلمة التي أعادها بقسوة أكبر:

-سأقهر سيـادتك.. سأمرغ كرامتك في التراب .. سأجعلك مجرد امرأة لاتسوى حتى مجرد الاسم الذي تحمله.

-قحطاااان..

هتفت به مناجية حالما ابتعد.. ليصرخ بها:

-انت الان مجرد جارية في هذا الدار.. زوجة بالاسم.. تفعل كل مايطلب منها ..

نظرت له بحرقة وهتفت بهستيرية:

-انا لن اعود لأكون خادمتك .. لن اعود الى تلك الفترة من حياتنا ابداً..

ضحك حينها.. ضحك ببرود جمد عروقها.. قبل ان يقول بتشفي:

-ماحدث وقتها لن يتكرر بالفعل.. فأنت الان لاتستحقين ان تكوني خادمتي حتى ياامرأة ..

-مااذاا.. ماذا تعني؟؟

همست بخوف.. ليقابلها بشراسة وهو يقول:

-انت لن تكوني خادمتي سيادة.. فأنا سأهجرك.. سأتركك هنا .. تخدمين امي.. تحت امرتها.. أما انا .. فلاتحلمي حتى بأن تريني..

اتسعت عينيها وهويقترب منها ساخراً:

-ستبقين هنا وحدك.. وستتكفل والدتي الغالية بالباقي.. بينما يعرف الجميع.. انك مجرد زوجة مهجورة.. لاتطالين شيئاً بين السماء والارض.. معلقـة ..

هاجمتها الكلمة بقسوة ..

يهجرها؟! لا لا .. هو لن يقوى على الابتعاد عنها.. هو لن يجرؤ ..

-انت.. لن تستطيع ..

همست بتخاذل.. بصوت متهالك.. ليرفع حاجبيه باستهزاء فصرخت بصوت شاحب:

-انت لن تقوى على الابتعاد عني قحطاان.

اشتدت عيناه قسوة .. وبكل جمود قال:

-انت مجرد امرأة.. أتفهمي.. مجرد امرأة.. مللت منها ومن خيانتها ونشوزها ..

رفعت رأسها بشموخ وهتفت رغم شحوب صوتها من البكاء:

-انا لست مجرد امرأة .. انا سيااادة العـــزب.. وانت تريدني انااا.. تتوق لي انااا ..

ونهضت بساقين مرتجفتين.. اقتربت منه.. تهمس راجية:

-انت تحبني أنااا.. انا فقط وليس سواااي قحطاان.. لن تكون هناك امرأة لك سواااي..

ضحك حينها.. ضحك دون معنى فقط ليرى الالم الذي انتشر عبر ملامح وجهها وهو يهمس بقسوة:

-هناك الكثير من النساء غيرك سيادة ..

تجمدت عينيها وهمست:

-انت .. لا.. انت لن تقدر.

رفع حاجبيه وهو يقول بتشفي:

-ومالذي يقهر المرأة.. سوى امرأة أخرى؟؟

-لاااااااااااااا,,

صاحت بوجع ليتراجع هو بظفر وقد رأى القهر في عينيها.. رأى الوجع .. الألم.. رأى ماكان يتوق له ..

-امرأة اخرى ياسيادة.. هي كل ماحتاجه بدلاً عنك .. وأنت..

ونظر حوله بهدوء ..

-وانت ستبقين هنا.. وحدك.. مجرد جارية.. في منزل الشيخ..

قالها ببرود.. ذبحها كسكين.. قبل ان يستدير عنها ويغادر.. دون اي كلمة اضافية وكأنما قد قال كل مالديه.. تهالكت ارضاً.. وتهاجمها الكثير من الافكار ..

لقد تذكر كل ماكان.. كيف ولماذا لاتعرف؟؟ قتل عزيز؟؟ فليذهب الى الجحيم لكل ماسببه لها..؟؟ ولكن الان هو يظنها خائنه؟؟ يظنها فعلاً تريد ذاك المخلوق البغيظ..

قحطان لم يكن يعترف بحملها؟. وفوق كل هذا كان يخطط لينتقم منها؟؟ وليس بأي طريقة.. كان يخطط لهجرها.. والاسوأ.. الزواج بسواها؟؟؟

اشتعل قلبها جمراً وهي تتخيله ينفذ مايقول..

تتخيله يتزوج.. تتخيل امراة اخر الى جواره.. تتخيل ان تكون له سواها.. تتمتع بقوته.. ببحبه؟؟

لاااااااااااااااااا

صاحت بوجع.. افترشت الارض.. تبكي بحرقة.. وهي تدرك ان كابوساً جديداً قد بدأ..

وهي لترى منه سوى الصفحة الاولى..

***

نهاية الفصل

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الثاني والعشرين

***

انتهت الليلة الثالثة..انتهت ببزوغ شمس باردة لاتحمل شيئاَ من الدفئ.. لاتحمل سوى بعض ضوء.. وهموماً جديدة لاشك انها ستتفاقم فلاسبيل لها ان تزول ابداً ..

راقبت الشروق الفاقد لمعانيه من خلف جبال الآلب ونظرة البؤس تظلل عينيها.. الى متى تظل هنا محبوسة؟؟ الى متى تظل وحدها في كوخ مقفر وسط الجبال.. وسط غابة سوداء لايكاد يُرى لها بصيص نور.. هاهي الشمس حالما تتوسط السماء حتى تخفي ضوئها سلاسل الجبال المتوسطة والتي يقبع الكوخ في باطنها.. وفي الليل يجن الهواء .. وتشتد برودته حتى تكاد تحطم مفاصلها.. ولولا النار التي تضطرم في المدفأة لكانت ماتت منذ زمن..

لاتصدق انه جاء بها الى هنا ليتركها.. وحدها دون رفيق.. حتى الحراسة التي جاء بها أخذهم معه.. حسب ماقال فهو لايثق بأحد في هذه المرحلة.. لم تفهم عما يتحدث ولاتريد أن تفهم.. فقط تلك المرأة العجوز التي تشاركها الكوخ والتي لاتتقن حتى الحديث معها.. فلغتها الفرنسية كانت غريبة.. مزيج من لهجات كانت صعبة على لغتها الفرنسية الحديثة .. ولذا وبعد اليوم الاول من محاولة التحدث مع

العجوز التزمت الصمت.. لجأت اليه هو والصلاة علها تحررها من أسرها..

تنهدت بيأس.. ترى مالذي حدث لأخيها؟؟ أين هو الان؟؟

هل عاد للبلدة أم أنهم ألقوا القبض عليه؟؟ شعرت بقبضة مؤلمة تعتصر قلبها وهي تفكر ان قحطان قد تأذى بشكل ما؟؟ وانسابت دموعها بحرقة .. لاعائلة تسندها ولازوج يبحث عنها؟؟ هل فطن حتى لغيابها عنه؟؟ هل انتبه انها لم تعد موجودة؟؟ انها اختفت ام ان الامر لايهمه بأي شكل؟؟

جلست على المقعد أمام النافذة وراقبت صعود الشمس لمكانها وهي تحيط كتفيها بحرام صوفي ثقيل يقيها البرد ..

لما فعل بها هذا؟؟ لما أحضرها الى هنا عند هذه المرأة التي لاتنظر اليها الا لتبتسم ببرود ثم تعود لممارسة حياتها.. فكرت بالهرب.. منذ جاء بها الى هنا فكرت بفتح الباب والرحيل ولكنها لم تفعل ..

تنهدت وهي تتذكر ماقاله لها حالما وصلا الى هنا بعد رحلة مضنية بالجيب.. بعد ان صارعته .. بعد ان توسلته.. بعد ساعات من محاولة التفاهم.. نظر في عينيها وهتف:

-انا لن أغلق عليك الباب ياسلمى.. انا لن أحبسك هنا.. ولكنني اطلب منك البقاء حتى انتهاء المشكلة.. ابقي هنا بعيدة عن الأذى حتى أحل المشكلة.. انت لاتريدين لأحد أن يجدك الان.. عائلتي لو تعرف بمكانك.. سيستخدمونك ضد أخيك.. وانت لاتريدين هذا؟؟

-أعدني لأخي..

همست متوسلة .. ليتنهد هو بتعب ويهمس:

-سأفعل كل مابوسعي ولكن عديني ياسلمى.. عديني انك لن تهربي من هذا المكان حتى أعود لأخذك..

نظرت حولها وهي تهتف:

-سأهرب من هنا ولن تجدني..

شعت عيناه بالغضب للحظات قبل ان يقترب ممسكاً بكتفها بقوة ألمتها:

-انظري حولك.. نحن في اعماق البروفانس .. بعيداً عن اي مكان مألوف.. وسط الجبال الى اين تظنين نفسك ستذهبين دون سيارة؟؟ أتريدين الموت ياسلمى؟؟

شهقت بذعر ليستمر بحنق:

-لأن هذ ماستقابلينه حال الخروج من هنا.. الموت فقط..

تراجعت تكتم شهقات دموعها وهو يواصل وقد هدأت ثورته قليلاً:

-عديني بالبقاء سلمى.. دعيني اذهب مطمئن البال..

لم تعده .. ولكنها صمتت واشاحت عنه وقابل هو صمتها بالارتياح.. وقد فسره بالقبول..همس لها بالوداع وانه سيعرف عنها الكثير من المرأة التي ستشاركها البقاء في الكوخ .. ولم يقل أكثر.. وغادر ولم يعد..

نهضت تقترب من النافذة.. وألصقت أنفها بالزجاج.. تشتم رائحة الصباح الثقيلة بالبرودة والتي تسللت عبر ثقوب الخشب المحيط بالنافذة.. قبل ان تنتفض بذعر وهي تسمع ذلك الهدير القوي الذي بدا وكأنه لألف سيارة بسبب الهدوء والصدى.. وشرعت بالركض الى الباب وفتحته بسرعة وهي تراقب الطريق القادم من داخل فرجة ضيقة بين الاشجار مفضياً للكوخ.. واتسعت عينيها وهي تراقب اقتراب الجيب.. والتي ترجل هو منها قبل ان تقف كلياً مثيرة عاصفة من الغبار ..

لم تحاول اخفاء لهفتها لرؤيته.. لم تحاول تفسير خفقات قلبها التي انتفضت بلاتوقف حالما رأته يقطع المسافة التي تفصله عنها بخطوات واسعة سريعة.. رأت ابتسامته تعلو وجهه.. واتسعت عينيها وهو

يقترب اكثر واكثر.. حتى لم يعد يفصلهما سوى انشات لاتتعدى اصابع اليد الواحدة وهو يهمس بشوق:

-لقد اشتقت لرؤيتك ..

تراجعت شاهقة بذعر من لهفته اللامعقولة والتي تجاوزت حدود المسموح في عرفها بمراحل لتهتف به بخشونة:

-ابتعد عنــي..

شعر بالاحباط لوهلة لقلة تفاعلها لعدم لهفتها .. ولكنه تأنى.. تأنى وجمل نفسه بالصبر للحظات وهو يتراجع مقدراً شعورها دون ان يعقله.. يريدها ان تفقد اتزانها هذا.. يريدها ان تفقده للحظات وتغرق معه في الجنون.. ولكنه يدرك انها اقوى منه في هذه الناحية.. فعلى الرغم من كونها أنثى الا انها شيخة قبيلتها.. وفي عرفها فلاوجود للغزل.. لاوجود للحب.. لاوجود للجنون الذي يعيشه الان..

-ألن ترحبي بي على الاقل؟!

عضت شفتيها برقة وهي تهرب بعينيها من عينيه.. من الإلحاح المخيف .. والمشاعر التي تطاردها بلاهوادة

المشاعر التي لاتعرف لها عنوان ولاتجيد نحوها سوى التجاهل بكل قوة ..

-متى ستعيدني؟؟ هل يبحثون عني؟؟

تسائلت هاربة من نظراته ليسخر منها بخفوت:

-تقصدين فراس؟؟

لم تكن تعنيه بالضرورة .. بل لم تكن تعنيه اصلا ولكن ذكره زرع بعض الامل في قلبها لتنظر لسيف بلهفة فسرها على نحو خاطئ تماماً فتجهم وجهه وتجاهل السؤال وهو يدلف الى الكوخ حيث وجد المرأة التي عهد بسلمى اليها وبعد سؤالها بلطف عن حالها كان يسألها ان حاولت الخروج او طلبت منها ذلك فاجابت المرأة انها لم تفعل اي شيئ من هذا القبيل ليشكرها سيف بهدوء لايشي بفرحه الداخلي لاطاعتها اياه بهذا الشكل ثم طلب من المرأة مرافقة السائق للتسوق .. والا تعود حتى يتصل بهما.. وفعلاً نفذت العجوز دون نقاش..

راقبت سلمى كيف اخذت المرأة معطفها وقبعتها وغادرت المنزل لتغادر امام عينيها بالسيارة وتتركها وحدها معه!!..

-الى أين ذهبت؟؟

تسائلت بذعر.. ليجلس سيف على احدى الارائك الخشبية ويرفع ساقيه بارهاق:

-ستتغيب لفترة.. لما لاتجلسين لدينا الكثير لنتحدث عنه.

راقبته من مكانها امام الباب وهتفت بحنق:

-لاشيئ بيننا.. لاشيئ نتحدث بشأنه ياهذا.. فقط أعدني الى منزلي..

ضعني في طائرة وارسلني الى بلدتي.

همهم بالرفض من خلف جفنين مطبقين لترفس الارض بقدمها بحنق

وتصيح:

-انت وغد لاتطاق.

-ربما انا كذلك .. ولكن رشقي بالاتهامات والالفاظ المسيئة لن

يوصلك لأي مكان..

-هدد بوعيد لتهمس بأسى:

-ماذا قلت لفراس عن غيابي؟! لابد انه لاحظ غياب زوجته..

نهض بسرعة فاجأتها وكأنه ذئب هاجمته على حين غرة واقترب

يهمس بقسوة:

-ان كان لم يلاحظك وانت الى جواره فكيف سيلاحظ غيابك من

الاساس؟!

تراجعت مذعورة وخجلة من ملاحظته المهينة.. ليزفر بنفاذ صبر

ويقول لها:

-سلمى لاتفكري بفراس ابداً.. فراس في عالم أخر لن تصلي اليه ابداً..

رفعت له عينين لامعتين بالدموع الحبيسة ليهمس مواسياً:

-هو لايستحق هذه الدموع الغالية .. لايستحق اي ذرة من تفكيرك حتى.

ضمت شفتيها بقوة تمنع نفسها من الانفجار بالبكاء.. كيف لمواساته ان تدفع بالدموع لعينيها بهذه الطريقة الغريبة.. خفضت عينيها ولم تتكلم.. في حين تراجع سيف بارهاق..

انه متعب.. يشعر بنفاذ طاقته الداخلية كلهامنذ عاد الى باريس وهو لم يذق طعم النوم.. سوى لبعض ساعات في رواق المستشفى بانتظار اي خبرعن قريبه عبدالعزيز..

عاد بذاكرته للحظة التي وصل فيها الى المستشفى..

كان هناك اثنين من اولاد عمومه.. احدهما هو شقيق عبدالعزيز الاكبر.. من والده.. والاخر هو قريبهما ..

-كيف حاله؟؟

تسائل بخشونة ليجيبه شقيق عبدالعزيز "طارق" بوجوم:

-سيئة.. لديه اربعة اضلاع مكسورة.. وبعض عظام الوجه والفك..

كما ان هناك ارتجاج في المخ.. لايعرفون الى متى سيظل فاقداً لوعيه ..

شتم سيف قبل ان يتسائل:

-من قال ان ابن العزب هو من فعلها؟

-سائقه الذي كان يرافقه قال انه دخل في شجار عنيف مع زوج ابنة سالم العزب.. قبلها بساعات.. وانه خرج من منزلهم في حالة يرثى لها ورفض بقاء الجميع معه.. وتقرير الشرطة يصف المهاجم بنفس الصفات التي تركها السائق.

زم سيف شفتيه بعصبية ومضى يقطع الممر ذهاباً واياباً بانتظار الاخبار من غرفة العمليات ..

-والدك وصل الى باريس.. انه في منزل العائلة..

قالها ابن عمه الاخر.. سلمان..فزفر سيف بتوتر.. مادام السلطان هنا فالأمر حقاً سيئ ..

اومأ لابني عمه بادراك فسارع سلمان بالتوضيح:

-وهو يريدك ان تذهب اليه حال وصوله..

اغمض عينيه بحنق.. الوضع سيئ.. جداً سيئ..

تركهما وذهب الى منزل العائلة ..

حالما دخل التقته مدبرة المنزل بالدموع وهي تسأله عن حال السيد الصغير فتجاهلها متسائلاً بغلظة عن مكان ابيه لتشير نحو المكتبة..

فزفر بضيق وشد من عوده قبل ان يتوجه الى الباب الموارب ويفتحه بتردد..

كانت النيران تصطلي في المدفأة.. وعلى كرسي متحرك جلس السلطان يواجه الشعلة الملتهبة.. تغرق عينيه الحادتين في اللهب المستعر كما اعماقه..

-ادخل.. واغلق الباب خلفك.

قالها بصوت خافت.. مظلم.. فابتلع سيف ريقه.. هو لايخاف من أحد.. لايوجد مخلوق على وجه البسيطة يجعله يراجع قراراته مرتين.. ولكن والده!!..

هو يفعلها معه مرات ومرات..

اغلق الباب وتقدم ليقف امامه.. ثم انحنى يلتقط كفه ويقبلها هامساً:

-مرحباً بك سلطان.. كيف حالك؟؟

نظر له ابيه بغطرسة.. نظراته تشبه نظرات ابنه.. حادة سوداوية.. حتى ملامح الوجه هي نفسها.. وان كانت تكبره بعشرون عاماً..

لاتزال النظارة والقوة تحكي عن سنوات من القوة لهذا الرجل.. وان كانت مقيدة بدواليب كرسيه المتحرك!!..

-مالذي تظنه؟؟

تراجع سيف بصمت بينما والده يستمر بتقريعه:

-لقد أرسلتك هنا لأجل ان تتنبه لابن عمك الصغير.. وانظر ماحدث..

-أبي.. عبدالعزيز ليس طفلا..

-انه طفل طاائش وانت تسببت بكل ماحدث له الان..

صاح والده بقسوة جعلته يبتلع لسانه ويؤثر الصمت فهو أدرى بأبيه الذي استمر بغضب:

-لقد أمرتك بأن تبعده عن ابنة العزب بالتحديد.. ومالذي حدث؟؟ انه يكاد يموت بسبب زوجها.. ومن يكون .. شيخ قبيلته.. حفيد قحطان العزب بنفسه.

توترت نظرات سيف وخفض وجهه حتى يخفيها عن عيني أبيه الثاقبة..

-انظر الي حين أكلمك..

هدر السلطان بقوة ليرفع سيف عينيه المتوترتين لأبيه., الذي اضاف بحدة:

-مالذي تعرفه عن الامر..؟؟

-لااعرف شيئاً..

-سيـــف(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-سلطان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لقد تزوجت الفتاة وغادرت الى بلدتها لااعرف مالذي عاد بها ولااعرف كيف التقت عبدالعزيز مجدداً .. لقد فعلت مايتوجب علي في المرة الاولى..ابعدته عنها.

-لا انت لم تفعل..

هدر ابيه بحدة مضيفاً:

-انت فقط استغليت الظروف.. الفتاة زوجت لابن عمها.. ولكن الشيئ بينها وبين ابن عمك لم ينتهي بعد.. أليس كذلك؟؟

-لاأعرف.

اجاب سيف بحنق.. ليزفر ابيه بتعب وهمس:

-الى متى سأبقى افعل كل شيء بنفسي..الى متى ستظل طائشاً اسيراً لنزواتك..

-ابي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

اعترض سيف ليرفع ابيه كفه بحدة مسكتاً اعتراضاته:

-لاتظنني في غيبوبة ياولد.. اعرف جيداً بميولك الجديدة.. اعرف انك تنوي دخول عالم الموسيقى باسطوانات غبية.. ولابد ان هذا هو مايشغلك حالياً عن كل الامور المهمة.

شحب وجه سيف وهمس:

-انه مجرد عمل..

ضاقت عينا السلطان وهمس بقسوة:

-عمل يتضمن ال العزب؟؟؟

تراجع سيف بدهشة.. لقد كان حريصاً جداً حتى لاينكشف الامر.. كل تعاملاته مع فراس تتم باستخدام شركة لاتمت لمجموعتهم.. ولكن.. كيف ظن للحظة ان شيئاً ما سيخفى عن السلطان؟؟

-لما تريد الدخول معه الى هذه المعمعة؟؟ الا تعرف خطورة الامر؟؟ ان ادركت عائلته ؟؟

صاح السلطان ليهمس سيف:

-لم.. لم اكن اعرف من يكون بالتحديد حتى بعد توقيع العقود ..

-لاتكذب علي..

همس والده بغلظة.. ثم استند بظهره الى كرسيه وهمس بتحذير:

-اريد الفتى ياسيف.. اريده ورقة رابحة حتى نرى ماسيحدث لابن عمك.

-لاتقلق ابي.. انه بحوزتي..

قالها سيف بجمود.. ليرى هدوء غضب والده وهو يهمس:

-ممتاز.. ولكن لاتفسد الامر هاا.. اريدك ان تذهب للسهر على ابن عمك.. وارسل لي طارق وسلمان.. اريدهما ان ينبشا الارض بحثاً عن الشيخ قحطان.. هناك حساب يجب ان نصفيه..

حينها غادر سيف عالماً ان الامور لن تمضي بخير ابدا وان الشرح لوالده ان عبدالعزيز تسبب بهذا لنفسه كما يبدو لم يكن خياراً متاحاً ابداً.. عاد بذهنه الى حيث هو .. ناظراً الى سلمى التي تقوقعت في الزاوية .. وهمس لها:

-ألن تسألي عن عبدالعزيز؟؟

ابتلعت ريقها بصعوبة وتسائلت:

-كيف حاله؟؟

-ضلوع مكسورة وارتجاج في المخ.. شقيقك يجيد القتال بشكل عنيف كمايبدو؟؟

قالها بسخرية لتشعر بقبضة عنيفة تحطم قلبها وهمست:

-قحطان لايفعل هذا الا لو فقد اعصابه بطريقه جنونية.. لو كان رعاد لكان الامر مفهوماً فهو قد يقتلك فقط ان دست على حذائه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-تبدين مولعة بأخوتك؟؟

همس بحقد لتبتسم دون ارادة منها:

-انهم احب الي من نفسي..

شعر بغضب وكراهية تمزقه.. غيرة عنيفة نحو من يستحوذ على حبها وعاطفتها بتلك الطريقة.. حتى وان كن اخوتها فهو لايزال مثيراً للاعصاب.. الطريقة التي لمعت بها عينيها حال ذكرهم.. والابتسامة التي تلاعبت على شفتيها.. اه كم يتوق لأخذها بين ذراعيه .. يتوق ان ينسيها كل افراد عائلتها بلحظة..

ولكنه تسمر.. لم يفعل..لم يفعل سوى ابتلاع حسرته.. غيرته..واشاح عنها..

-ايقظيني بعد ساعة واحدة فقط(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لاريد التأخر..

-انا لست المنبه الخاص بك..

هتفت بعناد ليزم شفتيه بحنق ويهتف دون الالتفات لها:

-لو استيقظت لدقيقة بعد الساعة فلن تري خيراً ياسلمى..

زفرت بضيق لتحكمه.. ونظرت لظهره العريض بحنق وهي تمد له لسانها بعفوية.. قبل ان تسمع صوت تنفس العميق.. لقد نام.. فكرت باندهاش.. لامحاسبة للنفس ولاتفكير.. غرق في النوم وكأنه لم ينم لأيام..

وهي جلست تحرسه.. بحنق.. ورغبة تصارعها ان توقظه بالاسلوب القديم التي كانت توقظ به اخيها رعاد.. وابتسمت بشيطنة وهي تدرك انه سيكف عن اعتبارها منبهاً او اي شيئ اخر بعدها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

-جوهرة؟؟

التفتت لأمها بابتسامة قلقة وبادرتها:

-صباح الخير أمي.. كيف نمتي؟؟

-بصعوبة ..

تنهدت الجوهرة وهمست لأمها:

-ماما لاتقلقي.. انا واثقة انه مجرد شجار عادي وسيعود كل شيئ الى طبيعته.

-هل تنصتين الى نفسك؟؟ منذ متى كان شقيقك ممن يقومون بهذه الحركات السخيفة؟؟ الأمر اسوأ ممانعرف..

قالتها هدية بحنق ثم نظرت باتجاه جناح السيادة وهمست بحقد:

-انها هي السبب في ابتعاد ولدي هي السبب .. لابد انها فعلت شيئاً لايمكن السكوت عنه؟

-اماااه.. أتظنين ان قحطان سيكتفي بالابتعاد بهذا الشكل لو أن الموضوع خطير؟؟ أنت أدرى بأخي وماقد يفعله.

-ابني لم يعد كماكان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قالتها بتوتر ثم اضافت بحنق:

-وكله بسبب تلك المخلوقة.. ااه لو اعرف ماحدث في فرنسا؟؟

تنهدت الجوهرة وقالت تحاول التملص من التحقيق الذي تقوده امها:

-سنعرف اماه.. لابد قحطان سيخبرنا.. والان دعيني اخذ لها هذا الطعام.. علها ترضى بتناوله المسكينة لم تأكل منذ ثلاثة أيام.

تنهدت هدية بأسف وقد تغلب عليها الطابع الامومي وهمست بقلق:

-نعم بنيتي .. لانريد لابنة الناس ان ان تموت جوعاً في منزل الشيخ.. ماذا سيقولون عنا.. ثم انها حامل .. اشرحي لها هذا وان ماتفعله ليس جيداً ليس لها ولالجنينها..

-حاضر اماه.. دعيني اذهب الان..

هتفت الجوهرة زافرة قبل ان تستدير وتتوجه بالصينية التي تحملها لغرفة سيادة..

منذ غادر قحطان اللّه وحده يعلم الى اين قبل ثلاثة ايام والجميع في حالة قلق.. صحيح انه اتصل بأمه في اليوم التالي يطمئنها عنه ويطلب منها الا تقلق.. وانه في رحلة عمل ضرورية ولن يتأخر ولكن الكل لاحظ ماحدث.. الكل لاحظ انه غادر المنزل وكأنه يهرب من الف شيطان.. الكل لاحظ ماحدث لزوجته التي انهارت بعد رحيله.. الكل الان يعرف انه لايتصل بها.. لايسأل عنها.. وحين بادرت امه لتطمئنه عنها حين اتصل .. كان رده الوحيد هو الصمت قبل ان يغلق الخط بعد تحية مقتضبة..

من بعد رحيله اضربت سيادة عن الطعام.. لم تكن تستطيع تناول اي لقمة.. الغثيان العنيف الذي صاحب حملها.. والألم القاتل الذي نهش روحها.. هما المذنبان الوحيداان..

حين دخلت الجوهرة اليها هذا الصباح كانت كعادتها تفترش سريرها وعينيها شاخصة للنافذة المغلقة ..

تنهدت بحسرة ووضعت مابيدها وهي تصمم انها لن تستسلم الليلة..

ستأكل شيئاً والا أرغمتها..

تقدمت منها وصعدت الى الفراش جارها هاتفة بمرح:

-صباح الخير سوسو.. كيف تصمدين في مواجهة الغثيان الصباحي؟؟

هل تناولتي البسكوت المملح الذي وضعته لك البارحة؟؟

لم تجد رداً .. جابهها صمت عميق.. حتى انفاسها خرجت خفيفة

بالكاد غادرت صدرها.. اجتاحت الجوهرة غصة ولكنها حاولت

تمالكها وعادت تهتف باثارة:

-ستنسين كل هذا التعب حبيبتي حالما تشعرين بحركته بداخلك..

ستنسيك كل تعب وسهر..

جاوبها الصمت المطبق من جديد فاقتربت تهمس:

-سيادة تكلمي معي ارجوكي الى متى تظلين صامتة هكذا؟؟

لم تجبها.. فقط تكورت حول نفسها وضمت ذراعيها حول بطنها

واغمضت عينيها.. حرقة تشعلهما ولم تعد لديها دموع كافية

لتغسلهما وتطفئ النار التي تشتعل بهما.. منذ تركها.. منذ هجرها ..

اه يارب الكون ليتها لم (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اختنقت بغصتها ورغماً عنها تدفقت دموعها غزيرة.. من اين تأتي كل

هذه الدموع؟؟ كيف لاتتوقف.. ؟؟ حاولت مسحها ولكنها لم تعد

تستطيع حتى رفع يديها.. هي متعبة حتى النخاع(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نشجت بعنف حتى اهتز جسدها كلها.. شعرت بالجوهرة تحيطها بقوة وهي تهدهدها كي تتوقف عن البكاء ولكنها لم تكن تستطيع التوقف.. لم تعرف السبب ولكنها حالما تبدأ بالبكاء فهي لم تكن تقدر على التوقف وجسدها لايتوقف عن الارتجاف.. تشعر وكأنها حيوان صغير مرمي وسط عاصفة هوجاااء ..

-استهدي باللّه ياسيادة.. أذكري اللّه ياعزيزتي..

صاحت بها الجوهرة ..وهي تضمها اليها بقوة لتهتف سيادة بألم:

-اتركيني.. اريد ان اموووت.. ارجووووكي.. اريد أن أمووووت..

-اعوذباللّه من الشيطان الرجيم.. لاتقولي هذا الكلام.. استغفري وكل شيئ سيمضي بخير..

نفضتها الجوهرة بضعف.. وهي تصرخ بصوت بح من كثر البكاء:

-اتركيني لأمووووت.. لااريد العيش هكذا لاارييييد..

رفعتها الجوهرة بقوة وهي تهتف بها بقسوة:

-لقد طفح الكيل منك.. انهضي الان ..

تمنعت سيادة بضعف فعادت الجوهرة تصيح:

-لاتنكسري سيادة.. لاتنكسري بسبب رجل.. أليست هذه كلمااتك انت؟؟ ألم تقولي ان لارجل يستحق؟؟

هزت سيادة رأسها بوجع فعادت الجوهرة تصر:

-انت كنت السبب الذي تمالكت فيه نفسي.. كلماتك وتشجيعك لي اعطاني القوة سيادة لايجب ان تخسري نفسك لأجل اي رجل.. وبالذات ان كان رجلاً لايهتم بك.. لايعيرك ادنى اهتماماته.. رجل لايشعر بك ولايقدرك.

-انه يكرهنـــي..

همست بثقل.. تنظر للجوهرة خلف ستار الدموع وتواصل بصوت مهتز:

-انه يكرهني.. لقد نبذني.. هجرني..

تسمرت الجوهرة تناظرها بذهول وهي تهمس بصوت مزق نياط قلبها من كم الوجع الذي يحمله:

-لقد تركني ياجوهرة.. تركني لأنني أحببته بكل قوتي.. هجرني وتوعد ان ياتي بأخرى كي تقهرني..

-لالالالالا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هتفت الجوهرة بحدة وهي تسارع لضم سيادة اليها.. تحاول التخفيف من شهقاتها الباكية والتي مست شغاف قلبها بالاستئذان..

-قحطان لن يفعل هذا ابدااا..

-انه يفعلها جوهرة.. لقد رحل عن المكان كله.. تركني وابتعد.. انني اخشى عودته .. اخشى ان يعود برفقة امرأة اخرى(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ابتلعت الجوهرة غصتها وسيادة تنظر في عينيها هاتفة بألم:

-أقسم بأنني قد أموت ياجوهرة.. سأموت وقتها ولن اتحمل رؤيته مع أخرى سواي.

حاولت الجوهرة التخفيف عنها.. مسدت وجنتيها وأبعدت خصلات من شعرها وهي تهمس:

-استمعي الي.. قحطان لن يفعل هذا.. لن يقهر ابنة عمه هل جننتي؟؟ جدي لن يسمح له؟؟ لاأحد سيعطيه البركة ..

-انه قحطان العزب ياجوهرة.. هل تظنينه سينتظر اذن جدي؟؟

هتفت سيادة باستنكار باكٍ؟؟ لتصمت الجوهرة بتوتر وسيادة تعود لنشيجها:

-سيتركني اتعفن هنا وحدي.. لن يأتي الي ابداً .. سيتركني اموت دون اي رحمة؟؟

-لاتقولي هذا..

همست الجوهرة مواسية لتعاود سيادة استلقائها وهي تهتز بالبكاء تهذي:

-هو قالها .. هو قالها وليس أنا!!(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تراجعت الجوهرة بحرقة تخبط كفيها على فخذيها بحسرة.. مالذي فعلته ياأخي؟؟ مالذي فعلته لتحطم زوجتك بهذه الطريقة البشعة؟؟

نظرت لقريبتها بشفقة وهي تتسائل بينها وبين نفسها عن رجال عائلتها.. فزوجها كان مجنوناً والان هاهو شقيقها.. قحطان العزب بجلال قدره يتصرف بهذه الطريقة القذرة!!.

امتلأ قلبها بالاسى.. واقتربت من سيادة تهتف بقوة:

-مالذي تفعلينه برقودك هكذا وكأن لاحول لك ولاقوة.. انهضي ودافعي عن حقوقك..

نظرت لها سيادة بتشوش لتصيح عليها:

-انظري الى نفسك كم تبدين مثيرة للشفقة..تستلقين نائمة طوال اليوم.. تخفين نفسك عن الجميع وكأنك ارتكبت اثماً..

-اانا..اا.. لم أفعل شيئاً..

-لايبدو لي هذا.. تبدين وكأنك مجرد مذنبة تختبئ بعارها..

نهضت سيادة تصرخ:

-ولكنني لست كذلك..

-اذاً انهضي وعيشي حياتك..وان كان أخي لديه مشكلة بهذا فلاشأن لك انت بعقده الداخلية..

نظرت لها سيادة باندهاش في حين كانت الجوهرة تلهث بقوة وقد استنفذتها تلك الكلمات التي أخرجتها من اعماقها قبل ان تضيف محاولة استعاددة هدوءها:

-ألاتنظرين لنفسك.. ماكنتي قبل أن تأتي هنا؟؟ ألاتذكرين ماكان موقفك من قحطان حال وصولك(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لن أنسى ابداً ماقلتيه عنه.. حتى زواجك منه.. كنت ولأخر دقيقة تقاتلين ضده.. كنت شجاعة ياسيادة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كنتي شجاعة وقوية مالذي حدث الان؟؟

همست لها باستنكار لتجيب سيادة دون تردد:

-الأن أنا أحبه.. أحبه بيأس.. أحبه من اعمااق قلبي..ولااستطيع تحمل ابتعاده عني ياجوهرة.

-اذاً قاتلي لاستعادته..لاتتنازلي عنه ابداً ولاتدعيه يبتعد عنك.. انه زوجك وهذا من حقك.

اعتدلت في جلوسها بضعف وهمست تتسائل عمايجب ان تفعل..

فابتسمت الجوهرة بانتصارها الصغير وهتفت:

-تناولي بعض الطعام اولاً.. وحين يقوى عودك أكثر.. سأقول لك ماسنفعل بالتحديد..

نظرت لها سيادة بتوجس.. لاتعرف مالذي يمكن ان تفعله لتستعيد زوجها .. لتعيده وتجعله يصدق ان لااحد لها سواه.. ليس هناك من يحتل قلبها وعقلها الا هذا الصلف القاسي.. ولكنها مستعدة للذهاب للجحيم لتحصل على فرصة واحدة.. فرصة تعيده لها.. وتجعله ينسى فكرة اي امرأة أخرى.. نهائياً..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

وهناك .. في المدينة.. على بعد لابأس به من الحضارة.. وفي شقة معزولة عن الجميع.. نهض قحطان من فراشه بمزاج متعكر للطرقات المدوية التي نزلت على بابه.. تأفف وهو يسرع لفتحه قبل ان يوقظ

كل سكان المبنى المنعزل.. انه يعرف من يكون.. لاأحد يمكن ان يمتلك هذه الجرأة لاقتحام خلوته وبهذه الطريقة سوى شخص واحد فقط ..

-صبااااح الخير ياشيخ..

تأمل ابتسامة ابن الشهري الكسولة وعصفت عيناه بالحنق وهو يسد عليه الطريق بجسده:

-لاصباح ولاخير.. لماأتيت؟! لقد قلت لك بالتحديد انني لاأريد زياراتك المبكرة ياعمرو؟!

زم عمرو شفتيه وعبس:

-اووف اووف.. انظروا من استيقظ يقاتل ذباب وجهه.. اليس هذا مايقولونه في حالتك ياصديق العمر؟!

-عمروووو(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لاتختبر صبري.. مالذي جاء بك؟!

لم يجب عمرو بل اتكئ على باب الشقة بسماجة وهو يهمس ببطئ:

-ألن تدعني للدخول؟! هل سأبقى واقفاً هنا عيب عليك ياشيخ..

اغمض قحطان عينيه بنفاذ صبر وعاد يفتحهما باستنكار وهو يسمع رفيقه يتسائل بخبث:

-أم انني اقاطع وقتاً خاصاً للشيخ وهناك رفقة أكثر متعة مني معك بالداخل..؟؟

-استغفر اللّه العظيييم..

صاح قحطان بعصبية وهو يجذبه من ذراعه مشرعاً باب شقته هاتفاً بغضب حقيقي:

-أتعرف عني مثل هذه الامووور؟؟؟

ضحك عمرو ملئ شدقيه وهو يهمس:

-كنت اعرف ان هذا كفيل بادخالي ..

شعر بضربة قوية على كتفه ليضحك وهو يبتعد الى داخل الشقة ويتأملها بصمت قبل ان ينظر لقحطان الذي ابتعد الى احد الاركان مخرجاً سيجارة ويشرع بالتدخين بصمت:

-حسناً لابأس بها؟؟ ولكن لما لم تبقى في منزلك؟؟ لما اتيت لهنا؟؟

لم يجبه قحطان بل استمر بنفخ دخانه ليقترب عمرو ويجلس أمامه هاتفاً:

-ألاتريد التحدث معي؟؟ مالأمر الذي يؤرقك ياقحطان؟؟

هرب قحطان منه بعينيه وهز كتفيه بلامبالاة:

-لاشيئ مهم.. جئت أتتبع اموري.. أم نسيت كم من الامور عالقة هنا؟؟

-لالم أنسى.. ولكننا اتفقنا انني من ساتولى الأمور هنا في هذه المرحلة ..

رد عليه عمرو بخفوت ثم عاد ليهمس:

-وهذا يعيدنا للسؤال الاول.. مالذي تفعله هنا في هذا الوقت؟؟

تراجع قحطان بظهره وهتف ببرود:

-الامور تسير ببطئ في البلدة.. الشتاء يتركنا دون عمل.. وليس لدي ماافعله هناك حالياً .. فلم أضيع الوقت؟؟

ضاقت عينا عمرو بعد اقتناع فسارع قحطان:

-سأباشر اعمال شركة التصدير التي كان يترأسها حسن.. لدينا الكثير من الاصلاحات للقيام بها والكثير من العقود لإيفائها..

-حسناً .. لابأس يبدو هذا عذراً مقنعاً..

قالها عمرو بمكر ليتجهم قحطان ويصيح بغلظة:

-انا لاأتعذر.. المهم الان انني احتاج لمساعد خبير بأمور التصدير.. وذو ثقة.. طاقم العمل السابق لااستطيع الاعتماد عليه حتى يعطيني اكرم الضوء الأخضر..

-ألم يتصل بك بعد؟؟

-لا لم يفعل وعدني بالمرور لاحقاً لمناقشة بعض الاشياء.. والان هل لديك من استطيع الثقة به؟؟

فكر عمرو للحظة قبل ان يتهلل وجهه ويهمس:

-بالتأكيد.. سيكون الفريق عندك منذ صباح الغد.

-ممتاز.. هل ستبقى لنتغدى معاً.. سيأتي أكرم ونستعيد ذكرى الايام الخوالي في الجيش.

قالها قحطان بابتسامة ليضحك عمرو وينهض مستعجلاً:

-لا لا.. وعدت زوجتي بالغداء معها اليوم وحدنا بعد ذهاب الطفلين الى منزل امي ..

تجاهل قحطان غصة لايعرف مصدرها هاجمته وهو يودع صديقه وماقاله يثير في داخله الكثير والكثير من الذكريات التي حارب كي لايقع في فخ الذكريات مجدداً وتضعف قوته التي ابعدته عن سحرها.. وبدأ في العقاب.. ومصر أن يكمله الى النهاية .. لم يمضي الوقت حتى عاد الباب للطرق وهذه المرة كان يعلم من بالتحديد.. فتح بسرعة ليطالعه الشاب الطويل الواقف قباله بابتسامة هادئة هاتفاً:

-حيالله بالشيخ قحطان ..

ابتسم قحطان بوقار ومد يده يسلم على الشاب الذي جذبه في عناق رجولي سريع وهو يربت على كتفه بحميمية:

-منذ متى لم ارك يارجل؟؟

-انت من تختفي علينا ياأكرم.. تفضل بالدخول..

وافسح له الطريق .. وفي الداخل وبعد ان حضر له قحطان فنجان من القهوة السريعة:

-هل سنأكل هنا أم نخرج الى أحد المطاعم؟؟

رفع أكرم يده بالكثير من الأكياس البلاستيكة وقال بابتسامة:

-سبقتك ياشيخ.. تعال وتذوق ماحضرته لأجلك..

جلسا ليتناولا الطعام وافترشا الأرض كالعادة وقحطان يسأله باهتمام:

-والان أخبرني عما توصلت اليه؟؟

ازدرد أكرم طعامه وقال:

-لقد تأكدنا من صلة حسن ابن عمك بالمافيا الصينية قحطان..وتأكدنا من صلته بتهريب الممنوعات الى داخل البلاد..

شعر قحطان بالغضب.. يخالطه احساس كبير بالاسى على ماآل اليه ابن عمه وماتوصل له من انحطاط..

-وماذا عن تعاملاته الحالية هل هناك من خطر علينا؟؟

-هذا مانبحث عنه ولم نجد له اي خيط بعد.. لازال انتظ اتصالاً اخر كذاك الذي وصلني قبل اسابيع بشأن تحديد موعد العملية الجديدة ولكن لاشيئ ..

ثم ظهر التردد في عينيه قبل ان يحسم قراره ويسأل:

-اسمع قحطان لقد اتصل احدهم قبل ايام بالهاتف.. ولم اعرف من؟؟

عقد قحطان حاجبيه مستغرباً فسارع اكرم:

-انها امرأة.. وانا متأكد انها عرفت انني لم اكن حسن العوب بل هي تفاجأت بي..

نظر له قحطان للحظات قبل ان يهمس:

-ارني الرقم..

أخرج اكرم الهاتف واراه الرقم ليوجم وجه قحطان ويهمس بتوتر:

-انه لزوجته..

رفع اكرم حاجبيه ليضيف قحطان بغضب مكبوت:

-اقصد طليقته.. انها شقيقتي كماتعلم..

اومأ الرجل بصمت ليتسائل قحطان بقلق:

-مالافهمه هو سبب اتصالها وهي تعرف جيداً انها لن تجد من يجيب..

وليس حسن بالتأكيد..

صمت اكرم ولم يعلق في حين زفر قحطان وهو يتوعد في سره

الجوهرة لماتقوم به من افعال طائشة.. ثم نظر الى صديقه وسأله

بتوتر اكبر:

-ماذا عن القضية الثانية ياأكرم ألاجديد فيها؟؟

تنهد أكرم بحزن وتسائل:

-محمد رحمه اللّه؟؟

غصة استحكمت قلب الشيخ وصورة اخيه الصغير تهاجم عقله

وتثير بداخله كل صور الجزن والألم وهو يومئ لصديقه الذي تنهد:

-ليس بعد قحطان.. لايزال البحث مستمراً.. ولاتيأس من رحمة

اللّه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) سنجد قاتل محمد

ولن اتوقف عن البحث حتى أجده..

صمت قحطان فالحزن كان أكبر مماتخيله.. حزن يصيبه بالهرم..

وكأنه كبر مئة عام وشاخ.. حزن الظلم.. وحزن ينخر بالرغبة بالثأر..

يعيش وسط دوامة من المآسي ولايعرف متى تنتهي.. فقدان الاخ.. ابن

العم.. واخيراً.. فقدان الحبيب ..

ابتسم بسخرية.. حبيب؟؟

رفع عينيه ملئها التصميم الى صديقه.. وقال بصبر:

-سأنتظر منك الاخبار اكرم ولن أمل حتى امرغ كفي في دم قاتل اخي الصغير.. وامسح بها حزني وحزن أمي..

***

غامت السماء بطريقة غير معهودة في المدينة الحارة ورغم غياب الشمس في هذا النهار الا ان الرطوبة لم تترك مكانها.. وظلت تزاحم الهواء فتثقله (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وتخرب يوماً بارداً اشتاقت له المدينة الحارة ..

-الجو لايطاق..

همست وهي تغلق النافذة وتعود لداخل الغرفة التي احتوت طفليها وهتفت بابنتها الشقية بعصبية:

-لياان لاتضايقي اخاكي ..

زمت الفتاة الصغيرة شفتيها بضيق وتراجعت تناظر الصغير المكتنز والذي كان يلاعب نفسه بنفسه على المهد الصغير.. في حين عادت همس لترتيب الغرفة التي اشعلتها الصغيرة بألعابها المتناثرة هنا وهناك.. حين سمعت صوت السيارة التي توقفت امام المنزل وابتسمت

تلقائياً في حين انتفضت صغيرتها صارخة بفرح وهي تهرع للقاء ابيها..

االماهي فقد نظرت في المرآة لدقيقة قبل ان تلقي نظرة اطمئنانية على الصغير وتسرع هي الاخرى للقاء زوجها الذي عاد مبكراً على غير العادة!!..

-مرحباً حبيبي.

همست بشوق وهي تعانقه بخفة محاولة تجاوز الصغيرة التي تعلقت بعنقه ورفضت اعطاءها المجال ليضحك يوسف بمرح وهو يحيطها بذراعه ويهمس لها بحنو:

-لديكي منافسة قوية ..

عقدت همس حاجبيها بغيرة لم تستطع السيطرة عليها وهمست بحدة:

-لاتختبر صبري يايوسف ..

ضحك يوسف مقهقهاً بينما صغيرته تشاركه الضحك بعبث دون ان تفهم شيئاً مما يدور بين أبويها لتشخر همس بسخرية وتبتعد عنه هاتفة بحنق:

-اه نعم استمرا بالضحك وسنرى ..

ثم عقدت حاجبيها وهي تمعن النظر في زوجها قبل ان تهمس:

-حبيبي لما عدت مبكراً اليوم؟؟

ثم عادت تهمس بقلق وهي ترى انعقاد حاجبيه الفوري:

-مالامر يوسف مالذي يشغلك؟؟

تنهد يوسف وأنزل ليان المعترضة.. هامساً لها ان تذهب للاعتناء بسالم الصغير.. قبل ان ينظر لهمس في عينيها ويقول بجدية:

-علينـا أن نتحدث..

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تتذكر اخر مرة قال لها هذه العبارة..يوم انفصالهما قبل سنوات.. وشعرت بقلبها يهبط بين قدميها وهي تستشعر الامر الجلل وفكرت اولاً بعائلتها.. فهتفت بذعر:

-هل اصاب أبي مكروه؟؟؟

عقد يوسف حاجبيه وهتف باستنكار:

-لا ..

-حمزة.. لابد انه حمزة..

عادت تهتف بذعر لترى نفاذ صبره في عينيه فسارعت:

-هل هو أحمد؟؟؟ هل اصابه شر؟؟

-همس توقفي.. عائلتك بخير على حد علمي..

تنهدت بارتياح وشعرت بخذلان ساقيها لها فجلست على طرف أحد المقاعد وهي تهمس:

-اه يايوسف لقد أرعبتني..

تنهد وجلس الى جورها يزاحمها مداعباً:

-لم تفكرين بالأسوأ دائماً؟؟

نظرت له مرعوبة وهي تشهق:

-بعد كل مامر بنا.. اخاف من فكرة اصابتهم بسوء ..

ثم لامست جانب وجهه بحنان:

-ولااستطيع ان افكر لو حدث لك انت (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

-اششش..

قاطعها باسماً وهو يضغط على شفتيها بكفه:

" -قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا" ياهمس.. لايجب ان تظللي على خوفك من كل شيئ قد يحدث والا فلن تستمتعي ابداً بحياتك.. ان هذا جنون ياعزيزتي.

-وهل خوفي على عائلتي جنون يوسف؟؟

تسائلت بحنق ليبتسم لها بحنان:

-مطلقاً.. ولكن توقع الاسوأ في كل حين هو الجنون.. أين الثقة باللّه حبيبتي؟

-والنعم باللّه.. لم أكن أقصد هذا.. وانت تعرف.

همست بلوم ليبتسم لها .. وتهتز ابتسامته وهو يتذكر ماجاء ليخبرها به.. ماعرفه وتاكد منه ..

تنحنح بصعوبة وأمسك كفيها بين يديه.. وقال بارتباك:

-اه.. ان الامر يتعلق بفحص الدم الذي أخذته منك قبل ايام..

عقدت حاجبيها وتذكرت العينة التي سحبها منها باصرار بحجة انه يقوم بفحوصات روتينيه لهم جميعاً.. حتى ليان وسالم الصغير..

وخطر لها شيئ واحد فقط جعل عينيها تتسعان برعب وتهتف:

-لاتقل بأني حاامل؟؟؟

نظر لها بدهشة ممزوجة بالحنق قبل ان يصيح بنفاذ صبر:

-همسسسس.. اصمتتيي واسمعي لي فقط(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ابتلعت لسانها ونظرت له متسعة العينين بترقب ليزفر بحنق ويستعيذ باللّه من الشيطان وينظر في عينيها:

-قبل عدة ايام.. كانت هناك امرأة تحتظر في المستشفى.. كانت في حالة سيئة للغاية.. وكان لها ابنة ..

لم تعلق همس بل عقدت حاجبيها بانتظار المزيد ليواصل يوسف سرد قصته عن المرأة والفتاة التي رأهاا معها.. وهمس تنظر له دون ان تفهم علاقة اي ممايقوله بها.. ومالداعي ليقوله ..

-وماشأني انا بتلك المرأة وابنتها؟؟

-ليست ابنتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قال بهدوء لتصيح بحنق:

-الم تقل للتو انها ابنتها؟؟

-هلا أنصتي الي دون مقاطعة..

هتف بعصبية لتزم شفتيها غاضبة وتلتزم الصمت في حين واصل يوسف:

-المرأة قامت باختطاف تلك الفتاة الصغيرة من عائلتها حين كانت رضيعة..

علا التأثر وجه همس ويوسف يكمل:

-ربتها كابنتها وحين كبرت عرفت الحقيقة كاملة.. حتى ماتت تلك المرأة قبل ايام ياهمس.

لم تعلق وترتكته يزدرد ريقه قبل ان يواصل وهو يضغط على كفيها بقوة:

-لقد رأيت الفتاة ياحبيبتي قبل ان تموت امها.. رأيتها ونظرت في عينيها ياهمس..

عقدت همس حاجبيها وعلقت بسخرية جافة:

-احذر الى اين قد تصل بك اعترافاتك يازوجي العزيز..

لم يأبه لسخريتها بل لم يلتفت لها وهو يواصل بحنو:

-رأيتك في عينيها همس.. حالما رأيتها رأيتك انت بداخل عينيها.. رأيت همس التي قابلتها قبل سنوات في المانيا.. رأيتك تنظرين الي من خلالها.. كانت عيناك حبيبتي..

-مالذي تقوله؟؟

همست بشحوب ليواصل بحماس:

-اقول بأن تلك الفتاة خطفت منذ مايقارب الخمسة والعشرين عاماً من منزل والدها همس.. خطفت مع شقيقتها التوأم قبل ان تهرب بها تلك المرأة وتترك الأخرى مع الرجل المجرم والذي أضاعها بعدها بأيام ..

اتسعت عينا همس بذهول ليهمس يوسف:

-لقد القت الشرطة القبض عليه ومات دون ان يخبر احد بمكان الطفلة التي وضعها بين الجبال ياهمس..

نظرت له لاتقوى على تصديق او حتى استيعاب مايقول.. انتظرها بصبر ان تخرج من صمتها وصدمتها ولكنها ظلت تناظره بغباء حتى عاد يهمس لها:

-همس حبيبتي انها شقيقتك .. توأمك..

نهضت كالملسوعة.. وهتفت بحدة:

-مالذي تقوله يوسف؟؟ ماهذا الكلام الغريب؟؟

نهض يقابلها .. بطوله المنيف عليها .. قبض على كتفيها باحكام ونظر في عينيها اللتان حوتا عاصفة من المشاعر:

-ماقوله ياهمس ان لك أخت .. وليس مجرد أخت حبيبتي انها توأمك..

-مستحيل؟؟

استنكرت بذهول ليؤكد بيقين:

-بلى حبيبتي انها شقيقتك التوأم ..

-ولكن كيف؟؟ هذا مستحيل؟؟

عادت للتشكيك ليبتسم بثقة وهو يهمس لها:

-بل انها معجزة ياحبيبتي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-انا.. انا لااومن بالمعجزات يوسف؟؟

همست بشحوب ليرد بحنق:

-يالهي همس.. انت بالذات يجب ان توقني بالمعجزات .. حياتك كلها كذلك.. لقائنا وحبنا في المانيا.. الم يكن ضرباً من المستحيل وتحقق بمعجزة من اللّه.. عائلتك انت همس.. أخوتك.. وأبيك.. ايجاد حمزة لك في تلك الليلة الماطرة وسط الجبال الم يكن معجزة؟؟ كيف لاتوقنين؟؟

-ولكن؟؟ كيف.. كيف تأكدت؟؟

همست بعدم ثقة.. وداخلها يتحرق للمعرفة ليجيب:

-اتذكرين عينة الدم التي سحبتها منك قبل ايام؟؟

-ماذا عنها؟؟

-لقد استخدمتها لفحص الحمض النووي وقرابتكما ..

نظرت له بترق ليؤكد:

-انها شقيقتك ياهمس والعلم لايخطئ.

اتسعت عينيها بذهول ونظرت له غير مصدقة.. هي .. الفتاة الوحيدة بين اربعة أشقاء لديها أخت.. وليست مجرد أخت بل هي تؤمها؟؟ هل تشبهها حقاً؟؟ فكرت بذهول؟؟

لقد تعرف عليها يوسف وشك بها بمجرد النظر؟؟ فهل تشبهها الى هذه الدرجة؟؟ أم انه مجرد احساس؟؟

انهمرت دموعها بقوة وانهارت على احد المقاعد ويوسف يتلقفها بين ذراعيه وهي تنشج انها عليها رؤيتها.. يجب ان تراها.. يجب ان تعرف منها حقيقة عائلتها ..

-وماذا عن ابي وامي؟؟

همست مشتتة وسط دموعها ليقول لها بحنان وهو يضمها الى صدره:

-أخبرتك ان والدتكما توفيت اثناء الولادة.. اما عن أبيكي فلااحد يعرف اين يكون.. لقد قالت المرأة التي ربتها انه ربما غادر الى بلاده..

رفعت اليه عينين متسائلتين:

-واين تكون هذه؟؟

-لااعرف حبيبتي.. ولكنني اعدك ان ابحث عنه.. لن نتوقف هنا ياهمس.

هزت رأسها بلاتصديق لكل مايحدث .. بعد كل هذه السنوات من معرفتها انها ابنة متبناة.. وان اشقاءها اللذين تربت بكنفهن ليسوا سوى اخوتها بالرضاعة..هاهي الان تجد من يقرب لها بالدم واللحم.. فعلاً..

-يجب ان اراها ..

قالت بتصميم.. وهي تعتدل في جلوسها وتراقبه يومئ برأسه بحنان..

-يجب ان اعرفها اكثر يوسف..

-اعرف هذا حبيبتي.. لقد لاحظت ان الفتاة في حالة اضطراب وتشتت ولااعرف مالسبب ..

-هل لديك عنوانها؟؟

-لا ليس لدي.. ولكنني اعرف من اين سأحضره.. لاتقلقي.

قالها وهو يعاود غمرها بين ذراعيه..تشعر بالتوتر.. والفرح ومزيج غريب من خوف وترقب.. ولاتعرف مالذي ستكون عليه تلك الشقيقة التي ظهرت على حين غرة .. ولاتعرف حتى ان كانت ستتقبلها في حياتها ام لا!!..

ولكنها تدرك ان الايام كفيلة بكشف المستور.. واللّه قادر على فعل المعجزات بلاشك.

***

"لا لا.. هي لن تتوتر.. لن تركض في وسط الشارع فهذا سيبدو سخيفاً؟؟"

اخذت نفساً عميقاً وعدلت طرحتها المنسدلة باهتمام وهي توقف احدى سيارات الاجرة وتعطي سائقها العنوان بصوت ارتجف من الترقب.. حاولت ان تهدئ من ضربات قلبها شعرت بتعرق كفيها وهي تقبض على حقيبتها الموضوعة على ركبتيها بتوتر بالغ والسيارة تصطف امام وجهتها ..

ترجلت وانطلقت الى المبنى الانيق واستقلت المصعد الى الطابق الرابع كما أُبلغت..

ترك الاوراق من يده بزفرة ضائقة (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) يكرره هذه الحسابات المعقدة والعقود المتراكمة..ليست مجاله.. ولايطيقها.. لذا طلب المساعدة من عمرو يعرف موظفيه جيداً .. ويعرفه هو نفسه انه داهية في هذه الامور..

"صباح الخير"

سمع الصوت المتردد ليلتفت بسرعة ويرتفع حاجباه باستغراب لوجودها هنا؟؟

يعرفها بالتأكيد .. مساعدة عمرو التي رتبت امور سفره وسيادة الى فرنسا.. أميرة الجبيل..

-وعليكم السلام والرحمة..

رد بخشونة لتتضرج وجنتيها بالأحمر وهي تتنحنح بحرج هامسة:

-اسفة.. هل جئت بوقت غير مناسب؟؟

خفض قحطان عينيه وتسائل:

-هذا يعتمد عماجئتي لأجله؟؟

-ارسلني السيد عمرو.. ومعي بعض موظفين للمساعدة في ادارة الامور هنا..

رفع عينيه اليها بدهشة وهتف:

-انت من أرسلها عمرو؟؟

سمعت الاستنكار في صوته وثارت بعض عزة نفسها وهي تبتسم ساخرة:

-صدقني ايها الشيخ.. ثقة السيد عمرو بي ليست مجرد سراب.. انا استطيع فعل الكثير.

لم تحرجه بكلامها.. رغم قصدها ذاك وبكل وضوح.. ولكنه كان شيخ العزب.. نظر لها بتفحص هذه المرة.. كان العزم يشق عينيها

ويعرف انها تعني ماقالته قبلاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)ولكنه لن يرتخي الان.. لذا فقد اشاح بوجهه وقال بحزم:

-سنرى.. واين فريقك المزعوم؟؟

شعرت بضغط دمها يرتفع حقاً.. ولكنها لم تقوى على السيطرة على فرحة اجتاحتها من الاعماق ولهفة بل ربما شوق عارم للاقتراب منه ففعلت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فقط لتدخل في نطاق الجاذبية الساحقة التي تحيط به.. رائحة العود والقوة المسيطرة التي تنبع من تحت جلده.. هو فقط من استطاع ان يحرك الدماء لتجري صاخبة في عروقها.. هو فقط ومن لقاء واحد اثار فيها مشاعر متناقضة بين الثورة والتمرد .. وبين الاستسلام والخنوع ..

-قادمون خلفي ..

اجابت بصوت خفيض.. ليهتف بقوة زلزلت الباقي من ثقتها بنفسها وتركتها مهزوزة:

-جيد فمن الافضل لنا البدئ بالعمل بأسرع وقت لأن كل الامور هنا مربكة ومشتتة..

نظرت لجانب وجهه الذي يصر على ان يشيحه عنها بوله لم تقدر على مقاومته وهمست بالموافقة لينظر لها بحدة.. كانت قريبة..

اقرب مماا قد تفعله اي موظفة مكانها.. حتى انه استطاع رؤية بريق عينيها وهي تتحدى عيناه وتنظر اليه بجرأة لم تفعلها سواها.. تراجع هو بحدة وعقد حاجبيه قبل ان يأمرها بتسلط:

-اذا من الأفضل أن تذهبي لمكتبك في الحال.

ابتسمت لترتبك عيناه وتتسع ابتسامتها أكثر وهي تومئ بحركة ناعمة من رأسها قبل ان تنسل الى الخارج وهو ينظر في اثرها بتوتر.. لم يتوتر قط في حضرة امرأة من قبل.. ثم شعر بالغصة تستحكمه.. طبعاً هو لايُدخل سيادة في احصائاته فكله في حضورها رجل أخر..

جلس الى كرسي جواره ومضى ينظر الى الفراغ.. لما كان عليه ان يتذكرها الان!!..

تباً لها.. مسد رأسه بقوة.. توهنـــه ذكراها.. توهن قوته وعزيمته وكأنه صُلبٌ وهي النار المسلطة عليه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

كيف اجتاحت خياله وسيطرت على تفكيره بلحظة وكأنها جنية بسطت سحرها وتعاويذها عليه!!..

تنهد وعاد الى واقعه يريد ان يعيد سيطرته على نفسه وهو يفكر بطريقة ملائمة للتخلص من ادمانها اللذي استحكم عقله..التخلص

من شبح وجودها الذي يلاحقه.. يجب ان يبتعد عنها بعقله وتفكيره قبل جسده.. يتخلص من ادمانها ويعيش من جديد سيد نفسه..

يعود قحطان العزب الذي لاتهزه امرأة .. يعود لقوته التي تربك اعتاهن.. وليس هذا الرجل الذي يتوق لرؤيتها.. رؤية زمردتيها تتألقان امامه.. نارها المشتعلة والتي تحوطه بعبق من ازهار الليمون.. وتلك الارتجافة اللذيذة لها بين ذراعيه..

"استغفر اللّه العظيييم"

نهض صائحاً بغضب حقيقي..

يالهي الى أين ستصل به تلك المشاعر الغريبة التي تربطه بها؟؟ الى اين يقوده هذا الجنون؟؟

تنهد بحنق ومضى يفتش بين الاوراق يصيح بتلك الأميرة ان تأتي..

لتسرع بعينين متسعتين وهي تواجه غضباً لاتدرك أسبابه في حين مضى قحطان يصدر لها اوامر شعواء غريبة.. جعلتها مرتبكة وهي تحاول ان تنفذها بحذر.. قبل ان تسمع ضوضاء في الخارج تعلن وصول فريقها..

وقفت امامه وهتفت:

-سيدي لقد وصل الباقون لما لانعقد اجتماعاً ونحدد اولوياتنا قبل كل شيئ..

وقف ينظر لها بتوتر قبل ان يهمس:

-جهزي كل شيئ.. سأنتظركم في حجرة الاجتماعات..

وانطلق وحده.. تأملته بدهشة.. مالذي دهاه..؟؟ مالذي عكر مزاجه لتفلت اعصابه بهذه الطريقة؟؟

زفرت بوله وهي تفكر انه بكل حالاته يثير جنونها.. ابتسمت بجذل وهي تلملم الكثير من الاوراق التي كانت مبعثرة والتي سيحتاجونها بالتأكيد للاجتماع حين سمعت رنين الهاتف المتواصل ..

عقدت حاجبيها ومضت تبحث عنه وسط الاوراق تريد اللحاق بالاتصال قبل ان ينقطع حتى وجدته ..

هاتف اسود مصقول عادي الشكل ولكن شاشته المضيئة حملت اسماً غير عادياً ..

الجوهـــرة؟؟!!

ضاقت عيناها وهي تحاول السيطرة على مشاعرالغيرة والحقد التي امتلأت بها.. من تكون هذه؟؟؟

زوجته؟؟ كلاا تلك اسمها سيادة؟؟ ربما كان يناديها بالجوهرة؟؟

او ربما تكون زوجة ثانية لن تستغرب هذا عن هؤلاء البدو؟!

ولكن لا.. جواز سفره يوضح ان له زوجة واحدة فقط(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ياربي؟! من تكون؟! حبيبة ربما؟!

تنهدت بحنق وعقلها يلف ويدور بلحظة قبل ان تضغط زر استلام المكالمة وتهمس بصوتها العذب:

-مرحباً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لم تعرف هل يجب عليها الانصات للجوهرة ام لا؟!

الاتصال به في هذا الوقت من الصباح.. سماع صوته بعد كل تلك الايام.. هل ستتحمل هذا؟! هل سيكلمها؟! هل سيغلق الهاتف في وجهها ام سيتركها تخبره عن حبها لمرة أخرى..؟!

كانت الى جوارها قريبتها وهي تتصل بقلب راجف باستخدام هاتفها تلك.. تتشبث به بأصابع رقيقة مرجفة وعينيها متسعتان بترقب ووجل.. شوق يسكن روحها ويترك امالها معلقة بطرف خيط ..

سرعان ماانفصم حين سمعت صوت المرأة الناعم يرحب بها على هاتف زوجها!!!

لم تعرف ماهية شعورها في البدء.. حالما سمعت الصوت تبلمت للحظة فقط وهي تتمنى انها تتصل بأخر.. رقم غريب وليس قحطان.. شخص مخطئ ربما .. وليس رجلها.. ولكن لا..

انه هاتفه.. انه رقمه وتلك المرأة؟؟ من تكون؟؟

-من أنت؟؟؟

همست بصوت شاحب.. الشيء الوحيد الذي قدرت على فعله.. فلاتزال مصدومة ..لاتقدر على فعل شيئ سوى التساؤل الخاذل الذي غادر شفتيها.. من تكون هذه التي تجرأت وأمسكت هاتفه وردت على مكالمته.. لاتعرف ماهو شعورها وقتها غير انها كانت وكأنما تقف على فرش من جمر.. تحتها كله يحترق وهي.. بسبب النار تشتعل!!..

عقدت أميرة حاجبيها .. كان الصوت لزوجته بالتأكيد.. تعرفت على اللكنة الأجنبية.. ولكن هناك شيئ ما يحكم الصوت .. ربما حزن.. حزن ولوعة .. كلها قنابل على وشك الانفجار..

-أنا أميرة.. سكرتيرته..

كيف لم تعرف الصوت؟؟

كيف لم تتذكر الغنج ؟؟

لم يعد يشعلها الجمر.. بل كان يحرقها حية .. وامتدت ألسنة اللهب تلتهم قلبها وعروقها بلارحمة.. لاتستطيع تحمل تلك النار التي اشتعلت بجوانحها.. حتى أظلمت عينيها ولم تعد ترى امامها.. لم تعد ترى سوى تلك المرأة مع زوجها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ماذا تفعلييين مع زووجييي..

صاحت بجنون.. جعل الجوهرة الساكنة الى جوارها تنتفض مقتربة وهي لاتدرك مالذي يدور بالضبط ومن تلك التي تكلمها سيادة على رقم شقيقها قحطان؟؟؟

ارتفع حاجب اميرة بتعالٍ وقالت بحزم وهي تتجاهل ارتجاف قلبها مماوصل اليه من جنون المرأة على الطرف الأخر..

-اخبرتك انني سكرتيرته.. مالذي لم تفهمينه بالضبط..؟؟

همستها ببرود جعل النار في قلب سيادة وروحها تستعر أكثر وأكثر..ياللهول.. شعرت بالسقف ينهار عليها والرياح تصم أذنيها تفكر بكيف اجتمعت تلك به؟؟ كيف اتته الجرأة ان يقترب من امرأة أخرى.. يارب الكون.. فكرت بجنون وهي تدور حول نفسها وقد بعثت

النار حياة مجنونة الى عروقها التي كانت قد بدأت بالذبول.. كانت تحترق بالحياة.. بالغضب.. كانت تحترق بغيرة عمياء.. شعواء..

-غادري.. ارحلي وابتعدي عن زوجي ايتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

اغلقت اميرة عينيها بنفاذ صبر من سيل الشتائم التي نزلت عليها من المرأة التي لم تعد تعرف بأي لغة تتكلم فهتفت بمزيج من العربية والفرنسية الغاضبة..

-لاأسمح لك باهانتي مدام أنا اعمل هنا..مع الشيخ..

هتفت بها أميرة بقسوة تمعن الألم في قلبها لتتوقف عن الدوران في حلقات وتضرب بقدمها الارض بحنق وهي تهتف:

-توقفي عن الكلام واعطني زوجي.

هتفت بهستيرية جعل الجوهرة تنتفض اليها بقلق وتهمس متسائلة عمن يكلمها فلم ترد عليها بل هتفت بجنون عبر الهاتف:

-اعطني اياه في الحال.

كانت تتفهم غيرتها .. لو كانت مكانها ربما لفعلت الشيئ نفسه ..ولكن لم تكن الغيرة من كان يتحدث!!!

فكرت أميرة بحيرة امتزجت بالضيق والغضب.. كان هناك شيئ خلف كل هذا الصياح شيئ من الألم امتزج بالغضب وأشعله بقوة شيئ من الحقد كان هناك قهر (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) قهر لم تخفه المرارة في صوت المرأة والتي بدا وكأنه مجرد نواح طير مذبوح حتى وهي تصرخ دون توقف عليها.

اخذت الهاتف اليه دون كلمة كان يجهز لاجتماعه المهم ودون ان تأل بالا للحيرة في عينيه اعطته اياه بحدة وهمست بحنق:

-كان يرن بلاتوقف.

نظر قحطان للهاتف بحاجبين معقودين وهو يقرأ اسم شقيقته وطافت بعقله الهواجس عما يمكن ان يكون قد حدث؟! وسبب اتصالها خلال جزء من الثانية(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)قبل ان يرفع الهاتف لأذنه ويلقي السلام بقوة مسيطرا على قلقه بعنجهية(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-السلام عليكم .

ارتجف الهاتف بيدها وكأنما صاعقة هبت عليه وكادت ترميه من بين يديها ليقع ارضاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لولا تشنج أصابعها حوله بجنون وكأنما طوق نجاة لو تركته

لغرقت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) صوته هاجمها كأسد بري حاصرها ولم يفلتها!!

كل ماكانت تشعر به من غضب عنيف ونار استعرت بداخلها.. كلها انتهت حالما سمعت صوته العميق بتلك الخشونة الصاعقة والتي جمدتها في مكانها دون حراك لدقيقة كاملة وربما أكثر!!

قبل ان تبدأ الأعراض العكسية بالتدفق ويبدأ جسدها المتصلب بالارتجاف كجسد ميت بعثت به الحياة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وتغتسل النار التي تنتشر عبر أوردتها بماء بارد مثلج جعلها تشهق للهواء دون وعي منها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!!

وصلته شهقتها كأنما سحبت الهواء حوله كاملا وبات الجو مخنوقا دون الاكسجين الكافي!!

اعتصرت أصابعه الهاتف بقوة كادت تحطمه وهو يدور حول نفسه فاقدا لاتجاهاته..!! وكأن مغناطيساً عملاقا شتت دوائره الكهربية وملأها اضطرابا..

كانت المغناطيس وكان حولها كبرادة حديد تجذبه في حين وتعود لتشتته في الأخر..

لم تنطق بكلمة ولكنها تنفست وكان هذا يكفيه ..

صرخ عقله بشماته يسخر من رجف قلبه ويسخر من استجابة جسده التي لم يسيطر عليه حال سماع شهقتها المكتومة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) عادت تلك المرأة تبسط سيادتها عليك؟؟ على بعد الاف الكيلومترات.. ولاتزال تسيطر عليك أيها الأبله؟؟

صرخ فيه بقسوة ليرتجف من اعماقه وتثور حميته بداخله وينهر قلبه الذي قتله ضعفاً ويستعيد بلحظة زمام أمره وانعقد حاجباه بشدة لافكاك لها واراد ان ينفث جام غضبه ويصبه على تلك المرأة التي تجرأت واتصلت به.. يالوقاحتها ..يال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

-قحطاان؟؟

همست بصوت مرتجف.. بصوت حمل روحها كما شعرت والقاها على مسامعه .. خرجت من احشائها وشعرت معها بألم يعتصرها وكأن ابنها يشاركها ندائها لأبيه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) خرجت محملة باللهفة والهيام.. برجاء وضعف .. خرجت تنشد ليس استماعه بل هدفها قلبه الذي عشقته دون أمل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اغلق عينيه بقوة واسمه من بين شفتيها يخترق جدار عقله الصلد وينخر في جسده يريد أن يحتل روحه ويستعيد مناطقه التي احتلها قبلاً.. تباً لها مالذي تفعله به؟؟ كيف تحاصره وتهاجمه ان لم يكن من داخله فمن كل ماحوله؟؟ وكأن كل مايحيطه يتآمر ضـده معها؟؟

لم يعد يسيطر على نفسه بعد كلمة واحدة منها.. بعد نداء واحد ؟؟ الى أي درك أسفل ينحدر دون أية مقاومة؟؟ دون أية سيطـرة ؟؟ وهو الذي اعتاد السيطرة على كل ماحوله واولهم قلبه ومشاعره؟؟

أخذ نفساً عميقاً وقد اختنقت أنفاسها.. أخذ هواءاً يحرره من سيطرتها على خلاياه.. قبل أن يفتح عيناه العاصفة بالقوة.. الهادرة بالغضب.. لم يكن يريدها.. لايريد امرأة أُجبر على الاقتران بها.. لايريد امرأة خدعته.. استغلت فقدانه لذاكرته.. استغلت كل شيئ ولعبت لعبتها بقذارة.. لايريد امرأة كسيادة ..

شد من جسده محاولاً استعادة السيطرة ..همس بصوت ثقيل دون ان يكلف نفسه اجابة ندائها اللاهف للمرة الثانية:

-اعطني الجوهرة..

انهارت مشاعرها بلحظة..

لقد تعرفت على الجليد في نبراته.. بلحظة عادت لذاكرتها صورته ليلة زفافهما.. حين نظر اليها باحتقار ورفضها بقسوة.. رأت الشيخ القحط بكل جلاله.. رأته واقفاً يلفظها بكل احتقار..

هتفت منهارة تدرك انها محاولة وان كانت توقن ان مصيرها للفشل:

-لاقحطاان يجب ان تسمعني..

لاشيئ.. اقفل عقله وقلبه عن معاناتها الصارخة بين حروف اسمها..صم كل وجدانه عما يشعر به نحوها وبكل برود همس:

-اعطني اختي الجوهرة في الحال.

شعرت بالرعب.. صوته البارد لم تسمع له مثيل من قبل.. وكأنها تكلم قالب ثلج.. اين العاطفة الصارخة التي كانت تنضخ منه؟؟ من حبيبها؟؟

كانت متيبسة وهي ترفع عينين دامعتين للجوهرة التي نظرت لها بإشفاق.. من سيعرف شقيقها اكثر منها.. هناك مصيبة تخفيها سيادة.. مصيبة لم تصدع العلاقة بينهما فحسب.. بل حطمتها لأشلاء؟؟

مدت يدها بارتجاف لتأخذ الهاتف وحالما القت السلام على شقيقها حتى سألها بسرعة وحسم:

-هل هناك مشكلة؟؟

اضطربت.. وأدركت انه لايعني بسؤاله مشاكله مع زوجته فأجابت بالنفي بهمس متردد ليحسم ترددها:

-اذا الى اللقاء.. واياكي ان تعطي تلك المرأة هاتفك مجدداً لتتصل منه.

وقبل ان تعترض او تفسر كان يغلق الخط بسرعة.. لتناظر هاتفها بذهول.. وتعود لتنظر لسيادة المنهارة امامها بعدم فهم وارتباك عظيم..

-انه لايريدني.. أليس كذلك؟؟ هو لم يعد يريدني ولايأبه بي حتى؟؟

هتفت سيادة وهي تسقط على الارض.. تحيط ركبتيها بذراعيها بقوة.. تحيط جسدها الذي ارتجف بصورة مرعبة.. لتلحقها الجوهرة وتحوطها بذراعيها هي الاخرى هاتفة:

-لاتقولي هذا سيادة لاريب انه غاضب منك بسبب ما وسيعود عن غضبه ويهدأ..

لم تصدق ماقالته هي نفسها لتقنع به ابنة عمها التي انهارت على صدرها باكية بحرقة:

-انه يكرهني ياجوهرة.. يكرهني ويرغب بموتي.

-تعوذي باللّه من الشيطان سيادة .. قحطان قد يكون قاسياً وجلفاً ولكن قلبه رقيق و(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-قلبه حجر.. مجرد حجر لايلين ..

صرخت بألم لتصمت الجوهرة وقد نفذت منها الاعذار التي لم تستسغها نفسها في حين عادت سيادة للصراخ:

-لماذا يفعل بي هذا لماذا يتلذذ بتعذيبي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ونظرت لابنة عمها هاتفة بحرقة:

-انا لم اطلب منه الزواج بي ياجوهرة .. انا لم افعل له شيئاً.. لم أؤذه بشيئ فلماذا يقتلني بكل هذه الكراهية.. لماذا ينتقم مني بهذه الطريقة؟؟

-صصه.. لاتقولي هذا الكلام.. قحطان لايكرهك لايعقل ان يفعل ماتقولينه..

-انظري لي.. انظري لكل ماسببه لي من تعاسة ..

شهقت بالبكاء.. كانت تشير لنفسها بقهر وتصرخ بحرقة جعل الجوهرة تناظرها بصمت مرتعب:

-انا سيادة العزب.. انظري لحاالي الان.. انظري مافعله بي.. لقد قهرني ياجوهرة.. شقيقك قهرني.. ويصر على التمادي في قسوته وجبروته..

لم ترد عليها بل تسمرت تراها وهي تنهض من سقوطها بسرعة هاتفة بجنون هستيري:

-انا لن أسمح له.. لم أعد أطيق هذا الوضع.. لن اسكت عمايفعله بي.. لن أسكت وسأريه من تكون سيادة العزب.. سأغادر هذا المكان.. سأرحل عن هنا ولن يعرف لي طريق لا أنا ولا ولده الذي في بطني.

-هل جننتي؟؟؟

صاحت بها الجوهرة لترد بصوت شحب من فرط البكاء:

-لاا لم أجن.. ولكنني عقلت أخيراً.. شقيقك تمادى ولن أسمح له.. لقد تحملت لوقت طويل.. طويل للغاية.. والان لم اعد اهتم بشيئ.. لايهمني شيئ ابداا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لايمكنك الرحيل الان سيادة لااحد سيسمح لك وقحطان بالذات..

شعت عينيها الخضراوتين بالجنون وهي تصرخ:

-سأريه من أكون حقاً ولنرى مايقدر على فعله ..

-سيادة لاتكوني مجنونة..

هتفت الجوهرة بتحذير وقد رأت الجنون بعينه يطل من عيني المرأة المقهورة.. لترفع سيادة رأسها عالياً وتشمخ بذقنها هامسة بتحدٍ:

-انا لست مجنونة.. أنا حــرة.. ولن أسمح لأحد بمعاملتي كالرقيق.. أتفهمين..

وقبل ان ترد عليها كانت تسرع لالتقاط غطاء رأسها وتشق طريقها متجاهلة تحذيرات الجوهرة التي تعالت خلفها.. لم تعد تحتمل.. لقد فاض بها الكيل ولم تعد تقوى.. كانت لاتزال شامخة بذقنها.. لاتزال قوية وتظهر قوتها للجميع ممن رآها ومن ضمنهم حماتها التي رشقتها بنظرات مستغربة لخروجها بتلك الطريقة.. تجاوزت الممر الصغير الذي يفصل بين المنزل الكبير والديوان الخارجي الذي يجلس فيه شيخ العزب الكبير.. ودون اهتمام لمن قد يكون مع الشيخ بالداخل أسرعت اليه.. تحاول اخفاء دموعها التي انسابت بغزارة على وجنتيها وهي ترتمي امام جدها الذي تفاجئ بمجيئها بتلك الطريقة..

-سيادة .. بنيتي .. ماذا أصابك؟؟

بكت بحرقة وقتها.. بكت وهي ترتمي على حضنه.. وتمسك كفيه بقوة مجهشة بالبكاء.. لتثير رعب جدها الذي بدأ يعيذها من الشيطان ويقرأ عليها بصوت مرتعش.. تنازلت عنه قوته وهو يشعر بالرعب من منظرها.. أيعقل انه سنده هو من تبكيــه؟؟!!

قحطاان.. ابــن قلبه ..

أيعقل ان مكروهاً قد أحاط به وهو بعيد عنه؟؟

-مالذي حدث بنيتي ؟؟ باللّه عليك بنيتي..لاتخيفيني.. اهو قحطان ولدي؟؟ اهو من تبكينه؟؟

شهقت بالدموع بحرقة.. رفعت عينيها اليه نظرت لوجهه الاسمر المليئ بالتجاعيد.. وهمست محروقة:

-بل هو من أبكاني ياجدي.. هو من أبكاانى(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لاحول ولاقوة الا باللّه..

شهق جدها بالكلمات وعاد يطبطب عليها.. لايعرف أيرتاح لاطمئنانه ام يُجن من خوفه وقلقه على سيادته التي أعادت الحياة لعلاقته بابنه.. واعادت ربط فصام العائلة الذي انفرط!!

-مالذي فعله لكي بنيتي ؟؟ مالذي فعله؟؟

همس لها محاولاً الابتسام.. محاولاً تمكين الدعابة من صوته المرتجف .. غضباً وحنقاً.. لترفع له زمردتيها الحالكتين بفعل الحزن وهمست بحرقة:

-لقد قهرني ياجدي.. حفيدك قهرني ومرغ بكرامتي للأرض..

اتسعت عينا الشائب بصدمة بينما واصلت سيادة بقهر:

-حفيـدك منذ زواجنا يعاملني كمجرد خادمة .. أمة.. مجرد شيئ مغصوب عليه مضطر ان يتحمله.. استحملت الكثير والكثير دون ان يتدخل احد لمساندتي.. وصبرت جدي.. صبرت لوقت طويل.. والان بعد تحملي لكل تقلباته ومزاجيته.. بعد ان جعلني الامس السماء سعادة هاهو يتخلى عني.. يتخلى عني ويتركني اسقط الى الارض دون رحمة.. ودون ذنب ياجدي..

واجهشت بالبكاء ليحتضنها العجوز مرتجفاً.. بالقلق.. بالغضب.. بمشاعر لم يحسب انها قد تطاله تجاه حفيده المفضل.. شيخ العزب.. عزوته وكرامة قبيلته كلها..

-اخبريني بماحدث.

طلب منها بصلابة.. لترتفع عن حضنه وتنظر في عينيه وتهمس:

-انظر الي.. انظر كيف أصبحت وستعرف وحدك ماعانيته مع حفيدك.. انظر وقارن ماتراه بماكنت حال وصولي من باريس قبل شهور.. اهي انا سيادة التي كانت ياجدي؟! انظر كيف أصبحت بعد أن فرغ حفيدك مني..

رقت عينا الشيخ العجوز وهو يفعل ماتقول حقاً.. كيف جائت اليهم بكل ذلك الاشراق.. بكل ذلك الفرح والعشق للحياة الذي كان يشع من عينيها وروحها ..

عينيها اللتان كانتا مشرقتين بالسعادة والحماسة .. انطفئ نورهما وكستهما الظلال ..

وجهها المتلئ فرحاً وصحة.. ذبلت وجنتيه وخبا نوره وتشققت نعومته بفعل اخاديد حفرتها الدموع.. حتى خصلات شعرها الشمسية تهدلت دون رونق ولاقوة..

مالذي فعلته بسيادة ياولدي؟!

فكر بذعر وهي تهمس له بألم:

-وفوق كل مافعله.. هاهو يبتعد عني ياجدي.. يهجرني عقابا على ذنب لم أرتكبه.. يعاقبني بكسري ألماً.. وقهراً.. يريد ان يمرغني في التراب..

-مااعاااش من يفعل يااابنتي..

صاح جدها بغضب.. ليعود وتتسع عيناه بذعر وهو يستغفر دعوته على حفيده.. فلذة قلبه ..

-قحطان لايفعل هذا.. ليس لأحد غريب فمابالك بابنة عمه ..

زوجته وأم ابنه القادم؟! لاتفكري بهذه الطريقة ولاتظني هكذا بابن عمك.

انسابت دموعها بقهر وهمست:

-ولكنه فعل جدي.. رحل وتركني.. انه حتى لايريد ان يكلمني..

والأدهى من هذا كله.. انه يهددني بالزواج علي.

اتسعت عينا الجد بصدمة.. زواااج؟!؟ مالذي يخطط له حفيده؟! لقد اقنعوه بالكاد بالزواج في المرة الاولى والان يفكر بالثانية؟! مالذي حدث؟!؟ مالذي فعلته ياسيادة ليعاقبك قحطان بهذه الطريقة؟!

-لن يدخل قحطان عليك بامرأة أخرى.. ليست سيادة العزب من تشاركها اي امرأة..

لمعت عينيها وخطتها بادخال جدها لمعركتها مع زوجها تعطيها القليل من الثقة والامل.. لتقترب هامسة بصوت خاضع:

-هل ستساعدني جدي..؟! انا وحيدة هنا.. والدي بعيد وشقيقي في اخر الدنيا.. ومن تركوني في عهدته وحمايته.. " وتحشرج صوتها وهي تبكي" هجرني وتركني وحدي.. ظلمني ياجدي.. وانا لم يعد لي سواااك..

ثارت ثورة الشيخ..

أمانة .. لقد اعطاها له امانة ليحافظ عليها وانظروا مافعل ..

كان غضبه عارماً.. حتى ارتجفت أصابع يديه وهو يهمس لها:

-لاتقلقي يابنتي.. انت في عيني وقلبي.. وانا وكيلك.. لن يظلمك أحد وانا بي نفس يشم الهواء.. وزوجك هذا انا من سيربيه.. وسيعود اليكي رغماً عن أنفه..

ابتلعت ريقها بقوة تكتم صيحة فرح .. خفضت عينيها بسرعة تخفي جنون فرح شق طريقه عبر عينيها وهي تشعر بنفسها تكاد تطير من السعادة والفرح..تكاد تحلق معلقة بحبال الوعد الذي قطعه لها شيخها.. يقينة هي من تنفيذه ولو كلفه الكثير.. وستنتظر بصبر.. ولن يتأخر صبرها..

***

فتح عينيه فجأة..

حلقت حدقتاه بالسقف خلف ستار النعاس الذي تغشاه كانت أطرافه مخدرة وكأنه مشلول.. عقله يخرج من ضباب النوم ولازال باقي جسده ينعم بسكينته.. بالكاد استطاع تحريك رأسه ملقياً ببصره للمكان الذي رقد فيه.. لايشبه من بعيد ولاحتى من قريب

منزل عائلته الفاخر.. ولاشقته العصرية وسط مدينة نيويورك.. أين هو؟؟

سمع فرقعة الخشب في المدفأة الحجرية.. الصوت بعث الحياة لأطرافه المتصلبة.. هب يستند على مرفقه يفتح عينيه على وسعهما متذكراً أين هو ومايفعله بالضبط في هذا المكان.. والسؤال الأهم الأن.. أين هي بالضبط؟؟

-سلمى؟؟

صرخ بأعلى صوته وهو يقفز على ساقيه.. عيناه تبحثان عنها في الغرفة الضيقة وكأنها قد تقفز من خلف أحد المقاعد او تخرج من وراء احدى السائر الثقيلة ولكن لاشيئ!!..

تحرك يبحث عنها بسرعة وقلق بالغ .. بحث في غرفتي النوم المتجاورتين.. الحمام.. المطبخ.. ودون ان يتلكك كان يضع حذائه ويرتدي معطفه الثقيل ويسرع للخارج ..

حالما فتح الباب الخشبي الثقيل صفعته الريح الباردة بقوة.. جعلتها يغمض عينيه دون ارادة منه وجسده تجتاحه قشعريرة مخيفة وهو يصرخ باسمها بقوة تردد صداها في الانحاء.. محملة ببرودة المساء الذي يقترب بسرعة مخيفة.. لقد ظهرت الشمس برتقالية تميل الى

الاحمرار وهي في طريقها لتختبئ خلف قمم الجبال.. لو حل الظلام قبل أن يجدها!!

هز رأسه بعنف وهو يطرد التفكير من رأسه بقسوة.. سيجدها.. الى أين يمكن أن تذهب في عز هذا البرد.. في منتصف البروفانس البعيد.. والمنعزل عن الجميع..

الى اين ذهبت؟؟ ركض نحو الطريق الذي يقود الى عمق الغابة التي تصل بين سفح الجبل حيث الكوخ والطريق الرئيسي.. مسافة طويلة لايعقل ان تقطعها سيراً على الاقدام.. ستموت من شدة البرد اذا لم تضع من الاساس ..

"سلمـــــى(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)"

صرخ بقوة .. ركض بسرعة يدير عينيه بحثاً عنها .. تجول عيناه في الاشجار المتزاحمة على جانبي الطريق الضيق.. يبحث عن أثر.. أي أثر..

"سلمااااااااااااا"

صرخ بقوة اشد.. دعك كفيه ببعضهما ينشد بعض الدفئ.. والذعر ينخر في عظامه .. اين هي؟؟

فكر بجنون.. لو فقدها الأن؟؟ يالله أين يمكن أن تكون؟؟

تحرك بشكل أسرع.. يدير رأسه في كل مكان.. اين يمكن ان يبحث؟! لايستطيع البحث عنها وحده يحتاج الى مساعدة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) فكر بالاتصال برجاله اللذين أخذو السيدة العجوز للبلدة التي تبعد ساعتين بالسيارة.. حتى يبقى معها لوحدهما وأمرهم بألا يعودوا حتى يتصل بهم فقط ..

طريق العودة يستغرق ساعتين.. وهو لايعرف منذ متى وهي في الخارج..

شعر باليأس وهو يلعن نومه الثقيل.. فتش بعينيه عن دليل اي شيء ..

-يالله(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

صرخ برجاااء.. وكاد يناديها مجدداً حين رأآآه..

اتسعت عيناه بذهول وهو يركض الى الشجرة البائسة وقد تعرت غصونها من الاوراق وان حملت شيئً جعله ينتفض اليها.. كان قماشاً ما.. انتزعه بصعوبة من الغصن الذي اشتبك به.. وكأنما انتزع بقوة من باقي الرداء.. يعرف هذا القماش.. كان جزءاً من رداء سلمى الصوفي الذي كانت تضعه عليها..

قرب القماش الناعم وتشممه بلهفة..

تباً انها رائحتها.. رائحة القرنفل والياسمين..

تنهد بثقل.. انها قريبه.. القماش لايزال دافئاً.. لم تنخره البرودة ولم تزل رائحته عنه..

لم تبتعد كثيراً كما يأمل,, واصل مسيرته وهو يصرخ باسمها دون توقف.. الضوء القادم من الشمس الغائبة بدأ يخبو.. بدأ ينحسر.. أخرج كشافاً وبدأ ينير طريقه وهو يصرخ منادياً لها بلاتوقف ..

سمع صدى صوته يتردد في الظلام.. تعيده عليه بعض حيوانات الليل التي لم تخشى الظلام والبرودة القارصة.. تلسعه نفحت البرد وتنخر عظامه ويتخيل ماتعانيه سلمى.. وحيدة.. مذعورة.. ضائعة..

شعر بقلبه يعتصر بين ضلوعه.. تباً له من شعر يداهمه للمرة الأولى في حياته.. يخشى عليها عواقب الفشل في هروبها أكثر من غضبه عليها.. سمع صوت عواء ذئب.. بعيد كصدى وربما اقرب بكثير.. واتسعت عيناه بذعر وهو يتخيلها تسمع الصوت ذاته.. اخذ نفساً عميقاً.. وصرخ باسمها مجدداً لتردد صداه الذئاب بصوت جهوري واحد يكاد يمزق نياط الظلام من حوله ..

ابتلع ريقه .. بخوف حقيقي.. عليها وعلى نفسه..

لاأحد يقطع هذا الطريق في الظلام.. لااحد يفعلها وينجو..

تقدم برعونة.. وتعثر بشيئ ما جعله يشتم قبل ان يوجه كشافه اليه وتنعقد حاجباه بحيرة.. حذاء؟؟!!

التقطه ونظر اليه بذعر.. انه حذاء سلمى الرياضي..

الحذاء الابيض الذي كانت ترتدي في الصباح.. رفع رأسه محملقاً في الظلام.. عارية القدمين.. !! سيقتلها البرد.. وتجرحها الاغصان الجافة والحجارة.. ورائحة الدم الحارة ستجذب نحوها كل الحيوانات الجائعة وسط هذا الصقيع ..

-سلمـــــــــــى .. سلمـــــــــى(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

صرخ بجنون راكضاً.. ويده الأخرى تجذب مسدسه من جرابه,, قفز متجاوزاً غصناً يابساً وقع وسط الطريق وتابع ركضه بسرعة يبحث عن المرأة التي رماها بيده الى التهلكة ..

كان الثلج قد بدأ بالتساقط والهواء قد تكاثفت ذراته وبات يستحيل تنشقه دون ان تفتح فمك شاهقاً.. فخرج اسمها من بين شفتيه بين الشهقة والأخرى,, يحمل خشيته وخوفه عليها..

لايعرف كم ركض من وقت وكم قطع من مسافة.. ان يركض بجنون.. يبحث عنها في ضوء الكشاف الضئيل.. يصرخ باسمها دون توقف..رباااه اين هي؟؟

فكر بجنون.. قبل ان يتوقف بحدة وتتسع عيناه بذعر.. وهو يواجه عينين حمراوتين.. تلمعان وسط الظلام.. اسنان مكشرة بزمجرة شرسة تحمل اثار الدماء والموت بين فرجاتها ..

تيبس جسده وهو ينظر للذئب الضخم الذي يواجهه.. لم يواجه ذئباً قط من قبل..؟؟

لم يواجه حيواناً متوحشاً ابداً في عمره فماهو فاعل؟؟

زمجر الحيوان بشراسة اكبر وهو يشتم خوف الرجل امامه.. زمجر بجنون وهو يدور حوله بحذر.. جعل سيف يناظره بتوتر.. يبتلع ريقه بصمت.. وعقله يحاول التفكير بطريقة تنقذه من بين براثن هذ المتوحش المفترس..

زمجر الذئب مجدداً.. لينتفض سيف وبلحظة تذكر المسدس بيده.. ودون تردد رفعه ليصوبه تجاه العدو المتوثب.. ربما لايفقه الحيوان لغة البشر ولكنه بالتأكيد يفهم لسعة النار حين تقترب منه..

-لاتقترب مني والا قتلتك..

همس بشحوب لتفترش زمجرة الذئب العابسة بقوة اكبر.. جعلت يده الممسكة بالمسدس ترتجف للحظة قبل ان يثبتها ويضغط على اسنانه واصابعه تضغط الزناد وتنطلق الرصاصة مصيبة الارض الى جوار قائمة الذئب الذي قفز مبتعداً بعواء خفيض مذعور.. وقد لسعته حرارة الطلقة.. وقبل ان يطلق سيف الطلقة الثانية كان الذئب يولي بعيداً..

لوقت قصير على كل فكر سيف بقلق.. سيعود الذئب ولن يكون وحيداً ..

رفع يديه يضغط على جانبي رأسه بقوة.. يريد ان يفكر بشيئ ما.. فكرة تنقذه مماهو فيه وتنقذ سلمى.. سلمى!!

شعر باليأس للحظة.. حين سمع ذلك الانين ..

فتح عينيه بقوة وادار كشافه يتبعه بعينيه.. حتى وقع بصره عليها!!

هذا ماكان الذئب يحوم حوله..؟؟ جسدها المكوم هناك.. رباااااااه..

-سلماااااااااااااا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

صرخ بذعر وهو يسرع اليها.. يجثو نحوها ويتفقدها بعينين ويدين مذعورتين ..

-سلمى انت بخير..؟؟

هتف بجنون.. يتذكر منظر الذئب وتكشيرته الدامية.. رأى وجهها الشاحب.. شفتيها الجافتين المزرقتين.. رأى عينيها الزائغتين.. وشعر بأصابعها باردة كالثلج.. تحسس نبضها.. كان ضعيفاً.. بالكاد شعر به(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

أحاط وجنتيها بكفيه وقرب وجهه الى وجهها هامساً بشحوب:

-سلمى.. انظري الي.. سلمى استيقظي ..

لم تكن لتجيبه بأي حال من الأحوال.. شعر بخيبة امل قاسية تعتصره وهو ينهض نازعاً معطفه.. محاولاً الباسه اياها.. كانت متصلبة من البرد..سمع تأوهها الخافت.. ولم يتوقف.. عليه ان يخرجها من هناك بأسرع وقت ممكن قبل عودة الذئاب.. ولاتزال امامه مسافة طويلة لقطعها عودة الى الكوخ ..

ابتلع ريقه بصعوبة وحملها محاولاً اخفاء وجهها عن الثلج المتساقط.. مقرباً جسدها من دفئه.. مشي بها بسرعة بالاتجاه الذي جاء منه.. لايزال الكشاف بيده.. ينير له طريقاً بدت معالمه بالاختفاء بسبب الثلوج ..

-انت لن تموتي..

همس لها.. شفتاه قريبة من أذنها.. يسمع حسيس انفاسها بصعوبة..

ضمها اليه اكثر وصرخ بألم:

-لن أسمح لك بالموت الان ياسلمى.. ابداً لن اسمح لك..(استغفر اللّه(

تسارعت خطواته بقوة النبض الضارب في اعماقه.. والذي تسارع بصورة لم يختبرها قط من قبل وهو يواجه تحدياً لم يواجهه في حياته .. حتى الأن..

النجاة.. مهما كلفه الأمر.. لأجل المرأة التي اكتشف الأن فقط انه لم يكن يركض خلفها لشيئ سوى الحب..

سلمى العزب.. امتلكت مالم تمتلكه اي امرأة قبلاُ.. امتلكت قلبه القاسي.. وهاهي تبعثه للحياة بكل دفئ.. حتى وهما يصارعان الضياع والموت وسط غابة في عمق البروفانس المغطى بالثلوج؟؟!!

نهاية الفصل

بيرو

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الثالث والعشرين

***

انها النهاية..فكرت برعب.. ستموت هنا وحيدة .. ستتساقط أطرافها من البرد.. وتأكلها الحيوانات الضارية.. قبل سنوات رأت غزالاً بريا مزقته الضباع.. هرب الغزال من مهاجميه بصعوبة بالغة ووصل الى حدود مزرعتهم ممزق الساق والبدن.. ينزف من كل مكان تقريباً.. ونظرة الرعب الخالص في عينيه..

شاهدت بنفسها كيف قام رعاد بقتل الغزال الصغير دون اي رحمة او شفقة معللاً انه يرحمها بهذا والا فإنها ستعاني طويلاً قبل ان تموت في كل الاحوال..

بكت وقتها بهستيرية.. واتهمته انه ظالم وقاتل.. وظل علي يشرح لها وجهة نظر رعاد وان ماقام به هو الصواب دون فائدة وقاطعت شقيقها لأيام قبل ان تعود الأمور بينهما الى مجاريها!!..

والأن.. انسابت دموعها بصمت وهي تتخيل الضباع والذئاب التي تسمع عويلها من بعيد تهاجمها بكل وحشية.. كيف فكرت بالهرب؟؟ كيف سمح لها غبائها بفعل ذلك؟؟

الهروب قبل غروب الشمس بوقت قصير.. الهرب بعد تفكير طويل وملح.. لالا.. هي لم تفكر ابداً..كانت تتصرف من وحي غبائها فقط.. تنظر اليه وبكل السخط والمشاعر الغريبة التي تجتاحها مؤخراً وتفكر بكيفية ايقاظها له.. وتتذكر ايقاظها لأخويها في البلدة منذ زمن بدا لها دهراً..

لتنساب دمعتها بحرقة وألم .. كل ماتتذكره انها كانت تدور فيماحولها بطريقة تشبه مايفعله حيوان صغير مأسور لاتقدر على اتخاذ القرار بينما عقلها يدور في حلقا كالمجانين بلاتوقف.. شعرت بخوف كبير يتسرب لها وقوتها الطبيعية أبت عليها الاستمرار في هذا الأسر الذي لاتستسيغه بأي شكل!

حرارة قوية اجتاحتها ولم تستطع السيطرة على دقات قلبها التي تضاعفت حتى ملئتها من الطرف للطرف.. ولم تعد تسمع سوى ضخ الدماء الهادر عبر عروقها واسودت الدنيا أمام ناظريها وكأنما استولت عليها فكرة الهرب حتى ماعادت ترى غيرها.. أسرعت بارتداء معطفها

وتضع شالها بحذر حول عنقها قبل ان تتسلل بحذر للخارج مغلقة الباب بحذر أشد.

ركضت حينها بلاتوقف ركضت وركضت نحو الفرجة من الأشجار والتي أتت عبرها سيارته.. لم تعرف لكم من الوقت ظلت تركض دون أمل لها بأن تجد أحد أو تجد طريقاً مبشراً.. كل الطريق امامها كان متعرجاً غير ممهد والظلام يقترب ويقترب لايكاد يفصلها عنه شيئ.. كانت تعي صعوبة ماوجدت نفسها فيه بل على الأصح ماوضعت نفسها به بيديها الاثنتين .. لقد رمت بنفسها امام المدفع دون ان تفكر بالعواقب والتي تبدو لها منذ الأن وخيمة وغير مبشرة ابدا تراجعت تستند على جذع الشجرة وهي تتذكر كيف فقدت حذائها حين تعثرت بغصن مرمي على الأرض حاولت ان تستعيده ولكنها لم تتوقف لتفكر ابدا استمرت بالركض تهرب مذعورة من أصوات الحيوانات التي بدأت بالتصاعد وملئ الأجواء حولها بطريقة مرعبة ارسلت قشعريرة باردة على طول عمودها الفقري ومنها الى اطرافها المتجمدة من البرد..

تشبثت بمعطفها بقوة وضمت كفيها الى فمها تنشد انفاسها الدافئة علها تبث بها بعض الدفئ ولكن هيهات حتى انفاسها خرجت كبخار

بارد اصابها بالخوف والقلق ركضت بسرعة متحملة الم الوخز والخدر المؤلم الذي بدأ ينتشر عبر قدمها الى باقي الجسد سمعت عواء الذئاب وكادت تفقد وعيها من شدة الرعب والألم ولكنها لم تفعل ولم تتوقف بل واصلت بقوة احتمال غير عادية حتى بدأت الأصوات تقترب منها .. لم يعد صوت العواء وحده بل تشاركت سيمفونية الليل العزف وبدأت أصوات الحيوانات الأخرى بالتصاعد منها صوت البوم والوشق(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لم تدرك انها تزل نحو مستنقع لافرار منه .. تعبت من كثر الركض.. تعبت ولم تعد تقدر على تحمل الألم الذي ضرب بقدمها بعنف وقسوة.. سقطت.. سقطت حينها وارتطم جسدها بالأرض بقسوة عنيفة.. وبالكاد زحفت لتسند جسدها الى جذع شجرة قريبة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تخيلت نهايتها السوداء ووأنصتت لاقتراب الحيوانات الضارية التي باتت قاب قوسين منها أو أكثر.. ضمت ذراعيها اليها بقوة.. وبكت بصمت وهي تتخيل نهايتها البشعة.. تمتمت الشهادتين بخفوت واستغفرت خطاياها برجفة.. واغمضت عينيها تستسلم لوضعها الميئوس منه ستموت بهدوء.. ستموت وهي نائمة.. البرد ينخر عظامها

.. شعرت بالرطوبة تبلل وجنتيها.. رطوبة قارصة.. فتحت عينيها لتكتشف ان الثلج قد بدأ بالتساقط..

هذا ماكان ينقصني..!! فكرت بتخاذل.. نظراتها تزوغ والرؤية تنعدم بالتدريج .. لم تعد تتحمل.. ستموت..

ليت الموت يأتي سريعاً .. دون أية ألام أخرى.. دون أوجاع.. شعرت بالدفء يتسرب الى أطرافها ويتوغل عبر أوردتها لينعش جسدها المتصلب ويعيد اليه حيويته.. ولو القليل منها..فقط..

دفء؟؟!!

فكرت بتشتت.. عينيها ثقيلتان جداً.. تستطيع تحريك أطرافها بحرية.. ولكنها حرية مقيدة.. تشعر بنعومة المكان الذي ترقد عليه ودفء الأغطية التي تغطيها.. ولاتصدق نفسها..تناهى الى سمعها قرقعة الحطب في نار المدفأة وسمعت شراراتها.. فتحت عينيها بصعوبة.. تواجه النار التي استلقت أمامها.. امام مدفأة حجرية ضخمة تعرفها تعرف المكان .. لقد عادت الى الكوخ..

رمشت بعينيها عدة مرات وحاولت الاستناد على مرفقها لتتلفت حولها ولكن المهمة كانت صعبة.. جسدها كله يؤلمها.. رأسها يكاد ينفجر وكل مافيها يضج بالوجع.

تأوهت بألم بصوتٍ عالٍ لتسمع وقع الاقدام الثقيلة على خشب الأرضية.. تتجه نحوها..

رفعت عينيها لتراه بطوله المهيب يكاد يسد الباب العريض الذي يصل حجرة المعيشة في الكوخ عن باقيه.. اتسعت عينيها وهي تغرق في عينيه بنظرة طويلة عميقة شعرت وكأنها تخترقها ولاتترك لها فرصة للنجاة منه..

-أخيراً استيقظتي؟؟

لم ترد فعاد يسأل بقلق شاب خشونة صوته:

-أتشعرين بتحسن؟؟ هل هناك مايؤلمك؟؟

أرادت البكاء.. الصراخ أن كلها يؤلمها بطريقة لم تختبرها من قبل ولكنها ايضاً لم ترد.. فضلت الصمت وهي تتشبث بالحرام الصوفي الثقيل وتضمه الى صدرها خوفاً من نظراته التي ابتلعتها كلها كَـــدُبٍ جائع ..

كيف عادت الى هنا وقد كانت على وشك الموت برداً!! كيف؟؟

-مـــمن؟؟

حاولت النطق لتخرج الكلمات جافة متشققة وكأنها تخرج من حجر.. ليسرع اليها ويناولها كوباً من الشاي كان موضوعاً الى جوارها

يتصاعد منه البخار..لم تكن تستطيع الامساك بالكوب حتى.. ولكن ذلك لم يوقفه ابداً أحاط كتفيها بذراعه ورفعها بسهولة وهي تشهق مذعورة لضعفها الشديد حتى عن صده او الابتعاد منه وقوته المهولة التي أربكتها.. وهو يسيطر على كل حركاتها بقبضة حديدية..

شعرت بمذاق الشاي اللاذع بالليمون وهو ينشر الدفء عبر بلعومها ومنه الى باقي جسدها من الداخل ..

سعلت متحشرجة ليسندها على صدره برفق ويهمس:

-على مهل.. اشربي على مهل.

عادت استقاء المشروب الساخن بلهفة.. واحساس عارم بالامان يغمرها.. رغم كل شيء تباً له كيف يُشعرها بالأمان؟! استطاعت بصعوبة ان تمد كفيها لتحيط بالكوب.. وتنتشر سخونته عبر كفيها الى أعماقها.. تنشقت البخار المتصاعد وحركت رأسها نحوه لتلتقي عينيها بعينيه وتهمس شاحبة:

-أنت أنقذتني؟!

غامت عيناه برغبة ملحة فقط لضمها اليه بقوة.. زرعها بين ذراعيها واخفائها عن العالم.. يحميها من كل ماهو قادم كل مايخبئه لها القدر.. أراد ان يقترب ليشعر بنبض قلبها مرة أخرى كمافعل حين رآها

ليلة أمس ملقاة وسط الغابة.. كاد قلبه ان يتوقف حينها ارتمى عليها ومضى بجنون يتحقق من علاماتها الحيوية.. يبحث عن نبضها الضعيف وانفاسها البطيئة..

حملها دون أن يفكر وركض بها تقريباً.. كان عليه ان يسرع وقد فعل.. لم يعرف كيف تجاوز عن ألمه وتعبه وركض بها مسافة طويلة.. حتى وصل الى الكوخ..

-كيف وجدتني؟؟

همست متسائلة.. ليخفض عينيه اللتان تصران على كشف مستور قلبه.. ونهض يسندها على الوسائد خلفها وهو يرد بجفاف:

-لقد بحثت جيداً..

تأوهت لابتعاده.. للفراغ والوحدة التي شعرت بهما حالماتركها ونهض وخفضت عينيها تخفي خجلها من مشاعرها الحمقاء التي استوطنتها بوقاحة.. اشتدت قبضتيها حول الكوب وضمت شفتيها بحزم..

-لماذا هربتي؟؟ لقد كدت تقتلين بسبب غبائك.

هتف بحنق وهو يواجه رأسها المنكس.. لتتهرب عن الاجابة وهي تسأل بوجوم:

-متى ستعيدني الى بيتي؟؟

ضرب طرف المدفأة بقبضته بقوة وصرخ:

-كدت تموتين وها كل ماتفكرين به؟! عليكي شكري لأني أنقذتك سلمى.

عضت شفتيها بألم وصاحت:

-لم يكن عليك انقاذي.. ربما كان عليك تركي لأموت هناك.. فهذا أفضل من البقاء محبوسة هنا.

-انت ناكرة للجميل..

قالها بسخط لتشتعل الكبرياء في أعماقها وتمدها بقوة مكنتها من دفع الاغطية عنها والنهوض لمواجهته بغضب لتفاجئ بقوة الألم الي عصف بها حال وقوفها لتعود صارخة الى الجلوس وهي تمسك قدمها بجزع..

-لقد آذيتي نفسك..

همس ببرود.. ونظرت اليه بألم ليقترب ويرفع ساقيها على الكنبة ويشير لقدمها التي وعت توها انها محاطة برباط طبي ابيض وهو يواصل:

-لقد خاطها الطبيب لك ..

نظرت سلمى لنفسها.. مالذي حدث لها ولم تفطن اليه ..

انها هنا معه وحدها.. قدمها مضمدة.. ذراعها الايمن مليئ بالخدوش.. والادهى من ذلك كان الثوب الذي ترتديه.. لم تكن ترتدي هذا الثوب الكشميري.. لم تكن؟؟

رفعت اليه نظرات مصعوقة وهي تضم ذراعيها اليها بقوة وفهم النظرة.. فهم الرسالة التي اشتعلت خلف مآقيها.. وسيطر بقوة على رغبته التي اشتعلت بداخله لمشاكستها وايذائها بطريقة غريبة وقال بحدة:

-الممرضة التي رافقت الطبيب هي من تكفلت بتغيير ثيابك المبتلة بفعل الثلج..

شهقت بارتياح وارتجفت وهي تتخيل ماكانت تظنه.. احمرت وجنتيها وهي تواجه عينيه اللتي حملت عاصفة من المشاعر سرعان ماأخفاها وهو يشيح عنها هاتفاً بغيظ:

-انا لدي بعض مبادئ مهما كان ماتظنينه عني؟؟

-مبادئ؟؟

همست ساخرة وهي ترمقه بنظرة حارقة ليتجهم وجهه:

-لن نناقش مبادئي الأن ياسلمى.. ولكن اعلمي شيئاً واحداً فقط..

قالها واقترب نحوها تحمل ملامحه شراسة مخيفة لتتراجع جاحظة العينين وهو يهتف:

-لولا مبادئي التي تسخرين منها الأن لكنا انتهينا قبل وقت طويل ..

حاولت السيطرة على خفقات قلبها المدوية ولكن لم تفلح في حين نهض هو مرتدياً سترته:

-يجب ان اذهب الان.. لاتفكري بمحاولة الهرب هذه المرة سلمى فلن اكون هنا لانقاذك من غبائك.

-انت لن تتركني وحدي؟!

هتفت بجزع ليتجاهلها ويستمر بلملمة اغراضه لتهتف هي بغضب:

-لاتتركني وحدي.. دعني أذهب.. دعني اعود الى منزلي.

نظر لها باستخفاف وهمس:

-ستعودين في الوقت المناسب.

-لااريد البقاء وحدي ..

هتفت بحنق لينظر لها باستغراب:

-خائفة؟!

ارتجفت وهي تحاول الهرب من عينيه النفاذة:

-لست خائفة..

اقترب بحدة وصاح:

-عليكي ان تكوني خائفة انتي يجب ان تخافي..

تراجعت بذعر ليرمقها بتوتر قبل ان تمتد يده ببطئ.. يلامس وجنتها الشاحبة.. لم تبتعد عن لمسته الخفيفة والتي جعلتها تنتفض بقوة..

كان هذا أكثر مما يحتمل.. أكثر بكثير.. رباااه..

ابتعد بحدة.. قربها يحرقه .. يجب ان ينتهي من هذا الامر بأسرع مما يمكن.. يجب عليه هذا..

-سوف ينتهي الأمر قريباً أعدك بهذا.

راقبته يكمل طريقه نحو الباب يرتدي معطفه وهو يقول بجمود:

-ستبقين هنا مع العجوز حتى عودتي لأخذك الى عائلتك.

-ستعيدني حقاً؟؟

همست بأمل لينقبض قلبه بحسرة.. وكل ماتمناه ينهار بقوة امامه تباً كيف للحب أن يلف دماغه بتلك الطريقة التي لاتقوى على فعلها اقوى مسكرات العالم وقد جربها كلها.. ابتسم بسخرية.. الحب.. الكحول الاعتى.. نبيذ معتق.. خمرة العشاق التي تذوب في العروق وتذيب العقل وتُذهب الروح!!,,

أغلق عينيه وتنهد بصمت زفر انفاساً ألهبت صدره قبل ان يهمس لها بشحوب:

-لاتقلقي ياسلمى لقد أعطيتك كلمتي ولن أعود عنها.. سأعيدك الى أخوتك حالماأقدر على هذا.

وقبل ان ترد كان يغادر الكوخ صافقاً الباب خلفه بقوة.. تاركاً الفتاة تغرق في حيرتها ومشاعرها التي تخبطت بين ضلوعها بعنف.. دون رحمة..

***

استيقظ بصعوبة على الطرقات التي كادت تخترق دماغه وتدمر الباقي من اعصابه المنهكة.. مناوبة متعبة حتى الصباح ثم امتحان نظري مميت حتى قبيل ساعات العصر بدقائق.. والأن تبدأ الشمس بالانسحار وهو لم يهنأ ببضع ساعات من نوم لائق ..

حياة طبيب لاتخفى على أحد؟؟

تثاقلت قدماه حتى وصل للباب فتحه بضيق وهو يتوعد اي من كان يقف خلفه بعقاب على ازعاجه.. ولكن الواقف خلفه جعله يتسمر مكانه ويناظره بحيرة قبل ان يبادره الرجل بحرج:

-هل جئت بوقت غير ملائم؟؟

-لا لا.. ااسف.. تفضل بالدخول دكتور يوسف.

دخل يوسف الشهري الى شقة علي العزب بخفة وهو يقول:

-اعذرني على ازعاجك ولكنني اتصل بهاتفك منذ الصباح واجده مغلقاً..

-نعم .. لقد فرغ شحنه وبصراحة لم اهتم لاعادة الشحن ..

قالها علي بفتور.. لايزال عقله يرضخ تحت تأثير النوم المسيطر ..

نصفه يتوق للعودة للفراش والأخر يتوق لمعرفة سر قدوم هذا الرجل حتى بيته؟؟

-اعذرني مرة أخرى ولكن الأمر مهم لي جداً.

اومأ علي وأشار ليوسف ان يتقدمه الى غرفة صغيرة تناثرت عليها ارائك حديثة ودعاه للجلوس وهو يسأله:

-قهوة؟؟

-لاداعي.. الامر لن يأخذ اكثر من دقائق..

نظر له علي بشتات قبل ان يقرر ان ينتهي من الامر هو الاخر فعقد ذراعيه على صدره وانتظر مسيقوله يوسف بلامبالاة ظاهرية ليتنحنح يوسف ويحاول السيطرة على ارتباكه فيما سيسأل علي عنه ..

-تتذكر تلك المرأة.. تلك التي ماتت في العناية قبل ايام؟؟

توترت ملامح علي واضطربت وقفته وهو ينظر ليوسف بحيرة..

أيتحدث عن والدة نادين؟؟

-ماذا عنها؟؟

همس متحشرجاً.. ليجيبه يوسف بحسم:

-احتاج لعنوان ابنتها.. او تلك التي كانت تظنها امها.

دقيقة واحدة تلك التي أجفلت علي وتركته يناظر ملامح يوسف الغريبة وتقاطيعه التي رسمت تمازج الشرق والغرب بحدة وتناسق .. دقيقة جعلته يغلق عقله عن مساعي النوم لاجتذابه مجدداً بين يديه ويتفرس في ملامح يوسف عن سبب للبحث عنها.. عن نادين.. نادينـــه هو.. ثم جائت الدقيقة الثانية التي حملت تساؤلاً مضنياً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كيف سيبدو وجه يوسف متناسق التقاطيع بعد ان ينهال عليه بالضرب..؟؟!!

ارتجفت عضلة الى جوار فكه وضغط بقوة كادت تحطم صف أسنانه.. قبضتيه اشتدتا بقوة كادت تكسر أصابعه وهو يتصنع اللامبالاة حقاً ويميل برأسه متسائلاً:

-ماذا تريد منها؟

نظر له يوسف متفرساً.. الطريقة التي رد بها.. الوقفة المتحفزة والشرر الذي تطاير من عينيه يطوله ويحرقه وكل من يتجرأ على الاقتراب من حدود رسمها هو لهما معاً.. هناك شيئ غير المعرفة السطحية تجمعه بتلك الفتاة.. وهذا قد يعقد الأمور..

-هناك شيئ يجب أن أعطيه اياها..

فكر علي لثوانٍ.. ربما يفكر بالاحسان؟! ربما يريد ان يساعدها..

ولكن لا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

فكر بمرارة.. من يرى نادين أخر مايفكر به هو الإحسان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-اعطني اياه.. سأحرص لأن أوصله لها.

قالها ببرود ليبتسم يوسف بسخرية.. الفتى عاشق حتى أذنيه.. ويقامر!!..

-انا لاأفكر بشيئ ممافي مخيلتك ياعلي.. انا رجل متزوج وأعشق زوجتي للنخاع..

قالها يوسف بهدوء يهدف لطمئنته.. ولكن لم يفلح.. ظل علي يرفع رايات الاستنفار.. والقلق.. كذئب متحفز ويستعد للانقضاض..

-قلت بأنني سأوصل ماتريد لها مهما يكن .. فلم لاتوفر عليك مشقة البحث والتفسير.

-انا لاأفسر لك بقدر ماريد أن أطمئنك.. من ناحيتي على الاقل ياعلي.. ثم انني لست من يريدها بالضبط.

عقد علي حاجبيه مستغرباً ليضيف يوسف وقد وجد منحنى جديد يستطيع به الاقتراب دون شكوك:

-انها زوجتي.. لقد حكيت لها عن الفتاة وتبين انها صديقة قديمة فقدت أثرها حين سافرت الى ألمانيا قبل سنوات.. وكل ماتريده هو الالتقاء بها وتعزيتها.

زوجته؟؟!!

إلام يسعى هذا الرجل؟؟ فكر علي بتوتر.. اي امرأة ترافق نادين هي بالتأكيد..؟؟!!

واحمر وجهه لتفكيره بزوجة الرجل بهذه الطريقة.. انه ليس اي شخص.. انه يوسف الشهري.. ابن عائلة الشهري بجلال قدرها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) تنهد وحاول ان يأخذ الكلمات على ماهية عليه دون تفسيرات او تأويلات أخرى..

-انا لاأعرف اين هي بالضبط.. انا وجدتها صدفة.

همس بتوتر ليضم يوسف شفتاه بضيق.. الفتى يصر على الانكار..

ليس هذا فحسب بل هو حقاً بدأ ينفذ تحت جلده ويصيبه بالتوتر..

-اسمعني ياعلي.. الأمر مهم حقاً.. وانا وزوجتي سنعود لألمانيا خلال أيام قليلة..

-استطيع ايجادها ..

هتف بسرعة.. ثم ابتلع ريقه وتابع:

-سأتصل بك..

-متاكد؟؟

نقلت عيناه شكوكه ليومئ علي بصدق جعل يوسف يتحرك نحو الباب هاتفاً:

-سأنتظر اتصالك دكتور.. غداً على الأكثر.. فأنا لن انتظر أكثر.

وافق علي بصمت ورافق يوسف الى الباب.. وبعد ان اغلقه خلفه استند عليه بحيرة.. هل سيبحث عنها من جديد؟؟ هذه المرة هل اختبئت منه بطريقة جيدة؟؟ ام أن الصدمة لفقدان امها لاتزال تسيطر عليها؟؟ لقد اختفت من المستشفى وهو لم يحاول البحث عنها في اي مكان أخر.. لأنه كان ضعيفاً جداً ليفعل.. أضعف من ان يتحمل

الرفض.. او الابتعاد مجدداً.. والان عليه ان يجدها.. او يتصل بيوسف ويخبره ان يذهب للجحيم فليس الامر من شأنه..

وربما يتصل ليخبره انها لم تعد موجودة في المدينة.. هاتف اناني دفعه لأن يفكر بجدية بهذا الأمر.. عاد ونحاه جانباً بقوة.. سيجدها ويرى الى أين يقوده هذا الأمر.. فهو إن لم يكن وازعه الضمير الحي.. فوازع الفضول عنده كان اقوى..

***

تجلى المساء أخيراً..

زفر بتعب وهو يتهالك الى جوار رفيقه في السيارة المنطلقة لبيت الأخير بسرعة متوسطة..

-كان يوماً مرهقاً؟؟

-من كل النواحي ..

زفر اجابته بارهاق فابتسم رفيقه وهمس:

-سنتناول عشاءاً رائعاً من تحت يدي زوجتي ثم أعيدك لبيتك لتنال قسطاً وافراً من النوم فقد استحققته قحطان..

اغمض قحطان عينيه لتهاجمه الزمردتين بقوة شيطانية.. تعوذ باللّه وفتحهما قسراً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ينام؟؟!!

فكر بسخرية.. ويترك لها الفرصة لتغزو أحلامه وتحيل راحته الى كابوس؟! سيصوم عن النوم.. سيصوم ويزهد عن التقاءه بها حتى يحل عقدتها من حول عقله.. جسده.. يتخلص منها كمايتخلص المدمن من بقايا المخدرات المخبئة في أخاديد أسراره..

انها العذاب فقط ..

بعد العشاء المتخم جلس الرجلان على الشرفة يتابعان باسترخاء لعب الصغيرة في الحديقة امامهما.. حول كوبين من القهوة غمغم عمرو بابتسامة:

-لاشيئ أجمل من النظر الى جزء منك يركض ويلهو بسعادة أمامك..

متى ينوي عمرو العزب التشريف الى دنيانا؟!

توترت عينا قحطان واشتدت أصابعه حول فنجان قهوته المرة .. سيادة حامل؟! فكر بتوتر.. انه يعلم انها صادقة يشعر بهذا.. ولكن؟!

-سيادة حامل..

قالها ببطئ.. لينظر له صديقه بفرح ويهنئه بصدق.. لماقالها؟!

لماذا اعلن ماكان ينكره بكل قوته .. لماذا صدق كذبتها التي نفاها؟!

ابتلع ريقه وهو يعترف انه كان متأكداً من حملها.. في وقت ما ربما شك بها للحظة ولكن بعدها.. كان يعرف انها تقول الحقيقة في هذا الامر.. سيادة تنتظر طفله ولاسبيل له ان ينكر..

تنهد بعمق قبل ان يسمع عمرو يسأله:

-كيف وجدت اميرة؟؟

نظر له قحطان بتوتر.. ولكن وجد عيني رفيقه تضحكان لحركات ابنته الشقية قبل ان يصيح بها ان تحذر الاقتراب من المسبح.. ويعاود النظر اليه بعيني صافتين:

-هل اعجبك عملها؟؟

-هل تعرفها بشكل جيد؟؟

تساؤل صفع الاخر ليجيب عمرو بعد لحظات:

-عملها كل مااعرفه..مالذي تريده اكثر من ذلك؟

شرد قحطان بعقله.. مالذي يريده منها أكثر من ذلك.. المنطقي.. لاشيئ.. ولكن عقله الباطن يقول العكس.. بالتأكيد هناك شيئ مايريده من امرأة كتلك.. شيئ غامض.. عنه هو نفسه..

-اي شيئ اخر.. حياتها الخاصة..

لم يفكر عمرو مرتين قبل ان يجاوب.. ربما لثقته اللامحدودة بصديقه وعدم شقه بنواياه ابداً:

-مااعرفه انها أرملة.. مات زوجها قبل اربع سنوات في حادث.. ليس لها اطفال تعيش مع والدتها العجوز وحدهما منذ ذاك الحين(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وتعمل لاعالتها.

عقد حاجبيه.. أرملة.. لماليس متفاجئاً.. ولمالايزيده هذا الامر الا تفكيراً؟؟!!

-مالذي تفكر به؟؟

همس له صديقه قبل ان يرتفع رنين هاتفه يحوؤل بينهما ليلتقطه قحطان ويرى رقم الهاتف الشخصي لحارس الشيخ والذي يستخدمه شخصيا للاتصال والتواصل مع الكل.. عقد حاجبيه وفتح الخط:

-السلام عليكم ورحمة اللّه..

-وعليكم السلام ياشيخ.. كيف الحال؟؟

سمع صوت الحارس الخاص يحيه ليجيب بقلق:

-بخير والحمدللّه ياأحمد.. طمئني عن الشيخ؟

-ان الشيخ بخير وله الحمد.. ولكنه يطلبك على وجه السرعة..

اشتد قلق قحطان:

-أعطنيه لأكلمه..

-انا اسف ياشيخ..

غمغم الرجل بحرج.. قبل ان يضيف:

-انه لايريد محادثتك عبر الهاتف.. يقول انه سيكلمك فقط حين تأتي.

-آتي.. الى البلدة الان؟؟

تسائل قحطان باستنكار قبل ان يتملكه القلق بتزايد والرجل يؤكد له مافهمه ليعود ويتسائل:

-بالله عليك ياحمد هل اصاب الشيخ مكروه وترفض اخباري؟؟

-اقسم بالله ان الشيخ بخير وكان معي منذ قليل وأمرني ان اقول لك ماقلت.. وانه بخير ولم يحدث له مكروه.

تنهد قحطان بعدما سمع تأكيد الرجل له ثم دمدم له:

-سأتحرك الان.. اخبره انني سأبذل قصارى جهدي لأصل قبل موعد نومه.. والا فأنني سأجيئ اليه وقت الفجر..

تمم الرجل على المكالمة بالسلام وهو يتعهد بابلاغ الرسالة للشيخ..

-هل ستذهب الان؟؟

تسائل عمرو بحيرة وهو يرى قحطان الذي نهض يلملم كشيدته حول رأسه بهدوء:

-بالطبع.. امر جلل ذاك الذي يستدعيني لأجله جدي في هذا الوقت ..

-انا لن أدعك تقود بهذه الحالة .. انت متعب قحطان.

أصر عمرو ليجيب قحطان بارهاق:

-سأدع احد الرجال يقود لاتقلق.. والان قبل صغيرتك وقحطانك عني..

الى اللقاء ياأخي.

عانقه عمرو بخفة وهو يقول:

-سأتصل بأميرة لتباشر امور المكتب من دونك غداً..

-لاتفعل..

نهره قحطان بحدة جعلت عمرو يجفل في حين اضاف قحطان بسرعة:

-سوف اعود في الصباح لدي الكثير من الاعمال ولاوقت لتركها بين يدي احد سواك.

رفع عمرو كتفيه:

-لابأس كماتريد.

ودعه قحطان باستعجال قبل ان يسرع لسيارته ..

اتخذ طريقه اولا للشقة.. اغتسل وغير ملابسه قبل ان ينطلق بموكبه نحو البلدة القديمة.. كانت الساعة تقارب الحادية عشر والنصف ليلاً.. يلزم الطريق مايقارب الساعتين.. ويصل بعد منتصف الليل.. يالها من رحلة؟! مالداعي لها يارب الكون.. فكر بقلق أيعقل أن يكون جده قد أصيب بمكروه؟! ولايريدون اخباره أو ربما أحد أخر؟!!

حاول اثناء قلبه عن الانجراف نحو الطريق الى التفكير بها هي؟!

وتجاهل خفقاته المدوية وهو يغوص في مقعده أسند رأسه وقال لسائقه ان يوقظه حال وصولهم الى البلدة..ودون اي مقاومة غرق في نوم عميق احتاجه بكل حواسه..

استيقظ بعدها مباشرة .. غمضة عين كل ماستغرقته الرحلة بالنسبة اليه.. طالع ساعته ليعرف انها الثالثة فجراً.. استغرقتهم الرحلة مايقارب الثلاث ساعات.. سأل سائقه بخشونة عن السبب ليهتف بابتسامة:

-المطر ياشيخ لقد جرف السيل معظم الطريق واضطررت أن اقود ببطئ كي لانخرج عنه.

تنبه حينها قحطان للأرض والسماء الرطبة التي تساقط بللها عليهم برتابة والسيارة تقطع البوابة المشرعة ناحية الدوار بصمت ..مطـر !!

تنهد ونزل من سيارته ينظر للدار بتجهم.. قبل ان يستدير نحو الديوان الخارجي بصمت..عرف انه لابد سيخضع لما سيقوله ذلك الشيخ الجليل.. ولم يهمه سوى ان يطمئن عنه.. دخل ليجد جده يجلس في مكانه المعتاد بيده السبحة الثقيلة من خشب الجوز والعقيق اليماني وحالما انتبه إليه رمقه بنظرة غريبة تجمع بين الشوق والخيبة وشيء من الغضب المخبئ خلف مآقيه التي تآكلها الزمن..

-السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته يا شيخ..

قالها قحطان باحترام شديد وهو يهبط الى جواره مقبلاً كفه وقمة رأسه بحنان ليفاجأه الرد المقتضب من العجوز والذي نفض كفه حفيده وهتف بتجهم:

-اجلس يابن أمك.

تراجع قحطان بدهشة.. لم يفعل جده قط شيئ مثل هذا مناداته بابن أمه؟؟!!

شعر بأنه غاضب بالتأكيد هو غاضب منه ولكن لماذا؟؟ جلس الى جواره وهمس له:

-مالذي حدث جدي لم أنت غاضب مني؟

-مالذي فعلته لأبنة عمك؟؟

قالها بحدة جعلت قحطان يجفل ويناظره بغرابة ليستمر جدها بتأنيبه:

-لقد أعطيتك ابنة عمك لتحميها وتعزها وتكرمها.. وليس لتعاملها كخادمة لديك وتسيء إليها.

-أنا لم(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لاتقاطعنـــي..

هدر جده بغضب ليتراجع قحطان بذهول.. جده لم يكن غاضباً فقط بل كان حانقاً ومتأثراًبشدة شعر بالغضب يجتاحه هو الأخر شعر بالغيظ لأنه يجلس هنا أمامه كاولئك الأطفال المشاغبين يتلقى التأنيب وكأنه يستحق..؟؟

-أنت تجاوزت حدودك معها.. لقد عاملتها كالجواري وقد سمحت لك بالكثير قبلاً للأنني عرفت انها تحتاج أن تعتاد على حياتنا وأساليبنا ولكن الأن الفتاة تغيرت كلياً.. وهي تفعل المستحيل لإرضائك مع هذا أنت لازلت أحمقاً وتتصرف على هذا الأساس والأدهى من ذلك كله أنك هجرتها!!

أكمل عبارته متسائلاً باستنكار وسكت ينتظر الرد الذي لم يأتي من الصنم الجاثم قباله ليصيح:

-ماذا بك ؟؟تكلم.. هل تتجاهلني قحطان؟

استغفر قحطان بصمت ثم أجاب بوجوم:

-حاش لله ياجدي.. أنت من قال لي أن أصمت وألاأتدخل حتى تنهي حديثك.. لم أكن اتجاهل.

تنهد الرجل وتراجع ليسند تقوس ظهره الى المسند خلفه وهمس:

-تكلم الأن.. دافع عن نفسك.

لم يكن ينوي التكلم او الشرح كيف يشرح له ان ابنة عمه استغلت اسمه!! وليس هذا فحسب بل مرغته في التراب دون اية اعتبارات!! كيف يخبره ان حفيدته الغالية والتي يحبها الى هذه الدرجة ليست من يظن.. هي أسوأ بكثير.

كان عليه أن يبتعد حتى يقدر على تقييم مشاعره نحوها وأن يخطط بهدوء ودون تأثيرها القاتل لجواره.. كان عليه ان يخطط لعقابها والانتقام لكل مافعلته به.. الإنتقام؟؟

فكر بشرود شيخ العزب لاينتقم.. بل هو يعاقب.. يحكم ..

شد وجهه بحزم أمام جده وقال باقتضاب:

-انه أمر خاص بين رجل وزوجته ياجدي.. ولاأرغب بمناقشته أو الحديث عنه حتى.

رأى تعبيرات وجه جده المغضن بالتجاعيد تتحول من الاندهاش الى الغضب في سرعة قياسية.. رآه يضغط بقوة على فكه محاولاً السيطرة على هذا الغضب الذي تفجر من كل جزء منه..رآه يقبض يقبض على عصاه فتبيض مفاصل أصابعه .. كبت غضبه سيطر عليه ليخرج رده مقتضباً هامساً:

-شؤونك تلك هي شئون حفيدتي وهي من جائت تشكو منك ظلمك لها لي انا جدك وشيخ قبيلتك.. لقد حكمتني ورضيت ان أكون حكماً بينك وبينها ولذا أنت ستجيب عن تساؤلاتي مهما كانت ظنونك حول هذا الأمر.

-أنا لم أظلمها قط .

جاء رده مستنكراً.. ليرد جده بحده:

-أليس البعد والهجران ظلماً؟؟

-وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ..

رد قحطان بعصبية ليصيح جده بحنق:

-أكمل الاية * ياولد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اكمل ولاتفسر كلام ربك كمايحلو لك.. هل نشزت عنك ابنة عمك لتهجرها؟؟ هل ضرتك في كرامتك؟؟ فقط أخبرني وسيكون لي معها تصرف أخر؟

-جـــدي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

هدر قحطان رغماً عنه بنفاذ صبر.. تفجرت عروق رقبته بالدماء.. حنقاً وغيظاً لأنه هنا بين يدي جده وهو يؤنبه كطفل؟؟!!

-لقد تحملت الكثير والكثير من أفعالها ولاأحد يعلم عن هذا الأمر لانني لاأخرج أسـرار منزلي وزوجتي.. ولكن هذا لايعطيكم الحق ابداً بالتدخل في طريقة تقويمي لها.

كان يرى غضبه وغيظه ولكن هذا لم يوقفه قط..

-أنت تعذبها ولست تقومها بنـي.

ناشده العجوز وقد بدا يُدرك ان عناد حفيده الشهير قد بدا يطفح للسطح كالعادة ولن يستفيد من مناقشته اكثر من اثارة اعصابه بشكل اكبر ودفعه خارج الطور وهذا لايحدث الا نادراً جداً.. ولكن قحطان ارتدى قناعه الأسود.. واغلق ملامحه عن محاولات جده التي

لانت.. لقد كبر العجوز ولم يعد يقدر على حفيده.. لذا تنهد باستسلام وقرر مراجعة طريقته.. تغيير استراتيجيته وهو يهمس:

-قحطاان بني.. ادرك انني ضغطت عليك للزواج من سيادة ولكنني كنت اريد هذا الحلم ان يتحقق.. زواج حفيدي يااللّه كم حلمت بهذا.. ولكن..

وخفض رأسه بأسف مدروس وهو يهمهم:

-لو لم تكن سعيداً في حياتك بني.. لو كانت تحيل حياتك جحيماً..

وخفض صوته واغمض عينيه ليعقد قحطان حاجبيه وهو يتخيل فقط تكملة عبارة كهذه والجد يفتح عينيه ببطئ وهو يهمس:

-اذا لم تكن تريدها بني فاتركها.. اتركها وسأعطيها لمن يقدرها ويقبل ثرى قدميها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اتسعت عينا قحطان جاحظة وهو يهب واقفاً .. كله يغلي من الداخل كله يشتعل من الكلمة الي رماها جده في وجهه.. قبض على اصابعه بقوة كادت تحطم مفاصله وهو يهتف بعنف:

-تعطي زوجتي لرجـل سواي؟؟!!

رمقه جده بهدوء.. يسند ذقنه المليئة بالاخاديد لعصاه وعيناه تبرقان بتسلية وهو يرى ردة فعل حفيده التي تمنى ان يراها.. في حين كان

الاخر يرغي ويزبد وهو يتخيل مايمكن ان يكون قد خطر لجده ليقترح.. لا لا ليفكر فقط بهكذا احتمال.. ان يأخذ زوجته منه ويعطيها لسواه.. دار حول نفسه مرتين.. يديه تمزقان خصلات شعره وهو يشده بعصبية .. عيناه حمراوتان .. كتفيه مقوسة كذئب على وشك الانقضاض؟؟ هل هي من أوحت هذا الكلام الفارغ لجده؟؟ هل هي من اوحت له انها ستكون أحسن حالاً مع سواه.. ربما مع ذاك الفتى الغر من آل الشيب!! أهذا ماكانت تريده؟؟

نظر لجده وفاته رؤية النصر الصغير الذي تلاعب بابتسامة على شفتيه القاسيتين هامساً:

-أنت لم تعد تريدها كمايبدو.. تهجرها وتعاملها كشيء يمكن الاتسغناء عنه وهي حامل بطفلك.. بما تفس هذا بني؟

ضغط قحطان على فكه بقوة ليوقف سيل الشتائم الذي كان يفكر بها:

-انا لم اقل هذا ابداً والطفل ليس موضوعنا هنا ياجدي.. انا اتكلم عن زوجتي ياجدي.. انا لن اسمح لها ان تفكر حتى بالابتعاد عني.. عليها ان تنسى هذا الامر.

-هي لم تطلب هذا ابداً.. انا فكرت به جدياً ومادمت لاتطيقها او انها تزعجك الى هذه الدرجة !!

قالها جده بهدوء ليتفاقم غضبه وتتفجر اوردته بالدماء ويصبح وجهه الاسمر اسوداً قاحلاً: ..

-هل هي من طلب منك هذا؟؟ الانفصال عني؟؟

تسائل متحشرجاً.. بالغضب.. بالصدمة..

-قلت لك لا.. انت من تطلبه بتصرفاتك هذه..

ابتعد قحطان عن جده.. لايكاد يصدق انه يطلب منه الانفصال عن سيادة.. ابنة عمه؟؟ مستحيل.. هل حقاً يفكر بابعادها عنه بهذه الطريقة.. هو لن يسمح ابداً بشيء كهذا ابداااا.. قطع الديوان ذهاباً واياباً لايقدر السيطرة على اعصابه تباً لهذه المشاعر الغريبة ألم يكن هذا ماكان يريده منذ البداية.. ان يتخلص من وجودها في حياته؟؟!! ان يبتعد عنها مئات بل ألاف الاميال؟؟ أن يصبح حراً من سيطرتها عليه من أفعالها المشينة أن يتخلص منها!!

لا لا.. مستحيـل.. فكر بجنون.. تتركني وتجد سواي؟؟ رجل أخر يأخذها مني انا؟؟

غشي بصره للحظة يحجب عنه الصورة التي رسمتها عيناه الالقاسية لسيادته مع رجل سواه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قبل ان يلتفت لجده ويهمس له بشحوب:

-انها تريد الرحيل عني؟؟

نظر له جده مطولاً.. قبل ان يقرر ان هذا ربما يكفيه ويزيد.. واي شيئ أكثر قد ينقلب بتأثير عكسي ويحطم كل مابناه في اللحظات القليلة الماضية..

-انها تحبك بني.. ولكنها يائسة.. فاحذر اليائسات من النساء.

شيء بداخله اشتعل.. كفتيل بارود..

تحبه؟؟!!

ابتلع ريقه لو كانت تحبه هل كانت لتخونه مع رجل سواه؟؟ هل كانت ستهجره بعد أن جعلها امرأته حقاً؟؟

تحبه؟؟

لقد اعطته عذريتها .. كأي زوجة مخلصة .. كان اول رجل لجسدها فهل كان لقلبها كذلك؟؟ وماذا عن رسالتها تلك؟؟ هل حقاً استستلمت

له لأجل كرامتها ولتثبت له ان كل شكوكه كانت وهم؟! هل فعلت ذلك لحبها.. أم لكرامتها؟!

لم يعد يفهم هذه المرأة.. لقد أربكت كل شيئ يسري في عقله وفي عروقه؟!

جلس الى جوار جده مرتبكاً مزعزع الفكر.. يتهادى له من بعيد صوت المؤذن لصلاة الفجر.. فيغمض عينيه بارهاق.. شعر بكف جده على كتفه وسمع صوته الحنون:

-تعال معي للمسجد بني.. لاشيئ في العالم لاتحله ركعتين بين يدي اللّه ..

-والنعم باللّه..

همس بشرود.. جده على حق.. هو بحاجة لان يصفي ذهنه حالياً.. ليس هذا فحسب.. بل يحتاج لوقفة طويلة وخطة تخلصه من كل هذه الهموم.. خطة جذرية..

***

قطعت الخطوات الصارمة ممرات المستشفى المزدحم في ساعات الصباح الاولى نحو قسم العناية المركزة وتوقفت امام ابوابها بحدة وصاحبها يتحدث مع احد المرضين الواقفين بالقرب ان يدخله لرؤية

مريضه ليرفض المرض بهدوء ويطلب منه مراجعة الطبيب الذي منع الزيارات عنه.. تجهم وجه سيف واستدار على عقبيه للتحدث مع الطبيب ليفاجئ بوقوفه امام السلطان نفسه وطارق الذي تستند على ذراعه عمته والدة عبدالعزيز باكية بانهيار لتتسع عيناه ويهتف بجزع:

-هل حدث لعبدالعزيز مكروه ياوالدي؟؟

-وهل هناك أكثر من كونه في غيبوبة يعلم اللّه متى يخرج منها؟؟

رد والده بغلظة لتشهق المرأة الرقيقة وتنهار بين يدي سيف الذي تلقفها برفق ووضعها على كرسي قريب وهو يطمئنها بكلمات حانية قبل ان يمسح دموعها ويتراجع الى والده ..

رآه ينظر اليه بسخرية جعلته يتوجس شراً.. والده لم يكن ابداً ممن يخفون مشاعرهم .. كان سلطاناً لايخشى التعبير عن مشاعره ولايهتم بأحد سوى نفسه.. حتى عائلته,,

-اذا اردت مواساتها فعلاً فاحضر من تسبب لولدها بهذا الامر.

-ليس وكأنني من الشرطة أبي.. من أين لي أن أحضره بالضبط.

-من المكان الذي تخبئه فيه بني.. أم نسيت انك كنت تأوي ابن العزب في قصرك قرب البروفانس؟؟

-وانت ارسلت سلمان لإحضاره فمالمشكلة؟

قالها سيف بهدوء.. لينظر له اباه بتجهم مدمدماً:

-لأن لفتى قد اختفى قبل وصولنا.. والباقيين مصرين انه تلقى اتصالاً عاجلاً من شخص ما جعله يرحل دون حتى ان يغير ملابسه التي كانت عليه..

ثم مال برأسه متسائلاً بخبث:

-هل تعلم من الذي اتصل عليه يابني؟؟

لم تتحرك ملامح سيف.. لم تتغير وهو ينتظر الاجابة التي لم ينتظرها منه ابوه وقالها بحنق:

-انت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) انت اتصلت به وحذرته..

-انا لم أفعـل شيئاً كهذا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-أنا لم أكن اسئلك..

زجره بقسوة جعلته يتراجع بصمت وغيظ.. في حين يواصل والده التأنيب:

-لقد عرفت مصادري انه قد غادر مباشرة بعد اتصالك انت به ليلة أمس ..

اقترب منه شاداً جسده كله على الكرسي المدولب ليواجهه بحزم..

ورغماً عنه حنى سيف رأسه وهرب من والده الذي تخترقه عيناه

وكأنها أشعة سونار تكشف كل المستور..

-لماذا فعلت هذا ياسيف؟؟ مالذي تخفيه عني ويجعلك معلقٌ بتلك

العائلة الدامية؟؟

لم يجب.. لم يكن يقدر الكذب على ابيه.. لو فعل فسيكشفه والده

على الفور..لدى السلطان قدرة لاتوصف لاكتشاف الكذب.. لايقدر

الا على الهرب:

-انا لم أفعل شيئاً مماتتهمني به.. ولأثبت لك فسأذهب بنفسي

للبحث عنه وايجاده..

واستدار بسرعة لينفذ ماقال ليهدر والده بحزم:

-سيـــف(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

توقف سيف والتفت لأبيه بحذر ليشير له الاخير بإصبعه ببطئ:

-لاداعي لذهابك لأي مكان.. فالفتى سأجده بطريقتي الخاصة..

-ولكن أبي..

اراد الاعتراض ولكن اباه رفع يده يوقف اعتراضاته وهو يكمل بحزم:

-نفـذ ماسأقوله دون نقاش .. ستبقى هنا الى جوار عمتك وابنها حتى يستعيد وعيه كلياً.. اماعائلة العزب.. فهي لي أنا.. وأنا سأتصـرف معهم واحداً.. واحد..

قالها بزمجرة.. تشفي.. حقد عميق تشبعت به روح الشيّب منذ سنوات طويلة..

أما سيف فقد تراجع مبتلعاً ريقه بصعوبة.. نعم لقد كان من حذر فراس وطلب منه الرحيل عن القصر والعوده الى منزله دون ان يخبر اي احد ودون تأخير.. ولكن الان.. من سيعتني بسلمى .. من سيعتني بها وهو تحت الاقامة الجبرية لوالده الذي يتصرف بحذر.. دون تسرع وبكل أريحية فالملعب ملعبه.. لو علم بشأن سلمى وماتعنيه له.. لو أدرك أنه يحتفظ بها ستكون كارثـة.. فكر بارتياع قبل ان يراقب والده يبتعد بصمت برفقة طارق وهو يعلم أن الأمور ابداً لن تسير على مايرام..

وهناك في باريس امام فيلا سالم العزب توقفت سيارة الأخير بصرير مزعج قبل ان يترجل منها هو بخطوات متسارعة ويقتحم منزله باضطراب ليجد زوجته بانتظاره بتوتر:

-أين هو؟؟

-فوق.. اسمعني سالم عليك ان تكون مراعياً لمشاعره في البداية هو(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-مشـاعره؟؟!!

صرخ بجنون قبل ان يسرع متسلقاً السلم متجاهلاً رجاوى ايفا الراكضة خلفه قبل ان يقتحم الغرفة ليجد فراس واقفاً امامه مضطرب الوجه.. اصابعه في فمه يقضم أظافره بتوتر..

-انا لم أفعل شيئاً اقسم بهذا ابي..

-اين ابنة عمك؟؟ أيــن سلمى؟؟

صرخ سالم برعب ليتراجع فراس وهو يهز رأسه بلاحيلة ..

-تركتها خلفك؟؟ تركتها لابن السلاطين وهربت بجلدك؟؟

صاح والده باستنكار ليصيح فراس:

-لقد عدت الى غرفتنا ولم أجدها ابي.. بحثت عنها ولكن الجميع اخبرني انها رحلت مع سيف..

حاول الدفاع عن نفسه ليصرخ به ابيه:

-أصمت ايها الوغد.. ابنة عمك شيخة قبيلتها ولن تفعل ابداً مايطأطئ رأس\اخوتها ارضاً..

خفض فراس عينيه بينما لايزال سالم يرغي ويزبد:

-كيف اتتك الجرأة لتهرب بتلك الطريقة دون زوجتك.. كيف طاوعك قلبك على الرحيل دونها.

-اخبرتك أبي.. لقد اتصل سيف الشيب وقال اني اغادر بأسرع وقت قبل ن يصل لي رجال ابيه.. ثم لم تحملني انا المسؤولية ألم يكن ابن اخيك الشيخ الهمجي هو السبب .. هو من ضرب عبدالعزيز المسكين حتى الموت؟؟

-صحيح سالم.. ابني لاشأن له.

تدخلت ايفا بسرعة ليصرخ بها سالم:

-اصمتي ولاتتدخلي.. لولا خططك الفاشلة لماحدث كل هذا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ثم مالذي تريدين من قحطان ان يفعله والرجل يحاول خطف امرأته.. اه ليته قتله وخلصنا منه الى الابد..

تأسى سالم لتتسع عينا زوجته بحنق في حين تدخل سيف بارتباك:

-والان ماذا ابي.. سيف قال الا أبقى في باريس بل في فرنسا كلها لدقيقة بعد والا فانهم سيجدونني وينتقمون مني انا بمافعله قحطان ..

نظر له ابيه بخيبة..

حين اتصلت ايفا تبلغه ماحدث ومافعله ابن اخيه عرف ان كارثة عظمى ستحل عليهم.. وقطع كل رحلاته ليعود.. وفي الطريق علم ان سيف الشيب اعاد ولده فراس امناً رغم استغرابه الشديد لهذا الفعل.. ثم كانت المفاجأة ان سلمى.. اااه.. ماذا سأقول لأخوتك يابنتي.. أضعتك ياسلمى.. أضعتك بيدي..

-كيف سأخرجك من هنا دون ان أجد سلمى اولاً..

-ابي.. اولئك الرجال سيقتلونني للانتقام من ابن اخيك.. لااستطيع البقاء هنا.

-المكان الوحيد الامن حالياً هو البلدة.. يجب أن اعيدك للبلدة..

عقد فراس حاجبيه وهو يتأمل والده الذي كان كمن يحادث نفسه وهو يضرب كفيه ببعضهما:

-ولكن كيف افعل هذا وانت وحدك.. حين يسألونني عن سلمى ماذا سأقول؟؟

ابتلع فراس ريقه بصعوبة بينما ايفا تصيح بعنف:

-انت لن تاخذ ابني بعيداً.. يكفي مافعلته ابنتك الخرقاء التي وقعت بعشق ذاك الهمجي المتخلف.. ذاك القاتل..

-اصمتيييي..

صرخ بعنف لتبتلع باقي عبارتها بصدمة.. وهي تراه يغرق رأسه بين كفيه.. قبل ان يتصاعد صوت رنين هاتف فراس..

-انه سيف..

غمغم بتوتر.. ليسارع والده باختطاف الهاتف وحالما فتح الخط صرخ بالرجل:

-اين هي سلمى؟؟؟

تلفت سيف حوله بتوجس قبل ان يسأل بخفوت:

-من تكون؟؟

-انا عمها ارجوك فقط اخبرني اين هي ..؟؟

-انها بخير.. ولكنني اريد من فراس ان يغادر باريس اليوم.. بل في الحال.

هتف بقسوة ليسارع سالم:

-سآخذه بعيداً ولكنني لااستطيع فعل هذا دون زوجته.. مالذي سأقوله لأخوتها؟؟ كيف سأفسر لهم..؟؟

همس سالم بضعف.. ليغلق سيف عينيه بألم.. يجب عليه ان يقرر.. نفســـه.. أم سلمى.. حبه الذي لم يرى النور بعد.. عشقه الذي يخطو خطواته الاولى.. يتركها.. ترحل هكذا دون فرصة لأن يراها

مجدداً.. كمن يرمي يزجاجة وسط المحيط.. كي يجدها العالم

ويفقـدها هو!!..

ابتلع ريقه الجاف بصعوبة خدشت بلعومه..

-ستكون بانتظاركما في المطار في المساء ..

خرجت الكلمات منه متسرعة.. قبل ان يزنها .. لتتسع عينا سالم

ويهتف بفرح:

-حقاً؟؟ هل تقول الصدق؟؟

-سيف الشيب لايكذب..

همس بصرامة مقاوماً دقات قلبه المتوثبة بلاتوقف..

-ستكون هناك على الموعد فقط احجز لها تذكرة لأي مكان بعيداً عن

باريس.. ولاتعدها الى هنا ابداااا..

قالها بخشونة مقاوماً صرخات قلبه المعذب.. قبل ان يغلق الخط..

ويجري اتصالاً اخر.. اتصالاً سريعاً اعطى فيه اوامره لرجل

ماباقتضاب.. قبل ان يغلق الخط نهائياً ويعود الى زوجة عمه ليقبع الى

جوارها صامتاً.. وبداخله جرح.. يعلم انه لن يندمل بسهولة.. ابداً..

***

-صباح الخير..

همسة لامست مسامعه بتؤدة لتبتسم كل خلاياه وهو يستدير على جنبه ليلتقي عينيها.. دافئة.. دافئة كليلة صيف..

-صباح الفل والياسمين..

اتسعت ابتسامتها بغنج وهي تميل على كف التي امتدت لتداعب وجنتها الناعمة بحنان..

-الفطور جاهز.. لديك يوم طويل..

تنهد وأشاح عنها بسرعة.. يعلم مغبة النظر الطويل اليها.. فهو سيغرق في عاطفته وينسى كل شيئ عداها ..

-صدقتي.. سيكون يوماً مرهقاً..

راقبت التشنج في كتفه وحركته.. عقدت حاجبيها بقلق واقتربت تمس كتفه بحنو:

-مالأمر رعـاد؟؟ مالذي يزعجك؟؟

تقارب حاجباه.. يزعجه؟؟!!

-رأيت حلماً..

همس باضطراب.. لتقترب باهتمام..تطالعه بفضول ليحكي لها:

-كانت سلمى.. كانت تصرخ و(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لا لا..

نظر لها بعينين متسعتين.. كانت تناظره بفزع وكفها الرقيقة تضغط على شفتيه وهي تهمس بتوجس:

-لاتقل ان كان حلماً سيئاً والا سيتحقق..

رفع احد حاجبيه مستنكراً لتهمس وهي تهز كتفيها:

-هكذا تقول جدتي..

كانت بريئة للغاية.. ابتسم وقد نسي بلحظة كابوسه الغريب..

لايزال يشعر بدفئ اصابعها على شفتيه.. رغم كل ماحدث بينهما

لايزال هناك حاجز ما.. شيء شفاف يفصل انصهارهما الكامل كما يفترض لأي زوجين..

لقد اعترف لها بحبه.. وهي.. تمنعت.. غامت عيناه بالاسى قبل ان ينهض ويتعوذ باللّه من الشيطان الرجيم ويتجه الى الحمام..

راقبته بحزن..

قلبها يخفق بجنون ولاتقوى على الحديث والاعتراف.. الاعتراف بماذا؟؟

انه اصبح كل شيئ في حياتها ام ربما أكثر؟؟ تنهدت ونهضت هي الاخرى تكمل استعدادت اليوم..

لاتزال الساعة السادسة.. ولكن لديهما محاضرات مبكرة..والاكثر فهي لم تقدر على النوم.. طيلة الليل بعد سهرة مضنية لتحضير مشروع مهم لدراسته وهي الى جواره بالطبع..تساعده قدر امكانها.. تحضر له الشاي.. القهوة والنسكافيه حتى يستطيع الصمود دون نوم.. لينتهي ويغرق هو في نوم عميق لأقل من ثلاث ساعات..تخللتها صلاة الفجر.. وتبقى هي دون نوم!! ..

نهضت بسرعة تنفض عنها الكسل..وبعد الافطار السريع توجها بسيارته الى الكلية..

وصلا وقد تجاوزت الساعة السابعة والنصف ..

-متى تنتهي محاضراتك؟؟

همس لها وهو يصف سيارته بالقرب من المبنى..

-الواحدة ظهراً..وأنت؟؟

-سأنتهي في غضون العاشرة صباحاً.. هل محاضرتك الاخيرة مهمة؟؟

تذكرت المحاضرة التي يعنيها.. محاضرة الاستاذ خالد الراجي.. قلبت شفتيها بتوتر.. فهي منذ ماحدث قبل فترة في المقهى وهي تتجنب محاضرات الرجل.. وتشعر بأنها ستفشل في مادته المهمة لامحال..

-لاليست مهمة..

-حسناً سنعود للبيت حينها اذن.. انا وأنت لم ننم جيداً..

اومأت متفهمة قبل ان تودعه وتذهب الى مدرج المحاضرات.. في حين توجه رعاد الى مكاتب الاساتذة للتحضيرات الاخيرة لتقديم مشروعه..

وجدت غزل رفيقتها هبة والتي لم تكن تبيت بمنزلها هذا اليوم بل في منزل قريبتها في منطقة بعيدة ويبدو انها جائت وحدها:

-تبدين مرهقة..

-لم أنم طيلة الليل..

همست هبة بتعب لتوافقها غزل:

-وأنا كذلك.. كانت ليلة مرهقة..

نغزتها صديقتها بخبث وهي تقول ضاحكة:

-ياعيني على سهر الليالي..أخبريني ماذا فعلتما طيلة الليل بالتفصيل..

نظرت لها غزل مصعوقة وهمست غاضبة:

-ياللهول هبة. لولا انني متأكدة من انك تمزحين لضربت رأسك بالكتب.

انفجرت رفيقتها بالضحك وهمست:

-يالله ياغزل.. كم انت متزمتة.. لو تسمعين ماتقوله بعض رفيقاتي عن علاقتهن بأزواجهن لشاب رأسك..

-استغفر الله..

هتفت غزل بعينين جاحظتين قبل ان تهتف باضطراب:

-اعوذ بالله.. انها اسرار لايجوز كشفها لأحد بالذات انت فلازلت عازبة.. يارب الكون الا يستحين؟؟

-لااحد يستحي هنا سواك.. وللأسف وقعتوا انا فيك.. لست ذات فائدة لي ياغزل..

كانت تمزح وغزل تدرك هذا لذا اكتفت بضربها على كتفها بقوة بأحد الكتب للتأوه هبة ضاحكة قبل ان يهدأ المدرج بغتة حين دخل استاذ المادة..

اتسعت عينا غزل لرؤيتها خالد الراجي .. موعد محاضرته كان الاخير.. مالذي جاء به حينها!!

رأته يحيل النظر في الطلبة الذين تجاوز عدده المائة والعشرون قبل ان يبدأ بتحضير الجميع بذكر اسمائهم الواحد تلو الاخر ..

-مالذي جائ به اليوم مبكراً.. موعده في اخر النهار؟

تسائلت هبة لتهز غزل كتفها بعدم المعرفة..حاولت التركيز لسماع اسمها ولكن لافائدة.. لقد تعمد عدم ذكره ابداً وهذا اثار استغراب هبة كذلك.. لتهمس لها:

-سنذهب اليه بعد المحاضرة لاتقلقي.

ومرت المحاضرة .. ولم تفهم منها غزل شيئ.. لتوهانها بعيداً..

وانتظرت بصبر هبة لتلملم اغراضها الكثيرة وتتقدم واياها من خالد الذي كانت تحوم حوله بعض الفتيات .. كان لقمة دسمة للجميع.. مهندس ذكي ومعيد في الجامعة.. وفوق كل هذا.. أعــزب..

-صباح الخير استاذ..

ابتدأت هبة لينظر اليها بابتسامة مجيباً التحية باقتضاب.. ثم نظر نحو غزل التي خفضت عينيها بحرج وتركت مهمة الكلام لهبة التي بادرت:

-استاذ لم تحضر غزل اليوم؟؟ اعتقد انك تجاوزت اسمها؟؟

-لا لم افعل ..

قالها بحدة.. قبل ان يضيف ببرود:

-لقد أسقطت اسم الانسة غزل من قائمتي..

اتسعت عينا غزل باندهاش بينما سارعت هبة:

-مالذي تقوله استاذ ولكن لماذا؟؟

-غزل تغيبت عن خمس محاضرات دون اي عذر.. ومماعرفت فهي تحضر باقي المحاضرات والدروس.. ولكنها تتعمد عدم حضور دروسي انا.. فسري لي انت هذا ياهبة؟؟

قالها بعصبية قبل ان يضيف ساخراً وهو يرمق غزل بطرف عينه:

-مادمتي انت المتحدث الرسمي هنا..

نظرت له غزل بحدة بينما ارادت هبة التفسير لتقاطعها غزل:

-لايليق بالاستاذ ان يكون ساخراً بهذه الطريقة.. ولكن مادمت تريد سلك هذا الطريق فلابأس.. اعذرنا لتعطيل وقتك.

قالتها وبدأت بالمشي دون اي اهتمام لهبة التي نادتها او الاستاذ الذي نظر لها بصدمة.. لم يكن هذا رد الفعل الذي انتظره.. ارادها بكل قوته ان تأتي اليه بقدميها بعدماحدث يومها بينه وبين ذلك الرجل الذي جاء واخذها.. ولكنها تحطم كل خطته بالابتعاد هكذا..

-انسة غزل توقفي..

هتف بها.. لتتوقف لافتة اليه وتهتف بحدة لم تستطع السيطرة عليها:

-لايحق لك اسقاط اسمي .. وان لم تكن تعرف هذا فسأحرص جيداً على ان تعرفه.

رفع حاجبيه باندهاش قبل ان يثيره التحدي الصارخ في عينيها اللتان لم تخجلا هذه المرة.. بل رشقتاه بكل عنوة.. بنظرات قاتلة حادة . تشي بمزاج عنيف متفجر..

-هل تهددينني؟؟

قال بتسلية.. لتنظر له بحنق.. لقد نسيت خجلها يوم قابلت تنمره الواضح عليها.. انها من عائلة العزب.. وليس يحق لأحد ان يرفع صوته عليها او يتجبر عليها ..

-افهمها كماتريد.. ولكنني لن أسكت..

وقبل ان يرد كانت ترفع هاتفها وتتصل به.. سندها وقوتها..

-رعاااد..

عقد حاجبيه بتوتر وهو يسمع طلب غزل المرتجف ان يلاقيها امام مكتب الادارة لشؤون الطلبة..

ولم يكذب خبراً.. سرعان ماكان هناك قبل حتى ان تصل هي بحكم موقعه القريب.. حالما رآها تصل برفقة صديقتها حتى اقترب متسائلاً بقلق:

-مالذي حدث؟؟

حكت له باختصار ماقاله لها الاستاذ.. مهملة تعريفه به ورغم شعوره الغريب بانها تخفي شيئاً ما الا انه لم يحاول التحقيق معها.. بل قبض على كفها وطمئنها:

-لاتقلقي.. لدي الحل.. لاداعي للشكوى للادارة فهذا سيسبب حقد الاستاذ عليكي .. وانما لدي حل بسيط ويكون كل شيء على مايرام.. هيا لنعود الان..

اومأت له بخضوع وتقبلت كفه الذي مده لها وضغطت عليه ترغب بالامان ليمنحها بسخاء.. بقبضة حديدية وابتسامة شعرتها تجتاحها للاعماق.. قبل ان يعودا معاً الى السيارة بعد استئذان هبة..

***

أسندت رأسها الى إطار النافذة تراقب تساقط الثلج ندفة بعد الأخرى.. تضم كفيها اليها برجاء صامت..أن ينتهي هذا كله.. هذا العذاب وتعود الى حضن أمها سعيدة مطمئنة.. هانئة دون مشاكل دون فراس.. دون سيف!!

ابتلعت ريقها وأشاحت بصرها عن الغابة التي كانت تنظر لها دون توقف.. تنتظر رجوعه كماوعد.. ولكنه لم يفعل.. تنهدت وغرقت في كوب من حليب الشوكولاتة السخن اعدته لها العجوز الفرنسية

حين احترق الصمت بفعل صوت محرك قوي.. انتفضت واوقعت كوب الحليب وهي تقفز للنافذة لتراقب الجيب التي توقفت مثيرة عاصفة من الثلج والتراب امام بوابة الكوخ العتيقة.. لاتعرف ماهية الشعور الذي اجتاحها لتقفز على ساق واحدة نحو الباب تفتحه على مصراعيه بانتظاره ان يترجل ويقترب نحوها..

وقفت شاهقة للهواء تتطاير خصلاتها الغجرية حولها بجنون وهي تلتهم وجوه الافراد الذين ترجلوا من الجيب بحثاً عن وجهه عن ملامحه التي تطمئنها!!..

ولم تجده؟!

اتسعت عينيها بخيبة.. ونقلت بصرها بين الرجلين اللذين تقدما نحوها بسرعة واحدهما يقول بحزم:

-تعالي معنا سيدتي يجب ان نتحرك الأن.

تراجعت بخوف وهتفت:

-انا لن آتي معكم الى أي مكان؟! اين سيف؟!

خرج اسمه من بين شفتيها ناعماً.. نادياً.. وكأنها تناديه منذ نعومة أظافرها.. ليفاجئها هي نفسها وتتضرج وجنتيها بحمرة الخجل ..

-هو من أرسلنا سيدتي فلاتأخرينا لازالت الطريق طويلة ..

-لن أذهب معكم الى أي مكان..

هتفت بعناد.. لتسمع رنين هاتف بعدها وترى الرجل الذي يكلمها يلتقط هاتفه بحدة ويتبادل مع محدثه بضع كلمات قبل ان يناولها الهاتف قائلاً بحنق:

-لكِ..

نظرت للهاتف بوجل وقلبها يخفق بجنون وهي تعرف من ينتظرها على الطرف الاخر.. قبل ان تسحبه اليها وتضع سماعته على اذنها .. تسلل صوته الاجش اليها عبر ندفات الثلج..عبر الهواء البارد.. عبر أشعة الشمس الباردة..

-اذهبـي معهم ياسلمى..

قالها بخفوت.. يراقب من بعيد عمته التي تجلس الى جوار باب غرفة ابنها وقد تمكن منها النوم فاسندت رأسها لذراعها وغابت في عمقه..

-اذهبي معهم ولاتخافـي..

-سيـف!!..

همست مرتجفة ليغلق عينيه متمتعاً باسمه الذي غادر شفتيها متلوناً بلونها الاسمر.. ودفئ عينيها السوداوتين.. رباااه.. ستقتله يوماً من فرط شوقه.. ابتلع ريقه وهمس باسمها يناجيها:

-سلمـــى ..؟؟

-ألن تأتي؟؟

همست بخوف وهي تنظر للرجلين.. ليبتسم بأسى:

-اذهبي معهما ياسلمى الان.. لاتخافي وثقي بي فقط.

-الى أين سيأخذونني؟؟

هتفت مذعورة.. ليتنهد ويهمس مطمئناً:

-ستعودين الى عائلتك ..

قالها بصعوبة.. وكانه يتنازل عن جزء من روحه.. جزء من جسده..

-سيأخذونك الى عمك سالم..

-سأعود الى المنزل؟؟

تسائلت بذهول امتزج بشيئ غريب وصل اليه ولم يصدقه.. فبين اندهاشها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وعدم تصديقها.. كان هناك شيئ من الخيبة.. تسلل الى صوتها ووصله بصعوبة بسبب الاتصال الرديء!!

ومع ذلك كله وصله بالكامل..

وصل الى عمق قلبه وهزه من الوريد الى الوريد.. بعثر دقاته واراقت دمائه..

-سلمى؟؟؟

همس بذهول لتنتبه الى زلت لسانها التي التقطها ببراعة.. وشهقت تغلق الهاتف ناظرة الى مرافقيها هاتفة بوجل:

-هيا بنا..

سارعت بالركض وهي تلتقط شالها الازرق لتحيط عنقها متجاهلة الم قدمها ولحقت بالرجال الى الجيب التي انطلقت تسابق الريح نحو وجهتها..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

بعد ثلاث ساعات (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

التقط فراس حقيبته وحقيبة سلمى من مؤخرة السيارة التي توقفت به وبأبيه امام مطار شارل ديجول وتوجها معاً الى صالة الانتظار حيث تلفت ابيه حوله بقلق..

لقد قال له سيف ان سلمى في الطريق وانها ستكون في المطار في الوقت المحدد لاقلاع الطائرة والتي ستتحرك بعد نصف ساعة فقط من الان ..

كان يحمل جواز سفرها بيده مع التذكرة الى الاردن حيث سيمضون الليلة ومن ثم يتوجهون الى عدن في التي تليها لعدم توفر رحلة مباشرة في هذا الوقت..

-هل تراها؟؟

هتف فراس بقلق.. ليتجهم وجه سالم وقلبه يحترق قلقاً عليها.. رباااه كيف وثق بابن الشيب.. كيف وثق به ان يعيد له ابنة أخيه ؟؟ تآكله القلق.. وعادت عيناه تبحثان في الوجوه بلاتوقف وه يهتف بابنه:

-اذهب واودع الحقائب.. سأنتظر سلمى هنا..

اومأ الفتى وسارع بالذهاب بينما عينا والده تلتقطان وجه اي امرأة بشعر اسود.. حين..

-عمااااه..

التفت للشرق وهو يشهق بارتياح لرؤيته الشعر الغجري الاسود يتطاير في غيمة تركض نحوه قبل ان يختفي الجسد الضئيل بين ذراعيه وهو يحمد اللّه دون توقف وسلمى تشهق بالبكاء بعنف..

تحيط عمها بذراعيها بقوة وجسدها كله ينتفض..

-اه بنيتي حمدالله على سلامتك.. حمدالله على سلامتك..

-عمي.. انااا..ااا.. انا اريييد اميي..

شهقت باكية.. ليضمها اليه بقوة وهو يهمس تأثراً:

-سنعود اليها بنيتي لاتخافي.. لاتخافي ياسلمى.

ثم احاط بوجهها ينظر لكل تفاصيله هامساً:

-هل انت بخير ياصغيرتي؟؟ هل تعرضوا لك بمكروه؟؟

بكت بدموع صامتة وهي تهز رأسها نافية.. لم يؤذها .. جسدياً على الاقل.. وهذا كل ماعليهم معرفته.. رأت عمها ينظر لباقي جسدها قبل ان يتوقف عند قدمها المضمدة.. وحملت عيناه قلقه لتهمس:

-انها اصابة خفيفة.. لاتقلق عمي.

-دعينا نذهب اذاً.. يجب ان ننهي اجرائاتنا..

اومأت قبل ان يحيط كتفيها بذراعه ويمضي بها الى الداخل.. وهناك وجدا فراس بانتظارهما.. حالما رأى سلمى اقترب وسألها بقلق:

-هل أنت بخير ياسلمى؟؟

نظرت اليه بحقد.. لم تظن انها قد تكره احداً في حياتها كماتشعر انها تكره فراس الان.. رأت يده تمتد ليلامس كتفها فتراجعت باشمئزاز صارخة:

-لاتلمسني..

احتقن وجهه وشعرت بذراع عمها تحيطها بقوة.. قبل ان يقول بصرامة:

-هيا بنا لاوقت لهذا الهراء الان..

اشاحت بوجهها عن خيبتها الكبيرة والتي تمثلت بابن عمها الذي تقدمهما بزفرة حانقة غاضبة.. وكأنما يلومها على شعورها بالنفور منه.. والسبب كله يتمثل به..

انتهت اجرائاتهما بسهولة ويسر لموقع عمها الديبلوماسي..وجنسية زوجها الفرنسية.. قبعت بعدها بالانتظار مع عمها تذود به وجلس الى الجهة الاخرى منه فراس يضع على أذنيه سماعات جهاز تسجيل وتغرق ساقه في لحن ما يسمعه بكل حواسه..

-الى أين سنذهب ياعمي؟؟ لماذا نهرب؟؟

تنهد عمها وحار فيما سيقوله لها.. هل يخبرها ان أخيها قحطان هو السبب في هروبهم كالجبناء..الا انها لم تمهله فرصة اختلاق كذبة ما وهمست متسائلة:

-هل مافعله قحطان بعبدالعزيز هو السبب؟؟

-وكيف عرفتي؟؟

تسائل بدهشة لتخفي وجهها مشيحة هامسة:

-سمعت سيف الشيـــب يتحدث بالامر..

-سلمى..

ناداها برقة لتنظر اليه.. كانت عيناه تذكرانها بجدها.. فيه الكثير من حنانه ورقته.. ولذا ابتلعت ريقها وهي تنتظر سؤاله الحتمي:

-مالذي أراده سيف الشيب منكي؟؟ لماذا اختطفك؟؟

ابتلعت ريقها بصعوبة.. ودافعت عن الغريب بكل مااوتيت من شجاعة:

-هو.. هو لم يختطفني..

عقد عمها حاجبيه.. باستغراب حقيقي وهي تقع في فخ ماقالت..ومايجب عليا تفسيره..

-لقد خرجت في نزهة.. ولكنني ظللت الطريق.. ولكنه وجدني وكان الوقت غير مناسب للقيادة وسط الغابة.. فبقينا عند عجوز فرنسية .. لقد ساعدني حين أصبت قدمي.. وحالماعرف مافعله قحطان طلب مني الاختباء حيث انا لأن عائلته تبحث عن أحد افراد عائلتنا للانتقام فقط ..

تكلمت بسرعة.. تؤلف قصة ما عن فارس شجاع..

خطف قلبها.. دون أن تعرف.. حتى اليوم!!

ابتلعت ريقها المتحجر واشاحت عينيها عن وجه عمها المتشكك..

كانت تضغط على اصابعها بقوة.. تعض شفتيها بقلق.. عينيها تتلفتان حولها بترقب..

عما تبحثين؟! فكرت بحرج.. عنه؟! أتظنينه سيأتي؟!

حبست دموعها بصعوبة وهي تنهض حين سمعت النداء الاول لطائرتها.. واستجابت لذراع عمها وهي تتلفت حولها بلهفة.. دون فائدة..

كانا باتجاه البوابة الخارجية الى حافلات النقل الى الطائرة.. عبر فراس اولاً ..

حاولت السيطرة على ارتجاف قلبها واصابعها.. حاولت السيطرة على دموعها التي انسابت كخيط رفيع.. لو تجاوزت الباب الان.. فلاشيئ .. لاشيئ ابداً سيعيدها الى هنا!!..

شهقت بالدموع ورأت عمها يتجاوز البوابة بعد فحص خاطف لجوازه وتذكرته.. ورأته يشير لها انه سينتظرها في الجهة الاخرى ..

كان دورها ..

نظرت للمرأة الواقفة قبالتها بابتسامة وهي تطلب تذكرتها.. ناولتها اياها بارتجافة.. وهي تحاول التخلص من فيض دموعها.. قبل ان

تنتفض بقوة وتدير رأسها بحدة وهي تسمع الصوت الجهور صارخاً اسمها:

-سلمىىىىىىىىىىى..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

لم يعد يستطيع المقاومة أكثر ..

لم يعد يقدر على السيطرة على رجفة قلبه وهو يتخيل انه لن يرها بعد الان.. غادر المستشفى متجاهلاً اوامر ابيه الصارمة وانطلق بسيارته الى المطار.. فقط لمحة واحدة قبل ان تغادر فقط نظرة واحدة لعينيها قبل ان ترحل الى الابد.. نظرة واحدة قبل ان يُحكم على حبه بالدمار..

قطع المسافة بسرعة جنونية كعادته متجاهلاً صفارات الاعتراض من السيارات الاخرى.. ومتأكداً من سيل المخالفات التي ارتكبها.. كان عليه ان يصل للمطار في الوقت المحدد.. والا فانه سيندم طول عمره..

وفعل.. كان يسمع النداء للرحلة التي يفترض ان تغادر بها.. تجاوز صالات الانتظار متجهاً الى البوابة بسرعة كبيرة .. تجاهل صراخ كل من يتجازهم بحدة تاركاً لهم تخيل سبب ركضه المجنون وايزاعه

لتأخره عن رحلة هامة.. عيناه تحومان حوله بجنون بحثاً عنها.. عن سلمى؟؟!!

رأى الرؤوس تصطف امام البوابة.. اين هي؟؟

فكر بجنون؟؟ هل من المعقول انها قد رحلت؟؟ اتسعت عينيه بجزع ..

تلفت حوله بجنون.. اقترب من الصف ..

اين هو الشعر الغجري الاسود.. اين هي غجريته السمراء؟؟!!

-سلمىىىىىىىىىىىىى

صرخ بجنون حين لمحها..

كشاردة عن الغجر.. تكاد تتجاوز البوابة.. التفتت اليه بلهفة.. قرأها في عينيها الباكيتين.. ولمح شفتيها تشكلان اسمه بذهول ..

لم يعرف كيف تجاوز الصفوف وانقض على كفها يجذبها اليه بجنون..

خارج عن المألوف.. من سطور جنون مطبق ..

قربها منه ليشعر بدفئها يحرره من صقيعه الذي استحكمه.. عينيها تتألقان بدموع ماسية بللت وجنتيها بسخاء وهي تهمس اسمه مجدداً.. بخفوت بالكاد وصل الى مسامعه..

-سيــف..؟؟!!

اقترب يحوط وجنتها بكفه هاتفاً بلوعة:

-لم اقدر الا أتي.. لم اقدر الا اراك قبل ان ترحلي ..

بكت بمرارة ونظرت في عينيه تتلهف لشيئ ما.. شيئ غريب.. شيئ محال.. شيئ لايعقل..

-سلمى أنا أحبـــك..

همسها بكل مافي قلبه من مشاعر.. مشاعر عاتية انتفضت بداخله لتقربه منها يلامس خصلات شعرها ويسمع تنهيدات بكائها الخافت ..

-أنا احبك.. أحببتك منذ رأيتك تلك الليلة بفستان زفافك ياسلمى.. احببتك حين رفضتني بكل قوتك.. عشقتك حين حاربتني بكل ضراوة ..

-لاتقل هذا..

هتفت باكية بانهيار.. لاتصدق انه يقولها لاتصدق ان يحملها فوق طاقتها بهذه الطريقة القاسية.. لا لا .. لاتريد ان تسمع..لاتريد ان تزيد فوق الهم هماً اخر..

-بل يجب ان اقوله يجب ان تسمعيه مني.. لايهمني انها قد تكون المرة الاخيرة التي اراك فيها ياسلمى.. لايهمني زوجك الاحمق .. انا أحبك ياسلمى.. أحبك من كل قلبي وفقط..

رفعت عينيها اليه بحسرة..

مالفائدة الان.. مالفائدة من حب كهذا بلاأمل ..

-يجب ان ارحل..

هتفت بوجل.. ليشدد من قبضته على وجنتيها.. وهمس بجنون:

-قولي انك تحبينني..قولي اي شيئ.

هزت رأسها بألم.. دموعها صامتة.. لاتعرف ان كانت تنفي حبها.. ام تستنكر مطلبه الغريب؟؟

-سلمى..

ناشدها برجاء.. فهمست:

-لااستطيع.. ابداً ..

كيف تفعل هذا وهي في العرف والقانون امام اللّه والعالم زوجة لرجل سواه ..

فكت نفسها بصعوبة من أسر قبضتيه.. تحاملت على نفسها وتراجعت بألم .. تريد الابتعاد يجب عليها ان تبتعد..

-سلمى..

عاد يناديها بحرقة لتتوقف.. شعرت به خلفها تماماً يقترب لتلامس خصلات شعرها أنفه وفمه..

-لن أنساكي ابداً ..

شهقت باكية.. رغماً عنها.. ليديرها اليه.. قبضتيه على كتفيها تقربانها منه بخطورة.. لو ينسى العالم كله.. لو يتجاوز كل التقاليد .. لو كانت لديه الجرأة ليحطم كل الفواصل بينهما.. لضمها اليه الان.. هنا وأمام الجميع.. واعلن للكل انها عشقه الاوحد.. ولكنه لايستطيع فعل هذا بها.. فهي كانت وستظل الخاسر الوحيد ..

أفلتها ببطئ.. وقبل ان يتراجع.. نزع خاتماً لطالماارتداه في خنصره الايمن ووضعه في يدها هامساً بخشونة:

-ليذكرك بي.. الى الابد..

نظرت للخاتم من خلف ستار دموعها بذهول.. وشعرت به يزيح وشاحها الازرق عن عنقها ويتشبث به بقوة قريباً منه متنشقاً عبق رائحته هامساً:

-ليذكرني بك الى الأبد ..

رأته يتشبث بالوشاح بقوة حتى كادت أصابعه تفتك بالقماش الرقيق.. وقفت متصلبة.. اصابعها تحيط بالخاتم حتى جرحها وهو يهمس بعينين مظلمتين:

-اذهبي انت ياسلمى.. فأنا لن اقوى على الرحيل قبلك..

راقبته بوجل.. قلبها يحترق.. نداء طارتها يتردد للمرة الالف ربما..

رمشت بعينيها مرة.. قبل أن تستجمع قوتها وتستدير راكضة الى

خارج البوابة لتنال نظرة متعاطفة من المرأة ..

كم هم عاطفيون اولئك الفرنسيون متعاطفون مع حالات العشق

المستحيل كمايبدو..

لم تلتفت الى الوراء..

ركضت حيث انتظرهاعمها بقلق مختلقة قصة عن سقوط تذكرتها

وايجادها لها في اللحظة الاخيرة.. رأت شكوكه ولكن الوقت لم يكن

في صالح شكوكه فقد سارع بالصعود للحافلة التي انطلقت من

فورها (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

في الطائرة كانت قد سكنت دموعها.. واصابها ذاك التبلد الذي يخدر

الجسد كاملاً..

هل حقاً اعترف لها سيف بحبه؟؟ أم ان كل مامرت به مجرد حلم

غبـي..؟؟ وربما كابوس؟؟

ولكن الوخز في راحة كفها أعادها للواقع.. فتحتها لترى الخاتم يقبع

بسكون..

خاتم فضي.. عليه نقش غريب يشبه نابي ذئب تطبقان على حبة عقيق عتيقة بلون احمر فاقع.. تعرف قيمة العقيق.. وتدرك ان الخاتم ليس بقيمة مادية توازي قيمته العائلية.. فهذا الشعار المنحوت على الفضة تحت قبة العقيق ينتمي لعائلة الشيب ولاريب ..

ضمت الخاتم اليها.. واستندت لكرسيها .. واغمضت عينيها ..

يحبها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد). كيف لها ان تعيش دونه الان.. ؟!

ضمت كفيها الى صدرها وهمست:

-ليغفر اللّه لي ولك.. فأنا أحبـك أيضاً ..

***

لم تكن تتحلى بالصبر قبل التقائها به ولكن الأن لقد علمها أصوله وفنونه واختبرت قسوته وتقلباته ولكن حتى صبرها هذا قد مل!!

وتصارعت نفسها مع نفسها للسيطرة على أطرافها.. فنفسٌ تريد الركض اليه وتمريغ أنفها بعبق رائحته التي اشتاقت لها منذ فترة والتي حرمها منها بكل غرور وتكبر!!

ونفسٌ اخرى تتشبث بقوتها وعنفوان الأنثى.. تلك هي نفسها التي ركضت تستعد لاستقباله كعروس ليلة زفافها.. لالشيئ وانما فقط لتريه ماذا يخسر بابتعاده عنها!!

ارتدت اجمل أثوابها الباريسية بلون الكريم وتركت شعرها يتجعد برعونة حول وجهها تظلل عينيها الزمرديتان بظلال قاتمة ثقيلة يحيطها الكحل بطوق نافذ.. حتى شفتيها ازداد حجمهما قليلا بسبب الحمل.. وازداد اغراءها بطلاء عنبري غني..

كانت تراهن على الشوق الذي كاد يرديها وتعرف انه يفعل به الأعاجيب..كانت ترمي بأوراقها الواحدة تلو الأخرى وتنتظر منه أن يلتقطها ولكن.. هل ستنجح؟؟

عرفت انه قد وصل قبل الفجر.. وانه ذهب مع جده للصلاة ولم يعودا بعد.. هل سيعود من المسجد اليها؟؟ هل حدثه جده عنهما وأقنعه..أم انها تتوقع شيئ من الخيال ..

انتصفت الشمس كبد السماء.. ولم تعر للتقويم الذي اشار لفصل الشتاء اعتباراً وبدت حامية قاسية على الرؤوس.. لم تغادر حجرتها تعرف انه سيأتي.. ان لم يأتي به الشوق فسيأتي به الغضب..

وحالما فعل.. توقفت امامه متبلدة.. لاتتحرك تناظره بلهفة بشوق عجزت عن احتوائه في عينيها تقف منتظرة ان يقول شيئا ان يفعل اي شيئ ولكن عينيه الجامدتين أخافتها تراجعت تحيط بطنها بذراعيها بتخوف وكأنها تحمي طفلها القادم من بطشه ومغبة ثورة تلوح خلف عينيه (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) اجتاحتها البرودة وشعرت بتيبس أطرافها كأرنب مسالم في مواجهة أسد ضروس..اقترب منها خطوة واحدة لتبتلع ريقها بصعوبة وتنظر اليه برجاء صامت حمل كل خوفها وذعرها من مقابلة انتظرتها لأيام ..ويواجهها بكل هذه البرودة وكأنه لايعرفها ولايمت لها بصلة.. حتى مظهرها المغري المثير الذي اجتهدت لاظهاره لم يحرك فيه اي احساس؟؟

-خائـفة؟؟!!

تسائل بهدوء.. لتبتلع ريقاً جافاً وهي تبادله النظرات الوجلة دون ان ترد او تعلق ليتابع بذات الاسلوب المستفز:

-سأخذ صمتك بالايجاب.. مماتخافين سيادة؟؟ لقد تحليت بالشجاعة حتى الان..

رفت بعينيها عدة مرات قبل ان تهمس بشحوب:

-انت لاتفهم ..

قالتها متلعثمة مهزوزة ليرتفع حاجبه ببطئ.. دون ان تتغير نبرة صوته:

-أفهميـني إذاً.. اشرحي لي سبب شكواك لجدي ماجنيته بيديكي انتي.. اشرحي لي مالداعي لآتي في منتصف الليل وانا في وسط معمعة عمل لسبب تافه لايعدو كونه نزوة امرأة..

شعرت بحرقة تجتاحها وهو يذكر عمله.. لتهتف بسخط دون تفكير:

-اااه هذا مايزعجك اذاً اضطرارك للابتعاد عن تلك الحقيرة المدعوة اميرة..

جمدت ملامح وجهه.. واراد الانفجار بوجهها ضاحكاً بسخرية لقلة عقلها ولكنه تأنى.. لقد راقه كثيراً مافعله ذكر سكرتيرته لوجهها.. راقه الغضب المشتعل في وجنتيها.. واللهب الاخضر المتراقص في عينيها ..

لا لا .. انت لن تتغزل بها قحطان.. انت لم تأتي لهنا لتتغزل بها ابداً ..

ابتلع ريقه ورسم التجهم على وجهه وهمس:

-لاتتدخلي فيما لايعينيك سيادة ..

ارادت التدخل.. ارادت الصراخ بعلو صوتها عله يفهم ويعي..ارادت الركض والاختباء بين ذراعيه منه هو نفسه.. ثم البوح بعشقها له..

ببطئ ستخبره بمدى حبها.. وستجعله يصدق هذه المرة.. ولكنه لم يترك لها الخيار.. تقدم نحوها لتتراجع وهو يهمس:

-انا انتظرك لتشرحي سيادة.. ماذا دهاك؟! لم يكن الكلام ينقصك من قبل لتصمتي الان ياابنة عمي؟!

-انا ..

بدأت لتصمت متحشرجة تحيرها القسوة التي ظهرت في عينيه البرود المتأصل في نظرته واقترابه الوحشي منها ليحاصرها بعينيه .. دنوه الخطير منها اربكها وسيطر عليها بكل قوة.

زاد احتضانها لبطنها المنتفخ قليلاً والذي اخفاه الثوب باناقة واندفعت تقول الشيئ الوحيد الذي ظنته سيشفع لها حالياً:

-أحبـــك..

همستها بكل مافيها من روح.. لتخرج كشهقة غريق وجد منفذاً للهواء.. همستها لتخرج صارخة موجعة أحرقتها من فرط حرارتها .. ليقابلها بضحكة مجلجلة!!!..

ضحكـــة مزقتها بقسوة.. وتركتها فاغرة الفم متسعة العينين متوسلتيهما وهي ترى تحول ضحكته الى تكشيرة شرسة هاتفاً:

-لعبـة قديمة .. العبي غيرها ياسيادة ..

دمعت عينيها بألم .. وجع تمكن من اعماقها وهمست مخنوقة:

-انا لم أخنك ابداً..

حرك يده يستعجل كلماتها بملل:

-غيرها يابنة عمي,, غيري هذه الاسطوانات المشروخة.. فقد مللت سماعها..

ابتلعت ريقها تفكر بشيئ.. اي شيء..

-اريد فرصة أخرى,,

همست مرتجفة.. لتجمد عيناه.. قبل ان تبدءا الاشتعال رويداً رويداً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لقد اعطيتك الكثير من الفرص ياسيادة.. اللّه اعطاك الفرصة تلو الاخرى وفي كل مرة تلعبين بذيلك وتفسدينها..

-لم افعل..

اعترضت باكية ليضحك دون انفعال:

-اوه بلى قد فعلتي.. وفي اخر مرة كادت لعبتك ان تنهي الامر.. فكانت حياتك او حياته..

اتسعت عينيها بذهول وهو يقترب اكثر ويهمس بحقد:

-لقد رأيته ياعزيزتي.. واجهته رجلاً لرجل ..

ثم شملها من رأسها لأخمص قدميها بنظرة قبل ان يقول بسخرية:

-ليس بندٍ لك يابنة عمي..ليس هو من يحرك فيكي شعرة.. أنت اقوى منه بكثير.. كنت لتلهين به كدمية ثم ترمينها حين تملين..

-كل شيئ بيني وبين(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)."وابتلعت ريقها وهي تكتم اسم عبدالعزيز لرؤيتها نظرته القاتلة في عينيه وواصلت" كل شيء بيننا انتهى قبل ان اتعرف اليك من الاساس قحطان..

نظر لها باستخفاف وهاجمها:

-لماهربتي مني اليه اذا في المرة الاولى؟؟

-لأنني كنت يائسة.. اردت ايذائك فقط .. لم اهرب اليه.. انا حتى لم اره.. ذهبت لرفيقتي وحالما علمت بماحدث لك عدت على الفور..

هتفت تستجديه .. ليواصل بهجوم شرس:

-والمرة الثانية.. بما كنت تخططين.. الهروب معه من باريس بينما انتظرك انا هناك كالابله؟؟

هزت رأسها بانكار وقد شحب صوتها ..

-انا لم أكن اخطط لشيء كهذا ابداً..

ثم وقفت تنظر له بدموع احتجزت مآقيها .. وقفت تحاول السيطرة على ارتجاف ساقيها ورغبتها بالهروب والاختباء.. اقترب وهمس لها بخشونة:

-مالذي تريدينه الان ياسيادة؟؟

نظرت له لائمة .. لائمة هذا الجفاء والتباعد.. لائمة الهجران والشقاء.. لائمة كل مايظهر في عينيه من حقد وكراهية.. كيف له أن يفعل بها كل هذا ولايلين قلبه .. لاتتأثر مشاعره(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-اشتقت اليك..

همست بنعومة ..قررت ان تلعب بالنار.. وليحترقا معاً.. انها تعب من رؤيته ولاتشبع.. رأت حدقتاه تغرقان بالسواد.. وعضلة الى جوار فكه تختلج بقوة .. حتى تفاحة آدم قفزت من مكانها وهو يبتلع ريقاً جاف .. زفر يحاول الهرب من نظرتها الغارقة بالعتب.. بالحب والوله.. ولكنه لم يقدر .. حبست عيناه بسوط من نار ..

-اشتقت اليك بجنون ..

عادت تهمس ترافقها دموع خائنة فعلت المستحيل كي لاتذرفها.. ولكنها سالت دون احترام لكرامتها.. وهي تهمس:

-الا تعرف انني دونك وحيدة.. غريبة.. لااهل لي ولاوطن؟! فلما تهجرني كل هذا الوقت؟!

-انت مع عائلتك..

همس بخشونة اكبر الا انها هزت رأسها نافية.. اقتربت منه حتى أصبحت تتنفس رائحته العودية .. وهمست بدموع تغرق كلماتها وتتداخل مع حروفها:

-الا تعلم انهم كلهم تخلوا عني.. ابي وأمي.. حتى شقيقي.. كلهم تخلوا عني لأجلك.. تركوني خالصة لك.

ثم ازداد العتب في عينيها وثقلت وهي تشهق باكية:

-وانت رميتني.. تركتني وحدي ..

قبض كفيه بقوة.. يقاوم لهفة تذبحه لمسح دموعها.. ضمها اليه وافراغ شوقه فيها.. تجلد بكل قوة يملكها كي لا يقبل شفتيها المرتجفتين بقوة ماحياً عذابها.. مسيطراً على ضعفها ومادأ اياها بقوة ساحقة.. تفجرت بداخله.. ولكنه لم يفعل.. وقف بلاحراك.. واغرق عينيه في عينيها الذابلتين.. رموشها المبللة.. وجنتيها المحترقتين بأمل بدأ يخفت ..

-اتعبتني ياشيخ .. همس مكلومة.. أتعبت قلبي .. أكملت باكية ..

لتهتز عيناه فتصرخ بصوت محتضر:

-كسرتنـ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لينقض على شفتيها بقوة بكفه.. تتسع عينيها بذهول وهو يقول بوحشية:

-ماعاش من يكسر سيادة العزب ورأسي يشم الهواء..

اووووه كم تعشق غروره.. اباه .. كبرياءه..

واااه اه كم تكره كل ذلك ..

تفجرت دموعها بلاحساب وهي تتخلص من كفه وتثور عينيها بجنون وقد فاض الكيل.. ولم تعد تقدر على مواصلة المقاومة.. فضحتها عيناها.. وتفجرت فيها المشاعر بلاهوادة..

-توقف عن هذا.. توقف عن اللعب بي قحطان ..

ناظرها بضياع.. هو نفسه لايعلم ماذا يريد.. ولكن بالتأكيد لايريد تحطيمها .. اقتربت منه تنظر في عينيه وتهتف:

-اخبرني مالذي فعلته سوى انني احببتك بكل قوتي ..

-الحب؟؟ !!

تسائل بسخرية.. لتدرك انه كعادته.. لايريد الاعتراف.. لايريد حتى التفكير بامكانية الامر.. ولكنها مصرة هذه المرة.. وستفعل المستحيل لتمرغه بالحب كما تتمرغ هي فيه..

-انت مخطئ في سخريتك قحطان فأنت تتوق للحب تتوق لي ..

قالتها بشجن وقد سيطرت على دموعها واكتسبت ثقة لرؤيتها اهتزاز عينيه وارتجاف اصابعه وهي تبعدها عنه..

-لاتحلمي بالكثير مني ياامرأة.. لقد افتكيت منك.. والى الابد.

-أتظن نفسك قوياً جداً قحطان؟؟

همستها بشجن.. بروحها قبل الحروف..

-تظن نفسك أقوى ممايجمعنا معاً؟؟"

-لاشيء حقيقيٌ يجمعنا سوى الاسم يابنة العم.

قالها بتحدٍ لعينيها اللتان تسكبان عليه الغنج مسلطتان عليه كسيف الجلاد..

-كل شيء يجمعنا قحطان كل شيء وأقل مايجمعنا هو الاسم يابن عمي..

اقتربت منه بجرأة متحدية ابتعاده.. تشبثت بكتفيه بعناد تغرز أظافرها في قماش قميصه القطني تكاد تمزقه وهي تقرب شفتيها من أذنه هامسة:

-يجمعنا هذا الاشتعال الذي كلماابتعدنا عن بعضنا فهو يحرقنا بلاهوادة..

اغمض عينيه بقوة.. يريد ان يبعدها بكلتا يديه.. بعيداً كي لاتسمع دوي دقات قلبه الأخرق ولادمه الذي يضخ عروقه بجنون.. ولكن هيهات تصرفات جسده المخزية لم تزد الوضع الا اشتعالاً فقد أحاطتها احدى ذراعيه وبدل ان تبعدها قربتها اكثر.. فيما الأخرى تحيط عنقها وتجذب رأسها قريباً حتى شاركته أنفاسه:

-وهذا القرب المميت ياابنة عمي؟؟ مالذي سيفعله لنا؟؟

حامت بعينيها على وجهه.. تفاصيله التي تعشقها.. رفعت كفها لتلامس وجنته ليتمرغ تحت أصابعها كممسوس تحت يدي طاردٍ مخضرم وهي تهمس:

-سيحيل النار جنة.. ويغرقنا في بحر لاقرار له قحطان..

نظر الى شفتيها القريبتين يصارع رغبته بها.. يصارع امتلاكه لها ..استسلامها المختبئ خلفه انتصارها الكامل عليه.. لا هو لن يدعها تنتصر.. ابداً..

انحنى عليها لتلامس شفتاه شفتيها.. فقط سيتذوق ماحرم نفسه منه لفترة بانت الان طويلة..

لتتنهد باستسلام وهي تلقي بذراعيها على كتفيه.. تحبه.. تعشقه..

شعرت بالسعادة للحظة وهي تغرق في بحرها الذي ركضت اليه..

مستعدة ان تقدم نفسها كقربـان لأمواجه العاتية..

لينحسر كل شيئ بخفة.. يتراجع كل شيئ وتوقفها قبضته التي اشتدت على خصرها وخلف عنقها.. حرر شفتيها التائقتين من شفتيه بصعوبة.. قبل ان يهمس وهو يقبض على شرر عينيها المتناثر بارتباك..

-الاحتراق أو الغرق.. تعددت السُبُل.. والموت في سبيلك واحد..

نظرت له مشوشة .. مالذي يفعله.. ايبتعد عنها..؟! الا انه لم يبتعد بل اقترب مرة أخرى ليضع كفه على بطنها يتحسس تكورها الخفيف ..

لتشهق بخوف وهو يهمس:

-هذا الطفل هو فقط مايجمعنا الان ياسيادة..

اتسعت عينيها بصدمة وهي تراه يتراجع اكثر مضيفاً بقسوة:

-لاتفكري بسواه.. ليس قحطان العزب من يتدلله بعشق امرأة.. لست انا من يتغنى بالغزل حتى لملكة مثلك يابنة عمي..

وقبل ان تعترض .. او تقول شيئاً ما ..كان يستدير بعقبيه.. وينسحب.. خارجاً من حياتها.. والى الابد كماشعرت حينها..

ادركت ان خطتها تفشل.. وتهوي بها الى قاع لاقرار له(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

نهاية الفصل

*قال تعالى:

)وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا). النساء(34(

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الرابع والعشرين

***

دارت حول أثاث غرفتها ربما للمرة الألف بعصبية شديدة.. تحاول عدم قضم أظافرها التي ظلت تعتني بها طيلة الليل فقط لإثارة اعجابه.. تباً ماذا كانت تظن.. هو لم ينظر لها حتى.. ترجو ان تهدئ الشعلة التي تضطرم في داخلها دون توقف منذ تركها معلقة الهوى لاتطال سماءاً ولاأرض.. منذ أعلن بوقاحة انه قد سئمها وان لاشيئ يجمعه بها سوى الطفل الذي تحمله...

جاهدت لتبعد يديها عن كل شيئ حولها قد تطاله وتقذفه ليعانق الحائط امامها من فرط الغيظ الذي تعيشه..

انه الان يجلس مع والدته وشقيقته والجدة في صحن الدار استرقت السمع قبل لحظات لضحكاتهم قبل ان تتسلل عائدة الىغرفتها تفكر ملياً بخطوتها التالية.. لن تسمح له أن يهمشها في حياته.. لن تسمح أن تكون مجرد أم لطفله.. انها زوجته وان كان لايعترف بدورها بعد في حياته فهي مستعدة أن تشرح له غصباً عنه ..

غيرت ثوبها الذي اهدرت كرامة ماركته العريقة بتجاهل مخزٍ من ذلك الجلف الذي لم يعره أدنى اهتمام.. تنهدت وهي تحكم رباط الثوب المغربي الناعم حول خصرها لينساب الى كاحليها بلون نحاسي ثم ارتدت خفاً منزلياً بنفس اللون.. قبل ان ترفع شعرها لتتساقط

خصلات منه على جانبي وجهها وهي تشد من عزمها لتنتقل الى صحن الدار..

وقفت للحظات أمام الباب المشرّع تنظر اليه وهو يداعب فاطمة الصغيرة ابنة الجوهرة حيث وقفت على قدميه وكان يرفعهما وينزلهما والصغيرة تضحك بفرح فيما كانت ضحكته هو تشق حلقه كاملاً ببشاشة.. تحسست بطنها هل سيحب طفلها كما يحب ولدي الجوهرة؟؟ هل سيلاعب ابنها أو ابنتها بنفس الطريقة..أم كونها امه قد قضى على حبه من قبل أبيه؟؟!! أخذت نفساً وتقدمت بسرعة .. ألقت السلام بخفوت وكانت ردود الافعال متباينة فبينما رحبت بها جدتها والجوهرة بصدق.. نالت نظرة متجهمة من حماتها اماهو..من كان سلامها يخصه وحده فلم يزد انفعاله عن اختلاج عضلة فكه وانقباض ضحكته مع عدم توقفه عن اللعب..

-تعالي ياصغيرتي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)اجلسي الى جواري.

توجهت نحو جدتها لتجاورها وقد كان قحطان يجلس الى الجهة الأخرى منها..

-لاريب سعادتك تطال السماء دام رجلك قد عاد اليكي؟

نظرت له من تحت رموشهاوقلبها يتوثب مصادقاً على السعادة التي تحدثت عنها جدتها.. ووجدت نفسها تهمس بحزن:

-المهم ان يكون سعيداً لعودته مثلي ياجدتي..

ضحكت جدتها ولم تعلق بينما تدخلت الجوهرة بابتسامة واسعة:

-بالتأكيد ياسيادة هو سعيد لقد عاد لعائلته وهو على الدوام يعشق البقاء في البلدة والان لديه اكثر من سبب ليرسخ هذا الولع والعشق.

سمعت النفس الحاد الذي أخذه وتوقفه عن أرجحة ساقيه وهو يرفع الصغيرة اليه متجاهلاً اعتراضها..

-أخبريني سيادة هل فكرتما انت وقحطان بإسمٍ للمولود بعد؟؟

تسائلت الجوهرة وهي تعمل جاهدة لرأب الصدع بينهما وتبديد ذلك التوتر الذي انتشر حولهما بلامقدمات.. لتبتسم سيادة وتحيط بطنها الصغيرة بكفيها هامسة:

-اعتقد ان قحطان قد اتخذ قراره بشأن اسم الطفل ان كان ذكراً..

-بالتأكيد هو محمد على اسم الغالي رحمه اللّه..

قاطعتها هديــة بخشونة ..لتلتفت لها سيادة بحدة لم تتوقعها هاتفة:

-ولكن قحطان أعطى وعده لصديقه ان يسمي بكره باسمه؟؟

اتسعت عينا هدية للحظة وكادت ترد حين تدخل قحطان بحسم:

-ماتقوله امي سينفذ.. المولود الاول باذن اللّه سيسمى باسم أخي محمد رحمة اللّه عليه..

احتقن وجهها من الخجل والغيظ معاً واشاحت عن حماتها التي تهلل وجهها بالبشرى ومضت تقبل كتف ابنها بسعادة وتقدير وهي تدعو له بالخير والرضى دون توقف..

-ولكنك وعدت عمرو؟!

همست له بحنق لينظر لها بجمود:

-لن يعترض عمرو ابداً.. ثم أن والدتي هي أهم مخلوق لدي.. ورضاها فقط هو ماريد وأسعى اليه في الدنياكلها.

سمعت مجدداً سيل الدعوات ينهمر عليه.. انطلقت فم أمه وجدته على حد سواء.. ورغم أن قلبها الخائن كان يؤمن على كل دعوة له الا انها استطاعت الاشاحة عنه ببصرها.. كانت تدرك انه لم يرغب سوى باهانتها والسخرية منها أمام الجميع وهذا ماقهر قلبها وجعلها تصمت مقاومة رغبتها بالبكاء قبل ان تسمع منهما ماجعلها تنتفض في مكانها وبكل قسوة.. كانت هدية من بدأ ..

-بني.. حدثني عن الفتاة التي تعمل لديك.. لقد كلمتني البارحة حين اتصلت وحديثها كالعسل..

قالتها بابتسامة واسعة وهي تنظر لابنها الذي كان يساعد فاطمة بفتح غطاء لوح من الشوكولاتة:

-ماذاعنها امي؟! انها مجرد سكرتيرة..

-ماشاءاللّه عليها بني.. لباقة في الحديث والأدب.. لقد كانت سعيدة حين عرفت انني أمك بل هي استمرت بالحديث معي طيلة وقت انشغالك كي تسليني..كم انها لطيفة.

نظر قحطان لأمه باستغراب.. منذ متى تعجب أمه باحدى الفتيات العاملات؟!!! لا والأدهى انها تمدحها امامه!! انها تخطط لشيئ ولكن ماهو؟ !

-نعم انها جيدة في عملها واللّه يشهد علي.

قالها ببساطة وعيناه تقعان على الشعلة الملتهبة الى جواره.. سيادة التي بدت وكأنها نار تحترق بصمت.. ولكن سعيرها يطال الجميع وشعر به الكل.. أمه لم تكن تلقي الكلام جزافاً وهو نفسه استشعر غيرة سيادة من أميرة قبلاً والان.. رباه.. لم تعجب كلماتها الان سيادة بكل تأكيد.. والكل استشعر توترها.. حتى الجدة التي كانت نادراً ماتتدخل فيماحولها من احاديث كانت تنصت باهتمام..ورأى قحطان

رد فعل سيادة.. وأدرك انها تغار,, ورغماً عنه كانت تلك فرصته الفرصة ليعاقبها ويتسلى بهذا العقاب حتى النهاية..

-وليست جيدة في العمل فقط امي..

أضاف بابتسامة واسعة..متجاهلاً نظرات زوجته النارية ومولياً انتباهه فقط لأمه التي اتسعت عينيها بدهشة لاستجابته ولم تفهمها في البداية ..

-انها تنفذ أوامري بكل فعالية.. لااستطيع ان اقول او أتذمر منها ابداً..

ربااااااااااه..

صرخت اعماقها بوجع.. هل يتغزل بتلك المرأة أمامها؟؟ امام عينيها وامام الجميع ليكونوا شهداء على ذلها؟؟!!

فكرت بجنون.. تلك الأميرة ستقتلها لامحالة ..

-اه ياللخسارة بني فقد قالت انها تعمل لديك بشكل مؤقت..

قالت هدية بتوتر وقد شعرت انها تصل لمكان عميق..

ليبتسم قحطان بغموض متلاعباً بمشاعر تلك الى أقصى حد..

-لاتقلقي اماه أنا افكر بإبقاءها الى جواري الى الأبد..

لا لا لا.. هو لم يقل ماسمعته.. هو لم يقله ابداً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) نهضت بجنون تجاهلت الجميع وشقت طريقها

الى الخارج لاتكاد ترى امامها .. هل قال انه سيبقيها الى جواره الى الأبد؟! غشت عيناها الدموع وشهقت دون ارادة منها.. لاتعرف كيف وصلت غرفتها ارتمت على فراشها تبكي بحرقة.. أي ضعف يصيبها هكذا لتبكي كالاطفال!! حال سماعها تغزله ورغبته بالبقاء الى جوار تلك الى الأبد..أي ضعف يسيطر عليها ويتحكم هو به بتلك الطريقة؟؟!!

آآآهٍ منك..آآآهٍ منك قحطاااان..

تمتمت بألم.. قبل أن يعاودها غثيانها.. نهضت مكرهة.. شبه راكضة الى الحمام لتفرغ مافي جوفها.. ولكنها لم تصل قط الى هناك..

أوقفتها قبضة قوية.. حديدية شعرت بلسعتها تحرق ساعدها وصوت قحطان الغاضب يملأوها:

-كيف تجرؤين على مغادرة مجلس جدتي بتلك الطريقة الفجة؟!

ارادت ان تفلت منه أن تخبره انها تريد الذهاب للحمام ولكن لم تسعفها الكلمات فقط دموع انهمرت بلاتوقف وهي تصارع قبضته للفلات دون أن تنجح ليهزها بقسوة:

-لاتمارسي معي الاعيبك هذه سيادة.. توقفي عن البكاء المثير للشفقة وتكلمي معي..

نظرت له مخنوقة.. وحاولت ان تشرح ولكن كلماا فتحت فمها كانت تشعر انها ستتقيئ امامه.. وهذا خزيٌ أكبر ولم تكن تنوي تحمله.. ولكنه لم يفهم.. هزها لمرةأخرى.. ودون أن تقصد.. مالت على ذرعه ولم تقوى على السيطرة على تقلص معدتها القوي.. لتفرغ مابداخلها كله على الارض الرخامية.. تحت قدميه.. على حذائه المصقول..

شعرت بالدنيا تدور حولها وهي تتقيأ للمرة الثانية .. شعرت بالذعر.. بالخزي.. تمنت الموت وقتها وهي تسقط بين ذراعيه.. فكرت للحظة كيف سيرميها ارضاً ويلعنها لماتسببت به من فوضى وقذارة..

اغمضت عينيها شاهقة بالبكاء.. وهي تنهار ..

ولكنه لم يسمح لها ابداً..

شعرت بذراعيه تحوطانها بقوة.. شعرت به يقربها اليه.. يغلفها من الخلف كعملاق يحوط بطفلة صغيرة .. شفتاه تجاوران اذنها تهمسان لها برقة لم تسمعها ابداً .. ابداً منه..

-لابأس.. لابأس حبيبتي.. لابأس..

حبيبتي؟؟؟!!

دارت الدنيا بها ولم تعرف هل هو من قالها ام انها الريح؟؟

تأوهت بألم.. والغثيان يحرق حلقها.. طعم المرارة يخنقها.. سمعته يهمس:

-هل انتهيتي؟؟ أتشعرين انك أفضل؟؟

كان هناك قلق.. اهتمام.. رباه فلتمت الان وتبقى هذه اللحظة مخلـــدة الى الأبد ..

شعرت به يحملها بعد أن اومأت له بايجاب لسؤاله.. ضمها قريبة من صدره.. نزع حذائه المتسخ.. واخذها للفراش.. مددها برقة لم تصدقها وافلتها لتعترض بصمت .. غاب لدقيقة او اقل قبل ان يعود بمنشفة رطبة وكوب ماء.. اتسعت عينيها بذهول حين مسح وجهها وشفتيها بالمنشفة.. واعطاها ممافي الكوب.. وهو يسند ظهرها الى صدره هامساً:

-اشربي..

شربت القليل من الماء فقط قبل ان يعاودها خزيها ومشاعرها المتلاطمة بلارحمة لتجهش بالبكاء وهي تحاول التخلص من ذراعيه حولها الا انه لم يفلتها.. بل احاطها بقوة حانية دفن رأسها في تجويف كتفه وهمس:

-هل تصابين بالغثيان على الدوام..

حاولت التخلص منه مجدداً.. هامسة بخزي:

-سأنظف..

-شششش ..

همس لها بابتسامة.. واثقة رجولية دغدغت حواسها بقوة:

-لاتقلقي.. سأهتم به بنفسي..

عرفت انه قد ينادي الجوهرة .. او ربما والدته.. رباه سيمرغ كرامتها في التراب.. اتسعت عيناها واستندت عليه بضعف:

-لالاتنادي احد أنا سأنظف كل شيئ..

تنهد بنفاذ صبر وقبل ان تتخذ اي خطوة كان يسحبها اليه بقوة وخفة وقبل ان تعرف كانت مثبتة على الفراش في حين يشرف هو عليها..

يديها مثبتتان تحت ثقلها وذراعه تسيطر عليهما بقوة.. بينما ذراعه الاخرى فوق رأسها.. تسند رأسها.. كان قريباً للغاية..

شهقت للهواء وهي تشعر بثقله يجثم على صدرها هامساً بثقل:

-قلت أنني سأتصرف ياسيادة العنيـدة.. لن أتي بأحد سأتصرف انا فلاتنساقي وراء جنونك كالعادة ..

نظرت لعينيه.. للحظة مطولة.. كانت تعرف انها تبدو بشعة.. العرق يغمر وجهها اطراف شعرها تلتصق بجبينها وعنقها بفعل العرق..

شفتيها متورمتين.. جافتين وحلقها مُر!! دموعها اسالت كحلها او مابقي منه على وجنتيها.. كانت تبدو مسخاً.. ولكنها لعينيه.. بدت أخرى!!..

يارب الكون.. فكر بجنون.. انها هنا.. بين ذراعيه.. تحت رحمته.. لاتشبه تلك السيادة القوية التي واجهته بعنفوان قبل ساعات فقط.. لاتشبه تلك المرأة التي حاربته منذ زمن.. كانت تلك السيادة التي رأها يوماً في المطار.. سيادة التي تجعله في مركز الكون ومعها يواجه فصوله الأربعة ..

كانت امرأته التي تضعفه.. وتسبب له الشقاء.. كانت ضعيفة الان.. وهو يسيطر عليها فلمايشعر انه هو المقيد وليس هي؟!

شعرت باصبعه ينساب على وجنتها المبللة بالدموع..

-تعشقين الدموع؟!

همس لها لتشيح عنه.. لاتريده ان يرى دمعة جديدة تنساب برقة واصرار.. ولكنه فعل.. رأها وشعر بالغضب من نفسه.. لم يكن يبكي شقيقاته.. ولم يتهاون في تحطيم ابن عمه حين عرف انه يظلم اخته.. فلم معها هو قاسٍ هكذا.. هاجمه قلبه دون مقدمات. ليدافع عن

نفسه .. هو لم يظلمها.. لم يتعد عليها بل هي فعلت.. هي ظلمت نفسها.. هي من استحقت هذا العقاب..

أسند جبينه لعنقها.. شعر بنبضها الخافق بجنون.. اهو الخوف..؟!!

-أتخافين مني؟؟

همس لتغلق عينيها.. بقوة..انفاسها تتسارع وهي تهمس بشحوب:

-بل أخاف مني..

حرر ذراعه من تحت ظهرها.. وببطئ.. ادار وجهها لتقابله.. عينيها في عينيه..ترتعش..حتى شفتيها ترتجفان.. تدعوانه بكل اغراء.. تاهت عيناه .. بين الرغبة.. والخوف الظاهر في مقلتيها..

وهي.. تفجرت مشاعرها كبركان.. تتذكر ماكان يقوله عن تلك..

كانت غبية ربما لتذكرها الان.. ولكنها لم تعد تستطيع السيطرة على اعماقها الهادرة بالغيرة.. بالنااار..

-أتعجبـك؟؟

لم يكن منتبهاً لها.. كان عقله يرسم صوراً عديدة لهما معاً.. صوتها أخرجه من احلام يقظته.. بطريقة فجة حتى ان وجهه احتقن احمراراً حين وعى لماكان يفكر به.. تنحنح متسائلاً بخشونة:

-من تقصدين؟؟

ارتجفت شفتاها وهي تذكر اسمها ليبتسم رغماً عنه.. يعرف بغيرتها والان يدركها حقاً بجسدها بين يديه كان يشتعل حرفياً بتلك النار:

-لايوجد رجل عاقل لن تعجبه أميرة .. فلماذا تستغربين؟!

حاولت التخلص من ذراعيه الا ان قبضته كانت قوية.. تأوهت وعاودت النظر له تصيح بسخط:

-ولاتوجد امرأة عاقلة تحتمل ان تسمع زوجها يتغزل بسواها..

رأت حاجبه يرتفع بسخرية:

-أخبرتك انني لاعترف بالغزل يازوجتي.. فلم لاتفهمين.. ماقوله عن اميرة أمر واقع.. ليس الا.

لمعت عينيها بالدموع ليعاتبها:

-اتنوين البكاء مجدداً .. ألاتشعرين بالملل من الدموع؟!

-انت قاسٍ.. جلموود صخر..

هتفت بغيظ وهي تنتفض بين ذراعيه لتتخلص منه الا ان قبضته لاتلين فصرخت بألم:

-اتركني قحطان انا لاأريدك..

ضحك قحطان باستمتاع حقيقي.. ودفن وجهه في عنقها هامساً:

-رباااه سيادة أتظنينني سأجبرك على شيئ ..

ثم رفع نفسه بخفة تركها وحدها.. ليناظرها من علو:

-حين أريدك.. ستأتيني راغبة وبملئ ارادتك ..

اشتعلت اعماقها بالنار لغروره.. زمت شفتيها بغضب.. بحنق والم تكتم رداً لاذعاً يحرقها من الداخل.. حين ابتعد عنها.. رفع ثقله عن الفراش.. ومشى بخطوات صامتة.. لم يغادر.. لم تسمع الباب يغلق خلفه.. ارادته ان يخرج كي تتكور على نفسها وتبكي بصمت.. بعيداً عن قسوته وسخريته اللاذعة.. بعيداً عن حنانه الغريب ..

رفعت نفسها على مرفقيها تبحث بعينيها عنه بصمت.. لتتسع بصدمة..

رأته هناك.. ينظف الفوضى التي سببتها.. بكل تواضع.. دون أن يفتح فمه ويتذمر.. راقبته بصمت.. قلبها يخفق بتوتر.. بغرابة لم تعهدها الا معه.. لقد ضمها هناك.. شاهدها تتقيئ ولم يتذمر او يشمئز فقط ضمها اليه حتى انتهت.. بل ناداها حبيبتي؟!

هل فعل؟!

رأته ينهي التنظيف ويأخذ العدة الى الحمام ويغيب هناك لبعض الوقت.. وحين عاد كان يجفف يديه بمنشفة نظيفة.. تسائلت هامسة:

-ناديتني حبيبتي؟؟

سمع سؤالها المرتجف.. وتجاهل خفقات قلبه التي استجابت لاشعورياً لها.. سيطر على ملامح وجهه بقوة قبل ان ينظر اليها مجيباً ببرود:

-ربماتتخيلين.. كماتخيلتي قبل قليل رغبتي بكي.

خفضت عينيها بألم.. اوجعها من جديد.. شعرت بغصة تبتلعها تخنقها.. وهمست بـ.. ربما!!..

قبل ان تشيح عنه وتتكور على نفسها.. تنشج دموعها بصمت كي لايسمع.. شعرت به يغادر دون كلمة اضافية.. اغلقت عينيها لتفيض بالدموع اكثر.. تحار بين ان تكرهه .. وبين ان تعشقه أكثر؟؟!!

***

-تلحفي جيداًبنيتي الجو بارد للغاية..

قبضت أصابعها بقوة حول القماش الناعم وحاولت السيطرة على ارتجافتها التي لم يكن لها علاقة بالبرد أو غيره.. كانت الغرفة دافئة بسبب التدفئة المركزية في الفندق الفاخر وسط عمان عاصمة الأردن حيث توقفت بهم الطائرة مع مخطط للعودة غداً في الصباح لعـدن..

شعرت بعمها يجلس الى جوارها متسائلاً:

-سلمى.. مالمشكلة بينك وبين فراس بنيتي؟؟ لماكل هذا التوتر والنفور؟؟

لم تجبه.. فقط اشتدت أصابعها حول خاتم العقيق الأحمر الذي لم يفارق اصبعها وتكورت على نفسها بصمت.. اغلقت عينيها تهرب من تساؤلاته التي لو أجابت عنها لخسرته كماسيخسر هو ابنه..

تنهد عمها بحيرة وربت على كتفها قبل ان يغادر غرفتها في ذلك الجناح الفخم وتوجه الى غرفة المعيشة حيث كان فراس يجلس متابعاً لأحد الحفلات الموسيقية.. اقترب ليغلق شاشة التلفاز الضخم متجاهلاً اعتراض ابنه ببرود وواجهه بحدة:

-مالذي فعلته لابنة عمك حتى تنفر منك الى هذه الدرجة؟؟

علا الاستنكار وجهه وهتف بانزعاج:

-انا لم أدس لها على طرف.. مالذي قالته عني؟؟

-هي لم تقل شيئاً.. يكفي انها لاتطيق النظر لوجهك والتحدث عنك حتى.

نهض فراس مواجهاً ابيه بعصبية:

-اسمعني بابا.. وافهمني جيداً.. هذا الزواج مشروع فاشل.. يجب أن ينتهي قبل نجن كلينا.

نظر له والده بصدمة.. كان يفكر ربما رأب الصدع بينهما وربما ان يحل مشكلتهما بالتروي.. التفاهم.. اي شيئ سوى مايقوله ولده عن الانفصال..

-انت لن تطلق ابنة عمك..

همسها بوضوح.. بصوت شاحب ولكن واضح وبطيئ لينال من ولده صرخة عصبية وهو يتحرك حوله بغضب:

-لقد زوجتني اياها دون حتى ان تسلني.. كمافعلت مع سيادة ولكنني لااريدها ابي.. لاارغب بتمضية حياتي مع فتاة مثلها..

-ماذا تعني بفتاة مثلها؟؟

-انها قروية.. متخلفة ولاتفهمني..

صاح بحنق ليزفر والده بنفاذ صبر:

-الزواج سيقربكما من بعضكما بني.. عليك ان تصبر ان تتعرف عليها لن تجد من تحافظ على بيتك وتبني اسرتك كإبنة عمك.

-انا لاأريد أن أكون أسرة.. انا لاأفكر هكذا حالياً.. ماريده هو نجاح ألبومي الغنائي.. أريد الشهرة والنجاح..لا أريد امرأة قروية تتعلق بعنقي حيثما ذهبت.

صاح فراس بغضب.. وانتظر رد أبيه الذي تسمر يناظره بذهول بينما تصاعد من خلفه صوتها هامساً بجمود:

-وأنا لاأريده ايضاً..

التفتا معاً اليها.. كانت تشد اللحاف اليها وتقف تنظر لعمها بثقة مهزوزة وقلب راجف وقد اخترقتها كلمات زوجها كسكين حامٍ مؤلم..

-زواجنا كان خطئاً جسيماً ويجب ان نصلحه عمي..

نقل عمها بصره بينهما.. كان يرى الكثير من الكره.. ليس عدم التفاهم او الاحباط.. كان كرهاً واضحاً ..

-عمي ارجووك..

همست ترجوه مقاومة دموعها.. رأت عمها يجلس وقد خانته ساقاه..

-ماذا سيقول ابي؟؟ مالذي سأفسره؟؟

-انت لن تقول شيئاً.. طلقنـــا.. الان.. دعنا نضعهم امام الامر الواقع عمي..

رفع عينيه اليها.. فأضافت بحسم:

-لو عدنا ولانزال متزوجين فلن يوافق أحد على طلاقنا عماه..

سيغصبوننا على تكملة الزواج سنعيش معاً ولكن تعاستنا ستكون عبئاً ستحمله على كتفيك العمر كله.

نظر لها عمها بعينين ضبابيتين من كثر الدموع:

-ألهذه الدرجة..؟؟!! أجرمت بحقك..؟؟

اندفعت ترتمي تحت قدميه.. تهمس بوجع .. باكية ايام الشقاء الماضية:

-أرجوك عمي.. اتوسل اليك ان تخلصنا من هذا الزواج.. لافائدة ترجو له سوى انه يمزقنا أكثر وأكثر..

-أبي.. لاتحطم حياتنا أكثر.. أناارجوك.

تدخل فراس بصوت مهزوز.. لم يؤذه رغبتها في الخلاص منه فقد كانت تساوي رغبته هو نفسه.. كان يريد أن يعود حراً كماكان.. ان يحلق وحده ليربح حياته ومستقبله القادم.. لايريد ان يقيد الى امرأة لايرغبها حتى..

-ماذا سييقول قحطان؟؟

همس عمها لتتألق عينيها وتدرك انه قد بدأ يلين.. لتهتف بحماس:

-قحطان سيغضب في البداية.. الكل سيفعل ولكنني انا كفيلة به

عمي.. حين أشرح له.. سيتفهم صدقني..

نظر لها بشك.. وهمس بتردد:

-ربما.. ربمايجب ان ننتظر..

-لو انتظرنا فلن يتم الامر.. قحطان وجدي لن يوافقا مهما كان الأمر

ومهما شرحنا لهم.

-وهل تظنين شقيقك سيسكت ان عرف بالأمر بعد الطلاق؟؟

-سيكون أمام أمرٍ واقع عمي.. حينها قد لايرضى ولكنه سيكون

مجبراً على تقبله.

أسند سالم رأسه الى كفيه حائراً.. مالذي يجب فعله.. مالقرار الذي

عليه اتخاذه.. هل يسايرهما أم يكون العاقل الوحيد بينهما ويرفض

الانصياع وراء هذا العصيان الذي يرفعانه.. ولكن؟؟!!

مالذي يفكر فيه.. انها حياتهما معاً.. ابنه يعلن رفضه لمثل هذه علاقة

والفتاة نفسها تبدو وكأنها تعيش أسود أيام حياتها معه.. ولكن..

ماذا لو كان هناك طفل؟؟ ماذا لو؟؟

-ماذا لو كنتما تنتظران طفلاً؟؟

احتقن وجه سلمى بينما ضحك فراس بسخرية وهتف:

-لاتقلق بابا.. فزواجنا لايزال حبراً على ورق..

نظر اليهما اباه بدهشة ليهز كتفيه ويقول بلامبالاة:

-أخبرتك قبلا أبي.. لاتوجد مشاعر تجمعنا..

-فلنحمد اللّه على ذلك..

همست سلمى بغيظ لسخريته.. وهي تحمداللّه من كل قلبها وتنظر لعمها الذي بدا مشوشاً لبعض لحظات ..

-طلقها..

هتف سالم بصوت مهزوز.. لتتألق عينيها بترقب وهي ترتفع لتلاقي عيني فراس الذي أخذ نفساً عميقاً.. ونظر لها للحظات قبل أن يقول بصوت ثابت:

-أنا أسف يابنة عمي.. أنت طـالق..

اتسعت عينيها بصمت .. سمعت صوت عمها يستغفر بأسى.. قبل ان تهمس:

-انا لست أســفة ..

ثم استدار عائدة الى غرفتها.. اغلقت الباب وتركت دموعها تنساب من عينيها بصمت.. تغسل ذلك القهر الذي بدأ يتكون في عمق صدرها وينتشر لتنتفض له أوردتها بقسوة.. أصابعها تتشبث بخاتم ذاك

الذي طبع على قلبها بوسم من نار.. وكلها يستجيب لها اشتعالاً.. الان فقط.. ستفكر به دون أن تخشى العقاب.. ستتذكر نظرته اليها.. ابتسامته.. ستتخيل لمسته(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وستعيد كلمات الغزل التي امطرها بها دون تأنيب ضمير.. الأن فقط.. ستعترف بحبه من أعماقها ..

دون أن تشعر بأنها خائنة.. مُلامة..

"أحبك"..

همست للعقيق الناري.. واغمضت عينيها.. تعيش خيالها..

***

حين يقتلنا الحنين الى ماضٍ لم نملكه في يوم.. سعادة ظننا انها تحتوينا تظللنا.. واستيقظنا لنجدها مجرد حلم تعاستنا اغتالته بلارحمة ..

نهضت متثاقلة تجر قدميها الى النافذة لتطالع الشارع الغارق بالقذارة والفوضى..على الاشمئزاز وجهها حين راقبت احد المراهقين يناظرها من الرصيف المقابل ويغمز لها بوقاحة.. لتشيح عنه بعدها بزفرة حانقة ملول متعبة من كل ماحولها.. لقد سئمت هذه الحياة.. هذه العيشة المنحطة التي انغمست بها للنخاع.. كرهتها حالما تحطم

الزجاج الذي كانت تشرف منه على حياة جديدة.. حلم جديد واكتشفت انه مجرد سراب لاتطاله اليد الا ليتبخر ساخراً من غباء عينيها!!

اقتربت من المرآة لتنظر لنفسها بوجه متجهم..

لقد خسرت نصف وزنها.. عظام وجنتيها غائر والهالات السوداء تحت عينيها تكاد تبدو بشعة للناظرين.. حتى عينيها بلونها العاصف اسودت وبدت فاقدة للبريق الذي لطالما ميزها.. بشرتها البيضاء اصبحت باهتة جافة وكأنها ارض جرداء..

"الى متى تقتلين نفسك نادين ويتجاهلك المـــوت بسخرية؟"

اغمضت عينيها بقوة وتجاهلت دموع ارادت شق طريقها عبر وجنتيها بقوة.. سمعت الطرقات الخافتة على باب غرفتها.. القت نظرة على الفراش حيث رقدت شقيقتها الصغرى نائمة بعمق .. ثم التقطت غطاء رأس ووضعته عليها كيفماتفق واتجهت نحو الباب الذي يفصل حياتها الجديدة عن العالم..

فتحته لفرجة صغيرة ورأت خلفه المرأة صاحبت المنزل حيث استأجرت الغرفة:

-الى متى تنوين الاختباء بالداخل يافتاة.. لقد قارب الوقت الظهيرة ويجب ان تساعدي الفتيات في المطبخ ..

اومأت بصمت وعادت تغلق الباب لتستند عليه ودموعها البائسة تنساب عليها متجاهلة قوتها.. هذا ماآل اليه وضعها.. بالكاد ببعض النقود الباقية لها استأجرت هذه الغرفة في منزل بحي حقير تتشارك مع ست فتيات اخريات مقابل اجرة زهيدة بشرط المساعدة في الاعمال المنزلية والطهو..

الفتيات كن يتقسمن الى نوعين..

فتيات جامعة جئن من الارياف .. وفتيات هجرن بيوتهن هرباً من بطش اب أو أخ مستبد..

وكانت هي النوع الثالث.. الهاربة من نفسـها!!.

ارتدت ثوب منزلي طويل وربطت شعرها بقوة قبل ان تخرج لممارسة عملها اليومي مع الفتيات.. زمت ملامح وجهها متجاهلة التقارب مع الفتيات الاخريات اللاتي كن يتشاركن قصصهن بشكل واضح وبضحكات امتلئت بالمرارة احياناً و المرح في احيان اخرى..

بعدها ساعدت شقيقتها في الاغتسال والتجهيز للمدرسة ..

-متى سنذهب لزيارة أمي يانادين؟؟

تسائلت الصغيرة ببرائة.. لتختنق العبرة في حلقها وتجاهلت السؤال اليومي كعادتها:

-عليكي ان تجتهدي في المدرسة ياسارة..اليوم لديك اختبار مهم ويجب ان تنالي علامات جيدة.

-حااضر.. وانت ماذا ستفعلين؟؟

تنهدت بسخرية:

-سأذهب للبحث عن عمل.. النقود التي بحوزتي قاربت على النفاذ..

هيا بنا..

التقطت الصغيرة حقيبتها وارتدت نادين نقابها واسرعتا للخارج بعد أن اغلقت الغرفة بحرص..

حاولتا جهدهما تفادي قاذورات الشارع ولكن محاولتهما لم تجنبهما تجاوز احد القذرين الذين تبعهما مطلقاً العبارات الفجة للتغزل بنادين .. والتي تشبثت بكتفي شقيقتها بحرص وحثتها على المشي.. لم يكن لديها مايكفي من المال لأخذ سيارة اجرة للمدرسة.. لذا فقد كانت الحافلة الصغيرة المكتظة هي السبيل الوحيد.. ولحسن الحظ فقد خلصتها من ذلك اللزج..

وقفت تودع اختها وحالما غابت عن عينيها حتى تنهدت بأسى..

واستدارت تبدأ مشوار طويل متعب.. للبحث عن عمل يبدو فاشلاً منذ البداية قبل ان تبدأه حتى..

-نادييـــــن..

سمعت الصوت المبحوح لتتسمر مكانها.. وتحاول تجاهل ضربات قلبها الهادرة التي صمت أذنيها ونشرت حرارة متقدة الى باقي اجزاء جسدها .. لا لا.. ليس مجدداً ياربي ارجوك..

حركت رأسها بانكار دون ان تلتفت للخلف.. حيث علمت انها ستراه..

ستراه هناك؟؟؟

-نادين انظري الي..

مناشدته التالية سببت رعدة الى اطرافها فتمسكت كفيها ببعضها بقوة وغامت عينيها بدموع حبيسة متجاهلة عد احساسها بساقيها وهي تفكر انها لابد تحلم.. ذاك الحلم الذي حطمه واقعها بقسوة..

-نادين الجميع ينظر الينا..

هتف بحدة ليخرجها من حالة الجمود التي بدت بها وتحرك ليقف قبالتها بأنفاس لاهثة لاهفة للمحة منها.. لقد انتظر منذ باكورة الصباح لرؤيتها تأتي بشقيقتها ولم يكذب اللّه رجاءه.. وشعر بكل

دقة من دقات قلبه تصرخ باسمها حالما ظهرت امامه.. رباااه كم هي ثقيلة على روحه رؤيتها بعيدة عنه بهذا الشكل.. كم هو قاسٍ ان يراها دون ان يكون له الحق بان يناديها بحبيبتي.. او يشعر بها..رباااه ساعدني..

-ماذا تريد مني؟؟

همست مخنوقة.. الا يعرف ان رؤيته بالنسبة لها نوع من انواع العذاب؟؟ الا يدرك انها بالكاد تزيحه من عقلها وتمحو ذكراه في كل ساعة تمر في حياتها.. الا يفهم كم هو صعب عليها ان تعيش وتدرك انها قد خسرته للأبد؟؟

-يجب ان نتكلم..

تلفتت حولها باضطراب تهرب من عينيه في الاساس وتتجنب الوقوع من جديد بالشرك..

-لايجب علينا علي.. لقد انتهينا.. ارجوك دعني وشأني.

نظر اليها .. لايريد ان يزيح عينيه عنها.. لايريد ان يرمش حتى لو فعل.. سيراها بذاك الثوب الاحمر تتراقص لرجل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

تنحنح بقوة هز رأسه بعنف يطرد الصورة المقززة ثم عاد ينظر لها..

تهرب بعينيها لاتريد ان تراه ام تخشى ماقد تراه في عينيه من احتقار ان فعلت؟؟

-الامر اكبر من هذا نادين ..

حاولت النظر اليه ولم تقدر لما لايفهم ان الامر يقوف قدرتها.. ان الامر يتعدى احساسها بالخجل.. ممارآه.. مماعرفه عنها .. يتعداه كله لمشاعرها نحوه.. ومافعله ابتعاده عنها بها وبقلبها المحطم..

-لايوجد اية امور تجمع بيننا.. لاداعي لأن تأتي الي او تبحث عني..

همست بألم ليصرخ:

-لست انا من يبحث عنك.

انتفضت لصوته العالي.. وخفضت رأسها تهرب من عيون الناس التي جلدتهما بلارحمة وسط الشارع ليحتقن وجه علي.. ودون وعي يقبض على ذراعها ويجرها خلفه بحركة سريعة.. حتى وصل الى سيارته التي وضعها على مقربة من المدرسة وهتف بخشونة:

-اصعدي..

التفتت تواجهه دون النظر الى عينيه او وجهه وهتفت بخوف:

-لن اذهب معك لأي مكان..

-نادين لايصح أن نتكلم هنا..

-قلت لك ان لاشيئ يجمعنا لنتكلم عنه لم لاتفهم؟؟

هتفت بعنف وهي تنفض ذراعه المسكة بكتفها بحرقة ..

-لاتمثلي دور الضحية المكلومة معي نادين..

همس بغضب مكتوم.. لم يحرك المها الذي شق عينيها في قلبه ذرة تعاطف وقلبه يختبئ خلف عاصفة غضبه وحقده الكبير عمافعلته به..

-لاأمثل اية أدوار ياعلي.. انا فقط لااريد رؤيتك.لمالاتفهم هذا.

اقترب وهتف لاهثاً:

-صدقي او لاتصدقي.. انا ايضاً لااريد رؤيتك.. ولكنني مرغم على هذا.

تحملت كلماته الموجعة والتي طعنتها بقسوة وحاولت التركيز على ماقاله:

-من يرغمك على رؤيتي ولماذا؟؟

خفض عينيه مستغفراً يحاول ان يهدئ من عصبيته.. من حرقته من الانفعال الشديد الذي اجتاحه بلارحمه وهو يسيطر على ردة فعله امامها:

-قلت بأنني لن أتكلم هنا.. تعالي معي.

حاولت التغاضي عن ارتباكها.. عن مشاعرها وهي تستجيب لدفعة من يده لتصعد سيارته معه تجلس شبه ملاصقة للباب بعيدة عنه.. لم تكن تريد الذهاب معه ولكن.. شيئ ما.. ربما القرب منه.. القرب منه يدفعها لان تشعر بالامان رغم تاريخهما العاصف معاً..

لم يتكلم ابداً.. السيارة التي احتوتهما وبسبب الصمت شعرت بها اقرب لمساحة ملعب كرة قدم وعشرات الياردات تفرق بينهما.. !! التزم الصمت فلم تجرؤ على كسره.. لم يفعل سوى انه اتصل بشخص ما واتفقا للقاء في الحال في مقهى عائلي قريب.. قاد سيارته بسرعة وحرفية بالغة حتى وصل للمكان.. ارادت سؤاله عمن ينتظرهما هناك ولكنها لم تجرؤ.. علي كان بعيداً للغاية.. بعيداً بشكل مرعب.. أجبرها على الصمت والتراجع..

حال ترجلهما من السيارة اقترب الرجل..

تأملته بحيرة وعرفته على الفور.. كان ذلك الطبيب.. من عالج امها؟؟

عقدت حاجبيها لن تنكر خوفها.. وريبتها.. ولكن .. كانت تثق بعلي.. وتعرف انه مهما حدث فهو الى جانبها الان ولن يتركها..

-صباح الخير انستي..

قالها الطبيب بابتسامة عذبة جعلتها تخجل وهي تهرب من عينيه الغريبتين:

-صصباح الخير؟؟!!

ردت مهزوزة لتتسع ابتسامته يطمئنها:

-لاتقلقي انستي ادرك ان الامر يبدو مريباً وانك لابد قلقة ومتشككة ولكنني اعدك انه سيكون مفاجأة..

وتردد للحظة يبحث عن التعبير المناسب لوصف الوضع:

-مفاجأة مثيرة.. وسعيدة للغاية..

قالها بابتسامة..قبل ان يشير لها لتتقدمه نحو المقهى.. التفتت لعلي الذي كان يبدو متحفزاً.. وكأنه هو الاخر يرتاب من الوضع كله..

اليس شريكاً بهذا الامر؟؟

ابتلعت ريقها وهمست له:

-تعال معي..

نظر لها بحيرة. بتردد.. لايريد ان يتدخل.. لايريد ان يعود لمكانه في حياتها.. مكان كرهه.. واشمئز منه ولكنها لم تترك له الخيار.. لقد نظرت اليه بتلك العينين العاصفتين وهمست برجاء مخنوق بالبكاء:

-لاتتركني الان ارجوك.

زفر ترددده مع الهواء واومأ موافقاً قبل ان يتحركا سوياً نحو المبنى المكون من طابق واحد واسع مطل على البحر..

***

إنّنا نشعر بالأسى على أنفسنا أحياناً,

ليسَ لأنّنا أسأنا التصرّف,

بل لأنّنا أحسنّا التصرّف أكثرَ من اللّازم..

جبران خليل جبران(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

انتصفت شمس الصباح.. وحان الوقت لتجهز مع والدتها غداء اليوم..

كانت تنوي مغادرة غرفتها حين رأته يتجه نحوها بخطوات هادئة..

تنهدت بقلق.. هل يجب أن تسأله لم لم يقضي ليلته في جناحه مع زوجته وقضاه بدلاً عن هذا في جناح أخويه المسافرين؟! ولكنها تعرف قحطان .. لن يعطيها عقاد نافع ومشاكله مع زوجته لن تنتهي بهذه البساطة كمايبدو..

-يجب ان نتحدث..

تقدم ليقترب منها بابتسامة حانية.. لترفع عينيها اليه وتبادله الابتسام كعـادة وليس احساس.. فلاتزال قسوته على زوجته تعذبها حتى هي..

-بالطبع..

جلس الى جوارها وتسائل باهتمام:

-لم اتصلتي على الهاتف قبل ايام؟؟

عقدت حاجبيها وخفضت عينيها.. تلعب بطرف طرحتها القطنية..

-ربما يجب ان اسألك انا قحطان..

زوى بين حاجبيه وهي ترفع عينيها اليه وتهمس:

-مالذي يفعله هاتف حسن مع رجل غريب..؟؟

جمدت ملامح وجهه ولم يجبها فابتسمت بسخرية:

-لابأس.. انت تريد الاجابات كالعادة وانا لايحق لي السؤال..

-لم أقل هذا..

هتف بخشونة واضاف:

-مااتريدين معرفته ليس لي ان اقوله لك الان.. ولكنني مستغرب من تفكيرك جوهرة؟؟ مالذي تريدينه من الاتصال بحسن؟؟ بعد كل فعله بك؟؟

هتف باستنكار.. لتناظره بجمود..

-انا لم أكن اتصل بحسن ياقحطان..

انتظر تفسيرها بحنق لتواصل ساخرة:

-اعطني بعض التقدير.. وتذكر بانني لست غبية كماتظنون جميعاً..

انا اعرف انك ماكنت لتعطي زوجي هاتفه وانت تقيده الى مخزن

الغلال كحزمة قش بالية..

احتقن وجه قحطان لمنطقها البسيط وتأنيبها المبطن.. وحاول مداراة

حنقه قائلاً:

-لم يعد زوجك.. أم انك تفكرين بالعودة اليه بعد كل مافعله؟؟

نظرت اليه بعمق.. تريد ان توصل له مشاعرها التي اندلعت بداخله

بكل قوة ولكنها لم تقدر.. كان قحطان العزب.. شيخ قبيلتها.. أخيها

الاكبر..

-لاتقلق اخي.. لست هنا لأكسر كلمتك..

ولوت شفتيها هامسة بمرارة:

-أنت زوجتني اياه.. وأنت طلقتني منه ..

تراجع قحطان بصدمة.. يعود بذاكرته لسنوات مضت.. حين مضى

عقد زواجها كوكيلها الوحيد.. ومضى عقد طلاقها.. قبل اسابيع..

رباااه.. بين ورقتين.. كيف عاشت شقيقته حياتها..؟؟ كيف تحملت كل تلك السنوات؟؟!!

-لم لم تخبريني ياجوهرة.. طيلة تلك الفترة لما لم تفكري ان تخبرينا؟؟

همس لها بألم..لتتراجع هامسة باستغراب:

-أفكـــر ؟؟؟؟

تأملها باندهاش لتهز كتفيها وهي ترد بلامبالاة:

-ومنذ متى نفكـــر قحطان.. أليس هذا ماتفعلونه بالنيابة عنا نحن النساء هنا.. تفكرون وتقررون عنا؟؟

-مالذي تقولينه؟؟

سأل بريبة.. لتبتسم بهدوء:

-اقول بأننا لانفكر ياابن امي وأبـــي.. منذ نعومة اظفارنا ونحن لانفكر.. انا وسلمى.. ليس لأننا اغبياء.. وليس لأننا نفتقد نعمة العقل حاش للّه.. ولكننا..

وتمهلت وهي تضيف:

-لم نعتد التفكير.. لم نعتده ابداً..

تراجع بصمت وهي تشرد بخيالها بعيداً وتواصل اخراج مافي قلبها بحرارة:

-حين جائت الي امي لتخبرني انني لن انهي دراسة الثانوية.. لم افكر.. تقبلت الامر تماماً كماتقبلته سلمى بعدي.. كنت اثق بأن هذا هو القرار الوحيد.. لم افكر بصوابه ولابخطأه.. لم أحتج للتفكير.. وحين جائت مرة اخرى لتخبرني ان زواجي من ابن عمي حسن بعد عودته من رحلة العمل الى الصين.. لم أحتج للتفكير كذلك.. لقد اتخذ القرار ..

عادت تنظر لوجهه الجامد.. وهمست:

-التفكير لم يكن ضمن أولوياتي قحطان.. كنت أنفذ فقط.. لأنني لم أعرف امرأة في عائلتي فكرت من قبل.. امي.. جدتي..

-لم لم تخبريني انه يضربك..؟! لم لم تشتكي لي وأناأخوك؟!

هتف بحنق لتضحك حتى دمعت عينيها..

-تريدني أن أشتكي زوجي؟!

تراجع قحطان لتحاول السيطرة على ضحكها ودموعها:

-وصية والدتي وجدتي الاولى.. مايحدث بينك وبين زوجك سر مقدس.. لايخرج ولاحتى بعد موتك.. سر يجمعك به وثالثكما اللّه سبحانه وتعالى.. وتريد مني أن اخبرك..؟!!!

قالتها مستنكرة ليهتف:

-لم يكن هذا سراً.. لقد كان حقارة.. كان اجراماً..

رفعت حاجبيها هامسة:

-بالنسبة لي.. لم يكن هناك فرق.. أنا لم اخبر احداً قحطان ولكن لم يكن هناك من حاول حتى ان يعرف..

حملت ملامح وجهه استغرابه فابتسمت بسخرية:

-كنتم ترون جميعاً خوفي منه.. رهبتي.. ابتعادي قدر الامكان عنه حين يكون معي.. رأيتكم كلكم تشيحون بأعينكم وكأنكم مصابون بالعمى..

هتفت ساخطة لتجحظ عيناه ويهب قائلاً بخشونة:

-اتظنينني كنت اعلم مايحدث بينكما؟؟ أكنت تظنينني اعرف بضربه لك وأسكت؟؟

كتفت ذراعيها ونظرت له.. بلوم ربما ولكنها لم تفصح عنه وهو يواصل:

-لقد حطمت يديه حالماعرفت جوهرة.. حطمته بيدي امام اولاد عمومك فقط كي انتقم لك..والان تتهمينني باانني كنت اعرف..؟؟

كيف تقولين هذا؟؟

-كنت اتي هنا واثار الضرب علي قحطان..

صرخت بألم ..

-كنت احاول اخفاء الكدمات وكنت افشل.. وكل واحد كان يواسيني وهو يخترع سبباً للكدمات على هواه.. لو فكرتم فقط.. كمااعتدتم دوماً التفكير عني ..

عاد قحطان يجلس الى جوارها وهو يهمس:

-لم اخفيتي عني الامر.. لم لم تصارحينني..

نظرت له بأسى.. رغم محاولته الصادقة فشقيقها لايزال يلومها.. لايزال يظن انها السبب.. انها من تسبب لنفسها بكل هذا بسبب صمتها.. لقد سئمت هذا.. سئمت هذا كله..

-لقد انتهى كل هذا على كل حال..

همست بضعف.. وسيطرت على دمعة ارادت النزول عبر وجنتها لتنفضها بحدة ..

-قحطان.. مالذي فعله حسن لتحبسه بتلك الطريقة وتحطم يديه؟؟

نظر لها مصعوقاً..

-الايكفي مافعله بك.. أتظنين انني ساعفو عنه لولا شيئ أخر..

-ربما.. ربما كان هناك..

-ليس هناك ربما ..

هتف بعنف لتتسائل ببرائة:

-لم اعطيت هاتفه لشخص اخر اذاً؟؟ لمالم تحطمه او تغلقه؟؟

عقد السؤال لسانه فلم يكن يريد ان يخبرها بحقيقته البشعة بعد..

فعاجلها بسؤال:

-لم اتصلتي؟؟

تنهدت تدرك انها لن تنال سوى هذا الغموض..

-انهما الطفلين.. ارادا سماع صوت والدهما.. كنت متيقنة انني سأجد الهاتف مغلقاً او على الاقل سيرن حتى يتوقف دون رد.. تخيل صدمتي حين رد علي ذاك الرجل.. من هو بالمناسبة؟؟

تسائلت لينهض متجاهلاً السؤال ..

-لاتتصلي بالرقم.. وامحيه من على هاتفك فلم يعد يعنيك بشيئ..

راقبته بصمت.. وهو يغادر.. وسارعت بلهفة:

-قحطاان..

-ماذا الان؟؟!!

-انا لااريد ان يتكرر ماحدث لي باي شكل من الاشكال لشقيقتي قحطان.

-سلمى؟؟

تسائل متعجباً..

-نعم سلمى.. سلمى التي لم تفكر بأمر زواجها كماحدث معي..

تقبلته واستسلمت له.. والان لانعرف حتى اخبارها.

-سلمى بخير..

-هل رأيتها بعينيك؟؟

-لقد كانت في رحلة مع زوجها حين كناهناك..

قالها مطمئناً قلقها لتهز رأسها بقلق وتهمس:

-انها ليست بخير.. انا اشعر بهذا.. سلمى تعيسة وقد سمعت هذا في

صوتها حين اتصلت قبل اسبوع بنا.. اسبوع كامل قحطان.. اسبوع

كامل لم نسمع صوتها..

عقد حاجبيه وحاول اخراج الافكار السوداء من رأسه:

-لاتقلقي جوهرة.. سلمى تعيش حياتها بالطول والعرض.. كما ان

زوجها..

-زوجها؟؟!!

هتفت الجوهرة.. قبل ان تهمس له:

-اتعلم شيئاً عن زوجها قحطان.. اتعلم ان الوحيدة التي رفضت

زواجهما كانت زوجتك انت.. شقيقته ..

عقد حاجبيه باندهاش لتواصل الجوهرة بتوتر:

-هذا يجعلك تتسائل عماتعرفه وتخفيه عن شقيقها اليس كذلك؟؟

زم شفتيه بتوتر لتواصل الجوهرة:

-اشعر بانها تعيسة.. وتعاني.. وأخشى ماأخشى ان تتكرر معاناتي منذ البداية..معها هي.

-لن أسمح بهذا.

هدر بعنف لتنظر له شقيقته.. قبل ان يلح عليها تساؤل مريرقبل ان يغلق الباب هتفت تناديه ليناظرها بتساؤل:

-فكر بماستقوله للطفلين.. انت من سيتولى الاجابات لكل تساؤلاتهما عن ابيهما اخي ..

وأضافت مبتسمة بسخرية:

-لن أبدأ بالتفكيرالان ياأخي ..

نظر لها بحنق قبل ان يومئ برأسه موافقاً ويغادر مغلقاً الباب خلفه .. ويتركها تنظر للفضاء حولها.. وتساؤلها يعظم داخلها.. دون جواب..

***

رمش عيناه بألم.. حتى الضوء الخفيف المتسلل عبرشقوق الخشب للنوافذ المغلقة بإحكام يؤذيه بعد أيام وربما أسابيع قضاها في العتمة!! لايعرف عدد الايام بالضبط.. لقد فقد القدرة على العد منذ

تركوه وحده دون أن يتفقدوه ولو لمرة.. لم يكن هناك سوى ذاك العامل العجوز الذي كان يدس له الطعام مرة واحدة فقط في اليوم عبر فتحة طولية في الباب.. كزنزانة قديمة قذرة ..

أسند رأسه الى الجدار القاسي.. وتنهد بألم.. جسده لايزال يتعافى من الضرب المبرح الذي لاقاه من أبناء عمومته.. كله يؤلمه ماعدى يده..

نظر اليها.. ملفوفة ببواقي قماش قذر.. لايكاد يشعر بها بعد أن حطمها قحطان؟؟!!

زمجر بشراسة.. بغيظ.. بحقد دفين.. اغلق عينيه بقوة يتحمل ألمه النفسي ويحاول تخطيه.. ولكنه لم يعد يقدر.. لقد طفح كيله.. لقد أخذوا منه عائلته وعاملوه بقسوة وقذارة كما تعامل كلاب الشوارع.. هذا وهو ابن عمهم.. كيف اتته الجرأة ليفعل هذا..؟؟

ليسيطر على زوجته ويدفعها للابتعاد عنه هكذا؟؟ والادهى من ذلك ان يطلقها منه رغماً عنه؟؟!!

أقسم بأنك ستندم ياقحطان ..

همس لنفسه.. بتوعد يضم ذراعه المهشمة اليه.. ستندم وتخسر كل من تحب قبل ان تركع امامي وتطلب العفو والسماح ياشيخ العزب..

ابتلع ريقه وتنهد.. العرق يتصببه بشدة.. الحمى أصبحت لاتفارقه منذ أيام.. لابد أن الالتهاب يصيب يده.. وجروح جسده ..

-عبّـاااااد..

صرخ بصوت مبحوح.. ينادي الحارس ..

سمع صوت قفل الفتحة الضيقة بعد دقائق ظنها ساعات ..

-مالذي تريده؟؟

تسائل الرجل بغلظة.. ليهتف بضيق:

-احتاج لطبيب ايها الاوغاد.. سأموت هنا..

ابتسم الرجل مظهراً اسنانه المصفرة وهتف بابتهاج:

-أتظنهم وضعوك هنا للنزهة .. ماتركوك لدي الا لتموت.

ضغط حسن فكه بقوة وهتف من بين أسنان مطبقة وبشدة:

-لاتنسى انك تتكلم مع حسن العزب ايها الوضيع.. انا سيدك وسيد ابائك.. انا سيد قبيلتك ياحمق.. تخيل ماسيفعله جدي الشيخ لو علم انني مت تحت رعايتك؟؟

اضطربت عينا الرجل ليستغلها حسن من فوره ويهتف به:

-أتريده ان يعرف انني طلبت مساعدتك ولم تلبي.. بل تركتني اموت أمامك كالحيوانات..

كان يتنفس بصعوبة ورأى الرجل هذا وزاوله الشك ليطرق حسن الحديد وهو ساخن:

-اننا ابناء عمومة يارجل.. مهماحدث بيننا لن يصل الامر ان يغفروا لغريب تركني أموت دون ان يخبرهم.. وأنت خير من يعرف آل العزب وحميتهم لدمهم..

كان هذا ماقنع الرجل.. انهم عائلة واحدة.. أخوة الدم وماقد يحدث للرجل سيتحمله هو وحده.. ألم يعطوه الطعام يومياً.. لو ارادوه ميتاً لم يكونوا ليتركوه كل هذا الوقت..

-ماذا تريد؟؟

سأل بشحوب لتتألق عينا الحسن ويهتف بقوة:

-اذهب لجدي.. شيخ العزب وليس سواه.. وأخبره عني..أخبره انني مريض للغاية واحتاج لطبيب.

اومأ الرجل باضطراب وسارع بالركض اليهم.. تبسم حينها حسن.. سيخرج من هنا.. وسينتقم من ذلك الوغد مهما كلفه الأمر..

كان قحطان في طريقه للمزرعة بعد مغادرته غرفة شقيقته..

لاتزال كلماتها تهاجمه بلاتوقف.. لاأحد من نسائهم يفكر؟؟!!

زم شفتيه بغضب من نفسه ومنهم جميعاً.. حين شاهد التجمع الى جوار المستودع .. حيث يُبقي ابن عمه حسن محبوساً.. عقد حاجبيه واسارع نحو الجمع هاتفاً بغلظة:

-مالــذي يحدث هنا؟؟

التفت اليه الجميع برهبة .. رأى جده يقف وسطهم بصعوبة يحيط به اثنين من أولاد عمه وزوج فتحية..

-لقد نقلنا حسن الى بيت الضيافة ياقحطان.

قالها احدهم فزمجر قحطان بغضب وصرخ:

-كيف تفعلون هذا دون أوامر مني انا..؟؟ من سمح لكم بالتدخل؟؟

-انا أمرت بهذا ياولد.

هتف جده بغضب حقيقي.. لتتسع عينا قحطان ويلزم الصمت تماماً احتراماً للعجوز الذي تقدم اليه بصعوبة متسنداً على عكازه ويد حفيده..

-هل لديك اعتراض على أوامري؟؟

ابتلع ريقه الجاف وقال خافضاً رأسه باحترام:

-ابداً ياجدي.. ولكنني أريد معرفة السبب.

رفع الجد رأسه وقال معاتباً حفيده:

-ليس شيخ العزب من يعطي الاسباب يابني.. سأذهب للاطمئنان على حفيدي الان.. وأريدك أن تأتي معي.. وسنناقش الامر بعدها.

تصلب قحطان في وقوفه ولم يتحرك قيد أنملة وهو يهمس لجده:

-انا لن أذهب لرؤية ذلك الرجل جدي لأني لو فعلت سأقتله حيث يقف ..

نظر له جده بحدة ليتراجع عن طريقه ويضيف بتصميم:

-ان أردت الاطمئنان عليه فاذهب برعاية اللّه.. ولكنني لن أقف معك في هذا.

نظر له جده مطولاً قبل أن يحرك رأسه بأسى:

-ظننتك ذراعي الايمن.. سندي وعصاي..ولكن..

-جدي ..

هتف قحطان باعتراض ..

-انا سندك وعصاك.. أنا أنت ياجدي.. ولكنني لن أصبر وانا ارى من هدر كرامة أختي حراً.. وأنت خير من يعرفني.

-ان ابن عمك مريض.. وقد أتينا له بالطبيب.. لايزال تحت الحراسة ولكن يجب ان نعتني به أم أنك تريد موته؟؟

هتف جده بقهر.. يكاد يتمزق.. فكل منهما حفيده.. لايستطيع ان ينكر ان قحطان شيئ أخر.. ولكن لايزال لحسن في القلب مكان ..

لم يجد قحطان جواب لسؤال جده.. هل يريد موت ابن عمه القذر لمافعله بشقيقته أم أن مافعله به يكفيه كَ انتقام ؟؟

كان يفكر بكلمات الجوهرة عن طفليها.. هل سيتحمل ان يشيروا عليه يوماً ليتهموه بمقتل ابيهما؟؟ ام ان ماعليه فعله هو ترك أمره للسلطات خصوصاً بعد قرب انكشاف امره مع المافيا الصينية؟؟

-سآتي معك ياشيخ.. لقد كنت عصاك ولاأزال.

ثم اقترب ليسند جده الذي نظر له بامتنان.. انه لم يكسر كلمته ولم يحاول تحديه امام الجمع الغفير..

استند عليه ومضى به حيث بيت الضيافة.. وهناك كان بعض الرجال المحيطين بالمكان يحرسونه بعيون يقظة.. دخلا ليجدا الطبيب ينهي تضميد يد حسن المهشمة وهتف بهما:

-الرجل بحاجة للنقل الى المشفى في عدن ياشيخ .. يده بحالة سيئة وأعتقد انه لاسبيل لانقاذها حالياً..

لم يشعر بالاسى.. لم يتأسف عليه لقد استحق هذا وأكثر.. فيما تنهد جده بأسى ودعا له بالشفاء قبل ان يطلب من الطبيب ان يتخذ كل اجراءاته للنقل.. وانهم مستعدون لكل شيئ..

-جدي.. ألاتظن ان بقاءه هنا أفضل..؟؟

قالها قحطان بضيق.. ليصيح جده بعصبية:

-انظر اليه بني.. الا ترى ان حالته سيئة..

نظر قحطان للجسد الغارق بالعرق والدماء.. لن تجتاحه الشفقة تجاه هذا المجرم مهما حدث له.. ولكن جده لايقدر على مشاهدة أحد ابناءه يموت لذا تراجع بصمت وهو يصبر نفسه .. لن يتدخل الان على الاقل..

سيفعل مايرضي جه ولكن بطريقته الخاصة.. سينقل الحسن الى المشفى ولكنه لن يترك له الحبل على الغارب.. سيعد أنفاسه ان اقتضى الامر.. هناك الكثير من الامور ليفسرها وربما وجوده بالقرب من أكرم والشرطة بعدن سيسهل الامر.. سبحان اللّه من يصرف الامور بحكمه وعلم..

اقترب من جده وهمس له:

-لاتقلق ياجدي.. سأتكفل بكل شيئ.. تعال لنعد الى الديوان.. سأترك للرجال امر النقل وأتدبر أم التوجه معه بنفسي.. ولاتقلق.. سيكون علي بانتظاره وسيتكفل بإيداعه الى أكبر المستشفيات للعناية به.

-بارك اللّه فيك ياولدي.. جزاك اللّه ألف خير.. وقر عينك بذريتك..

قالها جده بصوت مخنوق.. لترتجف عينا قحطان .. هذه المشاعر التي يكنها جده لهم جميعاً.. كم تكلفه من طاقة وقوة..كم تأخذ من صحته وعمره.. وكم تعطيه بالمقابل من همة..ثبات ومحبة لاتقارن من الجميع!!

تنهد وهو يأخذ بيد جده بينما يلقي بأوامره للجميع بتنفيذ مااتفق عليه مع الجد ..

***

جلست نادين قلقة.. تنقر على الطاولة الخشبية في المطعم البحري بلاتوقف أصابعها تعزف لحناً يلاعبه التوتر.. تناظر ساعتها بضيق.. ليس لديها وقت لهذا الهراء.. فهي تريد الرحيل..

شعرت بجثوم علي الصامت الى جوارها.. لاتعرف سبب قبوله البقاء.. أهو الفضول ما ادعى.. أم انه شيء أخر؟؟

ابتلعت ريقها.. مالذي يريده ذاك الطبيب منها ياترى؟؟

أرادت الاقتراب من علي.. مد كفها اليه وتركه يبث طمأنينة الى أعصابها المتوترة.. الخائفة.. ولكنها لسبب لاتدركه تراجعت أكثر منكمشة في مقعدها.. خائفة منه هو أكثر.. لايزال الخجل يتحكم بكل تصرفاتها تجاهه.. خجل منه ومما فعلته.. خجل مما رأها تفعل!!..

-أسف على تأخرى..

اعتذر الطبيب بلباقة.. رفعت له عينين مذعورتين.. سرعان ما اعتراهما الفضول لرؤية المرأة التي ترافقه.. والتي كانت تبدو أكثر منها قلقاً..

كانت تضع نقاباً على وجهها ولكن عينيها كانتا معبرتين للغاية..

لامعتين تلتهمان نادين بالمقابل بفضول أكثر..

نادين من ناحية رأت تلك العينين من قبل.. أين؟؟

-صباح الخير..

قالت المرأة بصوت عذب..وعينيها لاتفارقان عيني نادين ليرد علي باقتضاب بينما يوسف يعرفهما ببساطة:

-أنسة نادين هذه زوجتي همس.."والتفت لهمس قائلاً بابتسامة مطمئنة" حبيبتي.. هذه نادين التي كلمتك عنها.

راقبت نادين الزوجين بفضول..

كلمها عني؟؟ فكرت بقلق.. مالذي يعرفه عني ليتحدث به مع زوجته؟؟ هل معقول ان علي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟

والتفتت للأخير مذعورة وخائفة..

هل من المعقول انه قد اخبره بشيئ؟؟

رأت علي ينهض باضطراب ويعتذر بتوتر:

-ربما يجب علي الانصراف الان ..

لم تتردد بالتشبث بكفه بقوة.. متجاهلة نظرته الصاعقة وهي تتمتم:

-لاتتركني وحدي..

رأت عيناه الرافضة فتوسلت:

-أرجوك علي..

-لاتخافي..

همست المرأة المدعوة همس بنعومة..جعلتها تفلت يد علي وتناظرها بذهول ..

اقتربت همس وجلست قبالها هاتفة:

-سيتركاننا معاً.. الاثنان.. فماسنتكلم عنه هو أمر خاص بنا فقط..

عقدت نادين حاجبيها بتوجس..بينما ابتسمت عيناهمس لزوجها هاتفة:

-اتركاننا وحدنا يوسف.. انا ونادين لدينا الكثير لنقوله..

اومأ لها يوسف بابتسامة قبل ان يتوجه لعلي ويحيط بكتفه:

-لما لاأدعوك لشرب فنجان من القهوة.. والفطور يادكتور.. ثم نتوجه لأعمالنا فالنساء ان بدأن بالحديث لاتوجد قوة على الأرض تسكتهن..

تردد علي.. ونظر لظهر نادين التي أشاحت عنه وهي تغرق في عيني المرأة الاخرى وقد نسيت وجوده كمايبدو.. قبل ان يوافق بإيماءة من رأسه ويرافق يوسف..

راقبتهما همس بابتسامة قبل ان تقول:

-لقد طلبت منهم ان يجهزوا غرفة لنا لنبقى على راحتنا لوقت طويل..

زاغت عينا نادين:

-ماذا تريدين مني؟؟

خفضت همس عينيها ثم عادت تنظر اليها وقالت:

-تعالي.. سنكون هناك على انفراد وسنتكلم بكل شيئ..

ونهضت تسبقها للغرفة الصغيرة التي احتوت طاولت من الخشب ومقعدين خشبيين.. تأملت نادين الغرفة .. لقد أتت لهنا مرة أو اثنتين

في مرافقة خاصة.. احمر وجهها للذكرى قبل ان تبعدها بخشونة خلف ضباب عقلها وتبقي تركيزها مع المرأة التي اغلقت الباب بعد أن أمرت النادل باحضار كوبين من العصير البارد..

اشارت لها بالجلوس.. وجلست قبالها..

-مالذي تريدينه مني سيدتي؟؟ من تكونين؟؟

رقبتها همس للحظات.. عينيها.. تشبهان عينيها هي..ربماكانت عينا نادين أوسع.. ولكنهما بالتأكيد تشبهان عينيها.. خفق قلبها بعنف..

هل تشبهها هي اذاً؟؟ مدت يدها بخفة لنزع نقابها.. وتراجعت ترى اثر مافعلت على وجه نادين..

راقبتها ناديت باستغراب..

لقد رأها من قبل..من المستحيل الا تكون رأتها من قبل فلامحها كانت مالوفة.. حقاً مألوفة..

-من أنت؟؟ متى التقينا من قبل وأين؟؟

همست بخشونة لتبتسم همس:

-لم نلتقي..على الاقل ليس في الفترة القريبة ..

-ولكنني أعرفك..

هتفت نادين لتبتسم همس وتلمع عينيها بالدموع ونادين تصرخ باستغراب:

-رأيتك قبلاً لاتنكري هذا..

ابتلعت همس ريقها وسكتت حين دخل النادل لهما بالعصير.. وبعد خروجه قالت بخفوت:

-عليكي أن تنصتي لي يانادين.. فماسأقوله قد يبدو لكي مجنوناً.. أو ربما ضرباً من الخيال ولكنها الحقيقة التي تأكدت منها أنا وزوجي بطريقة لاتقبل الشك..

-عماتتحدثين؟؟

تسائلت نادين بعصبية لتتنهد همس وتنظر لعينيها مباشرة هاتفة:

-انت.. هي أختي..

رفعت نادين حاجبيها للحظات.. قبل ان تنفجر ضاحكة دون توقف .. رباااه هل جنت هذه المرأة؟؟ أختها؟؟ لو تعرف من تكون نادين ومدى قذارة المستنقع التي جات منه لمافكرت أن تنسب لها مثل هذا الاتهام البشع؟؟ لكانت ركضت ملايين الاميال كي تبعد عنها مجرد الشبهة..

-اعرف ان الامر صادم بالنسبة لكي.. ولكن..

بدأت همس بتوتر لتقاطعها نادين ساخرة:

-اسمعيني جيداً ياهذه. لاأعرف اي لعبة تلعبين.. أو اي نوع من التخيلات تنتابك ولكنني لست بمزاج لأسمع هذا التهريج.. انا لاأعرفك.. وأنت لاتريدين ان تعرفيني.

-اهدئي ودعيني أشرح لك.

قالت همس بهدوء.. لتسرع نادين بعصبية:

-قلت أنك لاتعرفينني فلماتحاولين الاستمرار بهذا الكلام الغريب..

-لأنها الحقيقة..

قالتها همس بصبر.. لتضحك نادين بعصبية.. قبل ان تنهض:

-لااريد الانصات لهذا الكلام الفارغ..

اجلسي ودعينا نتحدث..

-لامجال للحديث بيننا..

صاحت نادين لتنهض همس تعترض طريق خروجها.. عينيها في عيني الفتاة وهي تصـر:

-هناك الكثير.. وسنبدأها بالمرأة التي خطفتك من بيت عائلتك قبل خمسة وعشرون عاماً..

تراجعت نادين بصدمة..

هل فضحها علي أمام ذاك الرجل؟؟

-أتنوين الانصات الي الان؟؟

تراجعت نادين.. خوفها ليس له حدود ولكن فضولها غلبها.. تريد أن تعرفماتريده هذه المرأة منها.. تريد أن تعرف بالتفصيل.. لذا تراجعت بصمت وجلست.. تعقد ذراعيها حولها بقوة تضم حقيبتها وتنظر لهمس التي أخذت نفساً عميقاً.. قبل أن تبدأ حديثها الذي تدربت عليه طيلة الليل.. دون أن ترفع حدة صوتها .. ودون ان تسيطر على دموعها التي انهمرت بلاتوقف على وجنتيها.. ودون ان ترمش بعينيها عن أختها التي لم تعلم قبل ايام فقط أنها تملكها؟؟!!

أما تلك فقد اتسعت عينيها بذهول .. وجمدت نظراتها وهي تستمع لماتقوله لها هذه المرأة الغريبة.. دون أن تقدر على التصديق.. تبلد عقلها فقدت قدرتها على النطق ومضت تناظرها بذهول.. وصمت.

***

وصلت أخيراً..

نظرت للمطار بذهول.. لاتصدق انها قد عادت اخيراً.. لبلدها.. لعائلتها.. انهمرت دموعها بصمت وعمها يقودها نحو سيارة دفع رباعية وهو يأمر السائق بالانطلاق نحو البلدة دون تأخير..

نظرت له بتشوش وهمست:

-متى سنصل؟؟

-لاتقلقي بنيتي.. لن يأخذ الطريق منا وقتاً طويلاً..

جلست الى جواره بينما جلس فراس الى جوار السائق.. وانطلقت السيارة..

تحسست حجابها الذي عادت له حالما وصلت الى الأردن في الليلة الماضية.. وابتسمت بشرود وهي تفتح النافذة لتصفعها الحرارة التي تظلم فصل اسمه الشتاء في عدن.. شعرت بدموعها تعود للانهمار.. فرفعت اصابعها لتحيط بالخاتم الذي تدلى معلقاً حول عنقها بسلسلة ذهبية طويلة لامست دقات قلبها كانت تشعر بأنه معها.. جزء منه يرافقها حيثما ذهبت..

تعلقت عينيها بالطريق الصحراوية التي تأخذها دون ابطاء نحو البلدة.. لم تكن تشعر بالخوف.. بلاعكس كانت تشوقها للعودة لحضن عائلتها أقوى من كل شك ربماكان ليراودها بشأن طلاقها من ابن عمها.. تعرف انها ستواجه غضب الجميع ولكن هذا لم يكن يهمها.. كل ماكان يهمها هو أن تقبع بين ذراعي أمها.. وسط عائلتها ..

تهدئ من روعها كلمات جدها الحكيمة وتذوذ عن العالم خلف كتفي أخيها وقوته التي تأسرها ..

تنهدت وأسندت ظهرها للمقعد وبدأت تستغفر لتمضية الوقت ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وهناك.. في البلدة القديمة..

لم تكلف نفسها عناء النهوض من الفراش حتى.. ولن تفعل..؟!!! هو لم يبت ليلته معها.. ولاتعرف أين فعل؟ تحجر ريقها.. تشعر بدوار وغثيانها الصباحي تطور لحد انه يرافقها في كل وقت.. هل تشعر بالخجل مماحدث وهو معها.. لاتعرف؟؟ كل جزء منها مخدر بسبب ماحدث.

مدت يداً ترتعش لتناول كوب من الماء بالليمون احضرته لها الجوهرة قبل ان تذهب لمساعدة أمها في تحضير الغداء.. شربت منه قليلاً كان منعشاً.. رأت قطع البسكوت ولم ترغب بها ..

عادت تندس في الفراش تشعر بكل جسدها يرتعش.. تعلم انها لم تأكل منذ غداء البارحة.. ولاتشتهي شيئاً.. سمعت حينها الباب يصفق بقوة فاعتدلت شاهقة وهي تراه يقتحم الغرفة دون حتى أن يلقي السلام..

اتسعت عيناها وهي تراقبه..

كان غاضباً تكاد تقسم انه يشتعل بالغضب.. تراه وقد تقوست كتفاه وزم شفتيه.. وجهه كان أسوداً وزفراته مشتعلة بالنار التي اضطرمت بداخله.. مالذي حدث؟؟

كان قحطان يحاول السيطرة على مشاعره الحانقة بفعل ماحدث في أمر حسن.. ولكن لايقدر على التمثيل أكثر من هذا.. الامر كان يخرج أسوأ مابداخله وهو لايستطيع اخفائه حتى في غرفته.. يحتاج لأن يفرغ مابداخله من غضب.. ومن كان أفضل منها هي ليخرج غضبه عليها..

-الى متى تظلين في الفراش؟؟

اعتدلت تناظره بذهول ليعاود الصراخ بحنق:

-لقد سئمت من دلالك وقلة احترامك للجميع.. متى تنوين التصرف كامرأة حقاً والوقوف مع أمي والجوهرة في مواجهة اعباء هذا المنزل؟؟

-اانت؟؟!.. انااا..

همست بثقل ليزفر بحنق ويصرخ بها:

-لقد سئمت هذا سيادة.. سئمت ان تعاملي الجميع كعبادك المخلصين.. انت زوجتي وهذا لايعفيك من اعباء العمل في المنزل ولايعفيكي من تحمل مسؤلياتك نحو الجميع.

لم تعد تحتمل.. نهضت مقاومة دوارها وصاحت به:

-ماذا عن مسئولياتك انت قحطان؟؟ ماذا عن حقوقي عليك؟؟ لاأحد يحاسبك على عدم الاتيان بها.. لاأحد يحاسبك على اهمالي والابتعاد عني؟؟

-انا لااناقش مشاكلنا الخاصة.. انا اتحدث عن عائلتي.

هتف بعنف لتصرخ:

-وماذا عن عائلتي انا؟؟

-الم تقولي ان لاعائلة لديك بعد الان..؟؟

رد بسخرية قاسية جعلتها تشهق بألم قبل ان تهتف بوجع:

-عائلتي هي انت.. أنت وهذا الطفل الذي يبدو أنه يتفنن بتعذيبي كماتفعل انت.

-انا لم أعذبك ابداً..

دافع عن نفسه لتهتف بسخط:

-اه حقاً.. لااريد أن اعيد مآسيي الخاصة معك قحطان منذ بداية هذا الزواج حتى الان ..

ثم أشاحت عنه هامسة بألم:

-أنت اسوأ من الحسن زوج الجوهرة في كثير من الامور يا ابن عمي..

اتسعت عيناه بصدمة.. وكأنها ضغطت زراً فجر كل ثورته في أعماقه.. اقترب منها بلحظة.. قبض على ذراعها بقسوته المعهودة وهزها بعنف هاتفاً:

-ماذا قلتي؟؟

حاولت التخلص من قبضته:

-اتركني..

-كيف تشبهينني بذلك الوغد عديم الضمير..

نظرت له.. عينيها بركة من الدموع.. حمراوتين بفعل قلة النوم زائعتين بفعل الألم.. همست بوجع:

-انظر لنفسك قحطان .. لكل مافعلته بي ولكل ماتفعله الان..مالفرق بينكما؟؟

اتسعت عيناه بغضب وهتف بوعيد:

-الجوهرة كانت ولاتزال بريئة من كل ذنب فكر به ذاك المريض..

ولكن أنت..

بترعبارته ليناظرها باشمئزاز جعلها تحترق بنار لم تعد تحتمل.. بكت حينها بمرارة بكت ذارفة دموع مريرة خرجت من اعماقها وهمست:

-انا لو كنت كماتقول..لماكنت أبقيتني حتى الان.. انت تعرف انني أحبك.. وأنني لم أخنك أبداً.. فلاتحاسبني على أشياء حدثت قبل أن أعرفك قحطان.. لاتحاسبني على مافعلته قبلك انت..

جمدت ملامح وجهه ولم يرد بينما هي تهمس:

-منذ جئت هنا.. وأنا حبيسة هذه الجدران.. عيناك لاتفارقني.. هل رأيت مايثير شكوكك بي؟؟ هل خذلتك في يوم؟؟ تحملت تعذيبك واحتقارك تحملت قسوتك تحملت كل الضرب والاهانة.. وبعد كل هذا تثور لأني شبهتك بابن عمك؟؟ اسأل شقيقتك عمافعله بها؟؟ هل يشبه ماكنت تفعله بي؟؟ هل اهانها وجعلها خادمة في منزلها كماجعلت مني؟؟

ابتلع قحطان ريقه وتراجع مفلتاً ذراعها لتهمس بوجع:

-انا لم اعد أحتمل قحطان.. ماتفعله بي لم أعد أحتمل كل هذه القسوة ..

-ماذا تنوين ان تفعلي بهذا الخصوص؟؟ تقتلين نفسك؟؟

قال بسخرية يخفي بها ذلك الاحساس المقيت الذي تصاعد بداخله

ان كل ماتقوله صواب لتنظر له بعتاب.. داخلها يحتظر.. اهذا مايريده

يريد موتها؟؟؟

ابتلعت ريقها بألم وهمست:

-انا لاأحمل وزر نفسي قحطان فقط لازال احمل طفلك بداخلي..

نظر لها بصمت لتواصل بصوت مخنوق.. لاتكاد تستوعب الفكرة

ولكن وقتها بدت وكأنها الحل الوحيد.. الشيئ الوحيد الصواب والذي

يمكن ان ينقذها من قسوته وعذابه:

-ربما الرحيل والابتعاد هو الحل الوحيد يابن عمي..

تغيرت نظرة عينيه الجامدة.. اهتزت للحظات قبل ان تشع ناراً..

وتتسارع أنفاسه وهي تواصل بتخاذل:

-ربما يكون الحل الوحيد لنعيش بسلام.."ونظرت في عينيه هامسة

بصوت غارق في الدموع" هي أن نعيش بعيدين عن بعضنا البعض..

لم يعرف اية نار تلك التي اشتعلت بداخله.. نار لم يشعرها من قبل..

لقد سمع هذا الكلام من جده قبلاً.. ولكن منها.. أن يصدر منها هي..؟؟

ان تفجره في وجهه هكذا؟؟ وكأن تنين نفث في اعماقه.. زفر النار من

فمه وأنفه.. غابت عيناه في السواد.. وانقضت يداه لتقبض على كتفيها بقسوة شديدة جعلتها تصرخ من الألم وهو ينفث ناره في وجهها بلارحمة:

-على جثتي ياسيـادة.. تريدين الرحيل عني وربما ايجاد رجل اخر؟؟!! على جثتي..

بكت بمرارة وهو يفلتها لتسقط أرضاً.. متهالكة محطمة ولايزال يصرخ.. بكلام لم تفهم معظمه..

-سأقتلك .. اقسم أن اقتلك قبل ان تفكري حتى بالرحيل مرة أخرى ..

نظرت اليه من اسفل.. يدور حولها كأسد .. غاضب حانق لايرى أمامه.. لم تعد تحتمل.. تشعر بالخواء.. بأنها خاليه من الداخل.. متعبة حتى النخاع.. توسدت الارض وسدت أذنيها بكفيها.. تسمع تهديداته.. مجرد غوغاء رجل طُعن في كرامته.. لقد تعبت.. منه.. من كرامته ..

تعب حبها من احتمال هذه القسوة والجفاء.. تعب من كل هذا..

اغمضت عينيها بقوة.. تكتم صرخاته التي كادت تدمي أذنيها.. لن يسمح لها بالنجاة.. بالرحيل.. لن يسمح لها بالابتعاد ..

عادت تفتح عينيها تطالع ضباب.. اسود لايجليه شيئ.. وكأنها وسط غيمة دخانية.. تشعر بحركته وبكلماته التي تلسعها كسوط من نار.. ولاتأبه..لم يعد يخيفها.. لقد قتل خوفها.. قتل احساسها..

"أخرج"

همست .. ولكن همستها لم تصدر عنها.. كانت تتردد داخلها فقط .. حاولت استجماع شجاعتها.. رفعت صوتها..

"أخـــررج.."

ولكنها حتى بعلو صوتها كانت مجرد صرخة تتردد داخلها.. لم تغادرها قط.. انهمرت دموعها .. ترجوها وتتوسل الا تزيد الصدع بينهما.. ألا تمارس ضغوطاً أكثر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ولكن لاااا.. لم تعد تحتمل.. كل هذه القسوة كانت تقتلها..

-أخررررررج..

صرخت بجنون مشاعر استباح اراقتها.. صرخت من أعماقها لتخرج همسة ضعيفة مهزوزة.. أوقفته مكانه.. ينظر لها بذهول.. متكورة على الارض.. تسد أذنيها عن زعيقه المستمر.. تنتفض بلاسبب.. وتهمس بكلمات لم يسمعها يوماً منها..

-أخرج.. اتركني بحاااااااالي ..

ابتلع ريقه بصعوبة.. لاتزال ناره تشتعل.. ولكن لسبب ما رؤيتها بذاك الشكل لم تفعل سوى اطفاء نيرانه الغاشمة.. "سيادة؟؟"!!

فكر بقلق.. بأنفاس متلاحقة.. اراد الاقتراب منها.. كي يطمئن فقط.. ولكن..

سمع تلك الطلقات النارية المتكررة بالخارج والتي تعلن بوضوح عن شيئ خارج عن المألوف..

توقفت هي عن الانتفاض..وتجمدت مكانها خوفاً.. بينما أسرع قحطان للخارج وقد تغلب حسه المسؤول عن كل ماعداه.. وصل الى الساحة الخارجية ورأى السيارة التي بالكاد توقفت.. عقد حاجبيه بحيرة وهو يرى ترجل تلك الفتاة بالحجاب راكضة نحوه.. متجاهلة فيض الرجال الواقفين بفضول..

-سلمى؟؟؟

هتف بذهول.. لترتمي سلمى بين ذراعيه.. ويحيطها بصورة غريزية مغيباً قدها النحيل عن العيون وهي تنفجر ببكاء محموم.. يقارب الهستيرية..تنتفض بكلام لايفهم منه شيئ.. ومن فوق رأسها رأى ترجل عمه وينقبض قلبه بصورة فورية قبل ان يرى زوجها فراس

يترجل هو الأخر بينما يقترب منه الاثنان بخطى سريعة.. أنزل رأسه ليهمس لسلمى:

-أدخلي للمنزل ياصغيرتي..

ارادت ان تعترض.. فحضنه كان دافئاً للغاية..للمرة الأولى منذ زواجها ورحيلها عن بلدتها تشعر بالأمان.. بالراحة والانتماء لوطن.. هو شقيقها.. ولكنها نفذت ماقال.. ركضت باتجاه منزلها ..

سارعت عبر الممر الضيق نحو الدار التي تعرف ان نساء العائلة كلهن يجتمعن هناك الان ..

رأت أمها تقف بجوار الجوهرة من بعيد.. وبصرخة صغيرة كانت ترتمي بين ذراعيها وتشاركها البكاء والشهقات ..

أما قحطان فقد نظر لعمه بقلق والذي عانقه بقوة قبل ان يقول له بتوتر:

-يجب ان نتحدث..

نظر قحطان له بشك.. قبل ان يفطن للسبب..

ابن السلاطين..

-ألهذا عدتم؟؟ ابن السلاطين هو السبب؟؟

قالها بسخرية متشفية ليناظره عمه بعتب قبل ان يتدخل فراس بوقاحة:

-أنت تسببت بدخول عبدالعزيز الى المستشفى بين الحياة والموت بسبب غيرتك الحمقاء.. دون ان تفهم ان غضبه وثورته مبررة فقد كان خطيب شقيقتي قبل ان تتزوجك أنت رغماً عنها..,

عم الصمت حولهما وكأنما كلمات الفتى الصغير اخترقت اسماع الجميع.. حتى والده ناظره بذهول بينما كان قحطان يحدجه بنظرة سوداء جعلته يبتلع باقي ماكان ينوي قوله ويتراجع بخشية فيما قحطان يقترب منه بخطورة ويقبض على تلابيبه بقسوة جعلت الفتى يتجمد وقحطان يهمس له بقسوة:

-لولا علاقة الدم التي تجمعنا يابن العم.. ولولا والدك الذي يقف معنا وزوجتك التي تكون شقيقتي الصغرى.. لكنت حطمت فمك على ماقلته للتو..

ابتلع فراس ريقه بصعوبة.. وتراجع ليفلته قحطان بضيق ملتفتاً لعمه:

-لمالاندخل لمجلس الشيخ..

وبسرعة نفذ العم يليه فراس الحانق.. وتفرق الجمع بأمر حاد من قحطان.. قبل ان يلحقهما للديوان حيث رأى عمه يقبل رأس أبيه ويده ويفعل فراس المثل.. جلس الجميع وبقي قحطان واقفاً بتحفز,, بينما تطالعه عيني العم بخشية وفراس بكراهية.. ليتدخل الجد بسرور غافلاً عما يدور حوله:

-أين هي حفيدتي سلمى؟؟ اين هي نوارة المنزل؟؟ أين زوجتك ياولد؟؟

نظر فراس لجده باستخفاف ثم نظر لقحطان بسخرية.. واحساس طائش برغبة في الانتقام من هذا الرجل تنتابه.. ليركض خلفها برعونة.. كصبي في الخامسة وهو يعقد ذراعيه على صدره ويهتف بتشفي:

-سلمى لم تعد زوجتي..

رآن الصمت على الجميع.. جده يناظره بذهول.. في حين كان والده يناظر قحطان بذعر..

أماقحطان فقد تسمرت عيناه على الفتى الصفيق والذي قال ماقاله وهو يجلس بكل أريحية.. يناظره بسخرية.. إلم يكن بحقد.. مالذي قاله؟؟؟

-ماا..ماالذي تقوله بني؟؟؟

همس بها الجد بتخوف.. ليستمر فراس بهوج:

-كماسمعت جدي..

-فرااااااااااااااس..

صاح والده بشحوب.. يريد ان يوقف ابنه عن الاسترسال بماسيقول ومايمكن ان يودي به وراء الشمس.. ولكن فراس لم يسمع لم يتوقف..

-انا طلقت سلمى قبل ان نصل..

لم يعرف أحدهم كيف تحرك قحطان.. كيف اختفى من مكانه ليظهر فجأة امام فراس.. كيف رفعه من تلابيبه ويدفع به للجدار خلفه بقوة ويواجه عيناه الغارقتين بالجنون وهو يهزه بعنف وكأنه مجد دمية بورسلان خاوية ..

-مالذي قلته يا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..؟؟

انت..انت تطلق اختي..؟؟؟

صرخ قحطان بعنف.. وشعر بعمه يقف للتدخل بينهما دون فائدة..كان يريد قتله وقتها ..

-انتم أجبرتمونا على هذا الزواج..

صاح فراس بشراسة وهو يقاتل للتخلص من قبضته التي افلتته بصورة مباغته ليسقط أمام قدميه وقحطان يهتف بغلظة:

-ايها الوغد..

والتفت لعمه ينظر للذعر في عينيه ويهتف به بقسوة:

-لقد أمنتك عليها..؟؟

اسقط بين يدي عمه لم يعرف هل يدافع أم يتوسل ام يبرر.. تراجع منكساً رأسه بانهزام لايقوى على رفع عينيه لعيني ابن أخيه.. ليهتف فراس من مكانه على الارض بحنق:

-شقيقتك من طلب الطلاق..

اتسعت عينا قحطان من الصدمة ولم تغادر عيناه عينا عمه الذي هتف بابنه برجاء:

-اصمت يافراس.

-لا لن أصمت.. ربماكانت أكثر شجاعة منا جميعاً لانها دافعت بقوة عما تريد.

صاح فراس متجاهلاً موجة الغضب المنتشرة.. تسارعت انفاس قحطان بثورة.. ومتجاهلاً الجميع اندفع للخارج.. حتى جده الذي جلس غير قادر على الحركة من فرط المفاجأة..

توجه للمنزل حيث وجد شقيقته بين أمها والجوهرة.. تبكي في حضن امها دون توقف..

كانت جدته وفتحية.. وزوجة أحد اعمامه معهم..

اقترب وانتزعها متجاهلاً صرختها الباكية من بين ذراعي أمها..

أوقفها امامه ونظر لوجهها المنتفخ من أثر البكاء.. نظر لعينيها مطولاً قبل ان يسألها بهدوء خارجي لايشي لحجم الثورة التي تفجرت بداخله:

-هل انت من طلب الطلاق من زوجك؟؟

سمع شهقات الموجودين.. ورأى شقيقته تجفل.. سمع صراخ أمها وهي تولول..

-اماااااه..

صاح بحدة أسكتتها وعاد يقول:

-لاأريد سماع صوت من اي منكن..

ثم عاد يلتفت الى سلمى ويكرر سؤاله بقسوة:

-هل أنت من طلب الطلاق؟؟؟

ابتلعت ريقها.. وخفضت عينيها للحظات قبل أن تتشبث بالخاتم المعلق بقلادتها.. اغمضت عينيها تستجدي القوة.. ثم رفعت عينيها لشقيقها للحظات قبل ان تهمس:

-نعم قحطان.. انا من طلب الطلاق ..

وتوقفت للحظة تبحث عن رد فعل في عينيه الجامدتين قبل ان تضيف:

-وقد حصلت عليه..

سمع صوت والدته وهي تصرخ بجنون تلطم خديها..

سمع صرخة جدته وهي تدعوا على الشيطان وتبكي بلاتوقف..

سمع الجوهرة.. فتحية..

ولكن عيناه لم تفارقا عيني سلمى..

باكية صحيح.. منتفخة.. أآرقة.. نعم..

ولكنها مصممة.. قوية.. عيني شيخة ابنة شيوخ ..

شيخة قررت مصيرها.. بيديها..

ورغماً عنه طاف عقله بتلك التي تنوي اتخاذ قرار أخر.. وتشتت تفكيره!! ..

تراجع.. أفلت شقيقته وخرج..

تركها تواجه العاصفة بالداخل..

استند بظهره للباب ورفع عينيه للسقف.. يمسد رأسه بكفيه..

الدنيا تتهاوى من حوله وهو بالكاد يمسك بشيئ يحول دون

سقوطه.. انهياره.. فالقادم يبدو أسوأ ..

بكل تاكيـــد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

نهاية الفصل..

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الخامس والعشرين

***

جلست همس الى جوار نادين.. على المقعد الطويل المواجه للشاطئ..

تراقبان معاً أمواج البحر السوداء المتألقة تحت ضوء القمر..تنهدت

نادين وهمست لأختها بحزن:

-لم أنظر للبحر بهذه الطريقة من قبل.

-البحر.. انه نعمة من اللّه لنا.. شيئ أسطوري لايمكن أن نفهمه او

نستغني عنه.

-هل تظنين أن هذا حقيقي ياهمس..أنا وأنت؟؟

نظرت همس لوجه نادين المرهق.. تدرك انها قد عرفت الكثير خلال الايام الماضية وهناك الكثير لتتقبله وتفهمه .. والاكثر لتصدقه..

-انا وأنت حقيقة يانادين..معجزة ارادها اللّه لنا وتحققت والحمدللّه.

غصة استحكمت حلق نادين.. لقد عرفت وأمنت أن هذه الفتاة الرقيقة هي شقيقتها حقاً.. اللّه وحده يعلم مقدار سعادتها ..اللّه وحده يعلم مقدار فرحها حين خرجت من ذهولها وصدمتها.. ولكن!! هل ستكون همس بنفس درجة السعادة حين تعلم عنها؟؟ عن حقيقتها؟؟ انسابت دمعتها وهي تنظر لشقيقتها هامسة:

-انت لاتعرفينني همس..لاتعرفين حقيقتي..؟

شحب وجه همس للحظات.. قبل ان تأخذ نفساً عميقاً وتبدأ:

-وأنت لاتعرفينني كذلك.. لاتستبقي الامور نادين..هانحن معاً ولدينا العمر كله لنتعرف على بعضنا..

-أانا..أا..أنا كنت.. سيئة..

همست نادين باكية لتسارع همس بضمها اليها ..تركتها تجهش بالبكاء للحظات قبل ان تهمس لها بصوت متأثر:

-كلنا لدينا العيوب والاخطاء يانادين.. لاأحد من كامل ياشقيقتي.. لدي انا الأخرى نصيبي من الأفعال السيئة..

ابتعدت نادين عنها وهتفت بمرارة:

-مايمكن ان تكوني قد فعلتيه لايقارن بمافعلت أنا..بماأجبروني على فعله..طيلة تلك السنوات..

-اششش..

أسكتتها همس وسارعت:

-لاأريدك أن تخبريني بشيء حتى تكوني مستعدة لهذا تماماً حبيبتي.. لاتتسرعي الان.. اريدك أن تفهمي وتدركي ماسأقوله لك..

"ثم أخذت نفساً عميقاً وواصلت:

-لقد فرقت بيننا الظروف وذهبت كل منا الى طريق.. هذا صحيح.. كنت أنا محظوظة للغاية.. وجدني فتى رائع وذهب بي لعائلته التي أصبحت عائلتي.. والتي أحبها بجنون.. أم رائعة.. والد حنون.. وأربع أشقاء غاية في القوة والحب.. ابداً لم أكن لأتخيل ان هذه العائلة ليست عائلتي.. وحينما عرفت كدت أجن.. شعرت بأنني سأموت وان لاأحد في هذا العالم قد يخرجني من بؤسي.. ولكن اللّه لم يتركني.. وأرسل لي يوسف ..

وشردت عيناها وامتلأتا بالحب:

-يوسف كان عائلتي الجديدة.. كنا في حالة يرثى لها .. وهو الاخر قد نال نصيبه من العائلات السيئة.. علاقة محطمة مع والدته وأبيه.. اجتمعنا معاً وكأننا مشردان وجدا ملجأهما اخيراً..وشائت الظروف ان اجتمع بعائلتي مجدداً.. ويجتمع هو بعائلته بعد غياب طويل ..

خفضت نادين عينيها.. هل تحسدها..لايعقل ولكنها تأسى على نفسها لاأكثر..

احاطت همس حينها بوجنتيها لترفع رأسها وتنظر في عينيها:

-أخبرتك نادين بأنني كنت محظوظة بحياتي والحمدللّه.. واكتملت سعادتي يوم وجدتك..أنت..

-انا.. لم أحصل على عائلة..

همست نادين مخنوقة.. فشجعتها همس بنظرة من عينيها لتواصل:

-امـ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)أعني.. المرأة التي أخدتني.. رحلت بي لمنزل اختها..كانت تلك..

واختنقت بعبراتها ولم تكمل.. فضمتها همس بحنان.. كانت تريد أن تعرف.. ان تفهم الكثير والكثير عماعانته شقيقتها ولكنها لم تجرؤ على السؤال.. نادين كانت بحالة يرثى لها.. أعصابها وهيئتها العامة

كانت محزنة.. وكأنها كانت تقاتل لتعيش.. لذا التزمت الصمت ولم تقدم لها سوى الدعم..

-يجب ان اذهب .. فشقيقتي سارة لابد قلقة..

همست نادين لتتشبث بها همس برجاء:

-ابقي.. لاتذهبي وتعالي لتعيشي معي..

اتسعت عينا نادين وهتفت:

-لامستحيل.. لااستطيع ان ابقى عالة عليك هنا.

-انت لست كذلك.. انت شقيقتي ..

اعترضت همس باستنكار وسارعت بالهجوم وهي ترقب تردد الفتاة:

-لقد تحدثت مع يوسف لوقت طويل.. واتخذنا معاً القرار انك يجب ان تعيشي معنا.. انت شقيقتي وهذا واجبي.

-ولكن..انا لا.. ليس لدي عمل..لااستطيع تحميلك عبئاً..

ترددت نادين بخجل..لتهتف همس بحماس:

-هرااااء..ستأتين معنا الان لنجلب اغراضك.. وغرفتك فوق جاهزة.. الى جوار غرفة ليان..مارأيك؟؟

ترددت نادين لتحسم همس الموقف وهي تنهض:

-لامجال للتردد الان.. هيا.. سأخبر يوسف لننطلق ونجلب اغراضك..

-همس..

ترددت نادين للحظة فنظرت لها همس بتشجيع لتتسائل:

-شقيقتي.. اعني.. "وتلعثمت وهي تبحث عن اسم للصغيرة المعلقة بها

فبادرتها همس بابتسامة:

-تعنين ابنة المرأة التي ربتك؟؟ ماذاعنها يانادين؟

-لااستطيع تركها خلفي..

قالت بأسى..

-لم يعد لديها في الدنيا سواي.. ولن أتركها ابداً لخالتها.

اومأت همس بتفهم.. واجابت:

-لابأس نادين.. تلك الصغيرة اختك.. مثلما ان حمزة ورائد شقيقاي..

خفضت نادين عينيها وترقرقت فيهما الدموع:

-أنت حنونة للغاية.. وأنا لاأستحق كل هذا أبداً..

ضغطت على كفيها بقوة وهي تقول:

-أنت تستحقين كل الحب الذي ستحصلين عليه.. كنت في مكانك

نادين.. كنت منبوذة وغير قادرة على فهم الناس حولي.. أذيتهم .. أذيت

عائلتي.. أحب المخلوقات لي.. كنت أنتقم منهم لما اقترفته بيدي..

ولكنهم أحاطوني بقدر وافر من الحب.. والتقيت برجل .. لااعرف أن

أصفه سوى بكونه الرجل الأكثر حناناً وطيبة في العالم كله..

صدقيني نادين.. أحياناً يكون الحب هو الوسيلة الوحيدة للنجاة.

شردت عينيها للحظة تفكر بالرجل الذي تحب.. والذي في أوج لحظات احتياجها له.. نبـــذها!!

ولكنها سرعان مانفضت عنها هذه الأفكاروعادت لشقيقتها بالقوة

وهي تتنهد و تضغط على كفيهما المتشابكتين وهمست:

-هل سنكون عائلة ياهمس؟؟

-اذا أردنا أن نكون..

أجابت همس بحنان لتناظرها نادين بتردد فتسارع:

-سنحتاج للوقت نادين كي تتأقلمي..ونتأقلم نحن معك حبيبتي..

ولكننا سنفعل أنا أعدك.

تنهدت نادين..وبدأت الأفكار تتدافع بها يمنى ويسار وهي تحاول استيعاب كل ماكانت تقوله همس.. تقنع نفسها بأنها تستحق الحياة.. حياة كرمة وسط عائلة متميزة وحنونة.. هل تقدر؟؟

***

تلمست طريقها للخروج.. للزحف من تلك الشرنقة التي احتوتها وبدأت تضيق عليها نهضت بقدمين مترنحتين تحار أتسند جسدها

بيديها ام تتركه يسقط فروحها كانت تهوى السقوط.. تقدمت نحو باب الحمام بخطى مرتجفة حتى استندت بكفيها على حافة الحوض.. رفعت عينيها لترى بشاعة وجهها التي شوهته الدموع.. تقلصت أصابعها بقوة على حافة الرخام الأبيض .. لقد سئمت هذا الضعف الذي يطالعها عبر المرآة.. سئمته وكرهت تفاصيله التي تعيشها يومياً الأن.. أفلتت الحافة لتلقط كوباً رخامياً موضوعاً على الرف وبكل قوتها الواهنة هوت به على صورتها التي لم تعرفها لتتهشم الى ملايين القطع وتتناثر حولها بدوي لم تسمعه بفعل كل ذاك الطنين الذي هاجم خلايا مخها بلاهوادة ..

مالذي حدث لها؟؟ لسيادة العزب.. المرأة القوية والتي تتحطم أمامها وبكل غرابة فهي لاتفعل شيئاً للحفاظ عليها او لاسترداد كرامتها المهدورة؟؟ كلمااتخذت قراراً لم تنفذه.. كلما عزمت على الوقوف والاعتراض تتضائل أمامه وتعتكف على نفسها ولاتفعل سوى البكاء والرثاء؟؟!!

لم يعد لها مكان هنا.. عليها أن تقرر وتلجئ لتفكير عقلاني بدل الانصياع لقلبها الذي سيودي بها الى التهلكة لامحالة.

اعتدلت بصعوبة تناشد ساقيها عدم الخذلان..أخذت نفساً عميقاً واغمضت عينيها تتلذذ بهجمات ذرات الاوكسيجين لخلايا رئتيها.. كطعنات صغيرة تخرجها من غيبوبة طال مكوثها بها حتى ضاقت..لم تعد سيادة التي كانت هذا صحيح ولكن يجب أن تعود.. هي أفضل من هذا ؟؟ هي أفضل من المكوث كمجرد خرقة بالية يعلقها ذاك الرجل على ناصية حياته بينما يمضي بها قدماً ويتركها هي للبلى..

فتحت عينيها فجأة.. وصممت على مافكرت به.. لن يستطيع رجل بعد الان السيطرة عليها مالم ترد هذا.. ولاحتى شيخ العزب بنفسه.. لن تقبل هذه الحياة بعد.. لن تقبلها قط..

عادت لغرفتها وغيرت ملابسها لتواجه العائلة الغريبة التي باتت جزءاً منها رغماً عنها..وتعرف سبب تلك الاعيرة النارية التي سمعتها قبل قليل..

ارتدت مايشبه العباءة لم تهتم لشيئ وضعت على رأسها طرحة ما وخرجت تتبع الاصوات التي ملأت الديوان الغاص بالنساء لسبب لم تفهمه.. اقتربت اكثر ووقفت على الباب كانت سلمى هناك؟؟

"سلمى؟؟"!!

همست بذهول.. لتلتفت لها الاعين.. جدتها الجالسة القرفصاء تضم سلمى بين يديها.. الجوهرة التي تجلس جوارها باكية بحرقة.. فتحية التي وقفت بجسدها بين هدية حماتها وبينه هو.. زوجها.. رأت عينا قحطان تحوطانها بنظرة متفاجأة.. نظرة غريبة وكأنها حيوان ضعيف دخل الى شرك منصوب بقدميه بينما رأت حماتها تنتفض.. وبحركة سريعة كانت تجاورها.. رأت الحقد يشع من عينيها وهي تناظرها قابضة على ذراعها بقسوة وتصرخ لولدها بأمر لارجعة فيه:

-هاهي قد أتت.. اعدها اليهم كمااعادوا شقيقتك..

نظرت لها سيادة بتوجس.. كلماتها تطوف حولها وتسبب لها صداع لاتعرف علاجه وهي حتى لاتستوعب كلماتها لتضيف هدية بجنون:

-هيا الان.. كما طلق شقيقها ابنتي .. طلقها وارجعها لأبيها.

اتسعت عينيها بذهول والتفتت اليه عينيها شعلة من نار لماتقوله حماتها المخرفة كمافكرت؟؟

مالذي تقوله؟؟ عن أي طلاق تتحدث هذه المرأة؟؟ حاولت تحرير ذراعها من قبضة عمتها القاسية والتفتت له بكل جسدها وعينيها تحملان استنكار وتشوش لم تستطع السيطرة عليه او تجنبه.. غاصت في

عينيه لثوان طويلة شعرتها ساعات .. شيئ مافي عينيه مس شغاف قلبها.. ضعف ربما.. حيرة..؟؟ كان يواجه حقاً مايفوق استيعابه.. كان يواجه كل الأطراف.. يجب ان تحن عليه وتقف الى جواره ولكن؟؟ ان فعلت هذا فذلك يعني انها تضعف من جديد.. تنهزم من البداية.. وهي لاتنوي هذا لاتنوي العودة الى مناطقها الاولى.. ابداً..

لذا وبكل قوة تحررت من قبضت حماتها والتفتت لها تهتف بشراسة:

-أنت لن تتحكمي بحياتنا كماتريدين.. ليس من حقك فعل هذا. ولن أسمح لك أبداً.

اتسعت عينا هدية بذهول وهي ترى تلك الساحرة الفرنسية حمراء الشعر تقف امامها وتواجهها أمام الجميع بتلك الوقاحة.. حتى قحطان.. نظر لها بذهول وقد تسمرت كل العيون عليهم.. أما سيادة فقد هتفت بشحوب وهي تستجمع الباقي من شجاعتها:

-لست مجرد حقيبة تعيدينني الى ابي حال انتهائك منها ياعمتي.. انا زوجته ورغماً عنك وعن الجميع انا سأبقى زوجته مهماحدث وابني هو ابنه.. وحفيد شيخ العزب.

تراجعت هدية بشحوب بينما اعتدلت سيادة هاتفة بسخرية مريرة:

-ولعلمك فقط.. انا من يريد الابتعاد هذه المرة.. وامام الجميع أخبرك وأخبره هو نفسه..

والتفتت لقحطان المواقف بالاحراك يناظرها بصمت دون أن يتدخل بشيئ وهمست بتصميم:

-أنا سأذهب لأبــي قحطان.. ولن أعود لهذا البيت حتى يعرف الجميع أماكنهم الحقيقية ويلتزمونها..

رفع قحطان حاجبه ببطئ.. مالذي تقوله هذه المرأة هل جنت أخيراً؟؟ فكر بحنق؟؟

تقف وتتحداه أمام نساء عائلته وتنزل من هيبته وقيمته امام الجميع؟؟!! والأدهى انها تفعل ذلك بعد أن أهانت أمه في منزلها؟؟ كان يعاني الأمرين منذ قليل والاخبار السيئة تنهال عليه من كل مكان.. سفر حسن وطلاق شقيقته ثم قراراتها الغبية بالابتعاد والأن هذا؟؟!! فكر باستنكار.. كان متعباً.. مرهقاً للعظم ولكنه كان قحطان.. كان قحطان العزب والذي لأخر لحظة في حياته ولأخر قطرة دم سيقف شامخاً وبكل كرامة أمام من يعرفه ولايعرفه صغيراً كان أم كبير.. لذا فقد وقف مكانه.. يناظرها بعينين جامدتين وخير من تعرف معاني تلك النظرات كانت هي.. كانت نظرة ميتة .. قاسية..

-أصمتتي ولاتتفوهي بحرفٍ أخر.

كانت تنوي الرد.. الرد بقسوة وحنق بكل السخط في اعماقها ولكن شيئ ما في لهجته .. شيئ ماردعها وجعلها تتراجع بصمت بالعة لسانها بحرقة بينما يستدير هو لأمه ويهمس بثقل:

-أنت ربيتي رجل يااماه.. وليس من شيم الرجال ماتطلبين مني.. لن أعامل زوجتي كمافعل أخيها بشقيقتي ابداً وهذا نهاائي..

نظرت له أمه بصدمة قبل ان تهمس بحشرجة:

-هل يرضيك ماقالته لي؟؟ وكيف تكلمت معي اذاً؟؟

اغمض عينيه لثانية قبل ان يفتحهما بحدة وينظر لسيادة التي وقفت جواره بصمت.. وان حملت عينيها الكثير من التحدي رغم شحوبها ..

-اعتذري عماقلته.. الأن..

ابتلعت ريقها بصعوبة.. كانت تتوقع ماقاله.. ولكنها لن تصغي له بعد الأن.. ابداً..

-لن اعتذر لامرأة كل ماتريده في حياتها هو التخلص مني وتحطيم عائلتي قحطان.. ابداً.

وقبل ان تسمع اعتراضه حاولت أن تستدير وتغادر ولكنه لم يمهلها بل قبض على مرفقها بقسوة وهزها بعنف وهو يصرخ بغضب:

-قلت لك أن تعتذري الأن..

نظرت له مصعوقة.. عينيها تدمعان بحرقة وهي تفكر أن هذا الرجل لن يتعلم من قسوته شيئ.. ابداً.. حاولت التخلص منه بلافائدة.. بل كانت محاولاتها الخرقاء تثير فيها الماً وهو يقبض عليها بقوة وقساوة كماشة من صُلب ..

-أتــركني..

همست بألم ليقربها منه بعنف هامساً من بين فكين مطبقين:

-اعتذري لأمي صوتك العالي وكلماتك الحمقاء أولاً..

بادلته النظر لثوانٍ قبل أن تشيح بعناد وهي تهرب من خزي دموعها التي انسابت بقهر.. ليصرخ بها:

-هل بلعتي لسانك يالمرأة؟؟

التفتت له تصرخ بقهر:

-أنا أكرهك..

عم الصمت حولهما رهبة شملت الجميع.. قبل أن ترتسم السخرية على وجه قحطان ويلتفت لأمه الصامتة بترقب للحرب القائمة بين الاثنين وقال لها بصوت حنون:

-أعذريني ياوالدتي.. فزوجتي المصون تحتاج لتأديب.. يبدو أنها لم تتعلم شيئاً رغم الفترة التي قضتها معنا هنا..

وقبل أن تعترض احداهن كان يجذبها خلفه بعنف جعلها تتسمر بذعر وهي تقاومه:

-لن أذهب معك لأي مكان.. أناذاهبة لوالدي.

نظر لها بعاصفة من الغضب تشع من عينيه وهو يأمرها بزمجرة:

-هيا الان أمامي سيادة.. لن أكرر ماأقوله مرتين.

هزت رأسها بعنف وهي ترفض حتى التحرك.. ليتقدم متجاهلاً نظرات الجميع الذاهلة وشهقتها هي المتفاجأة وهو يحملها على كتفه كشوال من البطاطا دون أن يأبه لكونها حامل او لغضبها الصاعق وماسيؤول اليه.. تجاهل صراخها الغاضب.. ومضى بها تلاحقه شياطينه ..

لتبقى هدية تواجه نظرات الاستنكار من الجميع واولهم ابنتها التي هتفت:

-اميي.. ماقلته لايغتفر كيف فكرتي بأن قحطان قد يفعل هذا؟؟

-انها عاداتنا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

همست بشحوب لتهتف الجوهرة باستنكار:

-انها ليست بالعادات أمي.. انها قسوة وجحود وقلة أصل.. وأخي لايحمل اياً منها.. لو كان اي شخص أخر ربما ولكن قحطان؟! هل نسيتي ان سيادة حامل؟!

-يكفـــي..

صاحت هدية بحنق وغضب لاتستوعب مافعلته زوجة ولدها من معارضة مباشرة لما أمرها زوجها بالاعتذار لها وللجميع.. وازداد الغضب في اعماقها وهي توجهه نحو الشخص الوحيد بنظرها الذي استحقه عن جدارة.. سيادة!!..

أما سيادة فقد كانت تضرب بقبضتيها ظهره العنيد وهو يدخلها الى حجرتها وكاد ان يرمي بها على الكرسي لتتشبث هي بظهره بقوة وهي تجاهد السيطرة على الدوار الذي عصف بها بعد بقاءها على تلك االوضعية لفترة.. بينما كان قحطان يصفق الباب خلفه بعنف ولاتزال متشبثة به بيأس.. قبل ان تفلته وتستدير هرباً منه متسلحة بالقوة الجديدة التي تحلت بها..

-لم اعرفك هناك؟! وكأنني امام امرأة جديدة سليطة اللسان.

-انها المرأة التي سأكون منذ الأن فصاعداً قحطان.. سيادة الضعيفة التي صنعتها أنت لم تعد موجودة.

-سليطة اللسان وعديمة الأدب هذا ما أنت عليه سيادة..

نظرت له بألم وهمست:

-لأنني ادافع عن عائلتي؟؟ لأنني وقفت أمام والدتك الغالية ولم أعتذر منها على خطئها بحقي..؟؟

-ستعتذرين لأمي سيادة.. وأمام الجميع..

اعتدلت بوقوفها وعقدت ذراعيها امام صدرها بعصبية وهي تهمس:

-لن افعل قحطان.. ولوكان أخر يوم في حياتي لن أفعل.

أغمض عينيه بنفاذ صبر قبل ان يقرر تغيير الموضوع ويسألها بحنق:

-هل كنت تعرفين بطلاق سلمى؟؟

فاجأها تغييره للموضوع واربكها للحظة قبل ان تستعيد تمالكها لنفسها وتهتف:

-لم أكن اعرف لقد سمعت لتوي..

-ولكنك كنت تتوقعينه.

-ربما..

-مالذي تعرفينه عن اخيك..؟؟أريد معرفة السبب.. أريد أن اعرف لم فعل هذا؟؟

همس بخشونة.. لتحرك رأسها هاتفة:

-لاأعرف.. ليس لدي فكرة لم يخبرني أحد أبدا!!..

-كنت تعرفين ان هذه الزيجة كارثة!!..

هتف بعنف لتنظر له بحنق:

-أخبرت الجميع.. زواجهما كان مشروعاً فاشلاً منذ البداية..

-كزواجنا نحن؟؟

علق بسخرية لتتجمد عينيها وهو يقترب منها صائحاً بمرارة:

-مالذي تعرفينه عن أخيكي لتفكري بتلك الطريقة؟؟

-أخي.. أخي لديه أسلوب حياة مختلف..

فسرت بتوتر.. ليقبض على كتفيها بقوة ويهزها بعنف:

-فسري ياسيادة ..

تخلصت منه بشراسة:

-فراس لايحب القيود.. لديه أحلامه.. مشاريعه والتي لايمكن لفتاة كسلمى أن تتقبلها.. فراس مستعد لفعل المستحيل ليحقق حلمه بالغناء والشهرة ولن يقف بطريقه احد..

نظر لها غير مقتنع بماتقول.. تراجع زافراً بضيق شديد..كل هذا كثير عليه.. حتى الجبل كان لينهد.. وفوق هذا كانت هي بتحولها الغريب عنه .. شعر بشيئ عجيب.. شعر بالفقـــد!!!

جلس على أحد المقاعد دافناً رأسه بين يديه.. يفكر بحلول لهذه المعضلات.. بينما وقفت تتأمله من بعيد..تحاول السيطرة على ارتجافتها وهي تجلي حنجرتها لماستقوله:

-الأن قحطان.. الأن هو الوقت المناسب لابتعادنا..

كان قلبها يرتجف بقوة.. كل عظامها تنخرها وتكاد تقع ارضاً..تتشبث بقوتها للوقوف بصعوبة وتقنع نفسها بماتتفوه به شفتيها الغبيتان بوحشية وتمسك نفسها عن الركض اليه والارتماء تحت قدميه بمايشبه المعجزة.. لترتفع عيناه اليها بنظرة طويلة لم تعرف تفسيرها..

جده يقول انه سيجد لها من يقدرها سواه.. أمه تطالبه بتطليقها..

وهي ..

هي بالذات تسأله الابتعاد..!! بتلك القوة الجديدة.. الشراسة التي تشع من كل جزء منها وكأنها لبوة مستعدة للانقضاض على كل من يحاول الاقتراب منها..

لما يبدو وكأنه الوحيد الباقي عليها في هذه اللحظة؟؟ لم يبدو وكأنه الوحيد الذي يسبح عكس التيار؟؟

معانداً الكل في الاحتفاظ بها حتى هي نفسها؟؟

-أتريدين الطلاق؟؟

همس بهدوء.. شبيه بذاك الذي يسبق العواصف.. كان الهواء حولها بارد كالثلج.. وكأنما وسط اعصار..!! وقفت مذهولة تنظر اليه..

طـلاق؟؟

لم تفكر بهذا.. لاتريد الطلاق.. تريده لها.. ولكن.. بشروطها.. بطريقتها وليس بطريقته الهمجية المتسلطة التي يفرضها عليها وكأن لاحول لها ولاقوة..

تسمرت ترقب نهوضه كنمر بري بكل رشاقة وكأنما تخلص من حمل يقبع على كتفيه حاصرها يبحث عن عينيها المتألقتين.. وهمس بخشونة:

-هل هذا ماتريدينه؟؟ هل لديك انت الأخرى أحلامٌ تلاحقينها كأخيك؟؟

حارت ماتفعل.. تشعر بثقل يجثم عليها فلم تتحرك قيد انملة.. حاصرها كفريسة.. كطير لم يملك حتى الحق بخبط جناحيه علـه يـفِر؟؟!!

-انسي الأمر يا إبنة عمي..

همس يجاور أذنها.. تلفحها أنفاسه الثائرة بحرارة بركان.. تشعر بغضبه.. ثورته .. يكبتها ولكنها تلفحها بقسوة..

-أنت زوجة شيـخ العزب.. أسـد هذه الصحراء..

ارتجفت بقوة واستسلمت لقبضة أصابعه التي رفعت رأسها لينظر في عينيها.. عيناه بركتا قطران لاقرار لهما ..

-أنت زوجتي سيادة.. وحتى أواري جسدك في التراب ستبقين كذلك..

ارتعد جسدها للصورة التي رسمها لها بكل وضوح.. هي..

وحيدة..وهو ينثر عليها التراب؟؟

-ان أردت الابتعاد فلك هذا..ولكن فلتتحملي أنت تبعات قرارك..

همس بنعومة.. واصبعه يلامس فكها..شفتيها..لتفتر عن اهة خافتة وهي تشعر بجسدها يذوب بين ذراعيه مغيباً إياها بعناق ناعم.. أخذها على حين غرة.. تفاجأت..وقبل أن تقرر المقاومة والابتعاد كانت تذوب استسلاماً بشكل مثير للشفقة..ترفع ذراعيها لتحوطه مطالبة بالكثير والكثير.. ليقرر حينها الابتعاد بكل عجرفة..

ضاحكاً بسخرية ..

-انت من ستتحمل العواقب ياسيادة..فلاتنسي هذا وتنجرفين وراء عاطفتك..

شهقت من الحرمان وهي تحاول السيطرة على نفسها بعد كلماته المخزية.. أرادت ايذائه..خدشه كمافعل مع حبها ..وكرامتها:

-أنت من ستعاني الحرمان كذلك قحطان..

زاد القطران تركيزاً..وأصبح بلمعان الماس الأسود..وهو يهمس بنعومة كجلد افعى سامة:

-أخبرتك من قبل ياعزيزتي..أنارجل..وأنت مجرد امرأة هناك ألف سواكي..

شهقت دون ارادة منها ليمعن في صب الزيت على النار:

-أنا الوحيـد لكي ياسيادة.. وأنت واحدة من أربـع هنَّ حلال لي..

-انت لن تهددني بالزواج علي يابن عمي.. انا لن أسمح لك..

نظر لها باستخفاف لتقترب مجازفة بكل شيئ تتعهد لنفسها الا تسمح لها بالضعف مجددا:

-انا لن ابقي مطلق امرأة تفكر بها سواي قحطان.. سأجتث قلبها من بين ضلوعها واشاهدها تموت قبل ان تقترب منها ..

اسودت عيناه بخطورة وهي تضيف رافعة اصبعها تشير اليه بحدة:

-ان كنت أنت قحطان العزب.. فأنا سيـــادة.. سيادة العزب.. ولم تخلق المرأة التي تشارك سيـادة العزب أملاكها.. وأنت ياقحطان.. أنت ملكي أنا..

اتسعت عيناه بذهول بينما تراجعت هي تحمل عينيها تحديها .. قبل ان ينتقل التحدي اليه وتحمل شفتاه ابتسامة كتكشيرة اسد وقع على فريسة خانعة.. وأضاف بتسلط:

-تغارين علي؟؟ وبنفس الوقت تقررين الابتعاد عني؟؟

انتصبت بكبرياء هامسة:

-الابتعاد لم يكن قراراً اتخذته لهوى نفسي قحطان.. انه علاج ..

حملت عيناه تساؤله لتفسر:

-علاقتنا أصبحت مسمومة قحطان.. تؤذيني وتؤذيك ولابد من علاجها..الابتعاد حالياً هو الحل الوحيد كي لانغرق معاً في نتائجها الحتمية..

-وماهي تلك النتائج؟

تسائل بخشونة لتبتسم بمرارة وتهمس:

-الكراهية قحطان.. سأكرهك حتماً وأنت .. ستكرهني حينها بالمقابل..

نظر لها بتوتر.. كلماتها تصل اليه بطريقة لم يعهدها قط ولكنه أكثر عنداً من ان يعترف ولو بالقليل من صواب افكارها لهذا فقد تراجع يخبط كفه في الجدار بقوة جعلتها تنتفض وهو يصرخ:

-كماتريدين سيادة.. ولكن انا من سيبتعد هذه المرة.. انا من سيترك لك المكان وسأرحل.. سأعود لعـدن بعد الصلاة.. جهزي حقيبتي..واجعليها بكبـر رغبتك في الابتعاد.

راقبته يغادر بعاصفة كمادخل لتلتمع عينيها بتحدي وهي تهمس:

-تعود لعدن ها؟؟ تعود لتلك الشمطاء؟؟ انت لم تحزر قحطان.. سنبتعد ياقحطان.. ولكننا سنبقى قريبين لدرجة لن تتوقعها ابداً.

***

عصفت السماء الباريسية بأضواء البرق وهدر الرعد مسابقاً قبل ان تهطل ستارة كثيفة من الأمطار غطت البنايات وتركت الأرصفة كمستنقعات مهجورة بعد اعتكاف البشر بيوتهم هرباً منها..

وحده لم يأبه بالمطر المنهمر عليه بلاتوقف بقي هناك يحدق بالسماء وكأنها ستحمل له رسالة منها تطمئنه وتهدئ من روع شوقه اليها!!

تنهد بعمق ومسح بكفه ماء المطر الذي اغرق ملامح وجهه قبل أن يعود الى سيارته بخطى متثاقلة لم تهمه برودتها المثلجة فتح سترته

الجلدية وأخرج شالها الذي لايزال عابقاً برائحتها الغريبة.. مزيج من أنثى وطفلة ارتدت ثوب زفافها قبل الأوان..

كان يجب أن يعود قبل أن يكتشف السلطان غيابه ويتهمه بالاهمال كالعادة في هذه الأيام.. يجب أن يعود ليرابط الى جوار الفتى الذي هدم حياته.

وجد عمته تجلس الى جوار ابنها بحالة يرثى لها..

-عمتي..

هزها برفق لتنتفض معتدلة بذعر..

-هل اصاب عزيز مكروه؟؟

-لا عمتي ولكن الوقت تأخر ويجب أن تعودي للمنزل..

قالها مطمئناً لتمسد عنقها بعد ليلة أخرى من الأرق.. وأرسلت عينيها لنظرة اطمئنان أخيرة على ولدها النائم بعمق تحت تأثير المسكنات عبر الزجاج الفاصل..تقدمت لتدخل الى حجرة العناية وارتدت ثوباً خاصاً وقفازات كي تودعه اقتربت منه ولامست خصلات شعره الفاحمة بحنان قبل أن تتنشق دموعها بأسى.. وتهمس له ببضع كلمات تعرف انها لن تصله..

راقب سيف عمته تغادر الى حيث تنتظرها سيارتها أسفل مبنى المستشفى الضخم حيث يرقد عبدالعزيز..تنهد وعاد يجلس على مقعد امام الباب كما اعتاد.. والده مصر لبقاء أحدهم للاعتناء بعبدالعزيز رغم رفض مسؤولي المستشفى في البداية ولكن النقود كالعادة تفعل المعجزات.. وكأنه يعاقبه.. السلطان يعرف الكثير وهو ليس غبياً كي لايدرك أن والده يشك بأمره.. ولكن مامدى مايعرفه؟؟!! أخرج سيجارته وتجاهل بعجرفة نرة زاجرة من احدى ممرضات المكان وبدأ يدخنها بشراهة محاولاً الابتعاد بفكره عن تلك التي احتلته بلامنازع..

-اننا في مستشفى ياسيـف..

سمع صوت السلطان خلفه لينفث نفساً طويلاً قبل ان ينهض مواجهاً أبيه:

-اننا ندفع لهم الكثير ليغضوا الطرف عني ابي.. لاتقلق.

-كنت عند الطبيب لتوي.. قال بأن عبدالعزيز يتحسن واستجابته العصبية تصبح أقوى.

-هذا خبر جيد..

-متى تنوي الذهاب خلف الرجل المسؤول عن هذه المأساة بني؟

عقد سيف حاجبيه ولم يعلق بينما والده يقول بهدوء:

-ابدأ اجراءات السفر كيف تكون هناك خلال ايام.. أريد ابن العزب ياسيف.. أريده ليدفع ثمن مافعله بعبد العزيز.

ابتلع سيف ريقه.. وبحركة عصبية أطفأ سيجارته:

-أخبرتك أبي.. قحطان العزب فعل مافعل بسبب عبدالعزيز.. لقد تعدى على زوجته وحاول ان يأخذها منه..!! فكر لو كنت أنت مكانه أو أنا؟؟ ألم تكن هذه لتكون ردة فعلنا بالضبط؟؟

نظر له والده مطولاً قبل ان يبتسم بسخرية:

-الفتاة كماأعلم كانت عشيقة ابن عمك؟؟ أليس هذا من حقه؟؟

-لم تكن عشيقته..

صاح باستنكار.. يدور في الممر الضيق وعيناه تشعان بالغضب:

-عبدالعزيز كان يحاول خطبتها وقد طرده أبيها شر طرده.. أنت الأخر لم تكن لتوافق على زواجهما ابي فلم تهتم الان؟؟

-أهتم لأن ابن عمك كاد يموت بسبب مافعله ذاك المجرم.

-بل بسبب غباءه..

هتف سيف بسخط.. وأكمل:

-يذهب لمواجهة كان يريد امرأته؟؟ ماذا توقع أن يأخذه بالأحضان؟؟

ثم اقترب من أبيه وهمس بشراسة:

-لو كنت أنا لكنت قتلته دون أن أفكر ياأبي.

تراجع السلطان ناظراً لولده بحذر:

-فلنحمدالله انك لم تكن أنت سيف.. والأن لاتخرج عن الموضوع..

مهماكانت الأسباب فذاك العزب يجب أن يدفع الثمن بالدم ياولد..

مسح سيف وجهه بكلاكفيه وهمس بسخرية:

-لم أشعر أن سبب العداوة بين العائلتين تافه كهذا الأمر ياسلطان.

-لاتنبش الماضي ياسيف.. هناك أمور من الافضل لو تبقى طي الكتمان.

نظر له سيف بمرارة.. الهوة بينه وبين سلمى تتعمق دون ارادة منه..

تملئها النيران والحقد والكراهية.. وهو لايملك سوى أن يؤججها

أكثر..رغماً عنه وبيديه سيضع الحطب ويراقبها تستعر.. وهو واثق

انه من سيحترق قبل أي شخص أخر.

***

انطلقت سيارة الاسعاف المحملة بحسن الى المدينة واغلق قحطان

الخط مع أخيه علي يطالبه بلقاء حسن على بوابة المشفى وابقاء

رجلين معه للحراسة.. وعاد بخطى سريعة نحو الديوان حيث جلس

جده مع عمه في حين اختفى فراس لحسن حظه ..

-هل غادروا؟

-نعم ياشيخ.. لقد تحدثت مع علي وسيهتم به لاتقلق.

-بارك اللّه فيك ياولدي..

ثم التفت لولده وهمس:

-ألاتنوي ان تعقل ولدك ليعيد سلمى اليه..

تدخل قحطان بغضب قبل ان يبدأ عمه بالكلام:

-لن أقبل أبداً بعودتها لذلك الفتى ياجدي.. شقيقتي سأزوجها برجل ونعم الرجال حالماتنتهي عدتها..

نظر له جده بحدة بينما خفض عمه عينيه بحرج وقهر.. ليعاود قحطان بشدة:

-لم يكن فراس وللأسف بالشخص المناسب لسلمى جدي.. ولن أآمنه عليها ولو بعد حين ..

-انت محق بني..

همس عمه بتردد وضعف قبل ان يقول بأسى:

-ابني.. ابني لايستحق فتاة كسلمى تستحق زينة الشباب..

تراجع الجد بحزن بينما تحرك قحطان بعصبية نحو الباب وهو يدمدم:

-سأذهب لأجهز نفسي للانطلاق أنا الأخر..

قطع الطريق لجناحه بخطوات سريعة وحالمادخل هاجمته رائحته الرائعة لتؤجج نيرانه.. تجاهلها بقسوة وهو يتجه من فوره لغرفة نومه حيث تسمر باندهاش.. كانت حقيبته موضوعة على الفراش فيما ارتصت ملابسه كلها خارجها.. مالذي تعنينه سيادة؟؟ فكر بحنق..

-سيـــــــادة!!..

صاح بعلو صوته.. ولكن لم يرد أحد؟؟ فتش عنها بسرعة ولكن جناحه كان فارغاً.. انتفخت أوداجه وهو يناظر ساعته يجب ان يتحرك خلال نصف ساعة والا فإن صلاة المغرب ستفوته في عدن وهو لم يفعلها قط في عمره.. لذا فقد شتم بصمت وكاد يبدأ ملئ الحقيبة بنفسه حين سمع صوت الطرقات على الباب..

اتجه يفتحه زافراً بضيق.. ليجد الجوهرة تنظر له بتوتر:

-الان ليس بوقت مناسب ياجوهرة.

قالها بعنف.. لتتراجع بذعر وهي ترى كمية الغضب في عينيه الا انها ابتلعت ريقها بصعوبة وهمست:

-أمي تريدك في جناحها.. انها تقول ان الامر عاجل للغاية.

توجس قلبه قلقاً قبل ان يفتح بابه على مصراعيه ويقول لها بتوتر:

-اذا ادخلي ورتبي اغراضي في الحقيبة اللعينة على الفراش ريثما ارى والدتي.

اومأت مستجيبة قبل ان تسأله بحيرة:

-اين سيادة قحطان؟؟

-وماأدراني أين تكون؟؟ فكمايبدو انا أخر من يعلم.

هدر بعنف قبل ان يغيب عن عينيها المذعورتين خلف أحد الأبواب.. في طريقه لجناح والدته الذي تتقاسمه مع الجوهرة .. وهناك كانت أمه تجلس مراقبة احدى فتيات البلدة الصغيرات وهي ترتب حقيبة ضخمة.. راقبها قحطان بتساؤل لتنظر له امه بعتب ظاهر.. استنكار تجاهله قحطان بذكاء لترد بصوت مكتوم:

-سأذهب معك لعدن.. اشتقت لأخويك.

-أماااااه..

همس بتعب..لتقاطعه بحدة:

-لاتقلق بني لن أزعجك ببقائي برفقتك انت وتلك السنيورة.. انا سأبقى لدى رعاد وغزل .. سأخذ سلمى معي.. اريدها ان تبتعد عن الدار وخصوصاً ان ذلك المسوخ هنا.

نظر قحطان لوالدته باندهاش.. سنيورة.. !! ضحك بسخرية.. رباااه فوالدته لن تسامحه قط على عدم الوقوف معها ضد سيادة ..

اقترب يمسك كفيها بين يديه وقبلهما بحنو:

-انت لاتزعجيني ابداً اماه.. بالعكس. ولكن سفري لن يكون لداعي المرح او الترفيه.. انا سأذهب في عمل وحتى سيادة لن ترافقني.

-لايهمني أمرك وزوجتك.. انا سأذهب لزيارة أخويك.. رعاد وعلي.. فقط.

قالتها وهي تسحب يديها من قبضته..بغضب حقيقي.. ليزفر بتعب..

ماذا يقول لها؟؟ هل يؤنبها على زيارة ولديها في موسم امتحاناتهما؟؟؟

ولكنها محقة.. سلمى تحتاج للابتعاد..

لذا تراجع عن معارضتها وهمس لها:

-حاضر ياأم قحطان.. كوني جاهزة خلال نصف ساعة.. لانريد التأخر.

-انا وسلمى جاهزتين ..

قالتها بحدة قاطعة.. فاومأ بتفهم قبل ان ينصرف ليبلغ جده.. وعقله يفكر اين ستكون سنيورته المجنونة كمالقبتها أمه.. وأين تختبئ منه؟؟؟ لقد تجاوز الأمر قدرته على فهمها.. على فهم النساء كلهم..

مالذي جناه من الزواج بهذه المرأة سوى الجنون.. ربماكان الابتعاد هو الحل الصحيح على كل حال..

زفر بضيق واتخذ قراره بعدم البحث هي جنت على نفسها فلتتحمل عبئ قراراتها بنفسها اذاً..

سرعان ماكان يضع حقيبته اليتيمة وحقائب أمه وشقيقته في سيارته الكبيرة.. وبعد أن اطمئن لصعودهما ذهب ليودع جده وهناك قال لعمه سالم بحدة بعيداً عن أسماع الشيخ:

-اسمعني ياعمي.. أبلغ ابنتك أنها وبعد أن تعود لعقلها عليها أن تفكر ملياً بمافعلته.. وأنني لن أتساهل معها بعد اليوم أبداً.. ومافعلته سابقاً كله في كوم ومافعلته اليوم في كوم أخر تماماً.

-مالذي حدث؟؟

تسائل عمه بشحوب ليجيبه بحنق:

-سـلها..حين تقرر الخروج من مخبئها.

اتسعت عينا عمه بدهشة بينما ترك قحطان الديوان الى السيارة حيث تنتظره أمه وأخته.. تابعه سالم ببصره وهو يفكر بينه وبين نفسه.. مالذي تنوين عليه يابنتي؟؟

كانت تنتوي على الكثير.. الكثير يدور في عقلها الصغير.. فقط عليها ان تسيطر على نفسها وحزنها البائس أولاً عليها أن تلملم نفسها المبعثرة وتنهض لتعود سيادة العزب كماكانت قبل ان تسقط بين قدمي ذلك الشيخ التي امتزجت روحه بالصحراء فباتت قاحلة جربة مثلها.. عليها ان تنهض كعنقاء.. وتفرد جناحيها قبل أن تحلق اليه وتستعيد ماهو حقها.. بداخل ذلك الرجل الجامد كان رجلاً أخر.. سقطت أقنعته حين فقد ذاكرته ونسي من تكون ومايظنها قد فعلت.. رجل اعطاها الكثير من روحه.. اعطاها الحياة.. أعطاها طفله.. وزرعه بين حشاها..

عليها أن تعيد ذلك القحطان اليها.. عليها ان تعيد اليه نظرته الوالهة نحوها.. مشاعره الثائرة وحنانه الذي افتقدته بجنون..

ابتعدت عن النافذة وقد غابت السيارة التي تابعتها منذ اشتعال محركها وحتى غابت في المدى.. تراجعت الى وسط الغرفة التي التجأت اليها.. غرفة الاخوين القديمة.. والتي لم يعد يدخلها أحد..

جلست على الفراش وهي تضم ركبتيها اليها وتفكر بالقادم.. عليها ان تنفذ مااعزمت عليه.. والا فأنها ستخسر كل شيئ وأول ماستخسره هو نفسها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)!!

***

بعد .. أسبـــوع..

سمع طرقات خافتة على باب حجرته فاكمل اغلاق أزرار قميصه وتوجه لفتح الباب لتتألق عيناه وهو يرى ابتسامة شقيقته التي رغم ظروفها العصيبة لاتزال ابتسامتها تضيئ الكون حول الجميع..

-صباح الخير دكتور.. هل لي بكلمة قبل خروجك؟

أفسح لها الطريق برحابة لتدخل وهو يقول باهتمام:

-تفضلي سلمى.. هل حدث شيئ؟؟ هل ينقصك وأمي شيئ من السوق؟؟

-لا لا.. ابداً لاتقلق سوف نعد لك اليوم وليمة للغداء..

ضحك علي وربت على بطنه والتي ازداد حجمها بصورة واضحة منذ مجيئ أمه وأخته الى عدن قبل اسبوع فكل ماكان يشتهيه من الاطعمة كانت تقدم اليه وزيادة ولاسبيل للاعتراض او الرفض عند والدته وشقيقته سيأكل رغم أنفه:

-انا متخم بالفعل منذ الان ياسلمى..

ابتسمت بسعادة قبل ان يتجهم وجهها وتهمس:

-انها امي ياعلي..

عقد حاجبيه بقلق وتسائل:

-مابها أمي.. هل تشكو من شيئ؟؟

-المشكلة انها لاتشكو.. منذ فترة كمايبدو هي تعاني الصداع المستمر وشهيتها شبه معدومة الا ترى كم خسرت من وزنها لم اصدق حين رأيتها عند عودتي والان اعرف فهي لاتأكل سوى وجبة واحدة ان فعلت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) كماانها تسهر الليل تتألم من الصداع دون ان تشتكي..

تنهد علي واقترب يطمئن شقيقته وهو يربت على كتفها:

-لاتقلقي ياسلمى سأخذها هذا اليوم لعمل فحص شامل رغماً عنها وسنطمئن عنها بالتأكيد.

-نعم ياعلي.. ارجوك..

-لاتقلقي.. دعينا الان نخرج اليها ولن نقبل ب لا كجواب اتفهمين..

اتسعت ابتسامتها واومأت له بمرح ليبتسم لها بحنان يخفي قلقه على أمه.. التي اهملها فعلاً وسط كل مامر عليه.. وبعد الحاح عنيف من الاثنين وافقت على الذهاب معه الى المشفـــى.. حيث كان يذهب يومياً لمتابعة حالة حسن وتقدمه بعد الجراحة المبدأية التي أجريت له.. محاولاً تناسي ماحدث مع نادين وماكان يريده منها يوسف الشهري وزوجته.. منذ ذاك اليوم هو لم يسمع عنها او يحاول البحث..

كان يقيد نفسه بقوة واصرار على عدم الضعف..ووجود عائلته الى جواره ساعده بشكل كبير..

حال وصوله الى المستشفى أخذ والدته لاجراء الفحوص.. وغمغم لسلمى:

-ستبقيان هنا لبعض الوقت سأذهب لرؤية حسن واعود..

اومأت له بفهم.. بينما قبل رأس والدته واستأذن منها قبل انصرافه لتجلس سلمى الى جوار امها بينما ذهو هو في طريقه الى غرف المرضى وفي الممر التقاها..

-صباح الخير ترنيم..

قالها بتوتر لتبتسم باقتضاب وتهز رأسها بتحية صامتة وتسائلت:

-مالذي جاء بك مبكراً هكذا؟؟

-أحضرت والدتي لعمل بعض الفحوص..تركتها في المختبر الطبي..

عقدت حاجبيها قبل ان يتركها ويمضي في طريقه لتتردد قليلاً قبل ان يغلبها فضولها وتتجه الى المختبر..

رفرفت سلمى بنقابها بضيق لتزجرها أمها:

-تحشمي يافتاة..

لم تكن تنوي ان تقول لأمها انها لم تعتد النقاب بعد خلعها له في فرنسا لفترة.. وجائت الفتاة التي ستأخذ منها عينة الدم مبتسمة لتتراجع سلمى بخوف وهي تنظر الى المحقن بيدها وهمست لأمها:

-لاتخافي امي.. انا لجوارك..

مطت هدية شفتيها وهتفت بسخرية:

-انا من يخاف؟! انظري لنفسك.. عن نفسي فقد أنجبت ست مرات ولااخشى الحقن يادلوعة..

قلبت سلمى شفتيها بحنق.. قبل ان تسمع من خلفها صوت رقيقي يهمس:

-أنتم عائلة د.علي العزب؟!

التفتتا معاً للفتاة التي وقفت مترددة وعلامات الخجل على وجهها الناعم الخالي من المساحيق والمحاط بطرحة ملونة مشرقة والبالطو الابيض الذي يشير لعلاقتها بالطب من ناحية او أخرى..

-نعم نحن.. من أنت؟!

هتفت سلمى بانشراح وفضول لتبتسم الفتاة بحياء:

-انا ترنيم الراجي.. طالبة طب ود.علي صديق أخي..

رأت سلمى امها تنهض متسائلة:

-من عائلة الراجي الساحلية؟؟

اومأت ترنيم لتنفرج اسارير هدية وتقترب معانقة الفتاة وهي تهتف:

-مرحباً بك يابنتي.. عائلتك والنعم من افضل العائلات واكرمها..

والدتي تقرب من عائلة الراجي.. ولكنها بعد زواجها من أل العزب لم تعد الى الساحل قط ونحن بعدها لم نفعل..

ابتسمت ترنيم بفرحة وهي تستقبل الترحيب من المرأة الاكبر سناً بقلب خافق.. ورأت الفتاة الأصغر تنهض هي الاخرى وتسلم عليها بحرارة والام تقول بسعادة:

-هذه سلمى ابنتي..

-مرحباً بك..

قالتها سلمى بخجل لتبتسم ترنيم اكثر وتعانقها بمحبة صافية وجدتها تتسلل الى قلبها نحوها وهي تقول:

-مرحباً بكما.. قابلت د.علي في الممر وقال انكما هنا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-هل قال لك علي ان تبقي معنا؟؟

قاطعتها امه بسرعة ليحتقن وجهها وارادت ان تسرع لنفي الامر لولا ان اضافت امه بفرح:

-بارك اللّه فيك بنيتي.. فأنا وابنتي لانفقه شيئاَ.. ويبدو ان علي قرر تركنا بأيدٍ أمينة..

-بالطبع.. ياخالة..

قالتها بتردد واضطراب لتتسع ابتسامة هدية وتجلس مشيرة لترنيم ان تجلس الى جوارها وسلمى تناظرها بتعجب قبل ان تميل لها خفية وتسألها بغيظ:

-مالذي تنوينه ياام قحطان؟؟

قرصتها امها بقسوة على ذراعها جعلتها تتأوه مبتلعة لسانها بينما المرضة تسحب عينة الدم وهدية منشغلة بفتح تحقيق طويل مع ترنيم الراجي..؟؟

وهناك.. في الطابقة الخامس من المشفى كان علي يغادر غرفة حسن مع اختصاصي الجراحة الذي كان يشرح له وضع حسن بالتفصيل:

-تحتاج الذراع لجراحة تجميلية ستستغرق الكثير من الوقت والمعدات وتعرف اننا هنا لانمتلكها ولذا سيكون عليكم ارساله للخارج.. ولكن اخبرني مالذي حطمها بتلك الطريقة؟؟

تنحنح علي وهمس بتجهم:

-لقد وقع عليه حائط صلب(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

عقد الطبيب حاجبيه باستنكار ليشيح علي بوجهه متسائلاً:

-هل تعتقد انها ستعود لطبيعتها؟؟

-لاأعتقد بصراحة وخصوصاً حركة الاعصابة الدقيقة ولكن على الاقل سيعود لها شكلاً انسانياً..

اومأ له علي متشكراً لينصرف الطبيب بينما استدار علي عائداً الى المختبر حيث والدته ليجد يوسف الشهري أمامه..

توقف للحظة ينظر لابتسامة يوسف المرحبة:

-السلام عليكم .. كيف حالك يا د.علي؟؟

-وعليكم السلام والرحمة د.يوسف كيف حالك أنت؟؟ ومأأخبارك؟؟

قالها متوتراً يحارب تساؤلاً يكاد يقفز من بين شفتيه ويسيطر عليه غصباً..

-بألف خير.. انا أجهز نفسي للعودة الى ألمانيا مع العائلة..خلال يومين على الأكثر.

توترت عينا علي وهم بالقاء السؤال الذي يحجمه ليفاجئه يوسف:

-شكراً لتعبك باحضار نادين لمقابلة زوجتي.. لن أنسى لك مافعلت ابداً.. لقد التم شملهما أخيراً والحمدللّه.

عقد علي حاجبيه وتسائل بخشونة:

-ماذا تعني بالتم شملهما؟؟ عمن تتحدث دكتور؟؟

-عن همس زوجتي ونادين ..

قالها ببساطة ليعلو الاستغراب والتساؤل نافذ الصبر على ملامح علي فيضحك يوسف ويوضح:

-أتصدق انهما شقيقتين.. تفرقتا منذ طفولتهما وبسببك انت عادتا معاً..

جحظت عينا علي بذهول للحظة قبل ان يتفجر في عينيه استنكار محتقن بالغضب وهو يصرخ:

-ماهذا الهراء الذي تقوله أتظنني غبي لأصدق ؟؟

رفع يوسف حاجبيه للانفجار المفاجئ واكتست ملامحه بالبرود الاوروبي الشهير وهو يواجه غضب علي غير المبرر بنظره:

-ومالذي يدعوني لأكذب عليك؟؟ تفكيرك وحده من يحدد كونك غبيٌ ام لا دكتور.

احتقن وجه علي بالحرج وهو يعي من يكلم.. تراجع وهمس:

-انا اعتذر.. ولكن.. الامر مستحيل..انا لاافهم اشرح لي..

زم يوسف شفتيه بضيق وغمغم بقطعية:

-أســف ياعلي.. انها أمور عائلية وليس لي الحق بسردها لأحد خارج العائلة..والان اعذرني.

تراجع علي بصدمة مراقباً ظهر يوسف وقامته الضخمة تسرع بالابتعاد..

مالذي يحدث هنا؟؟ كيف تكون زوجة يوسف الشهري شقيقة نادين؟؟ وكيف عرف هو ذلك؟؟ اذن ماقالته له تلك المرأة قبل مماتها حقيقي لابد ان زوجة يوسف هي الطفلة الاخرى اذاً؟؟!!

انتابته الحيرة..وشيئ من القلق والخوف.. لعبارة قالها يوسف بعفوية..

"مسافر مع العائلة"

عائلته المكونة من زوجته(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وشقيقتها التي لم يعد لها أحد في هذه الدنيا بعد وفاة أمها المزعومة؟؟

نادي____ن سترحل؟؟

نادين ستتركه الى الأبد..؟؟؟!!

***

هذا اليوم يختار قلبي عني.. يمسك زمام أموري ويتحكم بأفعالي ورادات الفعل..

ولكن جحودك يوماً ما سيوقظ الثورة في أعماقي.. وسَ أمسك زمام نفسي.. وسَ أختارني أنا..

وأتخلى عنك أنت!!..

***

هذا العمل يحتاج لأعصاب حديدة.. نظر لأكرم بعينين شبه مغمضتين من الارهاق..يومين كاملين لمراجعة الاوراق التي جاء بها وذلك لمعرفة خطوات غسيل الاموال وكذلك مدى تشعب العمليات القذرة التي كان يقوم بها حسن لصالح تلك المنظمة الحقيرة..

-هل انتهينا؟؟

تنهد أكرم بارهاق ومسد عنقه وهو يقول:

-تقريباً.. سأذهب الليلة لرؤية حسن حيث اريد منه كلمة السر لولوج بريده الاليكتروني وكذلك ارصدة البنوك..هل سترافقني؟

-بالطبع لااعتقد انه سيعترض الان وكل أوراقه قد كشفت؟

-بإذن اللّه.. اذاً نلتقي هناك بعد صلاة العشاء ان شاءاللّه..

-حسناً.. اذهب لتنل قسطاً من الراحة لقد أتعبتك معي.

ابتسم أكرم بارهاق ونظر اليه:

-انت ايضاً تعبت مثلي قحطان.. من ينظر اليك يعرف ان الايام الماضية كانت مرهقة للعظم.

ابتسم قحطان بسخرية.. بالطبع هو مرهق.. يرفض العودة لشقته لاوقات عديدة ويفضل تناول الوجبات السريعة بدل الحصول على وجبة جيدة ووسادة ناعمة.. حتى لايضطر لسماع النصائح المتكررة من والدته والتي تدور كلها حول ايجاد زوجة جيدة تعوضه فشله الاول..

فشـــله الأول..

..زفر بسخرية.. وودع صديقه حتى الباب..

نظر لساعة الحائط التي اشارت للثالثة بعد الظهر.. انهما هنا منذ مساء أمس.. استرقا بعض لحظات للنوم بالتناوب على الاريكة وقضيا باقي الليلة في انهاء الاوراق والبحث ..

دعك عينيه بقوة.. يريد العودة للمنزل واخذ حمام طويل والنوم حتى اليوم التالي.. ابتسم بسخرية.. محال.. لم يعد للنوم طعم بعد

أن(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)؟؟

حرك رأسه بعنف والتقط سترته وبادر بالمغادرة حين تسمر امام الباب وحاجبيه يرتفعان باندهاش..

-ماذا تفعلين هنا؟؟

تلعثمت حروفها..وعينيها ترقبانه بوله لم تقدر على اخفاءه.. ليس من العيب ان تقع لهكذا رجل .. خُلق لتقع فيه كل النساء..رجل بمعنى الكلمة..

-أحضرت لك الغداء..

همست بتردد.. ورأت عيناه تضيقان بتساؤل لتضيف بصوت مخطوف:

-لقد اتصلت في الصباح وأخبرني السيد أكرم انكما لازلتما في العمل رغم ان اليوم هو السبت.. عرفت انكما قد تتأخرا ويفوتكما الغداء فجئتكم به.

نظر قحطان للسلة التي تحملها وغمغم بخشونة:

-لم يكن هناك داعٍ..

رفعت رأسها وهمست بابتسامة خجولة:

-على العكس..

وقبل ان يضيف شيئاً كانت ترتب طاولة في ركن قصي وترص عليها ماجلبته من اطباق.. كان جائعاً ولن ينكر.. تقدم ليجلس بعد ان

غسل يديه.. ورفع حاجبيه باندهاش وهو يرى الاطباق المتنوعة التي احضرتها والمرتبة بشكل متناسق.. الطعام كان يبدو لذيذاً للغاية.. الارز بالوان شهية واللحم ذو الرائحة الزكية.. السلطات التي لم يرها قبلاً؟؟

-انت طبختي كل هذا؟؟

-اقسم انه كله من صنع يدي..

سارعت للقول فضحك..وهمس:

-لاداعي للقسم ياأميرة..

-اذاً لما لاتتذوق طعامي..

نظر للطعام الشهي وابتسم وهو يتناول ملعقة ليتذوق .. لاينكر انه جائع.. فكر.. وفمه يلوك اللقمة بصعوبة.. غص بها بطريقة عجيبة.. وابتلعها بعد مشقة ..

سمعته يسعل رأته يضع ملعقته.. ويبتعد بمقعده وهو يحمد اللّه!!

نظرت له مصعوقة.. ليقول لها بخشونة وعيناه بعيدتان:

-يبدو انني لم اعد استسيغ الطهي الا محروقاً وناشفاً ياأميرة..

اعذريني..

تابعته بذهول.. وهو يلتقط كشيدته ويسرع مغادراً المكان ..

جلست على المقعد الذي كان يجلس عليه قبل قليل وناظرت طعامها الذي كانت تعده منذ الصباح فقط لأجله.. والذي قبع يناظرها بسخرية.. ضاحكاً من سخافتها وتهورها ..مضى بعض الوقت وهي تفكر شاردة بماحدث حين رن هاتفه المحمول الموضوع على طاولة الى جوارها..

لقد نسيه!!..

رأت الرقم الذي يحمل اسم سلمى العزب وعقدت حاجبيها..

ربماشقيقته؟؟

فتحت المكالمة بأصابع ترتجف:

-مساء الخير..

-السلام عليكم.. من معي؟؟

سمعت الصوت لامرأة ما فأخذت نفساً قبل ان تهمس بصعوبة:

-وعليكم السلام.. انا اميرة مساعدة السيد قحطان وهو قد نسي هاتفه في المكتب..

-انا والدته ياابنتي.. انا وشقيقته على باب المكتب الخارجي وكنا نريد ان نلقاه..

نهضت بسرعة وتوجهت الى الباب الخارجي كانت المرأتان واقفتان بالفعل فاغلقت الخط وتقدمت لهما بابتسامة مضطربة:

-انا اسفة حقاً,, لقد نزل منذ بضع لحظات الم تلتقوه..؟؟

-لا لقد وصلنا للتو..

قالتها سلمى وهي تنظر للفتاة الجميلة جداً والتي وقفت امامهما بارتباك..

اشارت لهما بالدخول هامسة:

-لقد نزل مسرعاً ونسي هاتفه..

-لقد اتفقنا ان نلقاه هنا.. فسنعود معه الى المنزل اليوم..

قالتها هدية بحنق.. قبل ان تدخل الى المكتب وتنظر بدهشة الى الطعام المتروك:

-هل تناول غدائه هنا؟؟

علت الخيبة ملامح أميرة وهمست دون ان تفكر:

-لم يذق سوى لقمة.. يقول انه اعتاد الطعام المحروق..

نظرت لها هدية بدهشة وقد تخضب وجهها بالاحمر القاني وعلت ضحكات سلمى المرحة هاتفة:

-ياالله.. يبدو ان البعد والشوق يلعبان بعقل أخي هذه الايام.. اين ذهب بالمناسبة؟؟

-سلمى(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

زجرتها أمها بغضب فكتمت سلمى ضحكاتها وهدية تنظر لوجه الفتاة المحتقن والدموع التي تلألأت في عينيها وهي تكاد تقسم بوجود خطب ما.. ويبدو انها ستتدخل..

-منذ متى تعملين لدى ولدي؟؟

-منذ فترة قصيرة فقط..

-وكيف يعاملك؟؟

ارتسمت ابتسامة على شفتي اميرة وهي تهمس:

-انه رائع..

نظرت لها هدية بدهشة امتزجت بالخبث لتتلعثم الفتاة وتضيف باضطراب وهي تلملم الطعام:

-اعني في العمل.. انه كريم ومحترم وهادئ للغاية.. يدير كل شيئ بكفائة.

راقبتها سلمى بتوتر وهي تفكر مارأي سيادة بماتقوله هذه المرأة..

ووجدت نفسها تقبض على سلسالها والخاتم المعلق به بقوة.. لاتعرف

لماشعرت بشيئ يمر عبر طيات قفصها الصدري وكأن تلك المرأة تغازل حبيبها هي.. رباااه.. هل يعقل ان تكون الغيرة موجعة هكذا..؟؟ ماذا ستكون ردة فعل سيادة ياترى؟؟

-انه قحطان العزب بكل تأكيد يابنتي.. والان اتركي كل هذا وتعالي هنا..

جلست هدية مشيرة للمقعد جوارها والذي تقدمت اليه أميرة بتوجس.. وفعلت سلمى الشيئ ذاته وهي تنظر الى امها بريبة..

مالذي تنوينه ياامي؟؟ فكرت سلمى بحنق..

وهدية تتبادل الكلمات والاسئلة الشخصية جداا مع أميرة.. وسلمى تقتنع اكثر وأكثر بضرورة اعطاء بعض الاخبار لسيادة الغافلة كمايبدو عمايدور حولها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

كان يقود لفترة طويلة.. بعصبية شديدة.. مالذي دهاه..؟؟ لم لم يستسغ الطعام الشهي؟؟ لم لم يرى امامه سوى بعض الارز الناشف والدجاج المحروق..؟؟ كيف له ان يقارن مافعلته اميرة بتلك الكوارث التي كانت تصنعها .. سيـادة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اغمض عينيه بحنق .. تباً لها متى تعتقـــه؟؟؟

يداه تضغطان على المقود بقوة تكاد تمزق جلده الثمين بينما السيارة الضخمة تنهب الطريق نهباً لمكان لايدركه ولكنه يريد من الطريق ان يطول ويطول.. فقط ليفرغ حنقه في دواسة الوقود والمقود البائس بين يديه ..

ماهذا الشوق العارم الذي اعتراه لرؤيتها لضمها بين ذراعيه لمرة فقط..

بعد أيام من البعاد .. لم يمضي الوقت الطويل وهاهو يتوق اليها.. ياله من ضعيف.. بائس.. أحمق..

هو من ضن انه قادر على الابتعاد لسنوات.. شهور.. اسابيع ربما فكر بتخاذل.. هاهو لايطيق الايام!!..

ضغط مكابح السيارة بعنف لتتوقف امام شاطئ مهجور قديم نسيه الناس بسبب كثرة صخوره الحادة.. فتح الباب ونزل الى الحيد الصخري.. كانت الريح القوية تتسبب بتناثر مياه البحر الثائر بعد اصطدامها القوي بالصخور.. لم يأبه للمياه الباردة بل تسمرت نظراته على الصخور التي تتلقى الضربة تلو الاخرى وتبقى ثابتة في مكانها لايزحزحها شيء.. هو كتلك الصخور..

ثابت قوي..

لايزحزحه شيئ..

حتى جائت هي.. ترقبها من بعيد موجة بريئة.. تقترب بتؤدة من الصخور,, لم يعي مدى كبرها ولاقوتها الهادرة حتى أصبحت تحت قدميه.. تراجع بحدة يريد الهروب منها الا انها كانت اكثر قوة وشراسة.. هاجمت الصخور بعنف وتناثرت فوقه ليشعر بعدها بألم حاد يشق وجنته وهو يتراجع يكاد يقع على ظهره لولا بدن سيارته التي استند عليها لاهثاً وهو يكاد يجن من فكرة ان تلك الموجة استهدفته بالتحديد..

تراجع شاتماً بحنق.. ونفض ثيابه المبللة..ليجد حجراً حاداً تعلق بها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) نظر للحجر بدهشة تلتمع عليه بضع حشى حمراء اللون!!..

تباً.. تلك الموجة لابد حركت الحجر وقذفت به في وجهه.. قبض على الحجر بأصابعه بقوة.. وعاد الى سيارته بأعصاب ثائرة تفوق ثورة الموج بمراحل.. لتتوقف عيناه بدهشة على مرآة السيارة الداخلية وهو يطالع خيط رفيع من الدماء ينساب بثقل على خده حيث اصابه الحجر!!..

***

نهض من فراشه بهدوء.. اقترب من صينية الطعام المتروكة على الطاولة قباله بقرف قبل ان يزيح غطاء احد الاطباق بعنف ويرمي محتوياته في سلة المهملات بلاتقدير ليسمع صوت الارتطام بوضوح حينها لمعت عيناه ومد يده يلتقط الكيس البلاستيكي محكم الاغلاق والذي فضه بسرعة ليكشف عن هاتف محمول صغير..

سرعان ماشغله لتمضي بضعة دقائق قبل ان يهتز بيده معلناً ورود اتصال..

فتح حسن الخط وانصت محدثه للحظات قبل ان يهمس بخشونة:

-لقد وقعت مشكلة وقحطان الان يتحكم بكل شيئ.

انصت للحظات بعد وعاد يقول بصوت خفيض وعيناه على الباب:

-لم لاتفهم.. اقول لك انه قحطان ابن عمي.. ان عقليته اقسى من الصخور ولن يتعامل معكم ابداً اتفهم.

ثم اخذ نفساً عميقاً وهمس:

-أخرجني من هنا.. اخرجني وانا سأساعدك على القضاء عليه تماماً والتحكم بالسوق هنا كما اتفقنا قبلاً.

انصت لدقائق قبل ان يومئ برأسه:

-حسناً.. سوف انتظر ولكن لاتتأخر.. ذلك الوغد كما سمعت ينوي انهاء كل مابدأناه..وهو سيفعل مايقول.

قالها واغلق الخط ثم اخفى الهاتف الصغير جيداً في ملابسه وعاد يستلقي على الفراش وعقله يدبر المكائد تلو الاخرى للتخلص من وضعه المزري والانتقام من ابن عمه الذي رماه في هذه الحفرة.. ولكنه على الاقل هنا استطاع الوصول الى هاتف والاتصال بالرجل حلقة الوصل بينه وبين اعضاء عصابته القذرة..

لولا تلك الممرضة التي خدعها لتعطيه هاتفها ليجري اتصالاً واحداً لكان بقي محبوساً هنا ولايعرف حتى متى..

ولكن لقد حان الوقت ليتحرك..

حان الوقت ليذوق الجميع طعم انتقامه..

وبالذات ذاك الوغد .. قحطان العــزب..

***

-الى متى تترددين؟؟

انتفضت نادين وهي تنظر لشقيقتها همس التي ظلت تناديها لفترة قبل ان تهزها من كتفها بقوة تسرقها من شرودها وهي تتأمل المدينة الغارقة في الظلام والتي تبتعد لتصبح مجرد اضواء متراقصة.

-عليكي أن تكوني قوية لقد مررت بماتمرين به الان نادين قبل سنوات رحلت عن هذه المدينة في عتمة الليل كلصة تتسلل هاربة بعد أن نبذتني العائلة الوحيدة التي عرفتها..

لمعت عينا همس بالالم وهي تتذكر تلك الايام التي ظنت أنها قد نسيتها والى الأبد.. ولكنها كانت مخطئة فمأساة شقيقتها تذكرها بها نفسها.. وكأن الايام تعود من جديد..

-أنت كان لديك يوسف..

همست نادين مرتجفة لتبتسم همس وتقترب محتضنة شقيقتها بقوة:

-وأنت لديك انا ويوسف وحتى سارة.. ولاتنسي ليان وسالم..

ابتسمت نادين بتعثر وهي تنظر ليوسف الذي وقف بعيداً برفقة الاطفال الثلاثة.. يحمل سالم بين ذراعيه بينما تتقافز حوله ليان وسارة بشقاوة طفولية غير عادية..

الليلة سيسافرون جميعهم عودة الى ألمانيا.. حيث وعدتها همس بحياة جديدة.. خالية من الظنون والمتاعب..

تنهدت وحملت حقيبة كتفها الخفيفة ومضت مع همس تنضم لعائلتها الجديدة تخفي حزنها ورعبها من القادم خلف ابتسامة ركيكة.. بانتظار سماع نداء الرحلة المنتظرة..

لم تخبر همس بالحقيقة كلها بعد.. لازالت لاتقوى على افشاء اسرارها حتى على شقيقة دمها.. لاتزال بشاعة الحقيقة مختبئة..

لم تحاول همس ان تسألها وان ظهر فضولها في عينيها.. وعيون افراد عائلتها كلهم..وان التزموا الصمت وتفهموا حقيقة ان الحياة التي عاشتها كانت قاسية وكفى..

جلست معهم حول طاولة صغيرة وضع يوسف عليها المشروبات الساخنة وهو يحذر:

-نادين عليكي بشرب الكثير من السوائل الدافئة فرانكفورت باردة للغاية ولانريدك ان تمرضي حال وصولك..

ابتسمت وتناولت الشاي لتشعر بسارة تندس بقربها هامسة انها تريد الذهاب للحمام.. فنهضت تستأذن منهما لأخذها..

-لاتتأخري فموعدنا قريب..

هتفت همس فأومأت لها نادين ومضت تسحب سارة خلفها..

أدخلتها للحمام النسائي وبقيت تنتظر في الاستراحة.. راقبت وجهها عبر المرآة.. رغم الحزن فقد تألقت عينيها الخضراوتين بلمعان شديد.. هل كانت على وشك البكاء؟! لا لا.. لم تشعر برغبة في البكاء.. كانت متحمسة فقط..

ابتلعت ريقها وهي تعدل من حجابها.. خصلات الصبغة الشقراء بدأت بالانحسار عن شعرها.. ليظهر لونه الكستنائي تحتها.. تنهدت ولامست خطوط الارهاق تحت عينيها.. الهالات السوداء التي نقشت محجريها.. عظام وجنتيها البارزتين.. كل هذا سيختفي نادين.. وعدت نفسها بصمت قبل ان تشعر بسار تجذبها من ذراعها:

-نادين هل نمتي؟!

نظرت لها نادين بدهشة قبل ان تبتسم باضطراب:

-لاحبيبتي.. هيابنا.

وقبضت على ذراعها بشدة وهي تتذكر كيف فعل يوسف المستحيل ليحصل على وصاية الفتاة الصغيرة بعد وفاة والدتها وزج والدها السجن بفعل جرائمه.. لولا نفوذ أخيه لمااستطاعوا اخراجها من البلاد حتى..

-ناديـــــــن..

تسمرت مكانها..

كانت تقطع الممر الى منطقة المغادرة حين تصلبت ساقيها بفعل صوته..

مستحيل..

التفتت ببطئ لتجده واقفاً هناك.. ينظر لها بذهول بينما تتراجع سارة للتشبث بعبائتها وتخفي وجهها فيها فهي لم تنسى كل ماارتبطت به ذكر علي في نفسها..

-ماذاتفعل هنا؟؟

همست بشحوب ليقترب بتردد. سؤالها صدمه بقوة؟؟ مالذي يفعله هنا؟؟ لقد أمضى اليومين السابقين يقيد نفسه كي لايبحث عنها..

واليوم في المشفى سمع صدفة فقط ان يوسف الشهري في طريقه للسفر في طيارة الليلة ولم يعرف مافعل حتى وجد نفسه هنا أمامها..

كان يدور حول نفسه في المطار يبحث في الوجوه وهو يصرخ بداخله انها لابد رحلت.. لابد قد طارت بعيداً ولن تعود حتى رأها.. تجر اختها الصغيرة خلفها وتسرع باتجاه صالة المغادرة..

لم يكن ينوي التحدث اليها لم يكن ينوي حتى ان تعرف بوجوده..

ليغادره اسمها دون شعور..

-سترحليـــن؟؟

غمغم بشرود.. عيناه تلتهمان تفاصيلها التي كادت تختفي من فرط نحولها.. تحاشت النظر لعينيه وهمست:

-سأرحل والى الأبد لاتقلق..

ثم أضافت بسخرية:

-لم يكن هناك داعٍ لتأتي وتطمئن بنفسك انا راحلة بالفعل يادكتور.

غص بألم.. لتباعدها الذي جرحه دون سابق انذار..رأى عينيها تلمعان..تهربان منه كي لاتراه..أتكرهه الى هذا الحد؟؟

-لاأريدك أن ترحلي..

همس لتنظر له بصدمة.. فاغلق عينيه بشدة وهو يواصل بلاتفكير:

-لايجب ان تتركي كل شيء وترحلي هكذا..

شعرت بالمرارة.. بالحنق.. بحقد يملئ قلبها فصرخت دون ان تخفض صوتها:

-لم يعد لي شيئ هنا لأتركه.. كل ماهو لي كان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وحبست ال " أنت " اللتي كادت تغادر شفتيها بقهر واستدارت بألم هامسة:

-كل ماامللكه هو معي يادكتور.. لم أترك شيء خلفي فاطمئن.

نظر لظهرها المشدود بتحفز واقترب متسائلاً:

-هل أنت متأكدة؟؟

استدارت تنظر له باستغراب.. كلماته الغريبة ونظراته الأغرب:

-مالذي تريده مني بعد ياعلي؟؟ ألم يكفك كل مافعلته؟

رفع حاجبيه بتأثر وهو يسمع اسمه منها.. ياالله كم اشتاق لنبرتها المدللة وهي تناديه.. بكل ذلك الغنج .. سيدفع عمره فقط ليسمعها تناديه مرة اخرى بتلك الطريقة.. ولكن.. نبرتها هذه المرة كانت مشروخة..

دامعة تحمل من الألم والدموع اكثر مماتحمل من الدلال والغنج!!..

مالذي يريده منها؟؟ هو نفسه لايعرف؟؟ لايفهم سر الانجذاب القاتل الذي يعشعش في دمه.. لايكاد يستطيع الخلاص منه؟؟

-لااعرف..

همس بضياع ليظهر الالم في عينيها والذي سرعان ماتمالكته وهي تسمع النداء لطائرتها.. تراجعت وهي تقول ساخرة:

-لاداعي لأن تعرف يادكتور.. لقد انتهى الامر.. وانتهى مابيننا أوماظنناه بيننا..أرجوك ..أرجوك اتركني بسلام.

وقبل ان تنتظر منه الرد كانت تشق طريقها باتجاه بوابات المغادرة..

تخفي دموعها التي تجمعت في عينيها وهي تلتقي بشقيقتها وزوجها وترافقهم الى الحافلة الخاصة لنقل الركاب..

كان قلبها يخفق بجنون.. تشبثت بيد سارة وهمس بقوة..

كانت المرة الاولى لها على متن طائرة.. لم تشعر بالخوف من الطيران.. بقدر خوفها من ساقيها اللتان كانتا ترتجفان بقوة مهددتان بالنهوض والركض اليه..

تبـاً.. تباً..

شهقت بخفوت وهي تشيح عن العائلة المرحة الى جوارها لتنظر عبر النافذة الصغيرة لأضواء الفجر المتلألأ تخفي دمعة رقراقة تسللت عبر اطارها الحازم على وجنتها.. سرعان مامسحتها بقسوة.. فلم يعد الوقت مناسباً ولاحتى كافياً لدموع سبق ان ذاقت مرارتها قبلاً.

بقي لبعض الوقت بعد أن غادرت الطائرة محاولاً استيعاب انها رحلت فعلاً وأنه لن يراها بعد؟!

حبه الأول.. وربما الأخير قد رحل.. لقد أحبها فعلاً.. ربما كان خطئاً فادحاً ربما كانت هي خطيئته الوحيدة ولكنها كانت المرأة التي

أشعلت أولى شرارات النار في قلبه وجعلته يتعرف لأولى خفقاته المجنونة..

أخذ نفساً عميقاً شعر به كحجر ثقيل يجثم على أنفاسه قبل أن يخطو لخارج المطار بخطوات ثقيلة تجر نفسها جراً.. ولايكاد يتحملها.

-المعذرة..

سمع الكلمة المقتضبة من رجل اصطدم به على عجل رفع وجهه اليه ولم يتبين سوى الملامح المتجهمة لرجل لف عنقه بشال من الحرير قبل ان يومئ له علي بلامبالاة ويستمر في طريقه الطويلة كمافكر الى سيارته..

أماالرجل بالشال الحريرية فقد تلفت حوله بحنق ناظراً لساعته التي تشير لتأخر سائقه لنصف ساعة كاملة قبل ان يرى لافتة ورقية بدائية تحمل اسمه والرجل خلفها..

-تأخرت..

زمجر بغضب حقيقي جعل السائق المسكين يرتجف وهو يقول:

-الطائرة موعدها في السادسة.. انا اسف سلطان..

تالق عينا السلطان الشاب بحدة وهو يهتف:

-ووصلنا قبل الموعد.. كان عليك ان تكون هنا قبل الخامسة..اعطني المفاتيح..

ناوله الرجل المفاتيح بتوتر ليأمره:

-عد الى منزلك فلست بحاجة اليك منذ الان..

وقبل ان يترك له حرية الرد كان يرمي حقيبته الوحيدة في المقعد الخلفي ويستقل السيارة ليمضي بها بعيداً..

كان يقود السايرة متجهماً نحو مصير لايدرك نفسه مايخبيه له..

لقد أطاع والده وهاهو الان في بلاده التي لم يزرها منذ سنوات ليست بالقليلة.. لايزال يحتفظ ببعض الذكريات ولكنها كلها لاتساوي شيئاً أمام مهمته القادمة..

فقد قرر ان يطيع والده وينتقم من قحطان العزب لمافعله بابن عمه المدلل.. وبنفس الوقت قرر ان يأخذ الابنة الصغرى لأل العزب له..

وبين تحقيق الاول والثاني.. كان عليه اكتشاف الطريقة المثلى لفعل الاثنين معاً!!..

***

-الى متى تنوين هجره؟؟

أشاحت بوجهها بعيداً وكفها تستريح على بطنها التي نالها انبعاج خفيف لايكاد يلاحظ من سواها بسبب الحمل.. ونظرت الى الصحراء التي تلونت بألوان المساء وحارت بماتجيب الجوهرة؟؟

لقد مر وقت طويل.. تشعر وكأنها لم تره لسنوات.. لاأحد يفهم الشوق الذي تحاربه كل ليلة وهي تستلقي وحيدة على فراشها الضيق بعد ان رفضت البقاء في جناح نومهما.. لم تتصور رائحة وسادته دفئ سريره من دونه الى جوارها.. لااحد يفهم مقدار رغبتها بتواجده الى جوارها كماكان.. يأخذها بين ذراعيه ويهمس لها بصوته الاجش كم أنها دافئة وناعمة.. قبل ان يغرق وجهه في طيات شعرها الاحمر ثم يجرفهما الحب بعيداً..

لاتستطيع انكار شوقها لقوته.. حمايته والامان البالغ الذي تشعره بوجوده قربها.. كم حاولت من مرة تذكر مافعله بها قسوته وجحوده.. اتهاماته الباطلة وتعجرفه ولكن!.

لاشيئ يتبادر الى ذهنها سوى محاسنه التي تغرقها في حبه يوم بعد يوم أكثر وأكثر..

-لاأعرف..أشعربالخوف من مجرد التفكير بالعودة لماكنا عليه ..

-عليكي ان تقرري الابتعاد لفترة طويلة ليس مفيداً لكما سيادة.. أنت حامل ويجب على شقيقي التواجد من أجلك وأجل الطفل.. لايجب ان يبقى بعيداً.

تنهدت بحرقة ومضت تظفر خصلات شعرها التي استطالت بشكل ملفت هامسة:

-لاأستطيع اتخاذ القرار أحيانا أفكر انه هو من يجب أن يأتي.. يجب أن يعود باحثاً عني وليس العكس.

نظرت الجوهرة لماتفعله بشعرها وهتفت بحنق:

-اخبريني كيف يطول شعرك هكذا وانت حامل؟!

رفعت سيادة عينيها لها بدهشة لتصيح:

-كل النساء اللذين اعرفهم يعانون الامرين مع الشعر اثناء الحمل ..

تقصف وتجعد وتساقط بلاحساب وأنت ماشاءالله انظري اليه.

لم تتمالك سيادة نفسها وقهقهت:

-يالك من مجنونة جوجو..

-انا اتكلم بصدق..انظري اليه..مالذي تفعلينه اعترفي؟

حاصرتها بمرح حتى رأت عينيها تتألقان بصدق لتبتهج هاتفة:

-هذا ماأردته.. انظري كيف تبرق عينيكي حين تضحكين.. لايجب علينا ان نقضي العمر كله في البؤس يابنة عمي.

تبدلت النظرات المرحة في عيني سيادة وهمست:

-اتمنى ان نتخلص من كل هذا البؤس حقاً ياجوهرة..

-سنفعل لاتقلقي..والان لاتخرجيني عن الموضوع.

وعادت تزم حاجبيها:

-ماذا تفعلين لشعرك..؟؟

عادت سيادة تضحك وهي تهتف بمرح:

-أقسم انني لاأفعل شيئاً.. ولكن يبدو ان الهرمونات الزائدة تفيد ذوات الشعر الأحمر..

تأملتها الجوهرة بحسرة وهي تمسد شعرها الذي بالكاد عاد لطبيعته بعد مافعله بها زوجها ثم همست:

-اشتقت لسلمى ..

-وأنا ايضاً..لنتصل بها..

والتقطت هاتف الجوهرة مبررة:

-هاتفي فرغت بطاريته..

وضعت الهاتف الصغير جوار اذنها ومضت تنتظرالرد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

"سلمى"..

هدر صوته يبحث عن شقيقته التي تركت هاتفها ومضت لايعرف الى أين.. زفر بضيق لامزاج له لأن يتكلم مع أحد.. لايزال عقله يؤلمه من التفكير المتواصل.. وخصوصاً الان بعد ان عادت أمه وسلمى للمكوث معه في شقته .. بالطبع لم يترك والدته المجال لعتابه على عدم انتظارهما في المكتب كماوعد غافلاً عن ذكر انه نسي امرهمها تماماً ذلك الوقت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

جلس الى الاريكة جوار الهاتف الذي توقف عن الرنين ليعود ويصدح به من جديد..

"سلمـــــــــى"!!..

صاح بنفاذ صبر ولكن لم يجبه أحد.. تأفف بضيق والتقط الهاتف ليرى اسم الجوهرة..

أخذ نفساً عميقاً قبل ان يفتح الاتصال ويلقي السلام باقتضاب..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

شحب وجهها حتى كاد ينافس شحوب الموتى وصوته المظلم يتسلل اليها.. رفعت عينين زائغتين الى الجوهرة التي نظرت لها بقلق..تسارعت أنفاسها ورفعت كفها تغطي شفتيها خوفاً من تسلل شوقها اليه عبر زفراتها قبل أن تغمض عينيها بوله وهي تسمعه يكرر السلام بنفاذ صبر وفتحتهما لامعتين لتسلم الهاتف للجوهرة بحدة غير قادرة على المواصلة أكثر..

وفهمت الجوهرة..التقطت الهاتف وسارعت:

-الو مرحباً..

-مرحبا جوهرة..كيف حالك؟؟

تلقائياً لانت حدته وهو يسمع صوت شقيقته التي اعتذرت منه بسبب عدم الرد بالبداية لتشوش الخطوط.. قبل ان تسأله بسعادة:

-بخير ولله الحمد.. كيف حالك وأمي وسلمى؟؟

-الجميع بخير.. وأنتم؟؟

تعلقت حروف الانتم بشفتيه وهو يحارب الا ينطق اسمها..اغمض عينيه بشدة حين ردت الجوهرة بمكر:

-من أنتم بالضبط أخي؟؟

ابتلع غصة حارب كي لاتصل الى صوته وسيطر على نبراته التي خرجت جافة:

-جدي..جدتي.. الاطفال..من أيضاً؟؟

نظرت الجوهرة لسيادة التي كانت تنظر لها بلهفة قبل أن تقترب وتجلس الى جوارها.. ولم تكذب سيادة خبراً بل الصقت أذنها بالهاتف من الجهة الاخرى والجوهرة ترد:

-ربما زوجتك؟؟ أم هل نسيتها؟؟

نسيـها؟؟!!

خرجت منه تنهيدة طويلة لم يقدر على كبتها.. حارة أشعلتها من رأسها لأخمص قدميها وهي تسمعه يهمس بخشونة:

-كـيف..كيف هي؟؟

حمل صوته شيئ ما..عرف انه يضعف..ضغط على فكه بقوة يلجم نفسه من الانجراف خلف التساؤلات التي تحرقه..

-انها بخير.. اعتقد..

اجابت الجوهرة بغموض جعله يعتدل متسائلاً باهتمام:

-هل هناك شيئ تخفينه عني؟؟ هل فعلت شيئاً؟؟

ابتعدت سيادة عن الجوهرة وهي تحارب كي لاتتساقط دموعها..

شبكت يديها بقوة كي لاتخطف الهاتف وتفضي له بشوقها دون

رادع.. بينما الجوهرة تتسائل باستنكار:

-ومالذي يمكن أن تفعله وهي هنا بيننا ياقحطان؟

اغمض عينيه واستند بظهره الى المقعد وهو يضغط على مابين عينيه

بقوة أشعرته بالألم:

-أنا قصدت فقط ان ارتكبت حماقة واذت نفسها؟؟

-لاتقلق أخي.. زوجتك تبدو في أفضل حالاتها صدقني.

قالتها الجوهرة ضاحة وهي تتأمل سيادة التي وقفت شاردة أمام

النافذة وسمعت تمتمة خفيضة من شقيقها جعلتها تدرك انه يكاد

يفقد أعصابه وهو يزمجر:

-مالذي يعنيه هذا بالضبط؟؟

-ماذا؟؟ كماتعرف الحمل يضفي عليها شيئاً غريباً.. يجعلها اكثر بهاءاً..

كم أنها قد ازدادت وزناً وتبدوا أكثر صحة.

اختنقت أنفاسه وهو يرسم بعين خياله ماكانت تصفه شقيقته

بالضبط.. مالذي قالته له؟؟

"الابتعاد علاج لعلاقتنا المسمومة"

يبدو انها تستفيد من العلاج بشكل كبير..

تخيلها وقد ازداد وزنها وغمرت وجهها الشاحب تلك الألوان التي أسرته بجنون حين رآها للمرة الاولى.. تخيل امتلاء بطنها التي تحمل طفله.. خصلات شعرها الناري التي تحوط بشرة بلون الحليب تناقض اسمرار جلده الداكن..

رباااااه ..

نهض يهتف بقسوة:

-أصبحتي تثرثرين كثيراً ياجوهرة.. لايهم ان زاد وزنها او غيره المهم انها والطفل بخير.

ابتسمت الجوهرة تكتم ضحكاتها وسيادة تناظرها بشك وهي تزيد:

-ولكنك فهمتني خطئاً أخي فزيادة الوزن ليست سيئة أبداً.. ولكنك لن تعرف حتى تراها حقاً.

حينها رأى سلمى.. وبرغم مناجاة قلبه الخائن للبقاء مع الجوهرة لتحكي له أكثر كيف تغيرت زوجته في اقل من شهر على الابتعاد الا انه لم يمهله هذا الترف.. بل مد الهاتف لسلمى بعصبية وهو يصيح:

-انها الجوهرة تتصل منذ مدة ولم تسمعي مناداتي عليك.

-كنت أخذ حماماً..

التقطت سلمى الهاتف بتوتر وهي ترى وجه شقيقها المكفهر وهو يغادرها الى غرفته فهزت كتفيها بحنق ومضت تتحدث مع الجوهرة.. راقبت السماء تتلون بلاتوقف حت تسيطر العتمة عليها ثم التفتت الى الجوهرة والتي كانت تقفل مع شقيقتها بعد فترة:

-كيف حاله؟؟

نظرت لها الجوهرة بعتب ثم هتفت:

-لم لم تسأليه.. رباه انتما الاثنان لاتطاقان.

ابتلعت سيادة بقية تساؤلاتها وضمت ذراعيها اليها بحنق بينما الجوهرة تدور حولها بقلق أثار توترها:

-هلا تكفين عن الدوران وتخبريني ماهناك بالضبط؟؟

هتفت سيادة بنفاذ صبر لتزفر الجوهرة وتصيح بحنق:

-انها امي..يبدو انها تخطط لزواج أخي علي ..

عقدت سيادة حاجبيها وهتفت بانزعاج:

-الاتستطيع امك ترك أشقائق لحالهم فقط ولو لوقت قصير؟! الن تحلو لها الحياة سوى بالسيطرة على كل فرد منكم؟! لقد سبق وتحطمت حياة سلمى وأنت..والان تنوي فعل الشيئ نفسه مع علي.

-انها تفعل مااعتادت عليه نساء بلدتنا منذ القدم.. نجاح الزواج او عدمه هو نصيب.

-اذا كانت الزيجة ظالمة وغير متكافئة فمصيرها الفشل.. لاتعلقي كل اخطائكم على النصيب ياجوهرة.

-مثلما يحدث معك انت وقحطان الان؟

تسائلت الجوهرة بسخرية لتشحب سيادة وتصرح:

-انا وقحطان بدانا بداية سيئة ولكنني سوف أتجاوزها وسنعود لنكون أفضل.. حالما يتوقف عن افكاره البدائية والهمجية التي يتصرف بها.

تأففت الجوهرة ونهضت:

-ربما يكون الزواج المدبر خطئاً فادحاً في هذا الزمن ولكنه مااعتاد عليه اهلنا وعشيرتنا منذ قرون لن يغير هذا بطبيعتهم شيئ.. ثم ان ليست كل الزيجات فاشلة.لاتحكمي على الجميع سيادة..

-ربما.. ولكنها الفكرة العامة هي الخطأ.. أخبريني من تلك التي تنوي عمتي ان تزوجها لأخيك؟؟ هل نعرفها؟

-لا.. تقول سلمى انها احدى زميلاته الطبيبات وانها قريبة لعائلة أمي من بعيد.

رفعت حاجبيها وهمست:

-حسناً ربما يكون الامر مختلفاً الان فعلى الاقل هي لم تخترله فتاة من القرية تصغره بعشر سنوات.

-لاتقلقي.. امي ذكية للغاية لتفعل هذا.. أأ..هنا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

راقبت سيادة ترددها واحتقان وجهها:

-ماذا هناك ياجوهرة هل حدث خطب؟؟ هل قال لك قحطان شيئاً؟؟

ابتلعت الجوهرة ريقها وهي تفكر انها لابد أن تعرف:

-لقد التقت أمي بتلك الفتاة التي تعمل مع قحطان..

اتسعت عينا سيادة بصمت.. كانت قد أفضت للجوهرة بعض مخاوفها بالنسبة للمراة التي تعمل لجوار زوجها قبل الان.. ولكن..

-تقول سلمى أنها مأخوذة بها.. كما ان الفتاة تمارس اكثر بقليل من مهمات المكتب كمايبدو..

-مالذي يعنيه هذا؟؟

همست بشحوب!!..

-لقد رأتها سلمى وهي تحضر له الطعام.. ويبدو ان قحطان يعتمد عليها كثيرا خلال هذه الفترة.

تحسست سيادة عنقها بخشية.. شعرت لوهلة وكأن هناك من يقوم بخنقها وببطئ..

جلست على طرف مقعد قريب فلم تعد تقوى الوقوف.. وتخيلتها الى جواره.. بتلك الابتسامة المتلاعبة.. بينهما أطباق الطعام يتشاركان حميمية لاتصح الا لرجـل.. وامرأته!!..

يالله.. منذ متى أصبحت تفكر بهذا التطرف.. لقد شاركت العديد من الرجال طاولة الطعام..

ولكن..

منذ أن تزوجت بهذا البـدوي المتعصب.. عرفت معنى أن يكون هناك فوارق بين الرجل والمرأة.. عرفت حميمية لم تدركها يوماً في بعض التفاصيل الصغيرة.. ان تبتسم.. ان ترمش بعينيها.. حين تطهو له..

حين تتذوق الطعام من يده ..

ولاتكاد تتصور امرأة أخرى.. تشاركها هذا..

قبضت كفيها بعنف حتى كاد قماش ثوبها الرقيق أن يتمزق وهي تفكر..

لقد طال البعاد كثيراً.. وأصبح من اللازم انهاءه.. قبل ان تبدأ العوارض الجانبية بالتفاقم..

يجب ان تذهب اليه.. ويجب ان تكون عودتها خاطفة.. لأنفاس الجميع(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

نهاااية الفصل

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل السادس والعشرين

***

لم يكن يدرك مايخبئه له الصباح..اتصال ورده من شقيقته تخبره بضرورة المجيئ لشقة قحطان على وجه السرعة قبل حتى أن يذهب لأي مكان.. وفعل.

جلس الى مائدة الافطار التي حضرتها والدته بنفسها وهي تربت على كتفه:

-هياتناول الافطار لدينا الكثير لنقوله.

زم علي شفتيه وهو ينظر لكل تلك الاطباق المرتصة أمامه وهتف باستنكار:

-ولكن أماه ماكل هذا؟؟ انها تكفي لاطعام جيش؟

-احمدالله على نعمه بني.. كما أن أخويك سيأكلون معنا..

ماان قالتها حتى كان قحطان ينضم اليهم بسلام مقتضب وبعده بدقائق كانت فوضى انضمام رعاد وغزل من الخارج كذلك ..

تأملت هدية عائلتها بعيون لامعة بالفخر كانت تبدو ضئيلة الى جوار العمالقة الثلاثة وقد جاورت غزل زوجها بحرج من أخويه ببرائة..

كانت تستطيع رؤية سعادة رعاد وزوجته.. تطل من اعينهما..

فيماخيمت الظلال على عيون الباقيين.. قحطـان.. علي.. وحتى سلمى.

تنهدت وقالت:

-كم أتمنى الجوهرة الان فنحن لم نجتمع هكذا منذ فترة طويلة.

اومأ الجميع واضافت سلمى وهي تنظر لقحطان:

-وتنقصنا سيادة كذلك أماه.. هل نسيتي انها من العائلة؟

تركت أمها قطعة الخبز من يدها ونظرت لابنتها بحنق في حين رمقها قحطان بإمعان وهي تواصل:

-انها زوجة أخي وانا اشتاق لوجودها معنا.

-سلمى..

زجرها قحطان.. ولكن بلطف وان كانت عيناه بعيدتان عنه:

-سيادة في البلدة ولم تذهب لمكان حالماتعودين هناك ستجدينها لاداعي لكل هذا.

-نعم ولكن أمي..

وتركت باقي عبارتها معلقة بينما تخفض عينيها بخجل وضيق وقحطان يقفل الموضوع بحسم متجاهلاً نظرات أخويه الحائرة:

-لن نتكلم بهذه الامور الان ياسلمى.. دعينا نتناول الطعام وننسى كل الامور الاخرى حالياً.

-حاضر..

تمتمت بطاعة وهي تخفي عينيها عن نظرات والدتها العاتبة وعادت الاحاديث تدور بخفة يتصدرها رعاد بحكاياته المختلفة عن الجامعة تشاركه غزل بخجل حتى انقضاء وقت أطول بكثير مماعتاد الجميع وكان قحطان اول من نهض مغالباً ضحكاته للمواقف التي يقصها رعاد وهو يحمدالله ويقول:

-يالهي رعاد اليس لديك محاضرات تبدأ في التاسعة؟؟

-لابأس أخي.. اليوم استثناء.. سنقضيه هنا مع والدتي وسلمى حتى الليل.

صاحت سلمى بفرح وقفزت تعانقه من الخلف صارخة:

-اااه هذا اخي الحبيييب.. شكرا شكراً..هكذا نقدر ان نخرج انا وغزل للسوق.

جحظت عينا رعاد وتخلص من قبضة اخته القوية وهو يصيح بها بحنق:

-ألن تكفي عن جنونك هذا تكادين تقتليني.. ثم انكما لن تذهبا وحدكما.

-تعال معنا..

همست غزل بابتسامة لترتبك نظراته وهو يهتف بصوت كساه بالخشونة:

-بالطبع سآتي من سيرافقكما غيري؟!

زفرت سلمى بضيق وجلست تتحلطم فزجرها رعاد بنظرة غاضبة جعلتها تبتلع انتقاداتها وهي تفكر برحلة السوق التي ستستغرق نصف ساعة على الاكثر مضاف اليها الرحلة بالسيارة.. رعاد كان أسوأ مرافق.. فهو نافذ الصبر ومتذمر..

عاد قحطان حينها وهو ينشف كفيه وانحنى يقبل كفي والدته التي ابتسمت له بحنان ودعت له وهو يودعها للذهاب لعمله الا انها تشبثت به:

-انتظر بني.. هناك ماأريد مناقشته مع علي.. وأريدك ان تكون حاضراً.

-بالطبع أمي..

نهض حينها علي بتوتر.. كان لايعرف مالذي تريده والدته بالضبط ولكنه فعلاً قلق..هو لم ينم ليلة أمس ومرهق حتى العظلم ولايزال التشوش يسيطر على حياته ولايزال لايصدق انها قد رحـلت.

أغلقت هدية باب غرفتها عليهم وجلست تشير لهم بالمثل..

-تعرف بني انني ذهبت البارحة لعمل بعض الفحوص الطبية..

كانت توجه الحديث لقحطان الذي عقد حاجبيه بقلق وتسائل ناظراً لعلي:

-نعم ياامي وقد اطمئننا على معظمها ليلة أمس.. هل تخفيان عني شيئ؟

وجه سؤاله الحذر لأخيه الذي هز رأسه نافياً بصدق لتضحك هدية:

-لايابني لاتقلق.. دعني أدخل في الموضوع دون مقدمات..

ثم التفتت لعلي وقالت بوضوح:

-لقد اعجبتني ابنة الراجي ياعلي.. وبصراحة فأنا لاأريدها أن تضيع من بين أيدينا.

رفع قحطان حاجبيه بصمت بينما تسمر علي ينظر لوالدته للحظات قبل ان يهمس متلعثماً:

-ما..مالذي تقصدينه؟؟

-وماذا سيكون.. لقد أمضيت يوم أمس كله في البحث عن تفاصيل حول الفتاة ولم أجد مايعيب ابداً.. وبصراحة ارى أنها مناسبة جداً لك.

شحب وجه علي للللحظات .. ترنيم؟؟ يتزوج ترنيم؟؟ وماذا عن نادين؟؟

هاجمه التساؤل بصوت مذعور بداخله.. ولكن.. شيئ ماردعه وبقوة..

ماذا عن نادين؟؟

نادين رحلت.. رحلت ولن تعود..

خفض وجهه يخفي ملامح العذاب والقسوة التي تتصارع على ملامحه وفي عينيه.. قبض كفيه بقوة.. ترنيم ستكون مناسبة.. أي امرأة ستكون مناسبة لايهم.. وترنيم أفضل من غيرها..

انها أخت صديقه ومن عائلة ممتازة وكل هذا سيقيده كي لايفكر حتى بأذيتها يوماً..

ربما عليه ان يشكر اللّه على التقاء أمه بها امس.. فالخيار الثاني لأمه كان بالتأكيد لفتاة من بلدته تصغره بسنوات ولاتفقه شيئاً..

لكل هذا وأكثر رفع عينيه لوالدته وبصوت خالٍ من المشاعر قال:

-على البركة أماه..

تنهدت هدية بارتياح ونهضت تعانقه بمحبة وهي تقول:

-بارك اللّه فيك ياولدي..ان شاءاللّه ستكون زيجة العمر.

تحشرج صوته ولم يعلق بينما شعر بيد قحطان تربت على كتفه وهو يقول بفرحة:

-مبارك ياعريسنا.. يبدو أن اقتراح الوالدة جاء في مكانه الصحيح.

نظر له علي بحدة لتضحك امه وهي تضمه اليها:

-بل قل ان علي هو الوحيد منكم من يطيعني دون مناقشة.

-اه ياأم قحطاان سنعود للموويل القديمة؟؟

هتف قحطان بتهكم فكشرت والدته وعادت تولي اهتمامها بعلي:

-سأتصل اليوم بوالدتها والتي تقرب لي من بعيد.. سنحدد موعد لزيارتهم.. لانريد التأخير.. افكر باقامة العرس مع بداية السنة الجديدة.

لم يعترض علي.. ووافقها قحطان بابتسامة..

وحين خرجوا من الغرفة كانت سلمى مستعدة لاطلاق الزغاريد للفرحة التي تطل من عيني والدتها..والتي أخبرتها بالضبط ماهو رد شقيقها.

***

كانت رحلة التسوق كماتوقعتها سلمى تماماً.. فبعد دخولهما المحل الاول وخروجهما محملتين بالاكياس كان رعاد يتأفف ويتذمر..

-افعلي شيئاً ياغزل..أنا لن أعود للمنزل دون انفاق كل ماامعي من مال وليس قبل هذا ابداً.

كتمت غزل ضحكتهاواقتربت من رعاد الذي كان حقاً وقتها على حافة الانفجار وهو يتبع زوجته وشقيقته المجنونة من محل لأخر في ذلك المركز الضخم وهمست:

-رعاد لايزال الوقت مبكراً..لاتضايق سلمى أرجوك فانت تعرف ماتمر به حالياً.

تنهد رعاد بنفاذ صبر.. كان هذا بالضبط مايصبره.. ويجعله يوافق على هذا الدور السخيف..الا يخيب أملها فقط. لذا زم شفتيه بضيق واومأ بصمت لتعود غزل لقرب سلمى وهي تؤكد لها انه لن يضايقها بعد..

تنهدت باستسلام وهي تعاود النظر الى داخل محلات الثياب المختلفة.. لم تكن تريد ارتداء اي شيئ من ملابسها التي اشترتها هناك في باريس.. لاتريد تذكر شيئ مماحدث هناك.. عبست تحت نقابها ويدها تتسلل لتقبض على خاتمه المعلق في عنقها وهي تهمس لنفسها "ليس كل شيئ"

تنهدت ولفت نظرها ثوب رائع من الحرير الذهبي لتجذب غزل وتدخل لرؤيته عن قرب..

ووقف رعاد على باب المحل كالعادة متجنباً زحام النساء.. غافلاً عن مراقبه الذي وقف ليس بعيداً عنه يترصد تحركاته بعينين حادتين لامعتين .. عيني ذئب شرس وجد ضالته بعد عناء..

كان عليه أن يراها.. والمراقبة التي وضعها على اخوتها اشارت لوجودها معهم.. ولكن يجب أن يتأكد.. يجب ان يرى بعينيه حتى يشفي غليل قلبه..

كان رعاد الأخ الاصغر لقحطان العزب وبرفقته امرأتان.. كلتاهما ارتدت غطائاً كاملاً فلم يتعرف ان كانت واحدة منهما.. تململ في وقوفه وزفر بتوتر..

ثم لمعت عيناه مجدداً وهو يرى الفتاتان تغادران المحل كانت تلك فرصته فرعاد لايزال يقف في الركن القصي ويبدو منشغلاً بهاتفه.. لذا تحرك بصورة سريعة وقبل ان ينتبه له أحد كان يتعمد الاصطدام باحداهن لتقع الاكياس من يدها وهي تشهق وتكاد تقع هي نفسها..

"أسف"

هتف باقتضاب وهو ينحني لجلب الاكياس للفتاة التي جلست رغماً عنها على احدى ركبتيها والاحراج يغرقها وهي تحاول لملمة اغراضها حين سمعت الصوت المقتضب..

كانت ستنهال على رأس الرجل بالشتيمة حالما اصطدم بها وتسبب بكل هذه الفوضى ولكنها تسمرت بفعل صوته لتنظر له بذهول..

"سيف؟؟"!!

همست من اعماقها ولم يتجاوز الصوت شفتيها.. تنظر لوجهه غير مصدقة بينما تغرق عيناه في تأمل عينيها بهيام لم يقدر على اخفاءه..

-انها أنت؟؟

شهقت مستقيمة بذعر وهي تنظر نحو شقيقها الذي كان بلحظة الى جوارها هاتفاً بقلق:

-سلمى هل أنت بخير؟؟

اومأت لاتقوى على حتى النطق بينما استقام سيف بحذر وهو يناول اغراضها لرعاد قائلاً بخشونة لم يتعمدها:

-تفضلي سيدتي ..

-كان عليك النظر اين تضع قدميك.

زجره رعاد بقسوة لينظر اليه سيف بغموض بينما تدخلت سلمى باضطراب:

-انا السبب لم أرى أمامي..

تبادل الرجلين النظرات المتحدية للحظات قبل ان تجذب سلمى ذراع رعاد وتهمس بتوسل:

-ارجوك رعاد لنذهب الجميع ينظر الينا.

-هيا..

زجرها بعنف وهو يدفعها امامه لتركض نحو غزل التي راقبتهما من مسافة قريبة لتهتف لها في الحال:

-هل تأذيت؟؟

هزت رأسها بعنف وهي تقول:

-لنذهب للجلوس احتاج لبعض الماء..

جلسا الى طاولة للمشروبات حين دوى صوت الاذان من المكبرات

بداخل المركز ليهتف بهما رعاد:

-هل ستكونان بخير؟؟ سأذهب للصلاة ولن أتأخر.

-لاتقلق اذهب وسنبقى هنا حتى تعود..

قالتها غزل ووافقت سلمى بارتباك.. فنهض رعاد يلتحق بالمسجد

الملحق.. بينما استغلت سلمى الفرصة ومضت عينيها تبحثان عنه في

كل الوجوه ..

كان قلبها يرتجف بلاتوقف.. يديها تهتزان حتى اضطرت لاخفائها

تحت الطاولة ريقها جاف وعينيها متسعتان تلتهمان الوجوه حولها

بحثاً عنه.. حتى وجدته..

كان هناك يقف على الطرف الاخر..بانتظارها..

لم تقدر على المقاومة.. يجب أن تخبره انها تخلصت من فراس يجب أن

تخبرها أصبحت حرة ,,

نهضت بتوتر وهي تتعذر لغزل بالذهاب للحمام .. ركضت تقريباً حيث رأته ينعطف.. ثم تسمرت بدهشة ترقب الممر الخالي قبل ان تشهق بذعر وهي تشعر بقبضة قاسية تجذبها من ذراعها نحو مصعد داخلي قبل ان يغلق الباب خلفهما ويواجهها بنظرات محمومة:

-اشتقت اليكي..

نظرت له بلهفة.. نسيت كل شيئ وهي تعب من ملامح وجهه الحبيب عيناه القاتمتان ذاك الحاجب المائل بخطورة.. ودت لو تمد يدها فقط وتلامس ماحلمت به لأيام طويلة ولكن.. تراجعت بخشية وهي تتسائل:

-كيف اتيت؟ كيف وجدتني؟

-بحثت عنك في كل مكان كنت سأجن لو لم أركي من جديد سلمى.

همس مقترباً منها.. متناسياً وعوده لنفسه بالتريث..بالابقاء على مسافة تحكمهما ماباله وهو لايرغب سوى بالغاء كل المسافات وغمرها بين ذراعيه لمرة واحدة..

نظراتها تعلقت به لاتقوى على زحزحتها لاتجرؤ على الهرب من احكام سيطرته.. كانت تدرك انه جنون.. حيما نطق اسمها بخفوت حين

سمعته منه كما لم يناديها قط من قبل أي أحد تعرفه.. عيناه وكيف اغتمت لدرجة انها أصبحت مخيفة وهو يقترب:

-سلمى لقد اشتقت اليكي..لو تعرفين الى اي حد.

-لا..

همست بخفوت وهي ترفع يدها لتصد اقترابه بضعف.. وقع كفها على صدره.. يساره الخافق بلوعة ليزداد جنوناً بفعل لمستها الخاطفة والتي أرجعتها اليها بسرعة وكأنما قد مسها تيار كهربي ليقبض على كفها بين يديه ويعيدها الى صدره كي تشعر بدقات قلبه التي فاقت حدود المتوقع وهو يقول بيأس:

-ألاتشعرين بماتفعلينه بي؟؟

رباااه هل ينوي اصابتها بالجنون.. كانت تقاتل لتتخلص من سيطرته على ذاتها كلها ولكنها كانت تفشل بطريقة مخزية..كانت تنجذب اليه كماالفراشة تنجذب الى الضوء غير آبهة باحتراق أجنحتها..

-ارحميني ياسلمـى لم أعد أقدر على الصبر وابتعادك عني يقتلني.

شعرت بدموعها تنهمر من عينيها وهي تهتف بضراعة:

-لاتقل هذا سيف أرجوك.

-اااه..

تأوه بمرارة وهو يغلق عينيه متشبثاً بكفيها وكأنما لايقوى على افلاتها:

-لاتتوسلي لي بهذه الطريقة والا فأنني سأفقد أعصابي ..

ثم فتح عينيه بسرعة واستشاط غضبه فيهما وهو يسألها بخشونة:

-هل عدتي اليه؟؟ هل تعيشان معاً؟؟

تفاجأت من تلك الحرقة التي يتكلم بها الغضب المستشيط في عينيه وهو يكاد يحطم أصابعها:

-لا لا .. انا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)انا..

-أنت ماذا؟؟

هدر بانزعاج لتهمس بخجل:

-فراس طلقني..

اتسعت عيناه بذهول وهو ينظر اليها ترفع عينيها اليه وتضيف بخجل مس شغاف قلبه:

-أنا حرة الأن ياسيف..

تيبس حلقه وهو ينظر لعينيها.. ماذا يقول.. كيف يسيطر على نفسه وهي تخبره انها حرة ..

حرة لتكون له !!..

حرة ليقاتل العالم كله ليحصل عليها.. كانت حرة ليأخذها الأن وفي التو!!..

-تعالي معي..

هتف بلهفة .. وكل مشاعره تصب من كلماته..وكأنما وضع قلبه نفسه في الكلمات لتتسع عيناها هي هذه المرة بالذهول وتتراجع لاارادياً ليقترب محاصراً اياها بين جدار المصعد وصدره الذي كان في سباق لالتقاط الأنفاس:

-تعالي الان لنذهب سنختفي عن العالم كله ولن يعثر علينا أحد.

-لااستطيع..

همست لاهثة لترى السخط في عينيه وهو يعترض:

-بلى تستطيعين.. فقط قولي نعم وسأخذك ولن تندمي.

رباه مايفعل بها تهوره.. هل يحبها الى هذه الدرجة؟؟ هل يريدها بتلك القوة؟؟ لاتقدر سوى على مجاراته القبول به.. فهو الوحيد الذي خفق له قلبها.. ولكن..

خفضت عينها تهرب من نظراته الملحة.. وفقدت سيطرتها على دموعها لتنهمر على وجنتيها بقوة وهي تهمس:

-لا أستطيع فعل هذا بأخوتـــي..

تصلب في مكانه.. أخوتها؟؟

-لا اقدر على الذهاب معك وجلب كل ذلك العار لهم.. عائلتي هي اهم شيء بالنسبة لي ياسيف.

-أهم مني أنا؟؟

همس بشحوب لتشهق ناظرة اليه وهو يواصل بتصلب:

-أهم مما يجمعنا ؟؟

-انها عائلتي..وأنا لن أخذلهم ابداً..

-ومالذي يعنيه هذا؟؟

تسائل بغضب مكتوم لتمسح دموعها بيديها:

-مايعنيه هو انني لن أخرج من منزل عائلتي الا برضاهم ياسيف.. تعال لقحطان.. اطلبني منه كرجل وحينها فقط سأكون لك.

كان المصعد حينها قد توقف وبدأ الباب يفتح ببطئ ليعود سيف ويخبط على لوحة المفاتيح مغلقاً الباب ليرجع المصعد بالهبوط وتقفز سلمى بتوتر بينما يزمجر من بين اسنانه:

-أنت لاتعرفين مابين عائلتينا أليس كذلك؟؟لاتفهمين عمق الكراهية وخصوصاً الان بعدمافعله شقيقك بعبدالعزيز؟؟

أصرت على موقفها بعناد رفعت له عينين حادتين:

-لاتنكر مافعله عبدالعزيز ماكان يخطط له من امور سيئة كنت أعرف انه يخبئ مصائب لأخي وزوجته ومافعله قحطان كان دفاعاً مشروعاً عن نفسه وعرضه.

كانت محقة.. وكان يؤيدها ولكنه يقف في الجهة المقابلة لايستطيع ان يعبر المفترق نحوها دون ان يتسبب بفوضى عارمة قد تحرق الدنيا حولهما وليس قبل هذا.

-الامر يفوق هذا .. هناك الماضي كذلك ياسلمى ماضٍ مسموم ولاسبيل لاصلاحه..

-بكت بمرارة وهي توقن من كلماته اليائسة ان الطريق بينهما مسدود.. ولاريب لاشيئ سيفرج كربتهما الا معجزة..

-ربما هو قدرنا ياسيف..

نشجت بألم..

-قدرنا الا نبقى معاً.. قدرنا ان نبقى الى الأبد بعيدين..

-انا لن أرضى بهذا.

هدر بقوة كانت تشعر بالمصعد يتوقف فهمست بشحوب:

-يجب أن أذهب..

-وأنا يجب أن أراك مجدداً..

-مستحيل.

هتفت ليبادرها:

-اعطني رقم هاتفك.. سأتصل بك.

نظرت له بلوعة قبل ان تتخبط يديها في حقيبتها لتخرج هاتفها فالتقطه بسرعة وضرب شاشته لتسمع بعد ثوانٍ رنين هاتفه هو ليقول بحسم:

-سأتصل بك الليلة..

اعادت هاتفها لها وضمته بقوة وهو يقول بتصميم:

-انا لن اتوقف عن البحث على طريقة لأخذك بها ياسلمى.. ولو دفعت حياتي لها.

رفعت له عينين متضرعتين وهمست:

-لاتؤذي أخي..

لمعت عيناه بشرارة لتواصل بألم:

-أنا أحبك ياسيف.. كما لم أحب ولم اعرف في حياتي.. ولكن اخوتي خط أحمر لو تجاوزتهم فانا لن أنسى ولن اغفر لك هذا ابداً ماحييت.

شعت عيناه بالغضب وقبل ان يعلق بكلمة كانت تغادر المصعد تاركة اياه وحده يصارع مشاعره التي تتخبط بداخله بلارحمة.. وهو يعرف انه سيؤذيها.. ماسيفعله سؤذيها هي قبل أي أحد ولايعرف كيف يستطيع انقاذها.

اما سلمى فقد مسحت دموعها بخفة وانسلت عائدة الى غزل والتي كانت تناظرها من بعيد بقلق وهتفت بها حالما رأتها:

-مالذي اخرك الى هذه الدرجة؟

-المكان كان مزدحم..

تلعثمت وهي تخفي وجهها في كوب العصير الذي وجدته امامها بينما تنهدت غزل وتأففت من تأخر رعاد قبل ان تسأل سلمى:

-متى تذهبون لخطبة علي؟

-لااعرف قالت أمي ربما في نهاية الاسبوع ستحدد معهم موعد.

همست بشرود لتومئ غزل وتعود لصمتها بانتظار زوجها.

***

غرق لأذنيه في العقود أمامه كان يعرف انها مهمة المحامي لمراجعتها واعطاءه الملخصات ولكنه كالعادة لايطمئن حتى يتمم على كل شيئ بنفسه..

-هل ترغب بالمزيد من القهوة؟

سمع صوت أميرة الخافت فرفع عينيه عن الاوراق لينظر اليها بشرود وهو يتذكر كلمات والدته عليها:

-نعم..شكراً لك.

ابتسمت ببطئ.. تغرق في نظرة عينيه الثاقبة قبل ان يخفض بصره ليعود الى أوراقه تقدمت منه وصبت له القهوة البيضاء والتي اعدتها بنفسها بالحبوب والمكسرات..

-هل اعجبتك قهوتي؟؟

تسائلت خجلة ليبتسم قائلاً:

-انه كوبي الثالث على مااعتقد واأظن انها اجابة شافية.

ابتسمت بسعادة خنقتها فلم ترد بل تراجعت صامتة تناظره بعينين لاتخجلان بينما التفت اصابعه الطويلة النحيلة حول الكوب الساخن ورفعه الى شفتيه دون تردد ليرشف المشروب الرائع بتلذذ ظهر جلياً على ملامحه..

-انها حقاً متقنة.. تذكرني بقهوة جدتي في البلدة.

ثم رفع عينيه اليها وقال بابتسامة عصفت بدقات قلبها:

-شكراً لك من جديد ياأميرة.

لم تجرؤ على الرد لو فعلت فهو سيسخر منها.. فصوتها كان غائباً خلف حشرجة عميقة جعلتها تومئ بلامعنى وتلوي رقبتها بعيداً تخفي تألق عينيها حين فتح الباب الخارجي وسمع صوت والدته يهتف:

-السلام عليكم..

نهض قحطان ببشاشة واقترب من والدته ليقبل كفها بحنان:

-وعليكم السلام ورحمة اللّه تفضلي امي.

-بارك اللّه فيك ياولدي.

ثم اتجهت لأميرة لتعانقها هاتفة بفرح:

-كيف حالك يابنتي..؟؟

بادلتها اميرة السلام بحرارة وهي تقودها لتجلسها بحفاوة مبالغ بها بينما والدته تضحك بفرح وتمدح بالفتاة بلاتوقف وتدعو لها..

"االاه أمي.. مالذي تخططين له؟؟"

فكر بتوتر وهو يقترب منهما ويسأل والدته بصوت حاول اخفاء نبرته المتوترة:

-من أتى بك الى هنا أماه؟؟ ولم لم تخبريني بقدومك؟

انزلت هدية غطاء رأسها وقالت بمكر لم يخفى عن عينيه:

-جاء بي علي وذهب الى المستشفى.. لقد اتصلت اليوم بعائلة الراجي وتحدد موعدنا للذهاب بعد غد واريد من أميرة ان تساعدنا في أخذ ضيافة لائقة وهدية غالية للعروس.

والتفتت لأميرة تنتظر ردها والذي كان واضحاً من خلال ملامحها الفرحة وهو تومئ بالموافقة..كان عليه أن يرفض وان يقيد علاقته بسكرتيرته للمكتب فقط ولكنه لم يفعل بل توقف ينظر لهما بصمت وهما تتفقان على الموعد والاشياء التي تخطط لها أمه قبل ان تنهض وتقول له:

-بني هل تسمح بأن أخذها منك الأن.. سنذهب للسوق.

لوح بيده بالموافقة:

-لابأس أماه.. انا نفسي سأغادر.. سأوصلكما بطريقي.

-بارك اللّه فيك بني..

قبلت امه كتفه ليبتسم لها وهو يلتقط مفاتيح سيارته بينما شعت عينا أميرة بفرحة غير اعتيادية وهي تسارع لالتقاط حقيبتها..

***

-صباح الخير..

التفت بسرعة خلفه..وقفت هناك بارتباك..تكاد تمزق حزام حقيبتها المعلق على كتفها وعينيها تبحثان عن اي مهرب من عينيه بينما ناظرها هو بتوجس.. لم يظن قط انه قد يلتقيها اليوم!!

-صباح الخير..ماذا تفعلين هنا؟

تسائل بخشونة..لم يعنها فهو فقط لم يكن معتاداً على الوقوع في مواقف غريبة..ومواجهة ترنيم اليوم وهو مدرك انها تعلم بشكل او بأخر بشأن الخطبة .. كان شيئاً غريباً..

-أردت رؤيتك..

قالت بشجاعة..رفعت رأسها وتخلت عن ارتباكها وهي تواجهه.. كان وجهها احمر من فرط الخجل ولكنها وقفت بثبات..انها تعلم بشأن الخطبة لاريب..

-هل هناك مشكلة؟؟ هل هناك تغيير خطط بالنسبة لبعد غد؟؟

ابتلعت ريقها بصعوبة..ورغماً عنها تعلقت نظرتها بعينيه..

-هذا ماجئت للتحدث عنه.

همست بخجل ونظرت حولها كان بهو المستشفى المزدحم ليس بالمكان المناسب ابداً للكلام.. لذا تنحنح علي واشار لها ان تتقدمه الى زاوية مظللة وهناك وقفت مرتبكة تحار في كيفية فتح موضوعها..

لن تنكر ان عالمها قد اضيئ فجأة حين عرفت ان والدته قادمة لخطبتها هي..

لن تنكر فرحتها.. فمنذ التقته وهي تحمل مشاعر جميلة نحوه..

وسعادتها لن تكتمل حتى تغلفها بطابع شرعي .. مكانها المناسب..

ولكن كان هناك شيئ ..

تجهم وجهها حينها وقرأه علي بسهولة..

لن ينكر ان رؤيتها فاجأته.. هذه الفتاة ستصبح زوجته؟! لم لايشعر بشيئ سوى البرود نحوها..؟! هل من الممكن ان تتغير هذه المشاعر؟! هل من الممكن ان تتحول الى شيئ.. أكثر دفئاً يوماً؟!

-ماذا هناك ترنيم؟!

-اردت التحدث اليك عن..عن..

ترددت فعفاها بحدة لم يقصدها:

-خطبتنا؟؟!!

احمرت وجنتيها بشدة وهي تهمس بشحوب:

-نـ..نعم.. هذا الامر.

-هل لديك اعتراضات ما؟!

قالها بوقاحة .. رباه لو احد ماتكلم مع شقيقته بهذه الطريقة لحطم وجهه.. تنهد بحنق انه يحتاج لمن يحطم وجهه رأى انه اربكها ..رأى عينيها تلمعان وادرك انها لابد متأثرة من عدم مراعاته.. المشكلة هي..

-انا ااسف..

غمغم ثم اضاف بسرعة:

-انا لم اناقش مثل هذه الامور من قبل.. وبصراحة لااعرف كيف؟

قالها صادقاً لتأخذ نفساً هي بارتياح مفتعلة ضحكة شاحبة:

-عليك ان تصدقني انها المرة الاولى لي انا كذلك..

نظر لها للحظة.. ورأى غيمة تظلل عينيها..

-علي انا لم ..انا اعطي قراري بعد لأمي وأبي..

ابتلع ريقه.. هل ترفضه؟؟؟ سخر من نفسه.. يده تعبث بشعره الكثيف وهو يهمس:

-أتفكرين بالرفض؟؟

انقبض قلبها.. بالطبع لا..كيف ترفضه وهو؟؟ هو الرجل الوحيد حتى الان الذي حرك مشاعرها.. كانت تدرك انه مرتبك ومتوتر.. مثلها ..انه وبرغم حياته في المدينة ولوقت طويل..الا انه يظل ذاك الفتى القادم من الريف..

-أنت تشبه أخي بشكل كبير..

همست بخجل لينظر لها منتظراً التوضيح فأضافت:

-لطالما حلمت بزوجي المستقبلي ان يكون كَ خالد أخي.. وانت..انت فقط تشبهه في كل شيئ..

-اننا اصدقاء..

قال بضياع..وقد ادهشه تلك المقارنة في حين انها تخطط لترفضه كمايبدو..

-انتما طيبان للغاية..كريمان.. وكمايبدو ان العائلة تأتي بالنسبة لكما في المقام الاول.

-الا يبدو هذا الشيء الصحيح على الدوام؟

-انا اعرف انني كنت خيار والدتك في المقام الاول ياعلي.

همست تقاطعه لينظر لها بحدة فابتلعت ريقها:

-لقد رأتني واعجبتها واظنها فكرت ككل ام انها تعرف مصلحة ابنها جيداً..

لم يجبها بل ظل ينظر للفراغ وهي تضيف بخجل:

-لن أقول ابداً انني لااشعر بالفخر..ولاالغرور قليلاً فقط.. ولكن!!..

-لكن ماذا؟؟

تسائل بجفاء..فنظرت له برقة وهمست

-انا هو اختيار امك ياعلي ولكن ماذا عنك أنت؟؟

-ماذا عني أنا؟؟

تسائل بخواء لتتردد بعض الشيئ قبل ان تقرر ان المصارحة هي الشيئ الوحيد المتوقع:

-تلك الفتاة..اين هو مكانها في هذه المعادلة؟؟

نادي___ن؟؟!

فكر بخواء.. شيئ ما..شيئ ماتحجر في قلبه وهو يتذكر ابتسامتها عينيها..غصة تيبست في حلقه وجعلته يلهث للهواء وهو يحاول التخلص من ذكرى مشاعر لم يعرفها قبلاً.. تحتجزه ولاتفك قيدده ابداً..

ترنيم رأت نادين.. رأتها مرة او اثنتين.. ويبدو انها قد شعرت بوجود شيء بينهما..

-تلك..

ابتلع ريقه بصعوبة..كان يلوك الكلمات في فمه وكأنما لايقوى على نطقها..

-تلك كانت مجرد..مجرد نزوة عابرة وانتهت.

نظر لها بحدة.. عيناه كعيني صقر مجروح ..تستطيع رؤية الدماء تنفر منها..شعرت بالخوف هناك شيئ كبير يخيم عليه ويسيطر على مشاعره وتلك المرأة .. انها تقسم ان تلك المرأة كانت كل شيئ عدى ان تكون مجرد نزوة!!..

-اسمعيني جيداً ياترنيم..

همس بخشونة.. يجب ان يضع حداً لهذا الامر الان وفي التو..

-ارتباطنا كماقلتي انت كان اقتراح ورغبة والدتي.. ولكن..

ارادت الاعتراض ولكنه رفع كفه بحزم يسكتها ليواصل بحزم:

-انا وافقت ..وانا مقتنع تماماً انها الخطوة المثالية.. انا لن اخدعك ترنيم..انا لن..

تلعثم وهو يحاول ان يصوغ مشاعره بطريقة ما..

-انا لست برجل قادر على اغراقك بالغزل والمشاعر العالية انا لااعرفها ولا..لا اجيد شيئاً من هذا القبيل.. زواجنا وعل تقليديته.. سيكون ناجحاً لأنني..لأنني لم اعتد الفشل ابداً..

كان يلهث.. مع نادين هو لم يفشل.. لا لم تكن الفشل بالكلمة المناسبة لماحدث..

-سينجح لأننا انا وأنت سنفهم بعضنا جيداً..سيكون الامر جيداً سأحرص..

وتوقف للحظة قبل ان ينظر في عينيها ويضيف:

-سأحرص على نجاحه بمساعدتك..

نظرت له مبهوتة.. مبهورة.. هي معجبة به كثيراً.. لن تنكر وفرصة كهذه معه هي لن تفلتها..لن تستطيع.

-وأنا موافقة..

همست ليومئ برأسه

-علي الذهاب..

-نعم سيكون من الافضل لو ذهبتي لدي.. لدي الكثير من العمل.

قال بتوتر لتهز رأسها وتتسائل:

-هل..هل ستخبر خالد عن مجيئي؟؟

نظر لها للحظات..

-لا ترنيم..مابيننا منذ الان هو اسرار رجل وامرأته ..وانا لن اناقشها مع احد سوانا.

لم تعرف كيف تصف تلك الفرحة التي رفرفت بين ضلوعها وهي تسمعه يصفها ب أمرأته.. ابتسامتها العذبة لونت وجهها بحمرة

قانية .. رباااه لقد قال انه لايجيد التغزل بالنساء ولكنه كان مخطئاً..

هذا الشيخ الصغير يكفيه ان ينظر لأي امرأة بهذه الطريقة.. وتعرف انها هالكة لامحالة..

رفعت كفها تودعه..ثم حركت ساقيها بصعوبة لتبتعد عنه.. غافلة عن نظرة الحزن التي تملكت عينيه.. نظرة رجل فقد للتو ماأراده عمره كله..

***

تسللت سيادة على أطراف أصابعها للديوان الهادئ بعد مغادرة أخر ضيوف الشيخ.. رأته هناك يجلس على مجلسه المنخفض وأمامه عدة القهوة والتمور..

-السلام عليكم ياجدي..

تهللت اسارير الشيخ المتغضنة واعاد السلام بفرح وهو يشير لها لتدخل بسرور:

-تعالي يابنتي تعالي وجاوريني.

ابتسمت بسعادة فبرغم الوقت القصير الذي تمضيه معه كل ليلة ولكنها تعشق هذا الوقت..اقتربت تجلس جواره وهي تحيط ذراعه الضامرة بقوة وتهمس:

-اشتقت لك جدي فأنا لم أرك منذ الفطور.

ضحك الجد بحنان وربت على يدها:

-ان مجلسي لم يخلو اليوم من الزائرين.. الحمدللّه.

كان متعباً رأت هذا:

-ألاتود الاستلقاء لبعض الوقت؟

كان يسمع قلقها في نبرات صوتها لذا هز رأسه وهمس:

-لاتقلقي علي بنيتي.. والان صبي لنا القهوة ودعينا نتسامر قليلاً..

ابتسمت مشعة وسكبت القهوة لهما وناولتها اياه بينما احتفظت بكوبها الصغير بين يديها وهي تسأله:

-هل ستخبرني اليوم عن قصة زواجك بجدتي؟؟

كان قد اعتاد ان يحكي لها كل يوم جزء من ماضي عائلتها وهي كانت تجلس هناك تترقب كلماته بشغف ولكن هذا اليوم كان يخبئ لها شيئ أخر..

-لا بنيتي اليوم سأحدثك عن سميتك..

عقدت حاجبيها بتساؤل فقال بابتسامة حانية:

-سأحدثك عن سيادة العــزب.. سيادة الاولى..

فتحت فمها بترقب وجدها يواصل:

-تعرفين انها والدتي..وانها توفيت بعد ولادتي بوقت قصير..لم أرها ولم أعرفها ابداً..ولكن..والدي رحمه اللّه لم يكن يكف عن ذكرها وذكر محاسنها..

كانت قوية..شابة جداً.. لم تتجاوز السادسة عشر حين تزوجها وحين توفيت كانت بالكاد قد دخلت عامها الثامن عشر..

شهقت سيادة بتأثر ليبتسم جدها وعيناه تغرقان في ذكرى كلمات والده:

-كنت جميلة جداً..وكل شباب قبيلتنا تراكضوا خلفها.. ولكنها ومنذ ولادتها كانت من نصيبه..كانت مكتوبة في القدر له..

-كيف تزوجها؟؟

تسائلت بحالمية ليبتسم جدها:

-كان ورجال القبائل في مجلس الشيخ الاكبر.. جدي أنا.. وكان هناك ضيوف توافدوا من قبائل وعشائر اخرى.. واحدى تلك القبائل كانت تنافس عشيرتنا بقوة ولكننا لم نتعد يوماً على بعضنا البعض.. وربما

ارادوا ان يوحدوا قبيلتانا وقد سمعوا الكثير عن سيادة العزب وجمالها.. فتقدم كبيرهم لخطبتها لابنه..

-وهل وافق جدك؟؟

تسائلت باندهاش ليضحك جدها ويضغط على كفها بين يديه:

-وهل كنت سأكون امامك ياصغيرتي..؟؟ بالطبع لم يتكلم احد من عائلتنا بكلمة بل نظروا كلهم اليه.. والدي انا.. والذي نهض بعنفوان شبابه وصرح للجميع ان سيادة العزب لابن عمها.. ولن تخرج من بيته ابداً لغريب..

-وهل تراجعوا بهذه البساطة؟؟

-اتعلمين انه وفي يومها لم يغادر ابي مجلس جدي حتى كانت والدتي في عصمته.. لقد عقد قرانها في تلك الساعة وكان ابراهيم الشيّب هو شاهد عقدها..

-من هو ابراهيم الشيّب؟؟

تسائلت بشحوب ليجيب جدها بتنهيدة:

-كان هو العريس الذي تقدم لها من آل الشيب..اعتقد بأن ذلك اليوم هو كان الفارق.. هو من زرع البغضاء في القلوب والى الابد.

-مالذي حدث جدي؟؟

اشاح جده بصره عنها وهمس:

-الفتى لم يكن عاقلاً ابداً.. وكل تصرفاته كانت تشير الى جنونه..

ولكن لابد ان لاحد لاحظ هذا مبكراً.. لقد شعر بأن ماحدث كان

اهانة متعمدة له بالذات وصمم على انجاز الامور بطريقته الخاصة..

-ماذا فعل؟؟

تسائلت بفضول ليتنهد جدها ويلتفت لها بكل جسده مبتسماً:

-مافعله حطم العلاقة المتوترة اصلاً بين عائلتينا لسنوات ولاتزال..

ولااظن انه من اللائق الاستمرار بالحكايا وقد تاخر الوقت لهذه

الدرجة.

-جدييييي..

اعترضت بحنق ليضحك بخفوت:

-اذهبي يابنتي لقد اخبرتك بالكثير اكثر ممايعرفه غيرك بالفعل.

زمت شفتيها باعتراض وحاولت:

-ولكن جدي الفضول سيقتلني..لم لاتقول لي؟؟

-لأن ماحدث بعدها لايجب ان يعلمه أحد.

نظرت له باندهاش:

-هكذا بكل بساطة.

اومأ بابتسامة لتدرك ان رجال هذه العائلة والعناد وتصلب الرأس كلهم سواء..

نهضت حينها وقالت بحنق عاقدة ذراعيها حول صدرها:

-سوف لن انام الليلة وكله بسبب هذا الغموض جدي..

ضحك جدها وهو يدعوا لها بالعقل السديد بينما هي تعقد طرحتها حولها باحكام قبل ان تتسمر مكانها وهي تسمعه يتسائل ببرائة:

-متى تذهبين لزوجك؟؟

نظرت له بشحوب ليرمقها بمكر العجائز:

-أم انك تنوين اطالة العقاب اكثر؟؟

-انا!.. انا لااعاقبه.

همست بحشرجة ليضحك جدها ويتمتم:

-انتما تعاقبان بعضكما .. رغم كل حكمته وعقله الذي يفوق عمره..

فحفيدي لايزال طائشاً بأمور القلب.

كتمت ضحكتها المريرة وسخريتها التي كادت تودي بها وهي تفكر..

قلب؟؟ وهل لدى حفيدك قلب؟؟

-تصبح على خير ياجدي..

-تصبحين على خير يااابنتي.

همس لها لتبتعد بخطوات سريعة عائدة الى غرفتها..

ولكنها ترددت وبخطوات قصيرة عادت لمر اخر وهناك وقفت امام باب الجناح الذي كانت تسكنه معه.. دخلت وهالتها البرودة التي تشع منه. لم يكن أحد يدخل هنا منذ سفره وانتقالها هي الى الغرفة الاخرى. تأملت السكون الذي كان يعبق بصوته.. غضبه شراسته.. حتى اللحظات القليلة التي امتزج السكون بعبق من ضحكاته الرزينة.. تنهدت لتتسلل لها رائحته.. رائحة العود!!

تقدمت نحو غرفة نومها نحو سريرها الذي شهد لحظات ذلها..حقدها.. ولحظات حبها وغرامها المجنونة. استلقت تضم وسادته اليها.. رائحته لاتزال تعبق بكل شيئ.. عود فاخر تخلل الى مسامها وبات يحاصرها.. "احبـــك"

همست بثقل.. ضمتها اليها بقوة وعادت تكرر همستها.. بخفوت.. فقط لتغفى بعد دقائق على وقع ذكرياتها.

***

انتصف النهار ولايزال واقفاً كالعاشق الاحمق ينظر للهاتف يستجمع شجاعته ليتصل بها.. اراد ان يسمع صوتها مجدداً اشتاق اليها..

تنهد ورفع عينيه الى السماء.. عقله يكاد ينفجر من التفكير بطريقة تجعله يخرج من المأزق الذي وقع فيه منتصراً.. لايريد أن يفقدها.. ولايريد ان يعصي اباه.. ان فعل فهذا يعني نهايته مع عائلته ومن الناحية الاخرى فهو قد يخسر حب عمره.

ماذا يجب ان يفعل؟؟ عاد بنظره للهاتف لاتجرؤ اصابعه على اجراء الاتصال..ماذا لو لم تكن وحدها؟؟ لو كان أحد أخوتها قربها؟؟ لقد رأى مافعله شقيقها في المركز التجاري حين اعترض طريقها.. انهم مجرد مجموعة من البدو لو شك أحدهم بشيئ قد يؤذيها حتى قبل أن يفكر..

اما عن السلطان.. فحدث ولاحـ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وقبل ان تكتمل فكرته حتى كان هاتفه يصدح بنغمة السلطان المميزة ليقفز من المفاجأة ويطير الهاتف من يده ويكاد يقع ارضاً لولا انه التقطه بسرعة وهو يشتم قبل ان يفتح الخط ويسلم على ابيه بحدة جعلت الرجل الاكبر يعقد حاجبيه ويتسائل:

-هل انت على مايرام يابني؟

اغمض سيف عينيه بحنق وحاول السيطرة على نبرة ارتباكه وهو يرد:

-نعم أبي لاتقلق فأنا بخير لقد كنت نائماً..

-وهل استيقظت الان؟؟

قالها بسخرية ليكتم سيف غضبه:

-نعم سلطان انا متيقظ الان تماماً.

-جيد فعليك ان تنفذ ماسأقوله لك بالحرف الواحد..

اغمض سيف عينيه بيأس ووالده يقول بصرامة:

-هناك شخص يهم العائلة.. لدينا معه.. لنقل الكثير من المصالح المشتركة وهو في ورطة.

-أي نوع من الورطات ابي؟؟

-انه محتجز من قبل الشيوخ بني.. ونحن نريده ان يُحرر.

عقد سيف حاجبيه وهدر بعنف:

-ابي؟؟ مالذي تظنه عني.. مرتزقة؟؟ انا لست بالرجل الذي تظنه.

-اعرف بالضبط من تكون بني وماهي قدراتك ولاتقلق فأنا لن اورطك بشيئ يفوقها.

زمجر سيف بحنق:

-ومالذي تريدني ان افعله بالضبط؟؟

-اريدك ان تكون هناك بعد ان يخرجه رجالنا.. اريده ان يعلم اننا من أنقذ حياته وانه مدين لنا بها.

-لماذا؟؟

تسائل عاقداً حاجبيه ليجيبه الصمت فعاد يسأل:

-مالذي نستفيده منه ابي؟؟ عدا اننا سنغضب الشيوخ الذين يحتجزونه؟

-انه احد شيوخ العزب ياسيف..

-ماذا؟؟

تسائل باندهاش قبل ان ينفجر:

-مالذي تعنيه بانه من شيوخ العزب من يجرؤ هنا على احتجاز أحدهم؟؟

-عشيرته.

اجاب والده ببساطة ليسقط بيده.. لم يفهم.. كيف تحتجز قبيلة العزب احد ابنائها.. وليس اي احد.. انه شيخ منهم؟؟

-ابي اظن ان الامر أكبر مماتقوله لي..

همس لوالده بشك.. ولم يفته التردد الذي شاب صوت السلطان وهو يقول:

-ستفهم الكثير حال لقائك به.. لنقل ان الرجل سيسهل مهمتك بالانتقام من قحطان العزب.. بالاضافة لخدماته الاخرى.

شعر حينها سيف بالقلق.. هناك شيئ مايخفيه اباه.. شيئ قذر يتعلق بالرجل الذي يطلب منه ان ينقذه..

-من هو الرجل ابي؟؟

سأله مصمماً على القاء بعض الضوء على الغموض:

-انه حسن العزب.. هو في المشفى الان يعالج من اصابات خطيرة كماعلمت.. ولكن رجالنا سيخرجونه الليلة مستغلين مناسبة عائلية كمايبدو.

دار سيف حول نفسه بذهول.. لماذا يحتجز قحطان العزب أحد ابناء عمومه؟؟ توقف للحظة.. مالذي سيحتاجه والده من هذا الرجل الم يكن الايقاع بقحطان نفسه؟؟ انه يدخل نفسه أكثر وأكثر في معمعة الشيوخ وهو يريد الخروج فقط..

-والدي انا لست مطمئن لهذا.

عبر عن قلقه لتفاجأه ضحكة والده المقتضبة قبل ان يقول ببرود:

-لندع مشاعرك جانباً في الوقت الحالي ياسيف.. اريد تركيزك على المهمة فقط لاغير.سيأتي حمدون اليك.. وسيبلغك بباقي الخطة.

ضغط على فكه بقوة..وهمهم بالموافقة قبل ان يسمع استحسان والده..

-هناك شيئ أخر ياسيف..

ترقب بقلق..

-عبدالعزيز استيقظ..

اتسعت عينا سيف باندهاش قبل ان يصرح بارتياح حقيقي:

-هذا رائع.. متى كنت تنوي اخباري؟؟

-بصراحة لم أكن.. ولكنك بدوت وكأنك بحاجة لبعض الاخبار المفرحة..

صدمه البرود الذي يتحلى به والده.. زفر بضيف وهمس:

-هذا الامر من شأنه رفع معنويات عمتي اتمنى فقط من أجلها ان يعود عبدالعزيز لكامل صحته ويتوقف عن حماقاته التي تودي به الى التهلكة.

-مثلك كماادعو..

قالها والده بسخرية.. ليتسمر سيف ووالده ينتقده بقسوة:

-اعرف مغامراتك السرية بني.. فلاتلم عبدالعزيز لوقوعه في فخ سقطت أنت فيه بكل حماقة.

اراد أن يرد..ان يدافع عن نفسه ولكن الازيز المتقطع ابلغه ان والده كالعادة.. انهى النقاش دون ترك اي فرصة له.. وبكل حدة.

***

يوم الخطبة..

خيم الظلام خارج المستشفى الضخم حيث يرقد حسن العزب..وقف هناك رجل يراقب المدخل الذي وقف امامه حارس الامن متيقظاً.. ثم عدل من وضع ردائه الابيض وسارع للدخول.

رسم القوة والحزم على ملامح وجهه وهو يستقل المصعد للطابق حيث يحتفظون بالرجل..وامام جناحه المغلق وقف بحذر.. رأى حارساً واحداً يجاور الباب.. سلاحه معلق على كتفه..

يالجبروت تلك القبيلة.. سلاح آلي وسط مستشفى؟!

سخر وهو يرتدي قناع اللامبالاة واقترب من الحارس قائلاً بهدوء:

-وقت زيارة المريض..

نظر له الحارس ببرود قبل ان يشير له ان يفعل..

ابتسم له ودفع الباب للجناح..

كان حسن هناك يرقد على فراشه وقد استغرق في النوم.. تلفت حوله يتأكد من خلو الغرفة من اي احد اخر قبل ان يتقدم نحوه ويهزه بقوة:

-انهض.. انهض..

فتح حسن عيناه ورمش عدة مرات قبل ان يزمجر ويصرخ بعنف:

-لا اريد اية ادوية.. اتركوني وشأني.

وضع الرجل كفه على فم حسن بقسوة وهمهم بخفوت:

-أصمت ياشيخ والا فانك ستفد خطتنا لاخراجك..

اتسعت عينا حسن وصمت من فوره بينما الرجل يبتعد ويشير له بالنهوض-:

-غير ملابسك..ليس لدينا وقت.

نهض حسن بسرعة.. والتقط الرزمة التي كان يخفيها الرجل تحت رداءه الابيض وفضها بسرعة..كانت قميص وسروال من القطن تشبه مايرتديه ممرضو المشفى.. ارتداها بحذر وهو يتفادى كفه المحطمة ..

-ضع هذا..

همس الرجل ونظر حسن للقفازات الجلدية الخضراء ووضعها برفق كان الامر مؤلماً.. ولكنه تحمل بجلادة.. وحين انتهى قال له الرجل:

-انتظر هنا ولاتخرج حتى تسمع ثلاث طرقات متتالية على الباب اتفهم؟؟

اومأ حسن..وخرج الرجل.. مضت لحظات.. سمع خلالها حسن صوتاً مكتوماً قبل ان يسمع الطرقات الثلاث.. فتح الباب ليجد الرجل يسحب الحارس من قدميه وبقوة حمله ليضعه مكان حسن على الفراش ويغطيه.. مع سلاحه..ثم التفت لحسن وقال لاهثاً:

-مالذي يأكله هذا الثور؟؟

-لحم الجمال..

اجاب حسن بسخرية ليبتسم الرجل الاخر بشراسة قبل ان يشير له ان يتبعه.. وهو يناوله قبعة ارتداها وامالها لتغطي عينيه قبل ان يخرجا معاً ويغلقا الباب بحرص.. وقبل استقلالهما المصعد توجه الرجل الى مكتب المرضات وابتسم للفتاة الدقيقة التي وقفت قباله:

-السيد حسن العزب كان متألماً واعطيته بنفسي حقنة منومة تساعده .. لاتزعجوه حتى يستيقظ وحده..اتفهمين؟

-حاضر دكتور..

ابتسمت الممرضة ليشكرها الرجل بينما يعود لحسن الذي سأله بخشونة:

-أنت طبيب؟؟

تهكم الرجل:

-في أوقات فراغي.. لاتقلق ياشيخ حسن.. توصيلتك تقف امام الباب..

راف4 رمادية ستأخذك لمكان االمن..

-شكراً لك..

-لاتشكرني..اشكر السلطان بالنيابة عني..

نظر له حسن بتردد..السلطان؟؟ مالذي يعنيه هذا؟؟ من هؤلاء؟؟ ولكن..

لم يكن هذا هو الوقت المناسب لتلك التساؤلات..

كان عليه ان يتجاوز حراس المستشفى للسيارة التي ماان صعد بها حتى انطلقت بهدير خافت تشق الليل..بسكون.

***

-هل أنت مستعدة؟

ابتلعت ريقها ورفعت رأسها أن نعم.. قبل ان تمضي مع الجوهرة عبر الباب ذو الضلفتين لداخل الديوانية الواسعة والتي امتلأت عن بكرة

أبيها تصدح الاغاني من فنانة شعبية جلست وفرقتها في الجهة البعيدة عن الباب وأفرغت مساحة وسط الديوانية للرقص..

أخذت سيادة نفساً عميقاً وحبسته بداخلها قبل ان تفرغه على دفعات وهي تنقل عينيها في الوجوه التي تسمرت بالنظر اليها وكيف لاتفعل؟؟

كانت المطربة تنهي الاغنية ليعم السكون في المكان عدا عن بعض الثرثرات هنا وهناك والانظار بالتدريج تتركز عليها.. سمعت الجوهرة تصلي على النبي الكريم"اللهم صل وسلم وبارك عليه" وترقيها بكلمات خفيضة دفعت بالابتسامة لشفتيها الغنيتين بلون أحمر صارخ وهي تهمس:

-لاتقلقي..انا معتادة على لفت الانظار حيثما أذهب جوجو..

بالطبع كانت معتادة.. ولذا وبكل الثقة التي ولدتها نظرات الانبهار من النساء بمختلف الفئات العمرية كانت تشد من قامتها وتدفع شعرها الناري الذي تساقط كشلال وصل لخصرها ليستقر على كتفها اليسرى بينما تتقدم والجوهرة تتبعها نحو رأس الديوانية حيث جلست عروس علي الجميلة ببراءة منعشة..

كانت تدرك ان صوت ضربات كعب حذائها على السيراميك اللامع سيترك صدىً في المكان الصامت وكأن على رؤوسهم الطير..

كانت هناك العديد من الفتيات الجميلات.. ولكن احداهن لم تصل لذلك الجمال الناري المتفجر تلك البشرة التي طليت باللون الذهبي من رأسها لأطراف اصابعها..والذي تهادت بالقامة الطويلة والثوب الذهبي بصدر من الترتر اللامع بحزام ذهبي يحيط بخصرها لتنورة قصيرة والتي ارتفعت عن ركبتيها ببضعة انشات وهفهفت حولها بشكل يدير الرؤوس ..

تحلت بطوق ذهبي احاط بعنقها وخاتمين من الذهب والألماس وساعة ذهبية بالاضافة لسوار ذهبي بماسات رقيقة تزينه..

كانت تبدو كسبيكة من الذهب تتهادى على كعبين!!..

وصلت الى العروس التي كانت تنظر لها بانبهار واضح وتتسائل عمن هي هذه التي تبدو وكأنها قد خرجت من أحدث مجلات الموضة..

والتي ابتسمت لها ببشاشة قبل ان تستدير لحماتها.. أم علي..

وتنحني لتقبل رأسها بكل تواضع قائلة بعربية جيدة تداخلت فيها لكنة غريبة لم تفهمها:

-مرحباً ياعمتي..

كانت هدية تطالعها بصدمة.. لم تتصور ولو للحظة أن تأتي..

والأدهى أن تأتي هكذا؟؟ بهذا المنظر الذي أطاح بعقول نصف النساء

حولها الم يكن كلهم..

-ماشاءاللّه عروس علي تبدو رائعة..

قالتها بخفوت.. صوت مبحوح ناعم سرق قلب ترنيم وهي تواجه المرأة

التي قبلتها بخفة وهي تبارك لها وتعطيها هدية ملفوفة بالذهبي كما

كانت صاحبتها ..

تمتمت بالشكر وهي تراقب الفتاة التي سارعت غزل وسلمى بافساح

المجال لها لتجلس الى جوارهن بفرح واهتمام وأدركت انها لابد قريبة

جداً من العائلة..

-سيادة اتنوين ان تصيبي الجميع بالجنون..

همست سلمى ضاحكة وهي تخفي ابتسامته بكفها وسيادة تفكر

ان هناك شخص واحد فقط تنوي اصابته بالجنون وهي تنوي على

هذا ..

-انها البداية فقط سلمى..

همست بشقاوة لتنظر لها الفتاتان بدهشة قبل ان تنفجرا بالضحك

حتى غزل التي سرعان ماازاحت للجوهرة التي قالت لسيادة بمكر:

-دخول عاصف سيادة اراهن ان النساء هنا لن يتوقفن عن الحديث عنه لوقت طويل..

اتسعت ابتسامتها وهي تحرك رأسها بطريقة جعلت شعرها يتراقص على كتفيها بينما تعقد ساقيها بنعومة وسلمى تقول بحسد:

-ماذا فعلتي لتنالي هذا اللون الذهبي؟؟

كان جسدها كله يلمع باللون الذهبي..المائل للبرونز فضحكت غامزة لها:

-انها اسرار فرنسية ياعزيزتي.. دعيني افكر وربما ابوح لك ببعضها يوماً.

زمت سلمى شفتيها ولم تعلق بينما همست الجوهرة:

-من تلك التي تجاوز أمي؟؟

نظرت سيادة بحدة نحو حماتها وضاقت عينيها والتمعت بشرار وهي تهمس:

-تلك اللعوب..

كانت أميرة.. وقد ارتدت ثوباً من الحرير طويل بكم واحد وحزام لؤلؤ يحدد خصرها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد). كان شعرها معقوداً خلف عنقها بتسريحة رقيقة بينما زينة وجهها كانت

متقنة.. ولكنها كانت شاحبة الان.. شاحبة وهي تنظر للمرأة التي جائت وأدارت الرؤوس..

-انها أميرة التي أخبرتك عنه.

قالتها سلمى بتوتر.. بينما ترى هدية تقوم من مكانها وتتجه نحوهن..

-جوهرة تعالي معي والقي التحية على أميرة..اريدك أن تتعرفي عليها.

نظرت الجوهرة لسيادة بتردد ورغم قلبها الذي كان يغلي بالحنق والغضب ولكن سيادة نهضت هي الاخرى بكل برود تواجه حماتها وتقول بصوت ناعم:

-أتقصدين مساعدة قحطان؟؟ ربما انا يجب علي مرافقتكما فهي قد فعلت الكثير لانهاء اوراقي هنا..

نظرت لها هدية بحنق وشملتها بعينين مستنكرتين:

-انت كيف تفكرين بارتداء مثل هذه الخرق والخروج بها علناً؟؟

تماسكت سيادة .. ثوب بثلاثة الاف دولار مصمم خصيصاً لها وتسميه خرقاً.. سيطرت على اعصابها برزانة قبل ان تبتسم بثقل:

-انها الموضة عمتي.. ثم ان معظم الفتيات يرتدين ثياباً قصيرة.. حتى هنا.

اشاحت هدية برأسها ومضت تتبعها الجوهرة وسيادة والاولى تخفي قلقها من كل هذا التوتر بينهما ..

وصلتا الى اميرة والتي نهضت بسرعة تلقي السلام على الجوهرة وحتى تقبل وجنتيها بينما وقفت سيادة تتأمها من علو بسبب الكعب قبل ان تهمس بابتسامة:

-كيف حالك ياأميرة لم أرك منذ فترة؟

-بخير..

همست الفتاة بشحوب لتدير سيادة عينيها في الديوانية:

-سمعت انك من نظم حفل الخطبة.. أهذاصحيح؟؟

-بالطبع.. فأميرة يعتمد عليها بشكل كامل.

ردت هدية بغيظ لتتسع ابتسامة سيادة:

-بالتأكيد ياحماتي العزيزة ..

ثم نظرت لأميرة وقالت بسخرية:

-ربما ننظم حفلة قريباً في منزلي هنا .. مارأيك لو استخدمتـــك لتنظيمها؟؟

كانت تركز على كلمة استخدمتك بشكل مهين جعل الفتاة تحمر بالاحراج وهي تتمتم:

-لا..لااعتقد وقتي..اعني وقت العمل مع السيد قحطان يسمح لي..

-اااه صحيح انت تعملين مع زوجي..

وعادت تضغط حروف زوجي وهي تنظر لأميرة مباشرة وكأنها تبدأ حرب مبارزة كلامية وتلك تحاول الهرب بعينيها دون فائدة وسيادة مستمرة:

-هل يعطيك اجراً مجزياً؟؟ بامكاني ان اضاعف المبلغ لك ان اردتي؟؟

ثم غمزت بمكر وهي تضيف:

-أم أن النقود لاتهمك في العمل مع قحطان؟؟

ازداد شحوب أميرة بينما تدخلت هدية التي لم تفهم الحرب الكلامية بينهما بل زادتها حيرة من غيرة المرأة الواضحة:

-أميرة تعمل تحت امرته وهي مرتاحة بذلك ربما عليكي ان تبحثي عن سواها..

-خساارة..

قالتها سيادة ببطئ..

قبل ان تشيح عنهما الاثنتان وتعود الى مكانها بخطوات متهادية..

جذابة ادارت النظرات اليها..

وخلفها كانت الجوهرة التي همست لها:

-لقد أوقفتها عند حدها..

-انها واقعة في حبه..

همست بشحوب.. وكيف لاتفعل؟؟

لقد رأته في عينيها في تفاصيلها وهي تقف امامها رأته في رجفة شفتيها حين قالت اسمه وليتها لم ترى وتدرك.. كانت ترتجف تشعر بالغضب وشيئ أخر..

كمن انتُزعت روحها وتُركت خاوية مزلزلة

كانت خائفة.. خائفة أن تفقده؟؟

-عديمة الحياء..

همست الجوهرة بضيق بينما تسمرت سيادة الى جوارها وعينيها في الفراغ .. ماذا سيحدث لو رأى قحطان مارأته هي؟؟ ماذا لو أنه يعرف أن المرأة مغرمة به؟؟ شحب وجهها وتيبس حلقها وهي تفكر..

هل سيغريه هذا بالتجربة؟؟ هل سيحسم قراره ويجعله يريدها كمابالتأكيد هي تتوق اليه؟؟

لا لا لا

قحطان لايفكر هكذا.. هو ليس خسيساً هو ليس حقيراً..

ولكنه غاضب..غاضب منها ويظنها تخونه مع ذاك الحقير.. يريد الانتقام ويريد ان يقهرها هو قال ذلك..

رباااه ساعدني..

فكرت بتضرع تقاوم دموعها التي كانت تقاتلها لتتساقط على وجنتيها..

شعرت بذراع الجوهرة تحيط بها وهي تهمس:

-لاتدعيها تحاول التقرب من قحطان سيادة.. انت زوجته ولم أرى اخي في حياتي ينظر لامرأة كمااراه ينظر اليكي.. شقيقي مدله بكي يامرأة فقط عليكي ان تريه هذه الحقيقة التي يحاول الهروب منها.

أخذت نفساً عميقاً وحاولت الانصات لماتقوله الجوهرة.. ولكن قلبها كان يغلي..يحترق كالجمر ولاسبيل لاطفاءه كانت تغار وبجنون.

تريد أن تراه.. لقد تكبدت كل تلك المشقة لتراه.. تشعر بالارهاق من الطريق وانها لم تنم فعلياً ولا لدقيقة منذ البارحة شوقاً وتلهفاً..

ارتجفت أصابعها وهي تتمسك بكف الجوهرة:

-متى ينتهي الحفل؟؟

-لايزال الوقت مبكراً ياسيادة..أتشعريـــن بالتعب؟؟

-قليلاً..

قالت لتسرع الجوهرة وتختفي من أمامها بينما اقتربت سلمى وقالت بحنق:

-لقد أصابتك العين.. أعوذ باللّه..

ابتسمت سيادة بشحوب ورفعت عينيها للجوهرة التي عادت بسيدة وقور غاية في الرقة قالت بخفوت:

-تعالي بنيتي..

-هذه والدة ترنيم وستأخذنا لغرفة هادئة حتى تتمالكي نفسك.

نهضت سيادة مرتعشة تشعر بالبرد ولم يكن التكييف وحده الملام..

اشاحت عن هدية التي انشغلت بأميرة وضيوفها ورافقت الجوهرة مع السيدة الناعمة الى غرفة نوم صغيرة لابد تستخدم للضيوف وقالت بمحبة وهي تلامس وجنة سيادة الشاحبة:

-لابد انك ارهقتي نفسك ولم تأكلي جيداً يابنتي.. فتيات هذا اليوم يعتبرن الطعام عدوهن الاول..

حاولت الابتسام ولكنها صدقاً لم تقدر رأت المرأة تغادر لتجلب لها مشروباً ساخناً يدفئها كما قالت بينما همست الجوهرة:

-انت مرهقة.. وبداية الحمل دائماً تكون متعبة.

ثم نهضت لتغادر لتتمسك بها سيادة بذعر:

-لاتتركيني..

-سأعود لاتقلقي..

افلتتها سيادة وأسندت ظهرها للوسائد.. تباً لهذا الدوار..تشعر بحلقها جاف للغاية.. الجوهرة تأخرت..فكرت بعد لحظات لماتركوها بمفردها..

حاولت النهوض بصعوبة.. تريد التخلص من حذائها المرهق..حين سمعت الباب يفتح ببطئ..

التفتت بسرعة تتوقع الجوهرة وتستعد لتأنيبها حين تصلبت وهي تنظر في عينيه..

يالله.. كم من يوم مضى وهي لم تره.. اسبوع.. اسبوعان؟!

واحد وعشرون يوماً بالضبط..

كيف لاتحسبهم والايام كانت تمضي ببطئ لعين وكأنها تنتقص من عمرها..

الأن وقفت هنا..

في منزل غريب.. وسط غرفة غريبة..

وقفت أمام زوجها.. أمام حبيبـــها..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لم يعرف سبب استدعائه من مجلس الرجال في بداية الحفل..كانت سلمى من تتصل به وطلبت منه المجيئ لصالة المنزل الخارجية..

وهناك التقته وهي تغطي رأسها وبرفقتها الجوهرة..

-لم أكن اعرف بأنك آتية؟؟

قال لشقيقته بابتسامة وهو يقبل وجنتيها لتبتسم بتوتر:

-مفاجأة..

-مالأمر؟؟

نظر للاثنتين بقلق قبل ان تجذبه الجوهرة من ذراعه وهي تهمس:

-تعال.. لدي شيئ يخصك..

ونظرت له بلوم:

-وهي في حالة يرثى لها..

تفجرت مشاعر لم يختبرها في عمره كله من قلبه وقتها.. لقد أدرك من تعني..لم يكن هناك احد في الكون كله يخصه سواها.. وحين فتحت الباب ودفعته دفعاً للدخول تسمر هناك يناظرها بذهول..

ماذا قالت الجوهرة؟؟ يرثى لها؟؟

طافت عيناه باللوحة المشرقة التي وقفت امامه بصدمة..

سمع اقفال الباب خلفه بهدوء وعيناه لاتفارقانها.. وقفت امامه تعقد كفيها وتنظر له بعينين واسعتين.. لم يعرف مالذي جعله يقترب..مغناطيسية قوية تلك التي حركت ساقيه اليها.. حتى وقف قريباً.. قريباً لتجتاحه رائحتها.. لم تكن رائحة الليمون هذه المرة.. كانت رائحة امرأة.. عميقة جذابة.. رائحة مسكرة افقدته تركيزه للحظة قبل ان يحاول التماسك وعيناه تدرسان تفاصيلها بلهفة لم يتوقعها..

عينيها المحاطتين بلون ذهبي لامع.. زاد من لمعان زمردتيها فبدت كجوهرتين تشعان بلاتوقف.. وجهها الذي لمع بالذهب وشفتيها .. شفتيها العنبريتان تغريانه بجنون.. نزع عينيه عنهما بصعوبة وهو يتتبع شعرها.. رباه ماذا فعل به ذلك الشلال الناري وهو يتساقط على كتفين برونزيتين حتى خصرها الدقيق.. ثم كان ثوبها.. لقد أقسم انها لن ترتديه مجدداً.. عاد بعينيه لعينيها التي كانت تلتهمه هي الاخرى..

رباااه كم اشتاقت اليه.. وجنتيه الحادتين عينيه الصقرية.. نظرته الشرسة ثم كان جسده المتحفز وكأنه في قتال.. راقت لها البدلة الرسمية التي يرتديها.. قميص أسود وبدلة رمادية..

صحيح انه لم يضع ربطة عنق ولكنها كانت تغييراً منعشاً جعلها ترتجف.

-قحطان..

همست متلعثمة لينتفض وكأنها أخرجته من غيبوبة ..

-ماذا تفعلين هنا؟؟

تسائل بخشونة يحاول ان يجلي حنجرته من الغصة التي تحكمت به.. لتنظر له بحزن.. بعد كل هذا الغياب ولايجد مايقوله سوى هذا!!

-اسفة.. لابد انني أخطأت..

شعرت بالألم ..يطعنها بين ضلوعها وهي تستدير عنه تريد الابتعاد عن طريقه ولكن.. قبضته كالفولاذ أطاحت بذراعها.. شهقت برعب وهو يسحبها اليه حتى كانت ذراعيها تصدان صدره العريض عن تحطيمها..

-بهذه السهولة؟؟

دمدم من بين أسنانه فنظرت لعينيه.. كانت سوداء بلاقرار لم ترها قط بهذا السواد سوى مرة واحدة.. حين همست باسم عبدالعزيز بين ذراعيه للمرة الاولى.. اتسعت عينيها بذعر وارادت الهروب.. كان غاضباً منها غاضباً وبجنون..

ذراعه سرعان ماأجهضت محاولتها الخرقاء وهي تحتجز خصرها بقسوة جعلتها تشهق..

-تبتعدين برغبتك وتعودين كما يبدو برغبتك ايضاً.. والان ماذا ؟؟ أتنوين الهروب مجدداً؟

نشف فمها وهي تنظر لعينيه المخيفة.. لاذرة من التعاطف.. فقط قسوة قسوة جعلتها ترتجف حتى كادت ساقيها تخور تحتها وهي تتوسل له:

-ارجوك قحطان اتركني..

-لتبتعدي مجدداً؟؟

همس بسخرية قبل ان يقسو فمه وتصبح شفتاه خيطاً رفيعاً من الغضب:

-لم تحزري يابنة عمي.. لقد سئمت ألعابك الصبيانية وحان الوقت لأن اعلمك معنى ان تكوني زوجة مطيعة.

شيئ بداخلها اشتعل.. هذا الغرور الذي اغتسلت به كلماته.. يالله.. كم تود صفعه فقط لتتخلص من ابتسامته الساخرة ونظرةعينيه المرعبة.. ولكنها لم تفعل.. لقد ابتعدت لوقت طويل لتفكر ملياً وتخطط.. ورغم عثرتها الصغيرة الان, الا انها يجب ان تستعيد قوتها..

يجب ان تنفذ ماقررته وتعيد زوجها اليها ولذا وبكل المكر الأنثوي الذي تمتلكه ترنحت بين ذراعيه وبلحظة كانت تتهاوى..

أحاطها برفق وبكل سهولة كان يرفعها ليضعها على السرير وقد شحب وجهه وهو يربت على وجنتها هامساً باسمها بلوعة.. رمشت بعينيها ونظرت له..

ذالك السواد اختفى.. كان هناك قلقاً ارتياعاً حتى..كفها الصغير كان على صدره لتدرك ضربات قلبه الهادرة.. تأوهت واشاحت بوجهها هامسة:

-ارجوك قحطان..أنامتعبة..

اعتدل بسرعة وابتعد عنها هاتفاً:

-سأخذك للمنزل.

فتحت عينيها بفضول ورأته يخرج ليكلم الجوهرة التي كانت تقف على الباب.. سمعته يأمرها بجلب عبائتها وغطاءها.. فابتسمت بخبث قبل ان تعود بسرعة لرسم الارهاق المبالغ به على وجهها وهي تراه يقترب مجدداً

-سيادة هيا انهضي لنغادر..

-لا استطيع ..

همهمت بخفوت مرتجفة..ليقترب ويساعدها على القعود .. ولكنها لم تفوت الفرصة.. فسرعان ماكانت تتهاوى على صدره وتغرق انفها في رائحته الرجولية المبهرة..

-لاأشعر بساقاي..

همست قريبة من النبض الضارب بجنون في اسفل حنجرته..

ليستغفر بصوت عالٍ وهو بالكاد يسيطر على أعصابه .. منذ متى لم تقترب منه لهذه الدرجة.. منذ متى لم يشعر بها تلتصق به كقط صغير مذعور ستقوده للجنون.. احاطها بذراعه لتستغل الوضع وتحيط ظهره العريض بذراعها هي الاخرى وتتشبث اصابعها بقميصه بتملك..

حينها دخلت الجوهرة ولم تكن وحدها.. كانت معها هدية وسلمى والقلق بادٍ عليهما:

-سيادة هل أنت بخير؟؟

تسائلت سلمى بينما تقلب وجه هدية وهي تنظر لولدها بغضب ..

-أشعر بدوار..

همهمت سيادة وهي تقترب منه أكثر..شعرت بعرقه يتصبب منه كان محرجاً رات احمرار وجهه وهو يهرب من عيني شقيقتاه وأمه..

لم يعتد ابداً على اظهار تقارب كهذا بحضورهن.. ولكنها استغلت كل دقيقة.. ولم تبتعد عنه قيد أنمله حتى والجوهرة تضع عليها عبائتها وسلمى تقول بحنق:

-كل هذا من العين.. اااه قحطان لو رأيت كيف كان الجميع ينظر اليها.. لقد اصابتهم بالذهول.

نظر لشقيقته بعنف واشتدت قبضته عليها حتى تأوهت ليفلتها ويتململ قبل ان يهمس لها بخشونة:

-انتظري هنا معهن.. ساجلب السيارة للأمام.

أفلتته بصعوبة وهي تخفي تذمرها باغلاق عينيها والعودة للاستلقاء..

نظر لها بتوتر كان يخشى عليها وكيف لايفعل؟؟

-هل انادي علي لتفقدها؟؟

تسائلت سلمى بخوف ليرتجف قلب سيادة وهي تتخيل ماسيقوله الطبيب عن تمثيليتها ولكن قحطان زمجر برفض:

-سأخذها للمنزل وستكون بخير..

وأسرع خارجاً تلاحقه نظراتهن وهو يحاول السيطرة على غضبه .. هذا ماينقصه ان يرها أحدهم بهذا الشكل؟؟ حتى وان كان طبيباً.. حتى وان كان شقيقه من لحمه ودمه..

قبض يديه بعنف.. الهذه الدرجة يغار عليها؟؟ وماقالته سلمى عن الجميع..

كان قد وصل لسيارته.. ففتح بابها واغلقه بعنف شديد رباااه الى متى سيظل يحارب رغبته باخفاءها عن الجميع؟؟

وهناك كانت سيادة تنظر للجوهرة بعينين نصف مغمضتين وهي تحكم حولها غطاءها وهي تهمس:

-شكراً..

غمزت لها الجوهرة بتواطئ فحاولت الا تبتسم وهي تخفي وجهها بطرف طرحتها الحريرية حين فتح الباب وسمعت صوت قحطان:

-هيا بنا.

رأته من خلف الحرير فابتسمت بخبث قبل ان تخفي ابتسامتها وتمد ذراعيها نحوه بضعف.. لم يفكر مرتين قبل ان يحملها بين ذراعيه.. لتحيط عنقه بتملك وتريح رأسها على كتفه وبكل دلال همست لأذنه القريبة:

-شكراً لك..

لم يعلق..كان وجهه مغلقاً وهو يتوجه بها بكل سهولة الى الخارج..كانت سعادتها هائلة ولولا خوفها منه لكانت صاحت

بالنصر وهي تخرج برفقته امام الكل.. قحطان سيعود اليها كماكان..

سيعود ذلك الرجل المحب المراعي ولو فعلت المستحيل..

وضعها برقة على المقعد المجاور للسائق واحكم حزام الامان حولها

قبل ان يدور حول المقدمة ويتخذ مقعده الى جوارها.. سمعته ينبه

الجوهرة ان رعاد سيتولى ايصالهن بعد الحفل.. وبعدها كان ينطلق

بالسيارة دون ان يتكلم..

تململت الى جواره قبل ان تنزل غطاءها بزفرة ليسألها باقتضاب:

-تشعرين بالحر؟؟

التفتت اليه.. ومدت ذراعها لتلامس كتفه:

-لا..انا بخير الأن.

لمستها كانت كالكهرباء لايستطيع نفضها.. بل لايريد.. كان يريد ان

ينظر اليها ولكنه لم يفعل.. لو فعل فهو لن يزيح عينيه عنها بعدها ..

شقته الجديدة لم تكن تبعد أكثر من عشر دقائق.. ولكن بدا له

الطريق وكأنه سيستمر للأبد..

واخيراً وصلا..

اوقف السيارة امام مدخل البناية لتفتح عينيها بتوتر:

-أين نحن؟؟

-المنزل..

همس بسخرية وانقبض قلبها.. لم لم يأخذها الى تلك الفيلا؟؟

-هل تظنين ان بامكانك السير حتى المصعد فقط؟

رأت شيئاً في عينيه.. خطر لم تفهمه ولكنها اومأت:

-نعم..

حل حزامها وغادر السيارة ليتجه نحوها.. ساعدها على مغادرة السيارة واطمئن لوقوفها على ساقيها بثبات.. رغم ارتجافتها لتواجده القريب منها.. كانت تستطيع ان تسمع أنفاسه المتسارعة وأدركت انه يعاني مثلها.. هذا القرب المميت..

شعرت بذراعه تحيطها فتشبثت بسترته وهو يقودها الى داخل البناية الفاخرة وفي المصعد التزما الصمت كانت شقته في الطابق العاشر.. ابتلعت ريقها وهي تراه يفتح باب من خشب الصندل قبل ان يوجهها للداخل..

تقدمت ببطئ تنظر حولها للظلام..كانت الشقة باردة كالثلج..

شعرت بالخوف حقاً فتشبثت بذراعه قبل ان يضغط زر الانارة ويشع المكان.

تأملت الشقة.. من الواضح انها جاهزة وان لاعلاقة لها بقحطان..

كانت مفروشة بذوق اوروبي واضح..

-لمن هذه؟؟

تسائلت بفضول ليرد:

-لي..

نظرت نحوه باستغراب ليتجه الى احدى الغرف وهو يقول:

-اشتريتها جاهزة فلاتفكري كثيراً.

-لم لم تبقى في منزلنا؟؟

همست بشحوب ليتوقف وينظر لها بنظرة عاصفة:

-فيه الكثير من الذكريات ياسيادة.

جف حلقها وهي تتذكر اي نوع من الذكريات يقصد..

ذكريات هروبها.. خيانتها كمايعتقد..

تجمدت ليقترب منها ويسألها بقلق:

-أانت بخير؟؟

لم تكن تمثل الان.. شعرت حقاً بالألم للذكريات السيئة.. وراعها انه لم يفكر ولو للحظة بالذكريات الحسنة.. كذكرى اول ليلة قضاها معها حقاً.. ذكرى جعله منها امرأة.. امرأته هو..

-انا متعبة..

همست ليقترب اكثر وقبل ان تعترض كان يحملها بين ذراعيه الى داخل احدى الغرف..

تشبثت بكتفيه بخوف,, حتى انزلها ببطئ.. كان قريباً.. قريباً جداً ليلحظ ارتباكها خوفها وارتجاف شفتيها..

-أشعر بالبرد.

همست تبرر فتراجع متنحنحاً ليقفل التكييف الذي تركه كمايبدو منذ الظهر حين عاد اليها كانت تنزع عبائتها وطرحتها فعلق بتوتر:

-ألاتظنين ان ثوبك هو السبب لشعورك بالبرد؟؟

تأملت ثوبها الذي تراقص حول وركيها بنعومة.. ثم نظرت له..كان يحدق بها..بإمعان رأت عضلاته تتقلص تحت قماش سترته

فابتسمت من الداخل.. انه متأثر للغاية.. ثوبها وكلها تثير فيه مشاعر قوية لاسبيل له لينكرها.. فعيناه.. اه من عيناه تفضحانه..

تقدمت تتراقص بخطواتها نحوه بذلك الكعب يجعلها بطوله تقريباً..

عينيها في عينيه اختفى الشحوب واصبح وجهها متوردا بحرارة اجتاحته كالنار حال اقترابها منه.. تمسكت بياقة قميصه وهمست:

-ألا يعجبك؟؟

ابتلع ريقه بصعوبة وهي تفلته وتدور حول نفسها برقة لتتطاير حولها التنورة الحريرية وهي تقول:

-الجميع طار صوابهم..

وأنا سيطير عقلي كله.. فكر بتوتر وهو يتأمل كيف تراقص القماش الخفيف على ساقيها كاشفاً اكثر ممايخفي..

-ألم أحذرك من ارتداء ملابس عارية امام الاخرين؟؟

زمجر لتقترب وتحيط عنقه بذراعيها عنقه هامسة:

-انها مناسبة مهمة ولم أكن الوحيدة فنحن لسنا في البلدة..ثم..

قبضت على كفيه ووضعتهما على وركيها هامسة:

-يجب علي ان استفيد من هذه الملابس قبل ان يزداد وزني ولااصلح لشيئ.

تقلص فكه وهو يضغط عليها برفق..تخيل للحظة بطنها المسطحة وقد تكورت بحملها فكر للحظة انها ستبدو اكثر جمالاً ربما.. تذكر ماقالته له الجوهرة عن امتلائها في كل الاماكن الصحيحة ..

يالله فهي لم تكن تكذب ..

تحرر من قبضتها وابتعد يهتف يحاول ان يتخلص من تأثيرها عليه:

-وحتى لوكنا في باريس.. اوامري يجب ان تنفذ..

عضت شفتيها بحنق قبل ان تغمض عينيها لثوانٍ وتعد للثلاثة ثم توجهت نحوه:

-حاضر..لن أرتديه مجدداً..

ثم احاطت ظهره بذراعيه واسندت رأسها على كتفه العريض:

-الا من أجلك أنت فقط..

اغمض عينيه قربها يشوشه ويضرب بكل غضبه عرض الحائط يجعله ضعيفاً.. متردداً وهو لم يكن هكذا ابداً من قبل.. مالذي تفعله هذه المرأة به؟؟

-هل أفهم من هذا كله ان فترة الابتعاد التي اردتها قد انتهت؟؟

تسائل محاولاً السيطرة على الارتجاف في صوته فتنهدت بحرارة وهمست:

-انا لم أشأ الابتعاد قحطان..ولكن كما أخبرتك.. كان هو الحل الوحيد..

استدار ببطئ يواجهها:

-مالذي تغير الان؟؟

نظرت لعينيه رأته يحارب الشوق لأن يقترب لأن يأخذها الان:

-الشوق الذي يقتلنا قحطان.. يقتلني.. ويقتلك.

-انا.انا لا..

قاطعت استنكاره بأصابعها وهي تهمس بحرارة:

-لاتكذب يابن عمي.. فشوقك يفضحك كمايفعل معي..

تنشق نفساً قوياً وهي تضيف:

-بيننا الكثير ليُقال ويُفسر ياقحطان.. لدينا الكثير لنفهمه معاً..دعني اشرح لك..

تهدج صوتها ليقاطعها هو هذه المرة ..

-لاتفسري شيئاً..

نظرت لعينيه بعينين تلمعان بالدموع وشفتين مرتجفتين ..

-قحطان..انااا اه..

أبعد ذراعيها اللتي تحوطه وتراجع قائلاً:

-انا حتى لااعرف كيف افسر الامر ياسيادة..

استدار يواجهها عيناه لجتان من الظلام تغرقان في نظرة الزمرد المشع وهو يسألها باتهام ساخر:

-هل تكذبين علي مجدداً؟؟ هل مثلتي ماحدث قبل قليل؟؟هنا وفي منزل الراجي؟؟

-لا..لم أكذب.

همست بخشية ليتراجع رفع كفه يصد اقترابها وهو يبتعد..كان غاضباً..من ضعفه من استعداده لأن ينسى كل شيئ كمايبدو وكأنما يمحو ذاكرته كماحدث في المرة السابقة.. كانت خطواته هادرة وهو يغادر غرفة نومه الى المطبخ.. كان غاضباً منها أكثر.. ابتعادها ذاك وعودتها الان وكأنها واثقة من أنه سيتقبلها بأذرع مفتوحة يكره انه كاد يفعل..كاد يستسلم لها كاد يفعل حقاً..

وقفت مكانها متسمرة لاتعرف مالذي تفعله؟! تبقى هنا أم تلحقه.. لا لا.. هي لن تتركه الان لن تدعه يبتعد عنها لقد جائت الى هنا خاطرت بخسارة كرامتها لأنها تثق انه يشتاق اليها وهي مستعدة لتحمل النتائج.. لايزال يشك لايزال ينظر اليها ويعتقدها مخادعة كاذبة لاتقول سوى الكذبة تلو الاخرى..

وهي لم تعد هكذا.. ليس منذ أن وقعت بحبه..

لن تدعه يقترب ستخبره انه كل شيئ بالنسبة لها.. ستخبره أنها تحبه ولن تسمح لشيئ ابداً ان يفرق بينهما.

تبعته بخفة كان يقف امام نافذة المطبخ وعيناه غارقتين في ظلام الليل خارجها..

شعر بها راته في تقوس كتفيه فاقتربت هامسة:

-علينا أن نتكلم..

التفت لها بحدة وسألها بعنف:

-مالذي ظننته سيادة؟؟ هل فكرتي انك ستقفين امامي بثوب قصير شبه عارية فأفقد صوابي وأجثو أمام قدميكي؟؟

اتسعت عينيها بشحوب وهزت رأسها تنفي ماقاله قبل ان تتوقف وتخفض عينيها معترفة بالذنب:

-لم..حسناً ليس بالطريقة التي تقولها..

-اه حقاً؟؟ لماذا هل قلت الكثير؟؟

-انت تجعله يبدو بشعاً..

همست مخنوقة ليصرخ بعنف:

-لأنه كذلك سيادة.. الكذب والتمثيل الذي لاتكفين عنه.. انت فقط تحيكين الخطط وتتوقعين من الجميع الوقوع بها.

تراجعت مبهوتة فيما يقترب ويقبض على ذراعها بوحشية هاتفاً:

-لقج استعدت ذاكرتي منذ زمن سيادة الاعيبك الصغيرة هذه لافقادي صوابي لم تعد تجدي انا اعرفك الان اعرفك لدرجة كبيرة.

-أنا لم أقصد هذا..

صرخت بألم ليفلتها بضحكة ساخرة مريرة.. أشاح عنها وهتف بصوت متعب:

-لقد سئمت هذا الامر سيادة سئمت لعبة القط والفأر هذه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

انسابت دموعها بقهر وهي تهز رأسها برفض.. لن تقبل .. لن تقبل هذا الابتعاد..

-انا أحبـك..

همست بصوت ضعيف..ولكنه وصله بالكامل.. وتصلب في مكانه

عيناه تحدقان في الفراغ ولايعرف بمايرد حتى..

-قحطان انظر الي..

همست تستجديه فلم يستجب لها.. كان مشيحاً عنها وذراعاه معقودتان امام صدره بقوة اقتربت تواجهه لم ترى وجهه يوماً مزموماً وغاضباً كاليوم وكأنه يصارع نفسه يصارع شياطينه كلها..

-أرجوك أنظر الي..

همست مجدداً لوجهه المبتعد فلم يلن..أحاطته بكفيها وأجبرته على النظر..كانت قريبة جداً منه..

"JE TE AIME"

همست تنظر لعينيه ثم أضافت بصوت مبحوح(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

"JE NE PEUX PAS VIVRE SANS TOI"

"MON AMOUR"

اغمض عينيه يهرب من نظراتها.. قربها المميت وتلك الكلمات التي لم يفهمها والتي صعقته بحميميتها ولكنها لم تسمح له بالهرب.. لم تسمح له بالابتعاد أكثر.. شعر بها تقترب تندس بين ذراعيه وتحشر نفسها حشراً وهي تهمس باكية:

-أنا أحبك أحبك ولااستطيع العيش بدونك حبيبي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-يالله..

تمتم بنفاذ صبر.. وأصابعه تقبض بقسوة على كفيها وتحجزهما بتسلط بينما يكتم انفاسها بشفتين قاسيتين..يجب ان تصمت.. كان عليه أن يسكتها بطريقة ما.. والقبلة وقتها بدت فكرة ناجعة تماماً .. بل هي ماارادة منذ ان رأاها.. جعلتها تجفل..تتعثر في وقوفها وتكاد تسقط لولا ذراعين من الصلب احاطتا بها ورفعتاها اليه.. تعلقت ذراعيها بكتفيه كان يغمرها كلها شعرها الحريري يحيط بهما

كغيمة نارية وانفاسها تلتحم مع انفاسه لم تكن قبلة .. كانت صراع ..

من ينتصر منهما ومن يستسلم ..

لم يكن ينوي الاستسلام.. ابداً.. كانت تعيش تحت جلده وتندفع مع الدم في عروقه كانت تسكنه كشبح ولاتنوي الخروج..كان عليه ان ينتهي من هذا.. هاجس ملأه وكأنه سينتهي منه حالما يفلتها..يعاقبها بقسوة لكل مافعلته لاعترافها بحبه والذي لم يتوقعه ابداً!!

ولم يتوقع مافعله به.. يجب ان يشبع رغبته بها ويتركها..

ولكن(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ابتعدا عن بعضهما بقوة.. عيناه بركتان من قطران اشتعلتا بتأجج بينما عينيها تألقتا كجواهر نادرة..انفاسها المتلاحقة سرعان ماكتمها بين ذراعيه وهو يعود ليغمرها.. سمعها تهمس اسمه بتوق.. قبل ان يغيبها عناقه المتسلط وكأنها دمية.. كان يسحقها بين ذراعيه..غابت الافكار وكل ذرة احساس في جسده تخبره انه ابداً ابداً لن يشبع من مليكته التي تفرض سيطرتها عليه يوماً بعد يوم..

***

نهاية الفصل..

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل السابع والعشرين

***

أخيراً وصلت الى المنزل.. دخلت مرهقة بالكاد تستطيع الوقوف على ساقيها رمت حقيبتها عل مقعد مجاور وألحقته بحذائها المرتفع ثم توجهت الى غرفتها..

-وصلتي اخيراً؟؟

سمعت صوت والدتها المبحوح لتتوقف مغمضة عينيها بتعب.. ليس الان..لاتشعر انها قادرة على ملاقاة أحد او التحدث مع أحد حتى أمها..

-نعم امي..أخيراً.

-هل تأخرت الحفلة حتى هذا الوقت؟؟

مسدت جفنها بتعب(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لقد..تأخرت مع السيدة هدية ..

-اتمنى ان يدرج هذا التأخير في مكافأتك لنهاية الشهر..

همهمت امها بضيق لتزفر هاتفة:

-سأخلد للنوم فلدي نهار عمل غداً..تصبحين على خير.

-ألن تأكلي؟؟

هتفت امها بقلق لتهمس مخنوقة:

-لاأشعر بالجوع..

واسرعت لغرفتها.. رمت عبائتها وانسدحت بثابها على الفراش تشهق بالبكاء..بكت بمرارة كمالم تفعل منذ سنوات.. كل جسدها كان يهتز وهي تحاول كتم شهقاتها بكفيها.. لاتريد لشقيقتها التي تشاركها الغرفة ان تجفل وتدرك مايحدث لها.. ولكن لم يكن بيدها.. ذكرى رؤية تلك المرأة والطريقة الصاعقة التي دخلت بها لتثير موجة من الانبهار لم ترها من قبل.. ثم الطريقة المهينة التي تحدثت بها معها وكأنها مجرد خادمة او شيئ أحقر من هذا ..

والمصيبة الكبرى مارأته بعدها..

انتحبت بألم وهي تتذكر وصورتهما لاتفارق خيالها.. قحطان يحملها بين ذراعيه ويسارع بهاللخارج..لقد وقفت هناك كالميتة تراقبهما.. تشعر بطعنة تقتلها وتسيل دمائها..

-أميرة؟؟!!

اشاحت بوجهها بعيداً وهي تلعن نفسها لايقاظ اختها..

-اميرة مالذي حدث حبيبتي اخبريني؟؟

-لاشيئ.

همست بشحوب غارقة في البكاء لتزفر اختها بضيق وتهمس:

-اهو ذلك الرجل من جديد؟؟ هل حدث شيئ في الحفل؟؟ هل ضايقك؟؟

رفعت وجهها الغارق بالدموع لأختها وهمست بثقل:

-هو..هو حتى لم يدرك وجودي.

تنهدت اختها بحزن واقتربت تضمها اليها وتهمس مواسية:

-ألم اقل لك ان تأخذي حذرك ياأميرة..الم اقل لك ان ذاك الرجل ابعد بكثير عن مستواك..

-ولكنه كان قريباً يامنال..قريباً لدرجة اني شعرته بين يدي فعلاً..

انتحبت لتسألها منال بحيرة:

-مالذي تغير اذاً؟؟

شعت عينا اميرة بغيرة وحقد بالغين وهتفت:

-تلك المرأة..يارب الكون تلك المرأة جائت..

-من؟؟

-زوجته اللعينة.. تلك الفرنسية جائت وعاملتني كالحثالة..وكأنني شحاذة.. اخذته من وسط الحفل وغادرت معه.

-انها زوجته ياأميرة..

هتفت بها اختها لتصرخ باستنكار:

-وماذا عني انا؟! انا بقيت هناك وساعدت والدته حتى نهاية الحفل..انا اخترت هدايا العروس بنفسي..انا نظمت كل شيئ..

-انت مجرد موظفة هناك.. لاشيء يربطه بك.

-ولكنه معجب بي.. رأيته في عينيه.. وامه .. امه تريدني.. انها تكره تلك الفرنسية..

صرخت بجنون لتهمس لها اختها بهدوء:

-ألم يخطر ببالك للحظة من ان امه تتلاعب بك..تستخدمك لاثارة غضب زوجته؟

شحب وجهها للحظة قبل ان تهز رأسها بعناد وتصرح:

-مستحيل..لن تفعل هذا انها تحبني.. لقد قالت لي ان هناك متسع لي في عائلتها..

-أميرة..مالذي تقولينه استمعي لنفسك اختي..

نهرتها منال بقسوة لتتراجع اميرة مستنكرة:

-لاتحاولي منال..انا لن استسلم ولن اتوقف..حتى اصبح زوجته..انا احبه..اريده من كل قلبي.

-انه ليس بدمية..

صرخت منال وعادت تهتف وهي ترى دموع شقيقتها المنسكبة بلاتوقف:

-انه رجل متزوج ومماعرفته فإن زوجته خارقة الجمال وتنتظر طفلاً منه..اتريدينه ان يترك كل هذا وينظر اليكي انت؟؟ متى ستعقلين وترين ابعد من انفك وغرورك هذا؟؟

-انا..انا احبه..

-لا انت لاتفعلين..

صاحت بحنق لتهتف اميرة بألم:

-انا أحبه اتفهمين.. قحطان هو الرجل الذي تمنيته عمري كله ولن اتوقف حتى احصل عليه..

نظرت لها اختها بصمت..قبل ان تستدير لتنزل عن الفراش وتغادر الغرفة تاركة اميرة في رثائها لنفسها.. كانت تعرف شقيقتها جداً.. ستركض خلف الرجل حتى تدمره او تدمر نفسها..

اميرة لم تتعلم من أخطائها الماضية.. ولن تتعلم حتى تكسر شيئ من اثنين..قلبها..أو رأسها.

***

انهت ترتيب الملابس التي ارتدتها للحفل وكذلك ذهبها اودعته في خزانتها بحرص قبل ان تناظر الباب بقلق.. لم لم يدخل لينام؟؟ توجهت خارج الغرفة ورأته يجلس امام التلفاز الذي يعرض الاخبار.. تقدمت متسائلة:

-هل هناك مشكلة؟؟

جفل وهو ينظر اليها وكأنما لم يتوقعها نظر لها للحظات قبل ان يتنحنح ويشيح بعيداً:

-انها الأخبار..مالذي قد تعرضه سوى المشاكل؟

رفعت حاجبيها بتعجب لجفاء صوته واقتربت لتجلس الى جواره هامسة:

-عنيت معك انت؟؟ انت تبدو هادئاً بشكل غريب؟

زم شفتيه بتوتر.. ثم اغلق التلفاز بعصبية والتفت ليواجهها هاتفاً:

-التقيت استاذك المفضل الليلة.

ظهر التساؤل في عينيها ليواصل ساخراً:

-خالدر الراجي.. تصوري مدى مفاجأتي حين أدركت انه صهيرنا الجديد؟؟

اتسعت عيناها بدهشة..وصاحت:

-ترنيم تكون شقيقة الاستاذ خالد؟؟

-اه نعم..

علق بتهكم لتنظر له باستنكار:

-مالذي يعنيه هذا رعاد فأنا لم أكن اعلم ابداً.

-تخيلي موقفي وانا اشد يده مصافحاً بعد ان قدمت عليه شكوى في مجلس ادارة الكلية بعد فشل الوساطة التي طلبتها من استاذه..

الرجل كان مخنوقاً وانا كدت الكمه على وجهه..

-رعاد توقف عن هذا ليس كل شيء يحل باللكمات متى ستدرك ذلك؟؟

صاحت بحنق لتشع عيناه بغضب فواصلت:

-منذ صغرنا وانت تشق طريقك بقبضتك ولاتترك شيء لهذا..

واشارت لرأسه لتجمد عيناه وهو يتسائل ببرود:

-أتعنين انني مجنون؟؟

تنهدت بصبر واقتربت تحيط وجهه بكفيها:

-لا..انت لست مجنوناً رعاد انت عصبي لدرجة تفقدك تعقلك في كثير من الأحيان.

قبض على كفيها بقسوة وانزلهما متجاهلاً صيحتها المتألمة:

-هذا صحيح غزل فحينما ارى رجلاً ينظر لزوجتي بالطريقة التي كان ينظر بها اليكي فعندها يسعدني حقاً أن افقد تعقلي وأعلمه ان يغلق عينيه عن نساء غيره وان كان بالطريقة الصعبة.

شحب وجهها وتراجعت حين نهض وسارع للدخول الى غرفته.. بينما تسمرت هي مكانها تفكر بهول ماقاله.. هل من المعقول ان الاستاذ خالد معجب بها؟؟ والأدهى ان زوجها أدرك هذا.. ورعاد ليس من النوع المتعقل.. ابداً.. رباه هذا قد يسفر عن مشكلة كبيرة..

عضت شفتيها بقلق ونهضت تتبعه..كان يغير ثيابه بعصبية ويرمي ملابسه كيفما اتفق ..عادة كانت لتعاتبه لفعل هذا ولكن هذه المرة اقتربت بصمت.. مست ذراعه المتوتر لينتفض مبتعداً..

-رعاد انا..

-لاتقولي شيئاً..

هتف بعصبية لتبتئس وتنزل عينيها بحزن هامسة:

-لم يكن الامر ذنبي.. انا حتى ..انا لم أكن أعرف..

خفق قلبه لمرأى رأسها المنكس.. شعر بالذنب..هذه حبيبته..المرأة التي يعشق منذ نعومة أظافره فكيف يؤذيها هكذا ولو حتى بالكلمات؟؟ تنهد بحنق من نفسه..انه غاضب..غاضب بسبب ذلك

الرجل الذي وقف امامه الليلة ونظر له العين بالعين.. رأى غضبه منه وحنقه عليه وهو يدرك من اعماقه ان الامر لايتعلق فقط بالشكوى..

اقترب منها محيطاً بها بحنان ..يضمها بقوة متجاهلاً محاولتها الضعيفة للابتعاد وهو يهمس لها:

-أعرف هذا حبيبتي.

تراقص قلبها لكلمة حبيبتي..لاتزال تضرب على كل الاوتار الصحيحة..في كل مرة يقولها لها.. في كل مرة تشعر بها وكأنها المرة الأولى ..

-انا اسفـــة..

تلعثمت وكل أفكارها الغاضبة تتبعثر في ارتباك الاقتراب منه ليعارضها حزم وهو يرفع وجهها لتلتقي اعينهما:

-بل انا الأسف الاكبر غزل..انا رجل غيور..

اعترف ببساطة وهو يبتسم..وعيناه تشعان بشراسة..تناقض لاتجده سوى في هذا الرجل.. لتبتسم هي الأخرى بخجل وتخفض عينيها..

-لا لا.. انظري إلي..

همس باصرار لترفع عينيها اليه مجدداً ويصر هو بتملك:

-أنا أغار عليكي غزل وكيف لاأفعل..انا أحبك وقد قضيت اسوأ ايام حياتي وانا افعل..ولست انوي قضاء الباقي بنفس السوء..

-اذاً لاتفعل..

همست برجاء..واقتربت تريح رأسها على صدره العامر وهي تكمل:

-انت زوجي رعاد..وابن عمي..وانا لن أفكر برجل سواك ابداً ابداً..

اغمض عينيه بخيبة وهو يضمها بقوة.. لم تقل حبيبي.. لاتزال تضنها عليه وتحرمه منها.. ولكنه لن يستسلم ولن يستعجلها.. قبل قمة رأسها بقوة وسمعها تتنهد براحة وهي تشعر استرخاءه بين ذراعيها.. يعرف ان الطريق بينهما لايزال محفوفاً بالمطبات ولكنه سائق بارع للغاية.. ولن يسمح لأي شيء ان يتدخل بينهما.. ابداً..

***

-لقد وصلنا..

فتح عينيه بتثاقل.. ينظر عبر زجاج السيارة العاكس للمبنى شبه المهجور والذي وصل اليه ساعده السائق على الترجل ووقف بتعب بانتظار باب مرآب ضخم ليفتح.. ذراعه تؤلمه تبض بوجع شق رأسه لنصفين ولكنه تحمل بجلادة ..

راى الباب يُفتح وبخطوات متمهلة تبع السائق الى الداخل ..

كان هناك رجل بانتظاره وقف بعيداً في الظل حالما رآه اقترب لدائرة الضوء:

-حسن العزب؟!!

رفع حسن لينظر للرجل الطويل ذو الملامح المتصلبة..والذي رفع حاجبه المشقوق بغطرسة لايملكها الا ذوو النفوذ..

-هل أطمح لتعريف مماثل بشخصك أنت؟؟

ارتفعت زاوية فمه بسخرية.. قبل ان يدور حول حسن ببطئ..

-هل عاملك رجالي بشكل جيد؟؟

-لقد أخرجوني من سجني..اعتقد ان هذا جيد بمايكفي.

-ممتاز.. والأن..

وعاد ليقف في مواجهته متسائلاً بحزم:

-مالسبب الذي يدفع بقحطان العزب ليسجن ابن عمه في مستشفى ويضعه في اقامة اجبارية.

التمعت عينا حسن بكراهية حال سماعه اسم قحطان..ونفث هواءاً حاراً محملاً بغضبه وحقده وهو يزمجر:

-ذلك الرجل لم يسجني فقط.. لقد سلبنـي كل شيئ ..

صمت للحظات يحاول السيطرة على انفاسه وألمه الذي تصاعد الى درجة قاتلة حتى لم يعد يحتمل:

-احتاج لمسكن(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) يدي تقتلني.

اشار الرجل الذي لم يكن سوى سيف لأحد معاونيه فتقدم الاخير..وسرعان ماكان يضع محقناً في ذراع حسن الذي صرخ بالألم..

-لاتكن كالفتيات انها مجرد حقنة..

نظر له حسن بحنق.. ليعاود سيف سؤاله هذه المرة بحدة اكبر:

-والان اخبرني الحقيقة ياسيد حسن.. مالذي فعله قحطان العزب لك لتكن له كل هذه الكراهية؟؟

رفع حسن يده ليظهر كفه الملفوف بالضماد الدامي وهو يهمس بألم:

-لقد حطم يدي في البداية..

ابتلع سيف ريقه وهو يفكر بالرجل الذي يفعل شيئ كهذا للحمه ودمه.. وقبض كفيه بقوة وهو يتذكر ماال اليه ابن عمه عبدالعزيز من مواجهة ذاك الرجل.. اكل من يقف في طريقه يخرج مجرد حطام؟؟

-سلبني عائلتي..اخذ زوجتي وطفلي ..اخذ اموالي وشركاتي..

صاح حسن بقهر.. ليتسائل سيف:

-زوجتك؟؟ انها شقيقته اليس كذلك؟؟

اومأ حسن بصمت..كان قد بدأ يشعر بالخدر يتسلل اليه.. ولكن

ليس بالشكل الكافي ليخفف من النبض المؤلم ..

-انها معه..واريد ان أستعيدها..اريد ان أخذ زوجتي.

-السـلطان.. سيساعدك.

همس سيف لينظر له حسن بتشوش..

-السلطان؟؟

-سلطـــان الشيب.

اتسعت عينا حسن بشدة وتراجع للخلف وهو يتلفت حوله صارخاً:

-لاأحد من آل الشيب يضمر الخير للعزب.. مالذي ستفعله بي؟؟

-انت بنفسك لاتضمر لهم الخير..

قالها سيف ببرود ليتوقف حسن ويطالعه بأنفاس متلاحقة..

-مالذي تريده بالضبط ياابن الشيب؟؟

-قحطـــان العزب..

قالها بلاتردد منحياً مشاعره جنباً متخلياً عن ذكرى حبيبته التي

اقسمت الا تسامحه العمر كله .. وماضياً بثأرة..

-ماذا فعل لكم؟؟

-لنقل انه قد تخطى حدوده مع احد ابناء السلطان..

ابتلع حسن ريقه وفكر للحظات..سيتخلصون من قحطان.. وحينها سيحقق انتقامه ولكن؟؟ هل سيعود له ماكان.. الجوهـرة.. المال .. وفوق كل هذا .. عائلته؟؟

فكر بضياع.. لقد تعامل مع المافيا وفعل الكثير من الامور السيئة ولكن.. التعامل مع اعداء عائلته..سلاطين الشيب هم ألذ اعدائهم..هل سيغفر له أحد؟؟

هل سيخرج من هذا الامر منتصراً؟؟

-أفهم انك بحاجة للتفكير..

قالها سيف برفق واشار لأحد رجاله ليتقدم ويساعد حسن الذي بدأ جسده الاستجابة للمهدئ واصبحت ساقاه بقوة عيدان من المكرونة..

-سأتركك الليلة.. نل قسطاً وفيراً من النوم وسنتكلم في الغد مجدداً..

أكد سيف والرجل يسحب حسن لغرفة جانبيه.. بسرير وثير.. حالما وضع رأسه عليه كان يطوف في عالم أخر..

تنهد سيف مطولاً..

ثم التفت لرجاله وهتف بقسوة:

-لاأحد.. اتفهمون..لاأحد يقترب منه دون اوامر مباشرة مني انا..

اومأ الرجال بصمت ليتخذ طريقه للخارج.. تجاهل حراسته وانطلق بسيارته الرياضية المكشوفة دون قيود كان يحتاج للسرعة.. يحتاج ان يشعر بالهواء يمزق رئتيه ..

قاد السيارة مطولاً على الشريط الساحلي.. حتى اوقفها بحدة

اعترضت لها اطاراتها بصوت صرير حاد كاد يمزق طبلة اذنيه..كان يلهث.. وكأنما هو من كان يركض وليس سيارته..

الليل يسدل سدوله والفجر.. الفجر كان يقترب حثيثاً..

اخرج هاتفه.. واتصل بها.. كان فقط يريد سماع صوتها.. وحالما فعل تنهد بارتياح..

-اشتقت اليكي..

همس بثقل.. لتغمض عينيها بشوق مماثل.. تضغط على خاتمه المعلق على عنقها وتهمس باسمه بضراعة:

-سيف ارجوك..شقيقتي..انها معي.

اغمض عينيه بضيق وصرخ فجأة:

-احتاج اليكي سلمى.. اريدك معي.

نظرت سلمى للجوهرة التي استلقت جوارها في غرفة مشتركة بشقة علي.. ونهضت على اطراف اصابعها.. لاتعرف اين تذهب.. فأمها تنام في الغرفة الاخرى وعلي.. علي يفترش الصالة.. اين تذهب؟؟

-انا لااستطيع الحديث الان؟؟

همست بذعر..اختارت زاوية الغرفة وجلست تضم ركبتيها اليها..

-سلمى..انت حقاً تغرينني بالمجيئ واخذك رغم انف الجميع.

هدر بعنف لتبتسم مرغمة..تعرف انه لابد قد رفع حاجبه بتلط الطريقة التي تعشقها.. لم تستطع كتم الضحكة التي افلتت منها رغم كل شيئ.. وسمعها بوضوح.. صدمته وهتف:

-أنت تتسلين بهذا الوضع..أليس كذلك؟

نظرت حولها وهمست:

-لاصدقني.. فأنا محشورة في غرفتي واتحدث اليك مخاطرة ان يقطع أخي رأسي.

-قحطان؟؟

همس بغموض لتبتسم:

-لا.. فالليلة قحطان خارج نطاق الخدمة والتغطية كذلك..

-ماذا تعنين؟؟

تسائل بتوتر فضحكت بخفوت واحمر وجهها:

-لايجب..لايجب ان اقول شيئاً من هذا..

-ماذا يجب ان افهم من هذا؟؟

-لاشيئ.

هتفت بسرعة وسمعت تنهيدة نفاذ الصبر في صوته:

-متى سأراكي..؟؟

-مستحيل..

-سلمى..تدبري امرك اريد رؤيتك..ولااحفل بشيئ..قابليني في اي مكان.والا سآآتي لمنزلك.

-أنت مجنون..

همست بشحوب.. ليستمر بالضغط عليها:

-انت لاتعرفين مدى جنوني بعد..ولكن ان استمريتي بالهرب مني هكذا فستعرفين.

-يجب ان اغلق الخط..

-سأنتظر اتصالك حبيبتي..

رفرف قلبها المرتجف بالخوف لرقة صوته وهو يناديها بحبيبتي..ولكنها اغلقت الخط بسرعة.. وعادت متعثرة الى الفراش حيث كانت الجوهرة لاتزال نائمة بعمق..

تنهدت بارتياح واستلقت تنظر الى السقف المنخفض..هل كان يقول الصدق؟؟ هل من الممكن ان يعرضها لهذا الموقف ويأتي اليها حقاً؟؟

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تتخيل ماقد يحدث بينه وبين اخوتها..

رباااه انه مجنون..

فكرت بلوعة..واغمضت عينيها تدعوا من اللّه ان يبعث فيه القليل من التعقل فقط.

***

تسلل الى أسماعها أذان الفجر..لم تتحرك..تعرف انه سيستيقظ في الحال انه موعده الذي لن يخلفه ولم يفعل من قبل.. رأته يتململ في رقاده فأمسكت أنفاسها بخشية ..تنظر لكل تفاصيل وجهه بنهم وكأنها لم تكتفي برؤيته..لم تشبع من رؤية ملامحه السمراء الحادة ولاذقنه النامية..عينيه الصقريتين وخصلات شعره الاسود الناعم الذي تساقط على جبينه..

فتح عينيه ببطئ..لتتسع عينيها وهي تلتقي عيناه..

ياللّه..

شعرت بالحرارة تعود وتغزوها..تحتلها كلها حتى تفجرت في وجنتيها وباتت حمراء قانية.. مشتعلة..

كل ماكان يشغلها الان ان تعود الى ذراعيه.. ولم تكذب خبراً..

حين فتح عينيه..كان لايزال مشوشاً عقله يغوص في مياه باردة يطفو ثم يأخذ نفساً عميقاً..ويلتقي عينيها.. بحذر وكسل راقب عينيها تتسعان وكأنها طفلة بريئة لاعلاقة لها بالمرأة التي أشعلت قلبه وليلته..

ولكنها سرعان ماعادت.. تلك المرأة اللعوب بملامح الطفلة البريئة عادت وشفتيها تتراقصان بجنون ترمي بنفسها على صدره..لتنتشر شعرها الناعم حولهما كغيمة خيالية وهي تهمس باسمه وتقبله بنعومة..

فاجأته؟! ولن تكف عن مفاجأته..

ارادت ان تبتعد ولكنه لم يسمح لها.. قربها اكثر واستولى على المبادرة بقوة وشراسة جعلتها تشهق للهواء حين أفلتها فجأة..

-صباح الخير..

همست لاهثة وهي تغرق وجهها على صدره..تحيط ذراعه القريبة بذراعيها بتملك وتنعم بدفئه بلاخجل كان دافئاً كليلة صيفية..

فكرت بجنون..ثم رفعت عينيها لعينيه رأته ينظر لها بعمق نظرة غريبة..لم تفهمها وكأنها تتهمها..وبنفس الوقت ترى حيرة تملؤها..

رفعت كفها تحيط بوجنته وهمست:

-ألن ترد علي؟؟

ابتلع ريقه بصعوبة تنحنح قبل ان يهمس لها بماتريد لتلاقيه بابتسامة عذبة عصفت بخفقات قلبه مهددة باثارة عواطفه كمافعلت الليلة الماضية وبلاهوادة ..

-من فعل بك هذا؟؟

همست تلامس وجنته حيث اصابه الحجر فابتلع ريقه بصعوبة

واجاب:

-حجر..

رفعت حاجبيها بتساؤل صامت ليفسر اكثر وبخشونة:

-حجر احمر حقود.

رأى نظرتها المستنكرة وعرف ان المزيد من الاسئلة قادم لذا أخذ نفساً عميقاً ونهض بسرعة متملصاً من ذراعيها قائلاً بصلابة:

-سأذهب للمسجد.

اغمضت عينيها بنفاذ صبر..لايزال يتباعد..لايزال يهرب كلمااقتربت منه ولكن لا.. ليس هذه المرة.

فتحت عينيها بعزيمة تراقبه يتخذ طريقه للحمام.. وانتظرت بصبر..تلف نفسها بذراعيها لن تيأس..هو لها ولن تتركه ابداً لسواها..

لم يمضي الكثير في الحمام.. سرعان ماكان يرتدي ثيابه بسرعة ولازال يقطر الماء من رأسه.. تنهدت بحنق ونهضت تلف الملائة حولها لتقف قبالته:

-هل ستخرج هكذا؟؟الريح تزعق بالخارج قحطان ستصاب بنزلة برد..

تحاشى النظر اليها وهمهم وهو يدخل رأسه في قميص قطني:

-لاتقلقي علي سأكون بخير.

لامست كتفه بقلق وهمست:

-لايسعني سوى القلق فأنت لاتأبه لنفسك كمايبدو.

نظر لها باستخفاف..قبل ان تشملها نظرته من رأسها المكلل بالشعر الاحمر حتى اصابع قدميها العاريتين ملفوفة بالملائة الخمرية بطريقة جعلته يستغفر وهو يسألها بخشونة:

-انت من سيصاب بنزلة اذا مااستمريتي بالتجول هكذا..ارتدي ملابسك سيادة.

احمرت وجنتيها.. وامتدت حمرتها لتشعل عنقها وكتفيها وهي تهمس بذنب:

-ليس..ليس لدي شيئ هنا.

توسعت عيناه بصدمة..ليدرك ببساطة انها لم تحضر معها حقيبة او شيء من هذا القبيل..هل..هل سيجبر على ان يراها هكذا طوال الوقت؟؟

-أين حقيبتك؟؟

تسائل بغضب مكتوم لتتراجع بذعر وهي تعترف:

-في سيارة والدي..هو أحضرنا انا والجوهرة ولابد انه اخذ الحقيبة الى الفندق معه حيث يبقى لليلة.

-الم تفكري ولو للحظة ان تخبريني بهذا ليلة أمس.

هدر بعنف جعلها تنتفض قبل ان تأخذ نفساً عميقاً لا ..هو لن يرعبها ليس بعد الأن.. تحلت عينيها بالقوة والتحدي وشفتيها ترسم ابتسامة ماكرة:

-وهل تركت لي الفرصة..

اقتربت تتحدى الغضب المشع في عينيه واستندت عليه بكل ثقة تعقد ذراعيها حول عنقه هامسة:

-اتذكر بوضوح بأنك أمرتني أن أصمت ..

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يشعر بها قريبة جداً كي يقاوم الغرق في زمردتيها مجدداً..الغرق في نعومتها وفتنتها الواضحة.. يالله هذه المرأة تطيح بصوابه.. استلزمه كل قوته ليفك تشابك اصابعها عن منابت عنقه.. واستلزمه كل ضبطه لنفسه كي يبتعد عنها وهو يتنحنح.. مؤكداً بصوت مشروخ:

-سأذهب للمسجد وعند عودتي سأتصل بعمي لأحضر حقيبتك..

عضت شفتيها برقة وهي تومئ بانصياع كلي.. تراجع قحطان ولايزال لايقدر على الاشاحة بوجهه عنها.. تردد في الخروج..تردد وهو يتذكر شيئ كهذا وكأنه حدث منذ قرون..انتابته غصة..ويده تقبض على ضلفة باب غرفته بقوة تكاد تهشمه ..سيخرج الان كماخرج يومها..

فهل سيعود ليجدها ام (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اغمض عينيه بقوة..شيطانه يغريه بالبقاء.. لاتتركها وحدها ستهرب..سترحل كمافعلت قبلاً..

فكر بجنون.. فكه ينقبض بقوة ورأسه يكاد ينفجر..ربما اذا ماقام بتقييدها الى الفراش او ماشابه ..

ولكنها رأته.. رأته في ملامح وجهه وفهمت.. شحب وجهها واقتربت منه.. تلامس اصابع كفه التي ابيضت مفاصلها وهي تهمس:

-لاتقف هكذا قحطان..

فتح عينيه بسرعة ونظرة صاعقة اصابتها بقسوة.. ابتلعت ريقاً جافاً..وقالت:

-سأكون هنا حين تعود..

سخر بابتسامة ميتة قبل ان يهمس:

-لاتلوميني ان لم أثق بكلمتك ياسيادة ففي المرة الاخيرة تركتني خلفك كالحمقى وذهبتي ل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قاطعته بصرخة:

-لا لا..قحطان انا سوف..سأشرح لك انا اعدك..

بلل شفتيه بطرف لسانه بعصبية قبل ان ينظر لها ببرود:

-ليس لدي الوقت الان..لالشروحك ولاللقلق حول هربك او بقائك..

صمتت بقلق بانتظار قراره والذي لم يتأخر وهو يبتسم ابتسامة قاسية:

-ويبقى الحجز هو الحل الامثل..

-ماذا؟

هتفت ضائعة ليرفع حاجبه بتسلية وقبل ان تتحرك كان يدفعها للخلف برفق قبل ان يغلق الباب امامها باحكام.. اتسعت عينيها وهي تسمع اغلاق القفل عدة مرات وصاحت بحنق:

-قحطاااااان؟؟

-لاتفكري بالخروج من النافذة ياعزيزتي فنحن في الطابق العاشر..

صاح بقوة وهو يفتح باب الشقة ليؤمنه جيداً هو الاخر بعد اغلااقه..بينما دارت هي حول نفسها بقهر.. ولكن هل تلومه على عدم الثقة بها؟؟ لا لاتستطيع..

جلست على طرف سريره بانهاك.. ليلة مثالية وانظري كيف انتهت.. فكرت بألم..ثم تنشقت بقوة وهي تعاود النهوض..لا لا لم تنتهي بعد.. فكرت بحزم..لم تنتهي بعد وتلك المناقشة ستتم وستخبره بكل شيئ.. كل شيئ.

بعد مايقارب الساعة والنصف..كانت تستلقي على الفراش متكورة تقاوم السقوط في دوامة النوم التي تحاوطها حين سمعت دوران مفتاح الباب في الاكرة..اعتدلت في جلوسها وتبقي عينيها على الباب

الذي دفعه قحطان برفق ليلقي نظرة عليها قبل ان يدخل ويضع لها حقيبتها التي جائت بها من البلدة بهدوء هامساً ببرود:

-حقيبتك..

زمت شفتيها بغضب..هو لن يعاملها بهذه الطريقة..ليس بعد الأن..

غادرت السرير لتجتازه بسرعة نحو الخارج تشهد خطواتها الحانقة على مدى تعكر مزاجها .. شعرت به يلحق بها.. بهدوء..دخلت الى المطبخ وبدأت تقلب في رفوفه دون فائدة..تصفع ابوابه وتفتش الثلاجة دون ان تجد شيئاً..

-مالذي ترتدينه؟؟

نظرت له من تحت خصلات شعرها المبلول وهمست من بين اسنانها:

-ماذا ترى؟؟

راقبها بصمت ..بنظرة شملتها من قدميها الحافيتين صعوداً الساقيها العاريتين حتى بدأت ملامح تلك الكنزة الضخمة التي احتوت قدها كشوال من الكشمير تصل لركبتيها.. ثم تتدلى عن كتف واحدة وتخفي الاخرى بسبب فتحة العنق الواسعة..

-انها كنزتي..

-انا اشتريتها في باريس ام نسيت؟؟

هتفت بلوم ليبتسم بسخرية وهو يراها وقد عادت لبحثها..

-عماذا تبحثين؟؟

تسائل بتوتر..

-طعاااام.. فأنا لم أكل شيئاً منذ ظهر البارحة..اليس لديك شيئ..؟

-انا لاأكل هنا.. لااستخدم هذا المنزل سوى للنوم ياسيادة لذا توقفي عن البحث.

نظرت له بحنق..وسارعت بضرب قدميها في الارض كالفتيات الصغيرات قبل ان تهتف:

-أنا جائعة..

رأته يرفع يده ببطئ كان يحمل كيساً ورقياً..

-أدركت هذا..

تقدمت بلهفة لتختطف منه الكيس قبل ان تجلس لطاولة المطبخ..

فتحته لتنتشر الرائحة الشهية لنوع من المعجنات الساخنة..

صرخت معدتها باعتراض للتأخير.. ولكنها القت نظرة عليه..ورأتها مجدداً.. عيناه المتهمتان.. تصلبت وفقدت شهيتها مباشرة ..

نهضت تواجهه رفعت رأسها اليه وهمست بشحوب:

-يجب أن نتحدث..

لم تتغير وقفت المستندة على الباب ولم تتغير نظرته..

-بشأن ماحدث قحطان..بشأن تلك الليلة وبشأن الرسالة.

كان يرى مدى صعوبة ماتنطق به.. يعرف انها شجاعة..او حمقاء جداً لتذكر الامر.. ولكنه لم يتحرك رغم الصاعقة من الغضب والتي مرت امام عينيه وهي تذكر تلك الليلة وتلك الرسالة..

-يجب ان تفهم كل الامور ومنذ البداية.. ولكنني اريد منك وعداً.

طلبت برجاء.. ليجابهها بالصمت فتجاسرت على المضي قدماً وهمست وهي تضغط على كتفه:

-عدني ان تستمع لي..عدني ان تستمع لمالدي لأقوله..

-لايبدو أن لدي شيئ أخر لأفعله.

رد ببرود لتتراجع بألم.. هذا البرود.. هذا التصلب يقتلها.. رأته يتجاوزها ليجلس على طاولة المطبخ راقبته يعقد ذراعيه على صدره.. ورأت وجهه يفقد ملامحه لذاك القناع المتماسك ..

أخذت نفساً عميقاً.. لقد فكرت مراراً وخلال ايام..بماستقوله..وكيف ستقوله..كيف ستشرح له وكيف ستثبت له.. ولكن الان..كانت تقف قبالته كمجرمة صغيرة.. مذنبة بكل الاتهامات التي ترشقها عيناه بلارحمة..

اغمضت عينيها تهرب من نظراته الثاقبة..

تحتاج لشجاعتها والتي هربت منها فرت بعيداً..

ابتلعت ريقها وهمست بصوت مرتجف:

-انا..انا فكرت مراراً وتكراراً..كيف ..كيف اقول ماريد..ولكن..الان اشعر..اشعر بأن كل ماسأقوله وماخططت لأقوله هو مجرد..

وفتحت عينيها هامسة:

-مجرد انتقاص كبير لماحدث فعلاً قحطان.. ولذا فأنا سأخبرك فقط بماحدث دون زينة او كذب.. اقسم انني لن أقول الا الحقيقة..

لم تدل ملامحه انه تأثر..بالكاد رمشت عيناه ..عيناه ثقيلتان.. وهي ترزخ تحت ثقلهما بكل ضعف.

-التقيت عبد العزيز قبل عام..

بدأت..وشردت عينيها وهي تواصل:

-انا..لن أكذب.. لقد.. لقد وقعت تحت سحره..اااه..

بترت عبارتها بذعر صارخة حين انتفض من مكانه ليحشرها بقسوة بين جسده الضخم الغاضب والجدار البارد وهو يزمجر بعنف:

-انا لن ابقى للحظة واحدة استكمل لمغامراتك العاطفية مع ذاك ال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد). ماذا تظنينني؟؟

صاح بها بعنف لتنتفض مذعورة وتنظر له هاتفة:

-انا لم أعني مافهمته..لم اعني هذا؟؟

صرخت بألم حين امسك ذراعها بقسوة وهزها بعنف:

-اذا اردتي الحديث..فتكلمي في الامور المهمة ليس لدي اليوم بطوله..

اومأت بذعر ليعود ويقبض على فكها بأصابعه بقوة جعلتها تتأوه..وهو يزمجر:

-واسم ذاك ال(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).. لااريده ان يخرج من فمك والا فليلعنني اللّه سأحطمه وأصمتك للأبد.

شهقت بخوف وهو يفلتها.. تراجعت للحائط اكثر ..وهو يبتعد بخطوات واسعة حتى اصبح خلف الطاولة وكأنما لايثق الا بوجود حاجز بينهما..حاجز يبعده عنها ويحميها منه.. كانت يداه ترتجفان.. يالله ماشعر به لحظة قالت اسمه..لقد اراد قتلها..

-انا ااسفة..

همست باكية..تخفض رأسها وتنتحب..لم يتحرك ليهدئ بكائها..لم يقترب ليعتذر هو الأخر..فقط وقف هناك كالطـود.. طود اسود قاتم..خطف قلبها..

-الامر..ماريدك ان تعرفه بشأن علاقتي بذاك الرجل..

سمعت هسيسه الغاضب فصرخت بسرعة:

-انها لم تكن كماظننتم كلكم.. وأنت خير من يعرف..انت..تأكدت بنفسك..

هتفت بمرارة.. وهي تنظر لوجهه المتصلب.. اقتربت صارخة:

-حين رحلت عن باريس مع ابي واخي لزيارة البلدة التي لطالما حدثني عنها وقص لي الكثير من القصص عن اناسها الرائعين كنت سعيدة وانا اترك امي والرجل الذي ظننتني احبه يخططان لحفل الزفاف.. قحطان انا لم اكن اعرف ماقاله لأبي..لم أعرف ابداً عن اتهاماته البشعة ولم اعرف تورط أمي به كذلك.. كنت اعيش في الحلم.. واستيقظت منه بقسوة..

راقبها بصمت.. يتذكر ذلك اليوم.. اليوم الذي هبت فيه العواصف والتي اشرقت فيه الشمس في وقت واحد حين نظر اليها.. يتذكره وكأنه البارحة..هبوبها عليه كنسيم بحر..ثم انقضاضها كعاصفة..

-كنت مشوشة حين علمت بمافعله..كنت اشعر بالكراهية..كرهته كثيراً بحجم ثقتي به.. اردته ان يختفي من حياتي والا اراه مجدداً وفعلت.. ثم كنت أنت.

وصمتت تنتظر ردة فعل..اي شيئ ولم تجد كان لايزال يقف هناك ينتظرها ان تكمل.. فأخذت نفساً عميقاً وواصلت بتهدج:

-انت.. لااعرف كيف شعرت نحوك منذ البداية..كنت مأخوذة بك..كرهتك لاشك ولكن.. كان هناك شيئ ما.. حين وقفت امامي وقطعت يدك فقط لتثبت للجميع انني عذراء.. لتثبت لأبي..

وامتلأت عينيها بالدموع وهي تنظر اليه..

-كنت غاضباً منه..حانقاً عليه لأنه زوجك بي رغماً عنك..ومع ذلك انت رفعت رأسه عالياً انت جعلته رجلاً امام الجميع بل أمام نفسه قبل اي احد..

-كان يجب لأحد ان يفعل..

هدر بصوت مرعب فاتسعت عينيها وهو يقترب منها صارخاً:

-عمي..تذلل لي.. اتفهمين.. لقد توسل لي لأتزوجك وانقذ شرفه واحميه من العار..كان يجب ان ارفع رأسه والا لم اكن لأقدر ان اضع عيني في عينيه سيادة..لم يكن ليستحق.

-وانت فعلت..

همست..

-انت انقذتني وحميت سمعتي امام الجميع..لم أكن ادرك قيمة هذا الامر في ذلك الوقت ولكنني الان افهمه.. اعرف ماعانيته واعرف مقدار ضبط النفس الذي عانيت منه..وانا لم اساعد.

-لا لم تفعلي..

تهكم بمرارة لتعترض:

-كان لدي عذري.. كنت مخطوفة في بلدة نائية وانا القادمة من باريس..كنت قد اجبرت على الزواج من رجل لم اره من قبل في حياتي ومن المفروض ان اقبل واستسلم..

صاحت بحنق..

-لم يربيني ابي على الاستسلام قحطان.. ولم اكن لأفعل..

اشاح عنها..لتواصل بحرارة:

-لقد كرهت نفسي كل يوم لماكنت تفعله بي.. كنت تحبسني وتنظرلي تلك النظرات التي تتهمني فيها بلارحمة.. لقد قمت بضربي..وجعلتني خادمة لااسوى شيئ..

صاحت باكية.. ليلتفت لها بغضب ويصرخ:

-كنت بين ذراعي وتناديه هو؟؟

تيبست مذعورة اما ثورته وهو ينفث غضبه بلاهوادة:

-كان يجب ان اقتلك..ولكنني ضعفت..

اعترف بقهر..لتنتحب مجدداً وهي تعترف:

-كنت خائفة..

تسارعت انفاسه وهو يرى دموعها التي انهمرت بغزارة:

-كنت خائفة منك ومماتثيره بي من مشاعر..عرفت انك ستأخذني تلك الليلة..كنت سـ..كنت..

اختنقت بالدموع ولم تجرؤ على ان تكمل..رأته يبتعد يتجه الى النافذة لينظر عبرها للشمس التي صعدت ببطئ..

-لم اعرف كيف ابعدك عني سوى هذه الطريقة..انا لم أكن مع عبد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).. لم اكن معه قط هكذا.

بكت بمرارة.. ثم اقتربت منه..همست له بعتب:

-انت وامك قحطان كنتما تحطمانني.. كنت ميتة واردت الموت في اليوم الف مرة فقط لأتخلص منكما معاً.

اغمض عينيه واسند رأسه للزجاج البارد..شعر بها تقترب تصاعد صوتها خلفه بخفة:

-حين اتينا لعدن..كل ماكنت افكر به هو انني خرجت من السجن..كنت مجنونة واردت الابتعاد بأي طريقة.. وحين تكلمت مع امي لم اكن اعرف انه هناك وانه سيخطط لما حدث.

تصلب في وقوفه شعرت ببروده حين التفت.. القسوة عادت لعينيه وهو يسألها بشحوب:

-هل هو من خطط لمافعلتيه؟؟ الهروب..الرسالة..ماذا عن ليلتنا معاً؟؟ هل كانت من تخطيطه كذلك؟؟

صرخ بعنف لتتراجع برعب وهي تهز رأسها بقوة:

-لا لا.. انا..انا لم..

-انت ماذا سيادة؟؟ لقد خططتي لكل شيئ.. اوقعتي بالرجل الاحمق في شباكك وحين ظن بأنه قد امتلكك الى الابد عاد ليدرك انه لم يفعل.. وكأنه يقبض على هواء.. سراب لاوجود له.

لا لا.. فكرت بمرارة..لاتستطيع ان تجعله يفكر هكذا.. وكل تلك المرارة والالم يغزوانه ويسيطران عليه.. لايجب ان يشعر بهذه الطريقة..

اقتربت منه بشجاعة رغم النظرة الصاعقة التي تنذر بالتراجع لألف ميل..

-انا لم اقدم نفسي لك بسببه.. قحطان ماحدث بيننا لاعلاقة له به انا اقسم..

-لماذا هربتي اذاً؟! لماذا هربتي كاللصوص عند الفجر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

انهمرت دموعها وهي ترى الألم وتشعر به في ذبذبات صوته.. رباااه لقد كان مجروحاً.. متألماً للنخاع..

-كنت اريد الانتقام منك..

همست مخنوقة.. رأت عيناه تتحجران فسارعت:

-كنت اريد الانتقام لكل مافعلته بي..خططت لأن ارى نظرة الذهول في عينيك حين تعرف انني لم اكن لسواك قبلاً.. اردت ان ارى ارتباكك وحيرتك.. اردتك ان تريدني ان امتلك هذه القوة عليك..

عض شفتيه بقسوة وهرب من عينيها.. ادرك انها محقة.. لقد امتلكت تلك القوة عليه.. ولاتزال..

-حين كتبت الرسالة كنت حانقة ومتألمة أردت أن أؤذيك..كنت مجرد حمقاء وغبية..

احاطت وجنتيه بكفيها وهمست في عينيه:

-تلك الليلة قحطان.. تلك الليلة عرفت انني احبك ..

تسارعت انفاسه وهو يفلت منها.. لايريد سماع هذا.. لايريد.. ولكنها لم تستسلم اتبعته هاتفة بكل مافي قلبها من مشاعر:

-انا احببتك وقتها قحطان.. اردت البقاء..لم ارد الرحيل ولكن..كان الوقت متأخراً كثيراً..

توقف بحدة والتفت لها..حتى كادت تصطدم به وهو يصرخ:

-كانت متأخرة على اللحاق به؟؟ اهذا ماتنوين قوله؟؟

-لا لا ..

سارعت:

-كانت امي.. لم يكن هو انا اقسم.. حين رحلت كنت انوي اخذ الرسالة ولكنني نسيتها في غمرة عاطفتي معك.. انا لم اتذكرها سوى على الطائرة اردت ان اعود قحطان صدقني..

شهقت بالدموع وسقطت على ركبتيها.. تغطي عينيها بيديها وتصرخ:

-اردت العودة اليك وكنت ممزقة بينك وبين ماحدث لي.. وبين الفرصة للنجاة من الجحيم الذي كنت اعيش به.. لقد هربت حتى من امي لم اذهب اليها..كنت بعيدة كنت احتاج للتفكير..

راقبها من علو.. تبدو صغيرة جداً وضعيفة.. كانت تحت قدميه بالمعنى الحرفي للكلمة.. كلها تنتفض شاهقة بالبكاء..

-عرفت حينها ماحدث لك.. عرفت ان ذاك الحشرة هو من امر بقتلك واصبت بالجنون..

رفعت عينيها اليه.. مدت يديها تتشبث بقماش سرواله وهي تقسم:

-لقد اردت قتله قحطان اردت ان اقتله كما ظننته فعل معك.. كدت اجن..اردت ان اعرف مالذي حدث معك.. اتصلت بشفا الشهري وهي من قالت انك تصارع الموت..

بكت بمرارة وهي تتذكر مشاعرها المروعة وقتها..

-كنت اظنك ستموت.. ظننت بأنني فقدتك للأبد.. لم ابه لشيئ سوى ان علي ان اراك..اراك قبل..

لم تقوى على ان تكمل..شعرت به يهبط امامها..يوازيها حتى وضعت عينيها في عينيه وهي تهمس:

-حين عدت..وقف صديقك عمرو بوجهي..اراد طردي..اراد التخلص مني لأنني اذيتك.. ولانه ظن بأنني السبب بماحدث لك..

-لقد رأى الرسالة..

فكر بشحوب.. لتومئ بخزي:..

-لقد ظن بأن من ساعدني للهرب هو من ضربك.. ولكنني اقسمت له بأنني لم افعل.. لقد شرحت له كل شيء.. وقد مزقنا الرسالة والى الابد ..

ثبتت عينيها في عينيه:

-لقد صدق اني عدت لأجلك.. وبعدما كدت أجن حين اخبرني بأنك نسيت كل شيئ عني.. قال لي بأنه افضل..

-افضل؟؟

تهكم بمرارة لتفسر:

-قال لي ان ابدأ بزرع ذكريات جديدة.. مشاعر صحيحة ان اعطيك الحب الذي تستحقه كي..كي تكون لي وقوداً وشفاعة يوم تستعيد ذاكرتك..

خفت صوتها وهي تقترب منه.. تتشبث بقميصه وتهزه بألم:

-الم افعل؟؟ الم اثبت لك يوم بعد يوم خلال كل هذا الوقت بأنك الرجل الوحيد في حياتي.. بأنني احبك كما لم افعل من قبل ..

اغمض عينيه لتتمسك بجانبي رأسه بقوة وتهتف:

-افتح عينيك وانظر الي.. انظر في عيني وقلي متى خذلتك منذ ذاك الوقت..؟؟

فتح عينيه لتصدمه بقربها المهول.. كانت في محيط انفاسه تزرع نفسها بين ضلوعه تحيطه بذراعيها وتهمس امام شفتيه بتوق:

-انا أحبـك قحطان.. أحبك ولم احب سواك..ولن افعل ابداً.ابداً.

-سيـادة..

همس بثقل..كان يحاول عدم الاستسلام لتأثيرها.. ولكن قلبه.. ياللهول ماذا حدث لقلبه وهو يستسلم لها.. يغمرها بين ذراعيه بقوة..لتغيب هي ودموعها..وشهقاتها الباكية بمرارة في انفاسه.. ظلت تردد قسم حبها بلاتوقف..تتشبث بكتفيه بجنون غير قادرة على افلاته بينما تحوطها ذراعيه بقوة.. واحكام .. حتى انفصلا بقوة شاهقين للهواء..

اسندت رأسها لذقنه..لاهثة ..مشتتة..رفعت عينيها اليه.. للحظات قبل ان تهمس:

-ارجووك.. ارجوك صدقني..

رفع كفه لتحيط بوجنتها..خشونته امام نعومتها..غرق في زمردتيها للحظة.. قبل ان يهمس:

-قوليها مجدداً..

امتلأت عينيها بالدموع بسرعة قياسية قبل ان تشهق:

-انا أحبك ..

-اااه..

تأوه بشيئ من الارتياح قبل ان يعيدها اليه.. في عناق عنيف متطلب..لم تشعر به حين حملها وقفز على ساقيه.. لم تشعر الا بالوسائد الناعمة لسريره وهي تصطدم بظهرها ومقابلها عيناه..

عيناه الغارقة بلون اسود قطراني..سرعان ماكان يذوب كجمر سائل وهو يعاود امره بتسلط:

-قوليها..

هذه المرة تلكأت.. تلمست وجنته الخشنة بظهر كفها لتظهر تلك الشرارة من الغضب في عينيه قبل ان تهمس لشفتيه:

-احبك قحطان.. احبـ..

وغابت الكلمة.. لوقت طويل..

***

انتصف النهار وهو لم يأتي بعد؟؟

دارت حول المكتب للمرة الألف منذ الصباح..لم يتصل لم يعتذر لديهما طن من المعاملات الورقية ولم يصل بعد.. عضت شفتيها بقوة وهي تكتم صراخ الحسرة..كيف ..كيف له ان يفعل هذا بها؟؟

هل غادر؟؟هل عاد الى البلدة؟؟

حاولت السيطرة على دموعها التي كانت تهدد بالانهمار مجدداً بعد ليلة البارحة..منعتها بالقوة وعادت الى الهاتف لتتصل به للمرة المائة دون رد..

نظرت الى الساعة..الحادية عشر والربع..

هل تذهب اليه؟؟ فكرت بتشوش..ربماحدث له مكروه؟؟ او ربما تتصل بأمه..نعم هو هذا الحل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اجرت الاتصال بسرعة وبعد رنين سريع سمعت صوت هدية المرحب..

-مرحباً ياخالة كيف حالك؟؟

-بخير يابنتي..كيف حالك انت؟

-جيـــدة..

همست مكتومة قبل ان تغلق عينيها وتتسائل بمرارة:

-انا اسفة حقاً لازعاجك ياخالة ولكن..انا..انا احاول الاتصال بالسيد قحطان منذ الصباح ولكن لاأحد يجيب علي..وظننت..انا شعرت بالقلق.

زفرت هدية بحنق وهتفت بغيظ:

-انا لااعرف مالذي يحدث لأبني كلماكان بالقرب من تلك المرأة..انها تفقده عقله.

شعرت بكلمات امه تخنقها..تصف ابشع كوابيسها حدة وهي تتلمس طريقها للجلوس وتعتذر من المرأة الاكبر سناً لتغلق الهاتف..

قلبها يغلي ولاتريد سوى ان تمزق كل احساس بداخلها..

راقبت الهاتف..

هي لن تسمح لها..لن تترك لها اية فرصة في الانفراد به أكثر..هي ستدخل الى حياته.. ستدخل اليها رغماً عن أنفه.. وعن انف تلك الساحرة..

عادت تلتقط الهاتف وتتصل برقمه من جديد.. طال الرنين هذه المرة..وانتظرت بصبر..

-مرحباً..

سمعت الصوت الخافت..الصوت الذي لن تنساه ماحييت..صوت غريمتها..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

استيقظت فجأة..للمرة الثانية في ذلك الصباح.. كانت مضطجعة بقربه تحيطها ذراعاه باحكام.. بينما استقر رأسه بين طيات شعرها ابتسمت بحنان واقتربت منه اكثر.. تحبه..بجنون..

اعترافها كان مخجلاً.. مؤلماً لإرجاع كل تلك الذكريات من جديد ولكن ..النتيجة تستحق..هاهو ذا حبيبها بين ذراعيها وليذهب العالم كله الى الجحيم..

لم يقلها..لم يقل انه يحبها ابداً ولكنه فعل اكثر..

لقد بثها حبه بلمساته بحرارة حبه..بعينيه..

تنهدت وهي تضم كفه قريبة منها لتقبل براجمه بحنان..

قبل ان تتسلل من قبضته بهدوء.. تململ في رقاده ولكنه لم يستيقظ.. فابتسمت ومشت الى الحمام..

بعد دقائق كانت تخرج ملتفة بأحد اروابها ..تريد اخراج ملابسها من حقيبها وترتيبها قبل استيقاظه كانت تقارب الظهيرة.. وهو سيستيقظ للصلاة.. كماانهما لم يأكلا شيئاً تقريباً منذ يوم كامل ..

تنهدت وبدأت برفع ملابسه المبعثرة ارضاً حين شعرت بشيء يهتز..

أخرجت هاتفه الذي كان يهتز بسكون معلناً ورود اتصال.. وتصلبت ملامحها وهي ترى اسم المتصل..

أميـــرة ؟؟

سطرت على غضبها بالكاد وهي تخرج من الغرفة وتقبل الاتصال بحزم:

-مرحباً..

هتفت ليقابلها الصمت لوقت طويل..

-هل اتصلتي فقط لتتصنتي؟؟

-اريد قحطـ.. السيد قحطان؟؟

قبضت سيادة على الهاتف بقوة وهمست بتسلط:

-الشيخ نائم ولايريد اي ازعاج ..

-اننا نحتاجه في المكتب..

همست بمرارة لتبتسم سيادة وتنهي المناقشة:

-انه نائم الاتفهمين؟؟ دبري امورك بدونه اليوم فهو لن يأتي.. ام ان مواهبك العديدة لاتشمل التصرف وحل المشكلات الا بوجوده؟

وقبل ان تسمع الرد كانت تغلق الخط بحدة..

تغلي بالحنق والغضب.. نظرت للهاتف وكادت ترميه بعيداً حين عاود الرنين باسم الجوهرة هذه المرة..

فأخذت نفساً عميقاً وفتحته مبتسمة:

-السلام عليكم..

-اااه اااه.. اسمعوا لهذا الصوت..

سمعت قريبتها تهتف بسعادة لتضحك رغماً عنها بخجل والجوهرة

تهمس بسعادة:

-هل افهم ان الامور مرت بخير ليلة امس؟؟

-حسناً.. بل بألف خير..

قالت مبتهجة وهي تكاد تقفز من مكانها..

-ممتاز..

هتفت الجوهرة ثم اضافت بسرعة:

-اسمعيني انت وقحطان مدعوان للغداء في منزل رعاد معنا كلنا..

وهناك ستخبرينا بكل شيئ.. لاتتأخرا.

اتسعت ابتسامتها وهمست:

-ان شاءاللّه ..سأوقظه الان.

-اتعنين ان الشيخ لايزال نائماً؟؟

هتفت الجوهرة باستياء قبل ان تنفجر ضاحكة:

-انه تطور يحسب لك ياسيادة حقاً..

قهقهت سيادة وودعت قريبتها بحرج وهي تغلق الخط ثم تستدير للتوجه اليه وتسمرت مكانها وهو يقف امام الباب ينظر لها بغموض..

-استيقظت؟؟

همست مأخوذة بمنظره ..لايزال ضخماً جداً.. بتلك الكتفين تكاد تحجب فتحة الباب كاملة.. عملاقها الحبيب..

-تأخرت..

عبس وهو ينظر لساعة الحائط القريبة..كان متوتراً..وشعرت بتوتره ينتقل اليها ويتراقص اعلى معدتها.. نظرت له للحظة قبل ان يتقدم باتجاهها ويزيح خصلة متمردة من شعرها سقطت على عينها:

-لم لم توقظيني؟؟

-كنت مرهقاً..

همست بشحوب.. ليبتسم ويقترب اكثر..يقبض على خصرها بيديه ويلغي المسافة بينهما لتلتصق به وهو يهمس بعتب:

-وخطأ من هذا؟؟

اتسعت عينيها وهو يلامس شفتيها المنفرجتين بشفتيه بنعومة..كانت متفاجأة.. لن تنكر.. اخذ منها بضعة لحظات قبل ان

تستجيب له وترفع ذراعيها لتحيط بكتفيه وتتعلق به كطفلة مدلهة..

كانت لمسته خرافية..لم تحمل جنون الليلة السابقة ولاحتى شغف هذا الصباح.. كانت رقيقة.. مخدرة سحبت الارض من تحت قدميها ورفعتها اليه ببساط سحري.. بذراع حول وسطها رفعها كالدمى والاخرى تحيط بعنقها بثبات وكأنه يضمن عدم ابتعادها.. وكأنها ستحاول؟؟!!

بدا وكأنه سيقبلها الى الابد..ولم تكن لتعترض..الا انه ابتعد ببطئ وخفة..ابتعد برأسه للخلف ينظر لأثار قبلته على وجهها..كيف توردت بشرتها وباتت تشع..كيف اغلقت عينيها بنشوة..

تعمقت ابتسامته لتصل لعينيه وهو يقول:

-أنت..تثيرين جنوني.

فتحت عينيها..لتلتقي ابتسامته المعدية.. والتي شقت شفتيها وهي تغرق في حضنه هامسة:

-جيد.. فلا أريد أن أكون الوحيدة..

ضحك وشعرت بضحكته تهزها من العمق.. منذ متى لم تسمعه يضحك هكذا.. بالراحة تلك..

-قحطان..

همست.. فتوقف عن الضحك وهو يشعر بها تقبل عنقه بجرأة..نظر لها بحنق فأضافت بدلال:

-أنا أحبك..وحبك يثير جنوني.

توقفت النظرات بينهما لوقت طويل.. تكاد تموت ..فقط لتسمعها منه..لينطق بها.. رأتها في عينيه.. وارتجافة شفتيه .. تعلقت عينيها بانفراج فمه.. سيقولها.. رفعت عينيها اليه برجاء صامت .. ولكنه التزم الصمت.. ابتلع ريقه بصعوبة وانزلها ببطئ لتلامس قدميها الارض..لتدرك ان كل ذاك الوقت كانت حقاً معلقة على كتفيه وبكل سهولة..

وضعت كفيها على صدره العاري..كان قلبه ينبض بقوة.. وكأنه سينفجر..

-انا..

همس..بتردد..للحظات..قبل ان يضيف:

-انا لااجيد هذا..

رأت حيرته في عينيه.. وكأنه ليس في مكانه..شعرت بخيبة الامل تغزوها ..انكسرت نظرتها ورأآها..حاولت الابتعاد بحزن ليعود ويضمها من جديد.. بقوة..

-دعني اذهب..

همست مخنوقة ليرفض باصرار..

-لا..لا..

نظرت له بعيون لامعة بالدموع.. ليقترب ويقبلها بعمق بين عينيها..

بكت حينها.. انسابت دموعها وتركها تبكي وهو يمسح دموعها بأصابعه هاتفاً:

-الم اقل لك ان الدموع لاتليق بك ياشيخة آل العزب..

شهقت بالدموع ليشتم ويعاود الكلام:

-سيادة انا لااجيد الحديث المنمق..ولااجيد هذه ال..

وتوقف عاجزاً عن ايجاد اللفظ المناسب فهتفت معترضة:

-الغزل؟؟ اهذا ماكنت تبحث عنه؟؟

صمت لتستمر بألم:

-هل يصعب عليك ان تقول انك تحبني ؟؟ هل هذه الكلمة صعبة ام انك لاتشعر بها من الاساس؟؟

-بعد كل ماحدث بيننا..وتطلبين مني كلمة؟!!!

تسائل بتهكم.. لتتملص من قبضته وتهتف:

-احيانا كلمة واحدة فقط .. تختصر الكثير.

تراجع شاعراً بالسخط.. مابالة تتعثر الكلمات على طرف لسانة.. لم يكن ابداً بالرجل الذي يعبر عن مشاعره..لم يكن من النوع السهل..والذي يتكلم بكل مايخطر ببالة.. ويجب ان تدرك هذا عنة..

-سيادة..انا..

-اعرف اعرف..

قاطعته بمرارة..

-انت شيخ العزب الجبار.. والذي لاتأبه لسخافة هذه المشاعر الدونية..

عقد حاجبيه باعتراض ولكنها لم تمهله بل اقتربت تضغط باصبعها على دقات قلبه بحدة:

-ولكنني لن استسلم ياشيخ.. لن استسلم حتى تتعلم ابجدية جديدة..

نظر لها باستنكار فتنشقت دموعها وهمست:

-انت شاق للغاية قحطان.. ولكنني لن اتوقف الان..

-وماذا يعني هذا؟؟

-يعني اننا سنبدأ بخطوات صغيرة ولكنها ..خطوات الزامية.. لذا..

اقتربت وهمست:

-سنبدأ منذ اليوم.. بعد زيارة عائلتك والتي الم نتحرك الان فنحن بالتأكيد سنتأخر عنها..

وتحت عينيه الحائرة سبقته الى غرفة نومهما بينما وقف خلفها ينظر باثرها بشك..يكاد يقارب اليقين ان الخطوات التي تقصدها لن تعجبه ابداً..

***

-هل بامكاني الدخول؟؟

رفعت بصرها لشقيقها الذي وقف بالباب يطلب الاذن بالدخول..ابتسمت له ودعته بفرح.. ابتسم برصانة واغلق الباب خلفه وهو يتقدم ليجلس امامها .. تأملها بحب..لايصدق انها اقترنت بصديقه..وانها وبعد شهور قليلة ستزف خارج هذا المنزل كعروس..

-كنت فائقة الجمال ليلة امس.

ابتسمت بسعادة واحمرت وجنتيها قبل ان تتذكر تلك الفاتنة التي جائت تتبختر في حفل خطبتها وسرقت منها الاضواء..لم تكرهها قطعاً ولكنها شعرت بقليل من الحسد..

-ولكنني لم أكن النجمة..

عقد حاجبيه بتساؤل فضحكت بمرح وهي تقفز من مقعدها وتقترب منه:

-لاتأبه بي.. لقد كانت هناك فينوس تمشي على قدمين واختارت حفلتي لتتألق..

-مالذي تقولينه؟؟

صاح بانزعاج لتضحك مجدداً:

-اه ياأخي.. لو لم تكن المرأة متزوجة لوددت لو تتزوجها انت.. ولكن سلمى أخبرتني انها متزوجة من قحطان شقيق علي الاكبر.

عقد خالد حاجبيه:

-لقد انصرف قحطان مبكراً عن الحفل..وقال علي ان زوجته متوعكة ووجب عليه أخذها للمنزل.

-اعتقد انها حامل..

فسرت ترنيم..ثم نفضت الامر عن ذهنها وقالت:

-دعنا منها الان واخبرني.. لم أتيت الي هل ستوصل الي رسالة من خطيبي الذي لم يكلف نفسه عناء البقاء ورؤيتي امس؟؟

ضحك خالد بتوتر وقال محذراً:

-خطيبك رجل بدوي.. وليس معنى انه قضى الكثير من الوقت في المدينة انه سيتخلى عن تلك البداوة وعاداتهم تنص عليهم الا يراك حتى ليلة الزفاف ياشقيقتي المتسرعة.

ضمت شفتيها باستياء وهتفت:

-هذا يبدو سيئاً..

ثم لمعت عينيها وهمست بشقاوة:

-لاتنسى اننا ندرس في كلية واحدة وصحيح انه في سنته الأخيرة ولكنني لازلت في البداية وصدقني سوف احتاج للكثير من الدروس الخصوصية..

-اه انني أشفق على الرجل منك ترنيم.. ترفقي به اذا سمحتي.

ضحكت بمرح قبل ان ترى التوتر في ملامحه فتسائلت:

انت لم تأتي هنا لتعظني بشأن تعاملي القادم مع خطيبي اليس كذلك؟؟

ابتسم باقتضاب واشار لها لتجلس الى جواره وهو يهمس:

-بصراحة.. لا..لقد أردت سؤالك عن شخص ما..

-من؟

تنحنح بحرج:

-انها..حسناً انها فتاة.. تلميذة لدي.. لقد عرفت انها تقرب لآل العزب من اسمها ولكنني لم اعرف درجة القرابة.. ثم رأيت رعاد.. شقيق علي خطيبك وهو كان يرافقها كظلها.. لذا فكرت انها..ربما حضرت الحفل..لابد انها شقيقة علي..لااعرف كم معه من الاخوات؟!

رفعت حاجبيها بمكر وهمست وهي تدفعه بكتفه بمرح:

-اااه انظروا للاستاذ الواقع في غرام تلميذته الجميلة..

-انا لااعرف ان كانت جميلة حتى..

غمغم بحرج فضحكت مؤكدة:

-لاتقلق كل فتيات العزب رائعات الجمال ولقد رأيت الكثير منهن ليلة امس.. والان اخبرني من تكون سعيدة الحظ..؟!

تنحنح وهمس باسمها بتوتر:

-غـزل..

شحب وجه ترنيم حينها.. ومضت بضع لحظات قبل ان تهتف بتحذير:

-ابتعد عن غزل ياخالد..

غاب اللون عن وجهه ونهض ببطئ يقف امامها وهو يسألها:

-مالذي تقولينه؟؟ لما يجب ان ابتعد عنها؟؟

نظرت له باستنكار:

-لأن رعاد العزب ليس شقيقها.. انه زوجها..

اتسعت عيناه بصدمة.. وتراجع بحدة لتنهض هاتفة بضراعة:

-لايجب ان تقترب منها ياخالد..ابتعد عنها اخي فانت لاتريد ان تدخل بهكذا اشكال مع عائلة العزب.

كان هو أكثر من يدرك هذا.. يالحماقته..كيف لم يفكر بهذا.. تواجد ذاك الرجل حولها وكأنه حارسها الخاص.. تباعدها الغريب..وكأنما تأنف حتى فكرة الاقتراب منه..كانت متزوجة؟؟ بل انها متزوجة؟؟ ليلة امس حين نظر اليه وصافحه رأى غضبه منه..رأى ماستكون ردة فعله لو انهما وحدهما..

هو من رفع عليه تلك الشكوى في مجلس الكلية ..

-يجب أن اذهب..

همس لشقيقته بذهول..

-خالد اانت بخير؟؟

هتفت بقلق وقلبها يتمزق لرؤيتها نظرته البائسة..

-سأكون بخير.. ولم لا..يجب ان اذهب.

قالها بسرعة وهو يغادر الغرفة تأملت الباب يغلق خلفه وللحظة شعرت بالبؤس يجتاحها.. كتلك المرة حين رأت علي برفقة تلك الفتاة وأدركت نظراته اليها ..

يالله ان شقيقها عاشق لامـرأة متزوجة..

هذا لايبشر بالخير ابداً..

***

تصاعدت الرائحة الشهية من الوعاء الضخم على النار والذي وقفت امامه غزل بصمت بينما تحوم سيادة حولها بفضول وعينيها تحاولان حفظ كل الخطوات..

-ممم الرائحة شهية للغاية.. انا اكاد اموت من الجوع.

هتفت وهي تمسك بطنها بتذمر لتضحك غزل وتشير لها ان تجلس:

-اتريدين ان اغرف لك القليل حتى تسكتي جوعك ريثما نجهز الطاولة؟؟

-لا افضل ان اكل معكم..

همست بخجل وهي تتراجع فابتسمت لها غزل بحنان:

-اجلسي اذاً وتناولي بعض السلطة..

جلست سيادة كتلميذة مشاغبة وبدأت بتناول السلطة فعلاً وهي تضحك لغزل.. حين دخلت الجوهرة وسلمى والاخيرة تتسائل بفضول:

-مالذي يحدث هنا؟؟ ماذا تفعلان؟؟

-نأكل..

اجابت سيادة ببرائة لتضحك الجوهرة وهي تشير لها بالنهوض:

-لاتأخذي راحتك كثيراً لقد عاد الشباب وأمي تريد الطعام على السفرة في الحال..والا فهي ستأتي بنفسها.

نهضت سيادة من فورها وهي تتذكر النظرة الباردة من حماتها حين جائت هي وقحطان قبل مايقارب الساعة وكيف أنبته على عدم الذهاب لعمله وكأنه لايزال طفلاً..كان رد قحطان الوحيد هو ابتسامة مقتضبة وتقبيلها على قمة رأسها ..ليس أكثر..ولكنها لن تنسى لهذه العجوز ماقالته واشارتها المبهمة لكونها هي السبب.. لذا لم تكن تريد اية نزاعات اخرى على الاقل ليس الان..

ساعدت الفتيات في تقديم السفرة والتي افترشت ديوانية منزل رعاد بكاملها وجلس الاخوة معاً وجاورت غزل وسيادة كلاً من رعاد وقحطان ..وبدأوا بتناول الوليمة التي اعدتها غزل بشكل احترافي وسيادة تناظرها بفخر وتمدحها بلاتوقف جعل الفتاة تتخضب

بالخجل وهي تكاد تختفي كل كتف زوجها الذي كان يضحك بفخر وسعادة .. بينما نظرت هدية لقحطان وهتفت بتهكم:

-متى تدعونا لوليمتك انت بني؟؟ لقد تأخرت لوقت طويل؟؟

رفع قحطان عينيه لوالدته وقال بابتسامة هادئة:

-متى ماتشائين اماه حددي الوقت وبيتي مفتح لكم جميعاً..

نظرت سيادة للمرأة الداهية بسخط وشعرت بقلبها يقع بين قدميها وهي تنظر للطيبات التي اعدتها غزل وفكرت ماقد تحتويه طاولتها.. أرز ناشف..ودجاج محروق.. ابتلعت ريقها بصعوبة بينما هدية تضحك:

-ان شاءاللّه بني.. في القريب العاجل..

دمدمت سيادة بتجهم بينما تضع لقمة اخرى من الارز الشهي المدخن في فمها..كان يجب ان تغلقه بشيء والا فانها ستعطي هذه المرأة ماتستحقه من كلمات لتجعلها تصمت للابد.. حين تدخلت سلمى بمرح:

-اوه قحطان لن تصدق ماحدث اليوم..

التفتت لها الانظار بفضول.. بينما تضحك بخبث وتنظر لسيادة هاتفة:

-سيادة .. يبدو ان الكثير من النساء اعجبن بها ليلة امس.. اخبريه ماما..

والتفت لأمها بمرح لتختفي ابتسامتها وهي ترى نظرة امها الصاعقة..وانكمشت بصمت..

-مالذي حدث بالضبط؟؟

قالها قحطان متوتراً وهو ينقل بصره بين امه وشقيقته لتهتف امه بحنق:

-لاشيئ مهم واختك هذه يجب ان يقص لسانها..

-ماذا فعلت؟؟

همست بخوف وتراجعت لتلتصق برعاد الذي همس لها بترهيب:

-لسانك هذا سيؤدي بك الى حتفك فاصمتي..

لكزته بقوة على كتفه قبل ان تنظر لأمها التي كانت تواجه ضغطاً من قحطان:

-امي..قولي مالأمر..

نظرت هدية لسيادة التي كانت تبادلها النظرات بتحدٍ وقد سئمت تسلطها بينما تهتف:

-انه خطأ زوجتك فمماكان عليها الظهور كفتاة صغيرة تريد جذب الخطابة.

اتسعت عينا سيادة بصدمة وهتفت بذهول:

-انا..؟؟؟!!

بينما زمجر قحطان وقد بدأ توتره يصل لذروته وهو يصر:

-اماااااه..مالذي حدث؟؟

-لقد اتصلت عدة نسوة من حفل امس للسؤال عن سيادة.

عقد قحطان حاجبيه وتسائل بخشونة:

-يسألن عن ماذا بالضبط؟؟

تعلقت جميع العيون بهدية التي زفرت بضيق وهتفت:

-يسألن ان كانت مخطوبة او ماشابه.. يردن التقدم لها لأبنائهم..

سمعت سيادة سعال رعاد الشديد وقد اختنق ببعض الطعام بينما عينيها تنتقلان بين قحطان وامه التي كانت تنظر له بهدوء شديد وهو يقول لها بكل برود:

-ألم تخبري تعرفي عن سيادة حين وصلت ليلة أمس أماه؟؟

رأتها سيادة في قبضة يديه التي اشتدت.. عروقه النافرة التي برزت معلنة فوران دمه ..ثم ذاك النبض الضارب في عنقه.. التفتت لهدي لتراها ترتبك امام نظرات ولدها الحانقة جداً ..

شعرت بالتسلية.. وهي ترقب الصراع البارد بينهما والذي انهته الجوهرة بحكمة:

-لاتغضب قحطان..كان هناك العديد من النسوة البارحة ولم يكن هناك وقت مناسب للتقديم اللائق.. ولن لاتقلق فقد تم الرد على طلبات الخطبة لزوجتك بشكل حازم.

شعرت بالرغبة بالضحك وهي ترى وجه الجوهرة المتماسك غصباً وهي تقول ماقالته.. خطبة زوجتك؟؟!!

وافلتت ضحكتها رغماً عنها ودفنتها مباشرة في كتفه القريب منها..ليتصلب وينهرها بخفوت:

-هذا ليس مضحكاً..

شعرت بالغضب المكتوم في نبرته الخفيضة وارتجافة جسده.. اوه لقد كان غاضباً بحق.. وهذا اثار سرورها لقد كان غيوراً.. نفث انفاسه بحرارة قبل ان يكف عن الاكل ويتراجع حامداً اللّه بصوت مسموع..

-انت لم تنهي طعامك؟؟

اعترضت امه ليهتف باقتضاب:

-لقد شبعت..

ثم التفت لزوجته التي تألقت عينيها بضحكتها المكتومة وزمجر بحنق:

-اذهبي واعدي لنا الشاي سيادة..

زمت شفتيها تحاول كتم ضحكتها وهي تنهض بسرعة:

-حاضر..

التفت لعائلته ورأى كيف تتهامس الجوهرة وسلمى بعيون ضاحكة بينما تشاغل اخويه بالطعام وأمه للنظر اليه بعتاب وعد رضى جعله يأخذ نفساً عميقاً ويحاول السيطرة على عصبيته حين رن هاتفه مقاطعاً افكاره.. كان أكـرم..

-السلام عليكم..

قال بعصبية قبل ان يسمع كلمات الرجل المقتضبة وتتسع عيناه للحظة قبل ان تعودا وتضيقا بقسوة وهو يهدر بغضب:

-مالذي تقوله؟

انتفض الجميع بذعر.. كانت القسوة والغضب في صوته هادرة.. هب اليه اخويه وهو يزمجر مشتعلاً:

-اسمعني ياأكرم أريدك ان تقلب المدينة حجر تلو الأخر..وانشر للجميع ان من يخفيه سوف يدفع الثمن بلارحمة.

واغلق الخط بسرعة ملتفتاً لأخوته وهو يقول بغضب مكتوم بصعوبة:

-حسن هرب من المستشفى.

سمع شهقة الجوهرة المذعورة فنظر لها بحدة قبل ان يتجه اليها ويقبض على كتفيها:

-لاتقلقي ياجوهرة لن يصل اليكي ولن يضع اصبعاً عليك مادمت حياً أتفهمين؟؟

نظرت له بشحوب وهمست:

-طفلاااي.. طفلاي في البلدة.. يجب أن اعود.

-ستبقين هنا ريثما اعرف اين ذهب ذاك اللق(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد). طفليك بأمان لاتقلقي.

-اريد طفلاي قحطان..

صاحت بانهيار.. ليسارع رعاد بعصبية:

-جوهرة لاتخافي اقسم لك انني سأقتل ذاك المعتوه لو فكر للحظة بأذيتك او اذية الطفلين.. سأذهب بنفسي لأحضرهما من البلدة..

-لا..

اعترض قحطان بسلطة ليتوقف رعاد ويلتفت له منتظراً وامره:

-سيبقى الطفلين هناك فهناك آمن..سأكلم سالم ليؤمنهما بشكل كامل.. ونحن سنتحرك الأن.

رأى شقيقته تسقط باكية وتحاوطها امها وسلمى وهما تغرقان بالبكاء سواء فاقترب يربت على كتفها:

-اعدك جوهرة لن يصيبك والطفلين شيئ.. فلاتخافي.

-انه مجنون قحطان..هو لن يتوقف حتى ينتقم منا جميعاً.

شعر بالغضب بداخله يتصاعد انها محقة.. حسن لن يتوقف حتى يدمرهم جميعاً.. ولذا عليه ان يتحكم بغضبه بشكل كافٍ..يفكر ببرود كمااعتاد..يفكر بحكمه..

تركها حينها واندفع يرتدي حذائه استعداداً للخروج مع أخويه اللذان كانا بانتظاره على الباب حين سمع صوتها المذعور:

-قحطان؟؟

توقف وأخذ نفساً عميقاً قبل ان يستدير لمواجهتها..حاول الابتسام لطمئنتها ولكنه لم يفلح.. تجهم وجهه وهو يرى دموعها التي اغرقت وجهها:

-لاتبــكي..

اندفعت متجاهلة الجميع لترتمي بين ذراعيه وهي تهتف:

-لاتذهب..اتصل بالشرطة دعهم يتصرفون ..لاتذهب.

اتسعت عيناه بحدة وهو يجذبها بعيداً عن اعين عائلته وهتف بها بشدة:

-لاتكوني حمقاء.. الشرطة لاعلاقة لها بأي شيء انها مشكلتنا وسنحلها بأنفسنا..

-لا لا.. انه خطير ومجرم وقد يؤذيك.

صاحت باكية وهي تتشبث بكتفيه..قبل ان تضمه بقوة وهي تتوسل:

-ارجوك قحطان..اتوسل اليك حبيبي لاتذهب.

امسكها من كتفيها بقوة وابعدها بطول ذراعيه هاتفاً بقسوة لعينيها المذعورتين:

-توقفي عن هستيريتك واسمعيني جيداً.. لن يصيبنا سوء.. وذاك الحقير سوف اسحقه كحشرة قبل ان يفكر بفعل شيئ ليضر به الجوهرة او طفليها.

اتسعت عينيها للشدة في صوته وتلك الشراسة من عينيه وهو يواصل بحزم:

-والأن اريدك ان تذهبي لتبقي مع عائلتك والا تفكري بشيئ.

كيف له ان يطلب منها هذا؟؟

فكرت بجنون وهو يفلتها ليلحق بأخويه.. ركضت تناديه بحرقة ولكنه كان حقاً يغادر.. التفتت للنسوة المتكورات حول الجوهرة وشعرت بالرعب.. وكأنها تراه للمرة الأخيرة..

***

الجمعة ليل

احد اثنين وخميس ظهر

***

-هل من أخبار؟؟

سارع قحطان بسؤال أكرم حالما وصلوا الى المكتب الخالي من الموظفين وقتها ليسرع بالرد:

-الرجل الذي ساعده على الهرب تعرفته الممرضات.. طبيب فاشل وله الكثير من السوابق في المخالفات والعقوبات.

-احضره..

هدر قحطان بعنف ليتنهد اكرم:

-لقد سافر في الطائرة المتجهة الى استراليا منذ خمس ساعات ماضية.. انه في مكان ما فوق المحيط الهندي..

-تباً.. اسمعني ياأكرم اريد كل خيط لدينا حول المافيا التي تساعد ذاك المجرم لايعقل انه قد قام بكل هذا بمفرده هناك من يساعده.

-اعرف ولهذا فنحن نستجوب عائلة الطبيب ونراجع حساباته لنرى من يمكن ان يكون قد دفع له للمساعدة.

-ألم يرى احد السيارة التي غادر بها؟؟

تسائل رعاد بحنق فرد أكرم:

-ان المشفى وسط حي سكني ضخم.. والكثير من السيارات هناك ولكننا لانزال نحقق بالأمر.

-التحقيق فقط سيؤخرنا..اريد التحقق من المطارات ياأكرم لاأريد ان اعرف اننا نتخبط هنا وهو في طائرة ما لمكان مجهول ..اتفهم.

-لقد بحثنا بالفعل ولاتقلق لايوجد احد بمواصفاته قد غادر البلاد خلال الفترة الماضية..

-اذا من الأفضل ان يبقى الامر هكذا ..

دمدم بحنق وهو يتجه الى النافذة.. كان المساء يدلي سدوله.. والليل يهطل بظلامه على الجميع..

في الجهة الأخرى من المدينة كان يقف امام نافذة مماثلة.. يتأمل الليل الذي هبط مهيمناً..مرسلاً قشعريرة باردة على طول عموده الفقري..

لقد عرفوا بهروبه..وعرف من رجال السلطان انهم يبحثون عنه في كل مكان.. ابن عمه وغريمه اللدود لن يكف حتى يجده.. سيقلب كل حجر في عدن ان اضطر لكي يجده..

-مالذي تخطط له الأن؟؟

ابتسم بهدوء والتفت لسيف:

-الحصول على ميزة..وسيلة لأنتقم من عدونا المشترك.

-وكيف ذلك..

ضاقت عينا حسن وتحرك بالقرب من سيف\:

-لاتقلق بالك أنت ياسلطان.. دع ابن العزب يقاتل ابن العزب.. اننا نفهم بعضنا جيداً..

-انت لاتريد قتاله انت تريد التخلص منه.

اعترض سيف ليضحك حسن بحرقة:

-ليس قبل ان اراه ذليلاً امامي كما أذلني.. وليس قبل ان احطم كفيه وقدميه نكاية بمافعله معي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ثم ابتسم واتسعت ابتسامته لتصبح أقرب الى تكشيرة وحشية وهو يتوعد:

-ليس قبل أن أحرمه عائلته كمافعل معي.. وأحرق قلبه كما أحرقني..

ابتلع سيف ريقه..كان الرجل مجنوناً.. مالذي دها السلطان ليفكر ان يدخل رجل مثله الى محيطهم.. فكر للحظة بسلمى.. وان كانت ستعاني من خطة هذا المجنون .. وحينها أدرك انه يجب ان يكون قريباً ليعرف بالضبط ماينتويه.. وليحميها منه مهما كانت النتائج..

-ماالذي تنتويه؟؟

شرد حسن ببصره وهمس:

-ستعرف كل شيئ.. لاتقلق.. ولكنني بعثت احد رجالك في مهمة بسيطة.. وحالما يرجع لي بالمعلومات.. سنتحرك.

عقد سيف حاجبيه وهو يتسائل عن ماهية المهمة التي بعث بها رجله.. ولكن حسن ابتعد لركن قصي.. وعلى فراش اعد له جلس يضم ذراعه المجروحة اليه وهو يهمس:

-ستندم لمافعلته بي يابن عمي.. ستدفع ثمن كل شيء..كل الحرقة وكل الألم.. ستدفع ثمن الوجع والمرارة.. ستذوق طعم الدم في حلقك.. ولن تكون فقط دمائك انت.

عيناه كانتا تشعان بوحشية.. قبل ان يغلقهما بحزم..معلناً ان الليلة انتهت.. على الأقل بالنسبة اليه.

***

اخيراً الصباح..

نهضت ترتدي عبائتها بصمت.. متحاشية اثارة اية جلبة كي لاتوقظ سلمى الراقدة الى جوارها ولا الجوهرة الراقدة على السرير الأخر ..

بعد ليلة مضنية من الانتظار الخائب.. لم يعد..لم يرد على اتصالها ولم يتصل بنفسه ليطمئنها عليه.. هذا يكفي.. لقد سئمت تعامله

المتسلط وحان له أن يعرف انها لن تسكت على هكذا معاملة سيئة ابداً..

نزلت من المنزل بسرعة ومع بداية اليوم كانت حركة السيارات خفيفة للغاية.. تنهدت بذعر تحاول ان تخففه وهي توقف سيارة أجرة .. للمرة الأولى منذ وصلت الى هنا تركب سيارة أجرة بمفردها..

أملته العنوان حيث مكتب قحطان وجلست مترقبة..

كانت الرحلة قصيرة ..جداً..

ترجلت من السيارة بفرح وسارعت الى داخل المبنى..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

اغلق سماعة الهاتف بحدة.. لايزال اكرم بعيداً عن أي خيوط تقربه من العثور على ذاك المجرم.. وهو هنا بانتظار المزيد من المعلومات دون القدرة على فعل شيء.. رعاد عاد للمنزل في الفجر ليبقى جوار النساء بينما توجه علي للمستشفى وسعود بعد ساعة..

يشعر بنفسه مقيداً.. تباً لك ياحسن ..

فكر بعنف.. ثم نهض من مكتبه ينظر عبر النافذة للشارع الذي بدأت تدب فيه الحياة.. فأخذ نفساً عميقاً وقرر العودة للمنزل.. أخذ حمامٍ طويل ..كوب من القهوة وفطور دسم..ثم مصالحة تلك الغاضبة منه

كمايبدو.. لم يستطع الرد على اتصالاتها التي تجاوزت العشرة طيلة الليل..فكان يجب ان يبقى مع أخويه وأكرم لدراسة كل الخيوط..و..

-قحطان..

انتفض وهو يلتفت للصوت.. واتسعت عيناه باندهاش وهو يراها تقف هناك وقد انحسر غطاء شعرها لتظهر خصلاتها النحاسية كشمس أصيل مشعة:

-ماذا تفعلين هنا؟؟ هل حدث شيئ؟؟ هل وقع مكروه؟؟

سارع اليها لترتمي بين ذراعيه بفرح لنبرة اللهفة في صوته وهي تهمس:

-لا لا.. لم يحدث مكروه.

ابعدها عنه بسرعة وتسائل بخشونة:

-اذاً مالذي تفعلينه هنا؟؟ كيف جئتي من الاساس؟؟

ابتلعت ريقها قبل ان ترفع رأسها بصلابة:

-جئت بسيارة أجرة..

-وحدك؟؟

تسائل بصوت خفيض.. ارسل رعشة الى اعماقها وهي تدرك مدى غضبه:

-نعم..

-سيادة أيعقل ان تكوني اقل غبائاً..

هدر بعنف وهي تنتفض بذعر,, رأت شراسة عينيه تفوق الوصف وهو يقبض على كتفها ويهزها بعنف:

-هل فكرتي ولو للحظة ماقد يحدث لكي؟؟ هل فكرتي للحظة بحسن وانه قد يكون بالخارج يترصد لأحداكن كعادته؟؟

-قحطان انت توجعني..

تألمت فهتف بشراسة:

-وسأحطم رأسك الغبي هذا؟؟ كيف فكرتي ان تأتي الى هنا ولماذا؟؟

-أنا لم أفكر..

هتفت باكية..ليتوقف عن هزها وينظر لعينيها الدامعتين وهي تضيف متحشرجة:

-أردت الاطمئنان عليك.. انت لم تكلمني ولاترد على اتصالاتي.

-انا مشغول جداً في الوقت الحالي سيادة لااجد وقتاً لهذه الترهات النسائية.

نظرت له بلوم:

-ترهات؟؟ انا زوجتك قحطان واكاد أموت من القلق وانت لاتكلف نفسك حتى عناء الاتصال.

-سيااااااادة.. سنعود معاً اذاً..

دمدم بحنق..

-هل أقاطعكما؟؟

سمعا الصوت الحاد ليلتفتا معاً وتعقد سيادة حاجبيها بغضب بينما يزفر قحطان بتوتر وهو يرد:

-أميرة؟؟ مالذي جاء بك مبكرة؟؟

-هناك الكثير من العمل..والبارحة فقدنا الكثير من الوقت..

همست مخنوقة..تراهما هنا معاً وقلبها يحترق..جائت مبكرة فقط لتستقبله حال وصوله في وقته المعتاد ولم تفكر ولافي أعنف خيالاتها ان تراهما هنا.. معاً!!

-العمل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

دمدم قحطان بحنق لتنتفض سيادة وتخلص نفسها من قبضته:

-تخلص منها قحطان..

همست برجاء..لينظر لها ببرود:

-سيادة انت الان لاتفكرين بمنطق.. عودي للبيت ودعيني أكمل اعمالي..

رفعت حاجبيها بدهشة قبل ان تصرخ باستنكار:

-منذ لحظات قلت انك ستعود معي.. والأن..

ونظرت لأميرة الواقفة دون حراك وأكملت بغضب:

-تراها وتقول ان لديك عمل؟؟

-سيااادة..

حذر بنبرة مخيفة .. ولكنها لم تعد تأبه.. لقد كانت ترى كل شيء أمامها الان باللون الاحمر.. المزاج الناري للصهباوات تفجر في عينيها وهي تبتعد عنه وتقترب من أميرة صارخة بحدة:

-أهذا ماكان يحدث من وراء ظهري.. تتعذر بالعمل لتأتي لقضاء الوقت مع هذه..

التفتت اليه لتراه يناظرها بصدمة قبل ان يهتف:

-سيادة لقد تخطيتي الحدود .. الأن ستغادرين دون نقاش.

تشبثت بمكانها ولم تتحرك بل اشارت لأميرة وصاحت بحزم:

-اطردهـا..

شهقت أميرة بينما عقد قحطان حاجبيه بغضب حقيقي..لقد تخطت الحدود.. سيادة تخطتها بالكامل:

-انت لاتستطيعين القاء اوامرك علي سيادة.

همس بصوت هادئ.. لايكاد يشي بمدى الغضب بداخله ولكنها لم تستسلم.. بل اقتربت منه وصاحت بعصبية:

-بلى استطيع.. انت زوجي ومن حقي عليك ان تنصت لي.. اطردها قحطان..

-وإن لم أفعل..

رد ببرود جعل قلبها يسقط بين قدميها وهي تشحب مواجهة الغلاف البارد الذي يحيط به نفسه:

-ان لم تفعل.. فأنا لن أسامحك ابداً..

اقترب قحطان منها.. وبكل جمود اعاد طرحتها على رأسها وقال لعينيها المرتجفتين بصوت جليدي:

-ستنزلين الان للأسف..سائقي سيعود بك للمنزل فأنا لدي عمل اقوم به.

شعرت بنفسها تهوي..

هل يفضلها عليها.. كانت تريد الصراخ والبكاء.. ولكن لاشيئ من هذا.. تسمرت تنظر لجموده برعب.. مالذي يحدث.. كيف لرجل ان يحيط نفسه بكل هذا الجبروت والقوة.. كيف لرجل الا ينحني لمشاعره ولو قليلاً.. هل كانت مخطئة؟؟ حبها له.. اعترافاتها التي ابعدت كل الشك عن مشاعرها.. استسلامها اللامشروط اليه.. كله..كله دون قيمة حين تقف مواجهة اوامر السيد..

أوامر شيخ العزب..

-اذا مارحلت الأن قحطان.. فهي ستكون المرة الأخيرة..

لم تتحرك ملامحه.. ظلت على جمودها وهي تكرر:

-اطردها.. ودعنا نعش حياتنا بسلام..

اشتدت قسوة عينيه للحظة قبل ان يرد بقطعية:

-لاتوجد امرأة على ظهر هذه البسيطة تملي علي انا ماافعله..والأن يابنة امك..ستنزلين وتعودين مع السائق للمنزل وحين أنهي اعمالي سأآتي لنضع النقاط على الحروف.

لقد انتهى الأمر..

فكرت بمرارة.. بخواء يحوطها..

لقد أعطته الفرصة تلو الأخرى وهاهو يفسدها..سمحت لدمعة وحيدة ان تنزل على خدها.. قبل ان تقسو عينيها كعينيه.. وتهمس له:

-اتخذت قرارك يابن عمي.. وبقي ان اتخذ قراري أنا..

واستدارت بحزم لتواجه اميرة الشاحبة وسطهما وهتفت لها بكبرياء:

-انه لك.. فقد فرغت منه..أتمنى ان تذوقي معه نصف العذاب الذي أذاقني اياه.

ارتجفت أميرة بشدة ونظرت لقحطان برعب..

الأن فقط رأت القسوة التي توحشت في عينيه وهو يسمع كلمات زوجته التي قالتها بحرقة قبل ان تشق طريقها للخارج..تحمل قلباً مكلوماً..وعيناً لم تعد تجرؤ على البكاء..

رأته يبتلع ريقه بصعوبة.. قبل ان يشيح عنها..ارادت ان تكلمه.. ان تفعل شيئاً ما.. ولكنها لم تجرؤ حتى على التحرك.. بينما تقدم قحطان من مكتبه ..يصارع الغضب المتصاعد بداخله..وهو يتذكر كلماتها الاخيرة..

فرغت منه؟؟

مالذي عنته بالضبط..؟؟

وبدون شعور..كان يدفع المكتب المليئ بالمستلزمات وبصرخة افرغ فيها بعض من شحنات غضبه كان يقلبه عن بكرة ابيه على الارض..

سمع اسمه من أميرة.. بجزع.. فصرخ بعنف:

-اتركينـي وحدي..

تراجعت بذعر.. بينما تقدم ليلتقط هاتفه ومفاتيح سيارته ويسارع بالمغادرة..

لم يستقل المصعد بل اتجه للسلالم حيث كان يفرغ بعض الغضب بخطوات قوية ثابتة.. حتى وصل الى الشارع.. وهناك راى السيارة الاخرى..

عقد حاجبيه واقترب من السائق الذي انتفض ليفتح له الباب فسأله قحطان بحنق:

-ألم توصلها؟؟

رفع الرجل عينيه بارتباك ليشرح قحطان بنفاذ صبر:

-زوجتي لقد نزلت للتو ومن المفروض ان توصلها للمنزل؟؟

-انا اسف ياشيخ.. ولكن لم يأتي لي أحد..

تراجع قحطان بقلق وهو يفكر انها لابد اخذت سيارة اجرة..

سارع باخراج هاتفه واتصل بها.. سيقتلها هذه المرة.. سيقتلها حقاً..

ارتفع الرنين مرة.. اثنتين.. ثلاث.. ثم..

"صباح الخير ياشيخ"

تصلب في وقوفه.. ودار الشارع حوله وهو ينظر لهاتفه يتأكد ان اتصاله كان لزوجته وليس سواها.. حين عاد الصوت الساخر من جديد:

"ماذا هناك ياشيخ العزب؟؟ هل أكلت القطة لسانك؟؟"

-حســن..

هدر بشحوب..وعيناه تجوبان الشارع حوله..بجنون يبحث عن طيف له..

"هو بشحمه ولحمه"

ثم نظر لكفه المضمدة واضاف بسخرية:

"الذي هشمته أنت"

-أين زوجتي؟؟

صاح قحطان بجنون لتجاوبه ضحكة طويلة باردة من حسن وهو يلقي نظرة طويلة على الجسد الملقى الى جواره:

"في الحفظ والصون يابن عمي"

وقبل ان يسمع الرد كان يغلق الخط.. ليترك ذاك.. على رصيف موحش.. يدور حول نفسه كالمجانين.. يصرخ باسمه بلاتوقف..وعقله يشتعل..كله يشتعل.. وفكرة واحدة لاتفارق ضميره..

هو من سلمها لذاك المتوحش بيديه..

هو ولاأحد سواه..

***

نهاية الفصل.

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الثامن والعشرين

***

لحظات يجتاحنا فيها الندم يعصف بنا ويسيطر على مقاليدنا بكل وحشية وقسوة.. الذنب يحترق بداخلنا ويقيم مآذنه التى لاتنفك تذكرنا بما اقترفته أيدينا.. عاصفة من الأفكار تجتاح العقل..تودي به الى متاهات مظلمة وذكرى لاتنفك تصب حميمها على القلب..

هكذا وقف على رصيف الوحدة.. مثقل بالندم..غارق في الذنب تعصف به أفكاره ويجلده عقله بلارحمه.. يده تكاد تحطم الهاتف الذي يحمله وأنفاسه تكاد تشعل الهواء من حوله..انها ثورة المذنب..

كان يستمع للرنين المتقطع للهاتف بصدمة.. توقف كل شيء حوله..بعد أن دار عليه بقوة وجعله شبه دائخ أصبح بالكاد يتحرك.. شعر بالاختناق.. يضيق الهواء من حوله يضيق عليه ويكاد يقطع أنفاسه..

التفت لرجاله من حوله وهتف بصوت مخنوق:

-ابحثوا عنه في كل مكان..

تفرق رجاله في لمح البصر بينما قفز هو الى سيارته متجاهلاً سائقه الذي صرخ به.. ولكنه كان في عالم أخر.. عيناه تبحثان بجنون عن لمحة منها.. لم يكن يفكر,لم يفكر ولو لثانية وهو يشغل السيارة ويتركها تنهب الطريق بصرير عنيف منطلقة للبحث عن حبيبته التي اختطفها ألد اعداءه حالياً..

قبضتيه تمسكان بقوة بعجلة القيادة وقدمه تكاد تخترق أرضيتها وهو يدوس على بدالة البنزين .. كانت عيناه تجوبان الطريق بحرص بحثاً عن شيء.. أي شيء..

سيارة مشبوهة؟؟ موكب غريب.. لمحة عنها او ربما عنه؟؟

ضرب المقود بقبضته بعجز عدة مرات.. يريد ان يسيطر على غضبه المتصاعد بلافائدة..

كان يقود حول المبنى في دوائر.. عيناه لاتكفان عن البحث.. وعقله لايكف عن القاء اللوم..

حتى رأها..

سيارة دفع رباعي متوسطة تنهب الطريق نهباً.. نوافذ مظللة وسرعة مجنونة وسط طريق عام..

وانتفض قلبه بعنف ولم يكذب خبراً.. ادار سيارته دورة كاملة وانطلق مخالفاً اتجاه الطريق خلفها..

كان جنوناً..

الانطلاق وسط طريق سريع بعكس الاتجاه ولكنه لن يتركه.. ابداً لن يتركه..

كان يسمع تنبيهات السيارات الغاضبة المارة الى جواره بسرعة رهيبة ولكنه لم يلقى لها بالاً.. عيناه على السيارة الأخرى لايريدها ان تغيب حتى عن ناظريه..

بالكاد يناور السيارات التي تتجه نحوه ويبحث عن نقطة الولوج للاتجاه الاخر..

الريح اشتدت وهو يدخل في مطاردته الى الطريق البحري السريع..

ضربه هواء البحر البارد ولكنه لم يأبه,, كل ماكان يريده هو اللحاق بتلك السيارة..

لم يعد يرى سواها.. السائق الاخر كان يطير.. كان يهرب..

صرخ بعنف وهو يتفادى شاحنة مسرعة اتجهت اليه كوحش مفترس.. وهو يلاحظ ابتعاد السيارة الأخرى..

-لن تهرب مني..

صاح بعنف وهو يدير مقوده مجدداً ويزيد الضغط على دواسة البنزين متجاوزاً سيارتين أخرييتين منطلقاً نحو الاتجاه الاخر..

قفزت السيارة في الهواء حين ارتفعت عجلاتها القوية عبر الرصيف الفاصل بين الاتجاهين.. وتحت يديه القويتين ثبت المقود بحرفية .. بينما تعود السيارة للانطلاق في الاتجاه الصحيح هذه المرة.. ناهبة الطريق خلف السيارة المنشودة..

لم يكن يعرف ان سرعته تجاوزت المائة والعشرين /كم , ليزيدها الى المائة والاربعين بتهور وهو يزمجر بغضب لرؤيته السيارة تحاول الابتعاد..

كان ينطلق كالسهم وسط طريق السرعة المحددة فيه لاتتجاوز الثمانون/ كم..!!

كان يلهث متوتراً.. عيناه لاتبارحانها .. والمسافة بينهما تقل.. وتقل..

كان يقود بجنون.. سيارته تصدر صريراً عنيفاً والعجلات تئن من احتكاكها بالأسفلت.. ولكنه كان يقترب..حتى أصبح خلفها مباشرة.. قبض على المقود بقوة وانحرف يزيد السرعة ليجاورها تماماً.. وبكل شراسة كان يتجاوزها..ليصبح امامها تجاوز السرعة للمرة الأخيرة ليتقدم السيارة بمسافة مناسبة قبل ان يديرها لتعترض الطريق وسط عاصفة من صوت المكابح المروع والتراب العاصف.. عيناه تراقب السيارة تتوقف بصعوبة بمسافة لاتكاد تذكر من سيارته موقفة خلفها رتل من السيارات.. الغاضبة الزاعقة بتنبيهاتها المزعجة..

ولم ينتظر أكثر..

فتح تابلوه سيارته واخذ مسدساً يبقيه هناك على الدوام.. وقفز منها شاهراً مسدسه متجهاً لباب السائق..

وبكل قوة كان يحطم زجاج السيارة بكعب مسدسه وسمعها..

سمع البكاء الهستيري والصرخات النسائية..

كانت عيناه غائمتان بالغضب..لم يكن يرى بوضوح حتى..

كل ماكان يدركه ان هناك شاب غِر يتلوى بين يديه متوسلاً ان يفلته..

لهث بعنف وهو يحاول السيطرة على غضبه.. يريد ان تنقشع عن عينيه تلك الغيمة السوداء.. وأن يرى.. يريد أن يرى وأن يسمع شيءاً عدا عن ذاك الطنين الذي كاد يحطم رأسه,,

-أرجوك..اتوسل اليك اتركني ..

سمع صوت الفتى ونظر له بانزعاج..من يكون؟؟

افلته بقسوة ليسقط على الارض واندفع يفتح باب السيارة الخلفي لتتسع عيناه بذهول..

-ارجوك ياولدي..اتركنا بحالنا..ابنتي على وشك الولادة ونريد ان نسعفها..

تراجع بصدمة وهو يرى النسوة الثلاث واحداهن بعمر امه تتوسله ليتركهم؟؟!!

رفع يديه تحيطان برأسه بقوة..

شعر بتوقف ثلاث سيارات الى جواره .. تقافز منها رجاله بسرعة

واحدهم يصيح:

-هل أنت بخير ياشيخ؟؟

بخير؟؟

فكر باستنكار وهو يحاول لملمة شتات نفسه..لقد كاد يتسبب بمقتل عائلة بريئة بسبب جنونه.. نظر حوله بذهول..

لقد كان أعمى.. اندفع خلف غروره وتابعه حتى كاد يخسر نفسه وكل شيء أخر..كاد يخسرها هي !!

فكر بجنون ,, سيـادة؟؟!!

فكر بحرقة.. تصاعدت حتى كادت تذيب داخله بلارحمة.. ياللهي الرحيم, أين أنتِ؟؟

كانت بين يدي عدوه.. الرجل الذي سلبه كل شيء.. الرجل الذي حرمه زوجته وعائلته.. واموالـه..

الرجل الذي حرفياً جعله ذليلاً دون نقاش..

ذاك الرجل الان يأسر زوجته..خطف سيادة.. حبيبته سيادة..

ذنبه.. والندم الذي يحرقه يثبتانه ارضاً..

غصة تغلق حلقه فلايستطيع حتى ان يتكلم..

لايريد ان يفكر بماعساه يفعل بها.. اغمض عينيه بقوة لايريد ان

تأتيه اية افكار عمايمكن ان يحدث لها؟؟

اغمض عينيه بقوة وسمح لغضبه أن يتصاعد يريد أن يغضب.. يريد

أن يحطم كل ماحوله ولكن لم يفعل.. شعر بالغليان يتصاعد ليحرق

خلايا مخه ولكنه لم يتزحزح(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد

قائد)

التفت لرجاله وعيناه تشعان بعاصفة مجنونة لم تغادر مع كلماته

وهو يأمرهم بكل ثبات أن يعودوا للبحث..ألا يتركوا مكاناً يمت لحسن

بصلـــة الا ويقلبوه رأساً على عقب..

وبدون انتظار لردودهم كان يعود لسيارته وينطلق بها نحو مكتبه..

عيناه غيمتان من غضب والأسى يدمره مع احساسه بالذنب ولكنه

لايستطيع السماح لحسن بالانتصار عليه.. لو فقد صوابه فسوف

يفشل..

وليس قحطان العزب من يفشل.. ليس هو من يترك غضبه يتحكم به.. عليه أن يستعيد هدوءه مهما كان..

ابتلع ريقه بصعوبة وتجاهل غصة تخنقه وشعور غريب يلسع عينيه ويحرقهما..

قلبه كان يخفق بدوي يكاد يحطم أذنيه ولكنه قبض على المقود بيديه كالفولاذ وزاد سرعة السيارة..

كان عليه الاتصال بأكرم.. عليه الوصول لذيول حسن بأسرع وقت ممكن..

وصل للمبنى وصعد الدرجات الى مكتبه بخطوات راكضة.. وصله فاندفع ليجدها امامه توقف عاقداً حاجبيه وهو يسألها بخشونة:

-ماذا تفعلين هنا؟؟

اتسعت عينيها بخوف لمنظره.. لم تره قط من قبل هكذا.. تكاد النار تخرج من فمه وانفه وهو ينفث أنفاسه عيناه حمراوتان كالجمر..

تراجعت بخوف وهمست:

-كنت أرتب المكتـ..

تقدم قحطان وعيناه تشتعلان بغضب لم يتحفظه امامها ابداً:

-غادري..

اتسعت عينيها بذهول.. شعرت بالمرض.. كان غاضباً متباعداً وكأنه جبل وليس ببشر..

-انا لم افعل مايسوء..لماذا؟

همست تدافع عن نفسها لينظر لها بذاك الغضب العاصف ليجعلها ترتجف وهو يهدر:

-لست بحاجة لتبرير نفسي لكي .. ستعودين الى مكانك في شركات الشهري وهذه هي النهاية.

-قحطاان..

سمع الصوت القوي.. ورفع عينيه بتثاقل لرفيق عمره الذي وقف امامه كمارد وعيناه تحملان قلقه:

-هل أنت بخير؟؟

شعر بلسعة تحرق عينيه.. خفضهما بسرعة وهو يحاول السيطرة على مشاعره المبعثرة .. محاولاً لملمة شتات نفسه .. يعرف صديقه.. ومن نظرة واحدة اليه..فسيعرف كل شيء.. كل الضعف..

الضعف الذي لايمكن ان يكون جزءاً منه.. والذي يخفيه ببراعة خلف قناع من االغضب والقوة..

-قحطاااان..

كرر عمرو الشهري بحزم.. واقترب من صديقه الذي لابد يعاني من أكبر أزمة في حياته.. وهمس بتعاطف:

-هل من أخبار عن سيادة؟؟

نظر قحطان لعمرو وهمس كاتماً لغضبه قدر الامكان:

-موظفتك ستعود الى شركتك اليوم ياعمرو(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لم تعد خدماتها مرغوبة هنا.

شهقت أميرة بصدمة بينما نظر عمرو لهما بحيرة للحظة قبل ان يفرقع اصابعه لأميرة بتسلط:

-اجمعي اغراضك يا اميرة, اريدك ان تعودي لمكتبك اليوم, او سأعتبرك مستقيلة.

-سي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) سيد عمرو..

همست برجاء لينظر لها بحزم ويهتف بلهجة قاطعة:

-الأن أميرة.

نظرت لقحطان بعينين باكيتين قبل ان تشهق بالبكاء وتركض للخارج بينما اقترب عمرو من صديقه وقال:

-انت تحمل الكثير على كتفيك قحطان.. عليك ان تهدأ والا فإن الامور لن تزداد الا سوءاً..

اغمض عينيه بشدة.. كيف يطالبونه بالهدوء؟؟ كيف؟؟

انه يصارع كي لاينهار .. يصارع الغضب والاحباط.. يصارع احساسه بالندم.. والذنب الذي يتآكله ولايترك له الفرصة كي يتنفس دون أن يحرقه من الاعماق.. وفوق كل هذا يطالبونه بالهدوء؟؟

كيف له ان يفعل هذا؟؟ كيــف؟؟

-من أخبرك؟؟

همس قحطان بشرود:

-اتصل بي سليم..

كان سليم هو حارسه الشخصي ..

-لقد تركت رجالي يمشطون المنطقة للبحث عن شهود ربما رأو شيءاً..

قالها عمرو بحزم ويده تربت على كتف قحطان :

-سنجدها قحطان.. لاتقلق.

نظر له قحطان بغموض وهمس:

-انها بين يدي رجل مخبول ياعمرو.. انها بين يدي الرجل الذي اخذت منه كل مايهمه.. عرّيته من كل مايملك جعلته ذليلاً وحرمته من عائلته وزوجته واطفاله.. كيف..

توقف يبتلع ريقه بصعوبة ويشيح بعينيه وهو يتحشرج بكلماته:

-كيف لي أن لا أقلق؟؟

مسد عمرو عنقه بتوتر.. الأمر كان اسوأ ممايظن.. لم يرى قحطان بهذا الشكل ابداً.. حتى حين فقد شقيقه محمد كان مستسلماً لقضاء اللّه وقدره رغم حزنه.. ولكن الأن؟؟ كان يرى ضعفاً..لم يره ابداً من قبل؟؟؟

-سنفعل المستحيل لنجدها.. سيتصل بك وسنجدها..

قالها مواسياً ليتنهد قحطان بحرارة.. ثم اخرج هاتفه..جرب الاتصال بها..مرة واثنتين..

لافائدة.. الرنين الغبي لايتوقف ولاأحد يرد..

حتى اغلق نهائياً..شتم بحرقة ورمى بهاتفه على المكتب بحنق ..اقترب عمرو وحاول شده من ذراعه:

-فقدانك لأعصابك الان ليس بحل..

ابعد قحطان يده بسرعة وصرخ:

-لاتلمسني..

اتسعت عينا عمرو بدهشة وقحطان ينفض كتفيه ويطالعه بشراسة ليقترب منه ويحاول معه بهداوة:

-انت لاتفكر بعقلانية..

-اتريد تعقلي؟؟؟

هدر قحطان بجنون.. ليتراجع عمرو رافعاً يديه عساه يهدأ الا ان قحطان كان يبدو ثائراً كبركان يقذف حممه على كل من حوله:

-انها زوجتي ياعمرو؟؟ ذلك الوغد أخذ زوجتي أنا..

صرخ بعنف ليقترب عمرو وهو يقول :

-انا أفهمك قحطان..اكثر من يفهمك في هذه الدنيا.. هل نسيت انني مررت بنفس الشيء..

-لا لا ياعمرو..انت لم تمر بنفس الشيء..

هتف بمرارة.. ليتصلب عمرو وقحطان يواصل بجنون:

-انت لم تعش مااشعر به الان.. حتى حين اصيبت زوجتك في المرتين.. كنت معها.. تراها امامك وتلمسها بيديك..

ورفع له عينين جاحظتين وهو يصرخ:

-انا فقدتها ياعمرو..لااعرف مالذي يفعله بها ذاك المريض..لااعرف ان كنت سأجدها يوماً؟؟ ولاحتى كيف؟؟ لااعرف ماقد يحصل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) انا.. أنا سلمتها اياه بيدي..انا تسببت..

وتوقف متحشرجاً ليندفع عمرو بحرارة:

-لاتذهب الى هناك ياصديقي.. لاتجعل احساسك بالألم يقودك لأن تلوم نفسك..عليك أن تكون قوياً لتعثر عليها.

لقد سئم هذه القوة التي تشع منه.. شعر بالاشمئزاز من نفسه وهو يقف هنا.. بكل قوته وجبروته .. بينما هي!! لايعرف ان كانت حية او.. واغمض عينيه بغضب.. لو مسها.. لو وضع اصبعاً ماعليها..

لن يكفيه فيه حياته..

-لو كان أي رجل أخر.. لكنت ذهبت الى بيته..أحرقته عن بكرة أبيه.. وأخذت عائلته كمافعل معي..

هدر قحطان بوحشية كان يشبك أصابعه بقوة تكاد تحطمها وعمرو يراقبه بصمت.. يعرف انه بحاجة لاخراج هذا الغضب المكبوت ولاأحد سيتقبله منه سواه..

-ولكن عائلته..هي شقيقتي..

همس بمرارة..

-ابناءه..انا..انا تعهدتهم بالحماية..

صاح بسخط غاضب.. ونهض ينفث أنفاساً كالنار..

-ذلك المجرم..ذلك الوغد يستبيح عرضي..وانا..أنا مقيد ولااستطيع الرد بقذارة كمافعل.

-أنت أكبر من هذا ياشيخ..

همس عمرو بشدة..وتقدم من قحطان محاذراً الاقتراب بأكثر مما يسمح له اطار التوتر العنيف والغضب الهادر الذي يشنج كتفيه ويجعله غير قابل للمساس كما يبدو..

وكأن النار تشع من مسامه..

-ستجدها وتلقن ذلك الرجل درساً لن ينساه..

ضغط قحطان بقوة على فكه.. يكاد يحطمه من شدة غضبه وانفعاله.. ولكنه محق.. سيجده وان كان يعني ان يقلب عدن حجراً بعد الأخر سيفعل..وحين يجده.. فليرحمه اللّه..فهو لن يتركه الا جثة هامدة!!

***

فتحت عينيها ببطئ.. رأسها يؤلمها والرؤية ضبابية.. تشعر بالدوار.. حاولت ان تمسك رأسها علها تخفف من ذلك الدوار الذي يلف بها ولكنها اكتشفت بجزع ان معصميها مقيدين خلف ظهرها بقسوة..

مالذي حدث؟؟ فكرت برعب..كانت تغادر مبنى شركة زوجها لاتكاد ترى من الدموع التي تركتها تغسلها بمرارة رأت السيارة التي أمرها وبكل وقاحة ان تستقلها للبيت.. لم تكن تنوي ان تفعل.. لم تكن تنوي حتى ان تعود الى بيته.. غيرت اتجاهها بألم نحو شارع جانبي.. حاولت السيطرة على دموعها وهي تشير لسيارة اجرة حين شعرت بمن يحيطها من الخلف بقسوة..

ارادت الصراخ ولكن يد غليظة كتمت صوتها والرجل المتوحش يدفعها الى مقعد خلفي لسيارة قريبة.. حاربت بشراسة..دفعت قدميها ويديها ولكنها لم تفلح.. رأت رجلاً اخر في السيارة.. ملثم تلمع عيناه بوحشية..

شعرت برعب وخوف كبير..ارادت الصراخ حين باغتها ذاك الألم المفاجئ في مؤخرة رأسها.. وأظلمت الدنيا أمامها حتى الأن..

أين هي؟؟

فتحت عينيها بصعوبة وهي تحاول استبيان المكان الذي هي فيه..كانت غرفة قديمة بها سرير صغير ارتمت عليه وقد قيد معصميها الى ظهرها ومنه الى عمود السرير..

الغرفة تقريباً مظلمة..خالية..

حركت رأسها متحدية الألم وهي تنظر حولها..

مجرد كرسي خشبي جلس عليه رجل !!

تراجعت بذعر وصرخت:

-من انت؟؟ مالذي فعلته بي؟؟ أنت لاتعرف من أكون..

ضحك الرجل بوحشية:

-لازلت بذاك اللسان السليط صدقيني يابنة عمي..انا اعرف من تكونين جل المعرفة.

اتسعت عينيها بذعر وهمست بشحوب:

-أنت؟؟!!

اقترب حسن بجذعه ليدخل دائرة الضوء وهو يهمس بابتسامة لزجة:

-ومن يكون غيري..

ابتلعت ريقها بذعر..تلفتت حولها وهمست:

-فك قيدي ودعني أخرج من هنا..انت لاتريد مواجهة العواقب لهكذا فعل ياحسن.

عقد حاجبيه بسخرية:

-هل تلمحين الى شيخك الحبيب؟؟اهو العواقب التي تهددينني بها؟؟

شعرت بالألم يجتاحها وهو يذكر قحطان.. ألم وحقد ..

-قحطان سيقتلك..

همست بعنف ليجلجل ضاحكاً تحت عينيها الذاهلتين:

-انه يتخبط باحثاً في كل مكان.. حتى انه كاد يقتل نفسه بحادث بشع..

اتسعت عينيها بخوف ليحرك يده بأسف:

-ولكنه لم يفعل ..لازالت لديه بضعة ايام في عمره كمايبدو..

-مالذي تريده مني؟؟

هتفت بحنق.. لينهض مقترباً منها.. تراجعت حتى التصق ظهرها بالجدار:

-مأريده منكي؟؟

تسائل بتمعن.. ومد يده يبعد طرحتها ليظهر شعرها الاحمر جلياً..

شهقت بخوف بينما تألقت عيناه بجشع:

-أتسألين مالذي أريده سيادة؟؟ اريدك كلك..

جحظت عينيها وصاحت برعب:

-لو لمستني.. فلن يرحمك قحطان ابداً..

ضحك بجنون..ابتعد يهتف:

-زوجك العزيز يدين لي بالكثير ياعزيزتي..

والتفت لها ليهمس بوحشية رافعاً يده المحطمة:

-لقد سلبني كل ماأملك..اموالي..عائلتي.. سلبني جوهـرتي..

صرخ بعنف لتنتفض وترد بصوت شاحب:

-انت خسرت الجوهرة بتعاملك القذر.. انت كنت تضربها وتسيئ اليها.

اشتعلت عيناه..واقترب منها بسرعة ليقبض على شعرها بقسوة متجاهلاً صرخة ألمها:

-انت لاتعرفين ماكان بيننا..انت لاتفهمين..

وافلتها متجاهلاً نحيبها ودموعها التي انسكبت بغزارة:

-انا ..انا والجوهرة كانت ..كانت لدينا طقوس خاصة..

نظرت له بقرف وصاحت:

-أنت مريض..

عصفت عيناه بغضب وعاد اليها هذه المرة ليقبض على فكها بقسوة:

-كلمة اخرى من هذا النوع وسأجعلك تعرفين لما أحبت الجوهرة طعم قبضتي..

اقفلت سيادة فمها بقوة واشاحت عنه تحاول السيطرة على رجفة جسدها الذي انتفض.. كان مجنوناً وخارج عن سيطرته..راقبته يدور بداخل الغرفة الصغيرة قبل ان يغادر ويغلق الباب خلفه باحكام..

بكت بمرارة.. تركت جسدها يسقط على الفراش وشهقت بألم..

هو كان السبب.. هو من تركها لتقع بين يدي هذا المريض.. المجرم..

هو من آثر البقاء مع تلك المرأة.. هو من تركها تعود وحدها..

"لماذا قحطان؟؟ لماذا تركته يأخذني؟؟"

شهقت بانهيار وهي تفكر فيماقد يفعله بها هذا المختل..

يقتلها..يفقدها طفلها؟؟ يعتدي عليها؟؟

انتحبت اكثر.. لن تسامحه ابداً..

لن تسامح قحطان على تركها بهذه الطريقة ابداً.

***

-مالذي فعلته؟؟

هدر الصوت بغضب ليرفع حسن رأسه ببطئ ويطالع سيف الذي شع غضبه من عينيه ببرود:

-مالذي تتحدث عنه؟

-كيف تجرؤ على خطف سيادة؟

-ومالذي يزعجك في ذلك ياسلطان؟؟

اقترب منه سيف وامسك تلابيبه بقوة وهزه بعنف:

-انها امرأة..اتفهم؟؟ انها ابنة عمك كيف جرؤت على فعل هذا بها؟؟

الرجل الحق لايمس امرأة بسوء..

تخلص حسن من قبضة سيف بحنق وصرخ به:

-انها وسيلة الانتقام من قحطان..اليس هذا ماتريده عائلتك؟؟اليس هذا ماجعلك تأتي الي من الأساس؟؟

-لم نتفق ابداً على إيذاء النساء.

صاح سيف بغضب ليضحك حسن وهو يجلس عاقداً ساقيه بهدوء:

-انها ليست اية امرأة.. انها سيادة العزب ياسلطـان.. وكأن التاريخ يعيد نفسه..

عقد سيف حاجبيه وتسائل:

-مالذي تعنيه؟؟

-انت جاهل بتاريخ عائلتك حقاً يافتى.. لم لاتسأل والدك..او ربما جدك العجوز.

تراجع سيف وهمس:

-انا لن أشارك بهذا الأمر..لن اشارك في وضاعتك ابداً.

-ربما تحب ان تخبر ابيك بهذا الأمر وتسمع رأيه مباشرة..

اقترب منه سيف ودمدم بحنق:

-انا لاآبه لمايقوله لي ابي حالياً.. لقد انتهينا من لعب دور الابن البار.

ثم ابتعد وهو يهدد:

-انا ورجالي سننسحب من هذه العملية.. وانت من الأفضل لك ان تعيد المرأة لزوجها.. انا اعرف قحطان العزب جيداً لأوقن انه لن يتركك حياً بعد مافعلته ياحسن.

ضاقت عينا حسن وقال بصوت منخفض :

-لاأحد يعرف ابن عمي كماافعل انا.. وقبل ان يطلق رصاصه في قلبي سأكون انا من أرديه.. ولكن قبلها سأحرق قلبه على من يحب..وأمام عينيه مباشرة.

-أنت مجنون..

همس سيف بتوتر..ليبتسم حسن بتهكم.. يحمل لمحة من جنون خطر.. تركت سيف في صراع.. لايستطيع ان يتركه يكمل فيمايفعل.. فمن ناحية سيادة كانت بريئة من كل شيء.. لايجب ان تُجر الى مثل هذه الافعال الشنيعة.. ومن ناحية اخرى فهذا يدمر كل شيء يمكن ان يأمله مع سلمى..

رباااه..

تراجع بحنق.. لملم رجاله بأمر حازم وحالما اقتربوا قال لأحدهم بصرامة:

-أريد أن أعرف مكانها.. اين اخفاها هذا المجنون.

-هو لم يأخذ معه سوى اثنين من رجالنا سيد سيف..وحتى الان لم نقدر على الاتصال بهما.

زمجر سيف بحنق..هذا الرجل ذو عقلية اجرامية ولاشك.. لابد انه تخلص من رجاله في اقرب فرصة كي لايسربوا الخبر..

-اريد منك ان تتبعه كظله..اريد أن اعرف اين يحتفظ بالمرأة التي اختطفها.

-حاضر ياسلطان..

اومأ الرجل بطاعة ليبتعد سيف وهو يصيح بالباقيين:

-اتركوا كل مواقعكم لاأريد لأحد أن يبقى معه.

تبعه رجاله بصمت بينما كان يخرج هاتفه ويجري اتصالاً بأبيه..

-حسن العزب فقد عقله تماماً..

اغمض السلطان عينيه بحنق وهو يسمع صوت ولده الغاضب:

-انا اعرف مافعله.. ولابد انها الطريقة الوحيدة.

-لا ابي..انها ليست الطريقة الوحيدة..

صاح بانزعاج:

-انها امرأة منذ متى ندخل النساء في اعمالنا؟؟

تصلب السلطان في مقعده وسيف يواصل بغضب مكتوم:

-قحطان حين واجه عبدالعزيز فعلها وجهاً لوجه .. قاتله رجل لرجل ولم يضطر لأن يختبئ خلف النساء..

وأنا لست رجلاً أقل منه بشيء.

-ماذا تنوي ان تفعل؟؟

تسائل السلطان بشحوب وهو يدرك ان ابنه قد نفذ صبره .. ووصل الى مرحلة من الصعب ان يسيطر فيها عليه الا بالحكمة والتفهم..

-سأذهب اليه..

قالها سيف بعزم.. وأضاف بعد صمت ابيه المقلق:

-سأواجهه كرجل وانتقم منه كرجل لايخشى شيءاً.. ولكنني لن أطعنه في ظهره وعرضه أبي.

-أتظنه سيسمح لك بالاقتراب كماتأمل؟؟

توقف سيف للحظات ووالده يواصل بسخط:

-قحطان العزب سيتخلص منك حالما تفكر بالوصول اليه.. أتظنه مثلك؟؟

هدر بعنف:

-لاتظن كل عائلة العزب تشبه ذاك الغر الذي عشقت امراته.. انه قحطان العزب.. هو وأخوته سيدمرانك قبل ان تفعل أيها الأحمق.

تيبس حلق سيف.. واغمض عينيه وهو يتمتم:

-هذا لن يوقفني عماسأفعله أبي..أنا لست خائفاً منه.

-عليك أن تخاف.. اذا ماكنت ذكياً كما تدعي فعليك ان تخاف.

صاح والده بغضب..وسمعها في صوته.. رجفة غضب..رجفة لم يسمعها يوماً..شحب وجهه وهمس:

-انت..أنت خائف لأجلي..

جاوبه الصمت..ليضحك بسخرية مريرة وكل شيء..كل شيء ينجلي..

-أنت دبرت هروب حسن حتى تبعدني أنا عن مواجهة قحطان..انت لم تثق بقدرتي على الانتقام ابداً.

هتف بألم ليهمس والده ببرود:

-حسن وقحطان ..من طينة واحدة..العزب أدرى بالعزب..أما أنت..

وتوقف متحشرجاً ليواصل سيف بمرارة:

-انا ماذا يا أبي..هيا قلها.

-أنت مجرد فتى مدلل تلهو باموالك ولاتدرك مايمكن ان يفعله بك ذاك البدوي لو وقعت بين يديه..لقد رأيت مافعله بعبدالعزيز ولااستطيع تخيل ماقد يفعله معك.

-انا لست عبدالعزيز..

صاح بقوة ليرد والده بعنف:

-انت اكثر غروراً منه فقط.. قلي ياسيف متى كانت أخر مرة خضت معركة حقيقية بيديك العاريتين؟؟ متى استخدمت سلاحاً لشيء غير قنص الاوز بمزرعة جدك؟؟؟ أخبرني ماتملكه لمواجهة قحطان العزب سوى غرورك التافه الذي سيمرغه بالتراب ان وقعت في قبضته؟؟

اتسعت عيناه بصدمة.. ربما بصدمة ان كل ماقاله والده..كان حقيقياً..

تأمل حياته الماضية بعين ناقدة.. حياة لهو.. عربدة.. سباق سيارات..صيد.. مطاردة الحسناوات.. والمضاربة في البورصة..

كيف يقارن حياته بحياة اولئك البدو الاشداء؟؟

كيف سمح له خياله ان يفكر..

-حسن العزب هو وسيلتنا للانتقام.. وأنت ستساعده دون التدخل بشيء..ستبقى بعيداً اتفهم؟!

اغمض عينيه بقوة وهتف بحزم:

-لا ياأبي.. أنا لن أبقى بعيداً.

-سيف إياك(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

بدأ السلطان تهديده ليزعق سيف بقهر:

-سأفعل ماأراه ملائماً أبي..ماأراه انا ملائماً فقط.

وقبل ان يسمع الرد كان يغلق الخط بحنق.. كل شيء يعود ليرتطم به..كل خططه كانت فاشلة..والده جاء به فقط ليكون واجهة عمل لحسن القذر.. ينال سمعة الانتقام من قحطان العزب وينفذه حسن بكل وضاعة..!!

لقد استغله والده.. استغله كالحمقى..

***

لم يستطع البقاء في المكتب.. تجاهل عمرو والجميع واندفع للشارع مع رجاله..لم يترك شبراً الا وبحث فيه.. استخدم صلاته في البحث عمن قد يكون طرفاً في مساعدة حسن..

ذيول المافيا التي كان يعمل معها.. رجاله اللذين كانوا يساعدونه من قبل..

موظفيه اللذين كانوا يعملون معه في مكتبه..

استخدم طرقاً مشروعة وغير مشروعة في التهديد والترهيب..

ولكن حسن يبدو وكأنه تبخر..

لاأحد يعرف عنه اي شيئ..

لاأحد لديه أدنى فكرة عن مكانه..

كانت تقارب أذان العشاء حين اوقف سائقه السيارة بصمت..

-لم توقفت؟؟

هدر قحطان ليبتلع الرجل ريقه ويهمس:

-القائمة..القائمة انتهت ياشيخ.. لقد ذهبنا في كل مكان..

زفر قحطان بارهاق.. انه لم ينم منذ البارحة.. ويشعر بجسده ينتفض من تعبه .. لقد بحثوا في كل مكان.. كل شيء يقودهم الى سراب.. وكأن من ساعد حسن على الهرب مجرد طيف أو خيال..

-لقد اتصل الشيخ رعاد ويقول بأن العائلة كلها في منزله.

العائلة كلها؟؟ من يعني؟؟

-من تعني بالعائلة؟؟

تنحنح الرجل قبل ان يهمس:

-الشيخ قحطان وصل منذ العصر.. وهو يبحث عنك.

تراجع قحطان بظهره الى السيارة بزفرة طويلة.. جده هنا.. لايمكن للوضع أن يسوء أكثر من هذا.. وكان محقاً..

فـــوضى..كل شيء عمه الفوضى..

عائلته..أمه وأشقاءه.. عمه سالم الذي كاد يصاب بأزمة قلبيـــة.. ثم كان الأسوأ..

مجيئ جده من البلدة..

كان هروب حسن هو سبب قراره المفاجئ بالحضور.. وكان خبر سيادة الصفعة التي انهكت الشيخ وجعلته يجلس دون حراك في منزل رعاد بينما الجميع ينظر لقحطان بانتظار ماسيقول..

ولكنه لم يكن يملك مايقول..كان يجلس هناك صامتاً بانتظار اتصالاً من ذاك المعتوه أو من أحد رجاله المنتشرين في المدينة بحثاً عن خيط..

كان يقتله الجلوس هكذا..لايفرق عن امه واختيه شيئاً..ولكن حقاً لم يكن هناك مايستطيع فعله.. يشعر بأنه مقيد ومن غير المسموح له حتى بأن يتنفس..

-ماذا سنفعل الأن؟؟

تمتم رعاد بعصبية.. وتوجهت اليه أنظار الجميع فأضاف بحنق:

-قحطان هل سنبقى هنا مختبئين كما النساء بينما ذاك الوغد..

وبترعبارته بغضب سمع شهقة الجوهرة بالبكاء ومواساة سلمى لها

بينما نهض عمه سالم واتجه لقحطان:

-بني..يجب أن تجدها..يجب..أين ستكون؟؟

كان صوته يرتجف.. دموعه اغرقت عينيه وهو ينحني لينظر في

عيني قحطان:

-لقد آمنتك عليها.. تركها لك..كلها..وأنت..أنت فقدتها؟؟

نهض قحطان من كرسيه بسرعة وأشاح عن عمه وهو يلتزم الصمت

بينما نهض رعاد مواجهاً عمه بحنق:

-هل تحمل أخي مسؤولية اختطاف سيادة؟؟ ان حسن مجرم ومجنون

ولكن قحطان لايد له بكل هذا.

-رعاااد..

نهره جده بخفوت ولكن رعاد لم يتزحزح من مكانه بينما عمه يهتف

بألم:

-كانت معه.. وهو يعرف ان حسن طليق..لم لم يعيدها بنفسه؟؟ لم

تركها تغادر وحدها؟؟

ربااااه..

هاجمته الكلمات بقسوة.. وكأنما تحفر اثراً في جسده.. أثراً دامٍ موجع..

-هي من خرجت من هذا المنزل دون ان تأخذ حتى الاذن.. لقد تصرفت بتهور.

صاح رعاد بحزم ليعترض عمه:

-أتعني انها مسؤولة عن اختطافها وانها تستحقه؟؟

-انا لم أقل هذا..

تلعثم رعاد بينما همس قحطان:

-عمي سالم محق..

التفت الجميع اليه كان يعقد حاجبيه بعقدة لافكاك لها..

كتفيه مشدودان وقبضتيه قد ابيضت مفاصلهما من شدة انقباضهما..

-انا تركتها تذهب دون حراسة أنا.. أنا من سهل الطريقة لحسن ليأخذها.. انها غلطتي أنا.

-بني لاتعذب نفسك..لم يكن هناك شيء تفعله.

هتفت هدية بمرارة ليغمض عيناه بحسرة وهو يتمتم:

-بلى أمي..كان هناك الكثير..اقلها كان يجب أن اتخلى عن عنادي وقلة بصيرتي كان علي أن أحكم عقلي بدل ان احكم غضبي.

-قحطان..

سمع صوت جده الضعيف.. فابتلع ريقه بصعوبة ثم توجه اليه..جلس بين يديه وخفض رأسه..

-أنت قادر على ايجادها..انا لاأشك بهذا.

-انا..انا لاأعرف كيف..

همهم بشحوب..ليضع يده على قبضتيه المتوترتين بقوة..وبأس..

-أنت تعرف حسن تعرفه أكثر مناجميعاً.

-لا أحد يعرف حسن..

دمدم قحطان بغضب.. غضب وسخط..

-بعد كل مافعله بالجوهرة..واعماله المشبوهة انا لم اعد أعرفه ياجدي.. والأن..لقد أخذ سيادة.. للانتقام مني.

-انه يفعل هذا للانتقام منا جميعاً..

-انا سأجده سأفعل ياجدي..ولكنني أخشى..

وتحشرج صوته وهو يهمس:

-أخشى أن أجده بعد فوات الاوان.. أخشى أن يؤذيها..

-تعوذ باللّه من الشيطان يابني..سنجدها قبلاً ان شاءاللّه..

نظر قحطان لجده ببرود:

-حين أجده ياجدي..أنا لن أرحمه..

ضم الجد شفتيه بأسى وخفض عينيه بأسى:

-عليك أن تتحكم بأعصابك بني..لاتنسى أنه ابن عمك..

-تحكمي بأعصابي في المرة الماضية هو من جعلني افقد زوجتي الان ياجدي.. لو قتلته وقتها..لماكنا مضطرين لاجراء هذه المحادثة من الأساس.

-اسمعني جيداً بني..

قالها جده بحسم ثم نظر في عينيه وواصل:

-لقد أخفيت هذا عنك قدر المستطاع ولكن..

عقد قحطان حاجبيه وهو يرقب تردد جده الغريب وحثه:

-ماذا هناك ياجدي..مالذي تخفيه عني؟

-عائلتك.. ابناء عمومك .. لايوافقك الجميع على مافعلته بحسن.

ظهرت الصدمة في عيني قحطان وهتف بعنف:

-مالذي تقوله جدي؟؟ بعد كل مافعله وماتورط به من اعمال غير مشروعة ناهيك عمافعله بالجوهرة وقتها والأن سيادة؟؟

-لاتنسى انه ابن عمك..العاطفة تسيطر على افراد العائلة..بالنسبة للاعمال الكثير لايوافقه ولكنهم لايعارضونه كذلك وماحدث مع الجوهرة فذلك في عرفنا شأن رجل بامرأته.

نهض قحطان ببطئ..ونظر لجده بعينين باردتين:

-ماحدث للجوهرة هو شاني..لانها شقيقتي..ومافعلته مع حسن سأفعله مع أي كان يجرؤ على مس امرأة تخصني بسوء ياجدي..سواء كانت شقيقتي..او زوجتي..

نظر له جده بصمت وهو يهدد بصوت مرعب:

-اخبر كل من يشكك بالأمر..انني لن أرحم من يمد يده على عائلتي..سواء كان فرداً من افرادها او من خارجها.. وحسن..فليرحمه اللّه قبل ان يقع بيدي.. لأنني لن أفعل ياشيخ..ابداً لن أرحمه..

وقبل ان يسمع اي اعتراض او انتقاد أخر كان يستدير عنه ويتجه للباب..حين رن هاتفه فجأة..

كان رقماً محجوباً..

فتح الخط وهو يزعق بصاحب الاتصال ليسمع الضحكة الساخرة تخترق عقله:

-هل فقدت أعصابك أخيراً ياشيخ؟؟

تصلب وجهه وهو يسمع صوت حسن.. نظر للمحة لعائلته التي تشاغلت عنه واندفع نحو غرفة جانبية واغلق الباب خلفه باحكام وهو يزمجر:

-انها فرصتك الأخيرة ياحسن اعدها وربما سأعفو عن حياتك..

-ياللغرور..

همس حسن بحقد ثم اندفع بسخرية:

-أخبرني انت ماذا ستفعل لي لأعفو عن حياتها ياشيخ..

-لو مسستها بسوء..

همس بصوت مرعب..جعل حسن يتوقف للحظة وريقه يجف.. يعرف قحطان جيداً حين يتكلم بمثل هذه الطريقة.. ولكنه لن يتراجع..

ليس الأن.. أخذ نفساً عميقاً.. وعاد يتقدم الى الغرفة التي يحتفظ بها فيها وهو يتمتم بحنق:

-مالذي ستفعله ياشيخ..ستحطم يدي الأخرى..؟!

اغمض قحطان عينيه بقوة وهمس متوعداً بذات الصوت الذي جمد الدم في عروق حسن بالفعل:

-اقسم باللّه أنني سأمزقك لقطع بيدي ياحسن.. سأمزقك لدرجة انهم لن يجدو منك بقايا ليدفنوها ايها الحقير.

-لاتتسرع بتهديداتك ياشيخ..

هتف حسن بغضب لمايفعله خوفه به.. وهتف بجنون:

-ربمايجب أن ارسل لك اجزاء منها كي تتوقف عن هذا الغرور والمكابرة..

اشتدت قبضة قحطان على الهاتف وصرخ :

-سأقتلك ياحسن..صدقني سأجدك واقتلك بيدي.

توقف حينها حسن امام سريرها.. كانت تتراجع بخوف وهي تراقبه يتحدث الى الهاتف وعرفت غريزياً.. من النظرة الوحشية في عينيه انه يحادثه هو.. لمعت عيناها بأمل للهاتف وسمعته يهمس بحنق:

-أتود سماع صراخها؟؟

تحرك قحطان بجنون في الغرفة.. كان يدور في دوائر ..يعلم انه عاجز.. عاجز عن ايجاد حل ولو مؤقتاً..

حين قالها حسن.. صراخها؟؟ شعر بالذعر.. هو ابداً لن ينكر احساسه وشعوره وقتها وتخيلها هناك..

ترتجف مذعورة امام هذا الو(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

-دعني أكلمها..

همس بشحوب.. ليضحك حسن بتشفي وتنهد بارتياح كبير لكمية القلق التي استشعرها في صوت قحطان.. جلس الى جوار سيادة التي انكمشت بعيدة عنه برعب..وهو يهمس لقحطان:

-سأسمح لك بهذا يابن عمي.. فلازال لدينا الكثير لنتفاهم بشأنه..

والتفت لسيادة وقال ساخراً:

-لم لاتحدثي ابن عمنا العزيز عن حُسن ضيافتنا لكي؟؟

اتسعت عينيها وهو يقرب الهاتف سمعت صوته يناديها بيأس..

-سيادة..!! سيادة أتسمعينني؟؟

امتلأت عينيها بالدموع وهي تسمع صوته.. رباااه.. كم اشتاقت اليه..

همست باسمه برجاء يمزق القلوب:

-قحطاااااان..

شعر بالهاتف يهتز بيده.. ليدرك بذهول ان يده من كانت ترتجف..

لا لم تكن فقط يده.. كله كان يرتجف.. جلس بصعوبة على مقعد قريب يريد أن يسجد شكراً للّه على انها لاتزال سالمة..

صوتها يهاجم كل مراكزه الحسية ويجعل كل اعصابه تقفز عائدة للحياة بعد أن تبلدت في غيابها.. انها سالمة.. كانت تبكي.. يدرك هذه الرجفة التي تحكم حروفها ولكنها سالمة..

-أانت بخير؟

همس بشحوب ليسمعها تنشج:

-أخرجني من هنا..أعدني للبيت ياقحطان.

-هو لم يمسك بسوء؟؟ أليس كذلك؟

تسائل محارباً الغضب العاصف الذي بدأ يستعيد مكانته في اعماقه.. لتهمس انها بخير..حالياً على الاقل.. فاغمض عينيه بارتياح للغيث الضئيل الذي بلل روحه العطشه وهمس بوعد:

-سأخرجك ..سأعيدك للمنزل فلاتخافي.

-أليس هذا وعدٌ مبالغ فيه يابن عمي..

سمع صوت حسن وصرخة سيادة وهي تحاول استعادة الهاتف الذي ابعده عنها بقسوة..

-انه وعد حُــر.. ووعد الحُر دين ياحسن.

هتف بصوت مرعب..وهو ينهض من مكانه بعنف..وهو يضيف:

-سأجدك وحينها لن يرحمك مني شيء.

-سنرى ياقحطان..سنرى من منا لن يرحم الأخر.

وقبل ان يترك له فرصة الرد كان يقفل الخط.. نظر قحطان لهاتفه بحنق.. رباااه مالذي سيفعله بها الان.. كانت معه.. يحتفظ بها بعيداً..

مسد رأسه بيأس.. كيف يصل اليها.. يارب الكون كيف يمكن أن يصل اليها..؟؟

سماعه لصوتها كان القشة التي قصمت تحكمه بنفسه.. تلك الشعرة التي اودت بعقله للجنون.. ليدرك كم يشتاق اليها.. كم يخشى عليها..

رباااه انها بين يدي ذلك الوغد.. فكر بجنون يائس.. كله يحترق .. عقله .. قلبه.. جسده كله يشتعل..

كان بركاناً خامداً اشتعلت فيه كل البؤر لتتفجر نيرانه من عينيه وأطرافه مهددة بحرق الأخضر واليابس..

وشيئ واحد فقط احتكم عقله وقلبه..

يجب ان يجدها.. يجب أن يجد حبيبته سيادة.. ولو دفع حياته ثمناً لها..

***

انبلج الفجر..

تنهدت بمرارة وهي تمسح دموعها.. لايزال أخوتها بالخارج يبحثون عن خيط واحد يوصلهم الى حسن.. كانت تشعر بأن المسؤولية كلها تقع

على عاتقها هي.. هي السبب في جنونه.. هي السبب في حقده على أخيها.. هي السبب في خطف سيادة..

اجهشت بالبكاء وحاولت كتم نشيجها.. لاتريد لأحد أن يسمع فيأتي لمواساتها.. بالكاد نامت سلمى وأمها بعد صلاة الفجر منذ قليل..

اماهي فلم تقدر حتى على ارساء جفن..

الذنب يتآكلها.. ليته كان أخذها هي.. هي من اعتادت جنونه وليس سيادة.. لاتقدر على تصور مايمكن أن يشعر به قحطان الأن..

احساس الغضب والذنب لابد يتآكله حتى العظم..

أخذت نفساً عميقاً..وحاولت تجفيف دموعها حين سمعت تلك الحركة المريبة..

تيبست مكانها واتسعت عينيها بذعر وهي تسرع لباب الشقة لتنصت أكثر..

كان هناك شخص ما خلفه..

تراجعت بذعر..

لم يكن هناك في المنزل سوى النساء.. بالاضافة للجد .. تلفتت حولها بذعر وهي تضع الاحتمالات المختلفة .. لم يكن هناك سواه ليهاجمهم

وقت الفجر.. لقد وضع قحطان حراسة عليهم ولكن الحراسة بالاسفل..

عاد الصوت مجدداً..كان يشبه صوت سحب شيئ ثقيل..

ابتلعت ريقها بصعوبة واندفعت للمطبخ..

اخذت سكيناً كبيراً للحم وعادت للباب بسرعة..وضعت عليها عبائتها ولفت طرحتها كيفما اتفق.. لن تدعه يسبب اي أذى أخر.. لن تسمح له بايذاء فرد أخر من عائلتها الا على جثتها..

ابتلعت ريقها بصعوبة.. ثم شهدت..

قبل ان تفتح الباب بصورة مفاجأة وتشهر سلاحها في وجه الرجل الطويل الذي تراجع ساحباً مسدسه بلحظة ليشهره في وجهها قبل ان تتسع عيناه بدهشة..

-أنت امرأة؟؟

اتسعت عينيها بخوف وهتفت تلوح السكين في وجهه:

-من أنت وماذا تفعل هنا؟؟ من أرسلك؟؟

أخفض الرجل مسدسه وعينيه وهتف بتوتر:

-أنا أكرم رسلان.. المكلف بحمايتكم من الشيخ قحطان..

نظرت له بشك وهتفت بحدة ولاتزال سكينها مشهورة في وجهه:

-مالذي جعلك تصعد الى هنا؟؟ طقم الحراسة في الاسفل؟؟

اشاح بظهره لها..وقال بنفاذ صبر:

-عودي للداخل سيدتي..انا اقوم بجولة تفقدية لاغير..

تراجعت الجوهرة بحذر.. عينيها تحملان شكوكها.. ولكنها لم تغلق الباب بل استمرت بالنظر لظهره العريض بفضول:

-لم؟؟ هل تظن ان أحد سيهاجمنا هنا؟؟

قلب أكرم عيناه وشتم الفضول النسوي في سره.. رباه ماقد يظن أي أحد لو رآهما هكذا؟؟

-لاتقلقي سيدتي انا فقط أطمئن..لذا عودي للداخل واغلقي بابك خلفك.

ضاقت عينيها بحنق.. انه ليس من رجال قحطان.. حتى لهجته مختلفة عن لهجتهم.. انه من ابناء المدينة.. وهذا ليس بالشيء الجيد:

-أنت لست من طقم الحراسة.. من تكون؟؟

تسائلت بشك ليزفر أكرم بحدة ويصيح بها:

-انا صديق قحطان وقد كنا معاً في الجيش.. وانا من يهتم بأمور حمايتكم الان؟؟ هل اكتفيتي؟؟

انتفضت بدهشة لأسلوبه المحتد قبل ان تتراجع وتغلق الباب خلفه بقوة جعلته يغلق عيناه بنفاذ صبر وهو يدمدم شيئاً عن عصبية النساء..وفضولهن..

بينما عادت الجوهرة الى داخل الغرفة وهي تتحلطم عن غرور ذاك الرجل وحماقته..

-جوهرة؟؟؟

سمعت الصوت المرتعب من خلفها لتنظر لسلمى التي كانت تظهر عليها اثار النوم..

-ماذا تفعلين بهذا؟؟

كانت تشير للسكين الذي تحمله الجوهرة بيديها فرمتها تلك على الطاولة بحدة وهي تهتف:

-لقد سمعت شيئاً..وظننت..

-ستدافعين عن نفسك بهذا ؟؟؟

تسائلت سلمى بذهول لتصمت الجوهرة .. فاقتربت منها اختها وهمست:

-ألم يتصل قحطان..؟؟

-لا لم يتصل أحد منهم بعد.

-أتعتقدين انهم سيجدونها قبل ان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وتعلقت باقي الجملة في حلقها وعينيها تتسعان برعب لتنهرها الجوهرة بألم:

-انطقي خيراً ياسلمى..باذن اللّه سيجدونها قحطان.. قحطان لن يوقفه شيء.

ابتلعت سلمى ريقها وصمتت حين سمعت هاتفها يرن بنغمة سيف الميزة.. واتسعت عينيها بذعر والجوهرة تتسائل بقلق:

-ربما احد الشباب .. ردي.

نظرت لهاتفها بجزع.. ثم همست بتلعثم:

-كلا..انه لاأحد..

-ماذا؟؟ ردي على هاتفك ربماكان أحد اخوتك ياسلمى.

هزت سلمى رأسها باصرار وهي تغلق الخط:

-بل انها معاكسة غليظة.. شخص أحمق يتصل باستمرار وانا.. انا لاارد عليه.

نظرت لها الجوهرة بشك قبل ان تهمس بحدة:

-اعطي الرقم لرعاد وهو سيتصرف.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهمست:

-انه ليس بالوقت المناسب حين تنجلي هذه الغمة سأفعل..

اومأت لها الجوهرة وقالت:

-سأذهب للنوم.. تعالي فأنت لم تنامي ايضاً.

-سأبقى لبعض الوقت..

همست بسرعة فأشاحت عنها الجوهرة وعادت الى غرفتها بينما

سارعت سلمى لاعادة الاتصال بسيف وهي ترتجف.. تتسلل الى غرفة

مكتب رعاد وتغلق الباب خلفها بدون صوت..

لم يكد يرن حتى رفع الخط..

-سلمى..!!

-كيف حالك؟؟

اغمض عينيه بارتياح لسماع صوتها الخفيض وهتف بشوق:

-حالي يقارب الجنون..

-بعيد الشر..

همست بخجل ثم سارعت:

-لايجب ان أتكلم لوقت طويل.. شقيقتي قد تأتي بأي لحظة..

-لابأس حبيبتي..ولكن هناك مايجب أن تعرفيه..

-ماذا هناك؟؟

-انه عن حسن.. حسن العزب.

تسمرت مكانها وهي تهمس بخوف:

-ماذا تعرف عن حسن؟

تنهد بحنق وهتف:

-اسمعيني ياسلمى.. لقد تورطت بأمر حسن قريبك.. لم يكن الأمر بيدي.

-ماذا فعلت؟؟

هتفت بذهول وسيف يقص لها باختصار ماحدث..كانت دموعها تنهمر بلاتوقف وهي تسمع نبرته الغاضبة والتي تحولت ليأس شديد وهو يكمل:

-والدي اراد ان تكون له السلطة العليا على ابن عمك لينفذ انتقامه من أخيك.. ولكنني لن أسمح لهم بهذا.. زوجة أخيك ضحية بريئة ولن أتسبب لها بأي ضرر.

-قحطان.. قحطان لن يسامحك ابداً.

هتفت بانهيار ليتحشرج صوته وهو يهمس:

-سأساعده ياسلمى.. سأعيد له زوجته حالما أعرف مكانها.. ولكن يجب أن تساعديني..

بكت بمرارة وهي تسأله عماتستطيع فعله ليقول:

-أخبريه ان حسن متواجد في العنوان الذي سأعطيك اياه انها بداية الخيط.

هزت رأسها بقهر وهي تصيح:

-ومأدراني انها ليست سوى خطة؟؟ فخ تقود شقيقي اليه؟؟

اتسعت عيناه وهو يدافع عن نفسه:

-انا؟؟!! يالهي سلمى مالذي تقولينه؟؟

-انت ساعدت حسن للهرب.. أنت ساعدته ليخطف سيادة وتبذل كل مافي وسعك فقط للايقاع بأخي..

-انا لم افعل هذا..

هدر بجنون وهو يسمع نشيجها المؤلم:

-انت خدعتني ياسيف..

فكرت بجنون.. كل ذاك الوقت وهو يرسم الخطط للايقاع بشقيقها.. حبه لها؟؟ ايعقل أن يكون مجرد كذبة؟؟

-أنا لاأستطيع الثقة بك..

همست باكية.. ليتوسلها:

-لاتفعلي هذا بنا ياسلمى..انا أخبرتك الحقيقة لتحذري أخاكي.

-وقد قلت لي من قبل ان هدفك الوحيد هو الانتقام منه.

هتفت بحدة.. وعينيها تذرفان الدموع بلاتوقف.. ليصيح:

-سلمى لاتفقدي ايمانك بي..صدقيني انا لااهدف الان لايقاعه بفخ او ماشابه..انا صادق معك.

-لماذا علي أن أصدقك؟؟

هتفت بقهر ليرد بعصبية:

-لأنني أحبك ..لم أحب في حياتي سواك ولن أفعل.. والان تتهمينني بأبشع التهم.. عليكي ان تصدقيني.

شعرت بالألم يغزوها.. كل مافي قلبها يدعوها لتصدقه..انه سيف باللّه عليكي ياسلمى.. صرخت روحها المعذبة من\أجله بينما صاح عقلها بذعر..

سيقتلك قحطان.. انه ماجاء لأجله من الأساس..

-انا ااسفة.. يجب أن اقفل..

همست متلعثمة..باكية مهزوزة لاتعرف أتثق به؟ أم بغريزتها التي ترتجف خوفاً على أخيها..

-لاتفعلي..ارجوكي سلمى ابقي معي.

ترجاها بحنق لتهمس باصرار:

-يجب أن اقفل.. يجب أن افكر..

وقبل أن تسمع المزيد من كلماته كانت تغلق الخط بحدة وتجلس متكورة على نفسها وهي تجهش بالبكاء.. هل تصدقه وتخبر قحطان عن مكان حسن؟؟ ام تبقي الأمر سراً؟؟

وان صدقته وفعلت..أخبرت أخاها بمكان حسن.. كيف ستبرر معرفتها به؟؟

وان استطاعت اختلاق كذبة ما وصدقوها.. وكان الأمر مجرد فخ للايقاع بقحطان.. كيف يمكن ان تسامح نفسها؟؟ كيف يمكن ان تسامحه او تحبه بعدها..؟؟!!

لاتستطيع.. لاتستطيع اتخاذ القرار والتفكير سيقتلها..

استمرت دموعها بالانهمار بقوة.. بينما في الجهة الأخرى كان ينظر لهاتفه بسخط..

كيف فكرت به بهذه الطريقة البشعة؟؟

كيف ظنت ولو للحظة انه قد يستغلها بهذه الطريقة؟؟

ولكن.. هل يلومها؟؟

منذ التقاها وهو يتوعدها بالانتقام من أخيها.. ورغم كل شيء كانت تعطيه الفرصة تلو الأخرى.. أحبته.. ووثقت به والأن.. هل يلومها على عدم الثقة بعدمافعله؟؟

تراجع في مقعده بيأس..

مالذي قد يفعله ليسترد ثقتها؟؟ زفر بثقل.. لايعرف.. ولكنه لن يسمح لها ان تحطم مابينهما بهذه الطريقة.. سيعرف اين يخبئ ذاك المجرم ضحيته.. ويقدمها بنفسه لقحطان العزب..

هذا ماقد يعيد ثقتها به فقط..

نهض بعزيمة وقد اتخذ قراره.. سيساعد قحطان العزب في ايجاد زوجته.. وبعدها لكل حادث حديث..

***

انه الصباح(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

فكرت بخواء.. منذ سمعت صوته ليلة امس وهي ترتجف.. اكتشفت كم تحبه.. كم تعشقه بلاحدود.. دموعها عادت تنهمر بعد توقفها قبل فترة قصيرة.. لم تستطع اغماض جفن.. كانت عينيها منتفختين بسبب البكاء والسهر.. كانت جائعة.. فهي لم تأكل لقمة واحدة منذ الصباح.. تخشى على جنينها.. تخشى على نفسها..

أين هو ؟؟ لم لم يأتي كماوعدها ليلة أمس؟؟

ربما كان مع تلك المرأة؟؟ ربما كان يناقش خطط البحث عنها معها؟؟

تصاعد غضبها وغيرتها لاى أقصى حدودها وهي تركل مساند السرير بقدميها بقوة.. وعينيها تغيمان بالدموع..

انها تكرهها .. تكره أميرة وتحتقرها.. وقحطان.. قحطان يبدو وكأنه لايريد الاستغناء عنها..

نشجت بألم شعرت به يتصاعد خلف قفصها الصدري..ويحرق قلبها .. تأوهت بوجع.. وصاحت بجنون..

سمعت الباب يفتح وشعرت بمن يمسكها من كتفيها بقوة:

-توقفي عن الصراخ..

-اتركني.. اريد الخرووج من هنا.. ارجووك أخرجني..

صرخت بهستيرية لتشعر بحسن يكمم فمها بقبضته بقوة سببت لها الكدمات هاتفاً بغضب:

-قلت اصمتي والا أسكتك غصباً..

لم تابه لتهديده وهي تركل بساقيها بعنف وتحاول تخليص نفسها من قبضته ليصيح بها بعنف وهو يهزها بقسوة:

-قلتل لك توقفي ايتها الصهباء المجنونة..

وشعرت حينها بكفه تنزل مدوية على ووجهها .. همد جسدها فجأة..

وكأنما فارقته الروح.. ليتراجع حسن بجزع.. وامتدت يده يجس

نبض عنقها.. ليتنهد بارتياح وهو يشعر به ضعيفاً.. ولكنه

محسوس..

فقدت وعيها فقط.. كانت تفقده صوابه..

تأملها بامعان.. جمالها كان غير عادياً بالمرة.. مزاجها الناري يطابق لون

شعرها.. تحسسه بأصابعه.. ثم انتقلت لبشرة وجهها وعنقها

البيضاء اللامعة.. والتي طبعت عليها اثار اصابعه تشي بقوة

الصفعة.. كم كانت جميلة.. وكم أنت محظوظ يابن عمي..

فكر بقذارة ويده تمتد لصدرها..

ولكنها اختارت تلك اللحظة بالذات لتفتح عينيها واول مارأته كان

النظرة الجائعة في عينيه..

أطلقت صرخة مدوية وهي تتراجع.. ليقفز هو من مكانه..ويتراجع

هاتفاً:

-يبدو انك ستتسببين لي بالصمم ..توقفي عن الصراخ.

كانت تلهث وكأنها في سباق.. تشعر بسخونة وجهها وسائل لزج ينساب من بين شفتيها .. كان ذلك القذر يتلمسها.. شعرت وكأنها قذرة معه..

شعرت بنجاسة.. جعلتها تنتحب وهي تتكور على نفسها تخفي جسدها عن عينيه وهي تصيح بصوت شاحب:

-ابتعد عني.. لاتقترب مني ايها القذر.

رفع حاجبيه باستنكار:

-انا ؟؟ وهل لمستك؟؟

ومال نحوها مبتسماً بلزوجة:

-ليس بعد على كل حال..

اخفت وجهها بين ذراعيها وبكت بقهر..لاتملك شيئاً للدفاع عن نفسها..لاتملك سوى الدعاء .. والابتهال للّه ان يخلصها من بين يدي هذا القذر..

وكأنما استجاب اللّه لدعواتها الصامتة.. فتح الباب فجأة لتسمع صوت رجل مايصيح بحسن منبهاً..بشيء لم تفهمه. ولكنه لفت انتباه حسن بشدة فقد ابتعد عنها مباشرة وسارع للخروج مع الرجل مغلقاً الباب خلفه باحكام.

رفعت نفسها بعد لحظات.. تحاول تخفيف دموعها والسيطرة على نفسها..

مالذي حدث..؟؟ ماذا قال له ذلك الرجل؟

يالهي أرجوك دعت بصمت وعادت لتكورها وهي تكتم تأوهاً عميقاً..

بطنها توجعها.. وكأنما شيئ مايتمزق.. يقتلها احساسها ويخيفها..

-أرجوك ياربي احفظ طفلي..

همست بألم .. لاتقدر حتى على لمس بطنها.. بسبب القيود..

واستسلمت لموجة جديدة من الدموع..

***

-لقد وجدنا شيئاً..

هتف احد رجال أكرم المسؤولين عن البحث عن اي طرف خيط ليقفز قحطان من مكانه ويتوجه اليه متسائلاً بلهفة:

-مالذي وجدته؟؟

-السائق الذي أوصل حسن من المشفى ..لقد عثرنا عليه..

اتسعت عينا قحطان ولم يترك له الوقت حتى ليكمل كلامه بل كان يدفعه أمامه الى خارج المكتب وهو يهتف:

-سنذهب الان..

-قحطان انتظر..

هتف عمرو وهو يلحق بهما بلاتردد وكذلك فعل رعاد..

وفي السيارة التي يقودها قحطان بسرعة مخيفة بعد رفضه ان يقود سواه سأل عمرو بفضول:

-كيف وجدتموه؟؟

-د/علي قام ببعض التحريات في المشفى فهو اكثر من يعرف العاملين هناك.. لقد تحدثت معه احدى الممرضات عن مواصفات السيارة التي راقبتها تنطلق محملة بالرجل..كانت خائفة من البوح حتى لاتعاقب على عدم استدعاء الامن وقتها.. وبعد محادثة رجال الامن في المشفى ووصف السيارة لهم تعرفها احدهم.. واعطانا تفاصيل أكثر.. وصلنا عن طريقها لرقم السيارة ومنها للسائق.. لقد استخدموا سيارة أجرة ظناً منهم اننا لن نقتفي أثرها..

-هل وجدتم الرجل؟؟

تسائل رعاد بغضب:

-لقد أرسلت رجالي الى هناك قبلنا وقد اتصلوا قبل قليل.. انه معهم وهو جاهز للحديث.

زاد حينها قحطان من سرعة السيارة التي قفزت للأمام عدة أمتار قبل تعود للطريق بصرير عنيف.. وهو يتبع تعليمات الرجل عن مكان السائق..

حتى وصلوا اليه..في حي فقير بالكاد وجدوا مكاناً لايقاف السيارة وسط الازدحام حتى تقافز منها الجميع والرجل يشير لبناية قديمة:

-هنا..

لم ينتظر قحطان ليكمل الرجل كلمته حتى كان يسابقهم في الركض عبر سلالم العمارة المتهالكة.. ورأى رجاله يقفون على باب احدى الشقق بينما يتصاعد صوت بكاء وزعيق من الداخل..

كان هو اول الداخلين.. شقة فقيرة قديمة.. تكوم رجل ما وسط الغرفة بينما تكومت اسرة مكونة من عدة اطفال وامرأة في الركن.. يرتجفون ويصرخون بلاتوقف..

اقترب من الرجل الذي رفع رأسه اليه وارتعد وهو يرى النظرة المخيفة في عينيه..

-الى أين أخذته؟!

همس قحطان بهدوء.. باذلاً انفاسه كلها كي لاينفجر بينما الرجل ينتفض مذعوراً والدماء تسيل من انفه وكدمة حمراء تزين احدى عينيه:

-ارجوك..ارجوك اعفوا عن عائلتي..

ضغط قحطان على اعصابه للحظة اخرى وهو يعود سؤاله:

-قلي أين اخذته؟؟

بكى الرجل كالنساء وهو يهز رأسه بانفعال ليفقد قحطان تمالكه لنفسه.. صرخ به بجنون وهو يوجه قبضته لتتفجر نافورة دماء جديدة من أنفه وبضعة أسنان من فمه والرجل يتمرغ أرضاً.. وسط صراخ عائلته..

واندفع يريد القبض عليه من جديد ليتدخل عنرو بينهما وهو يدفع بقحطان بحزم ويهتف بصرامة:

-نحتاجه حياً قحطان..

-يبدو وكأنه مستغنياً عن حياته..

صرخ بغضب ثم نظر لعائلة الرجل.. وتفجر الغضب براكين داخله.. العين بالعين..

حاول السيطرة عليه.. الشيطان الذي لم يعد يقدر على تهدئته..

واستل مسدسه من غمده وحرر صمام الامان موجهة الفوهة الى

العائلة التي تصاعد صراخها وهو يهتف:

-ولكن لنرى ان كان مستغنياً عنهم هم؟؟

اتسعت عينا عمرو ولكنه صمت بينما هتف الرجل برعب:

-لا لا ..ارجوك لاتؤذي عائلتي..

-اخبرني اين أخذت الرجل الهارب من المشفى المركزي اذاً؟؟

صرخ به بجنون ولايزال المسدس مرفوعاً لينتفض الرجل ويدلي

بعنوان احدى الهناجر المهجورة عند الميناء واضاف:

-اقسم .. اقسم انني وضعته هناك..

تصاعد لهاث قحطان وهو يخفض مسدسه ويصوبه للرجل هاتفاً

بتهديد:

-لو خدعتنا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد). سأعود.. ولن

تعجبك عودتي ابداً.

وقبل ان يتحرك احدهم كان يسرع للنزول.. كان يسابق الزمن.. قلبه

يدوي متخبطاً ولايستطيع التوقف..

قاد السيارة بأسرع مايستطيع.. المكان الذي وصفه الرجل كان يبعد مسافة نصف ساعة بالسيارة.. وبالذات مع ساعة الازدحام وسط النهار..

-عليك أن تهدأ..

زمجر بها عمرو وهو يستشف غضب رفيقه وقلة صبره.. واضاف وهو يرى جموده:

-كنت ستقتل احد ماهناك.

-نعم كنت سأفعل..

قالها بتصلب لينظر له عمرو بدهشة.. لم يره ابداً هكذا.. مالذي يحدث له؟؟ من الطبيعي ان يوجه غضبه وانتقامه للرجال المتسببين بماحدث ولكن تلك العائلة .. كانت بريئة..

اثر الصمت وتراجع في مقعده..بينما قحطان يلتزم الصمت تماماً ويركز في القيادة نحو الميناء..

وصلوا هناك بعد عشرين دقيقة من القيادة المتهورة.. ترجل الجميع وقحطان يهتف بهم بحزم:

-اقتلوا الجميع.. ولكن حسن.. هو لي أنا..

اومأ الجميع له موافقين.. راقب رجاله المسلحين بعتاد ثقيل من الاسلحة النارية.. وهو نفسه .. أخرج جعبة من مؤخرة سيارته ملئة بالذخيرة وسلاح آالي علقه بكتفه وهو ينسق هجومه على الهنجر "المخزن" المهجور..

كان عمرو قد تمشط سلاحه هو الأخر بينما رعاد انضم لأخيه بعتاده الكامل..

وبعد لحظات كان الجميع يحاصرون المخزن.. وبقليل من الحذر.. اقتحموا المكان..

كان قحطان يتحرك بسرعة متقدماً بتهور على حارسه الخاص..

يلحقه رعاد وعمرو لتغطية ظهره..

المخزن المظلم كان بارداً.. ورائحة الرطوبة تنشع منه..

-المكان خالٍ..

همس عمرو بتوتر ليبتلع قحطان ريقه بصعوبة وعقله لايريد التخلي عن الأمل..

-سنتحرك للخلف..

وأشار لرجاله بالتقدم بينما يغطيهم هو ورفاقه.. كان قلبه يخفق بجنون.. عيناه تتوسعان لاستيعاب النور الشحيح.. رأى سلماً يقود لغرف خلفية.. تقدم نحوها رأى مايزيد عن الخمس غرف..

اشار لرعاد ان يغطي ظهره بينما يدخل لكل غرفة بعد الأخرى..

تواجهه الخيبة تلو الأخرى..

عند الغرفة الخامسة توقف وسطها بخواء..

كانت خالية..

نظر لرعاد بعينين ضائعتين ليقترب منه:

-ذاك الوغد خدعنا..

شعر بيأس عميق ينتابه.. يأس وغضب حارق.. لم يكن يرى سوى انه افرغ مسدسه ورصاصاته بأجساد عائلة ذلك الرجل.. ليرى امام عينيه مامعنى الحرقة التي يشعر بها هو..

حين..

"قحطاااااااااان"

سمع صوت عمرو العالي.. لينتفض فيه الأمل عائداً للحياة بقوة..

ودون الحاجة لنداء أخر كان يركض مع رعاد الى مصدر الصوت.. رأى

عمرو يقف امام غرفة أخرى لم يرها من قبل.. في حين وقف رجاله خارجها بتوتر ولاأحد منهم يجرؤ على النظر لعينيه..

-ماذا وجدت؟؟

هتف بشحوب وهو يتقدم بسرعة.. رفع عمرو ذراعيه يصد اقترابه هاتفاً بحزم:

-عليك ان تهدأ.. قد لايعني هذا شيئاً..

شعر بقلبه ينتفض بقوة.. وجف حلقه وهو يواصل تقدمه متجاهلاً عمرو الذي لم يقبل التجاهل واحاط كتفيه مبعدا اياه عن الطريق وهو يصيح:

-ترفق قحطان..اسمعني اولاً..

تخلص قحطان من قبضته بغضب وهو يصرخ:

-ابتعد عن طريقي ياعمرو..

كان صوته مرعباً.. جعل عمرو يتراجع بحذر وهو يرى نظرة الجنون في عيني رفيقه بينما يسارع الى داخل الغرفة ليتسمر بذهول..

كانت غرفة ضيقة بها سرير واحد بعواميد صدئة.. عليها فرش رث وقذر..

ولكن هذا لم يكن سبب ذهوله..

لم يكن سبب تهاويه من الداخل..

كانت هنا..

فكر بحرقة.. انفاسه تلهث في سباق.. تحرقه.. تعود لتمزق ضلوعه وهي تجاهد شق طريقها عبر رئتيه وهو يقترب من الفراش بصعوبة..

ارتجفت يده وأسقطت سلاحه..

وامتدت بصعوبة ليلتقط ماوجده على الفرش.. ابتلع ريقه بصعوبة ورفع القماش الاسود الى أنفه.. وتنشق رائحتها كمدمن يجد مسحوقه بعد عناء(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كانت هنا..

هذه طرحتها.. رائحتها.. ممزوجة بشيء أخر..

شيء لزج.. رائحته نفاذة لاتخطئها نفس..

نظر ليديه بعينين جاحظتين.. وشعر بأن أنفاسه قد علقت بصدره..

وأنها قد لاتغادره ابداً.. لسعت عيناه واغتمت امامه الرؤية..ملطخة بلون أحمر..قانٍ..

لون الموت..

لون الدماء..

نظر للفراش الملطخ بدمها.. وشعر بالكون كله يتهاوى امام قدميه..

ماتت؟؟؟

قتــلها..!!

فكرن بشتات.. اصابعه تعتصر القماش الحريري الرقيق.. وقلبه يتوقف عن النبض للحظات..

سيــادة.. قُتلت..

فكر للحظة.. وانمحت بعدها كل الافكار..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

نهاية الفصل..

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل التاسع والعشرين

***

توقف الزمن ..

خرج عن واقعه للحظات وانضم اليها..كانت تقف هناك تنظر اليه بزمردتيها وتدعوه لان ينقذها!!

أن يأتي اليها بأسرع وقت ممكن.. فهي لاتثق بحسن.. وتخافه..

وقفت هناك بابتسامتها التي تجعل حرارة الشمس تشتعل تحت جلده وهمست له المرة تلو الأخرى أنها تحبه.. كان يرى ابتسامتها تتلاشى وهو يحتفظ بحبه بداخله ولايقدر على البوح به..!! حتى خسرها.

قبضة من نار تلك التي اعتصرت قلبه وهو يراها هناك ملقاة تنزف حتى الموت.. تنادي اسمه بشحوب..حتى بدأ صوتها يخفت ويخفت ..الى أن تلاشى نهائياً..

ماتــت؟؟!!

فكر وساقاه تسنداه بصعوبة.. لقد خسر سيادة.. خسرها والى الأبد..

نظر ليديه بعينين حارقتين.. دماءها تلطخه وكأنها تسمه بالذنب الى الأبد.. خسر سيادة وطفله..

تصاعدت ناره لتحرق اعماقه بلارحمة.. تشوشت الرؤية أمامه وتصاعد غثيان عنيف يكاد يطغي على تعقله.. انها النهاية .. لقد انتهى كل شيء..

شعر بيد قوية تهبط على كتفه وسمع صوت عمرو يتصاعد الى جواره بكلمات لم يفقه منها شيء.. التفت لصديقه بعينين زائغتين لتتسع عينا عمرو بقلق وهو يهتف:

-قحطان..تماسك يارجل نحن لم نتأكد من شيء بعد.

اراد أن يخبره ان الأمر انتهى.. حسن قتلها وانتهى.. ولكن الكلمات تحجرت في حلقه التمعت عيناه بدموع حبيسة لم يجرؤ على افلاتها رغم رغبته العميقة بفعلها.. ومشى بعيداً..

لايريد البقاء هنا.. رائحة الدم..الموت ..تقتله..

تذكر سيادة .. المرأة المفعمة بالحياة..الفتاة الشابة ذات الشعر المنسوج من خيوط اشعة شمس الغروب.. عينيها الغارقتين بالمرح والحياة.. تذكر دلالها..غنجها وهي بين يديه..

سيادة..امرأة الفصول الاربعة..

زوجته.. ابنة عمه.. أم طفله الذي لم يرى النور بعد..

سيـادة.. حبيـبته..

غشت عيناه غمامة ضبابية لم يفهمها وهو يشق طريقه بصعوبة خارجاً..

تجاهل رعاد .. أكرم.. وحتى علي الذي لحقهم مع باقي الرجال..

تجاهل الجميع وهو يتحرك ببطء وكأن هموم الدنيا كلها تثقل كتفيه..

يشعر بالوهن.. بالألم.. احساس الفقد.. يقتله بقسوة بتمهل وكأنما يستمتع الكون كله بتعذيبه.

وقد كان يستحق..

تذكر يوم التقاها اول مرة ..

تذكر الألم الذي اجتاحه لذكرى هبوبها عليه .. كعاصفة رملية .. بعثرته ونثرت الرمال عليه بلارحمة .. عيناه تحترقان .. وكأنما يواجه شمساً حاشا وجهاً لبشـر!!

تلك النار التي تحوطها تؤذيه .. كمسكيـن .. غارق في جفاف صحراء.. شمسها حارقة حد الجنون..

ثم كانت عينيها ..

يتذكر النعيم الذي شعر به حال استحكمت عيناها عينيه.. بكل تسلط .. بسطت سيادتها بنظرة واحدة لم يقوى على الفكاك منها ..؟؟؟

لم يحدث من قبل أن سمرته امرأة .. او حتى رجل في مكانه بلاحراك .. حتى أتت هي!!..

اعترف بسخط .. تسمر كطفل لم يرى من قبل لجتين بلون الزمرد .. واسعتان كبركتين شفافتين .. تعكسان روح نقيــة .. لم يرها في احد من قبل؟؟ !!

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

اغمض عينيه بوجع وهو يتوقف مرغماً.. لايزال عقله يلعب بأوتار مشاعره بلارحمة..

لقد دافع عنها منذ اليوم الأول للقاءهما..حين جائته سلمى ملهوفة لتستنجد به حين كانت ووالدها يتشاجران في ليلتهما الاولى في البلدة بسبب زوجاها منه ورفضها المتواصل..لم يتوانى دقيقة ليقتحم المكان ويسارع لمنع عمه من ضرب تلك المخلوقة التي بالفعل تستحق أكثر من الضرب .. ولكنه لم يكن ليسمح بضربها.. ليس وهي تبدو كرضيع حمل وديع ..ترتجف أمام ظل والدها الهائل..

ليس وهي ستصبح امرأته .. وهو من لايسمح لأحد بمس ماهو له .. أبداً (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) تذكر كيف كانت تبدو بألم..

شعرها المتناثر بثورة نار مستعرة .. عينيها الملتهبتين.. كل شيء فيها .. كل شيء كان ثائراً .. كفرس أصيلة .. جامحة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

أكرهك(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

"أكـــرهك.. "

اول كلمة قالتها له كعروس مباشرة بعد عقد القران..

فكر بتجهم..

صاحت به بجنون ..

"أتظن نفسك رجلاً كي تخيفني بتهديد؟؟ !!"

"ليـكن بعلمك انت أيها المسترجل .. انا سيادة العـزب .. وأنا لاأخاف بسهولة.. "

لم يقدر اخفاء ذلك الوميض من الاعجاب الذي شق ظلمة عينيه .. ولكنه استطاع السيطرة عليه ..!! كما فعل مع كل مشاعره اللاحقة..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تذكر لأول مرة لامسته فيها باراداتها .. حين امرها بكل تسلط أن تمثل دور الزوجة القنوعة المحبة أمام عائلته وفعلت بأكثر الطرق دهاءاً وجنوناً..

رأى النظرة في عينها ولم يفهمها .. ببراءة رجل عفيف لم يسبق له أن يقع في براثن امرأة .. اتسعت عيناه بصدمة وهي تستـل ابتسامة كألف سيف .. وتستقيم على ركبتيها لتوازي طوله .. وتقع بحيرتيها الخضراوتين في سواد عينيه .. وتتلكأ ذراعيها على كتفيه .. ورغم قماش قميصه القطني .. الا أن لسعة مدمرة اجتاحته ورؤوس اصابعها تلامس أطراف عنقه القوي وتقترب منه لتجتاحه حرارتها ..

هامسة بصوت اربك كل توازنه:

"أين كنت؟! استيقظت وحدي .. "

كاد فكه السفلي أن يتدلى من فرط ذهوله وهي تقترب من بوجهها منه وتهمس بصوت اكثر خفوتاً ونعومة:

"وخفت!! .. "

وبكل مكر لامست جانب وجهه هامسة:

"لما لم توقظني ؟! قحطاان ؟!!"

اغمض عينيه بقوة ..

يحاول ان يسيطر على تلك الضربة التي شعرها في اعماقه وهي تتلفظ باسمه .. بكل تلك النعومة .. لم يعرف ابداً ان اسمه يمكن ان يُقال هكذا .. بتلك النغمة الخافتة .. المطوطة .. والتي كانت تشعل

ناره في بدايتها وتستعر فيه حتى نهايتها .. بكل دلال .. ورقة .. كمناغاة طفل .. كتعويذة تلقيها عليك ساحرة .. كما النداهة في القصص القديمة ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تذكر استسلامه لاول مرة لطوفان رغبته بها.. جنونه الذي امسك زمام عقله وجعلها يحاول امتلاكها في لحظة طيش وغضب.. كيف انقض على شفتيها بعد معركة حامية ..

وبعد ان ايقن تجاوبها ابتعد لينظر لوجهها المتورد .. شفتيها المتورمتين .. رأى حمرة خجلها تشتعل .. شعر بارتجافتها ومقاومتها الميئوس منها تتحول الى استسلام لذيذ .. اجتاحه وبقوة .. كم عشق تحولها من رافضة لراغبة .. كم اراد ان يحتفظ بتلك اللحظة في عقله وذاكرته الى الأبد..

لامس شفتيها بأصابعه ببطئ وهو يهمس:

-انت لي .. فقط لي أنـا ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

تذكر يوم ذهب بها الى الطبيبة لتتبين صحة حملها من عدمه.. تذكر بكاءها الحارق وهي تسمع كلام المختصة بشأن سوء تغذيتها

واهمالها لصحتها.. يومها رآها تبكي بحرقة شديدة أوجعت قلبه .. و اتسعت عيناه بذهول وهو يراقب كيف التمع الزمرد خلف ستار الدموع .. كحجر كريم .. غارق وسط محيط .. رفع كفه يمسح دموعها عن وجنتيها لتبتعد بحدة وهي تصفع يده .. ازدادت عقدة حاجبيه وغصته التي استحكمت صوته وكلماته التي اراد ان ينزلها على رأسها كالسياط .. ووجد نفسه يجذبها اليه بكل سلاسة .. لتغرق الباقي من دموعها على صدره ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تذكر يوم استسلم لحبها الذي دمره.. تذكر يوم سلم قلبه وجسده الى امرأة كان يحتقرها ليكتشف انها أعظم هبة من اللّه اليــه..

حين اقتربت منه .. كانت تبدو كحلم يتهادى اليه في ليلة موحشة .. حلم اجتاحته رائحته العذبة كعاصفة .. حلم رشقه بسهام الهوى دون واسطة .. وبالهول قلبه المسكين .. فقد تلقاها كلها .. دون رحمة .. تقدمت منه .. حتى باتت قريبة للغاية .. حينها اكتشف انها حافية القدميــن ..كانت بالكاد تصل لكتفه وهي حافية .. تماماً كماالأن ..

رفعت وجهها اليه .. عينيها تحملان دعوة واضحة .. لن يخطئها حتى ضرير .. وانفاسها تحمل حرارة لاتخطئها روح .. تشتعل كما يشتعل هو لها ..

حطمتها ذراعاه بقوة .. حطمتها .. وهو ينهل من شفتيها بقسوته وشراسته .. كمن وقع على فريسته أخيراً بعد مطاردة عنيفة

قبضتاه تعتصران خصرها في حين تتلكك ذراعيها على كتفيه ..

تحارب للوصول لتلامس منابت عنقه .. تلامس شعره وتغرق في قبلته .. تريد أن تغرق ان تتوه .. ولكن وحشيته لم تترك لها الخيار ..

كانت متألمة من قسوته .. ولم تجرؤ على الاعتراض ..

تباً .. تباً .. تباً ..

تصاعدت في عقله اللعنات وهو يصب جام غضبه عليه ..

تغويه ..

الفاسقة الصغيرة تنوي انهاء مابقي من تعقل وصبر في عقله وفعلت المستحيل لتغويه ..

ولكنك أقسمت قحطان .. أقسمت ألا تمسها ..

تصارع العقل والعاطفة بداخله .. كاد يتركها .. خفف ضغطه عنها ..

يريد أن ينتزعها منه .. من عقله وقلبه .. يريد أن يشفي رغبته

المجنونة بها بقدر مايريدها خارج حياته الأن وفي التو ..

ولكنه لم يقدر..

ازداد تشبثه اليائس بها .. كانت زوجته بحق اللّه ..

زوجته التي لم يرغبها يوماً ..

زوجته التي لم يرغب بسوها ابداً ..

نسي حينها كل شيء.. نسي كل ماكان ولم يضع في عقله سوى تلك

المرأة التي تطيح به ..

نزلت شفتاه بوحشية تنهل من عطرها .. من جمالها ورقتها .. جاست

يداه بلاتوقف في حناياها .. سمع شهقاتها وقد تحررت أخيراً من أسر

شفتيه .. لامسته برقة .. لتشعل ناره أكثر ..

ساحرته الصغيرة .. كانت بريئة!!!

وجد نفسه يتضائل امام رغبتها بالقرب منه ويحيطها اكثر بذراعيه

قبل أن يغرقها في دفئ حضنه ويأخذها في عناق اودى بهما معاً الى

غياب طويل (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

تذكر يوم رآها لأول مرة حين فقد ذاكرته..

تسمرت عيناه عليها .. تلتهمان تفاصيلها .. طولها الفارع .. ثم شعرها الاحمر المتساقط كغيمة نارية حول وجهها الى اسفل خصرها ..ثم كان وجهها الشاحب .. ببياض شفاف مشوب بالحمرة .. ثم الى عينيــها ..واتسعت عيناه بذهول حينها..

عينيها شعتا كقطعتي زمرد عتيق.. لامع بقوة .. كاد القهما يعميه ..

تسمرت نظرته على الزمرد يعكس صورته المدلهة بالجمال الذي لم يره من قبل .. او انه فعل؟!

لما تبدو له المرأة مألوفة ..

ظهرت الحيرة في عينيه وهو يحاول ان يتذكر .. لقد رآها من قبل..

اقتربت منه .. لايعرف مايقودها .. حماقتها ام المغناطيسية القوية والتي تفجرت بينهما!!

اقتربت ليحيطه حضورها الطاغي .. رآها تقترب حتى ماعاد يفصلهما سوى هواء بكمية ضئيلة .. همست باسمه .. فكأنما لكمته في معدته وبقسوة .. ياللهول .. كان صوتها مزيج من بحة .. نعومة .. تغريد العصافير في الصباح الباكر .. كان مزيج من خضرة ونار .. مزيج من عسل وسُم .. مزيج اقتحم اعماقه بقوة .. وفجر فيه مشاعر لم

يعرفها قبلاً .. تذكرها جسده بوضوح .. ولكنها ظلت محجوبة عن عقله .. خلف ستار محكم ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

تذكر ماقلته له في ذاك اليوم حين اشتكته لجده..

كيف تركوها كل أهلها من أجله.. خالصة له.. وكيف بقسوته اتعبها وكسـرها..

,, قبض كفيه بقوة.. يقاوم لهفة تذبحه لمسح دموعها.. ضمها اليه وافراغ شوقه فيها.. تجلد بكل قوة يملكها كي لا يقبل شفتيها المرتجفتين بقوة ماحياً عذابها.. مسيطراً على ضعفها ومادأ اياها بقوة ساحقة.. تفجرت بداخله.. ولكنه لم يفعل.. وقف بلاحراك.. واغرق عينيه في عينيها الذابلتين.. رموشها المبللة.. وجنتيها المحترقتين بأمل بدأ يخفت ..

اغمض عينيه بمرارة وهو يتذكر نبرتها الموجوعة

"-الا تعلم انهم كلهم تخلوا عني.. ابي وأمي.. حتى شقيقي.. كلهم تخلوا عني لأجلك.. تركوني خالصة لك."

"وانت رميتني.. تركتني وحدي .."

"اتعبتني ياشيخ .. همس مكلومة.. أتعبت قلبي .."

لتهتز عيناه فتصرخ بصوت محتضر:

"كسرتنـ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)"

لينقض على شفتيها بقوة بكفه.. تتسع عينيها بذهول وهو يقول بوحشية:

"ماعاش من يكسر سيادة العزب ورأسي يشم الهواء.."

"اخبرني مالذي فعلته سوى انني احببتك بكل قوتي .."

"الحب؟؟!!"

صرخت فيه يومها بمرارة..

ولم يصدقها.. لم يصدقها واستمر بتعذيبها حتى فاض بها الكيـل..

ولم تعد تحتمل قسوته وجحودة..

طالبت بالرحيل..

"ربما الرحيل والابتعاد هو الحل الوحيد يابن عمي.."

تغيرت نظرة عينيه الجامدة.. اهتزت للحظات قبل ان تشع ناراً..

وتتسارع أنفاسه وهي تواصل بتخاذل:

-ربما يكون الحل الوحيد لنعيش بسلام(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

"ونظرت في عينيه هامسة بصوت غارق في الدموع" هي أن نعيش بعيدين عن بعضنا البعض..

لم يعرف اية نار تلك التي اشتعلت بداخله.. نار لم يشعرها من قبل..

لقد سمع هذا الكلام من جده قبلاً.. ولكن منها.. أن يصدر منها هي..؟؟

ان تفجره في وجهه هكذا؟؟ وكأن تنين نفث في اعماقه.. زفر النار من فمه وأنفه.. غابت عيناه في السواد..

"الابتعاد علاج لعلاقتنا المسمومة"

هذا ماقالته..

ولكنها ومن فرط حبها له فلم تبتعد لوقت طويل..

لقد ابتعدت لوقت كافٍ ليدرك أنه يحبـها.. يعشقها ولن يحب امرأة كمايحبها هي..

تخبط في طريقه.. تكاد تغشى عينيه رؤيتها متألقة بالثوب الذهبي يوم خطبة علي.. كعروس ليلة زفافها..

وجدت طريقها بشجاعة الى قوقعته الصلبة واخترقتها بهماساتها وهي تعترف له بكل مافيها من مشاعر انها تحبه.. بشجاعة.. لم يكن هو يمتلكها..

انسابت دموعها بقهر وهي تهز رأسها برفض.. لن تقبل .. لن تقبل هذا الابتعاد..

-انا أحبـك..

همست بصوت ضعيف..ولكنه وصله بالكامل.. وتصلب في مكانه

عيناه تحدقان في الفراغ ولايعرف بمايرد حتى..

-قحطان انظر الي..

همست تستجديه فلم يستجب لها.. كان مشيحاً عنها وذراعاه معقودتان امام صدره بقوة اقتربت تواجهه لم ترى وجهه يوماً مزموماً وغاضباً كاليوم وكأنه يصارع نفسه يصارع شياطينه كلها..

-أرجوك أنظر الي..

همست مجدداً لوجهه المبتعد فلم يلن..أحاطته بكفيها وأجبرته على النظر..كانت قريبة جداً منه..

"JE TE AIME"

-أنا أحبك أحبك ولااستطيع العيش بدونك حبيبي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

تذكر اعترافاتها بقصة عشقها له.. طيلة الوقت الذي كان يظنها تريد غيره..

كم ضيع من وقت وهو يتجاهل كل الاشارات كل الدلائل ويتشبث بعناده الأحمق ..

أغمض عينيه بقهر .. لقد خسرها.. خسر زوجته وحبيبة عمره وكله بسبب طيشه وعناده..

جلس لايقوى على مواصلة التحرك يداه الملطخة بدمائها تسندان رأسه..والكون كله يرزخ بثقله على كتفيه.. ياله من أحمق.. ياله من مجنون.

شعر بدموعه تنفلت من عقالها وقتها..

بكى ولأول مرة في حياته وهو يستعيد ذكرى ماقالته في لحظة غضبها الأخير..

"لقد فرغت منه.. والى الأبد.."

وكتلك النعمة التي تكفر بها.. ويحرمك اللّه منها عقاباً..

حُـــرم منها..

حرموه من زوجته.. من سيادته .. من حب عمره..

حرموه من طفله.. ومن حياته كلها..

بكى امرأته التي فقدها بقسوة..وشعر بدموعه تخنقه..أنفاسه تتحشرج في صدره..

شعر بانه مكسور.. مطعون في ظهره..

شعر بأنه خسر كل شيء يوم خسرها..خسر نفسه معها.. هو لن يسامح نفسه ابداً.. لن يغفر لها التفريط بسيادة ستبقى ذنبه المعلق على عنقه حتى موته ومابعد..

أغمض عينيه بحرقة النار التي اشتعلت تصهر اعماقه وبلارحمـــة..

لقد انتهى..

كل شيء انتهى..!!

***

وصلت أخيراً بعد رحلة طويلة.. تاملت ابنها الجالس الى جوارها وعليه تقطيبة لم ترها ابداً وشعرت بالقلق يتصاعد بداخلها أكثر وأكثر.. كانت ترتجف وفي حالة سيئة منذ وصلها اتصال زوجها نهار امس..

ابنتها خُطفت ولايعرفون أين هي؟؟

تجمعت الدموع في عينيها ولكنها شمخت كي لاتذرفها وبكل قوة وسيطرة..

التقاها فراس في المطار وحين سألت عن صغيرتها كل ماقاله لها ان والدي سيشرح لك كل شيء وأنهم كلهم خرجوا للبحث عنها..

توقفت بهما السيارة اسفل مبنى عتيق وصعدا باستخدام المصعد الى حيث يتجمع اهلهم كماقال..

لم تكن بمزاج للقاء اسرة زوجها التي لم تلتقيها من قبل في حياتها ولكنها فكرت ان الوقت الان غير ملائم ابداً للانتقاد..كل مايهمها أن تعرف عن ابنتها..

حين فتح الباب رأت زوجها أمامها.. ولكنها بالكاد تعرفته.. كان يبدو وكأنه قد شاخ مائة عام..هوى قلبها بين قدميها وهي تتيبس على الباب وتصيح بألم:

-أين ابنتي؟؟

اسود وجه سالم العزب وهو يمد يده لزوجته هامساص باختناق:

-تعالي إيفا..

هزت رأسها الأحمر متجاهلة دموعها التي انسابت بحرقة وعادت سؤالها بتصميم ليخفض عينيه:

-لم يجدوها بعد..

شهقت بالبكاء ليتقدم محتوياً جسدها الضئيل بين ذراعيه وهو يحاول ان يطمئنها بكلمات فشلت في طمأنته هو:

-لاتقلقي حبيبتي انهم جميعاً هناك يبحثون عنها..قحطان سيعيدها..

قالها بتأكيد..لتهتف صارخة:

-هل أبلغتم الشرطة؟؟ هل اتصلوا لطلب فدية أو ماشابه..؟؟

جرها سالم الى داخل الشقة وهو يحاول طمئنتها:

-لاتخافي حبيبتي سنجد ابنتنا وينتهي هذا الكابوس.

تفلتت منه بعصبية وانفجرت بوجهه باكية:

-هذا الكابوس لم ولم ينتهي الا بعودة ابنتي الى منزلها هناك في باريس.. اتفهم؟؟

نظر سالم لعائلته المذهولة وهي تواجه صراخ المرأة الفرنسية بكل جنون .. لتهدا هي فجأة وتدرك انها في حضرة اناس غرب.. رأت العجوز يرفع رأسه مستنداً بذقنه لعصا غليظة وتحيطه فتاتان تعرفت بينهم على سلمى التي ناظرتها بقلق وتوتر بينما رأت تلك المرأة الأخرى.. والتي نهضت تواجهها بصلابة قائلة بالعربية:

-لاترفعي صوتك في حضرة شيخ العزب.

رفعت ايفا خصلة نارية من امام عينيها فبدت شبيهة بابنتها بصورة مثالية وأعطت هدية نظرة من رأسها لأسفل قدميها باحتقار قبل ان تهمس بسيل من الكلمات الفرنسية التي احتقن لها وجه سالم وجعلته ينهرها بقسوة:

-ايفاااااا..

نظرت له بغضب قبل ان تعود للمرأة التي لم تكن سوى هدية وتهمس لها بعربية ركيكة:

-لايهمني في حضرة اي شيخ انا كل ماأريده هو ابنتي..

احتقن وجه هدية وكادت ترد برد لاذع حين فتح الباب .. والتفت الجميع للقادم.. تعلقت انظارهم كلها به.. بثقله وهو يدخل وكأنما فقد الرغبة بالحياة.. بالكاد كان يقف امامهم.. ولكن..

يجب عليه أن يفعل..

لاأحد سيمتلك الشجاعة.. لن يعترف احد بماحدث.. لن يقر أحد بالفشل سواه..

رفع عينيه اليهم.. وتسمرت عيناه عليها.. هذا ماكان ينقصه.. أمها هنا؟؟

-قحطان بني..أين سيادة؟؟

همس عمه سالم بشحوب.. وابتلع قحطان ريقه المتيبس بصعوبة وهو يقبض كفيه ويبسطهما بحركة عصبية.. ماذا يقول؟؟؟ غابت عنه الكلمات ولم يقدر على اخراج حتى انفاسه..

اقتربت منه ايفا وهمست :

-اين سيادة؟؟اين هي ابنتي؟؟

نظر لها وشعر بالحزن يجتاحه فجأة..حزن ثقيل..وكأنه بطانة سوداء تلفحته من تحت جلده وبرزت من عينيه ولكنه حافظ على هدوءه.. كمااعتادوا عليه كتم حزنه وألمه بداخله وهمس ببرود:

-لانزال نبحث عنها.. لم نجد حسن حيثماذهبنا.

اقتربت ايفا وصرخت بغضب:

-اتصلوا بالشرطة افعلوا شيئاً بدل جلوسكم هكذا دون حراك.

نظر لها بعاصفة تلوح في عينيه:

-ومادخل الشرطة بأمورنا..نحن أدرى بعملنا..

-ايها المغرورو الوقح..

ورفعت يدها تريد صفعه على وجهه ليقبض على معصمها بقبضة من حديد وعيناه ترسلان لها تحذيرات غاضبة جعلتها تشع بغضب وكراهية صارخة:

-لو أصاب ابنتي اي مكروه.. انت اول من سأحرص على وضعهم في السجن أيها المجرم.

نفض يدها بقسوة وتركها ليدخل الى مكتب رعاد صافعاً الباب خلفه بقوة بتحذير عام لهم كلهم بعدم الدخول..

جلس بتهالك على مقعد بمسندين.. اراح ظهره المتعب وتأوه بمرارة..

هل ماتت؟! فكر بانهزامية لم يشعر بها قط من قبل.. ماتت وتركته يغرق في بحور الألم والذنب وحده.. تركته ورحلت وكأنها لم تحبه ابداً..

اغمض عينيه متنهداً بمرارة..واستسلم من جديد لحزنه .. بصمت.. وحده.. بعيداً عن العالم كله.

وفي الغرفة الأخرى تسللت مخرجة هاتفها تناظر الرقم بألم.. لقد مزقتها رؤية أخيها بكل ذلك اليأس.. راعها ماحدث لعائلتها..حزن عمها وزوجته رغم انها لم تحبها ولم تسامحها على كل مافعلته بها ولكنها لاتزال أم مكلومة.. ثم كان جدها العجوز.. والذي كان يهرم في الدقيقة الواحدة عشرات السنوات..

مسحت دموعها بظهر يدها وطلبت الرقم.. الشخص الوحيد الذي ان كان صادقاً فهذا يعطيهم دافعاً جديداً..

-سلمى؟؟

سمعت الصوت الملهوف فسارعت باكية:

-هل تقول الصدق؟؟ هل ستساعد أخي ليجد سيادة؟؟

تهللت اساريره وهو يشعر بانها تثق به.. أو أنها ستحاول.. لذا سارع بالتأكيد وهو يعدها:

-اقسم لك ياسلمى.. سأجدهما.. وحينها سأخبر شقيقك..

-أرجوك سيف..عائلتي ستصاب بالجنون لقد بحثو عنه في كل مكان..لم نجد له أي أثر..

-سأجده..انه يستخدم معارفه ولكنني سأجده بالتأكيد لاتخافي.

-عدني..

همست بألم ليغمض عينيه ويعدها من اعماق قلبه قبل ان تطلب شيءاً أخر بصوت خجول:

-عدني ان تحافظ على نفسك أيضاً..

ابتسم بسعادة..وهمس لها بشوق:

-سأفعل حبيبتي..سأعود من أجلك.

غار قلبها قلقاً وهو يغلق الخط..بعد تحية مقتضبة.. شعرت بالراحة جزئياً.. الان على الاقل استعادة ثقتها بحبيبها .. بوعد منه فقط.. بانتظاره ليحققه..

كان عليها فقط الانتظار.. والصبر..

***

-علي..

ارتفع الصوت في رواق المستشفى التي وصلها على عجالة ليطلب اجازة طارئة.. كان امتحانه النهائي بعد يومين فقط..ولم يكن يستطيع التركيز بشيء وهو وسط معمعة مايحدث الان..

ثم جائت هي.. رباااه لقد نسيها تماماً في غمرة كل ماحدث..

التفت اليها بتوتر..

-مالذي حدث لم لاتجيب على اتصالي؟!

همست ترنيم بقلق مشوب بالألم لهجره غير المبرر ولتجاهله المصر لها ..

-انا اسف ترنيم.. الأمر انني مشغول للغاية هذه الايام.

-اعرف ان امتحانك على الابواب ولكن هذا لا..

-لقد اجلت الامتحان للشهر القادم.

قالها مقاطعاً لتتسع عينيها وتسأله:

-ولكن ماذا حدث هل أنت مريض؟!

-لاترنيم لست كذلك.. انها..انها مشكلة عائلية.

برر بعصبية جعلتها تنظر له بحنق ثم رفعت يدها اليمنى وهمست بغيظ مشيرة لخاتمه:

-أترى هذا ياعلي..انه يشير انني من العائلة الان.

زفر بضيق ونظر لساعته مدركاً تأخره عن لقاءه بأخوته حتى يقرروا ماعليهم فعله في المرحلة القادمة بالذات قحطان.. فبعد ماوجده هو بالكاد يسيطر على اعصابه..

-ترنيم.. انت لاشأن لك بهذه الامور..انها مشاكل خاصة ولاتهمك بشيء.

شعرت بالألم لاقصاءه اياها بتلك الطريقة ولكنها تجاسرت لتهمس:

-انا هنا من أجلك ياعلي.. وانا مصرة ان أكون جزءاً من مشاكلك مهما كانت صعبة ومهمة..

نظر لها بغضب وتملكته تلك النزعة الغبية لكل افراد عائلته بالكبت والتفرد وهو يعنفها بخفوت:

-لم لاتفهمين ترنيم.. لااريد مشاركتك مشاكل عائلتي.. كل مايدور بيننا هو في كفة وعائلتي في كفة أخرى .. لاتخلطي الامور ابداً.

اتسعت عينيها بصدمة بينما استمر هو بقسوة:

-اذهبي الى دروسك وانشغلي بها..لاتشغلي نفسك بأل العزب حالياً باستطاعتنا تدبر أمورنا.

ثم استدار عنها بحنق وهو يغلي من الداخل..

تباً تباً..

لقد شعر بالضيق والغضب لتدخلها.. شعر بأنها تتدخل فيمالايعنيها متجاهلاً كونها خطيبته.. لقد كان قاسياً وأحمقاً.. وفكر بلحظة..

لو كانت نادين..

رباااه..

فكر بذهول لو أنها نادين لكان هو من لجئ اليها وارتمى بين ذراعيها يشكو لها همومه,,,

توقف بمرارة.. لم تكن نادين ولن تكون ابداً..

لقد انتهت كل علاقة له بتلك المرأة.. ولم تعد له سوى ترنيم والتي عاملها بقسوة شديدة..تنهد بحنق والتفت يريد ان يصلح الامر لولا انه رأى الممر خلفه خلياً تماماً..

أين ذهبت؟؟

كانت تركض لاترى امامها من فرط دموعها التي هطلت بلاحساب وهي تولول هاربة منه بعد أن نبذها بتلك القسوة.. لم تفكر ابداً انه قد يكون قاسياً بهذه الطريقة..

كيف رفض اهتمامها وحبها بتلك الطريقة المهينة.. بكت بحرقة وهي تفتش عن مفاتيح سيارتها بهستيرية في حقيبتها الضخمة وحالما وجدتها كانت ترتمي في السيارة وتشغلها بسرعة.. لاتريد البقاء في مكان واحد معه ابداً..

الم يكن يريدها بجواره فلم تكن ترنيم الراجي من سيركض خلفه ..ابدااا..

انطلقت بالسيارة لاتكاد ترى امامها محاولة السيطرة على دموعها وغضبها ولم تجد ماتنفس به عنهما سوى دواسة الوقود لتزيد سرعتها اكثر وأكثر.. تجاهلت ابواق السيارات الناهرة.. تجاهلتها حتى تصاعد بداخلها احساس الخوف الذي هاجم اطرافها وهي تدرك انها تجاوزت السرعة التي اعتادتها بشكل كبير.. وليس هذا فحسب.. لقد كانت تفقد سيطرتها على المقود..

تفقدها بشكل مفزع والسيارة تهرول بجنون نحو الطريق السريع..

لم يكن امامها الا ان تدير المقود بقوة ناحية اليمين ورجلها على المكابح تحاول التخفيف من سرعتها..

حين برز امامها فجأة.. وكأنما انشقت الارض وأخرجته..

صرخت بجنون والسيارة تندفع نحوه باصرار..حاولت تفادي الاصطدام بتدوير المقود مجدداً.. وقدمها تضغط المكبح بإصرار..

سمعت الصرير ودارت السيارة بعنف ..سمعت الصراخ حولها..

وشعرت برأسها يضرب المقود بقوة قبل ان ترتد مرتين للأمام والخلف..

حتى توقفت السيارة وتهالكت هي على مقدمتها فاقدة الوعي.. دون حراك.. وكأنما غادرتها الروح..بهدوء..

***

البرد.. الجوع.. الألم..

كلها تنهشها بلارحمة.. ثم هناك الخوف الذي نخر عظامها وجعلها ملقاة هناك ترتجف.. كلها ترتجف وكأنما يمر عبرها تيار كهربائي مستمر.. حرقة تتصاعد من داخلها..حرقة مؤلمة.. وعينيها تذرفان الدموع بلاتوقف.. انها تخسر طفلها..

ذلك النزيف الذي تعرضت له قبل ان يسحبها حسن بكل قسوة ويغير مكانها الى هذه العشة القذرة كان دليلاً قاطعاً انها قد خسرت طفلها.. بكت بمرارة.. تكورت على نفسها ويديها تحيطان ببطنها بوجع..

اين هو؟! لقد وعدها انه سيكون هنا.. سيأتي لانقاذها.. لقد وعدها ولم يفي بوعده..

-توقفي عن البكاء.

هدر بها حسن وهو يشعر بالصداع من سماع صوت بكاءها الذي لم يتوقف للحظة منذ خسرت طفلها كمايبدو.. كان متوتراً بشدة.. يريد ان يتخلص من كل هذه المشكلة.. يريد الهرب بأسرع وقت ممكن.. كان يوقن انه تورط بها وانه سيندم على ذلك.. ولكن لا.. انها انتقامه الذي سيطفي غليله..

كل من معاونيه في المافيا يحاولون جهدهم لانهاء اوراق تهريبه ولكن رجال قحطان يتواجدون بكل مكان غطوا كل منفذ ولم يتركوا مكاناً واحداً ليتسللوا عبره.. ولذا كان عليه ان يتحرك.. نظر لسبيته بكراهية واقترب منها ساخطاً:

-زوجك الأحمق لايترك لي مكاناً لأتنفس..انه يغلق كل المنافذ كي لايفقدك..

نظرت له بعينين زائغتين قبل ان تشيح متمتة بازدراء:

-سيجدك قحطان.. سيجدك ويقتلك.

انقض عليها وقبض على شعرها بقسوة وهو يزمجر:

-ليس ان قتلته قبلاً..

اتسعت عينيها بذعر وصرخت بألم وهو يفلتها ليلتقط هاتفه ويجري اتصالاً أخيراً..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

سمع هاتفه يرن..

لم يكن في مزاج يسمح له حتى بالاجابة.. وتجاهله المرة الاولى والثانية.. ولكن الرنين كان مستمراً مصراً كالموت.. رفع هاتفه ليرى من يزعجه حين عقد حاجبيه بعنف..كان رقماً محجوباً..

فتح الخط وصرخ:

-مـــن؟؟

"قحطاااان"

لم يعرف ان كان عليه تصديق أذنيه أم تكذيبهما..؟؟

تحجر صوته وهو ينصت لصوتها الشاحب المخنوق..

-سيادة؟؟

همس بشحوب.. وهو ينهض من مقعده الذي جلس عليه لساعات..

دون أن يتحرك حتى من مكانه..

"ماذا هل نسيت صوت زوجتك يا ابن العم؟؟"

ارتجف بكراهية وهو يسمع صوت حسن وهتف بجنون:

-أين هي؟؟ ماذا فعلت بزوجتي ايها المجرم؟؟

"انا لم ألمسها.."

صرح بوقاحة قبل ان يضيف بخبث:

"ليس بعد على كل حال"

-لومددت اصبعاً واحداً عليها ..اقسم انني سأقتلك وأمزقك بيدي.

قهقه بشراسة وهتف:

-الا يتوجب عليك ان تجدني اولاً.

شعر قحطان بعجزه وقتها ولكنه ملعون للجحيم لو أظهر هذا العجز

لحسن لذا فقد همس بصوت مخيف:

-سأجدك ياحسن.. ولو بحثت عنك في كل شق وتحت كل حجر

سأجدك..

-ولم لاأوفر عليك العناء ياشيخ..

عقد حاجبيه بحيرة:

-ماذا تعني؟؟

نظر حسن لمسدسه بشرود وهو يتمتم:

-سأخبرك بمكاني.. وتأتي الي وحدك..

التمعت عينا قحطان ولهفته تعميه عن رؤية مايخبئه له حسن:

-سأتي اليك..أخبرني أين؟؟

قهقه حسن بسخرية:

-ليس بهذه السهولة يابن العم.. ستخرج من مكانك ووتقود سيارتك ثم ساتصل بك للمزيد من التعليمات أتفهم؟

ابتلع ريقه بصعوبة وهمس:

-ماذا عن زوجتي؟؟

رمق حسن سيادة شبه الدائخة على الأرض تطالعه بعينين زائغتين وهمس:

-سأحررها..طالما تأتي وحدك..

-سأفعل..

قالها بتوكيد..وهو يصر على أسنانه بغيظ ليسارع حسن:

-اذا لم تفعل ياقحطان فسوف أعرف.. وحينها لن تجد بضعة دماء فقط كما في المرة الماضية.. هذه المرة سأترك لك قطعاً منها.. أتفهم؟!

-سآتي وحدي ياحسن..وحينها سنكون أنا وأنت.. فقط.

قالها قحطان وقد اسود وجهه وتهديد حسن ينشر الذعر على طول عموده الفقري وهو يتخيل مايقول هذا الوغد المريض..

-اذا من الأفضل أن تسرع.. فزوجتك وطفلك في حالة يرثى لها.. وأشك ان تلحقهما الاثنان..

وسرعان ماكان حسن يغلق الخط..

ليتجمد قحطان مكانه بخوف شل اعضاءه للحظة.. قبل ان تعود كلها للحياة وهو يعي مايقوله حسن تماماً ويتحرك نافضاً مشاعره جانباً متوجهاً الى الخارج..

هذه المرة لن يعود الا بها..

سيفعل المستحيل لتعود الى منزلها.. ولو بذل حياته في سبيل ذلك..

كان الشيخ قحطان من يجلس في الصالة وبرفقته عمرو ورعاد والعم سالم وولده فراس.. حالما رأوه انتفض عمرو ورعاد لمواجهته وعمرو يقول بتوتر:

-لقد وجد الرجال أحد العاملين مع حسن..انهم يتتبعون خيطاً الان..

نظر له قحطان بتوتر قبل أن يشيح عنه ويقول بصرامة:

-سأخرج لبعض الوقت..

-وحـدك؟؟

تسائل عمرو بخشونة ليومئ قحطان دون رد فيعترض رعاد:

-سأتي معك انا..

-لا..

هدر بعنف جعل الجميع ينظرون له بدهشة في حين تأمله جده بصمت وهو يضيف بقسوة:

-سأذهب وحدي..

قالها واستدار على عقبيه ليصيح به عمرو بحنق:

-لقد اتصل بك أليس كذلك؟؟

توقف قحطان بغضب.. دائماً عمرو .. دائماً هو من يكشف سره..

ولكنه لم يجب عليه تجاهله وهو يتجه الى الباب ليركض عمرو اليه ويشده من ذراعه بعنف:

-أجبني قحطان؟؟ هل اتصل بك ذاك المعتوه؟؟

نظر له قحطان وعاصفة تلوح في عينيه:

-اترك يدي ياعمرو .. لاوقت لدي لأضيعه.

-أنت لن تذهب وحدك..

صرخ به عمرو بحدة جعلته يخلص ذراعه بالقوة مزمجراً:

-انه يريدني وحدي..

انتفض اليه عمه وهو يهمس بلهفة:

-هل تحدثت معها؟؟ هل ابنتي بخير؟؟

-اذا ماتركتوني أذهب الان فربما تظل كذلك..

صرخ قحطان بسخط ليصر عمرو بعناد:

-قلت انك لن تذهب الا على جثتي..

بلغ به الغضب مبلغه.. لقد كان يعشق عمرو.. وهو صديقه المقرب ولكن الان.. كل الشياطين كانت تتراقص امام عينيه وهو يصيح بجنون:

-بكل سرور..

وقبل ان يعي اي أحد حتى هو ماكان ينوي فعله كان يرفع قبضته وينزل بها بقوة على فك عمرو العنيد.. ليلقي به امتاراً للخلف ويقع من فرط مفاجأته للأرض وقحطان يصرخ:

-لاتظن أنك تخيفني ياابن الشهري.. ليس قحطان العزب ..

وقبل ان يتحرك احدهم كان يغيب خلف الباب.. تاركاً حالة من الذهول سرعان ماتخلص منها رعاد ليقفز خلفه محاولاً اللحاق به..

ليوقفه جده بصيحة حازمة:

-دعه يذهب..

التفت له رعاد بذهول:

-لن أتركه وحده..

-انه يحتاج للذهاب وحده بني.. قحطان أكثر تعقلاً كي لايدرك مغبة مايفعل.. لاريب انه قد فكر بخطة ما.

تصلب رعاد لايعرف مايجب عليه فعله.. بينما نهض عمرو بتثاقل وهو يضغط على فكه بقوة:

-ستدفع ثمن هذا ياقحطان..

نظر له الشيخ بتوتر بينما هو يضيف بشدة:

-ربما تكون محقاً في ماقلته ياشيخ.. ربما يكون لديه خطة.. ولكن صدقني.. قحطان لايجب ان يكون وحده في مواجهة ذلك المجرم.. وانا لن أتركه ليفعل هذا..

ونظر لرعاد :

-سنذهب خلفه.. ولكنه لن يعرف.. هيا بنا.

قالها وسارع خلف قحطان باصرار.

***

ازدادت تأوهاتها ألماً.. التقلصات التي تعاني منها زادت شدتها.. وكأن روحها ستزهق مع كل واحدة.. لم يعاودها النزف ولكن ذلك الألم اشتد..تهاوى رأسها وبالكاد رفعت عينيها لرؤية حسن الذي وقف مشرفاً عليها بجثته الضخمة وهو يقول :

-سيأتي حبيب القلب بين لحظة وأخرى..

لم تعطه الرضى في سماع صوت لهفتها النابع من اعماقها بل أخفته حتى عن عينيه حين خفضت عينيها هرباً من نظرته الوحشية..

-أتريدين رؤيته قبل أن أقتله أم تفضلين رؤيته جثة هامدة؟؟

انتفضت بذعر واخفت وجهها بين ذراعيها وهمست تمتم بدعاء خافت أن يحفظه اللّه وأن ينتقم من هذا الرجل شر انتقام..

-لم لاتجيبين أم ان القطة قد أكلت لسانك ياجميلة؟؟

-أنت أقذر مخلوقات اللّه ولااريد حتى أن أراك بعد اليوم.

همست بألم ليضحك بسخرية قبل ان تتوحش ملامح وجهه ويهمس من بين أسنانه:

-مهما حدث اليوم ومهما كانت نهايته فتأكدي أنها النهاية لن أراك بعدها ولن تريني ابداً.

نظرت له بكره.. وكادت تشتمه بمايستحق حين سمعت الجلبة خارج العشة.. وتوسعت عينيها بلهفة.. في حين انتفض حسن وسارع للذهاب حيث وضع اثنان من الرجال لحراسة البوابة.. هل وصل بهذه السرعة؟؟

اسرع نحو الباب الذي وقبل أن يصل اليه فُتح بقوة.. فتراجع مسرعاً يريد الوصول الى سيادة ليستخدمها كدرع واقي امام من سولت له نفسه اقتحام مكانه حين تصلب في وقوفه وهو يرى القادم قبل ان تنفرج أساريره وتكشف ابتسامته عن تكشيرة مثيرة للغثيان:

-مرحباً بالسلطان.. أرى أنك تثابر في متابعة استثمارات عائلتك رغم قراراتك السابقة؟؟

تقدم سيف بهدوء ويده تقبض على مسدسه بقوة وهو يرفعه ليصوبه نحو هذا الوغد :

-أين سيادة؟؟

رفع حسن حاجبيه ونظر للمسدس بيد سيف باستخفاف:

-هل تجيد استخدام مسدسك أم انك بحاجة لدمية تصويب كي تتعلم؟؟

-قلت لك أين هي؟؟

زمجر حسن بغضب:

-لاشأن لك بمايحدث بيني وبين ابناء عمومي ياسلطان.. خذ لعبتك السخيفة هذه وعد في أول طائرة الى عائلتك ولهوك.

-ستعطيني سيادة العزب والأن في الحال قبل أن أفجر رأسك..

قهقه حسن بتهكم قبل أن تتوحش ملامح وجهه ويرفع مسدسه الى وجه سيف الذي تراجع خطوة وحسن يهتف بجنون:

-أخبرني الأن ياسلطان.. من منا سينفذ كلام الأخر..

نظر سيف للرجل المجنون مع المسدس بيده اليسرى وقد ضم الأخرى المضمدة اليه.. وابتلع ريقه ولكنه لم يتزحزح.. كان يقاتل لاستعادة كرامته الأن.. ليثبت لأبيه وجده وهذا المريض أنه ليس بالفتى العابث اللاهي الذي يظنونه.. انه سيف سلطـان الشيّيب..

-رصاصة واحدة قد تصيب والثانية ستخطئ.. هل أنت مستعد لتغامر بكل شيء؟؟

ابتسم بسخرية وهتف:

-أنا اقامر الان بكل حياتي.. هل تظنني سأبخل بالمقامرة بمجرد رصاصة؟

أخذ سيف نفساً عميقاً وهمس يغريه:

-لاياحسن.. أنت لاتغامر برصاصة فقط.. أنت تغامر بفرصة الحياة من جديد..

زاغت عينا حسن وتسائل بخشونة:

-ماذا تعني؟؟

رفع سيف حاجبه وهتف :

-فرصة جديدة في أي بلد تختاره.. طائرة مستعدة للمغادرة في الحال عبر مطار خاص قريب.. لاأحد سيعرف عنك شيء..لاأحد سيقتفي أثرك.. ستختفي دون أية خسائر..

فكر للحظة واغراء مايعرضه عليه السلطان يعمي عينيه ..

ولكن(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-هل تظنه سيتركني؟؟

عقد سيف حاجبيه.. ليواصل حسن بمرارة:

-لقد أخذت امرأته..وطفله..وربما تسببت بمقتل أحدهما.. لقد تحديت سلطته وقوته وتظنه سيجعلني أفلت؟؟

-قحطان العزب؟؟

اومأ حسن بايجاب لتساؤل سيف الشاحب.. بينما يقترب منه ليهمس بجنون:

-سيقتفي أثري وان ذهبت خلف النجوم..انه لايحتاج الا للوقت..انا اعرف يقيناً انه سيجدني..لأني أعرفه وأعرف كيف يفكر وكيف يتصرف..انه ابن عمي.. ولذا لايجب أن اغادر هنا قبل أن أتخلص منه.. إما أن يقتلني.. أو أقتله..

-أنا لن أسمح لك..

همس سيف وهو يفكر بوعده لتلك.. بأنه لن يسمح لمكروه أن يحدث لسيادة..او حتى قحطان..

-أنت مجرد غر لاتفقه شيئاً في لعبة الشيوخ يافتى..انها لعبتنا منذ الازل.. هذا الانتقام والكر والفر هو لعبتنا.. فابتعد عنا تسلم..

-أنا لن أبتعد..

قالها بتصميم ليصوب حسن مسدسه لرأسه وهو يهمس:

-اذاً فانت من جنيت على نفسك.. ياسلطان.

في هذا الوقت وعلى بعد متوسط.. توقف بسيارته امام نهاية طريق متعرج يقود لمجموعة من عشش الصيادين قرب الخليج.. أخذ نفساً عميقاً وهو ينظر حوله بانتظار من قد يأتي اليه..ولكن لم يقترب أحد.. لذا ترجل من سيارته بخفة.. تأكد من حشو مسدسه الشخصي.. ثم ثبت ذلك الاحتياطي في حزامه الخلفي وثبت كشيدته حول رأسه قبل أن يلفها لتغطي نصف وجهه.. وتقدم من العشش بهدوء.. كانت كثيرة.. ولكنه يعرف بالضبط اين هي..

كيف لم يفكر بهذا المكان والذي كشفه أكرم في تحريات سابقة..العشة التي كان يخفي فيها سمومه والتي تصله عبر البحر في مراكب الصيادين.. كيف لم يبحثوا هنا؟؟

أنب نفسه بقسوة قبل أن يركز في مهمته ويسرع نحو العشة التي لاتختلف عن غيرها سوى في موقعها المميز بابتعادها عن شادر السمك.. وقربها من الخليج..

لم يكن هناك سوى منفذ واحد.. الباب الامامي.. حتى نوافذ لم تكن لها..

أخذ نفساً عميقاً وتقدم نحو الباب وبدفشة من قدمه القوية سقط الباب بصوت هائل ليتراجع الرجلين امامه بمفاجأة لدخوله الصاعق بينما نقل قحطان عينيه بينهما بغضب وهو يصرخ بحسن:

-أين هي؟؟

تراجع سيف للحظة.. بينما وجه حسن سلاحه لقحطان وهو يبتسم بسخرية ساخطة لمفاجأته اياه على حين غرة:

-انظروا من انضم الينا.. لم لاتنزل سلاحك ياشيخ والا فإنك لن ترى زوجتك الفرنسية أبداً..

حرك قحطان عينيه في المكان بلهفة بحثاً عنها.. ولكنها لم تكن ظاهرة.. أين هي بحق اللّه..

شعر بالغضب يجتاحه وهو ينظر لحسن:

-أين هي؟؟

-أنزل سلاحك..

هدر حسن بجنون.. ليرفع قحطان ذراعيه باستسلام وهو ينزل السلاح على الأرض بسخط وهو لايزيح عينيه عن حسن الذي ابتسم بسخرية وهتف:

-أركله بعيداً.

فعل قحطان مايريد ليتراجع ببطئ ويزيح جزء من الحائط المصنوع من القش تحت أنظار قحطان وسيف الذاهلة ليظهر جسد سيادة المكوم بلاحراك..

انتفض قلبه بجنون لرؤيتها.. كانت ملقاة باهمال وكأنها جثة.. لاحياة فيها.. لم يابه للمسدس المصوب نحوه وهو يهمس باسمها ويركض نحوها..

سقط الى جوار جسدها المسجى ورفعه بين ذراعيه بحنان ولهفة وهو يهمس باسمها بشفتين مرتجفتين.. يتحسس وجهها يبحث عن علامات الحياة.. كانت باردة شاحبة..

"سيـادة"

ناداها بيأس وهو يحيط وجهها بكفه ..

يجب أن تعيش.. يجب أن تكون حية..

حينها رفرفت عينيها بضعف ليشهق بارتياح وهي تفتح عينيها..

لم تصدق..

لم تصدق عينيها لرؤية عينيه كان ينظر اليها بوجه ملثم ولكنها لن تتوه عن عينيه ابداً..

أهو حلم أخر ..فكرت بخواء.. حين سمعت صوت حسن المزدرئ:

-ياللفرح..

نظر له قحطان بغضب مهول.. رؤيته لها بهذا الشكل.. ملابسها ممزقة.. شعرها ينسدل على وجهها مبلل بالعرق والقذارة جسدها ينتفض من البرد والخوف..

شعر بها تقترب منه بخوف سمع صوت نحيبها وهي تتشبث به بجنون وشفتيها لاتكفان عن ترديد اسمه.. ليحيطها بذراعيه بقوة وهو يقول لحسن بغضب:

-ستدفع ثمن كل هذا ياحسن..

لوح حسن بمسدسه في وجه قحطان وهو يهمس ببرود:

-ألاتظن انني صاحب القرار هنا ياابن العم..

نظر قحطان للمسدس بيد حسن بسخط.. لو يستطيع فقط ان يمد يده لجرابه الخلفي.. مسدسه الاحتياطي كان هناك.. ولكن سيادة.. سيادة كانت تتشبث به بجنون يقيده ولايقدر على افلاتها..

-لست وحدك..

التفت الجميع حينها للرجل الثالث..

وعقد قحطان حاجبيه وهو لايتعرف على الغريب..الذي تقدم من حسن بشجاعة رافعاً سلاحه في وجهه وهو يهتف:

-هل نسيت انني هنا؟؟

-ابتعد ياسلطان فهذا ليس ثأرك..

هتف حسن برعونة ليصيح سيف بحزم:

-تراجع الان ياحسن.. لن أسمح لك بإيذائهما..

نظر له حسن باستخفاف وهمس:

-أنت لن تجرؤ على فعل شيء.. ليس لديك القلب لتضغط على الزناد وتقتل رجلاً ياسلطان..

ثم التفت لقحطان الجالس أمامه دون حول ولاقوة وهتف بشراسة:

-والأن ياشيخ.. أتريد مني قتلها قبلاً أم أقتلك أنت وأستمتع بوقتي معها فيما بعد..

-أنت جبان ياحسن..

قالها قحطان ببرود وهويقف ببطئ.. متخلصاً من ذراعي سيادة..

وشاهراً صدره امام حسن بشجاعة:

-لن تستطيع فعل شيء..

-انت مغرور وأحمق للغاية..لتفكر انني لن اقتلك الان واتخلص منك للأبد..

قالها حسن بجنون بينما قحطان يستمر في اثارة اعصابه وعينيه لاتفارقانه بدقة فهد صياد:

-لو كنت تنوي فعل شيء لفعلته منذ زمن.. ها أنا اقف أمامك وأنت لازلت تتلعثم بتهديداتك..

نظر سيف لقحطان بذهول ماللذي يفكر به وهو يلقي بسخريته أمام الرجل بالسلاح وهو لايزال اعزل.. وتأمل قحطان برهبة طوله المهيب وعرض كتفيه.. تلك السترة الموهة التي يرتديها واللثام على وجهه.. كان يجيل النظر بينهما بتوتر.. قحطان اما شجاع جداً او أحمق للغاية..

أو أن لديه خطة ما..

اقترب قحطان باصرار من حسن الذي ورغم امتلاكه للمسدس الا انه تراجع للوراء وعيناه تتسعان وهو ينظر في عيني قحطان برعب:

-أنت مجرد وغد حقير جبان.. أنت مجرد تابع غبي وستظل طيلة حياتك هكذا..

تصاعدت الكراهية بداخل حسن وهو ينفجر:

-بل هو أنت الغبي ..أنت الأحمق لانك لم تكتشفني منذ سنوات ياقحطان..كنت أتلذذ باللعب من وراء ظهرك.. امارس كل أنواع التجارة غير المشروعة باسم عائلتك وأنت لاترى أبعد من أنفك..

-هذا لأنك مجرد جرذ لايحيا الا في الجحور القذرة ولاتمارس رجولتك العقيمة الا على النساء الأضعف منك أيها الحقير.. لو كنت رجلاً بحق كنت وقفت وجهاً لوجه معي..

صاح قحطان بعنف وأضاف وهو يرى ارتجافة يده:

-أنت خائف ياحسن.. انظر الى نفسك والى كل ماخسرته لن تجد مكان في الأرض يخفيك مني.. لن تهرب لأي مكان.. انت لن تضغط هذا الزناد لأنك أضعف بكثير من أن تفعل..أنت جبان.. لن تجرؤ على قتل شيخ العزب ابداً..

هدر بقوة لينتفض حسن وتشتعل عيناه بشرارة مجنونة وهو يصرخ:

-انا لست جباناً.. ولقد قتلت شيخ العزب قبلاً.. وسأفعلها من جديد..

توقف قحطان يناظره بذهول..قتل شيخاً من العزب قبلاً؟؟

واتسعت عينا حسن أيضاً .. مصعوق ممازلت به لسانه.. وقحطان يهمس بشحوب:

-محمد؟؟!!

أنت قتلت محمد؟؟

تراجع حينها حسن بالفعل.. نسي المسدس بيده.. نسي القوة التي يتحصن خلفها ولم يعي سوى نظرة الشيخ المجنونة التي اشتعلت في عينيه وهو يصرخ بألم امتزج بالقهر وهو يقفز نحوه..

أطلق رصاصة.. وانطلقت صرخة سيادة المرعوبة وهي ترى تفجر الدماء من قحطان الذي لم يوقفه شيء وهو يرمي بحسن ارضاً ويتجاهل الم اختراق الرصاصة لكتفه وهو يكيل اللكمات لوجه حسن وجسده بلاتوقف..

كان ثائراً.. غاضباً..

-لقد أخذت عزاه..

صرخ بجنون وهو يضرب وجهه بقوة جعلت الدماء تتفجر من فمه وأنفه ولايقدر حتى على التأوه وقحطان يصيح بلوعة:

-لقد وقفت معي وأخذت عزاه أيها الملعون..

حاول حسن الدفاع عن نفسه.. حاول رفع يديه وصد ضربات قحطان ولكن دون فائدة..

كان كثور هائج ..

رأى الضوء يخفت..وشعر بارتجاج قوي في عقله قبل أن يغمض عينيه وتهمد حركته..

حينها فقط توقف..

حينها فقط تراجع عن الجثة التي تكومت بين يديه وتراجع باشمئزاز وهو يزيح لثامه .. ينظر لحسن بقهر.. قتل محمد.. هو قتل أخيه..

ركله حينها بقوة وهو يبصق في وجهه شاتماً.. قبل أن يلتفت اليها..

كانت تنظر له بذهول.. لاتصدق عينيها انه واقف هكذا قبالها..

صدره يعلو ويهبط بجنون أنفاسه اللاهثة.. وعينيها تحيطه بنظرة مصدومة.. الدماء تسيل من جرح في كتفه بينما يقترب منها ..انحنى نحوها..

نظر في عينيها قبل أن يحيط وجهها بيديه.. احداهما حملت خيطاً من الدماء انساب عبر ذراعه لتهمس بألم:

-لقد أصبت؟؟

لهث بارهاق وهو يقربها منها.. انها بخير.. ستكون بخير..

-سنكون بخير..

همس بصوت متحشرج.. لايزال الأمر قاسٍ عليه.. قاسٍ ومؤلم..

ولكنه حملها بين ذراعيه بعد أن وضع عليها سترته الملطخة بدماءه وغطى شعرها المتناثر بلثامه واستدار ليخرج بها من عش القذارة التي احتجزت فيه.. ولكن منظر حسن واقف امامه بالكاد يحمل مسدسه اوقفه..

شعر بالغضب من نفسه.. لقد تشتت ونسي امر المسدس نهائياً..

وحسن يرفعه هامساً بصوت يقطر دماءاً:

-الان ستموتان معاً..

رأى الجنون في عينيه.. كان يظنه سيبقى فاقداً لوعيه لفترة أطول ولكن الوغد كان محظوظاً وبلحظة رأى اصابعه تعتصر الزناد ..

كان في موقف لايحسد عليه..بحمله الثقيل لايقدر على المهاجمة او تفادي الرصاصات الاكيدة القادمة..ولكنه لم يكن ليسمح أن يصيبها مكروه ابداً.. لذا كل ماكان يفكر به هو انقاذها..

رأت حسن يصوب مسدسه اليهما.. صرخت برعب وهي تتشبث بقحطان الذي اشاح لحسن بظهره مبعداً اياها عن خط النار .. يحميها بجسده.. بينما انطلقت الرصاصات بعنف..

اغمض عينيه بقوة متوقعاً لسعات النار التي ستخترق ظهره.. ولكنه سرعان مافتحهما وهو يسمع الحشرجة المكتومة من خلفه..

التفت بسرعة ليجد الرجل الغريب وقد وقع ارضاً مضرجاً بدمه بينه وبين حسن الذي فرغت رصاصات مسدسه كمايبدو وبحنق رماه ارضاً وانطلق يعدوهارباً..

نظر قحطان للرجل الملقى ارضاً بدهشة..

لقد فداه بحياته..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

لم يكن يجب عليه ان يقف متسمراً هكذا.. كان ينظر بذهول لقتال قحطان وحسن.. اعتراف حسن بقتله لذلك المحمد جعل قحطان يفقد اعصابه وينجر في قتال شوارع عنيف.. واتسعت عيناه وهو يراقب حنوه بعدها على زوجته وهو يغطيها بثيابه دون أن يعيره أدنى اهتمام وكأنما نسي وجوده نهائياً..

كان يظن مثله أن حسن قد انتهى ولكن هيهات..

رآه ينهض بصعوبة.. وقبل ان يفتح فمه ليحذر قحطان كان حسن يرفع مسدسه ويعتصر الزناد ليقتلهما معاً..

وتذكر سلمى..

ماذا سيحدث لها لو حصل لأخيها مكروه.. وهو واقف هنا دون حراك..

يشاهد الموقف كله كرجل غبي لايقدر على شيء..

لم يدرك ماهو بفاعل حين تحركت ساقاه بسرعة..لم يشعر بنفسه حين واجه رصاصات حسن وشعر بسهمين من نار يخترقان بطنه وساقه..تحشرجت انفاسه وهو يسقط ارضاً..ورأى حسن يولي الفرار.. فشهق بألم..

..

انزل قحطان سيادة ووضعها برفق على الارض.. لتتشبث بقميصه بضراعة:

-الى اين تذهب؟؟

نظر في عينيها بحزم وهمس:

-سأذهب خلفه..

هزت رأسها بضعف:

-لا لا.. يجب ان تبقى معي.. علينا الذهاب الى المشفى .. طفلي..

بكت بمرارة ليقبض على معصميها بقوة ويبعدهما عنه وهو يهتف بقسوة تجلت في عينيه:

-ستكونين بخير سيادة.. مستحيل أن أتركه يهرب.. ستبقين هنا وتنتظرينني.

-لاااااااااا..

صرخت بوجع وهو يتجاهلها ويبتعد.. اقترب من الرجل النازف بشدة ونظر في عينيه.. كان ضعيفاً ولكن بريق الحياة يشع من عينيه بتصميم ربت قحطان على كتفه بتشجيع قبل ان يتجاهل صراخ المرأة خلفه بصعوبة مقاوماً مشاعره اللاهفة اليها ومسرعاً خلف حسن..

لم يكن ليذهب بعيداً..

كان مصاباً وبالكاد يقدر على الركض..

ورآه..

كان يسرع نحو زوارق الصيادين.. همهم بوحشية:

-لن تفلت ايها القذر..

وانطلق يركض خلفه بسرعة .. رآه حسن.. في التفاتة سريعة من فوق كتفه رآه يلاحقه كالشيطان.. فحاول الاسراع نحو هدفه.. احد الزوارق السريعة المستخدمة للصيد.. واندفع في مياه الخليج مجاهداً للاسراع.. ولكن قحطان كان أسرع..

لم يعرف كيف وصل له بتلك السرعة وكل ماشعر به كان جسد قحطان يقفز عليه كماتفعل الفهود بطرائدها ليغرقا معاً في المياه المالحة لبضعة اقدام قبل ان يصعدا معاً شاهقين للهواء قبل ان يعود قحطان ويقفز نحوه بشراسه صارخاً:

-لماذا قتلت أخي؟؟ماذا فعل لك صغيرنا ايها المجرم؟؟

شهق حسن بألم وهو يتلقى لكمات قحطان التي رمت به داخل المياه من جديد قبل ان تعود قبضتاه وترفعه لفوق وهو يدفعه ليرتطم ظهره بأحد زوارق الصيد:

-تكلم ايها الخسيس..لماذا قتلته؟؟

سعل حسن بقوة وقد أختنق بالمياه التي ابتلعها دون مقاومة.. وشعر بيد قحطان تحيط برقبته بقسوة بضغط فولاذي حارق وهو يصرخ به بجنون:

-لماذاااااااا؟؟

-لأنه..محمد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)د..

كشفني..

تحشرج بالاجابة.. لتتسع عيناه قحطان بألم بينما يواصل حسن:

-هو..هو عرف بأمر صفقة المخدرات والسلاح..وهددني اذا لم اتوقف.."وسعل عدة مرات محاولاً التخلص من قبضة قحطان دون فائدة" هددني انه سيخبرك..

-ايها الوغد.. لقد اعطاك فرصة..

همس قحطان بمرارة وهو يتخيل رقة محمد وطيبة قلبه التي جعلته يعطي هذا الوغد فرصة للحياة واستغلها هو ليحرمه منه..

-كنت..كنت اريد فقط ان احذره.. لم أكن أقصد..

صرخ قحطان بألم:

-انت أطلقت الرصاص على الاطار..أنت السبب في تقلب السيارة وموت صغيرنا..

-قحطان (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)اتركني..

تحشرج صوت حسن بألم وهو يجاهد للفكاك من يد قحطان ولكن الاخير كان كقيد من الفولاذ يحيط بعنقه ويضيق أكثر وأكثر..

ويهمس:

-بحق ماحدث لأخي..ولعائلتي بسببك.. بحق جدي وأمي المكلومة.. بحق الجوهرة ومافعلته بها..

واقترب يحدق بعينيه الجاحظتين وهو يضغط بعنف:

-بحق مافعلته بامرأتي.. وطفلي.. حلال لنا القصاص منك ايها القاتل..

واستمر يضغط بقوة..متجاهلاً الم الخاص.. ورأه.. رأى نور الحياة يخفت من عينيه.. رآه يرتجف وتتشرج انفاسه للحظة قبل ان يلوي

قبضته بعنف ليسمع صوت القرقعة النهائي.. ويسكن الجسد بين يديه للمرة الأخيرة.. وتهمد حركته وهو يزهق الروح..

تراجع ملاطماً المياه.. رأى جسد حسن يطفو.. ولم يشعر بالندم..

الحُر بالحُر..

ولنا في القصاص حياة..

فكر بفتور..وانفاسه تتسارع بلهاث حار..

لقد انتقم لأخيه.. أخذ ثأره بيده كما وعد على قبره بعد أن دفنه بيده.. وشعر بالدموع تغشى عينيه حين تذكر أن حسن بالذات كان من انزله معه الى قبره..

اشاح عنه ومضى ليعود لتلك التي تركها سعياً وراء الرجل الذي دمر عائلته بطرق كثيرة.. حين رأى عمرو صديقه يركض نحوه..

-هل أنت بخير؟!

-سيادة في الكوخ..

صرخ لاهثاً.. ليجيبه عمرو:

-لقد اخذها رعاد وذلك الرجل الى المشفى قبل لحظات.. سنلحق بهم في الحال فأنت تبدو بحاجة لطبيب..ماذا عن حسن؟!

-سندفنه في مكان ما بعيد فيما بعد.. يجب أن أطمئن على زوجتي.

اومأ عمرو بتفهم بينما تسائل قحطان وهو ينزع قميصه المبلل بالماء والدماء ليكشف عن جرح ذراعه التي اخترقتها الرصاصة:

-كيف لحقتم بي؟؟

-أرسلت احد رجالي خلفك.

-لم تتبعني اية سيارات ياعمرو لقد تحققت من الأمر..

-لم تكن سيارة.. لقد كانت دراجة نارية..

قالها عمرو ببساطة ليبتسم قحطان بسخرية قبل ان يبرر:

-لقد كان يراقبنا..

-اعرف.. لهذا سمحت لك بالذهاب وحدك..

قال عمرو بابتسامة ماكرة وهو يفرك فكه المصاب فضحك قحطان رغماً عنه وهو يسرع بالتوجه الى سيارة عمرو الرابضة قرب المكان.. لتنطلق بهما بسرعة نحو المشفى..

***

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ

اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)" سورة البقرة

ساد الهرج والمرج للمستشفى العريق حيث وصل جميع المصابين..

اقتيد سيف مباشرة لغرفة العمليات بينما أخذت سيادة الصامتة بصدمة لتقييم حالتها واجراء فحوصات شاملة للتأكد من سلامتها وسلامة الطفل.. وبعدها بدقائق وصل قحطان..

تلقاه الطبيب مباشرة ونظر بينه وبين عمرو بلوم:

-متى ستكفان عن احضار بعضكما مصابين بالرصاص والكدمات؟

نظر له قحطان بصمت بينما تفكه عمرو:

-لاتقلق سيدي.. لقد انتهينا وهذا وعد..

زفر الرجل بحنق وقال وهو يخلع قفازيه مشيراً لقحطان:

-ستدخل غرفة العمليات في الحال جرحك غائر الحمدللّه كمايبدو ان العظم سليم ولكننا سنجري أشعة للاطمئنان.

-سأرى زوجتي اولاً.

-زوجتك برفقة الاختصاصية النسائية وستوافيك بالاخبار حالما تردها الان عليك بالاهتمام بنفسك فقط.

اراد الاعتراض ولكن عمرو ربت على كتفه:

-استمع لكلام الطبيب وسنكون هنا في حال احتاجت زوجتك لأي شيء.

اومأ قحطان بالموافقة وهو يستند على فراشه بينما يجهزون باقي الاجراءات لنقله لغرفة العمليات هو الأخر ليتذكر الرجل..

-ماذا عن المصاب..الرجل الاخر؟؟

-سيكون بخير.. انهم يجرون له الجراحة..سنعرف المزيد عندماينتهون.

-تكفل بكل شيء ياعمرو..لاتدعهم يحتاجون شيئاً ذلك الرجل دافع عني بحياته وسأدين له العمر كله.

قالها قحطان باخلاص ليومئ له عمرو بابتسامة بينما يأخذونه لغرفة الجراحة..

وفي الجهة الأخرى كان علي والعائلة يصلون تباعاً.. سالم وايفا سرعان ماكانا يقتحمان غرفة اختصاصية النساء للاطمئنان على ابنتهما فيما وصل الجد برفقة هدية والفتيات الثلاث.. اندفع رعاد يقبل كف جده ورأس امه المنهارة وهي تصيح:

-أين شقيقك؟؟ هل اصابته خطيرة؟؟ تكلم رعاد..

-لاتقلقي اماه انها مجرد خدش بسيط وهم ينظفون جراحه الأن لاتقلقي..

قالها بسرعة ليطمئنها ثم التفت لغزل التي كانت تنتحب بصوت خافت فاقترب منها ونهرها بحزم رقيق:

-لاتبكي.. ليس هناك من سبب للبكاء.

هزت رأسها بألم وارتمت بين ذراعيه متجاهلة المكان والرفقة وهي تنشج:

-حين اتصل علي..واخبرنا انه وقع اطلاق نار وأنكم في المستشفى؟؟

تسمر للحظة وهي تلتصق به ودموعها تغرق غطاء وجهها وقميصه:

-كدت أجن رعاد.. ظننتك..

وتحشرجت باقي الكلمات في حلقها وهي تخفي وجهها في صدره باكية بعنف.. ساعة سوداء مرت عليها وهي تتخيل الاسوأ في الدنيا.. ان تفقده.. تفقد رعاد حبيبها.. قبل أن يسمع منها حقيقة شعورها نحوه..

-رعاد يجب أن أخبرك شيئاً..

همست لعينيه السوداء لينظر حوله بارتباك:

-الأن؟؟!!!

-نعم الأن.. لم أعد أستطيع تحمل ابقاءه بداخلي أكثر.

هتفت بحزم.. لينظر لها بدهشة قبل أن يجرها الى ركن قصي ويجلسها ويجلس الى جوارها .. التفتت اليه بجسدها كله تدير ظهرها للمر ورفعت نقابها ونظرت له ملياً:

-لقد كدت أموت اليوم.

-بعيد الشر..

اندفع بلهفة وهو يمسح دموعها بظهر كفه.. لتبتسم وسط دموعها للمسته الحانية وتمسك كفه بكفيها بحنان وتضمها الى صدرها وهي تنظر لعينيه هامسة:

-أنا أحبـــك..

اتسعت عيناه بصدمة.. وتيبس ناظراً لها لتتسع عينيها بشحوب هي الأخرى وتفلت كفه وهي تتلعثم:

-هل..هل قلت شيئاً خاطئاً؟؟

نظر لها للحظات دون أن يتكلم يحاول استيعاب المعلومة التي تقولها له.. وسط جدران المشفى امام الف عين وعين قد تنظر اليهما..

غـزل تحبه؟؟! انها تحبه؟؟!!

فكر بالقفز كالأطفال والضحك عالياً ..

فكر بأخذها بين ذراعيه والقفز بها ثم الدوران كالمجانين فرحاً بماقالته للتو.. فكر بكل شيء.. ولكنه لم يفعل شيئاً سوى النظر اليها مطولاً وهو يهمس:

-أبداً.. انت لم تقولي اي شيء خاطئ.

تمالكت نفسها وأخذت نفساً عميقاً وهي تنتظر منه ان يقول اكثر.. ليهمس وهو يقترب منها:

-لقد قلتها من قبل ياغزل.. لقد أحببتك منذ زمن.. منذ عرفتك ومنذ ولدتي كنت الفتاة الوحيدة التي هزت قلبي.. واعترافك الأن لااستطيع معه الا أن اكاد اقفز من الفرح ولكن المكان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

رفعت يدها الى شفتيه:

-اعرف ان الوقت والمكان خاطئ للغاية يارعاد.. ولكن منذ متى كان وقتنا معاً مناسب.. كل شيء في حياتنا توقيته سيء.. وأنت أكثر دراية.. فلم يكون هذا مختلفا.

قبض على كفيها بين يديه وهمس بحنو:

-لأنني أنوي تغيير هذا.. أريد تغيير حياتنا وجعلها مناسبة.. مناسبة في المكان والزمان..مناسبة في كل وقت وكل حين.

-ماذا تعني؟؟

-أنا أريد أن نعلن حبنا للجميع.. ليعرف الكل انك لست زوجتي فقط..

لست أرملة أخي التي أجبرت على الزواج منها.. أريدهم كلهم أن

يعرفوا أنني اخترتك منذ زمن ياغزل.

انسابت دموعها بصمت وهي تنظر لوجهه الوسيم وكيف احتوى

نظرته الفاتنة والتي فجرت مشاعرها بطريقة لم تعرفها قط من قبل..

ليهمس لها بحنان:

-وخصوصاً الأن .. وقد اخترتني انت ايضاً كما يبدو.

-اووه رعاااد..

صاحت بخفوت وهي ترتمي على صدره ليضحك وهو يضمها بقوة

هاتفاً في أذنها:

-انت ستفضحيننا نحن وسط مستشفى..

شعرت برغبتها في مشاكسته بصورة طفولية كمالم تفعل من قبل

فلاذت اكثر لصدره وهمست بشقاوة:

-انا في حضن زوجي.. وان سأل أحدهم فأنا اعاني من الصدمة بفعل

كل ماحدث لعائلتي.

-أنت مجنونة..

همس بغيظ لتضحك بنعومة وهي تذوب في حضنه أكثر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

..

وفي الطرف الأخر انزوت تعبث بهاتفها.. تتصل المرة تلو الأخرى.. ومامن مجيب.. لم لايرد؟؟

فكرت بجنون وهي تحاول السيطرة على دموعها.. وجود شقيقها في غرفة العمليات ونجاة سيادة والحمدلله.. كلها أمور تدعو للفرح والفخر.. ولكن ماذا عنه هو؟؟

أين اختفى..؟؟

طال الرنين مجدداً يعد بعدم الرد.. وكادت تيأس لولا ان فتح الخط فجأة..

-الو نعم؟؟

سمعت الصوت الرقيق لامرأة ما وتحجرت انفاسها وهي تصيح بخشونة:

-من أنت؟؟

-انا اسفة ياانسة ولكن صاحب الهاتف الذي تتصلين به لايقدر على الاجابة الان. هل أنت من أفراد عائلته؟

تفجرت انهار القلق بداخلها وتراجعت اكثر عن عائلتها وهي تتسائل بلهفة:

-اخبريني عنه؟؟ أين هو لم لايرد؟؟

-هل أنت من العائلة؟؟

تشبثت بقلادتها التي تحمل خاتمه بيأس وهتفت:

-نعم.. انا.. انا زوجته(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قالتها بتصميم لتسمع اسف المرأة ويسقط قلبها بين قدميها من جديد والمرأة تهمس:

-السيد صاحب الهاتف في المشفى المركزي الان.. وانا ممرضة هناك.. لقد احضروه منذ مايقارب الساعة وحالته خطرة ولايزال في العمليات.

شهقت بصدمة وتراجعت لتسند ظهرها الى الجدار وهي تنظر لغرفة العمليات التي امامها.. لقد سمعت عن الرجل المجهول الذي أنقذ حياة قحطان من رعاد.. وسمعت انهم أحضروه نازفاً على شفير الموت..

لم تظن ابداً انه قد يكون هو.. ولكنه فعلها.. لقد انقذ أخيها وبالمقابل؟؟؟!!

تفجرت دموعها بصمت وهي تتهالك على مقعد قريب.. وتدعوا اللّه دون توقف أن ينجيه..

لن تتحمل أن تفقده ابداً.. ابداً لن تتحمل.. بقيت هناك عينيها معلقة بالباب لوقت طويل..حتى رأتهم يخرجون قحطان.. كان نائماً تحت تأثير المخدر وذراعه ربطت بشاش عريض نظيف وطمأنهم الطبيب بلطف انه نائم بسبب مهدئ قوي.. فهو بحسب كلام عمرو لم ينم لأيام..

اومأ الجميع بتفهم بينما يأخذونه الى غرفة الافاقة.. وابتعد معه افراد عائلته.. وتلكأت هي خلفهم.. تنظر للباب الأخر بلوعة..

-هل تنتظرين احد؟؟

سمعت الصوت من احدى الفتيات العاملات بالداخل بلباسها الاخضر المميزلتنتفض وتنظر لها بأمل:

-ماذا عن المصاب الأخر؟؟ هل سينجو؟؟

-بإذن اللّه.. اصابته خطيرة ولكنه قوي البنية.. هل تعرفينه؟؟

تسائلت الفتاة بخفوت.. لتهز سلمى رأسها بقوة نافية ثم همست بفخرودموعها تنساب على وجنتيها بحرارة:

-لقد انقذ حياة أخي.. لقد وفى بوعده كالعادة.

نظرت لها الفتاة بتعجب قبل أن تهز كتفيها وتقول لها بابتسامة:

-لو فكرتي بشكره بعد خروجه فسيكون في غرفة العناية لليلة..

ابتسمت لها سلمى بامتنان قبل ان تشيح عنها وتلحق بعائلتها

للاطمئنان على أخيها.

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل

بقلم عبير محمد قائد)..

خرج علي مباشرة بعد اطمئنانه على قحطان وخلوده لنوم عميق

سيشكرهم جميعاً عليه بعد استيقاظه منه.. كان عليه ان يذهب

لرؤية اختصاصية النساء واطمئنانه على سيادة(شيوخ لاتعترف

بالغزل بقلم عبير محمد قائد). كان يسير بسرعة حين رأى خـالد يقف

امام احدى الغرف الخاصة ويبدو الشحوب على وجهه..

-خالد؟؟!! ماذا حدث؟؟

اقترب متسائلاً بتوتر لينظر له خالد بانكسار وهو يتلعثم:

-انها ترنيم(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لقد .. وقع

حادث.

شعر علي بقبضة باردة تعتصر قلبه وهو يتسائل بقلق عارم:

-هل أصابها مكروه؟؟ هل تاذت؟؟

ابتلع خالد ريقه وهمس :

-عدا عن بعض الخدوش فهي سالمة..

-حمداً لله ..

زفر بارتياح وابتسم لصديقه بتوتر وهو يهتف مداعباً:

-ولكن منظرك لايوحي بهذا.. وكأن هناك قتيل؟؟

خفض خالد عينيه بمرارة وهو يهمس بألم:

-هناك..هناك قتيل بالفعل ياعلي..

-ماذا تقول؟

هتف علي بشحوب ليواصل خالد بألم اكبر:

-ترنيم قتلت أحدهم ياعلي.. لقد انحرفت السيارة ولم تسيطر عليها ابداً.. ترنيم قتلت طفلاً في الخامسة من عمره.

اتسعت عينا علي بذهول وصدمة وخالد يواصل بمرارة:

-شقيقتي مصابة بانهيار عصبي حاد.. والشرطة هنا..وتريد اخذها للسجن حتى يبث في القضية..

تيبس علي مكانه دون حراك.. بينما خالد يجلس بتهالك على أحد المقاعد وهو يهمس خابطاً كفاً بكف:

-وأناعاجز عن فعل شيء في هذه المصيبة..

عاجز تماماً..

وانضم له علي.. في ذهوله وصدمته.. لايدري ماعليه فعله.. ولايدري كيف يمكن أن تتعافى فتاة رقيقة مثل ترنيم.. مماحدث لها ومماقترفته بيديها..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

مرت ساعتين منذ خروج قحطان من غرفة العمليات ولايزال غارقاً في نوم عميق(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) تركته بعد قبلة ناعمة طبعتها على اطراف أصابعه ورأت امها تريح رأسها على مسند المقعد الى جواره بينما غادر رعاد ليعود بغزل بعد اصرار امها والجد بينما رفضت الفتيات ترك شقيقهن والسيادة وحدها.. بل قبعن بانتظار استيقاظ قحطان وتحسن حالة سيادة النفسية السيئة والتي وضعت تحت المهدئات هي نفسها..

تلفتت الجوهرة حولها في الجناح المشابه لذلك الذي شغله قحطان وقت اصابة رأسه وتنهدت وهي تحمدالله على كل ماحدث والله وحده هو العالم بماتخبئه لهم الحياة..

خرجت بهدوء.. ومضت الى نهاية الممر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لتجده هناك.. يجلس كما قال رعاد أنه سيفعل..

ابتلعت ريقها واقتربت منه بصمت ولكن أكرم انتبه لها فقفز على ساقيه بانتباه وهو يخفض بصره قائلاً بخشونة:

-هل حدث لقحطان مكروه؟؟

-لا..

همست بتوتر.. فعقد حاجبيه وانتحى جانباً لتعود وتطلب منه بلهجة مرتجفة:

-احتاج لمساعدتك..

-أامريني..

ابتلعت ريقها وهمست بشحوب:

-أريد أن أرى جثته|..

رفع عينيه اليها بدهشة ليرى عينيها تلمعان بدموع حبيسة وهي تضيف:

-أعرف أن قحطان قد قتله.. هو لن يتركه الا ميتاً وانا لاألومه بعد كل ماحدث(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)ولكنني..

وتحشرج صوتها بالدموع وهي تضيف:

-أحتاج أن أراه ميتاً.. أحتاج أن اتأكد ان ذلك الكابوس رحل دون رجعة.

-لاداعي لهذا سيدتي.. حسن العزب ميت..مائة بالمائة وجثته تقبع في مشرحة المستشفى الجمهوري.. ولاداعي لأن تعرضي نفسك لمثل هذه التجربة والتي أوكد لك أنها ليست سارة أبداً.

-أرجوك..

همست.. لترتبك عيناه وهو يرغم نفسه ألا يصغي ولكن وجد نفسه يغرق في عينيها الواسعتين بلون الشوكولا الذائبة الغارقة بالدموع لتتوقف انفاسه للحظة قبل أن يتنحنح بحرج:

-لو عرف قحطان..

-لن يعرف أحد.. سأخبر أمي انني سأعود مع السائق الى البيت.. لن يعرف أحد أنا أعدك.

تردد للحظات فيما وقفت هي تعقد أصابعها بدعاء صامت ..تعرف الا أحد من أخوتها سيقبل ماتريد فعله.. ولن يفهم أحد.. ابداً..

ولكن عليها أن تنهي هذا الأمر..عليها أن ترى بعينيها وتنهي الكابوس..

-سأنتظرك بعد عشر دقائق في الاسفل.. سيارة رمادية رياضية..

شهقت بالمفاجأة.. فبرغم تفاؤلها لم تظن ابداً انه سيوافق..

رأته يتحرك خارجاً فسارعت للعودة وابلاغ امها برحيلها كي لاتقلق..

وبعد خمس دقائق بالضبط كانت تقف امام بوابة المشفى تبحث عن السيارة المنشودة ورأتها.. كانت بنوافذ مظللة.. ولكنها لم تخشى شيئاً.. هذا الرجل كان محل ثقة أخيها العمياء.. وعليه فهي قد أعطته الثقة بالمقابل..

جلست في المقعد الخلفي ملاصقة للباب وانطلق هو بالسيارة دون تلكك.. كانت نظراته مركزة في الطريق أمامه ولم يحد عنها.. بينما هي كانت تنظر لكل شيء بداخل السيارة الانيقة بفضول..كي تهرب من التحديق بوجهه عبر المرآة الداخلية..

استغرقت الرحلة مايقارب العشرون دقيقة مع حركة السير البطيئة جداً في ذلك الوقت من المساء..

وحالما وصلوا الى المستشفى الأخر حيث تقع ثلاجة الموتى اوقف السيارة وقال لها بجفاف:

-سنخبرهم انك زوجته وقد جئتي للتعرف على الجثة.. سأذهب أولاً حتى أرتب الأمر..

شعرت بقلبها يقبع عند قدميها وهي تفكر انه لايقول الا الحقيقة..

خرج من السيارة بسرعة وغاب لعدة دقائق طويلة جعلتها تتوتر اكثر.. قبل أن تنتفض بخوف والباب يفتح بجوارها بقوة ويأتيها صوته:

-تعالي.

ابتلعت ريقها بصعوبة وسارعت خلفه متعثرة تحاول اللحاق بخطواته الواسعة.. دخلا المشفى عبر باب خلفي شبه مهجور اروقة الممرات باردة.. خالية وشعرت بالدماء تتجمد في عروقها وهي تسرع خلفه وكأن الف شيطان قد يهاجمها.. التقيا برجل قادهما الى غرفة خالية الا من عدة طاولات بعضها خالٍ والبعض الاخر عليه اجساد مسجاة مغطاة بملائات بيضاء رقيقة ..

اتسعت عينا الجوهرة برعب وكتمت صيحة تكاد تتفجر منها وهي تنسى كل مبادئها وقواعد تربيتها وتقترب من أكرم لتتشبث بذراعه بخوف وتحاول عدم النظر.. ورأى الرجل مافعلته والتفت لأكرم وقال بتوتر:

-هل ستتحمل ماسترى ام انها ستتسبب لنا بفضيحة؟؟

نظر أكرم المرتبك من الأساس للجوهرة التي هزت رأسها باصرار رغم رعبها.. فعاد ليؤكد على الرجل الذي هز كتفيه دون اكتراث وتقدم نحو احدى الطاولات وقال بحزم:

-القتيل مشوه الوجه بعض الشيء..

ابتلعت ريقها بصعوبة واقتربت محتمية بظهر أكرم محافظة على المسافة بينهما رغم تشبثها بذراعه وثبتت عينيها على الجثة التي كُشف عنها غطائها بسرعة.. واتسعت عينيها بصدمة وشهقت برعب وهي تنخفض بصورة مفاجئة وقد فقدت الاحساس بساقيها ليسرع أكرم ويسندها بخفة وهو يصيح بقلق:

-هل أنت بخير؟!

نظرت له بعينين جاحظتين والدموع تنهمر منهما بقوة.. دون أن تجيب أو حتى تتحرك.. ليسندها بقوته ويسحبها للخارج بسرعة ..

لم تقدر على اعادة النظر.. كانت ترتجف من رأسها لأخمص قدميها وهو يجلسها خارج الغرفة هاتفاً:

-سأحضر لك بعض الماء.

وتركها لتقفز خلفها صارخة بشحوب:

-أخرجني من هنا..

نظر لعينيها من فرجة نقابها بتوتر وهو يلوم نفسه لسماع كلام امرأة لابد خفت عقلها.. وبسرعة قادها للخارج وهو يدعوا بصمت الا تفقد وعيها او ماشابه..

كيف قد يبرر لقحطان مافعله..

أخذها بسرعة للسيارة.. أدخلها برفق وفتح لها النوافذ كاملة وهو يقود باتجاه البحر.. هواء البحر قد ينعشها..

أما الجوهرة فكانت تعاني الأمرين.. كلها ترتجف ممارأته.. وجه حسن المشوه بالكدمات الزرقاء والدم الجاف.. وشحوب الموت.. تخيلت قبضة قحطان وهو يحطم وجهه.. تخيلت الضربات المؤلمة التي لابد تلقاها قبل أن يقتله.. وتذكرت ماكان يفعله بها..

بكت حينها.. بكت بمرارة..

سمع صوت البكاء.. فتوقف بالسيارة وهمس لها:

-قحطان لم يكن ليقتله لو انه لم يكن مجرماً واستحق ماحدث له.

نظرت له عبر المرآة وهتفت باكية:

-أتظنني أبكي عليه؟؟

ارتبكت عيناه من نظرتها المباشرة وهمس:

-انه زوجك مهما كان..

-كان.. كان زوجي..

هتفت بقوة.. ثم ابتلعت دموعها وهمست:

-لم أكن أبكيه.. كنت أبكي سنوات عمري التي ضاعت بالقرب منه..

ابكي ارتياحاً لأن طفلي لن يكبرا وهما يعرفان مايفعله بي أبوهما في كل يوم..

غرق صوتها بالمرارة .. وتخيل أكرم ماكانت تقصده ولم يكن ليفهم..

اراد أن يعرف.. شيء ما يشده الى هذه المرأة.. شيء قوي يجعله ينظر في عينيها ولايكتفي..

-أرجوك أعدني الى منزل أخي.

همست مخنوقة.. ليستفيق من شروده وينفض عنه افكاره السخيفة ويشغل السيارة بصمت..

لقد تأكدت انه قد مات.. مات وارتاحت منه والى الأبد..

***

تقدمت برأس مرفوعة.. تحاول ان تخفي ارتباكها عن الاعين المحدقة بها.. واقتربت من غرفة العناية المشددة حيث قالت الفتاة انه سيكون.. همست للمسؤولة انها تريد الاطمئنان عليه لترقبها تلك بنظرة طويلة شكاكة.. فأوغرقت عينيها بالدموع وهمست بتوسل:

-أرجوكي.. فقط سأطمئن..لن اتحدث معه ولن افعل شيء فقط سأنظر اليه..

-نحن لانزال لانعرف اسمه..

تنشقت دموعها وهمست بألم:

-اسمه سيــف.. سيف سلطان.

رفعت المرأة حاجبها بتأثر قبل ان تنظر خلفها بتوتر وتهمس :

-فقط لبضع دقائق..

اومأت سلمى بفرح وهي تعدها الا تتأخر أكثر..

دخلت مرتجفة الى الغرفة الباردة.. وشعرت بالألم يعتصر فؤادها وهي تجده يرقد هناك تحت كل تلك الأنابيب وخراطيم الاجهزة المعقدة.. شهقت بوجع وهي ترى ساقه مجبرة بالكامل ومرفوعة على حامل معدني .. بينما التفت بطنه بضماد ابيض به بقعة دم خفيفة جعلت معدتها تتقلب وكأنها ستفرغ كل مافيها وهي تقترب منه ببطء..

-سيف؟؟!

همست تناديه بصوت خافت لايكاد يعلو على صوت الاجهزة من حوله.. فلم يستجب.. انهمرت دموعها بقوة وابعدت غطاء وجهها وهي

تقترب اكثر لتجلس على ركبتيها امامه وكفيها تقبض على كفه بقوة وهي تهتف بشهقات متتالية:

-ارجوك حبيبي.. أرجوك استيقظ.. سيف انا االسفة..

همست بألم واصابعها تضغط على برودة اصابعه بلهفة عاشقة:

-انا السبب.. انت ذهبت الى هناك من أجلي..ارجوك حبيبي.. أرجوك سامحني..

ثم اقتربت تجاور وجهه وتلامس وجنته غير الحليقة بخفة هامسة:

-أنا هنا الى جوارك ياحبيبي.. انا لن اتركك ابداً..

شعرت بارتجافة اصابعه.. وسمعت تأوهه العميق الخفيض وهو يفتح عينيه بصعوبة.. لتشهق بالفرح وتهتف له:

-سيف..افتح عينيك ارجوك حبيبي..

-سـ.. سلمى؟؟

همس بصعوبة وهو يبحث بعينيه عنها لتبكي هي بلاتوقف.. وهي غارقة في الحمد والشكر للّه..

-سلمى..سلمى..

واصل نداءه اليها لتنهض على قدميها وتشرف عليه حتى تساقطت دموعها على وجهه .. رأت ابتسامته الشاحبة وهو يهمس لها:

-وكأنني مت.. وبعثت للجنة..

تأوهت باكية والكلمات تهرب منها.. لم تعرف ماتقول.. لم تعرف كيف تقول انها في الجنة مادام ينظر اليها بعينيه.. مادام يتنفس الهواء نفسه الذي تتنفسه..

-لاتبكي..ارجوكي لاتبكي..

همس بوجع لتمسح دموعها بكلتا يديها كالأطفال وهي تهتف:

-انا لاأبكي..انا فقط سعيدة لأنك بخير..

-شقيقك؟؟ وسيادة؟؟

-الجميع بخير.. بفضلك أنت..

هتفت بحرارة ليغمض عينيه حامداً اللّه بصمت.. ثم عاد يعب عينيه من رؤية وجهها الحبيب الذي اشتاق اليه بجنون وهمس لها بثقل:

-أحبك..

بكت بمرارة.. وهي تدرك انها النهاية.. لاتستطيع البقاء هنا اكثر..همست بحبها بخفوت.. بالكاد غادرت الكلمة شفتيها ..

"ســـلمى؟؟؟"

انتفضت بذعر والتفتت خلفها لتجده واقفاً هناك يطالعها بصدمة..

-جدي؟؟

همست بذهول.. وجسدها كله يرتجف متخشباً.. وجدها ينقل بصره بينها وبين الرجل الذي فدا حفيده بحياته والشكوك كلها تلعب بعقله ولايكاد يفهم.. ثم اقترب منهما مستنداً بعصاه بصعوبة..نظر مباشرة للرجل.. وهتف به بقسوة:

-من أنت؟؟

لم يرمش سيف للحظة.. بل نقل بصره بين سلمى التي تبدو وكأنها ستموت مكانها وبين الرجل الطاعن في السن والذي يحقق معه بكل جبروت.. يشابه جبروت حفيده الذي رآه سابقاً..

كان امام قحطان العزب الأكبر..

-انا سيف.. سيــف سلطان الشيّب.

اتسعت عينا الجد للحظة .. قبل ان تلمع حدقتاه بحكمة واسند كلا كفيه لعصاه وهو يتسائل :

-لقد دافعت عن حفيدي.. وتلقيت الموت نيابة عنه.. هل كنت تعرف من هو؟؟؟

التفت سيف لسلمى بقلق قبل ان يجيب بصدق:

-نعم.. انا اعرف من يكون قحطان جيداً.

أخذ الجد نفساً عميقاً.. ثم نظر لسلمى وهتف بحزم:

-اذهبي لأمك ياصغيرة..

نظرت له بضراعة وهمست بخوف:

-جدي..انا..

-اذهبي الأن..

هتف بحدة لتسارع بالخروج وهي تضع عليها نقابها كيفمااتفق..

ليعود الجد وينظر لسيف لفترة قبل ان يسأله ببرود:

-نحن ندين لك بحياة شيخ العزب.. فاطلب منا ماشئت.

ابتلع سيف ريقه ولم يتردد لثانية وهو يطلب..

-أريدها هي..

وعقد الجدحاجبيه.. وهو يفكر ان الرجل.. طلب المستحيل.

***

استيقظت فجأة..

فتح عينيه وهو يشعر بأن هناك شيء ماخطأ..

كان الليل قد اسدل سدوله تماماً.. رأى امه تنتفض اليه وهي تهلل

وتحمد.. بفرحة طاغية(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ليهتف متسائلاً:

-اين سيادة؟؟

توقفت هدية بضيق ثم تنهدت :

-انها في غرفتها.. لاتقلق فهي وطفلها بخير.. لقد طمأنتنا الطبيبة عنهما.

نهض من فراشه على عجل.. تسبب له بدوار جاهد كي لايفضحه امام عيني امه القلقة:

-يجب ان اراها..

-انتظر بني..

ولكنه لم يسمع.. ارتدى قميصاً ملقاى الى مقعد جواره على عجالة واندفع خارجاً ليجد علي قادماً لتوه سأله عن غرفتها ليعترض علي طريقه:

-ابقى حيث أنت .. يجب ان يقيمك الطبيب قبل ان تغادر سريرك.

زمجر قحطان بحنق واامسك ذراع اخيه بقوة وهو يدفعه امامه صائحاً:

-توقف عن اسداء النصائح وقللي اين هي زوجتي..

زفر علي بيأس ثم توجه معه لجناح قريب وفتحه له ليسرع للداخل .. كان جده وعمه سالم وايفا وفراس يجلسون بصمت وحال دخوله هبت ايفا تواجهه بشراسة:

-ابتعد عن ابنتي..

ولكن عمه ابعدها بحدة وهو يقول:

-انه زوجها ولولاه لماكنا وجدنا ابنتنا..

-لولاه لماكنا فقدناها من الاساس..

تجاهل قحطان كل ذلك الهراء وأسرع نحو الباب الداخلي للجناح.. وفتحه بهدوء بعد ان أخذ نفساً طويلاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

توسدت ركبتيها تريح ذقنها عليها بتعب.. كلها ترتجف ولاتزال ذكرى ماحدث لها تخيم عليها وترزخ تحت وطئتها حتى بات الحمل ثقيلاً لاتكاد تحتمله.

متعبة حتى النخاع وكلها خاوٍ من الداخل..أحاطت بطنها بذراعيها وشفتيها تتمتمان دعاءاً صامتاً..وشكراً خالصاً للنعمة التي أسبغها اللّه عليها في الحفاظ على جنينها رغم ماحدث.

تنهدت بمرارة ومدت يداً ترتجف لتتناول كوباً من الماء موضوع على الطاولة بجوارها حين سمعت الباب يفتح بهدوء.. ولفحتها الرائحة المميزة لتشتد رجفة يدها ويقع الكوب وتتناثر محتوياته على الأرض..

سمعت خطواته السريعة ليجاورها بلحظة ويقبض على ذراعها وصوته الثقيل ينساب الى أذنيها:

-هل تأذيتي؟؟

سحبت يدها من قبضته وهي تشيح بوجهها هامسة:

-أنا بخير.

تراجع مبتلعاً ريقه بصعوبة.. ممسداً شعره بقوة وهو يراقب كيف تراجعت منكمشة على نفسها تحيط جسدها بذراعيها وتبتعد عنه وكأنها تنفر منه. تخافه.. تأملها بإمعان.. بعدماتركها في تلك العشة القذرة وحدها وانطلق خلف حسن .. هو لم يرها منذ ذاك الوقت..

أخذها رعاد الى المشفى بينما هو بقي هناك ينتقم من حسن..

كان وجهها متورماً.. بسبب الدموع؟؟ أم بسبب ذاك الوغد؟؟ شفتيها ممزقة من الزاوية وعلى عنقها تظهر أثار أصابعه الوحشية..

شعر برجفة تجتاحه وهو يتخيل مايمكن ان تكون عانته بسبب ذاك الحقير..الألم والذُل..

الخوف من أنها قد تفقد حياتها او حياة الطفل الذي تحمله..

ابنها.. ابنـــه..

تذكر توسلها الخفيض له كي لايتركها ويذهب خلفه..

اختنقت الكلمات في حلقه ولم يعرف مايقول.. هناك الكثير يجيش به صدره ولايعرف كيف يقوله..مشاعر لم يختبرها ابداً في حياته تتزاحم كلها ولايستطيع ان يفلتها من بين شفتيه..يريد أن يضمها اليه..يتيقن من أنها لاتزال حية..وأنها هنا حقاً.. يريد رؤية عينيها التي تحجبهما عنه بكل قسوة..

مد يده السليمة اليها.. يبعد خصلات من شعرها تهدلت أمام وجهها تخفي عينيها لتنتفض صارخة:

-لاتلمسني.

اتسعت عيناه بذهول وهو ينظر اليها تجمدت يده في الهواء وهي تنظر له بعينين غارقتين بالدموع وهي تهمس بصوت مرتجف:

-لاتظن ان ماحدث سيجعلني أنسى قحطان..

-عماذا تتحدثين؟

تسائل باستنكار لتهتف برعونة:

-لقد تركتني هناك وحدي لأموت.

-انا لم أفعل.. لم تكوني لتموتي..

حاول ان يتحدث معها بتعقل لتهز رأسها بحزم متجاهلة دموعها التي تساقطت كالمطر وهي تهتف مخنوقة:

-كنت أنزف.. كنت مصابة بالجفاف.. كنت شبه ميتة وأنت تركض خلف انتقامك من ابن عمك.. ماذا لوقتلك وقتها قحطان.. ماذا كان سيحدث لي ولأبنك.. ابنك الذي قالت الطبيبة انها معجزة بقاءه على قيد الحياة بعد النزيف الذي اصابني؟؟

نظر لها بذهول وصدمة بينما هي تنشج بوجع:

-ولكن بالطبع وكيف تهتم.. انت لاتهتم سوى بنفسك.. كرامتك.. انتقامك..هذا هو كل مايهمك.

لم يجد مايقول ليدافع عن نفسه فاكتفى بالصمت وهي تواصل :

-لاقحطان.. لقد فكرت بالأمر كثيراً.. لقد تحملت منك الكثير طيلة تلك الشهور كنت أعطيك الفرصة تلو الأخرى كنت مستعدة أن امرغ كرامتي مرة تلو المرة من أجلك وأنت؟؟!! انت لم تفعل لي شيئاً..

صاحت بألم.. لينهض من مكانه ويواجهها بطوله الفارع وقد سأم اتهاماتها:

-مالذي تقولينه سيادة؟؟ماهذا الهراء الذي تهذرين به؟؟

نظرت له بحقد..عينيها تلمعان كحجرين كريمين متألقتين.. دموعها توقفت عن الانهمار ورفعت رأسها بكبرياء:

-انه ليس بهراء.. لقد سئمت البقاء ممرغة تحت يديك..سئمت ان أكون الطرف الذي يضحي ويقدم كل شيء دون مقابل منك.. سئمت انتظارك على الطرف الاخر بينما تقف هناك دون حراك..

التزم الصمت وراتٍ عيناه تشعان بغضب مكتوم فاستمرت:

-لقد تقبلت منك كل شيئ قحطان.. تقبلت قسوتك..قلة ثقتك..تحملت تعذيبك لي.. معاقبتي .. تحملت هذا الجمود الذي تعيش فيه وجعلتني جزءاً منه.. تحملت حياة متبلدة لامجال فيها للمشاعر.. ولكنني صبرت .. رميت بكل مشاعري وحبي لك بين قدميك.. وماذا فعلت؟؟

نظرت له بمرارة بينما تجمد وجهه وهي تهمس مخنوقة:

-دُست على كل هذا ورميته خلف ظهرك.. ولم تكتفي..

واشتعلت عينيها بجنون وهي تهتف بألم:

-لقد اخترت امرأة أخرى علي..

-هذا..غير صحيح..

اعترض متحشرجاً.. قد يتقبل كل ماقالته رغم افتقارها للواقعية ولكنه لم يخنها أبداً..

-طلبت منك طرد تلك الافعى التي تركض خلفك لاهثة ككلبة مسعورة وانت رفضت.

-كان أكثر من مجرد طلب سيادة.. كان أمراً ولاتوجد امرأة..

-هلا توقفت واستمعت لنفسك..

صاحت تقاطعه متجاهلة البريق العنيف الذي استشاط في عينيه..وظهر جلياً في اوداجه المنتفخة غضباً..

-لاتزال تحتفظ بعقليتك المتحجرة.. ترمي بمشاعرك في مغارة عميقة بالكاد تسمع لها صوتاً.. تتركني اواجه مشاعري وحدي.. انها حياتنا قحطان انا وأنت ولكنك ترمي بكل شيء له القيمة خلف ظهرك.. انت لاتستمع لأحد سوى نفسك.. لاترى ابعد من أنفك..

واشتدت نظرتها تحدياً وهي تهتف:

-انت مغرور ووقح.. وأنا قد سئمت ان اعيش معك في الظل..

لم يحاول أن يأخذ كلامها بجدية.. لقد تعود على هذه العصبية المفرطة..وكأنما مزاجها الناري له علاقة بشعرها الاصهب المشتعل.. لذا لم يحاول الدخول معها في أي نقاش.. أخبره علي أنها قد تكون في حالة نفسية سيئة.. ولن يلومها بعدماتعرضت له.. لذا وبكل هدوء حاول التحلي به همس لها:

-أنا ساترككي لتنامي الان سيادة وغداً سيكون لنا حديث.

واستدار على عقبيه لتستشيط عينيها بجنون وهي تصرخ:

-لن يكون بيننا غداً..

توقف في منتصف الطريق وهو يضغط فكه بعنف محاولاً السيطرة على اعصابه بصعوبة.. قبل أن يلتفت لها ببرود جعلها تصيح بألم:

-انا سأسافر غداً عائدة الى باريس.. سأعود برفقة عائلتي ولن أرجع الى هنا أبداً.

تصلب وجهه بذهول قبل ان تلين ملامحه وبشحوب قال لها:

-أنت لاتعنين هذا.

-بل أعنيه تماماً.. بابا حالياً يجهز اوراقي للسفر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

حينها فقد سيطرته اقترب بخطوات سريعة منها لتشهق مذعورة حين قبض على كتفيها بقبضة من حديد متجاهلاً الام كتفه المصاب..وهو ينظر في عينيها هاتفاً بغضب:

-أنت لاتستطيعين الرحيل عني..أنت تحبينني..

حب؟؟!!

فكرت باستنكار يطالبها بالحب وهو من يدير بظهره كلما صرخت له بذلك..

-انت لاتعرف شيئاً عن الحب قحطان..

همست بشحوب لتلمع عيناه وهو يقترب منها :

-ماأعرفه جيداً هو مشاعرك نحوي سيادة.. أنت قلتها قبل ايام قليلة مضت فقط.. قلت أنك تحبينني وصرختي بها دون توقف فلاتحاولي الانكار الأن.

لسعت الدموع عينيها وقد شعرت بالاهانة لذكره ماحدث بينهما بتلك الوقاحة دافعت عن حبها الذي يبخسه بسخريته وقسوته.. اعترافها الذي دفعت ثمنه الكثير من كرامتها وكبرياءها.. ولكن ليس مجدداً.. لذا ابتلعت مرارتها وحسرتها.. ابتلعت دموعها وهي تقول بسخرية:

-انه الدم يابن عمي.. الدم نفسه يجري في عروقنا واذا كنت تظن ان باستطاعتك ان تقتل كل المشاعر بداخلك وانا لا.. فأنت مخطئ..

تشنج وجهه وهو يرى قوتها تلمع من داخل عينيها:

-أنا سأدفن ذلك الحب..بعدماقتلته أنت بيديك.

-كاذبة..

وقبل ان تبتعد انقض يقبلها بشغف.. أحاطها بذراعيه بقوة فاجأتها ولكن ليس لوقت طويل.. شعرت بشوقه وهو يغمرها.

قبلته كانت مانتظرته لوقت طويل.. رفرف قلبها بجنون لتستسلم من جديد لتحبه من جديد..

ولكن لا.. ليس بعد الأن.. الألم الذي ينتظرها في الأفق لايزال يرزخ تحت ضلوعها..

خيبة الأمل.. البؤس.. لاتزال مرارته في حلقها.. تؤذيها..

بل تقتلها ببطء..!!

لذا تجمدت.. تركته يقبلها ويمارس عليها كل سلطته..دون أية مشاعر او مجرد رد فعل من قبلها.. فقط جثة باردة الملامح تنظر له بتبلد.. ابتعد لينظر في عينيها قليلاً لتواجهه عينين باردتين كالثلج..

ولكنه لم يتوقف اقترب أكثر مصراً على اذابة الجليد لتدافع حينها عن نفسها وبكل قسوة امتدت يدها لتصفع وجهه ..

عم الصمت بينهما.. هي تنظر له ببرود وملامح متجمدة وهو احمر وجهه ونظرته الصاعقة التي وجهها لها وهو يقبض على كفها بين أصابعه بقوة كادت تحطمه ..

-اترك يدي..

هتفت بعنف وهي تلكمه بيدها الأخرى على كتفه المصاب ليتأوه بقوة وهو يفلتها..

نهض عن الفراش من جوارها .. ماذا حدث لها؟؟؟ أين سيادة.. أين المرأة التي عشقته ؟؟؟

هو فعل هذا.. سيادة المراة الملئة بالحب والاحساس العارم هو جعلها باردة هكذا ..قاسية هكذا.. جعلها نسخة أخرى منه.؟؟

-أنا لن أسمح لكي بالرحيل..

-ليس وكأنك تملك زمام أمري قحطان.. سأرحل مع عائلتي ولن توقفني.

صرخت بعنف ليضحك بجفاء:

-أنت زوجتي ياسيادة.. ولن تستطيعي مغادرة البلاد دون اذني مطلقاً.

-لقد فعلتها من قبل أم نسيت؟

هتفت حانقة ليبتسم بسخرية ويحطم امالها بقسوة:

-ذلك كان باستخدام جواز سفرك الفرنسي ياعزيزتي.. أم نسيتي اننا استخرجنا جوازاً جديداً وبه اسمي انا كزوج لك عندما سافرنا معاً.

جحظت عينيها بصدمة وهو يضيف بتحدٍ:

-لن توجد قوة على وجه الأرض ستجعلني اوقع ورق مغادرتك للبلاد سيادة..أبداً..

شحب وجهها وهي ترى قسوة عينيه التي لاتلين وهو يقترب منها هاتفاً بصوت جمد الدماء في عروقها:

-أنت زوجتي..تنتظرين طفلي..أنت لن ترحلي به بعيداً ستلدينه هنا في بلده.. وتحت انظاري..وحمايتي.. أتفهمين.

تنفست بقوة وشعرت بالدموع تهدد للانهمار على وجنتيها قبل ان تتماسك بقوة وهي تتحداه:

-انا لن ابقى معك ولا لدقيقة واحدة..أنا أكرهك..

قبض يديه بقوة ولم يتحرك من مكانه وهو يصرح ببرود:

-أنت كاذبة مزمنة سيادة.. وانا اعتدت على تقلباتك.. ستنسين مع الوقت.. حين نعود لبيتنا.

-محاااااااااااال..

وقبل ان يدرك ماستفعله كانت تنهض من سريرها راكضة الى الخارج..

كانت عائلته هناك .. في الجناح الخارجي لغرفتها.. اندفع خلفها يحاول اعادتها ولكنها لم تسمح له.. تملصت من قبضته كان جدها هناك..عمه سالم.. أمها وأمه التي لحقته كما يبدو .. كل واحدة منهن في جهة.. وكذلك فراس شقيقها..

شهق الجميع لرؤيتها تخرج راكضة من غرفتها ..

استطاعوا سماع صوت شجارهما المحتد وبأمر حادٍ من الجد.. لم يتدخل أحد.

ولكن الان.. رؤيتها تهرع هكذا باكية هرباً منه جعل الجميع في حالة ذهول..

اندفعت لتجلس بين يدي جدها شاهقة بالدموع وهي تتمرغ في حضنه صارخة بصوت مزق قلبه:

-طلبتك ياجدي.. ارجووك.. طلبتك..

اتسعت عينا قحطان بينما جده ينظر له بعاصفة تلوح في عينيه وهو يمسد رأس حفيدته المرتجفة بين ذراعيه هامساً بشحوب:

-طلبك مُجاب يابنتي.. طلبك أمر علينا يا ابنتي..

-سيـــــادة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

سمعت اعتراضه المتحشرج خلفها ولكنها لم تعد تأبه.. لم تعد تحتمل.. كل شيء انهار ولايزال غروره وقدرته الفائقة للحفاظ على تسلطه وكبرياءه يقتلها..

التفتت له من فوق كتفها.. رأت شحوب وجهه وقسوة عينيه قبل أن تعود للالتفات لجدها وتهتف من اعماق قلبها بضراعة:

-أنت..أنت زوجتني ياااه جدي.. ارجووك.. طلبتك ان تخلصني..

سمعت شهقة ماخلفها.. وسمعت والدها يعترض بتخاذل بينما عينيها متعلقتين بعيني جدها العجوز الذي تألقت عيناه للحظة.. ويديه تقبضان على كفيها بقوة وهو يهمس:

-بنيتي..

كان اعتراضاً خافتاً مهزوزاً.. لتغرق بالبكاء هاتفة:

-طلبتـك ياجدي.. طلبتك ياشيـخ العزب.

ورفع الجد عينيه لحفيده..

ممزق بين اثنين.. لم يحب في حياته بقدرهما..

وتحت نظرات قحطان العاصفة.. اتخذ قراره.. بكلمات قليلة مهزوزة..

وكأنما يشك بصوابها وهو ينطقها.. ماجعل الجميع يصمت مذهولاً..

وهم ينظرون اليه.. الى قحطان..

الذي وقف بشموخ يواجه أمر جده.. الذي لم يعارضه يوماً.. لم يكسر

كلمته في يوم مهما كانت..

"طلقـــها"

همس الجد بارتجاف.. لتنهال عليه صاعقة..

اسودت الدنيا أمام عينيه ثم أصبحت بلون النار المستعرة..

الجميع ينظر اليه .. وعيناه لاتفارقانها..مشيحة عنه تحتمي بجده..

جسدها ينتفض بخوف.. بانتظار كلمته.. الكلمة التي ستحررها

منه والى الأبد..

وطال انتظارها..

-ألم تسمعني ياقحطان؟؟

هتف جدها بشدة جعلت قحطان ينظر له مباشرة..

-طلقها الأن..

أضاف بحدة.. ولكن قحطان لم يرمش حتى.. وبكل هدوء رغم عينيه العاصفة بالمشاعر قال كلمة واحدة.. أوقفت الجميع بصدمة.. حتى جده نظر له بدون تصديق وكررها مجدداً.. بحزم أكبر بثقة أكبر..

قبل ان يغادر المكان بشموخ شيخ لايتنازل عن كلمته ابداً..

ولايوطء رأسه لأحد..

ترك الجميع بصمت.. بينما انهارت هي باكية..بحرقة.. بألم..وكلمته لاتزال تتردد في عقلها ..لاتحمل ادنى ضعف او تخاذل..

"أبــداً"

قالها بعنف وكبرياء..

رفض امر جده بكل بساطة..وبكل جنون..

"أبـــــداً"

كررها قريباً من أذنها حين تحرك لينصرف..

أبداً لن يدعها تفلت منه..

أبداً لن يتخلى عنها.. لن تتحرر منه.. ابداً لن تكون سوى امرأة الشيخ قحطان.. حتى يواريها الثرى..

ألم يقلها لها يوماً..

حتى يدفنها بيديه ستظل زوجته..

حتى وإن وقف امام جده ..عارضه وحط من قدره أمام عائلته..

هو ابــداً لن يتركها..

"أبـــــداً"

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

نهاية الفصل..

♥♥♥♥

شيوخ لاتعترف بالغزل

الفصل الثلاثون والأخيــر

***

بعــد ثلاثة أشهر(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

تراقص الزمن وهو يمضي بالجميع شاهداً على ماجنته الأيام من دمار,

شلل يصيب الحواس ويتركها شبه متبلدة شبه ميتة لاتعطي

ولاتأخذ.. نفس يدخل وأخر يخرج..

أحياء فقط بالاسم..مع أن كل مانحيا لأجله.. بعيــد..نستطيع

رؤيته..ولكنه كالسراب..مُحال الوصول اليه.

كانت الأيام باردة.. كطقس الشتاء مكفهرة غاضبة.. لاتلقي عليك ابتسامة ولاتحييك بتحية..

كانت جربة كالأرض في تلك الأوقات..ناشفة..صحراوية ان شئنا الدقة..وكيف لا وقد خلت من معاني الحياة..

خلت من الابتسامة ..الفرح..خلت من الحب..

حتى جاء الربيع..

مسيطراً وبقوة.. تمتلى الشوارع بروائح الطلع وتتصاعد بعد الفجر أصوات الطيور وتنتشر رطوبة حنونة تبدد برد الشتاء الذي كان يغادر بتثاقل..

كان الربيع فصلاً قصيراً للغاية في بلاد اشتهرت بصيفها الطويل وشتاءها المتواضع.. كان فصلاً لاوجود فيه للفرص الثانية..اغتنم وقتك قبل ان ينتهي..

انتهز فرصك قبل ان تغلفها حرارة الشمس بقسوة وقيظ الحر..

كان فصل الفرصة الأخير..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

شعر بشعاع الشمس يسقط على عينيه مخترقاً ظلامه بقسوة كعشرات الابر الساخنة اخترقت عقله ..مؤلمة لاسعة حاول تفاديها لتهاجمه من الجهة الأخرى..

-مالذي يحدث هنا؟؟

زمجر بغلظة وهو يستقيم على سريره ليفاجئ بالجوهرة وهي تفتح النوافذ بجلبة مرحة صارخة بحماس:

-هيا استيقظ ياأخي الكسول.. انه الربيع..لانرى مثل هذه المناظر في البلدة على كل حال.

نظر لها باستنكار..ثم نظر للنوافذ التي شعت ببريق قوي بعد أيام طويلة من الأمطار والتي ودعوا بها فصل الشتاء..

-جوهرة اغلقي النوافذ.

هتف بغيظ.. لتنظر له باصرار:

-لا ياقحطان..انه الوقت الذي تنهض فيه وتكف عن رثاء نفسك.. لقد مضى وقت كافٍ.

كان يعلم ان مجيئ شقيقته من البلدة ليلة أمس كان من أسوأ الافكار التي راودت أمه على حين غفلة.. فهي هناك لاتقدر على المجيء

ولن ترسل سلمى بكل تأكيد.. ومن غير الجوهرة التي يبدو أنها تنفذ تعليمات حرفية..

-جوهرة انها السابعة..وانا لدي اعمال كثيرة وأريد النوم قليلاً بعد.

-منذ متى تنام بعد الصلاة..لم أعرفك بهذا الكسل..

تهالك الى فراشه وغطى عينيه بساعده وهو يفكر..

هو لاينام ليلاً.. لعنة صُبت على رأسه منذ ثلاثة أشهر..سحبت النوم من عينيه قصراً..وجعلته يحدق في الظلام لساعات قبل ان يصلي الفجر ويعود متهالكاً ليحظى بأقل من الثلاث ساعات نوماً قبل ان يذهب لمتابعة عمل الشركة الجديدة التي أستلمها بعد مقتل حسن..

كيف لأحد أن يفهم انه لم يعد كما كان..لاشيء عاد مثلماكان..

ليس منذ رفضته..نبذت زواجهما ونبذته وقصت بنفسها بعيداً محمية منه .. هو حاميها الأوحد..!!

تأوه بضيق وهو يسمع ثرثرة الجوهرة ..يعرف انه لن يعود للنوم الأن..

مستحيل أن يفعل..

نهض بتثاقل..ورماها بنظرة قاتلة قبل ان يستسلم لدفعة من يدها للحمام وهي تامره بتسلط ان يكون على مائدة الفطور بعد دقائق فقط..

وفعل..

تأمل كل انواع الاطايب بتقزز.. هو لم يأكل الفطور منذ دهور.. لم يكن يشعر بالرغبة لتناول الطعام وهو ينهض مثقل بالنعاس والوهن.. وكان يؤخر وجبته لمنتصف الظهيرة بعد أن يهلك نفسه بالعمل.. وحين يعود في المساء يكتفي بوجبة خفيفة من أحد المطاعم المجاورة..

دفع طبقه باتجاه الجوهرة وهو يحمدالله بصوت خفيض واكتفى بالقهوة:

-انت ستأكل طعامك قحطان.

نظر لها بجمود:

-لست جائعاً.

-انظر لنفسك..لقد نحلت..

همست بغصة تؤرق قلبها ليبتسم باقتضاب وهو يسألها مغيراً الموضوع:

-كيف حال الطفلين؟؟

-بخير..قحطان الصغير يتعب قلبي في المدرسة.. فهو لايريد ان يذاكر ويفضل اللعب طوال الوقت.

نظر لها بتمعن:

-انه يحتاج للحزم ياجوهرة وأنت متساهلة معه كثيراً.

هزت كتفيها بيأس ليخفض عينيه ويهمس:

-انه بحاجة لقوة رجل.. انه بحاجة لأب.

جمدت عينيها وشردت قبل ان تهمس مخنوقة:

-نحن لن نعود لمثل هذا الحديث مجدداً قحطان..

تنهد بصبر:

-انه لايزال مصراً ياجوهرة.. لقد كلمني مجدداً قبل بضعة ايام وكنت أنوي زيارة البلدة للتحدث معك.

-لاأريد الحديث عن هذا.

انتفضت واقفة وهي تلملم الاطباق بيدين مرتجفتين وتسللت الى المطبخ..

اغمضت عينيها بألم.. كيف لهم ان يكونوا بمثل هذه القسوة..يريدون منها الاسراع بالزواج قبل حتى ان تتعافى من كل ماحدث لها.. ارتجفت يدها أكثر وكادت توقع الصحون وهي ترميهم في المغسلة بذعر..

لاتستطيع ان تفكر برجل في حياتها بعد تجربتها الاولى..

بعض الندوب لاتزال صامدة في جسدها لتذكرها مغبة التسليم لرجل.. هي حتى لاتعرف من هذا الرجل الذي جاء بسببه قحطان

للبلدة بعد اسبوع من مغادرته المستشفى ليفاتحها بشأنه..

لاتستطيع التفكير بمدى ذعرها ورفضها النهائي للفكرة وقتها.. ومنذ ذاك الوقت كان قحطان يستغل كل مناسبة ليذكر لها هذا الرجل الغامض.. وكيف انه يثق به لدرجة انه لن يخاف عليها معه أبداً.. لقد كان الجميع يثق بحسن قبلاً!!

لم تعد تستطيع تحمل الثقة .. لو خسرت مجدداً فلن تتعافى هذه المرة قط.. وهي في طور التعافي الان..

فلم تسمح لهم بتعريضها للأذى مجدداً؟؟!!

-انا أسف..

سمعته من خلفها فأخذت نفساً عميقاً والتفتت اليه بابتسامة مهتزة:

-دعنا من هذا الأمر..أخبرني عنك أخي؟؟ هل من أخبار عن سيـــادة..؟؟ ياالهـي الرحيم..

فكر بطوفان مشاعر هاجمه بقسوة ليرمي بقناع تماسكه المضحك أرضاً ويفضح مشاعره التي هاجت كعاصفة رعدية في عينيه قبل ان يشيح بوجهه عن شقيقته التي ارتفع حاجبيها تعاطفاً وهو يهمس بخشونة:

-أسمع عنها عبر عمي سالم..انها بخير.

كان هذا يؤلمه.. لن يكذب..يؤلمه ماكان يقول له عمه من أنها صامدة وقوية بل تستمتع بيومها بشكل كبير في انتظار طفلهما..وحدها!!

كيف تفعل هذا وكل مايعانيه هو الظلام والوحشة.. وفوقها ..الوحدة القاتلة!!

-سأذهب لرؤيتها..

همست الجوهرة بتأكيد لينتفض بحنق.. قهر.. الجميع يراها.. عائلته كلها زارتها.. حتى امه فعلتها مرة برفقة الجوهرة بعد خروجها مباشرة من المستشفى واستقرارها في منزل جميل في الضواحي.. بعيداً عنه ..تسكن مع ابيها وأمها التي بقيت للاعتناء بها فترة حملها..

كان هذا هو عقابه..

رفضه تطليقها أمام الجميع رغم أمر الشيخ ..كان يستوجب العقاب.. وعقابه كان بأخذها بعيداً عنه.. صحيح هي لم تغادر عدن.. بعد رفضه الصريح لتوقيع اوراق مغادرتها..ولكنها لم تبقى لتشتكي وأصرت على ابتعادها.. ووافقها الجميع.. جدها ووالدها..

-هل أوصل لها شيئاً؟؟

همست الجوهرة بحذر لكنه كور قبضتيه بقوة وهتف بغضب مكتوم:

-لا..انا ذاهب الأن.

-اترك السائق ليوصلني ياقحطان..

-سأبعثه لك انه لايبقى معي هذه الفترة..فأنا اقود بمفردي.

اومأت بصمت بينما يغادر هو.. تنهدت بحزن لحاله.. أين هو مماكان.. أيعقل أن انفصاله عن زوجته يسبب له كل ذلك الحزن الغارقة فيه عيناه؟؟!! أكان يحبها الى هذه الدرجة فعلاً!! لقد كان قاسياً معها معظم الوقت لن تنسى ابداً الوقت الذي حبسها فيه في جناحهما في البلدة ومنع اي زيارة لها.. تنهدت باستياء حين تراها فهي سيكون لها كلام قاسٍ معها.. لايجب أن تتصرف على هذا المنوال.. ثلاثة أشهر من الهجر كافية جداً.. قحطان يفقد نفسه للحزن والقسوة.. انه منغلق على نفسه أكثر مماكان قبلاً..

حالته تسوء ولن ينصلح حاله الا بعودة سيادة اليه..

بعد ساعتين كانت تتوقف بها السيارة امام مبنى عصري في ضواحي المدينة وقالت للسائق بنبرة أمرة أن ينتظرها لأنها لن تتأخر..اتخذت

طريقها للمبنى الذي زارته مسبقاً عدة مرات.. وصعدت عبر المصعد للطابق المنشود..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-اووووه ماذا دهاه اليوم..؟؟

انتفضت بانزعاج ونهضت تقف متوترة..نظرت لها أمها بقلق وهمست:

-هل أنت بخير سيـادة؟؟ هل لايزال الألم ؟؟

زفرت سيادة بضيق ومشت باتجاه الشرفة التي تطل على مساحة خضراء واسعة:

-لا امي ليس ألماً؟؟ الطفل يتحرك بكثرة اليوم.. يركل دون توقف..

اقتربت منها أمها وهمست بقلق:

-هل أتصل بوالدك ونأخذك للطبيب؟؟

هزت رأسها مخنوقة..واحاطت عنقها هاتفة:

-لاأمي.. فقط أريد الاستلقاء لبعض الوقت.. لم أنم طيلة الليل.

كانت مرهقة وهي تتذكر الكوابيس التي رأتها طيلة الليل ..

ارتجفت بخوف وهي تسمع جرس الباب وتنظر لامها بضراعة.. والتي همست بضيق:

-من يأتي دون انذار؟؟

وسرعان ماكانت خادمة شابة تطرق الباب وتقول :

-السيدة جوهرة في الصالة وترغب برؤية سيدتي.

-يالهي ألن نكتفي من اولئك القوم..

هتفت امها بضيق والتفتت لها هاتفة تطمئنها:

-لاتقلقي بنيتي سأصرفها..

-لا ماما.. الجوهرة صديقتي..

اعترضت سيادة بحدة ونظرت للفتاة:

-ضايفيها باحترام وسأتي على الفور..

ثم أسرعت للمرآة ونظرت لوجهها.. ماذا ستفعل لكل هذه الهالات السوداء والارهاق.. لاشيء بهذا الوقت القصير.. تنهدت وهي تهز كتفيها انها الجوهرة.. ابتلعت ريقها ولامست بطنها المنتفخ قبل ان تذهب اليها..

-السلام عليكم..

همست بابتسامة حالما رأتها مماجعل الجوهرة تنتفض واقفة وتقترب لتعانقها بمحبة وهي ترد السلام..ثم نظرت لبطنها بفرحة:

-انظروا لابن أخي وهو يكبر.. يارب الكون.. كيف حالك سيادة؟

اختنقت العبرة في حلقها وهي تسمع الجوهرة تشير اليه.. ولكنها أخفت احساسها بمهارة وهمست:

-انا بخير جوجو(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) وأنت؟؟

-لله الحمد.. تعالي لنجلس تبدين متعبة.

-انه لايكف عن الركل منذ الصباح.. لقد أتعبني.

همست بانزعاج وهي تمسد بطنها لتضحك الجوهرة غامزة بعينيها:

-انها شقي وقوي هذا الصغير انا واثقة انه سيولد بصحة جيدة ويثير الشغب فينا كلنا.

ابتسمت سيادة بمرح وهي تتخيل ولادة طفلها بعد كل هذا العذاب..

-كيف حال سلمى؟؟انا لم ارها منذ زمن لم لاتأتي لرؤيتي؟

عقدت الجوهرة حاجبيها وهمست بقلق:

-سلمى هي الأخرى في حالة غريبة.. لاتخرج ابداً من المنزل حتى اجتماعات النسوة بدارنا بالكاد تحضرها.. انها تنغلق على نفسها ولاأحد يعرف السبب.

-لابد انها سمعت كلمة من اولئك النسوة بسبب طلاقها.. مجتمعكم قاسٍ للغاية ياجوجو..انه بالكاد يرحم احداً.

-معك حق..

همست الجوهرة بشرود وهي تعي حالتها نفسها.. بعد مقتل زوجها على يد أخيها ورغم القلة التي يعرفون بالحقيقة الا أنها تعاني من بعض النظرات واللمزات.. حتى هي لم تسلم..

-أخبريني لم عدتي الان.. لقد كنت هنا قبل فترة وجيزة وظننتك ستبقين في البلدة لفترة بعد؟

تسائلت سيادة تخرجها من شرودها لتنظر لها متهكمة:

-عدت بسبب زوجك العزيز.

شحب وجه سيادة.. بينهم كلهم كانت الجوهرة هي الوحيدة التي تحاول كلما التقتها ان تثير مشاعرها بذكره.. وكأنما لايهمها ماتشعر به ؟!!! وبينهم كلهم كانت الجوهرة هي من تشتاق لرؤيته وتتوق لسماعه يتكلم..!!

-لقد اتصل بأمي بحالة يرثى لها.. لاأحد يترك شيوخ العزب وحدهم.. انهم يغرقون في شبر ماء.

قالتها الجوهرة ضاحكة بخبث وهي ترى احمرار وجه سيادة ونظرتها الجامدة لتواصل الضغط بأسلوبها السلس:

-قحطان لايجيد حتى غسل ملابسه وحده.. وقد سئم استخدام المغاسل الكهربائية التي تهري ثيابه.. ولاتسألي عن الطعام.. فالمطاعم قد كونت ثروة بسببه.

-لم لايزال هنا؟؟ لم لايعود لبيته؟؟

هتفت بحنق..متجاهلة ماتعرفه انه قد أصر على البقاء قريباً.. حتى يراقبها ..

-تعرفين العمل..

قالتها الجوهرة بخفوت..ثم ترددت وهي تستغفر اللّه بداخلها على الكذب الذي كانت تنوي التفوه به.. كان يجب أن يوضع حد لهذه المهزلة بينهما وهي مصممة على تنفيذ ماتريد..

-قحطان يعمل بجد.. ويرجع في منتصف الليل أحياناً.. انا لااستطيع البقاء قربه طيلة الوقت..انه يحتاج امرأة في حياته..

تصلبت سيادة والتفتت للجوهرة بحدة قبل أن تهمس بشحوب:

-أنا لــن أعود لأخيك.

-أعرف.. أنت عنيدة للغاية.

قالتها الجوهرة بهدوء مدروس.. قبل أن تتنهد وتشيح بوجهها لتلاحظ سيادة نظرة الذنب في عينيها:

-ماذا تخفين عني؟؟

-لاشيء..

قالتها بتوتر لتثير اعصاب سيادة التي هتفت بحنق:

-جوجو الان ستخبريني ماذا تخفين عني؟؟

زفرت الجوهرة بشدة ونظرت لسيادة بنفاذ صبر:

-بصراحة لقد أوصتني أمي لقحطان بمجموعة من الفتيات.

اتسعت عينا سيادة بصدمة للحظة قبل ان تهتف بذعر:

-قحطان لديه مجموعة من الفتيات؟؟

كانت تنطق اسمه بعد مقاطعة لمدة شهور وجعل اسمه ريقها يجف

لتقابل ضحكة الجوهرة الساخرة وهي تهتف:

-ماذا تظنين أخي بالضبط؟؟ شهريار؟؟!!

زمت حاجبيها بعصبية ونهضت تصيح بعصبية:

-جوهرة انا لاأريد ان أعرف شيئاً عن قحـ(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم

عبير محمد قائد) عن أخيك..انا أريد أن أنساه فقط ولايهمني لو أن

لديه عشيرة من النساء.. لايهمني.

رفعت الجوهرة حاجبيها ونظرت لبطنها مشيرة اليها بمرح:

-لاتستطيعين نسيان رجل وأنت تحملين طفله سيادة.. ثم كفي عن عصبيتك وتعالي لتجلسي..انا لم أكن الا أفضفض لك بماتريده أمي..

لم انت غاضبة هكذا؟

نظرت لها سيادة بغيظ وعادت تجلس الى جوارها.. رغبتان تصارعتا بداخلها..

تريد سماع القصة كلها وترغب بطرد الجوهرة وعدم الاستماع لها من الاساس.. ولكنها التزمت برغبتها الاولى مرغمة..

-انظري.. لقد اعطتني بضعة صور لأريها لأخي..مارأيك بهذه؟؟

جحظت عينا سيادة مصعوقة والجوهرة تفتح هاتفها لتريها صورة فتاة صغيرة السن بالكاد تجاوزت السن القانونية للطفولة..

-جوهرة هل انت مجنونة؟؟

صرخت بعنف وهي ترمي الهاتف بتقزز والجوهرة تصطنع البراءة

هاتفة:

-ماذا فعلت؟؟ ظننتك تريدين التخلص منه بأسرع وقت.. تزويجه بأخرى صغيرة سيلعب بعقله ويجعله يوافق على طلباتك كلها..

تنفســـي.. تنفســـي..

طالبت نفسها محاولة السيــطرة على لهاثها الذي لم يفعل سوى زيادة اختناقها وهي تشيح عن الجوهرة لأنها لو نظرت اليها الأن فسوف تفقد تعقلها وسوف تكسر رأسها بأي شيء أمامها..

-جوهرة..اصمتي.

هتفت من بين أسنانها المطبقتين بانفعال لتقول الجوهرة بهدوء:

-انا لاأفهمكم حقاً.. تقولين انك لاتريدينه..وحين أعطيك الطريقة لتتخلصي منه..هاأنت ترفضين؟

-تريدين مني اختيار عروس لزوجي؟؟

هتفت بجنون ثم أمسكت أنفاسها.. وهي تشعر بالاختناق للفكرة التي يبدو أنها تفسر كوابيس ليلتها الماضية.. شعرت بجسدها كله ينتفض.. يرتجف وكأنها خرقة في مهب الريح..

جلست لم تعد تقوى على الوقوف.. وهمست :

-أرجوكي اتركيني الأن ياجوهرة.

نهضت الجوهرة بحنق وهتفت:

-تطردينني؟؟

اغلقت عينيها بقوة وهتفت بعصبية :

-اذهبي لأخيكي جوهرة.. اذهبي قبل أن أحطم رأسك.

ارتسمت ابتسامة متلاعبة على شفتي الجوهرة قبل أن تلتقط عبائتها وطرحتها وهي تهتف:

-كماتشائين.. فكري واتصلي بي..

قالتها وانصرفت بينما بقيت سيادة على المقعد الوثير وهي تشعر أنه منجد بشوك حار.. ينخر جلدها بقسوة حتى كادت تجن.. نهضت تدور حول نفسها بحرقة..

تباً تباً.. هي لاتريد التفكير هكذا.. هذه الغيرة الحارقة.. هذا الألم.. هذا الغيظ .. رباااااااااه انها تغار .. لا لا .. لم تكن غيرة كان احساس لايوصف ينهشها كذئب متوحش من اعماقها..

كيف يمكن ان تسكت عن هذا؟؟ هذا الألم..

هي لاتريده بعد الان.. هي بالطبع لاتريده.. ولكن فكرة ان يكون لامرأة سواها..

سمعت تحطم الزجاج واتسعت عيناها وهي تدرك انها رمت بمزهرية قريبة عرض الحائط..بكل قوة لتهشمها لألاف القطع.. كانت تلهث بذهول.. حين جائت أمها لتحيطها بحنان وهي تحاول تهدئتها بسيل من الكلمات الفرنسية والتي لم تفعل شيئاً سوى ادرار دموع كالسيل وهي تغرق في حضن امها..

شهقت بألم ومرارة.. وهي تدمدم بألم لايتوقف:

-سأموت ماما.. سأموت..

ضمتها ايفا بقوة وهي تشعر بالضياع.. مالذي قالته لها الجوهرة لتحطم قوة ابنتها وتبعثرها بتلك الطريقة..!!

أما الجوهرة فقدد نزلت الى حيث السيارة تنتظرها بابتسامة واثقة.. كان عليها الأن ان ترمي بثقلها عليه هو.. كان على أحد أن يحرك المياه الراكدة.. وهي ستفعل..

دخلت السيارة بهدوء وأمرت السائق بنعومة ان يذهب بها للمركز التجاري .. الكثير كان ينقص قحطان من مواد غذائية واستهلاكية وهي تنوي ان تعوض ذلك النقص..

لم تسمع السائق الذي انطلق بالسيارة بخفة وكأنما تسير على وسادة هوائية.. نظرت له باستغراب.. لم يكن السائق نفسه ..اتسعت عيناها بذعر وهي تهتف:

-اوقف السيارة ودعني انزل الان.

-ولم تريدين النزول؟؟ ألم تقولي بأنك تريدين الذهاب للمركز التجاري؟؟

اتسعت عيناها بذهول وهي تنكمش في مقعدها وتتعرف على الصوت عميق النبرات.. وكيف تنساه..؟! الرجل الذي أخذها لرؤية جثة حسن؟! صديق قحطان ورئيس حراسته؟!

-لم أتيت؟!

هتفت بحيرة وهي تبتلع ريقها ليبتسم لها عبر المرآة الداخلية:

-السائق..تعرض لوعكة وقد كنت قريباً..ولم أمانع.

ابتلعت باقي تساؤلاتها وتراجعت في مقعدها وهي تكاد تمزق قماش عبائتها الحريرية بتوتر.. لم تتوتر..انه مثله مثل غيره.. مجرد حارس شخصي يعمل لدى أخيها.. لايجب أن يثير توترها بأي شكل..

كان الصمت يلفهما وهي تشاغلت بالنظر لمعالم المنطقة الجديدة التي يقطعانها باتجاه المركز التجاري.. رغماً عنها أُخذت بالرائحة العطرة التي تسللت الى أنفها.. رائحة رجولية لن تخطئها.. عطر خفيف ولكنه ثابت ومحرك للأعصاب.. استرقت نظرة للرجل الذي يقود السيارة بكل كفائة .. وتأملته خفية..كان طويل القامة بحق.. وكأن رأسه سيصل لسقف السيارة..كتفيه عريضين وجثته ضخمة مقارنة بأخوتها.. يده العريضة تحكمت بالمقود بسلاسة.. واصابعه الطويلة التفت حوله بإحكام..

لم تتبين ملامح وجهه جيداً من مكانها ولكنها تتذكر ملامحه.. لم يكن وسيماً كأخوتها بالطبع.. ولكن كان هناك قوة تشع من عينيه الضيقتين..

نفضت عنها أفكارها الجريئة بنفس قصير مرتفع وعينيها تتسعان بذهول لماذهبت اليه أفكارها..

-هل من خطب؟؟

سمعت صوته الهادئ لتنظر له مذعورة..هل فطن ماكانت تفكر به..؟؟!!

-لاشيء مهم..

هتفت بسرعة ليبتسم ويعود بعينيه الى الطريق..

وصلا الى المركز وهناك رافقها بسلاسة لتنظر له باستغراب فقال مقرراً:

-انت ذاهبة للتسوق.. وأنا سأساعدك..لن تستطيعي حمل كل شيء وحدك.

-أستطيع تدبر نفسي جيداً..

اجابت بجفاء ليهز كتفيه بلااكتراث ويرافقها دون ان يلقي بالاً لاعتراضها.. وكان محقاً..

الاشياء التي اشترتها كانت تعبئ عربة التسوق بشكل كبير حين عادا الى السيارة وشعرت بالخجل وأكرم يضعها بصمت في صندوق السيارة دون أن يشتكي اويعترض.. لقد بقي معها طيلة فترة الصباح ولم يبتعد عنها الا لذهابه للمسجد عند أذان الظهر فقط..

جلست في السيارة بانتظاره ان يقودها للمنزل ولكنه انحرف لطريق جانبي باتجاه البحر واوقف السيارة تماماً..

-لما توقفنا هنا؟؟

تسائلت بتوتر ليزفر أكرم مطولاً.. وقبل أن تسرع بالقاء المزيد من التساؤلات فاجأها هو بقوة:

-لم رفضتنـــي؟؟

نظرت له بحيرة في البداية.. لم تفهم مايعني..ثم اتسعت عيناها بذهول وهي تدرك مالأمر.. كان هو؟؟

-أنت؟؟!!

-ألم يخبرك قحطان عني؟؟

قالها متفاجئاً لتبتلع ريقها بصعوبة وتتلفت حولها بذعر:

-اعدني الى منزلي.. الأن..

-تقنياً هو منزل قحطان.. وهو يعرف تماماً انني الأن معك .فلاتتصرفي بهستيرية.

قالها بنفاذ صبر لتشهق بصدمة من تصرف أخيها المشين ليسارع أكرم:

-بيننا حديث يجب أن يتم.. أريد أن أعرف الأن لم تصرين على الرفض؟؟

-انا لاأريد مناقشة الأمر معك..واذا لم تقودني لمنزل أخي في التو فسأغادر وأخذ سيارة أجرة.

هتفت بغضب.. ليغلق امان ابواب السيارة بحركة واحدة جعلتها تنتفض مذعورة وهو يهمس بخفة:

-انت لن تغادري قبل أن اخبرك بمااريده.

-ماذا تريد مني؟؟

-انا أريد الزواج بك..

قالها بصراحة وثقة جعلتها ترتجف والعرق يتصبب منها بطريقة مخجلة وهي تحاول ايجاد سبيل للهرب بينماتصرخ بحنق:

-وأنا لاأريد الزواج بأحد.

-لماذا؟؟ أنت لاتزالين شابة..

تسائل بحنق لتنتفض بيأس وتصرخ:

-انا أم لطفلين..لايوجد رجل عاقل يقبل بعائلة جاهزة..

كانت تبرر مخفية حقيقة مشاعرها.. وقلبها يصرخ بوجع ان لايوجد رجل عاقل يقبل بامرأة تحمل ندوباً في جسدها أكثر بكثير من سنوات عمرها..

-أنا أقبل..

قالها ببساطة لتنظر له بذهول.. فيواصل بحنان وهو ينظر لها عبر المرآة:

-أناأعرف كل شيء .. ماحدث معك وزوجك السابق انا..لدي فكرة.

اتسعت عينيها بذهول وهمست بصوت مخنوق:

-كيف؟؟!!

-قحطان أخبرني..

-كيف يجرؤ..؟؟

انسابت دموع الخزي من عينيها وهي لاتقوى على ابعادهما من مغناطيسية عينيه عبر المرآة ليجيب بهدوء:

-لأنه رجل صادق.. حين طلبتك للزواج قبل ثلاثة أشهر تقريباً لم يتردد باخباري عماعانيته مع زوجك السابق.. أخبرني انك مجروحة ومتألمة ممافعله بك والله اعلم مافعل ولايعلمه سواك..

-ليس من حقه ان يخبرك..

همست باكية ليقول بحزم:

-قحطان يثق بي.. وهو لم يقل لي هذا الا لأنه يدرك ان رغبتي بالاقتران بك صادقة.. أرادني ان اعرف كل شيء قبل أن اكرر طلبي.. ورغم رفضك فأنا قد كررته اكثر من مرة ولازلت مصراً عليه.

-لماذا؟؟

همست بحيرة..واضافت بمرارة:

-لم تريد الاقتران بامرأة مثلي قد انتهى حظها في هذه الدنيا..

-لاتقولي هذا..

هتف بحنق..يارب الكون كيف تفكر هذه المرأة..كيف تظن انها خسرت حياتها بسبب تجربة فاشلة فقط..

-اسمعيني جيداً .. انا مررت بتجربة فاشلة بنفسي.. تجربة ارغب بمحيها من ذاكرتي ولكنني لااستطيع.. انها جزء من حياتي كما كانت تجربتك انت..

-لاشيء..لاشيء يقارن بماحدث لي..

هتفت بألم ليتنهد بحرارة:

-أعرف ان ماعانيته وأعرف انها تجربة بشعة..وكل ماحدث بعدها كان مؤسفاً ولكنني لست كحسن.

اغمضت عينيها بحرقة وهتفت:

-أرجوك خذني للبيت.

تنهد وهمس:

-عديني أن تفكري بالأمر مجدداً.. عديني ان تعطي لنا فرصة..

-لماذا؟؟ مالذي تريده بواحدة مثلي؟؟

تسائلت بمرارة ليتصلب قبل ان يهمس:

-لأنني أحبك..

نظرت له بذهول فابتسم لها بثقة وهو يواصل:

-حين رفعتي السكين بوجهي ذاك اليوم.. وحين أخذتك لرؤية جثة طليقك المشوهة.. كنت شجاعة للغاية ولم تخشي شيئاً وانا.. لم اقابل امرأة في حياتي بمثل شجاعتك ..حينها عرفت أنني وجدتك..

تجمدت مكانها وسمعت صوت محرك السيارة يعمل وهو يعود لينطلق بها .. ورغماً عنها شعرت بدموعها تجف..وقلبها يرتجف.. لأنها ولأول مرة منذ سنوات..

تسمع كلمة احبك.. بمثل هذا الصدق.. وهذه الثقة.

***

نيويورك.. الربيع..

انتشرت خيوط الشمس واخترقت الأغصان الباسقة للأشجار في السنترال بارك وبسطت صورة رائعة الجمال للأرض وكأنها توقظها بلمسات حانية.. استمع صوت الطيور المبكرة وهي تغادر أعشاشها بحثاً عن لقمة العيش وانتشرت روائح الزهور بشكل مكثف..

وعلى مقعد حدائق منفرد جلس ينظر لبعض الاوز البري يتنافس على فتات الطعام الذي يلقيه بشرود.. وحين انتهى من قطعة الخبز التي حملها معه من مخبز قريب كعادته اليومية نهض بخفة وتجاهل الألم الذي انتشر عبر ساقه وهو يتسند على عكازه بقوة ويتخذ طريقه لوجهته اليومية..تأمل المبنى المنخفض بسوره الأبيض وسقفه القرميدي المثلث ثم دخل ملقياً تحية مقتضبة للحارس الذي بات يعرفه .. وشق طريقه متسنداً على عكازه الى غرفة جانبية حالما دخلها واجهته رائحة المعدات ممتزجة برائحة العرق..

نفض سترته وترك عكازه وهو يتقدم الى كرسي طويل جلس عليه وسرعان ماقتربت منه فتاة طويلة القامة بابتسامة واسعة وأمريكية خفيفة:

-كيف حالك اليوم؟

-سيئة..

زمجر بخشونة لتتجهم ملامحها وتزم شفتيها:

-هل حدث شيء؟

-ساقي متشنجة ومنذ ليلة أمس والألم لايطاق.

تنهدت الفتاة واقتربت تكشف عن ساقه.. كان الجرح الطولي يمتد من منتصف الفخذ الى أسفل الركبة.. تعرف أن الرصاصة التي تعرض لها تسببت بكسور مضاعفة لعظمة الفخذ واحتاج الأمر لثلاث عمليات جراحية لاستعادة هيكل العظم السليم.. والان لايزال في بداية رحلة العلاج الطبيعي.. وهو غير متعاون البتة..

-سيف عليك أن تكون اقوى من هذا.. بعد كل مامررت به الألم الان يجب أن يكون أخف.

-ولكنه ليس كذلك وتلك الحبوب التي تصرفينها لي لاتنفع بشيء.

هدر بعنف لتنتفض الفتاة قبل أن تتمالك نفسها وتتكلم بحزم:

-انها الحبوب المناسبة لك تماماً وكونها لاتنفع فهذا لايعني سوى ان ماتشعره من ألم ليس هنا..

وأشارت لساقه .. ثم رفعت يدها لرأسه وهتفت برقة:

-بل انه هنا..

نظر لها بخواء..ماذا يعرفون عن ألمه؟؟!!

عن قسمه الذي تعهد به.. عن حبه الذي تخلى عنه..

ماذا يعرفون عن ألم القلب وحرقته..

أنه ينخره من الداخل ويتركه كمنخل قديم.. لافائدة منه ابداً..

-لم لانبدأ التمارين..

همهم ببرود فتنهدت المعالجة بصبر وبدأت تمارينه الخاصة.. استلقى هو دون حراك بينما تقوم بتحمية عضلات ساقه كالمعتاد قبل البدء بجلسة علاجه الطبيعي المؤلمة..

وشرد عقله بعيداً كالعادة حين يترك جسده المتضرر يسترخي..بعيداً عن الشد والعصبية التي غلفت وعنونت حياته الحالية..

شرد اليـها ..ومالذي حدث قبل ثلاثة أشهر؟ وأخر مرة رآها قبل أن يأخذونها بعيداً عنه بكل قسوة.. اغمض عينيه وتذكر بلحظة ذلك اليوم حين استيقظ على نهنهاتها التي مزقت قلبه.. كان كل جسده يؤلمه.. وكل المه اختفى حين سمعها تناديه حبيبي..

اراد ان ينهض من رقاده ليمسح دموعها ويضمها الى صدره ويطمئنها أن كل شيء سيكون بخير..

ولكنها رحلت..

فتح عينيه بعاصفة من الغضب وهو يتذكر مظهر ذلك العجوز وهو يأمرها بالرحيل..

كانت تلك أخر مرة يراها بها..

ابتلع غصة وهو يتذكر العجوز الذي سأله عمن يكون بكل قسوة..

وسأله عمايريد بكل وضوح..

"أريدها هـي"

همس برجاء.. لتشتد عينا الجد ويقبض على عصاه بقوة تكاد تحطمها قبل أن يأخذ نفساً عميقاً ويقول بصوت حازم:

-لقد فديت حفيدي بحياتك ونحن مدينون لك..

نظر له سيف بأمل ليحطمه لأجزاء وهو يستطرد:

"ولكن ماتطلبه هو المستحيل بعينه..ابنة الشيوخ محرمة عليك يا ابن السلطان, وطلبك هذا يتوجب عليه أن نقتلك ولكننا سنعفي عنك..

وستكون حياتك هي مقابل انقاذك لحفيدي"

"أنت..أنت لاتعني ماتقول"

همس متحشرجاً.. ليواصل الجد وكأنما لم يسمعه:

"غداً ستصل عائلتك كما أظن.. من الأفضل أن تبقي ماحدث لنفسك.. والا فإن عائلتك هي نفسها من ستقوم بماعفونا نحن عنه.. فهكذا دأب ذئاب الشيّب.. تأكل بعضها ان خرجت عن قوانين القبيلة.."

"لاتفعل بنا هذا.. أنا وسلمى نحب بعضنا"

صاح بألم ليشيح الشيخ بوجهه هامساً بصرامة:

"لاتقل مثل هذا الكلام مجدداً.. ان سمعك أحد أخوتها.. فسلمى نفسها من ستواجه مصير القتل.. نحن شيوخ لاتعترف بهذه التفاهات.. ولاشيء يبرر الخطأ عندنا ولايغفره الا الدم"

راقب حينها خروجه بذهول.. لم يجرؤ على ان يفعل شيء.. لم يجرؤ حتى على ان يتوسله.. شعر بقلبه ككتلة سوداء ثقيلة تجثم عليه.. وفعلاً..

وصل ابناء عمومه في اليوم التالي.. ودون أن يصلا معه لنتيجة حول من تسبب بماحدث له تركهم يرتبون أمر نقله الى الولايات المتحدة بأسرع وقت ممكن.. بطائرة مجهزة.. ليستكمل باقي علاجه تحت اشراف أمهر الأطباء..

ومنذ ثلاثة أشهر لم يسمع عنها شيء..

حاول الاتصال بها مراراً ولكن على الدوام كان رقمها مغلقاً..

حتى أصبح اليأس عنوانه.. وأدرك انها أصبحت المستحيل بالنسبة اليه وأن لاشيء يستطيع فعله ليحصل عليها.. لقد أصاب اليأس قلبه.. وويل لقلب سقمه اليأس.

-لنذهب الى المضمار..

سمع معالجته تهمس بهدوء وهي ترى استغراقه في أفكاره لينهض ببطئ.. ويتبعها بصمت..

ذلك المساء كان هناك مناسبة خاصة عليه حضورها كجزء من حياته الاجتماعية التي يكرهها.. وبالفعل لقد كره كل لحظة قضاها برفقة من يُفترض أنهم أصدقاءه ورفاق العمل في تلك الليلة الربيعية الهادئة.. كان يقبع في ركن منزوي يراقب الظلام ينتشر عبر مدينة مانهاتن وتنتابه غصة وهو يتذكر ليلة مماثلة قبل شهور حين التقاها..

كانت تبدو فاتنة رائعة الجمال ولم تترك صورتها مخيلته قط..

اغمض عينيه بيأس وهو يحتسي الشراب المسكر دفعة واحدة علّه ينسى..ولكنه لايفعل..كل مافي الأمر انه يتذكر بصورة أكبر وأكبر..

"المعذرة؟؟"

سمع الاعتذار الرقيق لينتفض وهو ينظر للمرأة التي اقتربت منه بتؤدة..

"لاأظنها ستقدر اغراق نفسك بالشراب وابتعادك عنها بهذه الطريقة"

نظر للمرأة بذهول.. أين رآها من قبل؟؟

-من أنت؟؟

همس بخشونة لتقترب مبتسمة:

-صديقة مشتركة..

-أنا لاأعرفك..

قالها بصلابة ولهجتها المصرية تثير فيه الشكوك..

-ولكنها تعرفني حق المعرفة..

انتفض قلبه باستجابة .. هي؟؟!! لاتوجد هي .. سواها..

-سلمى؟؟!

همس بخشونة أرسلت قشعريرة على طول عموده الفقري.. رباااه كم اشتاق لأسمها يخرج من بين شفتيه بعد شهور من صراخه الصامت به..

-لايوجد غيرها.

-هل تعرفينها؟؟ هل رأيتها؟؟

تسائل بلهفة مجنونة لتنظر له المرأة والتي لم تكن سوى ريهام

صديقة سلمى المصرية والتي التقتها في باريس:

-أناأعرفها.. ولكنني لم ألتقيها منذ باريس.. لقد اختفت فجأة ولم

اعرف عنها شيء.

استبد به اليأس..وانطفأت اللهفة من عينيه لتعود وتشتعل وريهام

تضيف بمكر:

-حتى قبل اسبوعين..

تحجرت الكلمات في حلقه وهي تواصل:

-لقد استطعت الحصول على رقمها من خلال سيادة.. تعرفها

بالتأكيد.

-هل كلمتك؟؟هل أجابت عليك؟؟

-لقد تكلمنا..

همست بغموض ليقترب منها بحدة:

-احتاج أن اكلمها أرجوكي.

-أنا أسفة.. سلمى قطعت عهداً على جدها ألاتكلمك ابداً.

جلس على مقعد قريب ووضع رأسه بين كفيه :

-أنا أحتاجها..

-وهي تحتاج اليك..

رفع لها عينين بائستين لتقول بحرارة:

-سلمى تحبك بجنون.. وحبها يمزقها فهي لاتعرف كيف تنهيه ولاحتى كيف تحتويه بداخلها.لقد قضت شهوراً تجاهد لتقنع بالحياة كما عاهدت جدها ولكنها لم تعد تقدر.. لقد أخبرتني بكل شيء حدث وبصراحة أنا أظن بأنك لم تقم بماعليك فعله نحوها.

-أنا لاأعرف ماعلي فعله.. أمامي سنوات من الكراهية والرغبة بالثأر ولااعرف كيف.. أتخطاها.

قال بعجز لتهتف به:

-انت رجل.. باستطاعتك الوقوف امام الجميع ..افعلها ياسيف.. سلمى خُذلت من قبل فلاتخذلها أنت الأخر.

نظر لها بتشوش لتقترب وتجلس بجواره:

-لم أكن أنوي ان افتح فمي.. لقد وعدت سلمى التي ائتمنتني على سرها..ولكنني رأيتك قبل ايام.. وتعرفت اليك على الفور.. والان بصراحة لم اعد اقدر على السكوت.. شعرت بأن انتقال زوجي الى نيويورك ولقائاتي المتكررة بك يجب أن تكون لهدف..وسلمى هي ذاك الهدف الذي أصبو اليه..لاتتخلى عنها ياسيف.

تراجع في مقعده بوهن..

ماذا سيفعل..؟؟ مالذي يقدر على فعله وسط معمعة كثأر قديم وكراهية متقدة..

هل يستطيع الحب وحده أن يفعل المعجزات؟؟ أم أن زمن المعجزات قد ولى كمايقولون؟؟

***

ألمـــانيا.. فرانكفورت

تفتحت الأزهار بالرغم من بواقي الثلج على قمم الجبال التي ظهرت في المدى..وامتلأت الشوارع بروائح الربيع وانحسرت الغمام عن السماء وبدت مشرقة بشمس ربيعية هادئة..

لم ترى هذه الكمية من الأزهار في حياتها.. ابتسمت باشراق وهي تضمها لتتنشقها بعمق قبل أن تضعها في وعاء خاص من البلور..

ووقفت تنظر حولها بتوتر..

"واااااااااااو..انه رااااائع"

سمعت صوت شقيقتها خلفها يهتف باعجاب صادق فالتفتت نحوها وهتفت بلهفة:

-أتظنين؟؟

-انه رائع.. يالهي انظر يوسف..

تأمل يوسف الشهري الغرفة الواسعة لطفليه والتي أُعيد تزيينها بطريقة رائعة تشي بذوق رفيع وموهبة خفية..

-نادين انت موهوبة.. لاأصدق كيف كانت الغرفة وكيف أصبحت..

-انظر للألوان وكأنني في حديقة أزهار..

هتفت همس باعجاب ثم نظرت لابنتها وقالت بتساؤل:

-مارأيك بغرفتك الجديدة؟؟

تلفتت ليان الصغيرة حولها بفضول قبل ان تركض الى الحائط الذي احتوى على زينة من الازهار البراقة والفراشات بشكل جميل..

وألصقت ظهرها له ونظرت لوالدها بشقاوة هاتفة بفرح:

-انظر بابا..انا فرااشة كبيرة..

ضحك يوسف من اعماق قلبه واقترب يرفع ابنته اليه بحب وهو يهتف:

-انت فراشة شقية وانا لن أسمح لك بالطيران بعيداً ياصغيرة..

ضحكت همس لمنظر زوجها الذي يعشق ابنته بشكل ميئوس منه ونظرت لطفلها الاخر والذي كان يتسلق سريره في الجهة الأخرى بصعوبة وهو يصيح بكلمات متلعثمة:

-أريد ركوب سيارة..

سارعت نادين نحوه ورفعته على فراشه الذي يتخذ شكل سيارة سباق سريعة حمراء..وهي تضحك بحنان.. بينما قالت همس بفرح:

-انت حقاً موهوبة نادين.. لم نكن مخطئين حين عهدنا اليكي مهمة تغيير ديكور الغرفة..

-لقد استمتعت بها..

هتفت بصدق ليقترب يوسف ويقول بثقة:

-كنت واثقاً منك نادين.. واعتقد ان اختيارك لدراسة التصميم هو القرار الأمثل..انها موهبة فريدة.

اتسعت ابتسامتها بتشوق.. وهي تومئ برأسها.. ونظرت حولها لتلك العائلة التي أصبحت جزءاً منها هي واختها سارة.. ورغبت أن تحتفظ بهذا الحب الى الأبد.. خفق قلبها بعنف ونظرت لسارة التي كانت تشارك ليان لعبها بالفراشات الملونة وتضحكان بمرح..

كانت همس وزوجها هما اعظم هبة حصلت عليها.. لقد ساعداها في كل خطوة حين وصلت لألمانيا.. لم يتركا لها الفرصة حتى لتتنفس.. كانت مباشرة تدخل الى كورسات مكثفة لتعلم اللغة وفي المنزل كانا يقضيان معها ومع سارة الساعات الطويلة لتتقنها..

حتى ان يوسف اشترى منزلاً جديداً أوسع بكثير من منزله السابق..

كان يصر انه خطط لهذا من قبل ولكنها تدرك انه فعل هذا من أجلها وسارة..

أصبح لهما غرفة واسعة مشتركة.. زينتها وفرشتها نادين بنفسها..

وحالما رأت همس مافعلته بغرفتها بدأت تشجيعها على التفكير بدروس التصميم.. وهاهي تدخل ذلك العالم..

واول انجازتها كانت غرفة الصغيرين..

ومنذ الاسبوع القادم ستبدأ دروسها الفعلية..

تنهدت بحرارة.. حياتها الماضية تبدو وكأنها مجرد كابوس.. مظلم مؤلم.. يوقظها ليلاً أحياناً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ولكنها انتهت منه.. بتشجيع من همس ويوسف.. وقفت على قدميها مجدداً وهي لاتنوي الوقوع..ابداً بعد الأن..

هاجمتها صورته للحظة.. وشعرت برجفة تجتاحها.. علي؟!!!

-هل أنت بخير؟!

احاطتها همس بقلق لتنظر لها بقلق:

-أحتاج لأن أتكلم معكي..

نظرت لها همس بتوجس قبل ان تمسكها معلنة انهما سيقضيا بعض الوقت لوحدهما محملة يوسف مسؤلية طفليه بمرح:

-انت مسؤول عنهما..

اتسعت عيناه بهلع حين ركض الاثنان نحوه بشراسة ملقيانه على فراش ليان ترافقهما سارة ضاحكين بصخب بينما تسللت همس ونادين التي هتفت بتوتر:

-أتظنين انه من الصواب تركه لهم هكذا؟؟

-دعيه يتحمل مسؤولية نزواته بنفسه لمرة واحدة..

ردت بخبث وهي تقود نادين لغرفتها الخاصة ثم الى شرفة منعزلة تطل على منظر رائع للجبال وجلستا معاً وهمس تقول:

-اترغبين بالشاي؟؟

-لا..اريد ان انتهي من هذا الأمر..

نظرت لها همس بقلق لتخفض نادين عينيها وتقول بصوت جامد:

-1اريد أن أخبرك ماكنت أفعله في عدن..

-نادين ليس عليكي ان ..

-بلى..

قاطعتها باصرار.. ثم نظرت للجبال وهمست:

-لديكي الحق أن تعرفي.. وأن تخبري زوجك وأن تقررا بقائي معكما من عدمه.

شعرت همس بالخوف.. لقد وجدت شقيقتها أخيراً.. جزءاً حقيقياً منها يرتبط معها بالدم.. ولاتريد أن تفقدها.. الا أنها صمتت جزء منها يشعر بالفضول والاخر.. يريدها أن تخرج تلك الاسرار من كاهلها علها ترتاح ..

-بدأ الأمر حين كنت في السادسة عشر.. كنت عائدة من المدرسة.. تحشرج صوتها وذاكرتها تعود بها الى ذلك اليوم الأسود..

-حين وصلت الى المنزل كان فارغاً على غير العادة.. بحثت عن امي ولم أجدها.. شعرت بالخوف ولكن سرعان ماظهر أمامي..

اختفى صوتها وهمس تناظرها برعب.. لاتريد أن تفكر بماحدث لتلك الطفلة.. لاتريد حتى ان تتخيل ولكن نادين رفعت رأسها حينها..

ونظرت في عينيها بثبات وهي تواصل:

-كان شاباً يعمل لدى خالتي..لااعرف مايفعله بالضبط غير انني كنت اراه في المنزل طوال الوقت..يرمقني بتلك النظرات الخبيثة ولايكف عن مد يده وملامستي بطريقة مقززة كلمامررت الى جواره او تعمد الجلوس معي .. سألته عن امي وخالتي ولم يجبني.. وجدت نفسي

اركض خائفة من مكان لأخر وهو يطاردني كالمجانين.. حتى أمسكني..و..

-يالهي نادين..

اقتربت همس منها لتضمها لصدرها بقوة ونادين تجهش بالبكاء.. لم تخبر أحد قط عن هذا.. لم تفتح فمها بماحدث يومها.. الألم.. العذاب الذي عانته وهي تقع تحت شاب طائش.. متوحش لم يرحمها وهو يجردها من أغلى ماتملكه اية فتاة.. بكل قسوة وبرود..ليتركها جثة هامدة.. بلاروح.. فقدت كل مستقبل لها في حياة كريمة.. مجرد خرقة بائسة مستعملة..

همس أدركت ان نادين لابد عانت الامرين بعد ذلك الامر.. وتركتها تفرغ مافي صدرها من مشاعر بكلمات متلعثمة وهي بالكاد فهمت منها القليل..

أدركت ان امها وخالتها تركتا ذلك المتوحش يفعل فعلته بتدبيرهما.. لتصبح نادين احدى اوراقهما الرابحة في تجارتهما الدنيئة.. مجرد طفلة في عامها السادس عشر.. فكرت بهول ماحدث لها..ماتعرضت له..

-حاولت ان اقاوم.. ولكن زوج امي كان يجبرني على الدخول الى احدى تلك الغرف.. ثم يتركني برفقة احد اولئك المقززين..

نظرت لهمس الذاهلة بألم وهتفت:

-كنت مجرد طفلة ولم أكن اعرف سوى الألم ياهمس..

مسحت همس دموعها وهي تحاول السيطرة على مشاعرها المتخبطة ونادين تستعيد هدوءها وتواصل:

-ولكنني كبرت.. وتعلمت.. تعلمت ان اخدع.. وان اوقع بالرجال ..أن اخدعهم لأخذ المال.. بطريقة او بأخرى أصبحت واحدة منهم..

-انت لست كذلك..

قالت همس بألم لتضحك نادين بجفاف:

-بلى كنت.. ثم وكمن يوجه لي صفعة على وجهي استيقظت..

وشردت ببصرها وهي تهمس:

-كانت سارة بالكاد في عامها الثامن.. وكنت سأخرج في موعد كالعادة .. وحين جاء موعدي نظر لي بعدم رضا.. قال بأنهم أخبروه انني صغيرة السن.. ولكنني اكبر بكثير مما يحب..

قالتها بقرف وهي تغلق عينيها لتلك الذكرى.. وهمس تناظرها بجزع..

-حينها اتت لي سارة بكل براءة وطلبت مني احضار حلواها المفضلة حين اعود.. وامام عيني رأيت شهوة ذلك الحيوان في عينيه.. وهو ينظر اليها وهي تطالعه بكل براءة.. وقال لي بجوع ألا تأتي تلك الصغيرة فوق البيعة؟؟

شهقت همس بذعر وهي تتخيل ليان.. تتخيل ان ينظر لها أحد بتلك الطريقة وكادت الأرض أن تميد تحت قدميها ونادين تهمس:

-حينها أدركت انني يجب ان اخرج من هناك.. حين ذهبت مع ذلك القميئ الى الفندق القذر الذي تتعامل معه خالتي.. أسكرته حتى الثمالة.. ثم ضربته بكل قوتي ياهمس.. ضربته بين ساقي حتى رأيته ينزف الدم وادركت حينها انه لن ينظر لأي طفلة كمارأيته ينظر لشقيقتي الصغيرة..

ضغطت همس على كفي نادين بقوة لتنظر لها تلك بشجاعة وتهمس:

-ومنذ ذلك اليوم وأنا نظيفة.. لم يلمسني رجل.. ولم أفرط بنفسي قط..

-اوه يالهي..

هتفت همس وهي تعانق نادين بقوة.. لتهتف الاخيرة بصدق:

-أنت الان تعرفين حقيقتي.. تعرفين كل مافعلت.. ارجوكي فكري..انت ويوسف..أخبريه..بكل شيء لو أردتي.

-لا لا..نحن لن نغير رأينا بك ابداً..

-خذي وقتك همس..

-لا لن أفعل..

قالتها بتصميم ونظرت لشقيقتها بعينين صافيتين وهتفت:

-انت تائبة..وفعلتي كل ماعليكي لتخرجي من تلك البؤرة .. ولسنا نحن من نعظ ونقيم.. انت أختى ولن أتخلى عنك.

رفرفت عينا نادين بتأثر وهمست بألم:

-يوسف؟؟

-يوسف من جمعنا ببعضنا من الاساس.. وهو يثق بي وبقراراتي.. انت جزء من العائلة نادين.. ولن تفلتي منا.

اضافت ضاحكة وهي تمسح دموعها لتشاركها نادين الضحك الغارق بالدموع وتعاود معانقتها وهما تسمعان الفوضى القادمة ليدركا ان يوسف فشل في السيطرة على العاصفة التي تركوه ليحجمها..

***

عـــدن..

أغلق سيارته بهدوء وعلق حقيبته على كتفه بينما يتوجه نحو مبنى المستشفى الضخم استعداداً لمناوبة جديدة ..

"عـلي!"

توقف بحدة واستدار ينظر لصاحبة الصوت الخافت..

"ترنيم!!؟؟"

اقتربت منه ببطء ليهمس بقلق:

-ماذا تفعلين هنا في هذه الساعة؟

كانت عيناها باردة بعيدة..وكأنها فتاة أخرى..

-جئت لأودعك..

اتسعت عيناه بدهشة.. كانت ثلاثة أشهر مضنية للجميع..ماحدث لهذه الفتاة الرقيقة..الحادث الذي تسببت به وراح ضحيته طفل بريء.. جعلها تدخل في صدمة نفسية قوية لم تخرج منها الا بعد شق الأنفس..ولاأحد يعرف عمق الأذى الذي تسببت به لحالتها العقلية بعد.. لاتزال تحت العلاج النفسي..لاتزال تحت مراقبة شديدة من عائلتها ومنه.

-تودعينني؟؟

تسائل بحيرة لتواصل بصلابة:

-أنا مسافرة..

-الى أين؟! وهل من المعتاد ان يكون خطيبك هو اخر من يعلم؟

زفر بحدة لتحرك رأسها بقلق..

-انا تحدثت مطولاً مع عائلتي.. ورغم أن لاأحد يوافقني على ماسأفعله

الا أنني مصرة عليه ياعلي..

صمت بانتظارها ان تكمل ..

-لقد اتخذت بضعة قرارات وأريد دعمك..

-أنت لست بحالة تسمح لك باتخاذ قرارات مهمة الأن..

قالها بمهنية بعيداً عن التعاطف لتشع عينيها بوجع وهي تصرخ:

-أنا لست مجنونة..

-أنت في حالة صدمة..

رد بحزم قاطع لتضحك بسخرية:

-لقد تجاوزت صدمتي منذ فترة.. انا أعرف جيداً ماذا فعلت..

-أنت لم تفعلي شيئاً.. كان مجرد حادث.

هتف بمهادنة لتنظر له بتجمد وتهمس بصوت شاحب:

-انا قتلت طفلاً صغيراً ونجوت بفعلتي ياعلي.

-كان حادثاً.. والديــة مشروعة في الدين.. وقد قبلتها عائلته لأنها تحتاجها..كانت عائلة فقيرة وبسببك أصبحت الان تملك منزلاً ورب الاسرة لديه عمل خاص به يعيش وأسرته منه.

لمعت الدموع في عينيها وهمست:

-وبسببي أم فقدت صغيرها.. قلي ياعلي..لو كان ابنك..هل كنت لتسامح؟؟ لتقبل الدية؟؟

ابتلع ريقه بجفاف..

-انها ظروف مختلفة..

-الشيء الوحيد المختلف ان والدي العزيز قرر ان ابنته المدللة لايمكن ان تتعفن في السجن.. ولأنه مختار الراجي العظيم.. فلاشيء يقف بوجهه,

صرخت بمرارة ليتلفت علي حوله بقلق..كان بعض الناس قد استرقوا النظرات اليهما بفضول..

-اهدئي ترنيم.. والدك عمل المستحيل لحمايتك..وهو لم يخالف القانون..ابداً..انه يحميك.

-وأنا سئمت من هذه الحماية..

زفرت بسخط.. ثم أخذت نفساً عميقاً وهتفت:

-أنا سأسافر بعيداً.. لاأعرف لكم من الوقت..

-و دراستك ؟؟

تسائل بحنق لتنظر له بجمود:

-لقد سحبت اوراقي اليوم..

-ماذا؟؟؟

صرخ بحدة وبصدمة لتفسر بصوت مرير:

-الطبيـب.. يعيد الحياة.. يزرعها ويراعيها.. لايأخذها بقسوة وطيش.

نظر لها بصدمة قبل ان يرفع يديه يهدئ من روعها ويهمس:

-أنت تحتاجين لفترة نقاهة ياترنيم.. خذي بعض الوقت..

-معك حق.. ولكنني سأخذ الكثير من الوقت ياعلي..

نظرت له لفترة طويلة قبل ان تقوم وبكل بطء بنزع محبسه من يدها

تحت انظاره الذاهلة وتناوله اياه هامسة:

-لاأستطيع أن أكون معك.

-مالذي تفعلينه؟؟

همس بغضب لتجيب:

-حاولت ان أشرح للجميع اننا يجب ان ننهي الأمر.. ولاأحد يصغي..

والدي لايريد حتى مناقشة الأمر..يقول ان لاأحد يرفض أحد شيوخ العزب..

كانت لاتزال نظرته عاصفة وهي لاتزال تحمل محبسه له:

-وأنا لاأستطيع ان ابقى معك ياعلي.. أنا أحتاج للبقاء وحدي..انت لم تعد تناسبني.

-لاتقولي هذا..انت لاتفكرين بتعقل.

-انا راحلة ياعلي..ولن اعود قريباً.. سأذهب للبقاء مع عمتي خارج البلاد ولاأعرف ان كنت سأعود.

لايعرف مايقول..لابد ان عائلتها قد رفضت قراراتها بشدة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) ولذا تكبدت هي مشقة المجيء وفسخ علاقتها به..

-أمي سترسل كل الهدايا والذهب لمنزلكم بالبلدة..مع خالص اعتذاراتها.. يمكنكم أن تخبروا الجميع انني أصبحت مجنونة.. وأن ابي أرسلني للعلاج في مصحة نفسية في أوروبا.

قالتها بهدوء لينظر لها علي بذهول فابتسمت بسخرية وهي تهز كتفيها:

-على الاقل هذا مايهددني به والدي انه سيفعله..ولكن.. صدقاً لم يعد يهمني..

"وداعـــــاً ياعلي"

قالتها بهدوء وهي تترك خاتمه ليسقط ارضاً بينهما برنين مميز وبدون اية اضافات كانت تشيح عنه وتندس في سيارة أجرة قريبة وتنطلق أمام عينيه المصدومتين.. لأول مرة في حياته يجرب احساس النبذ .. ولم يعجبه.. أبداً.

***

باريـــس..

قصر آل الشيّب..

"أين هو؟"

زفر السلطان بتوتر وهو يجيل عينيه في وجوه الكثير من افراد عائلته اللذين توافدوا من جميع اقطار العالم دون مبالغة ليحضروا الى باريس بناءاً على دعوة ابنه سيـــف..

حضر معظمهم ليتخلف هو؟؟

شعر بالسخط وأحد ابناء عمومته يقترب بحنق:

-أين هو سيف ياسلطان؟! لم نترك اعمالنا لنركض خلف نزوة من نزواته اليس كذلك؟!

ضغط السلطان فكيه بقوة ونظر لابن عمه بغضب:

-تعرف سيف جيداً ياشاكر.. هو لايتصرف بناء على نزواته ابداً..انه سيف الشيّب.

تراجع شاكر بحنق.. واتجه لمجموعة من اقرباءه يواصل حديثه الحانق والذي سرعان ماهدأ مع هدوء باقي المتواجدين حين فتح الباب الواسع للقاعة التي تستخدمها العائلة لاقامة اجتماعاتهم السنوية.. ووقف عليه سيف .. ينظر للجميع بصلابة.. مديراً عينيه يبحث في الوجوه عن شخص غائب ليتسترخي ملامحه برضا وهو يتأكد أن كل من يهم قد حضر..

الجميع يعلم مغبة عدم الانصياع لأوامر السلطان القادم لأل الشيّب.. حتى الأن على الأقل..

تقدم من الجميع بهدوء محاولاً اخفاء عرجه وهو يستخدم عكازه بكبرياء.. متجهاً مباشرة للرجل العجوز الذي جلس على مقعد بعيد وقد اخفى عينيه الضريرتين خلف نظارة ضخمة.. وجسده الضئيل تحت معطف فاخر..

قبل كفه وقمة رأسه ونال عليها ابتسامة استحسان من جده العجوز قبل ان ينتقل ويفعل المثل لوالده الذي نظر له بغضب ساخط:

-تأخرت؟؟

-كان لدي ماأقوم به..

قالها بهدوء وهو يلتف للجميع ويرحب بهم بكلمات مقتضبة قبل أن يدعو الجميع للجلوس على المجلس المعد على الطريقة العربية بشكل مرتفع.. وسمح للندل بادارة القهوة.. مهما ظلوا بالغربة وتفرقت بهم السبل..كان العربي يرجع مهما غاب لأصوله وقت الحاجة..

-لم لاتدخل في الموضوع مباشرة ياسيف.. لدينا اعمال علينا الرجوع اليها.

هدر احد عمومه لينظر اليه سيف ببرود قبل أن يوزع نظراته للجميع قائلاً بصوت جهوري:

-جمعتكم اليوم..لأنني أخطط للقيام بخطوة هامة.. وأريد دعمكم كله خلفي.

-أتخطط لفتح سوق عمل جديد؟؟

تسائل والده باهتمام ليهز سيف رأسه نافياً ببطئ وانتقلت عيناه للجميع بخفة قبل ان يقول بصوت ثابت:

-أنا أخطط للمصالحة مع آل العزب..

رآن الصمت ثقيلاً والوجوه الذاهلة المستنكرة كلها تتوجه اليه ..قبل أن يهض أحد عمومه صارخاً بحدة:

-هل جننت؟؟ أتدرك ماتقوله؟؟

والتفت لوالده وصرخ به:

-هل تسمع مايقوله ولدك ياسلطان أم أنك تشاركه جنونه؟؟

صمت سيف والاصوات تتصاعد استنكاراً لما قال وانحرفت عيناه لتقع على والده الذي كان وجهه الاحمر وانتفاخ أوداجه دليل غضبه وصدمته وهو يهدر بقوة:

-تأكد انني اسمع هذا الكلام مثلكم جميعاً للمرة الأولى..

-آال العزب مجرد زمرة من البدو يحكمون أمورهم بالعرف والتقاليد البالية.. مجرد مجموعة من المتخلفين جداً لايزال السلاح والدم يحكمهم.

تدخل احد ابناء عمومه بألمعية نال معها نظرة ساخطة من سيف الذي نهض صائحاً بقوة:

-دعوني أفسر لكم موقفي اولاً قبل أن تحكموا رأيكم..

نظر له الجميع بترقب رغم الرفض في عيونهم.. وأخذ سيف نفساً عميقاً ويواجه الكل العين بالعين..

-نحن ومنذ سنوات معزولون عن بلادنا.. لانجرؤ على ان نعود.. تشتتنا في البقاع وبقينا فيها لدهور..الى متى نظل على هذه الحال؟؟ الى متى نظل نخاف من ثأر قديم عفا عليه الزمن؟؟ ومن المخطئ فيه؟؟ أيعرف أحدكم حقيقة ماحدث لتنشأ هذه العداوة؟؟ أشك كثيراً..

قالها بسخرية وعيناه على الجميع وهو يواصل:

-لاأحد منكم يدرك ماحدث حقاً قبل سنوات وسنوات..لقد خُلقنا على هذه العداوة ولم نتسائل حتى ماسببها؟؟

والتفت لجده وقال:

-ربما كان جدي هو الوحيد الذي يعرف..فسبب القطيعة كان ابن عمه.. ومافعله بأل العزب.

رأآن الصمت على الجميع وهم ينظرون للجد الذي رفع رأسه ببطئ ليخاطبه ابنه بدهشة:

-ابي؟؟ هل كنت تعرف ماينتويه سيف؟؟

-نعم أعرف.. وأعتقد بأن عليكم أن تنصتوا للفتى..

عادت الانظار لسيف بحيرة والذي أخذ نفساً عميقاً أخر قبل ان يفصح:

-الجميع يعرف ان سبب العداوة بين العائلتين أن واحداً من ال العزب قام بقتل أحد افراد أسرتنا.. ولكن.. هل نعرف الأسباب؟؟

تناقل الجميع النظرات وتبرع أحدهم بالاستنكار:

-لايهم الاسباب ياسيف.. لقد تلطخت يد آل العزب بدمنا وهذا لايغتفر.. ربما كانت سلطنتنا وقتها ضعيف في مواجهة مشائخ العزب.. ولذا اكتفينا بالتراجع ولكن أنت لاتقترح ان نعفو..؟؟

-انا لااقترح شيئاً.. أنا سأخبركم بالضبط ماحدث وقتها..

قالها سيف بحدة ليصمت الجميع بفضول.. فالجميع يتلهف للمعرفة..

-المقتول منا كان ابراهيم الشيب.. ابن العم الاكبر لجدي.. والقاتل كان شيخان العزب.. ابن كبير العزب..وشيخ قبيلتهم.. القصة كما عرفتها من مصادر موثوقة جداً..

ونظر لجده بابتسامة ليواصل بعدها :

-ابراهيم الشيب تقدم لخطبة ابنة عم شيخان.. في مجلس كبيرهم وبالطبع رفض الامر بل تم عقد قرانها على الفور بابن عمها الكبير وكان جدي ابراهيم هو شاهد العقد..

-هذه حركة قذرة..

علق أحدهم بغيظ لينظر له سيف بحدة قبل ان يواصل:

-ولكن جدي ابراهيم لم يتوقف عند هذا الأمر.. فبعد ان غادر وعائلته بمهانة كبيرة من مجلس الشيخ.. بعدها بفترة عاد ابراهيم الى مجلس الشيوخ.. ليدرك ان المرأة التي كان يريدها زوجة له أصبحت أماً..

لااعرف مالذي كان يفكر به جدي وقتها.. لابد ان هناك شيء ماخاطئ جداً قد لعب بعقله.. شيطان تلبسه..ولكنه لم يغادر مجلس الشيخ الا وهو يخطط للانتقام من شيخان وتلك العروس التي خسرها.

-ماذا فعل؟؟

تسائل احدهم بلهفة ليهتف سيف بحنق ودمه يغلي من الحقيقة التي صرح بها جده بعد ضغط مستمر منه:

-لقد استأجر قطاع طرق وقام باختطافها..

بهت الجميع بعيون متسعة اليه ليواصل بحنق غاضب:

-أتصدقون أن أحد السلاطين يقوم بعمل كهذا .. قذر وحقير..

وبالطبع كانت عائلة العزب في حالة من الجنون.. فمن اختطف امرأة شيخ القبيلة.. من تجرأ وفعل هذا؟؟ ولكن تلك المرأة كانت مدهشة..

رغم جنون جدنا العزيز استطاعت الهرب منه.. ولكنها للأسف لم تنجو..

قالها بأسى.. ونظر لجده المنكس رأسه ارضاً.. وهمس بثقل:

-لقد ماتت حال وصولها الى زوجها..ماتت بين يديه بعد تعرضها لااعرف..ربما للضرب او الاعتداء من قبل جدنا العزيز والمختل للغاية..

صمت الجميع بذهول وسيف يصرخ:

-تخيل ان يحدث هذا لزوجتك.. ابنتك.. شقيقتك..!!

شحبت وجوه الجميع وهو يواصل:

-اقل ماسيفعله هو أن يقتله.. أن ينتقم لزوجته لابنة عمه أليس كذلك؟؟

"كان هذا اقل مايفعله"

"بالنسبة لي.. فأنا سأمزقه بأسناني وأعلقه أمام منزلي لأربعين يوماً عبرة لمن يعتبر"

التفتت الانظار كلها لصاحب الصوت الكسول والذي وقف مستنداً على الباب بكتفه ملقياً نظرة على الجميع قبل ان يقول بتشدق ساخر:

-أتلقى دعوة لحضور كل اجتماع ممل وسخيف من اجتماعات السلاطين وحين يكون الأمر بهذه الاهمية والتشويق يسقط اسمي سهواً؟؟

-لم يسقط سهواً.. لقد تعمدت اسقاطه..

قالها سيف بحنق ليتقدم منه الرجل بخطوات واثقة واسعة تظهر طول ساقيه ورشاقته في تلك البدلة الرسمية وهو يخلع قبعته بأناقة ويهمس بعتب:

-يالك من ذئب ناكر للجميل.. ماذا فعلت لك لتقصيني؟؟

-لأنك لاتحضر ابداً..

قالها سيف ساخراً ليقهقه الرجل:

-وهل تلومني.. انظر الى عائلتك المملة وستدرك السبب..

-لم أتيت ؟؟

اقترب منه بشكل كبير وقال بصوت خفيض:

-لأنني شممت رائحة نساء..

زفر سيف بغيظ والرجل يقترب ليهمس في أذنه:

-أخبرني من تكون تلك التي تنوي قلب عالمك كله وجلب حد السيف الى رقابنا جميعاً بسببها؟

-أصمت للحظة وساندني هنا..

قالها سيف بحدة لينظر له قريبه بابتسامة تتلاعب في عينيه الذهبيتين قبل أن يرمي له بقبعته ويقول:

-ألا أفعل على الدوام..؟؟

ثم غمز بعينه بخفة والتفت لعائلته قائلاً بلهجة مسرحية:

-لقد سمعتم الرجل.. لاأحد يلوم شيخان العزب على قتل جدنا.. لو كنت مكانه لمااكتفيت برجل واحد.. لكنت قضيت على كل السلاطين وكان يقدر..

ثم التفت لسيف وقال بمرح:

-كيف أؤدي..؟؟ هاا؟؟

-تباً لك يا أوس.. فقط ساعدني دون عروضك المسرحية..

زمجر سيف ليضحك أوس.. ويندفع نحو جده ليقبل رأسه ويهتف:

-مالذي تقوله ياكبير السلاطين؟؟ أنترك الفتى يحاول.. ونراقب من بعيد؟؟ ام ندخل بثقلنا خلفه؟؟

خفق قلب سيف بقوة .. وهو ينتظر اجابة جده بينما تدخل صوت غاضب:

-هل نسي الجميع مافعله قحطان العزب بي؟؟؟

التفت الجميع لعبدالعزيز الذي كان يراقب بصمت قبل أن يثير دخول أوس ابن عمه غيظه وغضبه.. وهو يتصرف كماعتاد على الدوام.. سرقة الاضواء والتباهي.. كان يعرف ان عائلته لايمكن ان توافق على ماكان يقوله سيف.. ولكن بتواجد أوس معه..كان الأمر يحتمل الشك..

-لقد كاد يقتلني..

-أنت كنت تخطط لسرقة زوجته منه؟؟ وكأن التاريخ يعيد نفسه ماذا توقعت ان يأخذك بالأحضان؟؟

قالها سيف بغيظ ليشحب وجه عبدالعزيز وهو يصرخ:

-سيادة كانت خطيبتي..

-سيادة من آل العزب لم تكن لتتزوجها ولو وقفت على رأسك..

صرخ سيف ليرد عبدالعزيز:

-سيادة تحبني..

-لاأظنها تفعل الان بعد ان فشلت في رفع أصبع امام زوجها الهمام..

قالها أوس بسخرية جعلت عبدالعزيز يبتلع باقي كلماته وينظر لهما معاً بكراهية بينما يعود أوس وسيف ليناظرا الجد بترقب وسيف يقول:

-جدي.. آل العزب ليسوا من نرغب بمعاداتهم.. ولقد مر وقت طويل ويجب علينا ان نسعى للمصالحة.. اذا ماارادنا أن نعود الى ارضنا وأرض أجدادنا بطريقة تليق بنا..علينا ان نسعى للمصالحة..

صمت الجميع بانتظار امر السلطان الكبير..والذي صمت للحظات طويلة جعلت سيف يحبس أنفاسه متوتراً ليقول بعدها بصوته المبحوح:

-سنفعل ماتريد يابني..

توسعت عينا سيف بذهول بينما علت الهمهمات المعترضة بسخط من خلفهم والسلطان الكبير يهتف مسكتاً صوت كل معارض:

-سنذهب لأآل العزب بفخامة لاتليق الا بالسلاطين.. ولكن..

وتعلقت عينا سيف بجده في ترقب والكلمة تعلق دقات قلبه :

-اذا مارفضت المصالحة..من قبلهم..أنت من ستدفع الثمن بني..

ابتلع ريقه بتوتر بينما أوس يتسائل بخشونة:

-ماذا تعني ياجدي؟؟

-ماأعنيه أن سيف سيخسر كل أسهمه في شركات السلطان الشيب.. وسيترك كل ممتلكاته من منازل وسيارات لتصرف العائلة..

نظر أوس بسخط لسيف ومنه الى جده:

-ولكن هذا لايجوز.. سيف له في المجموعة أكثر منا جميعاً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-ولم الغضب بني.. أنت بالذات عليك أن تترقب بصمت..فأنت هو من سيتقلد مهمات سيف إن أخفق هو.

جحظت عينا أوس الواسعتين ونظر لسيف بشراسة وهو يهتف:

-لاتوافق..أخرج من رأسك تلك الأفكار وتراجع عن حماقتك.

-لقد قلت انك ستدعمني..

هتف سيف بتوتر ليصرخ أوس بحنق:

-لأقع أنا في فخ عائلتك المتوحشة.. محاااااااااال..

-اذاً ساعدني لأحقق الأمر.. ساعدني لأنجح المصالحة.

قالها سيف بغضب مكبوت.. بينما زفر قريبه بضجر وهو يدرك ان رأس قريبه يابسه كرأسه هو بالذات.. ولكنه لايستطيع أن يدير ظهره له.. انه سيف..

-انا معك..

قالها بغيظ فابتسم سيف بامتنان قبل أن يلتفت لجده ويقبل شـرطه.. وعقله يسرح في أنه قد بلغ منتصف الطريق.. لقد حصل على دعم عائلته الرافضة.. بقي النصف الاخر منه.. رضا عائلة العزب..

وهو كان لايملك أي فكرة عن كيفية الحصول عليه.. نهائياً.

***

-غزل هل انتهيتي؟؟

اندفع رعاد الى داخل المطبخ وهي تعد اللمسات الأخيرة للطاولة الصغيرة التي رصت عليها طبقي الطعام والفاكهة متسائلة بفضول:

-مالأمر؟؟

-انه قحطان..سيصعد بعد قليل..

-سأضع طبقاً اضافياً اذاً.. منذ زمن لم أرى ابن عمي.

هتفت بفرح ليبتسم رعاد لها بحنان..ويسارع لفتح الباب حين سمع رنين الجرس..

-أخي..

قالها بلهفة وهو ينظر لقحطان الذي ابتسم باقتضاب وهو يلقي السلام على أخيه الذي اقترب ليعانقه بمحبة ويفسح له الطريق للدخول بصدر رحب..

-تفضل ياشيخ سنتناول الغداء اولاً وبعدها نتحدث بكل ماتريد.

نظر قحطان لساعة يده وقال بتفكه:

-لم تتناولا الطعام بعد؟؟ انها الثالثة..

-لقد كان لدينا دوام وتأخرنا هناك.

وضح رعاد ليعتذر قحطان بصدق:

-اسف لم أفكر بكونكما مرهقان..

-لابأس قحطان.. تفضل يارجل..

-سنتحدث فقط يارعاد.. لقد تناولت غدائي بالفعل مع أكرم وعمرو قبل ساعتين..وجئتكما لموضوع محدد وسأغادر مباشرة لأعود للبلدة..

نظر رعاد بقلق لوجه أخيه..

كان يبدو مرهقاً متعباً.. يعرف ان ماحدث منذ شهور لايزال يؤثر به.. وحقيقة ماحدث بعدها لم يجعل الامر سهلاً أبداً.. كان شقيقه يعاني ولكنه لم يكن بيده ان يفعل شيء..الجميع وقف على الحياد..كانت الجبهتين المتصارعتين بحجم الجبل.. فقحطان وقف في كفة.. وسيادة في كفة أخرى..

الجميع وقف متفرجاً حتى الجد.. الذي حاول ان يتدخل فقصاه قحطان بكل قسوة متجاهلاً مكانته لديه..

-قحطان أنت وجدي؟!

تسائل رعاد بخشية ليتجهم وجه قحطان ويسرع قائلاً بخشونة:

-انا وجدي بخير.. والأن..أحضر زوجتك وتعالا.. ليس لدي اليوم بطوله.

قالها بحزم وهو يتجه للجلوس في غرفة المعيشة واومأ له رعاد باستسلام ونادى غزل التي اقتربت مبتسمة لقحطان بخجل وهي تجلس الى جوار زوجها بتوتر ليبتسم قحطان لها بحنان:

-كيف حالك يابنة عمي؟

-بخير..

تمتمت بحياء فابتسم خافضاً رأسه.. لقد فكر بهذا الأمر مطولاً قبل أن يقرر ان يفاتحهما به..استلزمه الأمر شهوراً ليتخذ قراره..

-ماجئتكما به.. شيء عرفته بالصدفة..ولكن..وقتها ايقنت ان من الأفضل بقاءه سراً عن الجميع..حتى الأن.

وعاد ينظر اليهما.. رأى نظراتهما القلقة فاستمر بهدوء:

-انه يتعلق بمحمد رحمه اللّه.

رأى اتساع عيني غزل بينما توترت عينا رعاد واشتدت كتفاه بقوة وهو يتسائل بخشونة:

-ماذا عن أخي؟!

ابتلع قحطان ريقه وتنهد يحاول السيطرة على غضبه الذي لم يسيطر عليه بعد كل هذا الوقت:

-لقد عرفت قاتله..

شهقت غزل وتصلب رعاد بصدمة.. بينما نقل قحطان بصره بينهما وهمس:

-وقد أخذت ثأري منه.. قتلته بيدي..

جحظت عينا غزل وهي تستوعب مايقوله قحطان بصعوبة بينما وصلت الفكرة كاملة لرعاد الذي همس بشحوب:

-حســـن؟؟!!

مستحيـــــــل؟؟!!

-كنت أظنه مستحيل كذلك.. ولكنه اعترف لي بنفسه..كما يبدو فمحمد عرف بطريقة ما تعاملات حسن المشبوهة.. واعطاه فرصة كي يصحح أموره ولكن الوغد(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قالها قحطان بمرارة ثم اضاف:

-لم اكن أنوي اخباركما ابداً.. ولكنني فكرت..بأنكما فقط من تستحقا ان تعرفا..حتى ينتهي الأمر نهائياً.. وتبدأآ حياتكما بشكل صحيح.. وخصوصاً الأن.. وأنتما تنتظرا طفلكما الأول..

احاطت غزل ببطنها بألم.. لقد أدركت حملها مباشرة بعد اعترافها لرعاد بحبها.. وكأنما حملها يتوج حبها الكبير.. والان.. لم تحتمل..

نهضت تحاول ان تكتم دموعها وابتعدت الى غرفتها..

لينهض قحطان مباشرة..

-يجب ان أذهب..

رأى رعاد ينكس رأسه بذهول وصدمة.. فاقترب منه وربت على كتفه بقوة:

-لقد انتهى الأمر يارعاد.. أنت وغزل لديكما الكثير لتعيشاه فلاتضيعا الوقت.

وبدون انتظار رد كان يغادر.. بقي رعاد مكانه للحظات طويلة..

لايزال غير مصدق أن حسن من قتل محمد.. حسن الذي استقبل العزاء معهم.. بل هو دفن محمد مع قحطان بيديه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

شعر بالدموع تلسع عينيه وفكر بها..

ربااااه غزل..

انتفض خلفها..وتوقف حين رآها تجلس ساهمة على فراشها.. عينيها غارقتين بالدموع تضم ركبتيها اليها بينما انسدل شعرها الذي استعاد طوله الجميل على كتفيها..

-غزل؟؟

همس بارتباك.. لتنتفض وهي تنظر اليه.. أسرع اليها وجلس أمامها يحيط وجهها بيديه:

-انا اسف..

هزت رأسها بقوة وهمست:

-لاأصدق..أنا فقط لاأصدق..كل ماحدث..حسن..مافعله بالجوهرة وسيادة.. بالكاد كنت استوعب.. والان ..حسن قتل محمد؟؟ كيف استطاع؟؟ انه ابن عمه؟؟

همست بألم ليضمها اليه بحنان وهو يتخيل مامرت به وقتها .. حين وقع الحادث واغمض عينيه لألمها..

-كان محمد يثق به..كان يخطط للعمل معه بعد تخرجه من الجامعة.

همست بقهر.. ليبتعد رعاد بتوتر.. كان شقيقه من تتحدث عنه..بكل سهولة..نظر لها باستغراب..كانت تتحدث بحرية وكأنما ليس محمد من تتكلم عنه.. ليس زوجها السابق وحبيب طفولتها..

-كيف تجرأ وفعل مافعل؟؟

هتفت بغيظ وهي تنظر لرعاد بغضب اشتعل في عينيها وقد هجرتها الدموع..

-أنت غاضبة؟؟

همست بتساؤل لتصرخ:

-بالتأكيد انا غاضبة وحزينة.. رحمه اللّه..

همست بألم :

-لم يستحق تلك النهاية,,

-غزل أنا..

قالها بارتباك وهو لايعرف كيف يفعل هذا.. كيف يواسيها..وقلبه يشتعل بالغيرة..

-ماذا هناك حبيبي..

تألقت عيناه لكلمة حبيبي من بين شفتيها واقترب يضمها في قبلة قوية يريد معها ان يستعيد ثقته بنفسه.. وبها.. انها ملكه وحده.. وأن أخاه ..أخاه من الماضي..

-أناأحبك..

تضرجت وجنتاها بحمرة قانية وهي تذوب بين ذراعيه هامسة:

-وأنا أحبك.. أحبك كثيراً..

"رعاااد"

عادت تهمس بارتجاف وهي تنزل رأسه اليها لتقع عينيها في عينيه الحائرتين.. ابتسمت وهي تدرك اضطرابه..لايزال موضوع محمد هش للغاية.. منطقة مكسوة بالزجاج.. قد تجرحهما ماان يخطوا بداخلها أي خطوة خاطئة..

-أنا أحبك أنت.. لاأحد سواك..

-غزل؟؟!!

-أنت هو الرجل الوحيد في حياتي..محمد..توفي..

همست بثقل..وأضافت بخفوت:

-محمد حظي بغزل..الصبية الصغيرة والتي لم ترى سواه في عمرها.

خفض عينيه بعبرة تحكم أنفاسه لتهمس باسمه من جديد ليرفع عينيه اليها بحزن.. لايجرؤ على مقاومته ليجد ابتسامة عينيها الرائعة وهي تقول:

-أما أنت.. فقد حظيت بغزل أخرى.. امرأة قادرة على اتخاذ قراراتها..وتحديد اختياراتها.. أنت حظيت بغزل التي خرجت للعالم ورأت وعاشرت أشخاص أخرين.. أنت جعلتني أقع في حبك ..أعشقك.. ولاأرى رجلاً سواك يارعاد.

-غززل..!!

همس بعينين متسعتين لترتمي بين ذراعيه:

-أناأحبك بجنون.. ولاأريد لشيء أن يزعزع ثقتك بنفسك..أو بحبي لك.

ابتسم لها بثقة.. وكلماتها تزرع بداخله قوة غريبة..تدفعه للضحك وضمها قريباً منه بحنان ومحبة أدرك لتوه انها ستكفيه طيلة العمر.. مهماكانت الظروف..

***

رتبت الجوهرة أطباق الطعام أمام أخيها بصمت وهي ترسم تلك النظرة الحازمة والغاضبة في عينيها ليزفر قحطان بتعب ويهتف بها معاتباً:

-الى متى تعاملينني بكل هذا الجفاء جوهرة؟

أشاحت عنه ومضت لوضع اكواب الشاي بذات الصمت ليهتف بحنق:

-جوهرة أنا أتحدث اليكي.

-وأنا لااريد الحديث معك قحطان.

هتفت بغضب حقيقي.. لينهض من مقعده ويتقدم نحوها هاتفاً باصرار:

-مالذي حدث ؟؟ مالذي أغضبك الى هذه الدرجة؟؟

-وكأنك لاتعلم؟؟ الم يخبرك صديقك العزيز مافعله قبل ايام؟؟

زفر قحطان وأمسكها من مرفقها بشدة متغلباً على مقاومتها العنيدة وهو يسحبها لتجلس مرغمة ويجلس مقابلاً لها:

-أكرم لم يفعل شيئاً دون أذني.

-كيف تخبره عني وعن..عن حسن؟؟كيف استطعت أن تذلني هكذا؟؟

بكت بمرارة ليقبض على كفيها بقوة ويهتف بها:

-انا مافعلت هذا الا لأنني أثق به.. كثقتي بنفسي ياجوهرة..

-ولكنك جعلتني رخيصة..

-لا لا..انت جوهرة العزب كيف تظنين أنني قد أرخصك أو أتسبب لك بأي أذى؟!

اشاحت بوجهها باكية وهو يصر بحنان:

-أكرم يريدك ياجوهرة.. انه يختلف عن حسن بشكل لايمكن ان تتخيليه..تحت تلك القشرة من القوة والصمت هو أكثر رجل رقيق ومحب عرفته في حياتي.. انه من أقرب أصدقائي بعد عمرو.. وأعرفه ككف يدي..

-انا..انا لا لا استطيع..

-اسمعيني ياشقيقتي الغالية.. أكرم مر بتجربة مخيفة هو الأخر.. لقد تزوج قبل سبع سنوات من امرأة لااعتقد انه أحب امرأة كما أحبها.. لقد انجب منها طفل.. ولكنها ماتت..تركته وحده مع الطفل..

رفعت عينين بائستين له ليواصل:

-لم أسمع أكرم يأتي على ذكر الزواج من بعدها.. لم يفكر بأي امرأة ابداً.. ثم أتى لي في يوم وقال انه يريد الزواج بشقيقتي.. رأيت في عينيه أكرم صديقي الذي لم أره منذ سنوات خلت.. وحينها عرفت

انه وجد المرأة التي يريدها حقاً عزيزتي.. ولذا فأنا أبارك زواجك به..

وأنتظرك لتفكري..بروية ودون ضغوط.

شردت بعينيها وكلماته تحفر بداخلها وتترك أثراً صعب المحو..

-والأن دعينا نأكل..فأنا أتضور جوعاً..

أخرجها من شرودها بحزم مرح.. لتنتفض واقفة وهي تمسح دموعها:

-في الحال..

ليقاطعهما رنين الهاتف فالتقطه قحطان ورأى رقم عمه سالم فخفق

قلبه بعنف وهو يفتح الخط بسرعة :

-السلام عليكم..خير يابو فراس؟

سمع رد عمه المقتضب قبل أن يلقي قنبلته ويترك قحطان شاحب

الوجه وهو ينهض بسرعة:

-انا قادم في الحال.

-مالذي حدث؟؟

تسائلت الجوهرة بخوف فرد بصوت مكتوم وملامح تكاد تنفجر:

-سيادة في المستشفى.. لقد فقدت الوعي فجأة ونقلوها للتو.

-سآتي معك..

قالت بتوتر وهي تسرع لالتقاط عبائتها بينما يخف قحطان الى الباب وهو ينسى أمر جوعه ولايكاد يفكر سوى بتلك التي تصر على اثارة جنونه قلقاً.. وحباً دون أن ترحم..

انطلق بالسيارة مباشرة بعد صعود الجوهرة اليها وبسرعة مرتفعة شق طريقه للمستشفى..

استغرقت الطريق عشرة دقائق كاملة بسبب الازدحام وقت الظهر..

وحالما وصلا اتصل بعمه ليعرف بالضبط أين هم.. وتوجها على الفور..

حالما رأى وجه عمه المتجهم ودموع زوجته التي جلست بجواره حتى هبط قلبه بين ساقيه وهو يهتف بخوف حقيقي:

-أهي بخير؟؟

رأى ايفا تنظر لسالم وتؤنبه على شيء ما بينما نهض عمه متجاهلاً اياها ووقف امامه يقول بقلق:

-لانعرف بعد بني ..انها برفقة الطبيبة الأن..ونحن بانتظارها.

تراجع بصمت وهو يمسد رأسه بقوة بينما نهضت ايفا ونظرت للجوهرة بحنق:

-منذ أتيتي لزيارتها وهي مضربة عن الطعام وبالكاد تشرب شيئاً..ماذا قلتي لها لتنهار بتلك الطريقة؟؟

شعرت الجوهرة بالذنب يغرقها فجأة وكادت تهتف انها لم تعني سوى خيراً حين خرجت في ذلك الوقت طبيبة النساء من غرفة سيادة والتف الجميع حولها ووالدها يسأل بلهفة:

-مابها ابنتي بالضبط دكتورة؟

-ستكون بخير.. لقد عانت هبوطاً حاداً في الدورة الدموية.. هل كانت تاكل جيداً؟؟

-لم تكن تأكل شيئاً خلال الفترة الماضية..

تبرمت أمها بحنق وهي ترمق الجوهرة بنظرة قاتلة فقالت الطبيبة:

-سنبقيها الليلة لتعويضها بالسوائل والتغذية.. حملها بخير..ولكنها ستحتاج لأن تحسن من غذائها والا فأنها ستعاني حين الولادة وبعدها.

اومأ لها الجميع بتفهم بينما قبض قحطان على ذراع الجوهرة وجرها لركن بعيد وهمهم من بين أسنانه:

-ماذاقلتي لها؟؟

نظرت له بذنب تجلى من عينيها وهمست:

-انا لم أقصد..

-ماذا؟؟

زمجر بشدة لتغمض عينيها وتهتف:

-أخبرتها أن أمي أرسلتني لأعرض عليك صور بعض الفتيات كي تنتقي منهن عروس جديدة مادامت ترفض العودة اليك.

نظر لها باستنكار فأضافت بيأس:

-كان على أحد أن يحرك المياه بينكما قحطان..والظاهر انني نجحت..

-سيكون لي معك حساب عسير ياجوهرة.

قالها بفحيح وهو يفلتها ويتقدم من باب غرفة زوجته بتوتر.. مالذي يعنيه هذا؟؟ هل كانت تغار عليه؟؟ لقد طلبت منه الطلاق بشكل واضح وجريء واعلنت للكل عدم رغبتها بالاقتراب منه او بالبقاء معه؟؟ فمامعنى أن تنهار فجأة حين تعرف بعزمه المزعوم للزواج عليها..

رباااه سيادة ستفقدينني صوابي؟؟

فكر بحنق وغضب.. ثم فتح الباب ليجد عمه وزوجته يجلسان بصمت الى جوار سريرها..كانت نائمة.

رأى ايفا تناظره بكراهية بينما نهض عمه وقال له بهدوء:

-اعطوها مهدئاً لتنام.. هي لم تنم منذ أيام..

نظر لها قحطـان بجوع.. كانت المرة الاولى التي يراها منذ ثلاثة أشهر.. وشعر بشوق كبير يكاد يخترق مسام جلده.. ويحرقها..

-اذهب لمنزلك بني.. سنعتني نحن بها.

-لاعمي..

همس باصرار:

-سأبقى أنا معها.. خذ زوجتك واذهب.

-ولكن قحطان..

-عمـــــــــي..

قال بحسم ليتنهد عمه ويومئ موافقاً.. ثم ذهب ليكلم ايفا التي رفضت في البداية بشراسة ولكنها عادت وأذعنت بصمت وقحطان يقول :

-خذ الجوهرة ياعمي اوصلها لمنزل رعاد لتبقى الليلة.

-حاضر..

غادر برفقة ايفا التي لم تكف عن التحلطم بفرنسيتها المستفزة..

بينما وقف هو دون حراك يراقب تحرك سيادة الخفيف تحت الأغطية.. بطنها البارز كان تغييراً لم يصدقه لوهلة..

اقترب منها بخفة وجلس الى جوارها.. ببطء كي لاتستيقظ من نومها العميق.. تأملها بافتتان..

كانت جميلة للغاية.. أجمل مماكان يتخيل.. بشرتها بيضاء جداً بسبب شحوبها.. ورغم جفاف شفتيها وتشققهما بفعل الجفاف كانت

تبدو أجمل امرأة بنظره.. شعرها الناعم افترش الوسادة كنار خامدة.. بينما ظهرت عظامها الرقيقة من تحت ملابسها الخفيفة.. رباااه لقد أصبحت مجرد خيال..

شعر بغصة تحتكم أنفاسه وهو يلامس عظم ترقوتها البارزة.. ثم ذراعها النحيل بألم.. ووصل الى بطنها.. لامسها برهبة..وشعر بها تتحرك بانزعاج تحت يديه ليبتعد كالملسوع.. ثم يعود ليقترب ويجلس الى جوار السرير بزفرة ارهاق .. متعب هو.. مشتاق.. حائر.. عااشق حتى الثمالة.. وعشقه يضعفه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اقترب مستنداً على مرفقه بالقرب من رأسها.. همس لعينيها المغلقتين:

-ماذا تفعلين بي ياسيـادة؟؟ كيف تحكمين القلب بكل هذه القوة وأنت بكل هذا الضعف يابنة عمي؟؟

تحركت متململة قلقة.. ورأى لمعة ماسية تنساب على وجنتها ليخفق قلبه بألم.. تبكي؟؟!!

"قحطاااان"

اختنقت أنفاسه وهو يسمعها تهذي بإسمه .. بخفوت وكأنه تعويذة تحصن بها نفسها.. راى تحركها يصبح اكثر عنفاً وكأنما تقاوم كابوساً..

"لا.. لا.."

همست والدموع تتفجر من عينيها ليقترب منها ويحيط وجهها بكفيه ويخفض وجهه اليها..

"لاتبكي"

همس بخشونة..لتستكين بين يديه.. تكورت قريبة منه..قريبة لدرجة أنه شعر بجسدها النحيل يضغط على ذراعه.. تمتمت اسمه بهذيان.. واتسعت عيناه بذهول وهو يشعر بذراعيها تحيطان بذراعه القريبة منها بتملك.. بل وتجذبه نحوها لتقبع بهدوء.. وتتوقف دموعها..

"سيـادة"

همس بخفوت قلبه كان يخفق بقوة.. وكأنما سينفجر بالمشاعر..كان يريد ضمها اليه.. افراغ شوق تلك الشهور والليالي الكئيبة التي مرت عليه.. كان يريد تذوق شفتيها مرة أخرى.. أن يعيد الحياة اليها.. ولكنه خشي ان تخرج من حالة اللاوعي التي قربتها

منه.. وحين تصحو وتدرك انه معها.. بالقرب منها.. كان يخشى أن تعود لقوقعتها.. وتبعده عنها وتنفيه..أحنى رأسه قليلاً يتنشق عبير رائحتها ..مزيج من الليمون وازهار الربيع.. رائحة عصفت بعقله وتركته مخدراً.. سيفقد صوابه..هذه المرأة بكل مافيها ستفقده تعقله ..

ولذا فقد ابتعد برغم حرقة قلبه وتوقه الشديد ابتعد..

تاركاً لها ذراعه لتتشبث بها..كغريق يتعلق بقشة..

ومضى ينظر لها..ولايشبع..

وحين تأكد من استغراقها في النوم العميق سحب ذراعه بتمهل ونهض ليقترب من وجهها الناعم وبكل خفة طبع قبلة رقيقة على زاوية فمها.. لتنفرج شفتيها بدعوة صريحة.. تجاهلها مبتلعاً ريقه بصعوبة..وجلس على مقعد مقابل للفراش ينظر لها دون كلل دون أن يغمض له جفن.. حتى الصباح..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

حين استيقظت نظرت حولها بتمهل.. أين هي؟؟!!

سمعت اقامة الصلاة من مسجد قريب والظلام المخيم حولها..

شعرت بحركة قريبة واتسعت عينيها وهي تحدق بالظل القادم نحوها..

-صباح الخير سيدتي.

ابتسمت الممرضة الصغيرة ..فانتفضت سيادة بخيبة.. مالذي انتظرته؟؟ أن يكون هنا؟؟ أن يأتي مسرعاً اليكي؟؟ لن يفعل يامرأة فتيقني وانفضي عنكي هذا الأمل السخيف..

فكرت بقهر.. وهي تأخذ نفساً عميقاً.. وارتجفت بذهول..

ذلك العود.. تلك الرائحة الشبيهة بالأرض الرطبة بالمطر..

-من كان هنا؟؟

نظرت لها الممرضة بدهشة.. قبل ان تبتلع ريقها :

-رجل..لااعرف مايقربه لك..ولكنه قال أن أخبرك ان سألت عنه.

-تخبريننني ماذا؟؟

همست بشحوب لتغلق الفتاة عينيها وتهمس وكأنها تردد ماحفظته غيباً:

-يقول لك " حافظي على نفسك وإلا فأنه سيهد المعبد على رؤوس الجميع ويعتني بهذه المسألة بنفسه".

وصمتت باسمة وهي تنظر لعيني سيادة المتجمدتين..

لايزال في ظلاله القديم.. أظلمت عينيها وانسابت دموعها بقهر..

لايزال بعيداً..بعيداً رغم قربه الخانق.

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

"سلمى؟!"

انتفضت من شرودها المعتاد والتفتت لأمها:

-نعم أمي؟؟هل من خطب؟

-هل أنت بخير بنيتي؟؟

تمتمت امها بحنان وهي تشعر بانقباض قلبها من فرط تغير ابنتها منذ عادت من عدن بعدماحدث هناك..لم تعد تشبه سلمى الشقية بشيء وكأنها مجرد روح أخرى.. تسكن جسد ابنتها..

-نعم ماما انا بخير..هل أردتي مني شيء؟

-خذي القهوة لمجلس جدك بنيتي..

-حاضر.

نفذت بجمود.. حملت براد القهوة ووضعت عليها غطائها وانضمت لجدها في مجلسه..بصمت.. كان يسبح ويستغفر بخفوت حين دخلت عليه..

سلمت بخفوت وجلست بين يديه تصب له القهوة ..

-كيف حالك ياصغيرة؟

-بخير مادمت فوق رأسي ياجدي.

همست باختناق رغماً عنها ولكنها رفعت له عينين مبتسمتين..

لينظر لها بعينيه العجوزتين جداً.. وشعرت أنه يخترق روحها.. مد يده لها وهمس:

-تعالي ياروح جدك..

اقتربت ليضمها الى صدره وتنشقت رائحة العود الثمين ورغماً عنها انسابت دموعها بعجز وهي تتذكر قسمها له.. ان تنسى سيف الشيب..وتنسى كل مايتعلق به.. قسمها ألا تتحدث معه مجدداً.. ولاتفكر حتى به.

رباااه كم تحنث بقسمها كل يوم..كل ليلة تأوي الى فراشها ويرافق أحلامها..

-لاتبكي ياصغيرة.. الأيام كفيلة بأن تمحي الألم.. وتطبب الجرح.

شهقت رغماً عنها.. وشعرت به يمسد شعرها بأصابعه المتغضنة..

-انا أسفة ياجدي.. أرجوك سامحني..

كانت تعتذر على كل ماحدث..على انسياقها وراء رغبات فراس..رغبات ايفا.. تعتذر عن تجاوزها لتعاليم دينها وتقاليد عائلتها.. تعتذر عن عشقها لعدو قديم.. كان جدها قد أخبرها الحكاية كلها..وشعرت بالألم لم حدث لجدها الأكبر ولجدتها الكبرى.. تعاسة تلك التي عاش بها بعدها..دون أن يتزوج بأخرى اكراماً لذكراها.. كانت تتألم من مصيرها الذي يبدو مشابهاً.. لن يكون هناك سواه.. سيف الوحيد الذي ملك قلبها ولن تخونه ابداً مع سواه. وعادت لتفكر بغزل وكيف بالرغم من حبها لمحمد أُجبرت على الزواج من رعاد.. وهاهي الان تعيش حياتها بسعادة؟! هل سيحدث هذا معها؟! هل سيجبرها جدها وأخوتها على الزواج من رجل من ابناء قبيلتها؟!

مستحيـــــــل..

فكرت بألم.. وقبضت على خاتمه المعلق في عنقها.. لن تخون سيف ابداً..ابداً..

-حين تكبرين ستفهمين ان مافعلته كان لمصلحتك..لاأحد يخالف قوانين القبيلة وينجو..سرعان ماسيدرك خطأه ولكنهم غالباً يفعلون هذا بعد فوات الوقت.

استمعت له صامتة وعقلها يحلل مايقوله لها دون أن تفهم العلاقة بين ماحدث لها ومايتكلم بشأنه:

-الا تريدين العودة لزوجك ياابنتي؟

نهضت قافزة بشهقة مصعوقة وهي تصرخ:

-لاااا,,

-بنيتي لاتخافي..

-لاجدي ارجوك لا..لاتعدني له..

هتفت بجنون وهي تفكر ان هذا ماكان يخطط له.. أن يرجعها لفراس؟؟

لو علموا بمافعله بها؟؟ لو علموا بخيانته وتسليمه لها لسيف حرفياً وكأنها مجرد عاهرة حقيرة وليست ابنة عمه وزوجته.. لكانوا قتلوه..

-انه ابن عمك ياصغيرتي..

- لاياجدي..

صرخت بوجع وعادت ترتمي بين قدميه وتبكي بانهيار .. ومن بين دموعها كانت تحكي له كل ماحدث لها في باريس.. أخبرته عماحدث لها حال وصولها.. وطرد زوجة عمها لها بقسوة دون أن يدافع عنها أحد..

أخبرته أن ابن عمها الهمام تركها منذ يومها الأول وهجرها الى الولايات المتحدة..

أخبرته عن خطة ايفا الحقيرة لتحويلها الى فتاة عابثة مستهترة كي تسيطر عليها وتنتقم ممافعلوه بسيادة..

أخبرته عن فراس(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) عن عودته وانغماسه بلذاته بعيداً عنها.. وحتى خيانته الموجعة..

أخبرته عن تساهل ابن عمها مع رئيسه.. مع الرجل الذي طلب منها بقسوة وعدم رحمة أن تنساه..

رفعت عينيها الى جدها الذاهل وهي تصرخ باكية بحرقة:

-ذلك الرجل هو من دافع عني.. هو أنقذني عدة مرات دون أن أطلب حتى.. هو أراني حقيقة ابن عمي.. هو أخذني بعيداً كي لاأقع بين يدي عائلته.. هو قام بحمايتي وأنا..

وتجمدت حقيقة مشاعرها نحو سيف على طرف شفتيها قبل ان تنهار باكية بين ذراعي جدها:

-اتوسل اليك ياجدي.. لاتقتلني..لاتعدني الى فراس لأني سأموت حقاً.

شعرت بيديه تشتدان حولها..وهو يطمئنها بكلمات مرتجفة..

لايعرف كيف يمكن أن يعوضها ماعانته هناك.. لم يكن يقدر ان يلوم

خوفها ورعبها.. تجربتها الوحيدة بعيداً عن عائلتها كانت أكثر قسوة مما يتخيل أن تتعرض له صغيرته الحبيبة..

اكثر بكثير..!!

في ذلك الوقت في عـــــدن..

كانت الطائرة تهبط بهدوء.. وبعد اجراءات خفيفة كانا يتوجهان الى سيارات الأجرة المنتشرة بالخارج..

-هل ستذهب اليه الأن؟؟

تنهد سيف وهو ينظر لأضواء المطار التي ابتعدت للأفق متراقصة ..كان يخاطر بكل شيء.. ولايعرف مانتيجة هذه المخاطرة..ولأول مرة كان يسلم كل شيء ولايعرف مايخبئه له القدر.

-لايوجد لدينا وقت قبل مجيء افراد العائلة..ويجب أن أضمن وقوفه الى جواري.

-ألاتظن انك يجب أن تفاتحه بالأمر بالهاتف أولاً..

-أمور كهذه لاتناقش على الهاتف يا أوس.

قلب أوس شفتيه وهتف بتوتر:

-بل يجب أن تناقش في الهاتف.. هو لايستطيع وضع رصاصة فيك وأنت بعيد عنه لأميال.

ابتسم سيف وقال بثقة:

-قحطان العزب لن يقتلني.. انه يدين لي بحياته وهو رجل صادق ومحترم.. وأنا أثق به.

لم يقتنع أوس بل تحرك بعصبية في مقعده والسيارة تنطلق بهم نحو العنوان الذي قاله سيف..

كانت الساعة تقارب السابعة والنصف مساءاً حين وصلا الى مكتب قحطان.. واقتربا من الرجل الجالس يراجع بضعة أوراق وطلبا لقاءه..

-من أقول له؟؟

تبادل الرجلان النظرات..قبل ان يهمس سيف باسمه بتوتر ليسرع الرجل الى داخل مكتب الشيخ.

-اعتقد انه سيطردنا قبل أن نراه..

-لابد انه يعرفني..لااعتقد ان جده سيخفي عنه حقيقتي.

لم يلبثا غير وقت قصير حتى فتح الباب ليخرج قحطان بنفسه ويتقدم منهما بحذر..

-لقد انتظرت هذه الزيارة..ولكن من وقت بعيد.

نظر له سيف برهبة.. ثم حاول السيطرة على مشاعره.. هؤلاء الشيوخ لايؤمنون سوى بالقوة.. العزة والشموخ وهو لايقل عنهم

مطلقاُ.. لذا أخذ نفساً عميقاً واقترب من قحطان ماداً له يده ويهتف بقوة:

-كنت في حالة جسدية سيئة..وكما ترى"واشار لعكازه" لازلت تحت العلاج.

نظر له قحطان..قبل ثلاثة أشهر كان هذا الرجل يقف بينه وبين حسن ابن عمه ليفديه بحياته.. وكان سيفعل المستحيل ليرد له الجميل..لقد أنقذ حياته وحياة سيادة..

ولكن حالما استفاق من مشكلته مع سيادة وعرف ان هذا الرجل لم يكن سوى ابن عم ذلك المسخ الذي كان يطارد زوجته وأنه ابن تلك العائلة.. أصيب بالحيرة..لم يعرف مايفعل وماسبب مافعله هو..

شعر سيف بالتوتر من امتناع قحطان برد السلام ولكن ذلك التوتر اختفى حين شعر بكفه القوية تحيط بيده وهو يبتسم بحرارة:

-حمدالله على سلامتك..

اتسعت عينا سيف بينما توترت ملامح أوس وقحطان يشير لهما بالتقدم لمكتبه..

دخلا ليفاجئا أنه ليس وحده.. وتوترت عينا سيف.. كان رعاد شقيقه هنا أيضاً.. صافحهما بهدوء وهو يتعجب بصمت.. لقدر رأى

سيف قبلاً.. ولكن أين؟؟ عرف من قحطان أنه من أنقذه من حسن واكتفى بهذا دون أن يفكر أكثر.جلس الجميع وقحطان يناظرهما بامعان.. يعرف سيف..رأه مرة ولم ينسه ابداً.. بينما الأخر.. طويل القامة يكاد يقاربه طولاً.. بملامح كلاسيكية وذقن نامية بعفوية.. شعره أسود قصير.. ثم كانت عيناه الغريبة..

عينان رماديتان.. عينا ذئب متحفز..

-أنا لم تسنح لي الفرصة لأشكرك لمافعلته..رغم تعجبي من تواجدك هناك..ومن تضحيتك ولكن..انها أمر ليس من السهولة نسيانه.

توترت عينا سيف وهو يميل لتستنتد مرفقيه على ركبتيه:

-هذا ماجئت لأجله..أن أشرح لك..وأن..أطلب مساندتك.

ضاقت عينا قحطان.. وانتظر بصبر بينما سيف يحكي له كل شيء.. خطة عائلته بالانتقام منه لمافعله بعبدالعزيز.. مساعدته لحسن للهروب من المستشفى ثم معارضته الشديدة لخطف سيادة.. وابتعاده عنه..

توقف سيف عن الحديث عند هذه النقطة ونظر لقحطان الذي خلا وجهه من التعبير بينما رعاد يقول بصوت بارد:

-أنت لاتساعد نفسك بهذه الاعترافات يا ابن السلطان.

رفع سيف رأسه واعترف بصدق:

-أنا أعرف هذا.. ولكنها الحقيقة وانا قد سئمت الكذب..

ونهض مرتكزاً على عكازه وأضاف:

-لقد فعلت المستحيل لأصل لحسن حين اختفى.. لأنني أدركت أن مايفعله خاطئ ونحن لانؤمن بهكذا تصرفات.. نحن لانخطف النساء..

-تاريخ عائلتك لايقف بصف ادعائك يافتى.

قالها قحطان بسخرية ليعترض سيف بحدة:

-مافعله جدي الاكبر مجرد لحظة جنون لرجل فقد صوابه..ونحن لسنا مثله.

-ربما.. ولكن الأن..هل تخليتم عن فكرة الانتقام مني لمافعلته بذلك(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وتوقف ضاغطاً شفتيه بقوة ليمنع نفسه من الشتم..ليسرع سيف:

-عبدالعزيز فعل الكثير واعتقد انه استحق ماحدث له..صدقني..لاأحد من عائلتي يلومك بعد الأن..لقد عرف الجميع عن حقيقة افعاله المشينة.

-لنقل ان معظم أفراد عائلتنا يجري في عروقهم نفس الدم الحار الذي يجري في عروقك ياشيخ.. كلنا تخرج شياطيننا حين يتعلق الأمر بنسائنا.

قالها أوس بلهجة غامضة جعلت قحطان ورعاد ينظرا له بحدة قبل أن يعاود قحطان النظر الى سيف ويسأله:

-ولكن لم الأن؟؟ لم أتيت ومالذي تريده مني ؟

نظر سيف لأوس الذي شجعه بابتسامة مقتضبة ليعود وينظر لقحطان هامساً بتوتر:

-أنا أريدك أن تسدد دينك علي..

انتظره قحطان أن يكمل.. فابتلع سيف ريقه وهو يستمر:

-انت مدين لي بحياتك وحياة زوجتك..

-مالذي تريده بالضبط؟؟

هتف قحطان ببرود ليخفض سيف عينيه للحظة قبل أن يرفعها بثبات ويقول:

-أريدك أن تساعدني على تصفية المشكلات بين عائلتينا..أريد الصـــلح.

عقد قحطان حاجبيه.. هل يعقل مايقوله؟؟ أيريد الصلح بعد عداء دام لدهور؟؟ لماذا الأن؟؟ وبينما علا الاستنكار الرافض ملامح رعاد كان قحطان يقول بحيرة:

-هل تعرف كم يمكن أن يكلفكم صلح كهذا حيث أنكم قد طلبتموه؟؟

-اننا مستعدون تماماً لأي ترضية قد يعقدها الحكماء بيننا..

نظر له قحطان بحيرة أكبر.. قبل أن يسأله:

-أين والدك؟ كبار قومك أم أن هذه مجرد نزوة شاب يظن أنه سيغير الكون؟؟

-الجميع قادم.. معظم أفراد عائلتي.. والدي وجدي.. السلطان بنفسه ليلتقي بشيخ العزب.

قد يكون لهم فرصة ..

اذا ماقدموا عرضهم بطريقة مرضية.. ربما؟؟!!

-ومالذي تكسبونه أنتم؟؟

تسائل رعاد بخشونة:

تدخل أوس هذه المرة:

-ان لنا أرضاً واسعة مترامية الأطراف هنا ياشيخ.. وابتعادنا القصري بسبب الثأر يخسرنا اياها.. كما أنها بلادنا ومعظمنا قد سئم الغربة.. ويريد الاستقرار.

حجة ملائمة.. ولكن ..

-لايزال هناك شيء.. أليس كذلك؟

نظر لهما قحطان بتشكك ثم استقرت عيناه على سيف وطالبه بحزم:

-لم لاتخبرني بالحقيقة؟!

-لقد أخبرتك بالحقيقة..

-ولكن ليس كاملة.

اعترض قحطان باصرار بينما هتف رعاد بتوتر:

-لم لاتكف عن اللف والدوران..انت تخفي شيئاً.

-أنا أريد أتزوج من أختكما.

قالها سيف بحدة جعلت أوس يناظره بسخط بينما تفجرت عيون قحطان ورعاد بالذهول وهما ينظرا اليه .. كان قحطان اول من تخطى ذهوله ليسأل متحشرجاً:

-أختي؟! من؟! من تعني؟!

أخذ سيف نفساً قصيراً وهمس:

-سلمـى..

وقبل أن يكمل نطق حروف اسمها كان رعاد يفقد اعصابه نهائياً ويقفز عليه.. أمسك تلابيبه بقوة ورفعه اليه بعنف وهو يصرخ بوجهه:

-كيف تعرف أختي ياهذا؟؟

حاول سيف التخلص من قبضة رعادة القوية وحاول أوس مساعدته ليتدخل قحطان ويجذب شقيقه اليه بصوت حازم:

-رعاد توقف..

-عرفت انني رأيتك قبلاً.. كان هناك في المركز التجاري..هل كنت تتبعنا؟؟ هل واعدتها للقاء هناك؟؟

صرخ رعاد بغضب صاعق بينما قحطان يهتف به بقسوة:

-تمالك نفسك واصمت..

ابتلع رعاد باقي كلماته وهو ينظر لسيف كغريم يود قتله بينما قحطان يسأله بهدوء مخيف:

-كيف تعرف عن شقيقتي؟؟

-لقد..لقد التقيتها في باريس..

همس سيف بشحوب..

-قحطاااااااان دعني عليه..

صرخ رعاد حين أمسكه قحطان بقوة وهو ينوي الهجوم على سيف من جديد بينما سيف يواصل:

-انا أحبها.. وسلمى تحبني..يجب أن تفهما ذلك.

نظر له قحطان بذهول بينما استغل رعاد هذا وقفز نحو سيف مجدداً ليلكمه بقوة على وجهه ويسقطا معاً ارضاً وهو يصرخ بعصبية:

-لاتذكر اسم شقيقتي على لسانك ايها القذر..

تأوه سيف بقوة حين وقع رعاد على اصابة ساقه .. وسرعان ماجاءه المدد من أوس الذي أحاط عنق رعاد بقوة من الخلف وجذبه ليوقعه أرضاً ويجلس على ساقيه مانعاً حركته وهو يصرخ:

-توقف عن جنونك ياهذا واستمع لمايقوله..

زمجر رعاد وكاد يطرح أوس أرضاً حين سمع قحطان يصيح بصوت فولاذي:

-رعاااااد.. ستوقف هذا الشجار في الحال..

نظر لأخيه بذهول.. بينما قفز اوس من فوقه وأسرع لقريبه يسنده ليقف وقحطان ينظر اليهما بصاعقة:

-ستخبرني الأن كل شيء.. كل مابينك وبين اختي.. كل شيء دون استثناء.

مسد سيف فكه بقوة..ونظر لرعاد المتحفز بتوتر..قبل أن يجلس بهدوء.. ويبدأ بسرد جانبه من القصة.. متحاشياً النظر لقحطان ورعاد.. قدر الامكان.

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

في اليوم التالي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

شقت سيارات متتالية مدخل دوار شيـخ العزب.. وسرعان ماتقافز منها قفل حتى أن تتوقف رجال مدججين بالسلاح انتشروا بشكل مكثف حول الدار بينما توقفت سيارة وصلت خلفهم بصرير عنيف قفز منها رعاد بوجه متجهم .. أحمر عصبي.. واسرع نحو المنزل لتوقفه صرخة قحطان الزاجرة:

-رعاااااااااااد..

التفت لأخيه بأوداج منتفخة ليحذره قحطان بسلطة:

-اياك أن تؤذيها..

قبض رعاد كفيه كقبضتين من جرانيت واشاح عن أخيه وهو ينطلق اليها..

بينما زفر قحطان بتعب..ونظر لعلي الذي وقف جواره بقلق:

-اذهب معه..انا لاأثق بعصبيته تلك..

اومأ علي بسرعة وتبع رعاد بينما تنهد قحطان واتخذ طريقه لمجلس الشيخ..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

جلست ساهمة تمشط خصلات شعرها الطويل وتسمع دندنة فاطمة الصغيرة ابنة الجوهرة بلحن طفولي قديم.. لاتقوى على الابتسام.. حين انتفضت بذعر وهي تسمع الطرقات العنيفة على باب غرفتها ..

قفزت فاطمة نحو الباب بينما تناظره سلمى بجزع لينتشر البرود الى أطرافها حالما فتح الباب وتجلى لها رعاد بضخامته والشرر الشيطاني يتطاير من عينيه(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-رعاااااااااااااااااااااااااااااااااااااد..

صرخت الصغيرة بفرح وتعلقت بساقه ليقطع نظرات الغضب المسلطة على شقيقته للحظة ويبعد الصغيرة زاجراً بغلظة لم يتعمدها:

-اذهبي لجدتك يافاطمة الأن.

ركضت الصغيرة بخوف من منظره بينما ابتلعت سلمى ريقها

وتراجعت وهي تحاول ايجاد صوتها:

-رعااد؟؟!!

دخل بصمت يتبعه علي والتي كانت نظرته مهزوزة وقلقة.. رفعت

يدها تحيط عنقها بخوف حقيقي وهي تفكر.. هل وشى بها جدها؟؟!!

هل أخبر أخوتها ؟؟

شعرت بالضعف يشل ساقيها فتوقفت ونظرت لهما بترقب ليقطعه

رعاد بفحيح غاضب:

-كيف استطعتي؟؟ كيف اتتك الجرأة لتتمرغي رؤوسنا في التراب؟؟

التمعت الدموع في عينيها مباشرة..وهزت راسها تنفي ادعاءه الظالم

دون أن تقدر حتى على الكلام..

-كيف جرؤت ياسلمى..؟؟ كيف يا ابنة الشيوخ؟؟!!

-لم..لم أفعل..

همست مخنوقة ليصرخ بغضب عنيف:

-اصمتـــــي..

انتفضت بذعر حقيقي وعادت الحياة لساقيها ورعاد يقترب منها

لتهرب وتدع فراشها بينها وبينه وهو يصرخ:

-أخبريني منذ متى تستغفلينا جميعاً؟؟ هل كنت تقابلينه؟؟ هل كنت ترينه من وراء ظهورنا؟؟

بكت بمرارة وتوسلته بضراعة:

-اقسم أنني لم أفعل.. يالهي رعاد هذا أنا سلمى..

اقترب متجاوزاً سريرها وقبض على ذراعها بغضب اعمى عينيه:

-أخبريني الحقيقة ؟؟ هل مرغتي شرف عائلتك في التراب لأجل ابن السلاطين ياشقيقتي.؟؟

جحظت عينيها وهي تسمع سؤاله الجارح ونظرت له بألم (شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) هذا ماكانت تخشاه.. أكثر ماكانت تخشاه.. النظرة التي تجدها الان في عينيه الخذلان الذي يشعره نحوها.. الاستحقار والكره.. تشعرها تقتلها.. تذبحها..

سمعت علي يهتف بحنق:

-توقف يارعاد.. سلمى لايمكن أن تفعل هذا..

-كيف تفكر..

همست بوجع.. لينظر لها رعاد باهتزاز.. لتنفجر بالبكاء بمرارة وتسقط تحت قدميه تتشبث بهما بقوة صارخة:

-انا ابداً..ابداً لم أخن عهدي بكم.. لم أفرط بنفسي لرجل .. لم أمرغ رأس عائلتي يارعاد.. لم أفعل..صدقني ياأخي أرجوووك.. رعاااد صدقني..

اندفع علي يرفعها من كتفيها هاتفاً بها بحرارة:

-انهضي ياسلمى.. لن تركعي امام احد وانا حيٌ أرزق ياصغيرتي.

التفتت اليه ترتمي في حضنه صارخة بهستيرية:

-أخبره ياعلي.. أخبره انني سلمى..انا اختكما اللتي ربيتمانها بأيديكما.. أنا تربية الشيخ قحطان ولن أخطئ ابداً.

توقف رعاد مبهوتاً وهو يرى انهيارها.. احساس مريع بالذنب اقتات على قلبه وضميره واقترب رغم غضبه وثورته وجذبها من بين ذراعي علي بقسوة وهو يقبض على كتفيها:

-توقفي عن هذا الجنون..توقفي عن البكاء.

ازدادت دموعها وهي تحاول الابتعاد عنه برعب ليصرخ بها:

-لاتخافي مني..أنا لن أؤذيك..

اتسعت عينيها بذعر وهي تنظر اليه.. ورأت عينيه تتوسعان بقلق وهو يصرخ بألم:

-أنا خائف عليكي أنت ياحمقاء..

شهقت قبل ان تنتحب بصوت مزق قلبه وهي ترتمي عليه..

-ايتها الحمقاء الغبية..

غمغم بقهر..لتهتف بدموعها وهي تتشبث به بجنون:

-انا اسفة اسفة..لم اعرف ماكان يجب ان افعل..لم اعرف احد وكنت أتخبط وحدي..كنت وحيدة هناك.. فراس تركني ولم يسأل عني.. وحين لجأت اليه نبذني.. هوخانني مع نساء..

شهقت بألم ورعاد يضمها بذهول.. لايصدق ماتعرضت له شقيقته..

-سيف ..سيف وحده من وقف الى جواري..

هتفت شاهقة بالدموع.. وشعرت بتصلب رعاد فابتعدت لترى عينيه القاسيتين:

-انه يشبهك كثيراً..

هتفت بألم لترتجف نظراته وهي تواصل:

-كنت أرى فراس خيال مآتة.. مجرد طيف .. بالكاد رجل.. ثم التقيت سيف.. وكأنني اراك أمامي.. كان بقوتك..وصلابة وحكمة قحطان.. كان بحنان وعطف علي.. رأيته واحداً منكم فكيف لي ألا أحبه؟؟؟!!

همست مخنوقة ليبتعد رعاد بصدمة..

كانت تتكلم بصدق.. ولايهمها شيء..لم تخشى اعترافها امام اخوتها..لم يهمها سوى أن تقول انها تحب..

تحب ابن السلاطين الذي جاء اليهم بصدر مكشوف ليأخذها؟؟

-انا لم أرتكب خطئاً يارعاااد..

هتفت بمرارة ثم واجهت نظراته:

-أنت تحب غزل.. وهي تعشقك.. هذا الحب ليس محرماً أخي.. أنا أحببته وسأحبه الى الأبد.. ولكنني لن أخطئ.. ولن أتسبب لكم بأية فضائح.. ان أردتم أن أموت فها أنا ذا..

صرخت وهي تعود لتتوسد قدميه هاتفة بوحشية:

-انا تحت قدميك الأن يارعاد.. اقتلني..اقتلني وتخلص مني ومن العار الذي تظنني قد جنيته عليكم.

-انهضي ياسلمـــى..

هدر صوت قحطان.. فتيبس الكل وهم ينظرون للباب حيث ملئه بجسده الضخم.. اقترب منها بسرعة.. ورفعها بين ذراعيه يمسح دموعها بكفيه وهو ينظر لرعاد بعتب عميق قبل أن ينظر في عينيها ويهمس لها بابتسامة:

-لاتبكي ياصغيرتي..

-قحطاااان..

همست بألم وهي تخفض عينيها بخجل.. وخزي.. قحطان بالذات..

لاتجرؤ ان تواجهه.. وكأنه والدها..كان هو من قام بتربيتها.. هو ولي أمرها..

ضمها اليه بحنان وهمس:

-لاتخشي شيئاً ياصغيرتي.. كل شيء سيكون على مايرام..

ونظر لأخويه بحدة :

-عودا لمجلس الشيخ.. لقد وصل ضيوفه..

تبادل رعاد وعلي النظرات المتوترة قبل أن ينظر رعاد لسلمى بعجز ثم قال بصرامة:

-اذا ماتدخل أحد ابناء عمومها.. فهي من نصيبه ياقحطان.

نظر له قحطان زاجراً ليدفعه علي نحو الخارج بغضب .. ليمسكه من كتفه بقوة خارج الغرفة ويهتف به بعنف:

-لاتخسر ثقتك بسلمى يارعاد.. هي لم تخطئ.

-كانت تخدعنا..

-لا لم تفعل.. سلمى أحبت.. وهذا ليس خطئاً..

نظر له رعاد باستنكار ليهتف به بسخرية:

-ماذا أتظن الحب خطيئة أنت الأخر؟؟ وماذا تسمي حبك لغزل طيلة تلك السنوات؟؟ حتى وهي خطيبة أخيك؟؟ ومن ثم زوجته؟؟

اتسعت عينا رعاد بذهول وهمس :

-كيف؟؟كيف عرفت؟

-أنت تنام على بعد خطوتين مني يارعاد.. انا اعرفك أكثر من اي شخص في هذه الدنيا..

هتف به علي بمرارة ثم اقترب منه:

-سلمى وسيف لم يرتكبا أي خطأ.. فلاتفعل أنت.

نظر له رعاد برجفة وكلماته تحفر بداخله أثراً غريباً لم يفعله احد من قبل.. ابداً..

وهناك التفت قحطان لسلمى وابعد خصلات شعرها الغجري عن عينيها وهمس بابتسامة:

-لاتخافي ياسلمى.. انت بأعيننا ياصغيرتي..

لم تفهم.. لم تفهم مايحدث.. ولكن كلمة رعاد عن ابناء عمومها جعلتها شبه منهارة..

-انا لن أتزوج ياقحطان.. أبداً..

ربت على وجنتها بحنان وأقسم:

1اقسم لك ياصغيرتي..انه هذه المرة لو تقدم لك الرجل المناسب فلن أعطي له كلمة الشيوخ الا وأنا أثق بموافقتك.. انا لن أكرر أخطائي ياسلمى.

-انا لن أتزوج ياقحطان.

هتفت باصرار ليبتسم بثقة:

-دعيني أذهب الى مجلس الشيخ.. ليس من اللائق أن يتأخر الشيخ قحطان عن مجلس ديوانيته..

نظرت له بشكوك تتلاعب بأنفاسها.. هناك مايخفيه قحطان عنها.. هذا التلاعب يحيرها..غضب رعاد يقول انه يعرف كل شيء عنها وعن سيف.. من اخبره؟؟ فكرت بيأس.. ثم جلست بانهاك ومقولته عن الزواج تقتلها..

هي لن توافق.. ابداً..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

وهناك في مجلس الشيخ..

كان المكان مكتظاً.. من ناحية الشيوخ.. كانت عائلة الشيخ العزب وكل مشائخ البلدة حتى عمرو الشهري والذي وقف الى جوار قحطان

وفي الجهة الأخرى أكرم.. ثم شقيقاه.. رعاد وعلي.. فيما تصدر الشيخ قحطان العزب الاكبر مجلسه مواجهاً ضيوفه من السلاطين..

كان السلطان الضرير يجلس الى جواره ابنه الأكبر بكرسيه المدولب.. بينما انتصب كلاً من سيف وأوس الى جانبيه وخلفهما اعمامهما ..

وبين العائلتين.. كان كبير قضاة الدولة ..

كان مشهداً مهيباً.. ندر ان يحدث في المجتمع.. كان صلحاً يعفو عن الدم ويحرمه..

نقل قحطان بصره بين أفراد عائلته ورأى الوجوه المستنكرة لاولاد عمومه اليافعين.. لاأحد يقدر أهمية الأمر .. ولكنهم سيفعلون في النهاية..

نظر الى جده الذي اتاه قبلاً .. واستقبله ببرود .. كان يعرف انه لايزال غاضباً وغير راضٍ عنه.. وكيف يفعل وهو قد تحداه امام الجميع..

صحيح أن جده لم يصعد الأمر .. وترك هذا البرود والتجاهل بينهما.. فقط.. الا أنه يعرف.

لن يسامحه جده حتى تسامحه هي..

كان يتوقع مناقشة طويلة واعتراضات متتالية حادة من جده.. ولكن ولدهشته وجد جده ينظر له بتمعن قبل ان يعلن ببساطة انه موافق للقاء السلاطين.. بل انه يفكر بقبول الصلح.

ولذا هاهو الان الجميع يقف امام قاضي الدولة.. يستمعون منه الى محاضرة طويلة عن تاريخ العائلتين ومافعلتاه في تاريخ البلاد..

-سأذهب لأبقى قرب سعد ومختار..

همس رعاد لعلي وقحطان.. وابتعد بخطوة سريعة ليجلس بين ابني عمه بترحيب منهما.. وعلي يسأل قحطان بسخط:

-مالذي ينويه؟؟

نظر قحطان لملامح رعاد المتجهمة قبل ان يفكر للحظات وتشرق عينيه بابتسامة تجاهلتها شفتاه وهو يطمئن علي:

-يقوم بواجبه كأخيها الأكبر.. لاتقلق وثق به..

نظر علي لرعاد بشك وهو يفكر بماعساه يخطط..

في الناحية الأخرى(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-متى ينتهي هذا الثرثار؟؟

تمتم أوس بضجر ليحدجه سيف بنظرة صاعقة وهو يحاول السيطرة على توتره.. كانت الامور تسير بشكل جيد.. رغم انه يستطيع الشعور بتحفز كلا من أفراد العائلتين..

عرض القاضي مبلغاً ضخماً من المال ومساحة كبيرة من الأرض التابعة للسلاطين كترضية لعائلة العزب.. لقبول الصلح.. لينظر قحطان لجده ويومئ له هذا الأخير بصمت فالتفت للسلطان وهتف بقوة:

-ونحن لانقبل العوض ايها القاضي.. ثأرنا قد اخذناه قبل سنوات.. وانتهى الدم عندنا..

نظر سيف لقحطان بتوتر.. وكأنه أمام مسرحية.. بالضبط كماقال له جده سيحدث..سترفض عائلة العزب العوض.. ولكن يجب أن تقبل الهدية.. بطريقة أو بأخرى..

هكذا جرت العادات.. لذا التفت لأبيه الذي زفر بتوتر واومأ له ليتقدم ويهتف بصوت جهوري:

-ونحن نصر عليها ياشيخ.. انها هدية.. والرسول عليه أفضل الصلاة والسلام..

وردد الجميع التحية على الرسول الكريم ليضيف سيف بعدها بتوتر:

-قبل الهدية..

-وماهو المقابل لنرد عطيتكم.. الأرض مقابل الأرض؟! ام هو المال؟!

تسائل قحطان بهدوء.. ليبتلع سيف ريقه .. ويتدخل حينها أباه..

-هو نسبكم ياابن العم.. نسب شيـخ العزب يرد عطيتنا ويشرفنا.

عم الصمت ..

آل العزب يناظرون السلطان بذهول باستغراب لجرأته.. بينما عائلته نفسها تتعجب من جرأة الطلب..

-هذا اللقيط تجاوز حدوده..

دمدم مختار العزب من تحت اسنانه ونظر لرعاد بشراسة:

على جثتي لو يأخذ ابنة عمي وانا على قيد الحياة.. سأخطب على خطبته وأريه حجمه هذا الوضيع..

وشد من عزمه لينهض ويقطع الخطبة لابنة عمه.. حين شعر بقبضة رعاد الفولاذية تقبض عليه وتجره ليعاود الجلوس بقسوة

وهو ينظر له بوحشية هامساً من بين أسنانه:

-لو تفوهت بكلمة سأحطم انفك واعلقك امام الدوار يامختار..

أصمت والتزم مكانك..

اتسعت عينا الرجل بذعر وصمت وهو يلتزم مكانه كما أمره ابن عمه.. بينما قحطان يراقب من بعد وابتسامة امتنان تلوح على شفتيه..

لو قاطع احدهما الخطبة لما اعترض هو ابداً لاأحد يقدر على الاعتراض.. كان رعاد بعيد النظر لحد بعيد.. لقد جلس الى جوار الشخصان الوحيدان القادران على فعل هذه الخطوة الجريئة.. وقد حجمهما بفاعلية..

نظر حينها قحطان حوله برأس مرفوع وهو يقول:

-لاأرى من يعترض على خطبة شقيقتي الصغرى.." ونظر لوجه أكرم المتقع منذ بداية الأمر ليريحه قليلاً وعاد لينظر للسلطان" ولهذا ياسلطان.. ولانني وليها بعد اذن جدي شيخ العزب..

ورفع يده ليضعها بيد السلطان وهو يبتسم بثقة:

-تـم(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اتسعت عينا سيف بذهول.. وتلفتت عيناه حول الوجوه المبتسمة بانجاز.. ونظر لأوس بحيرة:

-مالذي حدث للتو؟؟

نظر له قريبة بحنق قبل ان يهز رأسه بأسى:

-يبدو أنك وقعت عقداً ابدياً مع الشيطان ياقريبي العزيز.. البقاء للّه في روحك الحرة وليالي المرح الأزلية..

وربت على كتفه مواسياً بينما سيف يواجه قحطان الذي وقف قباله ماداً له يده ليصافحه وهو يقول بحزم:

-مبارك لك ياصهير.. لقد اصبحت رسمياً من العائلة..

-هل.. هل تعني ماتقول؟؟ اتعني ان الأمر قد انتهى؟؟

هتف بتشوش لينظر له قحطان باستهزاء:

-ماذا كنت تنتظر.. مبارزة بالخناجر ومصارعة ؟؟ انها جلسة عرب.. وان جلس العرب لايختلفون ابداً.. سنذبح الذبائح.. ونعقد قرانك بشقيقتي بعد صلاة العصر ان شاءاللّه.. فهل أنت جاهز,,

جحظت عينا سيف وهو ينظر لقحطان..

يعقد قرانه؟؟

ستصبح سلمى زوجته.. اليوم بالذات ستصبح ملكه..؟؟ لم لايستطيع أن يصدق لم يعرف انه في هذه اللحظة بالذات سينتهي العالم.. سينهض من نوم عميق ويكتشف أن كل مامر به هو مجرد حلم؟؟؟

نظر لقحطان من جديد بعدم تصديق ليهتف قحطان بسخرية:

-ماذا هل غيرت رأيك؟؟

-لا لا..

هتف بشرود وهو يتراجع ليجذب أوس من ذراعه:

-اقرصني لأصدق..

هتف به بتعجب ليهتف به أوس بتهكم:

-ماذا تظنني؟؟ اختك الصغرى؟؟

-انا فقط لاأصدق..

قالها بانفعال ليبتسم أوس ابتسامة عريضة وهو يربت على كتفه:

-قلت لك ياصديقي.. ستفقد جرأتك حين تقع بالفخ حقاً..

تجاهله سيف.. واستند بظهره الى الحائط وعقله لايتوقف عن

الدوران ابداً(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اتجه قحطان لرعاد وابتسم قائلاً:

-أتريد ان تذهب لتبلغها بالخبر بنفسك؟؟

-أنا؟؟!!

هتف بذهول ليهز قحطان كتفيه:

-أنت تدين لها بهذا.. لن تنسى لك ابداً هذه الفرحة.. واحمد اللّه أنني

اتركك لتبشرها.

نهض رعاد حينها بسرعة.. وانطلق لغرفتها ..

كان متوتراً.. وحين وقف امام غرفتها ليطرق الباب استمع له صوت نشيجها المؤلم.. وشعر بقلبه يوخزه بقسوة.. فبعد كل شيء تلك كانت سلمى..!!

ابتلع ريقه بصعوبة ودخل بعد أن طرق الباب بسرعة .. كانت متكورة على فراشها وأمها على رأسها لتصرخ به بشحوب حال دخوله:

-ماذا قلتم لسلمى؟؟ لم هي هكذا؟؟

وقف ينظر لشقيقته التي كانت تنتفض بالبكاء وشعر للحظة بالذعر عليها قبل أن ينظر لأمه ويفجر قنبلته بكل هدوء:

-سعقد قران سلمى بعد صلاة عصر اليوم..

-ماذاا؟؟

صاحت امه بشحوب بينما توقفت انتفاضات سلمى وجحظت عينيها بوجع..

لقد خدعوها.. لقد وقف قحطان امامها وخدعها..

-لاااااااااااااااااااااااااااااااااا..

صرخت بعذاب وهي تقفز من فراشها وتواجه رعاد بعيون تلمع كالقطط وشعر ثائر كالجنيات.. كان يقاوم احساسان متناقضان للغاية.. كان يتذكر دوماً ماكان يقوله لها بمن سيرضى بكشتها هذه؟؟

ويصارعه احساس عميق بالألم للوجع الذي ظهر من كل جزء بها..

-انت كااذب.. قحطان أقسم لي.

-قحطان فعل ماهو مناسب لك.

قالها بصلابة..ثم اضاف وهو يحاول ان يتماسك وان يخرجها من وجعها بأسرع طريقة ممكنة:

-سيزوجك للرجل الوحيد الذي قد يقبل بكشتك المروعة ..

لامست شعرها الثائر حولها بذهول.. وقد صدمها مزاحه بهذا الوقت وهي بكل هذا الغضب والألم:

-ماذا تقول؟؟

همست بحيرة..مشوشة..

-لو رأك هكذا..لما تكبد مشقة كل مافعله وخطط له؟؟ حمدالله انه لم يفعل؟؟ لم نكن لنجد من يقبل بك يامنكوشة..

-رعاااااااد مالذي تقوله؟؟

صاحت امه بغضب حقيقي.. وسلمى تتنفس بسرعة وهي تنظر له غير قادرة على التصديق..

أمل عنيف.. صار يتخبط بين ضلوعها..وهي تتمعن بوجه اخيها الذي كبح ابتسامة متلاعبة بصعوبة وهي تهمس له:

-رعاد..من؟؟

رفع حاجبه بمكر قبل ان يخفضهما بحنان وهو يقرر الرأفة بها:

-اذهبي لتمشطي شعرك يافتاة..لاأريد لابن السلاطين ان يظن اننا نفتقر للاناقة هنا.

اتسعت عينيها بذهول وساقيها تميدان بها لتسقط على ركبتيها..

لم تنتبه لأمها التي انضمت اليها بجزع وعينيها معلقتين برعاد.. هل مايقوله صحيح؟ فكرت بجنون.. لاتجرؤ على التصديق.. لاتجرؤ على ان تأمل ماظنته لشهور مجرد حلم مستحيل(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

اقترب منها رعاد بحنو وأحاط وجهها المبلل بالدموع بكفيه وهو يقول بحزم مازح:

-هيا استعدي.. سنعقد القران بعد الصلاة.. لاوقت لديكي ياعروس.

تفجرت دموعها حينها وهي توقن انه لم يكن يكذب.. ليجذبها اليه بقوة.. ويحتضنها بعنف..

-ستكونين سعيدة..هذه المرة ستكونين سعيدة ياصغيرتي..

وكان محقاً..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

انتهى عقد القران.. كان سيف يردد مايقوله القاضي بكلمات متلعثمة ويده بيد قحطان القوية.. وانطلقت الأعيرة النارية تشعل سماء البلدة بالفرح..

وكم كانت فرحة رعاد الشيطانية والجد يرفض قطعاً لسيف ان يرى زوجته.. وقال بتصميم:

-ستراها يوم زفافها.. تلك هي عوائدنا.. انتهى الأمر.. اذهب لمنزلك ياسلطان وعد بعد عشرة أيام تامة وستجد عروسك جاهزة بانتظارك..

ضحك أوس لإحباط قريبه الشديد بينما ابتعد قحطان بهدوء وهو يرفض نظرته المتوسلة للتدخل.. لقد فعل الكثير بالفعل.. ولايريد ان يغضب جده حالياً..

شعر حينها بمن يقترب منه.. والتفت ليجد عمرو يبتسم:

-ذكرني الأمر بخطبتي لزوجتي..رباه وكأنها بالأمس..

ابتسم قحطان وهو يتذكر كيف جمع عمرو الشهري شيوخ العزب كلهم لخطبة المرأة التي أطارت بصوابه .. في منتصف الليل..

-كنت كمراهق مجنون.

نظر له عمرو بسعادة:

-انا كنت عاشقاً.. ولازلت ياصديقي..

التوى فم قحطان بشبه ابتسامة.. بينما كشر عمرو بانزعاج وهو يسأله:

-متى تنوي ان تنهي خلافك مع زوجتك؟؟

تجهم وجهه بلحظة .. واسودت عيناه بظلام.. جعله يغلقهما بزفرة طويلة ..

-النساء ياصديقي يحتجن الى الاصرار.. الملاحقة.. لاتحب المرأة الرجل الذي يتركها غاضبة لوقت طويل.. انهن يحتجن للحنان والاهتمام..

-هل أنت خبيربأمور النساء الان؟

-على الاقل انا اعرف كيف أصالح زوجتي حين تغضب وتهجرني.. لقد فعلت مرة ياصديقي وصدقني هي لم تكررها ابداً..

قالها عمرو بتشدق لينظر له قحطان بحاجب مرفوع بغطرسة دون أن يرد لتجلجل ضحكة عمرو:

-أنت رجل ميئوس منه.. لقد وقعت دون أن يُسمى عليك ياخي..

-انا لم أقع..

هدر قحطان مزمجراً.. ليضحك عمرو بخبث ويهمس:

-أتذكر من قال لي يوماً انه ان عشق قلبه فسيخرجه من صدره ويدوسه بقدميه .. انا لم اخلق للغزل والحب..

قالها مقلداً صوت قحطان الأجش ليرتجف قلب هذا الأخير بعنف..

ويزم شفتيه بقسوة كخيط رفيع ..

ربت عمرو على كتفه:

-أعد زوجتك ياشيخ.. واترك قلبك يتنفس.. والا فأنك ستختنق بتصلبك وعنادك هذا.

غامت عيناه بتوتر.. وهو يفكر بكلمات عمرو..

اترك قلبك يتنفس..

كررها عقله بصوت عالٍ.. حتى اجتاحه كله.. وسيطرت الفكرة على حواسه.. وامتلكتها..

تلك الليـــلة حين أوى الى فراشه.. كانت تقارب الساعة منتصف الليل.. كان قد عاد لتوه من سلمى.. وكم ارتاح قلبه لرؤية سعادتها الواضحة.. والتي تجلت من عينيها..

تنهد بارتياح واراح ظهره على الوسائد حين سمع طرقة الباب وأدرك انها امه..

-تفضلي أمي..

قالها باحترام لتدخل أمه بهدوء وتجلس الى جواره.. اقترب منها وقبل كفها وهويسألها بحنان:

-كيف حالك ياغالية؟

قبلت رأسه المنكس وهي تبتسم بمحبة خالصة لولدها وهمست:

-بخير مادمت بخير يابن قلبـي.

اتسعت ابتسامته وقال بمشاكسة:

-لم تناديني هكذا منذ زمن ياام قحطان.

لامست جانب وجهه بحنان واختنقت في صدرها العبرة وهي تهمس:

-الى متى تعذب نفسك هكذا يابني..؟؟

انطفات ابتسامته وتراجع وهو يتسائل:

-ماذا تعنين ياامي؟

ابتلعت ريقها وجاهدت نفسها لتقول بصوت خرج مهتزاً رغم ثباتها:

-أعني زوجتك ياصغيري..متى تنوي أن ترجعها اليك؟

ابتعد قحطان ونهض هامساً بتهكم لم يسيطر عليه:

-أنت من بين الجميع تتسائلين اماه؟؟ ظننتك لاتريدينها ابداً في حياتي؟

نظرت له بحزن ثم قالت بصدق:

-كنـــــــــت.. هذا صحيح.. ولكنني الان ..الأن فقط أعرف كم تحبها يابني.. وأنا..أنا لا أريد سوى سعادتك.

زفر قحطان مطولاً فاقتربت منه هامسة بعبرة:

-أنا أم ياقحطـــان.. ولست أماً لرجل عادي..

وأدارته اليها لتنظر في وجهه:

-أنا أمك أنت.. قحطان العزب الشيخ الموثوق.. أنت لست مجرد ابـن..

انت لست فقط ابني..

همهمت باكية وهي تحيط وجنتيه بكفيها ودموعها تنساب بصمت:

-أنت سندي.. عزوتي.. أنت ظهـــــــري ياقحطان..

تهدج صوتها وهي تقول كلمتها الأخيرة وتنفجر بالبكاء.. اتسعت عيناه بتأثر وضمها الى صدره وهو يهمس:

-لاتبكي يام قحطان.. انت تاج رأسي وعيني..لاتحزني ياريح الجنة ارجوك.

-أنا لم أرد في حياتي سوى سعادتك بني.. وكأي أم .. انا أحبك بجنون.. وأراك عكس أخوتك .. انت بالنسبة لي خالٍ من العيوب..

ولاتستحقك اي امرأة في هذه الدنيا.. لاتوجد امرأة خلقت لأبني.. هذا ماكنت اؤمن به..

هتفت بألم وهي تلامس كتفه:

-أنت كنت رجلي بعد والدك رحمه اللّه.. أردتك شامخاً لاتذله امرأة.. أردتك قوياً كأبيك وجدك.. ولذا اخترت لك زوجة مثلي.. ستعبدك.. وتقبل تراب قدميك.. ستنجب أطفالك وبنفس الوقت فهي ابداً لن تسرقك مني..

-لا احد يقدر على سرقتي امي..انا لست بطفل..

نظرت له بسخرية:

-الرجال يفقدون عقولهم امام النساء الجميلات.. ويرجعون أكثر طفولة من طفل.. أنت فقط من لم ترى هذا..

حين جاء جدك بسيادة وعرفت عزمه ليزوجها احدكم كنت مستعدة لتزويجها علي..

عقد حاجبيه وهمس بحنق:

-سيادة لي ياأمي.. هي ولدت لأجلي..

رأت انفاسه المتلاحقة وشعرت بحرارة جسده الغاضب فضحكت:

-أعرف.. رغم كل شيء ورغم أنها بعيدة كل البعد عن المرأة المثالية الا انها الوحيدة التي فتحت قلبك..

-أنا أحبها ياأمي..

همس بعاطفة جياشة.. وشعر بأطنان من ثليج تسكب على ظهره..

ربااااااااااااااااه..

كم كانت الكلمة عذبة وسهلة وهي تغادر فمه.. تحمل جزءاً من روحه..

-أعرف.. ولذا فانا سأقولها لك مرة واحدة فقط.. اذهب اليها بني..

أخبرها بمشاعرك نحوها.. ولاتعد لي ابداً بكل هذا البؤس والألم(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

رفع حاجبيه بتأثر واقترب يعانق أمه بقوة وهي تضحك وسط دموعها.. وتدرك انها أراحت قلبه.. وبقي الجزء الأهم.. أن يقنع تلك .. بكل مافيه..

***

في الفجر التالي..

ماان انتهت الصلاة حتى كان ينطلق اليها..

هذه المرة سيعيدها.. لأنه يعرف السر.. ابتسم بثقة واندفع بسرعة الى المدينة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

فتحت عينيها على ضوء الشمس..

نهضت بتكاسل لتمارس طقوسها اليومية.. صلت فرضها ثم غيرت ثيابها الى بلوزة قطنية خفيفة وسروال منخفض الخصر من القطن الازرق الشاحب.. عقصت شعرها خلف رأسها كذيل حصان طويل يصل الى منتصف ظهرها وتخلت عن الصندال واكتفت بالمشي حافية القدمين خارجة من غرفتها الى غرفة المعيشة.. لم تجد أحد ..

دخلت المطبخ ووجدت على البراد رسالة كتبت بخط والدها"ذهبنا للمشي قليلاً.. سنتأخر"

عبست وهي تستغرب هذا التغيير للروتين.. ولكنها لم تعترض كانت جائعة.. بطنها تصرخ باعتراض فهي لم تتناول عشائها حتى واكتفت بثمرة أجاص واحدة فقط..

ابنها حتى اعترض..

ركلها بقوة جعلتها تنتفض وتلتوي ممسكة ببطنها بألم:

-سانتقم منك حين ولادتك أيها الشقي..

استقامت واقفة ومسدت ظهرها بألم وتوجهت للبراد واستخرجت منه كمية كبيرة من مربى الكرز والزيتون والجبن.. وجلست تراقب ألة تحميص الخبز حتى أصبح مقرمشاً..

وسكبت لها كوباً كبيراً من الحليب وأخر من العصير وهتفت لنفسها بحزم:

-سأكل هذا كله..

وبكل ثقة قضمت قضمة كبيرة من التوست الملس بالزبد وشربت جرعة من الحليب.. ثم بدأت تمضغه ببطئ..

رفعت عينيها للسقف تتأمل دوران المروحة البطيئ وزمت شفتيها وهي تتخيلها تدور وتدور..

ثم سمعت الصوت..

صوت مفتاح يدور في القفل..

لم يتأخرا على كل حال.. نهضت بسرعة تحمل كأس حليبها بيدها وتصيح بحنق:

-لاأصدق انكما ذهبتما للنزهة بدون(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

وتعلقت حروفها بشهقة مفاجأة هزتها وكأس الحليب يقع من بين يديها لينسكب تحت قدميها وهي ترى الرجل الذي احتل غرفة الجلوس بقامته المهيبة وعرض كتفيه المهول..

تراجعت بخوف ويديها تحيطان بطنها بدفاع وهي تهمس:

-أنت؟؟!!

حبس أنفاسه حال رؤيتها(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

كشمس الصباح المشرقة.. تجلت نحوه وسرقت دقات قلبه وهو يقترب منها:

-صبـــــاح الخير ياسيادة..

انتفض قلبها بوحشية شوقاً لصوته.. لرائحته والتي وبرغم رائحة الخشب المصقول والمفروشات الجديدة ومعطر الجو الفرنسي..

احتجزت الهواء بعنفوان وطردت منافسيها لتحتل شعيباتها التنفسية وتحتكمها.. تحتكم أنفاسها وبقوة.. نظرت له ووخزت

الدموع عينيها.. لسعتها بقسوة وارادت معها البكاء بعلو صوتها

ولكنها لن تفعل.. لا هي لن تبكي..

-ماذا تفعل هنا؟؟

-جئت لأجلك..

قال ببساطة لتثور مشاعرها:

-ماذا ألم تعجبك احدى فتيات أمك الصغيرات؟؟

عقد حاجبيه ثم تذكر حجة الجوهرة المشينة وسيادة تصرخ:

-أنتما مقززان.. تثيران قرفي..

-سيادة..

همس بعتب لتشيح عنه متجهة لغرفتها بخطوات عنيدة:

-ارحل.. لاأريد رؤيتك هنا ..اذهب.

تبعها باصرار وبسبب ساقيه الطويلتان كان يلحقها.. ارادت غلق

الباب ولكنه لم يسمح لها وبلحظة كان معها في الغرفة..

كانت الغرفة ضخمة واسعة تدخلها الشمس من ثلاث جهات.. فلم

بدت الأن ضيقة موحشة خانقة؟؟!!

فكرت باختناق وهي تدور حول نفسها بتوتر شعرت بخرج من بين

مسامها..

-أريد التحدث معكي..

-ليس بيننا أي حديث..

هتفت بجنون.. لاتريد الانصات له.. لاتريد الاستجابة للشحنات الكهربائية التي تتقافز منه وتلتقطها هي باستجابة.. لقد عذبها كثيراً.. عذبها بجفاءه وقلة لينه وابتعاده..

-لدينا الكثير لنقوله..

-ليس أنا..

هتفت بعنف وهي ترفض حتى الاصغاء..

ليتنهد ويقترب منها:

-أريد أن أكون معك.. سيادة.

نظرت له بعنف وصرخت بوجع:

-دائماً هي نفس الاسطوانة.. أنت تريد أن تكون معي..متى ماناسبك هذا؟؟ وحين اريدك أنا فأنت اما مشغول بعمل او مشغول بمطاردة قاتل مهووس..

نظر لها مبهوتاً.. انفجارها الهستيري وهي تعيد له تلك اللحظتين..

بعينين تشعان بالوجع والخذلان ليهمس لها بصلابة:

-حين تركتك للذهاب خلف حسن لم يكن لدي خيار ولو تكرر الأمر لفعلته مجدداً.. كانت حياتك على المحك..كان ليعود اليكي.. ويقتلك..كان يجب أن أتخلص منه مهما حدث..

نظرت له بعينين متسعتين .. ليواصل بعد عناء:

-أما ماحدث في المكتب فلو كان الأمر بيدي لكنت غيرت ماحدث وقتها سيادة لكنت تركت المكتب وتركت العالم يحترق وغادرت معك..

-لم لم تفعل؟؟

همست بألم ليجيب بقهر:

-لأنني عنيد وكبريائي أكبر من أن انحني لامرأة..

هزت رأسها غير مصدقة.. فيما واصل هو:

-انا أسف ياسيادة.. أسف لأني خذلتك وقتها.. لو استطعت اللحاق بك أسرع.. لكنت ادركتك قبل حسن.. لكنت أنقذتك منه..

-ولكنك لم تفعل..

همست بجمود.. قلبها يخفق بجنون وعينيها يحميهما غشاء من الألم لمنع انسكاب شوقها وحبها عبرهما.. كيف لها ان تنكر وتخفي حبها لهذا الرجل.. كيف؟؟

-ولكنني تغيرت سيادة..أنا..أصبحت رجلاً أخر.. رجل لايخشى أن يضع كبرياءه أرضاً فقط ليحمي من يحب.

احتاجت أن تجلس.. فساقيها أصبحتا بليونة المطاط مهددتان بالانحناء تحتها بأي لحظة..

هل تصدق ماتسمع حقاً؟! جلست على مقعد قريب ونظرت اليه هامسة تدافع عن غضبها .. عن ألمها ..

-أنت كاذب..

-أتريدين مني أن أجثو على ركبتي؟

همس بثقل لتنظر له بسخرية وترد بجفاء متجاهلة ضربات قلبها الهادرة:

-وهل ينحني قحطان العزب العظيم لامرأة مثلي لاتسوى في نظره شيء ذو قيمة؟!

-أنت تعنين الكثير لي ياسيادة.

آلمها ذكره لاسمها بتلك الطريقة.. كمالم تسمعه من أحد وأكثر ماآلمها كانت ردة فعل قلبها لسماعه..لذا رفعت اليه عينين قاسيتين ليعود ويهمس:

-أتريدينني أن أجثو لتصدقيني؟

خفق قلبها بعنف شعرت معه بأنه سيثب عبر قفصها الصدري وبلوزتها الرقيقة ليفضح تماسكها الزائف ويكشفه على حقيقته لذا عقدت ذراعيها على صدرها تخفي ارتجافتها ونظرت له متحدية ولم يكذب خبراً..

رأته يقترب بتؤدة وتحت عينيها الذاهلتين وقف قبالتها مباشرة.. نظرت لوجهه بشحوب..

كان كماتعرفه.. قوي..صلب كما اعتادت ولكن عينيه رباااه..ماذا فعلت بها عيناه.. أي سلطة تمتلك عليها وهي آمنة بعيدة عنه.. أي عذاب يمارسه عليها وهو ينظر لها بتلك العينين السوداوتين الكفيلتين بقلبها رأساً على عقب.. لقد اختفت قسوتهما.. لم يظهر لها سوى ذلك البريق الخاطف الذي سرق أنفاسها بشهقة قصيرة مخنوقة تعلقت بحلقها وجعلتها كالغرقى..

ثم فعل مالايجب عليه ان يفعل.. انحنت ساقاه امامها..!!

-لاااااااااا..

هتفت مخنوقة وهي تدفع نفسها واقفة وكفيها تصدان صدره بقوة ليعاود الوقوف بثبات ..كانت قريبة منه جداً لتلاحظ ارتجاف شفتيه وهي تهمس له :

-لاتفعل هذا لأجلي..

أغمض عينيه بقوة وذراعاه ترتفعان لتقبضا على كتفيها بحزم وتقربها منه أكثر ليتسنى له استنشاق أريجها الناعم .. لايزال مدمناً ولاتزال هي الدواء..!!

-سيادة!!

همس بثقل وذراعاه تحوطانها لتضمانها الى صدره العامر.. تأوهت باكية.. كل هذا الوقت.. كل هذا الألم والبعد والعذاب.. كانت تضعف.. وهي قررت عدم الضعف.. كفيها اللذان استقرا بخضوع على صدره بدئا بالتمرد..وتكورت قبضتيها لتدفعه عنها بحزم وهي تهمس:

-أنا لا أريــد هذا..

-ومالذي تريدينه أكثر ؟!

همس لها بحرارة.. قريب منها ليكتشف ارتجافتها بين يديه.. كان قريباً لدرجة انها شعرت بالحرارة التي يبثها اليها بجنون.. قريب ليثير فيها كل عصب حي ويدفعها لأن تستجيب له بغريزة الأنثى دون أن تقاوم.. دون أن تنتصر لكرامتها.. انسابت دموعها وهي تثبت فشلها في مقاومة حبها وعشقها لهذا الرجل.. وهمست بألم:

-أريدك أن تحبني فقط.. أريدك أن تشعر نحوي بالقليل مما أشعر به نحوك..

-يالهي الرحيـم..

تمتم بذهــول.. ثم أحاط عنقها بكفيه ورفع وجهها اليه..تأمل صفاء ملامحها الراقية.. شعرها الذي رفعته بعيداً عن وجهها والخصلات الناعمة المتمردة التي احاطت بجبينها.. نزولاً لعينيها الغارقتين بالدموع ثم وجنتيها المبللتين بها ..واستقرت نظراته على شفتيها..اللتان افترتا باغراء لم تقاومه حين رأت عينيه عليها.. ليقترب ويطبع قبلة طويلة على جبينها..

يالله.. لم يعذبها هكذا؟؟

فكرت بمرارة..وهي تتشبث بمعصميه بجنون..بينما ينزل بشفتيه بتمهل عبر جسر أنفها ثم مروراً بوجنتيها المتقدتين بالحرارة والدموع.. وينزل أكثر ليلامس أرنبة أنفها بخفة أرسلت رعشة قوية لأطرافها قبل أن يهبط بفمه الى زاوية فمها.. ويتلكأ هناك في عذاب مثير..بطيئ .. وحار..

كلقاء عاشقين عاصف في ليلة شتاء باردة.. طويلة ومثيرة..

سمعت خشخشة بضعة عصافير امام نافذتها.. وأدركت أن كل شيء حولهما ساكن .. صامت ..

حتى أنفاسها حبستها بداخلها بانتظاره..

سمعت صوت تخبط أجنحة العصافير ثم سمعت صوته..

عميق واثق.. منخفض.. اندفعت الكلمات من بين شفتيه لتتسلل الى اعماق روحها الجرداء وتجري مجرى الدم باعثة انتفاضة لذيذة مرت عبر عروقها حتى عمودها الفقري.. فقدت احساسها بساقيها وافترقت شفتيها بشهقة غير مصدقة ليكتمها هو بشفتيه.. مكتسحاً أي اعتراض.

العالم كله اختفى من حولهما.. كل شيء بدا متعلقاً بكل تلك الألعاب النارية التي تفجرت بداخل رأسها باعثة نشوة تلو الأخرى تغرق جسدها بداخلها وتزرع مهرجانات من البهجة والفرح والجنون..

تعلقت بكتفيه بذهول وكلمته اليتيمة تشق جمودها كقالب من الزبد الطري..دون مقاومة..

تنفست شهقاته حين ابتعد مطالباً بالهواء..وعينيها تشعان بنظرة غير مصدقة وهي تتشبث بعينيه..

ستستيقظ الان من حلمها..

انه بالتأكيد حلم.. لايعقل أن يكون ماسمعته حقيقياً.. قحطان لايقول هذا.. مستحيل..

"أحبـــك"

أعادها بخشونة هذه المرة..بنبرة أثقلتها العاطفة.. وهو يحيط خصرها بذراعيه ويقربها منه متجاهلاً الذهول في عينيها وهو يواصل بذات الطريقة:

- أحب عينيكي.. شعرك..أحب رموشك الحمراء وبشرتك الناعمة..أحب وجهك حين تنظرين إلي بهذه الطريقة.. أحب نمشاتك البرتقالية.. سيـادة.. وأعشق .. أنا أعشق شفتيكي(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

تفجرت دموعها بقوة وهي تستسلم لشغف حبه الذي كان يقبل كل جزء يذكره منها بخفة ورقة لاتصدر الا من عاشق.. قبلته كانت عذبة..مؤرقة..والابتعاد عنها كان عذاباً.. ولكنه ابتعد ابتعد لينظر لعينيها بهيام ويهمس بثقل:

-وأكثر ماأحبه.. ماأعشقه سياده.. هو أنت..

اتسعت عينيها بذهول..ليواصل:

-أنت هي حبيبتي.. أنت هي دنيتي ياسيادة.. بدونك..لا أستطيع أن أفكر حتى بحياتي من دونك..أنت نصفي الأخر..لا لا.. انت هي روحي سيادة.. أنا لاأسوى بدونك حبيبتي..أنت هي زوجتي..امرأتي.. أنت هي حياتي كلها.

عاد يقبلها برقة.. وكأنما ستكسر وتتهشم بين يديه.. شهقت بالدموع لكلماته الرقيقة ليقربها منه أكثر متجاهلاً انتفاخ بطنها .. كانت ترتجف بين يديه..نهرها عن البكاء بين حمى قبلاتهما المشتعلة..

-لاتبكي..لاتبكي ياسيادة فالدموع لاتليق بشيخة العزب..لاتبكي ياسيادة قحطـان وتاج رأسه..

-قحطاااااان..

همست بعذاب ليعيدها الى دفئ حضنه متمهلاً في رسم شوقه على شفتيها.. ذقنها نزولاً الى عنقها ومتمهلاً هناك وكأنما لايريد تركه والابتعاد عنها.. فيما جاست ذراعيها متلمسة كتفيه.. لاتصدق أنه هنا.. بين ذراعيها.. لقد خسر وزناً فكرت وهي تذوب في لمسته..أصبح نحوله ظاهراً ولكن لم يؤثر على عرض كتفيه المهول.. لايزال عملاقها الحبيب.. لامست منابت شعره وغرست أصابعها في خصلاته

القصيرة المهملة وتأوهت حروف اسمه بدلال.. بغنج كماكانت تفعل وهو يمارس تعذيبه المطلق لمشاعرها المرهفة في هذه المراحل من حملها..

شوكتها ذقنه وهي تلامس مقدمة صدرها حتى وهنت ساقيها وماعادت تقدر على الوقوف فتعلقت به كلياً وأظافرها تنغرس في لحم كتفيه.. ليهمس وشفتيه تداعبان أذنها بحميمية:

-لدي الكثير.. والكثير لأقوله لكي..

أحاطت جانب وجهه بكفها وقربته منها وهو يواصل بنفاذ صبر ملهوف:

-ولكنني لاأستطيع التحمل أكثر حبيبتي..

وقبلها بعمق ولمدة طويلة تركتها شاهقة وهو يعاود لمساته المجنونة:

-لقد اشتقت اليكي بجنون..

همس بيأس لتحمر خجلاً وتشعر بحرارة تجتاحها من رأسها لأخمص قدميها وكأنها عادت تلك الصبية البريئة التي جائت قبل شهور بدت كالأزل.. ولكن لا.. هي لم تعد تلك الفتاة.. هي لم تعد تلك الحمقاء التي ماان يبدأ بلمسها حتى تنسى كل شيء ماعدا اغراء يديه وشفتيه وتذوب كلياً .. ولكن الاغراء كان كبيراً.. لأن تسلم له

فقط.. تسلم كل شيء وتقبع ساكنة بين ذراعيه كي تكتشف معنى أن تكون حية.. كتلك الليالي التي كانت تزور أحلامها وتقلب ليلها لكابوس من الشوق واللهفـة المطلقة..

لكن لا..

همستها بإصرار..

"لا"

أفلتت من بين يديه متراجعة تسمح للهواء أن يحتل فراغاً بينهما..هذا كثير.. فكر وهو لايريد هذه المسافة الضئيلة حتى.. يحتاج أن يلغيها. ولكن نظرة لعينيها الصلبتين جعلته يتوقف وهي تهمس محاولة ألتقاط أنفاسها:

قلت بأن لديك ماتقوله بعد؟

-يمكن أن ينتظر..

همس باثارة وهو يلامس ذراعيها بشغف لتنتفض باستجابة وتحاول السيطرة على لهفتها اليه هي الأخرى:

-لا قحطان.. لن أنتظر.

اعترضت باصرار ليتوقف لحظة وينظر لها .. رأى اصرارها فتنهد باستسلام ثم جلس على الكرسي الوثير الذي كانت تجلس عليه

وجذبها لتقبع على ركبتيه وتواجهه ببطنها الكبيرة.. لامسها بكفيه بحنان وانتابتها غصة انه لم يكن هنا معها كل تلك الأشهر.. يراقب تكورها يوماً بعد يوم!!

أحنى رأسه ليقبلها بحنان فابتسمت بحب وهي تميل لتلامس رأسه الأسود بشفتيها ..

شعر بها وفاضت مشاعره بداخل قلبه بطريقة لم يعهدها من قبل أحاطها بذراعيه باحكام ورفع رأسه لينظر لعينيها وقريباً من وجهها همس بنعومة:

-سأعوضك كل تلك الأيام ياسيادة.. سأعوضك كل دقيقة اضطررتي بها لمواجهة العالم بدوني.

أسندت جبينها لجبينه وشعرت بألمه يشرخ نبرة صوته الفخور وهمست وهي تضغط بكفها على يده الضخمة المحيطة ببطنها:

-ستكون معي وهذا يكفيني منذ الأن ياقحطان ستكون معنا حبيبي.

-تمنيت لو لم أبتعد أبداً أردت دوماً أن أكون الى جوارك..قريباً منك لقد عرفت كل أخبارك من عمي سالم والجوهرة كنت أسأل الجميع عنك في اليوم عشرات المرات لقد سأم الجميع مني حتى عمرو.. أصبح يظنني مجنوناً.

هتف بانفعال لتبتسم وهي تلامس وجنته الخشنة بنعومة اصابعها:

-أنت أعقل رجل على وجه هذه الارض.

-أتظنين؟؟

همس مبتسماً بشرود وهو يغرق باحساس مخدر للمستها الرائعة لتدافع عنه بحماس:

-ومالذي أثار جنوني سوى عقلك الرزين حد الثقل هذا ياشيـخ؟

احمرت وجنتاه وخفض عينيه لتتأوه بحب لهذا الرجل الضخم الفخور الذي يخجل من كلماتها الصادقة.. كم من رجل يقعد هكذا .. مسيطراً على امرأة بكل جوارحها ملك له.. وبنفس الوقت هو يحمر خجلاً من مغازلتها له ؟؟ اي رجل هو هذا العملاق الذي تعشقه؟؟!!

رفعت وجهه اليها وهمست تحثه على الكلام:

-كنت تقول؟؟

ابتسم بارتباك.. لو استمر ينظر لها هكذا لهذه العينين الخضراوتين فهو لن يقول شيئاً.. لذا تنحنح بقوة وثبت عينيه بقوة محاولاً السيطرة على انفعالاته:

-انا قد قلت لك من قبل أنني لاأجيد التعبير عن مشاعري.. لم أضطر يوماً.. لأن أفسر ماأشعر به..او ماأقوم به لقد اعتدت أن أتصرف بعقلي لدرجة انني نسيت مايعنيه قلبي لي..

لقد توفي أبي وأنا مجرد صبي صغير..وجدت نفسي أقف مع جدي لأخذ عزاه دون حتى أن أبكيه لم يكن لي الحق كنت أكبر أخوتي وكانت سلمى لاتزال طفلة رضيعة.. جدي وقف الى جواري يومها واخبر الجميع أنني مادمت معه فهو لم يفقد ابناً ابداً..

لمعت عيناها بالدموع.. تتخيل هذا العملاق طفلاً لم يتعدى الثانية عشر من عمره يقف في مواجهة كل تلك المشاعر والجبروت.. شعرت بالأسى عليه.. ولكنها لم تظهر اي شيء بل ظلت قابعة بصمت بانتظار ماسيقول وهو يعبث بأطراف بلوزتها بتوتر:

-تعلمت حينها أن أكون مثله.. مهما كانت مشاعري فلايجب أن تظهر أمام أحد مهما كانت.. سعادة أو حزن اهتمام أم كراهية.. لاشيء.. كنت وحدي رغم كل شيء..رغم وجودهم حولي كنت انا وجدي فقط. ثم كبرت لأذهب للجيش.. وهناك تعلمت شيئاً أخر..

ورفع عينيه لها ليهمس ببرود:

-تعلمت القسوة.. لدرجة أنني لم أعد أخفي مشاعري.. كنت أدفنها , رفضتها ونبذتها عني نهائياً..أصبحت مجرد رجل آلي لم أكن أهتم بما يحدث للشباب الأخرين ومايفعلونه كالحب وغيرها.. الزواج شيء اعتبرته من رابع المستحيلات وقتها..ثم بدات أدرك رغبة أمي وجداي بأن تكون لي عروس ورؤية أطفالي..ولم أفكر بالمعارضة.. بالنسبة لي كانت مجرد خطوة أخرى أخطوها من أجل الجميع.. لم أفكر بنفسي.. والعروس المختارة انتقتها لي جدتي.

شعرت بالغيرة تنهش قلبها وهي تهمس بحقد:

-تلك الفتاة الطفلة من أل مدكر؟؟

نظر لها بدهشة لكمية الغيرة التي تقاذفتها كلماتها قبل ان يداعب عنقها بلمسة حنونة سرقت منها توترها وجعلتها تنظر له بابتسامة وهو ينفي:

-كلا.. لقد كانت فتاة أخرى.. قبلها بكثير..

-مالذي حدث؟؟

اعتدلت بفضول وهي تعقد حاجبيها وتفكر ان هناك فتاة اخرى تستحق أن تنال حقدها وكراهيتها..

-لقد انتهى ذلك الامر بطريقة غريبة نوعاً..

-كيف؟؟

هتفت بتوتر ليضحك لغيرتها المكشوفة:

-لقد كنت عائداً من صلاة الفجر في يوم.. لم ارافق فيه الشيخ لأمر استدعى بقاءه في المسجد.. حين اعترضت طريقي تلك الفتاة..متشحة بالسواد لولا صوتها الغارق بالبكاء لم أكن لأراها وسط الظلام.. وجدتها تتوسد قدمي و وتدعوني لأرحمها ولاأتمم الزواج.. كانت تعرفني.. وبعد جهد استطعت أن أدرك انها العروس. اتسعت عينا سيادة وهي تفكر ماقد يدفع فتاة من بيئة كتلك ان تجازف في مثل هذه المجازفة.. ليواصل قحطان:

-طبعاً في ذلك الوقت لم تكن عائلتي قد تقدمت بشكل رسمي ولكن كان الأمر معروفاً. لم أفهم في البداية ولكني أدركت أن انهيارها التام لايتعلق فقط برفض الخطبة وأن هناك شيء أكبر من ذلك بكثير.. قلت لها بأني لو أنهيت الأمر كماتقول فهذا سيثير كل أنواع الأقاويل عليها.وستأكلها الألسن بلارحمة.ولكنها لم تجب سوى بكلمة واحدة.. قالت بانه "سيعود".. وحينها فهمت..

-كانت بانتظار أحدهم؟؟

همست مأخوذة ليومئ ضاحكاً :

-كنت وكمايبدو أتدخل في خطبة معدة مسبقاً ولأنني شيخ العزب فلم يجرؤ أحد على الاعتراض في وجهي ووجه عائلتي.. ولكنها كانت شجاعة كفاية لتقف أمامي.

-كانت تدافع عن حبها.

همست مبتسمة ونظرت في عينيه بحنان ليتهكم:

-وانا تكفلت بانفجار عائلتي لإنهاء كل شيء قبل أن يبدأ دون مبررات.

-هل فعلت؟؟

رفعت حاجبيها بتأثر فهز كتفيه دون اكتراث:

-لم أكن لأخذ امرأة رغماً عنها سيادة.

ضحكت مقهقه قبل ان تقول لعينيه بمكر:

-ولكنك أخذتني انا رغماً عن أنفي وعن كل عصب حي بجسدي.

احتقن وجهه وهمس مخنوقاً:

-أنت كنت الاستثناء.. أنت كنت واجبي..كنت مرغماً للزواج بك مثلما كان الأمر معك.

-لم يكن يظهر عليك هذا.. كنت تبدو وكأنك تريد الزواج بي حتى تذلني وتمرغ رأسي بالتراب.

-لم يكن هذا الأمر صحيحاً..

اعترض باستنكار شديد وهتف مدافعاً عن نفسه:

-لم أقبل بالزواج بك لامرغ رأسك بالتراب.. أنت ابنة عمي.. وأصبحت زوجتي.. قيمتك ومكانتك من قيمتي أنا.. زواجي بك كانت له أسبابه سيادة.. حين جاءني عمي ليتوسل لي أن استرعرضه لم أفكر سوى بقتلك وقتها.

ارتجفت لقسوة مايقول ولكنه أحاطها بين ذراعيه وقربها لدفئ حضنه وهو يهمس:

-دعيني اكمل.. لقد كنت بالنسبة لي عظمة في حنجرتي.. لم أكن أقدر على اخراجها ولو ابتلعتها ستخنقني.. انا رجل فخور بنفسي وعائلتي ياسيادة.. وزواجي بامرأة والدها يقول لي عنها كل تلك الامور البشعة جعلني افقد تعقلي.. كنت ارغب بقتلك.. وارغب بسترك فأنت ابنة عمي.. فرحة جدي بك كانت جنونية.. وهو في حالة سيئة.. لم أكن لأفعل شيء من شأنه ايذائه..

-ولكنك أذيتني في المقابل قحطان..

همست مرتجفة ليضمها بشكل أقوى وهو يعتذر بلهجة صادقة:

-أعرف..كنت أوذيكي بقدر ماأشعر انا نفسي بالأذى..كانت فكرة وجودك مع رجل أخر تقتلني.. كلمافكرت بها..كلما نطقت اسمه كنت أشعر بالجنون..وكأنني سأقتل أحدهم حقاً.

-أنت تعرف جيداً الأن انني لم أحب سواك..لم يكن هناك سواك.

تنهد من اعماق قلبه وهمس بحب:

-اعرف.. وأدرك هذا جيداً.. ولن أكرر أخطائي مجدداً..ولم أكن لأصدق أن أقع بغرامك بهذه الطريـقة وبكل هذه القوة.

-أووه..

همست ودموعها تنساب ببطء على وجنتيها يضمها اليه بقوة وهي تغمض عينيها بشدة وكأنه لاتريد مغادرة حضنه ابداً..

-أنا أحبـك سيـادة.. لم أعرف يوماً هذه المشاعر هذا الانتماء والتملك في كل يوم وكل ساعة أفكر بكي أنك لي ملكي أنا وحدي.. لكي أحبك.. ألمسك.. أنت هي زوجتي حلالي.. نصفي الأخر..وكل روحي.. وبالمقابل فأنا انتمي اليكي حقاً خُلقنا لبعضنا البعض.

وختم عبارته العاصفة بالمشاعر برفع وجهها اليه وتحت نظراتها الهائمة حباً اطبق على فمها بقبلة جائعة أخذتها بعيداًحتى ماعادت

تقدر على التنفس أو التحرك سوى بالاقتراب من دفئ ذراعيه وقوة رغبته بها ..

أفلتها بعد مرور وقت وكانها ساعات لاهثة كمن كان يركض في مضمار سباق..

-أحببتك دوماً.. في كل حين كنت أحبك أكثر وأكثر وكلما أنكـرت وكابرت كنت أغرق لقاع لاقرار له كنت بائساً في حبك لا أفهم نفسي في أحيانٍ كثيرة .. أقع في الأخطاء وأسيء الظن بكِ كنت أتخبط وأنا أحارب مشاعري نحوك ولاشيء كان يخفف عني سواك أنت.

كانت تنظر له بذهول وهو يغرق في وصف مشاعره نحوها بطريقة لم تتصورها في أجمح خيالاتها..كل هذا كان يخفيه بداخله.. كل هذا الحب..كانت تدرك ان كل كلمة منه نابعة من اعماق قلبه .. صدقته لأنه لم يكذب أبداً.. حين كان يكرهها قالها لها بكل وضوح.. وحين كان يتخبط في مشاعره كان يصمت ولايعبر عنها مطلقاً.. ثم جاء الوقت الذي أحبها فيه بصدق.. وهنا لم يكن يقدر على الصمت وكانت عيناه تتحدثان عنه بالنيابة .. وهاهو الأن يعترف بكل شيء..

هاهو يفرش لها حقيقة مشاعره أمامها عارية واضحة لاتشوبها شائبة.. كان اعترافه لايقبل الجدل ولايقبل أنصاف الحلول..

ولكن بقي شيء.. يؤرق قلبها وينغص عليها..

-أميرة؟؟!!

اتسعت عيناه للحظة قبل أن ينظر لها بتصميم ثم كوم شعرها الناعم بقبضة يده وشدها نحوه بحزم ناعم هامساً:

-أنت هي كل حياتي ولاشيء ..ولاشخص مطلق شخص قد يبعدني عنك وعن طفلي.. لاأمرأة أخرى.. ولاجدي وأوامره الصارمة بابقاء نفسي بعيداً عن طريقك ولا حتى والدتي.. ولاأنت نفسك لو فعلتي مافعلتي..لن أسمح لأحد أن يفرقنا بعد اليوم..أبداً.

-أنا لن أتركك أبداً..

هتفت صاخبة وهي تضم رأسه الاسود اليها لتقبله بشغف وقلبها يتخبط بسعادة جنونية ليهتف بها ضاحكاً:

-أنا لن أسمح لكي سيادة.. لقد أكتفيت من الابتعاد عنك..

واضاف وهو يحيط وجنتها بكفه وقد اكتسى صوته خشونة أثقلته :

-كلماابتعدتي عني وكأنك تسرقين جزءاً من روحي وتبقيه معك..

أنت حبيبتي..حوريتي الجميلة.. جنيــة النار التي آأرقت حياتي

وأشعلتها دون رأفة أو رحمة.

-أين كنت تخفي كل هذا ياشيخ؟؟

همست بخجل وهي تدفن وجهها في عنقه وقد احمرت كلياً من غزله

ليضحك بخفوت.. ضحكة مهتزة خجولة هو الأخر في حين همهم الى

جوار أذنها بصوت أسكرته العاطفة:

-هذا الشيخ تولع في حبك حد الوله ياسيادة..

تنهدت وهي تذوب بتأثير قبلاته التي رفرفت كفراشات النار حارقة

ترسم مسارها عبر أذنها نزولاً وشفتاه تدمدمان بثقل:

-انا رجل عاشق سيادة.. ولم أعد أحتمل ألا تعودي لتكوني زوجتي من

جديد.

-قحطاااااان..

همست بعذاب وهي تتشبث بجانب وجهه محاولة السيطرة على

لهفتها وخفقات قلبها الهادرة:

-أنا كنت ولازلت زوجتــك.. دائماً وأبداً سأبقى كذلك.. زوجتك الأولى

والأخيرة .. برضاك أو رغماً عنك.

أضافت بمكر.. ليبتسم بصعوبة ويصارحها بأنفاس مقطوعة:

-أنا أريدك الأن.,, لقد انتظرت لوقت طويل..

أحاطت وجهه بكفيها وبادلته النظرات المشتعلة هامسة بنشوة:

-اذاً لم لاتزال قابعاً عندك؟؟

اشتعلت عيناه بنار سوداء جعلتها ترتجف وهي تعي الرغبة البدائية التي استعرت فيهما .. رفعها بسهولة عن ركبتيه ونهض خلفها بخفوة منكراً ثقل بطنها بقوة ساعديه.. واتجه بها نحو سريرها الضيق جداً ليناظره باستنكار فضحكت متعلقة بعنقه:

-لم أكن لأطيق سريراً واسعاً وأنت لاتشاركني اياه.

ابتسم رغماً عنه وأنزلها برقة على الوسائد الوثيرة وهمس امام شفتيها:

-لابأس سأتدبر الأمر..

وقبل أن تعلق كان ينضم اليها بقبلة ناعمة.. خطفت أنفاسها..وجعلتها تتلوى بشوق بينما يتسلى بتعذيبها بتمهله وتباطئه.. لتهتف بانزعاج:

-ألم تقل أنك لم تعد تطيق صبراً؟؟

سمعت ضحكته الناعمة وهو يعود لها هامساً:

-صبراً عن صبر يفرق ياحبيبتي.. بوجودك معي الأن.. بين ذراعي وكلياً تحت رحمتي.. فالصبر له طعم خاص..

رأت تكشيرته الشيطانية اللذيذة لتضحك رغماً عنها وتنضم اليه في جنونه الصبور.. قبل أن تذوب كلياً وتغرق معه في دوامة العشق دون منقذ.

لساعات.. ظلت تقبع بين ذراعيه.. تحاول التقاط أنفاسها والسيطرة على عاطفتها وهي بين ذراعيه.. راقبته ينام بعمق.. وكانه لم ينم منذ أيام طوال..

تسللت من حضنه لدرج ملاصق لسريرها وفتحته بخفة لتلقط ورقة صغيرة مطوية فردتها ثم داعبت بأصبعها طرف أنفه ليجعده بانزعاج.. وقهقهت بمرح خفيض وهي تراه يجاهد ليفتح عينيه ..

رفعت الورقة أمام وجهها لتقابل عيناه هاتفة بشقاوة:

-صباح الخير يابابا.. لم أصبح نومك ثقيل هكذا؟؟

في البداية لم يفهم.. واحتاجه الأمر عدة دقائق ليستوعب انه هنا معها.. وانها تنام بين ذراعيه قريبة حد الوجع من قلبه تكاد تسكن أضلاعه.. كاد يثبت ذراعيها اعلى رأسها بقوة ويقبلها حتى تصرخ راجية الرأفة حين انتبه لماتحمله أمام وجهها..

-ماهذا؟؟

همس بخشونة وهو يسحب الورقة السوداء من بين أصابعها ويلقي عليها نظرة حائرة..

-انه ابننا.. في أسبوعه الثامن عشر..

اتسعت عيناه بذهول وهو ينظر لصورة الموجات فوق الصوتية بافتتان.. ورأى اصبعها تدخل مجال الرؤية هامسة:

-هذا رأسه.. الطبيبة قالت انهم كلهم يحظون بهذا الرأس الكبير في البداية ثم يعودون الى طبيعتهم .. ولكنني أخبرتها ان هذا متوقع فهو من العزب.. وجميع افراد عائلته يحظون برؤوس كبيرة وعنيدة..

نظر لها بذهول لتبتسم جذلة وهي تعي افتتانه الواضح :

-وهذا جسده..انها صغير للغاية.. قالت انه يعقد ساقيه ولاتستطيع تحديد ان كان صبي ام فتاة..

-انه صبي..

همس بصوت مخنوق.. ثم التفت نحوها بجسده ولامس بطنها بكفيه..قلبه يخفق بجنون.. وشعر بلسعة دموع تهاجم عينيه حين شعر بحركة الصغير..

-انه يحييك..

همست بنعومة وهي تلامس خصلات شعره.. لينظر لها بحنان دافق.. قبل أن يهمس لبطنها بحب:

-مرحباً بك ياشيخ عمرو..

ضحكت بفرح ورفعت وجهه اليها.. هامسة بغرام:

-أريد أن نذهب بعيداً قحطان.. أنا وأنت فقط..

لامسها بشفتيه باغراء وتسائل مدمدماً:

-الى أين تريدين الذهاب؟

-أنا لم احظى بشهر عسل.. لنذهب الى اي مكان لشهر واحد.. فقط انا وأنت.

همست مقاومة السقوط في لهفة العاطفة مجدداً ليبتسم ويعدها:

-سنفعل..ولكن هناك الكثير بانتظارنا هذا الاسبوع..

-ماذا تعني؟؟

-هناك زواج سلمى.. وربما ان حالفنا الحظ.. الجوهرة كذلك..

-ماذاااااااا؟؟؟

صرخت معتدلة ومالت نحوه صارخة بدهشة:

-سلمى؟؟ والجوهرة؟؟

اتسعت عيناه لمنظرها المتوحش وعينيها تشعان بلون الزمرد بينما تساقط شعرها الناري على كتفيها كنار مستعرة:

-أنت تبدين فاتنة..

-لاتغير الموضوع.. من وكيف ؟؟ بالنسبة للاثنتين؟؟

ضحك بمرح وهو يجذبها اليه:

-يمكن لهذا أن ينتظر.. الأن لدي شيء مهم لأخبرك اياه..

-والداااااي..

عادت تبتعد عنه وقد شحب وجهها:

-رباه ماذا سيقول ابي؟؟ واين هما لقد مرت ساعات؟؟

-لاتقلقي.. ان عمي وحرمه المصون في طريقهما للبلدة.. وقد اتفقنا على كل شيء.

رات المكر يتراقص في عينيه لتضحك :

-أنت تفكر بكل شيء..

اعادها اليه بحركة سريعة جعلتها تدوخ وهويهمس قريباً من شفتيها:

-ليس كل شيء .. الأن لاأفكر سوى بشيء واحد وهو لايكف عن التفكير بكل الاشياء الأخرى..

-من هذا؟؟

أنت يازوجتى الحبيبة.. اصمتي ..ودعيني أعلمك كيف أحبك..

احاطت عنقه بذراعيها وابتسمت في وجهه بنعومة:

-وكيف ستعلمني؟؟

-ببطئ.. وخطوة بخطوة..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

***

شيوخ لاتعترف بالغزل

الخاتمة..

**

توقفت الساعة.. وكاننا لانريد أن نكتمل.. لانريد أن ننتهي تنصب الحكاية خلف الأخرى ومشوراها طويل ننتهي نحن لتبتدئ هي.. نحن عالم من التناقضات.. لانريد النهاية ونلهث خلفها بكل مساعينا..

ولكن هل هي حقاً النهاية..

ربما لنسرح بعيداً.. في عالم أخر وذكريات أخرى.. في زمن أخر وحكايات جديدة..

نهاية حكايتنا الليلة تحمل وعوداً..لكل بطل على حدة..

***

استدارت أمام المرآة الطويلة بخفة وثوبها الأبيض يتراقص حولها بطبقات الحرير بينما شعرها الغجري الأسود انسدل بكثافة على متفيها العاريتين الا من قماش دانتيل رقيق.. وتخلت عن الطرحة واستبدلتها بوردة اقحوان بيضاء..

والتفتت لأمها تهتف بحماس:

-كيف أبدو؟؟

رفعت أمها عينيها الغراقتين بالدموع وهمست مخنوقة:

-جميلة..

-لاتبكي أمي.. سأبكي انا ايضاً..

قالتها بصوت شاحب لتتدخل الجوهرة بحزم..

-لا لا لادموع.. اليوم سنفرح فقط.. هيا الأن..لاتنسي انكما تغادران في العاشرة للمطار ونريد أن نرقص اليوم..

-انا لن أرقص..

همهمت سيادة بحزن مشيرة لبطنها التي سترها قماش فستانها الحريري المنفوخ كأوراق زهرة السوسن والذي تعلق بكتفيها بحمالتين رفيعتين..

-انا سأرقص..

هتفت العروس بشيطنة لتضربها أمها على رأسها بخفة:

-عن الحياء ياسلمى..

تحسست رأسها بألم ثم ابتسمت متآبطة ذراع أمها والتي قادتها بنفسها للخارج..حيث انضمت لأفراد عائلتها من النساء.. وشاركتهن الفرح والغناء والرقص رغماً عن نظرات أمها المتوعدة.. وضحكات سيادة والجوهرة وغزل..

وسرعان مامضى الوقت ووقفت تودع عائلتها بدموع حارة .. قبل ان يأخذها قحطان من بينهم بصعوبة وهو يقول لها بعصبية:

-ان لم تكوني ترغبين بمفارقتهم فلم كل تلك الضجة..كنت سأخبره انك غيرتي رأيك وننهي الامر.

شهقت مصعوقة وهتفت به:

-قحطاااااان..

قلب عينيه بنفاذ صبر.. ثم اخذها الى مجلس الرجال حيث وجدت جدها وعمها سالم وأخويها برفقة سيف ورجل بكرسي مدولب.. قال لها قحطان:

-سلمي على عمك وزوجك ياسلمى..

تسمرت بذهول للحظة قلبها ينتفض بجنون.. هي لم تره قط منذ شهور.. وحتى بعد عقد قرانهما لم تره او تسمع صوته.. كان يقف هناك لم ترى سواه بطوله المميز وشعرت بقلبها يخفق بألم لرؤية العصا التي يتوكأ عليها..

شهقت حين دفعها قحطان لتدخل..

تعثرت بخطواتها وهي لاتعرف ماتفعل.. ركضت الى جدها وقبلت يديه.. ثم نظرت للرجل بالكرسي وهمست له بتحية..خفيضة خجولة.. قبل أن تتراجع بحياء لولا يد سيف التي امتدت لتمس معصمها بتملك وهو يقول باستنكار:

-وأنا ليس لي نصيب من التحية؟؟

شهقت بخجل وأخفت وجهها بشعرها الكثيف لتسمع ضحكة رعاد وهو يقول مغيظاً:

-لاتريه كشتك ياسلمى قد يهرب..

لمعت عينيها بالدموع وهي تنظر له بحنق بينما استسلمت لسيف وهو يجذبها نحو برقة متناسياً وجوده وسط أخوتها لينظر في عينيها وهو يلامس شعرها بافتتان:

-انها فاتنة.. في كل تفاصيلك حبيبتي..انت فاتنتي..

رفعت له عينين واسعتين ليبتلع ريقه وهو يحيط خصرها بذراعيه:

-اشتقت اليكي ياحبيبتي..

انتفضا بذعر حين هبطت ذراع رعاد بقوة على كتف سيف ليفترقا بسرعة وهو يقول:

-تحشما امام شيخ العزب..والا فانك ستذوق طعم قبضتي مجدداً ياصهير.

نظرت سلمى لأخيها ساخطة وهي تفكر انه قد ضربه؟!! ضرب حبيبها؟؟

-لقد أخذتني يومها على حين غرة..هذه المرة أنا متيقظ لك يارعاد.

قالها سيف بابتسامة ليتدخل علي بسرعة:

-ويحكما انتما الاثنان.. الطائرة لن تنتظر.. لاتزال امامكما رحلة طويلة.. هيا لانريد أن نتأخر..

-لاتقلق ياعلي تلك الطائرة بالذات ستنتظرنا..

همس سيف وهو ينظر لعيني زوجته الفاتنة بحب.. لتسدلهما بخجل يعشقه..

وانطلقت بهما السيارة للمطار.. يقودها قحطان بينما جلس علي الى جواره وانحشر رعاد بغلاظة بين العريسين..كان سيف بائساً بينما

توسدت سلمى ذراع شقيقها وحاميها تستمع منه الى عدة نصائح بشأن التعامل مع زوجها المستقبلي..

-وفي النهاية انت تحفظين رقمي.. باتصال واحد فقط.. سأكون عندك..

-حاضر..

همست بطاعة ليعترض سيف:

-لن أعطيكي هاتفاً.. ولن تتصلي بأحد..

كتمت ضحكتها ورعاد ينظر لسيف بسخرية قبل أن يستدير لها كلياً ويهمس بخفوت:

-سأدس لك هاتفاً في حقيبتك لاتقلقي.. لاتجعليه يخيفك..

ابتسمت بثقة:

-انه لايخيفني..

ابتسم لها سيف من خلف رعاد :

-فقط تخيل انه وبعد ساعة واحدة ستكون معي كلياً وحدنا على ارتفاع عشرون الف قدم..

نظر له رعاد بحنق:

-انتما لن تكونا وحدكما.. اكثر من مأتي مسافر سيكونون هناك..

-هذا ماتظنه أنت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

قالها سيف بغموض وسلمى تراقب بتسلية سجالهما المتواصل..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

..

"طائرة خاصة؟؟؟"

انفجر رعاد بغيظ ليضحك قحطان وعلي بمرح وهما يراقبان الزوجين السعيدان يصعدا سلم طائرة صغيرة خاصة حملت شعار يشبه فك ذئب يعوي للقمر..

-ولم انت غاضب من المفروض أن تشعر بالسعادة لشقيقتك..

-انا لست غاضباً..

رد على قحطان بصدق..

-انا فقط سأشتاق اليها.. انها تذهب بعيداً جداً هذه المرة..نيويورك ليست باريس ياقحطان.

-لاتقلق رعاد.. انها بأيدٍ أمينة..

همس قحطان بحنان وهو يراقب باب الطيارة يغلق خلفهما.. وتنهد براحة..

انه مطمئن هذه المرة.. مطمئن تماماً..

..

تلفتت سلمى حولها بذهول.. الطائرة كانت مذهلة..

كبينة واسعة انتشرت عليها ثمان مقاعدة وثيرة وكأنها في غرفة

صالة واسعة في فيلا فخمة وليست طائرة..

-انها مذهلة..

شعرت بسيف يحوطها ويهمس قرب أذنها:

-أنت لم تري شيئاً بعد..

ابتسمت له بغبطة والتي سرعان مااختفت لتحل محلها ابتسامة

خجولة وهي تثبت غطاء شعرها حين رأت رجلاً بزي الطيارين يقترب:

-مساء الخير سيدتي العزيزة.. هل اعجبتك هديتي؟؟

نظرت لسيف بارتباك ليزفر وينظر لقريبه المغيظ بحنق ثم التفت اليها

وهمس:

-انه أوس الشيب.. الذئب الضـال في قطيعنا..

قهقه أوس بسخرية ثم خلع قبعته مشيراً لماحوله:

-وهل ابدو ضالاً؟؟ انني اعيش برفاهية ككل افراد عائلتي.. فقط انا

اعيشها بطريقتي الخاصة..

-اه نعم صحيح.. سلمى ياحبيبتي ان هذه الطائرة ملك لقريبي وهو قد قدم لنا هذه الرحلة كهدية زواجنا..

-انه لطف منه.

زم أوس شفتيه وهو يحاول ان يستشف بعض مماتخفيه هذه المرأة التي دفعت ابن عمه للجنون ليقرر بعدها ان الرجال مثله في غنى عن هذه المعرفة:

-ستكون رحلة طويلة.. ولكنني أعدكما انني وأي من افراد طاقمي لن نزعجكم مطلقاً..

احمرت وجنتا سلمى للتلميح والتجأت لسيف الذي غمغم بتجهم:

-من الأفضل لك هذا..

سمعت قهقهة الرجل وسيف يسحبها لمؤخرة الطائرة وسألته:

-انه طيار؟؟

-نعم.

-وهل يقود طائرته فقط؟؟

-لا بالطبع انه عضو في شركة طيران عالمية.. ولكنه في أجازة حالياً.

-اهاااا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) واااااااااااااو..

بترت عبارتها بصدمة وهي تدخل عبر الباب الذي فتحه لها سيف ليضحك وهو يدفعها امامه الى غرفة نوم واسعة مجهزة بكل شيء..

-انها غرفة نوم؟؟

هتفت بذهول ليقربها منه بخفة :

-بالطبع.. ولم تظنين انني وافقت ابن عمي لأركب معه متحملاً غلاظته..

-سيف ماذا تفعل..؟؟

راته ينزع جاكيت بدلته ويفك أزرار قميصه بسرعة هاتفاً:

-هل ظننتني سأنتظر لأكثر من ارعة عشر ساعة حتى أنفرد بك..

ثم ضمها اليه بلهفة وحشرها بينه وبين الباب هامساً بشوق:

-انها شهور طويلة ياسلمى.. وقد عيل الصبر من صبري..

-سيـــف لاتكن مجنونـ..

وغابت حروف مجنونها بين شفتيه..

هي لم تشعر هكذا في عمرها..اتسعت عينيها بذهول وهي تستقبل قبلتها الأولى صدمة أولى.. توقف لحظي لدقات قلبها .. قبل أن تعاود الضرب هادرة في قفصها الصدري.. وفي أذنيها..

ثم بدأت اعراض انسحاب تجتاحها.. وكانما الارض اختفت من تحتها.. وكأنها تطوف..

لتغلق عينيها بهيام.. وتغرق..واقفة..متشبثة به..تذوب كقطعة جليد على مرجل نار..

عاشقة سعيدة تتقافز على سحاب.. تطير ولاتكاد قدميها تلامسان الأرض..

وابتعد.. يتنفس بصعوبة.. بينما هي تنظر له بعينين لامعتين.. تائقتين..متوقعتان..ابتسامة واسعة ساذجة تزين شفتيها.. وجه أحمر يكاد ينفجر..وانفاسها حارة تسقط على عنقه وهو يهمس لها بحرارة:

-انا مجنون بك..ولن أصبر على جنوني ياسلمى.. ابداً.

لم تكن تنوي الاعتراض ليس وهي بالكاد تتنفس..وهي بالكاد تفكر.. وتستوعب..

حين عاد ليقبلها بنعومة أكبر.. بعمق أكثر جرأة.. متجاهلاً انعدام خبرتها الواضح.. وبرائتها المنعشة.. يديه تضمانها بإحكام..تسيطران حتى على حركة تنفسها الخفيفة..

ويلاااااه..

فكرت بمشاعر هائلة تجتاحها.. وكأن طوفان هائل يبتلعها..يتقاذفها بلارحمة.. أهذا هو الحب؟؟

فكرت بجنون وهي تشهق للهواء حين نزل بشفتيه برقة الى كتفها.. لتنتفض بقوة وهي تحاول الابتعاد..

"سيف؟"

هتفت شاهقة ليحيط خصرها بتملك ويرفعها اليه..كانت مثالية.. تصل مباشرة الى امام وجهه.. مكانها موازٍ له.. مقدرة من أجله..

ابتسم لها بجذل وهمس بشوق:

-ستكون ساعات مثيرة..

اختنقت بالخجل وارتمت على صدره تخفيه ليتنفس بقوة وهو يضمها اليه بحنان.. كطفلة صغيرة..

ولكنها لم تكن طفلة.. كانت أميرته الجميلة..

زوجته الفاتنة جداً..

"اذا ماقررتما العودة لمقاعدكما الأن فربما نستطيع الانطلاق بالموعد أيها العزيزان؟؟"

انتفضت بصرخة وتلفتت حولها وهي تظن أوس المزعج ينظر اليهما هكذا وتوسعت عينيها بذعر ليطمئنها سيف بحزم:

-لاتخافي سلمى.. انه يحدثنا عبر جهاز الاتصال.

حاولت أن تهدأ ليجذبها ويقبلها بعمق على وجنتها وهو يهمس بقوة:

-لاتخشي شيئاً وأنت معي.

نظرت له مبتسمة ليعود صوت أوس المزعج :

-اليوم ان تفضلتما..

زفر سيف بضيق وجرها من يدها لخارج الغرفة حيث المقاعد وهو

يدمدم بغضب:

-بدأت أندم على موافقتي لأفكارك اللامعة.

جلسا بسرعة وساعدها على ربط حزامها والطائرة تهدر بنعومة..

قبل أن تتحرك بسلاسة ..

نظر لها جواره وابتسم وهو يقبض على كفها الرقيق بين يديه..

والطائرة ترتفع دون أن يشعرا بها حتى..

وبعد لحظات تغيرت الاضواء الحمراء امامهما لخضراء صافية وعاد

صوته يغمغم بسخريته المثيرة:

-انتهينا من المرحلة الاولى,,أتمنى ان تكونا استمتعتما بالاقلاع.. الأن

بامكانكما مواصلة ماكنتما تفعلانه دون مقاطعة كما أرجو.

-انه وقح..

هتفت سلمى بحنق وخديها يحترقان.. ليقهقه سيف وقد كان ينهض بسرعة ويخلصها من حزامها وهو يقول:

-ولكنه محق.. لاتقلقي..لن يقاطعنا أحد..

-سيف أنا لااشعر بالراحة..

هتفت بتوتر ليضحك بمرح:

-تخيلي اننا في فندق..

زفرت وهو يعود بها للغرفة المعزولة ويحيطها بذراعيه هامساً:

-أين كنا؟؟

كتمت ابتسامة:

-ومأدراني؟؟

-اه.. ستلعبين هذه اللعبة؟؟

نظرت لعينيه وهمست بصدق:

-اي لعبة؟؟ انا لاأفهم..

اقترب ولامس شفتيها بخفة لتذب وتغرق عينيها بالهيام وهو يهمس:

-لعبة البراءة.. انها تثير الدم في عروقي..فلابأس على كل حال..

ودفعها بخفة للفراش قبل أن يحط بساقيها من الخلف بقدمه لتقع بصخب ويقع جوارها بضحكة لعوب..

-ستكسر ساقي..

هتفت ضاحكة..ليتأوه باعتراض:

-ارجوكي.. يكفي واحد منا فقط..

نظرت اليه ولامست جانب وجهه هامسة بشفقة:

-هل تؤلمك؟؟

قبل كفها بشغف ونزل بشفتيه الى معصمها وذراعها ببطئ:

-معك..أنسى كل الألم..

وجذبها نحوه وهو يغرق قبلاته في عنقها لتنتفض واحساس الضعف يعاودها بقوة.. غرزت أصابعها في شعره بقوة وهي تهمس اسمه ليرفع عينيه اليها.. كانتا غارقتين بحب لم يجرؤ على اخفاءه:

-أحبـك ياسلمى..كمالم أحب في عمري..ولن احب أبداً.

-وأنا أحبك..

همست بصوت مهزوز لاتقدر على الافصاح عن قوة مشاعرها والتي تشعرها ستتفجر من داخلها.. خجلة منه وهو يجردها من دفاعاتها بتلك العينين الثاقبتين واللمسات النارية..

اغمضت عينيها وهي تغرق في بحر حبه.. صوته العميق يتسلل الى أذنها..يحمل شغفه وهو يضغطها اليه..بقوة ورغبة ..

-ستنسينه ياسلمى.. ستنسين كل شيء عنه وأنت معي..

همس بثقل وهو يعانقها بحرارة.. لتدق تلك الأجراس في رأسها..

-مهما حدث بينكما ستنسينه معي انا..أتفهمين ياسلمى؟

هتف بيأس ولمساته تصبح أكثر خشونة وتطلباً.. حتى أن قماش ثوبها الرقيق تمزق تحت ضغط اصابعه الحاد..

"ماذا دهاه؟؟"

فكرت وهي تتاوه بألم حين أدمت قبلته شفتيها..

-سيف..

هتفت بارتباك وهي تحاول ان تنظر لوجهه.. كانت عيناه تغيبان.. خلف غيمة غاضبة..

لقد انتهى المرح الأن..

فكر بألم.. حين ضمها اليه بقوة وشعر بجسدها بين يديه..لم يملك سوى ان يتذكر انها كانت لسواه.. يالله كم ان الغيرة قاتلة.. رجل سواه ضمها هكذا.. تذوقها هكذا.. رجل سواه..

اسودت عيناه بظلام وهو يخفيها في عنقها هاتفاً بيأس:

-قولي بأنك نسيته ياسلمى.. قولي بأنك لاتشعرين سوى بي أنا..تريدينني أنا فقط..

احاطت عنقه بكفها وهي تغلق عينيها متأوهة بصمت.. مالذي يقوله؟؟ لماذا يقول مثل هذا الكلام؟؟

-انت.. أنت فقط حبيبي..

همست بأنفاس مخطوفة..ليعاود النظر اليها بأسى:

-اعلم بأنه كان..كان زوجك ياسلمى..ولكن الأمر..الأمر يخنقني..

توسعت عينيها بصدمة..وبردت اطرافها وهي تتخيل مايعنيه.. كان بالكاد يستطيع ان يقولها.. بالكاد غادرت كلمة زوجك شفتيه وأنه يبصقها.. ولكنها فهمت..

واحمرت وجنتيها محترقة بالخجل..

رباااااااااه..

أخفت وجهها بين كفيها وهي تكتم ضحكة انفجرت من بين شفتيها ليتجمد هو مكانه..

-مالمضحك بالأمر ياسلمى؟؟

لم تجبه.. لم تستطع وهي تحاول كتم ضحكتها التي خرجت كقرقرة مشاغبة.. لتزداد خشونته وهو يمسك معصميها بقوة ويبعدهما عن وجهها المحتقن بالحرج والضحك هاتفاً بغضب:

-مالذي يضحكك؟؟

تألقت عينيها بجذل.. وعادت شقاوتها تتغلب على خجلها وهي تهتف:

-أنت.. أنت تضحكني..

احمر وجهه بغضب وضغط على معصميها لتتأوه بألم:

-انا لست مهرجاً..

قهقهت بخفة وهي تتلوى للخروج من قبضته:

-لا ولكنك تغار.. وبدون سبب..

-ماذا تعنين؟؟

همس بخشونة وهو لايزال يقبض على معصميها لتحمر من جديد

وهي تبحث عن وسيلة لاخباره.. لتطمئن قلبه أنها لم تكن لفراس

يوماً بالطريقة التي يظن..

لذا أقتربت منه بدلال.. وهمست لأذنه ببضع كلمات..

تصلب وقتها..بالكاد يقدر على فهم ماتفوهت به..مستحيل؟؟

نظر لها بذهول.. وهي تتراجع وقد فك أسرها ..مستحيل ماتقوله..

-ماذا تعنين؟؟

اتسعت عينيها بصدمة وهتفت:

-ألم تفهم؟؟

-بلى فهمت ولكن..ولكنني لاأصدق ..انا فقط لاأصدق كيف لرجل..أن..أن لا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وتعثرت كلماته وهو ينظر لبرائة عينيها تتسع لتبتلع كل مخاوفه..

لقد كانت عذراء..

شعر بالدنيا تدور حوله بجنون..

لقد عاش ليالٍ من جحيم وهو يفكر بها معه.. تلك الغيرة التي نهشت عظامه حالما عرف انها متزوجة.. ملاحقته لفراس حتى لايقضي وقتاً كبيراً معها..

كل ذلك كان..للاشيء..؟؟

نظر لها بذهول.. كيف له أن يبقى قربها ولايرغبها؟؟ لايشتهي شفتيها.. جمالها الغجري..وحيويتها المشتعلة؟؟

تباً.. وهل سيجادل..؟؟

-كنت أعرف انه ليس برجل كفاية لك..

هتف بسخط.. ثم شتمه بقذارة جعلتها تصرخ بخجل وهي تغطي شفتيه بكفها:

-عيب عليك..

نظر لها بعينين تلمعان بقوة.. وكذئب جائع التقط كفها الرقيق..والتهمها بقبلات عنيفة جعلتها تضحك بارتباك قبل أن يغمرها كلها وهو يهمس:

-ذلك الفتى لم يكن يستحق أظفرك ياحبيبتي.. انت ملكي الأن.. وستعرفين الفرق بين الرجل الحقيقي ..وخيال المآتة ذاك.

اتسعت عينيها برهبة واستقبلت قبلته الجائعة بشوق محموم.. بينما تشق الطائرة طريقها بسلاسة ونعومة..دون ازعاج..

***

بعد شهـــــر

ألمانيا.. فرانكفورت..

..

تبقت لديها ساعة واحدة قبل العودة الى الدرس.. شخبطت المزيد من الرسومات على دفتر مخططات كبير بتركيز شديد وهي تشرب دفعات متوالية من القهوة .. لم تشعر بالوقت ..حتى استرقت نظرة أخرى للساعة لتجد انه لم يتبقى لها سوى عشر دقائق.. فسارعت تلملم حاجياتها وتضع النقود للقهوة وتنهض للحاق بدروسها..

"ناديـــــــن؟؟"

تصلبت.. وعينيها اتسعتا بذهول..

"علي؟؟!!"

فكرت بتشوش.. كان يقف هناك ينظر اليها بشغف..عيناه تلتهمان تفاصيلها التي لم ينسها والتي بدت له متغيرة لحد منعش.. ذلك النحول المخيف اختفى..الهالات السوداء حول عينيها.. البؤس بداخلهما.. كل شيء.. كل شيء أختفى..

كانت نادين أخرى..مشرقة..منفتحة..

كانت حيــة..

لم تكن حتى تشبه نادين التي عرفها لأول مرة.. لم تضع مساحيق التجميل.. لم تضع سوى جمالها الأخاذ وعينيها العاصفتين..

ابتلع ريقه بصعوبة.. بعد بحث مضنٍ.. وجدها أخيراً..

أخذ نفساً قطع الصمت بينهما..

-اشتقت اليكي..

-ماذا تفعل هنا؟؟

هتفا معاً ليسود الصمت من جديد.. هي مصدومة مماقالته وهو.. حائر من جفاءها..

ليس عدلاً.. فكرت بألم.. ليس من العدل أن يأتي الأن وهي تلملم شتات نفسها..ليس عدلاً أن يأتي مطالباً بما نبذه قبل وقت طويل..

-جئت لأراك..

همس بهدوء.. ثم أضاف وهو يقترب منها:

-يجب أن نتكلم.

-ليس بيننا مايقال.

-فقط أعطني الوقت .. بعض الوقت..

نظرت لعينيه بتردد.. ليهمس :

-بحق ماكان بيننا..

انقبض قلبها بوجع, ماكان بينهما.. مجرد حلم مجنون..رجاء مستحيل.. شيء خيالي..لاوجود له في الواقع..

-لدي درس..لااستطيع أن أفوته.

همست دون أن تفكر.. ليومئ بتفهم:

-سأنتظرك..مهما تاخر الوقت..

نظرت حولها قبل ان تبتعد بخطوة وتحاول الذهاب ليقبض على مرفقها بقوة ..ليديرها اليه ويهتف:

-لاتهربي مني نادين.. سأجدك وهذه المرة لن يكون لك مفر سوى الاستماع الي.

-لاتهددني..

قالتها بخفوت وهي تتخلص من قبضته ونظرت له بحزم:

-قلت بأني سأتي..

..راقبها تبتعد.. بعينين متجمدتين..يشعر بها تحت ذلك الغلاف الرقيق من الثلج.. زفر بتوتر.. وشق طريقه للطاولة التي كانت تحتلها بالقرب من النافذة.. مراقباً الطريق بعينين لاتريان..

لقد بحث عنها في كل مكان.. استخدم صلاته للبحث عن يوسف الشهري.. واضطر للاستعانة بشقيقه عمرو بحجة أنه يريده لمناقشة مشاريعه المستقبلية..

وهاهو الأن هنا.. غير قادر على الابتعاد عنها مجدداً.. ليس وهو يعرف انه لن ولم يحب سواها.. لقد استغرقه الكثير من الوقت للتفكير.. ولكنه اتخذ القرار اخيراً..

أن يبحث عنها ..وحين يجدها..فقط حينها سيواجه العالم وهي معه.

مضى الوقت ببطئ.. ساعتان كاملتان..قبل أن تظهر مجدداً.. تأملها وهي تقترب..

كانت تبدو رقيقة وكانت تلفت الانظار بحجابها الملون الرقيق..

ولباسها المحتشم في بلد كهذه..

-اسفة..كانت لدينا مناقشة مهمة.

-لابأس..

همس بحنان وهو ينظر اليها.. حين سأل عنها حال وصوله الى

فرانكفورت أخبره يوسف الشهري انها تدرس التصميم ولم يصدق..

ولكنها تفعل.. انها تبني حياتها من جديد..

-هل تشربين القهوة؟؟

-لا لقد شربت الكثير لهذا اليوم..

قالت بتوتر.. وضعت كتبها امامها وكأنها تضع حاجزاً بينهما..راقبها

بصمت تهرب بعينيها لاتريد ان تواجهه..

-انظري الي..

نظرت له بتردد..ليهمس لها:

-لم تكوني تخشين النظر لي ابداً.

-كل شيء تغير..

قالت باهتزاز.. ليمد يده ويقبض على كفها بين اصابعه بقوة جعلتها

تشهق وهو يهمس:

-نحن لم نتغير..

سحبت يدها بقوة ونظرت له بامعان:

-أنت مخطئ ياعلي.. نحن تغيرنا..ماحدث..غيرنا كلينا.

-ماحدث هو من المـــــاضي..

همس بتوتر لتبتسم بمرارة:

-ماضٍ لايمكن ان ينسى..

-أنا هنا لأنني نسيت..

نظرت له بذهول.. فاقترب بجذعه عبر الطاولة وهو يشرح لها بحرارة:

-انا نسيت يانادين..لم اعد أتذكر سوى حبنا..

-انت لاتعرف ماتقول..

هتفت مرتجفة.. لاتريد ان تفكر بصواب ماقد يقوله.. ولكنه لم يترك لها الفرصة وترك مقعده مقابلاً لها ليجلس جارها وهو يهمس بحرارة:

-أنا أعرف شيئاً واحداً فقط يانادين.. أنا أحبك..وأحببتك دوماً..وسأحبك الى الأبد..

تفجرت دموعها بقهر..

لم يفعل بها هذا..لم يعذبها بهذه الطريقة.. لم تقدر على تحمل مايقول.. شعرت بأنه مخادع كبير.. التقطت كتبها بحركة سريعة ومستغلة مفاجأته كانت تركض للخارج..

تغلب على ذهوله ليلحق بها بسرعة..

"ناديييين"

صرخ متجاهلاً نظرات المارة بالشارع..

كانت تركض فلحقها بسرعة..أمسكها من ذراعها وأدارها اليه

صارخاً:

-وعدتني ألا تهربي مني.

-اتركني وشأني ياعلي..

-ليس قبل أن تسمعيني..ليس قبل أن أخبرك بمااشعر..

-لا اريد ان أعرف..

هتفت بشراسة وهي تتخلص من قبضته..

-نادين اتركي لنا فرصة ..

هتف بها بضراعة لتصرخ به بألم:

-فرصة لماذا ياعلي؟! لتكرهني من جديد؟؟ لنخسر هذا الحب الذي جمعنا يوماً من جديد؟؟

-انا لن اكرهك أبداً..

هتف بصدق لتقترب مشيرة الى صدره بعنف:

-ستفعل..ستتذكر ماحدث وستفعل..ستكرهني وتحتقرني..

-لا لا..

هتف بحرارة لتغمض عينيها بمرارة ودموعها تنهمر.. لن تسمح له بتدمير كل شيء..لن تسمح له ابداً..

-انا وأنت لايمكن أن نكون معاً ياعلي..

-علينا ان نحاول..علينا ان ننسى..

هتف باصرار لترفع معصميها اليه وتتسع عيناه بألم لمنظر ندبها التي تشير لمحاولتها النتحار تلك المرة وهي تصرخ:

-وهل ستنسى هذه؟؟ هل ستنسى يومها ياعلي؟؟

-لاتفعلي..

هدد بصوت خفيض لتنفجر ضاحكة بمرارة:

-ماذا؟؟ ألم تقل أنك نسيت؟؟ هل نسيتنى وأنا ارتدي ذلك الثوب الأحمر الخليع؟؟ أم نسيت ذلك المقرف الذي كان يراقصني؟؟

-توقفي نادين..

احمرت عيناه بجنون وهو يصرخ بها لايريد ان يعيد ذلك المشهد الذي ظن وبكل غباء أنه قد نسيه ليعود ممزقاً خياله العاشق بسكين وهي تصيح بوجع:

-هل نسيت انني كنت أسحبه الى غرفة نومي كما كنت أفعل في كل ليلة..

-اصمتي..

نزلت يده بقوة على وجهها.. لم تشعر الا وهي ملقاة على الرصيف.. يمر بها الجميع دون ان تمتد يد أحدهم حتى للمساعدة.. برود اجتاحها لم يبدده سوى لسعة صفعته التي أوجعت قلبها.. لتهطل دموعها بغزارة وهي تشيح عنه.. بينما كان يقف امامها ويديه على رأسه لايصدق هول مافعل..؟؟

لم يستطع ان يتصور انه لايزال يحمل كل هذا العنف بداخله.. هذه الكراهية.. هذا الألم والخذلان..

-أنت لم تنسى..

همست بوجع.. ونهضت تلملم شتات نفسها بصعوبة..

-ولن تنسى ابداً..

-نادين..

همس لها بمرارة.. لتجيب بشرود:

-اذهب ياعلي.. عد الى عائلتك..تزوج من فتاة لطيفة.. فتاة تكون رجلها الوحيد.. حبيبها الاول..

فتاة لاتمت بصلة لنادين وعالمها القذر.. نادين التي عاشرت كل رجل التقته بطريقها ماعداك أنت ..

اغمض عينيه بحرقة لتواصل بحالمية:

-أتعرف لم احببتك.. لأنك الرجل الوحيد الذي نظر الي ولم يشتهيني..

-لقد احببتك بصدق..

هتف مخلصاً..

-اعرف.. ولذا فأنت كرهتني بحق.. الحب والكراهية .. احساسان كالنار المشتعلة.. تلتهمنا بلارحمة..

ونظرت له بحنان هامسة:

-انسى نادين ياعلي.. انسى كل مايتعلق بها.. وانا سأنساك بالمقابل..لأنني معك سأتذكر دائماً انني قذرة.. وأنني خدعتك.. وأنك كرهتني في يوم.

تراجع بصدمة.. لتلتقط حقيبتها وتشيح عنه هامسة بحب موشى بالدموع التي تساقطت تحملها الريح:

-وداعاً.. الى الأبد ياحبيبي..

وقف هناك فقط.. ينظر لخيالها..يبتعد ويبتعد ودموعه تنساب هي الأخرى.. ينعي حباً ولد ليموت.. وعاش ممزقاً بين الخيانة والكراهية..

لقد ظن انه سينسى.. ظن بانه سيغفر..

ولكنها أظهرت بأن كل ذلك مجرد خداع.. هو لم ينسى.. ولن يفعل..

نادين.. حبيبة عمره..لم تكن يوماً له.. بينما كانت للكل سواه..

احساس سيقيد حبه ..حتى يموت.. مهما طال الوقت ..

سيموت(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

***

انتشرت أشعة الشمس بصورة مكثفة وغمرت الغرفة بحرارة لاتطاق لتنهض من فراشها بتثاقل وتغلق الستائر.. لاتصدق ان الربيع انتهى وأن الصيف قد بدأ يكشر عن أنيابه بهذه القوة..

تمطت وسارعت لتمارس نشاطها الصباحي.. اغتسلت وغسلت اسنانها قبل ان تغير ملابس نومها لرداء واسع منزلي وهي تخرج لتوقظ طفليها للاستعداد للذهاب الى المدرسة..

وبعد ساعة كانت تشارك جديها وأمه طعام الفطور بابتسامة مرحة.. وجدها يتسائل:

-ماأخبار قحطان وسيادة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد) لقد غابا لوقت طويل؟

-جدي ارجوك انهما في رحلة شهر عسل..لابد انهما نسيا العالم الان.

قالتها الجوهرة بفرحة لأخيها وزوجته بعد كل ماعانياه من ألم وعذاب.. لتبتسم أمها وتقرصها في ذراعها وهي تقول:

-وأنت متى تنوين تبديل رأيك والرأفة بذلك الشاب؟؟

تجهم وجهها وخفضت عينيها وجدتها تساند أمها بخبث عجائزي ماكر:

-بنيتي .. الرجل ساق عليكي طوب الأرض لتوافقي.. وأنت تعلقينه منذ شهور؟؟ متى تنوين التخلص من صبيانيتك هذه؟؟

-اعذروني لقد شبعت..

نهضت مرتبكة..واندفعت الى غرفتها تعزل نفسها عن الجميع..

قلبها يخفق بجنون.. لاتستطيع حتى ان تفكر.. الجميع يحاصرها.. لم يسافر قحطان قبل أن يحرص على أن يحرض أمها عليها.. ثم كان جدها الذي جاء اليه أكرم خصيصاً قبل ثلاثة أسابيع ليطلبها منه في

غياب قحطان.. وحتى رعاد وعلي.. لم يتوقف أحدهم عن الحديث معها بشأنه..

غزل.. فتحية.. وحتى سيادة حين تتصل بها في أحيان نادرة لتسترق بعض الأخبار.. كلهم عليها..

فكرت بخوف..

لا أحد يفهمها.. يفهم خوفها.. انعدام ثقتها بالرجال شيء لاتستطيع التحكم به؟! لقد عانت كثيراً.. لسنوات دون أن تخبر احد.. الذُل والمهانة.. لاتستطيع ان تتخيل ان تقع بالفخ مجدداً..

ولكن.. شردت بأسى.. ونهضت تواجه مرآتها ..

لاتزال شابة لم تتجاوز الخامسة والعشرين ..لامست شعرها الطويل الكثيف والذي استعاد لونه الكستنائي المميز وامتد ليصل لخصرها..وجهها الذي حفرته الهموم.. ثم ابتلعت ريقها وهي ترفع ثوبها..

كان لديها ندوب..

احقنت أنفاسها..وتأملت ندبة صغية على فخذها الايمن.. وتذكرت كيف تسبب بها حسن في احدى نوبات غضبه.. ثم تلك الندبة على وركها الايسر..والأخرى في كتفها الايمن..

اسدلت ردائها بسرعة وهي تشعر برجفة..

كانت الندوب تخفت.. ولكنها موجوده.. اتسعت عينيها بذعر وهي تفكر اذا ماتزوجت.. ورآها..!!

ولكنه يعرف.. تهادى لها صوت قحطان وهو يعترف انه قد اخبره بكل شيء.. انه يعرف ماكان يفعله بها حسن.. شردت مجدداً.. الجميع يثق به.. بقوته وقدرته على حمايتها.. هو لن يؤذيها..

همس لها صوته من غياهب عقلها وهو يعدها بأن يحميها وأن يحبها كماتستحق..

انها تستحق فرصة للحياة..

انسابت دموعها وهي تفكر..

" من حق كل شخص ان يمنح فرصة ثانية واخيرة بالحياة ليشعر انه بشر يملك هذا الحق ان يحيا ,اذا منحتك الحياة هذه المعجزة .. تجاوز رعبك واقفز فوقها.. لا تحتاج الى الثقة بشخص قدر حاجتك للثقة انك تستحق بعد معاناتك تخطى جراحك ولملمة نزفها المؤلم واقتناص فرصتك فغالبا لن تتكرر"

سوزي ابوزيد

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)..

بعد اسبوعين..

-لاأصدق أننا قد عدنا!!!!!!!!..

هتفت بحزن لتلفها ذراعاه بتملك وهو يهمس الى جوار أذنها

بحميمية:

-لقد غبنا لأكثر من شهر سيادة ألم تشتاقي لعائلتك؟

التفت بين يديه لتحيط عنقه بذراعيها هامسة بحب:

-أنت عائلتي ياقحطان.. كل ماأريده بهذه الدنيا..هو أن أبقى الى

جوارك حبيبي.

-أنت تلعبين بالنار..

راقبت استعار الجمر في عينيه لتضحك بضحكة مهزوزة وهي تغرق

بين ذراعيه هامسة بعشق:

-أعشق نارك.. اعشقك أنت..

-سيااادة..

تمتم بتوتر وهو يفك ذراعيها من حوله وهتف:

-يجب ان نذهب.. سنتأخر وأكرم سيقتلني..

ابتعدت عنه باسمة باحباط..

-هل يجب أن يعقدا القران اليوم..

ضحك بفرح:

-لقد وافقت أخيراً وهذا أمر لاأصدقه.. ولكن الحمدلله على ذلك.. هيا لدينا طريق طويل..

تنهدت باستسلام وتبعته وهي تغطي نفسها باحكام..

كان أكرم بانتظارهما أسفل شقة والديها حيث عادا من المطار اليهما مباشرة قبل أن يعودا ليستقرا في البلدة.. رأت سيادة سيارة أكرم وكان بداخلها شخص ما لم تتبينه .. اتخذا الطريق وقحطان يقود بنفسه لتأخذ راحتها بالجلوس بينما يتبعه طقم حراسته كالمعتاد وأكرم..

كان الطريق الطويل والمتعرج يسبب لها الماً في ظهرها.. لذا طلبت من قحطان أن يخفف سرعته وأنزلت كرسيها لوضع الاستلقاء..

-هل أنت بخير..؟؟

-انها الطريق لاتخف علي سأنام ..

نظر لها بزاوية عينه بقلق بينما ابتسمت له بنعومة وهي تمسك كفه الضخمة بين يديها بقوة..

كان لديها أعظم وأروع زوج في العالم .. فكرت بمحبة..

شهر عسلها كان قطعة من الجنة.. خيالي وفائق التصور.. أخذها الى ايطاليا..بلدة صغيرة تقع على البحر المتوسط.. عاشت فيها أجمل ايام عمرها.. برفقة الرجل الذي تحب والذي لم يكن يترك لها فرصة دون أن يخبرها بحبه.. وشوقه العارم.. والذي ان لم تفضحه كلماته كانت تشي به عيناه.. ولمساته..

حنانه الفائق كان يجعلها فاقدة القدرة على التكلم..

صامتة ولكن محبة ..

عاودها الألم ليخرجها من ذكرياتها.. فانقلبت على جنبها وهي تمسد اسفل ظهرها خفية .. لاتريده أن يقلق.. وهي متأكدة أنه لاشيء..

موعدها لايزال بعيداً..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

وصلا بعد ساعتين تقريباً..

وكانت الاحتفالات قد بدأت في البلدة وقد قام جده ورعاد باللازم لانجاز عقد قران اثنان من افراد العائلة..

الجوهرة .. وعلي!!

دخلت سيادة الى مجلس النساء بابتسامة واسعة وهي تتلقى الترحيب من الجميع واندفعت الى جدتها وحماتها لتقبل كف الاولى ورأسها ثم التفتت الى الأخرى هامسة بخجل:

-كيف حالك ياأمي..؟؟

امتلأت عيني هدية بالدموع.. وحبستها بالرغم عنها وهي تقترب لتعانق زوجة ابنها بحنان:

-بخير يازوجة الغالي.. تعالي..الجوهرة بانتظارك..

ابتسمت لها بمحبة خالصة.. كانت أمه.. ولذا فقد تناست كل شيء.. وتقربت منها لتقابلها هدية في منتصف الطريق.. لأجله فقط ستنسى كل خلافاتها مع حماتها.. وتتذكر انها كانت ولاتزال أمه..التي لن يحب بقدرها.

الجوهرة كانت متألقة..

رفعت شعرها أعلى رأسها وزينت وجهها الناعم ببساطة.. وارتدت ثوباً بلون العقيق الأحمر بقصة بسيطة وناعمة ولكنها أظهرت تفاصيل جسدها الرشيق وجماله..

-مبرووك ياعرووووس..

اتسعت عينا الجوهرة بذعر وهتفت:

-انا اكاد أموت.. لم اشعر هكذا في عمري..

ضحكت سيادة وهتفت:

-ماذا ألم تتوتري في المرة السابقة؟؟

عبست الجوهرة وهمست:

-كنت في السابعة عشر.. كنت فرحة بالثوب الابيض ولم اعرف ماكان يخفيه؟؟

ضمتها سيادة بحنان وهمست لها:

-قحطان يثق بصديقه ويقول انه الرجل المناسب لك .. لاتخافي وثقي بنفسك..

أخذت نفساً عميقاً.. وزفرته ببطء وهي تومئ لسيادة..ثم هتفت بحزن:

-لاأصدق ان سلمى لن تاتي.. لقد وعدتني ان تحاول..

-لابد ان لديها ظروفها.. لاتبتأسي..

قالت سيادة بحنان ثم اضافت بمرح:

-انا أتيتي.. وكذلك غزل.. الا نكفي؟؟

ابتسمت الجوهرة بامتنان بينما تتسائل سيادة:

-أين هي بالمناسبة؟؟

-هناا..

هتفت غزل من خلفها وهي تدفع باحداهن للداخل بمرح صائحة:

-أحضر هذه الملعونة والتي تدعي انها نسيت اين تقع غرفتها..

-سلمىىىىىىىىىىى..

صاحت الجوهرة بفرح وهي تقفز لتعانق شقيقتها التي قفزت بصخب وسعادة:

-اشتقت اليكم بجنووووووووووووون..

ضحكت سيادة وغزل لجنون سلمى الواضح انه لم يتغير فيها.. ثم جذبتها سيادة قائلة باعجاب وهي تنظر لثوبها الرقيق الابيض والذي وصل لركبتيها بعنق مثلثة عميقة وحزام ذهبي رفيع:

-انظروا لهذه الاناقة..

رفعت سلمى حاجبها ووتخصرت بترفع:

-بالطبع.. انا زوجة السـلطان سيف الشيب.. الاناقة اقل مايجب..

تبادلت غزل وسيادة النظرات الحانقة قبل ان تضربها الاولى بوسادة على رأسها ضاحكة:

-انتظري فقط وسأتي برعاد ليعيد رأسك لحجمه الطبيعي.. انت وكشتك يامنكوشة.

زمت سلمى شفتيها بغضب بينما تدخلت الجوهرة بتوتر:

-توقفا عن الجدال كالأطفال.. انا متوترة بمايكفي..

صمتت الفتاتان وهما تتبادلان النظرات الشقية.. بينما انطلقت الأعيرة النارية بكثافة لتجحظ عينا الجوهرة وغزل تطلق زغاريد عالية .. وسلمى تقفز تصفق بجذل كالأطفال..

باركن لها بمحبة وعناق قوي .. قبل أن تسألها سيادة:

-ماذا عن عروس علي..؟؟ متى اختارها؟؟

-لم يفعل.. حالما عاد من سفره الأخير ابلغ أمي ان تبحث له عن عروس ليأخذها معه مباشرة بعد الزواج ليكمل دراسة تخصصه خارج البلاد.

قالت الجوهرة بتوتر فتسائلت سيادة:

-أتظنينه متأثر بفسخ خطبته؟؟

-لااعتقد.. هناك سر يخفيه أخي.. ومعرفتي به تقول انه لن يفشيه لأحد حتى مماته.

تنهدت سيادة قبل ان يتقلص وجهها بألم..

-هل أنت بخير؟؟

سألتها الجوهرة لتومئ أن نعم ونهضت بصعوبة لثقلها وهي تقول:

-نعم نعم لاتقلقي.. اذهبي لأمك الان لاريب عريسك بانتظارك..

تركتها الجوهرة قلقة.. ومضت الى حيث وقفت امها المبتسمة وهي تسلمها لقحطان والذي قبل رأسها بحنو وقادها لغرفة جانبية وهو يقول:

-كنت أنوي ان أطيل عذابه قليلاً.. ولكنني رأفت به..لقد انتظر بمايكفي.

شعرت بالخجل يجتاحها وهو يدفع الباب ويشير لها بالدخول الى غرفة جلوس صغيرة.. خفضت رأسها بحرج وهي تشعر بأنها تكاد تسقط ارضاً من الاحراج وقحطان يقربها من اكرم المتلهف..

-انها أمانة في عنقك ياأكرم., أنها جوهرة العزب فحافظ عليها..

قبض أكرم على يد رفيقه بقوة وعيناه لاتفارقان عروسه الفاتنة والتي لم يتصور في أجمح خيالاته ان تكون بكل هذا الجمال.. والرقة:

-انها في عيني..

-اذا سأترككما الان.. ولكن لاتؤخرها.. لدينا مجموعة من النساء متشوقات لرؤية الجوهرة والمباركة لها..

-بالطبع بالطبع..

قالها أكرم بضحكة متوترة ليبتسم قحطان ويشد من ذراع الجوهرة قبل ان يخرج بخفة..

شعرت بالغرفة تدور حولها وأكرم يقترب.. يقبض على كتفيها بحزم حانٍ ويهمس:

-مبارك ياعروس..

انكمشت وهو يقترب ليقبل رأسها بعمق.. قبل أن يبتعد ويهمس برجفة:

-لدي شخص اريدك أن تقابليه..

رفعت عينيها بدهشة لتقعا على جسد ضئيل يجلس الى الزاوية..طفله؟؟!!

-تعال يامجد..

اشار له أكرم ليقترب الصغير ويقف الى جواره وهو ينظر للجوهرة باهتمام:

-هذا ابني البكر.. مجد.

قالها بفخر لتهمس رغماً عنها بحيرة:

-بكر؟؟ هل لديك غيره؟؟

لتتسع ابتسامته وهو يسمع صوتها اللذيذ ثم قال بثقة:

-سيكون لدينا.. باذن اللّه.

وصلها المعنى لتحمر خجلاً وتنزل لتعانق الصغير المتجمد هامسة:

-كيف حالك يامجد؟؟ انا الجوهرة..

قال أكرم بحنان:

-لقد ساعدني مجد بتوضيب منزلنا.. وغرفة أخويه..قحطان وفاطمة.

نظرت له بامتنان وخفضت رأسها ليمسك ذقنها ويرفعه ليلقي نحو عينيها نظرة ساحرة وهو يؤكد:

-سنكون عائلة متكاملة ياجوهرة.. عائلة سعيدة.. بإذن اللّه.

ابتسمت وهي تعي ان مايقوله يعكس ثقته الكبيرة بنفسه وبها..

وتسللت ثقته اليها كالعدوى..

وبهدوء جلست الى جواره وقد تسلق مجد ليبقى جوارها.. ووالدها يحادثها بتفهم وحنان احتاجته الان .. أكثر من أي شيء أخر..

حين عادت بعد نصف ساعة الى غرفتها كانت الفتيات بانتظارها..

ودون ان تهتم باجابة اسئلتهن الملحة كانت تعدل من شعرها بحركات خفيفة قبل أن تمسك يدي سيادة:

-هل تاخذينني الى المجلس..

نهضت سيادة بصعوبة والألم ازداد.. وهتفت..

-بالتأكيد حبيبتي هيا(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)اااااه..

صرخت بوجع والتوت وهي تمسك بطنها التي شعرتها كالحجر..

-سيااااادة..

صرخت غزل برعب..بينما تقدمت منها الجوهرة وسلمى لتجلسانها على الأريكة والجوهرة تسألها بتوتر:

-هل تشعرين بتقلصات ياسيادة؟؟

-اشعر بالألم.. الم يمزقني ويكسر ظهري ياجوهرة ..اااه..

-رباااه انها تدخل الى المخاض..

هتفت الجوهرة بتوتر لتصيح غزل برعب:

-ولكنها مبكرة.. هي لن تلد قبل ثلاثة أشهر..

-اريد قحطاااااااااااان..

صرخت سيادة بوجع وهي تتلوى في مكانها باكية.. لتركض سلمى للخارج.. الى حيث أمها واخبرتها ماحدث بسرعة لتتسع عينا أمها بذعر وسارعت لمجلس الرجال..

كان الهرج والمرج يسود المجلس بعد عقد القرانين.. وتعالت الضحكات المرحة والاحاديث بين الجميع.. كان قحطان يجاور أكرم وسيف بينما جلس علي الى جوار الاخير بصمت يقطعه بكلمات مقتضبة بين الحين والأخر.. حين اندفع رعاد بسرعة ليجذب قحطان هاتفاً:

-والدتي تريدك في الحال..

انتفض قلب قحطان بقوة وهو يرى نظرة رعاد المتوترة وهتف وهو يلحقه بسرعة:

-ماذا هناك؟؟

-لااعرف لقد وجدتني بالخارج وكانت في حالة عصبية ولم اعرف ماتريده..

أسرع قحطان يسبق رعاد لحيث انتظرته والدته والتي ماان رأته حتى قالت له بثبات:

-جهز سيارتك بني.. زوجتك ستلد..

توقف للحظة ينظر لأمه بذهول.. مستحيل..لايزال الوقت مبكراً.. مبكر جداً..

-لا امي ..انت مخطئة..

-قحطان استمع لي ولاتخف.. الكثير من النساء تلد قبل الأوان.. والان هيا يجب أن تذهب للمستشفى.

انتفض قحطان بقسوة وهو يفكر بالألم الذي اجتاحها قبل ان يصلا ..

ربااااااه..

ودون ان يستمع لأمه كان يشق طريقه لغرفة الجوهرة حيث ادرك انها ستكون هناك..

وللحظة فقط توقف ليهدر بالنساء بالداخل انه وصل..

لتلاقيه سلمى بدموعها:

-انها تتألم قحطان..

ابتلع ريقه بصعوبة واندفع للداخل .. كانت ترقد على الاريكة والجوهرة الى جوارها..

-سيـادة؟؟

همس بقلق.. لتهتف اسمه بين دموعها:

-قحطاااااااان.. سوف أموووووووت..

اندفع اليها وامسك بيدها وهو ينظر نحو بطنها بعجز..ولاينفك يفكر ان الوقت مبكر..

-ستكونين بخير..لاتخافي..

-قحطان علينا أخذها للمستشفى..لاوقت لدينا ربما يستطيعون ايقاف الولادة قبل فوات الاوان..

قالتها الجوهرة بحزم لتخرجه من ارتباكه وساعدها لتغطي سيادة قبل أن يحملها بحذر الى سيارته.. لم تكن الوحدة الصحية القريبة مجهزة لهكذا حالة.. وهو لم يكن مستعد للمخاطرة.. لذا سرعان ماكان يضعها في مؤخرة سيارته وبرفقتها سلمى والجوهرة بينما جلست أمه الى جواره ..

-لا تعال الى جانبي..

هتفت بألم وهي تراه يتسلق مكان السائق ليرفض بشدة:

-أنا سأقود.. سأوصلك بسرعة فلاتخافي..

بكت بمرارة وهي تستند على الجوهرة التي كانت تمسد بطنها وتقرأ عليها بصوت خفيض بينما سلمى أمسكت بيدها وبكت بصمت..

قحطان كان في عالم أخر.. رؤية أخرى..

كان قلقاً عليها وبجنون..يريد أن يبقى معها ويمسك بيدها ويشد ازرها.. ولكنه لم يكن يثق بأحد ليقودهم بسرعة كثقته بنفسه..

ولذا فقد غلف قلبه بقسوة وانطلق بالسيارة بسرعة مخيفة..

-قحطان انت ستتسبب بقتلنا بني..

صاحت امه مذعورة ليقول بجلادة:

-لاتخافي امي..

صمتت امه بقلق.. تدرك خوفه على زوجته.. الجميع كان خائفاً.. مرعوباً..

انطلقت السيارة بسرعة عالية.. تتبعها رتل من السيارات ..كان يقود وعيناه تحرقان الطريق.. لم يهتم سوى بشيء واحد أن يصل بها سالمة الى المستشفى..

وفعل..

بعد ساعة واحدة فقط مختصراً نصف الوقت.. وحملها بنفسه الى عنبر الولادة.. وهو يبعد كمن أمامه بنظرات متوحشة.. وحالما وضعها على السرير الغريب والذي ذكره بأسرة التعذيب في الأفلام الروسية القديمة حتى وقفت امامه قابلة ضخمة وطردته بحزم..

-انا سأبقى معها.

هدر بعنف.. لتتسع عينا القابلة وتنظر لاختصاصية التوليد التي همست له برقة:

-سيدي.. اتركنا الان لنقيم حالتها اولاً.. وأعدك انني سأخبرك بكل شيء..

-انا لاأريد ان(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

ابتدأ بالصراخ بشراسة لتقاطعه سيادة بارهاق:

-قحطاان..

التفت اليها بكيانه كله وحام فوقها كنسر فارد لجناحيه :

-هل تتألمين..؟؟

ابتسمت بشحوب..ولامست جانب وجهه:

-استمع اليهما حبيبي..انا سأكون بخير..

-انا لن اتركك.

قال بعناد لتنتابها موجة أخرى من الألم وتصرخ:

-بلى سوف تخرج قحطان.. لن تبقى هنا.. هيا اذهب.

تراجع بدهشة.. ونظر لعينيها المشعتين فزفر ببطئ قبل أن يتراجع

خارجاً بسخط بينما تهالكت سيادة على السرير وهي تنزع ثيابها

كي ترتدي الرداء المخصص للولادة..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

-لقد تاخرت..

هتف بغضب وهو يدور في الممر امام الغرفة كليث حبيس..

-لاتقلق اخي.. لم تمضي سوى ربع ساعة فحسب..

نظر للجوهرة بعاصفة وعاد ينظر للباب وانتفض اليه وهو يرى الطبيبة تغادر بابتسامتها المثيرة للأعصاب:

-سيـادة في حالة ولادة سيد قحطان..

-ماذا يعني هذا؟؟ لاتزال مبكرة.. اوقفيها.

صاح بعنف لتغمض الاختصاصية عينيها وتهتف بصبر:

-هذا يحدث أحيانا.. لانستطيع ايقاف الولادة الان.. الطفل ينزل وعنق الرحم متوسع بدرجة كبيرة.. انها حالة نادرة وخصوصاً للأمهات البكر,,ولكنها ستحصل على الطفل في اقل وقت ممكن..

اتسعت عيناه بذعر وتراجع ليجلس وقد وهنت ساقاه وأسند رأسه بين يديه بصدمة..

-فقط ادعوا لها..

رباااااه..

كل شيء ينهار أمامه.. قد يفقد سيادة.. يفقدها حقاً..

ابتلع ريقاً جافاً والتفت لأمه التي جلست جواره تحيط كتفيه بمواساة وهو يهمس بشحوب:

-هل ستنجو؟

-لاتخف بني.. سيادة مقاتلة..وقد نجت من أصعب من هذا..

أسند رأسه للجدار خلفه واغمض عينيه بألم.. كم يرغب بأن يكون معها.. يمسك بيدها ويهدئ من روعها.. ولكنه كان خائفاً مثلها.. ربما لهذا طلبت منه الخروج.. رباااااااه انها وحدها بالداخل..

فكر بارتياع لينهض غير قادر على الصبر..والجلوس..

مضى الوقت ببطئ..

وصل باقي افراد العائلة.. حتى عمه سالم وايفا زوجته.. والتي جلست ساهمة تناظر الفراغ دون كلمة..

حتى عمرو جاء.. وقف الى جوار قحطان يشد من يده وهو يهمس:

-تجلد يارجل.. ستكون بخير..

-انها مبكرة جداً ياعمرو..

هتف بقلق.. بخوف ليربت عمرو على كتفه وقال لها:

-لاتنسى ان علياء ابنتي ولدت مبكرة ايضاً..

-تلك ظروفها مختلفة..

هتف بيأس ثم تذكر ماعانته الصغيرة بعدها من بقاء في الحاضنة وتلك العملية المريعة والتي شقوا بها صدرها الصغير وألم قلبه لفكرة ان يخوض تجربة كتلك..

-توكل على اللّه يارجل.. ستكون بخير..

-والنعم باللّه..

همس بتوتر وعيناه لاتفارقان الباب..

وبعد ساعة كاملة من الانتظار المثير للأعصاب.. خرجت القابلة مبتسمة ليهجم عليها بلهفة:

-هل هي بخير؟؟

-نعم انها بخير.. لقد تمت الولادة والأم وابنتها بخير..

زفر براحة وامتنان وهو يحمداللّه بلاتوقف.. بينما تعالت التنهيدات الفرحة من خلفهما ونزلت المباركات على قحطان كالمطر وهو لايستطيع احتواء فرحته التي ظهرت جلية في عينيه وابتسامته الواسعة جداً وهو يعانق عمرو بقوة ثم عمه سالم والذي أخفى دموعه بصعوبة وهو يوقل:

-مبارك ماجائك بني.. حمدللّه على سلامتهما..

-الحمدللّه ياعمي.. الحمدللّه..

تمتم قحطان بشكر عميق قبل ان يلتفت للقابلة وبلهفة:

-أريد أن أراها..

-سنأخذ السيدة لغرفتها هناك في الحال بينما تعاين طبيبة الاطفال الصغيرة وتتأكد من صحتها.

اومأ قحطان بتوتر قبل ان تستوقفه كلمة واحدة..

"صغيرة؟؟"

ونظر للقابلة التي حدقت به بدهشة لصياحه:

-ماذاتعنين بالصغيرة؟؟ زوجتي وضعت صبياً..

رفعت الفتاة حاجبها وقالت بثقة:

-لا .. بل هي وضعت صبية فائقة الجمال.. رغم ان وزنها اقل من كيلوين ولكنها بصحة جيدة وصراخها يصم الأذان.

انتفخت اوداج قحطان بانفعال وهو ينظر للفتاة بشراسة.. ليجذبه عمرو ضاحكاً:

-ياللهول قحطان ستأكل الفتاة المسكينة دعها تذهب.. انها عطية اللّه فلم الاعتراض؟؟

-أول مولود لشيخ العزب هو صبي..

هتف قحطان بعناد عصبي جعل الجميع ينظر اليه بدهشة..قبل أن ينفجروا بالضحك وعمرو يغمز له بمكر:

-ألم أقل لك ان هناك نساء خُلقن ليغيرن هذا الغرور المزيف ياصديقي..؟؟

رمقه بتوحش قبل ان يسرع نحو الباب المؤدي لغرفة سيادة بخطوات غاضبة..كان يغلي من الداخل.. لم يحدث قط ان كان اول مولود لأي من اسلافه انثى.. لم عليه هو أن يتقبل هذا الأمر..؟؟

زفر بحنق وفتح الباب وهو مصر على اعطاءها بعضاً مما يفكر به..

والذي انحسر كليا عن عقله وهو يتوقف بذهول للمنظر امامه..

كانت تستلقي على ذلك السرير شبه جالسة.. وقد تهدلت بضعة خصلات من شعرها الاحمر مبللة امام وجهها.. تبدو بهشاشة ورقة شجر بتلك الكتفين النحيلين والذين اظهرهما بوضوح روب المشفى الرقيق.. ثم كانت تلك المخلوقة بين يديها..

تصلب بوقوفه وهو يراقب كيف احتوت سيادة ابنتها بحنان وأسندت وجهها اليها.. بينما ترفع الصغيرة كفاً بالكاد يُرى لتتشبث بأصبعها بقوة رقيقة..

شعر بقلبه يثب من صدره وينضم اليهما.. وساقاه تتسمران مكانه..

رفعت عينيها اليه.. ورات قلبه ينبض في عينيه وهو ينظر اليهما..

تركت دمعتها تنساب على خدها وهي ترفع له ذراعها هامسة:

-تعال.. انها تريد ان تراك لتفتح عينيها..

اقترب بصعوبة.. انفاسه متلاحقة بشدة.. جلس الى جوارها ونظر لابنته.. شعر بالذهول ..وتسمر ينظر اليها وسيادة تهمس:

-انها ترفض ان تفتحهما حتى تأتي..

نظر لها بصمت بعينين متسعتين لتضيف بابتسامة:

-كماكانت ترفض التوقف عن الركل والتحرك حتى تسمع صوتك حبيبي..

عبرة احتكمت حنجرته ومنعته من التكلم وهو يتذكر ماتقول لتواصل بضحكة:

-رغم أنك كنت تناديها بعمرو..وهذا اسم لايناسب صبية مثلها ألاتظن..؟؟

-لا..

همس بشحوب.. ثم وكالمسحور مد اصبعه يلامس وجنتها الصغيرة جداً والمتغضنة كثيراً.. لتستجيب الصغيرة اولاً بفتح فمها الشبيه بالياقوت.. ثم رفرفت جفنيها الخاليين من الرموش.. وقد صدق ماقالته امها..

لقد انتظرته لتفتح عينيها,,

شهق بتأثر وهي تفتحهما.. كانتا أكبر مافيها.. بدت غريبة كفأرة برأسها الصغير المتعرج.. ووملامح وجهها المستدقة..انفها الذي لاتظهر منه سوى فتحتين بالكاد تسمحان للهواء بالدخول.. وذقن شبه معدومة.. ثم عينين بحجم هائل فتحتهما لتنظرا له باستغراب.. اتسعت عيناه بذهول.. وابنته تنظر اليه بتركيز وكأنها تراه حقاً.. عينيها بلون الزمرد.. اخضر براق.. كأمها.. قبل أن تغلقهما وتعود للنوم ..

-ان لها عينيكي..

همس بتأثر وهو يلتفت لسيادة المبتسمة ودموعها تغمرها وهي ترى تاثره العميق بابنته

-ولها شعري ايضاً..

-ليس لديها شعر..

همس باستنكار لتتسع ابتسامتها وتكشف عن ذراع الصغيرة وكتفيها والتي ظهر بهما زغب احمر ناعم جعله يحبس انفاسه وهي تهمس:

-انها صهباء مثلي ياقحطان..

ابتسم حينها.. واتسعت ابتسامته لتشمل وجهه وهو يقبلها بلطف على شفتيها هامساً:

-لقد تسيدتي الموقف كلياً الأن اليس كذلك؟؟

ضحكت بمرح وأسندت رأسها على كتفه ليضمها بحنان محاذراً ألا يؤذي الطفلة بأي شكل:

-هل تأذيتي؟؟

همس بقلق.. لتجيب بنعاس:

-لا.. لقد نسيت كل الألم حالما رأيتها قحطان.. نسيت كل شيء..وانا أدرك أنها سالمة..

-حمدالله..

همس وهو يقبل رأسها بحب.. ثم أنزل عينيه للصغيرة النائمة بهدوء:

-لاأصدق ان مخلوقاً بهذا الحجم..يسبب كل هذه الفوضى..

ابتسمت لابنتها بحنان ثم ناولتها اياه هامسة بارهاق:

-خذها عني..اريد الاستلقاء لبعض الوقت..

اتسعت عيناه بارتباك وهي تترك الصغيرة بين ذراعيه الضخمتين لتضيع كلياً ويصعق هو من خفتها.. ولكنه لم يتراجع وهو يشعر بالشفقة على امها التي استلقت واغمضت عينيها.. بينما نهض هو

بهدوء وبدأ يردد الأذان في أذنيها بصوت حازم.. لتفتح عينيها وترمقه بنظرة زمردية مركزة .. ضحك حينها وقربها ليقبل رأسها بعمق وهو يهتف بها :

-لن تخيفيني بهذه النظرات يابنة امك.. انا والدك وليس العكس.

-ماذا سنسميها ..

تسائلت سيادة بقلق.. لينظر للصغيرة بين يديه وعينيها الواسعتين النجلاوتين.. وهمس بابتسامة:

-هبة..

رددت الاسم خلفه بخفة.. ثم ابتسمت واغلقت عينيها هامسة:

-اعتني بهبة جيداً حتى انام..

-سأخرج بها لتقابل عائلتها..

قال بحماس وهو يخرج مغلقاً الباب خلفه.. بهدوء.. ليجد ترقب عائلته كلها وهو يواجههم بهبته الصغيرة.. الهبة المبكرة.. والتي خطفت قلبه.. كمافعلت والدتها قبلها..

(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد).

النهايـــــــــة(شيوخ لاتعترف بالغزل بقلم عبير محمد قائد)

عبير محمد قائد 2015/1/2